



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للعلوم



عيد ميلاد
عمر الکرمان

www.ghaemiyeh.com
www.ghaemiyeh.org
www.ghaemiyeh.net
www.ghaemiyeh.ir



مع الركب الحسيني

الامام الحسين عليه السلام
في مكة المكرمة

تأليف :

نجم الدين الطيبي

جلد (٦ - ١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الامام الحسين عليه السلام فى مكة المكرمه ، مع الركب الحسينى

كاتب:

نجم الدين طبسى

نشرت فى الطباعة:

سپهر انديشه

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

٥	الفهرس
٦٧	الامام الحسين عليه السلام فى مكة المكرمه ، مع الركب الحسينى
٦٧	اشارة
٦٧	الجزء الأول
٦٧	اشارة
٦٨	مع الركب الحسينى من المدينة الى المدينة (الجز الاول)
٦٨	اشارة
٦٨	المقالة الاولى: حركة النفاق ... قراءة فى الهوية والنتائج ص : ٣٥
٦٨	اشارة
٦٨	التعريف: ص : ٣٧
٦٨	المشهور الخاطى عن البداية والنهاية: ص : ٣٨
٧٢	فصائل حركة النفاق: ص : ٤٦
٧٢	حزب السلطة: ص : ٤٦
٧٦	منافقو أهل الكتاب: ص : ٥٨
٨٠	منافقو أهل المدينة: ص : ٦٨
٨٢	الحزب الاموى: ص : ٧٣
٨٧	منافقون نفعيون: ص : ٨٤
٨٧	المنعطفات الاساسية ونتائجها: ص : ٨٤
٨٧	السقيفة: ص : ٨٤
٩٠	نتائج السقيفة: ص : ٩٢
٩٠	اشارة
٩٠	١ (إقصاء (الوصى الشرعى (ع) عن مقامه ص : ٩٢
٩١	٢ (التضييق على أهل البيت (ع) ص : ٩٣

- ٣ (منع بنى هاشم من تولّى المناصب الحكوميّة ص : ٩٣ ٩١
- ٤ (بسط يد الامويين فى تولّى المناصب الحكوميه ص : ٩٤ ٩١
- ٥ (انتعاش الروح القبليه وانبعائها من جديد ص : ٩٥ ٩١
- ٦ (محاصرة السنّة النبويّة علنا ص : ٩٦ ٩٢
- ٧ (نشوء حالة الشلل النفسى فى الامة ص : ٩٨ ٩٣
- خلافة عمر بن الخطاب: ص : ١٠١ ٩٤
- اشارة ٩٤
- أ) مبدأ عمر فى العطاء ص : ١٠٢ ٩٥
- ب) الشورى ص : ١٠٤ ٩٥
- ج (نتائج الشورى ص : ١٠٦ ٩٦
- اشارة ٩٦
- ١- مواصلة إقصاء (الوصىّ الشرعى) ص : ١٠٦ ٩٦
- ٢- استيلاء الحزب الامويّ على الحكم ص : ١٠٦ ٩٧
- ٣- أثر الشورى نفسياً على الانصار ص : ١٠٦ ٩٧
- ٤ الطمع المفتوح فى الخلافة ص : ١٠٧ ٩٧
- ٥ تعاظم منطق السقيفة القبل ص : ١٠٨ ٩٧
- خلافة عثمان: ص : ١٠٩ ٩٨
- اشارة ٩٨
- نتائج عهد عثمان ص : ١١٠ ٩٩
- اشارة ٩٩
- ١ اتساع الهوة فى الفروق الطبقيّة ص : ١١٠ ٩٩
- ٢ انفتاح باب القتل والقتال على هذه الامة إلى يوم القيامة ص : ١١٢ ١٠٠
- ٣ ارتفاع درجة الشلل النفسى فى الامة: ص : ١١٣ ١٠٠
- عهد معاوية: ص : ١١٤ ١٠٠

- ١٠٠ اشارة
- ١٠١ نتائج عهد معاوية ص : ١١٥
- ١٠١ اشارة
- ١٠١ ١ تحوّل شكل الحكم من الخلافة إلى الملك ص : ١١٥
- ١٠٢ ٢ التعقيم الكامل على فضائل أهل البيت (ع) واختلاق مثالب لهم: ص : ١١٦
- ١٠٢ (أن برئت الذمة ممن روى شيئاً من فضائل أبي تراب وأهل بيته)، «٥» ص : ١١٦
- ١٠٤ ٣ انخداع جلّ الامّة بالتضليل الديني الاموي ص : ١٢١
- ١٠٦ ٤ اضطهاد الشيعة: ص : ١٢٦
- ١٠٧ ٥ تمزق الامّة الاسلاميّة قبلها وطبقيا ص : ١٢٩
- ١٠٨ ٦ الانتكاس الروحي والنفسي في الامّة: ص : ١٣٢
- ١١٠ المقالة الثانية: بين يدي الشهيد الفاتح ص : ١٣٩
- ١١٠ اشارة
- ١١٢ «الشهيد الفاتح» من الخصائص الحسينية: ص : ١٤٣
- ١١٣ منطق الشهيد الفاتح: ص : ١٤٧
- ١٢٢ آفاق الفتح الحسيني: ص : ١٧٠
- ١٢٢ اشارة
- ١٢٣ مقطع عصر عاشوراء: ص : ١٧٢
- ١٢٣ اشارة
- ١٢٣ أ) الفصل بين الاموية والاسلام ص : ١٧٢
- ١٢٥ ب) - عاشوراء، بداية نهاية الحكم الاموي ص : ١٧٧
- ١٢٥ اشارة
- ١٢٥ ١- إنتفاضة عبدالله بن عفيف الازدي (رض) ص : ١٧٧
- ١٢٦ ٢- ثورة المدينة: ص : ١٧٨
- ١٢٦ ٣- ثورة التوابين ص : ١٧٩

- ١٢٧-----٤- ثورة المختار (ره) ص : ١٨٠
- ١٢٧-----٥- قيام زيد بن على ص : ١٨١
- ١٢٨-----مقطع ما بعد عاشوراً إلى عصر الظهور: ص : ١٨٢
- ١٢٨-----اشارة.....
- ١٢٨-----الاسلام حسينى البقاء ص : ١٨٢
- ١٢٨-----سرى تاء كيد الائمة (ع) على عزأ الحسين (ع) وزيارته ص : ١٨٣
- ١٢٩-----مقطع عصر الظهور: ص : ١٨٦
- ١٢٩-----اشارة.....
- ١٢٩-----قيام المهدي (عج) هو الفصل الاخير من قيام عاشوراً ص : ١٨٦
- ١٣٠-----دلائل روائية ص : ١٨٧
- ١٣١-----الفصل الاول: الامام الحسين (ع) بعد اخيه الامام الحسن (ع) ص : ١٩٣
- ١٣١-----مكانة الامام الحسين (ع) فى الامة: ص : ١٩٣
- ١٣٤-----الاجبار بمقتله (ع): ص : ٢٠٠
- ١٣٧-----زوبعة اليوم الاوّل: ص : ٢٠٨
- ١٤٠-----نظرة الامام الحسين (ع) إلى صلح أخيه (ع) مع معاوية ص : ٢١٣
- ١٤٠-----القيام عند أهل البيت (ع): ص : ٢١٣
- ١٤١-----الخيارات المتاحة للامام الحسن (ع): ص : ٢١٦
- ١٤١-----اشارة.....
- ١٤١-----١ (بقاء الحالة القائمية ص : ٢١٦
- ١٤١-----٢ (حالة الحرب واحتمالاتها ص : ٢١٦
- ١٤٢-----٣) الصلح ص : ٢١٧
- ١٤٢-----صدق أبو محمد (ع) ص : ٢١٨
- ١٤٣-----مواصلة الامام (ع) الالتزام بالهدنة ص : ٢٢١
- ١٤٤-----موقف معاوية من الامام الحسين (ع) ص : ٢٢٣

- ١٤٤ دعوى) الدم المضمون فى بنى عبد مناف (وحقيقتها ص : ٢٢٣
- ١٤٥ الرقابة المشددة على الامام (ع) ص : ٢٢٥
- ١٤٧ الخط العام فى رسائل معاوية إلى الامام (ع) ص : ٢٢٩
- ١٤٨ لماذا لم يثر الامام الحسين (ع) على معاوية؟! ص : ٢٣٢
- ١٥٣ فيه، فهو يرى أن على الامام (ع) أن يفى بالعهد وألا ينقض البيعة. ص : ٢٤٣
- ١٥٣ الفصل الثانى: المعالم العامة لنهج الامام الحسين (ع) فى عهد معاويه ص : ٢٤٥
- ١٥٣ اشارة
- ١٥٣ الدعوة إلى الحق والدفاع عنه: ص : ٢٤٧
- ١٥٣ اشارة
- ١٥٣ التعريف بمكانة أهل البيت (ع) وفضلهم ومعرفتهم: ص : ٢٤٨
- ١٥٨ استثمار المناسبات الدينية لنشر الحق وكشف التضليل الاموى ص : ٢٥٧
- ١٦٠ احتجاجه (ع) على العلماء ودعوتهم إلى نصره الحق: ص : ٢٦٢
- ١٦١ إحتجاجاته (ع) على معاوية وبنى أمية ص : ٢٦٥
- ١٦٥ رعاية الامام (ع) للامة عامة وللشيعة خاصة ص : ٢٧٧
- ١٧١ قاطعته (ع) فى رفض الاقرار بولاية يزيد والبيعة له ص : ٢٨٩
- ١٧١ مختصر قصة البيعة ليزيد بولاية العهد ص : ٢٨٩
- ١٧٣ المواجهات الحادة ص : ٢٩٣
- ١٧٧ روايات مكذوبة على سيرة الامام الحسين (ع) ص : ٣٠١
- ١٧٧ اشارة
- ١٧٧ الرواية الاولى: ص : ٣٠٢
- ١٧٨ الرواية الثانية ص : ٣٠٥
- ١٧٩ الرواية الثالثة ص : ٣٠٧
- ١٨١ الرواية الرابعة ص : ٣١١
- ١٨٤ الفصل الثالث: قصة بداية الثورة ص : ٣١٧

- ١٨٤ اشارة
- ١٨٤ موت معاوية بن أبي سفيان: ص : ٣١٩
- ١٨٤ ولولا هواى فى يزيد لا بصرت رشدى ص : ٣٢٤
- ١٨٨ شخصية يزيد بن معاوية: ص : ٣٣٠
- ١٩٢ الخبر فى المدينة: ص : ٣٣٨
- ١٩٤ الاستدعاء والتشاور فى المسجد: ص : ٣٤٤
- ١٩٨ لقاء المناورة وإعلان رفض البيعة: ص : ٣٥٢
- ١٩٨ اشارة
- ١٩٩ تاءمّل و ملاحظات: ص : ٣٥٦
- ١٩٩ اشارة
- ١٩٩ ١ (الخطّة العسكرية للحفاظ على حياة الامام (ع) ص : ٣٥٦
- ٢٠٠ ٢ (لماذا طلب الامام (ع) أن يدعى إلى البيعة علنا مع الناس؟! ص : ٣٥٧
- ٢٠١ ٣ (مروان ... والغرض المزدوج ص : ٣٥٩
- ٢٠٢ ٤ (شخصيّة الوليد بن عتبة ص : ٣٦١
- ٢٠٤ ٥ (مع العامل الاوّل من عوامل الثورة الحسينيّة ص : ٣٦٥
- ٢٠٥ الفصل الرابع بداية رحلة الفتح بالشهادة ص : ٣٧٢
- ٢٠٥ اشارة
- ٢٠٦ لماذا لم يبق الامام (ع) فى المدينة المنورة؟ ص : ٣٧٣
- ٢٠٧ الليلة أو الليلتان الاخيرتان فى المدينة: ص : ٣٧٦
- ٢٠٩ لقاءات الوداع فى المدينة ص : ٣٨١
- ٢٠٩ اشارة
- ٢٠٩ عزاً نساء بنى عبدالمطلب ص : ٣٨٢
- ٢١٠ عزاً أمّ المومنين أمّ سلمة (رض): ص : ٣٨٤
- ٢١١ أمّ سلمة (رض) والودائع ص : ٣٨٥

- ٢١١ عمر الاطرف ومنطق المداهنه وحب السلامة!! ص : ٣٨٥
- ٢١٢ محمد بن الحنفية ... النصيحة والوصية ص : ٣٨٧
- ٢١٣ تامل وملاحظات: ص : ٣٩٠
- ٢١٣ الامام (ع) في المدينة يتحدث عن مصرعه في العراق!! ص : ٣٩٠
- ٢١٣ مع العامل الاهم من عوامل الثورة الحسينية ص : ٣٩١
- ٢١٦ سيرة الاصلاح ص : ٣٩٧
- ٢١٧ لماذا الخروج من المدينة ليلا!! ص : ٣٩٩
- ٢١٨ الاصرار على الطريق الاعظم! ص : ٤٠١
- ٢١٩ الركب الحسيني الخارج من المدينة: ص : ٤٠٤
- ٢١٩ بنو هاشم: ص : ٤٠٤
- ٢٢٠ الانصار الاخرون: ص : ٤٠٦
- ٢٢٠ اشارة
- ٢٢٠ ١ (عبدالله بن يقطر الحميري ص : ٤٠٦
- ٢٢٠ ٢ (سليمان بن رزين مولى الحسين (ع) ص : ٤٠٧
- ٢٢٠ ٣ (أسلم بن عمرو مولى الحسين (ع) ص : ٤٠٧
- ٢٢١ ٤ (قارب بن عبدالله الدثلي مولى الحسين (ع) ص : ٤٠٧
- ٢٢١ ٥ (منجج بن سهم مولى الحسين (ع) ص : ٤٠٨
- ٢٢١ ٦ (سعد بن الحرث الخزاعي مولى علي (ع) ص : ٤٠٨
- ٢٢١ ٧ (نصر بن أبي النيزر مولى علي (ع) ص : ٤٠٨
- ٢٢٢ ٨ (الحرث بن نبهان مولى حمزة بن عبدالمطلب (ع) ص : ٤٠٩
- ٢٢٢ ٩ (جون بن حوى مولى أبي ذر الغفاري (ر) ص : ٤٠٩
- ٢٢٢ ١٠ (عقبة بن سمعان ص : ٤١٠
- ٢٢٣ لقاءات في الطريق ص : ٤١١
- ٢٢٣ اشارة

- ٢٢٣ لقاءه (ع) بآءفواج من الملائكة ومؤ منى الجنّ ص : ٤١١ ٢٢٣
- ٢٢٣ اشارة ٢٢٣
- ٢٢٣ «اشارة»: ص : ٤١٣ ٢٢٣
- ٢٢٤ أنصار آخرون يلتحقون بالركب من منازل جهينة ص : ٤١٥ ٢٢٤
- ٢٢٤ هل لقى الامام (ع) ابن عباس وابن عمر فى الطريق إلى مكة؟ ص : ٤١٥ ٢٢٤
- ٢٢٤ لقاءه (ع) مع عبدالله بن مطيع العدوى ص : ٤١٩ ٢٢٤
- ٢٢٧ من هو عبدالله بن مطيع العدوى؟ ص : ٤٢١ ٢٢٧
- ٢٢٧ هل وصلت إلى الامام (ع) رسائل قُبيل رحيله عن المدينة؟ ص : ٤٢٣ ٢٢٧
- ٢٢٨ له و شأنه «١» ثم يصف ص : ٤٢٥ ٢٢٨
- ٢٢٩ ولا شك أن هذه الرسالة تعتبر من رسائل أهل الكوفة إلى الامام (ع) فى فترة ما ص : ٤٢٥ ٢٢٩
- ٢٢٩ على مشارف مكة المكرمة: ص : ٤٢٦ ٢٢٩
- ٢٢٩ الجزء الثانى ٢٢٩
- ٢٢٩ الجزء الثالث ٢٢٩
- ٢٢٩ الجزء الرابع ٢٢٩
- ٢٢٩ الجزء الخامس ٢٢٩
- ٢٢٩ الجزء السادس ٢٢٩
- ٢٢٩ اشارة ٢٢٩
- ٢٣٠ الجزء الثانى ٢٣٠
- ٢٣٠ اشارة ٢٣٠
- ٢٣١ مع الركب الحسينى من المدينة الى المدينة (الجز الثانى) ٢٣١
- ٢٣١ مقدمة مركز الدراسات الإسلامية التابع لممثلة الولى الفقيه فى حرس الثورة الإسلامية ص : ٣ ٢٣١
- ٢٣١ اشارة ٢٣١
- ٢٣٢ مقدمة المؤلف (الأيام المكتبة من عمر النهضة الحسينية) ص : ٧ ٢٣٢
- ٢٣٢ اشارة ٢٣٢

- ٢٣٤ مَكَّة المكرمة والتركيبة القبلية فيها ص : ١٢
- ٢٣٧ وفي الختام: ص : ٢٠
- ٢٣٧ الفصل الأول ص : ٢٣
- ٢٣٧ اشارة
- ٢٣٨ الفصل الأول: حركة الإمام أبي عبدالله الحسين عليه السلام في مكة ص : ٢٣
- ٢٣٨ ورود الإمام الحسين عليه السلام مكة المكرمة ص : ٢٣
- ٢٣٨ اشارة
- ٢٣٨ الإستقبال الحافل والحفاوة البالغة ص : ٢٣
- ٢٣٨ منزل الإمام الحسين عليه السلام بمكة ص : ٢٥
- ٢٣٩ رسائل الإمام عليه السلام إلى الولايات الأخرى ص : ٢٧
- ٢٣٩ رسالته عليه السلام إلى البصرة ص : ٢٧
- ٢٤٠ نص رسالة الإمام عليه السلام إلى أهل البصرة ص : ٣٠
- ٢٤١ نماذج من أشرف البصرة الذين كتب إليهم الإمام عليه السلام ص : ٣١
- ٢٤١ اشارة
- ٢٤١ ١١- مالك بن مسمع: ص : ٣١
- ٢٤١ ٢- الأحنف بن قيس: ص : ٣١
- ٢٤٢ ٣- مسعود بن عمرو بن عدى الأزدي: ص : ٣٤
- ٢٤٢ ٤- قيس بن الهيثم السلمى: ص : ٣٤
- ٢٤٣ ٥- المنذر بن الجارود العبدى: ص : ٣٥
- ٢٤٤ الشهيد الأول في الثورة الحسينية: ص : ٣٧
- ٢٤٤ إجتماع الإمام عليه السلام برسل أهل الكوفة ومبعوثيهم ص : ٣٩
- ٢٤٥ رسالة الإمام الحسين عليه السلام إلى أهل الكوفة: ص : ٤٠
- ٢٤٥ سفير الإمام الحسين عليه السلام إلى الكوفة: ص : ٤٢
- ٢٤٥ اشارة

- ٢٤٥ ماذا يعنى كتمان الأمر هنا؟ ص : ٤٤
- ٢٤٦ من هو مسلم بن عقيل عليه السلام ص : ٤٦
- ٢٤٧ هل طلب مسلم الإستعفاء من السفارة؟! ص : ٤٨
- ٢٤٧ اشارة
- ٢٤٨ يقول السيد المقزم قدس سره: ص : ٥٠
- ٢٤٩ مسلم بن عقيل عليه السلام فى الكوفة ص : ٥٣
- ٢٤٩ اشارة
- ٢٤٩ وقال الشيخ المفيد قدس سره: ص : ٥٦
- ٢٥٠ رسالة الإمام عليه السلام الى محمد بن الحنفية ومن قبله من بنى هاشم ص : ٦٠
- ٢٥٠ اشارة
- ٢٥٠ معنى محتوى الرسالة: ص : ٦٢
- ٢٥٢ رسالة أخرى من الإمام الحسين عليه السلام ص : ٦٦
- ٢٥٣ إرساله عليه السلام قيس بن مسهر إلى الكوفة مرة ثانية ص : ٦٨
- ٢٥٣ اشارة
- ٢٥٣ من هو قيس بن مسهر الصيداوى؟ ص : ٦٩
- ٢٥٥ رسالة مسلم بن عقيل إلى الإمام عليه السلام ص : ٧٣
- ٢٥٦ حُطِبَ الإمام عليه السلام فى مكة المكرمة ص : ٧٥
- ٢٥٦ اشارة
- ٢٥٦ الخطبة الأولى ص : ٧٦
- ٢٥٦ اشارة
- ٢٥٧ ملاحظات مستفادة من هذه الخطبة الشريفة: ص : ٧٨
- ٢٥٨ الخطبة الثانية ص : ٨١
- ٢٥٩ يوم الخروج من مكة المكرمة ص : ٨٢
- ٢٥٩ لماذا أصرَّ الإمام عليه السلام على مغادرة مكة أيام الحج؟ ص : ٨٣

- ٢٥٩ اشارة
- ٢٥٩ تعليقة العلامة المجلسى قدس سره ص : ٨٥
- ٢٦٠ تعليل الشيخ جعفر التستري قدس سره ص : ٨٧
- ٢٦٠ اشارة
- ٢٦١ أما الواقعى ص : ٨٧
- ٢٦١ وأما التكليف الظاهرى ص : ٨٨
- ٢٦١ تمام الحق فى القول ... ص : ٨٨
- ٢٦٢ قول السيد المرتضى قدس سره ص : ٩١
- ٢٦٢ اشارة
- ٢٦٢ الجواب: ص : ٩١
- ٢٦٣ عمره التمتع أم عمره مفردة؟ ص : ٩٣
- ٢٦٣ هل بدّل الإمام عليه السلام إحرامه من عمره التمتع إلى العمره المفردة؟ ص : ٩٣
- ٢٦٤ كلمات بعض الفقهاء ص : ٩٦
- ٢٦٥ هل خرج الإمام عليه السلام من مكّة سرّاً؟! ص : ٩٨
- ٢٦٧ لماذا حمل الإمام عليه السلام النساء والأطفال معه؟! ص : ١٠٣
- ٢٦٩ الفصل الثانى ص : ١١٣
- ٢٦٩ اشارة
- ٢٧٠ الفصل الثانى: حركة السلطة الأموية فى الأيام المكيّة من عمر النهضة الحسينية ص : ١١٥
- ٢٧٠ اشارة
- ٢٧١ حركة السلطة الأموية المحليّة فى الكوفة ص : ١١٨
- ٢٧١ اشارة
- ٢٧٢ تأمّل وملاحظات ص : ١٢٤
- ٢٧٢ (١) - سكون ما قبل العاصفة فى الكوفة ص : ١٢٤
- ٢٧٣ (٢) - «الغشم» وسيلة خروج الأمويين من مأزقهم الكبير! ص : ١٢٥

- ٢٧٣ (٣) - سّر التراخي في موقف النعمان بن بشير ص : ١٢٦
- ٢٧٥ حركة السلطة الأموية المركزية في الشام ص : ١٣٠
- ٢٧٥ اشارة
- ٢٧٦ تأمل وملاحظات ص : ١٣٢
- ٢٧٦ (١) - سرجون النصراني .. والإقتراح المتوقع! ص : ١٣٢
- ٢٧٦ (٢) - ماذا يعنى عهد معاوية- أواخر أيامه- لعبيدالله على الكوفة؟! ص : ١٣٥
- ٢٧٧ (٣) - يزيد يستخدم أسلحة أبيه في الإرهاب الديني!! ص : ١٣٦
- ٢٧٨ (٤) - من هو عبيدالله بن زياد؟! ص : ١٣٨
- ٢٨٠ هل غيرت السلطة الأموية المركزية والى مكّة؟ ص : ١٤٤
- ٢٨٠ عزل الوليد بن عتبة عن ولاية المدينة ص : ١٤٥
- ٢٨١ رسالة يزيد إلى عبدالله بن عباس ص : ١٤٦
- ٢٨٢ ملاحظات حول هذه الرسالة ص : ١٤٨
- ٢٨٣ رسالة يزيد إلى (القرشيين) في المدينة ص : ١٥٢
- ٢٨٤ التخطيط لإغتيال الإمام عليه السلام أو إعتقاله في مكّة ص : ١٥٣
- ٢٨٤ حركة السلطة الأموية المحلية في البصرة ص : ١٥٥
- ٢٨٦ حركة السلطة الأموية المحلية الجديدة في الكوفة ص : ١٥٨
- ٢٨٦ السفر السريع إلى الكوفة ص : ١٥٨
- ٢٨٧ خدعة ابن زياد تنطلى حتى على النعمان بن بشيرا ص : ١٦١
- ٢٨٧ الخطاب الإرهابي الأول ص : ١٦٢
- ٢٨٧ اشارة
- ٢٨٧ إشارة: ص : ١٦٣
- ٢٨٨ الإجراء الإرهابي الأول ص : ١٦٤
- ٢٨٨ اشارة
- ٢٨٨ إشارة: ص : ١٦٥

- ٢٨٩ قتل عبدالله بن يقطر «٢» الحميري (رض) ص : ١٦٦
- ٢٨٩ اشارة
- ٢٨٩ الرواية الأولى: ص : ١٦٧
- ٢٨٩ اشارة
- ٢٨٩ أما الرواية الثانية: ص : ١٦٧
- ٢٩١ من هو عبدالله بن يقطر الحميري؟ ص : ١٧٠
- ٢٩١ اضطهاد رجال المعارضة وحبسهم وقتلهم ص : ١٧٢
- ٢٩٢ حبس ميثم التمار ص : ١٧٥
- ٢٩٢ ميثم التمار رضوان الله تعالى عليه ص : ١٧٦
- ٢٩٤ التجسس لمعرفة مكان قيادة الثورة ص : ١٨١
- ٢٩٥ حبس هاني بن عروة المرادي ص : ١٨٢
- ٢٩٦ أعوان السلطة .. والخدعة المشتركة! ص : ١٨٨
- ٢٩٧ تسخير الأشراف لتخذيل الناس عن مسلم عليه السلام ص : ١٩٠
- ٢٩٨ تفتيش دور الكوفة بحثاً عن مسلم عليه السلام ص : ١٩١
- ٢٩٨ تجميد الثغور وتوجيه عساكرها إلى حرب الحسين عليه السلام ص : ١٩٢
- ٢٩٨ حركة السلطة الأموية المحلية في مكة المكرمة ص : ١٩٣
- ٢٩٨ قلق الوالي من تواجد الإمام عليه السلام في مكة ص : ١٩٣
- ٢٩٩ سفر الأشدق إلى المدينة المنورة وتهديده أهلها ص : ١٩٥
- ٣٠٠ تنفيذ أمر يزيد باعتقال الإمام عليه السلام أو اغتياله في مكة ص : ١٩٧
- ٣٠٢ محاولة عمرو الأشدق لمنع الإمام عليه السلام من الخروج عن مكة ص : ٢٠١
- ٣٠٣ الفصل الثالث ص : ٢٠٧
- ٣٠٣ اشارة
- ٣٠٣ الفصل الثالث: حركة الأمة في الأيام المكية من عمر النهضة الحسينية ص : ٢٠٧
- ٣٠٤ اشارة

- ٣٠٤ حركة الأمة في الحجاز ص : ٢١٠ -
- ٣٠٤ اشارة
- ٣٠٤ إحتفاء الناس في مكة المكرمة بالإمام عليه السلام ص : ٢١٠ -
- ٣٠٤ وجهاء الأمة .. مشورات ونصائح ص : ٢١١ -
- ٣٠٤ اشارة
- ٣٠٥ اشارة: ص : ٢١٣ -
- ٣٠٦ تحرك عبدالله بن عباس ص : ٢١٤ -
- ٣٠٦ اشارة
- ٣٠٧ المحاوره الأولى: ص : ٢١٥ -
- ٣٠٨ تأمل وملاحظات: ص : ٢١٩ -
- ٣٠٩ المحاوره الثانية: ص : ٢٢١ -
- ٣١٠ تأمل وملاحظات: ص : ٢٢٣ -
- ٣١٢ معنى الإستخاره: ص : ٢٢٧ -
- ٣١٢ المحاوره الثالثه: ص : ٢٢٩ -
- ٣١٣ المحاوره الرابعه: ص : ٢٣٢ -
- ٣١٣ اشارة
- ٣١٣ إشاره: ص : ٢٣٢ -
- ٣١٤ والملاحظ المتأمل يرى: ص : ٢٣٤ -
- ٣١٤ خلاصه القضية: ص : ٢٣٤ -
- ٣١٤ لماذا تخلف ابن عباس (رض) عن الإمام عليه السلام؟! ص : ٢٣٥ -
- ٣١٨ رسائل ابن عباس (رض) إلى يزيد ص : ٢٤٧ -
- ٣٢٠ تحرك محمد بن الحنفية (رض) ص : ٢٥٣ -
- ٣٢٠ اشارة
- ٣٢١ إشاره: ص : ٢٥٦ -

- ٣٢٢ لماذا تخلف محمد بن الحنفية عن الإمام عليه السلام؟ ص : ٢٥٨ -
- ٣٢٢ اشارة
- ٣٢٢ في الأولى: ص : ٢٥٨ -
- ٣٢٢ وفي الثانية: ص : ٢٥٩ -
- ٣٢٣ زيادة .. ربما كانت أموية! ص : ٢٦٤ -
- ٣٢٤ تحرك عبدالله بن جعفر (رض) ص : ٢٦٦ -
- ٣٢٤ اشارة
- ٣٢٤ الأولى:- ص : ٢٦٧ -
- ٣٢٤ والثانية:- ص : ٢٦٧ -
- ٣٢٥ والثالثة:- ص : ٢٦٨ -
- ٣٢٥ تأمل وملاحظات: ص : ٢٦٩ -
- ٣٢٧ تأمل وملاحظات: ص : ٢٧٢ -
- ٣٢٨ لماذا لم يلتحق عبد الله بن جعفر (رض) بالإمام عليه السلام ص : ٢٧٦ -
- ٣٢٩ عبدالله بن الزبير .. والنصائح المتناقضة! ص : ٢٧٨ -
- ٣٢٩ اشارة
- ٣٣١ تأمل وملاحظات: ص : ٢٨٦ -
- ٣٣٢ عبدالله بن عمر .. والمشورة المريبة! ص : ٢٨٩ -
- ٣٣٢ اشارة
- ٣٣٤ تأمل وملاحظات: ص : ٢٩٦ -
- ٣٣٦ الأوزاعي .. والنهي عن المسير إلى العراق! ص : ٣٠٠ -
- ٣٣٧ عمر بن عبدالرحمن المخزومي .. والنصيحة الصائبة! ص : ٣٠٣ -
- ٣٣٧ اشارة
- ٣٣٨ تأمل وملاحظات: ص : ٣٠٤ -
- ٣٣٩ لقاء جابر بن عبدالله الأنصاري (رض) مع الإمام عليه السلام ص : ٣٠٦ -

- ٣٤٠ لولا تقارب الأشياء وحبوط الأجر لقاتلتهم بهؤلاء! ص : ٣١١ - - - - -
- ٣٤٠ اشارة - - - - -
- ٣٤٠ تأملٌ وملاحظات: ص : ٣١١ - - - - -
- ٣٤١ ولأبى سعيد الخدرى مشوره أيضاً ص : ٣١٥ - - - - -
- ٣٤٢ اشارة - - - - -
- ٣٤٢ تأملٌ وملاحظات: ص : ٣١٥ - - - - -
- ٣٤٣ كلام المامقانى (ره) فى الفائدة السادسة والعشرين: ص : ٣١٨ - - - - -
- ٣٤٤ مناقشة كلام المامقانى (ره) ص : ٣٢٠ - - - - -
- ٣٤٥ رسالة المشور بن مخرمة ص : ٣٢٢ - - - - -
- ٣٤٥ اشارة - - - - -
- ٣٤٥ تأملٌ وملاحظات: ص : ٣٢٢ - - - - -
- ٣٤٦ رسالة عمره بنت عبدالرحمن ص : ٣٢٤ - - - - -
- ٣٤٦ اشارة - - - - -
- ٣٤٦ إشارة: ص : ٣٢٤ - - - - -
- ٣٤٦ حركة الأمة فى الكوفة ص : ٣٢٥ - - - - -
- ٣٤٧ أول اجتماع للشيعه فى الكوفة بعد هلاك معاوية ص : ٣٢٨ - - - - -
- ٣٤٨ رسل الكوفة إلى الإمام عليه السلام ص : ٣٣٤ - - - - -
- ٣٤٨ اشارة - - - - -
- ٣٤٨ إشارة: ص : ٣٣٧ - - - - -
- ٣٤٩ دفعة أخرى من الرسل والرسائل! ص : ٣٣٨ - - - - -
- ٣٤٩ ثم دفعة أخرى! ص : ٣٣٨ - - - - -
- ٣٤٩ دور المنافقين فى موجة الرسائل: ص : ٣٤٠ - - - - -
- ٣٥٠ التعاطف الكبير مع سفير الحسين عليهما السلام ص : ٣٤٤ - - - - -
- ٣٥٠ الاجتماع الأول مع سفير الإمام عليه السلام ص : ٣٤٦ - - - - -

- ٣٥٠ اشارة
- ٣٥١ اشارة: ص : ٣٤٦
- ٣٥١ الكوفة بانتظار الحسين عليه السلام ص : ٣٤٧
- ٣٥٢ أهل الكوفة .. والمبادرة المطلوبة ص : ٣٤٩
- ٣٥٥ حركة الأمة في البصرة ص : ٣٥٦
- ٣٥٥ اشارة
- ٣٥٥ ردّ رؤوس الأخماس والأشراف على رسالة الإمام عليه السلام ص : ٣٥٧
- ٣٥٥ (١) - ردّ الأحنف بن قيس: ص : ٣٥٧
- ٣٥٦ (٢) - خيانة المنذر بن الجارود: ص : ٣٥٨
- ٣٥٦ (٣) - يزيد بن مسعود النهشلي .. والموقف المحمود: ص : ٣٥٨
- ٣٥٧ ملاحظات وتأمل: ص : ٣٦١
- ٣٥٩ المؤتمر الشيعي السزي في البصرة ص : ٣٦٨
- ٣٥٩ اشارة
- ٣٦٠ اشارة: ص : ٣٦٩
- ٣٦٠ خمسمائة من البصريين في سفر ابن زياد الى الكوفة! ص : ٣٧٠
- ٣٦٠ اشارة
- ٣٦١ اشارة: ص : ٣٧٢
- ٣٦١ الملتحقون بالركب الحسيني في مكة المكرمة ص : ٣٧٣
- ٣٦١ اشارة
- ٣٦١ (١) - الملتحقون به عليه السلام في مكة من أهل المدينة: ص : ٣٧٤
- ٣٦٢ (٢) - الملتحقون به عليه السلام في مكة ولم تحدّد التواريخ والتراجم أمكنة إنطلاقهم ص : ٣٧٦
- ٣٦٢ جنادة بن كعب بن الحرث الأنصاري الخزرجي (رض): ص : ٣٧٦
- ٣٦٤ عبدالرحمن بن عبد ربّ الأنصاري الخزرجي (رض): ص : ٣٧٩
- ٣٦٤ عمّار بن حسان الطائي (رض): ص : ٣٨٠

- ٣٦٥ ٣٨١ : ص : ٣٨١- الملتحقون به عليه السلام في مكة من أهل الكوفة: ص : ٣٨١
- ٣٦٥ ٣٨١ : ص : ٣٨١- بُريز بن خُصير الهمداني المشرقي (رض): ص : ٣٨١
- ٣٦٥ ٣٨٢ : ص : ٣٨٢- عابس بن أبي شبيب الشاكري (رض): ص : ٣٨٢
- ٣٦٦ ٣٨٤ : ص : ٣٨٤- شوذب بن عبدالله الهمداني الشاكري (رض): ص : ٣٨٤
- ٣٦٦ ٣٨٤ : ص : ٣٨٤- قيس بن مسهر الصيداوي (رض): ص : ٣٨٤
- ٣٦٦ ٣٨٥ : ص : ٣٨٥- عبدالرحمن بن عبدالله الأرحبي (رض): ص : ٣٨٥
- ٣٦٧ ٣٨٧ : ص : ٣٨٧- الحجاج بن مسروق الجعفي (رض): ص : ٣٨٧
- ٣٦٨ ٣٨٧ : ص : ٣٨٧- يزيد بن مغفل الجعفي (رض): ص : ٣٨٧
- ٣٦٨ ٣٨٩ : ص : ٣٨٩- الملتحقون به عليه السلام في مكة من أهل البصرة: ص : ٣٨٩
- ٣٦٨ ٣٨٩ : ص : ٣٨٩- الحجاج بن بدر التميمي السعدي (رض): ص : ٣٨٩
- ٣٦٩ ٣٨٩ : ص : ٣٨٩- قعنب بن عمر النمرى (رض): ص : ٣٨٩
- ٣٦٩ ٣٩٠ : ص : ٣٩٠- يزيد بن ثبيط العبدى وإبناه عبدالله وعبيدالله (رض): ص : ٣٩٠
- ٣٧٠ ٣٩١ : ص : ٣٩١- الأدهم بن أمية العبدى (رض): ص : ٣٩١
- ٣٧٠ ٣٩١ : ص : ٣٩١- سيف بن مالك العبدى (رض): ص : ٣٩١
- ٣٧٠ ٣٩١ : ص : ٣٩١- عامر بن مسلم العبدى ومولاه سالم (رض): ص : ٣٩١
- ٣٧٠ الجزء الثالث
- ٣٧٠ إشارة
- ٣٧١ مع الركب الحسينى من المدينة الى المدينة (الجز الثالث)
- ٣٧١ مقدمة مركز الدراسات الإسلاميه ص : ٣
- ٣٧٣ الفصل الأول: الركب الحسينى فى الطريق الى العراق ص : ٧
- ٣٧٣ إشارة
- ٣٧٣ سبع فوائد تحقيقيه ص : ٩
- ٣٧٣ إشارة

- ٣٧٥ لماذا توجه الإمام الحسين عليه السلام الى العراق؟ ص : ١٥
- ٣٧٦ اشارة
- ٣٧٦ (١)- العراق مهد التشيع ومركز معارضة الحكم الأموى ص : ١٥
- ٣٧٧ (٢)- العراق أرض المصرع المختار؟! ص : ١٨
- ٣٧٨ (٣)- رسائل أهل الكوفة بعد موت معاوية ص : ٢٠
- ٣٧٨ اشارة
- ٣٧٩ إشارة: ص : ٢٢
- ٣٧٩ (٤)- تنفيذ أمر رسول الله صلى الله عليه و آله ص : ٢٤
- ٣٨١ هلع السلطة الأموية من خبر خروج الإمام عليه السلام! ص : ٢٧
- ٣٨٢ محاولة السلطة الأموية فى مكة لإرجاع الإمام عليه السلام ص : ٢٩
- ٣٨٢ اشارة
- ٣٨٢ دور عبدالله بن جعفر فى المحاولة السلمية! ص : ٣٠
- ٣٨٢ اشارة
- ٣٨٣ تأمل وملاحظات: ص : ٣١
- ٣٨٥ المحاولة القمعية: ص : ٣٥
- ٣٨٥ اشارة
- ٣٨٥ إشارة: ص : ٣٦
- ٣٨٥ هل كانت هذه المحاولة إجراءً صورياً؟! ص : ٣٧
- ٣٨٧ رسائل أموية إلى ابن زيادا! ص : ٤٢
- ٣٨٩ الفصل الثانى: حركة أحداث الكوفة أيام مسلم بن عقيل عليه السلام ص : ٤٧
- ٣٨٩ اشارة
- ٣٨٩ فى البدء: ص : ٤٩
- ٣٩٠ مناقشة هذه المتون: ص : ٥٠
- ٣٩٠ اشارة

- ٣٩٠ إشارة: ص : ٥١
- ٣٩١ استعراض أهم وقايح أيام الإعداد للثورة «١» ص : ٥٥
- ٣٩١ إشارة
- ٣٩٢ البشرى بدرجة الشهادة! ص : ٥٧
- ٣٩٢ كتمان الأمر ص : ٥٨
- ٣٩٣ اجتماع الشيعة الأول مع مسلم عليه السلام ص : ٥٩
- ٣٩٣ توالى اجتماعات الشيعة مع مسلم عليه السلام ص : ٦٠
- ٣٩٤ رسالة مسلم عليه السلام إلى الإمام عليه السلام ص : ٦٠
- ٣٩٤ النعمان بن بشير والى ضعيف أم يتضعف؟! ص : ٦١
- ٣٩٤ إشارة
- ٣٩٥ إشارة: ص : ٦٣
- ٣٩٥ عبدةالله بن زياد والى الكوفة الجديد ص : ٦٥
- ٣٩٦ القادم المتنكر فى الظلام! ص : ٦٦
- ٣٩٧ الإجراءات الإرهابية الغاشمة! ص : ٦٩
- ٣٩٨ تغيير مقر قيادة الثورة! ص : ٧٠
- ٣٩٨ خطة اغتيال ابن زياد فى بيت هانىء! ص : ٧١
- ٣٩٨ إشارة
- ٣٩٩ تأمل وملاحظات: ص : ٧٣
- ٤٠٠ ابن زياد يستبق الأحداث فيقتل وجوه الشيعة ص : ٧٧
- ٤٠٠ حبس ميثم التمار (رض) وقتله ص : ٧٧
- ٤٠١ قتل رشيد الهجرى (رض) ص : ٨٠
- ٤٠٣ إضطهاد مجاميع من رجال المعارضة وحبسهم ص : ٨٧
- ٤٠٣ قتل عبدالله بن يقطر (رض) «٤» ص : ٨٨
- ٤٠٣ إشارة

- ٤٠٣ وتفصيل القصة ص : ٨٩
- ٤٠٤ البحث لمعرفة مكان مسلم بن عقيل عليه السلام ص : ٩١
- ٤٠٤ اشارة
- ٤٠٥ اشارة: ص : ٩٣
- ٤٠٦ اعتقال هانيء بن عروة (رض) ص : ٩٦
- ٤٠٦ اشارة
- ٤٠٩ تأمل وملاحظات: ص : ١٠١
- ٤١١ الخدعة المشتركة! ص : ١٠٨
- ٤١٢ قيام مسلم بن عقيل عليه السلام ص : ١١١
- ٤١٢ اشارة
- ٤١٣ المبادرة التي كان ينبغي أن تتحقق! ص : ١١٢
- ٤١٥ حدود مهمة مسلم بن عقيل عليه السلام ص : ١١٨
- ٤١٦ الإضطراب .. والقرار الإستثنائي ص : ١٢٠
- ٤١٦ وهكذا كان ص : ١٢١
- ٤١٨ ماذا صنع الأشراف الموالون لابن زيادا؟! ص : ١٢٤
- ٤١٨ وفي البدء كانت الحجارة والشتائم! ص : ١٢٥
- ٤١٨ ثم كان المدر والشباب! ص : ١٢٥
- ٤١٨ ثم بدأت حملات التخذييل ورايات الأمان الكاذب! ص : ١٢٥
- ٤١٩ إعتقال المجاهدين عبدالأعلى بن يزيد وعمارة بن صلخبا! ص : ١٢٦
- ٤١٩ مسلم عليه السلام يبعث بقوة عسكرية تدحر ابن الأشعث! ص : ١٢٧
- ٤١٩ فكان قتال وقتال! ص : ١٢٨
- ٤٢٠ لماذا لم يقتحم الثوار القصر؟! ص : ١٢٨
- ٤٢٣ وأقبل المساء يحمل النهاية الموسفة! ص : ١٣٥
- ٤٢٣ ثم كان الإنهيار من الداخل! ص : ١٣٦

- ٤٢٣ علّة الإنهيار المذهل والتداعى السريع! ص : ١٣٧
- ٤٢٤ وأطبق الليل مرّة أخرى على الكوفة .. ومسلم عليه السلام وحده! ص : ١٣٩
- ٤٢٤ اشارة
- ٤٢٥ إشارة وتأمل ص : ١٤٠
- ٤٢٦ القائد المجاهد فى ضيافة المرأة الصالحة طوعة ص : ١٤٣
- ٤٢٧ ابن زياد .. والمفاجاه السائة عند المساء !! ص : ١٤٥
- ٤٢٨ وفى ذلك الصباح الأسود! ص : ١٤٧
- ٤٢٨ المعركة الأخيرة .. حرب الشوارع! ص : ١٤٩
- ٤٣٠ ورواية أخرى أشدّ صدقاً وحرارة !! ص : ١٥٣
- ٤٣١ محمد بن الأشعث يسلب مسلماً عليه السلام سلاحه! ص : ١٥٦
- ٤٣٢ كلمة الحقّ الجريئة تزلزل قصر الخيال والضلال! ص : ١٥٧
- ٤٣٣ أول شهداء النهضة الحسينية من بنى هاشم ص : ١٦٢
- ٤٣٣ وفخرًا عند الموت! ص : ١٦٣
- ٤٣٤ وكم من آية لله أعرض عنها ابن زياد!! ص : ١٦٣
- ٤٣٤ مقتل هانى بن عروة (رض) ص : ١٦٤
- ٤٣٥ سحل الشهيدين فى الشوارع والسوق! ص : ١٦٥
- ٤٣٥ صلب الشهيدين منكمسين! ص : ١٦٥
- ٤٣٥ انتقام ابن زياد من بقيّة الثوار! ص : ١٦٧
- ٤٣٥ الثائر عبدالأعلى بن يزيد الكلبى ص : ١٦٧
- ٤٣٦ الثائر عمارة ابن صلحّب الأزدي ص : ١٦٧
- ٤٣٦ الثائر القائد عبيدالله بن عمرو بن عزيز الكندي «٢» ص : ١٦٧
- ٤٣٦ الثائر القائد العباس بن جعدة الجدلى ص : ١٦٨
- ٤٣٦ الثائران القائدان المختار وعبدالله بن الحارث ص : ١٦٨
- ٤٣٧ تقرير ابن زياد الأمتى إلى يزيد! ص : ١٦٩

- ٤٣٧ إغلاق ورصد المناطق والمنافذ الحدودية الكوفية! ص : ١٧١ ٤٣٧
- ٤٣٨ تعبئة الكوفة، وتجميد الثغور، استعداداً لقتال الإمام عليه السلام ص : ١٧٢ ٤٣٨
- ٤٣٨ الفصل الثالث: وقايع منازل الطريق بين مكة وكربلاء ص : ١٧٣ ٤٣٨
- ٤٣٨ اشارة ٤٣٨
- ٤٣٨ (١)- بستان بنى عامر (أو ابن عامر) «١» ص : ١٧٣ ٤٣٨
- ٤٣٩ (٢)- التنعيم ص : ١٧٩ ٤٣٩
- ٤٣٩ اشارة ٤٣٩
- ٤٤٠ هل صادر الإمام عليه السلام الورد والحلل فعلاً؟ ص : ١٨٠ ٤٤٠
- ٤٤٠ هل التقى الإمام الحسين ابن عمر في التنعيم؟ ص : ١٨٠ ٤٤٠
- ٤٤١ منطق ابن عمرا! ص : ١٨٣ ٤٤١
- ٤٤٢ (٣)- الصفاح ص : ١٨٥ ٤٤٢
- ٤٤٢ اشارة ٤٤٢
- ٤٤٢ أين لقي الفرزدق الإمام عليه السلام بالضبط؟ ص : ١٨٦ ٤٤٢
- ٤٤٣ (٤)- ذات عرق ص : ١٨٨ ٤٤٣
- ٤٤٤ اشارة ٤٤٤
- ٤٤٤ لقاء بشر بن غالب الأسدي «٣» مع الإمام عليه السلام! ص : ١٨٩ ٤٤٤
- ٤٤٤ اشارة ٤٤٤
- ٤٤٤ اشارة: ص : ١٩٠ ٤٤٤
- ٤٤٤ والفرزدق .. مرة أخرى؟! ص : ١٩٠ ٤٤٤
- ٤٤٥ هل لقي الإمام عليه السلام بذات عرق عون بن عبدالله بن جعدة؟ ص : ١٩١ ٤٤٥
- ٤٤٥ (٥)- الحاجر من بطن الرمة ص : ١٩٢ ٤٤٥
- ٤٤٥ اشارة ٤٤٥
- ٤٤٦ قيس بن مسهر (رض) أم عبدالله بن يقطر (رض)؟ ص : ١٩٥ ٤٤٦
- ٤٤٨ اللقاء الثاني لعبدالله بن مطيع «٤» مع الامام عليه السلام ص : ١٩٨ ٤٤٨

- ٤٤٨ اشارة
- ٤٤٨ اشارة: ص : ١٩٩
- ٤٤٩ (٦)- الخَزِيمِيَّةُ ص : ٢٠١
- ٤٤٩ (٧)- زُرُود ص : ٢٠٢
- ٤٤٩ اشارة
- ٤٥٠ إنضمام زهير بن القين (رض) إلى الركب الحسيني! ص : ٢٠٢
- ٤٥٢ هل كان زهير بن القين عثمانياً؟ ص : ٢٠٧
- ٤٥٢ اشارة
- ٤٥٣ ولنا في كل هذا كلام: ص : ٢١٠
- ٤٥٥ (٨)- التَّعْلِيْبَةُ ص : ٢١٥
- ٤٥٥ اشارة
- ٤٥٦ تأملٌ وملاحظات: ص : ٢١٧
- ٤٥٨ إغفاءٌ .. ورؤيا حَقَّةً! ص : ٢٢١
- ٤٥٩ مع أبي هزرة الأزدي ص : ٢٢٢
- ٤٥٩ اشارة
- ٤٥٩ اشارة: ص : ٢٢٣
- ٤٦٠ وبشر بن غالب الأسدي .. مزه أخرى ص : ٢٢٤
- ٤٦٠ ومع زهير الأسدي من أهل التعلبية ص : ٢٢٥
- ٤٦٠ ومع آخر من أهل الكوفة ص : ٢٢٥
- ٤٦١ لقاء ربّما كان في التعلبية أيضاً! «٢» ص : ٢٢٦
- ٤٦١ (٩)- الشقوق ص : ٢٢٧
- ٤٦١ اشارة
- ٤٦١ والفرزدق .. في الشقوق أيضاً!! ص : ٢٢٧
- ٤٦١ اشارة

- ٤٦٢ إشارتان ص : ٢٢٩
- ٤٦٢ (١٠) - زبالة ص : ٢٣٠
- ٤٦٣ إشارة
- ٤٦٣ تأمل وملاحظات: ص : ٢٣١
- ٤٦٥ (١١) - بطن العقبة ص : ٢٣٦
- ٤٦٥ إشارة
- ٤٦٥ لقاء الإمام عليه السلام مع عمرو بن لوذان ص : ٢٣٦
- ٤٦٥ إشارة
- ٤٦٦ إشارة: ص : ٢٣٧
- ٤٦٧ رأيت كلاباً تنهشني أشدها عليّ كلب أبقع! ص : ٢٣٩
- ٤٦٧ إشارة
- ٤٦٧ إشارة: ص : ٢٣٩
- ٤٦٧ (١٢) - شراف ص : ٢٤٠
- ٤٦٨ (١٣) ذو حُسم: ص : ٢٤١
- ٤٦٨ إشارة
- ٤٧٠ تأمل وملاحظات: ص : ٢٤٥
- ٤٧٠ (١) - تعامل الإمام عليه السلام - القائد الرباني - مع الظالمين والمُغرّرين بهم والمشلولين نفسياً من أبناء هذه الأمة ص : ٢٤٥
- ٤٧٠ (٢) - كان الإمام عليه السلام يريد أن يدخل الكوفة حُرّاً وبالطريقة التي يختارها هو، وكان الحرُّ يريد أن يأخذه إليها أسيراً! ص : ٢٤٦
- ٤٧١ (٣) - لم يقصد الإمام عليه السلام التخلّي عن نهضته بقوله في خطبته بعد صلاة الظهر: ص : ٢٤٧
- ٤٧١ (٤) من هو الحرُّ بن يزيد الرياحي؟ ص : ٢٤٨
- ٤٧١ إشارة
- ٤٧٤ تأمل وملاحظات: ص : ٢٥٤
- ٤٧٤ (١) يُلاحظ المتأمل في هذه الخطبة القصيرة البليغة الوافية التي خطب الإمام عليه السلام أصحابه بها: ص : ٢٥٤
- ٤٧٥ (٢) ويستفاد أيضاً من قوله عليه السلام: ص : ٢٥٦

- ٣) من هو نافع بن هلال الجملى؟ ص : ٢٥٦ ٤٧٥
- ٤) - أما بُرَيْرُ بن خُصَيْرِ الهمدانيّ المشرقيّ (رض) .. ص : ٢٦٠ ٤٧٧
- ١٤) - البيضة: ص : ٢٦٣ ٤٧٨
- اشارة ٤٧٨
- إشارة: ص : ٢٦٤ ٤٧٩
- ١٥) - عُدَيْبُ الهمدانيّات ص : ٢٦٥ ٤٧٩
- اشارة ٤٧٩
- خبر مقتل قيس بن مُسَهَّرِ الصيداوى (رض) ص : ٢٦٧ ٤٨٠
- مجموعة المجاهدين الذين التحقوا بالإمام عليه السلام فى عُدَيْبِ الهمدانيّات ص : ٢٦٨ ٤٨١
- عمرو بن خالد الأسدى الصيداوى (رض) ص : ٢٦٨ ٤٨١
- سعد (رض) مولى عمرو بن خالد الصيداوى (رض) ص : ٢٧٠ ٤٨١
- مجمع بن عبدالله العائذى (رض) وابنه عائذ (رض) ص : ٢٧٠ ٤٨٢
- جنادة بن الحرث السلمانيّ (رض) ص : ٢٧٠ ٤٨٢
- واضح التركي (رض) مولى الحرث المذحجى السلمانيّ ص : ٢٧١ ٤٨٢
- إقتراح الطرماع وجواب الإمام عليه السلام ص : ٢٧٢ ٤٨٣
- اشارة ٤٨٣
- إشارة: ص : ٢٧٣ ٤٨٣
- ١٦) - قصر بنى مقاتل ص : ٢٧٥ ٤٨٤
- اشارة ٤٨٤
- إشارة: ص : ٢٧٨ ٤٨٥
- هل التحق الصحابىّ أنس الكاهلىّ بالإمام عليه السلام فى قصر بنى مقاتل؟ ص : ٢٨٠ ٤٨٦
- لقاء الإمام عليه السلام مع الرجلين المشرقيين ص : ٢٨٢ ٤٨٧
- اشارة ٤٨٧
- إشارة: ص : ٢٨٣ ٤٨٧

- ٤٨٨ رؤيا المنايا أيضاً .. بين قصر بنى مقاتل وبنوى! ص : ٢٨٣ ٤٨٨
- ٤٨٨ (١٧)- بنوى: ص : ٢٨٤ ٤٨٨
- ٤٩٠ أسماء بقيّة الأنصار الملتحقين بالإمام عليه السلام أثناء الطريق ص : ٢٨٩ ٤٩٠
- ٤٩٠ اشارة ٤٩٠
- ٤٩١ سلمان بن مضارب البجلي (رض) ص : ٢٩٠ ٤٩١
- ٤٩١ وهب بن وهب (ابن الحجاب الكلبى) ص : ٢٩١ ٤٩١
- ٤٩٢ نعيم بن العجلان الأنصارى الخزرجى (رض) ص : ٢٩٣ ٤٩٢
- ٤٩٢ زاهر بن عمر الأسلمى الكندى- صاحب عمرو بن الحمق (رض): ص : ٢٩٤ ٤٩٢
- ٤٩٣ أبوتمامة عمرو بن عبدالله الهمدانى الصائدى (رض) ص : ٢٩٥ ٤٩٣
- ٤٩٣ الحجاب بن عامر بن كعب بن تميم اللّاء بن ثعلبة، التميمى (رض) ص : ٢٩٦ ٤٩٣
- ٤٩٤ جندب بن حجير الكندى الخولانى (رض): ص : ٢٩٦ ٤٩٤
- ٤٩٤ سويد بن عمرو بن أبى المطاع الأنمارى الخثعمى (رض) ص : ٢٩٧ ٤٩٤
- ٤٩٤ سعيد بن عبدالله الحنفى (رض) ص : ٢٩٨ ٤٩٤
- ٤٩٥ الجزء الرابع ٤٩٥
- ٤٩٥ اشارة ٤٩٥
- ٤٩٥ مع الركب الحسينى من المدينة الى المدينة (الجز الرابع) ٤٩٥
- ٤٩٥ الفصل الأول: كربلاء ص : ١٣ ٤٩٥
- ٤٩٦ إسم «كربلاء» .. الأصل والإشتقاق ص : ١٣ ٤٩٦
- ٤٩٦ اشارة ٤٩٦
- ٤٩٦ (١)- نظرية الأصل العربى لإسم كربلاء ص : ١٣ ٤٩٦
- ٤٩٦ (٢)- نظرية الأصل غير العربى (الأصل الدينى) ص : ١٣ ٤٩٦
- ٤٩٨ نُبذة مختصرة من تأريخ كربلاء وجغرافيتها إلى سنة ستين للهجرة ص : ٢٠ ٤٩٨
- ٤٩٩ الأسماء الأخرى لكربلاء ص : ٢٣ ٤٩٩
- ٤٩٩ اشارة ٤٩٩

- (١)- الطفّ أو الطفوف: ص : ٢٣ ٥٠٠
- (٢)- نينوى: ص : ٢٤ ٥٠٠
- (٣)- النواويس: ص : ٢٤ ٥٠١
- (٤)- الغاضرية: ص : ٢٤ ٥٠١
- (٥)- عمورا: ص : ٢٧ ٥٠١
- (٦)- أرض بابل: ص : ٢٧ ٥٠٢
- (٨)- شطّ الفرات: ص : ٢٨ ٥٠٢
- (٩)- أرض العراق: ص : ٢٨ ٥٠٢
- (١٠)- ظهر الكوفة ص : ٢٨ ٥٠٢
- (١١)- الحائر والخير ص : ٢٩ ٥٠٢
- فضل كربلاء وقداسة تربتها ص : ٣٢ ٥٠٤
- كربلاء فى تاريخ بعض أنبياء الله عليهم السلام ص : ٣٦ ٥٠٥
- ومصاب الحسين عليه السلام فى حياة أنبياء الله عليهم السلام وأمهم ص : ٤١ ٥٠٨
- الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله ومصاب الحسين عليه السلام ص : ٤٧ ٥١١
- أميرالمؤمنين عليّ عليه السلام ومصاب الحسين عليه السلام ص : ٥٧ ٥١٥
- إخبارات الإمام الحسين عليه السلام بمقتله قبل قيامه ص : ٦٣ ٥١٨
- لماذا كان الإخبار بمقتله عليه السلام؟ ص : ٦٤ ٥١٩
- الفصل الثانى: الإمام الحسين عليه السلام فى كربلاء ص : ٧١ ٥٢٠
- من اليوم الثانى من المحرم سنة ٦١ هـ ق حتى فجر اليوم العاشر ص : ٧١ ٥٢٠
- إشارة ٥٢٠
- إشارة رقم ١: ص : ٧٤ ٥٢٢
- إشارة رقم ٢: ص : ٧٥ ٥٢٢
- المخيم الحسينى ص : ٧٩ ٥٢٤
- اليوم الثالث من المحرم سنة ٦١ هـ ص : ٨١ ٥٢٥

- ٥٢٥ اشارة
- ٥٢٥ حب الدنيا رأس كل خطيئة! ص : ٨٢
- ٥٢٧ تبادل الرسائل بين عمر بن سعد وابن زياد ص : ٨٧
- ٥٢٨ الإمام عليه السلام يشتري ستّة عشر ميلاً مربعاً من أرض كربلاء ص : ٨٩
- ٥٢٨ ابن زياد يُعطي الكوفة لقتال الحسين عليه السلام ص : ٨٩
- ٥٣٠ إكمال تعبئة الكوفة لقتال الإمام عليه السلام في السادس من المحرم ص : ٩٦
- ٥٣٠ أحد أنصار الإمام عليه السلام يحاول اغتيال ابن زياد! ص : ٩٧
- ٥٣١ رسالة الإمام عليه السلام إلى أخيه محمّد بن الحنفية ص : ٩٨
- ٥٣١ اشارة
- ٥٣١ تأمل: ص : ٩٩
- ٥٣٢ خطبة للإمام عليه السلام في أصحابه ص : ١٠١
- ٥٣٢ اشارة
- ٥٣٢ إشارة: ص : ١٠٢
- ٥٣٣ حبيب بن مظاهر (رض) «٣» يستنفر حياً من بني أسد لنصرة الإمام عليه السلام ص : ١٠٢
- ٥٣٣ اشارة
- ٥٣٣ من غرائب ما تفرد به البلاذري! ص : ١٠٤
- ٥٣٤ وقائع اليوم السابع من المحرم! ص : ١٠٦
- ٥٣٦ من هو أبو الفضل العباس بن أمير المؤمنين عليهما السلام؟ ص : ١١٠
- ٥٣٨ المحاوره بين الإمام عليه السلام وبين عمر بن سعد لعنه الله ص : ١١٦
- ٥٣٨ اشارة
- ٥٣٩ وهنا يُقحم الظنّ الآثم ليختلط بالحق!! ص : ١١٧
- ٥٣٩ ثمّ يزيد الطبري الطين بلّة! ص : ١١٨
- ٥٣٩ لكنّ شاهد عيان يروى الحقيقة فيقول: ص : ١١٨
- ٥٤٠ أكذوبة عمر بن سعد التي افتراها على الإمام عليه السلام ص : ١١٩

- ٥٤٠ اشارة
- ٥٤٠ اشارة: ص : ١١٩
- ٥٤٠ شمر بن ذى الجوشن يُحيط خطه عمر بن سعد! ص : ١٢٠
- ٥٤١ ابن زياد يكتب اماناً لأبى الفضل العباس وإخوته عليهم السلام! ص : ١٢٢
- ٥٤١ وقائع اليوم التاسع من المحرم الحرام ص : ١٢٤
- ٥٤٢ شمر بن ذى الجوشن يبذل الأمان للعباس وإخوته عليهم السلام! ص : ١٢٤
- ٥٤٢ جيش الضلال يزحف على معسكر الحق والهدى! ص : ١٢٥
- ٥٤٢ اشارة
- ٥٤٤ اشارة: ماذا لو حصلت فاجعة عاشوراء فى الليل؟! ص : ١٢٩
- ٥٤٥ وقائع ليلة عاشوراء! ص : ١٣٢
- ٥٤٦ وفى رواية أخرى عن الإمام السجاد عليه السلام! ص : ١٣٦
- ٥٤٧ وفى رواية أخرى ص : ١٣٩
- ٥٤٨ الحضرمى: أكلتني السباع حياً إن فارقتك! ص : ١٤٠
- ٥٤٩ الإمام عليه السلام يرى أنصاره منازلهم فى الجنة! ص : ١٤٢
- ٥٤٩ حبيب بن مظاهر وسر المراح ليلة عاشوراء! ص : ١٤٤
- ٥٤٩ اشارة
- ٥٤٩ اشارة: ص : ١٤٤
- ٥٥٠ أصحاب الإمام الحسين عليه السلام لا يجدون ألم من الحديد! ص : ١٤٥
- ٥٥٠ الإمام عليه السلام يأمر بحفر خندق حول معسكره ص : ١٤٦
- ٥٥١ يا دهر أفت لك من خليل! ص : ١٤٧
- ٥٥١ الإمام الحسين عليه السلام يتفقد التلاع والروابي! ص : ١٥٠
- ٥٥٢ قل: لا يستوى الخبيث والطيب «٢» ص : ١٥١
- ٥٥٣ أنصار جدد ص : ١٥٣
- ٥٥٣ رؤيا حقة! ساعة السحر ص : ١٥٣

- الأنصار الملتحقون به عليه السلام في كربلاء حتى ليلة العاشر! ص : ١٥٤ ٥٥٣
- (١)- أنس بن الحرث الكاهلي- الصحابي- (رض) ص : ١٥٤ ٥٥٣
- (٢)- جوين بن مالك بن قيس بن ثعلبة التميمي (رض) ص : ١٥٤ ٥٥٤
- (٣)- حبيب بن مظاهر (مُظَهَّر) الأسدي الفقعسي- الصحابي- (رض) ص : ١٥٥ ٥٥٤
- (٤)- مسلم بن عوسجة الأسدي- الصحابي- (رض) ص : ١٦١ ٥٥٦
- (٥)- مسلم أو أسلم بن كثير الأعرج الأزدي- الصحابي- (رض) ص : ١٦٤ ٥٥٨
- (٦)- رافع بن عبدالله مولى مسلم بن كثير (رض) ص : ١٦٥ ٥٥٨
- (٧)- القاسم بن حبيب بن أبي بشر الأزدي (رض) ص : ١٦٥ ٥٥٨
- (٨)- زهير بن سليم الأزدي (رض) ص : ١٦٦ ٥٥٩
- (٩)- النعمان بن عمرو الأزدي الراسبي (رض) ص : ١٦٦ ٥٥٩
- (١٠)- الخُلاس بن عمرو الأزدي الراسبي (رض) ص : ١٦٦ ٥٥٩
- (١١)- جابر بن الحجاج مولى عامر بن نهشل التيمي (رض) ص : ١٦٧ ٥٥٩
- (١٢)- مسعود بن الحجاج التيمي- تيم الله بن ثعلبة- (رض) ص : ١٦٨ ٥٦٠
- (١٣)- عبدالرحمن بن مسعود بن الحجاج التيمي (رض) ص : ١٦٨ ٥٦٠
- (١٤)- عمر بن ضبيعه بن قيس بن ثعلبة الضبيعي التيمي- الصحابي- (رض) ص : ١٦٨ ٥٦٠
- (١٥)- أمية بن سعد الطائي (رض) ص : ١٦٩ ٥٦٠
- (١٦)- الضرغام بن مالك التغلبي (رض) ص : ١٦٩ ٥٦١
- (١٧)- كنانة بن عتيق التغلبي- الصحابي- (رض) ص : ١٧٠ ٥٦١
- (١٨)- قاسط بن زهير بن الحرث التغلبي (رض) ص : ١٧١ ٥٦١
- (١٩)- كردوس بن زهير بن الحرث التغلبي (رض) ص : ١٧١ ٥٦١
- (٢٠)- مقسط بن زهير بن الحرث التغلبي (رض) ص : ١٧١ ٥٦١
- (٢١)- رجل من بني أسد (رض)! ص : ١٧٢ ٥٦٢
- (٢٢)- حنظلة بن أسعد الشبامي (رض) ص : ١٧٣ ٥٦٢
- (٢٣)- سيف بن الحرث بن سريع بن جابر الهمداني الجابري (رض) ص : ١٧٥ ٥٦٣

- ٥٦٣----- (٢٤)- مالك بن عبدالله بن سريع بن جابر الهمداني الجابري (رض) ص : ١٧٥
- ٥٦٣----- (٢٥)- شبيب مولى الحرث بن سريع الهمداني الجابري (رض) ص : ١٧٦
- ٥٦٤----- (٢٦)- عمار بن أبي سلامة الدالاني- الصحابي- (رض) ص : ١٧٧
- ٥٦٥----- (٢٧)- حبشي بن قيس النهمي (رض) ص : ١٧٨
- ٥٦٥----- (٢٨)- زياد بن عريب الهمداني الصاندي، أبوعمرة (رض) ص : ١٧٩
- ٥٦٥----- (٢٩)- سوار بن منعم بن حابس بن أبي عمير بن نهم الهمداني النهمي (رض) ص : ١٨٠
- ٥٦٥----- (٣٠)- عمرو بن عبدالله الجندعي (رض) ص : ١٨٠
- ٥٦٦----- (٣١)- عمرو بن قرظة الأنصاري (رض) ص : ١٨١
- ٥٦٧----- (٣٢)- عبدالله بن بشر الخثعمي (رض) ص : ١٨٣
- ٥٦٧----- (٣٣)- الحارث بن امرء القيس الكندي (رض) ص : ١٨٣
- ٥٦٧----- (٣٤)- بشر بن عمرو بن الأحداث الحضرمي الكندي (رض) ص : ١٨٤
- ٥٦٧----- (٣٥)- عبدالله بن عروة بن حرق الغفاري (رض) ص : ١٨٤
- ٥٦٧----- (٣٦)- عبدالرحمن بن عروة بن حرق الغفاري (رض) ص : ١٨٤
- ٥٦٨----- (٣٧)- عبدالله بن عمير الكلبي (رض) ص : ١٨٥
- ٥٦٩----- (٣٨)- سالم بن عمرو مولى بني المدينة الكلبي (رض) ص : ١٨٧
- ٥٦٩----- الفصل الثالث: كربلاء يوم العاشر من المحرم سنة ٦١ هـ ق ص : ١٩١
- ٥٧٠----- أنصار الامام الحسين عليه السلام ص : ١٩١
- ٥٧١----- عدد أصحاب الإمام الحسين عليه السلام يوم الطف ص : ١٩٧
- ٥٧٢----- الهاشميون من أنصار الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء ص : ١٩٨
- ٥٧٢----- عدد الصحابة في جيش الإمام الحسين عليه السلام يوم الطف ص : ٢٠٢
- ٥٧٢----- اشارة
- ٥٧٣----- ١ أنس بن الحارث الكاهلي الأسدي (رض): ص : ٢٠٣
- ٥٧٣----- ٢ عبدالرحمن بن عبد رب الأنصاري الخزرجي (رض): ص : ٢٠٣
- ٥٧٣----- ٣ حبيب بن مظاهر (مظهر) الأسدي (رض): ص : ٢٠٣

- ٤ عبدالله بن يقطر الحميرى (رض): ص : ٢٠٣ ٥٧٣
- ٥ مسلم بن عوسجة الأسدى (رض): ص : ٢٠٤ ٥٧٣
- ٦ كنانة بن عتيق التغلبى (رض): ص : ٢٠٤ ٥٧٣
- ٧ عمار بن أبى سلامة الدالانى الهمدانى (رض): ص : ٢٠٤ ٥٧٤
- ٨ الحرث بن نبهان (رض) مولى حمزة عليه السلام: ص : ٢٠٤ ٥٧٤
- وهناك إثنان من الأنصار عليهم السلام ص : ٢٠٤ ٥٧٤
- إشارة ٥٧٤
- ١ زياد بن عريب الهمدانى الصائدى (رض): ص : ٢٠٥ ٥٧٤
- ٢ عمرو بن ضبعة الضبعى التميمى (رض): ص : ٢٠٥ ٥٧٤
- أما من وقع الإختلاف ص : ٢٠٥ ٥٧٤
- إشارة ٥٧٤
- ١ أسلم (مسلم) بن كثير الأعرج الأزدى (رض): ص : ٢٠٥ ٥٧٤
- ٢ زاهر مولى عمرو بن الحمق الخزاعى (رض): ص : ٢٠٥ ٥٧٥
- ٣ سعد بن الحرث (رض) مولى على بن أبى طالب عليهما السلام: ص : ٢٠٦ ٥٧٥
- ٤ يزيد بن مغفل الجعفى (رض): ص : ٢٠٧ ٥٧٥
- ٥ شبيب بن عبدالله مولى الحرث بن سريع الكوفى (رض): ص : ٢٠٨ ٥٧٦
- ٦ جنادة بن الحرث السلمانى الأزدى الكوفى (رض): ص : ٢٠٩ ٥٧٦
- ٧ جندب بن حجير الخولانى الكوفى (رض): ص : ٢٠٩ ٥٧٦
- أصحاب أميرالمؤمنين عليه السلام من أنصار الإمام الحسين عليه السلام فى الطّف ص : ٢١٠ ٥٧٧
- جيش الإمام الحسين عليه السلام ... حجازيون وكوفيون وبصريون ص : ٢١٢ ٥٧٨
- الموالى من أنصار الإمام الحسين عليه السلام فى كربلاء ص : ٢١٣ ٥٧٨
- من ألقاب الجيش الحسينى ص : ٢١٥ ٥٧٩
- عمر الإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء سنة ٦١ هـ ص : ٢١٦ ٥٧٩
- الجيش الأموى: الألقاب والأوصاف ص : ٢١٩ ٥٨٠

- ٥٨١ ٢٢٢ - عدد الجيش الأموى ص : ٢٢٢
- ٥٨١ اشارة
- ٥٨٢ ٢٢٣ - اشارة ص : ٢٢٣
- ٥٨٣ ٢٢٦ - أبرز القادة العسكريين فى جيش ابن زياد ص : ٢٢٦
- ٥٨٤ ٢٢٩ - عناصر الجيش الأموى ص : ٢٢٩
- ٥٨٤ اشارة
- ٥٨٤ ١- المزدلفون إلى الإمام عليه السلام لقتله: ص : ٢٢٩
- ٥٨٤ ٢- أهل الأهواء والأطماع: ص : ٢٣٠
- ٥٨٤ اشارة
- ٥٨٤ أ- الإنتهازيون: ص : ٢٣٠
- ٥٨٥ ب- المرتزقة: ص : ٢٣٠
- ٥٨٥ ج- الفسقة والبطالون: ص : ٢٣١
- ٥٨٥ ٣- الخوارج: ص : ٢٣٢
- ٥٨٦ ٤- المكرهون: ص : ٢٣٣
- ٥٨٦ هل اشترك أهل الشام فى واقعة الطّف؟ ص : ٢٣٤
- ٥٨٧ من الأعراف الحربية فى ذلك العصر ص : ٢٣٨
- ٥٨٨ الفصل الرابع: ملحمة كربلاء- يوم عاشوراء من المحرم سنة ٦١ هـ ق ص : ٢٣٩
- ٥٨٨ اشارة
- ٥٨٩ دعاء الإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء ص : ٢٤٣
- ٥٨٩ إشعال النار فى الخندق خلف المخيم ص : ٢٤٤
- ٥٨٩ ردة فعل العدو على إشعال النار ص : ٢٤٤
- ٥٨٩ اشارة
- ٥٩٠ اشارة: ص : ٢٤٧
- ٥٩٠ احتجاجات الإمام عليه السلام فى ساحة المعركة ص : ٢٤٨

- ٥٩١ ٢٤٩ : ص : خطابه عليه السلام قبل بدء القتال ص : ٢٤٩
- ٥٩١ اشارة
- ٥٩٤ ٢٥٨ : ص : إشارات ص : ٢٥٨
- ٥٩٥ ٢٦١ : ص : خطاب زهير بن القين (رض) ص : ٢٦١
- ٥٩٦ ٢٦٢ : ص : الحز بن يزيد الرياحي .. والموقف الخالد ص : ٢٦٢
- ٥٩٧ ٢٦٥ : ص : هل التحق ثلاثون رجلاً بالإمام عليه السلام يوم عاشوراء؟ ص : ٢٦٥
- ٥٩٧ اشارة
- ٥٩٧ ٢٦٦ : ص : إشارة: ص : ٢٦٦
- ٥٩٨ ٢٦٩ : ص : بداية الحرب- الحملة الأولى ص : ٢٦٩
- ٥٩٨ ٢٦٩ : ص : عمر بن سعد: إشهدوا أتي أول من رمى!! ص : ٢٦٩
- ٥٩٨ ٢٦٩ : ص : الإمام عليه السلام يأذن لأنصاره (رض) بالقتال ص : ٢٦٩
- ٥٩٩ ٢٧٠ : ص : النصر يرفرف على رأس الحسين عليه السلام ص : ٢٧٠
- ٥٩٩ ٢٧١ : ص : المبارزة التي وقعت قبل الحملة الأولى ص : ٢٧١
- ٥٩٩ ٢٧١ : ص : عبدالله بن عمير الكلبي (رض) ... والموقف البطولي! ص : ٢٧١
- ٦٠٠ ٢٧٣ : ص : بعض تفاصيل الحملة الأولى ص : ٢٧٣
- ٦٠١ ٢٧٤ : ص : شمر بن ذي الجوشن .. يواصل الحملة في الميسرة! ص : ٢٧٤
- ٦٠١ ٢٧٤ : ص : ثم صارت الحملة من كل جانب! ص : ٢٧٤
- ٦٠١ ٢٧٧ : ص : فقتل الشهيد الثاني عبدالله بن عمير الكلبي (رض) ص : ٢٧٧
- ٦٠١ ٢٧٧ : ص : خيل الإمام عليه السلام تحمل على الأعداء!! ص : ٢٧٧
- ٦٠١ ٢٧٨ : ص : مشهد كريم من مشاهد بطولة الحز (رض) ص : ٢٧٨
- ٦٠٢ ٢٧٩ : ص : مقتل مجموعة عمرو بن خالد الصيداوى (رض) ص : ٢٧٩
- ٦٠٢ ٢٧٩ : ص : زماء ابن سعد يعقرون خيل الإمام عليه السلام ص : ٢٧٩
- ٦٠٢ ٢٨٠ : ص : اشتداد القتال حتى منتصف النهار! ص : ٢٨٠
- ٦٠٣ ٢٨١ : ص : أم وهب (رض) تستشهد عند مصرع زوجها (رض)! ص : ٢٨١

- ٦٠٣ زهير في عشرة من الأنصار يكشف جند الشمر عن الخيام ص : ٢٨١ ٦٠٣
- ٦٠٣ وحين زالت الشمس وحضر وقت الصلاة! ص : ٢٨١ ٦٠٣
- ٦٠٣ أسماء شهداء الحملة الأولى ص : ٢٨٢ ٦٠٣
- ٦٠٦ مقتل حبيب بن مظاهر (رض) «٢» قبيل الصلاة! ص : ٢٩٢ ٦٠٦
- ٦٠٧ مقتل الحرّ بن يزيد الرياحي (رض) ص : ٢٩٥ ٦٠٧
- ٦٠٨ كيف كانت صلاة الإمام عليه السلام ظهر عاشوراء؟ ص : ٢٩٩ ٦٠٨
- ٦٠٨ مقتل سعيد بن عبدالله الحنفي (رض) أثناء صلاة الإمام عليه السلام ص : ٣٠٠ ٦٠٨
- ٦٠٩ مقتل أنس بن الحرث الكاهلي (رض) «١» ص : ٣٠٢ ٦٠٩
- ٦٠٩ مقتل يزيد بن زياد بن مهاصر الكندي (رض) ص : ٣٠٣ ٦٠٩
- ٦٠٩ مقتل وهب بن وهب (رض) ص : ٣٠٤ ٦٠٩
- ٦١٠ مقتل الحجاج بن مسروق المذحجي الجعفي (رض) ص : ٣٠٦ ٦١٠
- ٦١٠ مقتل زهير بن القين (رض) ص : ٣٠٧ ٦١٠
- ٦١١ مقتل سلمان بن مضارب البجلي (رض) ص : ٣٠٩ ٦١١
- ٦١١ مقتل أبي ثمامة الصائدي (رض) ص : ٣٠٩ ٦١١
- ٦١٢ مقتل برير بن خضير الهمداني (رض) ص : ٣١٠ ٦١٢
- ٦١٣ مقتل عمرو بن قرصة الأنصاري (رض) ص : ٣١٣ ٦١٣
- ٦١٣ مقتل نافع بن هلال الجملي (رض) ص : ٣١٤ ٦١٣
- ٦١٤ مقتل يزيد بن مغفل الجعفي (رض) «٢» ص : ٣١٧ ٦١٤
- ٦١٥ مصرع الموقّع «١» بن ثمامة الأسدي الصيداوي (رض) ص : ٣١٩ ٦١٥
- ٦١٥ مقتل عمر «٣» (عمرو) بن جنادة الأنصاري الخزرجي (رض) ص : ٣٢٠ ٦١٥
- ٦١٦ مقتل الأخوين الغفاريين (رض) ص : ٣٢٣ ٦١٦
- ٦١٧ مقتل حنظلة بن أسعد الشامي والأخوين الجابريين سيف ومالك (رض) ص : ٣٢٥ ٦١٧
- ٦١٧ مقتل شوذب بن عبدالله (رض) «٣» ص : ٣٢٧ ٦١٧
- ٦١٨ مقتل عابس بن أبي شبيب الشاكري (رض) ص : ٣٢٨ ٦١٨

- ٦١٨ مقتل الأخوين الأنصاريين (رض) ص : ٣٢٩
- ٦١٩ مقتل الأنصار الجهنيين الثلاثة (رض) ص : ٣٣٠
- ٦١٩ مقتل يزيد بن ثبيط العبدى البصرى (رض) ص : ٣٣١
- ٦١٩ اشارة
- ٦١٩ مقتل رافع بن عبدالله (رض) مولى مسلم الأزدى (رض) ص : ٣٣١
- ٦١٩ مقتل حبشى بن قيس النهemy (رض) «٢» ص : ٣٣٢
- ٦٢٠ مقتل زياد بن عريب الهمدانى الصائدى (رض) «٤» ص : ٣٣٢
- ٦٢٠ مقتل قعنب بن عمر النمرى (رض) ص : ٣٣٢
- ٦٢٠ مقتل بكر بن حى التيمى (رض) ص : ٣٣٢
- ٦٢٠ مقتل سالم بن عمرو (رض) مولى بنى المدينة ص : ٣٣٤
- ٦٢٠ مقتل الغلام التركى (رض) ص : ٣٣٤
- ٦٢١ مقتل بشر «٢» بن عمرو بن الأحداث الحضرمى (رض) ص : ٣٣٦
- ٦٢١ مقتل سويد بن عمرو بن أبى المطاع (رض) ص : ٣٣٧
- ٦٢٢ قصّة الضحّاك بن عبدالله المشرقى! ص : ٣٣٩
- ٦٢٣ أسماء أخرى وملاحظات: ص : ٣٤١
- ٦٢٨ مقاتل ومصارع بنى هاشم ص : ٣٥٤
- ٦٢٨ اشارة
- ٦٢٨ مقتل علىّ الأكبر عليه السلام ص : ٣٥٥
- ٦٢٨ اشارة
- ٦٣٠ هل كان لعلىّ الأكبر ذرية؟ ص : ٣٦٤
- ٦٣١ مقاتل آل عقيل عليهم السلام «١» فى يوم عاشوراء ص : ٣٦٦
- ٦٣١ اشارة
- ٦٣١ عبدالله «١» بن مسلم بن عقيل عليهم السلام ص : ٣٦٧
- ٦٣٢ محمد بن مسلم بن عقيل بن أبى طالب عليه السلام ص : ٣٦٨

- ٦٣٢ جعفر بن عقيل بن أبي طالب عليه السلام ص : ٣٦٩
- ٦٣٢ عبد الرحمن بن عقيل عليه السلام ص : ٣٧٠
- ٦٣٣ محمد بن أبي سعيد بن عقيل بن أبي طالب عليه السلام ص : ٣٧١
- ٦٣٣ وأما الآخرون من آل عقيل عليهم السلام ص : ٣٧٢
- ٦٣٣ اشارة
- ٦٣٣ عبدالله بن عقيل الأكبر: ص : ٣٧٢
- ٦٣٤ عبيدالله بن عقيل: ص : ٣٧٢
- ٦٣٤ محمد بن عقيل: ص : ٣٧٢
- ٦٣٤ عون بن عقيل: ص : ٣٧٣
- ٦٣٤ على بن عقيل: ص : ٣٧٣
- ٦٣٤ موسى بن عقيل: ص : ٣٧٣
- ٦٣٤ أحمد بن محمد بن عقيل: ص : ٣٧٣
- ٦٣٤ مقاتل آل جعفر بن أبي طالب عليهم السلام ص : ٣٧٤
- ٦٣٥ مقتل عون بن عبدالله بن جعفر عليه السلام ص : ٣٧٤
- ٦٣٥ مقتل محمد بن عبدالله بن جعفر عليه السلام ص : ٣٧٥
- ٦٣٥ مقتل القاسم بن محمد بن جعفر بن أبي طالب عليه السلام ص : ٣٧٦
- ٦٣٥ مقتل عبيدالله بن عبدالله بن جعفر عليه السلام ص : ٣٧٦
- ٦٣٦ مقتل عبدالله بن عبدالله بن جعفر عليهما السلام ص : ٣٧٦
- ٦٣٦ أبناء الامام الحسن بن على عليهم السلام ص : ٣٧٧
- ٦٣٦ اشارة
- ٦٣٦ مقتل القاسم «١» بن الحسن عليهما السلام ص : ٣٧٧
- ٦٣٧ مقتل عبدالله «١» بن الحسن عليه السلام ص : ٣٨٠
- ٦٣٨ مقتل أحمد بن الحسن عليهما السلام ص : ٣٨٢
- ٦٣٨ مقتل أبي بكر بن الحسن عليه السلام ص : ٣٨٣

- ٦٣٨ مصرع الحسن بن الحسن عليهما السلام ص : ٣٨٣
- ٦٣٩ مقتل عمر بن الحسن عليه السلام ص : ٣٨٤
- ٦٣٩ مقاتل إخوان الإمام الحسين عليه السلام ص : ٣٨٤
- ٦٣٩ اشارة
- ٦٣٩ مقتل عبدالله بن علي عليه السلام ص : ٣٨٤
- ٦٣٩ مقتل جعفر بن علي بن أبي طالب عليه السلام ص : ٣٨٦
- ٦٤٠ مقتل عثمان بن علي عليه السلام ص : ٣٨٧
- ٦٤٠ مقتل أبي بكر بن علي عليه السلام ص : ٣٨٨
- ٦٤٠ مقتل محمد الأصغر بن علي بن أبي طالب عليه السلام ص : ٣٨٩
- ٦٤١ مقتل عمر بن علي عليه السلام ص : ٣٩٠
- ٦٤١ هل قُتل عمر في واقعة الطف؟ ص : ٣٩١
- ٦٤٢ مقتل إبراهيم بن علي بن أبي طالب عليه السلام ص : ٣٩٢
- ٦٤٢ مقتل عتيق بن علي بن أبي طالب عليه السلام ص : ٣٩٣
- ٦٤٢ مقتل عون بن علي عليه السلام ص : ٣٩٣
- ٦٤٢ مقتل يحيى بن علي عليه السلام ص : ٣٩٤
- ٦٤٣ مقتل عبيدالله بن علي بن أبي طالب عليه السلام ص : ٣٩٤
- ٦٤٤ من هو «العباس الأصغر»، وابن من هو؟ ص : ٣٩٧
- ٦٤٤ مقتل مولانا أبي الفضل العباس عليه السلام ص : ٣٩٩
- ٦٤٤ الإمام الحسين عليه السلام وحيداً فريداً في الميدان ص : ٤٠٤
- ٦٤٤ اشارة
- ٦٤٤ خروج الإمام زين العابدين عليه السلام!! ص : ٤٠٥
- ٦٤٩ الامام الحسين عليه السلام يطلب ثوباً لايرغب فيه! ص : ٤١٣
- ٦٥٠ ثبات الإمام الحسين عليه السلام ورباطة جأشه! ص : ٤١٤
- ٦٥٠ الإمام عليه السلام يستولي على شريعة الفرات! ص : ٤١٥

- ٤١٦ : ص : الوداع الأخير ص : ٤٥١
- ٤١٨ : ص : الإمام عليه السلام وابنته سكينه عليها السلام ص : ٤٥١
- ٤١٩ : ص : وصايا الإمام عليه السلام ص : ٤٥٢
- ٤٢٠ : ص : الهجوم على رحل الإمام عليه السلام وعياله ص : ٤٥٢
- ٤٢١ : ص : العطش يشتد بالإمام عليه السلام في حملته الأخيرة! ص : ٤٥٣
- ٤٢٦ : ص : السهم المحدد المسموم القاتل! ص : ٤٥٤
- ٤٣٢ : ص : سلب الإمام عليه السلام بعد قتله! ص : ٤٥٦
- ٤٣٤ : ص : رض جسد الإمام عليه السلام بحوافر الخيل ص : ٤٥٦
- ٤٣٥ : ص : وكان ابن زياد قد أمر ابن سعد بذلك! ص : ٤٥٦
- ٤٣٦ : ص : وأما رواية الكليني (ره) ص : ٤٥٧
- ٤٣٧ : ص : التحقيق في رجال السند: ص : ٤٥٧
- ٤٣٧ : ص : كلام البرغانى: ص : ٤٥٨
- الجزء الخامس ص : ٤٥٨
- إشارة ص : ٤٥٨
- مع الركب الحسينى من المدينة الى المدينة (الجزء الخامس) ص : ٤٥٨
- مقدمة مركز الدراسات الإسلاميه ص : ٥ ص : ٤٥٨
- مقدمه المؤلف: «الدور التبليغي المتمم للنهضة المقدسه» ص : ٧ ص : ٤٥٩
- إشارة ص : ٤٥٩
- دور نسوة بنى هاشم ص : ٩ ص : ٤٦٠
- مواصله الرساله التبليغيه فى دمشق ص : ١٠ ص : ٤٦١
- الامام السجّاد ودوره فى كربلاء ص : ١٢ ص : ٤٦٢
- الامام السجّاد فى مجلس الطاغية ابن زياد ص : ١٣ ص : ٤٦٢
- الامام السجّاد فى الشام ص : ١٤ ص : ٤٦٢
- وهذا الكتاب ص : ١٦ ص : ٤٦٤

- ٦٦٤ المقصد الأول ص : ١٧ -
- ٦٦٤ اشارة -
- ٦٦٤ الفصل الأول: تجليات الغضب الإلهي لمقتل سيد الشهداء عليه السلام ص : ١٧ -
- ٦٦٤ اشارة -
- ٦٦٤ الآيات السماوية ص : ٢٠ -
- ٦٦٥ اشارة -
- ٦٦٥ ١- صرخة جبرئيل عليه السلام ص : ٢١ -
- ٦٦٥ ٢- كسوف الشمس ص : ٢٢ -
- ٦٦٥ ٣- إسوداد السماء ص : ٢٣ -
- ٦٦٥ ٤- إحمرار السماء ص : ٢٣ -
- ٦٦٦ ٥- بكاء السماء ص : ٢٥ -
- ٦٦٦ اشارة -
- ٦٦٧ معنى بكاء السماء ص : ٢٦ -
- ٦٦٧ إشارة ص : ٢٧ -
- ٦٦٧ ٦- إمطار السماء دماً ص : ٢٩ -
- ٦٦٨ ٧- وأمطرت السماء رماداً أيضاً! ص : ٣٠ -
- ٦٦٨ ٨- بكاء الملائكة وصلاتهم على الإمام الحسين عليه السلام ص : ٣١ -
- ٦٦٩ ٩- عجيج السموات والأرض والملائكة لمقتله عليه السلام ص : ٣٢ -
- ٦٦٩ الآيات الأرضية ص : ٣٢ -
- ٦٦٩ اشارة -
- ٦٧٠ إشارة ص : ٣٥ -
- ٦٧٠ نوح الجن ص : ٣٧ -
- ٦٧١ الطيور: ص : ٣٧ -
- ٦٧٢ تحوّل الورس رماداً! وامتلاء اللحم ناراً ومرارة! ص : ٤٠ -

- ٦٧٢ آثار الحزن فى العوسجة المباركة! ص : ٤١
- ٦٧٣ الفصل الثانى: الوقائع المتأخرة عن قتل الامام الحسين عليه السلام ص : ٤٣
- ٦٧٣ صُور من عواقب قتلته وأعدائه عليه السلام ص : ٤٣
- ٦٧٣ اشارة
- ٦٧٣ مصير عبيد الله بن زياد لعنه الله ص : ٤٣
- ٦٧٣ مصير عمر بن سعد لعنه الله ص : ٤٧
- ٦٧٤ مصير شمر بن ذى الجوشن لعنه الله ص : ٤٨
- ٦٧٤ مصير سنان بن أنس لعنه الله ص : ٤٩
- ٦٧٥ مصير خولى بن يزيد الأصبحى لعنه الله ص : ٥٠
- ٦٧٥ مصير حكيم بن الطفيل السنبسى لعنه الله ص : ٥٠
- ٦٧٥ مصير حرملة بن كاهل لعنه الله ص : ٥٠
- ٦٧٥ مصير بجدل بن سليم لعنه الله ص : ٥١
- ٦٧٥ مصير الذين وطأوا جسد الإمام عليه السلام بالخيل ص : ٥١
- ٦٧٥ مصير عمرو بن صبيح الصيداوى لعنه الله ص : ٥١
- ٦٧٦ مصير زيد بن رقاد الجهنى لعنه الله ص : ٥٢
- ٦٧٦ مصير أبجر بن كعب لعنه الله ص : ٥٢
- ٦٧٦ مصير أحد سالىبى الإمام عليه السلام ص : ٥٣
- ٦٧٧ نهب المخيم الحسينى ص : ٥٥
- ٦٧٨ محاولة قتل الإمام زين العابدين عليه السلام! ص : ٦٠
- ٦٧٩ اشارة ص : ٦٢
- ٦٧٩ ثم أحرقت الخيام! ص : ٦٤
- ٦٨٠ جائزة سنان بن أنس ص : ٦٥
- ٦٨٠ رؤوس الشهداء ص : ٦٦
- ٦٨١ الأجساد الطاهرة ص : ٦٧

- ٦٨١ الساعات الأخيرة من يوم عاشوراء ص : ٧٠
- ٦٨٢ الليلة الحادية عشرة ص : ٧٠
- ٦٨٢ هاتف من الجنّ يعنى الإمام عليه السلام ليلة الحادى عشر ص : ٧١
- ٦٨٣ اليوم الحادى عشر من المحرم ص : ٧٣
- ٦٨٣ كيف حمل ابن سعد بقتية الركب الحسينى إلى الكوفة؟! ص : ٧٣
- ٦٨٣ مرور الركب الحسينى على مصارع الشهداء عليه السلام ص : ٧٤
- ٦٨٤ القبائل تتنافس على حمل الرؤوس إلى ابن زياد ص : ٧٤
- ٦٨٥ إشارة ص : ٧٩
- ٦٨٥ المقصد الثانى ص : ٨١
- ٦٨٥ إشارة
- ٦٨٥ الفصل الأول: الركب الحسينى فى الكوفة ص : ٨١
- ٦٨٥ الرأس المقدس يسبق الركب إلى الكوفة ص : ٨١
- ٦٨٧ منازل الطريق من كربلاء إلى الكوفة «٢» ص : ٨٦
- ٦٨٧ بقتية الركب الحسينى ص : ٨٧
- ٦٨٨ متى دخل الركب الحسينى الكوفة؟ ص : ٩٠
- ٦٨٩ إعلان حالة الطوارئ القصوى فى الكوفة! ص : ٩١
- ٦٨٩ كيف استقبلت الكوفة بقتية الركب الحسينى؟! ص : ٩٢
- ٦٩٠ مسلم الجصاص يصف حال الكوفة يومذاك! ص : ٩٤
- ٦٩١ إشارة ص : ٩٧
- ٦٩٢ خطبة بطلة كربلاء عليها السلام ص : ٩٨
- ٦٩٢ خطبة فاطمة الصغرى بنت الحسين عليها السلام ص : ١٠١
- ٦٩٤ خطبة أم كلثوم بنت على عليها السلام ص : ١٠٥
- ٦٩٤ خطبة الإمام السجاد عليه السلام ص : ١٠٦
- ٦٩٥ إشارة (١) ص : ١٠٧

- الإشارة (٢): هل كانت لفاطمه عليها السلام بنت واحدة أم أكثر؟ ص : ١٠٨ ٦٩٦
- حكاية اختطاف الإمام السجّاد!! ص : ١١١ ٦٩٧
- إشارة ص : ١١٢ ٦٩٧
- الطواف برأس الإمام عليه السلام في سلك الكوفة!! ص : ١١٤ ٦٩٨
- كلام المرحوم السيد المقزم حول تكلم الرأس ص : ١١٦ ٦٩٩
- ماهو السرّ في تلاوته هذه الآية من سورة الكهف؟ ص : ١١٧ ٦٩٩
- إشارة ٦٩٩
- ١- الفتوة: «إنهم فتية»: ص : ١١٨ ٧٠٠
- ٢- القيام لله: ص : ١١٨ ٧٠٠
- ٣- الرجعة: ص : ١١٨ ٧٠٠
- في مجلس الطاغية ابن زياد ص : ١١٩ ٧٠٠
- الرأس المقدس يتلو القرآن عند باب دار الإمارة! ص : ١١٩ ٧٠٠
- وسالت دماً حيطان دار الإمارة! ص : ١١٩ ٧٠١
- ابن زياد يضرب ثنايا الرأس المقدس بالقضيب!! ص : ١١٩ ٧٠١
- وأسن بن مالك أيضاً! ص : ١٢١ ٧٠١
- إشارة ص : ١٢١ ٧٠١
- وكان للكاهن دور المستشار هناك أيضاً! ص : ١٢٣ ٧٠٢
- العقيلة زينب في مواجهة ابن زياد! ص : ١٢٤ ٧٠٣
- الإمام السجّاد عليه السلام في مواجهة ابن زياد! ص : ١٢٦ ٧٠٣
- الرباب زوج الإمام عليه السلام مع رأسه المقدس ص : ١٢٨ ٧٠٤
- أمّ كلثوم عليها السلام في مواجهة ابن زياد! ص : ١٢٨ ٧٠٥
- إشارات ص : ١٣٠ ٧٠٥
- إشارة ٧٠٥
- ١- الشجاعة العليا التي يتمتع بها أهل البيت عليهم السلام ص : ١٣٠ ٧٠٥

- ٢- العرفان والفاء في ذروته عند مولاتنا زينب عليها السلام ص : ١٣٠ ٧٠٥
- ٣- قربان الله وقتيله في كربلاء هو ريحانة رسول الله صلى الله عليه و آله، فقاتله قاتل لرسول الله صلى الله عليه و آله، وهو خصمه يوم الق
- ٤- تفنيد المنطق الجبرى الذى أشاعه الأمويون ص : ١٣١ ٧٠٦
- ٥- الطغيان والتشقى من علائم الطواغيت دائماً ص : ١٣٣ ٧٠٧
- وينتفض رجل من بكر بن وائل فى وجه ابن زيادا! ص : ١٣٤ ٧٠٧
- ابن زياد يستفز الصحابى أبا برزة الأسلمى! ص : ١٣٤ ٧٠٧
- الركب الحسينى فى محبس ابن زياد ص : ١٣٥ ٧٠٨
- إشارة ص : ١٣٧ ٧٠٨
- دفن الإمام وبقية الشهداء عليهم السلام ص : ١٣٩ ٧١٠
- ولكن هل يمكن الأخذ بهذا الرأى؟! ص : ١٤١ ٧١٠
- خبر سليمان بن قتة: ص : ١٤٩ ٧١٤
- ابن زياد يطلب من يقوّر الرأس المقدس! ص : ١٥١ ٧١٥
- أول رأس حُمل فى الإسلام! ص : ١٥٢ ٧١٥
- انتفاضة عبدالله بن عفيف الأزدي (رض)! ص : ١٥٣ ٧١٥
- ابن زياد يحاول استعادة المواعدة مع الأزدي ص : ١٥٩ ٧١٨
- ابن زياد يطالب ابن سعد بكتاب الأمر بقتل الإمام عليه السلام! ص : ١٦١ ٧١٨
- المختار يتصدى لابن زياد فى المسجد الأعظم! ص : ١٦٢ ٧١٩
- إشارة ص : ١٦٥ ٧٢٠
- مقتل ولدئى مسلم بن عقيل عليهما السلام ص : ١٦٦ ٧٢٠
- الفصل الثانى: مع الركب الحسينى من الكوفة إلى الشام ص : ١٧٥ ٧٢٥
- مدّة بقاء الركب الحسينى فى الكوفة ص : ١٧٥ ٧٢٥
- كيف حُمل بقتية أهل البيت عليهم السلام إلى يزيد؟! ص : ١٧٩ ٧٢٦
- هل كانت الرؤوس المقدسة مع الركب الحسينى؟ ص : ١٨٢ ٧٢٧
- منازل الطريق من الكوفة إلى دمشق ص : ١٨٥ ٧٢٧

- ٧٢٧ اشارة
- ٧٢٧ ١- الطريق السلطاني: ص : ١٨٥
- ٧٢٨ ٢- الطريق المستقيم (طريق عرب عقيل): ص : ١٨٦
- ٧٢٩ جملة من وقائع الطريق إلى الشام ص : ١٨٨
- ٧٢٩ اشارة
- ٧٢٩ ١- خروج يد من الحائط تكتب بمداد من الدم! ص : ١٨٨
- ٧٣٠ ٢- قصة الراهب مع الرأس المقدس! ص : ١٩١
- ٧٣٣ ٣- الانبياء والملائكة يزورون الرأس المقدس ص : ١٩٧
- ٧٣٣ ٤- تكرير «٢» ص : ١٩٨
- ٧٣٤ المشاهد المقدسة في منازل الطريق ص : ١٩٩
- ٧٣٤ ١- مشهد النقطة في الموصل! ص : ١٩٩
- ٧٣٤ ٢- مشهد النقطة في نصيبين «٤» ص : ٢٠٠
- ٧٣٤ ٣- مشهد النقطة في حماة! ص : ٢٠١
- ٧٣٤ ٤- هل هناك مشهد للرأس المقدس بحمص؟ ص : ٢٠٢
- ٧٣٥ ٥- مشهد النقطة في حلب! «٢» ص : ٢٠٢
- ٧٣٥ ٦- مشهد السقط في حلب! ص : ٢٠٣
- ٧٣٦ ٧- مشهد الرأس المقدس في عسقلان!! ص : ٢٠٥
- ٧٣٦ ولتعد الآن إلى قنشرين وقصة راهبها! ص : ٢٠٥
- ٧٣٦ تكلم الرأس المقدس مع الحارث بن وكيدة «٣» ص : ٢٠٦
- ٧٣٧ وعلى مقربة من دمشق! ص : ٢٠٧
- ٧٣٧ اليوم الذي ورد فيه الركب الحسيني دمشق ص : ٢٠٨
- ٧٣٧ الجزء السادس
- ٧٣٧ اشارة
- ٧٣٨ مع الركب الحسيني من المدينة الى المدينة (الجزء السادس)

- ٧٣٨ مقدمة مركز الدراسات الإسلامية ص : ٣
- ٧٣٩ مقدمه المؤلف: المسيرة المظفرة في فصلها الأخير ص : ٥
- ٧٤٠ المدخل: الشام وحكامها الأمويون ص : ٩
- ٧٤٠ اشارة
- ٧٤٠ التعريف بالشام ص : ١١
- ٧٤٠ اشارة
- ٧٤٠ من خواص الشام ص : ١١
- ٧٤١ الشام مدخل الفاتحين ص : ١٢
- ٧٤١ فتح الشام ص : ١٣
- ٧٤٣ فتح دمشق ص : ١٦
- ٧٤٣ بنو أمية والشام ص : ١٧
- ٧٤٣ جذور العلاقة ص : ١٧
- ٧٤٤ معاوية مؤسس الحكومة الأموية السوداء ص : ١٨
- ٧٤٥ إسلام أموي وحكم دموي ص : ٢١
- ٧٤٦ من هو يزيد؟ ص : ٢٥
- ٧٤٧ اشارة
- ٧٤٧ لهوه ص : ٢٥
- ٧٤٧ فسقه ص : ٢٦
- ٧٤٨ كفره ص : ٢٩
- ٧٤٩ ما قالته زينب الكبرى ص : ٣٠
- ٧٤٩ ما قاله بعض الصحابة ص : ٣٠
- ٧٥٠ أقوال العلماء في كفره ص : ٣٠
- ٧٥٠ اشارة
- ٧٥٠ رأى الإمام أحمد بن حنبل: ص : ٣٠

- ٧٥٠ رأى ابن القفطى: ص : ٣٢
- ٧٥٠ رأى الباعونى: ص : ٣٢
- ٧٥٠ رأى ابن عقيل: ص : ٣٢
- ٧٥١ رأى اليافعى: ص : ٣٢
- ٧٥١ رأى القاضى أبى يعلى وابن الجوزى: ص : ٣٢
- ٧٥١ رأى الكيا الهراسى: ص : ٣٢
- ٧٥١ رأى سبط ابن الجوزى: ص : ٣٢
- ٧٥٢ رأى ابن عساكر: ص : ٣٤
- ٧٥٢ رأى الأجهورى: ص : ٣٤
- ٧٥٢ رأى السعد التفتازانى: ص : ٣٥
- ٧٥٢ رأى الحافظ البدخشانى: ص : ٣٥
- ٧٥٢ رأى الشبراوى: ص : ٣٥
- ٧٥٢ رأى الأوسى: ص : ٣٥
- ٧٥٣ رأى عبد الباقى أفندى العمرى: ص : ٣٦
- ٧٥٣ تأمل ابن حجر ص : ٣٦
- ٧٥٤ توقف البيهقى: ص : ٣٨
- ٧٥٤ مع مجاهد: ص : ٣٨
- ٧٥٤ جوره ص : ٣٩
- ٧٥٦ لعنه ص : ٤٣
- ٧٥٦ اشارة
- ٧٥٦ ١. التمسك بعموم وإطلاق بعض الآيات القرآنية ص : ٤٣
- ٧٥٧ ٢. التمسك بعموم بعض الأحاديث ص : ٤٥
- ٧٥٧ ٣. أقوال العلماء فى لعن يزيد ص : ٤٦
- ٧٥٧ أحمد بن حنبل: ص : ٤٦

- ٧٥٧ ابن الفراء «٥» ص : ٤٦
- ٧٥٨ ابن الجوزي: ص : ٤٧
- ٧٥٨ الأسفرايني: ص : ٤٧
- ٧٥٨ المقدسي: ص : ٤٨
- ٧٥٨ السيوطي: ص : ٤٨
- ٧٥٨ عبد الكريم ابن الشيخ ولي الدين: ص : ٤٨
- ٧٥٩ العلامة الأجهوري ص : ٤٨
- ٧٥٩ الكيا الهراسي: ص : ٤٩
- ٧٥٩ التفتازاني ص : ٤٩
- ٧٥٩ السمهودي: ص : ٥٠
- ٧٥٩ البدخشاني: ص : ٥٠
- ٧٥٩ عبد الباقي أفندي: ص : ٥٠
- ٧٦٠ الأوسى: ص : ٥٠
- ٧٦٠ قتله الإمام الحسين عليه السلام ص : ٥١
- ٧٦٠ اشارة
- ٧٦٠ جزاء قاتل الحسين عليه السلام وأوصافه فى الروايات ص : ٥١
- ٧٦١ يزيد هو القاتل ص : ٥٤
- ٧٦٢ الشواهد التاريخية ص : ٥٤
- ٧٦٢ اشارة
- ٧٦٢ أمره الوليد بن عتبة بقتل الحسين عليه السلام ص : ٥٥
- ٧٦٢ مسألة اغتيال الإمام الحسين عليه السلام فى موسم الحج ص : ٥٥
- ٧٦٢ * رسائل يزيد حول قتل الحسين عليه السلام ص : ٥٥
- ٧٦٣ اعتراف ابن زياد بذلك ص : ٥٦
- ٧٦٣ زينب الكبرى تجعل مسؤولة قتل الحسين على عاتق يزيد ص : ٥٦

- ٧٦٣ ابن عباس يحتمل يزيد مسؤولية قتل الإمام الحسين عليه السلام ص : ٥٧
- ٧٦٣ معاوية ابنه يحتمله المسؤولية ص : ٥٨
- ٧٦٤ بعض بني العباس يحتمله المسؤولية ص : ٥٨
- ٧٦٤ رضا بقتل الحسين عليه السلام بعد مقتله ص : ٥٩
- ٧٦٤ أقوال العلماء في المسألة ص : ٦٠
- ٧٦٤ البلاذري: ص : ٦٠
- ٧٦٤ القاضي ابن نعمان: ص : ٦٠
- ٧٦٤ المسعودي: ص : ٦٠
- ٧٦٥ ابن عقيل (٤٣١-٥١٣): ص : ٦٠
- ٧٦٥ الكيا الهراسي (٤٥٠-٥٠٤): ص : ٦١
- ٧٦٥ التفتازاني: ص : ٦١
- ٧٦٥ الذهبي: ص : ٦١
- ٧٦٥ الأجهوري: ص : ٦١
- ٧٦٥ الشبراوي: ص : ٦١
- ٧٦٦ لماذا تنصل من مسؤولية قتل الإمام عليه السلام ص : ٦٢
- ٧٦٧ يزيد في مرآة الحديث ص : ٦٤
- ٧٦٧ يزيد في كلمات الإمام الحسين عليه السلام ص : ٦٥
- ٧٦٨ يزيد في نظر الصحابة والتابعين وبعض كبار القوم ص : ٦٨
- ٧٦٨ إشارة
- ٧٦٨ أبو هريرة: ص : ٦٨
- ٧٦٨ ابن عباس: ص : ٦٨
- ٧٦٨ عتبة بن مسعود: ص : ٦٨
- ٧٦٨ ابن الزبير: ص : ٦٨
- ٧٦٩ سعيد بن المسيب: ص : ٦٩

- ٧٦٩ عبدالله بن عفيف: ص : ٧٠
- ٧٦٩ عبدالله بن حنظلة: ص : ٧٠
- ٧٧٠ عبدالله بن مطيع: ص : ٧٠
- ٧٧٠ عبدالله بن عمرو بن حفص المخزومي: ص : ٧١
- ٧٧٠ عمرو بن حفص بن المغيرة- أبو زوجة يزيد-: ص : ٧١
- ٧٧٠ وفد المدينة: ص : ٧١
- ٧٧٠ معاوية بن يزيد بن معاوية: ص : ٧١
- ٧٧٠ عمر بن عبد العزيز: ص : ٧٢
- ٧٧١ يزيد في أقوال العلماء ص : ٧٢
- ٧٧١ اشارة
- ٧٧١ ١- الإمام ابن حنبل: ص : ٧٢
- ٧٧١ ٢- مجاهد: ص : ٧٣
- ٧٧١ ٣- الكيا الهراسي: ص : ٧٣
- ٧٧١ ٤- ابن الجوزي: ص : ٧٣
- ٧٧٢ ٥- ابن أبي الحديد ص : ٧٤
- ٧٧٢ ٦- سيّد الحفّاظ شهردار بن شيرويه الديلمي: ص : ٧٥
- ٧٧٢ ٧- مجد الأئمة: ص : ٧٥
- ٧٧٣ ٨- ابن تيمية: ص : ٧٦
- ٧٧٣ ٩- صاحب الميزان: ص : ٧٦
- ٧٧٣ ١١- ابن حجر: ص : ٧٦
- ٧٧٣ ١٢- الجوهرى: ص : ٧٦
- ٧٧٣ ١٣- ابن حزم: ص : ٧٦
- ٧٧٣ ١٤- العلامه الحجة الأميني: ص : ٧٦
- ٧٧٣ موته ص : ٧٧

- ٧٧٤ الفصل الأول: دور أهل البيت فى الشام ص : ٨١
- ٧٧٤ الشام قبل ورود أهل البيت عليهم السلام ص : ٨١
- ٧٧٤ ظهور الآيات فى الشام بعد مقتل الحسين عليه السلام ص : ٨١
- ٧٧٤ حالة الناس ص : ٨٢
- ٧٧٥ أمر يزيد بإرسال رأس الإمام عليه السلام وأسرته إلى الشام ص : ٨٣
- ٧٧٥ اشارة
- ٧٧٥ من حمل الرأس الشريف؟ ص : ٨٤
- ٧٧٥ اشارة
- ٧٧٥ أ) زحر بن قيس الجعفى ص : ٨٤
- ٧٧٦ ب) محفّر بن ثعلبة العائذى ص : ٨٥
- ٧٧٦ ج) عمر بن سعد ص : ٨٥
- ٧٧٦ أهل البيت عليهم السلام فى الشام ص : ٨٦
- ٧٧٦ أصبح أهل بيت رسول الله صلى الله عليه و آله أسارى! ص : ٨٦
- ٧٧٧ كيف ورد أهل بيت الحسين عليه السلام دمشق؟! ص : ٨٨
- ٧٧٨ رأس الحسين يتلو القرآن ص : ٩١
- ٧٧٩ تكلم رأس الحسين عليه السلام بدمشق ص : ٩٢
- ٧٧٩ على درج المسجد ص : ٩٣
- ٧٧٩ مع الشيخ الشامى ص : ٩٣
- ٧٨٠ تأمل وملاحظات ص : ٩٥
- ٧٨١ متى وصل الرأس الشريف؟ ص : ٩٦
- ٧٨٢ رأس الإمام عليه السلام بين يدى يزيد ص : ٩٩
- ٧٨٣ تأمل وملاحظات ص : ١٠١
- ٧٨٣ ردّ فعل يزيد ص : ١٠٢
- ٧٨٤ إزاحة وهم ص : ١٠٤

- ٧٨٥ القاتل يطلب الجائزة ص : ١٠٦
 ٧٨٥ مجلس يزيد ص : ١٠٧
 ٧٨٥ اشارة
 ٧٨٦ مجلس أم مجالس؟ ص : ١٠٩
 ٧٨٦ كيفية دخول أسارى آل البيت عليهم السلام ص : ١١٠
 ٧٨٧ رأس الحسين عليه السلام فى مجلس يزيد ص : ١١٣
 ٧٨٨ يزيد ينكت ثنايا الحسين عليه السلام ص : ١١٤
 ٧٨٨ اشارة
 ٧٨٩ (أ) ما قاله يزيد عند نكته ثنايا الحسين عليه السلام ص : ١١٧
 ٧٨٩ (ب) ما أنشده يزيد ص : ١١٧
 ٧٨٩ وقفه مع بعض الكتب ص : ١١٩
 ٧٩٠ فعل يزيد واستنكار بعض الحاضرين ص : ١٢١
 ٧٩٠ اشارة
 ٧٩٠ ١- أبو برزة الأسلمى ص : ١٢١
 ٧٩١ اشارة
 ٧٩١ ملاحظتان الملاحظة الأولى: ص : ١٢٣
 ٧٩٢ الملاحظة الثانية ص : ١٢٤
 ٧٩٢ ٢- زيد بن أرقم ص : ١٢٥
 ٧٩٣ ٣- نعمان بن بشير ص : ١٢٥
 ٧٩٣ ٤- صحابى لم يسّم ص : ١٢٥
 ٧٩٣ ٥- يحيى بن الحكم أو عبد الرحمن بن الحكم ص : ١٢٧
 ٧٩٤ ٦- الحسن المثنى ص : ١٢٨
 ٧٩٤ يزيد فى موضع الانفعال ص : ١٢٩
 ٧٩٥ تمثّل يزيد بأبيات ابن الزبعرى ص : ١٣١

- ٧٩٥ عدّة ملاحظات ص : ١٣١
- ٧٩٩ محاورات الإمام السّجاد عليه السلام مع يزيد ص : ١٤٠
- ٧٩٩ اشارة
- ٨٠١ ملاحظات ص : ١٤٥
- ٨٠٣ وفيه نقاط للبحث والتأمل: ص : ١٥٠
- ٨٠٣ يزيد يهتّم بقتل الإمام عليه السلام ص : ١٥٠
- ٨٠٤ إشارة بعض الحاضرين بقتل الإمام ص : ١٥١
- ٨٠٤ مجابهة الإمام زين العابدين مع الرجل الشامي ص : ١٥٢
- ٨٠٤ زينب الكبرى في مجلس يزيد ص : ١٥٣
- ٨٠٥ بين يدي رأس الإمام ص : ١٥٤
- ٨٠٥ خطبة زينب الكبرى ص : ١٥٥
- ٨٠٥ اشارة
- ٨٠٨ نظرة سريعة في مضامين الخطبة ص : ١٦٦
- ٨٠٩ موقف يزيد من الخطبة ص : ١٦٧
- ٨٠٩ موقف زينب الكبرى من طلب الرجل الشامي ص : ١٦٧
- ٨٠٩ اشارة
- ٨١٠ ملاحظات: ص : ١٦٨
- ٨١١ دور أمّ كلثوم في مجلس يزيد ص : ١٧٢
- ٨١١ دور سكينه بنت الحسين عليهما السلام ص : ١٧٣
- ٨١٢ دور فاطمة بنت الحسين عليهما السلام ص : ١٧٤
- ٨١٣ استنكار بعض أهل الكتاب ص : ١٧٧
- ٨١٣ اشارة
- ٨١٣ جذور المسألة ص : ١٧٧
- ٨١٤ «يوحنا» يخبر عن المذبوح بكر بلاء ص : ١٨٠

- ٨١٥ «أرميا» يخبر عن مذبحه كربلاء ص : ١٨٢
 ٨١٦ رأس اليهود في مجلس يزيد ص : ١٨٣
 ٨١٧ رسول ملك الروم في مجلس يزيد ص : ١٨٦
 ٨١٩ دور الإمام زين العابدين عليه السلام في الشام ص : ١٨٩
 ٨١٩ اشارة
 ٨١٩ زينب الكبرى تُعرّف قائد المسيرة ص : ١٨٩
 ٨١٩ السّجّاد عليه السلام يعرّف أهل البيت من خلال القرآن ص : ١٨٩
 ٨٢٠ خطبة الإمام زين العابدين عليه السلام ص : ١٩٠
 ٨٢٠ اشارة
 ٨٢١ نظرة خاطفة في الخطبة وصداها ص : ١٩٨
 ٨٢٣ الإمام عليه السلام مع مكحول صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ص : ٢٠١
 ٨٢٣ زين العابدين عليه السلام مع منهال «٢» ص : ٢٠٢
 ٨٢٣ اشارة
 ٨٢٤ ملاحظة ص : ٢٠٤
 ٨٢٤ مع الرأي العام المُضلل.. مزة أخرى ص : ٢٠٤
 ٨٢٥ حبس الإمام زين العابدين عليه السلام ص : ٢٠٦
 ٨٢٥ محاولات اغتيال الإمام زين العابدين عليه السلام ص : ٢٠٦
 ٨٢٥ اشارة
 ٨٢٦ تأمل وملاحظات ص : ٢٠٩
 ٨٢٦ تجلّى مكارم الأخلاق ص : ٢٠٩
 ٨٢٧ مأساة الشام ص : ٢١٠
 ٨٢٧ رأس الحسين عليه السلام في دمشق ص : ٢١٠
 ٨٢٧ اشارة
 ٨٣٠ صلب الرأس الشريف في دمشق ص : ٢١٦

- الرأس الشريف فى بيت يزيد ص : ٢١٧ ٨٣٠
- إطفاء الرأس الشريف فى مدائن الشام ص : ٢١٧ ٨٣٠
- أول رأس حُمل فى الإسلام ص : ٢١٧ ٨٣٠
- إسلام يهودى ببركة الرأس الشريف ص : ٢١٧ ٨٣٠
- رباب ترثى الحسين ص : ٢١٨ ٨٣١
- رأس الحسين عليه السلام عند يتيمته ص : ٢١٨ ٨٣١
- اشارة ٨٣١
- كلام حول السيدة رقية ص : ٢٢١ ٨٣٢
- وصف مسكن أهل البيت فى الشام ص : ٢٢٥ ٨٣٣
- رؤيا سكينه بنت الحسين عليه السلام بالشام ص : ٢٢٦ ٨٣٤
- مدة إقامة أهل البيت فى الشام ص : ٢٢٨ ٨٣٥
- اشارة ٨٣٥
- حقائق أم أوهاىم؟ ص : ٢٢٩ ٨٣٥
- المظلوم ينتصر ص : ٢٣٥ ٨٣٨
- غلبة الدم على السيف ص : ٢٣٥ ٨٣٨
- كيف انقلبت المعادلة؟ ص : ٢٣٦ ٨٣٨
- نظرة إلى دور الإمام زين العابدين عليه السلام ص : ٢٣٦ ٨٣٨
- نظرة إلى دور زينب الكبرى عليها السلام ص : ٢٣٩ ٨٣٩
- نظرة إلى دور سائر أهل البيت عليهم السلام وأثره ص : ٢٤١ ٨٤٠
- نظرة إلى مواقف بعض الصحابة ص : ٢٤٢ ٨٤١
- بعض الموالين لأهل البيت فى الشام ص : ٢٤٤ ٨٤٢
- نفوذ بعض الموالين فى جهاز الحكم الأموى ص : ٢٤٥ ٨٤٢
- يزيد يواجه المشاكل فى بيته ص : ٢٤٥ ٨٤٣
- اشارة ٨٤٣

- ١- بكاء نساء الاسرة الأموية ص : ٢٤٥ ٨٤٣
- ٢- موقف زوجة يزيد ص : ٢٤٩ ٨٤٤
- رؤيا زوجة يزيد ص : ٢٥٠ ٨٤٤
- إقامة عزاء الحسين عليه السلام فى بيت الطاغية ص : ٢٥١ ٨٤٤
- يزيد يبكى تصنعاً ص : ٢٥٣ ٨٤٥
- يزيد يأمر بتقديم بعض الخدمات! ص : ٢٥٤ ٨٤٦
- يزيد يُظهر الندامة ويلعن ابن مرجانة! ص : ٢٥٤ ٨٤٦
- اشارة ٨٤٦
- تأمل وملاحظات: ص : ٢٥٦ ٨٤٧
- وعد يزيد لزين العابدين عليه السلام ص : ٢٦٠ ٨٤٨
- استشارة يزيد وجوه أهل الشام ص : ٢٦٢ ٨٤٩
- تجهيز الأسرى من آل البيت إلى المدينة ص : ٢٦٣ ٨٥٠
- الفصل الثانى: حركة المسيرة المظفرة ص : ٢٦٧ ٨٥٠
- الخروج من الشام ص : ٢٦٧ ٨٥٠
- اشارة ٨٥٠
- يزيد يعتذر من الإمام على بن الحسين عليه السلام ص : ٢٦٧ ٨٥١
- عرض الأموال على آل البيت عليهم السلام ورفض السيدة أم كلثوم ص : ٢٦٩ ٨٥١
- متى كان الخروج من الشام؟ ص : ٢٦٩ ٨٥٢
- المسايرون للركب ص : ٢٧١ ٨٥٢
- اشارة ٨٥٢
- السؤال الأول: مَنْ هم المسايرون؟ ص : ٢٧١ ٨٥٢
- السؤال الثانى: لماذا هذه المسايرة؟ ص : ٢٧٣ ٨٥٣
- ما سُمع عند ترك دمشق ص : ٢٧٣ ٨٥٣
- حسن المعاملة فى الطريق ص : ٢٧٤ ٨٥٣

- إلى كربلاء ص : ٢٧٧ ٨٥٤
- زيارة قبر الإمام الحسين عليه السلام ص : ٢٧٧ ٨٥٤
- إشارة ٨٥٤
- من هو أول زائر لقبر الحسين عليه السلام ص : ٢٧٧ ٨٥٥
- جابر بن عبدالله الأنصاري وعطية العوفي في كربلاء ص : ٢٨١ ٨٥٦
- بيان شخصيتيهما ص : ٢٨٥ ٨٥٨
- إقامة العزاء على أرض الطف ص : ٢٨٨ ٨٥٩
- التحقيق حول الأربعين ص : ٢٨٩ ٨٦٠
- إشارة ٨٦٠
- القضاء بين المحدث النوري والقاضي الطباطبائي ص : ٢٩٤ ٨٦٢
- إشارة ٨٦٢
- ١- مع المحدث النوري ص : ٢٩٤ ٨٦٢
- إشارة ٨٦٢
- مناقشة مقدماتي النوري ص : ٢٩٥ ٨٦٢
- المحدث النوري يستدل بسبع نقاط ص : ٢٩٨ ٨٦٣
- مناقشتنا للمحدث النوري ص : ٣٠٦ ٨٦٦
- ٢- مع القاضي الطباطبائي ص : ٣٠٩ ٨٦٨
- إشارة ٨٦٨
- القاضي يستدل بعشر نقاط ص : ٣١٠ ٨٦٨
- تلخيص استنتاج القاضي ص : ٣١٣ ٨٦٩
- ملخص أدلة القاضي الطباطبائي ومناقشتها ص : ٣١٤ ٨٧٠
- القول المختار في المسألة ص : ٣١٥ ٨٧٠
- تحديد يوم الأربعين ص : ٣١٩ ٨٧٢
- فضل زيارة الإمام الحسين عليه السلام في يوم الأربعين ص : ٣١٩ ٨٧٢

- إلحاق الرأس الشريف بالجسد الطاهر ص : ٣٢٠----- ٨٧٣
- الأقوال فى موضع دفن رأس الحسين عليه السلام ص : ٣٢١----- ٨٧٣
- اشارة ٨٧٣
- فتحصل من جميع ذلك: ص : ٣٣٥----- ٨٧٨
- ترك كربلاء نحو المدينة ص : ٣٣٨----- ٨٧٩
- الفصل الثالث إلى مدينة الرسول ص : ٣٤٣----- ٨٨٠
- المدينة قبل وصول خبر مقتل الإمام الحسين عليه السلام ص : ٣٤٣----- ٨٨٠
- اشارة ٨٨٠
- دور أم سلمة ص : ٣٤٤----- ٨٨١
- * أم سلمة تعلم بمصير الإمام عليه السلام ص : ٣٤٤----- ٨٨١
- * أم سلمة ترى تربة الحسين عليه السلام ص : ٣٤٥----- ٨٨١
- اشارة ٨٨١
- ملاحظتان ص : ٣٤٧----- ٨٨٢
- اشارة ٨٨٢
- أ) الإمام أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام: ص : ٣٤٧----- ٨٨٢
- ب) أبو بكر وعمر وحذيفة وعمار وأبو ذر: ص : ٣٤٧----- ٨٨٢
- * تربة الحسين عليه السلام عند أم سلمة ص : ٣٤٨----- ٨٨٣
- * ما سمعته أم سلمة ليلة قتل الحسين عليه السلام ص : ٣٥٢----- ٨٨٤
- * ما رأته أم سلمة فى منامها ص : ٣٥٣----- ٨٨٥
- * أم سلمة تسمع نوح الجن ص : ٣٥٤----- ٨٨٦
- * صراخ أم سلمة وضجة المدينة ص : ٣٥٤----- ٨٨٦
- * خلاصة الكلام ص : ٣٥٨----- ٨٨٦
- دور ابن عباس ص : ٣٥٨----- ٨٨٧
- * علمه بمصير سيد الشهداء عليه السلام ص : ٣٥٨----- ٨٨٧

- ٨٨٧ * رؤيا ابن عباس وإخباره بعض الناس ص : ٣٥٨ رؤيا ابن عباس وإخباره بعض الناس ص : ٣٥٨
- ٨٨٧ ما سمعه أهل المدينة ص : ٣٦٠ ما سمعه أهل المدينة ص : ٣٦٠
- ٨٨٨ اشارة اشارة اشارة اشارة
- ٨٩٠ رؤيا عامر بن سعد الجلى ص : ٣٦٦ رؤيا عامر بن سعد الجلى ص : ٣٦٦
- ٨٩٠ تقاطر الدم من شجرة ص : ٣٦٦ تقاطر الدم من شجرة ص : ٣٦٦
- ٨٩١ قصة الغراب وفاطمة بنت الحسين - الصغرى ص : ٣٦٩ قصة الغراب وفاطمة بنت الحسين - الصغرى ص : ٣٦٩
- ٨٩١ الطير المتلطح بالدم فى المدينة ص : ٣٧٠ الطير المتلطح بالدم فى المدينة ص : ٣٧٠
- ٨٩٣ المدينة بعد تلقىها خبر مقتل الإمام الحسين عليه السلام ص : ٣٧٣ المدينة بعد تلقىها خبر مقتل الإمام الحسين عليه السلام ص : ٣٧٣
- ٨٩٣ اشارة اشارة اشارة اشارة
- ٨٩٣ وصول مبعوث ابن زياد المدينة المنورة ص : ٣٧٤ وصول مبعوث ابن زياد المدينة المنورة ص : ٣٧٤
- ٨٩٣ اشارة اشارة اشارة اشارة
- ٨٩٤ مبعوث ابن زياد عند والى المدينة ص : ٣٧٥ مبعوث ابن زياد عند والى المدينة ص : ٣٧٥
- ٨٩٤ ضجة الناس عند سماع الخبر ص : ٣٧٦ ضجة الناس عند سماع الخبر ص : ٣٧٦
- ٨٩٤ اشتداد الواعية فى دور بنى هاشم ص : ٣٧٦ اشتداد الواعية فى دور بنى هاشم ص : ٣٧٦
- ٨٩٥ جلاوزة السلطة تظهر كفرها وحقدتها ص : ٣٧٦ جلاوزة السلطة تظهر كفرها وحقدتها ص : ٣٧٦
- ٨٩٥ موقف أم سلمة ص : ٣٧٩ موقف أم سلمة ص : ٣٧٩
- ٨٩٦ نعى أسماء بنت عقيل ص : ٣٨١ نعى أسماء بنت عقيل ص : ٣٨١
- ٨٩٧ وصول مبعوثى يزيد إلى المدينة ص : ٣٨١ وصول مبعوثى يزيد إلى المدينة ص : ٣٨١
- ٨٩٧ اشارة اشارة اشارة اشارة
- ٨٩٧ رأس الحسين عليه السلام بالمدينة ص : ٣٨١ رأس الحسين عليه السلام بالمدينة ص : ٣٨١
- ٨٩٩ رثاء ابنه عقيل ص : ٣٨٦ رثاء ابنه عقيل ص : ٣٨٦
- ٩٠٠ خطبة عمرو بن سعيد ص : ٣٩٠ خطبة عمرو بن سعيد ص : ٣٩٠
- ٩٠١ موقف عبدالله بن جعفر ص : ٣٩٢ موقف عبدالله بن جعفر ص : ٣٩٢
- ٩٠١ عودة بقتية الركب الحسينى إلى المدينة المنورة ص : ٣٩٤ عودة بقتية الركب الحسينى إلى المدينة المنورة ص : ٣٩٤

- ٩٠١ اشارة
- ٩٠٢ ما قالته أم كلثوم ص : ٣٩٥
- ٩٠٣ الإمام زين العابدين عليه السلام يوفد بشير بن حذلم ص : ٣٩٧
- ٩٠٤ الفصل الثالث ص : ٣٩٨
- ٩٠٤ حال المدينة بعد علم أهلها بمصرع الإمام عليه السلام ص : ٣٩٨
- ٩٠٥ استقبال الناس بقيّة العترة الطاهرة ص : ٤٠٠
- ٩٠٥ خطبة الإمام زين العابدين عليه السلام ص : ٤٠٠
- ٩٠٦ تأمل وملاحظات ص : ٤٠٢
- ٩٠٦ فى المدينة المنورة ص : ٤٠٣
- ٩٠٦ حالة أهل البيت عليهم السلام حين دخولهم المدينة ص : ٤٠٣
- ٩٠٧ حالة المدينة بعد دخول حرم الحسين عليه السلام ص : ٤٠٥
- ٩٠٧ اشارة
- ٩٠٧ رثاء امرأة من بنات عبد المطلب ص : ٤٠٥
- ٩٠٨ عند مسجد الرسول صلى الله عليه و آله ص : ٤٠٦
- ٩٠٨ لبس السواد وإقامة المأتم ص : ٤٠٦
- ٩٠٨ مكافأة الحرس ص : ٤٠٦
- ٩٠٨ هدم بيوت تتعلّق بأسرة الحسين عليه السلام ص : ٤٠٨
- ٩٠٩ إقامة العزاء على الحسين عليه السلام ص : ٤٠٨
- ٩٠٩ نوح الجنّ ص : ٤٠٩
- ٩٠٩ رثاء أم البنين ص : ٤٠٩
- ٩١٠ حزن وبكاء الرباب بنت امرئ القيس ورثاؤها ص : ٤١٠
- ٩١١ رثاء عاتكة بنت زيد ص : ٤١٢
- ٩١١ أم سلمة تردّ الأمانات إلى أهلها ص : ٤١٢
- ٩١٢ فاطمة بنت الحسين عليه السلام تردّ الأمانات إلى أهلها ص : ٤١٥

- ٩١٢----- ٤١٥ : ص استمرار بكاء وحزن الإمام زين العابدين عليه السلام
- ٩١٣----- ٤١٩ : ص دور الإمام زين العابدين عليه السلام في استمرار الرسالة
- ٩١٤----- ٤٢١ : ص دور زينب الكبرى سلام الله عليها في استمرار الرسالة
- ٩١٥----- تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الامام الحسين عليه السلام في مكة المكرمة ، مع الركب الحسيني

اشاره

سرشناسه : طبسى، نجم الدين، - ١٣٣٤
عنوان و نام پديدآور : الامام الحسين عليه السلام في مكة المكرمة / تاليف نجم الدين الطبسى
مشخصات نشر : قم : سپهر انديشه ، ١٤٢٧ق=١٣٨٥.
مشخصات ظاهري : ص ٤٨٠
فروست : (مع الركب الحسيني من المدينة الى المدينة؛ الجزء الثاني)
شابك : ٩٦٤-٧٩٣٥-٥١-X
وضعت فهرست نویسی : فهرست نویسی قبلي
يادداشت : عربى
يادداشت : فهرست نویسی براساس اطلاعات فيا
يادداشت : کتابنامه: ص. ٤٧٢ - ٤٥٥؛ همچنين به صورت زیر نویسی
موضوع : حسين بن على (ع)، امام سوم، ٦١ - ٤ق. - سرگذشتنامه
موضوع : واقعه كربلا، ق ٦١
موضوع : مكة -- تاريخ -- قرن ١
رده بندي كنگره : BP٤١/٤ م ٦٣ ج. ٢، ١٣٨٥
رده بندي ديويى : ٢٩٧/٩٥٣
شماره كتابشناسى ملي : م ٨٥-١١١٠٥

الجزء الأول

اشاره

سرشناسه : طبسى، نجم الدين، - ١٣٣٤
عنوان و نام پديدآور : الامام الحسين عليه السلام في مكة المكرمة / تاليف نجم الدين الطبسى
مشخصات نشر : قم : سپهر انديشه ، ١٤٢٧ق=١٣٨٥.
مشخصات ظاهري : ص ٤٨٠
فروست : (مع الركب الحسيني من المدينة الى المدينة؛ الجزء الثاني)
شابك : ٩٦٤-٧٩٣٥-٥١-X
وضعت فهرست نویسی : فهرست نویسی قبلي
يادداشت : عربى
يادداشت : فهرست نویسی براساس اطلاعات فيا
يادداشت : کتابنامه: ص. ٤٧٢ - ٤٥٥؛ همچنين به صورت زیر نویسی

موضوع : حسين بن على (ع)، امام سوم، ٤١ - ٤٢ ق. — سرگذشتنامه

موضوع : واقعه كربلا، ق ٤١

موضوع : مكة -- تاريخ -- قرن ١

رده بندي كنگره : BP٤١/٤ م ٤٣ ج ٢، ١٣٨٥

رده بندي ديويى : ٢٩٧/٩٥٣

شماره كتابشناسى ملي : م ٨٥-١١١٠٥

مع الركب الحسينى من المدينة الى المدينة (الجز الاول)

اشاره

الامام الحسين (ع) فى المدينة المنوره

المقاله الاولى: حركة النفاق ... قراءه فى الهويه والنتائج ص : ٣٥

اشاره

مع الركب الحسينى (ج ١)، ص : ٣٦

(ما لم نعرف ولو على سبيل الاجمال ما صنعتها حركة النفاق فى حياه الاسلام والاميه الاسلاميه طوال نصف قرن اى منذ رحله النبى الا-اكرم محميد (ص) حتى اواخر سنه ستين للهجره لا يكون بإمكاننا أن نعرف أدنى ما يمكن معرفته من عظمه عاشوراء، ولا أن نفقه معنى الفتح فى قيام الامام الحسين (ع). ولذا كان لابد من هذه القراءه ...).

مع الركب الحسينى (ج ١)، ص : ٣٧

المقاله الاولى: حركة النفاق ... قراءه فى الهويه والنتائج

التعريف: ص : ٣٧

النفاق: هو استظهار الايمان واستبطان الكفر والتستر عليه. فالمنافق: هو الانسان الذى يستبطن الكفر ويستتره ويستظهر الايمان، وهو مصطلح اسلامى لم تعرفه العرب قبل الاسلام بالمعنى المخصوص به، وإن كان اصله فى اللغه معروفًا. «١»

مع الركب الحسينى (ج ١)، ص : ٣٨

المشهور الخاطى عن البدايه والنهايه: ص : ٣٨

اءما متى بدات حركة النفاق الدخول فى (الوسط الاسلامى)؟ وهل كانت ثمه نهايه لهذه الحركة فى تاريخ حياه المسلمين؟! هناك نظره مشهوره تقول: إن حركة النفاق بدات بدخول الرسول الاكرم (ص) المدينة المنوره حين هاجر إليها، حيث أسس الدوله الاسلاميه، كما تقول هذه النظرة: إن هذا الحركة استمرت إلى قرب وفاة النبى (ص)!

لقد اعتمدت هذه النظرة عامل (الخوف) من شوكة الاسلام والمسلمين وسطوتهم فقط كدافع يدفع (الكافر حقيقه) إلى أن ينافق، فيستظهر الايمان بدخوله الاسلام ويستبطن الكفر، وهذا الحصر يؤدى بالضرورة إلى القول بأن النفاق لا يكون فى الوسط الاسلامى إلا

حيث تكون للاسلام شوكة وحاكمية وغبلة وقهر.

غير أن التأمل يسيرا يكشف عن أن هناك دافعا قويا آخر للنفاق هو (الطمع)، فالطمع ب (مستقبل الاسلام) مثلا لم يكن وليد المدينة المنورة، بل كان مع الاسلام منذ أول أيامه في مكة المكرمة، إذ كان في العرب رجال أهل خبرة ومعرفة بحقائق السنن الاجتماعية، وسنن الصراع، وقراءة المستقبل، فكانوا يعرفون أن دعوة هذا النبي (ص) المستضعف في مكة آنئذ هي التي ستنتصر، وأن كلمة هذا النبي (ص) ستكون هي الكلمة العليا.

ولا يجد المتتبع في وقائع تأريخ الدعوة الاسلامية والسيرة النبوية صعوبة في العثور على مصاديق لهذه الحقيقة... لقد عبّر عن ذلك رجل من بني عامر بن صعصعة بقوله:

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٩

(والله لو أننى أخذت هذا الفتى من قريش لا كلت به العرب). «١»

ثم قال للنبي (ص): (أرأيت إن نحن بايعناك على أمرك ثم أظهرك الله على من خالفك أيعون لنا الأمر من بعدك؟) قال: (الأمر لله يضعه حيث يشاء).

قال: فقال له: (أفتهدف نحورنا للعرب دونك فإذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا؟! لا حاجة لنا بأمرك. فأبوا عليه). «٢»

وكما كان في العرب أذكاء توسموا منذ البدء أن هذا الدين سيكون له شأن عظيم في المستقبل، كذلك كان هناك في العرب رجال لهم علاقات وطيدة باليهود والنصارى الذين كانوا يتوارثون أخبار الملاحم والفتن وأبناء المستقبل، ويخبرون الناس أن عصرهم آنئذ عصر ظهور النبي الخاتم (ص)، بل كانوا يعرفون النبي (ص) بصفاته البدنية والمعنوية معرفة يقينية (الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم) «٣»، وكانوا يحدّثون الناس بأنه هو الرسول الخاتم الفاتح (ص).

فلما آن أوان ظهوره أخبروا بعض العرب بذلك، وأكدوا لهم أن المستقبل لهذا النبي (ص) ولدعوته الجديدة!

لقد كان النظر إلى مستقبل هذا الدين دافعا قويا إلى الانضواء تحت رايته والانتفاء إليه، وكان أكثر العرب في قضايا العقائد ومستقبل الاحداث يعتمدون رأى أهل الكتاب.

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٤٠

لقد استدلل بعض أفراد قبيلة كنده مثلا على صدق دعوة الرسول (ص) بأن أهل الكتاب قد قالوا: إنه سوف يظهر نبي من الحرم قد أظل زمانه. «١»

ويذهب وفد قبيلة بنى عيس إلى يهود فدك يسألونهم عن رسول الله (ص) بعد أن عرض دعوته عليهم. «٢»

وفي رواية أن أبا بكر كان في تجارة له بالشام، فأخبره راهب بوقت خروج النبي (ص) من مكة، وأمره بالتباعد، فلما رجع سمع رسول الله (ص) يدعو إلى الله فجاء فأسلم. «٣»

وأما عثمان بن عفان فيقول: إنه سمع عند مداخل الشام من كاهنه أن أحمد (ص) قد خرج، ثم انصرف فرجع إلى مكة فوجد رسول الله (ص) قد خرج بمكة يدعو إلى الله عز وجل. «٤»

وعن إسلام طلحة بن عبيدالله يقولون: إنه كان في بصرى، فسمع خبر خروج نبي اسمه أحمد (ص) في ذلك الشهر من راهب، فلما قدم مكة سمع الناس يقولون: تبياء محمد بن عبدالله (ص)، فأتى إلى أبي بكر فسأله فآخبره، ثم أدخله على رسول الله (ص) فأسلم... «٥»

ولقد ظل بعض الصحابة حريصين على هذه الصلة الوطيدة باليهود والنصارى والاستمداد من فكرهم إلى درجة الجرأة والجسارة على عرض صحائف من التوراة وقرأتها على رسول الله (ص) وإيذائه بذلك إيذاء شديدا.

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٤١

ففى الاثر: (جاء عمر بن الخطّاب فقال: يا رسول الله، إنى مررت باخ لي من يهود (من قريضة) فكتب لي (وكتب لي) جوامع من التوراة، قال: أفلا أعرضها عليك؟! (قال): فتغير وجه رسول الله (ص)، فقال عبدالله: مسح الله عقلك، ألا ترى ما بوجه رسول الله (ص)؟! فقال عمر: رضيت بالله رباً، وبلا سلام ديناً، وبمحمد رسولاً. قال فسرى عن النبي (ص)، ثم قال:

(والذى نفسى بيده لو أصبح فيكم موسى فأتبعتموه وتركتموني لظلمتم، إنكم حظي من الامم وأنا حظكم من النبيين). «١»

كما ظلت هذه العلاقة وهذا التائر باهل الكتاب يؤذيان الرسول (ص) حتى فى بيته، فقد روى (أن حفصة زوج النبي (ص) جاءت إلى النبي (ص) بكتاب من قصص يوسف فى كتف، فجعلت تقرأ عليه والنبي (ص) يتلون وجهه، فقال:

(والذى نفسى بيده لو أتاكم يوسف وأنا فيكم فأتبعتموه وتركتموني لظلمتم). «٢»

كما ظل بعض الصحابة حريصاً على هذه العلاقة الوطيدة باليهود والنصارى، يدخرها للاستفادة منها عندما تحل بالمسلمين هزيمة قاصمة أو حينما تبدو فى الافق ملامح ضعفهم وأقول القوة عنهم وإنكسار شوكتهم:

قال السدى:

لما أصيب النبي (ص) باءحد قال عثمان: لا لحقن بالشام، فإن لي به صديقاً من اليهود، فلا خذن منه أماناً، فإنى أخاف أن يدال علينا اليهود. وقال طلحة

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٤٢

بن عبيدالله: لا- خرجن إلى الشام، فإن لي به صديقاً من النصارى، فلا- خذن منه أماناً، فإنى أخاف أن يدال علينا النصارى. قال السدى: فإراد أحدهما أن يتهود، والآخر أن يتنصر (...). «١»

ويمكننا أن نتصور مراتب الطمع فى دخول المنافقين الاسلام إلى:

١- الطمع فى الوصول إلى الزعامة والحكم والسيطرة إشباعاً للنزعة السلطوية فى النفس، يقول العلامة الطباطبائي (ره):

(فكثيراً ما نجد فى المجتمعات رجالاً يتبعون كل داع ويتجمعون إلى كل ناعق ولا يعبءون بمخالفة القوى المخالفة القاهرة الطاحنة، ويعيشون على خطر مصرين على ذلك رجاء أن يوفقوا يوماً لا جراً مرامهم ويتحكّموا على الناس باستقلالهم يا داراً رحي المجتمع والعلو فى الارض (...). «٢»

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٤٣

وهذا النوع من المنافقين يحرص فى العادة على مصالح الاسلام ما وافقت مصالحه الخاصة المنشودة، يقول العلامة الطباطبائي (ره):

(... والاثر المترتب على هذا النوع من النفاق ليس هو تقليب الامور وترتب دوائر على الاسلام والمسلمين وإفساد المجتمع الدينى، بل تقويته بما أمكن وتفديته بالمال والجاه لتتنظم بذلك الامور وتتهيباً لاستفادته منها واستدرارها لنفع شخصه.

نعم، يمكر مثل هذا المنافق بالمخالفة والمضادة فيما إذا لاح من الدين مثلاً ما يخالف أمتية تقدمه وتسأطه، إرجاعاً للامر إلى سبيل ينتهى إلى غرضه الفاسد). «١»

إن التدبر الكافى فى تاريخ السيرة النبوية الشريفة خاصة وتاريخ صدر الاسلام عامّة يضع عدداً مهماً من مشاهير الصحابة فى قفص الاتهام بجرم الدخول فى الاسلام طمعاً لا إيماناً، ذلك لأن تحليل إشارات ودلالات وقائع وأحداث تلك الفترة يكشف بوضوح عن انطباق مواصفات (المنافق) على أولئك الصحابة!!

٢- الطمع فى الوصول إلى موقع معنوى فى قلوب الحكّام أو فى قلوب المسلمين من أجل (التخريب من الداخل)، ومصدق ذلك: الذين دسّهم أهل الكتاب فى الصفّ الاسلامى كمثل (كعب الاحبار) اليهودى، وكمثل (تميم الدارى) النصرانى.

٣- الطمع فى الوصول إلى أهداف وغايات أخرى أقل أهمية كالحصول على

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٤٤

مغانم أو تنمية مصالح وتوسعتها في ظلّ نماء مصالح الاسلام، أو انتصارا لعصبيّة أو حميّة، أو غير ذلك.

ومن مصاديق أهل هذا النوع من الطمع جميع (النفعتين) وهم كثير.

يضاف إلى ذلك أنّ بعض من دخل الاسلام مؤمنا في البدء قد يرتاب في دينه خلال طريق المعاناة نتيجة هزّات عظمى وصدمات كبرى أو شبهات مضلّة مثلاً كآءن يرتاب في نبوءة النبيّ (ص)، فيرتدّ عن دينه لكنّه يكتنم ارتداده طمعا أو خوفا فيكون منافقا مادام يستبطن ريئته وكفره.

وهذه الحالة ممكنة الوقوع في مكّة المكرّمة قبل الهجرة إلى المدينة، كما هي ممكنة الوقوع بعد الهجرة وقيام الدولة الاسلاميّة في المدينة المنورة وما حولها.

مما مرّ يتّضح بجلاء أنّ حركة النفاق لم تبدأ بدخول الرسول الاكرم (ص) المدينة المنورة، بل بدأت بدخول الصفّ الاسلامي منذ أوائل حياته في مكّة المكرّمة.

نعم، لم تتخذ حركة النفاق شكل الظاهرة الاجتماعية الخطيرة إلّا في المدينة المنورة بعد قيام الدولة الاسلاميّة.

هذا من حيث البدايه، أما من حيث النهاية فإنّ هذه النظرة المشهورة الخاطئة تدعى أنّ حركة النفاق استمرت إلى قرب وفاة النبيّ الاكرم (ص)!!

وهذه الدعوى أيضا لا يصدّقها التاءريخ الحقّ، ذلك لا ننا ينبغي أن نفرّق أوّلاً بين أمرين:

أحدهما: انقطاع الاخبار عن نشاط حركة المنافقين الظاهر في مواجهة الاسلام والمسلمين وعدم ظهور ما كان يظهر منهم من أعمال مضادّة وآثار معاكسة ومكائد ودسائس مشؤومة.

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٤٥

والاخر: هو انتهاء هذه الحركة بالفعل وانحلالها وزوالها من خريطة العمل السياسي والاجتماعي.

نعم، انقطع الخبر عن المنافقين وعن أعمالهم المضادّة بعد موت النبيّ (ص) مباشرة وانعقاد السقيفة وانتشار الخبر عن نتائجها، فلم يعد يظهر منهم ما كان يظهر قبل رحله النبيّ (ص)، واختفت هذه الحركة الهائلة عن ظاهر الحياة السياسيّة والاجتماعيّة فجاءة!!

هذه الحركة التي بلغت من القوّة والفعل يوما أن سحبت ثلث الجيش الاسلامي عن ساحة معركة أحد قبل نشوب الحرب، أي ثلاثمائة رجل من جيش مؤلّف من تسعمائة أو ألف «١»، ولها مواقف مشينّة مخزيّة كثيرة في مواقع أخرى، وما برحت دسائسها ومكائدها ومواقفها المضادّة ظاهرة بينة إلى أخريات أيام الرسول الاكرم (ص).

فما علّة اختفائها وانقطاع خبرها!!!؟

هناك احتمالات ثلاثة:

الاول: أنّ جميع أفرادها أو رموزها الفعالة أو أعضائها النشطين قد أبيدوا وقتلوا تقتيلا قبل رحله النبيّ (ص)، الامر الذي يعني أنّه قد تمّ القضاء على هذه الحركة قضاءً مبرما، أو أنّها قد شلت نتيجة ذلك شللا تاما.

وتأريخ السيرة النبويّة لا يصدّق هذا الاحتمال بل يرفضه رفضا تاما!

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٤٦

الثاني: أنّ المنافقين بعد رحله النبيّ (ص) مباشرة قد أخذتهم هزة مصيبة فقدته ورحلته (ص) ماء خذا عظيما، وتاءثروا لذلك تاءثرا بالغا، فتابوا إلى الله جميعا وأخلصوا الايمان عن آخرهم وحسن بذلك اسلامهم!

وهذا الاحتمال أيضا يرفضه تأريخ ما بعد موت النبيّ (ص) رفضا باتا.

الثالث: أنّ حركة النفاق نفسها تسلّمت زمام الامور بعد رحله النبيّ (ص)، اءو أنّها على الاقلّ كانت قد صالحت أولياء الحكومة بعد رحله النبيّ (ص) على ترك المضادّة والمشاغبة مصالحة سرّيّة قبل الرحلة أو بعدها بشرط أن يسمح لها تحقيق ما فيه أمّيتها، أو أنّ

حركة المسلمين وحركة النفاق بعد رحلة النبي (ص) وبعد السقيفة كانتا قد وقعتا في مجرى واحد واتجاه واحد وتصالحتا مصالحة عفوية بلا تكلف عقد وعهد، فارتفع التصاك والتراحم والمضادة والمعارضة بينهما!! ولا شك أن التدبر الكافي والتأمل العميق في حوادث آخر عهد النبي (ص) والفتن الواقعة بعد رحلته مباشرة يرشد حتما إلى أن ما وقع لا يخرج عن إطار محتويات الاحتمال الثالث، هذا إذا كان المتدبر والمتأمل في تلك الحوادث خارجا من سلطان القداسة الكاذبة التي ابتدعتها التضليل الاعلامي السياسي الاموي لمشاهير الصحابة بعد رحيلهم عن دار الدنيا.

فصائل حركة النفاق: ص : ٤٦

حزب السلطة: ص : ٤٦

يكفي هنا لا ثبات انتماء مجموعة من الصحابة إلى دائرة النفاق أن ثبت أنهم صدوا عن رسول الله (ص) صدودا في أمر قضى به، وذلك لقوله تعالى: (وإذا

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٤٧

قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا) «١» ويستمر انتماءهم إلى دائرة النفاق ما أصروا على ذلك الصدود ولم ينتهوا عنه.

والصد: الاعراض والامتناع والمنع «٢»

ذلك لأن الايمان لا يكون إلا بالطاعة المطلقة لرسول الله (ص) في كل ما جاء به وعدم التحرج مما قضى به والتسليم لا مره، وهذا من الحقائق القرآنية الكبيرة التي لا تحتاج في وضوحها إلى نافلة بيان.

فما بالك بمجموعة من الصحابة لم تعرض ممتنعة عن قبول الامر الالهي النازل على رسول الله (ص) فحسب، بل سعت في صدّها عن رسول الله (ص) لتمنع من تحقّقه وتحول دون تنفيذه!!؟

وما بالك إذا كان هذا الامر الالهي في أخطر وأهم قضية من قضايا الاسلام وهي قضية الولاية والخلافة!؟

كان قياديو هذا الحزب قبل الاسلام رجالا- مغمورين في قريش، لا يشار إليهم بالبنان عند شدة أو خطر أو شاءن ذى بال، وكانت تشكيلة المواقع القيادية في ترقية قريش قبل الاسلام متسالما عليها حيث يتسّم تلك المناصب رجال مرموقون من بطون محدّدة من قريش، وليس لرجال قيادته هذا الحزب أي حظ في ذلك لا- كما اختلق لهم الاعلام الاموي المضلل بعد ذلك من أهميّة موهومة وشائعية كاذبة حيث ادعى بقاء الله تعالى قد أعزّ دينه بإسلامهم!! بل كان أهمّ رجلين في قيادة هذا الحزب من (أقلّ حين) من قريش على حدّ تعبير أبي سفيان بن حرب رأس الحزب الاموي الذي دخل في

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٤٨

تحالف معهم بعد ذلك.

فقيادة هذا الحزب تعلم علما يقينا أن لا أمل لها في زعامته ورئاسته خارج إطار الحالة الاسلامية... وهي التي دخلت الاسلام ناظرة إلى مستقبله الذي سمعت عنه كثيرا من أهل الكتاب الذين توارثوا اخبار الملاحم والفتن أملا في أن تمتطي صهوة الحكم بعد رحلة رسول الله (ص).

إذن فمن مصلحة قيادة هذا الحزب في ظرفها الراهن أنذاك بقاء الاسلام بكلّ تشريعاته إلّا ما يتعلّق بموضوع الخلافة وشخص الخليفة بعد النبي (ص).

ومع أن قيادة هذا الحزب كانت تعيش مشكلة كبيرة فيما يواجهها من البيئات والهدى مما بينه الله تعالى في كتابه المجيد فيما يتعلق بالولاية والخلافة وشخص د الخليفة من بعد رسول الله (ص)، وأن الخلافة كالنبوة إختيار إلهي ليس للناس د إختيار فيه، لكن قيادة هذا الحزب كانت ترى مشكلتها الكبرى في مواجهة البيان النبوي في هذا الصدد ذلك لأن البيان النبوي هو الكاشف عن دلالة البيان القرآني، هذا أولاً.

وثانياً لأن البيان النبوي كان قد ركز منذ البدء على تعيين أشخاص الخلفاء من بعد رسول الله (ص) حتى قيام الساعة في مواصفات عامة وأخرى خاصة وحددهم بأسمائهم، كما ركز على شخص الخليفة الأول اميرالمؤمنين علي (ع) بما لا يقبل التاء ويل أو الإنكار. لقد أعلن البيان النبوي عن الولاية والخلافة في نفس الساعة التي أعلن فيها عن النبوة، وحدد في نفس تلك الساعة شخص الولي والخليفة بعد رسول الله (ص)، وذلك في حديث الدار يوم الانذار، ذلك الحديث المتواتر الذي رواه الفريقان، والذي قال فيه (ص) بعد أن أنذر عشيرته الاقربين مشيراً إلى

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٤٩

اميرالمؤمنين علي (ع):

«إن هذا أخي ووصي وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا.» (١)

ومنذ ذلك اليوم لم يرد عنه (ص) ما يلغى هذا التنصيب الالهي، بل تواتت البيانات النبوية في التأكيد على أن أئمة أهل البيت (ع) وأولهم علي (ع) هم خلفاء النبي (ص)، ومن أهم تلك البيانات المقدسة حديث الثقلين، وحديث السفينة، وباب حطّة، وحديث النجوم (٢) وحديث المنزلة، وبيان يوم الغدير، وآخرها الكتاب المانع من الضلال الذي أراد الرسول (ص) ان يكتبه للامّة قبيل رحلته. (٣)

هاهنا كانت المشكلة الكبرى التي عانت منها قيادة حزب السلطة.

ومن هنا كان لابد من المواجهة مع رسول الله (ص)!!

ولكن على أيّ صعيد تكون هذه المواجهة وهذا الصدود؟!

لا شك أنه لم يكن أمامهم في حياة الرسول (ص) إلا التشكيك بعصمة الرسول (ص) سرّاً وعلانية ما وسعت الفرصة والمجال، ومحاصرة البيانات النبوية عامة والمتعلقة منها بالولاية والخلافة خاصة.

لقد بث هذا الحزب في صفوف المسلمين مقولة:

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٥٠

(رسول الله بشر يتكلم في الرضا والغضب!!)

ولا يخفى على الواعي اللبيب أن مؤدّى هذه المقولة هو أنّ رسول الله (ص) قد يثنى على إنسان ما في الرضا فوق ما هو أهل له ويمنحه منزلة أكبر مما يستحق!! كما قد يذمّ انساناً ما في الغضب فوق ما هو أهل له!! فهو ينطق عن الهوى في الرضا والغضب لا عن وحى يوحى!! والعياذ بالله ومن الوثائق الكاشفة عن هذا البثّ التشكيكي ما رواه عبدالله بن عمرو بن العاص قال:

(كنت أكتب كلّ شى أسمعه من رسول الله (ص) أريد حفظه، فنهتنى قريش (!! وقالوا أكتب كل شى تسمعه؟! ورسول الله (ص) بشر يتكلم في الغضب والرضا!، فاءمسكت عن الكتاب، فذكرت ذلك لرسول الله (ص)، فاءوماء باءصبه إلى فيه فقال: أكتب، فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه إلا حق.) (١)

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٥١

كانت قيادة هذا الحزب ورأ هذا البثّ التشكيكي في الصد عن رسول الله (ص)، تلك القيادة التي ابتدعت شعار: (لا تكون النبوة والخلافة في بني هاشم) (١) (٢٢) وتحالفت تحت هذا الشعار مع العديد من خصوم الاسلام من بطون قريش الذين دخلوا في الاسلام

كارهين وأنوفهم راغمة.

والدليل على صدور هذا النهي وهذا البث التشكيكي عن قيادة هذا الحزب، وأن هذا الفعل من متبنياتهما، هو أن هذه القيادة بعد رحلة رسول الله (ص)

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٥٢

على امتداد عهودها الثلاثة كانت قد واصلت ضرب حصار حديدى لاتراخى فيه على البيانات النبوية، إذ كان أول ما فعله الخليفة الاوّل هو أنه جمع الاحاديث التي كتبها هو شخصيًا فاءحرقها، وقد روت ذلك ابنته عائشة «١»

ثم جمع الناس وقال لهم: (إنكم تحدّثون عن رسول الله (ص) أحاديث تختلفون فيها، والناس بعدكم أشدّ اختلافًا، فلاتحدّثوا عن رسول الله شيئًا (!!)، فمن ساءلكم فقولوا: بيننا وبينكم كتاب الله). «٢»

وكان من مشاريع الخليفة الثاني أن طلب من الناس أن ياءتوه بما عندهم من أحاديث النبي (ص)، فاءتوه بها، فاءمر يا حراقها كلّها «٣»، كما فرض الإقامة الجبرية على رواة الاحاديث النبوية في المدينة مادام حيا «٤»، ونهى جيوشه عن التحديث عن رسول الله (ص). «٥»

وأما الثالث فقد بادر إلى إصدار مرسوم منع فيه رواية أى حديث لم يسمع به في عهدى أبى بكر وعمر. «٦»

لقد كانت الغاية الحقيقية من كلّ ذلك النهى والمنع والصد هي إبطال فاعلية البيانات النبوية المتعلقة بالولاية والخلافة وشخص الخليفة بعد النبي (ص)، وبالموقع المميّز لاهل بيت النبوة في حياته (ص) وبعد وفاته، وكان لابدّ لقيادة هذا الحزب أن تستر على هذه الغاية الحقيقية بذرائع واهية كذريعة مخافة (الاختلاف بين الناس!!) وغيرها التي هي أوهن من بيت العنكبوت

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٥٣

عند محكّ الدليل والبرهان.

حتى إذا مرّت الايام بالدواهي العظام، وثبتت الوسادة لمعاوية بن أبى سفيان وارث قيادة هذا الحزب وامتدادها الطبيعي كشف بجرأة تامة عن الغاية الحقيقية لكلّ ذلك المنع والنهى والصد المتطاوّل حيث أصدر في السنة العجفاء التي أسموها بعام الجماعة مرسوما صريحا أعلن فيه أن:

(برئت الذمة ممّن روى شيئًا من فضل أبى تراب وأهل بيته). «١»

ولقد بلغت قيادة هذا الحزب ذروة الجرأة في الصد عن رسول الله (ص) حينما منعت البيان النبوي الاخير (المانع من الضلال والاختلاف) «٢» عن الصدور في جسارة على رسول الله (ص) ما بعدها جسارة، حيث اتهمته ب (الهجر) أى الهذيان ورفعت بوجهه علنا شعار (حسبنا كتاب الله)، وفوجىء الحاضرون من غير هذا الحزب وذهلوا لهول ما سمعوا!! وتنازعوا مع تيار الصد عن رسول الله (ص)، لكنّ زبانية هذا الحزب كانوا هم الاكثر في الظاهر، فتنادوا بقوة وتصميم وضجيج وقالوا ما قال عمر!! حتى حالوا بين رسول الله (ص) وبين أن يكتب ذلك البيان الاخير فكانت الرزية!! وما أعظمها من رزية؟! على حدّ تعبير ابن عباس. ويعترف الخليفة الثاني عمر بن الخطّاب في

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٥٤

محاورة مع عبد الله بن عباس باءنّ قول رسول الله (ص) عنده لا يثبت حجّة ولا يقطع عذرا، وأنّه (ص) في مرضه أراد أن يصرح في بيانه الاخير باسم اميرالمؤمنين عليّ (ع)، كما يقرّر الخليفة الثاني أنه الناطق الرسمي باسم قريش!! الحاكي عن مشاعرهما!! الممثل لها في الصد عن رسول الله (ص) صدودا. ورد كلّ هذا في أوّل خلافته وهو يحاور عبد الله بن عباس ويسأله عن عليّ (ع) ... قائلا:

(يا عبدالله، عليك دماء البدن إن كتمتها، هل بقى في نفسه شى من أمر الخلافة؟

قلت: نعم.

قال: أيزعم أن رسول الله (ص) نصّ عليه؟

قلت: نعم، وأزيدك، ساءلت أبي عمّا يدّعيه فقال صدق.

فقال عمر: لقد كان من رسول الله (ص) في أمره ذرو من قول لا يثبت حجّة ولا يقطع عذرا، ولقد يربع في أمره وقتا ما، ولقد أراد في مرضه أن يصرح باسمه، فمنعت من ذلك إشفافا وحيطه على الاسلام، لا- وربّ هذه البنية لا-تجتمع عليه فريش د ابداء، ولو وليها لانتقضت عليه العرب من أقطارها، فعلم رسول الله (ص) أنّي علمت ما في نفسه فامسك، وأبى الله إلّا إمضاء ما حتم). «١»
ولقد يعزّ ويشقّ كثيرا على بعض المؤرّخين والمفكرين الاسلاميين ممّن قد تحرّر من وهم القداسة الكاذبة التي اختلقها التضليل الامويّ لبعض

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٥٥

مشاهير الصحابة أن يدعن لحقيقه أنّ قيادة هذا الحزب كانت قد دخلت الاسلام طمعا في مستقبل الاسلام ورغبة في أن يكون لها نصيب في مواقع الحكم في حياة رسول الله (ص) وبعد وفاته، لا إيمانا بهذا الدين وحقائقه، فيميل إلى القول بقاء قيادة هذا الحزب قد دخلت في الاسلام مؤمنة به لكنّها لم تستطع الانعتاق والتحرر من (حبّ الشهرة والسيطرة والحكم) التي تحكمت في كثير من تصرّفاتنا، وهذا من (مرض القلب) الذي قد يعترى كثيرا من المؤمنين ولا يخرجهم عن دائرة الايمان.

ويدعم هذا المفكر رأيه بقاء القرآن الكريم قد جعل (المنافقين) و (الذين في قلوبهم مرض) في صفّ واحد في أكثر من خطاب قرآنيّ، «١» لكنّه مميّز بينهما في التعريف كما لا يخفى، إذ كلّ منافق في قلبه مرض، وليس كلّ من في قلبه مرض منافقا. «٢»
وهذا الرأي صحيح لو أنّ صحابيتا كان قد دخل الاسلام مؤمنا لكنّ مرضه القلبيّ مرتبط بشهوة أو أكثر من شهوات الدنيا كشهوة الحكم أو شهوة النساء أو الشهرة أو المال مثلا، في ذا تهتئات الفرصة السانحة لا شباع شهوته واغتمتها واستوفى لذّته منها، حرص بعد ذلك بسبب إيمانه أن يجرى أمر الاسلام على ما فرض الله ورسوله (ص)، أو أنّه على الأقلّ لا ياءبى بعد ذلك أن يجرى أمر الاسلام على المحجّة البيضاء التي أرادها الله ورسوله (ص).

أمّا أن يكون هذا الصحابي مع كلّ اعترافاته بآخا خطائه وجهله وقلة فقهه

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٥٦

مصرا إلى آخر لحظات حياته على أن يجرى أمر الاسلام في قضية الاستخلاف على ما تعاهدت عليه قيادة حزبه لا على ما أراد الله ورسوله، فهذا ممّن ليس (في قلبه مرض) فحسب، والعلة الاقوى إذن علة أخرى ليست هي من شهوات مرض د القلب التي قضى منها وطره، بل هي اعتقاد آخر مضمّر وخطّة مسبّقة مدروسة قامت على معصية الله ورسوله (ص) عمدا، وحرص هذا الصحابي على تنفيذها حتّى الممات!!

يحدّثنا ابن الاثير قائلا:

(إنّ أبا بكر أحضر عثمان بن عفّان خاليا ليكتب عهد عمر.

فقال له أكتب، (بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما عهد أبو بكر بن أبي قحافة إلى المسلمين. أمّا بعد:) ثمّ أغمى عليه.

فكتب عثمان: (أمّا بعد فإنّي قد استخلفت عليكم. عمر بن الخطّاب ولم آلكم خيرا).

ثمّ أفاق أبو بكر فقال: إقرأ عليّ.

فقرأ عليه، فكبر أبو بكر وقال: أراك خفت أن يختلف الناس إن متّ في غشيتي؟

قال: نعم.

قال: جزاك الله خيرا عن الاسلام وأهله!! «١»

سبحان الله!! أين كان هذا الحفاظ وهذه الخشية من الاختلاف يوم حالت قيادة هذا الحزب دون أن يكتب الرسول (ص) للامّة كتابه

الاحير المانع من

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٥٧

الضلال والاختلاف؟! وهل يصدق العقل أن رجال قيادة هذا الحزب أشد حرصاً وغيره على حال الأمة من رسول الله (ص)؟! وقد تمنى عمر بن الخطاب أن لو كان أبو عبيدة بن الجراح حياً لاستخلفه (١)، تذكره الحفاظ، وأبو عبيدة هذا ثالث ثلاثة في قيادة هذا الحزب، كما تمنى أن لو كان خالد بن الوليد الذي آزرهم بقوة في أيامهم الصعبة حياً لاستخلفه، (٢) وكذلك أن لو كان سالم مولى أبي حذيفة حياً لاستخلفه، (٣).

وكأنّ سالماً هذا كان رابع أربعة في تلك القيادة، ولا يخفى أن استخلاف سالم معارض لمبدأ هذا الحزب في أن الخلافة لا تكون إلّا في قريش، وهو المبدأ الذي رفعت به قيادة هذا الحزب في وجه الانصار في السقيفة!!، كما أن عمر تمنى أيضاً أن لو كان معاذ بن جبل حياً لاستخلفه (٤)، ومعاذ هذا من الانصار!!

ثم إن التأميل في حقائق الشورى التي خطط لها عمر بن الخطاب يهدى كما سوف يأتى بيانه إلى أن الخليفة الثاني قد عين عثمان تعييناً ضمن إخراج فتى خاص، هذا فضلاً عن تمهيدته للحكم الملكي الاموي يا طلاقه يد معاوية في الشام يفعل ما يحلو له وكما يشاء، فالخليفة الصارم في المدينة قد أغمض عينيه عمداً عن الشام لفتى قريش وكسرى العرب!!

مما مضى يتاء كد بما لا يقبل الشك أن هؤلاء الصحابة كانوا قد أصروا على الصدّ عن رسول الله (ص) الصدود الكبير فيما جاء به من الامر الالهى المتعلق

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٥٨

بالخلافة من بعد رسول الله (ص) وبشخص الخليفة المعين من قبل الله تبارك وتعالى، وواصلوا هذا الصدود حتى الممات. وحزب السلطة أشد فصائل حركة النفاق أثراً في حياة الاسلام والمسلمين، لأنه هو الذي شق مجرى الانحراف الرئيس الذي تفرّعت عنه جميع فروع الانحرافات الاخرى التي كانت ولم تزال حياة الاسلام والمسلمين تعاني منها أمر الولايات والنكبات، وقيادة هذا الحزب تتحمّل على ظهرها أوزارها وأوزار ما نتج ولا يزال ينتج عن يوم السقيفة إلى قيام الساعة.

مناقض أهل الكتاب: ص : ٥٨

إن لا- هل الكتاب مع الاسلام والنبى الاكرم محمّد (ص) قصية مؤسفة ينبغي لكل مؤمن ألا يغفل عن الاتعاظ بها في انتظاره الامام المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه.

كان أهل الكتاب بعد عهد المسيح عيسى بن مريم (ع) ينتظرون خروج خاتم الانبياء (ص) ويترقّبون حلول أوانه، ذلك لا نهم توارثوا البشارات بظهوره عن أنبيائهم وأوصياء أنبيائهم (ع)، وتوارثوا معرفة صفاته البدئية والمعنوية، فكانوا يعرفون أسماءه وألقابه وكناهه ويعرفون شخصه معرفة تفصيلية يقينية كما يعرفون أبناءهم.

وقد أكد القرآن الحكيم هذه الحقيقة في قوله تعالى: (الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم). (١)

كما كانوا يعرفون شخصيته في سيرته المعلومة عندهم مما توارثوه من الانباء

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٥٩

عنه في كتبهم ورواياتهم، فكانوا يعرفون ما ينبغي عنده من الفعل وما لا ينبغي، ويعرفون حتى سننه، في القعود والقيام، واليقظة والنام، والصمت والكلام، وسوى ذلك (الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل ...) (١) وكانوا يعرفون صفات من معه والامثال المضروبة في أحوالهم: (ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل ...) (٢)، بل كانوا يعرفون خصائص أوصيائه (ع) كما ورد ذلك

في روايات كثيرة.

وكانت جماهير من اليهود ينتظرون النبي الخاتم (ص) إنتظارا جادا مقرونا بكلّ مستلزماتة العمليّة، حتّى لقد حملهم هذا الانتظار الجاد على ترك ديارهم والهجرة إلى المنطقة التي سيهاجر إليها النبي المنتظر (ص) كما هو عندهم في الاخبار التي توارثوها جيلا بعد جيل، وعانوا من أجل ذلك الكثير، تقول الرواية: (كانت اليهود تجد في كتبها أنّ مهاجر محمّد (ص) ما بين غيرٍ واءحد، «٣» فخرجوا يطلبون الموضوع فمروا بجبل يسمّى حداد فقالوا:

حدادٌ واءحد سواء، فتفرّقوا عنده فنزل بعضهم بتيماء وبعضهم بفدك وبعضهم بخيبر، فاشتاق الذين بتيماء إلى بعض إخوانهم، فمرّ أعرابيٌّ من قيس فتكأروا منه، وقال لهم: أمر بكم ما بين غيرٍ واءحد. فقالوا: إذا مررت بهما فآذنا بهما، فلمّا توسّط بهم أرض المدينة قال لهم: ذاك غيرٌ وهذا أحد.

فنزلوا عن ظهر إبله، وقالوا قد أصبنا بغيتنا فلا حاجة لنا في إبلك فاذهب حيث شئت. وكتبوا إلى إخوانهم الذين بفدك وخيبر: أنا قد أصبنا الموضوع فهلّموا إلينا. فكتبوا إليهم: أنا قد استقرت بنا الدار واتخذنا الاموال مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٦٠

، وما أقربنا منكم، فإ ذا كان ذلك فما أسرعنا إليكم. فاتخذوا بأرض المدينة الاموال، فلمّا كثرت أموالهم بلغ تبعًا فغزاهم، فتحصّونا منه فحاصرهم، وكانوا يرقون لضعفاء أصحاب تبع فيلقون إليهم بالليل التمر والشعير، فبلغ ذلك تبعًا فرق لهم وآمنهم، فنزلوا إليه فقال لهم: إني قد استطبت بلادكم ولا أراني إلّا مقيما فيكم. فقالوا له: إنّه ليس ذاك لك، إنّه مهاجر نبيّ وليس ذلك لا حد حتّى يكون ذلك. فقال لهم: إني مخلف فيكم من أسرتي من إذا كان ذلك ساعده ونصره، فخلف حيين الاوس د والخزرج، فلمّا كثروا بها كانوا يتناولون أموال اليهود، وكانت اليهود تقول لهم: أما لو قد بعث محمّد ليخرجنكم من ديارنا وأموالنا، فلمّا بعث الله عزّ وجلّ محمّدا (ص) آمنت به الانصار وكفرت به اليهود، وهو قول الله عزّ وجلّ:

(وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلمّا جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين «١»). «٢» ترى لماذا كانت نتيجة هذا الانتظار الجاد نتيجة خاسرة!!؟

كانت نتيجة انتظار اليهود خاسرة لا نهم كانوا ينتظرون النبي الاكرم (ص) بشرط ألّا يساويهم مع غيرهم من الناس، وألّا يكون غيرهم الافضل عنده، وألّا ياءخذ منهم ما كانوا يتمتّعون به من مواقع اجتماعيّة ماديّة ومعنويّة، وألّا وألّا ... فهم كانوا ينتظرونه (بشرط لا). فلمّا وجدوا الناس عند رسول الله (ص) سواسية كآسنان المشط في الحقوق والواجبات، وأنّ أكرمكم عندالله أتقاكم ... نكسوا على رؤّ وسهم وانقلبوا على أعقابهم وآثروا إتباع أهوائهم وكفروا بما عرفوه من الحقّ ... فكانت الخسارة وما أعظمها من خسارة!

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٦١

ولو أنّهم انتظروه (لا- بشرط) يشترطونه عليه، بل بتسليم تامّ لا- مره وطاعة مطلقة وامتنال لكلّ ما يشترطه هو عليهم لكانت نتيجة انتظارهم هي الفوز المبين، وقد فاز المسلمون. «١»

ولمّا رفض اليهود بعد انتظارهم الجاد الطويل ان يسلمو لله ولرسوله (ص)، ويدخلوا في الاسلام بلا شرط كما دخل الناس، صاروا أشدّ الناس عداوة للذين آمنوا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحقّ، وانضمّوا في مناوئتهم الدعوة الجديدة إلى صفوف أعدائها، ولقد واثقوا النبيّ (ص) ثمّ نقضوا ميثاقهم غير مرّة، حتّى هزمهم الله وأخرجهم من ديارهم أذلاء خاسئين.

ولمّا قويت الدعوة المحمّديّة واشتدّ ساعدها، وتحطّمت أمامها كلّ قوّة تنازعها، لم ير من كانوا يقفون أمامها ويصدّون عن سبيلها إلّا أن يكيدوا لها من طريق الحيلة والخداع بعد أن عجزوا عن النيل منها بالقوّة والنزاع.

والمكر اليهوديّ أظهر من كلّ مكر آخر في أسلوب (التخريب من الداخل)،

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٦٢

ولليهود تاءريخهم الطويل الممتد إلى يومنا الحاضر في هذا المجال، ولعلنا لانجانب الصواب إذا قلنا إن اليهود لا تأريخ لهم يذكر في مجال التبليغ المباشر بديانتهم، بعكس ما لهم من تأريخ أسود معروف في مجال التخريب على الآخرين من الداخل، وشواهد ه ذه الحقيقة كثيرة مبثوثة في الحياة الانسانية منذ أيامهم الاولى وإلى يومنا هذا.

وقد حاكى النصارى في التخريب من الداخل منهج اليهود في ذلك، ونجحوا نجاحا كبيرا، وكان لهم تاءريخهم الخاص في هذا المجال أيضا، وكان ولم يزل تاءثيرهم بالغا وخطيرا في حياة المسلمين إلى اليوم.

ظل أهل الكتاب يرصدون تطوّر حركة الاسلام في عهد النبيّ (ص) وقلوبهم ياء كلها الحسد الشديد، ولم تكن هذه المراقبة مراقبة من كفّ يده عن التدخل والتاءثير في مجرى الاحداث، بل مراقبة من يتمنى الفرصة السانحة للتدخل من أجل حرف المسيرة الاسلامية عن المحجّة البيضاء.

ومع أنّهم كانوا يعتمدون كثيرا ويعولون بشكل كبير في تسريب تاءثيرهم على علاقاتهم القديمة الوطيدة بعناصر كثيرة دخلت الاسلام وصارت من الصحابة، إلّا أنّهم لم يكتفوا بذلك، بل أدخلوا في الاسلام عناصر (معلومة أسماؤهم) «١» من علمائهم المتمرسين في التخريب الفكرى والعلمى، ليشكّلوا فصيلا من فصائل حركة النفاق داخل المسيرة الاسلامية، وليقوم هذا الفصيل بتقديم إسناد قوى مؤثر لخطّ الانحراف، والصد عن رسول الله (ص)، لكنّ أبرز هذه العناصر المخزبة من اليهود كان (كعب الاحبار)، ومن النصارى

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٦٣

(تميم الدارى)، وجاء بعدهم من تلاميذهم آخرون شكّلوا شبكة خطيرة من مستشارى الخلفاء وكتّابهم وخدمهم وحواشيهم. ومثيّر للعجب أن يدخل كعب الاحبار الاسلام في زمن الخليفة الثانى عمر بن الخطاب خاصّة دون زمن النبيّ (ص) وزمن خلافة أبى بكر!!، مع أن أستاذه الذى كان يُدعى (أبا السمومل) قد أظهر إسلامه في زمن الخليفة الاول أبى بكر!! «١»

ولمّا ساءل العباس بن عبدالمطلب كعب الاحبار عن علّة تاءخر إسلامه إلى وقت عمر! اعتذر بقاء أباه أخفى عنه حقيقة صفة محمّد (ص) وأمّته في كتاب ختمه الالب وأمره ألبايفضّ الختم عنه، حتّى فتحه كعب في زمن الدولة العمرية فجاء مسلما!! «٢» هذا مع أنّ التاءريخ يقول إنّ كعبا هذا كان من أكبر علماء اليهود!!

بدأ كعب الاحبار حياته تحت عنوان الاسلام مقرّبا من الخليفة الثانى، ياءنس به ويستشيريه ويتاءثر بفكره، ويعود إليه في القضايا التى لاتروقه أجوبة العلماء من الصحابة فيها فيساءله عنها!!

فقد قيل إنّ الخليفة الثانى ساءل سلمان (ر) ذات مرّة قائلا: (أ ملكك أنا أم خليفة؟! فقال سلمان (ر) (إن أنت جيت من أرض المسلمين درهما أو أقلّ أو أكثر، ثمّ وضعته في غير حقّه فاءنت ملك غير خليفة). «٣»

وكاءنّ الخليفة الثانى لم يجد ما يحبّ في إجابة سلمان (ر) فساءل كعبا الذى يحسن صناعة الاجابات المحببة قائلا: (أنشدك بالله، أتجدنى خليفة أم ملكا؟ قال: (بل خليفة). فاستحلفه عمر، فقال: (خليفة والله من خير الخلفاء،

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٦٤

وزمانك خير الازمان!! «١»

وقد رافق كعب عمر بن الخطاب في زيارة القدس بعد فتحها، وفي بيت المقدس د لما أراد الخليفة الثانى أن يصلّى ساءل كعبا: (أين ترى أن أصلى؟!! «٢»

وحيما أراد بناء المسجد ساءله أيضا: (أين ترى أن نجعل المسجد؟!! «٣»

وساءله ذات مرّة: (أخبرنا عن فضائل رسول الله (ص) قبل مولده!! «٤»

وساءله في مرّة أخرى: (حدّثنى يا كعب عن جنّات عدن؟!! «٥»

وظلّ كعب بعد الخليفة الثانى مستشارا مقرّبا عند الخليفة الثالث عثمان، يتاءذى لا ذاه ويهيح لنصرته ...

فقد (روى أن عثمان قال يوماً: أيجوز للامام أن يأخذ من المال فإذا أيسر قضى؟

فقال كعب الاحبار: لا باءس بذلك!

فقال أبوذر (ر): يا ابن اليهوديين، أتعلّمنا ديننا؟

فقال عثمان: قد كثر أذاك لي وتولّعك باءصحابي، إلحق بالشام.

فأخرج (إليها). «٦»

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٦٥

وفي الوقت الذي واصل الخليفة الثاني ضرب الحصار الحديدي على الاحاديث النبوية ومنع انتشارها كان قد فتح الباب واسعا أمام منافقي أهل الكتاب ليدسوا في أذهان المسلمين ما ليس من عقائد الاسلام المحمدي الخالص، وذلك من خلال القصص، فراجت بين المسلمين بعض دفتان كتب اليهود والنصارى وكثير من مخترعات ومفتريات القصاصين أنفسهم مما يحرف الامة المسلمة عن دينها الحق.

ولقد (كان أول من قصّ تميم الداري، إستاءذن عمر بن الخطاب أن يقصّ على الناس قائما فاءذن له عمر!!) «١»

ثم عظمت الماءساء بدخول كعب ساحة القصص، وحتى بعد أن التحق كعب بمعاوية في الشام أمره معاوية بالقصص في الشام أيضا، ولكعب تلاميذ من سنخه ولهم تلاميذ كذلك في سلسلة تخريبيّة متواصلة.

لقد تعاطم تاءثير القصص في حياة المسلمين في الوقت الذي حيل بينهم وبين الاحاديث النبوية حتى أصبح القصص الصحيفه اليومية الوحيدة التي تؤثر في حياة المسلمين وتصبغ أذهانهم بالصبغة التي تريدها.

ولقد اعتنى الامويون عناية فائقة بالقصص كوسيلة إعلامية سياسية يرفعهم بها القصاصون في أعين الناس باختلاق فضائل مكذوبة لهم ولبعض مشاهير الصحابة ممن مهّد لهم السبيل بعد أن لم يكن لهم فضل يرفعهم على عهد النبي (ص).

وعلى هذا الدرب اخترعت الاحاديث الكثيرة، واختلطت الحقيقة بالخيال،

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٦٦

وتراكم كمّ هائل من الموهومات مما ابتدعه الوضاعون واخترعه القصاصون حتى صار على مرّ السنين جزءاً من التراث الديني الذي يتعيّد به كثير من المسلمين، وصار من الصعب المستصعب على كثير من المحققين أن يمتلكوا الجرأة على نقد ورفض الغث الكثير الذي دخل على هذا التراث رغم ما يقفون عليه من وثائق دامغة تثير الشك في الازهان أو تسلط الضوء على الحقائق المعاكسة.

ولا عجب إذا كان القصاصون في عهد بني أمية يذكرون عليا وولده (ع) بما يشينهم لا طفاء نورهم وكتف فضائلهم، ذلك لأنّ فصيل منافقي أهل الكتاب يرى أنّ غاية وجوده وعلمة تاءسيسه هي دعم خط الانحراف عن أهل البيت (ع)، وتكفي نظرة عابرة على سيرة أمثال كعب الاحبار، وتميم الداري، ووهب بن مته، ونافع بن سرجس مولى عبد الله بن عمر، وسرجون مستشار معاوية ويزيد، وأبي زيد مستشار الوليد بن عقبه، وغيرهم دليلا على منهج هذا الفصيل.

ومن طريف ما يذكر التاءريخ عن ابن عباس:

أنّ الخليفة الثاني عمر بن الخطاب كان قد تبرّم بالخلافة في آخر أيامه وخاف العجز وضجر من سياسة الرعية فكان لايزال يدعو الله باء يتوفاه!

فقال لكعب الاحبار (!) يوماً وأنا عنده: إنني قد أحببت أن أعهد إلى من يقوم بهذا الامر، وأظنّ وفاتي قد دنت، فما تقول في عليّ؟ أشر عليّ في رأيك، واذكر لي ما تجدونه عندكم فإنّكم تزعمون أنّ أمرنا هذا مسطور في كتبكم.

فقال: أمّا من طريق الرأي فإنّه لا يصلح، إنّه رجل متين الدين، لا يعرض على عورة، ولا يحلم عن زلّة، ولا يعمل باجتهد رأيه، وليس هذا من سياسة الرعية في شئ، وأمّا ما نجده في كتبنا فنجده لايلي الامر ولا ولده، وإن وليه كان هرج شديد.

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٦٧

قال: وكيف ذاك؟

قال: لا تَه أراق الدماء، ومن أراق الدماء لا يلي الملك، إن داود لما أراد أن يبني حيطان بيت المقدس أوحى الله إليه: إنك لا تبنيه لا تك أرتك الدماء، وإنما بينه سليمان.

فقال عمر: أليس بحق أراقها؟!

قال كعب: وداود بحق أراقها يا اميرالمؤمنين (...). «١»

يا للمضحك المبكى!! ... لقد أراد هذا المنافق الكبير أن يشين سيد الاوصياء (ع) فمدحه وهو لا يشعر، وكذب على داود (ع) غافلا عن أن الله تبارك وتعالى صرح بخلافته في قوله:

(يا داود إنا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحقّ (...). «٢»

بقي أن نقول: إن فصيل منافق أهل الكتاب كان يقوم بدوره في ظلّ الفصائل الاخرى من حركة النفاق، فقد عمل في ظلّ دور فصيل منافق أهل المدينة من الاوس والخزرج في عهد رسول الله (ص)، وعمل في ظلّ حزب السلطة طيلة عهده الثلاثه، وعمل في ظلّ الحزب الاموي، على امتداد أيامه الطويلة، كما عمل في ظلّ الحزب العباسي.

وشاهد هذه الحقيقة ظاهرة ومتعددة، فإن المتأمل في المؤامرة المعقدة المتعددة الاطراف لقتل الامام عليّ (ع) يجد أثر اليد اليهودية قويا فيها، وفي رواية أن اميرالمؤمنين عليا (ع) قال لولده الحسن (ع) بعد أن أصيب في محرابه:

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٦٨

(قتلني ابن اليهودية عبدالرحمن بن ملجم المرادي!) «١»

كما لا يخفى على مطلع دور (سرجون النصراني) مستشار معاوية ويزيد في السياسة الاموية وتدير أمورها، ودوره في التخطيط للقضاء على ثورة الامام الحسين (ع) أظهر من أن يخفى. وهذا المتوكل العباسي يكرب قبر الامام الحسين (ع) على يد (إبراهيم الديزج) اليهودي بمعونته جمع من اليهود ... «٢»

وتخفى هذا الفصل من فصائل حركة النفاق في ثياب كثير من الطواغيت والحكومات الظالمة التي تعاقبت على الامية الاسلامية المنكوبة في أكثر أقطارها حتى يومنا الحاضر، وكان وما يزال لليهود والنصارى أثرهم البالغ في المصائب التي حلت بامتنا الاسلامية، فقد كان هؤلاء أول من بادر إلى إشاعة المظاهر الاسلامية والمنكرات في مجتمعات المسلمين، وعلى أيديهم أولا تأسست وانتشرت الافكار والحزاب الاسلامية الكافرة في عالمنا الاسلامي كالحزاب الشيوعية والاشتراكية والقومية، كما كان هؤلاء أصل ومنشاء الحركات المتطرفة المحسوبة على العنوان الاسلامي، والتي كفرت المسلمين عامّة والشيعة منهم خاصّة.

منافقو أهل المدينة: ص : ٦٨

ويتشكّل هذا الفصل من منافق الاوس والخزرج الذين أبت قلوبهم قبول الاسلام لكنهم أظهروا إسلامهم خوفا من قوة الشوكة الاسلامية بعد أن أقبل جلاّ أهل المدينة من الاوس والخزرج على الاسلام ودخلوا فيه وأعلنوا عن استعدادهم التام للتضحية في سبيله، ورئيس هذا الفصل هو عبدالله بن ابيّ بن سلول العوفي

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٦٩

(كان قومه قد نظموا له الخرز ليتوجوه ثم يملكوه عليهم، فجاءهم الله تعالى برسوله (ص) وهم على ذلك، فلما انصرف قومه عنه إلى الاسلام ضغن، ورأى أنّ رسول الله (ص) قد استلبه ملكا، فلما رأى قومه قد اءبوا إلما الاسلام دخل فيه كارها مصرا على نفاق

وضغن). «١»

وقد تميّز هذا الرجل وفصيله بعلاية القول والعمل ضدّ الاسلام وضدّ الرسول (ص)، وكان اليهود عامّة ومنافقوا اليهود خاصّة يدعمون هذا الفصيل دعماً قوياً ويسندونه إسناداً مؤثراً والعكس صحيح أيضاً، فقد ألحّ عبد الله بن ابيّ على رسول الله (ص) في ان يحسن إلى يهود بنى قينقاع بعد انكسارهم أثر محاصرة الرسول (ص) لهم، إلى درجة أنّه كان قد أدخل يده في درع رسول الله (ص) ذات الفضول) ولم يرسله إلى أن أجابه الرسول (ص) إلى ذلك. «٢»

كما أن اليهود ومنافقيهم كانوا قد انضموا في تعبئة الرسول (ص) لموقعة اءحد إلى القوّة العسكريّة التي شكلها فصيل منافقي اءهل المدينة بقيادة عبد الله بن ابيّ، وقيل إن هذه القوّة كانت ثلث الجيش الاسلامي وتعدادها ثلاثمائة رجل، وكان عبد الله بن ابيّ قد رجع بهذه الكتيبة إلى المدينة قبل القتال تخذيلاً للمسلمين بدعوى (لنوعلم قتالا لا تبغناكم) «٣» وقيل إن النبيّ (ص) أمرهم بالانصراف لكفرهم وإن عددهم كان ستمائة رجل.

تقول الرواية:

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٧٠

ان النبيّ (ص) خرج يوم اءحد، حتّى إذا جاوز ثنية الوداع فإ ذا هو بكتيبة حسناء.

فقال: من هو لاء؟

قالوا: عبد الله بن ابيّ في ستمائة من مواليه من اليهود من بنى قينقاع.

فقال: وقد أسلموا؟

قالوا: لا، يا رسول الله.

قال: مروهم فليرجعوا، فإنّا لانستعين بالمشركين على المشركين). «١»

لقد دأب هذا الفصيل من حركة النفاق على تعويق تقدّم مسيرة الاسلام وتخذيل المسلمين وإيذاء الرسول (ص) والمكر به لقتله، وكانت غزوات الرسول (ص) وحروبه شاهده على كلّ ذلك، والمتتبع لا حدّات السيرة النبويّة لا يجد صعوبة في رؤية هذه الحقيقة الظاهرة، لكن أعمال ومكائد هذا الفصيل لم تثمر شيئاً للمنافقين سوى الخيبة والخزي طيلة السنوات العشر التي عاشها الرسول (ص) في المدينة.

ولقد عامل الرسول (ص) قائد هذا الفصيل وأتباعه وواجه أعمالهم ومكائدهم بما تقتضيه مصلحة الاسلام وحركة تقدّمه إلى الامام، فكان (ص) يصبر ويتحمّل ويصفح أو يغلظ ويعاقب حسب ظرف الاسلام ومقتضيات الحكمة الربانية التي لا تخطى.

وكانت لهذا الفصيل ولقائده عبد الله بن ابيّ علاقات حسنة خفيّة بفصائل النفاق الاخرى، وقد يكشف المتتبع هذه العلاقات في الربط بين دلالات

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٧١

بعض الروايات وقرأه ما ورأ السطور فيها، ففي موقعة اءحد مثلاً لما شاع بين الناس أن النبيّ (ص) قد قُتل قال بعض الذين استرلهم الشيطان ففرّوا يصعدون ولا يلوون على أحد: (ليت لنا رسولا إلى عبد الله بن ابيّ لياخذ لنا أماناً من أبي سفيان، يا قوم إن محمداً قد قتل فارجعوا إلى قومكم قبل أن ياءتوكم فيقتلوكم). «١»

وقال بعضهم: (لو كان نبياً ما قتل فارجعوا إلى دينكم الاوّل)، «٢»

وقال آخرون: (نلقى إلههم بايدينا فإ نهم قومنا وبنو عمنا). «٣»

قال صاحب كتاب السيرة الحليّة: (وهذا يدلّ على أن هذه الفرقة ليست من الانصار بل من المهاجرين). «٤»

ولا شك أن هذه المتون تشير إلى أن هناك علاقة غير ظاهرة بين منافقي قريش د هو لاء وبين عبد الله بن ابيّ بن سلول وبين ابي

سفيان راءس الكفر في مواجهة الاسلام والذي تحوّل بعد ذلك إلى رأس النفاق الامويّ (وكان كهفا للمنافقين) «٥» ولا- شك أنّ قيادة حزب السلطة كانت ممّن رقى صخرة الجبل فرارا، تثبت هذا أدلّة تاريخية خاصية، «٦» ويؤكّد ذلك أيضا أنّ من الثابت تاريخيا أنّ جميع المهاجرين سوى اميرالمؤمنين عليّ (ع) كانوا قد فرّوا عن رسول الله (ص) في اءحد، وفي الاثر اءن اءنس بن النضر قبل استشهاده في تلك المعركة استنهض الخليفة عمر بن الخطاب مع آخرين من

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٧٢

الغازين الذين ألقوا بايديهم، ودعاهم إلى الجهاد والشهادة فلم ينهضوا.

تقول الرواية:

(إنّتهى أنس بن النضر، عمّ أنس بن مالك، إلى عمر بن الخطاب وطلحة بن عبيدالله في رجال من المهاجرين والانصار وقد ألقوا بايديهم.

فقال: ما يجلسكم؟!)

قالوا: قتل رسول الله (ص).

قال: فماذا تصنعون بالحياة بعده؟! قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله (ص).

ثمّ استقبل القوم فقاتل حتّى قتل... «١»

والرواية مشعرة باءنهم لم ينهضوا معه!

إنّ الانقلاب على الاعقاب الناشى عن الارتياب بنبوّة النبيّ (ص) لم ينحصر وقوعه من بعض الصحابة في موقعة اءحد فقط، بل كان يتكرّر عند كلّ شدة أو انكسار وعند جريان الرياح بما لا تشتهي الامية، هذا الخليفة الثانى عمر بن الخطاب أيضا يحدّثنا عن تكرّر حالة الارتياب هذه عنده يوم الحديبية ولكن بصورة أشدّ إذ دعتة إلى التفكير بالتمرد على رسول الله (ص) والخروج عليه، فيقول:

(ارتبت ارتيابا لم أرتبه منذ أسلمت إلّا يومئذ، ولو وجدت ذلك اليوم شيعة تخرج عنهم رغبة عن القضية لخرجت!!). «٢»

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٧٣

ومن المضحك المبكى أنّ هذه المزايدات من هو لاء الصحابة كانت لا تظهر إلّا إذا ذهب الخوف وأمن الروع حيث تنشط اللسان الحداد، وكان رسول الله (ص) إذا ضاق ذرعا بمزايداتهم الكاذبة وأراد أن يسكتهم ذكرهم بجبنهم كما فعل يوم الحديبية إذ قال لهم:

(أنسيتم يوم اءحد إذ تصعدون ولا تلون على اءحد، واءنا اءدعوكم فى اءخراكم؟! اءنسيتم يوم الاحزاب إذ جاؤكم من فوقكم ومن

اءسفل منكم وإذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر؟! أنسيتم يوم كذا؟!... «١»)

الحزب الامويّ: ص: ٧٣

كان فتح مكة المكرمة منعظا من منعظات تاريخ الاسلام الرئيسة، فقد تحوّل المسلمون بعده من عصابة نائرة إلى قوّة مركزية قاهرة ودولة ظاهرة ظاهرة، وتحوّل المشركون بعده من تجمّع مركزى مؤثر فى الاحداث إلى شتات ضعيف فاشل.

وكان قد أدرك دهاء النفعيين من قريش هذه النتيجة قبل حصولها باءشهر، أمثال عمرو بن العاص وخالد بن الوليد فدخلوا فى الاسلام حين أيقنوا أنّه لا بدّ من الدخول فيه.

أما الامويون فقد أصرت غالبيتهم على المكابرة والعدا حتّى حلّت بساحتهم رايات الفتح الاسلامى، فكانوا من الطلقاء.

دخل الامويون الاسلام مقهورين بالفتح، وقلوبهم تتجرّع الاسلام ولا تكاد تسيغه، وحقيقته نفاقهم وإصرارهم على الكفر من حقائق

التاريخ التي لا يشك منصف في ثبوتها، وشواهد هذه الحقيقة أمنع في ظهورها من أن تخضع لتأويلات يتكلفها مجانبو الحقيقة وأعداء الحق.

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٧٤

هاهو أبوسفیان يدخل على عثمان حين صارت الخلافة إليه فيقول له:

(صارت إليك بعد تيم وعدى فاء درها كالكرة، وأجعل أوتادها بنى أمية، فإئما هو الملك ولا أدري ما جئته ولا نار). «١»

وهاهو معاوية يخلو به المغيرة بن شعبه فيقول له بعد أن استقامت الامور لمعاوية:

(إنك قد بلغت مناك يا أمير المؤمنين، فلو أظهرت عدلا وبسطت خيرا، فإنك قد كبرت، ولو نظرت إلى إخوتك من بنى هاشم

فوصلت أرحامهم، فوالله ما عندهم اليوم شى تخافه ...). «٢»

فيثور معاوية ويكشف عن كفره وجاهليته قائلا:

(هيهات، هيهات، ملك أخو تيم فعدل، وفعل ما فعل، فوالله ما عدا أن هلك فهلك ذكره، إلا أن يقول قائل أبوبكر، ثم ملك أخو

عدى فاجتهد وشمر عشر سنين، فوالله ما عدا أن هلك فهلك ذكره، إلا أن يقول قائل عمر، ثم ملك أخونا عثمان فملك رجل لم

يكن أحد في مثل نسبه، فعمل ما عمل (وعمل به)، فوالله ما عدا أن هلك فهلك ذكره، وذكر ما فعل به، وإن أخا هاشم يصرخ به في

كل يوم خمس مرات: أشهد أن محمدا رسول الله (ص)، فاءى عمل يبقى بعد هذا لا أم لك؟ والله إلا دفنا دفنا ...). «٣»

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٧٥

وهاهو يزيد يصرح بكفره وكفر آبائه ومعتبرا عن تشفيه بقتل سيد الشهداء (ع) فى تمثله بابيات ابن الزبيرى:

ليت أشياخى بيدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الاسل

لا هلوا واستهلوا فرحا ثم قالوا يا يزيد لا تشل

قد قتلنا القوم من ساداتهم وعدلناه بيدر فاعتدل

لعبت الهاشم بالملك فلا خير جاء ولا وحى نزل «١»

دخل الامويون الاسلام مقهورين بالفتح، وأعينهم تراقب مجرى حركة الاحداث لعل الامر بعد رسول الله (ص) ينحرف عن مساره

المرسوم فيرجع القهقرى، ويتجدد لهم الامل والرجاء فى أن يعود لهم سابق شاءنهم فى الجاهلية، فيمتطون سهوة الزعامة من جديد

ولكن ثبوتها الاسلامى، وقد عبر أبوسفیان عن هذا الرجاء فى محضر عثمان قائلا: (يا بنى أمية، تلقفوها تلقف الكرة، فوالذى يحلف به

أبوسفیان ما زلت أرجوها لكم ولتصيرن إلى صبيانكم وراثته)، «٢» وفى نص آخر: (يا معشر بنى أمية، إن الخلافة صارت فى تيم وعدى

حتى طمعت فيها، وقد صارت إليكم، فتلقفوها بينكم تلقف الكرة، فوالله ما من جئته ولا نار). «٣»

يقول عبدالله العلابى فى كتابه (الامام الحسين (ع):

(وفى قوله (ما زلت أرجوها لكم) ما يشعرننا بقاء الحزب الاموى كان موجودا من قبل، وكان يعمل تحت ستر الخفاء، ويحيك فى

الظلماء، وإلا فبأى

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٧٦

سبب كان يرجوها لهم؟ وليسوا بآهل سابقه فى الاسلام ولا أيدى لهم معروفة سوى المظاهرة ضد الله ورسوله). «١»

ولا شك أن التفاتة العلابى فى أن الحزب الاموى كان موجودا من قبل هى التفاتة فى محلها، لكن تساؤل له عن سبب رجاء أبى

سفيان فى أن تكون الخلافة لبنى أمية تساؤل فى غير محله، ذلك لأن اغتصاب الخلافة من أهلها المنصوص عليهم ودفعتهم عن

مقامهم وصيرورتها فى (أقل حين) من قريش على حد تعبير أبى سفيان نفسه هو الذى أطمع الامويين فيها، وقد صرح أبوسفیان بهذا

السبب (إن الخلافة صارت فى تيم وعدى حتى طمعت فيها)، وذلك لأن الامويين يرون أنفسهم أشرف عشيرة وأعز نفرا وأكثر علما

وخبرهٌ ودهاءٌ من الأوّل والثاني، فلماذا لا يطعمون بها وقد تهافت أمرها وتداني شاءنها!؟

دخل الامويون الاسلام ظاهرا بعقلية (الحزب)، وتحسّسوا في البدء من الفصائل الاخرى المماثلة التي تعمل في دائرة الصد عن رسول الله (ص) ليقوموا معها أو اصر التعاون في ظلال الهوية الاسلامية الساترة بعد ما كانوا قد تعاونوا معها وهم تحت راية الكفر السافرة. «٢» وقد يسّرت العلاقات القديمة سبل التعاون الجديدة بين الحزب الامويّ وفصائل النفاق الاخرى، وقد يصعب على المتتبع أن يعثر على دلائل كاشفة عن التعاون الجديد بين الامويين بعد الفتح وبين فصائل النفاق الاخرى الى وقت رحله النبي الاكرم (ص)، اللهم إنا بعض الاشارات الكاشفة عن حالة

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٧٧

نفسية مساعدة في اتجاه التعاون كمثل هذا الرواية التي رواها مسلم:

(أنّ أبا سفيان أتى على سلمان وصهيب وبلال في نفر

فقالوا: واللّه ما أخذت سيوف الله من عنق عدوّ الله ماء خذها!

فقال أبو بكر: أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم!؟

فأتى النبي (ص) فآخبره.

فقال: يا أبا بكر، لعلك أغضبتهم؟ لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك (...). «١»

لكن المتتبع لا يجد صعوبة تذكر في العثور على دلائل التعاون الجديد بعد أن استقرت نتائج السقيفة لصالح حركة النفاق، وهذه الدلائل كثيرة جدًا، ولا يقدح فيها الموقف المؤقت الذي وقفه أبو سفيان في طلبه من اميرالمؤمنين عليّ (ع) في أن يمدّ يده لبياعه، وفي تنكّره بادئ ذي بدء لنتائج السقيفة، فإنّ هذا الموقف أملتة على أبي سفيان أميته المكبوتة في أن يبطش بالاسلام البطشة الكبرى بعد رحله الرسول (ص) مباشرة من خلال إيقاع الاقتتال بين المسلمين على الخلافة وإسقاط الدولة الاسلامية وإعادة الناس إلى الجاهلية وإلى قريش بزعاماتها السابقة، ولم تخف تيه أبي سفيان في موقفه هذا على اميرالمؤمنين عليّ (ع) فنهره وأغلظ له قائلًا:

(والله إنك ما أردت بهذا إلّا الفتنة، وإنك والله طالما بغيت للاسلام شرا (...). «٢»

لقد كان الصحابة كلّهم أو جلّهم يعلمون أنّ بني أمية هم الشجرة الملعونة

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٧٨

في القرآن، ذلك ممّا علّمهم رسول الله (ص) وصرّح به، «١» وهذه المعلومة جزء من معلومات ملفّ الملاحم والفتن المقبلة التي كشف عنها الرسول (ص) كشفا تامًا للامية إقامة للحجة عليها في تشخيص المحجّة البيضاء ومعرفة خلفائه من بعده، يقول حذيفة بن اليمان (ر) (والله ما أدرى أنسى أصحابي أم تناسوا!؟ واللّه ما ترك رسول الله (ص) من قائد فتنة إلى أن تنقضي الدنيا يبلغ من معه ثلثمائة فصاعدا إلّا قد سمّاه لنا باسمه واسم أبيه واسم قبيلته). «٢»

إذن بقيادة حزب السلطة وهي من الصحابة كانت تعلم جيّدا من هم بنو أمية، ومن الأدلة على ذلك أيضا أنّ:

(الخليفة الثاني عمر لما ساءل كعب الاحبار اليهودي عمّا يجدونه في كتبهم في قضية (إلى من يفضى الامر؟) قال كعب الاحبار: نجده ينتقل بعد صاحب الشريعة والاثنين من أصحابه إلى أعدائه الذين حاربهم وحاربوه وحاربهم على الدين. فاسترجع عمر مرارا وقال: أسمع يا ابن عباس؟ أما والله لقد سمعت من رسول الله ما يشابه هذا، سمعته يقول: ليصعدن بنو أمية على منبري، لقد أريتهم في منامي ينزون عليه نزو القردة، وفيهم اءنزل: (وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلّا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن). «٣»

وقد روى الزبير بن بكار في الموفقيات ما يناسب هذا عن المغيرة بن شعبه، قال: قال لي عمر يوما: يا مغيرة هل أبصرت بهذه عينك العوراً منذ

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٧٩

أصبيت؟ قلت: لا. قال: أما والله ليعورن بنو أمية الاسلام كما عورت عينك هذه، ثم ليعميته حتى لا يدري أين يذهب ولا أين يجي (...). «١»

لكن قيادة حزب السلطة مع كل هذه الدراية كانت قد تعاونت مع الحزب الامويّ تعاوناً وثيقاً في إطار علاقته صميمية أساسها الصد عن رسول الله (ص).

وملفتٌ للانتباه (أن أكثرية الامراء والولاة كانوا من بنى أمية في أزمان أبي بكر وعمر وعثمان)، «٢» في الوقت الذي منعت قيادة حزب السلطة الهاشميين منعاً باتاً من تسلّم أيّ مسؤوٍةٍ من إمارة أو ولاية أو دون ذلك، ويعلّل عمر لابن عباس د هذا الموقف المتشدّد في منع الهاشميين من ذلك بقاء الهاشميين إذا ما تولّوا منصباً في إدارة شؤون الامية دعوا الناس إلى الالتفاف حول أهل الخلافة الحقيقيين من بنى هاشم وبصروا الناس بأهل الصد عن رسول الله (ص)، وهذا ما لا يمكن أن تسمح به قيادة حزب السلطة أبداً. يقول عمر مخاطباً ابن عباس في هذه المسألة:

(يا ابن عباس، إنّ عامل حمص هلك، وكان من أهل الخير، وأهل الخير قليل، وقد رجوت أن تكون منهم، وفي نفسي منك شئ لم أراه منك، وأعياني ذلك، فما رأيك في العمل؟ قال: لن أعمل حتى تخبرني بالذي في نفسك.

قال: وما تريد إلى ذلك؟

قال: أريده فإن كان شئ أخاف منه إلى نفسي خشيت منه عليها الذي

مع الراكب الحسيني (ج ١)، ص: ٨٠

خشيت، وإن كنت بريئاً من مثله علمت أنّي لست من أهله، فقبلت عملك هنالك، فأني قلما رأيتك طلبت شيئاً إلا عاجلته.

فقال: يا ابن عباس، إنّني خشيت أن يأتني عليّ الذي هو آت وأنت في عملك فتقول: هلمّ إلينا، ولا هلمّ إليكم دون غيركم (...). «١» فالخليفة الثاني إذن لا يأتني فقط أن تعود الخلافة إلى أهلها المنصوص عليهم من قبل الله تبارك وتعالى، بل يأتني حتى أن يتمكن الهاشميون من الدعوة إلى أنفسهم ولو بعد موته. هذا في الوقت الذي سعى حزب السلطة منذ أوائل أيام تسلّمهم الحكم إلى تمهيد الامور للحزب الامويّ ليتسلّم زمام الامور بعد قيادة حزب السلطة، لأن هذه القيادة رأت في الامويين امتدادها الفكري والعملية، والضمانة الاكيدة في استمرار وجود قوّة حاقدة على أهل البيت (ع)، تواصل مواجعتهم وعزلهم وحرمانهم من حقهم في التصدي لا مور المسلمين.

فبعد أن استقرت نتيجة السقيفة لحزب السلطة، كانت ظاهرة استمالة هذا الحزب للا مويين على صعيد التعاون الجديد معهم في المواجهة السافرة مع أهل البيت (ع) من الظواهر الواضحة في تاريخ المسلمين بعد الرسول (ص).

وتكفي دليلاً على هذه الحقيقة العلاقة الخاصة جداً بين الخليفة الثاني عمر بن الخطاب ومعاوية بن أبي سفيان الطليق الذي لعنه الرسول (ص) مراراً على رؤوس الشهداء، وأمر المسلمين بقتله إذا رأوه على منبره. «٢»

كانت للخليفة الثاني خلوات بمعاوية منذ أوائل الايام ...

يحدّثنا التاريخ بواقعة من وقائع طفولة الامام الحسين (ع) في أوائل ايام

مع الراكب الحسيني (ج ١)، ص: ٨١

حكم عمر بن الخطاب عن لسان الامام الحسين (ع) أنه قال:

(صعدت إلى عمر بن الخطاب، فقلت له: إنزل عن منبر أبي واصعد منبر أبيك! قال: فقال: إن أبي لم يكن له منبر. قال فاقعدني معه، فلما نزل ذهب بي إلى منزله، فقال لي: أي بنّي، من علمك هذا؟ قال: قلت: ما علمنيه أحد! قال: أي بنّي لو جعلت تاء تينا وتغشانا؟ قال: فجت يوماً وهو خال بمعاوية!! وابن عمر بالباب ولم ياذن له، فرجعت، فلقيني بعد فقال لي: يا بنّي لم أرك تاء تينا؟ فقلت: قد جئت

وأنت خال بمعاوية، فرأيت ابن عمر رجح فرجعت.

فقال: أنت أحقّ بالاذن من عبدالله بن عمر، إنّما أنبت في رؤوسنا ما نرى الله ثمّ أنتم!! (...). «١»

وذكر معاوية عند عمر فقال:

(دعوا فتى قريش وابن سيدها!! إنه لمن يضحك في الغضب ولا ينال منه إلا على الرضا، ومن لا ياءخذ من فوق رأسه إلا من تحت قدميه). «٢»

يقول هذا فيمن لعنه رسول الله (ص) ولعن أباه ولعن ابنه!

وكان معاوية يتذلل لعمر ويتملقه، وإذا جاوز رضاه في قضية من القضايا خاطبه بلسان المتذلل الخاضع:

(يا أمير المؤمنين، علمنى أمثلى). «٣»

معالركب الحسينى (ج ١)، ص: ٨٢

ومعاوية في ذلك إنّما يمثّل الدور الذى رسمه له أبوه أبو سفيان منظر الحزب الاموى حين أوصاه قائلاً:

(يا بُنىّ إن هؤلاء الرهط من المهاجرين سبقونا وتآخرونا... فصاروا قادة وسادة، وصرنا أتباعاً، وقد ولوك جسيماً من أمورهم فلاتخالفهم، فإنك تجرى إلى أمد فنافس فإن بلغته أورثته عقبك). «١»

والامويون لا يترددون في الاعتراف بآئتهم امتداد لحزب السلطنة، بل هم يحتاجون من ينكر عليهم قبائحهم ممن هم من نسل أبى بكر أو عمر بآئ الاوليين إن كانا قد أحسنا فإننا احتدنا بهما! وإن كانا قد أساء فهمنا أولى بالذم والمعابة!

يقول معاوية في رسالة جوابية بعث بها إلى محمد بن أبى بكر (ر):

(... وقد كنّا وأبوكم معنا في حياة نبيّنا صلى الله عليه، نرى حقّ ابن أبى طالب لازماً لنا، وفضله مبرّزاً علينا، فلما اختار الله لنبيّنا صلى الله عليه وسلّم ما عنده، وأتم له ما وعده، وأظهر دعوته وأفلج حجّته، قبضه الله إليه، فكان أبوكم وفاروقه أوّل من ابتزّه وخالفه، على ذلك اتّفقا وأتسقا... فخذ حذرَكَ يا ابن أبى بكر، فسترى وبال أمرَكَ، وقسّ شبرَكَ بفترك، تقصر عن أن تساوى أو توازى من يزن الجبال حلمه، ولا تليّن على قسر قناته، ولا يدرك ذومدى أناته، أبوكم مهّده مهاده، وبنى ملكه وشاده، فإن يكن ما نحن فيه صواباً فآبوكم أوّل، وإن يك جوراً فآبوكم أسدسه، ونحن شركاؤه، وبهديه أخذنا، وبفعله اقتدنا، ولولا ما سبقنا إليه أبوكم ماخالفنا ابن أبى طالب وأسلمنا له، ولكننا رأينا أباك فعل ذلك فاحتدنا بمثاله، واقتدنا بفعله، فعب أباك ما بدا لك أودع...). «٢»

معالركب الحسينى (ج ١)، ص: ٨٣

ولما قتل الحسين (ع) كتب عبدالله بن عمر إلى يزيد بن معاوية:

(أمّا بعد، فقد عظمت الرزية وجلّت المصيبة، وحدث في الاسلام حدث عظيم، ولا يوم كيوم قتل الحسين!)

فكتب إليه يزيد:

(أمّا بعد يا أحمق، فإننا جننا إلى بيوت مجدّدة وفرش ممّهدة ووسادة منضّدة، فقاتلنا عنها، فإن يكن الحقّ لنا فحقنا قاتلنا، وإن كان الحقّ لغيرنا فآبوكم أوّل من سنّ هذا واستاءثر بالحقّ على أهله!). «١»

أمّا علاقة الحزب الاموى بفصيل منافقى أهل المدينة فيمكن أن نتحدّس دجذورها في موقعة أحد لما تمّنى الفارون من أصحاب صخرة الجبل وفيهم قيادة حزب السلطنة طبعاً أن يجدوا رسولا إلى عبدالله بن أبى بن سلول ليتوسّط لهم عند أبى سفيان فى العفو عنهم، الامر الذى يكشف عن العلاقة الخاصة بين ابن سلول وأبى سفيان آنذاك.

وأمّا علاقة الحزب الاموى بفصيل منافقى أهل الكتاب فاءوضح من أن تحتاج إلى بيان، وذلك لأن بطانة السوء التى اتّخذها الامويون من منافقى اليهود والنصارى من ظواهر التاءريخ الاموى التى لاتخفى على من له أدنى معرفة بهذا التاءريخ، ويكفى ذكر هذه الاسماء: كعب الاحبار، نافع بن سرجس، سرجون، ابن أثال، أبوزبيد، دليلا على ذلك.

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٨٤

ويفوق الحزب الاموي كل فصائل حركة النفاق في مستوى الاضرار الشديدة التي ألحقها بالا سلام والمسلمين، فكثيرا وعمليا، كما وكيفا، تلك الاضرار التي لازال العدد الكبير من المسلمين إلى اليوم تحت تاءثير عواقبها التي اءلصقت بالا سلام وهي ليست منه، بل هي مما ابتدعه الامويون على صعيد الحديث والفقه والتفسير والتاريخ. ومع هذا فإن الحزب الاموي يبقى فيما استطاع أن يصل إليه من التحكم في رقاب هذه الامّة وتشويه نظريتها وتاريخها وتدمير حياتها ناتجا من نواتج حزب السلطة وسيئته من سيئاته إلى يوم القيامة.

منافقون نفعيون: ص : ٨٤

بقي أن نقول: إن في دائرة النفاق أفرادا لم يشكّل وجودهم فصيلا ذا خطّ محدد ملتزم، بل كانت مطامعهم الدنيوية ترسم اتجاه مواقفهم المتذبذبة في السخط والرضا، أمثال: عمرو بن العاص، وخالد بن الوليد، والمغيرة بن شعبه، وأبي موسى الأشعري، وسمره بن جندب، وأبي هريرة وغيرهم. والدنيا التي يريدها هؤلاء ويطمعون بها لا يجدونها في صفّ عليّ وآل عليّ (ع)، من هنا فإن هؤلاء عموما لم يخرجوا طيلة حياتهم عن خطّ خدمة حزب السلطة أو الحزب الاموي، ولذا لم نفضل القول في قرأه مواقف هؤلاء النفعيين في هذه المقالة.

المنعطفات الاساسية ونتائجها: ص : ٨٤

السقيفة: ص : ٨٤

يهّمنا من السقيفة هنا نتائجها، غير أن من الجدير بالذكر أن نتبه قبل ذلك إلى أن هناك دلائل تاءريخية تشير إلى أن مؤ تمر السقيفة لم يكن قد انعقد

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٨٥

انعقادا عفويا كما تصوّر ذلك أكثر كتب التاءريخ، بل تشير هذه الدلائل إلى أن حزب السلطة نفسه كان قد خطّ لعقد مؤ تمر كهذا تخطيطا دقيقا بطريقة (التحفيز والاثارة)، وقد أعدت قيادة هذا الحزب ما يمكنها لتكون هي الفائزة فيه. ومن الدلائل على ذلك: (كان عامية المهاجرين وجلّ الانصار لا يشكّون أنّ عليا هو صاحب الامر بعد رسول الله (ص)، «١») وذلك لقرب عهدهم بواقعة الغدير وبيان النبيّ (ص) فيها، الذي نصب فيه عليا وليا للامر من بعده، والبيانات النبوية الاخرى الكثيرة المماثلة التي كانت لاتزال حيّة في ذاكرة المهاجرين والانصار خاصية والامة عامّة، لكنّ إنتشار بناء مواجهة قيادة حزب السلطة لرسول الله (ص) علنا في مرضه قبيل موته، وصدّه عن كتابة بيانه الاخير المانع من الضلال والاختلاف، وأتهامه بالهجر، كان قد أشعر الناس عمليا بآءن هناك احتمالا قويا لوقوع انقلاب على الشرعية الالهية سوف ينفض مباشرة بعد موت رسول الله (ص)، وأنّ قريشا سوف تمنع أهل البيت (ع) عن حقّهم في الامر، فكان هذا أولّ الحوافز التي دفعت الانصار للتفكير بكيفية مواجهة الحالة الجديدة.

كان حزب السلطة قد اخترق الانصار فضّم إليه جماعة منهم، وجعل من بعضهم جواسيس وعيونا له ترصد اتجاه تفكير الانصار ورأيهم وطريقه تحرّكهم ومواقفتها، الامر الذي ساعد حزب السلطة كثيرا في بثّ المحفّزات المطلوبة لتحريك عقليته الانصار بالا تجاه الذي يريده.

فأَسَيْد بن حَضِير الذي تحدّث عنه وسائل إعلام حزب السلطنة على أَنه سَيّد الاوس، كان من أعوان قيادة هذا الحزب المقربين، وقد تفانى في خدمتهم، وكان ممّن اشترك مع عمر في مهمّة إحراق بيت فاطمة (س)

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٨٦

وإخراج عليّ (ع) كرها من بيته للبيعة بالقوة.

ومعاذ بن جبل الذي كان عضوا كبيرا من اعضاء حزب السلطنة وشريكا لقيادة هذا الحزب في التوقيع على الصحيفة السريّة التي أبرموا أمرها في مكّة، وتعاهدوا فيها على عزل عليّ (ع) عن الخلافة إذا مات النبيّ (ص).

وبشير بن سعد الخزرجي، الذي كان يبغض عليّا (ع) فتعاون مع حزب السلطنة، وحسد سعد بن عبادَة ونفس عليه منزلته في الانصار فكان أوّل من بادر من الانصار فبايع أبابكر في السقيفة.

وعويم بن ساعدة الذي آخى الرسول (ص) بينه وبين عمر في المؤاخاة بن المهاجرين والانصار، كان هو ومعن بن عدّيّ الانصاري من جواسيس وعيون قيادة حزب السلطنة لمراقبة الانصار ورصد تحركاتهم، وهما اللذان أفسدا على سعد بن عبادَة أمره في السقيفة وأشاعا الوهن في نفوس الانصار حين خاطبهم عويم قائلا: (يا معشر الخزرج إن كان ه ذا الامر فيكم دون قريش فعرفونا ذلك وبرهنوا حتّى نبايعكم عليه، وإن كان لهم دونكم فسلموا إليهم ...)، «١» وهما اللذان أسرعوا إلى أبي بكر وعمر بخبر انعقاد السقيفة ليحضرها ومن معهما في الوقت المحدد (وكان معن بن عدّيّ يشخصهما إشخاصا ويسوقهما سوقا عنيفا إلى السقيفة مبادرة إلى الامر قبل فواته). «٢»

باء مثال هوّ لاء من الانصار استطاعت قيادة حزب السلطنة أن تدبّر تنفيذ خطتها جيّدا لتوقع الانصار في فخّ مصيدتها. «٣»

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٨٧

: (توفّي رسول الله (ص) وأبوبكر بالسنح وعمر حاضر)، «١» وقد صدر نباء موته (ص) عن بيته، فلو كان ثمة احتمال أن يصدر عن بيته الشريف مثل هذا النباء كذبا أو خطأ!! فإنّ يا مكان عمر أن يتيقّن من موته (ص) كما فعل أبوبكر حينما جاء من السنح حيث كشف عن وجه رسول الله (ص) فتيقّن، وبهذا يكون عمر قد قطع الشك باليقين كما يفعل أيّ عاقل في مثل هذا الحال، لكنّ عمر وهو ينتظر مجيء أبي بكر على أحزّ من الجمر ظلّ يذهل الناس عن أيّ تفكير أو تحرك وهو يزيد ويرعد قائلا:

(إنّ رجالا- من المنافقين!! يزعمون أنّ رسول الله (ص) توفّي، وإنّ رسول الله والله ما مات ولكنّه ذهب إلى ربّه كما ذهب موسى بن عمران فغاب عن قومه أربعين ليلة ثمّ رجع بعد أن قيل قد مات، والله ليرجعنّ رسول الله فليقطعنّ أيدي رجال وأرجلهم يزعمون أنّ رسول الله مات). «٢»

فلما جاء أبوبكر وأسكته بالاية القرآنيّة: (وما محمّد إلّا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ...) «٣» توقّف عمر عن أداء ذلك الدور واندفع يؤدّي دورا آخر فقال:

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٨٨

(أيّها الناس، هذا أبوبكر وذو شبيبة المسلمين فبايعوه) «١»

مُطلقا بذلك إشارة البدء بتنفيذ الخطّة عمليا في الانقلاب على الشرعيّة الالهية، وذلك قبل السقيفة، فعندها تيقّن الانصار من وقوع الانقلاب، وتسارعوا متحفزين يجمعون شملهم لمواجهة الحالة الطارئة، فحملوا سعد بن عبادَة مريضا إلى السقيفة واجتمعوا فيها.

كانت قيادة حزب السلطنة قد استقدمت أعدادا كبيرة من مرتزقة الاعراب بعد الاتفاق معهم على أن يحضروا المدينة حيث ينعقد المؤتمر وفي وقت محدّد، ليكثر بهم سواد حزب السلطنة في مؤتمر الاغتصاب، وليضعف با زائهم صوت الانصار، تقول المصادر: (إنّ أسلم أقبلت بجماعتها حتّى تضايق بهم السكك) «٢» و (جاءت أسلم فبايعت، فقوى أبوبكر بهم، وبايع الناس د بعدد)، «٣» وتعليق عمر على أثر حضور هذه القبيلة دليل على استفدامها من قبل حزب السلطنة، كان يقول: (ما هو إلّا أن رأيت أسلم فاءيقنت بالنصر). «٤»

كان هذا سببا كبيرا من أسباب انكسار الانصار وانتصار حزب السلطة في سقيفة بني ساعدة، حيث ضعف صوت الانصار إلى درجة أن لم تنفعهم حتى مناداتهم أو آخر الامر: (لأنبايع إلّا عليا!!) «٥»

كان الهمّ الأكبر لحزب السلطة في خطّة الاغتصاب هو أن ينحصر النزاع مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٨٩

والتخاصم في مؤ تمر السقيفة بين الانصار بما لهم من فضل وبين المهاجرين بما لهم من فضل، بمعزل عن ذكر (الوصي الشرعي) وذكر فضائله، ذلك لأن قيادة حزب السلطة إذا ضمنت إخراج عليّ (ع) من دائرة النزاع والتخاصم على الخلافة، واطمأنت إلى عدم ذكره في أي احتجاج، فإنّها وهي تتحدّث باسم المهاجرين تكون قد أحرزت الفوز حتما لأن حية المهاجرين هي الأقوى في حال عزل أهل البيت (ع) عن دائرة الاحتجاج (إذ هم الثمرة إذا احتج بالشجرة!).

لكن ماذا تصنع قيادة هذا الحزب والامة قريية عهد بواقعة الغدير التي شهدها جلّ الصحابة وسمع بها القاصي والداني؟! حيث نصب فيها رسول الله (ص) عليا (ع) ولينا لئلا مر بعده، في بيان نبويّ رواه من الصحابة في التاريخ المدون فقط مائة وعشرة، «١» وكيف ستواجه قيادة حزب السلطة من يعترض عليها بحديث الغدير وبيعتته؟! فضلا عن البيانات النبوية الاخرى الكثيرة المتعلقة بولاية عليّ (ع) وخلافته؟!

ليس يا مكان أحد من الصحابة عامّة والمهاجرين والانصار خاصّة أن ينكر واقعة الغدير آنذاك، ولذا لم يكن أمام قيادة حزب السلطة في مواجهة هذه المشكلة إلّا أن تدعى أن النبيّ (ص) قد نسخ بيان الغدير والبيانات النبوية الاخرى المتعلقة بخلافه عليّ (ع)، وتدعى على لسان النبيّ (ص) أن الله سبحانه منع اجتماع النبوة والخلافة لأهل البيت (ع)، والقضية لا تحتاج إلّا إلى مدعو شهود!!

وهكذا كان، فقيادة حزب السلطة إضافة إلى مواصلتها لعمليته تحفيز الانصار باتجاه منازعة المهاجرين على الامارة لا أنفسهم بعيدا عن التوجّه الى (الوصي الشرعي) كانت تردّ على كلّ معترض عليها بواقعة الغدير أن الامر قد

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٩٠

نسخ، والامر يحدث بعده الامر!! ويبدو أن قيادة حزب السلطة لم تكن تردّ بهذا فقط، بل كانت تبادر الى إشاعة دعوى النسخ هذه في صفوف الانصار بواسطة عملائها منهم، ولا يبعد أنّها روجت هذا الادعاء قبيل وفاة النبيّ (ص) بقليل أو بعد وفاته مباشرة لخلق حالة ذهنية ونفسية عامّة تتقبل إنحصار النزاع بين الانصار والمهاجرين بعيدا عن عليّ (ع).

وهكذا كان فقد نجحت قيادة حزب السلطة في استغلال كثير من جماهير الانصار وأوقعتهم في فخّ مصيدها، فلما انقضت (الفلتة) إنتبهوا من غفلتهم أو آخر الامر (فقال الانصار أو بعض الانصار لأنبايع إلّا عليا)، «١» ويقول التاريخ أيضا إنّه:

(لَمَّا بَوَّعَ أَبُو بَكْرٍ وَأَسْتَقْرَأَ أَمْرَهُ نَدِمَ قَوْمٌ كَثِيرٌ مِنَ الْإِنصَارِ عَلَى بَيْعَتِهِ، وَلَامَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَذَكَرُوا عَلِيًّا بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَهَتَفُوا بِاسْمِهِ ...)

«٢»

ولات حين فائدة!!

ومن الدلائل على أن قيادة حزب السلطة لجاءت إلى دعوى النسخ في مواجهة من يعترض عليها بواقعة الغدير، ما رواه التاريخ أن بريدة الاسلمي قال لعمر: (يا عمر، أستمنا الذين قال لكما رسول الله (ص): انطلقا إلى عليّ فسلمّا عليه يا مرة المؤمن. فقلتما: أعن أمر الله وأمر رسوله!؟

فقال: نعم.؟

فقال أبو بكر: قد كان ذلك يا بريدة، ولكنك غبت وشهدنا، والامر يحدث بعده الامر! (...). «٣»

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٩١

ولمّا حاجّهم أمير المؤمنين عليّ (ع) في المسجد حينما أحضروه كرها وقهرا للبيعة فخطبهم قائلا:

(يا معشر المسلمين والمهاجرين والانصار، ائندكم الله اء سمعتم رسول الله (ص) يقول يوم غدير خم كذا وكذا، فلم يدع (ع) شيئاً قاله فيه رسول الله (ص) علانية للعامة إلا ذكرهم إياه.
قالوا: نعم.

فلمّا تخوّف أبو بكر أن ينصره الناس وأن يمنعوه بادرهم فقال: كلّمنا حقّ، قد سمعناه بآذاننا ووعته قلوبنا، ولكن قد سمعنا رسول الله يقول بعد هذا:

إنّا أهل بيت اصطفانا الله وأكرمنا واختار لنا الآخرة على الدنيا، وإنّ الله لم يكن ليجمع لنا أهل البيت النبوة والخلافة.

فقال علي (ع): هل أحد من أصحاب رسول الله (ص) شهد هذا معك؟!

فقال عمر: صدق خليفة رسول الله، قد سمعته منه كما قال!

وقال ابو عبيدة وسالم مولى أبي حذيفة ومعاذ بن جبل: قد سمعنا ذلك من رسول الله.

فقال علي (ع): لقد وفيتم بصحيفتكم التي تعاقدم عليها في الكعبة: إن قتل محمّد أو مات لتروا هذا الامر عنّا أهل البيت.

فقال أبو بكر: فما علمك بذلك؟! ما أطلعناك عليها.

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٩٢

فقال (ع): أنت يا زبير، وأنت يا سلمان، وأنت يا أباذر، وأنت يا مقداد! أساء لكم بالله وبالا سلام، أما سمعتم رسول الله (ص) يقول

ذلك، وأنتم تسمعون، إنّ فلانا وفلانا حتّى عدّهم هؤلاء الخمسة، قد كتبوا بينهم كتابا وتعاهدوا فيه وتعاهدوا على ما صنعوا؟

فقالوا: أللهم نعم، قد سمعنا رسول الله (ص) يقول ذلك لك إنهم قد تعاهدوا وتعاهدوا على ما صنعوا، وكتبوا بينهم كتابا إن قُتلت أو

مُت أن يزواوا عنك هذا يا عليّ (...). «١»

نتائج السقيفة: ص : ٩٢

إشارة

أفرز مؤ تمر السقيفة نتائج كثيرة جدّا في جميع مجالات حياة الامّة المسلمة، هي ذات النتائج الناشئة عن انقلاب أمّة على أعقابها «٢» ورجوعها القهقري عن المسار المعصوم الذي أراه الله تعالى لها تحت ظلّ قيادة حججه على العباد وخلفائه في البلاد بعد رحلة النبي الاكرم (ص).

وهذه النتائج على كثرتها منها ما ظهر فوراً وأثر تآثيراً مباشراً في حياة الامّة، ومنها ما شرع بالشوء والتكون، ويهّمنا هنا ملاحظة النتائج التي كان لها تآثير في التمهيد للتطوّرات الكبرى التي أدّت إلى سيطرة الحزب الامويّ على زمام الامور، وأهمّ هذه النتائج:

١ (إقصاء الوصيّ الشرعيّ (ع) عن مقامه ص : ٩٢

: إقصاء (الوصيّ الشرعيّ) عن

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٩٣

مقامه الذي فرضه الله تعالى له، وقهره على البيعة بعد تهديده بالقتل إن لم يبايع، وبعد أن هجموا على داره «١» التي كان جبرئيل الامين (ع) يستاءذن كلّما أراد الدخول إليها، وأضرموا النار على بابها «٢» وعصروا فاطمة الزهراء (س) وديعه الرسول (ص) بين الحائط والباب حتّى اءسقط جينها وكسر ضلعها ... «٣» لقد كانت تلك الجسارة على أهل البيت (ع) فاتحة كلّ الجسارات التي توالى عليهم بعد ذلك.

٢ (التضييق على أهل البيت (ع) ص : ٩٣

: التضييق على أهل البيت (ع) اجتماعيًا وسياسيًا واقتصاديًا، فلقد أظهر القوم التذمر من كثرة بكاء فاطمة (س) على أبيها (ص) حتى بنى اميرالمؤمنين على (ع) لها بيت الاحزان بعيدا عن مسامعهم التي كانت تستشعر لغة الاحتجاج السياسى فى بكائها، كما مارس القوم رقابة أمتية مشددة على أبى الحسن (ع) خشية من قيامه بآءى تحرك ضدهم، ومنعوا فاطمة (س) إرثها، وأخذوا فدكا منها وهى نحلتها من أبيها (ص) «٤» كما منعوهم وبنى هاشم حقهم فى الخمس، كل ذلك من أجل ألا يجد أهل البيت (ع) فى سعة الحال قدرة على التبليغ بحقهم فى الامر والقيام والنهضة.

٣ (منع بنى هاشم من تولّى المناصب الحكومىة ص : ٩٣

: منع بنى هاشم من تولّى أيّة مناصب حكوميّة، خصوصا المناصب الاداريّة والعسكريّة والماليّة، خشية من أن يدعوا بنوهاشم إلى حقّ أهل البيت (ع) بالا مر كما صرّح بذلك مع الركب الحسينى (ج ١)، ص : ٩٤ عمر لعبدالله بن عباس (كما مرّ فى رواية سابقة).

٤ (بسط يد الامويين فى تولّى المناصب الحكومىة ص : ٩٤

: بسط يد الامويين فى تولّى الامارات والولايات والمناصب الحكوميّة الاخرى بمقتضى التعاون الجديد بين الحزب الحاكم والحزب الاموى بعد أن استقرّ الامر لآبى بكر، فقد شكلت نسبة عدد الامويين من مجموع عمال أبى بكر وولاته وأمرأ جنده حوالى الثلث، «١» الامر الذى أحيأ أمل الحزب الاموى فى الاستحواذ على السلطة. لقد كان حزب السلطة يرى امتداده الفكرى والعملى فى الحزب الاموى، وكان الحزب الاموى بعد استتباب الامر لآبى بكر يرى نفسه هوالفائز بفوز حزب السلطة الرافع لشعار الخلافة لقريش دون بنى هاشم. يقول عبدالله العلالى فى هذه النقطة:

(... فلم يفز بنو تيم بفوز أبى بكر بل فاز الامويون وحدهم، ولذلك صبغوا الدولة بصبغتهم، وأثروا فى سياستها وهم بعيدون عن الحكم، كما يحدّثنا المقريزى فى رسالته (النزاع والتخاصم).

ومن تأريخ هذا الفوز الانتخابى بدأت سعاية بنى أمية لهيئة الاسباب إلى الانقلاب الذى سيفضى فى نهايته إلى استحواذهم على السلطة، وأى ناظر فى حركات أبى سفيان لا يشك بآءة بدأ يعمل بهمة لاتعرف الكلل لتعبيد الامور على ما يريد (...). «٢» مع الركب الحسينى (ج ١)، ص : ٩٥

٥ (انتعاش الروح القبليّة وانبعائها من جديد ص : ٩٥

: انتعاش الروح القبليّة وانبعائها فعالة من جديد بعد أن أحمدها الاسلام بتعاليمه السامية وتربيته الرفيعة، ذلك لانّ منطق السقيفة قام على أساس التنازب بالالقب والمفاضلة القبليّة بعيدا عن المقياس الاسلامى: (إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم). لقد كانت الروح القبليّة ظاهرة بينة فى المنطق الذى ساد النزاع بين المهاجرين والانصار فى السقيفة، فقد ذكّر أبو بكر كُلما من الاوس والخزرج بالا حقاد والاحن التى كانت بينهم قبل الاسلام، وأغراهم بها حين تحدّث عمّا كان بينهما من القتلى والمآسى. وكان خطيب الانصار الحباب بن المنذر يهيج الانصار ويؤجج عزائمهم بنفس د جاهلى بحت.

وكان عمر بن الخطاب يفصح عن لسان قريش بهذه الروح القبليّة قائلا:

(من ينازعنا سلطان محمّد ونحن أولياؤه وعشيرته!!).

هذه الروح القبليّة التي اندلعت كالنار من تحت الرماد يوم السقيفة، فتحت على المسلمين بابا كبيرا من أبواب التمزق والفتنة، إذ سرعان ما تجرّأ بعض د القرشيين من الطلقاء والمنافقين النفعيين أمثال سهيل بن عمرو وعكرمة بن أبي جهل وعمرو بن العاص والوليد بن عقبه وغيرهم بالتعرض للا نصار وهجائهم والدعوة إلى قتالهم بعد أن أغاضهم اعتزال الانصار على أثر السقيفة، فردّ عليهم الانصار دفاعا عن أنفسهم، وتعاضم الخطب، ولولا- تدخّل أمير المؤمنين عليّ (ع) وبعض المهاجرين ودفاعهم عن الانصار لوقعت مصيبة عظيمة أخرى في تاريخ الامّة الاسلاميّة آنذاك. «١»

ولقد استثمرت حركة النفاق عامّة والحزب الامويّ منها خاصّة تاء جيح روح التناحر القبليّ في تمزيق كيان الامّة، وتاءليب بعضها على بعض، من أجل اقتيادها بعد ذلك بسهولة على طريق تحقيق أهداف حركة النفاق في

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٩٦

طمس حقائق ومعالم الاسلام المحمديّ الخالص.

٦ (محاصرة السنّة النبويّة علنا ص : ٩٦

: سبق فيما قدّمنا أن قلنا إنّ قيادة حزب السلطة كانت أيام حياة النبيّ (ص) تنهى سرّا عن كتابة البيان النبويّ بدعوى أن النبيّ (ص) بشرّ يتكلّم في الغضب والرضا!!، كما كشف عن ذلك عبدالله بن عمرو بن العاص، وقلنا إنّ غاية تلك المحاولة هي محاصرة البيانات النبويّة عامّة والمتعلّقة بالخلافة وشخص الخليفة من بعد النبيّ (ص) خاصّة.

أمّا بعد رحلة النبيّ (ص)، وبعد أن تمخّض مؤ تمر السقيفة عن فوز حزب السلطة بالحكم، فإنّ السريّة في مواجهته تلك البيانات النبويّة كانت قد فقدت مسوّغاتهما، وصار الصد عن البيان النبويّ علنا ولكن تحت غطاء خشية انتشار الاختلاف في الامّة!! فقد جمع أبو بكر الناس وقال لهم:

(إنكم تحدّثون عن رسول الله (ص) أحاديث تختلفون فيها، والناس بعدكم أشدّ اختلافًا، فلا تحدّثوا عن رسول الله شيئا!!، فمن ساء لكم فقولوا:

بيننا وبينكم كتاب الله!). «١»

وفضلا عن ملاحظة التحول من التكتّم في المواجهة إلى الاعلان عنها، نلاحظ أيضا أن قوله (فلا تحدّثوا عن رسول الله شيئا) يعنى المنع المطلق عن البيان النبويّ مطلقا!! وضرب حصار تامّ شامل على كلّ ما ورد عنه (ص)!!.

لقد أدركت قيادة هذا الحزب أنّ ما يقلقها وتخشى من انتشاره ليست البيانات النبويّة المتعلّقة بمقام عليّ (ع) ومنزلته وأحقّيته بالخلافة فحسب، بل هناك

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٩٧

البيانات المتعلّقة بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأخرى في أوصاف (الائمة المضلّين) وضرورة القيام ضدّهم، وأخرى تشخّص الشجرة الملعونة في القرآن، وأخرى تتحدّث في الفتن وقادتها، وأخرى في فضائل بعض الصحابة الذين يضيق الحزب الحاكم ذرعا بهم، ولا يسره بل يسوءه انتشار عيب فضائلهم، وأخرى وأخرى ... فكان لا بدّ من تعميم المنع وإطلاقه!!.

وكما ذكرنا في مامضى، فقد طبّق هذا المنع بصرامة وشدّة في عهد عمر، ومنع عثمان رواية أي حديث لم يرو في عهد أبي بكر وعمر. ونتيجة لكثرة الفتوحات ودخول كثير من الشعوب في الاسلام وتباعد الايام عن عهد النبيّ (ص)، ولتوهم الناس أنّ الخلفاء الثلاثة الذين حكموا بعد النبيّ (ص) امتداد له، فقد اختلط الامر على أكثر الامّة التي لم تعرف عن سنّة النبيّ (ص) إلّا نورا يسيرا،

وصار أكثر الناس د يرى السنّة في سنّة عمر (وهي مجموعة البدع التي خالف فيها سنّة النبي (ص)، حتّى إذا ألقوها اءصروا عليها واءبوا أن يتحوّلوا عنها حتّى وإن ذكروا بآء ذلك خلاف سنّة النبي (ص).

فقد ساءل أهل الكوفة (وهي عاصمة البلاد الاسلاميّة يومئذ) اميرالمؤمنين عليا (ع) أن ينصب لهم إماما يصلّى بهم نافله شهر رمضان، فزجرهم، وعزّفهم أن ذلك خلاف السنّة، فتركوه واجتمعوا لا نفسهم، وقدّموا بعضهم، فبعث إليهم ابنه الحسن (ع)، فدخل المسجد ومعه الدرّة، فلما رأوه تبادروا الابواب وصاحوا: واعمره! «١» وفي بعض المصادر أنهم قالوا: يا أهل الاسلام غيرت سنّة عمر. «٢»

وهنا يتّضح أمام المتتبع وجه من أوجه الصعوبات الكبيرة التي واجهها الامام

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٩٨

علّي (ع) في إرجاع الامور إلى أصولها الصحيحة، يقول (ع):

(قد عملت الولاة قبلي أعمالا- خالفوا فيها رسول الله (ص) متعمّدين لخلافه، ناقضين لعهد، مغيرين لسنّته، ولو حملت الناس على تركها، وحوّلتها إلى مواضعها وإلى ما كانت في عهد رسول الله (ص) لتفرّق عني جندي حتّى أبقى وحدي أو قليل من شيعتي الذين عرفوا فضلي وفرض إمامتي من كتاب الله عزّ وجلّ وسنّة رسول الله (ص) ...). «١»

٧ نشوء حالة الشلل النفسي في الائمة ص : ٩٨

: ويلاحظ المتتبع لنتائج السقيفة أيضا نشوء حالة روحية ونفسية جديدة في الائمة بعد السقيفة، هي حالة (شلل نفسي) لم تكن في الائمة أيام النبي (ص)، ويمكن تعريفها بآءها حالة سكوت المسلم عن أمرٍ يعتقد أنه باطل ومخالف لا مرالله ورسوله (ص)، وهذه الحالة واحده من النتائج السيئة التي تنشأ عن ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهي إذا تعاضمت في المجتمع أدت في النهاية إلى نتائج سيئة مريرة كثيرة، أسوأها (انقلاب الرؤية) حيث ينتكس المسلم فيرى الباطل حقّا والحقّ باطلا.

وهذه الحالة الخطيرة كان رسول الله (ص) قد حذّر الائمة منها إذا ما تركت الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولك أن تتأمّل في ترابط محتوى هذا الحديث النبوي الشريف لتعرف كيف تصل حالة الائمة في التداعي من سيء إلى أسوأ حتّى تصل في انتكاسها إلى درجة (انقلاب الرؤية)، فعن أبي عبدالله الصادق (ع)، عن رسول الله (ص) أنه قال:

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٩٩

(كيف بكم إذا فسدت نساؤكم وفسق شبابكم ولم تاءمروا بالمعروف ولم تنهوا عن المنكر!؟

ف قيل له: ويكون ذلك يا رسول الله!؟

فقال: نعم، وشرّ من ذلك، كيف بكم إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف!؟

ف قيل له: يا رسول الله، ويكون ذلك!؟

قال: نعم، وشرّ من ذلك، كيف بكم إذا رأيتم المعروف منكرا والمنكر معروفا!؟) «١»

ويمكن رصد بداية نشوء ظاهرة الشلل النفسي في الائمة بعد السقيفة مباشرة حيث اعتزل جلّ الانصار في المدينة وبعض المهاجرين اعتراضا على نتيجة السقيفة وندما تاءسّفا على التفريط بحقّ (الوصي الشرعي) (ع)، «٢» لكنهم مع ذلك لم ينهضوا مع الوصي الشرعي (ع) حين استنهضهم للقيام معه لتغيير الوضع الخاطي المخالف لا مرالله ورسوله (ص)، إستنادا إلى أصل أن البيعة في الاعناق أوّلا كانت لعلّي (ع) يوم الغدير. «٣»

والروايات في تناقلهم عن نصرته عديدة، تقول واحده منها:

(فلم يدع أحدا من أهل بدرٍ من المهاجرين ولا من الانصار إلّا أتاه في منزله، فذكّرهم حقّه ودعاهم إلى نصرته، فما استجاب له منهم إلّا أربعة وأربعون

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ١٠٠

رجالاً فاء مرهم أن يُصبحوا بكرةً محلّقين رؤ وسهم معهم سلاحهم ليبيعوا على الموت، فاء أصبحوا فلم يوافٍ منهم أحدٌ إلّا أربعة. فقلت لسلمان: من الاربعة؟ فقال: أنا وأبوذر ومقداد والزبير بن العوام. ثم أتاهم عليّ (ع) من الليلة المقبلة فناشدهم فقالوا: نُصبحك بكرةً. فما منهم أحدٌ أتاه غيرنا، ثم أتاهم الليلة الثالثة، فما أتاه غيرنا، فلما رأى غدرهم وقلّة وفائهم له لزم بيته (...). «١»

وقد اشارت الصديقه الكبرى مولاتنا فاطمة الزهراء (س) في ثنايا خطبتها في المسجد إلى تعجّبها من هذا الشلل النفسى فى مخاطبتها الانصار حيث قالت:

(... يا معشر الفتية وأعضاء الملة وحضنة الاسلام، ما هذه الغمزة فى حقى والسنة عن ظلامتى؟! أما كان رسول الله (ص) أبى يقول: (المرء يحفظ فى ولده؟) سرعان ما أحدثتم وعجلان ذا اهالة، ولكم طاقة بما أحاول، وقوة على ما أطلب وأزاول ... إياها بنى قبيلة، «٢» أ أهضم تراث أبى وأنتم بمرأى ومسمع، ومنتدى ومجمع، تلبسكم الدعوة، وتشملكم الخبرة، وأنتم ذوو العدد والعدة، والاداء والقوة، وعندكم السلاح والجنة، توافيكم الدعوة فلا تجيبون، وتاء تيكم الصرخة فلا تغيثون، وأنتم موصوفون بالكفاح، ومعروفون بالخير والصلاح، والنخبة التى انتخبت والخيرة التى اختيرت لنا

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ١٠١

أهل البيت قاتلم العرب وتحملتم الكد والتعب، وناطحتم الامم وكافحتم البهم، فلانبرح وتبرحون ناء مرهم فتاء تمرون، حتى إذا دارت بنا رحى الاسلام، ودرّ حلب الايام، وخضعت نعة الشرك، وسكنت فورة الافك، وخمدت نيران الكفر، وهدأت دعوة الهرج، واستوسق نظام الدين، فاء نى جرتم بعد البيان، وأسرتتم بعد الاعلان، ونكصتم بعد الاقدام، وأشركتم بعد الايمان، بؤ سا لقوم نكثوا أيمانهم وهموا يا خراج الرسول وهم بدؤ كم أول مرة أتخشونهم؟! والله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين (...). «١»

ولا كثر من سبب بعد السقيفة ظلّ هذا الشلل النفسى يتفشى أكثر فاء كثر فى الامة ويتعاضم خطرهم حتى استحکم التناقض بين ظاهر الانسان المسلم وباطنه فى أكثر أبناء الامة، واستحوذ الشيطان على السواد الاعظم منهم، وبلغ هذا الداء العضال أقصى مداه فى هذه الامة يوم خرجت لقتال ابن بنت نبيها الامام الحسين (ع) بقلوب معه وسيوف عليه!! فقتلته وهى تعلم أنه ليس على الارض أحدٌ أفضل منه!!

وفى متابعتنا هذه سنشير إلى العلل الاخرى التى كانت ورأ تعاضم هذا المرض فى الامة والى مظاهره فى المواضع المناسبة التى تحسن فيها الاشارة إلى ذلك.

خلافة عمر بن الخطاب: ص : ١٠١

اشارة

وجاء عمر بن الخطاب خليفه بعد أبى بكر بتعيين منه، فجرى على ما كان قد

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ١٠٢

جرى هو وأبو بكر عليه أيام خلافة أبى بكر من مواصلة التضييق الاجتماعى والسياسى والاقتصادى على أهل البيت (ع) خاصية وبنى هاشم عامية، وبسط يد الامويين فى تولّى الامارات والولايات، وزاد على أبى بكر فى ذلك، ويكفى فى الدلالة على هذا أنه أطلق معاوية بن أبى سفيان واليا على الشام على سيرة الملوك يجمع كيف يشاء ويتصرف كيف يشاء بلا رقيب ولا حسيب، فاذا ذكره المعترضون عند عمر ردّهم بقوله (دعوا فتى قريش وابن سيدها!!...)، «١» وكان يقول فيه (تذكرون كسرى وقيصر ودهاءهما وعندكم معاوية!)، «٢» حتى أن عمر بن الخطاب ليعتبر الممهّد للحكم الاموى، بل هو المؤسس له.

وزاد في شدة الحصار المضروب على السنة النبوية حتى لقد فرض الإقامة الجبرية في المدينة على رواة الاحاديث النبوية مادام حيا، ونهى جيوشه عن التحديث عن رسول الله (ص)، في الوقت الذي قرب منافق اليهود والنصارى ككعب الاحبار وتميم الدارى، وفتح لهم الابواب واسعة ليمارسوا القصاص على الناس ويبتوا ماشاؤا من اباطيل كتبهم ومخترعاتهم مما يعارض د عقائد الاسلام المحمدي الخالص.

ويهمنا هنا أن نركز على عمليين من أعماله شكلا في أهميتهما منعطفين أساسيين في حياة الامة الاسلامية بما ترتب عليهما من الآثار البالغة الخطورة، وهذان العملاقان هما:

(أ) مبدأ عمر في العطاء ص : ١٠٢

: كان النبي (ص) قد ساوى بين المسلمين في العطاء فلم يفضل أحدا منهم على أحد، وجرى أبو بكر على مبدأ التسوية هذا مدة حكمه، وأما عمر فإنه لما ولى الخلافة فضل بعض الناس على بعض،

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ١٠٣

ففضل السابقين على غيرهم، وفضل المهاجرين من قريش على غيرهم من المهاجرين، وفضل المهاجرين كافة على الانصار كافة، وفضل العرب على العجم، وفضل الصريح على المولى). «١» (وفرض لا هل اليمن في أربعمائه، ولمضر في ثلاثمائه ولربيعه في مائتين) «٢» وفضل الاوس على الخزرج. «٣»

فلئن كان منطق السقيفة قد قام على أساس التناز بالالاقاب والمفاضلة القبليّة فاءنعش بذلك روح التعصب القبلي التي كان قد أخمدها الاسلام، فإن مبدأ عمر في العطاء قد أطلق روح التعصب من عقالها، فولدت أسوء الآثار في الحياة الاسلامية: (حيث إنه وضع أساس تكوّن الطبقات في المجتمع الاسلامي، وجعل المزية الدينيّة من سبل التفوق المادّي، وزوّد الارستقراطية (الطبقة المترفة) القرشيّة التي مكّنت لنفسها من جديد بتمكّن أبي بكر من الحكم بمبرر جديد للاستعلاء والتحكّم بمقدّرات المسلمين، فجميع اعتبارات التفضيل تجعل القرشيين أفضل في العطاء من غير القرشيين، وهذا يعنى أن قريشا هي أفضل الناس لأنها قريش! وكفى بهذا مبررا للتحكّم والاستعلاء.

وقد كوّن هذا المبدأ سببا جديدا من أسباب الصراع القبلي بين ربيعة ومضر، وبين الاوس والخزرج، بما تضمّن من تفضيل سائر مضر على سائر ربيعة، وتفضيل الاوس على الخزرج. ونظنّ أنّ هذا المبدأ قد أرسى أول أساس الصراع العنصري بين المسلمين العرب وغيرهم من المسلمين بما جرى عليه عمر من تفضيل العرب على العجم والصريح على

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ١٠٤

المولى). «١»

ولم يطل الوقت حتى رأى عمر نفسه خطورة الآثار الضارة التي أوجدها هذا المبدأ في حياة الامة الاسلامية، حيث تسربت روح التحزب والانقسام إلى المجتمع، وتعاضم الشعور بالامتياز والتفرد لدى قريش، وتفشّى الحقد والحسد والكراهية والتفتيش عن المثالب بين القبائل، فكان هذا من العوامل المهمة التي مهّدت للفتنة بين المسلمين.

وهنا تجدر الإشارة إلى أنّ مبدأ عمر في العطاء كان انحرافا واضحا عن سيرة الرسول (ص) في العطاء والتي جرى عليها أبو بكر أيضا، فكان الاولى بالامة أن تقف بوجهه وتمنعه من هذا الانحراف على أساس النصيحة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإذا امتنع وأبى قومه بالسيوف. غير أنّ التاءريخ لم يحدثنا عن أي إنكار على عمر من قبل الامة، وهذا مؤ شر من مؤ شرّات تفشّى حالة الشلل الروحي والنفسي الذي أصيبت به الامة نتيجة السقيفة.

(ب) الشورى ص : ١٠٤

: يهَمَّنَا فِي هَذِهِ الْقَضِيَّةِ الْحَدِيثَ فِي نَتِيجَتِهِ هَذَا الْمُنْعَطِفَ الْإِسَاسَ دُ وَأَثَارَهُ الْكَبِيرَةَ فِي حَيَاةِ هَذِهِ الْأُمَّةِ، إِلَّا أَنَّهُ لَا يَدُّ مِنَ التَّاءِ كَيْدَ قَبْلَ ذَلِكَ أَنَّ هَذِهِ الشُّورَى الْمَدْعَاةَ لَمْ تَحْمَلْ مِنَ الشُّورَى إِلَّا اسْمَهَا، وَأَمَّا حَقِيقَتُهَا فَإِنَّ عَمْرَ كَانَ قَدْ خَطَّطَ لَهَا بِدَقِّهِ بِحَيْثُ يَكُونُ فَوْزَ عَثْمَانَ فِيهَا أَمْرًا مَحْتَمًّا، فَعَنَوَانُهَا إِذْنُ شُورَى وَحَقِيقَتُهَا تَعْيِينُ، وَهِيَ بِذَاتِهَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْخَلِيفَةَ الثَّانِيَّ عَمْرَ بْنَ الْخَطَّابِ كَانَ يَصِرُّ إِصْرَارًا لَا يَتَزَعَّرُ عَلَى إِبْعَادِ الْخِلَافَةِ عَنْ بَنِي هَاشِمٍ بَاءً يَ صُورَةً حَتَّى بَعْدَ مَوْتِهِ، وَهَذَا مَنْتَهَى الصِّدِّ.

كَمَا أَنَّ الْخَلِيفَةَ الثَّانِيَّ بَتَعْيِينِهِ لِعَثْمَانَ خَلِيفَةً مِنْ بَعْدِهِ يَكُونُ قَدْ أُسِّسَ

مَعَ الرِّكْبِ الْحُسَيْنِيِّ (ج ١)، ص: ١٠٥

الْحَكْمَ الْأُمَوِيِّ بِالْفِعْلِ فَضْلًا عَنْ تَمْهِيدِهِ لَهُ مِنْ قَبْلِ.

قَالَ الْخَلِيفَةُ الثَّانِيَّ: (ادْعُوا لِي أَبَا طَلْحَةَ الْإِنصَارِي، فَدَعُوهُ لَهُ، فَقَالَ: انظُرْ يَا أَبَا طَلْحَةَ إِذَا عَدْتُمْ مِنْ حَفْرَتِي فَكُنْ فِي خَمْسِينَ رَجُلًا مِنَ الْإِنصَارِ، حَامِلِي سَيْوْفَكُمْ، فَخُذْ هُوَ لِي لِي الْفَرَسَ بِأَمْرٍ وَتَعْجِيلِهِ، وَاجْمَعِهِمْ فِي بَيْتِي، وَقِفْ بَاءَ صَحَابِكَ عَلَى بَابِ الْبَيْتِ لِي تَشَاوَرُوا وَيَخْتَارُوا وَاحِدًا مِنْهُمْ، فَإِنْ اتَّفَقَ خَمْسَةٌ وَأَبِي وَاحِدًا فَاضْرِبْ عُنُقَهُ، وَإِنْ اتَّفَقَ أَرْبَعَةٌ وَأَبِي اثْنَانِ فَاضْرِبْ أَعْنَاقَهُمَا، وَإِنْ اتَّفَقَ ثَلَاثَةٌ وَخَالَفَ ثَلَاثَةٌ فَانظُرِ الثَّلَاثَةَ الَّتِي فِيهَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ فَارْجِعْ إِلَى مَا قَدْ اتَّفَقْتَ عَلَيْهِ، فَإِنْ أَصْرَتِ الثَّلَاثَةُ الْآخَرَى عَلَى خِلَافَتِهَا فَاضْرِبْ أَعْنَاقَهُمَا...). «١»

كَانَ عَمْرٌ ذَا دِرَايَةٍ تَامَّةٍ بِمَيُولِ الرِّجَالِ السِّتَّةِ الَّذِينَ اخْتَارَهُمْ لِهَذِهِ الشُّورَى، فَهُوَ يَعْلَمُ يَقِينًا أَنَّ عَثْمَانَ وَسَعْدًا وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ مَيْلٌ وَاحِدٌ فِي انْحِرَافِهِمْ عَنْ عَلِيٍّ (ع)، وَيَعْلَمُ أَنَّ طَلْحَةَ لَا يَمِيلُ إِلَى عَلِيٍّ (ع)، وَالْإِحْتِمَالُ الْآخَرَى أَنَّهُ سَيُعْطَى رَأْيَهُ إِلَى عَثْمَانَ، وَتَحْسَبًا مِنَ الْمَفَاجِئِ فِي تَحَقُّقِ الْإِحْتِمَالِ الْإِضْعَافِ وَهُوَ مَيْلُ طَلْحَةَ إِلَى عَلِيٍّ (ع) وَالزَّبِيرِ، حَيْثُ تَتَسَاوَى الْكِفَّتَانِ ثَلَاثَةٌ وَثَلَاثَةٌ، تَدْخُلُ عَمْرٌ لِيَحْسِمَ النِّزَاعَ لِصَالِحِ عَثْمَانَ بِتَرْجِيحِ الْكِفَّةِ الَّتِي فِيهَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ.

فَاءِيَّةُ شُورَى هَذِهِ؟!

هَذَا فَضْلًا عَنْ السُّيُوفِ الَّتِي جَرَّدَهَا أَبُو طَلْحَةَ الْإِنصَارِي وَرَجَالَهُ الْخَمْسُونَ بَاءً مَرَّ عَمْرٌ لِحِمَايَةِ الرَّأْيِ الْحَزَّ!

وَلَقَدْ أَدْرَكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ (ع) هَذِهِ الْخِدْعَةَ الْمَعْلُومَةَ النَّتِيجَةُ ...

مَعَ الرِّكْبِ الْحُسَيْنِيِّ (ج ١)، ص: ١٠٦

فَقَالَ لِعَمَّةِ الْعَبَّاسِ: (عُدِّتْ عَنَّا!

فَقَالَ: وَمَا عَلِمَكَ؟!

قَالَ: قَرْنُ بِي عَثْمَانَ وَقَالَ كُونُوا مَعِ الْآكْثَرِ، فَانْ رَضِيَ رَجُلَانِ رَجُلًا وَرَجُلَانِ رَجُلًا فَكُونُوا مَعَ الَّذِينَ فِيهِمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، فَسَعَدُ لَا يَخَالِفُ ابْنَ عَمَّةِ عَبْدَ الرَّحْمَنِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ صَهْرَ عَثْمَانَ لَا يَخْتَلِفُونَ، فَيُولِّيهِمَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَثْمَانَ أَوْ يُولِّيهِمَا عَثْمَانَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ، فَلَوْ كَانَ الْآخِرَانِ مَعِي لَمْ يَنْفَعَانِي، بَلَّهَ إِنِّي لَا أَرْجُو إِلَّا أَحَدَهُمَا). «١»

ج (نتائج الشورى ص: ١٠٦)

إشارة

: وَمِنْ نَتَائِجِ الشُّورَى نَسْتَطِيعُ أَنْ نَذَكَرَ الْمَوَارِدَ التَّالِيَةَ.

١- مواصلة إقصاء (الوصي الشرعي) ص: ١٠٦

: مواصلة إقصاء (الوصي الشرعي) استمرارا في الصّد عن رسول الله (ص) فيما بلغ عن الله تبارك وتعالى بشاءن عليّ (ع).

٢- استيلاء الحزب الاموي على الحكم ص : ١٠٦

: استيلاء الحزب الاموي ممثلاً في شخص د عثمان على الحكم، الامر الذي كانت قد خطت له ونفذته قيادة حزب السلطة التي كانت ترى في الحزب الاموي امتداداً لها على خط مواجهة أهل البيت (ع).

٣- أثر الشورى نفسياً على الانصار ص : ١٠٦

: تركت الشورى أسوأ الاثر في نفسيات الانصار، فبعد أن كانوا قد وعدوا في السقيفة بآئتهم سيكونون وزراً وشركاء في الحكم، وجدوا أن عمر في خطة الشورى قد حرمهم حتى من حق المشورة، ولم يمنحهم إلا دور حراس الابواب المسلحين.
مع الراكب الحسيني (ج ١)، ص: ١٠٧

٤ الطمع المفتوح في الخلافة ص : ١٠٧

: فتحت الشورى باب الطمع في الخلافة لمن لم يكن يطمع فيها يوماً ما، ذلك لأن عمر أدخل في الشورى في مواجهة علي (ع) من لم يكن يامل أن يكون خليفه من قبل، فصار بعدها يرى نفسه أهلاً لذلك، الامر الذي دفع بهؤلاء إلى ركوب الفتن بعدها.
كما أن الشورى فتقت الفتق الكبير في التنافس والاختلاف بين كل القبائل طمعا في الخلافة، وذلك لأن رجالا غير رجال الشورى من قريش رأوا أن بعض من رشحهم عمر لا يفضلونهم في شيء، بل ربما امتازوا هم على أولئك في أشياء كثيرة!
إذن فعمر في خطة الشورى كان قد أطلق للجميع نفسياً أن يرغبوا في الامارة والخلافة وأن يتحركوا عملياً باتجاهها على طريق الاهواء المملوغة بكل أنواع الاختلاف!
حتى أن معاوية بن أبي سفيان وهو من دهاة العرب كان يصرح بآئ الشورى هي أشد منعطفات الانحراف أثراً في تشتيت أمر المسلمين، فقد نقل ابن عبد ربه في كتابه العقد الفريد:

إن معاوية قال لابن حصين: (أخبرني، ما الذي شئت أمر المسلمين وفرق أهوهم وخالف بينهم؟

قال: نعم، قتل الناس عثمان.

قال: ما صنعت شيئاً.

قال: فمسير علي إليك وقاتله إياك.

قال: ما صنعت شيئاً.

مع الراكب الحسيني (ج ١)، ص: ١٠٨

قال: فمسير طلحة والزبير وعائشة وقاتل علي إياهم.

قال: ما صنعت شيئاً.

قال: ما عندي غير هذا يا اميرالمؤمنين.

قال: فآنا أخبرك، إنه لم يشئت بين المسلمين ولا فرق أهوهم ولا خالف بينهم إلا الشورى التي جعلها عمر إلى ستته نفر ... فلم يكن رجل منهم إلا رجاها لنفسه، ورجاها له قومه، وتطلعت إلى ذلك نفسه، ولو أن عمر استخلف عليهم كما استخلف أبو بكر ما كان في ذلك إختلاف.) « ١ »

٥ تعاضم منطلق السقيفة القبل ص : ١٠٨

: يلاحظ أن المفاضلة في السقيفة كانت بين الانصار وبين المهاجرين (من قريش)، غير أن المفاضلة التي دارت في أجواء الشورى أكدت تعاضم منطق السقيفة القبلية وازدياد التباعد والانحراف عن منطق الاسلام، إذ صارت المفاضلة بين المسلمين ككل بدلا من الانصار، وبين قريش بما هي قريش بدلا من المهاجرين منها، ففي الجدل الذي دار في مسجد النبي (ص) في أجواء الشورى بدا واضحا أن قريشا اعتبرت الخلافة شاءنا من شؤ ونها الخاصية وامتيازها من امتيازاتها، وليس لاحد من المسلمين أن يتقدم برأى في الخلافة يتنافى مع رغباتها.

ولا ينفى العجب من أن تتدهور الحال إلى درجة أن يتجرأ عدو الله وعدو رسوله (ص)، عبدالله بن أبي ربيعة المخزومي فيقول للمقداد (ر) الحوارى الجليل الذى عز نظيره فى الصحابة:

(يا بن الحليف العسيف، ومتى كان مثلك يجترئ على الدخول فى أمر قريش). «٢»

معالركب الحسينى (ج ١)، ص: ١٠٩

أو يرد لثيم آخر من بنى مخزوم على عمّار بن ياسر (ر) قائلا:

(لقد عدوت طورك يا بن سميّة، وما أنت وتاءمير قريش لا نفسها). «١»

إن حلول كلمة (قريش) بدلا من (المهاجرين) فى جدل المفاضلة التى جرت فى أجواء الشورى يعنى رفع الحظر عن الطلقاء فى أن يتسّموا منصب الخلافة، بعد أن رفعت عنهم الحظر من قبل قيادة حزب السلطة وعينتهم أمراً وولاء، ومن هنا تكون قد انفتحت حتى شبيهة الطلقاء أمثال معاوية فى تسّم منصب الخلافة، ومنذ ذلك الوقت كان معاوية قد سعى سعيه نحوها.

خلافة عثمان: ص: ١٠٩

إشارة

إبتدأ الحكم الاموى عهده الاوّل منذ اليوم الاوّل لخلافة عثمان، فسرعان ما تبين للمسلمين أنهم حين بايعوا عثمان قد سلّموا الحكم عمليا إلى آل أمية، وأن عثمان ليس إلّا واجهه يكمن خلفها الحزب الاموى، وسرعان ما أكدت الايام هذه الحقيقة لامة، ذلك لأن عثمان أسند الولايات الكبرى آنذاك وهى البصرة والكوفة ومصر والشام إلى ذويه، وهذه الولايات ذات المنزلة العظيمة فى الحرب والاقتصاد والاجتماع كانت مركز الثروة المائية والزراعية لدولة الخلافة، فمنها تحمل الاموال والاقوات، وهى مركز تجمع الجيوش الاسلامية الوافدة من كل أنحاء البلاد، كما أنها مراكز عمليات الفتح الكبرى آنذاك.

معالركب الحسينى (ج ١)، ص: ١١٠

وقامت إنتفاضة الامة على عثمان نتيجة تفسخ حكمه عن فساد كبير فى الادارة والمال، والاستخفاف علنا باحكام الشريعة، وسكوته عن فضائح ولاته ودفاعه عنهم، ونفيه وتعذيبه لصلحاء الامة لا لشى إلّا لا أنهم أنكروا المنكر وأمروا بالمعروف، وانقياده لغلمان بنى أمية عامة ولمروان بن الحكم خاصية، وامتناعه عن الاستجابة لشكاوى الامة وتظلمها من ولاته الذين يصلون بالناس وهم سكارى، ويرون السواد بستانا لهم، وأن الفى لهم أولا ثم لمن شاؤوا!!

وركب موجة الانتفاضة على عثمان بعد اندلاعها النفيعيون الساخطون عليه مثل عمرو بن العاص، ومترفون يحلمون بالخلافة من بعده مثل طلحة والزبير وكانوا يؤلبون الجماهير ضده ويحرضون فى الخفاء على قتله، هذا فضلا عن الدور الكبير الذى لعبته عائشة فى التآليب عليه والدعوة إلى قتله!! «١» وفى كل ذلك كان ابوالحسن (ع) يسفر ناصحا للاسلام والامة بين عثمان والثوار، لكن عثمان كان ينكل ولايفى بما يعد به من الاستجابة لمطالب الثوار لاستحواذ مروان عليه.

وما برحت الفتنة تتأجج وتجد ما يزيدا اشتعالا، حتى انفلت زمام الامور، وبلغت الماء ساء ذروتها بمقتل عثمان. وتفاصيل قصة هذه الفتنة معروفة في كتب التاريخ ...

نتائج عهد عثمان ص : ١١٠

إشارة

: أما نتائج عهد عثمان التي أثرت في مسار حياة الأمة فيما بعد، فاهمها:

١ اتساع الهوة في الفروق الطبقيّة ص : ١١٠

: اتسعت الهوة في الفروق الطبقيّة التي كانت قد نشأت نتيجة مبدأ عمر في العطاء، ذلك لأن عثمان أغدق الهبات

معالركب الحسيني (ج ١)، ص: ١١١

الضخمة على أعيان قريش من بني أمية وغيرهم، وعلى بعض أعضاء الشورى خاصة، وسار عمال عثمان في أنحاء البلاد على نهجه في المدينة فاءنفقوا بيوت المال المحليّة على ذويهم وأنصارهم والمقرّبين إليهم، وقام عثمان باجراً مالى فتح به للطبقة الثريّة أبواباً من النشاط المالى حين أباح للناس أن ينقلوا فيهم من الارض د إلى حيث أقاموا، فسارع الاثرياء إلى الاستفادة من هذا الاجراً فاشتروا باموالهم المكذسة أراضى في البلاد المفتوحة واستثمروها فنمت ثرواتهم نموّاً عظيماً، وازدادت هذه الطبقة الطامحة إلى الحكم والتسلطّ قوّة إلى قوتها حتى صارت غلّة طلحة من العراق كلّ يوم ألف دينار أو أكثر، وبلغ ربع ثمن مال عبدالرحمن بن عوف أربعة وثمانين ألفاً أى أنّ ما يملكه مليونان وستمائه وثمانية وثمانون ألفاً، وكان الزبير قد خلف خمسين ألف دينار وألف فرس وألف عبد وأمة، وخلف زيد بن ثابت من الذهب ما كان يكسر بالفؤوس عدا ما خلف من الاموال والضياع بقيمة ألف دينار، «١» وسوى هؤلاء كثيرون ...

وقد وجدت إلى جانب هذه الطبقة المترفة المتسلطة طبقة أخرى كبيرة وفقيرة لا تملك أرضاً ولا مالا تلك هي طبقة الجنود المقاتلين وأهلهم، وقد تكوّنت هذه الطبقة نتيجة استئثار عثمان وعماله بالفى والغنائم لا أنفسهم والمقرّبين منهم وحرمان المقاتلين وبقية الأمة منها.

إنّ إنتشار أعلام قريش في البلاد الاسلاميّة بسمعتهم الدينيّة (صحابه رسول الله (ص) وازدياد ثرواتهم دفع كثيراً من أهل تلك البلدان إلى التجمّع حولهم والتحرّب لمطامعهم السياسيّة تهالكا على الدنيا، فانتشرت لذلك حالة (الانتهازيّة) في نفوس كثير من الناس، حيث صار ولاؤهم لمن عطاؤه أكثر والدنيا معه، وصاروا لا يعبؤون بالمانع الشرعى الحائل دون وصولهم إلى غاياتهم الدنيويّة، فزاد هذا من حالة الاستخفاف بالشرعيّة وبحرمه أحكامها،

معالركب الحسيني (ج ١)، ص: ١١٢

وهي حالة شاهدها الأمة أولاً في تصرفات عثمان وولاته كالوليد بن عقبه وغيره.

ينقل الطبرى في هذه النقطة أنّه (كان عمر بن الخطّاب قد حجر على أعلام قريش د من المهاجرين الخروج في البلدان إلّا بآذن وأجل ... فلما ولي عثمان لم ياءخذهم بالذى كان ياءخذهم به عمر فانساحوا في البلاد، فلما رأوها ورأوا الدنيا ورآهم الناس، انقطع من لم يكن له طول ولا مزية في الاسلام فكان مغموراً في الناس، وصاروا أوزاعاً إليهم، وأملوهم، وتقدّموا في ذلك فقالوا يملكون فنكون قد عرفناهم وتقدّمنا في التقرب والانقطاع إليهم، فكان ذلك أوّل وهن دخل على الاسلام، وأوّل فتنة كانت في العامّة ليس إلّا

ذلك. «١»

٢ افتتاح باب القتل والقتال على هذه الامة إلى يوم القيامة ص : ١١٢

: إن عمليته اغتيال عمر بن الخطاب التي أدت إلى مقتله كانت محدودة الاثر إذ كان القاتل شخصا معلوما وإن كان عبيد الله بن عمر قد تجاوز قتل عدّة أبرياء لمقتل أبيه، أما مقتل عثمان بالكيفية التي قتل فيها فقد كان ذا أثر وسيع ممتد في حياة الامة الاسلامية بعده، إذ قد فتح عليها باب القتل والقتال فيما بينها، وقد حذرّه أمير المؤمنين عليّ (ع) في نصحه أيّاه من هذا المقتل قائلا:
(وإنّي أنشدك الله ألما تكون إمام هذه الامة المقتول، فإنّه كان يقال: يقتل في هذه الامة إمام يفتح عليها القتل والقتال إلى يوم القيامة، ويلبس أمرها عليها، ويبثّ الفتن فيها، فلا يبصرون الحقّ من الباطل، يمججون فيها موجا، ويمرجون فيها مرجا...). «٢»
مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ١١٣

ولقد حصل هذا بالفعل، فكانت المطالبة بدم عثمان ذريعة أهل الجمل التي أضلّوا بها شطرا من الامة في نكثهم البيعة وخروجهم على الامام (ع)، وألبسوا على الناس د الامور، وبثّوا الفتنة في الامة، حتّى كانت وقعة الجمل، التي كانت أولى المعارك التي اقتتل فيها المسلمون فيما بينهم، وانتهت بهزيمة جيش عائشة وطلحة والزبير الذين كان لهم دور كبير في التحريض على قتل عثمان.
وأما معاوية الذي تلكأ عن نصره عثمان عمدا، «١» فقد صنع أضعاف ما صنع أهل الجمل فيما ادّعاه بهذه الذريعة، حتّى لقد أضلّ الشطر الكبير من هذه الامة وألبس عليهم الامور فاستبسلا في مواجهة عليّ (ع) استبسلا مريرا في صفين، الوقعة التي كاد الطرفان أن يهلكا فيها جميعا، والتي تركت أسوأ الاثار في حياة الامة إلى يومنا هذا.

٣ ارتفاع درجة الشلل النفسي في الامة: ص : ١١٣

ويلاحظ هنا أيضا استمرار ارتفاع مؤثر الشلل النفسي في الامة، إذ قد رأت من عثمان فضلا عن انحرافه حتّى عن سيرة أبي بكر وعمر بطشه بجماعة من أعيان الصحابة لا لشي إلا لأنهم أمروه بالمعروف ونهوه عن المنكر، كآبي ذر وعمار بن ياسر وعبدالله بن مسعود، فلم تتحرّك الامة أثناء ذلك حتّى في المدينة على كثرة من فيها من الصحابة لمنعه من التعدى عليهم أو لا- نكار ذلك عليه على الاقل، ومع معرفة الصحابة بمنزلة أبي ذرّ (ره) فلم يخرج منهم لتوديعه إلى منفاه في الربذة إلا عليّ والحسنان (ع) وعقيل وعبدالله بن جعفر وعمار، بل لقد قاطعت الامة أباذرّ امتثالا لا وامر عثمان!!

وقد أشار عمار بن ياسر إلى هذا الوهن الذي أصاب الامة حينما خاطب

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ١١٤

أباذرّ وهو يودّعه إذ قال:

(... وما منع الناس أن يقولوا بقولك إلا الرضا بالدنيا والجزع من الموت...). «١»

ويلاحظ هنا أيضا أنه حتّى الانتفاضة الجماهيرية التي قامت تنكر على عثمان مجموع انحرافات لم تقم إلا في سنة ٣٥ للهجرة أي بعد حوالي ثلاث سنين من وفاة أبي ذرّ (ره) في الربذة سنة ٣٢ للهجرة، كما أنّ هذه الانتفاضة لم تقع إلا بعد عامين من نفي عثمان أفاضل أخيار الكوفة والبصرة إلى الشام.

عهد معاوية: ص : ١١٤

إشارة

تسلّم معاوية بن أبي سفيان ولاية الشام بعد موت أخيه يزيد الذي كان واليا عليها، فاصطنعها معاوية لنفسه لايحاسب في أمرها على

شى من أعماله، كل ذلك بتدبير من الخليفة الثاني الذي كان يردّ على التقارير المرفوعة إليه عن مخالقات معاوية بقوله الشهير: (دعوا فتى قريش وابن سيدها!!).

وازدادت سيطرة معاوية على الشام رسوخا في عهد عثمان، واستقرّ له أهلها نفسياً وسياسياً، ولم يجد ما ينغص عليه هناة حكمه إلا قيام اميرالمؤمنين عليّ (ع) بالا مر خليفة لرسول الله (ص)، الذي دانت له كل أقطار العالم الاسلامي بالطاعة إلا الشام، حيث امتنع معاوية عن الطاعة لعليّ (ع) متشبّثاً بذريعة الطلب بقتله عثمان، الامر الذي جرّ في النهاية إلى معركة صفين التي كادت أن تنتهي بالنصر الحاسم لصالح اميرالمؤمنين (ع)، لكنّ حيلة رفع المصاحف التي ابتدعها عمرو بن العاص د وأنجحها غباء مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ١١٥

الخوارج وتحجّروهم العقليّ أدّت في النتيجة إلى مهزلة التحكيم، لتنتهي المواجهة بذلك نهاية غير حاسمة. ثمّ قتل اميرالمؤمنين عليّ (ع) وقام الامام الحسن (ع) بالا مر، لكنّ المواجهة بينه وبين معاوية لم تطل إلا أشهراً كشفت الامة فيها عن نفورها من مواصلة الحرب وميلها إلى دنيا معاوية وتنكرها لاهل الحق (ع)، فاضطرّ الامام (ع) إلى الصلح وتسليم الامر إلى معاوية ... فانسقت لمعاوية الامور وسيطر على العالم الاسلامي كلّ، وبذلك استعادت حركة النفاق هيمنتها على كل بلاد الاسلام من جديد في شخص أكبر قادتها دهاءً وأشدّهم عداوةً للاسلام وهو معاوية بن أبي سفيان.

نتائج عهد معاوية ص : ١١٥

إشارة

: ولعهد معاوية الطويل نتائج كثيرة جداً أثرت تاءثيراً بالغاً على الاسلام والامة الاسلاميه، ومن أهم ه ذه النتائج:

١ تحوّل شكل الحكم من الخلافة إلى الملك ص : ١١٥

كان معاوية منذ تسلّمه ولاية الشام قد تصرّف فيها كملك مطلق اليد، يفعل ما يشاء وينفق كيف يشاء بلا رقيب أو حسيب، معتمداً في ذلك على غضّ الطرف من قبل الخليفة الثاني الذي استقبله معاوية في الشام في موكب عظيم، فعجب عمر من تلك الابته وساءله عن ذلك، فاجابه معاوية:

(يا اميرالمؤمنين، إنا باعرض جواسيس العدو فيها كثيرة، فيجب أن نظهر من عزّ السلطان ما يكون فيه عزّ للاسلام وأهله ويرهبهم به! فإن أمرتني فعلت! وإن نهيتني انتهيت!!)، «١»

فقال له عمر في ختام ردّه عليه: (لا آمرك ولا أنهاك!)، «٢» وكان يشبهه

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ١١٦

معاوية بكسرى وقيصر قاتلاً: (تذكرون كسرى وقيصر ودهاءهما وعندكم معاوية؟! «١» ولما بلغ معاوية إخبار النبيّ (ص) عن الملك العضوض د قال:

مستهزئاً (رضينا بها ملكاً). «٢»

وقال يخاطب أهل الكوفة شامتا بهم:

(يا أهل الكوفة، أتروني قاتلتكم على الصلاة والزكاة والحجّ؟ وقد علمت أنكم تصلّون وتركّون وتحجّون، ولكنّي قاتلتكم لا تاءمرّ عليكم وألى رقابكم ...)، «٣»

وكان يقول: (أنا أول الملوكة!). «٤»

وبذلك تحوّل الحكم إلى ملك عضوض يرثه فاجر عن فاجر ...

٢ التعظيم الكامل على فضائل أهل البيت (ع) واختلاق مثالب لهم: ص : ١١٦

لم يكتف معاوية بمواصله الحصار المضروب على البيانات النبوية منذ عهد أبي بكر وعمر وعثمان، بل كشف عن غاية هذا الحصار بعد الصلح حين خضعت له جميع البلاد، حيث أصدر بيانا عاما إلى جميع عماله جاء فيه:

(أن برئت الذمة ممن روى شيئا من فضائل أبي تراب وأهل بيته)، «٥» ص : ١١٦

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ١١٧

فقامت الخطباء في كل كورة وعلى كل منبر يلعنون عليا ويبرؤن منه ويقعون فيه وفي أهل بيته. «١»

وزاد على سنة سب الامام (ع)، إذ استخدم جماعة من نفعيي حركة النفاق من صحابة وتابعين مثل عمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، وأبي هريرة، وسمره بن جندب، وعروة بن الزبير، وغيرهم، للكذب على رسول الله (ص) في اختلاق أحاديث تطعن بأهل البيت (ع)، كما سخر معاوية الوعاظ في جميع بلاد الاسلام ليحولوا القلوب عن أهل البيت (ع) ويذيعوا الاضاليل في انتقاصهم دعما للحكم الاموي، كما ألقى معاوية إلى معاهد التعليم ومعلمي الكتاتيب أن يغذوا الشباب والصبيان ببغض أهل البيت (ع) لخلق جيل جديد معاد لهم بافترأ أحاديث تنتقصهم، وقد تعلم الصبيان ذلك كما تعلموا القرآن وحفظوه!

وكان معاوية على سبيل المثال لا الحصر قد أعطى سمره بن جندب أربعمائة ألف درهم على أن يخطب في أهل الشام ويروي لهم أن هذه الآية الشريفة: (ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام، وإذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل، والله لا يحب الفساد) نزلت في علي (ع)، ففعل سمره ذلك. «٢»

وافترى عمرو بن العاص على النبي (ص) أنه قال: (إن آل أبي طالب ليسوا لي بأولياء، إنما وليي الله وصالح المؤمنين). «٣»

و (لما قدم أبوهريرة العراق مع معاوية عام الجماعة (!) جاء إلى مسجد الكوفة فلما رأى كثرة من استقبله من الناس جثا على ركبتيه، ثم ضرب صلته مرارا، وقال:

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ١١٨

يا أهل العراق، أتزعمون أنني أكذب على الله وعلى رسوله وأحرق نفسي بالنار، والله لقد سمعت رسول الله (ص) يقول: (إن لكل نبي حرما، وإن حرما بالمدينة ما بين غيري إلى ثور، فمن أحدث فيها حدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) وأشهد بأني عليا أحدث فيها. فلما بلغ معاوية قوله أجازه وأكرمه وولاه أمانة المدينة. «١»

وفي محاوره جرت بين معاوية وابن عباس ...

(... قال: فإنا كتبنا في الافاق ننهي عن ذكر مناقب علي وأهل بيته، فكف لسانك يا ابن عباس واربع على نفسك.

قال: فتنهانا عن قراءة القرآن؟

قال: لا.

قال: فتنهانا عن تاءويله؟

قال: نعم!

قال: فنقرأه ولانساءل عما عنى الله به؟

قال: نعم!

قال: فاءيما أوجب علينا قرأته أو العمل به؟

قال: العمل به.

قال: فكيف نعمل به حتى نعلم ما عنى الله بما أنزل علينا؟

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ١١٩

قال: سل عن ذلك ممن يتاءوله على غير ما تتاءوله أنت وأهل بيتك!

قال: إنما أنزل القرآن على أهل بيتي، فاءساءل عنه آل أبي سفيان وآل أبي معيط واليهود والنصارى والمجوس!!

قال: فقد عدلتابهم؟!

قال: لعمري ما أعدلك بهم إلا إذا نهيت الامة أن يعبدوا الله بالقرآن وبما فيه من أمر أو نهى أو حلال أو حرام أو ناسخ أو منسوخ أو

عام أو خاص أو محكم أو متشابه، وإن لم تسأل الامة عن ذلك هلكوا واختلفوا وتاهوا!

قال معاوية: فقرأوا القرآن ولا ترووا شيئا مما أنزل الله فيكم، ومما قال رسول الله (ص)، وارووا ما سوى ذلك!

قال ابن عباس: قال الله تعالى في القرآن: (يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون).

قال معاوية: يا ابن عباس اكفنى نفسك، وكف عني لسانك، وإن كنت لابد فاعلا فليكن سراً، ولا تسمعه أحدا علانية ... «١»

وروى أن قوما من بنى أمية قالوا لمعاوية: يا اميرالمؤمنين، إنك قد بلغت ما أملت فلو كففت عن لعن هذا الرجل. فقال:

(لا والله حتى يربو عليها الصغير ويهرم عليها الكبير ولا يذكر له ذاكرٌ فضلاً). «٢»

وفى موازاة ذلك، عمد معاوية أيضا عن طريق مرتزقة الافتراء على رسول الله (ص) إلى نشر فضائل ومناقب مكذوبة لعثمان والخليفين

الأولين

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ١٢٠

وصحابة آخرين في جميع البلاد الاسلامية، كل ذلك ليدحض حجة أهل البيت (ع) في أنه ليس لاحد سهم كسهمهم في الفضائل

والمناقب!

لنقرأ هذا النص التاريخي:

(وكتب معاوية إلى عماله في جميع الافاق ألا يجيزوا لاحد من شيعة علي وأهل بيته شهادة، وكتب إليهم أن انظروا من قبلكم من شيعة

عثمان ومحبيه وأهل ولايته والذين يروون فضائله ومناقبه فاءدنا مجالسهم وقربوهم وأكرمهم واكتبوا لي بكل ما يروى كل رجل

منهم واسمه واسم أبيه وعشيرته، ففعلوا ذلك حتى أكثروا في فضائل عثمان ومناقبه لما كان يبعثه إليهم معاوية من الصلوات والكساء

والحباء والقطائع ويفيضة في العرب منهم والموالي، فكثر ذلك في كل مصر وتنافسوا في المنازل والدينا، فليس يجي أحد مردود من

الناس عاملا من عمال معاوية فيروى في عثمان فضيلة أو منقبة إلا كتب اسمه وقربه وشفعه، فلبثوا بذلك حيناً، ثم كتب إلى عماله أن

الحديث في عثمان قد كثر وفشا في كل مصر وفي كل وجه وناحية فاذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل

الصحابة والخلفاء الأولين، ولا تتركوا خيرا يرويه أحد من المسلمين في أبي تراب إلا وأتوني بمناقص له في الصحابة مفتعلة، فإن هذا

أحب إلي وأقر لعيني وأدحض لحجة أبي تراب وشيعته وأشد إليهم من مناقب عثمان وفضله، فقرئت كتبه على الناس، فرويت أخبار

كثيرة في مناقب الصحابة مفتعلة لا حقيقة لها، وجد الناس في رواية ما يجري هذا المجرى حتى أشادوا بذلك على المنابر،

وألقى إلى معلمى الكتاتيب فعملوا صيانتهم وغلماهم من ذلك الكثير الواسع وحتى رووه وتعلموه كما يتعلمون القرآن، وحتى علموه

بناتهم ونساءهم وخدمهم وحشمهم فلبثوا بذلك ماشاء الله (...). «١»

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ١٢١

حتى لقد قال ابن عرفة المعروف بنفطويه وهو من أكابر المحدثين وأعلامهم:

(إن أكثر الاحاديث الموضوعه في فضائل الصحابة افتعلت في أيام بنى أمية تقربا إليهم بما يظنون أنهم يرغمون به أنوف بنى هاشم).

إنّ هذا التعظيم المطبق على فضائل أهل البيت (ع) إضافة إلى اختلاق روايات الطعن بهم، وتسخير جميع أجهزة الحكم لهذا الغرض، كان قد أثر مع مرور حوالى عشرين عاما تاءثيرا بالغا فى أن يجهل معظم هذه الامية موقع أهل البيت (ع) وأن يتنكروا لهم ... حتى اضطرّ الامام الحسين (ع) قبل موت معاوية بسنة أن يعقد مؤتمرا فى منى جمع فيه بنى هاشم رجالا ونساءً ومواليهم وجمعا غفيرا بلغ سبعمائة رجل، فيهم مائتان من الصحابة وعامتهم من التابعين، فما ترك شيئا مما أنزل الله فى أهل البيت من القرآن إلّا تلاه وفسره، ولا شيئا مما قاله رسول الله (ص) فى أبيه وأخيه وأمه وفى نفسه وأهل بيته إلّا رواه، وأشهد الحاضرين عليه، وطلب منهم أن يحدّثوا من يثقون بهم من الناس بذلك، «٢» فى محاولة منه (ع) لكسر ذلك الحصار ولاختراق ذلك التعظيم الذى مارسه معاوية لطمس د فضائلهم (ع).

٣ انخداع جلّ الامّة بالتضليل الدينى الاموى ص : ١٢١

: كان الهَمّ الاكبر لمعاوية بعد أن استتبّ الامر له هو اكتساب الاطار الدينى والشرعية لحكمه، ومزج الاموية

مع الركب الحسينى (ج ١)، ص: ١٢٢

بالا سلام فى عقل الامّة مزجا لايمكن بعده الفصل بينهما.

ومعاوية يعلم أنه لايكفى من أجل ذلك التعظيم على فضائل أهل البيت (ع) وحجب الامية عنهم، فى وقت لايملك هو أية قدسيّة فى ضمير الامية، وله من تصرفات الملوك الطغاة وسلوكهم ما يجعله هدفا لكثير من الاحاديث النبوية الداعية إلى القيام بوجه الظلم والحاكم الظالم، لذا فقد عمد من خلال عمل إعلامى واسع ومركز إلى تضليل الامّة فى هذه النقطة على ثلاثة أصعدة:

أ) إختلاق قداسة ديتية لشخصه من خلال افتعال أحاديث نبوية فى فضله، واخفاء ما ائثر عن النبى (ص) فى ذمّه، ولم يجد معاوية صعوبة فى ذلك مادام يبذل الكثير، ومادام مرتزقة الافتراء على النبى (ص) يحوطونه وينتظرون أمره فيما يشتهى من الرواية المفتراة على رسول الله (ص)!

فشاع فى كلّ بلاد الاسلام الكثير من الاحاديث المكذوبة فى فضل معاوية، منها: أنه (ص) قال:

(ومعاوية بن أبى سفيان أحلم أمتى وأجودها.) «١»

وقال:

(وصاحب سرى معاوية بن أبى سفيان.) «٢»

وقال عن لسان جبرئيل (ع):

(يا محمّد أقرىء معاوية السلام واستوص به خيرا، فإنّه أمين الله على

مع الركب الحسينى (ج ١)، ص: ١٢٣

كتابه ووحيه ونعم الامين.) «١»

أو:

(الامناء ثلاثة: جبرئيل وأنا ومعاوية.) «٢»

أو:

(أللهم اجعله هاديا مهديا واهد به.) «٣»

وغير هذا كثير من الاحاديث الموضوعة التى لم تزل حتى اليوم تضلّ كثيرا من أبناء هذه الامّة.

ب) منع الامّة باسم الدين عن التدمر من الحاكم الظالم والثورة عليه:

سعى معاوية إلى تخويف الامّة من الثورة على الظلم والجور، وزين لها الرضوخ للحاكم وإن كان جائرا، وشهر فى وجه كلّ من يفكر

بالقيام والثورة تهمه جرم تفريق أمر هذه الامة، التي جزاؤها القتل، كل ذلك باسم الدين من خلال احاديث كثيرة افتعلتها أجهزته الاعلامية لتخدير الامة وإذلالها، ومنها على سبيل المثال:
أنه (ص) قال:

(من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر عليه، فإنه من فارق الجماعة فمات مات ميتة جاهليّة...). «٤»

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ١٢٤

ويسأل أبوهريرة العجاج قائلاً: ممن أنت؟

قال: قلت من أهل العراق.

قال: يوشك أن يأتىك بقعان أهل الشام فيأخذوا صدقتك، فإذا أتوك فتلقهم بها، فإذا دخلوها فكن في أقاصيها وخلّ عنهم وعنهما، وإياك أن تسبهم، فإنك إن سببتهم ذهب أجرك وأخذوا صدقتك، وإن صبرت جاءتك في ميزانك يوم القيامة». «١»
وغير هذه احاديث كثيرة موجودة في الكتب الحديثية لآبناء العامة لازال بعض د هذه الامة يتأثر بها مصدقاً بها إلى اليوم.
(ج) واللون الاخر من ألوان التضليل الديني الذي استخدمه معاوية وبرع في استخدامه هو تاءسيس فرق دينية سياسية تقدم للناس تفسيرات دينية تخدم سلطة الامويين وتبزر أعمالهم، كما هو الحال في مذهب الجبر ومذهب الارحاء ...

يقول أبوهلل العسكري في الاوائل: إن معاوية أول من زعم أن الله يريد أفعال العباد كلها. «٢»

ولما اعترض عليه عبد الله بن عمر في نصب ولده يزيد خليفه من بعده قال معاوية:

(... وإني أحذرك أن تشق عصا المسلمين وتسعى في تفريق ملاهم وأن تسفك دماءهم، وإن أمر يزيد قد كان قضاء من القضاء وليس للعباد خيرة من

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ١٢٥

أمرهم). «١»

وأجاب عائشة أيضا بمثل هذا الجواب عندما نازعته في هذا الاستخلاف. «٢»

فطغى مذهب المجبرة واتسع انتشاره على يد معاوية وبنى أمية واضطهد القول باختيار الانسان في أفعاله حتى كان يقتل من يقول به!
كما انتشرت في العهد الاموي فرقة المرجئة التي ترى الاكتفاء في الايمان بمجرد الاعتقاد والاقرار باللسان بلا جانب العمل، وسموا المرجئة لا أنهم أرجاءوا العمل أي آخروه، وعند هذه الفرقة أنه:

(لا تضر مع الايمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة)

وقالوا:

(إن الايمان، الاعتقاد بالقلب وإن أعلن الكفر بلسانه، وعبد الاوثان، ولزم اليهودية أو النصرانية في دار الاسلام وعبد الصليب وأعلن التثليث، ومات على ذلك فهو مؤ من كامل الايمان عند الله عز وجل، ولي لله عز وجل، من أهل الجنة). «٣»

إن النتيجة المنطقية لمذهب المجبرة هنا هي أن الامويين لا يعترض على حكمهم ولا على أعمالهم لان الله أرادهم لذلك وأراد أعمالهم، وتسلمتهم من قضاء الله الذي لا يرد، وهم على مذهب المرجئة مؤ منون مهما ارتكبوا من كبائر المعاصي!!

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ١٢٦

وينطلق وعياظ السلاطين ومحدثوهم في كل البلاد الاسلامية ينفثون هذه السموم في قلوب الناس وعقولهم ليلجموهم عن التذمر والثورة بلجام ينسبونه إلى الدين والدين منه برأ، وليقعدوهم بها عن الاحتجاج على سياسة العسف والظلم، ويحجزوهم عن أية محاولة للقيام من أجل تحسين أحوالهم!

وبمرور حوالي عشرين عاما من حكم معاوية على كل بلاد الاسلام، وبتأثير هذا التضليل الديني الذي نجح مع الاغرا والارهاب أيما

نجاح، صدق جل هذه الامة بشرعية الحكم الاموي وانحدعوا به، وامتزجت في عقولهم الاموية بالا سلام، وصار في تصورهم أن القيام ضد الحكم الاموي قيام ضد الاسلام!

لذا كان لابد لفصل الاموية عن الاسلام في عقول الناس وقلوبهم، من أن يُراق دم مقدس عند جميع المسلمين غاية القداسة، على مذبح المواجهة مع الحكم الاموي، وهذا الدم ليس إلا دم ابن رسول الله (ص) سيد شباب أهل الجنة أبي عبدالله الحسين (ع). الامر الذي كان يدرك أثره معاوية تمام الادراك، فكان يتحاشاه قدر استطاعته.

٤ اضطهاد الشيعة: ص : ١٢٦

عمد معاوية بعد التحكيم إلى الاغارة على البلاد التي تمثل أطراف الارض التي تقع تحت سيطرة اميرالمؤمنين علي (ع)، فنكل بها، وقد صرح باهدافه لقادته العسكريين الذين بعثهم في تلك المهمات، فقد قال لبسر بن أرطاة:
(لاتنزل على بلد اهلك على طاعة علي إلا بسطت عليهم لسانك حتى يروا أنهم لا نجاء لهم وأنك محيط بهم، ثم اكف عنهم وادعهم إلى البيعة لي، فمن أبي فاقتله، واقتل شيعة علي حيث كانوا). «١»

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص : ١٢٧

فسار بسر وأغار على المدينة ومكة، فقتل ثلاثين ألفا عدا من أحرق بالنار!

ودعا معاوية بالضحاك بن قيس الفهري وأمره بالتوجه ناحية الكوفة، وقال له:

(فمن وجدته من الاعراب في طاعة علي فاءغر عليه)، فاقبل الضحاك فنهب الاموال وقتل من لقي من الاعراب، وأغار بالثعلبية على الحاج، وقتل فيمن قتل عمرو بن عميس بن مسعود الذهلي ابن أخي عبدالله بن مسعود وناسا من أصحابه. «١»
ووجه سفیان بن عوف الغامدي إلى جانب الفرات باتجاه هيت ثم الانبار ثم المدائن، ومما قاله له:

(إن هذه الغارات يا سفیان على أهل العراق ترعب قلوبهم، وتفرح كل من له هوى فينا منهم، وتدعو إلينا كل من خاف الدوائر، فاقتل كل من لقيته ممن هو ليس د علي مثل رأيك، وأخرب كل ما مررت به من القرى، وأحرب الاموال فإن حرب الاموال شبيه بالقتل وهو أوجع للقلب). «٢»

واستمر معاوية على هذه السياسة بعد استشهاد الامام علي (ع)، بصورة أكثر عنفا وشمولا وتنظيما، ثم اشتد البلاء على الشيعة في الامصار كلها بعد معاهدة الصلح، وكان أشد الناس بئس أهل الكوفة لكثرة من بها من الشيعة، واستعمل عليها زيادا، ضمها إليه مع البصرة، وجمع له العراقيين، وكان يتبع الشيعة وهو بهم عالم، لأنه كان منهم وقد عرفهم وسمع كلامهم أول شى، فقتلهم تحت كل كوكب وتحت كل حجر ومدبر، وأجلاهم وأخافهم، وقطع الايدي والارجل منهم، وصلبهم على جذوع النخل، وسمل أعينهم، وطردهم وشردهم حتى انتزعوا عن العراق فلم يبق بها أحد منهم إلا مقتول

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص : ١٢٨

أو مصلوب أو طريد أو هارب، وكتب معاوية إلى قضاته وولاته في جميع الارضين والامصار أن لاتجزوا لا حد من شيعة علي ولا من أهل بيته ولا من أهل ولايته الذين يرون فضله ويتحدثون بمناقبه شهادة. «١»

وكان قد كتب بيانا واحدا إلى عماله في جميع البلاد:

(انظروا من قامت عليه البينة أنه يحب عليا وأهل بيته فامحوه من الديوان، وأسقطوا عطاءه ورزقه). «٢»

ثم شفع ذلك بيان آخر:

(من اتهمته بموالاة هؤلاء القوم فنكلوا به واهدموا داره). «٣»

فضاقت الاحوال بالشيعة إلى حد الاختناق حتى أن الرجل من شيعة علي (ع) لياه تيه من يتق به فيدخل بيته فيلقى إليه سره، ويخاف من

خادمه ومملوكه ولا يحدثه حتى ياءخذ عليه الايمان الغليظة ليكتمن عليه. (٤)

ولقد بلغ الارهاب حدا لا يطاق حتى صار الرجل يفضل أن يقال عنه أنه زنديق أو كافر ولا يقال عنه أنه من شيعة علي (ع). (٥)

ومن أعيان الشيعة الذين قتلهم معاوية: حجر بن عدى وجماعته، و رشيد

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ١٢٩

الهجري، وعمرو بن الحمق الخزاعي، وأوفى بن حصن، وعبدالله الحضرمي وجماعته، وجويرية بن مسهر العبدى، وصيفى بن فسيل، وعبدالرحمن العنزى.

ومن أعيان الشيعة الذين اضطهدهم معاوية وضيق عليهم تضييقا شديدا:

عبدالله بن هاشم المرقال، وعدى بن حاتم الطائي، وصعصعة بن صوحان، وعبدالله بن خليفة الطائي.

كما روع كوكبة من النساء المؤمنات ولم يرع لهن حرمة المرأة.

هذا فضلا عن سياسة الابعاد، حيث أبعد زياد خمسين ألفا من الشيعة في الكوفة إلى خراسان، من أجل إضعاف المعارضة الشيعة فيها. (١)

والظاهر أن معاوية كان يسعى من وراء ذلك فضلا عن أهداف أخرى كثيرة إلى إضعاف الوجود الشيعي إلى درجة أن أى قائد من قادتهم إذا أراد القيام بوجه الحكم الاموي فسوف لن يجد في أحسن الحالات إلا عصابة قليلة يمكن القضاء عليها بسرعة وسهولة.

٥ تمزق الأمة الاسلامية قليا وطبقيا ص : ١٢٩

من الاسس الكبيرة التي أشاد معاوية عليها استقرار حكمه سياسة الاستكبار المعروفة في الامم المستضعفة وهي (فَرَّقْ تَسُدْ). فالعصية التي أماتها الاسلام كان معاوية قد أطلق لها العنان لتمزق شمل الأمة، وفجر التناحر القبلي تفجيرا شديدا، واحتقر الموالى واضطهدهم، وأذل الفقراء، وفزق بين البلدان الاسلامية في العطاء والمنزلة، كما فرَّق بين أشرف القبيلة الواحدة وبين عامتها، كل ذلك من أجل أن تجد الامية نفسها في حال تمزقها وتناحرها مضطرة إلى التقرب إليه بالطاعة والانقياد لا وامره، وكان أبرع ولاته في تنفيذ خطته التمزيقية هذه

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ١٣٠

زياد ابن أبيه الذي ادعاه معاوية لابه.

وشواهد هذه الحقيقة المرة كثيرة في المتون التاريخية، لكننا هنا نكتفي في الدلالة عليها من خلال فقرات منتخبة من كتاب سري بعثه معاوية إلى زياد جاء فيه:

(أما بعد، فإنك كتبت إليّ تساءلني عن العرب، من أكرم منهم ومن أهين، ومن اقرب ومن ابعده، ومن آمن منهم ومن اءحذر؟ ... وانا يا اءخى اءعلم الناس بالعرب، انظر هذا الحى من اليمن فاء كرمهم فى العلانية وأهنهم فى السر، فإننى كذلك أصنع بهم ... وانظر ربيعة بن نزار فاء كرم أمراهم وأهن عامتهم فإن عامتهم تبع لا شرافهم وساداتهم، وانظر إلى مضر فاضرب بعضها ببعض، فإن فيهم غلظة وكبرا ونخوة شديدة، فإنك إذا فعلت ذلك وضربت بعضهم ببعض كفاك بعضهم بعضا ... وانظر إلى الموالى ومن أسلم من الاعاجم فخذهم بسنة عمر بن الخطاب، فإن فى ذلك خزيبهم وذلةهم: أن تنكح العرب فيهم ولاينكحهم، وأن تقصر بهم فى عطائهم وأرزاقهم، وأن يقدموا فى المغازى، يصلحون الطريق ويقطعون الشجر، ولا يؤم أحد منهم العرب فى صلاة، ولا يتقدم أحد منهم قضاء المسلمين ولا أحكامهم فإن هذه سنة عمر فيهم وسيرته، وجزاه عن أمة محمد وعن بنى أمية خاصة أفضل الجزأ! فلعمري لولا ما صنع هو وصاحبه وقوتهما وصلابتهما فى دين الله!! لكننا وجميع هذه الامية لبنى هاشم الموالى، ولتوارثوا الخلافة واحدا بعد

واحد ...

فإِذا جاءك كتابي هذا فاءدّل العجم وأهّهم وأقصهم ولا تستعن بآءِ حدٍ منهم ولا تقض لهم حاجة ... وحدّثني ابن أبي معيط أنّك أخبرته أنّك قرأت كتاب عمر إلى أبي موسى الأشعري وبعث إليه بحبل طوله خمسة أشبار وقال له:

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ١٣١

أعرض من قبلك من أهل البصرة فمن وجدت من الموالى ومن أسلم من الاعاجم قد بلغ خمسة أشبار فقدمه فاضرب عنقه، فشاورك ابو موسى في ذلك فنهيته وأمرته أن يراجع فراجع، وذهبت أنت بالكتاب إلى عمر، وإنما صنعت ما صنعت تعصياً للموالى وأنت يومئذ تحسب أنّك عبد ثقيف، فلم تزل بعمر حتى رددته عن رأيه، خوفته فرقة الناس فرجع، وقلت له: ما يؤمنك وقد عادت أهل هذا البيت أن يثوروا إلى عليّ فينهض بهم فيزيل ملكك، فكفّ عن ذلك، وما أعلم يا أخى ولأمد مولود من أبي سفيان أعظم شؤ ما عليهم مثلك حين رددت عمر عن رأيه ونهيته عنه ... فلو كنت يا أخى لم تردّ عمر عن ذلك لجرت سنّة، ولا ستاء صلهم الله وقطع أصلهم، وإذن لاستنتت به الخلفاء بعده ... فما أكثر ما قد سنّ عمر في هذه الامية بخلاف سنّة رسول الله (ص) فتابعه الناس عليها وأخذوا بها، فتكون هذه مثل واحدة منهمّ ... «١»

وكان من نتائج إثارة التناحر القبلي أن شغل زعماء القبائل بالسعى عند الامراء الامويين للوقيع بخصومهم من زعماء القبائل الاخرى، وتودّدوا إلى هؤلاء الامراء وتملقوهم، الامر الذي وحدهم في طاعة حكم معاوية الذي أشعل الفتنة بينهم وهم لا يشعرون، وقد دفعهم هذا الوضع أيضا إلى أن يقفوا دائما مع الحاكمين ضدّ الثائرين حفاظا على الامتيازات والعطايا الممنوحة لهم، وكانوا يقفون في وجه كلّ محاولة للتورة ويخذلون الناس عنها، ويتسابقون في استخدام أقصى ما يملكونه من نفوذ ودهاء في هذا السبيل للتاء كيد على ولائهم التام للسلطة، وفي قصّة اقتسام القبائل رؤوس شهداء

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ١٣٢

كربلاء دليل واضح على هذه الحالة المزريّة التي وصلت إليها قبائل العرب نتيجة المنافسة بينها والتناحر والمفاخرة الجاهليّة التي ما برحت تتعاضم فيهم منذ يوم السقيفة بعد ما أماتها الاسلام.

٦ الانتكاس الروحي والنفسي في الامّة: ص: ١٣٢

نتيجة لمجموع سياسات معاوية التضليليّة على كلّ المستويات الفكرية والاجتماعية والسياسية والنفسية كانت الامية قد هوت إلى الحضيض في الجانب النفسي والروحي، وتفشى في كيانها الوهن المتمثل بحبّ الدنيا وكرهية الموت، وطغى هذا الشلل الذي كان قد بدأ التسرّب إلى حياتها منذ يوم السقيفة حتى أقعدها عن نصره كلّ قضية من قضايا الحق، وساءت أخلاقيتها إلى درجة أن الرجل الوجيه في قومه لا يتورّع في انقياده إلى الدنيا من أن يبيع دينه لمعاوية صراحة، فقد روى أنّه:

(وفد على معاوية جماعة من أشراف العرب، فاءعطى كلّ واحد منهم مائة ألف، وأعطى الحتات عمّ الفرزدق سبعين ألفا، فلما علم الحتات بذلك رجع مغضبا إلى معاوية.

فقال له: فضحتني في بني تميم، أما حسبى فصحيح، اءولست ذا سن؟

ألست مطاعا في عشيرتي؟

قال: بلى.

قال: فما بالك خسست بي دون القوم، وأعطيت من كان عليك أكثر ممّن كان لك؟

قال: إنني اشتريت من القوم دينهم، ووكلتك إلى دينك! ورأيتك في عثمان (وكان عثمانيا).

قال: وأنا فاشتر مني ديني.

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ١٣٣

فأمر له بإتمام جائزته. «١»

وشاعت الانتهازية والوصولية بين الناس، فصار جلّ سعيهم في التزلف إلى السلطان والتقرب منه والتملق إليه طمعا في دنياه، حتى صاروا أطوع له من يده، وبذلك ضمن معاوية انقياد جلّ هذه الأمة له، ممن لا بصيرة لهم في أحنائهم ولا هم لهم إلا دنياهم! وأما أولئك الذين لم تنطل عليهم أذليل الامويين وأكاذيبهم، فقد آل الأمر بآثارهم أيضا إلى أخطر ظاهرة في حياة الانسان المسلم وهي الازدواجية في الشخصية حيث يتعارض ظاهر الانسان مع باطنه، ذلك لأن سياسة معاوية في الترغيب بالمال والجاه والدنيا، وأسلوبه الوحشي في التنكيل بآعدائه علما الناس د على الدجل والنفاق والسكوت عن الحق، والتظاهر بخلاف ما يعتقدون، وهذا الوضع الشاذ الذي فرض عليهم أن يخفوا دوما ما يعتقدونه حقا، وأن يتظاهروا بما تريده السلطة منهم مع علمهم بأنه الباطل، ولّد عندهم حالة ازدواج الشخصية، هذا الازدواج الذي كان يعمل عمله في فضّ أعوان الثورة عنها، أو إفشاء أسرارها، أو القضاء عليها، بتأثير ظاهر الشخصية الخاضع لا وأمر السلطة الحاكمة والمنسجم معها، خلافا لباطن هذه الشخصية المؤيد للثورة والمقدس لقيادتها والراغب في نصرتها والانتماء إليها.

هذا الازدواج الذي صورّه الفرزدق للامام الحسين (ع) حيث عبّر عن حال أهل الكوفة قائلا: (قلوبهم معك وسيوفهم عليك). ولم تختلف عمليا حال المزدوجين عن حال المضللين بالباطل الاموي، ذلك لأن الحكم الاموي استطاع أن يجند الصنفين معا تحت رايته فأسرجوا

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ١٣٤

وأجموا وتقبوا للقضاء على كل الثورات التي قامت تدعو إلى الحق!

وظلّ كثيرا ممن عرفوا الحق وأهله أسارى الشلل النفسي المتعاطم منذ يوم السقيفة، فخذلوا الحق عمليا ولم ينصروه مع علمهم بعاقبة من يخذله ولم ينصره عند الله!

هذا عبدالله بن عمر يقول إنه سمع رسول الله (ص) يقول:

(حسين مقتول، ولئن قتلوه وخذلوه، ولن ينصروه ليخذلهم الله إلى يوم القيامة). «١»

ومع هذا فلم ينصره بل قعد عن ذلك، بل أمره بمبايعه يزيد!!

وأولئك الذين أشاروا على أبي عبدالله (ع) بعدم الخروج ونصحوه بآلاء يعرض د نفسه للقتل، وقعدوا عن نصرته، وهم يعلمون عن لسان رسول الله (ص) أنه مقتول، وأنه:

(لا يقتل بين ظهرائي قوم فلا يمنعونه إلا خالف الله بين قلوبهم وألسنتهم). «٢»

وهذا شريك بن الاعور وجماعة معه ممن كانوا شيعة لعلي، يصحبون عبيدالله بن زياد من البصرة إلى الكوفة، فيتساقطون في الطريق متظاهرين بالعباء لعلّ ابن زياد يتأخر من أجلهم فيسبقه الحسين (ع) إلى الكوفة ويستقر له أمرها. «٣»

أنظر إلى الشلل النفسي كيف يقيد حركة المصاب به! فشريك وجماعته يتمنون لو أنّ الامور تستتبّ للامام (ع)، لكنهم بدلا من تعويق ابن زياد أو قتله في البصرة أو الطريق بآلف حيلة وحيلة، يكتفون فقط بالتساقط في الطريق

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ١٣٥

رجاء أن يتأخر ابن زياد عن الوصول إلى الكوفة في الوقت المناسب!!

وهذا عبيدالله بن الحرّ الجعفي يدعوه الامام (ع) إلى نصرته، فيجيب معترفا بشلله النفسي قائلا:

(والله إنّي لا علم أنّ من شايحك كان السعيد في الآخرة، ولكن ما عسى أن أءغني عنك ولم اءخلف لك بالكوفة ناصرا؟، فأشدك الله اءن تحملني على هذه الخطئة، فإنّ نفسي لم تسمح بعد بالموت! ولكن فرسى هذه (الملحقة) والله ما طلبت عليها شيئا قطّ إلا

لحقته، ولا طلبني وأنا عليها أحد إلا سبقته، فخذها فهي لك!» (١)

فيقرعه الامام (ع) مبيّنا أنه لا حاجة له بمشلول في نفسه، قائلاً:

(أما إذا رغبت بنفسك عنّا فلا حاجة لنا إلى فرسك). (٢)

وروى الطبري عن سعد بن عبيدة أنه رأى في وقعة كربلاء أشياخاً من أهل الكوفة واقفين على التلّ يكون ويقولون: اللهم أنزل

نصرك (أي على الحسين (ع))! فقال لهم سعد: يا أعداء الله! ألا تنزلون فتنصرونه!!؟ (٣)

إن الشلل النفسى يسوّغ لـلا- نسان أن يخادع حتى نفسه، وكلّ ما قدمناه من الامثلة يحكى في الواقع عن مخادعة الانسان نفسه في

التعامل مع الحقيقة، ولنختم هذه الامثلة بهذه القصّة المؤسفة حقاً: قال هرثمة بن سليم:

(غزونا مع علي بن أبي طالب غزوة صفّين، فلما نزلنا بكربلاء صلّى بنا صلاة فلما سلّم رفع إليه من تربتها فشمّها ثم قال: واهّا لك أيّتها

التربة، ليحشرنّ

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ١٣٦

منك قوم يدخلون الجنّة بغير حساب.

فلما رجع هرثمة من غزوته إلى امرأته وهي جرداً بنت سمير، وكانت شيعه لعليّ فقال لها زوجها هرثمة: ألا أعجّبك من صديقك أبي

الحسن؟ لَمَا نزلنا كربلاء رفع إليه من تربتها فشمّها فقال: واهّا لك يا تربة، ليحشرنّ منك قوم يدخلون الجنّة بغير حساب، وما علمه

بالغيب؟! فقالت: دعنا منك أيّها الرجل، فإنّ اميرالمؤمنين لم يقل إلا حقاً.

فلما بعث عبيدالله بن زياد البعث الذي بعثه إلى الحسين بن عليّ وأصحابه، قال: كنت فيهم في الخيل التي بعث إليهم، فلما انتهيت إلى

القوم وحسين وأصحابه عرفتُ المنزل الذي نزل بنا عليّ فيه والبقعة التي رفع إليه من ترابها، والقول الذي قاله، فكرهت مسيرى،

فأقبلت على فرسى حتى وقفت على الحسين، فسلمت عليه، وحدثته بالذي سمعت من أبيه في هذا المنزل، فقال الحسين: معنا أنت أو

علينا؟ فقلت: يا بن رسول الله! لا- معك ولا- عليك! تركت أهلي وولدي، أخاف عليهم من ابن زياد. فقال الحسين: قول هرباً حتى

لا ترى لنا مقتلاً، فوالذي نفس د محمّد بيده لا يرى مقتلاً اليوم رجلاً ولا يُغيثنا إلا أدخله الله النار. قال: فأقبلت في الارض هاربا حتى

خفي عليّ مقتله. (١)

تاءمل! كيف يخادع الانسان نفسه بسبب الشلل النفسى في أعماقه!!

وبعد: فلم يبق في أواخر عهد معاوية من هذه الامّة من لم ينخدع بالضلّال الامويّ أولم تزوج شخصيته أو لم يقعد به الشلل النفسى

عن نصره الحقّ إلّا

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ١٣٧

أقلّ القليل، بين طريد وشريد وسجين ومتخفّ مترقّب، ومن هذا القليل كانت الصفوة التي نصرت سيّد الشهداء (ع).

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ١٣٩

المقالة الثانية: بين يدي الشهيد الفاتح ص : ١٣٩

إشارة

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ١٤١

المقالة الثانية: بين يدي الشهيد الفاتح!

--- حدث ماء لوف في تاريخ دين الله على الارض منذ عهد آدم (ع)، ويبقى ماء لوف الى عصر الوصي الخاتم (ص)، أن يُقتل المؤمن من في سبيل الله فيكون شهيدا.

ومشهد كان ولا يزال ماء لوف على مسرح الصراع أن تُحس هذه الارض وطأة الانسان الفاتح وتسمع ركزه، منذ خرجت حياة الجماعة البشرية عن موازين فطرة الله التي فطر الناس عليها، فكان الاختلاف والصراع، وكان النصر والهزيمة. والمؤمن المجاهد في سبيل الله لا يحق له الانهزام في المواجهة، مادام شاريا الحياة الدنيا بالاخرة، فهو في المواجهة إما أن يُقتل أو يَغلب).

يُقتل ويكون شهيدا، فيؤ تيه الله (أجرا عظيما).

أو يَغلب، فيؤ تيه الله ذلك الاجر العظيم أيضا!

إذ قد وعد الله تعالى المؤمن من المجاهد في سبيله شهيدا أو غالبا أجرا عظيما، وما لم يُقتل) أو (يَغلب) فهو دون حظوة ذلك الاجر العظيم وإن كان ماء جورا.

وقدم الله تعالى الشهيد على الغالب في الحديث عن ذلك الاجر العظيم الذي وعدهما إياه، لأن الشهيد لا يخشى عليه بعد قتله من فقدان الاجر بسبب اجتراف سيئه أو انحراف عن الصراط يحبط الاجر، إنه قد ضمن أجره ولا خوف عليه ولا هو يحزن! لكن الغالب وإن كان له أيضا ذلك الاجر العظيم كما للشهيد، غير أن نوال هذا

مع الركب الحسيني (ج 1)، ص: 142

الاجر مشروط بدوام الاستقامة على الصراط وعدم اجتراف ما يحبط الاجر.

الغالب إذن على خطر! حتى يُنهى شوط الدنيا مستقيما على الصراط السوي إلى الاخرة!

هذا من بعض عطاءات الاية الكريمة:

(فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالاخرة، ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يَغلب فسوف نُؤ تيه أجرا عظيما). «1»

عادة الامر إذن أن يكون الشهيد غير الغالب، وإن مهّد الشهدا للنصر بدمائهم الزاكية.

غير أن الفتح أحص من الغلبة، إذ كم من غلبة لم تثمر فتحا! هذا إذا عيننا بالفتح نوعا من الغلبة يثمر تغييرا وتحولا حاسما ومنعطفا رئيسا لصالح أهداف الفاتح.

ومن هنا كان صلح الحديبية فتحا مبينا كما قرّر القرآن الحكيم، لأنه أنتج تغييرا وتحولا حاسما لصالح الاسلام والمسلمين لم تنتجه معركة بدر، على عظمة النصر فيها!، ذلك لأن قريشا في هذا الصلح قد اعترفت بالمسلمين رسميا كقوة عدوة تكافئها، فوَّقت معها معاهدة تحترمها وترعاها.

وقد أنزل الله تعالى: (إنا فتحنا لك فتحا مبينا ...) في واقعة صلح الحديبية التي كانت قبل فتح مكة بعامين! «2»

إذن فكلُّ فاتح غالب، وليس كلُّ غالب فاتح!

مع الركب الحسيني (ج 1)، ص: 143

وعادة الامر إذن أن يكون الشهيد غير الفاتح، وإن مهّد الشهدا للفتح بدمائهم الزاكية.

لكن، هل خرج هذا الامر عن مجرى عاداته مرة؟!؟

وهل كان إنسانا شهيدا فاتحا معا...؟!؟

وإذا كانت صفة (الشهيد الفاتح) من الخصائص ... فمن هو هذا الانسان الوتر في الخالدين، والواحد في الربانيين...؟

من أجل قراءة إنسان فديد كهذا ... لا بد لنا أن ندع مطالعة الماء لوف والقاعدة ... ونقرأ في سفر الخصائص والاستثناءات!

«الشهيد الفاتح» من الخصائص الحسينية: ص : ١٤٣

شهادة هي عين الفتح ... ومصرع هو عين الانتصار والغلبة!!

شهيد فاتح معا ... إنها خصوصية من خصائص الامام أبي عبدالله الحسين (ع)، لم تكن لا حد قبله من أنبياء الله (ع) ولا لا حد من أوليائه ... ذلك لانّ التواريخ العام لم يحدثنا أنّ أحدا من رجال دين الله تعالى قُتل فكانت شهادته عين الفتح لا هدفه والغايات التي يجاهد في سبيلها.

والتاريخ القرآني لم يقصّ علينا أنّ أحدا من أنبياء الله تعالى ممّن قُتل في سبيل الله وما أكثر الانبياء الشهداء كانت شهادته عين الفتح لبقاء دين الله وانتشاره!

نعم، كان هناك أنبياء فاتحون، وأولياء فاتحون ... وكان هناك أنبياء شهداء، وأولياء شهداء ...، ولكننا نتأمل في صفة (الشهيد الفاتح)! مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ١٤٤

ولو أنّ هذه الصفة كانت لا-حد من أنبياء الله تعالى وأوليائه (ع) فيمن كانوا قبل نبينا الاكرم (ص)، لكان لخصيته موضوع متميز في التواريخ القرآني، ولحظي ذكره بعناية فائقة في هذا التاريخ الالهي، كما حظي بذلك إبراهيم وموسى ويوسف (ع) مثلا، ذلك لانّ التاريخ القرآني الذي اهتم بالمقاطع والمنعطفات واللقطات التاريخية ذات العبرة والعظة التربوية، والذي سجّل لنا حتى اللقطة التاريخية لحديث نملة لما في حديثها من درس وعبرة، لم يكن ليعرض صفا عن ذكر صفة (شهيد فاتح) على ما في هذه الصفة من عبرة تربوية وتاريخية عظيمة!

وفي مقطع حياة رسول الله (ص)، كان هناك أكثر من انتصار وأكثر من فتح ...

ولم يكن حتىّ شهيداً بدر فاتحين ... ذلك لا-نّ بدرا كانت غلبةً ونصراً ولم تكن فتحا والقرآن الحكيم لم يسمّها فتحا كما أنّ التحولات الحاسمة لصالح الاسلام بعد بدر لم تكن لشهادة شهيداً بدرٍ الا برار ١ بل لوجود النبي الاكرم (ص) ولسيف عليّ (ع) والسيوف الصادقة الاخرى التي كانت مع هذا السيف الفريد في أهمّ مواقع الاسلام المصيرية!

نعم، كان لدماء شهيداً بدر الزاكية وللشهداء الاخرين أثر وتمهيد للفتح فيما بعد ... ولكنّ كلامنا هنا في شهادة هي عين الفتح!

وفي تاريخ الخمسين سنة من بعد رسول الله (ص)، أي إلى نهاية سنة ستين للهجرة لم يحدثنا التاريخ عن شهادة هي عين الفتح! حتىّ دخلت سنة إحدى وستين ... فتحققت تلك الخصوصية التي كانت مكنونة في مطاوي الزمان لصاحبها الامام أبي عبدالله الحسين (ع) ذلك الوتر في الخالدين ... ثم امتنعت عن سواه إلى قيام الساعة!

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ١٤٥

وأما أنّها لا تكون لا حد بعد الحسين (ع)، فذلك لانّ عاشوراً قد كشفت عن وحدة وجودية لا انفكاك لها بين الاسلام المحمديّ الخالص وبين الحسين (ع)، فصارت الدعوة إلى هذا الاسلام هي عين الدعوة إلى الحسين (ع)، وبالعكس، وصارت مواجهة هذا الاسلام ومعاداته هي عين مواجهة الحسين (ع) ومعاداته، وبالعكس، وصار بقاء هذا الاسلام بعد كربلاء ببقاء عاشوراً الحسين (ع)، حتىّ لقد قيل وما أصدق من قول: (الاسلام محمديّ الوجود حسينيّ البقاء). «١»

لقد امتدّ النهج الحسيني بعد عاشوراً فهيمن على كلّ مساحة الزمان والمكان في انبعاث كلّ قيام إسلامي حقّ إلى قيام الساعة، لقد غدا الحسين (ع) قدوة كلّ مسلم نائر للحقّ وبالحقّ، وغدت كلّ نهضة إسلامية حقّة تجد نفسها امتداداً لنهضة الحسين (ع)، حتىّ نهضة المهدي (ع) تجد نفسها امتداداً لنهضة الحسين (ع) وتؤكّد هذا الامتداد بشعار: (يا لثارات الحسين).

وغدا كلّ طاغية من أعداء الاسلام بعد عاشوراً يجد نفسه في مواجهة الحسين (ع)، فهو يذعر من ذكر الحسين (ع)، بل ويخاف من قبر الحسين (ع)، وقد كان ولا يزال هذا القبر المقدّس يتعرّض في الماضي والحاضر لا شرس د الهجمات ومحاولات الطمس من قبل

الطغاة، فلا يزداد إلّا علوّاً وشموخاً! يقول اميرالمؤمنين عليّ (ع) مشيراً إلى هذه الخصوصيّة الحسينيّة في وصف منزله شهداء كربلاء (ع):

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ١٤٦

(... ومصارع عشاق شهداء، لا يسبقهم من كان قبلهم، ولا يلحقهم من بعدهم). «١»

إنّ في (لا يسبقهم من كان قبلهم) و (لا يلحقهم من بعدهم) إشارة إلى هذا التفرد الناشئ عن تلك الخصوصيّة!

وهنا قد يقول قائل: إذن فاء نصار أبي عبدالله الحسين (ع) من أهل بيته وصحبه الكرام الذين استشهدوا بين يديه شهداء فاتحون أيضاً! نعم، ولكنّ هذا الاشتراك لا يقدح في أصل أنّ هذه الصفة من خصائص الحسين (ع)، ذلك لأنّ في ظلّ هذا الامتياز الحسيني الخاصّ كان أنصار أبي عبدالله (ع) من أهل بيته وصحبه الكرام الذين استشهدوا بين يديه شهداء فاتحين أيضاً، وتسّموا هذا المقام الذي لم يسبقهم إليه سابق ولا يلحق بهم إليه لاحق، لا عن استقلاليّة منهم بذلك، بل تبعاً لصاحب هذا الاختصاص أصالة، إذ لو لم يكن الامام أبو عبدالله الحسين (ع) صاحب كربلاء، لما كان شهداء الطّف الآخرين على ما هم عليه من هذه المرتبة في السمو والشرف التي ينحدر عنها السيل ولا يرقى إليها الطير، ولما كانت كربلاء التي نعرف، ولا عاشوراء التي تآخذ بمجامع قلوب المؤمنين خاصيّة وأحرار العالم عامّة.

إنّ قداسة الامام الحسين (ع) (المثل الاعلى) في ضمير ووجدان الامة هي التي أسبغت على عاشوراء كلّ هذه القداسة وهذه الرمزيّة في الزمان (كلّ يوم عاشوراء)، وهي التي نشرت كربلاء على كلّ الارض عنواناً لميدان انتصار دم الحقّ على سيف الباطل، فكانت (كلّ أرض كربلاء)، ولولاه (ع) لكانت واقعة الطفّ بكلّ ما غصّت به من فجائع أليمة: ماء ساء يذكرها الذاكر فياء سف لها كما ياء سف لكثير من وقائع التاريخ الاليمّة الاخرى المقيّدة بحدود الزمان والمكان.

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ١٤٧

إنّ واقعة كربلاء بعظمتها الفريدة من كلّ جهة، وبكلّ أبطالها وبطولاتها، إنّما استمدّت خصائصها من الخصائص المنحصرة بصانع ملحمتها الامام أبي عبدالله الحسين (ع)، فكانت الحدث التاريخي الذي لا يرقى إليه أيّ حدث تاريخي آخر في مستوى تآثيره ...

منطق الشهيد الفاتح: ص: ١٤٧

إنّ الفترة الزمنية الممتدّة من يوم إعلان الامام الحسين (ع) رفضه البيعة ليزيد بن معاوية أمام الوليد بن عتبة والي المدينة آنئذ، إلى اليوم الذي وصل فيه كتاب عبيدالله بن زياد إلى الحرّ بن يزيد الرياحي (ر)، والذي جاء فيه: (أمّا بعد: فجعجع بالحسين حين يبلغك كتابي ويقدم عليك رسولي، فلا تنزله إلّا بالعرأ في غير حصن ولا ماء، وقد أمرت رسولي أن يلزمك ولا يفارقك حتّى يأتيني يا نفاذك أمرى، والسلام)، «١» تعتبر فترة التعريف بنهضة الامام الحسين (ع)، كما يمكن اعتبارها أهمّ مقطع من مقاطع هذه الثورة المقدّسة لما حوته من محاورات ومراسلات وخطب ووصايا ضبطها لنا التاريخ، فهي أغنى مقاطع هذه الثورة بالنصوص المعرّفة بها والكاشفة عن هويّتها ممّا ورد عن الامام الحسين (ع).

كما أنّ هذه الفترة تعتبر أيضاً أهمّ مقاطع هذه الثورة المقدّسة بمنظار التحليل التاريخي، من ناحية عدد الاختيارات التي كان يملكها الامام الحسين (ع) في هذه الفترة، ومن ناحية موقف الامام (ع) إزاء كلّ من هذه الاختيارات، ثمّ من ناحية نوع الاختيار الذي أصرّ إليه الامام (ع) منذ البدء.

لكنّ الاستفادة من نصوص هذه الفترة المهمّة في الوصول إلى تعريف صحيح تامّ لهذا الثورة المقدّسة لم تسلم في الغالب من عشرات القصور والخطأ في

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ١٤٨

الاستنتاج في كثير من كتب حول هذه الثورة، ويكفي التاءمّل اليسير في كثير من الكتب والدراسات التي تناولت البحث في حقيقة قيام الامام الحسين (ع) دليلا لا ثبات ما قلناه والامثلة تاءتى ولعلّ مرّد ذلك بالا ساس إلى عدم الانتباه إلى النقاط الثلاث التالية:

١ معرفة هويّة المخاطب في تلك النصوص.

٢ النظر إلى هذه النصوص كوحدة في مجموعها.

٣ ردّ المتشابه منها إلى المحكم.

انّ معرفة هويّة المخاطب من العناصر المهمّة في فهم واستيعاب روايات أهل البيت (ع)، لا تهم صلوات الله عليهم إنّما يخاطبون الناس على قدر عقولهم ومستوى بصيرتهم ودرجة ولائهم لهم ونوع علاقتهم بآعدايهم، وهذه نقطة مهمّة يجب حضورها دواما في ذهن الباحث المتاءمّل في النصوص الواردة عنهم (ع).

ولا- شك أنّ الامام الحسين (ع) كان قد خاطب أخاه محمّد بن الحنفية في محاوراته معه ووصاياہ إليه خطابا مختلفا عن خطابه مع أخيه عمر الاطرف الذي كان قد أشار على الامام (ع) قائلا: (فلو لا ناولت وبايعت!!). «١»

كما أنّه (ع) يخاطب أمّ سلمة رضوان الله عليها خطابا يختلف عن ردّه على كتاب عمرة بنت عبدالرحمن التي عظمت عليه ما يصنع وأمرته بالطاعة ولزوم الجماعة!!

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ١٤٩

وخاطب (ع) الشاعر الفرزدق في محاوراته معه بمنطق مختلف عن منطق مع عبدالله بن مطيع العدوي الذي كان همّه الاكبر أن يكون ماء بثره عذبا وكثيرا!

ويحاور (ع) عبدالله بن جعفر وابن عباس حوارا يختلف كثيرا عن حوارہ مع عبدالله بن عمر صاحب الموقف والرأى المريب! الذي كان لا يرى إلّا:

(أن تدخل في صلح ما دخل فيه الناس، واصبر كما صبرت لمعاوية من قبل). «١»

حتّى ضاق الامام (ع) ذرعا به وباقتراحاته المريبة فقال له:

(أف لهذا الكلام أبدا مادامت السموات والارض ...). «٢»

وإذا تاءمّل الباحث في جميع نصوص هذه الفترة المهمّة لوجد أثر نوع المخاطب في نوع كلّ منها بيّنا جليّا، وممن انتبه إلى هذه النقطة المهمّة المؤرّخ المحقّق السيد المقرّم حيث قال:

(وإنّما لم يصارح بما عنده من العلم لكلّ من رغب في إعراضه عن السفر إلى الكوفة لعلمه بآعنا الحقائق لانفاض لا يّ متطلب بعد اختلاف الاوعية سعة وضيقا وتباين المرامي قريبا وبُعدا، فلذلك (ع) يجب كلّ أحد بما يسعه ظرفه وتحمّله معرفته وعقليته، فإنّ علم أهل البيت (ع) صعب مستصعب لا يتحمّله إلّا نبى مرسل أو ملك مقرّب أو مؤمنّ امتحن الله قلبه بالايمان). «٣»

كما أنّ تاءثير نوع المخاطب على درجة صراحة ووضوح محتوى النصّ يفرض أن تؤخذ مجموعة هذه النصوص كوحدة في مجموعها، لأنّ النظر إلى بعض هذه النصوص وقد تكون مبهمّة ومتشابهة أو غير صحيحة دون البعض الاخر قد يؤدّي بالباحث إلى استنتاج نظرة تكون في الغالب قاصرة

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ١٥٠

أو خاطئة.

كما لو نظر الباحث فقط إلى مثل هذا المقطع من المحاورات الواردة بين الامام (ع) وبين الشاعر الفرزدق حين ساءله: (ما أعجلك عن

الحجّ؟! «١»

حيث أجابه (ع): (لو لم أعجل لا خذت). «٢»

أو مثل هذه المحاوره الواردة بين الامام (ع) وبين أبي هريرة الازدي في منطق الثعلبية، تقول الرواية:

(فلما أصبح الحسين وإذا برجل من الكوفة يكتئب أبا هريرة الازدي، أتاه فسلم عليه

ثم قال: يا ابن بنت رسول الله، ما الذي أخرجك عن حرم الله وحرم جدك محمد (ص)؟!)

فقال الحسين: يا أبا هريرة، إن بني أمية أخذوا مالي فصبرت، وشتما عرضي فصبرت، وطلبوا دمي فهربت، وأيم الله يا أبا هريرة لتقتلني

الفئة الباغية، ويلبسهم الله ذلاً شاملاً وسيفا قاطعا، وليسلطن الله عليهم من يذلهم حتى يكونوا أذل من قوم سباء إذ ملكتهم امرأة منهم

فحكمت في أموالهم ودمائهم). «٣»

إن ظاهر مثل هذه النصوص يوحى بآن الامام (ع) كان همّه الاكبر النجاة بنفسه!! فقد صبر على أخذ ماله وشتم عرضه، وحين أرادوا

قتله هرب لينجو

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ١٥١

بنفسه!! هذه حدود مظلوميته لا أكثر!! وكأنته ليس هناك رفض بيعه لا طلب اصلاح وأمر بمعروف ونهي عن منكر، ولا قيام!!

ولقد انطلى هذا الاستنتاج الخاطي على بعض الناس، فتوهموا أن أساس حركة الامام (ع) هو طلب النجاة والفرار من الاغتيال والقتل!!

كذلك إذا اقتصر نظر الباحث على مثل ردّه (ع) على المسور بن مخرمة حينما كتب إليه ألا يغترب بكتب أهل العراق حيث قال الامام

(ع): (أستخير الله في ذلك). «١»

وقوله (ع) لا خيه محمد بن الحنفية: (يا أخي، ساء نظر فيما قلت). «٢»

أو قوله (ع) لعبدالله بن مطيع العدوي: (أما في وقتي هذا ائريد مكه، فإذا صرت إليها استخرت الله تعالى في أمري بعد ذلك). «٣»

أو قوله (ع) لعبدالله بن عباس حين حذره من التوجه إلى العراق: (وإني أستخير الله، وأنظر ما يكون). «٤»

أو قوله (ع) لعبدالله بن الزبير: (والله لقد حدثت نفسي يا تيان الكوفة، ولقد كتب إلي شيعتي بها وأشرف أهلها، وأستخير الله). «٥»

ذلك لأن ظاهر مثل هذه النصوص يوحى بآن الامام (ع) لم تكن لديه خطه على الارض في مسار النهضة منذ البدء، ولا علم له بما

هو قادم عليه في مستقبل أيامه من مصير، بل كانت توجه حركته بوصله الاستخاره!

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ١٥٢

الامر الذي يعارض وينافي كثيرا من النصوص الواردة عنه (ع) في نفس هذه الفترة، فضلا عن منافاته للاعتقاد الصحيح بعلم الامام

(ع)!

كذلك الحال إذا اقتصر نظر الباحث مثلا على النصوص المتعلقة برسائل أهل الكوفة إلى الامام (ع)، خصوصا النصوص الواردة عنه

(ع) في ذلك، لأن نتيجة مثل هذا النظر ستكون اعتبار رسائل أهل الكوفة هي سبب قيام الامام (ع)، وهذا من أشهر الاشتباهات

الحاصلة في مجرى النظر إلى قيام الامام الحسين (ع)!

وكذلك لا يكون الاستنتاج سديدا إذا اقتصر مثلا على النصوص المتعلقة بالرؤيا التي رأى فيها الامام (ع) جدّه رسول الله (ص) وأمره

فيها بأم لا بد أن يمضي إليه!

وكذلك لا يكون الاستنتاج سديدا إذا اقتصر مثلا على النصوص التي توحى بآن (ع) كان يامل النصر والنجاح وتسلم زمام الامور،

وأنه كان يتوقع ذلك ويرجوه، وأنه لم يكن يعلم المصير!

كل تلك النتائج القاصرة أو الخاطئة إنما تنشأ نتيجة الاخذ الجزئي المفكك، أما أخذ جميع النصوص المتعلقة بهذه الفترة كمجموعة

واحدة أخذها كلياً موحدا فهو أحد عناصر عصمة الاستنتاج من القصور والخطأ.

هذا، وكما يُردّ متشابه القرآن إلى محكمه، كذلك يردّ متشابه قول أهل البيت (ع) إلى محكم قولهم.

وفي مجموعة هذه النصوص هناك متشابهات لا يتجلى معناها الحق للنظرة

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ١٥٣

الاولى، ويؤدى الاقتصار عليها في النظر إلى نتائج قاصرة أو خاطئة أيضا.

كما لو اقتصر النظر مثلا- على مثل قوله (ع) لعمر بن لوذان حينما أشار عليه بعدم التوجه إلى الكوفة لأن أهلها لم يتحرّكوا عمليا لنصرته ولم يغيروا شيئا من أمورهم استقبالا لمقدمه، حيث قال (ع): (يا عبدالله، ليس يخفى عليّ الرأي، ولكن الله تعالى لا يغلب على أمره). «١»

أو إلى مثل قوله (ع) بعد أن قرأ كتاب عمرة بنت عبد الرحمن، وكانت في كتابها هذا (تعظم عليه ما يريد أن يصنع، وتأمره بالطاعة ولزوم الجماعة، وتخبره أنه إنما يساق إلى مصرعه، وتقول: أشهد لحدّثتي عائشة أنها سمعت رسول الله (ص) يقول: (يقتل حسين باءرض بابل)، حيث قال (ع): (فلا بد لي إذن من مصرعي!). «٢»

وإلى مثل إجابته (ع) حين أشار عليه عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي بعدم التوجه إلى العراق، حيث قال (ع): (جزاك الله خيرا يا ابن عمّ، فقد والله علمت أنك مشيت بنصح وتكلمت بعقل، ومهما يقض من أمرٍ يكن، أخذت برأيك أو تركته!). «٣»

أو إلى مثل قوله (ع) لا م سلمة رضي الله عنها: (يا أمّاه، قد شاء الله عزّ وجلّ أن يراني مقتولا مذبوحا ظلما وعدوانا، وقد شاء أن يرى حرمي ورهطي ونسائي مشردين، وأطفالي مذبحين مظلومين ماءسورين مقيدين، وهم يستغيثون فلا يجدون ناصرا ولا معيناً...). «٤»

وإلى مثل قوله (ع) لعمة أمّ هاني رضي الله عنها: (يا عمّة، كلّ الذي مقدر

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ١٥٤

فهو كائن). «١»

وإلى قوله (ع) للا زاعي: (مرحبا بك يا أوزاعي، جئت تنهاني عن المسير، ويايبي الله إلّا ذ لك!). «٢»

وإلى قوله (ع) لاخته زينب (س): (يا أختاه، المقضى هو كائن). «٣»

ذلك لأن هذه النصوص تطوى على إبهام وتشابه يوحى للنظرة الاولى بآء هناك جبرا وقهرا لم يكن الامام (ع) إزاه يملك أي اختيار في كلّ ما جرى عليه! وهذا خلاف واقع الحال، وخلاف الاعتقاد الصحيح!

إن من لم يطلع على معنى القدر والقضاء وأقسام القضاء بما ورد عنهم (ع) لا يؤمن عليه من الوقوع في مزالق الفهم الخاطيء لمعاني مثل هذه النصوص د المتشابهات.

إن فهم الاشارات الكامنة في مثل هذه النصوص يفرض على الباحث أن يعرض د متشابهات هذه النصوص على محكمات براهين الاعتقاد الحق، وعلى نظائرها من النصوص الاخرى المحكمة حتى يتجلى له معناها الحق تماما.

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ١٥٥

مما سبق تتجلى لنا هذه الحقيقة وهي: أن قرأه معمّقه للنصوص الواردة عن الامام الحسين (ع) في هذه الفترة، قرأه واعية لحقائق هذه النقاط الثلاث التي قدّمناها، لا بد أن تصل إلى هذه النتيجة وهي:

أن الامام الحسين (ع) كان قد تعامل في العمق مع كلّ قضيه في مسار النهضة المقدّسة بمنطق (الشهيد الفاتح)، وخاطبها بلغة الشهادة التي هي عين الفتح، وإن كان في نفس الوقت قد تعاطى مع ظواهر القضايا بمنطق الحجج الظاهرة ولا منافاة بين المنطقين بل هما في طول بعضهما البعض.

فكان صحيحا مثلا أن الامام (ع) أراد أن (ينجو) من أن يقتل في المدينة أوفى مكّة خاصية، قتله يقضى بها على ثورته في مهدها، وتُهتك بها حرمة البيت: (يا أخي، قد خفت أن يغتالني يزيد بن معاوية في الحرم، فاء كون الذي يستباح به حرمة هذا البيت). «١»

حيث يتمكن الامويون في كل ذلك أن يدعوا أنهم بريئون مديا جرى على الامام (ع) سوا في المدينة أو في مكة أو في الطريق، فيحافظو بذلك على الاطار الدينى لحكمهم، أو أن تزداد المصيبة سوء حين يطالبون هم بدم الامام (ع) ويقتلون من أمره بقتله، فيخدعون الناس بادعائهم أنهم أصحاب دمه الاخذون بئاره، فيزداد الناس انحداعا بهم ومحبة لهم وتصديقا بما يستظهرون من التدين والالتزام، فتكون المصيبة على الاسلام والامة الاسلامية أدهى وأمر!

وصحيح في العمق أيضا أن الامام (ع) كان قد تحرك على علم منذ البدء نحو المصراع المختار على الارض المختارة التي تنفرج وقائع المصراع في ساحتها عن الفتح المنشود:

مع الركب الحسينى (ج ١)، ص: ١٥٦

(وخير لى مصرع أنا لاقيه). «١»

(الموعده حفرتى وبقعتى التى أستشهد فيها وهى كربلا). «٢»

(لا سبيل لهم على ولا يلقونى بكرهه أو أصل إلى بقعتى). «٣»

(ولكن أعلم يقينا أن هناك مصرعى ومصراع أصحابى ...). «٤»

فحيث إن لم يبايع (ع) يُقتل، فقد سعى (ع) ألا يقتل في ظروف زمانيه ومكانيه وبكيفية يختارها ويخطط لها ويعدّها العدو، وسعى (ع) بمنطق الشهيد الفاتح أن يتحقق مصرعه الذى لا بد منه على أرض يختارها هو، لا يتمكّن العدو فيها أن يعتّم على مصرعه، فتختنق الاهداف المرجوة من ورأ هذا المصراع الذى سيهزّ الاعماق في وجدان الامة ويحركها بالاتجاه الذى أرادته الحسين (ع)، كما سعى (ع) أن تجرى وقائع الماء ساء في وضوح النهار لا في ظلمة الليل، ليرى جريان وقائعها أكبر عدد من الشهود، فلا يتمكّن العدو من أن يعتّم على هذه الوقائع الفجيعة ويغطى عليها، وهذا هو الهدف المنشود من ورأ العامل الاعلامى والتبليغى في طلب الامام (ع) عصر تاسوعاء أن يمهلهو إلى صبيحة عاشوراء!

وكان صحيحا مثلا أن رسائل أهل الكوفة كانت حجة لهم على الامام (ع)، وحجة له عليهم وعلى الامة في وقت معا، وكانت حجة هذه الرسائل تقضى أن يتوجه الامام (ع) بعدها إلى الكوفة، خصوصا بعد أن كتب إليه مسلم بن

مع الركب الحسينى (ج ١)، ص: ١٥٧

عقيل (ر) يخبره بانه قد بايعه منهم ثمانية عشر ألفا ويطلب منه القدوم. «١»

وذلك وفاء بالوعد الذى قطعه لهم الامام الحسين (ع) على نفسه:

(... فإن كتب إلىّ أنّه قد أجمع رأى مثلكم وذوى الفضل والحجى منكم على مثل ما قدمت علىّ به رسلكم وقرأت فى كتبكم، أقدم عليكم وشيكا إن شاء الله ...). «٢»

ولو لم يتوجه الامام (ع) إلى الكوفة بعد هذه الرسائل لقال التاءريخ والناس إلى يومنا هذا إنه (ع) قد أخلف الوعد، وإخلاف الوعد قبيح! وضيع الفرصة التى لا تُعوّض د وفوتها تفويتا، وفزط في الامر خلافا للحكمة السياسية!

لكن حجة أهل الكوفة على الامام (ع) كانت قد انتفت بالفعل بعد انقلاب الكوفة على مسلم بن عقيل (ع) وخذلان أهلها له، ونكولهم عن نصرته والوفاء ببيعته، وتفترق بقتية المخلصين من الشيعة وهم قليل جدا تحت جناح التستر والتخفى خوفا من بطش ابن زياد بهم، بعد أن سجن جمعا منهم، ووصول الخبر بذلك إلى الامام (ع).

فلم يعد في الظاهر ثمة إلزام يقضى بضرورة مواصلة التوجه إلى الكوفة.

فلماذا لم ينش الامام (ع) عن المسير إليها والتوجه نحوها؟!

لعل هناك من يتصور أن إصرار الامام (ع) على التوجه إلى الكوفة كان بسبب إصرار بنى عقيل على الاخذ بئاره مسلم (ع) بعد وصول خبر مقتله، كما هو ظاهر الرواية الواردة عن عبدالله بن سليمان والمنذر بن المشمعل

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ١٥٨

الاسديين الذين نقلوا خبر مقتل مسلم (ع) عن طريق أسدي آخر شهد مقتله في الكوفة، ثم قالوا لئلا مام (ع): (نشدك الله في نفسك وأهل بيتك إلا انصرفت من مكانك هذا، فإنّه ليس لك بالكوفة ناصر ولا شيعة، بل نتخوف أن يكونوا عليك...). «١»
تقول الرواية:

(فنظر إلى بنى عقيل فقال: ما ترون، فقد قتل مسلم (ع)؟ فقالوا: والله لانرجع حتى نصيب ثاءرنا أو نذوق ما ذاق. فاقبل علينا الحسين (ع) وقال: لا خير في العيش بعده ولاء!). «٢»

معنى ذلك أن الامام (ع) أصرّ على التوجه إلى الكوفة نتيجة لا صرار بنى عقيل على الاخذ بثناء مسلم (ع)!! وإلا لكان الامام (ع) قد رجع من حيث أتى. أو كان قد انصرف عن وجهته، وما كانت لتقع عاشوراء!! وهذا ما تاءباه ماهية النهضة الحسينية وياءباه تاءريخها الوثائقي.

فمما يدل على أن القضية عند الامام (ع) هي قضية نجاه الاسلام التي هي أكبر من دم مسلم (ع) ومن كل دم. قول الامام (ع) لمسلم (ع) وهو يودّعه، موجّها إياه إلى الكوفة ومبشرا إياه بالشهادة:

(إنّي موجّهك إلى أهل الكوفة، وهذه كتبهم إليّ، وسيقضى الله من أمرك ما يحبّ ويرضى، وأنا أرجو أن أكون أنا وأنت في درجة الشهدأ، فامض على بركة الله...). «٣»

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ١٥٩

وقوله (ع) للفرزدق حين ساءله: (كيف تركن إلى أهل الكوفة وهم الذين قتلوا ابن عمك مسلم بن عقيل وشيعته!؟) «١»
حيث قال (ع):

(رحم الله مسلما، فلقد صار إلى روح الله وريحانه وجنته ورضوانه، أما إنّه قد قضى ما عليه وبقي ما علينا...). «٢»

وفي إطار نقطة الانتباه إلى نوع المخاطب في معرفة المراد من النصوص الواردة عن أهل البيت (ع)، يحسن هنا أن نذكر بقاء الرجلين الاسديين الذين رويوا تلكم القصيدة والرواية تاءت في موضعها من هذا الكتاب لم يكونا ممن عزم على نصره الامام (ع) والالتحاق بركبه!!

كلّ ما في أمرهما هو أن الفضول دفعهما إلى معرفة ما يكون من أمر الامام (ع) فقط هذا باعترافهما كما في الرواية وقد تخلينا عنه أخيرا وفارقاه!!

والممتنع لما ورد في هذه الفترة من نصوص محاورات الامام (ع) خاصية، يجد أن الامام (ع) كان لا يخاطب هذا النوع من الرجال بمزّ الحقّ وصريح القضية، بل كان (ع) يسلك إلى عقولهم في الحديث عن مراميه سبلا غير مباشرة يعرض فيها سببا أو أكثر من الاسباب التي تقع في طول السبب الرئيس بما يناسب المقام والحال.

فقوله (ع) صدقٌ وحقٌّ: (لا خير في العيش بعد هؤ لاء!).

لكنّ هذا لايعنى أن مواسة بنى عقيل كانت هي السبب الرئيس في إصرار

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ١٦٠

الامام على التوجه إلى الكوفة.

يضاف إلى ذلك أن الامام (ع) لم يعلل في أيّ موقع أو نصّ آخر إصراره على التوجه إلى الكوفة بطلب الثاءر لمسلم (ع)! بل كان يعلل ذلك في أكثر من موقع ونصّ بحجّة رسائل أهل الكوفة وبيععتهم، وظلّ (ع) يؤكّد التزامه بالوفاء بالعهد وبالقول الذي كان بينه وبين أهل الكوفة حتى بعد أن منعه جيش الحرّ بن يزيد الرياحي عن الكوفة وحال بينه وبينها (وعن الرجوع إلى المدينة على بعض د

الروايات). «١»

فقد قال (ع) للطَّرمَاح الذي عرض عليه اللجوء إلى جبل (أجاء) المنيع بعد مضايقات جيش الحرّ: (جزاك الله وقومك خيراً، إنّه قد كان بيننا وبين هؤلاء القوم قول لسنا نقدر معه على الانصراف ...). «٢» وفي نصّ آخر:

(إنّ بيني وبين القوم موعداً أكره أن أءخلفهم، فإن يدفع الله عنّا فديماً ما أنعم علينا وكفى، وإن يكن ما لا بدّ منه ففوز وشهادة إن شاء الله). «٣»

كما خاطب (ع) جيش الحرّ بن يزيد الرياحي بهذه الحجّة أيضاً حيث قال: (أيّها الناس، إنّي لم آتكم حتّى أتتني كتبكم وقدمت عليّ رسلكم أن أقدم مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ١٦١

علينا فإنّه ليس لنا إمام، لعلّ الله أن يجمعنا بك على الهدى والحقّ ...). «١» وما فتئ الامام (ع) يحتجّ بذلك على أهل الكوفة ويذكر به حتّى استشهد!

وعلى ضوء مثل هذه النصوص، يكون صحيحاً القول: إنّ الامام (ع) واصل التزامه بالوفاء بهذا الموعد والقول، وأصرّ على التوجّه إلى الكوفة لا لأنّ لا أهل الكوفة حجّة باقية عليه في الواقع، بل لأنّه (ع) لم يشاء أن يدع أيّ مجال لا مكان القول بآءنه (ع) لم يفّ تماماً بالعهد لو كان قد انصرف عن التوجّه إلى الكوفة في بعض د مراحل الطريق، حتّى بعد أن أغلق جيش الحرّ دونه الطريق إليها، ذلك لأنّ الامام (ع) مع تمام حجّته البالغة على أهل الكوفة أراد في المقابل بلوغ تمام العذر وعلى أكمل وجه فيما قد يتصوّر أنّ لهم حجّة باقية عليه، بحيث لا يبقى ثمّة مجال للطّعن في وفائه بالعهد!

هذا، وإذا انتبهنا إلى أنّ الامام (ع) بعد أن أختار موقفه المبدئي برفض البيعة ليزيد وبالقيام، كان يعلم منذ البدء أنّه مقتول لامحالة، خرج إلى العراق أو لم يخرج، وهذا ما تؤكّده كثير من النصوص الواردة عنه (ع)، منها:

(إنّي والله مقتول كذلك، وإن لم أخرج إلى العراق يقتلونني أيضاً ..). «٢»

لو كنت في جحر هامّة من هوامّ الارض لاستخرجوني منه حتّى يقتلونني «٣»

يتّضح لنا أنّ من الحكمة أن يختار الامام (ع) لمصرعه أفضل الظروف الزمانيّة والمكانيّة والنفسيّة والاجتماعيّة المساعدة على كشف مظلوميّته

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ١٦٢

وفضح أعدائه ونشر أهدافه، وأن يتحرّك باتجاه تحقيق ذلك ما وسعته القدرة على التحرك.

وبما أنّ الامام (ع) كان يعلم منذ البدء أيضاً أنّ أهل الكوفة لا يفون له بشي من عهدهم وبيعتهم وأنهم سوف يقتلونه:

هذه كتب أهل الكوفة إليّ ولا أراهم إلّا قاتليّ ...). «١»

إذن فهو (ع) بمنطق الشهيد الفاتح كان يريد العراق ويصّر على التوجّه إليه لأنّه أفضل أرض للمصرع المختار، ذلك لما ينطوى عليه العراق من استعدادات للتاءثر بالحدث العظيم (واقعة عاشوراء) والتغيّر نتيجة لها.

وذلك لأنّ الشيعة في العراق آنئذٍ أكثر منهم في أيّ إقليم إسلامي آخر ولأنّ العراق لم ينغلق إعلامياً وفسياً لصالح الامويين كما هو الشام، بل لعلّ العكس د هو الصحيح.

وهذه الحقيقة أكّدها الوقائع التي تلت واقعة عاشوراء، وأثبتت أيضاً صحّة هذا المنطق، ولعلّ هذا هو السرّ المستودع في قوله (ع) لمّا ساءله عبدالله بن عتيّاش: أين تريد يا ابن فاطمة؟ حيث أجاب (ع): (العراق وشيعتي). «٢»

وقوله (ع) بعبدالله بن عباس (رض): (لا بدّ من العراق). «٣»

وعلى ضوء هذا يُفسّر رفض الامام (ع) اقتراحات في المدينة طلبت إليه عدم التوجّه إلى العراق، وأن يتوجّه إلى اليمن أو إلى شعاب

الجبال الامنة (وذلك

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ١٦٣

قبل رسائل أهل الكوفة إليه، كان قد اقترحها عليه مثل محمد بن الحنفية (ر) وأم سلمة وغيرهم.

وفي هذا الاتجاه أيضا يمكن أن نفسر رفض الامام (ع) لاقتراح الطرماح عليه باللجوء إلى جبل (أجاء) المنيع بعد اللقاء بجيش الحر بن يزيد الرياحي.

وكذلك إعراض الامام (ع) عن استثمار الفرصة التي أتاحتها له الحر (ر) ليرجع من حيث أتى أو يمضي إلى حيث شاء كما في الرواية الالائية وإصراره على التوجه إلى الكوفة، وذلك قبل وصول الرسالة الصارمة التي بعث بها عبيدالله بن زياد إلى الحر والتي أمره فيها أن يجتمع بالامام (ع).

ففي الاثر أن حوارا ساخنا دار بين الامام (ع) وبين الحر بن يزيد الرياحي: فقال الامام (ع): (فذر إذن أصحابك وأصحابي، وابرز إلي، فإن قتلني حملت رأسي إلى ابن زياد، وإن قتلتك أرحت الخلق منك!

فقال الحر: إني لم أو مر بقتالك، وإنما أمرت أن لأفارقك أو أقدم بك على الامير، وأنا والله كاره أن يبتليني الله بشي من أمرك، غير أنني أخذت ببيعة القوم وخرجت إليك، وأنا أعلم أنه ما يوافق القيامة أحد من هذه الائمة إلا وهو يرجو شفاعته جدك، وإني والله لخائف إن أنا قاتلتك أن أخسر الدنيا والاخرة، ولكن أما أنا يا أبا عبد الله فلست أقدر على الرجوع إلى الكوفة في وقتي هذا، ولكن خذ غير الطريق وأمض حيث شئت، حتى أكتب إلى الامير أن الحسين خالفني الطريق فلم أقدر عليه ...). «١»

فالحر على ضوء هذه الرواية كان قد سمح للامام (ع) عدا الكوفة أن

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ١٦٤

(... وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه (ص)، فإن السنة قد أميتت، وإن البدعة قد أحيتت، وإن تسمعوا قولي وتطيعوا أمرى أهدكم سبيل الرشاد ...). «١»

وصحيح في العمق أيضا بمنطق الشهيد الفاتح أن الامام (ع) كان يعلم أن النصر الظاهري وتسلم الحكم حتى لو تحقق له على فرض الاحتمال فإنه قد يتحقق في إقليم (العراق مثلا) أو أكثر من إقليم على أحسن احتمال، لكن الشام وما تبعها من الاقاليم الاخرى تبقى آتشد في يد الحكم الاموي، ويعود الصراع بين الحق والباطل إلى سابق حلباته ومعاركه غير الحاسمة، في مثل (صفين) مرة أخرى، وتبقى قدرة الامويين على تضليل الائمة كما هي، وتبقى مأساة الاسلام على حالها، ويبقى الامر دون مستوى الفتح المنشود.

فلا بد إذن من (واقعة حاسمة) تفصل تماما بين الحق والباطل، وتحيل شلل الائمة ومواتها حركة وحياء، وتشل الباطل فلا تبقى له بعدها أية قدرة على التلبس بلباس د الحق وتضليل الناس على الصعيد الديني والنفسي والسياسي والاعلامي.

(واقعة حاسمة) تنتهي بكل نتائجها لصالح الحق ولو بعد حين، فلا تنتهي كما انتهت صفين مثلا!

(واقعة حاسمة) تكتب بمداد من الدم المقدس كل البلاغات والبيانات اللازمة في طريق الكمال الانساني على هدى الاسلام المحمدي الخالص!

(واقعة حاسمة) تمنح مبدأ الامر بالمعروف والنهي عن المنكر (قيمة إثباتية) عليا تضاف إلى قيمته الثبوتية العالية في الشريعة المقدسة!

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ١٦٦

(واقعة حاسمة) لا يكون بعدها الاصلاح في الائمة إلا في ظلها وببركتها وتحت شعارها!

(واقعة حاسمة) تمتد في الزمان فيكون كل يوم يومها، وتمتد في المكان فتكون كل أرض أرضها!

وحيث إن كل منطق آخر غير منطق الشهيد الفاتح لا يؤدّي إلى هذا الحسم المنشود، من هنا رأينا الشهيد الفاتح (ع) يرفض كل نصر دون مستوى ذلك الحسم، ويختار لقاء الله تعالى شهيدا فاتحا!

وفي هذا البعد بعد منطق الشهيد الفاتح يكون يا مكاننا أن نفهم السر في الرواية القائلة إنه: (لما التقى الحسين (ع) وعمر بن سعد لعنه الله وقامت الحرب، انزل النصر حتى رفر فر على راءس الحسين (ع)، ثم خيّر بين النصر على أعدائه وبين لقاء الله تعالى، فاختر لقاء الله تعالى). «١»

وهذا البعد أيضا أحد الأبعاد التي يمكن على ضوءها أن نفهم سرّ عدم إذنه (ع) للملائكة والجنّ الذين أظهروا له استعدادهم لنصرته أن ينصروه فعلا، فقال للملائكة:

(الموعد حفرتي وبقعتي التي استشهد فيها وهي كربلاء)

وقال للجنّ:

(أما قرأتم كتاب الله المنزل على جدّي رسول الله (ص) في قوله: (قل لو كنتم

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ١٦٧

في بيوتكم لبرز الذين كُتِب عليهم القتل إلى مضاجعهم). «١»

وعلى ضوء هذا المنطق منطق الشهيد الفاتح نفهم أيضا سرّ موقف الامام الحسين (ع) من الاقتراحات والمشورات الصحيحة والنصائح الصائبة (بمقياس هدف النصر الظاهري وتسلم الحكم) التي اقترحها عليه كل من محمّد بن الحنفية، وعمر بن عبدالرحمن وعبدالله بن عباس وعمر بن لوذان ...

فقد قال له أخوه محمّد:

(أخرج إلى مكة، فإن اطمانت بك الدار فذاك الذي تحبّ وأحبّ، وإن تكن الاخرى خرجت إلى بلاد اليمن، فإنّهم أنصار جدّك وأخيّك وأبيّك، وهم أرف الناس، وأرقهم قلوبا، وأوسع الناس بلادا، وأرجحهم عقولا، فإن اطمانت بك أرض اليمن وإلا لحقت بالرمال وشعوب الجبال، وصرت من بلد إلى بلد لتنظر ما يؤول إليه أمر الناس، ويحكم بينك وبين القوم الفاسقين). «٢»

وقد أقرّ الامام (ع) أنّ هذه النصيحة صواب! إذ قال له:

(... جزاك الله يا أخي عني خيرا، ولقد نصحت وأشرت بالصواب...). «٣»

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ١٦٨

وقال له عمر بن عبدالرحمن:

(... قد بلغني أنّك تريد العراق، وإني مشفق عليك، إنّك تاءتي بلدا فيه عماله وأمرأه ومعهم بيوت الاموال، وإنّما الناس عبید الدنيا والدرهم، فلا آمن عليك أن يقاتلك من وعدك نصره، ومن أنت أحبّ إليه ممّن يقاتلك معه). «١»

وقد أثنى الامام (ع) على رأيه هذا، إذ قال له:

(جزاك الله خيرا يا ابن عمّ، فقد والله علمت أنّك مشيت بنصح وتكلمت بعقل...). «٢»

وفي هذا المجرى قال له ابن عباس أيضا:

(أخبرني رحمك الله، أتسير إلى قوم قد قتلوا أميرهم وضبطوا بلادهم ونفوا عدوهم؟! فإن كانوا قد فعلوا ذلك فسّر إليهم، وإن كانوا إنّما دعوك إليهم وأميرهم عليهم قاهر لهم، وعماله تجبى بلادهم، فإنّهم إنّما دعوك إلى الحرب والقتال، ولا آمن عليك أن يغزوك ويكذبوك ويخالفوك ويخذلوك، وأن يستنفروا إليك فيكونوا أشدّ الناس عليك). «٣»

وقال له عمرو بن لوذان في هذا الاتجاه أيضا:

(أشدك الله لما انصرفت، فوالله ما تقدم إلا على الاسنة وحدّ السيوف، وإنّ هؤلاء الذين بعثوا إليك لو كانوا كفوك مؤنة القتال، ووطأوا لك الاشياء،

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ١٦٩

فقدمت عليهم كان ذلك رأيا، فاء ما على هذه الحال التي تذكر فإني لأرى لك أن تفعل). «١»

ويجيبه الامام (ع):

(يا عبدالله، ليس يخفى على الرأي، ولكن الله تعالى لا يغلب على أمره). «٢»

وفي هذا الاجابة إقرار بعقلانية هذا الرأي وصوابه!

لكن الامام (ع) مع إقراره بصحة وصواب تلكم النصائح والاقتراحات كان يؤكد لكل من هؤلاء الرجال بطريقة تناسب ونوع

المخاطب أنه لا بد له من عدم الاخذ بتلكم النصائح والاقتراحات!!

وذلك لان منطق هؤلاء وإن كان صحيحا بمقياس حدود الظاهر إلا أنه لا يتعدى التفكير بالسلامة والمنفعة الذاتية والنصر الظاهري

وإن كان جزئيا وعلى نحو الاحتمال!

في حين أن الاسلام كان آتئذ يمر بمنعطف حرج حاسم النتيجة في أن يبقى أو لا يبقى، وقد لخص الامام (ع) حال الاسلام الحرجة

هذه بقوله لمروان بن الحكم:

(وعلى الاسلام السلام إذ قد بليت الائمة براع مثل يزيد!). «٣»

كان الاسلام آتئذ في حالة كما المريض الذي لا ينفع في علاجه إلا الكئي! وقديما قيل في المثل: (آخر الدوا الكئي)، لما يترتب عليه

من علاج حاسم.

معالركب الحسيني (ج ١)، ص: ١٧٠

حال الاسلام آتئذ لم يكن ينفع في علاجها منطق السياسة والمعاملة السياسية، والدهاء السياسي ورعاية المصالح الذاتية، والتفكير

بالسلامة، وحسابات الاستفادة والمنفعة والربح والخسارة الشخصية، ومنطلقات التخطيط للسيطرة على الحكم!

حال الاسلام آتئذ ما كانت لتصل إلى علاجها الحاسم وتبلغ الشفاء التام إلا بمنطق الشهيد الفاتح الذي جاء من قلب (المدينة) يسعى،

يحدو به الشوق إلى المصرع المختار:

(وما أولهنى إلى أسلافى اشتياق يعقوب إلى يوسف). «١»

في ركب من العشاق (ومصارع عشاق شهداء...) «٢» لا تثنيتهم عن الغاية عقلانية عقلاء الظاهر، ولا نصائحهم، ولا ملامة المحجوب عن

المحجوب.

حتى إذا قيل: هذه كربلاء!

تنفس الشهيد الفاتح الصعدا!

فها هنا: أرض المصرع المختار وبقعة الفتح!

آفاق الفتح الحسيني: ص: ١٧٠

إشارة

يحدثنا التاءريخ في واحدة من روائع وثائقه (المعتبرة): أن الامام أباعده الله الحسين (ع) بعث بهذه الرسالة إلى أخيه محمد بن الحنفية

ومن قبله من بنى هاشم:

معالركب الحسيني (ج ١)، ص: ١٧١

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(من الحسين بن علي إلى محمد بن علي ومن قبله من بنى هاشم. أميا بعد: فإن من لحق بي استشهد، ومن لم يلحق بي لم يدرك

الفتح. والسلام.) (١)

يقول المحقق السيد المقزم (ره) مشيرا إلى هذه الرواية:

(كان الحسين (ع) يعتقد في نهضته أنه فاتح منصور لما في شهادته من إحياء دين رسول الله (ص)، وإماتة البدعة وتفضيع أعمال المناوئين، وتفهم الامة أنهم (ع) أحق بالخلافة من غيرهم، وإليه يشير في كتابه إلى بني هاشم:

من لحق بنا منكم استشهد، ومن تخلف لم يبلغ الفتح. فإنه لم يرد بالفتح إلّا ما يترتب على نهضته وتضحيتته من نقض دعائم الضلال وكسح أشواك الباطل عن صراط الشريعة المطهرة وإقامه أركان العدل والتوحيد، وأن الواجب على الامة القيام في وجه المنكر.

وهذا معنى كلمة الامام زين العابدين لا براهيم بن طلحة بن عبيدالله لما قال له حين رجوعه إلى المدينة: من الغالب!؟

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ١٧٢

فقال السجاد (ع): إذا دخل وقت الصلاة فادّن وأقم تعرف الغالب! (١)

وقال المتتبع باقر شريف القرشي تعليقا على الرواية نفسها:

(لقد أخبر (ع) الاسرة النبوية بآن من لحقه منهم سوف يظفر بالشهادة، ومن لم يلحق به فإنه لا ينال الفتح، فاءى فتح هذا الذى عناه الامام؟

إنه الفتح الذى لم يحزره غيره من قادة العالم وأبطال التاريخ، فقد انتصرت مبادئه، وانتصرت قيمه وتاءلقت الدنيا بتضحيتته، وأصبح اسمه رمزا للحق والعدل، وأصبحت شخصيته العظيمة ليست ملكا لا مية دون مية ولا لطائفة دون أخرى، وإنما هى ملك للنسائية

الفدة فى كل زمان ومكان، فاءى فتح أعظم من هذا الفتح، وأى نصر أسمى من هذا النصر!؟) (٢)

ويمكننا هنا أن ننظر إلى أهم آفاق الفتح الحسيني - بما تتسع له صفحات هذه المقالة - فى المقاطع الزمانية الثلاثة التالية:

مقطع عصر عاشوراء: ص : ١٧٢

إشارة

وفى هذا المقطع هناك آفاق فتح حسينى عديدة، أهمها:

(أ) الفصل بين الاموية والاسلام ص : ١٧٢

: مررنا فى المقالة الاولى من مدخل هذا الكتاب: كيف أن معاوية بن أبى سفيان (الذى انتهت إليه قيادة حركة النفاق آنذاك) قد أضلّ جلّ هذه الامة إضلالا بعنوان الدين نفسه! حيث عتم على ذكر أهل البيت (ع) وعلى ذكر فضائلهم تعتيما تاما، وافتعل من خلال

وضّاع الاحاديث - افتراء على النبى (ص) قداسة مكذوبة له ولبعض من مضى من الصحابة الذين قادوا حركة النفاق أو ساروا فى ركابها، وتآزروا على غضب أهل البيت (ع) حقهم الذى فرضه الله لهم، وخدّر معاوية بن أبى سفيان الامة

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ١٧٣

المسلمة عن القيام والنهوض ضدّ الظلم من خلال تأسيس فرق دينية تقدّم للناس تفسيرات دينية تخدم سلطة الامويين وتبرّر أعمالهم، كما فى مذهب الجبر ومذهب الارحاء وأعانه على ذلك ما بذله من جهد كبير فى تمزيق الامة قبلنا وطبقيا، وفى اضطهاد الشيعة اضطهادا كبيرا.

ومع طول مدّة حكمه، اتخذ جلّ هذه الامة بالتضليل الدينى الاموى، واعتقدوا أن حكم معاوية حكم شرعى، وأنه امتداد للخلافة الاسلامية بعد رسول الله (ص)، وأن معاوية إمام هذه الامة، وأن من ينوب عنه فى مكانه إمام لهذه الامة وامتداد لا ئمتها الشرعيتين!!

ومن المؤسف حقّا أن جلّ هذه الامة خضع خضوعا أعمى له ذا التضليل وانقادله، فلم يعد يبصر غيره، بل لم يعد يصدّق أن الحقيقة

شى آخر غير هذا!

هذا ابن زياد يخطب في الناس في خطبته التي خذلهم فيها عن مسلم بن عقيل (ع) فيقول فيها:

(اعتصموا بطاعة الله وطاعة أئمتكم!!). «١»

وهذا مسلم بن عمرو الباهلي يخاطب مسلم بن عقيل (ع) مفتخرا بضلاله قائلا:

(أنا ابن من عرف الحق إذ أنكرته!، ونصح لا مامه إذ غششته!، وسمع وأطاع إذ عصيته وخالفت!) «٢»

معالركب الحسيني (ج ١)، ص: ١٧٤

وهذا عمرو بن الحجاج الزبيدي - من قادة الجيش الاموي في كربلاء - صاح يحرض أهل الكوفة على الامام الحسين (ع) وأنصاره قائلا:

(يا أهل الكوفة، إزموا طاعتكم وجماعتكم، ولا تراتبوا في قتل من مرق من الدين وخالف الامام!) «١»

هذا في الكوفة والعراق! أما في الشام فقد كان أهل الشام يرون أنه ليس د لرسول الله (ص) قرابه ولا أهل بيت يرثونه غير بنى أمية!! «٢»

وكان الحكم الاموي حريصا كل الحرص في الحفاظ على هذا الاطار الديني الذي تلبس به عن طريق الجهد الطويل في المكر والخداع ..

ولقد كان أضمن السبل لتحطيم هذا الاطار الديني هو أن يثور عليه رجل ذو مركز ديني مسلم به عند الامة الاسلامية، فتورة مثل هذا الرجل كفيله بآن تفضح الزخرف الديني الذي يتظاهر به الحكام الامويون، وأن تكشف هذا الحكم على حقيقته، وجاهليته، وبُعد الكبير عن مفاهيم الاسلام، ولم يكن ه ذا الرجل إلا الحسين (ع)، فقد كان له في قلوب الاكثريه القاطعه من المسلمين رصيد كبير من الحب والاجلال والتعظيم.

وكان معاوية منتبها لهذه الحقيقة، فكان يتحاشى أيه مواجهه علنيه مع الامام الحسين (ع)، وكان يجتهد في الحيلولة دون قيام الامام (ع) بالمراقبة الشديدة والمداراة، وكان عازما على الصفح (في الظاهر طبعاً) عن الامام (ع) إذا قام ثم ظفر به - على ما في بعض الروايات، كما سوف ياء تي في متن هذا الكتاب - ذلك لان معاوية يُدرك جيداً أن سفك مثل هذا الدم المقدس حماقه كبرى تُعزى الحكم الاموي عن كل الزيف الذي تلبس به.

معالركب الحسيني (ج ١)، ص: ١٧٥

لكن يزيد بن معاوية ارتكب هذه حماقه الكبرى!! لا سباب عديدة منها افتقاره إلى الدهاء والحكمة السياسيه اللذين كان يتمتع بهما أبوه معاوية!

وفي عاشوراء كربلاء لم يرض الجيش الاموي من الامام الحسين (ع) إلا بالقتل، قتله وقتل أنصاره من أهل بيته وأصحابه الكرام في وضح نهار ذلك اليوم، بعد منعهم عن الماء، حتى مضوا عطاشى وفيهم حتى الطفل الرضيع!، ثم ما فعلوه بعد ذلك من رض أجسادهم بحوافر الخيل، وسبى بنات النبوه على الوجه المعروف، حاسرات بلا - غطاء ولا وطاء، ونقل رؤوس القتلى مع السبايا من كربلاء إلى الكوفة وإلى الشام ...

كل ذلك جرّد الامويين من كل صبغه دينيه وانسانيه، بل أظهرهم على حقيقتهم المضاده للدين والانسانيه. لقد كانت الرؤوس والسبايا، وأحاديث الجنود العائدين دلائل حيه، بليغه الاداء، قوّضت كل ركيه دينيه موهومه للحكم الاموي في نفوس المسلمين.

ولقد زاد الامام الحسين (ع) موقف الامويين حراجه إذ لم يصّر على القتال ولم يبدأهم به، وقد أعطاهم (ع) الفرصه ليتقوا بها ارتكاب قتله وقتل آله وصحبه، ولكنهم أبوا إلا ارتكاب قتلهم وأصروا على ذلك، فزادهم ذلك فضيحه في المسلمين.

لقد عمى الجيش الاموي في حماقته الكبرى في كربلاء يوم عاشوراء عن أنه يقاتل شخص رسول الله (ص) في شخص الحسين (ع).

هذه الحقيقة التى فطن لها- فى من فطن- الحرّ بن يزيد الرياحى رضوان الله تعالى عليه، فتعذب بها العذاب الاكبر، حتّى دفعته فى يوم عاشوراء إلى اختيار الجنة على النار، فتحوّل إلى صفّ الامام (ع) واستشهد بين يديه!

لقد تحوّل الجيش الاموىّ فى إصراره على قتل الامام الحسين (ع) إلى متمرّد

معالركب الحسينى (ج ١)، ص: ١٧٦

على الاسلام نفسه! وقد استغلّ الامام الحسين (ع) إصرارهم على قتله وامتناعهم عن الاستجابة لاقتراحاته استغلالا رائعا فى احتجاجاته يوم عاشوراء، لفضحهم ولكشف عدائهم للاسلام نفسه! فاءظهر لكلّ مشاهد من ذلك الملا الكبير الحاضر على أرض الواقعة حقيقة نفاق الامويين، ثم انتشرت بعد ذلك أنباء فجاج وقائع يوم عاشوراء فى كلّ الاثمة، ليتحقّق بذلك هذا الافق الكبير من آفاق الفتح الحسينى فى فصل الاموية عن الاسلام.

ولو لم تكن واقعة كربلاء لكان الامويون قد واصلوا حكم الناس باسم الدين حتّى يترسّخ فى أذهان الناس بمرور الايام والسنين أنّه ليس هناك إسلام غير الاسلام الذى يتحدّث به الامويون ويؤخذ عنهم!! وعلى الاسلام السلام!

لو لم تكن واقعة عاشوراء لما كان بالا مكان فصل الاسلام والاموية عن بعضهما البعض، ممّا يعنى أن زوال الاموية يوما ما كان سيعنى زوال الاسلام أيضا! وكانت جميع الانتفاضات والثورات التى قامت على الظلم الاموىّ تقوم حين تقوم على الاسلام نفسه! لكنّ الفتح الحسينى فى عاشوراء هو الذى جعل كلّ هذه الانتفاضات والثورات التى قامت بعد عاشوراء إنّما تقوم باسم الاسلام على الاموية! (١)

وعند هذه النقطة- فصل الاموية عن الاسلام- تكون عاشوراء قد أعادت مساعى حركة النفاق- منذ وفاة النبىّ (ص) حتّى سنة ستين للهجرة- إلى نقطة الصفر! فلو لم تكن عاشوراء لتمكّنت حركة النفاق المتمثلة بالحزب

معالركب الحسينى (ج ١)، ص: ١٧٧

الاموىّ آتند من القضاء على الاسلام المحمديّ الخالص تماما، ولمّا بقى منه الّا عنوانه!

فأىّ أفق فى الفتح أوضح وأكبر من أفق الحفاظ على الاسلام المحمديّ الخالص د من خلال فصل الاموية بكلّ عواقبها عن هذا الاسلام!؟

(ب) - عاشوراء، بداية نهاية الحكم الاموىّ ص : ١٧٧

إشارة

: لقد أثارت واقعة عاشوراء موجة رهيبه من الانكار والرفض والقلق النفسى والشعور بالاثم، وقد سيطرت هذه الموجة على نفوس المسلمين أفرادا وجماعات، ودفعتهم إلى العمل السياسى والتكتل الاجتماعى للاطاحة بالحكم الاموىّ.

ومنذ عاشوراء إلى سقوط الحكم الاموىّ حفل تأريخ الامة الاسلامية بانتفاضات وثورات، فردية وجماعية، قامت ضدّ الحكم الاموىّ، وكان لثورة الامام الحسين (ع) أثر مباشر أو غير مباشر فى كلّ منها.

وبذلك تكون عاشوراء قد رسمت بداية نهاية الحكم الاموىّ.

ومن الانتفاضات والثورات التى كان لثورة الامام الحسين (ع) أثرها المباشر فى اندلاعها:

١- إنتفاضة عبدالله بن عفيف الازدى (رض) ص : ١٧٧

وقد قام هذا المؤ من المجاهد فى وجه ابن مرجانة انتصارا لا- هل البيت (ع)، وأحال نشوة ابن مرجانة بالنصر الظاهرى إلى غصية بانكسار أليم حينما ردّ عليه وعفّ منكر عليه سوء ما فعل بذريّة النبىّ (ص) ففضحه أمام الملا العام، وكان للمواجهة السافرة بينه وبين ابن مرجانة أثر بالغ فى كسر حاجز الخوف فى قلوب الناس، وتشجيعهم على التمرّد، ويأتى ذكر هذه الانتفاضة الشجاعة فى موقعها

من

معالركب الحسيني (ج ١)، ص: ١٧٨

هذا الكتاب.

وهناك انتفاضة فردية أخرى ضبطها التاءريخ، إذ روى أن رجلا- من بكر بن وائل يقال له جابر كان حاضرا في مجلس ابن زياد، وحينما عرف أن الرأس الذي بين يدي ابن زياد هو رأس ابن بنت رسول الله (ص) انتفض وهو يقول مخاطبا ابن زياد: (لله علي أن لأصيب عشرة من المسلمين خرجوا عليك ألا خرجت معهم). «١»

٢- ثورة المدينة: ص : ١٧٨

وهي من أحداث سنة ثلاث وستين للهجرة، حيث انتفض أهل المدينة فيها وأخرجوا عنها عامل يزيد بن معاوية فيها وهو عثمان بن محمّد بن أبي سفيان، وأظهروا خلع يزيد بن معاوية، في قصة مفصلة انتهت بوقعة الحرة الاليمه على يد مسلم بن عقبة المرّي الذي أباح المدينة ثلاثة أيام وقتل من أهلها خلقا كثيرا، ناف عدد ما أخصى منهم على الاربعة آلاف، حتى لقب هذا المرّي اللعين ب (مسرف)! وكان لهذه الفاجعة أيضا أثر بالغ في تاءجيج مشاعر الناس ضد الحكم الاموي.

والذي أيج شعله هذه الثورة أسباب كان أهمها مقتل الامام الحسين (ع) فإن زينب بنت علي (ع) دأبت بعد وصولها إلى المدينة على العمل للثورة، وعلى تعبئة النفوس لها وتاليب الناس على حكم يزيد، وقد تعاضم أمر نشاطها وتاءثيرها في أهل المدينة حتى خاف والي المدينة آنذاك عمرو بن سعيد الاشدق من انفلات الامر وانتفاضه عليهم فشكاها إلى يزيد، وأتاه

معالركب الحسيني (ج ١)، ص: ١٧٩

كتاب يزيد باءن يفرق بينها وبين الناس. «١»

٣- ثورة التوابين ص : ١٧٩

: وكانت هذه الثورة رد فعل خالصا لثورة الامام الحسين (ع)، إذ لم يكن لغير ثورة الامام الحسين (ع) أثر فيها، وقد انبعثت نتيجة الشعور بالاثم والندم والحسرة على عدم نصره الامام الحسين (ع)، وقد رأى الثوار فيها أنه لا يغسل عارهم والاثم عنهم إلا قتل من قتل الامام (ع) أو القتل في هذا الامر، وكان زعيم هذه الثورة سليمان بن صرد الخزاعي، وقد ابتدأ الاعداد لهذه الثورة اجتماعيا وعسكريا بعد عاشورا سنة إحدى وستين للهجرة، وكان هذا الاعداد سرّيا حتى مات يزيد، فخرجوا بعد موته من السر إلى العلن، فتوجهوا سنة خمس د وستين للهجرة إلى قبر الامام الحسين (ع)، فلما وصلوا إليه صاحوا صيحة واحدة، فما زئي أكثر باكيا من ذلك اليوم، وكان من قولهم عند تربته:

(اللهم ارحم حسينا الشهيد ابن الشهيد، المهدي بن المهدي، الصديق بن الصديق، اللهم إنا نشهدك أنا على دينهم وسيلهم، وأعدأ قاتليهم وأولياء محبيهم، اللهم إنا خذلنا ابن بنت نبينا (ص)، فاعفرلنا ما مضى منا وتب علينا، وارحم حسينا وأصحابه الشهداء الصديقين، وإنا نشهدك أنا على دينهم وعلى ما قتلوا عليه، وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين. «٢»

ثم توجهوا إلى الشام، والتحموا مع كتائب الجيش الاموي في منطقة (عين الوردة) في وقعة دموية رهيبه هزت نتائجها الفادحة أركان الحكم الاموي هزا عنيفا!

(ولقد اعتبر التوابون أن المسؤل الاؤل والاهم عن قتل الحسين (ع) هو النظام وليس الاشخاص، وكانوا مصيبين في هذا الاعتقاد، ولذا نراهم توجهوا

معالركب الحسيني (ج ١)، ص: ١٨٠

إلى الشام، ولم يُلقوا بالا إلى من فى الكوفة من قتلة الحسين (ع). «١»

ولقد شهد المجتمع الاسلامى فى هذه الثورة ظاهرة جماعية جديدة انبعثت بعد خمود طويل، وهى ظاهرة روحية الفداء والتضحية وطلب الموت، بعد وهن غامر تمثّل فى حبّ الدنيا وكرهية الموت، هذا الوهن الذى جثم على قلب هذه الامة نتيجة الافساد الاموى المتعمّد.

انّ من يتأمّل فى خطب قادة ثورة التوابين يكتشف بوضوح كيف أنّ ثورة الامام الحسين (ع) كانت قد عصفت بكلّ ركام معانى العجز والوهن والانهار والتلوّن، وأحلت محل ذلك الرغبة فى الاستقامة والتحرّر والاستشهاد.

٤- ثورة المختار (ره) ص : ١٨٠

: وفى سنة ستّ وستين للهجرة ثار المختار بن أبى عبيدة الثقفى بالعراق طالبا تاء الحسين (ع). وقد نال تاء ييدا جماهيريا واسعا فى العراق، فقد أقبل الناس عليه وأدبروا عن ابن الزبير الذى لم يحقّق لهم ما كانوا ياءملونه منه فى الانتقام لمظلومية الحسين (ع)، والاصلاح الاجتماعى.

لقد أخرج ابن الزبير الامويين عن سلطانهم فى العراق، لكنّ سلطانه لم يكن خيرا من سلطان الامويين بالنسبة إلى أهل العراق لانّ قتلة الامام الحسين (ع) ظلّوا مقرّبين إلى سلطة بن الزبير كما كانوا فى العهد الاموى، مثل شمر بن ذى الجوشن، وشبث بن ربعى، وعمر بن سعد، وعمرو بن الحجاج، وغيرهم. كما أنّه لم يحقّق لهم العدل الاجتماعى الذى كانوا يطلبونه، فقد كانوا يريدون سيرة على أبى طالب (ع) فيهم، تلك السيرة التى كانوا لازالوا يذكرونها ويحتون إليها، فى حين أنّ عبد الله بن مطيع العدوى عامل ابن الزبير على الكوفة كان يريد أن يسير فيهم بسيرة عمر وعثمان، الامر الذى كانوا لا يريدونه. «٢»

مع الركب الحسينى (ج ١)، ص : ١٨١

كان هذا سببا فى إدبار الناس عن ابن الزبير، وتاء ييدهم لثورة المختار الذى نادى بشعار: (يا لثارات الحسين (ع)). وقد تتبع المختار قتلة الامام الحسين (ع) وآله وصحبه الكرام، فقتل جلّ ه و لاء القتلة، حتّى أنّه قتل منهم فى يوم واحد مائتين وثمانية وأربعين رجلا، «١» ولم يفلت من قادتهم وزعمائهم أحد.

٥- قيام زيد بن على ص : ١٨١

ولم يؤدّ القضاء على ثورة المختار من قبل ابن الزبير إلى خمود الروح الثورية عند الشيعة، فلقد قامت بعده ثورات أخرى، كثورة زيد بن على (ر) فى سنة مائة واثنين وعشرين للهجرة، وقيام ابنه يحيى بن زيد (ر) من بعده.

ولم يزل يتسع الخرق على الحكم الاموى ويزداد ضعفا على ضعف حتّى أطاحت جيوش أبى مسلم الخراسانى بالحكم الاموى إطاحة تامّة فى سنة مائة واثنين وثلاثين للهجرة.

من كلّ ما مضى تتجسّد لنا حقيقة أنّ واقعة عاشورا كانت بداية نهاية الحكم الاموى، بل لنا أن نقول: إنّ عاشورا هى التى قضت على الحكم الاموى حيث نجحت نجاحا تامّا فى فصل الاموية عن الاسلام!

وأما الثورات التى لم يكن لثورة الامام الحسين (ع) أثر مباشر فيها، كثورة

مع الركب الحسينى (ج ١)، ص : ١٨٢

عبد الله بن الزبير، وثورة مطرف بن المغيرة، وثورة عبدالرحمن بن محمّد بن الاشعث، فلم تخلّ من أثر غير مباشر لثورة الامام (ع) فيها، إذ إنّها استمدت الجرأة على الحكم الاموى من جرأة قيام الامام (ع)، ولم تجد لها متنفسا للقيام إلّا بعد أن نجحت عاشورا فى فصل الاموية عن الاسلام، ومزقت عن الحكم الاموى إطاره الدينى الموهوم، الامر الذى مكّن مثل ه ذه الثورات أن تجد فى هذه الامة مددا

جماهيراً لقيامها.

مقطع ما بعد عاشوراً إلى عصر الظهور: ص : ١٨٢

إشارة

وفي هذا المقطع يتجلى لنا أفق مبين من آفاق الفتح الحسيني وهو:

الاسلام حسينيّ البقاء ص : ١٨٢

: قلنا فيما مرّ- تحت عنوان الشهيد الفاتح من الخصائص د الحسينية- إنّ عاشوراً قد كشفت عن وحدة وجودية لا انفكاك لها بين الاسلام المحمديّ الخالص وبين الحسين (ع)، فصارت الدعوة إلى هذا الاسلام بعد عاشوراً هي عين الدعوة إلى الحسين (ع)، وبالعكس، وصارت مواجهة الحسين (ع) ومعاداته بعد عاشوراً هي عين مواجهة هذا الاسلام ومعاداته، وبالعكس، وصار بقاء هذا الاسلام بعد كربلاء ببقاء عاشوراً الحسين (ع)، فالاسلام محمديّ الوجود حسينيّ البقاء.

ذلك لأن نهضة الامام الحسين (ع) في هدفها وشعارها ورسائلها وبياناتها وأخلاقياتها هي عين نهضة الاسلام المحمديّ الخالص للتحزّر من كلّ رواسب الجاهلية التي علقّت به نتيجة (السقيفة) التي مكّنت حركة النفاق من التحكم في رقاب المسلمين! ونتيجة لهذه الوحدة الوجودية بين الحقيقة الاسلامية والحقيقة الحسينية امتدت عاشوراً في الزمان فكان (كلّ يوم عاشوراً) وانتشرت كربلاء في

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ١٨٣

المكان فكانت (كلّ أرض كربلاء).

وغدت كلّ نهضة إسلامية حقّة بعد عاشوراً تجد في ثورة الحسين (ع) نبراسها وتجد نفسها إمتداداً لتلك الثورة المقدّسة. كما غدت كلّ نهضة تدعو إلى الضلال السفيناتيّ تجد نفسها عدوة للحسين (ع) وعدوة للاسلام المحمديّ الخالص، وفي التنازع الماضي والحاضر شواهد على ه ذه الحقيقة!

وفي إطار هذه الوحدة الوجودية بين الاسلام المحمديّ الخالص وبين الحسين (ع) يتجلى لنا سرٌّ كبيرٌ من أسرار تركيز أئمّة أهل البيت (ع) على عاشوراً وعلى تثبيت دعائمها ونشر آفاقها ما وسعتهم الفرصة وتراخى عن منعهم الظرف الخانق، وذلك بتوجيه الائمة توجيهها مركزاً وشدها شداً محكماً إلى سيّد الشهداء الامام أبي عبدالله الحسين (ع)، من خلال تاء كيداتهم المتواصلة على (عزأ الحسين (ع) وعلى (زيارة الحسين (ع)).

سرّ تاء كيد الائمة (ع) على عزأ الحسين (ع) وزيارته ص : ١٨٣

: إنّ العناية الفائقة التي خصّ أئمّتنا (ع) بها عزأ الحسين (ع)، وتاء كيداتهم المتلاحقة على زيارة قبره المقدّس د لا يصحّ تفسيرها بلحاظ المثوبات العظيمة الموعودة عليها كعمل تعيديّ فقط- وإن كان لسان جّل الروايات المتعلقة بهذه المسألة يقتصر على ذكر المثوبة فقط- بل لابدّ في تفسيرها من النظر أيضاً إلى الاثار الاخرى المترتبة على عزائه (ع) وعلى زيارته. «١»

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ١٨٤

ومن أهمّ تلك الاثار: الاثر التربويّ المنشود من ورأ العزأ والزيارة خاصية، ومن ورأ الشعائر الحسينية الاخرى عامية، إذ إنّ صناعة (الانسان الحسيني):

المؤ من الحرّ الابيّ البصير القاطع الصلب المتأسيّ بمناقية الامام الحسين (ع) وأنصاره الكرام لاتكون إلّا في (مصنع عاشوراً).

ومن تلك الاثار: الاثر السياسى والاجتماعى، والتغير الفكرى والروحى فى الامّة الناشى عن العزأ والزياره خاصه وعن الشعائر الحسينيه الاخرى عاميه، خصوصا فى فترة ما بين مقتله (ع) إلى أيام الغيبه الصغرى، حيث كان العزأ والزياره مثلا يعنيان فى بعض مقاطع تلك الفترة رفض الناس للسلطات الحاكمه آنذاك، وإعلان البرأه منها، والخروج عليها والتصدى لا نواع نكالها وبطشها، إذ صار (... أهل السواد يجتمعون باعرض نينوى لزياره قبر الحسين (ع)، فيصير إلى قبره منهم خلق كثير ...) «١»
ثم صاروا يصرون على زيارته (ع) ويقولون:

(.. لو قتلنا عن آخرنا لما أمسك من بقى منا عن زيارته، ورأوا من الدلائل ما حملهم على ما صنعوا ... حتى كثر جمعهم، وصار لهم سوق كبير)، «٢»

مع الركب الحسينى (ج ١)، ص: ١٨٥

الامر الذى هال الحكام الطغاه وأفزعهم خوفا ورعبا من آثاره، فمنعوا الزياره بعد أن تحوّلت إلى ظاهره سياسيه اجتماعيه خطيره، واعتدوا على القبر المقدس نفسه غير مره، فقد كربه والى الكوفه موسى بن عيسى الهاشمى فى زمن هارون العباسى، «١» كما كربه المتوكل العباسى على يد إبراهيم الديزج اليهودى بمعونه جمع من اليهود، «٢» أملا من الطغاه فى اندراس هذا القبر المقدس ومحو وجوده، وهو لايزداد إلا علوا وإشراقا!

وفى الازمان الاخيره أيضا هوجم قبر الامام الحسين (ع) عدّه مرّات، ففى سنه ١٢١٦ هـ. ق هجم الجيش الوهابى المكوّن من اثنى عشر ألف مقاتل بقيادة سعود بن عبدالعزيز يا يعاز من أبيه على مدينه كربلاء المشرفه، فباغتها صبيحه يوم الغدير على حين غفله من أهلها، فاباحوا القتل فيها سبع ساعات من النهار، وقتلوا سبعة آلاف من أهلها، وهدموا حرمه القبر الشريف وحرمة هذه المدينه المقدسه. «٣»
وفى سنه ١٢٢٢ هـ. ق تكزرت هذه الفعله أيضا فقد هجم الجيش الوهابى المكوّن من عشرين ألف مقاتل بقيادة سعود بن عبدالعزيز نفسه على النجف وكربلاء. «٤»

وفى سنه ١٢٥٨ هـ. ق تكزرت هذه الفعله الشنيعه أيضا على يد نجيب باشا والى بغداد فى عهد السلطان العثمانى عبد المجيد، حيث هاجم نجيب هذا مدينه كربلاء المقدسه وهدم حرمتها وقتل من أهلها مقتله عظيمه! «٥»

مع الركب الحسينى (ج ١)، ص: ١٨٦

وفى سنه ١٤١١ هـ. ق هجم حسين كامل أحد أشرس أعوان صدام التكرينى حاكم العراق على مدينه كربلاء وضرب القبر المقدس بالمدفعيه وقتل من أهلها مقتله عظيمه!

وما خوف الطغاه ورعبهم من صاحب هذا القبر (ع) إلا لوحده الحقيقه بينه وبين الاسلام المحمديّ الخالص، الذى صار بقاؤه رهين بقاء عاشورا الحسين (ع)، النبراس والقدوه لكل إنتفاضه اسلاميه حقّه.

مقطع عصر الظهور: ص: ١٨٦

إشارة

وفى هذا المقطع يتجسد الفتح الحسينى فى عاشورا مبينا لاريب فيه، من خلال الوحده الصميميه بين قيام الامام الحسين (ع) وقيام الامام المهدي (ع)، وبين الفتح الحسينى والفتح العالمى!

قيام المهدي (عج) هو الفصل الاخير من قيام عاشورا ص: ١٨٦

: يبدو للمتأمل فى الروايات التى تتناول العلاقه بين هذين القيامين العظيمين وكاء قيام الامام الحسين (ع) فى مجموع أحداثه يتألف من ثلاثه فصول:

الفصل الاوّل منها: كان قد تمّ بوقوع فاجعته عاشوراً وعودة الركب الحسيني إلى المدينة بقيادة الامام زين العابدين (ع).
والفصل الثاني: يمتدّ في الفترة ما بعد ذلك إلى قيام الامام المهدي (ع)، وهو فصل الحفاظ على الاسلام وبقائه.
والفصل الثالث: يتحقّق بقيام الامام المهدي (ع) ثائرا للحسين (ع) ومظهرا
مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ١٨٧
لهذا الدين على الدين كلّ.

ويرى المتأمل في هذه الروايات الشريفة بوضوح أنّ قيام الامام المهدي (ع) امتداد حقيقي لقيام الامام الحسين (ع)، وأنّ عاشوراً سنّة إحدى وستين للهجرة كانت المعركة الاولى من معارك الامام الحسين (ع)، وإن كان قد استشهد فيها، وأنّ الفترة ما بين عاشوراً وبين الظهور فترة مليئة بمواجهات ومعارك عديدة أخذ الامام الحسين (ع) فيها بخناق جميع طواغيت تلك الفترة لا بخناق يزيد بن معاوية وحده! وأنّ العالم إنّما يشهد في عصر الظهور الفصل الاخير من قيام الامام الحسين (ع) بقيادة ابنه الامام المهدي (ع)، الذي يقتل ذراري قتله الامام الحسين (ع) في كلّ فترة ما بين عاشوراً والظهور لرضاهم بفعال آبائهم! وأنّ الفتح العالمي هو الحلقة الاخير من حلقات الفتح الحسيني في عاشوراً.

دلائل روائية ص : ١٨٧

: وإثباتا لكلّ ما قدّمناه هنا، نتبرّك بذكر بعض هذه الروايات الشريفة على سبيل المثال لا الحصر:
صاحب الفتح العالمي من ذريّة الحسين (ع):
قال رسول الله (ص):

(ومن ذريّة هذا- وأشار إلى الحسين (ع) رجل يخرج في آخر الزمان يملأ الارض د عدلا كما ملئت ظلما ووجورا ...). «١»
وقال الامام الحسين (ع):

(منا اثنا عشر مهديا، أولهم اميرالمؤمنين على بن أبي طالب، وآخرهم
مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ١٨٨

التاسع من ولدي، وهو القائم بالحق، يحيى الله به الارض بعد موتها، ويظهر به دين الحقّ على الدين كلّ ولو كره المشركون ...). «١»
امتداد المواجهة في فصول بين أهل الحقّ وأهل الباطل:
قال الامام الصادق (ع):

(إنّا وآل أبي سفيان أهل بيتين تعادينا في الله، قلنا: صدق الله. وقالوا: كذب الله. قاتل أبو سفيان رسول الله (ص)، وقاتل معاوية على بن أبي طالب (ع)، وقاتل يزيد بن معاوية الحسين بن علي (ع)، والسفياني يقاتل القائم (ع). «٢»
المهدي (عج) الثائر للحسين (ع):
قال الامام الصادق (ع):

(لما ضرب الحسين بن عليّ (ع) بالسيف ثم ابتدر ليقتع رأسه نادى مناد من قبل ربّ العزة تبارك وتعالى من بطنان العرش فقال: ألا أيّتها الامّة المتخيرة الظالمة بعد نبيّها، لا وفّقكم الله لا ضحى ولا فطر. قال: ثم قال أبو عبدالله (ع): لاجرم والله ما وفقوا ولا يوفّقون أبدا حتّى يقوم ثائر الحسين (ع). «٣»
وقال الامام الباقر (ع):

(لما قُتل جدّي الحسين (ع) ضجّت الملائكة إلى الله عزّ وجلّ بالبكاء والنحيب، وقالوا: إلهنا وسيّدنا، أتصفح عمّن قتل صفوتك وابن صفوتك وخيرتك من خلقك؟ فاء وحي الله عزّ وجلّ إليهم فَرّوا ملائكتي، فوعزّتي

معالركب الحسينى (ج ١)، ص: ١٨٩

وجلالى، لا نتقمّن منهم ولو بعد حين. ثم كشف الله عزّ وجلّ عن الائمة من ولد الحسين (ع) للملائكة، فسرت الملائكة بذلك، فاذا أحدهم قائم يصلى، فقال تعالى: بذلك القائم أنتقم منهم... (١)

القائم (عج) الطالب بدم المقتول فى كربلاء:

وعن الامام الصادق (ع) فى تفسير قوله تعالى: (أذن للذين يقاتلون باءنهم ظلموا وإنّ الله على نصرهم لقدير)

(إنّ العاقبة يقولون نزلت فى رسول الله (ص) لمّا أخرجته قريش من مكّة، وإنّما هى للقائم (ع) إذا خرج يطلب بدم الحسين (ع)، وهو قوله: نحن أولياء الدم، وطّلاب الدية... (٢)

خروج القائم (عج) يوم عاشوراء!:

قال الامام الباقر (ع): (يخرج القائم (ع) يوم السبت، يوم عاشوراء، يوم الذى قتل فيه الحسين (ع). (٣)

وشعارهم: (بالتارات الحسين):

قال الامام الرضا (ع): (يا بن شبيب، إن كنت باكيا لشى فابك للحسين بن علىّ ابن أبى طالب (ع) فإنه ذبح كما يذبح الكبش، وقتل معه من أهل بيته ثمانية عشر رجلا ما لهم فى الارض شبيهون، ولقد بكت السموات السبع والارضون لقتله، ولقد نزل إلى الارض من الملائكة أربعة آلاف لنصره، فوجدوه قد قتل،

معالركب الحسينى (ج ١)، ص: ١٩٠

فهم عند قبره شعّت غبرّ إلى أن يقوم القائم فيكونون من أنصاره، وشعارهم: يا لثارات الحسين). (١)

القائم (عج) يقتل ذرارى قتلة الحسين (ع) لرضاهم بفعال آبائهم:

عن عبد السلام بن صالح الهروى قال: (قلت لآبى الحسن علىّ بن موسى الرضا (ع): يا ابن رسول الله، ما تقول فى حديث روى عن الصادق (ع) أنّه قال: إذا خرج القائم قتل ذرارى قتلة الحسين (ع) بفعال آبائها؟ فقال (ع): هو كذلك. فقلت: فقول الله عزّ وجلّ (ولاتزر وازرة وزر أخرى) ما معناه؟ فقال:

صدق الله فى جميع أقواله، لكنّ ذرارى قتلة الحسين يرضون أفعال آبائهم ويفتخرون بها، ومن رضى شيئا كان كمن أتاه، ولو أنّ رجلا قتل فى المشرق فرضى بقتله رجل فى المغرب لكان الرضى عند الله شريك القتال، وإنّما يقتلهم القائم إذا خرج لرضاهم بفعال آبائهم... (٢)

معالركب الحسينى (ج ١)، ص: ١٩٣

الفصل الاول: الامام الحسين (ع) بعد اخيه الامام الحسن (ع) ص: ١٩٣

مكانة الامام الحسين (ع) فى الامة: ص: ١٩٣

--- امتاز الحسنان (ع) بمكانتهما السامية وقداستهما الخاصّة فى وجدان هذه الامة الاسلامية منذ عهد جدّهما الرسول الاكرم (ص) وإلى يوم تقوم الساعة.

فهما من أهل آية المباهلة وآية التطهير وآية المودّة وآية الابرار ...

وهما ريحانتا رسول الله (ص)، والامامان إن قاما وإن قعدا، وسيدا شباب أهل الجنة، وهما السبطان، وهما إبننا رسول الله (ص). (١)

وفى البيانات النبوية الكثير فى الدعوة إلى حبّهما والتحذير من بغضهما .. وقد عرف لهما الصحابة موقعهما الخاصّ من قلب رسول الله

(ص)، فعظم عند المخلصين من الصحابة قدرهما وتنافسوا في تكريمهما وتقديسهما ..

اعترض مُدرِك بن زياد على ابن عباس، وقد أمسك ابن عباس للحسن والحسين بالركاب وسوى عليهما

قائلا: أنت أسنّ منهما تمسك لهما بالركاب؟!

فقال: يالكع، وتدرى من هذان؟ هذان ابنا رسول الله (ص)، أوليس ممّا أنعم

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ١٩٤

الله به عليّ أن أمسك لهما واءسويّ عليهما؟! «١»

وبلغ من تعظيم المسلمين وتكريمهم لهما، أنّهما لما كانا يحجان إلى بيت الله الحرام ماشيين والنجائب تقاد بين أيديهما، يترجل كلُّ

راكبٍ يجتاز الطريق عليهما إكبارا لهما وتعظيما لشاءنهما، حتّى شقّ المشى على كثير من الحجّاج، فكلموا أحد أعلام الصحابة، وطلبوا

منه أن يعرض عليهما الركوب أو التنكب عن الطريق، فعرض عليهما ذلك، فقالا: (لأنركب، قد جعلنا على أنفسنا المشى إلى بيت الله

الحرام على أقدامنا، ولكننا نتنكب عن الطريق). «٢»

(وكانا إذا طافا بالبيت يكاد الناس يحطمونهما ممّا يزدحمون عليهما للسلام عليهما ..) «٣»

ومابرح الحسنان (ع) فرقدى سماء هذه الامة، تتطلع إليهما قلوب المؤمنين حبا وإكبارا وتقديسا، حتّى غاب أبو محمد الحسن المجتبي

عن هذه الدنيا منتقلا إلى جوار ربّه تبارك وتعالى وجده (ص) وأمه وأبيه (ع) ...

وبقى الامام أبو عبد الله الحسين (ع) وحده ...

فصارت الامة ترى فيه فضلا عن قدسيته الخاصّة بقيّة أهل الكساء وآية التطهير وآية المودّة وآية الابرار وأهل البيت وتذكار الرسول

وعليّ وفاطمه والحسن صلوات الله عليهم أجمعين، فكان (أعظم الخلف ممّن مضى) كما عبّرت عن ذلك إحدى رسائل التعزية التي

وصلته من الكوفة. «٤»

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ١٩٥

وكان محلّه من الناس محلّ جدّه النبيّ (ص)، تجد فيه الارواح الحائرة القلقة ما تشتهي من طمأنينة وسكينة، حتّى النفوس المنحرفة

عن هدى أهل البيت (ع) لم تكن تملك أمام أبي عبد الله (ع) إلّا أن تُجلّه وتظهر له فائق الاكبار وتعترف له بسمو القدر والمنزلة.

تقول الرواية: (.. أعيبى الحسين (ع) فقعد فى الطريق، فجعل أبوهريرة ينفض د التراب عن قدميه بطرف ثوبه ...

فقال الحسين (ع): يا أباهريرة، وأنت تفعل هذا!؟

قال أبوهريرة: دعنى، فوالله لو يعلم الناس منك ما أعلم لحملوك على رقابهم). «١»

وكان (ع) فى المدينة الشمس التى تفيض على الناس نورا وهدى وأمنة وطمأنينة، وكان (ع) إذا خطب فى مسجد جدّه (ص)

أوتحدّث إلى حضّاره انبهرت له القلوب وتسمّرت إلى محيّا الاعين، وكاءنّ على رؤوس الناس الطير.

هذا معاوية العدو اللدود يقول لرجل من قريش:

(إذا دخلت مسجد رسول الله (ص) فرأيت حلقة فيها قوم كاءنّ على رؤوسهم الطير، فتلك حلقة أبي عبد الله، مؤتزرا على أنصاف

ساقيه، ليس فيها من الهزيلي «٢» شئ «٣»

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ١٩٦

ويجتاز الامام الحسين (ع) فى مسجد جدّه رسول الله (ص) على جماعة فيهم عبد الله بن عمرو بن العاص، فيسلم الامام عليهم، فيردون

عليه السلام، ثم ينبرى عبد الله بن عمرو بن العاص فيرد السلام بصوت عالٍ، (....) ثم أقبل على القوم.

فقال: ألا أخبركم باءحبّ أهل الارض إلى أهل السماء؟

قالوا: بلى.

قال: هو هذا المُقْفَى، واللّه ما كَلَّمْتَهُ كَلِمَةً ولا كَلَّمْنِي كَلِمَةً منذ ليالي صَفَيْنَ، واللّه لا ن يرضى عَنِّي أَحَبَّ إِلَيَّ من أن يكون لي مثل
أءُحَدُ! ...). «١»

وكان (ع) سيّد أهل الحجاز وسيّد العرب في دهره، وسيّد المسلمين ...

قال ابن عباس في إحدى محاوراته مع الامام (ع): (إنّ أهل العراق قوم غدرٌ فلا تقربنّهم، أقم بهذا البلد فإنّك سيّد أهل الحجاز ..).
«٢»

ومما قال له عبدالله بن مطيع العدويّ وهو يحذّره ألاّ يغزّه أهل الكوفة: (فالزم الحرم فإنّك سيّد العرب في دهرك هذا ..). «٣»
وكان هذا العدويّ يعلم أنّ أبا عبدالله الحسين (ع) من مساكن بركة الله ووسائط فيضه، فقال للامام (ع): (إنّ بئري هذه قد رشحتها،
وهذا اليوم أو ان ما خرج إلينا في الدلو شى من ماء، فلو دعوت الله لنا فيها بالبركة!!
فقال له الامام (ع): (هات من مائها).

معالركب الحسيني (ج ١)، ص: ١٩٧

فأتى من مائها في الدلو، فشرّب منه ثمّ تمضمض ثمّ ردّه في البئر فاءعذب وأمهي. «١»

وأقام (ع) بمكة المكرمة (فكف الناس على الحسين يقدون إليه ويقدمون عليه، ويجلسون حوالبه، ويستمعون كلامه، حين سمعوا
بموت معاوية وخلافه يزيد، وأمّا ابن الزبير فإنّه لزم مصلاه عند الكعبة، وجعل يتردّد في غبون ذلك إلى الحسين في جملة الناس،
ولا يمكنه أن يتحرّك بشى ممّا في نفسه مع وجود الحسين، لما يعلم من تعظيم الناس له وتقديمهم إياه عليه ...
بل الناس إنّما ميلهم إلى الحسين لا- نه السيّد الكبير، وابن بنت رسول الله (ص)، فليس على وجه الارض د يومئذٍ أحد يساميه
ولا يساويه ...). «٢»

وفي فقرات رسائل أهل الكوفة إليه ما يكشف عن مكانته (ع) في قلوبهم، كمثّل قولهم:

(إنّه ليس علينا إمام، فاقبل لعلاّ الله أن يجمعنا بك على الهدى). «٣»

وقولهم (أمّا بعد: فحىّ هلاً، فإنّ الناس ينتظرونك، ولا رأى لهم في غيرك، فالعجل العجل، والسلام عليك). «٤»

وقام يزيد بن مسعود النهشلي (ره) وهو من أشرف البصرة خطيباً في جموع بنى تميم وبنى حنظلة وبنى سعد في البصرة، يدعوهم إلى
نصرة الحسين (ع)، فكان ممّا قاله لهم في التعريف بمكانة الامام (ع):
.. وهذا الحسين بن على، ابن بنت رسول الله (ص) ذوالشرف الاصيل،

معالركب الحسيني (ج ١)، ص: ١٩٨

والرأى الاثيل، له فضل لا يوصف، وعلم لا ينزف، وهو أولى بهذا الامر لسابقته وسنّه وقدمته وقرابته، يعطف على الصغير ويحنو على
الكبير، فاءكرم به راعى رعيّة، وإمام قوم وجبت لله به الحجّة، وبلغت به الموعظة ..). «١»

ولم تخل قلوب بعض بنى أميّة من استشعار حرمة ومكانة أبى عبدالله الحسين (ع)، ويبدو أنّ قلب الوليد بن عتبة والى المدينة عند
موت معاوية كان من تلك القلوب، فقد قال لمروان بن الحكم الذى أشار عليه بحبس الحسين (ع) حتّى يبائع أو تضرب عنقه:

(ويحك إنك أشرت علىّ بذهاب ديني ودنياي، واللّه ما أءحبّ اءنّ ملك الدنيا باءسرها لي وأنّى قتلت حسينا، واللّه ما أظنّ أحدا
يلقى الله بدم الحسين (ع) إلّا وهو خفيف الميزان، لا ينظر الله إليه ولا يزكّيه وله عذاب أليم). «٢»

وهذا يحيى بن الحكم أخو مروان يعترض مستنكراً قتل الامام الحسين (ع) في بلاط يزيد قائلاً:

لهامّ بجنب الطفّ أدنى قرابة من ابن زياد العبد ذى الحسب الوغل

سميّة امسى نسلها عددالحصى وليس لال المصطفى اليوم من نسل) «٣»

ولمّا استشعر المجرمون سخط الامّة لقتل الامام (ع) حتّى فى بيوتهم، حاولوا التهرّب من مسؤ وليّة قتله، وصار بعضهم يلقى بالمسؤ وليّة

على بعض! فهذا

معالركب الحسيني (ج ۱)، ص: ۱۹۹

الطبرى يروى أنه لَمَّا وضع رأس الامام (ع) بين يدي يزيد، وسمعت بذلك زوجة يزيد هند بنت عبد الله بن عامر، تقنعت بثوبها فخرجت ..

(وقالت: يا اميرالمؤمنين، رأس الحسين بن فاطمة بنت رسول الله!؟)

قال: نعم، فاعولى عليه، وحُدِّي على ابن بنت رسول الله (ص) وصريخه قريش، عَجَل عليه ابن زياد فقتله، قتله الله!!!). «۱»

وأراد عبيد الله بن زياد بعد قتل الامام (ع) أن ياءخذ من عمر بن سعد الكتاب الذى أمره فيه بقتل الامام (ع) ..

فقال: (يا عمر! أين الكتاب الذى كتبت به إليك فى قتل الحسين!؟)

قال: مضيت لا مرك، وضاع الكتاب.

قال: لتجئني به!

قال: ضاع.

قال: والله لتجئني به!

قال: تُرِكَ والله يُقرأ على عجايز قريش إعتذارا إليهن بالمدينة! أما والله لقد نصحتك فى حسين نصيحة لو نصحتها أبى سعد بن أبى وقاص كنت قد أديت حقه.

قال عثمان ابن زياد أخو عبيد الله: صدق، والله لوددت أنه ليس من بنى زياد رجلٌ إلّا وفى أنفه خِزامةٌ إلى يوم القيامة وأنّ حسيناً لم يقتل ...). «۲»

معالركب الحسيني (ج ۱)، ص: ۲۰۰

الايخار بمقتله (ع): ص : ۲۰۰

و من أبعاد مكانته فى الائمة، بُعد معرفتها بانه سيد الشهداء الذى يقتل مظلوما مع كوكبة من أهل بيته وأصحابه عند شاطئ الفرات فى أرض كربلاء من العراق، وأن شفاعته النبى (ص) لاتنال قتله الحسين (ع)، وكانت الائمة تعرف أيضا أى طاغية ياءمر بقتل الامام (ع)، ومن يتولى قيادة الجيوش التى تخرج لقتاله، وتعرف أيضا كثيرا من تفاصيل تلك الفاجعة المرتقبة!!

وقد عرفت الائمة كل ذلك لما شاع فيها من الاخبارات الكثيرة عن رسول الله (ص) وعن على (ع) وعن الحسين نفسه (ع) حول مصرعه ومصرع أنصاره وزمان ومكان ذلك.

فلقد نعى رسول الله (ص) سبطه الحسين (ع) منذ يوم ولادته، وأقام عليه العزاء فبكى وأبكى من حوله فى مناسبات متعدّدة، وكذلك كان اميرالمؤمنين على (ع) يبكى ويبكى من معه كلما تذكر ما يجرى على مولانا الحسين (ع).

فكان الامام الحسين (ع) الشهيد الحى فى الائمة، تتطلع إليه أعين المؤمنين، وقلوبهم المنشدة إليه يعتصرها الاسى حسرة عليه وحزنا لمصابه وعظمة رزيتته، ويغمر أرواحهم خشوع الاجلال والاكبار لمقام سيد الشهداء (ع) ومقام أنصاره الذين لايسبقهم سابق ولايلحق بهم لاحق.

وقد وردت هذه الاخبارات فى كتب الخاصة والعامّة، ننتقى هنا نماذج منها:

(.. قالت أسماء: فلما ولدت فاطمة الحسين (ع) نفستها به، فجاءنى النبى فقال: هلم ابني يا أسماء. فدفعته إليه فى خرقة بيضاء، ففعل به كما فعل بالحسن، قالت: وبكى رسول الله، ثم قال: إنه سيكون لك حديث. اللهم العن قاتله. لا تعلمي فاطمة بذلك.

مع الركب الحسينى (ج ۱)، ص: ۲۰۱

قالت أسماء: فلما كان في يوم سابعه جاءنى النبى فقال: هلمى ابنى. فاءتته به، ففعل به كما فعل بالحسن وعق عنه كما عق عن الحسن ... ثم وضعه فى حجره ثم قال: يا أبا عبد الله، عزيزى على، ثم بكى.

فقلت: باءبى أنت وأمى، فعلت فى هذا اليوم وفى اليوم الاول فما هو؟ قال:

أبكى على ابنى هذا تقتله فئه باغيه كافره من بنى أميه لعنهم الله، لأنالهم الله شفاعتى يوم القيامة، يقتله رجل يثلم الدين ويكفر بالله العظيم (...). «۱»

ولما بلغ عمر الحسين (ع) عامين (خرج النبى إلى سفر فوقف فى بعض الطريق، واسترجع ودمعت عيناه، فسئيل عن ذلك فقال: هذا جبرئيل يخبرنى عن أرض بشطّ الفرات يقال لها كربلاء يُقتل فيها ولدى الحسين، وكاءنى أنظر إليه وإلى مصرعه ومدفنه بها، وكاءنى أنظر إلى السبايا على أقتاب المطايا، وقد اءهدى راءس ولدى الحسين إلى يزيد لعنه الله، فوالله ما ينظر اءحد إلى رأس الحسين ويفرح إلا خالف الله بين قلبه ولسانه وعذبه الله عذابا أليما.

ثم رجع من سفره مغموما مهموما كئيبا حزينا، فصعد المنبر وأصعد معه الحسن والحسين، وخطب ووعظ الناس، فلما فرغ من خطبته وضع يده اليمنى على رأس د الحسن، ويده اليسرى على رأس الحسين، وقال: اللهم إن محمدا عبدك ورسولك، وهذان أطائب عترتى وخيار أرومتى وأفضل ذريتى ومن اءخلفهما فى اءمتى، وقد اءخبرنى جبرئيل اءنّ ولدى هذا مقتول بالسم، والاخر شهيد مضرّج بالدم، اللهم فبارك له فى قتله، واجعله من سادات الشهداء، اللهم ولا تبارك فى قاتله وخاذله، وأصله حرّ نارك واحشره فى أسفل درك الجحيم.

قال: فضجّ الناس بالبكاء والعيول، فقال لهم النبى: أيها الناس، أتبكونه

مع الركب الحسينى (ج ۱)، ص: ۲۰۲

ولا تنصرونه، اللهم فكن أنت له وليا وناصرا (...). «۱»

(ولما اشتدّ برسول الله (ص) مرضه الذى مات فيه، وقد ضمّ الحسين (ع) إلى صدره، يسيل من عرقه عليه، وهو وجود بنفسه، ويقول: مالى وليزيد، لا بارك الله فيه، اللهم العن يزيد. ثم غشى عليه طويلا وأفاق وجعل يقبل الحسين وعيناه تذرّفان، ويقول: أما إن لى ولقاتلك مقاما بين يدى الله عزّ وجلّ). «۲»

وعن اءمّ سلمة قالت: قال رسول الله (ص): (يُقتل الحسين راءس ستين من مهاجرى). «۳»

وعن عائشة أنّ رسول الله (ص) قال لها: (يا عائشة إن جبرئيل أخبرنى أنّ ابنى حسينا مقتول فى أرض الطف، وأنّ اءمتى ستفتن بعدى ثمّ خرج إلى أصحابه فيهم على، وأبوبكر، وعمر، وحذيفة، وعمار، وأبوذرّ، وهويكى، فقالوا: ما بيكيك يا رسول الله؟! فقال: أخبرنى جبرئيل (ع) أنّ ابنى الحسين يُقتل بعدى باءرض الطفّ، وجاءنى بهذه التربة، وأخبرنى أنّ فيها مضجعه). «۴»

وعن ابن عيّاس قال: (كنت مع اميرالمؤمنين (ع) فى خرّجته إلى صفين، فلما نزل بنينوى وهو بشطّ الفرات قال باءعلا صوته: يا ابن عيّاس، أتعرف هذا الموضع؟ قلت له: ما أعرّفه يا اميرالمؤمنين. فقال (ع): لو عرفته كمعرفتى لم تكن تجوزه حتى تبكى كبكائى. قال: فبكى طويلا حتى اخضلتّ لحيته،

مع الركب الحسينى (ج ۱)، ص: ۲۰۳

وسالت الدموع على صدره، وبكىنا معا وهو يقول: أوّه أوّه، مالى ولا ل أبى سفيان؟ مالى ولا ل حرب، حزب الشيطان وأولياء الكفر؟! صبرا يا أبا عبد الله، فقد لقى أبوك مثل الذى تلقى منهم). «۱»

و (روى عن أبى جعفر عن أبيه (ع) قال: مرّ على (ع) بكربلاء فقال لَمّا مرّ به أصحابه وقد أغرورقت عيناه يبكى ويقول: هذا مناخ ركابهم، وهذا مُلقى رحالهم، ها هنا مراق دمائهم، طوبى لك من تربة عليها تراق دماء الاحبة.

وقال الباقر (ع): خرج عليٌّ يسير بالناس حتى إذا كان بكربلاء على ميلين أو ميل تقدّم بين أيديهم حتى طاف بمكان يقال لها المقذفان، فقال: قُتل فيها مائتا نبيٍّ ومائتا سبط كلهم شهداء، ومناخ ركاب ومصارع عشاق شهداء لا يسبقهم من كان قبلهم ولا يلحقهم من بعدهم). «٢»

وعن حذيفة قال: (سمعت الحسين بن عليٍّ يقول: والله ليجتمعنّ على قتلى طغاة بني أمية، ويقدمهم عمر بن سعد. وذلك في حياة النبيّ (ص)!

فقلت: أنباء ك بهذا رسول الله؟

قال: لا.

فأنتيت النبيّ فاء خبرته فقال: علمي علمه، وعلمه علمي، وإنّا لنعلم بالكائن قبل كينونته). «٣»

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٠٤

ويقول ابن عباس: (ما كنّا نشكُّ، وأهل البيت متوافرون، أنّ الحسين بن عليٍّ يقتل بالطف). «١»

وروى عبدالله بن شريك العامري قال: (كنت أسمع أصحاب عليٍّ (ع) إذا دخل عمر بن سعد من باب المسجد يقولون: هذا قاتل الحسين بن عليٍّ (ع).

وذلك قبل أن يقتل بزمان). «٢»

وروى أنّ عمر بن سعد قال للحسين (ع): يا أبا عبد الله، إنّ قَبَلنا ناسا سفهاء يزعمون أنّي أقتلك.

فقال له الحسين (ع): إنهم ليسوا بسفهاء، ولكنهم حلماء، أما إنّه تقرّر عيني أن لاتاء كل من برّ العراق بعدى إلّا قليلاً!). «٣»

وعنّ ابن عباس عليّ تركه الحسين فقال: (إن أصحاب الحسين لم ينقصوا رجلا- ولم يزيدوا رجلا- نعرفهم بأسمائهم من قبل شهودهم!!). «٤»

وقال محمد بن الحنفية: (وإن أصحابه عندنا لمكتوبون بأسمائهم وأسماء آبائهم!!). «٥»

إن أخبار الملاحم والفتن الماء ثورة عن أهل بيت العصمة (ع) عامّة وعن

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٠٥

رسول الله (ص) خاصّة فضلا عن أنّها تؤكّد على أنّ علم هؤلاء المصطفين الاخير (ع) علمٌ لدنّي ربّانّي كاشف عن مكانتهم الالهية الخاصية المنصوص عليها من قبل الله تعالى، تؤكّد أيضا على مدى حرصهم الكبير على رعاية هذه الامة وإنقاذها من هلكات مدلهّمات الفتن التي أحاطت بها منذ بداية التيه في يوم السقيفة.

لقد كان رسول الله (ص) يعلم مدى الانحراف الذي سيصيب الامة من بعده ويلقى بها في متاهات تنعدم فيها القدرة على الرؤية السديدة إلّا على قلمه من ذوى البصائر، ويصعب فيها تشخيص الحق من الباطل إلّا على من تمسك بعروة الثقلين، وكان (ص) يعلم خطورة حالة الشلل النفسي والازدواجية في الشخصية التي ستتعاظم في الامة من بعده حتى لا يكاد ينجو منها إلّا أقلّ القليل.

لذا لم يألُ (ص) جهدا في تبيان سبل الوقاية والنجاة من تلك الهلكات، ومن جملة تلك السبل سبيل إخبار الامة بملاحمها وبالفتن التي ستعرض لها إلى قيام الساعة، فكشف لها (ص) عن كلّ الملاحم والفتن وأوضح لها مزالق وعثرات الطريق إلى أن تنقضى الدنيا، يقول حذيفة بن اليمان (ره): (.. والله ما ترك رسول الله (ص) من قائد فتنه إلى أن تنقضى الدنيا بلغ من معه ثلثمائة فصاعدا إلّا لقد سمّاه لنا باسمه واسم أبيه واسم قبيلته). «١»

وذلك لكي لا تلتبس على الامة الامور، ولا تقع في خطاء الرؤية أو انقلابها فترى المنكر معروفا والمعروف منكرا، إضافة إلى ما يتضمّنه بيان الملاحم للامة من دعوة إلى نصره صفّ الحق وخذلان صفّ الباطل بعد تشخيص كلّ من الصفيين.

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٠٦

وعلى هذا النهج، ولهذه الغاية أيضا، كانت أخبار الملاحم والفتن التي وردت عن أئمة أهل البيت (ع).

وقد اختصّ قتل الحسين (ع) بنصيب وتركيز أكبر في الاخبارات الواردة عن النبي (ص) وعن اميرالمؤمنين (ع)، وذلك لعظيم حرمة الامام الحسين (ع)، ولتويع مصرعه المفجع ومصارع أنصاره، ولشدّة مصابهما بتلك الوقعة الفظيعة والرزية العظيمة، ولا همية واقعة عاشورا بلحاظ ما يترتب عليها من حفظ الاسلام وبقائه، ولا همية المثوبة العظيمة والمنزلة الرفيعة المترتبة على نصره الحسين (ع)، واللعة الدائمة والعقوبة الكبيرة التي تلحق من يقاتله ويخذله.

ولعلّ قرب عاشورا الزمنى من عهد النبي (ص) وعليّ (ع) عامل أيضا من عوامل هذا التركيز، لأن النبي (ص) ووصيه (ع) يعلمان أنّ جماعة غير قليلة من الصحابة والتابعين سوف يدركون يوم عاشورا، فالتركيز على الاخبار بمقتله (ع) ومخاطبة هؤلاء مخاطبة مباشرة بذلك يؤثّران التاثير البالغ في الدعوة إلى نصرته (ع)، والتحذير من الانتماء إلى صفّ أعدائه، مع ما فى ذلك من إتمام الحجّة على هؤلاء الناس آنثذ.

ولذا كان رسول الله (ص) يخاطب الباكين معه لبكائه على الحسين (ع) خطابا مباشرا، فيقول لهم: (أيها الناس، أتبكونه ولا تنصرونه؟!). «١»

ويخاطب عليّ (ع) البراء بن عازب قائلا: (يا براء، يُقتل ابني الحسين واءنت حتى لا تنصره). فلما قتل الحسين (ع) كان البراء بن عازب يقول: صدق والله عليّ بن أبي طالب، قتل الحسين ولم أنصره، ثمّ أظهر على ذلك الحسرة والندم. «٢»

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٠٧

وفى المقابل فقد انتفع بهذا الاخبار جمع من أهل الصدق والاخلاص من الصحابة والتابعين، فقد روى الصحابي الجليل أنس بن الحارث رضوان الله تعالى عليه عن النبي (ص) أنّه قال: (إنّ ابني هذا- وأشار إلى الحسين - يُقتل باعرض د يقال لها كربلاء، فمن شهد ذلك منكم فلينصره). ولما خرج الامام الحسين (ع) إلى كربلاء خرج معه الصحابي الجليل أنس بن الحارث رضوان الله تعالى عليه، واستشهد بين يدي الحسين (ع). «١»

ولعلّ سرّ التحوّل في موقف زهير بن القين رضوان الله تعالى عليه ما كان يحفظه من قول سلمان الفارسيّ رضوان الله تعالى عليه وإخباره عن بشرى نصره الامام الحسين (ص)، يقول زهير: (ساء حدّثكم حديثا، إنّنا غزونا البحر، ففتح الله علينا، وأصبنا غنائم، فقال لنا سلمان الفارسيّ (ره): أفرحتم بما فتح الله عليكم وأصبتم من الغنائم؟ فقلنا: نعم.

فقال: إذا أدركتم سيّد شباب آل محمّد (ص) فكونوا أشدّ فرحا بقتالكم معهم ممّا أصبتم اليوم من الغنائم). «٢»

و (قال العريان بن الهيثم: كان أبي يتبدى «٣»، فينزل قريبا من الموضع الذي كان فيه معركة الحسين، فكنا لانبدو إلّا وجدنا رجلا من بنى أسد هناك.

فقال له أبي: أراك ملازما هذا المكان!!؟

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٠٨

قال: بلغني أنّ حسينا يقتل هاهنا، فاءنا أخرج إلى هذا المكان لعلّى أصادفه فاءقتل معه!!

قال ابن الهيثم: فلما قتل الحسين قال أبي: انطلقوا بنا نلظرو هل الاسديّ فيمن قتل مع الحسين؟

فاءتينا المعركة، وطوّفنا، فإ ذا الاسديّ مقتول!!). «١»

لم ينطو معاوية إلا على الخيانة ونقض العهد من اليوم الأول للصِّلح بل منذ أن فُكّر في الصِّلح، وقد أعلن عن غدره في الأيام الأولى بعد الصِّلح، ولا أوضح من قوله في خطبته الأولى بعد الصِّلح:

(ألا وإن كل شئ أعطيته الحسن بن عليّ تحت قدميّ هاتين لا أفي به!!). «٢»

وقوله:

(يا أهل الكوفة، أتروني قاتلتكم على الصلاة والزكاة والحجّ، وقد علمت أنّكم تصلّون وتزكّون وتحجّون؟ ولكنّي قاتلتكم لا تاءمّر عليكم وألّى رقابكم، وقد آتاني الله ذلك وأنتم كارهون!، ألا إن كل دم أصيب في هذه الفتنة مطلول، وكل شرط شرطته فتحت قدميّ هاتين!!). «٣»

ومع أنّ معاوية لم يف بآءيّ بندٍ من بنود المعاهدة، لكنّه لم يجد الراحة

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٠٩

والاستقرار في نفسه والاطمئنان على مستقبل خلافة يزيد من بعده وهو يرى أبا محمّد الحسن (ع) حيًا، فمكر لقتله مرارا لكنّه لم ينجح في ذلك إلا أخيرا على يد جعده بنت الأشعث بن قيس الكنديّ التي سمّت الامام (ع) طمعا في الزواج من يزيد بعد أن أغراها معاوية بذلك وخطط لها المكيدة.

وانتقل الامام المظلوم أبو محمّد الحسن المجتبي إلى جوار ربّه وجده وأبيه وأمه بعد أن كابد مرارة السم وآلامه أربعين يوما، وكانت شهادته في السابع من صفر سنة خمسين، أوفى آخر صفر سنة تسع وأربعين للهجرة. «١»

فابتدأت في ذلك اليوم إمامة سيّد الشهداء (ع) ...

وكانت زوبعة اليوم الأول من امامته (ع) مشكلة دفن أخيه الحسن (ع)، تلك المشكلة التي أثارها عائشة بتخطيط وتحفيز من مروان بن الحكم.

وفي قصّة هذه الزوبعة روايات كثيرة متفاوتة رواها الفريقان، ننتقى هنا هذه الرواية منها، وفيها أنّ الحسن (ع) قال لا أخيه الحسين (ع): إذا متّ فغسّلي، وحنّطني، وكفّني، وصلّ عليّ، واحملي إلى قبر جدّي حتّى تلحدني إلى جانبه، فإنّ منعت من ذلك فبحقّ جدّك رسول الله (ص) وأبيك اميرالمؤمنين وأمّيك فاطمة، وبحقّي عليك إن خاصمك أحد ردّني إلى البقيع، فادفني فيه ولا تهرق فيّ محجمة دم.

فلما فرغ من أمره، وصلّى عليه، وسار بنعشه يريد قبر جدّه رسول الله (ص) ليلحده معه، بلغ ذلك مروان بن الحكم طريد رسول الله (ص)، فوافى مسرعا على بغله، حتّى دخل على عائشة ...

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢١٠

فقال لها: يا أمّ المؤمنين، إنّ الحسين يريد أن يدفن أخاه الحسن عند قبر جدّه، والله لئن دفنه معه ليذهبنّ فخر أبيك وصاحبه عمر إلى يوم القيامة.

فقلت له: فما أصنع يا مروان؟

قال: إلحقي وامنعيه من الدخول إليه.

قالت: فكيف ألحقه؟

قال: هذا بغلي فاركيه والحقي القوم قبل الدخول.

فنزّل لها عن بغله، وركبته، وأسّرت إلى القوم، وكانت أوّل امرأة ركبت السرج هي، فلحقتهم وقد صاروا إلى حرم قبر جدّهما رسول الله (ص)، فرمت بنفسها بين القبر والقوم.

وقالت: والله، لا يُدفن الحسن ها هنا أو تحلق هذه وأخرجت ناصيتها بيدها.

وكان مروان لما ركبت بغله جمع من كان من بنى أمية وحثمهم، فاقبل هو وأصحابه وهو يقول: يارب هيجا هي خير من دعة. أيُدفن عثمان في أقصى البقيع ويدفن الحسن مع رسول الله؟! والله، لا يكون ذلك أبدا وأنا أحمل السيف.

و كادت الفتنة تقع!!

وعائشة تقول: والله لا يدخل دارى من أكره.

فقال لها الحسين (ع): هذه دار رسول الله (ص)، وأنت حشية من تسع حشيات خلفهن رسول الله (ص)، وإنما نصيبك من الدار موضع قدميك.

فأراد بنوهاشم الكلام وحملوا السلاح!

فقال الحسين (ع): الله الله، لاتفعلوا فتضيغوا وصية أخى.

معالركب الحسينى (ج ١)، ص: ٢١١

وقال لعائشة: والله، لولا أنه أوصى إلى ألاءه هرق فيه محجمة دم لدفتته هنا ولو رغم لذلك أنفك.

وعدل به إلى البقيع فدفنه مع الغرباء!

وقال عبدالله بن عباس: يا حميرأ، كم لنا منك؟! فيوم على جمل، ويوم على بغل!

فقلت: إن شاء أن يكون يوم على جمل ويوم على بغل، والله ما يدخل الحسن دارى ..). «١»

وروى أن الامام الحسين (ع) حاج عائشة هكذا:

(قدما هتكت أنت وأبوك حجاب رسول الله (ص)، وأدخلت بيته من لا يحب رسول الله (ص) قربه وإن الله سائلك عن ذلك يا عائشة.

إن أخى أمرنى أن أقربه من ابيه رسول الله (ص) ليحدث به عهدا، واعلمى أن أخى أعلم الناس بالله ورسوله، وأعلم بتاءويل كتابه من أن يهتك على رسول الله (ص) ستره، لأن الله تبارك وتعالى يقول: (يا أيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوت النبى إلا أن يؤذن لكم)، وقد أدخلت أنت بيت رسول الله (ص) الرجال بغير إذنه.

وقد قال الله عز وجل: (يا أيها الذين آمنوا لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى)، ولعمري لقد ضربت أنت لا بيك وفاروقه عند أذن رسول الله (ص) المعاول!

وقال الله عز وجل: (إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك

معالركب الحسينى (ج ١)، ص: ٢١٢

الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى)، ولعمري لقد أدخل أبوك وفاروقه على رسول الله (ص) بقربهما منه الاذى، وما رعى من حقه ما أمرهما الله به على لسان رسول الله (ص)، إن الله حرّم على المؤمن أمواتا ما حرّم منهم أحياء.

وتالله يا عائشة لو كان هذا الذى كرهته من دفن الحسن عند أبيه صلوات الله عليهما جائزا فيما بيننا وبين الله لعلمت أنه سيدفن وإن رغم معطسك ...). «١»

وروى ابن عساكر أن مروان كان قد راسل معاوية باخبار الامام الحسن (ع) وما آلت إليه حالته الصحية عند ما ثقل عليه السّم. «٢»

وروى أيضا أن معاوية بلغه ما كان قد أراد الامام الحسين (ع) فى دفن أخيه الحسن (ع) إلى جوار جدّه (ص)، فقال: (ما أنصفتنا بنوهاشم حين يزعمون أنهم يدفنون حسنا مع النبى (ص) وقد منعوا عثمان أن يُدفن إلا فى أقصى البقيع.

إن يك ظنى بمروان صادقا لا يخلصون إلى ذلك.

وجعل يقول: ويها مروان! أنت لها! «٣»

إذن فهذا الموقف الاموى الذى قام بتنفيذه مروان فى قضية دفن الامام الحسن (ع) كان رساله موجهة إلى الامام الحسين (ع) فى وقت

مبكر، هذه الرسالة تتضمن رسم الحدود المسموح بها له والحدود الممنوعة عليه من قبل معاوية، فكاءن الامويين ارادوا ان يقولوا له منذ البدء: لك ان تتكلم كما

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢١٣
تجب، وليس لك ان تقوم باى فعل لانرضاه، وإلا فالسيف!

نظرة الامام الحسين (ع) إلى صلح أخيه (ع) مع معاوية ص: ٢١٣

القيام عند أهل البيت (ع): ص: ٢١٣

إن لا- ثمة أهل البيت (ع) دورا عاميا يشتركون جميعا فى السعى إلى تحقيقه بالرغم من تفاوت الظروف السياسية والاجتماعية التى يمرّون بها، كمثل مسؤ وليتهم فى الحفاظ على الرسالة الاسلاميه وتحصينها من كل ما يشوبها من عوالق لا إسلامية، ومسؤ وليتهم فى الحفاظ على الائمة ووقايتها من الاخطار التى تهددها، وتبيين الاحكام الشرعية والحقائق القرآنية، وإنقاذ الدولة الاسلاميه من كل تحد كافر، وتعريف الائمة بفضل أهل البيت (ع) وأحقيتهم بالا مر ما سنحت الفرصة واتسع المجال، وإلى غير ذلك من مصاديق دورهم العام المشترك.

ولكل منهم أيضا دور خاص به، تحدده طبيعه الظروف السياسي والاجتماعية التى يعيشها كل من الاسلام والامام والائمة. وقد تشابه الادوار الخاصية لبعضهم نتيجة تشابه تلك الظروف، كما هى الحال فى الظروف التى عاشها كل من الباقر والصادق (ع) أو الهادى والعسكرى (ع). وقد تتعارض الادوار الخاصية لبعضهم نتيجة التباين بين تلك الظروف، كما هى الحال فى مهادنة الامام الحسن (ع) مع معاوية والثورة التى قام بها الامام الحسين (ع) ضد يزيد بن معاوية.

ومن الدور العام المشترك لا ثمة أهل البيت (ع) أصل القيام بوجه الحاكم الظالم إذا توفرت (العدة) اللازمة للقيام بكل أبعادها لا فى بُعد العدد فقط، ويمكن استفادة هذه الحقيقة أو هذا الهدف من أهداف دورهم العام المشترك من مجموعة روايات وردت عنهم (ع)، فأمير المؤمنين علي (ع) بعد السقيفة

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢١٤

كان قد حرض د البدرين من المهاجرين والانصار على القيام والثورة، فلم يدع أحدا منهم إلا أتاه فى منزله، يذكّرهم حقّه ويدعوهم إلى نصرته، فما استجاب له منهم إلا أربعة وأربعون، فاءمرهم أن يصبحوا بكره محلّقين رؤ وسهم معهم السلاح ليبيعوا على الموت، فما وافاه فى الصباح منهم إلا أربعة، ثم أتاهم أيضا فى الليلة التالية فناشدهم فقالوا: نصبحك بكره، فما أتاه غير أولئك الاربعة، وكانت النتيجة نفسها أيضا فى غداة اليوم التالى، فلما رأى غدرهم وقلة وفائهم له لزم بيته. «١»

ولم يقل اميرالمؤمنين (ع) قوله المشهور: (.. ووالله، لا سلمن ما سلمت أمور المسلمين ولم يكن فيها جور إلا على خاصة ..) «٢» إلا بعد أن ظهرت نتيجة مؤ امره الشورى واءعطيت الخلافة لعثمان، وزويت عنه للمرة الثالثة، وهو يرى الائمة فى غمرتها تغط فى غفلة عميقة عن حقّه المغتصب، فما صبر على ما صبر إلا لعدم توفّر عدة القيام حتى فيما بعد الشورى. «٣»

ويستفاد هذا الاصل أيضا من قصة سدير الصيرفى مع الامام الصادق (ع)، التى قال له الامام (ع) فى آخرها:

(والله يا سدير، لو كان لى شيعة بعدد هذه الجدا ما وسعنى القعود!) «٤»

وكان عدد هذه الجدا سبعة عشر!

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢١٥

كما استفاد من رواية ماءمون الرقى فى قصة الصادق (ع) مع سهل بن حسن الخراسانى الذى اعتذر للامام (ع) عن امتثال أمره فى

دخول التّور المسجور، ودخله هارون المكى (ره)، فقال (ع) للخراسانى: (كم تجد بخراسان مثل هذا؟) فقال: والله ولا واحدا، فقال (ع):

(لا والله ولا واحدا، أما إنّا لانخرج فى زمانٍ لانجد فيه خمسة معاضدين لنا، نحن أعلم بالوقت). «١»

وكان هذا الاصل أيضا عند الامام الحسن (ع)، إذ كان أول ما فعله بعد اميرالمؤمنين (ع) هو مواصلة التعبئة العامة لقتال معاوية فى حرب مصيرية، ولولا الخيانات الكبرى والخذلان الخطير والوهن المتفشى فى عسكره وما أشبه ذلك من أسباب أجبرته على ترك الحرب لما آل الامر إلى صلح مع معاوية، وكان الامام الحسن (ع) قد ابتلى الناس فى عزمهم على الجهاد قبل المهادنة فما وجد فيهم إلالاً الخور والضعف وحبّ السلامة والدنيا، حين صعد المنبر فخطبهم قائلاً:

(.. ألا- وإنّ معاوية دعانا إلى أمرٍ ليس فيه عزّ ولا نصفة، فإن أردتم الموت رددناه عليه (وحاكمناه إلى الله عزّ وجلّ بضّبا السيوف)، وإن أردتم الحياة قبلناه، وأخذنا لكم الرضا).

فناداه القوم (من كلّ جانب): البقية! البقية! (فلما أفردوه أمضى الصلح). «٢»

معالركب الحسينى (ج ١)، ص: ٢١٦

ولما أن شكى إليه الصحابىّ البطل الشهيد حجر بن عدى (ره) مرارة الحال بقوله: (خرجنا من العدل ودخلنا فى الجور، وتركنا الحقّ الذى كُنّا عليه ودخلنا فى الباطل الذى كُنّا نذمه، وأعطينا الدتية ورضينا بالخسيصة، وطلب القوم أمرا وطلبنا أمرا، فرجعوا بما أحبوا مسرورين، ورجعنا بما كرهنا راغمين) أجابه الامام الحسن (ع):

(يا حجر، ليس كلّ الناس يحبّ ما أحببت، إنى قد بلوت الناس، فلو كانوا مثلك فى نيتك وبصيرتك لا قدمت). «١»

الخيارات المتاحة للامام الحسن (ع): ص: ٢١٦

إشارة

لقد وقف الامام الحسن (ع) من هذه المحنة المحيرة الموقف المعصوم الذى لايعتوره خطأ فى فكرٍ أو قولٍ أو عملٍ، هذا ما يفرضه اعتقادنا الحقّ يا مامه مولانا أبى محمّد الحسن المجتبى (ع)، لكننا فى معرض تحليل ورصد الخيارات التى كانت متاحة له (ع) يمكن أن نحددها تاريخيا كما يلي:

١ (بقاء الحالة القائمة ص: ٢١٦

: وهى حالة اللّاسلام واللّاحرب، وكان الامام (ع) يعلم أنّ بقاء هذه الحالة أمر غير ممكن آنذاك، وذلك لتزايد الوهن فى أهل الكوفة وخذلانهم له، وكثرة الخيانات ممن حوله، ولا نّ معاوية يابى حالة المتاركة هذه بسبب إصراره على مدّ سلطانه على كلّ البلاد طوعا أو كرها. فإذن لا بدّ من حالة حرب أو حالة سلم.

٢ (حالة الحرب واحتمالاتها ص: ٢١٦

: لم يكن للامام (ع) أى أمل فى نصر مؤزّر حاسم على ضوء الحالة النفسية والروحية لجيشه المكوّن من أخلاط وأهوا

معالركب الحسينى (ج ١)، ص: ٢١٧

مختلفة وهمم هامدة، كما أنّ الامل ضعيف جدّا فى أن تنتهى الحرب مع معاوية كما انتهت صفين إلى حالة اللاحسم وذلك لانّ ميزان القوى قد تغير تغيرا ملحوظا لصالح معاوية.

إذن لم يبق إلّا احتمال هو أقرب إلى اليقين منه إلى الظنّ، وهو احتمال الهزيمة المنكرة للامام (ع) والنصر الحاسم لمعاوية.

وعندها فإِ مَا أَن يُقْتَل الامام (ع) وأهل بيته وأصحابه فينتهي الصفّ الاسلامي تماما، ويخسر الاسلام قاداته ومن معهم دون أيّة استفادة، ذلك لا نّ معاوية لمبالغ به من تضليل الناس ولما يملكه من دهاء وحنكة وقدره على قلب الحقائق، كان يستطيع أن يُلقى على مقتلهم ألف حجاب وحجاب.

وإِ مَا أَن يُؤ سر الامام (ع) فيقتل ومن معه صبوا أو يمنّ عليهم معاوية ويطلقهم في ذلّ مقابلة ليوم فتح مكّة، فتكون سُبّه على بنى هاشم، ومنّه لبنى أميّة عليهم، باقية إلى آخر الدهر. وقد صرّح الامام (ع) بذلك حيث قال:

(فوالله، لئن أسالته وأنا عزيز خير من أن يقتلني وأنا أسير، أو يمنّ عليّ فتكون سُبّه على بنى هاشم إلى آخر الدهر، ومعاوية لا يزال يمنّ بها وعقبه على الحيّ منا والميت). «١»

(٣) الصلح ص : ٢١٧

: وهذا ما اقتضت حكمه المعصوم (ع) القبول به، وإن كان قذياً في العين وشجياً في الحلق وأمرّ من العلقم، لأنّه الخيار الوحيد الذي يحفظ للاسلام بقاءه وبقاء رجاله، ويعزّي حقيقته نفاق معاوية وجاهليته وكفره، ذلك لأنّه إذا استتب له الامر بلا منازع تخلى عن تحفظاته وكشف تماما عن عدائه للاسلام

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص : ٢١٨

سلام. هذا وتجدر الاشارة هنا إلى أنّ الامام الحسن (ع) لم ينظر إلى الصلح على أنّه نهاية القضية مع معاوية، بل كان ينظر إليه كمتاركة مؤقّته حتّى ياءت الوقت المناسب للقيام ضدّ معاوية في حربٍ أخرى، فها هو يجيب حجر بن عدى الكندي بقوله:
(إنّي رأيت هوى عظم الناس في الصلح، وكرهوا الحرب، فلم أحبّ أن أحملهم على ما يكرهون، فصالحت بقيا على شيعتنا خاصّة من القتل، فرأيت دفع هذه الحروب إلى يومٍ ما، فإنّ الله كلّ يومٍ هو في شاءن). «١»

صدق أبو محمد (ع) ص : ٢١٨

كان الامام الحسين (ع) قد وقف من كلّ قرارات ومواقف الامام أبي محمّد الحسن (ع) موقف الشريك المعاضد والنصير المؤازر، هذا ما تؤكّده المتابعة التاريخية للعلاقة بينهما طيلة فترة إمامة الحسن (ع)، فضلا عن أنّ الاعتقاد الحقّ يا مامتهما وعصمتهما يفرض القطع بآءنّ كلّما منهما يصدّق الاخر في القول والفعل والتقرير. وفيما يتعلّق بآءمر الصلح مع معاوية كان الامام الحسين (ع) قد أكّد دعمه التام للقرار الحسنى، وعبر عن اشتراكه مع أخيه في موقفه، وعن امثاله لا مره كإمام مفترض الطاعة في أكثر من مناسبة. فقد قال له عدى بن حاتم (ره): (يا أبا عبد الله، شريتم الذلّ بالعرّ، وقبلتم القليل وتركتم الكثير، آءطعنا اليوم واعصنا الدهر، دع الحسن وما رآى من هذا الصلح، واجمع إليك شيعتك من أهل الكوفة وغيرها، وولّنى وصاحبى (يعنى عبيدة بن عمر) هذه المقدّمة، فلا يشعر ابن هند إلّا ونحن نقارعه بالسيف).

فآءجابه الحسين (ع): (إنّا قد بايعنا وعاهدنا، ولا سبيل لنقض بيعتنا). «٢»

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص : ٢١٩

ولمّا طلب منه حجر بن عدى (ره) مثل ذلك آءجابه الامام الحسين (ع) أيضا:

(إنّا قد بايعنا، وليس إلى ما ذكرت سبيل). «١»

كما أظهر تصديقه لاخيه في الالتزام بالمعاهدة ولوازمها عمليا في جوابه لعلّى بن محمّد بن بشير الهمداني حين ذكر له امتناع الامام الحسن (ع) من إجابة من دعاه إلى الثورة بعد الصلح قائلا: (صدق أبو محمّد، فليكن كلّ رجل منكم حلّسا من أحلاس د بيته مادام هذا الانسان حيا). «٢»

وعبر (ع) عن امتثاله التام لا- مر الامام الحسن (ع) في هذا الموقف لَمَّا دعاها معاوية ومن معهما من أصحاب علي (ع) للبيعة في الشام، وكان معهم قيس بن سعد بن عبادَةَ الانصارى، فلَمَّا أتوه دعا معاوية الحسن (ع) للبيعة فبايعه، ثم دعا الحسين (ع) أيضا فبايعه، فلَمَّا طلب من قيس بن سعد البيعة التفت قيس د إلى الحسين (ع) ينظر ما ياءمره، فقال الحسين (ع): (يا قيس إنَّه إمامى). يعنى الحسن (ع). «٣»

ولا ينافى هذه الحقيقة ما ورد في مجموعته أخرى من النصوص أنه (ع) كان كارها لتلك البيعة، كمثل قوله لبعض الشيعة:

(قد كان صلح، وكانت بيعة كنت لها كارها، فانتظروا مادام هذا الرجل حيًا، فإن يهلك نظرنا ونظرتم). «٤»

ذلك لا ن هذا الصلح كان أبغض الاختيارات أمام الامام الحسن (ع)، وقد

مع الركب الحسينى (ج ١)، ص: ٢٢٠

اضطرَّ إليه اضطرارا حرصا على مصالح إسلامية كبرى، ولاشك أن رعاية هذه المصالح قد تفرض على الامام فى ظروف صعبة غير مساعدة أن يقدم على أمر هو عند الامام أمر من العلقم، وأشد من السم، وأفجع من الموت.

ولا تفاوت فى كراهية هذا الصلح عند الحسن والحسين (ع)، كما أن التعبير عن الكراهية لا مر لا يعنى التعبير عن عدم الرضا بفعله. ذلك لا ن الرضا بهذا الصلح بلحاظ ما يترتب عليه من نتائج مرجوة أمر آخر.

ولا- تفاوت فى الرضا به أيضا عند الحسن أو الحسين أو أى إمام آخر من أئمة أهل البيت (ع)، ولقد عبر الامام الباقر (ع) عن نظرة الرضا بهذا الصلح قائلا:

(والله، للذى صنعه الحسن بن علي (ع) كان خيرا لهذه الامة ممَّا طلعت عليه الشمس ...). «١»

ومع اعتقادنا بآءن الموقف الذى يتخذه الامام المعصوم هو الافضل فى ظرفه، أى أن كلاً من صلح الحسن (ع) وقيام الحسين (ع) كان هو الافضل فى ظرفه، صح لنا إذن أن نقطع بآءن إمامة الحسين (ع) لو كانت قبل إمامة الحسن (ع) لصالح معاوية كما فعل الحسن (ع) فى ظرفه، ولو كانت إمامة الحسن (ع) بعد إمامة الحسين (ع) لثار الحسن (ع) كما فعل الحسين (ع) فى ظرفه.

أمَّا ما ورد فى مجموعته أخرى من الروايات أن الامام الحسين (ع) قال لا خيه الامام الحسن (ع) حينما عزم على الصلح: (يا أخى، أعيدك بالله من هذا) «٢» اعتراضا عليه، أو أنه قال: (نشدتك الله أن تصدق أحداثه معاوية وتكذب أحداثه علي!). «٣» اءو (اءنشدك الله اءن تكون اءول من عاب

مع الركب الحسينى (ج ١)، ص: ٢٢١

أباك وطعن عليه ورغب عن أمره!) فآءجابه الامام الحسن (ع): (إني لا-أرى ما تقول، والله لئن لم تتابعنى لا سندتك فى الحديد، فلا-تزال فيه حتى أفرغ من أمرى!) «١» أو أنه (ع) قال: (أعيدك بالله أن تكذب عليًا فى قبره وتصدق معاوية!)، فيجيبه الامام الحسن (ع): (والله ما أردت أمرا قط إلا خالفتنى إلى غيره، والله لقد هممت أن أقذفك فى بيت فاءطينه عليك حتى أفضى أمرى!). «٢» فإن هذه الروايات كلها عامية، مردودة لا يمكن القبول بها، لا نّها تعارض الاعتقاد الحق بمعنى الامامة وحقائقها والادب الرفيع الذى يتعامل به حجج الله تعالى فيما بينهم، وهى من افتعال الخيال السننى المتأثر بالتضليل الاموى الذى عمد إلى تشويه صورة الامام الحسن (ع) بشكل خاص ليظهره بمظهر الموادع الذى يحب السلامة والراحة والنساء والمال، وأنه لا-عزم له على حرب ولا شدة، كل ذلك ليجرده فى أذهان الناس عن أهليته للخلافة. ومن المؤسف حقا أنك قد لاتجد فى تواريخ العامة كتابا لم يتأثر بهذا التضليل الظالم!!

مواصلة الامام (ع) الالتزام بالهدنة ص : ٢٢١

آثر الامام (ع) مواصلة الالتزام بالهدنة، وحرص (ع) فى حياة الامام الحسن (ع) على تهدئة نائرة الشيعة، وأمرهم بالصبر والترقب، وأوصاهم بالتخفى عن أعين السلطة، وبالا انتظار، وواصل السير على هذا الخط أيضا بعد شهادة الامام الحسن (ع)، فقد روى البلاذرى:

أنه لما توفى الحسن بن عليّ اجتمعت الشيعة، ومعهم بنو جعدة بن هبيرة بن أبي وهب المخزومي وأم جعدة أم هاني بنت أبي طالب، في دار سليمان بن صرد، وكتبوا إلى الحسين كتابا بالتعزية، وقالوا في كتابهم: إن الله قد جعل فيك أعظم الخلف مّمن مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٢٢

مضى، ونحن شيعتك المصابة بمصيتك، المحزونة بحزنك، المسرورة بسرورك، المنتظرة لا مرك. وكتب إليه بنو جعدة يخبرونه بحسن رأى أهل الكوفة فيه وحبهم لقدمه وتطلعهم إليه، وأن قد لقوا من أنصاره وإخوانه من يرضى هديه ويظمآن إلى قوله، ويعرف نجدته وباءسه، فاءنصوا إليهم ما هم عليه من شنآن ابن أبي سفيان والبرأة منه، ويساءلونه الكتاب إليهم برأيه.

فكتب الحسين (ع) إليهم:

(إنى لا رجو أن يكون رأى أخى رحمه الله فى الموادة ورأى فى جهاد الظلمة رشدا وسدادا، فالصقوا بالا رض، وأخفوا الشخص، وأكتموا الهوى، واحترسوا من الاضاء مادام ابن هند حيا، فإن يحدث به حدث وأنا حتى ياءتكم رأى إن شاء الله). «١» وكذلك نقل الشيخ المفيد (ره) عن الكلبي والمدائني وغيرهما من أصحاب السيرة أنهم قالوا: (لما مات الحسن (ع) تحرّكت الشيعة بالعراق، وكتبوا إلى الحسين (ع) فى خلع معاوية، والبيعة له، فامتنع عليهم، وذكر أن بينه وبين معاوية عهدا وعقدا لا يجوز له نقضه حتى تمضى المدّة، فإذا مات معاوية نظر فى ذلك). «٢»

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٢٣

موقف معاوية من الامام الحسين (ع) ص : ٢٢٣

دعوى الدم المضمون فى بنى عبد مناف (وحقيقتها ص : ٢٢٣

روى ابن عساكر أن الوليد بن عتبة أغلظ للامام الحسين (ع) فى القول، فشمته الامام (ع) وأخذ بعمامته فترعها من رأسه ... فقال الوليد: إن هجنا بآبى عبد الله إلاً أسدا! فقال له مروان أو بعض جلسائه: أقتله.

قال الوليد: إن ذلك لدم مضمون فى بنى عبد مناف!! «١»

لاشك أن الوليد بن عتبة وهو والى المدينة يومئذ لم ينطق عن رأيه الشخصى، بل نطق عن رأى الرسمى للحكم الاموى الذى كان معاوية بن أبى سفيان على رأسه آتئذ. والدم المضمون فى بنى عبد مناف معناه الدم الذى يعز على القتل ولايجوز سفكه، فهل كان دم الامام الحسين (ع) كذلك فعلا فى عهد معاوية؟ وما هى حدود الحقيقة فى هذه الدعوى!؟

لقد كتب معاوية إلى واليه سعيد بن العاص على المدينة قبل الوليد بن عتبة بصدد الموقف من الامام الحسين (ع) قائلا:

(... وأنظر حسينا خاصية فلايناله منك مكروه، فإن له قرابة وحقا عظيما لاينكره مسلم ولا مسلمة، وهو ليث عرين، ولست آمنك إن شاورته أن لاتقوى عليه ...). «٢»

إذن فمشكلة معاوية فى موقفه من الامام الحسين (ع) هى فى قرابة الامام

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٢٤

الحسين (ع) الخاصية من رسول الله (ص)، إنّه ابن فاطمة الزهراء (س)، وهذه الصلة الخاصية قد فرضت له (ع) حقا عظيما على كل مسلم ومسلمة، وقد عرفت الامة كلها هذا الحق العظيم فهى لاتنكره.

من هنا فإن أية مواجهة عليية بين النظام الاموى وبين الامام (ع) لاتكون فى مصلحة هذا النظام الحريص على التظاهر بالزى الدينى.

لكن هذا الموقف الاموي في عدم مس الامام (ع) بمكروه هو محدد غير مطلق، ويلتزم به الحكم الاموي في حال عدم قيام الامام (ع) ضد هذا الحكم، وقد صرح الوليد بن عتبة للامام الحسين (ع) بحدود الموقف الاموي الرسمي منه حينما عنفه الامام (ع) على منعه أهل العراق من اللقاء به، فقال الوليد يخاطب الامام (ع):

(ليت حلمنا عنك لا يدعو جهل غيرنا إليك، فجناية لسانك مغفورة لك ما سكنت يدك، فلا تخطر بها فتخطر بك ...) (١)

أى لك أن تقول ما شئت وكما تحب مادمت لم تقم ضدنا ولم تخرج علينا، وأما إذا تحركت عمليا ضدنا وخرجت علينا فلا غفران ولا أمان، ولا يكون بيننا وبينك عندها إلا السيف والقتل. هذا هو الخط الأحمر المرسوم للدم المضمون في بني عبدمناف! وعليه ألا يتجاوز حتى لا يطاله القتل فيسفك كاءى دم آخر غير مضمون!

هذا هو الموقف الاموي الرسمي بحدوده وأبعاده سافرا في تصريح الوليد بن عتبة، ولقد بلغ الامويون الامام الحسين (ع) بهذا الموقف وأشعروه بهذه

مع الراكب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٢٥

الحدود أيضا قبل ذلك في زوبعة اليوم الأول من إمامته (ع) في المواجهة التي أثاروها لمنع دفن الامام الحسن (ع) قرب جدّه (ص). إذن فدم الامام الحسين (ع) دم مضمون في بني عبدمناف عند الحكم الاموي ما لم يخرج الامام (ع) على هذا الحكم، وهو دم مضمون لا عن إيمان بحقه العظيم وقداسته، بل لأن سفك هذا الدم المقدس يمزق الاطار الديني الذي يتشبه به الحكم الاموي. وظل معاوية مدّة بقيته حياته يهتم بامر الامام الحسين (ع) اهتماما فائقا، ويحسب له حسابا خاصا، في موازنه دقيقه بين عدم التحرش به وتحاشي إثارته وبين مراقبته ليل نهار مراقبه دقيقه متواصله للحيلولة دون خروج فكرة القيام والثورة عند الامام (ع) من مكنون التيه إلى حيز التطبيق والتنفيذ العملي، خشية من مواجهة الخيارات الحرجه التي يسببها لمعاوية قيام الامام (ع) في حال تمكنه من تنفيذ هذا القيام عمليا.

الرقابة المشدده على الامام (ع) ص: ٢٢٥

ولذا فلانعجب إذا شدد معاوية الرقابة على الامام (ع)، ورصد عليه الصغيره والكبيره من سكناته وحركاته في حياته الخاصه والعامه، وفي جلّه وترحاله.

وكان معاوية يتعمد تحسيس الامام (ع) وإشعاره بهذه المراقبه، وإعلامه بآء الصغيره والكبيره من مجريات حياته مرفوعه إليه أنا ف أنا بلا انقطاع بواسطة جواسيسه، لعل ذلك ينفع في ردع الامام (ع) عن الفكرة بالخروج والقيام!! والامثله على هذه الحقيقه كثيره، ننتقى منها هذا المثال الدال على أن معاوية كان قد رصد على الامام حتى شؤ ونه الخاصه في منزله، يقول التاءريخ: (وكان لمعاوية بن أبي سفيان عين بالمدينه يكتب إليه بما يكون من

مع الراكب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٢٦

أمور الناس وقريش، فكتب إليه: أن الحسين بن علي أعتق جاريه له وتزوجها، فكتب معاوية إلى الحسين:

من اميرالمؤمنين معاوية إلى الحسين بن علي:

أميا بعد: فإنه بلغني أنك تزوجت جاريته، وتركت أكفاءك من قريش، ممن تستنجه للولد، وتمجد به في الصهر، فلا لنفسك نظرت، ولا لولدك انتقت.

فكتب إليه الحسين بن علي (ع):

(أميا بعد: فقد بلغني كتابك، وتعيرك إياي بآءى تزوجت مولاتي، وتركت أكفائي من قريش، فليس فوق رسول الله منتهى في شرف، ولا غاية في نسب، وإنما كانت ملك يميني خرجت عن يدي بامر التمسث فيه ثواب الله تعالى، ثم ارتجعتها على سيئه نبيه

(ص)، وقد رفع الله بالا سلام الخبيسة، ووضع عَنَّا به النقيصة، فلا لوم على امرئ مسلم إلَّا في أمر ماء ثم، وإنَّما اللوم لوم الجاهلية). فلما قرأ معاوية كتابه نبذه إلى يزيد، فقرأه وقال: لشدما فخر عليك الحسين! قال: لا، ولكنَّها ألسنة بني هاشم الحداد التي تفلق الصخر، وتعرف من البحر! (١)

ولاريب أنَّ الامام (ع) وإن اقتصر في ردِّه على معاوية بالاحتجاج عليه فيما يتعلَّق بموضوع هذه الجارية، إلَّا أنَّه قد أدرك مراد معاوية الخفي من وراء هذه الرسالة، وهو أنَّني على علم بكلِّ ما فعله حتَّى شئ ونك الخاصية في داخل منزلك! فمابالك بعلاقاتك الاجتماعية وشئ ونك السياسية العامة؟! فاحذر مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٢٧

ولاتتجاوز تربصك بنا إلى القيام بفعل لا تكون عاقبته إلَّا وقوع السيف بيننا!

لقد كانت الموازنة دقيقة وحساسة جدًّا في المتاركة القائمة بين الامام الحسين (ع) وبين معاوية، لكنَّ بعض الامويين ممَّن كانت قلوبهم تغلى بنار الحقد على أهل البيت (ع)، وليس لهم دهاء معاوية، كانوا يستعجلون معاوية في تقاريرهم التي يبعثونها بالاخذ على يد الامام (ع) أخذًا شديدًا أو التخلُّص منه قبل أن تستفحل الامور وتستعصى معالجتها على بني أمية!

وأشدَّ هؤلاء الامويين حقدًا على أهل البيت (ع)، وأكثرهم عجلة وخرقا، كان مروان بن الحكم الذي كانت تقاريره تتوالى على معاوية، وتشعُّ بالا ندفاع والاستعجال، فقد كتب إلى معاوية ذات مرَّة (يعلمه أن رجالا من أهل العراق قدموا على الحسين بن عليّ (ع)، وهم مقيمون عنده، يختلفون إليه، فكتب إليّ بالذي ترى). (١)

وقال البلاذري: (وكان رجال من أهل العراق وأشرف أهل الحجاز يختلفون إلى الحسين يجلونه ويعظّمونه، ويذكرون فضله، ويدعونه إلى أنفسهم، ويقولون إنَّا لك عضدٌ ويدٌ، ليتخذوا الوسيلة إليه، وهم لا يشكّون في أن معاوية إذا مات لم يعدل الناس بحسين أحدا. فلمَّا كثر إختلافهم إليه أتى عمرو بن عثمان بن عفّان مروان بن الحكم وهو إذ ذاك عامل معاوية على المدينة فقال له: قد كثر اختلاف الناس إلى حسين، والله إنني لا رى أن لكم منه يوما عصيبا.

فكتب مروان ذلك إلى معاوية... (٢).

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٢٨

وكتب إليه أيضا: (إنني لست آمن أن يكون حسين مرصدا للفتنة، وأظنّ يومكم من حسين طويلا!). (١)

لكنَّ معاوية الذي كان يرى أن من مصلحته أن يبقى الامام الحسين (ع) ملتزما بالهدنة ولو ظاهرا، لم يكن ليرغب في الخروج عن حال المتاركة مع الامام (ع)، فكان يردّ مروان عن تجاوز هذه المتاركة، وباء مره بالصبر وينهاه عن الخرق والعجلة، فقد كتب إليه:

(اترك حسينا ما تركك ولم يظهر لك عداوته ويبدِّ صفحته، واكمن عنه كمون الشرى إن شاء الله، والسلام). (٢)

ومع هذا فإنَّ مروان الذي كان أشدَّ ولاء المدينة الامويين على أهل البيت (ع) لم يكن ليطلق وجود الامام الحسين (ع) في المدينة وهو يرى التفاف الامية حوله وانشدادها إليه، فاقترح على معاوية إبعاد الامام عن المدينة وفرض الإقامة الجبرية عليه في الشام، لينقطع بذلك اتصاله بأهل العراق، لكنَّ معاوية رفض هذا الاقتراح أيضا، وردّ عليه قائلا:

(أردت والله أن تستريح منه وتبتليني به، فإن صبرت عليه صبرت على ما أكره، وإن أساءت إليه قطع رحمة). (٣)

وفوق الرقابة المشددة على الامام (ع) كان بعض ولاء المدينة الامويين يتدخلون عمليا فيمنعون وفود الامة من لقاء الامام (ع) خوفا من تطوّر الامور عمليا لصالح الامام (ع)، فقد روى البلاذري عن العتبي أن الوليد بن عتبة

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٢٩

حجب أهل العراق عن الامام الحسين (ع).

فقال الحسين (ع): يا ظالما لنفسه، عاصيا لربه، علام تحول بيني وبين قوم عرفوا من حقّي ما جهلته أنت وعمك؟!

فقال الوليد: ليت حلمنا عنك لا يدعو جهل غيرنا إليك، فجنائيه لسانك مغفوره لك ما سكت يدك، فلاتخطر بها فتخطر بك، ولوعلمت ما يكون بعدنا لا حبيتنا كما أبغضتنا!!). « ۱ »

وإضافة إلى ما قدمناه قبل ذلك في أن تصريح الوليد هذا كاشف عن حقيقة ما يعنيه الحكم الاموى في دعوى (الدم المضمون)، نلفت هنا الانتباه إلى أن قول الوليد (ولو علمت ما يكون بعدنا لا حبيتنا كما أبغضتنا) ربّما كان إشارة إلى أن هذه المتاركة الموزونة بيننا وبينك سوف لن تتحقق في غير عهد معاوية، وأن يزيد الذى سيخلف أباه شخصيه أخرى، لا ترى في التعامل معك غير الشده والصرامه، وسوف تضيق عليك الارض بما رحبت، وعندها إذا التفتت إلى ورأ ستذكر أيماننا وعفونا وسماحتنا!! فكاءنه يمن على الامام (ع) بهذه المتاركة الموزونة التى هى فى نفعهم هم أولاً وأساساً!!

الخط العام في رسائل معاوية إلى الامام (ع) ص : ۲۲۹

لعل أول ما يلفت انتباه المتأمل في رسائل معاوية إلى الامام الحسين (ع) هو المكر الظاهر في الموازنه بين الترغيب والترهيب، ولاتكاد تخلو واحده من رسائل معاوية إلى الامام (ع) من النهج المتوازن بين الترغيب والترهيب.

وهذه الظاهرة إنعكاس واضح لما يتبناه معاوية من مبدأ الحفاظ على حاله

مع الרכب الحسينى (ج ۱)، ص: ۲۳۰

المتاركة مع الامام (ع)، وهذه الرسائل نفسها برهان على تبني معاوية هذا المبدأ أيضاً.

ولنتق هنا أمثلة من هذه الرسائل ...

(كان مالٌ حُمِلَ من اليمن إلى معاوية، فلما مرَّ بالمدينة وثب عليه الحسين بن علي (ع) فاءخذه وقسمه في أهل بيته ومواليه، وكتب إلى معاوية:

(من الحسين بن عليّ إلى معاوية بن أبي سفيان.

أما بعد: فإن عيرا مرّت بنا من اليمن تحمل مالا وحلالا وعنبرا وطيبا إليك، لتودعها خزائن دمشق وتعلُّ بها بعد النهل بنى أبيك، وإني احتجت إليها فاءخذتها، والسلام).

فكتب إليه معاوية:

(من عند عبدالله معاوية اميرالمؤمنين إلى الحسين بن عليّ سلام عليك ...

أما بعد: فإن كتابك ورد عليّ تذكر أنّ عيرا مرّت بك من اليمن تحمل مالا وحلالا وعنبرا وطيبا إليّ، لا ودعها خزائن دمشق، وأعلُّ بها بعد النهل بنى أبي، وأنك احتجت إليها فاءخذتها.

ولم تكن جديرا باءخذها إذ نسبتها إليّ، لا- نّ الوالى أحقّ بالمال ثم عليه المخرج منه، وأيم الله لو تركت ذلك حتى صار إليّ لم أبخسك حظك منه، ولكني قد ظننت يا ابن أخى أنّ فى رأسك نزوة، وبودى أن يكون ذلك فى زمانى فاءعرف لك قدرك، وأتجاوز عن ذلك، ولكني والله أتخوّف أن تبلى بمن لاينظرک فُواق ناقه). « ۱ »

مع الרכب الحسينى (ج ۱)، ص: ۲۳۱

ولا يخفى أنّ معاوية فى هذه الرسالة مع إظهاره المسامحة والتجاوز كان قد هدّد الامام (ع) بمن يأتى بعده، يعنى يزيد.

كما كتب إليه نتيجة التقارير الكثيرة التى كانت تبعث بها عينونه إليه عن حركة الامّة وحركة الامام (ع):

(أميا بعد: فقد انتهت إليّ أمور أرغب بك عنها، فإن كانت حقاً لم أقارّك عليها، ولعمري) إنّ من أعطى الله صفقه يمينه وعهده لجدير بالوفاء. (وإن كانت باطلا، فاءنت أسعد الناس بذلك، وبحظّ نفسك تبدأ، ويعهد الله تفى، فلاتحملنى على قطيعتك والاساءة بك، فإننى متى أنكرک تنكرنى، وإنك) متى تكدننى أكدك. وقد اءنبثُ اءن قوماً من اءهل الكوفة قد دعوك إلى الشقاق، (فإتق

شق عصا هذه الامية، وأن يرجعوا على يدك إلى الفتنة). وأهل العراق من قد جرت، قد أفسدوا على أبيك وأخيك، (وقد جرت الناس وبلوتهم، وأبوك كان أفضل منك، وقد كان اجتمع عليه رأى الذين يلوذون بك، ولاأظنه يصلح لك منهم ما كان فسد عليه). فاتق الله، واذكر الميثاق، (وانظر لنفسك ودينك، ولايستخفك الذين لايقنون). «۱»

فكتب إليه الامام (ع) جوابا على رسالته هذه كان بمثابة الصاعقة التي نزلت على رأس معاوية الذي ارتبك وتاءثر بشدة من حدتها إلى درجة أن كان يشكو إلى مقرّبيه من قوة جواب الامام (ع)، وقد أوردت كتب التاريخ والتراث ه ذا الجواب كاملا، وسنورده في محله من هذا الكتاب.

معالركب الحسينى (ج ۱)، ص: ۲۳۲

لماذا لم يثر الامام الحسين (ع) على معاوية؟! ص : ۲۳۲

كان رأى أهل بيت العصمة (ع) هو رفض أن يكون معاوية حاكما ولو لمدة سواد ليلة واحدة رفضا تاما، ولم يساوم اميرالمؤمنين على (ع) على هذا المبدأ قيد أنملة، ورفض كل نصيحة تدعو إلى المداهنة فى ذلك، وخاض حرب صفين الطاحنة لتحقيق هذا الرفض، ثم لم يتزعزع عن هذا الرأى حتى قتل (ع).

وواصل الامام الحسن (ع) الاصرار على هذا الرأى، ولم ياءل جهدا فى الاعداد لتحقيق ذلك، لكن نكد الدهر وانقلاب الامور اضطره فى الختام إلى القبول بآءم اختيار، وحسبك من أمرين أحلاهما مزا، فسلم الامر إلى معاوية مؤجلا الحرب ضده إلى يوم آخر قد يأتى به مستقبل الأيام (فأريت دفع هذه الحروب إلى يوم ما، فإن الله كل يوم هو فى شأن) «۱»، وانطوى على ذلك حتى مضى شهيدا (ع).

فمسوغات الثورة على معاوية ودواعيها كانت قائمة وموجودة منذ أول يوم من أيام ولايته على الشام، لكن دواعى الثورة عليه ودوافعها تكاثرت وتعاضمت بعد شهادة الامام الحسن (ع)، وكان الامام الحسين (ع) يعلم ذلك ويشخص أبعاده، ويصرح به لثقاته، بل وقد صرح به لمعاوية نفسه فى الكتب والمحاورات التي كانت بينهما، ومن هذه التصريحات على سبيل المثال:

(وهيها هيهات يا معاوية، فضح الصبح فحمة الدجى، وبهرت الشمس أنوار السرج، ولقد فضلت حتى أفرطت، واستاءت حتى أجهفت، ومنعت حتى بخلت، وجرت حتى جاوزت، وما بذلت لذي حق من أتم حقه بنصيب، حتى أخذ الشيطان حظه الاوفر، ونصيبه الاكمل...). «۲»

معالركب الحسينى (ج ۱)، ص: ۲۳۳

ومما خاطبه به فى رسالته اخرى:

(... وقلت فيما قلت: لاترد هذه الامية فى فتنة، وإنى لأعلم لها فتنة أعظم من إمارتك عليها، وقلت فيما قلت: انظر لنفسك ولدينك ولامة محمد، وإنى والله ما أعرف أفضل من جهادك، فإن أفعل فأنه قربة إلى ربى وإن لم أفعله فاءستغفرالله لدينى وأساءله التوفيق لما يحب ويرضى...). «۱»

وهنا يفرض هذا السؤال نفسه على مجرى البحث وهو: لماذا لم يثر ولم يقم الامام الحسين (ع) على معاوية أيام إمامته مع توافر جميع الدواعى والدوافع للقيام بالثورة؟

وفى الاجابة عن هذا السؤال لا بد فى البدء من تحديد الهدف المنشود من الثورة، فما هو هدف الامام الحسين (ع) من الثورة على معاوية؟

لاشك أن هدفه (ع) هو ذات الهدف الذى أعلن عنه فى قيامه ضد يزيد بن معاوية، وهو طلب الاصلاح فى أمة جدّه (ص) بالا مر

بالمعروف والنهي عن المنكر بما يتضمّن ذلك من إزالة الحكومة الفاسدة وإقامة الحكومة الحقّة، من خلال قيام الأئمة مع الامام (ع) لتحقيق نصر حاسم يتوقّف في ظلّه هذا الهدف.

او تعريض الامية لصدمة مروعة في الوجدان وصعقة كبرى في الضمير من خلال ملحمة بطولية وفاجعة ماء ساوية تنتهي بمقتله (ع) ومقتل أنصاره من أهل بيته وصحبه الابرار الذين هم صفوة أختيار هذه الامّة، في إطار عمل مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٣٤

إعلامي وتبليغي كبير ناجح يتكشّف نتيجة له كلّ الزيف الذي تسرّب به معاوية، وتراجع كلّ خطط وآثار حركة النفاق الحاكمة منذ يوم السقيفة إلى نقطة الصفر، ويعود الاسلام المحمّدي الخالص خالصا من كلّ شائبة، وتحرّر الامية روحيا ونفسيا من كلّ آثار التضليل والافساد الذي تعرّضت له بعد غياب النبي الاكرم محمّد (ص) وتتمزّق الغشاوة عن بصيرتها فتعرف الحق وأهله وتنهج على هدى نوره.

فهل كان يا مكان الامام الحسين (ع) أن يحقّق أحد هذين الاختيارين في زمن معاوية؟

أمّا الاختيار الأوّل، وهو طريق الانتصار العسكري الحاسم على معاوية، فكان لا بدّ فيه من تعبئة شطر من الامّة كافٍ على الأقلّ لتحمل تبعات ومقتضيات حرب طاحنة حتّى النصر، فهل كانت الامّة آنئذٍ تنطوي على مثل هذا الاستعداد الكبير نفسيا وعمليا؟

لنقرأ هذا المقطع الذي يصوّر فيه صاحب كتاب (ثورة الحسين ظروفها الاجتماعية وآثارها الانسانية) حال الامية آنئذٍ، يقول: (لقد كانت حروب الجمل وصفين والنهروان، والحروب الخاطفة التي نشبت بين القطع السورية وبين مراكز الحدود في العراق والحجاز واليمن بعد التحكيم قد ولّدت عند أصحاب الامام (ع) حيننا إلى السلم والموادعة، فقد مرّت عليهم خمس سنين وهم لا يضعون سلاحهم من حرب إلما ليشهروه في حرب أخرى، وكانوا لا يحاربون جماعات غريبة عنهم، وإنما يحاربون عشائريهم وإخوانهم بالا مس، ومن عرفهم وعرفوه ... وما نشك في أنّ هذا الشعور الذي بدأ يظهر بوضوح في آخر عهد عليّ (ع) إثر إحساسهم بالهزيمة أمام مروعة خصمهم في يوم التحكيم أفاد خصوم الامام من زعماء القبائل ومن إليهم ممّن إكتشفوا أنّ سياسته لا يمكن أن تلبّي مطالبهم التي تؤججها سياسة معاوية في المال والولايات، فحاولوا إذكاء هذا الشعور والتاء كيد عليه، وقد ساعد على تاءثير هؤلاء الزعماء ونفوذهم في أوساط المجتمع الروح القبليّة التي استفحلت

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٣٥

في عهد عثمان بعد أن أطلقت من عقالها بعد وفاة النبي (ص)، فإنّ الانسان ذا الروح القبليّة عالمه قبيلته، فهو يفعل بانفعالاتها، ويطمح إلى ما تطمح إليه، ويعادي من تعادي، وينظر إلى الامور من الزاوية التي تنظر منها القبيلة، وذلك لاّ أنّه يخضع للقيم التي تخضع لها. وتتركز مشاعر القبيلة كلّها في رئيسها، فالرئيس في المجتمع القبلي هو المهيمن والموجه للقبيلة كلّها ... وقد عبّر الناس عن رغبتهم في الدعة وكراهيتهم للقتال بتناقلهم عن الخروج لحرب الفرق السورية التي كانت تغير على الحجاز واليمن وحدود العراق، وتناقلهم عن الاستجابة للامام (ع) حين دعاهم للخروج ثانية إلى صفين.

فلما استشهد الامام عليّ (ع) وبويع الحسن (ع) بالخلافة برزت هذه الظاهرة على أشدها، وبخاصية حين دعاهم الحسن (ع) للتجهز لحرب الشام، حيث كانت الاستجابة بطيئة جدا. وبالرغم من أنّ الامام الحسن (ع) قد استطاع بعد ذلك أن يجهّز لحرب معاوية جيشا ضخما إلّا أنّه كان جيشا كتبت عليه الهزيمة قبل أن يلاقي العدو بسبب التيارات المتعددة التي كانت تتجاوزه، فقد: (خفّ معه أخلاط من الناس: بعضهم شيعه له ولا يبه، وبعضهم محكمه أي خوارج يؤثرون قتال معاوية بكلّ حيلة، وبعضهم أصحاب فتن وطمع في الغنائم، وبعضهم شكّاك، وأصحاب عصبيّة اتبعوا رؤساء قبائلهم). وقد كان رؤساء القبائل هؤلاء قد باعوا أنفسهم من معاوية الذي كتب إلى كثير منهم يغريهم بالتخلّي عن الحسن (ع) والالتحاق به، وأكثر أصحاب الحسن (ع) لم يستطيعوا مقاومة هذا الاغراء، فكاتبوا معاوية واعدين باءن يسلموا الحسن (ع) حيا أو ميتا. وحين خطبهم الامام الحسن (ع) ليختبر مدى إخلاصهم وثباتهم هتفوا به من كلّ

جانب: البقية، البقية، بينما هاجمته طائفة منهم تريد قتله، هذا في الوقت الذي أخذ الزعماء يتسللون تحت جنح الليل إلى معاوية بعشائرهم!

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٣٦

ولما رأى الامام الحسن (ع) أمام هذا الوقع السيء أن الظروف النفسية والاجتماعية في مجتمع العراق جعلت هذا المجتمع عاجزا عن النهوض بتبعات القتال وانتزاع النصر، ورأى أن الحرب ستكونه استئصال المخلصين من أتباعه بينما يتمتع معاوية بنصر حاسم، حينئذ جرح إلى الصلح بشروط منها ألا يعهد معاوية لاحد من بعده، وأن يكون الامر للحسن (ع)، وأن يترك الناس ويؤمنوا... ولقد كان هذا هو الطريق الوحيد الذي يستطيع الحسن (ع) أن يسلكه باعتباره صاحب رسالة قد اكتنفتها هذه الظروف المؤسفة... (١)

تري هل بقيت الامية في العراق خاصية على هذه الحال بعد ذلك، أم أنها قد تغيرت نحو الاحسن إلى درجة أن صار بالا مكان أن يعتمد عليها الامام الحسن (ع) في حياته أو الامام الحسين (ع) بعده في تعبئة عامة لحرب طاحنة حتى النصر الحاسم على معاوية؟! صحيح أن الناس الذين كرهوا الحرب لطول معاناتهم منها، ورغبة منهم في الدنيا والسلامة والدعة، وطاعة لرغبات زعماء قبائلهم، كانوا قد اكتشفوا بعد مدة مدى الخطاء الذي وقعوا فيه بضعفهم عن القيام بتبعات القتال وخذلان الامام (ع)، بعد ما عرفوا طبيعة حكم معاوية وذاقوا طعم واقعيته، وما يقوم به من اضطهاد وإرهاب، وتجويع وحرمان، ومطاردة مستمرة، وخنق للحريات واستهزاء بالشريعة واستخفاف بالقيم، وإنقاص من أعطياتهم ليزاد في أعطيات أهل الشام، وحمل معاوية إياهم على محاربة الخوارج، الامر الذي لم ينجح لهم أن ينعموا بالسلم الذي كانوا يحنون إليه والدعة التي يتمنونها... فندموا على ما فرطوا في جنب أهل البيت (ع)، (وقد جعل أهل العراق يذكرون حياتهم أيام علي فيحزنون عليها، ويندمون على ما كان من تفریطهم في جنب خليفتهم ويندمون كذلك على ما كان من الصلح بينهم

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٣٧

وبين أهل الشام، وجعلوا كلما لقي بعضهم بعضا تلاوموا فيما كان، وأجالوا الرأي فيما يمكن أن يكون، ولم تكدمتمضى أعوام قليلة حتى جعلت وفودهم تفتد إلى المدينة للقاء الحسن (ع)، والقول له والاستماع منه... (١)

وصحيح أن كثيرا من الناس، وعامة أهل العراق بنوع خاص، صاروا يرون بغض د بني أمية وحب أهل البيت (ع) دينا لهم، نتيجة ظلم معاوية وجوره وبُعد عن الاسلام، لكن هذه العاطفة لم تستطع أن تخترق حاجز الازدواجية في الشخصية عند أكثر هؤلاء، بل ظلت تعشعش في إطارها في باطن الشخصية الراض لا- ل أمية ولحكمهم خلافا لظاهر الشخصية المطيع لكل أوامره، فهم في ازدواج الشخصية كما وصفهم اميرالمؤمنين علي (ع) في ظل ظلم بني أمية حيث قال:

(والله لا يزالون حتى لا يدعوا لله محرما إلا استحله، ولا عقدا إلا حلوه...)

وحتى يقوم الباكيان يبكيان: باك يبكي لدينه، وباك يبكي لديناه، وحتى تكون نصره أحدكم من أحدهم كنصرة العبد من سيده، إذا شهد أطاعه، وإذا غاب اغتابه... (٢)

فالوصف العام للامة آتئذ هو أن جلها خاضع لارادة الحكم الاموي طائع لا مره، سوا الذين عمى على بصيرتهم تحت تاءثير التضليل الاموي، فتوهموا أن الاسلام متمثل بحكم معاوية، أو ضعاف النفوس الذين قادمهم حب الدنيا

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٣٨

فباعوا دينهم بدنيا غيرهم، أو الذين عرفوا الحق وأهله فاءحبوهم في الباطن وتنكروا لهم في الظاهر خوفا من الارهاب الاموي، وفي القليل المتبقي كثير ممن يمنعه الشلل النفسي عن نصره الحق والالتحاق بركبه مع معرفته باهل الحق (ع)!

هذا الوصف العام ظل منطبقا على هذه الامية حتى بعد موت معاوية!! إذن فالامة لم تتاهل لكي يعتمد عليها الامام الحسين (ع) في التخطيط لحرب طاحنة تقصر أو تطول حتى النصر الحاسم على معاوية، وشواهد هذه الحقيقة في الوصف العام للامة كثيرة جدا مرن بنا

بعضها فى المدخل.

بقى الاختيار الثانى المتاح أمام الامام الحسين (ع) فى الثورة على معاوية، وهو تعريف الائمة لصدمة مروعة فى وجدانها وصعقة كبرى يهتر لها ضميرها، من خلال ملحمة بطولية ماءساوية تنتهى بمصرعه ومصرع أنصاره، مقرونة بعمل إعلامى وتبليغى كبير ينجح فى كشف الزيف الاموى، وينهى الاثار العمليئة الناشئة عنه.

وهذا الاختيار الذى كُتب له النجاح التام أيام حكم يزيد، كان محكوما عليه بالفشل التام فى حياة معاوية، وسر ذلك يكمن فى شخصيئة معاوية، وأسلوبه الخاص فى معالجة الامور، فإن معاوية لم يكن من الجهل بالسياسة بالمثابة التى يُتيح فيها للحسين (ع) أن يقوم بثورة مدوية، بل الراحج أنه كان من الحصافة بحيث يُدرك أن جهر الحسين (ع) بالثورة عليه وتحريضه الناس على ذلك كفيل بزجة فى حروب تعكر عليه بهاء النصر الذى حازه بعد صلح الحسن (ع)، إن لم يكن كافيا لتفويت ثمره هذا النصر عليه، لانه عارف ولا ريب بما للحسين (ع) من منزلة فى قلوب المسلمين.

معالركب الحسينى (ج ١)، ص: ٢٣٩

وأقرب الظنون فى الالسوب الذى يتبعه معاوية فى القضاء على ثورة الحسين (ع) لوثار فى عهده هو أنه كان يتخلص منه بالسّم قبل أن يتمكّن الحسين (ع) من الثورة، وقبل أن يكون لها ذلك الدوى الذى يموج الحياة الاسلاميئة التى يرغب معاوية فى بقائها هادئة ساكنة. والذى يجعل هذا الظنّ قريبا ما نعرفه من أسلوب معاوية فى القضاء على من يخشى منافستهم له فى السلطان، أوتعكير صفو السلطان عليه، فإن الطريقة المثاليئة عنده فى التخلص منهم هى القضاء عليهم باءقل ما يمكن من الضجيج. ولقد مارس معاوية هذا الالسوب فى القضاء على الحسن بن على (ع)، وسعد بن أبى وقاص، ومارسه فى القضاء على الاشر لما توجه إلى مصر، ومارسه فى القضاء على عبدالرحمن بن خالد بن الوليد لما رأى افتتان أهل الشام به. وقد أوجز هو أسلوبه هذا فى كلمته الماءثورة (إن لله جنودا من العسل).

والذى يرتفع بهذا الظنّ إلى مرتبة الاطمئنان ما نعلمه من أن معاوية كان قد وضع الارصاد والعيون على الحسين (ع) وعلى غيره ممن يخشاهم على سلطانه، وأنهم كانوا يكتبون إليه بما يفعل هو لاء، ولا يغفلون عن إعلامه بايسر الامور وأبعدها عن إثارة الشك والريئة، «١» كمثل ما كتبوا إليه فى أمر جاريئة كان الحسين (ع) قد أعتقها ثم تزوجها. «٢»

(فلو تحفزّ الحسين (ع) للثورة فى عهد معاوية، ثم قضى عليه بهذه الميئة التى يفضّلها معاوية لاء عداته، فماذا كانت تكون جدوى فعله هذا الذى لم يخرج عن حدود الفكرة إلى أن يكون واقعا يحياه الناس بدمائهم

معالركب الحسينى (ج ١)، ص: ٢٤٠

وأعصابهم، وما كان يعود على المجتمع الاسلامى من موته وقد قضى كما يقضى سائر الناس بهدوء وبلا ضجيج؟ إنه لن يكون حينذاك سوى علوى مات حتف أنفه، يثير موته الاسى فى قلوب أهله ومحبييه وشيعه أبيه إلى حين ثم يطوى النسيان ذكره كما يطوى جميع الذكريات). «١»

وقد صرح معاوية للامام (ع) بهذا التهديد بقوله: (... فإنك متى تنكرنى أنكرك، ومتى تكدننى أكدك، فأتق شق عصا هذه الائمة (...). «٢»

ولو قُدّر للامام (ع) أن يخترق حصار جواسيس وعيون معاوية، ويقوم بالثورة عمليا، فيخرج مع صفوة أنصاره فى جيش قليل العدة والعدد، ويتجه إلى العراق مثلا، فهل كان سينجح فى صنع ملحمة بطولية ماءساوية يهترلها ضمير الائمة كما صنع ذلك بالفعل أيام يزيد؟

وهل كان العمل الاعلامى والتبليغى المطلوب فى مثل هكذا نهضة أن ينجح فى عهد معاوية كما نجح بالفعل فى زمن يزيد؟ لا شك أن معاوية فى مثل هذا الفرض سيواجه ماءزقا عمليا صعبا، لكن معاوية من الدهاء والخبرة فى معالجة الم آزر بما يمكنه من استيعاب هذا الماءزق المخرج، والمتوقّع أنه سيحاصر جيش الامام الصغير، وسيحرص على سلامة الامام (ع) وسلامة بنى هاشم

خاصة، ويعفو عنهم بطريقة فتيه مقرونة بعمل إعلامي كبير، تكون نتيجة سقوط الامام (ع) في عين الائمة وتجريده من قداسته الدينيه، وقد يحجزه ومن معه بعد ذلك في الشام في اقامة جبرية لاتنتهي إلا بموته الذي قد يكون بالسّم أيضا... ويخرج معاوية من هذا الماء زق في النهاية بمظهر من عفا بعد المقدرة، وقابل الاساءة بالا

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٤١

حسان، والقطيعة بالصلة، فيكسب قلوب الناس د ويزدادون حبا له ويزداد هو شاءنا وعظمه، وعندها لا يتحقق للامام الحسين (ع) ما كان يؤمله في هذا التحرك من أثر إيجابي فضلا عن ما سيلحقه من آثار سلبية بسبب دهاء معاوية. ولقد صرح معاوية للامام (ع) بهذا النهج حين كتب إليه على أثر قضية الاموال المحمولة إليه التي أخذها الامام (ع) قائلا: (ولكنني قد ظننت يا ابن أخي أنّ في رأسك نزوة، وبودى أن يكون ذلك في زمانى فاءعرف لك قدرك، وأتجاوز عن ذلك، ولكنني والله أتخوف أن تبلى بمن لا ينظر ك فواق ناقة). «١»

ولا يبعد أن معاوية يتمنى لو يوفق لمثل موقف العفو هذا، فيطلق أسارى بنى هاشم في منة يقابل بها منة الرسول (ص) على الطلقاء في مكة، فيكونون سوا في حلبة المفاخرة، وهذا ما كان يحذره الامام الحسن (ع) كما مر بنا، ولا شك أن هذا الامر لم يكن ليغيب عن بال الامام الحسين (ع) أيضا.

وعلى فرض أن معاوية لوثار عليه الامام (ع) قد يضطر إلى قتل الامام (ع) ومن معه من أنصاره، فإن في مسحة الدين التي كان معاوية يحرص على إسباغها على سلوكه وسائر تصرفاته أمام العامة وفي صفة الشرعية التي أفلح في أن يسبغها على منصبه لدى جانب كبير من الرأي العام الاسلامي ما يمكنه من إطفاء وهج مصارع هؤلاء الثوار، وإثارة الناس عليهم لا لهم، ذلك (لانّ الجواب الذي كان سيقدّمه معاوية وأعوانه للناس حين يتساءلون عما حمل الحسين (ع) على الثورة، أو يجيب به الناس أنفسهم، هو أن الحسين طالب ملك! ولو قتل الحسين في سبيل ما توهمه الناس هدفا من ثورته لما أثار قتله استنكارا، ولما عاد قتله بشي على مبادئه ودوافعه الحقيقية للثورة، بل ربّما

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٤٢

عدّه فريق من الناس مستحقا للقتل! ولن يجدى الحسين (ع) وأنصاره أن يعلنوا للناس أن ثورتهم لحماية الدين من تحريف وتزييف معاوية وإنقاذ الامة من ظلمه، فلن يصدقهم الناس لأنهم لا يرون على الدين من باءس، ولم يحدث معاوية في الدين حدثا ولم يجاهر بمنكر، بل سيرى الناس أن مقالتهم هذه ستار يخفي مقاصدهم الحقيقية). «١»

وعلى كلّ الفروض، فإن معاوية كان سيستثمر في سبيل تشويه ثورة الحسين (ع) لو ثار في عهده قضية الميثاق الذي كان نتيجة صلح الحسن (ع) مع معاوية، فلقد عرف عامة الناس أن الحسن والحسين (ع) قد سلّموا الامر إلى معاوية وعاهدها على السكوت عنه، فلو ثار الامام (ع) لا مكن معاوية أن يصوره بصورة الخائن الناقض لبيعته وميثاقه الذي أعطاه!

ولا يضّر معاوية هنا أنه كان قد نقض العهد قبل ذلك ولم يف بشرط من شروطه، ولم يعرف له حرمة ولم يحمل نفسه مؤونة الوفاء به ...

كما لا يغير في النتيجة شيئا هنا أيضا سوا أكان الحسن والحسين (ع) بايعا أو لم بايعا معاوية بل سلّموا له الامر تسليما مشروطا. «٢» ذلك لانّ وسائل معاوية الاعلامية المهيمنة على أذهان عامة الناس هي الغالبة والمؤثرة في ميدان التبليغ والدعاية، وباستطاعتها التضييل تماما على الرأي العام فيما تطرحه من إدانة دينية لقيام الامام (ع). ثم إن نفس المجتمع الذي لم يكن أهلا للقيام بالثورة، والذي كان يؤثر السلامة والعافية، كان يرى أن الامام (ع) قد بايع وعاهد، سوا كما هو الواقع أو كما أشاع الاعلام الاموي

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٤٣

فيه، فهو يرى أن على الامام (ع) أن يفى بالعهد وألا ينقض البيعة. ص : ۲۴۳

إذن فشخصية معاوية بما انطوت عليه من دهاء وحيلة ومكر وغدر وطول ممارسة وتجربة في العمل السياسي الاجتماعي كانت العامل الاهم إن لم تكن العامل الوحيد الذي اضطر الامام (ع) إلى عدم القيام ضده. ومن هنا نفهم سر حصر السبب بوجود معاوية في الاجوبة التي أفاد بها الامام (ع) ردًا على مطالب بعض شيعته بالنهضة والقيام، كمثل: (ليكن كل رجل منكم حلسا من أحلاس بيته مادام معاوية حيا ... فإن هلك معاوية نظرنا ونظرتم ... « ۱ » أو ... فالصقوا بالا رض، واخفوا الشخص، واكنموا الهوى ... مادام ابن هند حيا) « ۲ » أو ... مادام هذا الانسان « ۳ » حيا). معالركب الحسيني (ج ۱)، ص: ۲۴۵

الفصل الثاني: المعالم العامة لنهج الامام الحسين (ع) في عهد معاوية ص : ۲۴۵

اشارة

معالركب الحسيني (ج ۱)، ص: ۲۴۷
 الفصل الثاني: المعالم العامة لنهج الامام الحسين (ع) في عهد معاوية
 ضمن إطار موقفه العام في رعاية حالة الهدنة مع معاوية وعدم القيام ضده في الظروف الراهنة آنذاك، كان الامام الحسين (ع) يقوم بمهامه في حياة الامة الاسلامية كما مام لها من قبل الله تبارك وتعالى. ومن مهامه ما كان في إطار الدور العام المشترك لجميع أئمة أهل البيت (ع)، ومنها ما كان في إطار دوره الخاص الذي حدده طبيعة الظروف السياسية والاجتماعية التي كانت تحيط به وبالإسلام وبالامة الاسلامية. ويمكننا أن نتصور المعالم العامة لنهجه صلوات الله عليه في عهد معاوية كما يلي:

الدعوة إلى الحق والدفاع عنه: ص : ۲۴۷

اشارة

في خضم تيار التضليل الاموي الديني والسياسي المهيم على الرأي العام الاسلامي كان الامام الحسين (ع) يصارع هذا التيار ويحاول اختراقه في تبين الحق والدعوة إليه والدفاع عنه، وكشف الضلال وزيفه عن ذهنية الامة يا يضح الحجة والدلالة على المحجة البيضاء، وبالإسلام المعروف والنهي عن المنكر، وتعليم الامة وتربيتها من خلال حلقات الوعظ والارشاد التي كان يقوم بها في المدينة ومكة، وكان الناس في حلقة الامام الحسين (ع) كآء على رؤ وسهم الطير كما وصف ذلك معاوية نفسه، وذلك لسمو مكانته، وعناية معالركب الحسيني (ج ۱)، ص: ۲۴۸
 الناس الفائقة بحديثه، ولقوة انشادهم إليه، ولأن حديثه الحق الفصل الذي (ليس فيه من الهزلي شى) على حد تعبير معاوية. ويمكننا أن نلاحظ هذا الخط في الدعوة إلى الحق والدفاع عنه في المجالات التالية:

التعريف بمكانة أهل البيت (ع) وفضلهم ومعرفتهم: ص : ۲۴۸

ونتقى في هذا المجال النماذج التالية:

قيل لمعاوية: إنَّ الناس قد رموا أبصارهم إلى الحسين (ع)، فلو قد أمرته يصعد المنبر ويخطب فإنَّ فيه حصراً أوفى لسانه كلاله. فقال لهم معاوية: قد ظننَّا ذلك بالحسن، فلم يزل حتَّى عظم في أعين الناس د وفضحنا. فلم يزالوا به حتَّى قال للحسين (ع): يا أبا عبد الله، لو صعدت المنبر فخطبت. فصعد الحسين (ع) المنبر، فحمد لله وأثنى عليه، وصلى على النبي (ص)، فسمع رجلاً يقول: من هذا الذي يخطب؟ فقال الحسين (ع):

(نحن حزب الله الغالبون، وعترة رسول الله (ص) الاقربون، وأهل بيته الطيبون، وأحد الثقلين اللذين جعلنا رسول الله (ص) ثاني كتاب الله تبارك وتعالى، الذي فيه تفصيل كلِّ شىء، لا يأتى الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والمعول علينا في تفسيره، لا يبطينا تاء ويله، بل نتبع حقائقه، فاء طيعونا فإنَّ طاعتنا مفروضة، أن كانت بطاعة الله ورسوله مقرونة، قال الله عزَّ وجلَّ:

(أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم، فإن تنازعتم في شىء فردوه إلى الله والرسول)، وقال: (ولو ردَّوه إلى الرسول وإلى أولى الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم، ولولا فضل الله عليكم ورحمته لا تبتغتم الشيطان إلا قليلاً). واء حدركم الاصغاء إلى هتوف الشيطان بكم، فإنَّه لكم عدوٌّ مبين، فتكونوا كاء وليائه الذين قال لهم: (لا غالب لكم اليوم من الناس وإنِّي جارُّ لكم،

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٤٩

فلمَّا ترأت الفتان نكص على عقبه وقال إنِّي برى منكم)، فتلقون بالسيوف ضرباً، وللرماح ورداً، وللعميد حطماً، وللسهام غرضاً، ثم لا يقبل من نفس إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً.)

قال معاوية: حسبك يا أبا عبد الله، قد بلغت. «١»

وقال الامام الحسين (ع) ذات مرَّة في مجلس معاوية:

(أنا ابن ماء السماء وعروق الثرى، أنا ابن من ساد أهل الدنيا بالحسب الناقب والشرف الفائق والقديم السابق، أنا ابن من رضاه رضا الرحمن وسخطه سخط الرحمن.

ثم ردَّ وجهه للخصم فقال:

هل لك أبُّ كاء بى، أو قديم كقديمى؟ فإن قلت: لا، تُغلب، وإن قلت: نعم. تُكذَّب.

فقال الخصم: لا، تصديقاً لقولك. فقال الحسين (ع):

الحقُّ أبلج، لا يزيغ سبيله، والحقُّ يعرفه ذوو الالباب). «٢»

وعن الباقر (ع)، عن أبيه (ع) أنه قال: (صار جماعة من الناس بعد الحسن إلى الحسين (ع)، فقالوا: يا ابن رسول الله، ما عندك من عجائب أبيك التي كان يريهاها؟

فقال (ع): هل تعرفون أبى؟

قالوا: كلنَّا نعرفه.

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٥٠

فرفع له سترا كان على باب بيت، ثم قال: (أنظروا فى البيت).

فنظروا فقالوا: هذا اميرالمؤمنين، ونشهد أنك خليفه الله حقاً). «١»

وفى رواية أخرى: سئل الحسين بن عليّ (ع) بعد مضيِّ اميرالمؤمنين فقال لا صحابه: (أتعرفون اميرالمؤمنين (ع) إذا رأيتموه؟ قالوا: نعم.

قال: (فارفعوا هذا الستر).

فرفعوه، فاذاهم به لا يئنكرونه.

فقال لهم عليّ (ع): (إنه يموت من مات منا وليس بميت، ويبقى من بقى منا حجة عليكم). «٢»

وسأله حبيب بن مظاهر الاسدي (ر) قائلا: أي شئ كنتم قبل أن يخلق الله عز وجل آدم (ع)؟

فقال الامام الحسين (ع): (كنا أشباح نورٍ ندور حول عرش الرحمن، فنعلم الملائكة التسبيح والتهليل والتحميد). «٣»

وعن عقيصا وهو أبو سعيد دينار قال:

سمعت الحسين (ع) يقول: (من أحبنا نفعه الله بحبنا وإن كان أسيرا في الديلم، وإن حبنا ليساقت الذنوب كما تساقط الريح الورق). «٤»

معالركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٥١

وعن اسماعيل بن عبدالله قال:

قال الحسين بن عليّ (ع): (لما أنزل الله تبارك وتعالى هذه الآية (وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله) سألت رسول

الله (ص) عن تاء ويلها.

فقال: والله ما عنى غيركم، وأنتم أولوا الارحام، فإن مات فاء بوك عليّ أولى بي وبمكاني، فإن مضى أبوك فاء بوك الحسن أولى

به، فإن مضى الحسن فاءت أولى به.

قلت، يا رسول الله، فمن بعدى أولى بي؟

قال: إنك عليّ أولى بك من بعدك، فإن مضى فابنه محمد أولى به من بعده، فإن مضى محمد فابنه جعفر أولى به وبمكانه من

بعده، فإن مضى جعفر فابنه موسى أولى به من بعده، فإن مضى موسى فابنه عليّ أولى به من بعده، فإن مضى عليّ فابنه محمد أولى

به من بعده، فإن مضى محمد فابنه عليّ أولى به من بعده، فإن مضى عليّ فابنه الحسن أولى به من بعده، فإن مضى الحسن وقعت

الغيبه في التاسع من ولدك، فهذه الائمة تسعة من صلبك، أعطاهم علمي وفهمي، طينتهم من طينتي، ما لقوم يؤذونني فيهم، لأنالهم

الله شفاعتى). «١»

وعن النضر بن مالك قال: قلت للحسين بن عليّ بن أبي طالب (ع): يا أبا عبدالله، حدثني عن قول الله عز وجل (هذان خصمان

اختصموا في ربهم).

قال: (نحن وبنو أمية اختصمنا في الله عز وجل، قلنا: صدق الله. وقالوا: كذب الله. فنحن وإياهم الخصمان يوم القيامة) «٢»

وعن أبي جعفر (ع) قال:

معالركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٥٢

قال الحارث بن عبدالله الاعور للحسين بن عليّ (ع): يا ابن رسول الله، جعلت فداك، أخبرني عن قول الله في كتابه: (والشمس

وضحيتها). قال: (ويحك يا حارث، ذلك محمد رسول الله (ص).

قال: قلت: جعلت فداك، وقوله: (والقمر إذا تليها).

قال: (ذاك اميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب (ع)، يتلو محمدا (ص).

قال: قلت: (والنهار إذا جليها).

قال: (ذلك القائم (ع) من آل محمد (ص)، يملأ الارض عدلا وقسطا) «١» (والليل إذا يغشيها) بنو أمية). «٢»

وقيل مرّ المنذر بن الجاورد بالحسين (ع) فقال: كيف أصبحت جعلني الله فداك يا ابن رسول الله؟

فقال (ع): (أصبحنا وأصبحت العرب تعتد على العجم بآء محمدا (ص) منها، وأصبحت العجم مقرّة لها بذلك، أصبحنا وأصبحت

قريش يعرفون فضلنا ولا يرون ذلك لنا، ومن البلاء على هذه الامة أننا إذا دعونا لم يجيبونا، وإذا تركناهم لم يهتدوا بغيرنا). «٣»

وفي رواية أخرى أنه اجتاز به وقد اء غضب، فقال (ع): (ماندرى ما تنقم الناس منا، إننا لبيت الرحمة، وشجرة النبوة، ومعدن العلم). «٤»

وكان في خلقه العظيم دعوة مفتوحة للقبال على الحق وتعريف رائع

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٥٣

باء هل الحق (ع).

فقد روى عن عصام بن المصطلق أنه قال: دخلت المدينة فرأيت الحسين بن علي (ع)، فاءعجبني سمته ورواؤه، وأثار من الحسد ما كان يخفيه صدرى لا بيه من البغض.

فقلت له: أنت ابن أبي تراب؟

فقال (ع): (نعم).

فبالغت في شتمه وشم أبيه، فنظر إلي نظرة عاطفٍ رؤوفٍ.

ثم قال: (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين، وإما ينزغَنَّكَ من الشيطان نَزْغًا فاستعذ بالله إنه سميع عليم، إن الذين اتَّقوا إذا مسَّهم طائفٌ من الشيطان تذكَّروا فإذا هم مبصرون، وإخوانهم يمدُّونهم في الغيِّ ثم لا يقصرون).

ثم قال (ع) لى: (خَفَضَ عَلَيْكَ، أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلِكَ، إِنَّكَ لَوْ اسْتَعْتَنَّا لَا عَنَّاكَ وَلَوْ اسْتَرَفَدْتَنَا لَرَفَدْنَاكَ، وَلَوْ اسْتَرَشَدْتَنَا لَا رَشَدْنَاكَ). قال عصام فتوسَّم منِّي الندم على ما فرط منِّي.

فقال (ع): (لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين. من أهل الشام أنت؟)

قلت: نعم.

فقال (ع): (شَنِيشَةٌ أَعْرَفَهَا مِنْ أَخْزَمِ. «١» حَيَانَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ، انْبَسَطْ إِلَيْنَا فِي

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٥٤

حوائجك وما يعرض لك، تجدني عند أفضل ظنك إن شاء الله تعالى).

قال عصام: فضاقت عليَّ الأرض بما رحبت، ووددت لو ساخت بي، ثم سللت منه لوإذا وما على الأرض أحبَّ إليَّ منه ومن أبيه. «١»

وعن عبدالله بن عمر قال:

سمعت الحسين بن علي (ع) يقول: (لو لم يبق من الدنيا إلَّا يوم واحد لطوّل الله عزَّ وجلَّ ذلك اليوم حتَّى يخرج رجل من ولدى،

فيملاها عدلا وقسطا كما ملئت جورا وظلما، كذلك سمعت رسول الله (ص) يقول). «٢»

وعن عبدالرحمن بن سليط قال:

قال الحسين بن علي بن أبي طالب (ع): (مَنَا إِثْنَا عَشْرَ مَهْدِيًّا، أَوْلَهُمْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ (ع)، وَآخِرُهُمُ النَّاسِعُ مِنْ وَلَدِي،

وهو القائم بالحق، يحيى الله به الأرض بعد موتها، ويظهر به دين الحق على الدين كله ولو كره المشركون، له غيبة يرتدُّ فيها أقوام

ويثبت فيها على الدين آخرون، فيؤذون ويقال لهم: (متى هذا الوعد إن كنتم صادقين)؟، أما إن الصابرين في غيبته على الأذى

والتكذيب بمنزلة المجاهد بالسيف بين يدي رسول الله (ص). «٣»

ومرَّ الحسين (ع) على حلقةٍ من بني أمية وهم جلوس في مسجد الرسول (ص).

فقال (ع): (أما والله لا تذهب الدنيا حتَّى يبعث الله منِّي رجلا يقتل منكم

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٥٥

ألفا، ومع الألف ألفا ومع الألف ألفا).

فقال له عبيدالله بن شريك: جعلت فداك، إن هؤلاء أولاد كذا وكذا، لا يبلغون هذا.

فقال (ع): (ويحكك، في ذلك الزمان يكون الرجل من صلبه كذا وكذا رجلا، وإن مولى القوم من أنفسهم). «١»

وقال رجلٌ للحسين (ع): يا ابن رسول الله أنا من شيعتكم.

قال (ع): (إتق الله، ولا تدعِين شيئا يقول الله تعالى لك كذبت وفجرت في دعواك. إن شيعتنا من سلمت قلوبهم من كلِّ غشٍّ وغلٍّ

ودغل، ولكن قل أنا من مواليكم ومحبيكم). «۲»

وعن يزيد بن رويان قال: دخل نافع بن الازرق المسجد الحرام، والحسين بن عليّ (ع) مع عبدالله بن عباس جالسان في الحجر، فجلس إليهما.

ثم قال: يا ابن عباس، صف لي إلهك الذي تعبد.

فأطرق ابن عباس طويلا مستبظا بقوله.

فقال له الحسين (ع): (إلى يا ابن الازرق المتورط في الضلالة، المرتكن في الجهالة، أجيئك عما ساءلت عنه).

فقال: ما إياك ساءلت فتجيبني.

فقال له ابن عباس: مَهْ! عن ابن رسول الله، فإنّه من أهل بيت النبوة، ومعدن الحكمة.

معالركب الحسينى (ج ۱)، ص: ۲۵۶

فقال له: صف لي.

فقال (ع): (أصفه بما وصف به نفسه، وأعرّفه بما عرّف به نفسه، لا يدرك بالحواس، ولا يقاس بالناس، قريب غير ملتزق، وبعيد غير

مقص، يوحد ولا يتبعض، لا إله إلا هو الكبير المتعال).

قال فبكى ابن الازرق بكاء شديدا!

فقال له الحسين (ع): (ما يبكيك؟)

قال: بكيت من حسن وصفك.

قال (ع): (يا ابن الازرق، إنى أخبرت أنك تكفّر أبى وءخى وتكفّرنى).

قال له نافع: لئن قلت ذاك لقد كنتم الحكّام ومعالم الاسلام، فلما بدلتم استبدلنا بكم.

فقال له الحسين (ع): (يا ابن الازرق، أساء لك عن مساءله، فاءجبنى عن قول الله لا إله إلا هو: (وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين فى

المدينة وكان تحته كنز لهما) إلى قوله (كنزهما)، من حفّظ فيهما؟).

قال: أبوهما.

قال (ع): (فاءيهما أفضل أبوهما أم رسول الله (ص) وفاطمة؟).

قال: لا، بل رسول الله وفاطمة بنت رسول الله (ص).

قال (ع): (فما حفظنا حتى حال بيننا وبين الكفر).

فنهض ابن الازرق، ثم نفّض ثوبه، ثم قال: قد تّبأنا الله عنكم معشر قريش

معالركب الحسينى (ج ۱)، ص: ۲۵۷

أنتم قوم خصمون). «۱»

وعن أبى عبدالله (ع) قال:

(خرج الحسين بن عليّ (ع) على أصحابه فقال: (أيها الناس، إنّ الله جلّ ذكره ما خلق العباد إلا ليعرفوه فأذا عرفوه عبدوه، فأذا عبدوه

استغنوا بعبادته عن عبادة ما سواه).

فقال له رجل: يا ابن رسول الله، باءبى أنت وأمى، فما معرفة الله؟

قال: (معرفة أهل كلّ زمان إمامهم الذى يجب عليهم طاعته). «۲»

وروى عبدالعزيز بن كثير: أن قوما أتوا إلى الحسين (ع).

وقالوا: حدّثنا بفضائلكم!

قال (ع): (لا تطيقون، وانحازوا عني لا شير إلى بعضكم، فإن أطاق ساء حدثكم). فتباعدوا عنه، فكان يتكلم مع أحدهم حتى دهش وولّه وجعل يهيم ولا يجيب أحدا، وانصرفوا عنه. (٣)

استثمار المناسبات الدينية لنشر الحق وكشف التضليل الاموي ص : ٢٥٧

ومن الامثلة على ذلك ما رواه سليم بن قيس (ره)، قال:

(فلما مات الحسن بن عليّ (ع) لم تزل الفتنة والبلاء يعظمان ويشتدان، فلم يبق وليّ لله إلّا خائفا على دمه (وفي رواية أخرى: إلّا خائفا على دمه أنه

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٥٨

مقتول) وإلّا طريدا وإلّا شريدا، ولم يبق عدو لله إلّا مظهرا حجّته غير مستترٍ ببدعته وضلالته، فلما كان قبل موت معاوية بسنة حجّ الحسين بن عليّ صلوات الله عليه وعبدالله بن عباس وعبدالله بن جعفر معه، فجمع الحسين (ع) بني هاشم رجالهم ونساءهم ومواليهم من الانصار ممن يعرفه الحسين (ع) وأهل بيته، ثم أرسل رسالا: لاتدعوا أحدا ممن حجّ العام من أصحاب رسول الله (ص) المعروفين بالصلاح والنسك إلّا أجمعهم لي، فاجتمع إليه بمئى أكثر من سبعمائة رجل وهم في سرادقه، عامتهم من التابعين ونحو من مائتى رجل من أصحاب النبيّ (ص)، فقام فيهم خطيبا فحمد الله وأثنى عليه. ثم قال:

(أما بعد: فإنّ هذا الطاغية قد فعل بنا وبشيعتنا ما قد رأيتم وعلمتم وشهدتم، وإني أريد أن أساء لكم عن شيء، فإن صدقت فصدّقوني وإن كذبت فكذبوني، وأساء لكم بحقّ الله عليكم وحقّ رسول الله (ص) وقرايتي من نبيكم لما سيرتم مقامى هذا، ووصفتم مقالتي ودعوتهم أجمعين في أمصاركم من قبائلكم من آمنتهم من الناس (وفي رواية أخرى بعد قوله فكذبوني: اسمعوا مقالتي واكتبوا قولي ثم ارجعوا إلى أمصاركم وقبائلكم، فمن آمنتهم من الناس) ووثقتهم به فادعوهم إلى ما تعلمون من حقنا، فإنني أتخوّف أن يدرس هذا الامر ويذهب الحقّ ويغلب، والله متمّ نوره ولو كره الكافرون).

وما ترك شيئا مما أنزل الله فيهم من القرآن إلّا تلاه وفسّره، ولا شيئا مما قاله رسول الله (ص) في أبيه وأخيه وأمه وفي نفسه وأهل بيته إلّا رواه.

وكلّ ذلك يقول أصحابه: أللّهم نعم، وقد سمعنا وشهدنا.

ويقول التابعي: أللّهم قد حدّثني به من أصدّقه وأتّمه من الصحابة.

فقال: أنشدكم الله إلّا حدّثتم به من تثقون به وبدينه.

(قال سليم): فكان فيما ناشدهم الحسين (ع) وذكرهم أن قال:

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٥٩

(أنشدكم الله، أتعلمون أنّ عليّ بن أبي طالب كان أخا رسول الله (ص) حين آخى بين أصحابه فآخى بينه وبين نفسه وقال: أنت أخي وأنا أخوك في الدنيا والاخرة؟)

قالوا: أللّهم نعم.

قال: (أنشدكم الله، هل تعلمون أنّ رسول الله (ص) اشترى موضع مسجده ومنازله، فابتناه ثم ابتنى فيه عشرة منازل، تسعة له وجعل عاشرها في وسطها لا بي، ثم سدّ كلّ باب شارع إلى المسجد غير بابه، فتكلّم في ذلك من تكلم، فقال: ما أنا سدّدت أبوابكم وفتحت بابه، ولكنّ الله أمرني بسدّ أبوابكم وفتح بابه، ثم نهى الناس أن يناموا في المسجد غيره، وكان يجنب في المسجد ومنزله في منزل رسول الله (ص) فولد لرسول الله (ص) وله فيه أولاد؟)

قالوا: أللّهم نعم.

قال: (أتعلمون أن عمر بن الخطاب حرص على كوةٍ قدر عينه يدعها في منزله إلى المسجد فاءبى عليه، ثم خطب فقال: إن الله أمرني أن أبني مسجدا طاهرا لا يسكنه غيري وغير أخي وبنيه؟)
قالوا: اللهم نعم.

قال: (أنشدكم الله أتعلمون أن رسول الله (ص) نصبه يوم غدیر خم فنادى له بالولاية وقال: ليبلغ الشاهد الغائب؟)
قالوا: اللهم نعم.

قال: (أنشدكم الله أتعلمون أن رسول الله (ص) قال له في غزوة تبوك: أنت منى بمنزلة هارون من موسى، وأنت ولي كل مؤ من بعدى؟)
قالوا: اللهم نعم.

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٦٠

قال: (أنشدكم الله، أتعلمون أن رسول الله (ص) حين دعا النصارى من أهل نجران إلى المباهلة لم يأت إلّا به وبصاحبه وبنيه؟)
قالوا: اللهم نعم.

قال: (أنشدكم الله، أتعلمون أنه دفع إليه اللوأ يوم خيبر، ثم قال: لأدفعه إلى رجل يحبّه الله ورسوله ويحبّ الله ورسوله، كزار غير فزار، يفتحها الله على يديه؟)
قالوا: اللهم نعم.

قال: (أتعلمون أن رسول الله بعثه ببرائه، وقال: لا يبلغ عني إلّا أنا أو رجل مني؟)
قالوا: اللهم نعم.

قال: (أتعلمون أن رسول الله (ص) لم تنزل به شدة قطّ إلّا قدّمه لها ثقة به، وأنه لم يدعه باسمه قطّ إلّا يقول: يا أخي، وادعوا لي أخي؟)
قالوا: اللهم نعم.

قال: (أتعلمون أن رسول الله (ص) قضى بينه وبين جعفرٍ وزيدٍ، فقال: يا عليّ، أنت مني وأنا منك، وأنت ولي كل مؤ من بعدى؟)
قالوا: اللهم نعم.

قال: (أتعلمون أنه كانت له من رسول الله (ص) كل يوم خلوة وكل ليلة دخله، إذا ساءله أعطاه، وإذا سكت أبداه؟)
قالوا: اللهم نعم.

قال: (أتعلمون أن رسول الله (ص) فضّله على جعفرٍ وحمزة حين قال لفاطمة (س): زوجتك خير أهل بيتي، أقدمهم سلما، وأعظمهم حلما، وأكثرهم علما؟)
قالوا: اللهم نعم.

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٦١

قال: (أتعلمون أن رسول الله (ص) قال: أنا سيّد ولد بني آدم، وأخي عليّ سيّد العرب، وفاطمة سيّدة نساء أهل الجنة، والحسن والحسين إبنائ سيّد شباب أهل الجنة؟)
قالوا: اللهم نعم.

قال: (أتعلمون أن رسول الله (ص) أمره بغسله، وأخبره أن جبرئيل يعينه عليه؟)
قالوا: اللهم نعم.

قال: (أتعلمون أن رسول الله (ص) قال: في آخر خطبة خطبها: إنني تركت فيكم الثقلين كتاب الله وأهل بيتي، فتمسّكوا بهما لن

تضلوا؟)

قالوا: أَللَّهُمَّ نعم.

فلم يدع شيئاً أنزله الله في علي بن أبي طالب (ع) خاصّة وفي أهل بيته من القرآن، ولا على لسان نبيّه (ص) إلّا ناشدهم فيه. فيقول الصحابة: أَللَّهُمَّ نعم، قد سمعنا.

ويقول التابع: أَللَّهُمَّ قد حدّثني من أثق به، فلان وفلان.

ثمّ ناشدهم أنّهم قد سمعوه يقول: (من زعم أنّه يحبّني ويغض عليّاً فقد كذب، ليس د يحبّني ويغض عليّاً. فقال له قائل: يا رسول الله، كيف ذلك؟

قال: لا نّه منّي وأنا منه، من أحبّه فقد أحبّني، ومن أحبّني فقد أحبّ الله، ومن أبغضه فقد أبغضني، ومن أبغضني فقد أبغض د الله). فقالوا: أَللَّهُمَّ نعم، قد سمعنا.

وتفرّقوا على ذلك ... (١)

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٦٢

وفي هذه الرواية دلالة بليغة على شدّة وشمول الحصار الاعلامي والتعظيم الذي فرضه الحكم الاموي على البيان النبوي المتعلّق بفضائل أهل البيت (ع)، وتقادم الايام على هذا الحصار والتعظيم المتواصل، الامر الذي اضطرّ الامام الحسين (ع) إلى عقد مثل هذا الاجتماع والمحفل الكبير ليذكر بقيّة الصلحاء من الصحابة والاخيار من التابعين بفضائل أهل البيت (ع). وكاءنّه يذكر باء مر يكاد يُنسى، ويُفسّ د عن حقيقة تكاد تموت إختناقاً من شدّة الحصار وطول مدّته!

هاهو (ع) يقول: (فإني أتخوّف أن يُدرس هذا الامر ويذهب الحقّ ويُغلب...!)

وهاهو (ع) يدعو إلى اختراق هذا الحصار فيقول لبقية الصحابة والتابعين:

(وأساء لكم بحقّ الله عليكم وحقّ رسول الله (ص) وقرابتي من نبيكم لما سيّرتم مقامي هذا، ووصفتم مقالتي، ودعوتم أجمعين في أمصاركم من قبائلكم من أمتهم من الناس ووثقتهم به، فادعوهم إلى ما تعلمون من حقّنا ... أنشدكم الله إلّا حدّثتم به من تتقون به وبدينه).

كما أنّ في هذه الرواية دلالة بليغة على المجهود العظيم الذي كان يبذله الامام الحسين (ع) لاختراق ذلك الحصار والتعظيم، وعلى الصعوبة الكبيرة التي كان يواجهها في هذا السبيل، ذلك لأنّ أثر هذا الحصار والتعظيم بلغ أشدّه في زمانه (ع)، فلم يكن على هذه الشدّة في زمن الحسن (ع) ولا في زمن أمير المؤمنين (ع).

احتجاجه (ع) على العلماء ودعوتهم إلى نصره الحقّ: ص: ٢٦٢

ومن كلام له (ع) في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر يخاطب به أهل العلم من الصحابة خاصّة والتابعين عامّة، يحتجّ عليهم فيه ويدعوهم إلى نصره الحقّ وإتخاذ الموقف المشرف اللائق باهل العلم.

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٦٣

قال (ع): (اعتبروا أيّها الناس بما وعظ الله به أوليائه من سوء ثنائه على الاحبار إذ يقول (لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم) وقال: (لُعن الذين كفروا من بني إسرائيل إلى قوله لبئس ما كانوا يفعلون)، وإتّما عاب الله ذلك عليهم لأنهم كانوا يرون من الظلمة الذين بين أظهرهم المنكر والفساد فلا ينهاهونهم عن ذلك رغبة فيما كانوا ينالون منهم ورهبة ممّا يحذرون، والله يقول: (فلا تخشوا الناس واخشون) وقال: (المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) فبدأ الله بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضة منه، لعلمه باءنّها إذا اءديت واءقيمت استقامت الفرائض كلّها، هيّنها وصعبها، وذلك أنّ الامر

بالمعروف والنهي عن المنكر دعاء إلى الاسلام مع ردّ المظالم ومخالفة الظالم وقسمة الفى والغنائم وأخذ الصدقات من مواضعها ووضعها في حقّها.

ثم أنتم أيتها العصابة، عصابة بالعلم مشهورة، وبالخير مذكورة، وبالنصيحة معروفة، وباللّه في أنفس الناس مهابة، يهابكم الشريف ويكرّمكم الضعيف، ويؤثركم من لا فضل لكم عليه، ولا يد لكم عنده، تشفعون في الحوائج إذا امتنعت من طلبها، وتمشون في الطريق بهيئة الملوك وكرامة الاكابر، أليس كلّ ذلك إنّما نلتموه بما يُرجى عندكم من القيام بحقّ اللّه، وإن كنتم عن أكثر حقّه تُقَصِّرون، فاستخففتكم بحقّ الائمة، فاء ما حقّ الضعفاء فضيعتهم، وأما حقّكم بزعمكم فطلبتم، فلا مالا بذلتموه ولا نفسا خاطرتم بها للذي خلقها، ولا عشيرة عاديتموها في ذات اللّه، أنتم تتمنون على اللّه جنّته ومجاورة رسله وأمانا من عذابه!

لقد خشيت عليكم أيّها المتمنون على اللّه أن تحلّ بكم نعمة من نعماته لا نكرم بلغتم من كرامته اللّه منزلة فُضِّلتم بها، ومن يعرف باللّه لا تُكرّمون، وأنتم باللّه في عباده تُكرّمون، وقد ترون عهد اللّه منقوضه فلا تفرعون، وأنتم لبعض ذمم آبائكم تفرعون، وذمة رسول اللّه (ص) محقورة، والعمى والبكم والزمن في المدائن مهمله، لا ترحمون ولا في منزلتكم تعملون، ولا من عمل فيها تُعينون، وبالا دهان والمصانعة عند الظلمة تاءنون، كلّ ذلك ممّا أمركم اللّه به من النهي والتناهي وأنتم عنه غافلون، وأنتم أعظم الناس مصيبة لما غلبتم عليه من منازل العلماء لو كنتم تشعرون، ذلك بآء مجارى الامور والاحكام على أيدي العلماء باللّه، الامناء على حاله وحرامه، فاءنتم

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٦٤

المسلوبون تلك المنزلة، وما سلبتم ذلك إلّا بتفرقكم عن الحقّ، واختلافكم في السنّة بعد البيّنة الواضحة، ولو صبرتم على الاذى وتحملتكم المؤنة في ذات اللّه كانت أمور اللّه عليكم ترد وعنكم تصدر وإليكم ترجع، ولكنكم مكّتمت الظلمة من منزلتكم واستسلمتم أمور اللّه في أيديهم، يعملون بالشبهات ويسيروا في الشهوات، سلّطهم على ذلك فراركم من الموت وإعجابكم بالحياة التي هي مفارقتكم، فاءسلمتم الضعفاء في أيديهم، فمن بين مستعبد مهوور وبين مستضعف على معيشته مغلوب، يتقلّبون في الملك بآرائهم ويستشعرون الخزي بآء هوأهم اقتداً بالا- شرار وجرأه على الجيّار، في كلّ بلد منهم على منبره خطيب يصقع، فالارض لهم شاغرة وأيديهم فيها مبسوطه، والناس لهم خول لا يدفعون يد لأمس، فمن بين جبار عنيد، وذى سطوة على الضعفة شديد، مطاع لا يعرف المبدىء المعيد.

فيا عجا، وما لى لأعجب، والارض من غاش غشوم ومتصدّق ظلوم وعامل على المؤنين بهم غير رحيم، فاللّه الحاكم فيما فيه تنازعنا والقاضى بحكمه فيما شجر بيننا.

أللّهم إنّك تعلم أنّه لم يكن ما كان منّا تنافسا في سلطان ولا التماسا من فضول الحطام، ولكن لئرى المعالم من دينك، ونظهر الاصلاح في بلادك، وياء من المظلومون من عبادك، ويعمل بفرائضك وسننك وأحكامك.

فإنكم إلّا تنصرونا وتنصفونا قوى الظلمة عليكم، وعملوا في إطفاء نور نبيكم، وحسبنا اللّه وعليه توكلنا وإليه أنبنا وإليه المصير. (١)

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٦٥

إحتجاجاته (ع) على معاوية وبنى أمية ص : ٢٦٥

لم يمنع التزام الامام (ع) بالهدنة والمشاركة من إعلانه المتواصل عن اعتراضه على منكرات معاوية وعلى نقضه شروط الهدنة، واحتجاجه المتواصل عليه وعلى ولاته في انحرافهم عن الاسلام وظلمهم الامّة.

ومن أشمل احتجاجات الامام (ع) على معاوية ذلك الكتاب الذى بعث به إليه جوابا لكتاب دعا معاوية فيه الامام (ع) إلى رعاية الهدنة، وحدّره فيه من مغبة الفتنة وشقّ عصا الامّة بزعمه.

وهذا نصّ جوابه (ع): (... أما بعد: فقد بلغني كتابك، تذكر أنه قد بلغك عنّي أمور أنت لي عنها راغب، وأنا لغيرها عندك جدير، فإنّ الحسنات لا يهدى لها ولا يسدّ إليها إلّا الله.

وأما ما ذكرت أنّه انتهى إليك عنّي، فإنّه إنّما رقاها إليك الملاقون المشاؤون بالنميم، وما أريد لك حربا ولا عليك خلافا، وأيم الله إنّني لخائف لله في ترك ذلك، وما أظنّ الله راضيا بترك ذلك ولا عاذرا بدون الاعذار فيه إليك، وفي أولئك القاسطين الملحدين حزب الظلمة وأولياء الشياطين.

ألست القاتل حجر بن عدى أخا كندة والمصلين العابدين الذين كانوا ينكرون الظلم ويستعظمون البدع، ولا يخافون في الله لومة لائم، ثمّ قتلهم ظلما وعدوانا من بعد ما كنت أعطيتهم الايمان المغلظة والمواثيق المؤكدة لاتاء خذهم بحدّث كان بينك وبينهم، ولا يا حنة تجدها في نفسك. «١»

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٦٧

أولست قاتل عمرو بن الحمق ١ صاحب رسول الله (ص) العبد الصالح الذي أبلته العبادة، فنحل جسمه، وصفرت لونه، بعد ما أمنتته وأعطيته من عهود الله ومواثيقه ما لو أعطيته طائرا لنزل إليك من رأس الجبل، ثمّ قتلته جرأة على ربك واستخفافا بذلك العهد. «١»

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٦٨

أولست المدعى زياد بن سمية ١ المولود على فراش عبد ثقيف؟! فرعمت أنّه ابن أبيك، وقد قال رسول الله (ص): (الولد للفراش وللعاهر الحجر)، فتركت سنّة رسول الله تعميّدا وتبعت هواك بغير هدى من الله، ثمّ سلّطته على العراقيين، يقطع أيدي المسلمين وأرجلهم، ويسمّل أعينهم، ويصلّبهم على جذوع النخل، كاءئك لست من هذه الامة، وليسوا منك!. «١»

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٦٩

أولست صاحب الحضرميين «١» الذين كتب فيهم ابن سمية أنّهم كانوا على دين عليّ صلوات الله عليه، فكتبت إليه: أن اقتل كلّ من كان على دين عليّ، فقتلهم ومثّل بهم بامر مرك. ودين عليّ (ع) والله الذي كان يضرب عليه أباك ويضربك، وبه جلست مجلسك الذي جلست، ولولا ذلك لكان شرفك وشرف أبيك الرحلتين. «٢»

وقلت فيما قلت: «٣» (أنظر لنفسك ولديك ولا مة محمّد، واتّق شقّ عصا

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٧٠

هذه الامة وأن تردّهم إلى فتنة)، وإني لأعلم فتنة أعظم على هذه الامة من ولايتك عليها، ولا أعلم نظرا لنفسي ولديني ولا مة محمّد (ص) وعلينا أفضل من أجاهدك، فإن فعلت فإنّه قربه إلى الله، وإن تركته فإنّي أستغفر الله لديني (لذنبني)، وأساء له توفيقه لا رشاد أمرى.

وقلت فيما قلت: (إني إن أنكرتكَ تنكرني وإن أكّدك تكدنني)، فكدنني ما بدا لك، فإنّي أرجو أن لا يضرنّي كيدك فيّ، وأن لا يكون على أحد أضّر منه على نفسك، لأنك قد ركبت جهلك، وتحرّصت على نقض عهدك، ولعمري ما وفيت بشرط، ولقد نقضت عهدك بقتلك هؤلاء النفر الذين قتلتهم بعد الصلح والايان والعهود والمواثيق، فقتلتهم من غير أن يكونوا قاتلوا وقتلوا، ولم تفعل ذلك بهم إلّا لذكورهم فضلنا، وتعظيمهم حقنا، فقتلتهم مخافة أمر لعلك لو لم تقتلهم متّ قبل أن يفعلوا أو ماتوا قبل أن يدرخوا. فاء بشر يا معاوية بالقصاص، واستيقن بالحساب، واعلم أنّ لله تعالى كتابا لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلّا أحصاها، وليس الله بناس لا خذك بالظنّة، وقتلك أولياءه على التهم، ونفيك أولياءه من دورهم إلى دار الغربة، وأخذك الناس ببيعة ابنك، غلام حدث، يشرب الخمر، ويلعب بالكلاب.

لأعلمك إلّا وقد خسرت نفسك وتبّرت دينك وغششت رعيّتك وأخزيت أمانتك، وسمعت مقالة السفية الجاهل، وأخفت الورع التقى لا جلهم، والسلام).

فلما قرأ معاوية الكتاب قال: لقد كان في نفسه ضب ما أشعر به!

فقال يزيد: يا اميرالمؤمنين، أجهه جوابا يصغر إليه نفسه، وتذكر فيه أباه بشر فعله.

قال: ودخل عبدالله بن عمرو بن العاص.

معالركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٧١

فقال له معاوية: أما رأيت ما كتب به الحسين؟

قال: وما هو؟

قال: فاءقرأه الكتاب.

فقال: وما يمنعك أن تجيبه بما يصغر إليه نفسه؟ وإنما قال ذلك في هوى معاوية.

فقال يزيد: كيف رأيت يا اميرالمؤمنين رأيي؟

فضحك معاوية، فقال: أما يزيد فقد أشار عليّ بمثل رأيك!

فقال عبدالله: فقد أصاب يزيد.

فقال معاوية: أخطاءتما، أرايتما لو أتت ذهبت لعيب عليّ محققاً، ما عسيت أن أقول فيه؟! ومثلي لا يحسن أن يُعيب بالباطل وما لا يُعرف،

ومتى ما عبت به رجلا- بما لايعرفه الناس لم يُحفل بصاحبه، ولا يراه الناس شيئاً وكذبوه، وما عسيت أن أعيب حسينا، والله ما أرى

للعيب فيه موزعا، وقد رأيت أن أكتب إليه أتوعده وأتهدده، ثم رأيت أن لأفعل ولا أمحكه). «١»

و (لما قتل معاوية حجر بن عدى وأصحابه حج ذلك العام، فلقى الحسين بن عليّ (ع). فقال: يا أباعبدالله، هل بلغك ما صنعنا بحجر

وأصحابه وأشياعه، وشيعه أبيك؟

فقال (ع): وما صنعت بهم؟!

قال: قتلناهم، وكفناهم، وصلينا عليهم!

معالركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٧٢

فضحك الحسين (ع)، ثم قال: خصمك القوم يا معاوية، لكننا لو قتلنا شيعتك ما كفناهم، ولا صلينا عليهم، ولا قبرناهم. ولقد بلغني

وقيعتك في عليّ، وقيامك ببغضنا، واعتراضك بني هاشم بالعيوب، فأذا فعلت ذلك فارجع إلى نفسك ثم سلها الحق عليها ولها، فإن

لم تجدها أعظم عيبا فما أصغر عيبك فيك، وقد ظلمناك يا معاوية فلاتوترن غير قوسك، ولا ترمين غير غرضك، ولا ترمنا بالعداوة

من مكان قريب، فأئك والله لقد أطعت فينا رجلا ما قدم إسلامه، ولا حدث نفاقه، ولا نظر لك فانظر لنفسك أودع يعني (عمرو بن

عاص). «١»

وروي أن الامام الحسين (ع) كتب إلى معاوية كتابا يقرعه فيه ويبكته بامور صنعها، كان فيه: (ثم ولت ابنك وهو غلام يشرب

الشراب، ويلهو بالكلاب، فخنت أمانتك وأخربت رعيتك، ولم تؤد نصيحة ربك، فكيف تولي علي أمه محمد من يشرب المسكر؟!)

وشارب المسكر من الفاسقين، وشارب المسكر من الاشرار، وليس شارب المسكر باميين على درهم فكيف على الائمة؟! فعن قليل ترد

على عملك حين تطوى صحائف الاستغفار). «٢»

وكان معاوية يحيط علما بالكثير من حالات وأوضاع الامام الحسين (ع) لكثرة جواسيسه وعيونه الذين يرصدون الصغيرة والكبيرة من

حياة الامام (ع) الخاصة والعامة، ولقد ضاقت ذات يد الامام (ع) لكثرة جوده وسخائه، فركبه الدين.

فاغتم الفرصة معاوية، فكتب إلى الامام (ع) يريد أن يشتري منه (عين أبي نيزر) التي حفرها اميرالمؤمنين عليّ (ع) بيده الشريفة،

وأوقفها على فقرا أهل المدينة وابن السبيل، وأرسل معاوية مع الكتاب مائتي ألف دينار.

معالركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٧٣

فأبى الامام الحسين (ع) أن يبيعها وقال: (إنما تصدق بها أبى ليقى الله بها وجهه حر النار! ولست بائعها بشئ). «١»
وروى أنه كان بين الامام الحسين (ع) وبين معاوية كلام في أرض للامام (ع)، فقال له الامام الحسين (ع): (اختر خصلة من ثلاث خصال: إما أن تشتري منى حقى، وإما أن تردّه على، أو تجعل بينى وبينك ابن الزبير وابن عمر، والرابعة الصلّم).
قال: وما الصلّم؟

قال: أن أهتف بحلف الفضول.

قال: فلا حاجة لنا بالصلّم). «٢»

وروى عن محمد بن السائب أنه قال:

(قال مروان بن الحكم يوماً للحسين بن عليّ (ع): لولا فخركم بفاطمة بم كنتم تفتخرون علينا؟)

فوثب الحسين (ع) وكان (ع) شديد القبضة فقبض على حلقه فعصره، ولوى عمامته على عنقه حتى غشى عليه، ثم تركه.
وأقبل الحسين (ع) على جماعة من قريش، فقال: أنشدكم بالله إلاً صدقتموني إن صدقت، أتعلمون أن في الأرض حبيبين كانا أحبّ إلى رسول الله (ص) منى ومن أخى؟
قالوا: أاللهم لا.

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٧٤

قال: وإني لا أعلم أن في الأرض ملعون بن ملعون غير هذا وأبيه، طريدى رسول الله، والله ما بين جابرس وجابلق أحدهما بيباب المشرق والاخر بيباب المغرب رجلا من ممن ينتحل الاسلام أعدى لله ولرسوله ولا هل بيته منك ومن أبيك إذا كان. وعلامة قولى فيك أنك إذا غضبت سقط رداؤك عن منكبك!

قال: فوالله ما قام مروان من مجلسه حتى غضب، فانتفض وسقط رداؤه عن عاتقه). «١»

و (استعمل معاوية مروان بن الحكم على المدينة، وأمره أن يفرض لشباب قريش د ففرض لهم.

فقال عليّ بن الحسين (ع): فاء تيته.

فقال: ما اسمك؟

فقلت: عليّ بن الحسين.

فقال: ما اسم أخيك؟

فقلت: عليّ.

فقال: عليّ وعليّ! ما يريد أبوك أن يدع أحدا من ولده إلا سمّاه عليّا!!

ثم فرض لى، فرجعت إلى أبى فاء خبرته.

فقال: ويلي على ابن الزرقاء دباغة الأدم، لو ولد لى مائة لا حبيت أن لا أسمى أحدا منهم إلا عليّا). «٢»

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٧٥

وروى أنه (خطب الحسن (ع) عائشة بنت عثمان، فقال مروان: أزوجها عبد الله بن الزبير.

ثم إن معاوية كتب إلى مروان وهو عامله على الحجاز يأمه أن يخطب أمّ كلثوم بنت عبد الله بن جعفر لابنه يزيد، فأبى عبد الله بن جعفر، فاء خبره بذلك، فقال عبد الله: إن أمرها ليس اللى إنما هو إلى سيدنا الحسين وهو خالها.

فأخبر الحسين بذلك فقال: أستخير الله تعالى، أاللهم وفق لهذه الجارية رضاك من آل محمد.

فلما اجتمع الناس فى مسجد رسول الله أقبل مروان حتى جلس إلى الحسين (ع) وعنده من الجملة، وقال: إن أميرالمؤمنين أمرنى بذلك، وأن أجعل مهرها حكم أبيها بالغا ما بلغ، ومع صلح ما بين هذين الحيين، مع قضاء دينه، واعلم أن من يغبطكم بيزيد أكثر ممن

يغبطه بكم، والعجب كيف يستمهر يزيد وهو كفو من لا كفو له، وبوجهه يستسقى الغمام، فزُد خيرا يا أبا عبد الله!!
 فقال الحسين (ع): الحمد لله الذي اختارنا لنفسه، وارتضانا لدينه، واصطفانا على خلقه، إلى آخر كلامه.
 ثم قال: يا مروان قد قلت فسمعنا، أما قولك مهرها حكم أبيها بالغا ما بلغ، فلعمري لو أردنا ذلك ما عدونا سنّة رسول الله في بناته ونسائه وأهل بيته، وهو اثنتا عشرة أوقية يكون أربعمائه وثمانين درهما!
 وأما قولك: مع قضاء دين أبيها، فمتى كنّ نساؤنا يقضين عنّا ديونا؟!
 وأما صلح ما بين هذين الحيين فإنّ قوم عاديناكم في الله، ولم نكن نصالحكُم للدنيا، فلعمري فلقد أعيب النسب فكيف السبب؟!
 وأما قولك: العجب ليزيد كيف يستمهر، فقد استمهر من هو خيرٌ من يزيد ومن أب يزيد ومن جدّ يزيد.
 وأما قولك: إنّ يزيد كفو من لا كفوله، فمن كان كفوه قبل اليوم فهو كفوه اليوم، ما زادته إمارته في الكفاءة شيئا.

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٧٦

وأما قولك: بوجهه يستسقى الغمام، فإنّ ما كان ذلك بوجه رسول الله (ص).

وأما قولك: من يغبطنا به أكثر ممّا يغبطه بنا، فإنّ ما يغبطنا به أهل الجهل، ويغبطه بنا أهل العقل.

ثم قال بعد كلام: فاشهدوا جميعا أنّي قد زوجت أمّ كلثوم بنت عبد الله بن جعفر من ابن عمّها القاسم بن محمّد بن جعفر على أربعمائه وثمانين درهما، وقد نحلتهما ضيعتي بالمدينة، أوقال: أرضى بالعقيق، وإنّ غلّتها في السنة ثمانية آلاف دينار، ففيها لهما غنيّة إن شاء الله.

قال: فتغيّر وجه مروان، وقال: أغدرا يا بني هاشم، تاءبون إلّا العداوة.

فذكره الحسين (ع) خطبة الحسن عائشة وفعله ثمّ قال: فاءين موضع الغدر يا مروان؟! (...). «١»

وروى أنّه (ع) كان جالسا في مسجد النبيّ (ص) فسمع رجلا من بني أميّة يقول ويرفع صوته ليسمع الامام (ع): إنّنا شاركنا آل أبي طالب في النبوة حتّى نلنا منها مثل ما نالوا منها من السب والنسب، وثلنا من الخلافة ما لم ينالوا، فبم يفخرون علينا؟! وكّرر هذا القول ثلاثا.

فأقبل عليه الحسين (ع) فقال له: (إنّي كففت عن جوابك في قولك الأوّل حلما، وفي الثاني عفوا، وأما في الثالث فإنّي مجيبك. إنّي سمعت أبي يقول:

إنّ في الوحي الذي أنزله الله على محمّد (ص): إذا قامت القيامة الكبرى حشر الله بني أميّة في صور الذرّ، يطاءهم الناس د حتّى يفرغ من الحساب، ثمّ يؤ

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٧٧

تى بهم فيحاسبوا، ويُصار بهم إلى النار).

فلم يُطقّ الامويّ جوابا وانصرف وهو يتميّز من الغيظ. «١»

رعاية الامام (ع) للائمة عامّة وللشيعة خاصّة ص: ٢٧٧

من الدور العامّ المشترك لجميع ائمة أهل البيت (ع) رعايتهم للائمة الاسلاميّة عامّة وللشيعة منها خاصّة، فليس بدعا من أمر الامامة الحقّة أن يهتمّ الامام الحسين (ع) إهتماما فائقا بأمور هذه الائمة في جميع مجالات حياتها، وأن لا ياءلوا جهدا في الدفاع عنها وانقاذها من كلّ خطر وهلكة يحيقان بها، وهو الذي قدّم نفسه الزكية وأهل بيته وخاصّيته وأصحابه قرايين مقدّسة على مذبح الهدف العام من قيامه وخروجه وهو إصلاح هذه الائمة المنكوبة بعد ما شملها الفساد في كلّ أبعاد حياتها (... وإنّما خرجت لطلب الاصلاح في أمة

جدى ...)

ولما كانت مصاديق رعايته لهذه الامة في قضاياها العامة قد وردت مبثوثة في ثنايا أبحاث الابواب والفصول الاخرى من هذا الكتاب، فإننا نقتصر هنا على تقديم نماذج منتقاة من رعايته لا فراد هذه الامة، تمثل عفوه ورأفته وحنانه وكرمه وباقي سجايه السامية، ثم نعرض بعدها نماذج من رعايته للشيعه خاصه:

(جنى له غلام جنايه توجب العقاب، فامر (ع) به أن يضرب.

فقال: يا مولاي، (والكاظمين الغيظ).

قال (ع): (خلوا عنه!)

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٧٨

فقال: يا مولاي، (والعافين عن الناس).

قال (ع): (قد عفوتُ عنك!)

قال: يا مولاي، (والله يحب المحسنين).

قال (ع): (أنت حرّ لوجه الله، ولك ضعف ما كنت أعطيك). «١»

و (خرج سائل يتخطى أزقة المدينة حتى أتى باب الحسين بن عليّ (ع)، ففرع الباب وأنشاء يقول:

لم يخب اليوم من رجاك ومن حرّك من خلف بابك الحلقة

فأنت ذوالجود، أنت معدته أبوك قد كان قاتل الفسقه

قال: وكان الحسين بن عليّ (ع) واقفا يصلي، فخفف من صلاته، وخرج إلى الاعرابي فرأى عليه أثر ضرّ وفاقه، فرجع ونادى بقنبر

فأجابته: لبيك يا ابن رسول الله (ص).

قال (ع): ما تبقى معك من نفقتنا؟

قال: مائتا درهم، أمرتني بتفريقها في أهل بيتك.

فقال (ع): فهاتها، فقد أتى من هو أحقُّ بها منهم.

فأخذها (من قنبر) وخرج فدفعها إلى الاعرابي، وأنشاء يقول:

خذها فإنّي إليك معذر واعلم بآئي عليك ذوشفقه

لو كان في سيرنا الغداة عصا كانت سمانا عليك مندفقه

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٧٩

لكن ريب الزمان ذونكيد والكف منا قليلة النفقه

قال: فأخذها الاعرابي وولى، وهو يقول:

مطهرون نقيات جيوبهم تجرى الصلاة عليهم أينما ذكروا

وأنتم أنتم الاعلون، عندكم علم الكتاب وما جاءت به السور

من لم يكن علويًا حين تنسبه فماله في جميع الناس مفتخر «١»

وفي رواية: (قال: فأخذها الاعرابي وبكى.

فقال (ع) له: لعلك استقللت ما أعطيناك؟

قال: لا، ولكن كيف ياء كل التراب جودك؟! «٢»

و (دخل الحسين (ع) على أسامة بن زيد وهو مريض، وهو يقول: واغمّاه.

فقال له الحسين (ع): ما غمّك يا أخي؟

قال: ديني، وهو ستون ألف درهم.

فقال له الحسين (ع): هو عليّ.

قال: إني أخشى أن أموت.

فقال له الحسين (ع): لن تموت حتى أفضيها عنك.

فقضاها قبل موته). «٣»

وروى أنه (ع): (دخل المستراح، فوجد لقمه ملقاة، فدفعها إلى غلام له،

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٨٠

فقال: يا غلام، أذكرني بهذه اللقمة إذا خرجت.

فأكلها الغلام.

فلما خرج الحسين بن عليّ (ع) قال: يا غلام أين اللقمة؟

قال: أكلتها يا مولاي.

قال: أنت حرّ لوجه الله تعالى.

قال له رجل: أعتقته يا سيدي!؟

قال: نعم، سمعت جدّي رسول الله (ص) يقول: من وجد لقمه ملقاة فمسح منها أو غسل ما عليها ثم أكلها لم تستقرّ في جوفه إلّا أعتقه

الله من النار. (ولم أكن أستعبد رجلا أعتقه الله من النار). «١»

و (مرّ الحسين بن عليّ (ع) بمساكين قد بسطوا كساء لهم فاءلقوا عليه كسرا،

فقالوا: هلمّ يا ابن رسول الله (ص)!

فثنى وركه فاءكل معهم، ثم تلا: (إنّ الله لا يحبّ المستكبرين).

ثم قال: قد أجبتكم فاءجيبوني.

قالوا: نعم يا ابن رسول الله (ص) ...

فقاموا معه حتى أتوا منزله ...

فقال (ع) للرباب: أخرجني ما كنت تدخرين). «٢»

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٨١

(وجاءه رجل من الانصار يريد أن يسأله حاجه ...

فقال (ع): يا أبا الانصار صن وجهك عن بذل المساءله، وارفع حاجتك في رقعه، فإنّي آت فيها ما سارّك إن شاء الله.

فكتب: يا أبا عبد الله، إنّ لفلان عليّ خمسمائة دينار، وقد ألحّ بي، فكلّمه ينظرني إلى ميسره.

فلما قرأ الحسين (ع) الرقعه دخل إلى منزله فاءخرج صره فيها ألف دينار،

وقال (ع) له: أما خمسمائة فاقض بها دينك، وأما خمسمائة فاستعن بها على دهرك، ولا ترفع حاجتك إلّا إلى أحد ثلاثة: إلى ذي

دين أو مروءة أو حسب، فاءمّا ذو الدين فيصون دينه، وأمّا ذو المروءة فإنّه يستحي لمروءته، وأمّا ذو الحسب فيعلم أنّك لم تكرم

وجهك أن تبذله له في حاجتك، فهو يصون وجهك أن يردّك بغير قضاء حاجتك). «١»

و (مرّ الحسين بن عليّ (ع) براع، فاءهدى الراعي إليه شاء،

فقال له الحسين (ع): حرّ أنت أم مملوك؟

فقال: مملوك.

فردّها الحسين (ع) عليه ..

فقال له المملوك: إنّها لى.

فقبلها منه، ثم اشتراه واشترى الغنم، فاعتقه، وجعل الغنم له. (٢)

وروى (أنّ الحسين (ع) كان جالسا في مسجد جدّه رسول الله (ص)، بعد

مع الركب الحسينى (ج ١)، ص: ٢٨٢

وفاء أخيه الحسن (ع)، وكان عبدالله بن الزبير جالسا في ناحية المسجد، وعتبه بن أبى سفيان في ناحية أخرى، فجاء أعرابى على ناقه

فعقلها باب المسجد ودخل، فوقف على عتبه بن أبى سفيان فسلمّ فردّ عليه السلام

فقال له الاعرابى: إنّى قتلت ابن عمّ لى، وطولبت بالديه، فهل لك أن تعطينى شيئا؟

فرفع رأسه إلى غلامه وقال: إُدفع إليه مائة درهم.

فقال الاعرابى: ما أريد إلّا الدية تماما!

ثم تركه وأتى عبدالله بن الزبير، وقال له مثل ما قال لعتبه.

فقال عبدالله لغلامه: إُدفع إليه مائتى درهم.

فقال الاعرابى: ما أريد إلّا الدية تماما!

ثم تركه وأتى الحسين (ع)، فسلمّ عليه

وقال: يا ابن رسول الله، إنّى قتلت ابن عمّ لى، وقد طولبت بالديه، فهل لك أن تعطينى شيئا؟

فقال (ع) له: يا اعرابى، نحن قوم لانعطى المعروف إلّا على قدر المعرفة.

فقال: سل ما تريد.

فقال له الحسين (ع): يا أعرابى، ما النجاة من الهلكة؟

قال: التوكّل على الله عزّ وجلّ.

فقال (ع): وما الهمة؟

قال: الثقة بالله.

مع الركب الحسينى (ج ١)، ص: ٢٨٣

ثمّ ساء له الحسين (ع) غير ذلك وأجاب الاعرابى، فاءمر له الحسين (ع) بعشرة آلاف درهم، وقال له: هذه لقضاء ديونك. وعشرة

آلاف درهم أخرى، وقال:

هذه تلمّ بها شعثك وتحسّن بها حالك وتنفق منها على عيالك. فاءنشأ الاعرابى يقول:

طَرِبْتُ وما هاج لى مَعْبُوقٌ ولا لى مقامٌ ولا مَعشُوقٌ

ولكن طَرِبْتُ لا لِ الرسولِ فلذَّ لى الشعرُ والمنطقُ

هم الاكرمون، هم الانجبون نجوم السماء بهم تُشرِقُ

سبقت الانام إلى المكرمات فقصر عن سبقك السُّبِقُ

بكم فتح الله باب الرشاد وباب الفساد بكم مغلق «١»

وفى رواية أنّه (وجد على ظهره (ع) يوم الطفّ أثر، فسئل زين العابدين (ع) عن ذلك، فقال: هذا ممّا كان ينقل الجراب على ظهره

إلى منازل الارامل واليتامى والمساكين). «٢»

وأما عنايته الخاصة بالشيعة ورعايته لهم ...

فقد أولى الامام الحسين (ع) شأنا جميع أئمة أهل البيت (ع) شيعته عناية فائقة ورعاية خاصة، وحرص في ظرفه السياسي الاجتماعي الشديد الحساسية والخطورة على حفظهم من كل سوء، وعمل بما وسعه الامكان على إبقائهم بمنايا عن منال يد البطش الاموي الهادف إلى محو الوجود الشيعي من خريطة المجتمع الاسلامي.

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٨٤

ويمكن أن نلاحظ بوضوح تام حرص الامام (ع) على حفظ الشيعة في وصاياه العامة لهم بعد الصلح مع معاوية في حياة الامام الحسن (ع) وبعد شهادته، كمثل قوله (ع): (... فالصقوا بالا-رض، وأخفوا الشخص، واكتموا الهوى، واحترسوا...). «١» وكقوله (ع): (... فليكن كل رجل منكم جلسا من أحلاس د بيته...)، «٢» كما يمكن أن نلاحظ ذلك في استقباله وفود الشيعة من أقطار البلاد الاسلامية وحرصه على إخفاء هذه اللقاءات عن عيون الرصد الاموي، وكان صلوات الله عليه يحرص على توعية وفود الشيعة ووجهاتهم على حقائق مجريات الامور في إطار التزامه بالهدنة مع معاوية، ويبت فيهم من هدى أهل البيت (ع) ما يركز الايمان والمعرفة في قلوبهم، ويقوى ارتباطهم يا مامهم، ويزيد من صبرهم على المكاره، ويعرفهم منزلتهم عند الله تعالى.

روى أنه: (وفد إلى الحسين صلوات الله عليه وفداً

فقالوا: يا ابن رسول الله، إن أصحابنا وفدوا إلى معاوية، ووفدنا نحن إليك.

فقال: إذن أجزىكم بآء أكثر مما يجيزهم.

فقالوا: جعلنا فداك، إنما جئنا لدينا.

قال فطاء رأسه ونكت في الارض، وأطرق طويلا، ثم رفع رأسه ...

فقال: قصيرة من طويله، من أحبنا لم يحبنا لقربا بيننا وبينه ولا-لمعروف أسديناه إليه، إنما أحبنا لله ورسوله، جاء معنا يوم القيامة كهاتين وقرن بين سبأتيه). «٣»

وروى عنه (ع) أنه قال: (والله، البلاء والفقر والقتل أسرع إلى من أحبنا من

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٨٥

ركض د البراذين، ومن السيل إلى صمره!). «١»

وعن حبابه الوالبيته قالت: (سمعت الحسين بن عليّ (ع) يقول: نحن وشيعتنا على الفطرة التي بعث الله عليها محمدا (ص) وسائر الناس منها برأ). «٢»

وكان صلوات الله عليه يحث أهل المعرفة والعلم من الشيعة ليكفلوا إخوانهم المحرومين من العلم، المنقطعين عن مواليتهم، الذين هم يتامى آل محمّد (ص)، ويرشدوهم ويهدوهم ويخرجوهم من ظلمة الجهل.

وقد رويت عنه (ع) في ذلك نصوص كريمة منها: (فضل كافل يتيم آل محمّد المنقطع عن مواليتهم، الناشب في رتبة الجهل، يخرج من جهله، ويوضح له ما اشتبه عليه على فضل كافل يتيم يطعمه ويسقيه، كفضل الشمس على الشها). «٣»

و (من كفل لنا يتيما قطعته عنا محتتنا باستنارنا، فواساه من علومنا التي سقطت إليه حتى أرشده وهداه، قال الله عز وجل: يا أيها العبد الكريم المواسي لا خيه أنا أولى بالكرم منك، إجعلوا له يا ملائكتي في الجنان بعدد كل حرف علمه ألف قصر، وضموها إليها ما يليق بها من سائر النعيم). «٤»

وكان صلوات الله عليه يحنو على أفراد الشيعة حنوًا خاصًا يفوق حنو الوالد على ولده، وقد رويت عنه (ع) في ذلك أخبار كثيرة، اخترنا منها نماذج على

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٨٦

سبيل المثال:

روى عن صالح بن ميثم أنه قال: (دخلتُ أنا وعباية الاسدي على حِجَابِة الوالبيّة).

فقال لها: هذا ابن أخيك ميثم.

قالت: ابن أخي والله حقًا، ألا أحدثكم بحديث عن الحسين بن عليّ (ع).

فقلت: بلى.

قالت: دخلتُ عليه وسلّمتُ فردّ السلام ورحّب.

ثمّ قال (ع): ما بطّاء بك عن زيارتنا والتسليم علينا يا حِجَابِة؟

قلت: ما بطّاءني إلّا علّة عرضت.

قال: وما هي؟

قالت: فكشفتُ خماري عن برص.

قالت: فوضع يده على البرص، ودعا فلم يزل يدعو حتّى رفع يده، وكشف الله ذلك البرص، ثمّ قال: يا حِجَابِة، إنّه ليس أحدٌ على ملّة

إبراهيم في هذه الامة غيرنا وغير شيعتنا، ومن سواهم منها برأ. «١»

وعن يحيى بن أمّ الطويل قال: (كنا عند الحسين (ع) إذ دخل عليه شابّ يبكي.

فقال له الحسين (ع): ما يبكيك؟

قال: إنّ والدتي توفّيت في هذه الساعة ولم توص، ولها مال، وكانت قد

مع الراكب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٨٧

أمرتني ألأأحدث في امرها شيئاً حتّى اءعلمك خبرها.

فقال الحسين (ع): قوموا بنا حتّى نصير إلى هذه الحرّة.

فقمنا معه حتّى انتهينا إلى باب البيت الذي توفّيت فيه المرأة، وهي مسجّاة.

فأشرف على البيت ودعا الله ليحييها حتّى توصى بما تحبّ من وصيّتها، فأحياها الله تعالى، فأذا المرأة جلست وهي تتشّهّد، ثمّ

نظرت الى الحسين (ع).

فقالت: أدخل البيت يا مولاي، ومرني بأمرك.

فدخل وجلس على مخدّة، ثمّ قال (ع) لها: وصّي، يرحمك الله.

فقالت: يا ابن رسول الله، إنّ لي من المال كذا وكذا في مكان كذا وكذا، وقد جعلتُ ثلثه إليك لتضعه حيث شئت من أوليائك،

والثلثان لابني هذا، إن علمت أنه من مواليك وأوليائك، وإن كان مخالفاً فخذه إليك، فلا حقّ للمخالفين في أموال المؤمنين.

ثمّ سألته أن يصلّي عليها وأن يتولّى أمرها، ثمّ صارت المرأة ميتة كما كانت. «١»

و (عن الحسن البصري قال: كان الحسين (ع) سيّدا زاهداً، ورعاً، صالحاً، ناصحاً، حسن الخلق، فذهب ذات يومٍ مع أصحابه إلى بستان

له، وكان في ذلك البستان غلام يقال له، صافى.

فلما قرب من البستان رأى الغلام يرفع الرغيف فيرمى بنصفه إلى الكلب ويأكل نصفه، فتعجّب الحسين (ع) من فعل الغلام، فلما فرغ

من الاكل قال:

الحمد لله ربّ العالمين، اللهم اغفر لي ولسيّدي، وبارك له كما باركت على أبويه، يا أرحم الراحمين.

مع الراكب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٨٨

فقام الحسين (ع) ونادى: يا صافى.

فقال الغلام فرعا وقال: يا سيدي وسيّد المؤمنين إلى يوم القيامة، إنّي ما رأيتك فاعف عني.

فقال الحسين (ع): إجعلني في حلّ يا صافي، دخلت بستانك بغير إذنك!

فقال صافي: بفضلك وكرمك وسؤددك تقول هذا!

فقال الحسين (ع): إنّي رأيتك ترمي بنصف الرغيف إلى الكلب وتاء كل نصفه، فما معنى ذلك؟

فقال الغلام: يا سيدي، إنّ الكلب ينظر إليّ حين آكل، فأني أستحي منه لنظره إليّ، وهذا كلبك يحرس بستانك من الاعداء، وأنا

عبدك، وهذا كلبك، ناء كل من رزقك معا.

فبكى الحسين (ع) ثم قال: إنّ كان كذلك، فاءنت عتيق لله.

ووهب له ألف دينار!

فقال الغلام: إن أعتقتني فأني أريد القيام بستانك.

فقال الحسين (ع): إنّ الكريم إذا تكلم بكلام ينبغي أن يصدقه بالفعل، البستان أيضا وهبته لك، وإنّي لما دخلت البستان قلت: إجعلني

في حلّ فأني قد دخلت بستانك بغير إذنك، كنت قد وهبت البستان بما فيه، غير أنّ هؤلاء أصحابي، لا- كلهم الثمار والرطب

فاجعلهم أضيافك وأكرمهم لا جلي، أكرمك الله يوم القيامة، وبارك لك في حسن خلقك ورأيك.

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٨٩

فقال الغلام: إن وهبت لي بستانك، فأني قد سبلته لا صاحبك). (١)

قاطعيته (ع) في رفض الافرار بولاية يزيد والبيعة له ص: ٢٨٩

مختصر قصة البيعة ليزيد بولاية العهد ص: ٢٨٩

كان المغيرة بن شعبه وهو من رؤوس جماعة النفعيين في حركة النفاق، ومن دهاة العرب ومحترفي المكر والغدر، وممن خدم معاوية طويلا قد بلغه أنّ معاوية يريد عزله عن ولاية الكوفة واستعمال سعيد بن العاص مكانه، فرأى أن يذهب إلى معاوية فيستعفى من منصبه عنده قبل صدور الامر بعزله، ليظهر للناس د بمظهر الكاره الولاية الزاهد فيها.

لكنّ تعلّقه الشديد حقيقته بمنصب الولاية دفعه إلى التفكير مليا وهو في الطريق إلى الشام بحيلة تصرف معاوية عن عزله، فلم ير وهو الخبير بمعاوية من حيلة أفضل من إثارة أمنيّة معاوية الكبرى التي لم تساعده الظروف على التحرك عمليا لتحقيقها حتّى ذلك الوقت، وهي أمنيته في عقد البيعة بالخلافة من بعده لابنه يزيد.

فقّر المغيرة بن شعبه أن يعزف على أوتار هذه الامنيّة المكونة في قلب معاوية، ويدعو إلى إثارتها وإظهارها، ويبيد استعداده للخدمة من أجل تحقيقها، لعلّ معاوية ينصرف بذلك عن عزله فيبقيه واليا على الكوفة.

ورأى المغيرة أن يدخل أوّلا على يزيد نفسه فيثير فيه خفته إلى مثل هذا الامر، ليكون يزيد بعد ذلك مفتاح المدخل إلى قلب أبيه، (ومضى حتّى دخل على يزيد، وقال له: إنّ قد ذهب أعيان أصحاب النبيّ (ص)، وآله

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٩٠

وكبراً قريش وذوو أسنانهم، وإنّما بقي أبنائهم، وأنت من أفضلهم وأحسنهم رأيا وأعلمهم بالسنة والسياسة! ولا أدري ما يمنع

اميرالمؤمنين أن يعقد لك البيعة!؟

قال: اءوتري ذلك ينمّ!؟

قال: نعم.

فدخل يزيد على أبيه وأخبره بما قال المغيرة، فاء حضر المغيرة ...

وقال له: ما يقول يزيد؟!

فقال: يا اميرالمؤمنين، قد رأيت ما كان من سفك الدماء والاختلاف بعد عثمان، وفي يزيد منك خلف، فاعقد له فإن حدث بك حادثٌ كان كهفا للناس، وخلفا منك، ولا تُسفك دماء ولا تكون فتنه.

قال: ومن لي بهذا؟!!

قال: أكفيك أهل الكوفة، ويكفيك زياد أهل البصرة، وليس بعد هذين المصرين أحدٌ يخالفك.

قال: فارجع إلى عملك وتحدّث مع من تثق إليه في ذلك، وترى ونرى.

فودّعه ورجع إلى أصحابه، فقالوا: مه؟!!

قال: لقد وضعتُ رجل معاوية في غرزٍ بعيد الغاية على أمّة محمد، وفتقت عليهم فتقا لا يترق أبدا ...!!

وسار المغيرة حتّى قدم إلى الكوفة، وذاكر من يتق إليه ومن يعلم أنّه شيعةُ بنى أميةُ أمر يزيد، فاء جابوا إلى بيعته، فاء وفد منهم عشرة، ويقال أكثر من عشرة، وأعطاهم ثلاثين ألف درهم، وجعل عليهم ابنه موسى بن المغيرة،

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٩١

وقدموا على معاوية فزيّنوا له بيعة يزيد ودعوه إلى عقدها.

فقال معاوية: لاتعجلوا يا ظهار هذا، وكونوا على رأيكم.

ثم قال لموسى: بكم اشترى أبوك من هؤلاء دينهم؟!!

قال: بثلاثين ألفا.

قال: لقد هان عليهم دينهم ... «١»

وقوى عزم معاوية على البيعة ليزيد، فاء رسل إلى زياد يستشيريه، لكنّ زيادا كتب إلى معاوية يشير عليه بالتريث وعدم العجلة حتّى ياءتى الوقت المناسب.

وهناك رأى يقول إنّ معاوية كان قد أشار بالبيعة ليزيد في حياة الامام الحسن (ع) وعرض بها، ولكنّه لم يكشفها ولا عزم عليها إلّا بعد موت الحسن (ع). «٢» ويؤيد ذلك الرواية التاريخية التي تقول إنّ معاوية سافر إلى المدينة سنة خمسين قبيل وفاة الامام الحسن

(ع)، في محاولة لجس نبض المدينة في قضيتّه فكرة البيعة ليزيد، وعقد فيها اجتماعا مغلقا مع عبدالله بن جعفر، وعبدالله بن عباس، وعبدالله بن الزبير، وعبدالله بن عمر وطرح عليهم نيته في عقد البيعة ليزيد، لكنّ هذا الاجتماع المغلق باء بالفشل الذريع لانّ هؤلاء

العبادلة عارضوا هذه الفكرة بشدة. فسكت معاوية عن ذكر البيعة ليزيد إلى سنة إحدى وخمسين، أى إلى ما بعد وفاة الامام الحسن (ع). «٣» وتقول بعض المصادر التاريخية إنّ معاوية لم يلبث بعد وفاة الامام الحسن (ع) إلّا يسيرا

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٩٢

حتّى بايع ليزيد في الشام، وكتب ببيعته إلى الافاق. «١» وقيل إنّ تريت في ذلك حتّى مات زياد الذي لم يكن في الحقيقة يرجح لمعاوية هذا التوجه في عقد البيعة ليزيد. «٢»

فلما مات زياد عزم معاوية على البيعة لابنه يزيد ... وكتب إلى مروان بن الحكم قائلا: (إني قد كبرت سني، ودق عظمي، وخشيت الاختلاف على الامية بعدى!)، وقد رأيت أن أتخير لهم من يقوم بعدى، وكرهت أن أقطع أمرا دون مشورة من عندك، فاء عرض ذلك عليهم وأعلمني بالذي يردون عليك).

فقام مروان في الناس فاء خبرهم به ...

فقال الناس: أصاب ووفق، وقد أحببنا، أن يتخير لنا فلا ياءلوا!!

فكتب مروان إلى معاوية بذلك، فاء عاد إليه الجواب يذكر يزيد.

فقام مروان فيهم وقال: إن أميرالموءمنين قد اختار لكم فلم ياءل، وقد استخلف ابنه يزيد بعده (...). «٣»

فقام إليه وجهاء المدينة فاءنكروا ذلك عليه وعلى معاوية، كالا مام الحسين (ع) وعبدالرحمن بن أبي بكر وابن الزبير وابن عمر. وكان معاوية قد قام حينذاك بحملة إعلامية ودعائية كبيرة ليزيد، فقد كتب إلى عماله بتقريظ يزيد ووصفه بالا وصاف الحميدة التي تجعله في أعين الناس د أهلا للخلافة، كما أمر عماله أن يوفدوا إليه الوفود من الامصار، ولم

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٩٣

يزل معاوية يعطى المقارب ويُدارى المباعد ويلطف به حتى استوثق له أكثر الناس وبايعوه على ذلك!!

وبقيت معضلة معاوية الكبرى في استعصاء المدينة بوجهائها، وتقول المصادر التاءريخية إن معاوية استشعر برودة موقف مروان وعدم اندفاعه في مشروع أخذ الناس بالبيعة ليزيد، فعزله وجعل محلّه سعيد بن العاص، الذي حاول أخذ الناس د في ذلك بالغلظة والشدة، لكنّه لم يفلح في مسعاه، فكتب إلى معاوية قائلاً: (أما بعد، فإنك أمرتني أن أدعو الناس لبيعة يزيد بن اميرالموءمنين، وأن أكتب إليك بمن سارع ممن أبطاء، وإني أءخبرك اءن الناس عن ذلك بطاء لاسيما أهل البيت من بنى هاشم، فإنّه لم يجيبني منهم أحد، وبلغني عنهم ما أكره، وأما الذي جاهر بعداوته وإبائه لهذا الامر فعبدالله بن الزبير، ولست أقوى عليهم إلا بالخيل والرجال، أو تقدم بنفسك فترى رأيك في ذلك، والسلام). «١»

المواجهات الحادة ص : ٢٩٣

فكتب معاوية إلى كل من الامام الحسين (ع) وعبدالله بن عباس وعبدالله بن جعفر وعبدالله بن الزبير، وأمر سعيد بن العاص أن يوصلها إليهم ثم يبعث إليه بجواباتها، وأمره بالحزم والتصلب مع الرقق وتجب الخرق، وكان مما أوصاه في التعامل مع الامام الحسين (ع) أن قال: (وانظر حسينا خاصة، فلا يناله منك مكروه، فإن له قرابه وحقا عظيما لا ينكره مسلم ولا مسلمة، وهوليث عرين، ولست آمنك إن شاورته أن لاتقوى عليه (...). «٢»

وكان كتاب معاوية إلى الامام الحسين (ع): (أما بعد: فقد انتهت الي منك أ مور، لم أكن أظنك بها رغبة عنها، وإن أحق الناس بالوفاء لمن أعطى بيعته من

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٩٤

كان مثلك في خطرک وشرفک ومنزلتک التي أنزلک الله بها، فلا تنازع إلى قطيعتک، وأتق الله ولا تردن هذه الامية في فتنه، وانظر لنفسک ودينک وأمة محمد، ولا يستخفنک الذين لا يوقنون). «١»

أما الامام الحسين (ع) فقد رد على معاوية الرد الاحتجاجي الشامل الذي تضمن إدانته معاوية بقتل حجر بن عدی وأصحابه العابدين، وبقتل الصحابي الجليل عمرو بن الحمق، وبقتل عبدالله بن يحيى الحضرمي، وباستلحاقه زياد بن عبيد الرومي ثم تسليطه على الامة ببطش بها، وذكره مغتية سوء العاقبة وزوال الدنيا، وأن لله كتابا لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، وكانت الفقرة الختامية في هذا الرد الشامل: (واعلم أن الله ليس بناس لك قتلک بالظنة وأخذک بالتهمة، وإمارتک صبيبا يشرب الشراب ويلعب بالكلاب، ما أراك إلا وقد أوبقت نفسك وأهلكت دينک وأضعت الرعية، والسلام). «٢»

يقول ابن قتيبة: (وذكروا أنه لما جاوب القوم معاوية بما جاوبوه من الخلاف لا مره والكرهية لبيعه ليزيد، كتب إلى سعيد بن العاص ياءمره أن ياءخذ أهل المدينة بالبيعة ليزيد أخذا بغلظة وشدة، ولا يدع أحدا من المهاجرين والانصار وأبناءهم حتى يبايعوا، وأمره ألا يحرك هؤلاء النفر ولا يهيجهم. فلما قدم عليه كتاب معاوية أخذهم بالبيعة أعنف ما يكون من الاخذ وأغلظه فلم يبايعه أحد منهم. فكتب إلى معاوية أنه لم يبايعني أحد، وإنما الناس تبع لهؤلاء النفر، فلو بايعوك بايع الناس جميعا ولم يتخلف عنك أحد. فكتب إليه

معاوية ياء مره ألاً يحزّكهم إلى أن يقدم، فقدم معاوية المدينة حاجاً، فلما أن دنا من المدينة خرج إليه الناس د يتلقّونه ... حتى إذا مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٩٥

كان بالجرف لقيه الحسين بن علي وعبد الله بن عباس، فقال معاوية: مرحبا بابن بنت رسول الله، وابن صنو أبيه، ثم انحرف إلى الناس فقال: هذان شيخان بنى عبد مناف، وأقبل عليهما بوجهه وحديثه، فرحب وقرب، وجعل يواجه هذا مرّة ويضاحك هذا أخرى حتى ورد المدينة، فلما خالطها لقيته المشاة والنساء والصبيان يسلمون عليه ويسأرونه إلى أن نزل فانصرفا عنه (...). «١»
ثم إنّه أرسل إلى الامام الحسين (ع)، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عمر، وعبدالرحمن بن أبي بكر، كل على انفراد، ودعاهم إلى قبول البيعة ليزيد، لكنّه لم يحصل منهم على ما يريد ...

وفي اليوم الثاني، جلس مجلسه، وأمر حاجبه أن لا ياءذن لا-حد من الناس وإن قرب، (ثم أرسل إلى الحسين بن علي وعبد الله بن عباس، فسبق ابن عباس، فلما دخل وسلم عليه أقعده في الفراش على يساره فحادثه مليا ...
حتى أقبل الحسين بن علي (ع)، فلما رآه معاوية جمع له وسادة كانت على يمينه، فدخل الحسين وسلم، فاءشار إليه فاءجلسه عن يمينه مكان الوسادة، فساءله معاوية عن حال بنى أخيه الحسن وأسنانهم، فاءخبره ثم سكت.

قال: ثم ابتداء معاوية فقال: أما بعد، فالحمد لله وليّ النعم، ومنزل النقم، وأشهد أن لا إله إلا الله المتعالى عمّا يقول الملحدون علوا كبيرا، وأنّ محمّدا عبده المختصّ المبعوث إلى الجنّ والانس كافّة لينذرهم بقرآن لا ياءتية الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، فاءدى عن الله وصدع باء مره وصبر عن الاذى فى جنبه، حتى أوضح دين الله وأعزّ أولياءه،
مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٩٦

وقمع المشركين وظهر أمر الله وهم كارهون، فمضى صلوات الله عليه وقد ترك من الدنيا ما بُذل له واختار منها الترك لما سخر له زهادة واختيارا لله واءنفة واقتدارا على الصبر بغيا لما يدوم ويبقى، فهذه صفة الرسول (ص).
ثم خلفه رجلان محفوظان وثالث مشكوك، وبين ذلك خوض طال ما عالجنه مشاهدة ومكافحة ومعانئة وسماعا، وما أعلم منه فوق ما تعلمان.

وقد كان من أمر يزيد ما شيقتم إليه وإلى تجويزه، وقد علم الله ما أحاول به من أمر الرعية، من سدّ الخلل ولمّ الصدع بولاية يزيد، بما أيقظ العين وأحمد الفعل، هذا معنای فى يزيد، وفيكما فضل القرابة وحظوة العلم وكمال المروءة، وقد أصبت من ذلك عند يزيد على المناظرة والمقابلة ما أعيانى مثله عندكما وعند غيركما، مع علمه بالسنة وقرأه القرآن والحلم الذى يرجح بالصمّ الصلاب!!
وقد علمتما أنّ الرسول المحفوظ بعصمة الرسالة قدّم على الصديق والفاروق ومن دونهما من أكابر الصحابة وأوائل المهاجرين يوم غزوة السلاس من لم يقارب القوم ولم يعاندهم برتبة فى قرابة موصولة ولا سينة مذكورة، فقادهم الرجل باء مره، وجمع بهم صلاتهم، وحفظ عليهم فيئهم، وقال ولم يقل معه، وفى رسول الله (ص) أسوة حسنة.

فمهلا- بنى عبدالمطلب، فإنا وأنتم شعبا نفع وجد، وما زلت أرجو الانصاف فى اجتماعكما، فما يقول القائل إلا بفضل قولكما، فردّا على ذى رحم مستعيب ما يحمد به البصيرة فى عتابكما، وأستغفر الله لى ولكما.
قال: فتيسر ابن عباس للكلام، ونصب يده للمخاطبة.

فاءشار إليه الحسين فقال: على رسلك، فاءنا المراد ونصيبى فى التهمة أوفر!
فاءمسك ابن عباس، فقام الحسين فحمد الله وصلّى على الرسول، ثم قال:

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٩٧

(أما بعد يا معاوية فلن يؤدّى القائل وإن أطب فى صفة الرسول (ص) من جميع جزءا، وقد فهمت ما لبست به الخلف بعد رسول الله من إيجاز الصفة والتنكب عن استبلاغ البيعة.

وهيئات هياها يا معاوية، فضح الصبح فحمة الدجى، وبهرت الشمس أنوار السُّرُج، ولقد فضّلت حتى أفرطت، واستاءت ثرت حتى أجهفت، ومنعت حتى بخلت، وجرّت حتى جاوزت، ما بذلت لذي حقّ من أتمّ حقه بنصيب، حتى أخذ الشيطان حظه الاوفر ونصيبه الاكمل!!

وفهمت ما ذكرته عن يزيد، من اكتماله وسياسته لامّة محمّد، تريد أن توهم الناس في يزيد، كاءنك تصف محجوبا، أو تنعت غائبا، أو تخبر عما كان مما احتويته بعلم خاصّ.

وقد دلّ يزيد من نفسه على موقع رأيه، فخذ ليزيد فيما أخذ به من استقرائه الكلاب المهارشة عند التحارش، والحمام السُّبِق لا تراهنّ، والقينات ذوات المعازف، وضروب الملاهي، تجده ناصرا.

ودع عنك ما تحاول، فما أغناك أن تلقى الله بوزر هذا الخلق باءكثر ممّا أنت لاقية، فوالله ما برحت تقدح باطلا في جور، وحنقا في ظلم، حتى ملات الاسقية، وما بينك وبين الموت إلاغمضة، فتقدم على عملٍ محفوظٍ في يومٍ مشهودٍ، ولات حين مناص.

ورأيتك عرّضت بنا بعد هذا الامر، ومنعتنا عن آبائنا تراثا، ولقد لعمر الله أورثنا الرسول (ص) ولادة، وجئت لنا بها ما حججتم به القائم عند موت الرسول، فاءذعن للحجّة بذلك، وردّه الايمان إلى النصف، فركبتم الاعاليل وفعلمتم الافاعيل، وقلتم كان ويكون، حتى أتاك الامر يا معاوية من طريق كان قصدها لغيرك، فهناك فاعتبروا يا أولى الابصار.

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٩٨

وذكرت قيادة الرجل القوم بعهد رسول الله (ص) وتاءميره له، وقد كان ذلك لعمر بن العاص يومئذ فضيلة بصحبة الرسول وبيعه له وما صار لعمر يومئذ حتى اءنّف القوم امرته وكرهوا تقديمه وعدوا عليه اءفعاله، فقال (ص): لا جرم معشر المهاجرين لا يعمل عليكم بعد اليوم غيري. فكيف يُحتجّ بالمنسوخ من فعل الرسول في أوكد الاحوال وأولاها بالمجتمع عليه من الصواب؟! أم كيف صاحبت بصاحب تابعا، وحولك من لا يؤمن في صحبته ولا يعتمد في دينه وقرابته، وتتخطاهم إلى مسرف مفتون، تريد أن تلبس الناس د شبهة يُسعد بها الباقي في دنياه وتشقى بها في آخرتك، إنّ هذا لهو الخسران المبين، وأستغفر الله لى ولكم.

قال: فنظر معاوية إلى ابن عباس، فقال: ما هذا يا ابن عباس؟! ولما عندك أدهى وأمرّ.

فقال ابن عباس: لعمر الله، إنّها لذريّة الرسول، وأحد أصحاب الكساء، ومن البيت المطهر، فاله عّما تريد، فإنّ لك في الناس مقنعا حتى يحكم الله باءمره، وهو خير الحاكمين (...) «١»

وكان قد أرسل بعدهما إلى عبدالرحمن بن أبي بكر وعبدالله بن الزبير وعبدالله بن عمر، وطلب إليهم أن يبايعوا يزيد، وادعى أنّها قضاء من قضاء الله الذي ليس د للعباد الخيرة فيه! فردّ عليه عبدالرحمن بن أبي بكر بشدّة رافضا ذلك، وكذلك فعل ابن الزبير، ومع أن ابن عمر كان لينا في ردّه لقوله: (...) ولكنى إن استقام الناس د فساءدخل في صالح ما تدخل فيه أمية محمّد «٢» لكنّ اجتماع معاوية بهؤ لاء الثلاثة قد انفضّ أيضا دون أية نتيجة يرجوها معاوية.

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٢٩٩

ثمّ إنّّه (احتجب عن الناس ثلاثة أيام لا يخرج، ثمّ خرج فاءمر المنادى أن ينادى في الناس أن يجتمعوا لا مرّ جامع، فاجتمع الناس في المسجد، وقعد هو لاء حول المنبر. فحمدالله وأثنى عليه، ثمّ ذكر يزيد وفضله وقرآته القرآن، ثمّ قال: يا أهل المدينة، لقد هممت بيعة يزيد، وما تركت قرية ولا مدرة إلا بعثت إليها ببيعه فبايع الناس جميعا وسلّموا، وأخرت المدينة بيعة، وقلت بيضته وأصله ومن لأخافهم عليه، وكان الذين أبوا البيعة منهم من كان أجدر أن يصله، ووالله لو علمت مكان أحدٍ هو خيرٌ للمسلمين من يزيد لبايعت له!

فقام الحسين فقال: والله لقد تركت من هو خير منه أبا وأما ونفسا!

فقال معاوية: كاءنك تريد نفسك؟

فقال الحسين: نعم، أصلحك الله.

فقال معاوية: إذن أخبرك، أمّا قولك خيرٌ منه أمّا، فلعمري أمّك خير من أمه، ولولم يكن إلّا أنّها امرأة من قريشٍ لكان لنساء قريش فضلهنّ، فكيف وهي ابنة رسول الله صلّى عليه وسلّم، ثمّ فاطمة في دينها وسابقتها، فاءمّك لعمركم الله خير من أمه، وأمّا أبوك فقد حاكم أباه إلى الله ففضى لآبائه على أبيك!

فقال الحسين: حسبك جهلك، آثرت العاجل على الاجل!

فقال معاوية: وأمّا ما ذكرت من أنّك خير من يزيد نفساً فيزيد والله خير لا مة محمد منك!!

فقال الحسين: هذا هو الافك والزور، يزيد شارب الخمر، ومشتري اللهو خير منّي؟! «١»

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٠٠

وفي رواية أخرى ...

(فقال الحسين (ع): من خيرٌ لا مة محمد، يزيد الخمر والفجور!)

فقال معاوية: مهلاً أباعد الله، فإنّك لو ذكرت عنده لما ذكر منك إلّا حسناً.

فقال الحسين (ع): إن علم منّي ما أعلمه منه أنا فليقل فيّ ما أقول فيه.

فقال له معاوية: أبا عبد الله، إنصرف إلى أهلك راشداً، واتّق الله في نفسك، واحذر أهل الشام أن يسمعوا منك ما قد سمعته، فإنّهم أعداؤك وأعداء أبيك.

قال: فانصرف الحسين (ع) إلى منزله. «١»

وقد روى ابن أعثم الكوفي في كتابه الفتوح هذه القصّة بنحو آخر: (أنّه لما كان من الغد خرج معاوية وأقبل حتّى دخل المسجد، ثمّ صعد المنبر فجلس عليه، ونودي له في الناس فاجتمعوا إليه، وأقبل الحسين بن علي (ع)، وابن أبي بكر، وابن عمر، وابن الزبير، حتّى جلسوا إلى المنبر ومعاوية جالس، حتّى علم أنّ الناس قد اجتمعوا وثب قائماً على قدميه، فحمد الله وأثنى عليه.

ثمّ قال: أيّها الناس، إنّنا قد وجدنا أحاديث الناس ذات عوار، وإنّهم قد زعموا أنّ الحسين بن علي، وعبدالرحمن بن أبي بكر، وعبدالله بن عمر، وعبدالله بن الزبير لم يبايعوا يزيد، وهؤلاء الاربعة هم عندى سادة المسلمين وخيارهم، وقد دعوتهم إلى البيعة فوجدتهم إذا سامعين مطيعين، وقد سلّموا وبايعوا وسمعوا وأجابوا وأطاعوا!

قال: فضرب أهل الشام بايديهم إلى سيوفهم فسألوا، ثمّ قالوا:

يا اميرالمؤمنين، ما هذا الذي تُعظمه من أمر هؤلاء الاربعة؟! إنّنا لنا أن

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٠١

نضرب أعناقهم، فإنّا لانرضى أن يبايعوا سرّاً ولكن يبايعوا جهراً حتّى يسمع الناس أجمعون.

فقال معاوية: سبحان الله، ما أسرع الناس بالسرّ، وما أحلى بقائهم عندهم، إتّقوا الله يا أهل الشام ولا تسرعوا إلى الفتنة، فإنّ القتل له مطالبه وقصاص.

قال: فبقى الحسين بن علي (ع)، وابن أبي بكر، وابن عمر، وابن الزبير، حيارى لا يدرون ما يقولون، يخافون إن يقولوا: لم نبايع، الموت الاحمر تجاه أعينهم في سيوف أهل الشام أو وقوع فتنة عظيمة، فسكتوا ولم يقولوا شيئاً، ونزل معاوية عن المنبر، وتفرّق الناس وهم يظنون أنّ هؤلاء الاربعة قد بايعوا.

قال: وقربت رواحل معاوية فمضى في رفاقه وأصحابه إلى الشام.

قال: وأقبل أهل مكة إلى هؤلاء الاربعة فقالوا لهم: يا هؤلاء، إنكم قد دعيتم إلى بيعه يزيد فلم تبايعوا وأبيتم ذلك، ثمّ دعيتم فرضيتم وبايعتم!!

فقال الحسين (ع): لا والله ما بايعنا، ولكنّ معاوية خدعنا وكادنا ببعض ما كادكم به، ثمّ صعد المنبر وتكلم بكلام، وخشينا إن رددنا مقالته عليه أن تعود الفتنة جذعا، ولاندرى إلى ماذا يؤول أمرنا، فهذه قصتنا معه. «١»

روايات مكذوبة على سيرة الامام الحسين (ع) ص : ٣٠١

إشارة

في التراث الروائي الاسلامي هناك الكثير من الروايات المفتريات، وفيما يتعلّق بتأريخ حياة أهل بيت العصمة (ص) نصيب غير قليل من هذه الروايات المكذوبة.

ولم ينجُ تأريخ حياة سيّد الشهداء (ع) من أن تعلق به مجموعة من هذه مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٠٢ الروايات المفتريات.

والمؤسف أن بعض الذين كتبوا في حياة الامام الحسين (ع) تلقوا هذه الروايات المكذوبة تلقى المسلمات، وتناولوها بالشرح والتعليق، واستلهموا عظام موهومة منها، «١» ونذكر هنا من هذه الروايات المكذوبة أهم ما اعترضنا في متابعتنا أثناء تحضيرنا لهذا البحث:

الرواية الاولى: ص : ٣٠٢

يقول ابن عساكر في مطلع ترجمته للامام الحسين (ع):

(ووفد على معاوية، وتوجه غازيا إلى القسطنطينية في الجيش الذي كان أميره يزيد بن معاوية). «٢»

لاشك أن من له أدنى معرفة بشخصية الامام الحسين (ع) وحكمته وإبائه ومعرفته بزمانه وأهل زمانه ومنهم معاوية ويزيد خاصية، لا يحتاج في تفنيد هذه الرواية المكذوبة إلى تحقيق في سند ومناقشة في متن.

ومع هذا فإننا نقول هنا: إن ابن عساكر تفرد بهذا الادعاء المرسل، ولم يأت له حتى بشاهد واحد، ولو بخبر ضعيف!

وقصبة غزوة القسطنطينية ذكرها ابن الاثير في (الكامل في التأريخ) في أحداث سنة تسع وأربعين هـ كذا: (في هذه السنة، وقيل: سنة خمسين، سيّر

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٠٣

معاوية جيشا كثيفا إلى بلاد الروم للغزاة، وجعل عليهم سفیان بن عوف، وأمر ابنه يزيد بالغزاة معهم، فتناقل واعتلّ، فأمسك عنه أبوه، فإصاب الناس في غزاتهم جوع ومرض شديد، فإنشأ يزيد يقول:

ما إن أبالي بما لاقت جموعهم بالفرقدونه من حُمى ومن موم

إذا اتكأْتُ على الأنماط مرتفقا بدَيْرِ مُرَّانَ عندي أمّ كلثوم

وأمّ كلثوم امرأته، وهي بنت عبدالله بن عامر.

فبلغ معاوية شعره فإقسم عليه ليلحقن بسفیان في أرض الروم، ليصيبه ما أصاب الناس، فسار معه جمع كثير أضافهم إليه أبوه، وكان في هذا الجيش ابن عباس د وابن عمر وأبوأيوب الانصاري وغيرهم، وعبدالعزيز بن زرارة الكلابي ... ثم رجع يزيد والجيش إلى

الشام، وقد توفى أبوأيوب الانصاري عند القسطنطينية فدفن بالقرب من سورها (...). «١»

فالمتيقن من نص ابن الاثير إذن: هو أن يزيد لم يكن قائد هذا الجيش وأميره، وأن الامام الحسين (ع) لم يكن في من حضر هذه

الغزوة!

ويؤكد الطبري في تاءريخه عدم حضور الامام الحسين (ع) في هذه الغزوة، وإن ادعى أن أميرها يزيد، قائلا: (وفيها: كانت غزوة يزيد بن معاوية الروم، حتى بلغ القسطنطينية، ومعه ابن عباس وابن عمر وابن الزبير وأبو أيوب الانصاري). «٢»
أمّا اليعقوبي فيقول: (وأغزى معاوية يزيد ابنه الصائفة ومعه سفيان بن عوف الغامدي فسبقه سفيان بالدخول إلى بلاد الروم، فنال المسلمين في

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٠٤

بلاد الروم حمى وجدري، وكانت أم كلثوم بنت عبدالله بن عامر تحت يزيد بن معاوية، وكان لها محبًا... «١»
وأقوى الأدلة على عدم حضور الامام الحسين (ع) هذه الغزوة التي لم يكن يزيد أميرها أيضا، هو أن الفضل بن شاذان (ره) سئل عن أبي أيوب الانصاري (خالد بن زيد) وقاتله مع معاوية المشركين، فقال (ره): (كان ذلك منه قلة فقه وغفلة، ظن أنه إنما يعمل عملا لنفسه يقوى به الاسلام ويوهى به الشرك، وليس عليه من معاوية شئ كان معه أو لم يكن). «٢» وهذا التصريح الصادر عن الفضل بن شاذان، وهو من أصحاب الأئمة: الجواد والهادي والعسكري (ع)، وقيل إنه من أصحاب الامام الرضا (ع) أيضا، وهو من أجل فقهاء الشيعة ومتكلميهم في عصره، هذا التصريح كاشف عن عدم حضور الامام الحسين (ع) في هذه الغزوة، وذلك لأن الفضل لم يكن ليعيب على أبي أيوب إشتراكه فيها مع علمه باشتراك الامام (ع) فيها.

ولا يقال إن هناك احتمالا في أن الفضل بن شاذان علم باشتراك أبي أيوب ولم يعلم باشتراك الامام (ع)، ذلك لأن منزلة الفضل العلمية تمنع من ذلك، خصوصا وهو من أصحاب مجموعة من أئمة الحق (ع)، ثم إنه لا يتصور أن حضور أبي أيوب الانصاري في واقعة ما أشهر وأظهر من حضور الامام الحسين (ع) فيها بطبيعة الحال!!

هذا ولو أن الامام (ع) كان قد اشترك فعلا في هذه الغزوة، لصار ذلك الحدث من أشهر مسلمات التاءريخ، لأن الاعلام الاموي خاصة في عهد

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٠٥

معاوية كان سيستثمر هذا الحدث أوسع الاستثمار في التبليغ والدعاية لصالح النظام الاموي في كل أنحاء البلاد الاسلامية، الامر الذي يجعل من قضية اشتراك الامام في هذه الغزوة أشهر من أن تخفى على أحد، وأمنع من أن يرقى إليها شك!
من كل ما مضى يكون المتيقن في قضية هذه الغزوة أمران هما: عدم اشتراك الامام الحسين (ع) فيها، وثبوت اشتراك أبي أيوب الانصاري (ره) فيها.

الرواية الثانية ص : ٣٠٥

قال ابن عساكر أيضا: أخبرنا أبو محمد طاهر بن سهل بن بشر، أخبرنا أبو الحسن علي بن الحسن ابن صصري إجازة، أخبرنا أبو منصور طاهر بن العباس بن منصور المروزي العماري بمكة، أخبرنا أبو القاسم عبيدالله بن محمد بن أحمد بن جعفر السقطي بمكة، أخبرنا إسحق بن محمد بن إسحق السوسي، أخبرنا أبو عمر الزاهد:

أخبرنا علي بن محمد بن الصائغ، حدثني أبي: قال:

رأيت الحسين بن علي بن أبي طالب بعيني وإلا فعميتا، وسمعت بآذني وإلا فصمتا، وفد علي معاوية بن أبي سفيان زائرا فأتاه في يوم الجمعة وهو قائم على المنبر خطيبا

فقال له رجل من القوم: يا اميرالمؤمنين إنك للحمين بن علي يصعد المنبر.

فقال معاوية: ويلك، دعني أفتخر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: ساءلتك بالله يا أبا عبد الله، أليس أنا ابن بطحاء مكة؟

فقال الحسين (ع): إي والذي بعث جدّي بالحقّ بشيرا!

ثم قال: ساءلتك بالله يا أبا عبد الله، أليس أنا خال المؤمنين؟

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٠٦

فقال: إي والذي بعث جدّي نبيا!

ثم قال: ساءلتك بالله يا أبا عبد الله، أليس أنا كاتب الوحي؟

فقال: إي والذي بعث جدّي نذيرا!

ثم نزل معاوية، فصعد الحسين بن عليّ، فحمد الله عزّ وجلّ بمحامد لم يحمده الاّولون والآخرين، ثم قال: حدّثني أبي، عن جدّي، عن

جبرئيل (ع)، عن ربّه عزّ وجلّ: أنّ تحت قائمة كرسى العرش ورقة آس خضراً مكتوب عليها: لا إله الاّ الله، محمّد رسول الله، يا شيعة

آل محمّد، لا ياتي أحد منكم يوم القيامة يقول لا إله الاّ الله الاّ أدخله الله الجنّة.

قال: فقال معاوية بن أبي سفيان: ساءلتك بالله يا أبا عبد الله، من شيعة آل محمّد؟

فقال: الذين لا يشتمون الشيخين أبابكر وعمر، ولا يشتمون عثمان، ولا يشتمون أبي، ولا يشتمونك يا معاوية!

ثم قال ابن عساكر: هذا حديث منكر، ولا أرى إسناده متّصلا إلى الحسين، والله أعلم. «١»

إضافة إلى هذا، فإنّ عليّ بن محمّد الصائغ الراوي عن أبيه في سند هذه الرواية ممّن ضعفهم الخطيب أبوبكر عليّ ما في (ميزان

الاعتدال، ٣: ١٥٣ رقم ٥٩٢٤) وكذلك في (لسان الميزان، ٤: ٢٥٤ رقم ٦٩١).

وفي السند أيضا من هو مجهول مثل المروزي العماری (لا ترجمه له في كتب الرجال المعروفة).

فالرواية لا يُعبأ بها سندا... أما متنها فيغنى عن متابعه سندا لما فيه من

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٠٧

افترا واضح على الامام (ع)، حتّى أنكره ابن عساكر نفسه الذي قد يغفل عن روايات منكرة كثيرة أو قد يغضّ الطرف عنها!

نعم، في متن هذه الرواية نصّ تؤيّد وتسند روايات أخرى عندنا، وهو:

(لا إله الاّ الله، محمّدا رسول الله، يا شيعة آل محمّد، لا ياتي أحد منكم يوم القيامة يقول لا إله الاّ الله الاّ أدخله الله الجنّة).

غير أنّ صاحب الافترا في هذه الرواية نسج حول هذا النصّ الادعاءات الاخرى الكاذبة! المنافية للماءثور عن نهج وسيرة أبي عبد الله

(ع).

إنّ سيرة الامام الحسين (ع) شاهدة على أنّه ما خطب في محفل عام الاّ ونشر من فضائل أهل البيت (ع) وفضل شيعتهم ما تشرّب له

الاعتناق وتهفو له الارواح، وكشف عن نقائص ومثالب أعدائهم من بني أمية وغيرهم ما تشمّر منه النفوس.

والعارف بمنسوجات الاعلام الامويّ ومفتعلاته من الروايات التي تصبّ في مجرى تنظيف سمعة معاوية وعثمان وبعض الصحابة ممّن

ليس لهم منقبة تُذكر في حياة النبيّ (ص) يعلم من نسق المتن أنّ هذه الرواية من تلك المفتعلات المكذوبة والمنسوجات الموهومة.

الرواية الثالثة ص: ٣٠٧

(وقال عمر بن سبيّنة: حجّ يزيد في حياة أبيه، فلما بلغ المدينة جلس على شراب له، فاستأذن عليه ابن عبّاس والحسين فقيل له: إنّ ابن

عبّاس إن وجد ريح الشراب عرفه، فحجبه وأذن للحسين، فلما دخل وجد رائحة الشراب مع الطيب.

فقال: لله درّ طيبك ما أطيبه! فما هذا؟

قال: هو طيب يصنع بالشام.

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٠٨

ثم دعا بقدر فشربه، ثم دعا بآخر، فقال: إسق أباعبدالله.
فقال له الحسين: عليك شرابك أيها المرء لا عين عليك مني!
فقال يزيد:

ألا يا صاح للعجب دعوتك ثم لم تجب
إلى الفتيات والشهوات والصهباء والطرب
وباطية مكللة عليها سادة العرب
وفيهن التي تبتل فؤادك ثم لم تتب
فنهض الحسين وقال: بل فؤادك يا ابن معاوية تبتل). «١»

إن عمر بن سبينة أو (عمر بن سبينة: كما في الكامل في التاريخ: ٣١٧: ٣ (إدارة الطباعة المنيرية مصر الطبعة الاولى) أو عمر بن سبينة على احتمال ثالث، ليس له ترجمة في كتب الرجال المعروفة. أمّا احتمال كونه عمر بن سبينة فقد قال فيه الذهبي في ميزان الاعتدال: (لا يُعرف ... وقال البخاري إسناده مجهول) «٢» وعلى احتمال كونه عمر بن شيبه؛ فقد قال فيه الذهبي أيضا في ميزان الاعتدال: (مجهول). «٣»

أمّا من جهة محتواها فهو أيضا يغينا في تكذيبها عن متابعه نوع سندها، ذلك لأنه على فرض أن يزيد قد ذهب للحج فعلا، فقد ذهب في السنين الاواخر من عمر أبيه معاوية، والاقوى أن أباه دفعه إلى الحج بعد أو أثناء محاولاته لا خذ البيعة له بولاية العهد من بعده، لتشجيع عنه مقالة الايمان والصلاح
مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٠٩

والتقوى خدعة، ودلائل هذه الحقيقة عديده منها أن معاوية لما أراد أن ياءخذ البيعة ليزيد من الناس، طلب من زياد أن ياءخذ بيعة المسلمين في البصرة، فكان جواب زياد له: (فما يقول الناس إذا دعوناهم إلى بيعة يزيد، وهو يلعب بالكلاب والقروذ، ويلبس المصنغ ويدمن الشراب، ويمشى على الدفوف، وبحضرتهم الحسين بن علي، وعبدالله بن عباس، وعبدالله بن الزبير، وعبدالله بن عمر؟! ولكن تاءمره ويتخلق باءخلاق هؤلاء حولا أو حولين، فعسانا أن نؤوه على الناس!!). «١»

وهذا دليل على أن خدعة التخلق بمظاهر التدين في حياة يزيد إنما كانت تمهيدا لا خذ البيعة له بولاية العهد، وما كان هذا إلا بعد وفاة الامام الحسن (ع)، أي في العقد الاخير من حياة معاوية.

وقد نصّ اليعقوبي في تاءريخه أن يزيد وليّ الحجّ سنة إحدى وخمسين للهجرة، «٢» وكذلك قال ابن الاثير في تاءريخه، «٣» وكذلك قال الطبري في تاءريخه. «٤»

وفي تلك الايام، كان فسق وفجور يزيد أظهر من أن يخفى على أكثر الناس بدليل نفس نصّ جواب زياد لمعاوية! فكيف يخفى ذلك على الحسين (ع)؟!

في تلك الايام خاطب الامام الحسين (ع) معاوية بصدد يزيد قائلا:

(وفهمت ما ذكرته عن يزيد من اكتماله وسياسته لا مة محمّد، تريد أن توهم الناس في يزيد كاءئك تصف محجوبا أو تنعت غائبا أو تخبر عما كان

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣١٠

مما احتوته بعلم خاص! وقد دلّ يزيد من نفسه على موقع رأيه، فخذ ليزيد فيما أخذ به من استقراءه الكلاب المهارشة عندالتحارش، والحمام السبقي لا تراهن، والقينات ذوات المعازف، وضروب الملاهي، تجده ناصرا ودع عنك ما تحاول ...). «١»

وفي تلك الايام قال (ع) لمعاوية أيضا:

(... هذا هو الافك والزور، يزيد شارب الخمر مشتري اللهو خير مني...؟!..). (٢)

إذا كان هذا، فكيف نصدق أن الامام الحسين (ع) يستاءذن للدخول على يزيد في المدينة، وهو على هذه المعرفة التامة بفسق يزيد وفجوره؟!

أليس في دخوله عليه ومجالسته معنى التأييد والدعم له؟! وكيف يوافق هذا معارضة الامام (ع) الشديدة والصريحة لمعاوية في مساءلة البيعة ليزيد؟! إن هذا ما لا يفعله مؤمن عادي يدرك الاثر السياسي والاجتماعي لمثل هذا الفعل، فما بالك بالامام الحسين (ع)؟! وهو يعلم أن في كل حركة أو سكنة منه إشارة ذات معنى للامة.

ثم كيف يجسر يزيد على مثل هذا التصرف بمحضر الامام (ع) على فرض أنهما اجتمعا فعلا- خصوصا وأن سفر يزيد إلى مكة والمدينة كان لاظهار تدينه وصلاحه وإظهار لياقته للخلافة؟!

لقد علّق المؤرخ المصري الشيخ عبدالوهاب النجار في حاشية (الكامل في التاريخ) على هذه الرواية قائلا:

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣١١

(أعتقد أن هذه الايات مصنوعة منحولة، فلم يكن يزيد من البلاهة بحيث يعرض ذلك على الحسين ويوجد عليه مقالا، وإذا نظرنا من جهة أخرى إلى أن معاوية إنما ولى ابنه الحجّ لتشييع عنه قائله الخير، ويوصف بالدين والتقوى، فلانشك في أن يزيد كان في حجه يتسمت ويظهر التمسك بالدين وهذا ينافي هذه الرواية. وقد أحسن ابن جرير (الطبري) كل الاحسان في إهمالها ولعلها اخترعت بعد زمانه!). «١»

الرواية الرابعة ص : ٣١١

(وأخبرنا محمّد بن أبي الازهر قال: حدّثنا الزبير قال: حدّثنا أبو زيد عمر بن شبة قال: حدّثنا سعيد بن عامر الضبعي، عن جويرية بن أسماء قال:

لما أراد معاوية البيعة ليزيد ولده كتب إلى مروان وهو عامله على المدينة، فقرأ كتابه وقال: إن أمير المؤمنين قد كبر سنّه ودقّ عظمه، وقد خاف أن يأتية أمر الله تعالى فيدع الناس كالغنم لا راعي لها، وقد أحبّ أن يُعلمَ علماً ويقيمَ إماماً! فقالوا: وفقّ الله أمير المؤمنين وسدّده، ليفعل!

فكتب بذلك إلى معاوية، فكتب إليه: أن سمّ يزيد!

قال: فقرأ الكتاب عليهم وسمّى يزيد، فقام عبدالرحمن بن أبي بكر (ر).

فقال: كذبت والله يا مروان وكذب معاوية معك! لا يكون ذلك! لا تُحدّثوا علينا سنّة الروم! كلّمات هرقل قام مكانه هرقل!

فقال مروان: إن هذا الذي قال لوالديه: أئفّ لكما اءتعدانني اءن اءخرج. قال:

فسمعت ذلك عائشة (رض) فقالت: ألا بن الصديق يقول هذا؟! استروني.

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣١٢

فستروها، فقالت: كذبت والله يا مروان، إن ذلك لرجلٌ معروفٌ نسبه.

قال: فكتب بذلك مروان إلى معاوية، فاقبل، فلما دنا من المدينة استقبله أهلها، فيهم عبدالله بن عمر وعبدالله بن الزبير والحسين بن علي وعبدالرحمن بن أبي بكر رضوان الله عليهم أجمعين.

فأقبل على عبدالرحمن بن أبي بكر فسبّه فقال: لا مرحبا بك ولا أهلاً!

فلما دخل الحسين (ع) قال: لا مرحبا بك ولا أهلاً، بدنةً يترقرق دمها والله مهريقه!

فلما دخل ابن الزبير قال: لا مرحبا بك ولا أهلاً، صبّ تلعة مدخل رأسه تحت ذنبه!

فلما دخل عبدالله بن عمر قال: لا مرحبا بك ولا أهلا وسببه.

فقال: إننى لست باءهل لهذه المقالة.

قال: بلى، ولما هو شرّ منها!

قال: فدخل معاوية المدينة وأقام بها، وخرج هؤلاء الرهط معتمرين، فلما كان وقت الحجّ خرج معاوية حاجًا.

فأقبل بعضهم على بعض فقالوا: لعله قد ندم!

فأقبلوا يستقبلونه. قال: فلمّا دخل ابن عمر قال: مرحبا بك وأهلا بابن الفاروق، هاتوا لابي عبدالرحمن دابة! وقال لابن أبى بكر:

مرحبا بابن الصديق، هاتوا له دابة! وقال لابن الزبير: مرحبا بابن حوارى رسول الله، هاتوا له دابة! وقال للحسين: مرحبا بابن رسول الله،

هاتوا له دابة!

وجعلت الطافة تدخل عليهم ظاهرة يراها الناس، ويحسن إذنهم وشفاعتهم.

معالركب الحسينى (ج ١)، ص: ٣١٣

قال: ثم أرسل إليهم!

فقال بعضهم لبعض: من يكلمه؟

فأقبلوا على الحسين فآبى!

فقالوا لابن الزبير: هات، فآنت صاحبنا.

قال: على أن تعطونى عهد الله ألا أقول شيئا إلا تابعتونى عليه!

قال: فآخذ عهدهم رجلا رجلا، ورضى من ابن عمر بدون ما رضى به من صاحبيه.

قال: فدخلوا عليه، فدعاهم إلى بيعة يزيد، فسكتوا!

فقال: أجيونى. فسكتوا!

فقال: أجيونى. فسكتوا!

فقال لابن الزبير: هات، فآنت صاحبهم!

قال: إختزمتنا خصلة من ثلاث!

قال: إن فى ثلاث لمخرجا.

قال: إما أن تفعل كما فعل رسول الله (ص).

قال: ماذا فعل؟

قال: لم يستخلف أحدا!

قال: وماذا؟

قال: أو تفعل كما فعل أبوبكر.

معالركب الحسينى (ج ١)، ص: ٣١٤

قال: فعل ماذا؟

قال: نظر إلى رجل من عرض قريش فولّاه!

قال: وماذا؟

قال: أو تفعل كما فعل عمر بن الخطاب.

قال: فعل ماذا!؟

قال: جعلها شورى في ستته من قريش!

قال: ألا تسمعون؟! إني قد عودتكم على نفسى عادة، وإني أكره أن أمنعكموها قبل أن أبين لكم، إن كنت لا تزال أتكلّم بالكلام فتعترضون عليّ فيه، وتردّون عليّ، وإني قائم فقاتل مقالة، فإنّي أياكم أن تعترضوا حتّى أتمّها، فإن صدقت فعليّ صدقي، وإن كذبت فعليّ كذبي، واللّه لا ينطق أحدٌ منكم في مقاتلي إلّا ضربت عنقه!
ثمّ وكلّ بكلّ رجل من القوم رجلين يحفظانه لئلا يتكلّم ...

وقام خطيباً فقال: إنّ عبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير والحسين بن عليّ وعبدالرحمن بن أبي بكر قد بايعوا، فبايعوا. فانجفل الناس عليه يبايعونه، حتّى إذا فرغ من البيعة ركب نجائبه فرمى إلى الشام وتركهم. فاء قبل الناس على الرهط يلومونهم! فقالوا: واللّه ما بايعنا، ولكن فعل بنا وفعل). «١»

ورواها ابن الاثير مرسله بتفاوت في كتابه الكامل في التاءريخ، «٢» وفيها:
أنّ معاوية قال لابن الزبير أخيراً: هل عندك غير هذا؟!

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣١٥
قال: لا.

ثمّ قال: فاءتم؟!
قالوا: قولنا قوله!

كما رواها ابن قتيبة مرسله بتفاوت أيضاً في الامامة والسياسة. «١»

ويكفي في مناقشة سندها أن نقول إنّ الراوى الذى ينتهى إليه سند هذه الرواية هو جويرية بن أسماء الذى قال فيه الامام جعفر بن محمّد الصادق (ع): (وأما جويرية فزنديق لا يفلح أبداً). «٢»
وأما أوّل رجل فى سندها، وهو محمّد بن أبى الازهر فقد قال الذهبى فى ترجمته: (يروى عن الزبير بن بكار، فيه ضعف وقد ترك، وأتهم وقيل بل هو متهم بالكذب. قال الخطيب: قد وضع أحاديث). «٣»
فالرواية ساقطة سنداً.

أما متنها فقد احتوى على ما تاءباه ساحة الحسين (ع) المقدّسة وتتنزه عنه، من قبيل سكوته وهو صاحب شعار (هيهات منّا الذلّة) على الاهانة التى وجّهها إليه معاوية عندما لقيه على مشارف المدينة حيث قال له بزعم هذه الرواية:
(لا مرحباً بك ولا أهلاً، بدنّه يترقرق دمها واللّه مهريقه!).

ومن قبيل تفويض الامر لابن الزبير ليكون ناطقاً باسم كبار المعارضين، والامام الحسين (ع) يعلم من هو ابن الزبير وما هى دوافعه للمعارضة! ويعلم انحراف عقيدته! ويعلم رأيه فى أهل البيت (ع) وفى قضية الخلافة بالذات التى
مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣١٦
هى أساس المحاجّة مع معاوية!!

فكيف يمكن للامام (ع) أن يمضى قول ابن الزبير وادّعاءه أنّ رسول الله (ص) قبض ولم يستخلف أحداً؟!

أليس إمضاء هذا القول إقراراً بالمغالطة الكبرى التى اءغثصبت بها الخلافة، وتنازلاً عن مبدأ القول بالنصّ على خلافة عليّ (ع)؟!
هذا فضلاً عن أنّ الامام (ع) لا تنقصه الجرأة والقدرة والبلاغة على مخاطبة معاوية بما هو الحقّ، وكلّ مواقف الامام (ع) مع معاوية شاهدة على جرأته فى الصدع بالحقّ والامر بالمعروف والنهى عن المنكر!

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣١٧

الفصل الثالث: قصة بداية الثورة ص : ۳۱۷

اشاره

معالركب الحسيني (ج ۱)، ص : ۳۱۹

الفصل الثالث: قصة بداية الثورة

موت معاوية بن أبي سفيان: ص : ۳۱۹

حكم معاوية حوالي اثنين وأربعين سنة من عمره البالغ أكثر من سبعين سنة، منذ أن عينه عمر بن الخطاب في السنة الثامنة عشرة من الهجرة واليا على دمشق خلفا لآخيه يزيد بن أبي سفيان الذي توفي فيمن توفي في طاعون عمواس، إلى أن توفي معاوية في سنة ستين للهجرة.

منها سبع عشرة سنة تقريبا واليا في عهد كل من عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان، وخمس سنوات تقريبا متمردا باغيا في عهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، ثم تسع عشرة سنة وبضعة أشهر ملكا على جميع البلاد الإسلامية، وهو القائل: (أنا أول الملوكة (۱) و) رضينا بها ملكا (۲) .

ولو أغمضنا عن أهمية وخطورة الدور الرئيس الذي قامت به قيادة حزب السلطة في تأسيس الانحراف لرأينا معاوية بن أبي سفيان أهم الرجال خطرا وأثرا على الاسلام وعلى حياة المسلمين، وفيما مضى من هذا الكتاب أدلة معالركب الحسيني (ج ۱)، ص : ۳۲۰ عديده كافية لا ثبات هذه الحقيقة.

ومعاوية بن أبي سفيان ليس بدعا من الطواغيت الذين تحكّموا في حياة الامم ومصائرهما، واءشربوا حب الدنيا في قلوبهم، وانقادوا لشهواتهم في كل لذائذها انقياد متهوم لا يروى ولا يشيع، إذا دنا منهم الاجل وأحسوا بمرارة الفوت ولوعة الفراق وانتهاء المهلة، وأشرفوا على العذاب المقيم، تمنوا أن لم يكونوا قد فعلوا ما فعلوا، (ولورّدوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون). (۱) قال المسعودي:

(وذكر محمّد بن إسحاق وغيره من نقله الاثار: أن معاوية دخل الحمام في بدء علة التي كانت وفاته فيها، فرأى نحول جسمه، فبكى لفنائه وما قد أشرف عليه من الدثور الواقع بالخلق، وقال متمثلا:

أرى الليالي أسرع في نقضي اءخذن بعضي وتركن بعضي

حئين طولي وحئين عرضي أقعدني من بعد طول نهضي

ولما آزف امره، وحان فراقه، واشتدت علة، وآيس من برئه، اءنشأ يقول:

فياليتني لم اءعن في الملك ساعة ولماء ك في اللذات اءعشى النواظر

وكنت كذي طمرين عاش ببلغة من الدهر حتى زار أهل المقابر (۲)

وعلى كثرة جرائمه الموبقة التي لا تحصى، والدماء الزاكية المحرّمة التي سفكها، والاعراض المصونة التي هتكها، قيل إنّه لما تناهبت جسمه العلة، وشعر بدنو أجله، كان أشد ما يحزنه من تلك الجرائم التي اقترفها جريمته المنكرة في قتل حُجر بن عدى الكندي (ره) وأصحابه الميامين، فقد كان يقول:

معالركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٢١

(ويلي منك يا حجر) و (إن لي مع ابن عدى ليوما طويلا!) «١».

وكان معاوية أواخر أيامه يستشعر ملل الامية منه وسئمها من وجوده، حتى لقد روى أنه قد خطب قبل مرضه فقال: (إنى كزرع مستحصد وقد طالت إمرتي عليكم حتى مللتكم ومللتموني وتمنيت فراقكم وتمنيتم فراقى ...) «٢»، كما كان معاوية يستشعر قبيل وفاته أن الناس شامتون به لقرب رحيله إلى دار الجزأ ولمصيره الاسود عند الله تعالى، فقد روى أنه:

(لما ثقل معاوية، وحدث الناس أنه الموت، قال لا هله: احشوا عيني إثمدا وأوسعوا رأسي دهننا. ففعلوا وبرقوا وجهه بالدهن، ثم مهد له، فجلس وقال:

أسندوني، ثم قال: إئذنوا للناس فليسلموا قياما ولا يجلس أحد، فجعل الرجل يدخل فيسلم قائما فيراه مكتحلا مدعنا، فيقول: يقول الناس هو لما به، وهو أصح الناس!!، فلما خرجوا من عنده قال معاوية:

وتجلدى للشامتين أريهم أتى لريب الدهر لا أتضعضع

وإذا المتية أنشبت أظفارها ألفت كل تميمة لا تنفع

قال: وكان به النفاثات «٣» فمات من يومه ذلك. «٤»

معالركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٢٢

وهلك معاوية في النصف من رجب، وقيل: مات لهلال رجب، وقيل: لثمانين بقين منه. «١»

(ولولا هواي في يزيد لا بصرتُ رشدي وعرفتُ قصدي ..) «٢»

هذه العبارة من أقوال معاوية التي لا يمكن لمؤرخ يتلمس حقائق الامور في ماورأ السطور أن يمر عليها مرور الكرام دون أن يتأمل في أبعاد دلالتها، ذلك لا- نهما من نوع العبارات التي تصدر عن الطواغيت في حالة من حالات الاسترخاء والضعف النفسى التي تتكشف فيها الاعماق المكنونة وتظهر فيها المضمرات على فلتات اللسان.

ترى ما هو هذا الرشد الذي عناه معاوية بقوله هذا!!!؟

هل هو الايمان والاستقامة على الصراط المستقيم ورد حق كل ذى حق إليه والانابة إلى الله تبارك وتعالى والتوبة إليه ..؟!.

لاشك أن الرشد الذي عناه معاوية ليس هذا، لأن وجود يزيد وحب معاوية الشديد له وتعلقه به لم يكن يوما ما عائقا عن نيل هذا الرشد والوصول إليه، بل العكس هو المحتمل احتمالا قويا، وهو أن رشاد معاوية لو كان راشدا يحتمل احتمالا كبيرا أن يكون سببا في رشاد يزيد وهدايته.

وقد يتصور البعض أن معاوية كان على يقين بقاء يزيد ليس أهلا لتولى زمام

معالركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٢٣

الحكم، وكان إصرار معاوية على استخلاف يزيد إصرارا على ذنب كبير متيقن، كما صرح معاوية بذلك ليزيد فيما نسب إليه: (ما ألقى الله بشي أعظم من استخلافى إياك). «١» وقد اقترف معاوية وزرا عظيما فيما جناه على الامة بتحويل الخلافة إلى ملكك عضوض لايعنى فيه يا رادة الامة واختيارها!!

ولكن، متى كان الاب أهلا وصالحا حتى يرى عدم تاءهل ابنه وزرا!!؟

وهل حكم الاب يا رادة الامة واختيارها حتى يرى تحوّل الحكم إلى ملكك عضوض وزرا كبيرا يلقي الله به؟! والاب هو القائل: رضينا بها ملكا، وأنا أول الملوكة، مستهزئا بالخلافة واختيار الامة!!

إن الرشد الذي عناه معاوية هو: تهيئة كل عوامل دوام الحكم الاموى وبقائه، واستمرار آثار ضلاله على الارض!!

وتوضيح ذلك: أن معاوية بما لديه من خبرة عميقة، وتجربة طويلة، ودهاء نادر، كان يعلم أن استمرار نجاح جهود حركة النفاق التي

انتجت الحكم الامويّ الجاهلي المتستّر بالمظهر الاسلامي، يقتضى فيما يقتضيه أن ياءتى بعد معاوية حاكم آخر داهية أيضا يتصنع الايمان والحكمة والحلم، ولا يرتكب من حماقات ما يفضح خطّة التستّر بلباس الدين، حتّى تستمرّ الخدعة إلى وقت لا يبقى من الدين إلّا إسمه، ومن القرآن إلّا رسمه، ومن التشريع إلّا ما وافق الشرعة الاموية .. هذا هو الرشد الذي عناه معاوية!!
ومعاوية يعلم أنّ هذه المتطلّبات لا تتوفر في يزيد، بل في يزيد من الرعونّة والحماقة والافتضح ما يكفى لهدم ما بنته حركة النفاق طيلة خمسين سنة

معالركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٢٤

بعد رسول الله (ص) ...

لكنّ معاوية في حبه لذاته وليزيد كامتداد وجودي ونسبي له كان قد أصرّ على استخلاف يزيد انقيادا له ذا الهوى، وهذا هو معنى التعارض الذي عناه في عبارته:

ولولا هواي في يزيد لا بصرت رشدي ص: ٣٢٤

وقد ظنّ معاوية على ما يبدو أنّ نقاط الضعف في شخصيّة يزيد يمكن أن تعالج بوصايا تفصيليّة يوصى بها، وبإحاطته بمستشارين أكفاء يحولون بينه وبين أن يرتكب حماقة كبرى لا يجبر كسرهما ولا يرتق فتقها.

وهكذا كان، ومن أهمّ وصايا معاوية لابنه يزيد الوصية التي رسم له فيها كيفية التعامل مع رؤوس المعارضة، والتي ورد فيها: (أنظر أهل الحجاز فإنّهم أصلك، فاء كرم من قدم عليك منهم، وتعاهد من غاب، وأنظر أهل العراق فإنّ ساءلوك أن تعزل عنهم كلّ يوم عاملا فافعل، فإنّ عزل عامل أحبّ إلىّ من أن تُشهر عليك مائة ألف سيف، وانظر أهل الشام فليكونوا بطانتك وعيبتك، فإنّ نابك شئ من عدوك فانتصر بهم، فإنّ أصبتهم فاردد أهل الشام إلى بلادهم، فإنّهم إن أقاموا بغير بلادهم أخذوا بغير أخلاقهم. وإنّي لست أخاف من قريش إلّا ثلاثة، حسين بن عليّ، وعبدالله بن عمر، وعبدالله بن الزبير، فاء ما ابن عمر فرجل قد وقذه الدين (!) فليس ملتصقا شيئا قبلك. وأما الحسين بن عليّ فإنّ له رجلا خفيف (!) وأرجو أن يكفيك الله بمن قتل أباه وخذله أخاه، وإنّ له رحما ماسّة وحققا عظيما وقراة من محمّد صلّى الله عليه وسلّم ولاأظنّ أهل العراق تاركيه حتّى يخرجوه، فإنّ قدرت

معالركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٢٥

عليه فاصفح عنه، فإنّني لو أتى صاحبه عفوت عنه. وأمّا ابن الزبير فإنّ له حبّ ضبّ، فإنّ إذا شخص لك فالبد له، إلّا أن يلتمس منك صلحا، فإنّ فعل فاقبل، واحقن دماء قومك ما استطعت). «١»

هذه الوصية مع ما أريد فيها من ثناء على ابن عمر وإساءة للامام (ع) تنسجم تماما مع الخطّ العام لمنهج معاوية، خاصيّة في نوع التعامل المطلوب مع الامام الحسين (ع)، ذلك لأنّ معاوية يدرك تماما أن قتل الامام الحسين (ع) في مواجهة عليّة عموما وبالطريقة التي يختارها ويرسم حركة أحداثها الامام الحسين (ع) خصوصا سيقلب السحر على الساحر، وسيفصل الاسلام

معالركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٢٦

عن الاموية، ويمزّق الاطار الديني الذي يتشبّث به الحكم الامويّ، ويمنح الامّة روحا ثوريّة وتضحويّة جديدة خالصة من كلّ شوائب وآثار الشلل النفسي، وبذلك تتتابع الثورات ضدّ الحكم الامويّ، وعندها يبدأ العدّ التنازلي لعمر هذا الحكم حتّى يصل إلى نهايته المحتومة، فيمسي خيرا من أخبار تاريخ الامم، وحديثا من أحاديث الحضارات البائدة، ولن تجد لسنة الله تبديلا.

من هنا .. يطمئنّ الباحث المتأمل إلى أنّ معاوية لهذه الاسباب لا بدّ أن يوصى يزيد بالمتاركة مع الامام الحسين (ع) وبعدم إثارته والتعرّض له بما يدفعه إلى التمرد والخروج والثورة، وبالعفو عنه في حال المقدرة عليه.

وليس ذ لك من معاوية حبا للامام (ع)، بل حرصا على بقاء واستمرار الحكم الاموي، وخوفا من النتائج الضارة التي تفرزها المواجهة العلية معه.

وقد رويت هذه الوصية في المصادر التاريخية بصورة أخرى « ١ »، فيها أن معاوية تخوف على يزيد من أربعة لا من ثلاثة، والرابع هو عبدالرحمن بن أبي بكر، في حين أن هذا الأخير كان قد توفي قبل معاوية، مما دفع ببعض المحققين « ٢ » الى رفض هذه الوصية والقول بآنها مكذوبة، لهذا السبب ولا سبب أخرى منها أنه لا يعقل أن يوصى معاوية ابنه يزيد بالعتق عن الامام الحسين (ع) إن ظفر به!

إذ: (لم يكن معاوية بالذي يرعى لرسول الله (ص) حرمة أو قرابة حتى يوصى ابنه برعاية آل محمد، كلاً أبداً، فقد حارب الرسول في الجاهلية حتى أسلم كرها يوم فتح مكة، ثم حارب صهر الرسول وخليفته وابن عمه علياً، ونزا على مع الרכب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٢٧

خلافه المسلمين، وانترعها قهراً، وسم ابن بنت الرسول الحسن، فهل يُصدق بعد هذا كله أن يوصى بمثل ما أوصى به؟! « ١ » والمتأمل يرى أن استبعاد هذا المحقق لهذه الوصية على أساس هذا السبب، إنما نشأ عن الخلط بين المواجهة العلية مع الامام (ع) والمواجهة السرية معه من حيث نوع الآثار والنتائج، أو عن تصور أن الأمر منحصر في المواجهة السرية التي يتم فيها قتل الامام (ع) بتدبير وتخطيط من الحكم الاموي في ظروف زمانية ومكانية يختارها ويصنعها الحكم الاموي نفسه. نعم، في المواجهة السرية يمكن لمعاوية أو يزيد أن يتوسل لقتل الامام (ع) بوسائل متعددة، منها السم والاعتقال، وغير ذلك، ثم يمؤة على مقتله باء كثر من ادعاء كاذب لتبرئة ساحته من تلك الجريمة، فتنتطلي الحيلة على الامة، ولا يكون لمقتله (ع) في مثل هذه المواجهة تلك الآثار المحذورة التي تكون لمقتله في مواجهة عليته مكشوفة.

ولكن الامر ليس منحصر في احتمال المواجهة السرية، بل هناك احتمال حصول المواجهة العلية التي يستطيع فيها الامام (ع) نفسه أن يختار ظروفها الزمانية والمكانية ويصنع أجواها الاعلامية والتبليغية كما يريد هو لا كما يريد معاوية أو يزيد، فتكون كل آثارها ونتائجها في صالح الامام (ع) وفي ضرر الحكم الاموي، كما حصل ذلك بالفعل في واقعة عاشوراء سنة إحدى وستين للهجرة، الامر الذي كان يخشاه معاوية ويتحاشاه طيلة أيام المواجهة بينه وبين الامام الحسين (ع).

لقد كان معاوية يعلم يقينا أنه: في إطار مواجهة عليته وخصوصا المواجهة

مع الרכب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٢٨

التي تتم في ظروف زمانية ومكانية وعسكرية وإعلامية بتخطيط من الامام (ع) يكون العفو عن الامام (ع) عملاً إعلامياً لصالح النظام الاموي، ولذا فإن هذه الوصية في هذه الحدود منطقيته ومنسجمة مع دهاء معاوية ونمط تفكيره، ولا يصح استبعادها.

وقال هذا الكاتب في الختام:

(ولو أن الوصية المزعومة كانت صحيحة لما كان يزيد لا هم له بعد موت أبيه إلا تحصيل البيعة من الحسين وتشديده على عامله بالمدينة بلزوم إجبار الحسين على البيعة). « ١ »

و واضح أنه لا تلازم بين وجود الوصية وبين تنفيذها من قبل يزيد، فمن الممكن أن يوصى معاوية يزيد باء مور ثم لا ينفذها ولا ياءخذ بها يزيد، وقد أوصى معاوية يزيد باء مور لم يطعه فيها أيام حياته، منها مثلاً عدم إظهار التهتك، والتستر عليه، والفارق بين الشخصيتين واضح وكبير!

وقد يُقال:

إن هذه الوصية كانت في غياب يزيد، وقد حملها معاوية كلاً من الضحاک بن قيس د الفهري ومسلم بن عقبه المرى ليوصلها إلى يزيد، ومن المحتمل أنها لم تصل إليه!

وهذا أمر مستبعد، لم تحمل أيّة رواية تاريخية إشارة ما إلى احتمالها. ومع هذا فإنّ من البعيد جدّاً أيضاً أن معاوية منذ أن عزم على استخلاف يزيد من

مع الרכب الحسيني (ج ۱)، ص: ۳۲۹

بعده لا يكون قد شافه وطرح يزيد بآرائه ووصاياه في كلّ القضايا المهمّة التي ستواجه يزيد أثناء حكمه، ولا شك أن هذه القضية هي الأهمّ.

نعم، يمكن أن يقال في ختام بحث هذه المسألة:

إنّ معاوية يا صراره على تنصيب يزيد من بعده، وأخذ الناس بالبيعة له بولاية العهد كان قد أمضى عملياً قتل الامام الحسين (ع) من بعده، وذلك لا أنّه يعلم أنّ يزيد سيرتكب هذه الجريمة الشنعاء من طريقين على الأقلّ هما:

أولاً: كان قد انتشر في الامّة أن الامام الحسين (ع) يُقتل في أرض في العراق يقال لها كربلاء مع كوكبة من أهل بيته وأصحابه، وكان قد انتشر أيضاً أنّ يزيد قاتله، بل كان عمر بن سعد إذا دخل مسجد الكوفة أشار الناس إليه قائلين:

هذا قاتل الحسين، حتّى شكا ذلك إلى الامام الحسين (ع) نفسه، كلّ ذلك نتيجة ما تناقلته الامية من الاخبار الكثرية بذلك، ماء ثورة عن النبيّ (ص) وعن اميرالمؤمنين والحسن والحسين (ع) وعن جمع من الصحابة.

فهل يُعقل أن معاوية لم يسمع بذلك، وهو الذي كان يتابع كلّ شاردة من أخبار الملاحم الماء ثورة عن النبيّ (ص) وعن اميرالمؤمنين (ع) وخصوصاً فيما يتعلق بمستقبل بنى أمية وعدد حكامهم وكم يحكمون وما إلى ذلك.

ثانياً: كان معاوية يتباهى أنّه أعرف الناس بالرجال عامية وبقريش خاصه، فهل يتصوّر أنّه لم يعرف يزيد ابنه وهو منه على هذا القرب، من حيث التركيب النفسى والمؤثرات الحاكمة في شخصيته والميول الطاغية عليه، وكيفيّة نظره في الامور وطريقه معالجته المشاكل، بل وحقده وحنقه على الامام الحسين (ع) خاصية، أليس د معاوية هو القائل في رساله للامام الحسين (ع): (ولكنّي قد ظننت يا ابن أخي أنّ في رأسك نزوة وبودى أن يكون ذلك في زمانى فاءعرف لك قدرك وأتجاوز عن ذلك، ولكنّي والله أتخوّف أن تُبتلى

مع الרכب الحسيني (ج ۱)، ص: ۳۳۰

بمن لا ينظر ك فواق ناقة ... «۱» يعنى يزيد!؟

من هنا، فإنّ النتيجة العملية الاولى لا صرار معاوية على استخلاف يزيد بعده هي قتل الامام الحسين (ع) على علم من معاوية بذلك، ولا ينافى هذا أنّه حاول أن يحول دون تحقّق هذا الامر بالتآكيدات والوصايا التي حثّ فيها يزيد على المسامحة مع الامام (ع) والعفو عنه إن ظفر به.

وهذا الاصرار من معاوية على استخلاف يزيد يعنى أيضاً أنّ معاوية الذي أشاد كيان الحكم الامويّ كان أوّل من أهوى بمعول الهدم على هذا الكيان بتنصيبه يزيد حاكماً بعده.

وقد حقّ له أن يقول:

ولولا هواى فى يزيد لا بصرت رشدى وعرفت قصدى!!

شخصية يزيد بن معاوية: ص: ۳۳۰

ولد يزيد بن معاوية في الشام سنة ۲۵ أو ۲۶ للهجرة، في قصر إمارة كثر فيه الترف وكثر العيب والخدم، و (يبدو مستغرباً بادئ ذي بدء أن نعرف أنّ يزيد نشأ نشأة مسيحية تبعد كثيراً عن عرف الاسلام، وتزيد بالقارى الدهشة إلى حدّ الانكار، ولكن لا يبقى في الامر ما يدعو إلى الدهشة إذا علمنا أنّ يزيد يرجع بالا مومة إلى بنى كلب، هذه القبيلة التي كانت تدين بالمسيحية قبل الاسلام، ومن بديهيّات

علم الاجتماع أن إنسلاخ شعب كبير من عقائده يستغرق زمنا طويلا، بين معاودات نفسيّة ورجعات ضميريّة وذكريات مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٣١

وجدائيّة، وبالاخصّ إذا كانت عقيدة سيطرت على الافكار والعادات والعرف العام.

والتاريخ يحدثنا أنّ يزيد نشأ فيها إلى طور الشباب، أو حتّى جاوز طور الطفولة. ومعنى هذا أنه أمضى الدور الذي هو محطّ أنظار المرّبين وعنايتهم، وبذلك ثبت على لون من التربية النابية تمازجها خشونة البادية وجفاء الطبع.

على أن طائفه من المؤرّخين ترجّح ولايبعد أن يكون صحيحا أنّ من أساتذته يزيد بعض د نساطرة «١» الشام من مشاركة النصارى، وربّما شهد لهذا التقدير ما جاء في تأريخ الشام لابن عساكر (من أنّ يزيد كان يعرف طرفا من الهندسة) هذا الفرق الذي كان مجهولا من العرب، ممّا يضعنا أمام الامر الواقع الذي يتّسق تفسيره على ه ذه الوجه، ولا يخفى ما يكون لهذه التربية من أثر سى فيمن سيكون وليّ أمر المسلمين ... فقد كان يتزيّد في تقريب المسيحيين ويستكثر منهم في بطانته الخاصّة، لما إنّه يقع بينهم على من يمتزج به وينسجم معه (على ما يقولون). ولقد اطمأنّ إليهم حتّى عهد بتربية ابنه إلى مسيحي على ما لا اختلاف فيه بين المؤرّخين ...

إذا كان يقينا أو يشبه اليقين أنّ تربية يزيد لم تكن إسلاميّة خالصه، أو بعبارة أخرى كانت مسيحيّة خالصه، فلم يبق ما يُستغرب معه أن يكون متجاوزا مستهترا مستخفا بما عليه الجماعة الاسلاميّة، لا يحسب لتقاليدها واعتقاداتها أى حساب ولا يقيم وزنا، بل الذي يُستغرب أن يكون على غير ذلك (...). «٢»

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٣٢

وكان يزيد مهتكا في معاصيه ومبازله وهواياته لا يابيه بالا عرف الاجتماعيّة ولا يقيم لها وزنا، ولم يكن معاوية ينهاه عنها، بل كان يدعوه إلى التسرّ عليها كى لا يفتضح فيشمت به عدوّ ويساء به صديق، فقد قال له يوما:

(يا بنى ما أقدرك على أن تصل حاجتك من غير تهتك يذهب بمروءتك وقدرتك ويشمت بك عدوك ويسى بك صديقك، ثم قال: يا بنى إننى منشدك أبياتا فتاءدب بها واحفظها، فاءنشده:

انصب نهارا فى طلاب العلا واصبر على هجر الحبيب القريب

حتى إذا الليل أتى بالدجى واكتحلت بالغمض عين الرقيب

فباشر الليل بما تشتهى فأ نما الليل نهار الارب

كم فاسقٍ تحسبه ناسكا قد باشر الليل باءمر عجب

غطى عليه الليل أستاره فبات فى أمنٍ وعيشٍ خصيب

ولذّة الاحمق مكشوفة يسعى بها كلّ عدوّ مُريب «١»

وكاءنّ معاوية يحدثه عن تجربته هو فيما يتسرّ به فى الليل!!

ولمّا أراد معاوية أن ياءخذ البيعة ليزيد من الناس، طلب من زياد أن ياءخذ بيعة المسلمين فى البصرة، فكان جواب زياد له: (فما يقول الناس إذا دعوناهم إلى بيعة يزيد، وهو يلعب بالكلاب والقروء، ويلبس المصبغ، ويئدمن الشراب، ويمشى على الدفوف ...). «٢»

وفى هذا الخبر إشارة واضحة إلى أنّ يزيد كان مشهورا بذلك عند الناس، ويؤ

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٣٣

يد ذلك قول الامام الحسين (ع) لمعاوية:

(كاءنك تصف محجوبا أوتنتع غائبا عمّا كان ممّا احتويته بعلم خاصّ، وقد دلّ يزيد من نفسه على موقع رأيه، فخذ ليزيد فى ما أخذ من استقرائه الكلاب المهارشة عند التحارش، والحمام الشُّبِق لا ترابهن، والقينات ذوات المعازف، وضروب الملاهى، تجده ناصرا ودع

عنك ما تحاول ...). «١»

بل هناك عبارة لابن كثير في تاءريخه تصرّح باشتهار يزيد في ذلك:

(اشتهر بالمعازف وشرب الخمر والغناء والصيد، واتّخاذ الغلمان والقيان والكلاب، والنطاح بين الكباش والدباب والقروود، وما من يوم إلّا ويصبح فيه مخمورا...). «٢»

بل عدّه بعض المؤرّخين من الاوائل في ذلك:

(كان يزيد بن معاوية أوّل من أظهر شرب الشراب والاستهتار بالغناء، والصيد واتّخاذ القيان والغلمان، والتفكّه بما يضحك منه المترفون من القروود، والمعافرة بالكلاب والديكة). «٣»

ومنذ أن فتح عينه على الدنيا في قصر أبيه، كانت كلّ طلباته مستجابة فوراً، فما تعود أن يُردّ له طلب، وكان هذا من الاسباب الذي جعلت شخصيته ذات بُعدٍ واحدٍ خلافاً لشخصية أبيه المتعدّدة الابعاد، وجعلت منه قاصر النظر ضعيف الرأى لا ينظر إلى أمرٍ ما إلّا من زاوية واحدة من زواياه، ولذا فقد عالج القضايا المستعصية التي واجهها بحسبٍ أرعن لا يرتكز على أساسٍ من

معالركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٣٤

حكمة ونضج وبصيرة، وكاءنّ الدنيا كلّها قصر أبيه المترف فلا ينبغي لا حدّ إلّا أن يخضع لا مره ورغبته (ولم يكن يزيد يحتمل أن يلتوى عليه أحدٌ بطاعته، وإنّما كان يرى أنّ طاعته حقٌّ على الناس جميعاً، فمن التوى بها عليه فليس له عنده إلّا السيف). «١»
وكان قصور نظره وضعف رأيه وتشنّجه النفسى قد تجلّى في القضايا الكبرى كقضية مواجهة الامام الحسين (ع)، ومواجهة انتفاضة المدينة المنورة.

فقد كان يزيد هو الذي أمر بقتل الامام الحسين (ع)، إذ قد خير عبيدالله بن زياد بين قتله أو قتل الامام (ع)، وبين أن يبقى حُرّاً يحمل اللقب الاموى أو يعود عبداً روميّاً كما هو حقيقة، يقول عبيدالله بن زياد:
(أما قتلى الحسين فإنّه أشار إلىّ يزيد بقتله أو قتلى فاخترتُ قتله...). «٢»

وروى اليعقوبى أنّ يزيد كتب إلى عبيدالله بن زياد قائلاً:

(قد بلغنى أنّ أهل الكوفة قد كتبوا إلى الحسين في القدوم عليهم، وأنّه قد خرج من مكّة متوجّها نحوهم، وقد بلّغى به بلدك من بين البلدان، وأيامك من بين الايام، فإن قتله، وإلّا رجعت إلى نسبك وإلى أبيك عبيد، فاحذر أن يفوتك). «٣»
لكنّ بعض المؤرّخين رووا هذه الرسالة بدون أمر يزيد الصريح بقتل الامام (ع)، كمثل ابن عساكر الذي رواها مخفّفة هكذا:
(إنّه قد بلغنى أنّ حسيناً صار إلى الكوفة، وقد ابتلى به زمانك من بين الازمان،

معالركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٣٥

وبلدك من بين البلدان، وابتليت به أنت من بين العمال، وعندها تُعتق أو تعود عبداً كما تعتبّد العبيد. فقتله ابن زياد وبعث برأسه إليه). «١»

وفي موضع آخر خفّف ابن عساكر من القضية تخفيفاً أكثر فقال:

(وبلغ يزيد خروجه فكتب إلى عبيدالله بن زياد وهو عامله على العراق، ياءمره بمحاربتة وحمله إليه إن ظفر به، فوجّه اللعين عبيدالله بن زياد الجيش إليه مع عمر بن سعد بن أبي وقاص). «٢»

والغريب أنّ الراوى في هذا النصّ الاخير يوجّه اللعن إلى عبيدالله بن زياد ولا يلعن يزيد الذي أمره بمحاربة الامام (ع)!!

يقول عبدالله العلايلي:

(لذلك أعتمد رواية اليعقوبى المحقّقة (من أنّ يزيد أمر ابن زياد بقتل الحسين (ع)، وأشك في غيرها وأميل إلى أنّها «٣» تنصّل من يزيد لمّا رأى عظم ما جنّت يده، وإنّما إعتمدها المؤرّخون المعتدلون تخفيفاً لحمى الماء ساءة). «٤»

ولو لم يكن يزيد هو الامر بالقتل لما ترنّم حين رأى السبايا والرؤوس المقدّسة على أطراف الرماح وقد أشرفوا على رُبي نهر جيرون

قائلا:

لما بدت تلك الحمول وأشرقت تلك الشمس على ربي جيرون

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٣٦

نعب الغراب فقلت صبح أو لاتصبح فلقد قضيت من الغريم ديوني (١)

(ومن هنا حكم ابن الجوزي والقاضي أبويعلى والتفتازاني والجلال السيوطي بكفره ولعنه...). (٢)

ويعترف يزيد بأنه قاتل الامام الحسين (ع) إقرارا، إذ لما أتت براءت الحسين إلى يزيد بن معاوية بدمشق فنصب، فقال يزيد: علي بالنعمان بن بشير. فلما جاء:

قال: كيف رأيت ما فعل عبيدالله بن زياد؟

قال: الحرب دُولٌ.

فقال: الحمد لله الذي قتله.

قال النعمان: قد كان اميرالمؤمنين يعني به معاوية يكره قتله.

فقال: ذلك قبل أن يخرج، ولو خرج على أميرالمؤمنين والله قتله إن قدر... (٣)

فيزيد في رده هذا يقر بتبني قتل الامام الحسين (ع) إذا خرج، وقد حمد الله على قتله، ثم هو ينسب ه ذا الموقف إلى أبيه معاوية خلافا لما ورد في بعض د الاخبار من طريق الفريقين «٤» من أن معاوية قد أوصاه بالمسامحة مع الامام وبالعفو عنه، والتي هي أقرب إلى منهج معاوية في دهائه، ولايبعد أن يكذب يزيد على أبيه بعد أن أدرك عظم ما اجترح في هذه المأساة، وهو الغرير الذي يفتقر حتى إلى أبسط مسحة من الدهاء.

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٣٧

نعم قد يقدم معاوية على قتل الامام (ع)، خرج أو لم يخرج، إذا رأى أن بقاءه يشكل خطرا عليه أو على الحكم الاموي، ولكنه لا يقتله بهذه الطريقة المكشوفة التي فعلها يزيد، بل يقتله سرا بالسم أو اغتiallyا ثم ينسب الفعل إلى غيره، ويطلب هو بدم الامام (ع) فيوهم الناس ويخدعهم ويزداد بذلك حبا عند أكثر الناس.

ثم إن هناك فارقا واضحا بين موقف معاوية من الامام (ع) وموقف يزيد منه، وهو أن معاوية لم يشدد على الامام في أمر البيعة ليزيد وإن كان قد أوهم الناس أن الامام (ع) قد باع كما في بعض الروايات، أما يزيد فلم يرض للامام (ع) في ألبايح، بل ركز بين اثنتين: البيعة أو القتل.

وقد خرج يزيد عن طوره النفاقي فاءظهر كفره وعداهه السافر لرسول الله (ص)، وافتخر بانتماؤه إلى جاهليته أسلافه، وإلى حركة النفاق، حينما وضع رأس د الامام (ع) بين يديه فتمثل متشقا بآيات ابن الزبير التي مطلعها:

ليت أشياخي بيدر شهدوا جزع الخرج من وقع الاسل

وقيل: إن يزيد قد أضاف إليها هذه الآيات من عنده:

لاهلوا واستهلوا فرحا ثم قالوا يا يزيد لا تسئل

لست من عتبه إن لم أتقم من بني أحمد ما كان فعل

لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحى نزل (١)

وهذا بنفسه كاشف عن شخصيته يزيد ذات البعد الواحد والتي لا تتمتع بشيء من الدهاء العادي فضلا عن دهاء أبيه.

وكأن يزيد قد ظفر بامتية الكبرى بقتل سيد الشهداء (ع)، وغمرت كيانه

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٣٨

نشوء الغلبة العاجلة والتشفي، فقد (جلس ذات يوم على شرابه، وعن يمينه ابن زياد، ذلك بعد قتل الحسين (ع)، فاقبل على ساقه فقال:

إسقنى شربة تروى مُشاشى ثم مل فاشقٍ مثلها ابن زياد
صاحب السر والامانة عندي ولتسديد مغنمى وجهادى
ثم أمر المغنين فغنوا به (...). «١»

(وغلب على أصحاب يزيد وعماله ما كان يفعله من الفسوق. وفي أيامه ظهر الغناء بمكة والمدينة، واستعملت الملاهى، وأظهر الناس شرب الشراب.

وبالجملة، كان موافق الرغبة فى اللهو والقنص والخمر والنساء وكراب الصيد حتى كان يلبسها الاساور من الذهب والجلال والمنسوجة منه، ويهب لكل كلب عبدا يخدمه، وساس الدولة سياسة مشتقة من شهوات نفسه، وكانت ولايته ثلاث سنين وستة أشهر، وفى السنة الاولى قتل الحسين بن على، وفى السنة الثانية نهب المدينة وأباحها ثلاثة أيام، تم فيها قتل سبعمائى من المهاجرين والانصار، فلم يبق بدرى بعد ذلك، وقتل عشرة آلاف من الموالى والعرب والتابعين، وافتضاض ألف عذراً). «٢»

الخبر فى المدينة: ص : ٣٣٨

اختلف شاعن مدينة رسول الله (ص) عن سائر مدن الاسلام الاخرى من حيث طريقة وصول خبر موت معاوية إليها، فقد وصل إليها هذا الخبر

مع الركب الحسينى (ج ١)، ص : ٣٣٩

بتخطيط خاص مدروس من قبل يزيد فى الشام، لانه أراد من واليه على المدينة وهو الوليد بن عتبة بن أبى سفيان، على ما فى أكثر التواريخ «١» أن ياءخذ البيعة له من الامام الحسين (ع) بالاساس ومن عبدالله بن الزبير ثانيا قبل أن يعلم أهل المدينة بخبر موت معاوية.

هذا ما يستفاد من الرسالة الصغيرة التى وصفت كاءنها أذن فاءره والتى بعثها يزيد إلى الوليد بن عتبة مع رسالة النعى الكبيرة، وكانت تلك الرسالة الصغيرة على ما فى رواية يعقوبى:

(إذا أتاك كتابى هذا، فاء حضر الحسين بن على (ع)، وعبدالله بن الزبير، فخذهما بالبيعة لى، فإن امتنعا فاضرب أعناقهما، وابعث إلى برؤ وسهما، وخذ الناس د بالبيعة، فمن امتنع فاء نفذ فيه الحكم، وفى الحسين بن على وعبدالله بن الزبير، والسلام). «٢»

ويستفاد هذا أيضا من قول مروان بن الحكم حينما استشاره والى المدينة فى كيفية أخذ البيعة من هؤلاء الرجال، حيث أجاب قائلا: (أرسل الساعة إلى هؤلاء النفر فخذ بيعتهم، فإنهم إن بايعوا لم يختلف على يزيد أحد من أهل الاسلام، فعجل عليهم قبل أن يقشى الخبر فيمتنعوا...). «٣»

وفى رواية الفتوح:

(فقال مروان: إبعث إليهم فى هذه الساعة فتدعوهم إلى البيعة والدخول

مع الركب الحسينى (ج ١)، ص : ٣٤٠

فى طاعة يزيد، فإن فعلوا قبلت ذلك منهم، وإن أبوا قديمهم واضرب أعناقهم قبل أن يدروا بموت معاوية، فإنهم إن علموا ذلك وثب كل رجل منهم فاء ظهر الخلاف ودعا إلى نفسه (...). «١»

إذن فقد كانت الخطأ أن تؤخذ البيعة من الامام الحسين (ع) ومن عبدالله بن الزبير ومن عبدالله بن عمر على ما فى بعض الروايات

قبل أن يفشو الخبر ويعلم أهل المدينة بموت معاوية.

ومما يؤكّد هذا أيضا:

أنّ رسول الوليد لما أتى إلى الامام الحسين (ع) وإلى عبدالله بن الزبير يستدعيهما إلى الوليد، ووجدهما في المسجد، وأخبرهما بالا ستدعاء، قال عبدالله بن الزبير يسائل الامام (ع):

(يا أبا عبدالله، إنّ هذه ساعة لم يكن الوليد بن عتبة يجلس فيها للناس، وإني قد أنكرت ذلك وبعثته في هذه الساعة إلينا ودعاه إيانا لمثل هذا الوقت، أترى في أيّ طلبنا!؟

فقال له الحسين (ع):

إذا أخبرك اءببكر، إني اءظنّ باءنّ معاوية قد مات، وذلك اءنّي راءيت البارحة في منامي كاءنّ منبر معاوية منكوس، ورأيت داره تشتعل نارا، فاءولت ذلك في نفسي أنّه مات. «٢»

فلو كان خبر موت معاوية قد فشا وانتشر في المدينة ساءتئذ لكان ابن

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٤١

الزبير قد علمه كما علم الناس.

والظاهر أنّ خبر موت معاوية ظلّ مكتوما عن عامّة أهل المدينة إلى ما بعد خروج الامام الحسين (ع) منها فلم ينتشر إلّا انتشارا ضعيفا، ولم يعلم به إلّا بعض خواصّ أهلها ممّن يحيط بالوالي من بني أميّة وبعض رجال السلطة، وممّن يحيط بالا مام الحسين (ع) من بني هاشم وبعض شيعته، وعبدالله بن الزبير وإخوته وبعض من يحيطون بهم، وعبدالله بن عمر وخاصته.

ولعلّ هذا ما كانت تريده السلطة في المدينة بالذات، لعزل الامّة في المدينة عن حركة الامام (ع) سوأ بقي في المدينة أو خرج منها، إذ إنّ السلطة الامويّة على فرض بقائه ستواصل إحراجه منفردا لتذليل بيعته، ولن يطول ذلك أكثر من يوم أو يومين، فإذا بايع فلن يمتنع بعده أحد من الامّة عن البيعة، وإذا أصرّ على الامتناع فلا بدّ له من أن يحتال للخروج من المدينة مخافة الاغتيال، ولن يطول مكثه حتّى يخرج ثلاث ليال على الاكثر، فتخلو المدينة منه وممّن يتبعه، وعندئذ تسهل عمليّة أخذ البيعة من أهل المدينة في غياب الامام (ع)، أمّا من عداه من وجهاء المدينة فلا يمتنع بمثل تلك المنزلة التي يمتنع بها الامام (ع) في قلوب الناس وليس له تلك الاهميّة، فضلا عن أنّ بعضهم يتسم بالميوعة والمسالمة في المواقف ولا قاطعيّة له، كمثّل عبدالله بن عمر، الذي أشك بقوّة أنّ بعض الروايات حشرته مع الامام (ع) وعبدالله بن الزبير في وجهاء المدينة المعارضين للتغطية على ميله للحكم الامويّ.

ومما يؤكّد ما ذهبنا إليه في تعمّد سلطة المدينة عدم الاعلان عن موت معاوية إلى ما بعد انجلاء الموقف الحسيني، هو أنّ الامام (ع) طلب من الوالي الوليد بن عتبة أن يدعى إلى البيعة بمحضر الناس فيكون الامر سوأ حيث قال (ع):

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٤٢

(إنّ مثلي لا يعطى بيعته سرّا، وإنّما أحبّ أن تكون البيعة علانية بحضرة الجماعة، ولكن إذا كان من الغد ودعوت الناس إلى البيعة دعوتنا معهم فيكون أمرنا واحدا...). «١»

فالعادة إذن أن ينعي الوالي الخليفة الميت في الغد ويدعو الناس إلى بيعته من يخلفه، هذا ما تُشعر به عبارة الامام (ع):

(... ولكن إذا كان من الغد ودعوت الناس إلى البيعة...).

والتاريخ لم يحدّثنا أنّ الوليد بن عتبة قد جمع الناس في اليوم التالي للبيعة في المسجد كما العادة «٢» ولا في اليوم الذي بعده، بل إنّ التاريخ ليؤكّد عكس ذلك، إذ كتب الوليد إلى يزيد (يخبره بما كان من أهل المدينة وما كان من ابن الزبير وأمر السجن) حيث أخرج بنوعدي عبدالله بن مطيع العدوي منه بالقوّة وأخرجوا كلّ من كان في السجن، «٣» ثمّ ذكر له بعد ذلك أمر الحسين بن عليّ (ع):

(أنه ليس يرى لنا عليه طاعة ولا بيعه). (٤)

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٤٣

فكتب إليه يزيد:

(من عبدالله يزيد اميرالمؤمنين إلى الوليد بن عتبة. أما بعد:

فإذا ورد عليك كتابي هذا فخذ البيعة ثانيا على أهل المدينة بتوكيد منك عليهم، وذو عبدالله بن الزبير فإنه لن يفوتنا ولن ينجو منا أبدا مادام حيا، وليكن مع جوابك إلى رأس الحسين بن علي، فإن فعلت ذلك فقد جعلت لك أعنة الخيل، ولك عندى الجائزة والحظ الاوفر والنعمة واحدة، والسلام). (١)

فقوله: (فخذ البيعة ثانيا على أهل المدينة بتوكيد منك عليهم) كاشف عن أن الوليد لم يكن يستطيع أخذ البيعة من أهل المدينة بوجود الامام الحسين (ع)، وقوله: (البيعة ثانيا): يتضمّن الاشارة إلى البيعة الاولى التى أخذها معاوية بولايه العهد ليزيد من أهل المدينة فى حياته خدعه. لا أن الوليد أخذ البيعة من أهل المدينة ليزيد ثم دعاه يزيد إلى أخذها مرّة ثانية منهم بتوكيد عليهم.

وقوله: (وذو عبدالله بن الزبير... كاشف عن عدم تمتع ابن الزبير بالا همية التى يتمتع بها الامام (ع).

وقوله: (وليكن مع جوابك إلى رأس الحسين بن علي (ع) كاشف عن أن وجود الامام (ع) بماله من منزله ومكانه قدسيه فى الامة هو العقبة الكبرى فى طريق البيعة التى يريد بها يزيد من أهل المدينة خاصة.

كما أن هذه الرسالة كاشفة بنوع محتواها عن نوع شخصيه يزيد التى لا تتمتع حتى بذرة من الحكمة والدهاء، وكاشفة عن سطحته وضحالتة الظاهرة، فها هو أمام رغبته وغضبه لا ينظر إلى حقائق الواقع السياسى

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٤٤

والاجتماعى ولا يعبأ بها، إنه فيما يامر به متجاوزا هذه الحقائق كما يامر الطفل فى تخيلاتة وأعباه خلافا لما تحكم به السنن الطبيعیه والاجتماعية.

إنّ كتمان خبر موت معاوية عن أهل المدينة عموما عدّة أيام ربّما شكّل واحدا من أسباب تخلف أهل المدينة عن نصره الامام (ع) وفيهم آنثذ مئات من الصحابة وأكثر من ذلك من التابعين، لأنّ الظاهر أنّ جُلهم لم يعلم حتى بخروجه من المدينة، وما علموا بذلك إلّا بعد حين من مكثه فى مكة المكرمة، مع أنّ الذين التحقوا به من المدينة فى مكة بعد ذلك أفراد قليلون.

الاستدعاء والتشاور فى المسجد: ص : ٣٤٤

لنعد إلى بداية القصة فى أحداث سنة ستين للهجرة ...

تقول الرواية: (وفى هذه السنة بويح ليزيد بن معاوية بالخلافة بعد وفاة أبيه للنصف من رجب فى قول بعضهم، وفى قول بعض لثمان بقين منه ...

وقال هشام بن محمد عن أبي مخنف:

ولى يزيد فى هلال رجب سنة ستين، وأمير المدينة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان، وأمير الكوفة النعمان بن بشير الانصارى، وأمير البصرة عبيدالله بن زياد، وأمير مكة عمرو بن سعيد بن العاص.

ولم يكن ليزيد همة حين ولى إلّا بيعه نفر الذين أبوا على معاوية الاجابة إلى بيعة يزيد حين دعا الناس إلى بيعته وأنه ولى عهده بعده، والفراغ من أمرهم.

فكتب إلى الوليد:

بسم الله الرحمن الرحيم.

من يزيد اميرالمؤمنين إلى الوليد بن عتبة. أمّا بعد: فإنّ معاوية كان عبدا من

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٤٥

عبداللّه، أكرمه الله واستخلفه وخوّله ومكّن له، فعاش بقدر ومات باءجل، فرحمه الله، فقد عاش محمودا (!) ومات برّا تقياً (!) والسلام.

وكتب إليه في صحيفة كائنّها أذن فاءرة:

أمّا بعد: فخذ حسينا وعبداللّه بن عمر وعبداللّه بن الزبير بالبيعة أخذًا شديدًا ليست فيه رخصة حتى يبايعوا، والسلام. «١»

أمّا محتوى هذه الصحيفة الصغيرة التي كائنّها أذن فاءرة على ما في رواية الفتوح فهو:

(أمّا بعد: فخذ الحسين بن علي (ع)، وعبدالرحمن بن أبي بكر، وعبداللّه بن الزبير، وعبداللّه بن عمر بن الخطاب أخذًا عنيًا ليست فيه رخصة، فمن أبي عليك منهم فاضرب عنقه وابعث إلى برأسه). «٢»

ويلاحظ على هذا النص أنّ عبدالرحمن بن أبي بكر مات في عهد معاوية، في نومه نامها، ويقال إنّ معاوية دسّ إليه سمًا فقتله.

ولم يروها ابن عساكر كصحيفة صغيرة مخصوصة، بل رواها هكذا ككتاب عام: (وبايع الناس ليزيد يعني في الشام فكتب يزيد مع عبداللّه بن عمرو بن أوبس د العامري من بني عامر بن لؤي إلى الوليد بن عتبة بن أبي سفيان وهو على المدينة: أن ادع الناس فبايعهم، وابدأ بوجوه قريش، وليكن أول من تبادبه الحسين بن علي بن أبي طالب، فإنّ أميرالمؤمنين رحمه الله عهد إلى في أمره الرفق به واستصلاحه). «٣»

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٤٦

ولم يروها اليعقوبى أيضا كصحيفة صغيرة مخصوصة، لكنّ محتوى الرسالة التي رواها يشهد على أنّها من الرسائل السريّة التي لا يطلع عليها سوى المسؤل والمقصود بها، كما أنّ نصّها يبدو من أضبط النصوص المروية بصددها، لأنّه ليس فيه اسم عبداللّه بن عمر الذي لم يكن يشكّل في مساءله بيعته ليزيد أيّة مشكلة بالفعل، إذ كان معروفًا بالميوعة في مواقفه والمسالمة والدخول فيما دخل فيه الناس، كما أنّ نصّ اليعقوبى ينسجم تماما مع ضيق نظر يزيد وسرعة انفعاله ولا مبالاته بالسنن والقيم الاجتماعية، كما أنّ نمط الترتيب فيه كاشف عن دقته.

ونصّ اليعقوبى هو:

(إذا أتاك كتابي هذا، فاهضّر الحسين بن عليّ وعبداللّه بن الزبير، فخذهما بالبيعة لي، فإن امتنعا فاضرب أعناقهما، وابعث إلى برؤ

وسهما، وخذ الناس بالبيعة، فمن امتنع فاه نفذ فيه الحكم، وفي الحسين بن عليّ وعبداللّه بن الزبير، والسلام). «١»

لنعد إلى تسلسل القصة، ولنقرأ ماذا صنع الوليد بن عتبة؟! تقول الرواية:

(فلما أتاه نعيّ معاوية فظع به وكبر عليه، وبعث إلى مروان بن الحكم فدعاه وكان مروان عاملا على المدينة من قبل الوليد، فلما قدمها الوليد كان مروان يختلف إليه متكارها، فلما رأى الوليد ذلك منه شتمه عند جلسائه، فبلغ ذلك مروان فانقطع عنه، فلم يزل مصارما له حتى جاء نعيّ معاوية، فلما عظم على الوليد هلاكه وما أمّره من بيعه هو لاء النفر استدعى مروان فلما قرأ الكتاب بموت معاوية استرجع وترحم عليه، واستشاره الوليد كيف يصنع

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٤٧

? قال: أرى أن تدعوهم الساعة، وتأمّرهم بالبيعة، فإن فعلوا قبلت منهم وكففت عنهم، وإن أبوا ضربت أعناقهم قبل أن يعلموا بموت معاوية، فإنّهم إن علموا بموته وثب كلّ رجل منهم بناحية وأظهر الخلاف ودعا إلى نفسه، أمّا ابن عمر فلا يرى القتال ولا يحبّ أن يلي على الناس إلّا أن يدفع إليه هذا الامر عفوا.

فارس الوليد عبدالله بن عمرو بن عثمان وهو غلامٌ حدث، إلى الحسين وابن الزبير يدعوهما، فوجدهما في المسجد وهما جالسان، فأتاهما في ساعة لم يكن الوليد يجلس فيها للناس.

فقال: أجبنا الامير.

فقالا: انصرف، ألا ننايته.

وقال ابن الزبير للحسين: وما تراه بعث إلينا في هذه الساعة التي لم يكن يجلس د فيها؟! فقال الحسين: أظنّ أنّ طاغيتهم قد هلك، فبعث إلينا لياخذنا بالبيعة قبل أن يفشو في الناس الخير.

فقال: وأنا ما أظنّ غيره، فما تريد أن تصنع؟

قال الحسين: أجمع فتيانى الساعة، ثم أمشى إليه، وأجلسهم على الباب وأدخل عليه.

فقال: فإنّي أخافه عليك إذا دخلت!

معالركب الحسينى (ج ١)، ص: ٣٤٨

فقال: لا آتية إلّا وأنا قادر على الامتناع. «١»

وفى رواية أخرى أنّ ابن الزبير قال للامام الحسين (ع):

(ظنّ يا أبا عبدالله فيما أرسل إلينا؟!).

فقال الحسين: لم يرسل إلينا إلّا للبيعة.

فقال؟ فما ترى؟

قال: آتية، فإن أراد تلك امتنعت عليه. «٢»

ويلاحظ في محاوره الامام (ع) مع ابن الزبير أنّ الامام (ع) كان واضحا تمام الوضوح في موقفه وفيما يريد أن يفعله، ولم يكتف شيئا عن ابن الزبير في معرض الاستشارة، غير أنّ ابن الزبير كان على عكس ذلك، فلم يكن همّه إلّا معرفة ما سيفعله الامام (ع)، ولم يفصح بشي عمّا يريد هو أن يقوم به ويفعله!

وفى كتاب الفتوح عرض لهذا المقطع من القصيدة لا يمكننا الاغراض عنه لما فيه من تفصيلات مهمّة لم تاءت فيما ذكره ابن الاثير والطبرى وابن قتيبة، فلنقرأ رواية هذا المقطع فى الفتوح على ترتيبه:

قال ابن أعثم: (فلما ورد كتاب يزيد على الوليد بن عتبة وقرأه قال:

إنّا لله وإنّا إليه راجعون، يا ويح الوليد بن عتبة، من أدخله فى هذه الامارة؟ ما لى وللحسين بن فاطمة!؟

... ثم بعث إلى مروان بن الحكم، فآراه الكتاب فقرأه واسترجع، ثم ... قال: يرحم الله اميرالمؤمنين معاوية!

معالركب الحسينى (ج ١)، ص: ٣٤٩

فقال الوليد: أشر علىّ برأيك فى هؤ لاء القوم، كيف ترى أن أصنع!؟

فقال مروان: إبعث إليهم فى هذه الساعة فتدعوهم إلى البيعة والدخول فى طاعة يزيد، فإن فعلوا قبلت ذلك منهم، وإن اءبوا قدّمهم واضرب اءعناقهم قبل أن يدروا بموت معاوية، فإنّهم إن علموا ذلك وثب كلّ رجل منهم فاءظهر الخلاف ودعا إلى نفسه، فعند ذلك أخاف أن ياءتيك من قبلهم ما لا قبل لك به وما لا يقوم له، إلّا عبدالله بن عمر فإنّي لأأراه ينازع فى ه ذا الامر أحدا إلّا أن تاءتية الخلافة فياءخذها عفوا، فذر عنك ابن عمر. «١»

وابعث إلى الحسين بن على، وعبدالرحمن بن أبى بكر، وعبدالله بن الزبير فادعهم إلى البيعة، مع أنّى أعلم أنّ الحسين بن على خاصّة لا يجيبك إلى بيعة يزيد أبدا ولا يرى له عليه طاعة، ووالله إن لو كنت فى موضعك لم أراجع الحسين بكلمة واحدة حتى أضرب رقبتة كائنا فى ذلك ما كان.

... فاءطرق الوليد بن عتبة إلى الارض ساعة ثم رفع رأسه ...

وقال: يا ليت الوليد لم يولد ولم يكن شيئاً مذكورا!

... ثم دمعت عيناه ...

فقال له عدو الله مروان: أوّه أيها الامير! لاتجزع ممّا قلت لك، فإن آل أبي تراب هم الاعداء في قديم الدهر ولم يزلوا، وهم الذين قتلوا الخليفة عثمان

معالركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٥٠

بن عفان، ثم ساروا إلى أمير المؤمنين فحاربوه، وبعد فإني لست آمن أيها الامير! أنك إن لم تعاجل الحسين بن علي خاصة أن تسقط منزلتك عند اميرالمؤمنين يزيد.

فقال له الوليد بن عتبة: مهلا! ويحك يا مروان عن كلامك هذا، وأحسن القول في ابن فاطمة فإنّه بقيّة ولد النبيين.

... ثم بعث الوليد بن عتبة إلى الحسين بن علي وعبدالرحمن ابن أبي بكر «١» وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير فدعاهم، فاقبل إليهم الرسول، والرسول عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان، لم يصب القوم في منازلهم، فمضى نحو المسجد فإذ القوم عند قبر النبي (ص)، فسلم عليهم ثم قام وقال: أجيوا الامير!

فقال الحسين: يفعل الله ذلك إذا نحن فرغنا عن مجلسنا هذا إن شاء الله.

... فانصرف الرسول إلى الوليد فاعبره بذلك.

واقبل عبد الله بن الزبير على الحسين بن علي وقال: يا أبا عبد الله، إن هذه ساعة لم يكن الوليد بن عتبة يجلس فيها للناس، وإني قد أنكرت ذلك وبعته في هذا الساعة إلينا ودعاه إيانا لمثل هذا الوقت، أترى في أي طلبنا!؟

فقال له الحسين: إذا أخبرك اءبابكر، إني اعظنّ باءن معاوية قد مات، وذلك إني رأيت البارحة في منامي كائن منبر معاوية منكوس، ورأيت داره تشتعل نارا، فاءولت ذلك في نفسي أنه مات.

فقال له ابن الزبير: فاعلم يا ابن علي أن ذلك كذلك، فما ترى أن تصنع إن

معالركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٥١

دعيت إلى بيعه يزيد أبا عبد الله!؟

قال: أصنع أي لا اءبايع له اءبدا، لا-ن الامر إنما كان لي من بعد اءخي الحسن، فصنع معاوية ما صنع، وحلف لا خي الحسن أنه لا يجعل الخلافة لاحد من بعده من ولده، وأن يردها إلي إن كنت حيا، فإن كان معاوية قد خرج من دنياه ولم يف لي ولا لا خي الحسن بما كان ضمن فقد والله أتاننا ما لا قوام لنا به.

أنظر أبا بكر، أي اءبايع ليزيد!؟ ويزيد رجل فاسق معلن الفسق، يشرب الخمر، ويلعب بالكلاب والفهود، ويبغض بقيّة آل الرسول! لا والله لا يكون ذلك أبدا.

... فبينما هما كذلك في هذا المحاوره إذ رجع إليهما الرسول ... «١»

فقال: أبا عبد الله، إن الامير قاعد لكما خاصة فقوموا إليه.

... فزبره الحسين بن علي، ثم قال: إنطلق إلى أميرك لا أمم لك، فمن أحب أن يصير إليه متا فإنّه صائر إليه، وأما أنا فإنني أصير إليه الساعة إن شاء الله تعالى.

... فرجع الرسول أيضا إلى الوليد بن عتبة فقال: أصلح الله الامير، أما الحسين بن علي خاصة فقد أجاب، وهاهو صائر إليك في أترى.

فقال مروان بن الحكم: غدر والله الحسين!

فقال الوليد: مهلا! فليس مثل الحسين يغدر، ولا يقول شيئاً ثم لا يفعل.

... ثم أقبل الحسين على من بحضرته فقال: قوموا إلى منازلكم فإنني صائرٌ إلى هذا الرجل فاءنظرُ ما عنده وما يريد. فقال له ابن الزبير: جعلت فداك يا ابن بنت رسول الله (ص)، إنني خائف عليك أن يحبسوك عندهم فلا يفارقونك أبداً دون أن تباع أو تقتل.

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٥٢

فقال الحسين: إنني لستُ أدخل عليه وحدي، ولكن أجمع أصحابي إليّ وخدمى وأنصارى وأهل الحق من شيعتى، ثم أمرهم أن يأخذ كل واحد سيفه مسلولا تحت ثيابه، ثم يصيرون يا زائى، فإذا أنا أو مأت إليهم، وقلت: يا آل الرسول ادخلوا، دخلوا وفعّلوا ما أمرتهم به، فاءكون على الامتناع، ولاءعطى المقادة والمذلة من نفسى، فقد علمتُ والله اءنه جاء من الامر ما لا قوام به، ولكن قضاء الله ماضٍ فى، وهو الذى يفعل فى بيت رسوله (ع) ما يشاء ويرضى). (١)

لقاء المناورة وإعلان رفض البيعة: ص: ٣٥٢

إشارة

نعود إلى متابعة القصة وكيف تم اللقاء بين الامام (ع) وبين الوليد.

يتابع ابن أعثم روايته قائلاً:

(ثم صار الحسين بن على إلى منزله، ثم دعا بماء، فلبس وتطهر بالماء، وقام فصلّى ركعتين، ودعا ربّه بما أحبّ فى صلاته، فلما فرغ من ذلك أرسل إلى فتيانه وعشيرته ومواليه وأهل بيته وأعلمهم بشأنه، ثم قال:

(كونوا بباب هذا الرجل فإنني ماضٍ إليه ومكلمه، فإن سمعتم أن صوتى قد علا وسمعت كلامى وصحت بكم، فادخلوا يا آل الرسول واقتحموا من غير إذن، ثم اشهروا السيوف ولا تعجلوا، فإن رأيتم ما تكرهون فضعوا سيوفكم ثم اقتلوا من يريد قتلى.

ثم خرج الحسين (ع) من منزله وفى يده قضيب رسول الله (ص)، وهو فى

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٥٣

ثلاثين رجلاً من أهل بيته ومواليه وشيعته، حتى أوقفهم على باب الوليد بن عتبة، ثم قال: أنظروا ماذا أوصيتكم فلا تتعدوه، وأنا أرجو أن أخرج إليكم سالماً إن شاء الله). (١)

أمّا الشيخ المفيد (ره) قد روى أن الامام (ع) قال لهم:

(إنّ الوليد قد استدعانى فى هذا الوقت، ولست آمن أن يكلفنى فيه أمراً لأجيب إليه، وهو غير ماءمون، فكونوا معى، فإذا دخلت إليه فاجلسوا على الباب، فإن سمعتم صوتى قد علا فادخلوا عليه لتمنوه عنى). (٢)

لنعد إلى رواية ابن أعثم حيث قال:

(ثم دخل الحسين على الوليد بن عتبة فسلم عليه، فردّ عليه ردّاً حسناً ثم أدناه وقربه ... ومروان بن الحكم هناك جالس فى مجلس الوليد، وقد كان بين مروان وبين الوليد منافرة ومفاوضة).

فاءقبل الحسين على الوليد فقال: أصلح الله الامير، والصلاح خير من الفساد، والصلة خير من الخشنة والشحنة، (٣) وقد آن لكما أن تجتمعا، فالحمد لله الذى أَلّف بينكما.

... فلم يجيباه فى هذا بشي ...

فقال الحسين: هل أتاكم من معاوية كائنة خبر، فإنّه كان عليلاً وقد طالت علته، فكيف حاله الآن؟

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٥٤

... فتاءوه الوليد وتنفس الصعدأ وقال: أبا عبد الله، آجرك الله في معاوية، فقد كان لك عم صدق، وقد ذاق الموت، وهذا كتاب أميرالمؤمنين يزيد.

فقال الحسين: إنا لله وإنا إليه راجعون، وعظم الله لك الاجر أيها الأمير، ولكن لماذا دعوتني؟!

فقال: دعوتك للبيعة، فقد اجتمع عليه الناس.

فقال الحسين: إن مثلي لا يعطى بيعته سراً، «١» وإتما أحببنا ان تكون البيعة علانية بحضور الجماعة، ولكن إذا كان من الغد ودعوت الناس إلى البيعة دعوتنا معهم فيكون أمرنا واحداً.

فقال له الوليد: أبا عبد الله، لقد قلت فاء حسنت في القول، وأحبيت جواب مثلك، وكذا ظنني بك، فانصرف راشداً على بركة الله حتى تاءتيني غداً مع الناس.

فقال مروان بن الحكم: أيها الأمير، إنه إذا فارقك في هذه الساعة لم يبيع فأئك لن تقدر منه ولا تقدر على مثلها، فاحبسه عندك فلا تدعه يخرج أو يبيع وإلّا فاضرب عنقه.

... فالتفت إليه الحسين وقال: ويلى عليك يا ابن الزرقاء! أتاءمر بضرب عنقي؟! كذبت والله، والله لو رام ذلك أحد من الناس لسقيت الارض من دمه قبل ذلك، وإن شئت ذلك فؤم ضرب عنقي إن كنت صادقاً.

معالركب الحسينى (ج ١)، ص: ٣٥٥

ثم أقبل الحسين على الوليد بن عتبة وقال: أيها الأمير، إنا أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، ومحل الرحمة، وبنا فتح الله وبنا ختم، ويزيد رجل فاسق، شارب الخمر، قاتل النفس المحرمة، معلن بالفسق، مثلى لا يبيع لمثله، ولكن نصبح وتصبحون، وننظر وتنظرون أيتنا أحق بالخلافة والبيعة.

... وسمع من بالباب الحسين فهموا بفتح الباب وإشهار السيوف، فخرج إليهم الحسين سريعاً فاهمهم بالانصراف إلى منازلهم، وأقبل الحسين إلى منزله. «١»

فقال مروان بن الحكم للوليد بن عتبة: عصيتني حتى انفلت الحسين من يدك، أما والله لا تقدر على مثلها أبداً، ووالله ليخرجن عليك وعلى أميرالمؤمنين فاعلم ذلك. «٢»

فقال له الوليد بن عتبة: ويحك! أشرت على بقتل الحسين، وفي قتله ذهاب ديني ودنياي، والله ما أحب أن أملك الدنيا بآسرها وأنى قتلت الحسين بن علي، ابن فاطمة الزهراء، والله ما أظن أحداً يلقى الله بقتل الحسين إلا وهو خفيف الميزان عندالله يوم القيامة لا ينظر إليه ولا يزكّيه وله عذاب أليم.

... فسكت مروان!! «٣»

معالركب الحسينى (ج ١)، ص: ٣٥٦

تاءمل و ملاحظات: ص: ٣٥٦

إشارة

إن التاءمل في حوار الاستشارة بين الوليد بن عتبة وبين مروان بن الحكم قبل اللقاء بالامام (ع)، وفي وقائع اللقاء بين الامام (ع) وبين والى المدينة الوليد بحضور الشيطان المريد مروان بن الحكم يؤدى إلى عدّة ملاحظات أهمها:

١ (الخطبة العسكرية للحفاظ على حياة الامام (ع) ص: ٣٥٦

: لقد احتاط الامام (ع) فى توجيهه إلى لقاء الوليد بن عتبة بمجموعة كافية من رجاله المسلحين (فى ثلاثين رجلاً من أهل بيته ومواليه

وشيعته: على ما في رواية الفتوح) تحسبا لمحاولة اغتياله من قبل السلطة الاموية في مقرّ والي المدينة الوليد بن عتبة الذي وصفه الامام (ع) على ما في رواية الشيخ المفيد (ره) بآءنه (غير ماءمون)، خاصة وأنّ الامويين يعلمون أنّ الامام الحسين (ع) يتربص بهم الظرف المناسب للخروج والثورة عليهم، «١» وآءنه إنّما آثر المتاركة المؤقتة بينه وبينهم لبقاء معاوية في الحياة، لا سباب تتعلق بشخصية معاوية، كئنا قد فضلنا القول فيها من قبل.

وقد كشف مروان بن الحكم في هذا اللقاء عن هذا العلم وهذه القناعة بقوله على ما في رواية الفتوح: (و والله ليخرجنّ عليك وعلى اميرالمؤمنين) وقوله على ما في رواية الارشاد: (والله لئن فارقتك الحسين الساعة ولم يبايع لا قدرت منه على مثلها أبدا حتى تكثر القتلى بينكم وبينه ...)

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٥٧

من هنا، كان الاحتمال قويا في أن تقدم السلطة الاموية على اغتيال الامام (ع) إجهاضا لحركة الثورة قبل اندلاعها والاعلان عنها، وقد سعت السلطة الاموية إلى تنفيذ هذه المحاولة بعد ذلك في المدينة وفي مكة كما سيأتي في ثنايا هذا البحث. وبعد قتل الامام (ع) في مقرّ الوالي في الظلام بعد منتصف الليل على فرض نجاح عملية الاغتيال فإنّ السلطة الاموية تستطيع أن تفتعل قصبة مكذوبة لقتله تتهم بها بريئا لتضليل بني هاشم خاصة والامة عامة، ثم تقوم هي بقتل ذلك البريء في إطار مطاردة مسرحية مفتعلة، وتخرج منها السلطة الاموية وكاءنها المطالب بدم الامام (ع) والاخذ بئاءره، وفي الوقت نفسه تكون قد قضت على قائد الثورة قبل اندلاعها والاعلان عنها.

لذا فقد أراد الامام (ع) أن يفوت هذه الفرصة المحتملة على السلطة الاموية بإعداد قوة عسكرية مكونة من ثلاثين من أهل بيته وشيعته ومواليه شاكين بالسلاح ليكونوا على الباب بانتظار الاشارة منه للتدخل في اللحظة المناسبة، وبذلك يكون الامام (ع) قادرا على الامتناع على أيّ محتمل من محتملات السوء في لقاء تلك الليلة مع الوليد.

٢ (لماذا طلب الامام (ع) أن يدعى إلى البيعة علنا مع الناس؟!): ص : ٣٥٧

ويلاحظ أيضا في هذا اللقاء أنّ الامام (ع) باءسلوب الحكيم الواثق المطمئن قد أجاب الوالي حين طلب منه البيعة ليزيد قائلا على ما في رواية الفتوح:

(إنّ مثلى لايعطى بيعته سراً، وإنّما أحبّ أن تكون البيعة علانية بحضور الجماعة، ولكن إذا كان من الغد ودعوت الناس إلى البيعة دعوتنا معهم فيكون أمرنا واحداً)، ولا- شك أن أيّ مطلع يقطع بآءنّ الامام الحسين (ع) لا يبايع يزيد وإن حضر اجتماع الناس في المسجد للبيعة، أليس هو القائل

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٥٨

لاخيه محمّد بن الحنفية:

(يا أخي، والله لو لم يكن في الدنيا ملجاء ولا ماءوى لما بايعت يزيد بن معاوية؟).

إذن ما هو الهدف المنشود من ورأ هذا الطلب الذي عرضه الامام (ع)؟ هل كان السبب ورأ هذا الطلب هو أنّ الامام (ع) أراد أن يتخلّص من ضغط الاحراج في دعوة الوالي إياه لبيعة يزيد في هذا اللقاء، فسعى إلى تاءجيل ذلك رغبة في الحصول على مهلة أوسع للتخلّص من هذه الورطة؟!

إذا تدكرنا أوّلا: أنّ الامام (ع) لا يبايع يزيد لا سراً ولا علنا، وثانيا: أنّه (ع) قد احتاط لكلّ مكروه محتمل في هذا اللقاء وللا امتناع على أيّ قهر فيه بقوة عسكرية كافية لدى الباب، وثالثا: أنّه (ع) في ختام هذا اللقاء كان قد أعلن عن استحالة مبايعته ليزيد (مثلى لا يبايع مثله)، بل أعلن عن خروجه وقيامه في نفس هذا اللقاء حين قال: (ولكنّ نصبح وتصبحون، ونظر وتنظرون أئنا أحقّ بالخلافة والبيعة)،

علمنا أن التآجيل رغبة في الحصول على مهلة أوسع للتخلص من ورطة إحراج المطالبة بالبيعة لم يكن السبب وراء هذا الطلب. إن ما أوصلنا إليه التآمل في هذه المسألة هو: أن الامام الحسين (ع) أراد في إجابته على طلب الوالي منه البيعة ليزيد بآن يُدعى إليها علنا مع الناس:

إستثمار قوّة وسعته تآثير العامل الاعلامي والتبليغي في الاجتماع الجماهيري العام الذي تدعى إليه الامة في المدينة للبيعة عادة، ذلك لآئه (ع) لو أعلن عن رفضه البيعة ليزيد أمام جماهير أهل المدينة، وفضح أمام هذه الجموع الحاشدة حقيقة يزيد في فسقه واستهتاره، وحرّضهم على رفض البيعة له، واستنهضهم للثورة ضده، وأعلن أمامهم عن قيامه هو (ع)، ويّين لهم ما هو عازم على النهوض به، ودعاهم بما هو ماءثور وشائع من الاخبار عن

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٥٩

رسول الله (ص) في حقّه إلى تآييده ونصرته والخروج معه، لكان لهذا العمل أثر كبير جدّا على أهل المدينة بآتجاه تعبتهم لرفض البيعة ليزيد ولنصرة الامام (ع)، لو كان قد تحقّق للامام (ع) بالفعل ما كان يرجوه من وراء هذا الطلب.

ولكنّ مروان الخبيث كان قد فطن إلى خطورة نتائج هذا الطلب، فتدخّل ليحول دون نجاحه حيث طلب من الوليد أن يجبس الامام (ع) عنده حتّى يبايع أو يضرب عنقه، فاضطرّ الامام (ع) إلى التعجيل بالكشف عن موقفه صراحة في رفض البيعة ليزيد، والاعلان عن ذلك في نفس اللقاء متخليًا عمّا كان يرجوه في الاجتماع العام من أثر العامل الاعلامي والتبليغي في كسب التآييد الجماهيري لنصرة قيامه (ع).

٣ (مروان ... والغرض المزدوج ص : ٣٥٩

: كان مروان بن الحكم في محاوره الاستشارة قبل اللقاء وفي محاوره اللقاء شيطانا يسعى إلى ضرب عصفورين بحجر واحد، إذ هو يتمنى قتل الامام الحسين (ع) بغضا وعداوة لا هل البيت (ع)، ويتمنى أن يرتكب الوليد هذه الجريمة لتشتعل فتنة كبرى في المدينة خاصة وفي سائر بلاد الاسلام عامية تكون أقلّ نتائجها عزل الوليد عن منصب الولاية في المدينة، كلّ ذلك حسدا وحنقا على الوليد الذي شغل منصب الولاية بدلا منه.

ولايعنى هذا أنّ مروان قد خرج بهذا عن ولاءه الامويّ، بل هو يرى أنّ هاتين الاميتين تصبآن في مجرى مصلحة الحكم الامويّ، إذ إنّ إحداهما تخلّص د الامويين من أقوى أعدائهم وهو الامام الحسين (ع)، والثانية تخلّصهم من أمويّ ضعيف يفتقر إلى الحزم المطلوب في نظر مروان.

وقد أكّد مروان ثباته على ولاءه الامويّ في لقائه مع الامام الحسين (ع) في صباح اليوم التالي حيث عاود مطالبه الامام (ع) بالبيعة ليزيد، كما عاود تهديد

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٦٠

الامام (ع) إن لم يبايع.

تقول الرواية: (وأصبح الحسين من الغد خرج من منزله ليستمع الاخبار، فإ ذا هو بمروان بن الحكم قد عارضه في طريقه.

فقال: أبا عبد الله، إني لك ناصح، فآطعني ترشد وتسدّد!!

فقال الحسين: وما ذلك؟! قل حتّى أسمع!

فقال مروان: أقول إني آمرك ببيعة أميرالمؤمنين يزيد فإنّه خولك في دينك ودنياك!!

فاسترجع الحسين وقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، وعلى الاسلام السلام إذ قد بليت الامة براع مثل يزيد!

ثمّ أقبل الحسين على مروان وقال: ويحك! آتاء مرني ببيعة يزيد؟! وهو رجل فاسق! لقد قلت شططا من القول يا عظيم الزلل! لألومك

على قولك لا نك اللعين الذي لعنك رسول الله (ص) وأنت في صلب أبيك الحكم بن أبي العاص، فإن من لعنه رسول الله (ص) لا يمكن له ولا منه إلا أن يدعو إلى بيعة يزيد.

ثم قال: إليك عنى يا عدو الله، فإننا أهل بيت رسول الله (ص)، والحق فينا وبالحق تنطق ألسنتنا وقد سمعت رسول الله (ص) يقول: (الخلافة محرمة على آل أبي سفيان وعلى الطلقاء أبناء الطلقاء، فإن رأيت معاوية على منبري فابقروا بطنه)، فوالله لقد رآه أهل المدينة على منبر جدى فلم يفعلوا ما أمروا به فابتلاههم الله بآبائه يزيد زاده الله في النار عذابا.

... فغضب مروان بن الحكم من كلام الحسين.

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٦١

ثم قال: والله لا تفارقنى أو تباع ليزيد بن معاوية صاغرا، فإنكم آل أبي تراب قد ملتتم كلاما واء شربتم بغض آل بنى سفيان، وحق عليكم اء تبغضوهم وحق عليهم أن يبغضوكم.

فقال له الحسين (ع): ويلك يا مروان! إليك عنى فإنك رجس، وإننا أهل بيت الطهارة الذين أنزل الله عز وجل على نبيه محمد (ص) فقال:

(إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا).

... فنكس مروان رأسه لا ينطق بشى ...

فقال له الحسين (ع): أبشر يا ابن الزرقاء بكل ما تكره من الرسول (ع) يوم تقدم على ربك فيساء لك جدى عن حقى وحق يزيد.

... فمضى مروان مغضبا حتى دخل على الوليد بن عتبة فخبّره بما سمع من الحسين بن علي). «١»

٤ (شخصية الوليد بن عتبة ص: ٣٦١)

: وقد يلاحظ أيضا في ظاهر حوار الاستشارة بين الوليد بن عتبة وبين مروان ابن الحكم قبل الاجتماع مع الامام (ع)، وفي حوار الوليد

مع الامام (ع) أثناء اللقاء، أن الوليد بن عتبة شخصية أموية متميزة تكتن الحب للامام الحسين (ع) خاصة ولا هل البيت (ع) عامة!!

فقوله يخاطب نفسه بعد ما قرأ كتاب يزيد الاوّل الذى أمره فيه باءخذ الامام (ع) أخذنا شديدا لا رخصة فيه بالبيعة: (إننا لله وإننا إليه راجعون، يا ويح الوليد ابن عتبة، من أدخله في هذه الامارة؟! مالى وللحسين بن فاطمة؟! وقوله أمام مروان: يا ليت الوليد لم يولد ولو يكن شيئا مذكورا!) وقوله

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٦٢

لمروان: (فليس مثل الحسين يغدر، ولا يقول شيئا ثم لا يفعل). وقوله له أيضا:

(ويحك، أشرت على بقتل الحسين، وفي قتله ذهاب دينى ودياى، والله ما أحب أن أملك الدنيا باءسرها وأنى قتلت الحسين بن على، ابن فاطمة الزهراء، والله ما أظن أحدا يلقى الله بقتل الحسين إلا وهو خفيف الميزان عند الله يوم القيامة لا ينظر إليه ولا يزكّيه وله عذاب أليم). وقوله لما ورد عليه كتاب يزيد الثانى الذى أمره فيه أن يبعث إليه برأس الامام (ع) مع الجواب:

(لا والله، لا يرانى الله قاتل الحسين بن على، وأنا لا أقتل ابن بنت رسول الله (ص) ولو أعطانى يزيد الدنيا بحذافيرها). «١» وقوله لما ظن أن الامام (ع) خرج من المدينة: (الحمد لله الذى لم يطالبنى الله عز وجل بدمه). «٢»

كل هذه الاقوال وأخرى نظائرها تدل في ظاهرها على أن عند الوليد بن عتبة معرفة بالامام الحسين (ع) ومحبة له، وتوحى أن ثمة مسحة من التدبّر في قلبه، كانت السبب في الصراع الباطنى في أعماقه بين خوفه من الله وحبه لا هل البيت (ع) وبين أن يمثل لا وامر يزيد التى فيها ذهاب دينه ودياه على حدّ قوله.

لكن هناك نصوصا أخرى تدل دلالة مغايرة، وتؤكد على أن الوليد بن عتبة يخدم الحكم الاموى بتمام الاخلاص له، حتى لو فرضت

عليه هذه الخدمة أن يُغظ في القول للامام الحسين (ع) ويُسى إليه (وقد كان الوليد أغلظ للحسين ...). «٣» أو فرضت عليه هذه الخدمة أن يهدد الامام الحسين (ع) بالقتل، كما حصل بالفعل حين منع الوليد أهل العراق عن لقاء الامام (ع) فوبّخه الامام (ع) قائلاً: (يا ظالما لنفسه، عاصيا لرّبّه، علامّ تحول بيني وبين قوم عرفوا من حقّي ما جهلته أنت وعمك؟!). فقال الوليد: (ليت حلمنا عنك مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٦٣

لا يدعو جهل غيرنا إليك، فجناية لسانك مغفورة لك ما سكنت يدك، فلا تخطر بها فتخطر بك، ولو علمت ما يكون بعدنا لا حبيتنا كما أبغضتنا). «١»

ومن كلّ ما تقدّم، ومن مجموع سيرة الوليد في منصب ولاية المدينة، يمكن أن نخلص إلى نتيجة عامّة هي: أنّ الوليد بن عتبة أمويّ مخلص كلّ الاخلاص للحكم الامويّ عن وعي تام لانتمائه القبلي وحرص بالغ على تقديم بنى أميّة على من سواهم، وهذا لا ينافي أنّه يرى لا هل البيت (ع) منزلة خاصّة عند الله تعالى، ففي الامويين أفراد من هذه الشاكلة، ممّن يحرص على تقديم آل اميّة ويخدم مصلحته هذا الانتماء، وفي نفس الوقت يتمنى ألّا يصطدم مع بنى هاشم عامّة وأهل البيت (ع) خاصّة، ويطلب العافية من ذلك ويرجوها، والوليد من هذا النوع.

لكنّ هذه الشاكلة من الرجال تبقى غير ماء مونة في لحظات الحرج الشديد، فقد تقدم على تنفيذ أشنع الجرائم امتثالاً لا وامر الحاكم الطاغية في حالة من حالات الضعف النفسي وطغيان حالة الازدواجية.

ولذا نجد الامام (ع) يصف الوليد بن عتبة بآءه (غير ماء مون) لرجالته الذين أوقفهم عند باب الوليد ليتدخّلوا إذا اقتضى الامر قائلاً: (إنّ الوليد قد استدعاني في هذا الوقت، ولست آمن أن يكلفني فيه أمراً لأجيب إليه، وهو غير ماء مون ...). «٢»

هذا ويمكن القول أيضاً: إنّ الوليد لم يعان من مشكلة عمليّة تذكر في منصب الولاية أيام معاوية، لأنّ معاوية كما الوليد كان يحدّد معالجة الامور

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٦٤

المستعصية بالمرونة واللين والدهاء أولاً وبالصبر عليها إذا اقتضى العلاج الصبر، لكنّ الوليد بعد موت معاوية مباشرة أصبح أمام مشكلة أساسية كبيرة في إدارة الامور، وهي أنّ أوامر يزيد وطريقة معالجته الامور، تتسم بالعجلة والاعتساف والشدة وعدم التروى خلافاً لسنن النجاح في الادارة والحكم، الامر الذي أخرج الوليد إحراجاً شديداً في تنفيذ الاوامر المتشدّدة الصادرة إليه، وخصوصاً في أصعب القضايا وهي أخذ البيعة من الامام الحسين (ع).

والظاهر من المتون التاريخية أنّ الوليد عالج المشكلة على طريقتة التي يراها بلون من الرفق والمرونة والدهاء لا كما أراد يزيد فلم يشدّد على الامام (ع)، كما احتال لا خفاء خبر موت معاوية عن عموم أهل المدينة حتّى خروج الامام (ع) منها في خطوة لعزل الائمة عن الامام (ع)، إذ لم يحدّثنا التاريخ المعتبر أنّه عقد اجتماعاً عامّاً للبيعة في المدينة قبل خروج الامام (ع) منها كما بيّننا ذلك من قبل، وهذه الطريقة التي سلكها الوليد خلافاً للاوامر المحدّدة الشديدة التي أمره بها يزيد هي التي أثارت حتى يزيد عليه إذ سرعان ما عزله عن ولاية المدينة بعد خروج الامام الحسين (ع) منها، واستعمل عليها عمرو بن سعيد الاشدق بدلا منه.

وهنا لابدّ من تسجيل هذه الملاحظة التاريخية المهمة وهي:

أنّ طابع المرونة والرفق في تعامل الوليد مع الامام الحسين (ع) وتباعده عن إحراجه والتشدّد معه كان من الاسباب التي ساعدت الامام (ع) على الخروج من المدينة في ركب من عياله وأهل بيته وبعض أصحابه دونما أيّة ممانعة أو مضايقة أو خطورة تذكر، فلو كان الوالي هو مروان بن الحكم مثلاً لكان من المحتمل والمتوقّع بدرجّة كبيرة أن يقتل الامام (ع) غيلةً أو لا أقلّ من أن تفرض عليه إقامة جبريّة في المدينة ويمنع من مغادرتها، حيث تاءخذ السلطة لذلك كلّ الاحتياطات والاستعدادات اللّازمة، فلا يتسنى للامام (ع)

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٦٥

الانفلات من طوق الحصار، ولا تسنح له فرصة الخروج بالثورة إلى رحاب أوسع، فتختنق في مهدها، ويُلقى عليها ألف حجاب وحجاب من أباطيل الاعلام الاموى ودعاياته الكاذبة!
لقد كان وجود الوليد بن عتبة واليا على المدينة آنذاك من الفرص السانحة التي ساعدت الثورة الحسينية على الانفلات من طوق الرصد الاموى الذى كان يتوقعها منذ موت الحسن (ع) ليخنقها في مهد انبعاثها.

٥ (مع العامل الاول من عوامل الثورة الحسينية ص : ٣٦٥)

: كان العامل الاول من العوامل المؤثرة في قيام الثورة الحسينية المقدسة وهو عامل رفض البيعة ليزيد قد أعلنه الامام الحسين (ع) في زمن معاوية أيام سعيه إلى أخذ الامة بالبيعة ليزيد بولاية العهد.
وكانت قاطعية الامام (ع) في رفض البيعة ليزيد منذ تلك الايام وإلى أن صار يزيد حاكما هي هي لم تتذبذب ولم يعثورها ضعف أو فتور.

وكان معاوية قد أغمض عن موقف الامام (ع) الصارم في رفض البيعة ليزيد لأنه كان يؤثر الحفاظ على حالة المتاركة مع الامام (ع) ويحرص على عدم التحرش به وإثارته لا سبب كنا قد قدمنا التفصيل فيها قبل ذلك.
ومع أن الامام (ع) كان قد أعلن عن رفضه القاطع للبيعة بولاية العهد ليزيد في زمن معاوية، فإن عامل رفض البيعة لم يُشعل فتيل الثورة الحسينية أيام معاوية لأن الامام (ع) كان بدوره أيضا يؤثر آنذاك الصبر على حالة المتاركة مع معاوية وعدم القيام مادام معاوية حيا لا سبب قدمنا التفصيل فيها أيضا فيما مضى تحت عنوان: (لماذا لم يثر الامام الحسين (ع) على معاوية؟!)، ولأن يزيد آنذاك لم يكن قد صار بالفعل حاكما بعد أبيه.

معالركب الحسينى (ج ١)، ص: ٣٦٦

على هذا، فالمواجهة بين الامام الحسين (ع) وبين الحكم الاموى كانت معلنة من قبل الامام (ع) منذ ذلك الوقت، لكنّها كانت مؤجلة مادام معاوية في الحياة، ومادام يزيد لم يصبح حاكما بعده بالفعل.
وهنا قد يُثار هذا السؤال وهو:

لو أن يزيد بعد أن أصبح حاكما بعد أبيه بالفعل لم يكن قد طلب البيعة من الامام الحسين (ع)، وترك الامام الحسين (ع) وشاءه، هل كان الامام (ع) سيسكت عن حكمه يزيد، ويؤثر القعود والمتاركة وعدم القيام؟!
وفى الاجابة عن هذا السؤال لابد من التذكير بهذه الحقيقة وهي:

أن التفكيك بين عامل رفض البيعة ليزيد وبين عامل طلب الاصلاح فى الامة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر تفكيك إعتبارى غير حقيقى، هذا التفكيك نتاعاطاه فى الذهن ولا حقيقة له فى الخارج، إذ إن هذين العاملين ممتزجان فى الحقيقة منذ البدء، فما رفض الامام (ع) لهذه البيعة إنما كى لاتحقق المفسدة ويقضى على الصلاح ويتلاشى المعروف ويستحكم المنكر، وما طلب الامام (ع) الاصلاح والتغيير فى امة جدّه والامر بالمعروف والنهي عن المنكر إنما كى يقضى على الفساد والمنكر الذى من أهم مصاديقه الحكومة الفاسدة التى على رأسها رجل متهتك مثل يزيد.

والمتماء فى البيانات الاولى التى صرح بها الامام (ع) يكتشف بوضوح حقيقة الامتزاج الذى لا يقبل التفكيك بين هذين العاملين، إن رفض الامام (ع) البيعة ليزيد فى مجلس والى المدينة آنذ الوليد بن عتبة كان قد امتزج منذ اللحظات الاولى بعامل طلب الاصلاح فى الامة وإقامة الخلافة الحقّة فى احتجاجه (ع) حين قال للوليد بن عتبة:

معالركب الحسينى (ج ١)، ص: ٣٦٧

(أيها الامير، إنا أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، ومحلّ الرحمة، وبنا فتح الله وبنا ختم، ويزيد رجل فاسق، شارب

خمر، قاتل النفس د المحرمة، ملعن بالفسق، ومثلى لايابح مثله، ولكن نصبح وتصبحون، ونظر وتنظرون أينا أحت بالخلافه والبيعه).
«١»

كما يلحظ المتأمل أيضا حقيقة الامتراج بين هذين العاملين فى احتجاجات الامام الحسين (ع) على معاوية فى قضيه البيعه ليزيد بولاية العهد.

وامتراج عامل رفض البيعه بعامل طلب الاصلاح والامر بالمعروف والنهي عن المنكر يعنى أن الامويين لو تركوا الامام الحسين (ع) وشاءنه، ولم يطالبوه بالبيعه لماتركهم وشاءنهم ولماكف عنهم.

ولا يخفى أن قاطعيه الامام الحسين (ع) فى رفض البيعه ليزيد، والتى عبر عنها الامام (ع) بقوله لا خيه محمد بن الحنفية قائلا:
(يا أخى والله لو لم يكن فى الدنيا ملجاء ولا ماءوى لمابايعت والله يزيد بن معاوية أبدا)، «٢» لم تنشأ عن سبب شخصي، بل عن سبب مبدئي.

لقد أثر الامام الحسين (ع) أن يقتل ولا يقبل بالبيعه ليزيد لأن خطر مبايعه يزيد كان موجها للاسلام وليس لشخص الامام (ع)، أى أن هذا الخطر كان يهدد النظام الكلى للاسلام وفلسفه قيام الحكم الاسلامي، وهى ليست مساءله جزئيه أو فرعيه تتحمل التقيه.

كانت بيعه الامام (ع) ليزيد تعنى إضفاء المشروعيه والمصادقه على تحوّل

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٦٨

شكل الحكم الاسلامي إلى ملك وراثي عضوض، وهذا يعنى فى جمله ما يعنيه بقاء الحكم والسلطه فى البيت الاموي، الامر الذى يعنى بدوره أيضا بقاء الحكم والسلطه فى يد أخطر فصيل من فصائل حركة النفاق التى دأبت تسعى منذ رحله النبي (ص) إلى القضاء التدريجي على الاسلام المحمدي الخالص.

ولما انتهى الامر إلى معاوية بن أبى سفيان، تمكّن هذا الرجل الداهيه مع طول المده وعمق الحيله وتعدّد الاساليب من أن يخدع جلّ هذه الاميه الاسلاميه على كل الاصعده، فلم يعد أكثر هذه الاميه يرى إلّا ما يطرحه الامويون تحت عنوان الاسلام أو يرتضونه من الاسلام على صعيد الاعتقاد والتشريع والاخلاق، حتى صار أكثر الناس لا يعرفون إلّا (الاسلام الاموي)، ولا يرون فصلا بين الامويه والاسلام، ولا يدرون أن الحقيقه شى آخر غير هذا!!!

فلو أن الامام الحسين (ع) كان قد بايع يزيد، لكان بذلك قد صادق على كذوبه عدم الفصل بين الامويه والاسلام، وصادق على مشروعيه وحقائقيه (الاسلام الاموي)، وصادق على مشروعيه كل مبتدعات حركة النفاق، ووقع معترفا بصحه الانحراف وبمشروعيه استمراره ... وهذا لا يعنى إلّا المصادقه على القضاء التام على الاسلام المحمدي الخالص.

من هنا أكد الامام الحسين (ع) على أن مبايعته ليزيد هى القضاء على الاسلام حين قال لمروان بن الحكم:

(إنّا لله وإنّا إليه راجعون، وعلى الاسلام السلام إذ قد بُليت الامه براعٍ مثل يزيد). «١»

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٦٩

ومن نافله القول بعد هذا أن نذكر باءن مبايعه الامام الحسين (ع) ليزيد كانت تعنى أيضا فضلا عن القضاء التام على الاسلام إضفاء المشروعيه والمصادقه على كل سوءات ومساءات الحكم الاموي، ومنها سب الامام عليّ (ع) ولعنه، وهو ما كان قد شرع به فى زمن معاوية.

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٧١

الفصل الرابع بداية رحله الفتح بالشهاده ص: ٣٧٢

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٧٣
الفصل الرابع بداية رحلة الفتح بالشهادة

لماذا لم يبق الامام (ع) في المدينة المنورة؟ ص : ٣٧٣

لماذا عزم الامام الحسين (ع) على ترك المدينة المنورة وآثر الخروج منها؟
الم يكن له فيها ماء من مع كثرة من فيها من بنى هاشم والصحابه من مهاجرين وأنصار وكثرة من فيها من التابعين!
هل كان هناك من يستطيع أن يجسر على قتال الامام الحسين (ع) في المدينة ومواجهته فيها مواجهه عسكريه علية مع ما كان يتمتع به الامام (ع) من قدسيه خاصه ومنزله ساميه وشاءن رفيع في قلوب أهل المدينة؟!
هل كان ثم احتمال لاغتيال الامام (ع) في المدينة؟!
وهل كان خروج الامام (ع) (خائفا يترقب) خشية من تحقق هذا الامر خوفا على نفسه الشريفه وعلى صفوه أنصاره من أهل بيته وأصحابه!؟

أم أن الامام (ع) أراد من وراء كل ذلك أمرا آخر؟
لا يخفى على متأمل أن احتمال وقوع مواجهه عسكريه في المدينة بين الامام (ع) وأنصاره من جهة وبين قوات السلطه الامويه من جهة أخرى كان احتمالا قويا بسبب رعونه يزيد بن معاوية التي تجسدت في أوامره المشدده لوالى المدينة آنذ الوليد بن عتبة بقتل الامام الحسين (ع) في حال رفضه
مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٧٤

البيعه، خصوصا في رسالته الاخيره إلى الوليد الذي ذكر له في رساله بعد لقائه بالامام (ع) وإعلان الامام (ع) رفضه المبيعه: (أنه ليس يرى لنا عليه طاعه ولا بيعه)، «١» حيث غضب يزيد لذلك غضبا شديدا، وكان إذا غضب انقلبت عيناه فعاد أحول، وكتب إلى الوليد قائلا: (من عبدالله يزيد اميرالمؤمنين إلى الوليد بن عتبة. أما بعد: فإذا ورد عليك كتابي هذا، فخذ البيعه ثانيا على أهل المدينة بتوكيد منك عليهم، وذو عبدالله بن الزبير فإنه لن يفوتنا ولن ينجو منا أبدا مادام حيا، وليكن مع جوابك إلى رأس الحسين بن علي، فإذا فعلت ذلك فقد جعلت لك أعنة الخيل، ولك عندى الجائزة والحظ الاوفر والنعمه واحده، والسلام). «٢»

وعلى فرض أن والى المدينة الوليد بن عتبة لم يكن ليمثل لا مر يزيد بقتل الامام (ع)، حيث يروى التواريخ أنه لما ورد عليه كتاب يزيد قال: (لا والله لا يرانى الله قاتل الحسين بن علي، وأنا لأقتل ابن بنت رسول الله (ص) ولو أعطاني يزيد الدنيا بحذافيرها)، «٣» فإن يزيد لن يُعدم أمويين آخرين يُسارعون إلى تنفيذ أوامره بقتل الامام (ع)، من أمثال مروان بن الحكم وأضرابه، وحادثه المواجهه المسلحه التي كادت أن تقع بين الامويين بقيادة مروان بن الحكم وبين بنى هاشم في يوم دفن الامام الحسن (ع) خير شاهد على ذلك.

لكن المتأمل يجد أن الامويين أنفسهم لا يرون هذا الاختيار أفضل من اختيار اغتيال الامام الحسين (ع) في صورة غامضة يمكنهم فيها الظهور بمظهر البراء من دمه، بل ويمكنهم فيها تمثيل دور المطالب بدمه، فيتقربون بذلك

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٧٥

إلى قلوب الامه ويفوزون بميلها إليهم.

إن من الامويين نخبة من أهل الدهاء والتخطيط والتدبير، كما إن فيهم جماعة من الحمقى وذوى الخرق والاعتساف، ولا شك أن

أهل الدهاء على منهج معاوية في التخلص من أعدائه يرجحون أسلوب الاغتيال على أسلوب المواجهة المسلحة المكشوفة. لقد كان احتمال الاغتيال هو الاحتمال الاكبر، وقد حسب له الامام الحسين (ع) حسابه الواقعي فاستبق الاحداث زمنيا تحسبا من تحققه وخرج من المدينة.

وكفى برسائل يزيد إلى الوليد بن عتبة دليلا على عزم يزيد وتصميمه على اغتيال الامام (ع) بشكل غامض أو صريح، غير أن من الدلائل التاريخية الاخرى على ذلك ما ورد في رسالة ابن عباس إلى يزيد حيث خاطبه فيها قائلا: (... وما أنس من الاشياء، فلست بناس أطرادك الحسين بن علي من حرم رسول الله إلى حرم الله، ودسيك عليه الرجال تغتاله، فاء شخصته من حرم الله إلى الكوفة، فخرج منها خائفا يترقب، وقد كان أعز أهل البطحاء بالبطحاء قديما، وأعز أهلها بها حديثا، وأطوع أهل الحرمين بالحرمين لوتبوا بها مقاما واستحل بها قتالا، ولكن كره أن يكون هو الذي يستحل حرمة البيت وحرمة رسول الله، فاء كبر من ذلك ما لم تكبر حيث دسست عليه الرجال فيها ليقاتل في الحرم...)، «١» فهذا المقطع من رسالة ابن عباس كاشف عن أن يزيد سعى إلى اغتيال الامام (ع) في المدينة كما سعى إلى ذلك في مكة المكرمة.

واستباقا لما هو متوقع الحدوث، فقد خرج الامام (ع) بركبه من المدينة، إذ لم تعد مدينة رسول الله (ص) ماء منا لابن بنت رسول الله (ص)!!

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٧٦

وصحيح أنه (ع) كان قد خرج من المدينة خشية الاغتيال خوفا على نفسه الشريفة، وخوفا من أن تهتك حرمة حرم رسول الله (ص) بقتله غيلة أو في مواجهة مسلحة، لكن الصحيح في العمق أيضا أن هذا الخوف كان يقع ضمن إطار خوف أكبر، وهو خوفه (ع) من أن تخنق ثورته المقدسة قبل اشتعالها بقتله غيلة في المدينة في ظروف زمانية ومكانية وملاسات مفتعلة يقوم بإعدادها وإخراجها الامويون أنفسهم، يستطيعون من خلالها الاستفادة حتى من حادثه قتله لصالحهم إعلاميا فتبقى ماء ساءة الاسلام على ما هي عليه، بل ترسخ المصيبة وتشتد!!

كان الامام (ع) حريصا على أن يتحقق مصرعه الذي كان لا بد منه ما لم يبايع في ظروف زمانية ومكانية يختارها هو (ع)، لا يتمكن العدو فيها أن يعتصم على مصرعه، أو أن يستفيد من واقعه قتله لصالحه، فتختنق الاهداف المنشودة من وراء هذا المصراع الذي أراد منه (ع) أن تهتر أعماق وجدان الأمة لتتحرك بالاتجاه الصحيح الذي أراده (ع) لها. فكان خروجه (ع) من المدينة وكذلك من مكة في الاصل انفلاتا بالثورة المقدسة من طوق الحصار والتعتيم الاموي، إضافة إلى خوفه (ع) من أن تهتك حرمة أحد الحرمين الشريفين بقتله.

الليلة أو الليلتان الاخيرتان في المدينة: ص : ٣٧٦

لنعد إلى مجرى أحداث القضية في المدينة المنورة بعد لقاء الامام الحسين (ع) بوالى المدينة الوليد بن عتبة، ذلك اللقاء الذي أعلن (ع) فيه رفضه للبيعة، كما أعلن فيه أنه أحق الناس بالخلافة.

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٧٧

وقد يتساءل المتابع قائلا: كم بقى الامام الحسين (ع) في المدينة المنورة بعد ذلك اللقاء الساخن المشحون بالتوتر؟ ولا يقع المتابع في هذه المسألة على جواب تاريخي واحد، لأن المصادر التاريخية قد اختلفت في الاجابة عن هذا السؤال، فالسيد بن طاووس (ر) في كتابه اللهوف، يقول: (قال رواة حديث الحسين (ع) مع الوليد بن عتبة ومروان: فلما كان الغداة توجه الحسين (ع) إلى مكة لثلاث مضي من شعبان سنة ستين...) «١» وهذا يعني أن الامام (ع) لم يبق بعد ذلك اللقاء إلا سواد تلك الليلة نفسها حيث

خرج أول صباحها من المدينة!! وهذا لا ينسجم من حيث سعة الوقت مع الاخبار التي تتحدث عن ذهابه إلى زيارة قبر جدّه (ص) مرتين، وذهابه إلى زيارة قبر أمّه وأخيه (ع)، ولقائه مع كل من أم سلمة رضي الله عنها ومحمد بن الحنفية (ر)، وعمر الاطرف، ونساء بنى هاشم، ومروان بن الحكم وغيرهم ... فسواد تلك الليلة لا يتسع لكل ذلك، فضلا عن الوقت الذي يستلزمه الاعداد للرحيل، فضلا عن أن لقاءه (ع) مع الوليد بن عتبة كان في ساعة متأخرة من تلكم الليلة.

و تقول بعض المصادر الاخرى: (وخرج الحسين في الليلة الاثنية باهله وفتيانه، وقد اشتغلوا عنه بابن الزبير، فلحق بمكة). «٢»
مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٧٨

وهذا يعني أن الامام (ع) قد خرج في الليلة التي تلت ليلة اللقاء مع الوالي، لكن هذا المصدر التاريخي نفسه (تذكرة الخواص) ينقل بعد ذلك مباشرة هذا الخبر: (وقال أبو سعيد المقرئ: سمعت الحسين (ع) يتمثل تلك الليلة وهو خارج من المسجد بقول ابن مفرغ: «١»

لا ذعرت السوام في غسق الصبح مغيرا ولا دعوت يزيدا

يوم اءعطى من المهانة ضيما والمنايا يرصدني اءن اءحيدا

قال: فقلت في نفسي ما تمثّل بهذين البيتين إلا لشي يريد، فخرج بعد ليلتين إلى مكة). «٢»

ويستفاد من هذا الخبر أن الامام (ع) قد خرج بعد ليلتين من ليلة اللقاء بالوليد بن عتبة، كما يستفاد منه أيضا أنه (ع) زار قبر جدّه (ص) زيارته الاولى في نفس ليلة اللقاء «٣» في الساعات الاخيرة منها.

وهذا عموما يوافق المستفاد أيضا من سرد ابن أعثم الكوفي لمجريات أحداث القصة في كتابه الفتوح. «٤»
يقول التاريخ:

(وخرج حسين بن علي من منزله ذات ليلة (وهي ذات ليلة اللقاء بالوليد

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٧٩

بن عتبة كما يتنا)، وأتى إلى قبر جدّه (ص) فقال:

السلام عليك يا رسول الله، أنا الحسين بن فاطمة، أنا فرخك وابن فرختك، وسبطك في الخلف الذي خلفت علي أمتك، فاشهد عليهم يا نبي الله أنهم قد خذلوني وضيعوني، وأنهم لم يحفظوني، وهذه شكواي اليك حتى ألقاك صلى الله عليك وسلم. ثم وثب قائما وصف قدميه، ولم يزل راكعا وساجدا ...

قال: وأرسل الوليد بن عتبة إلى منزل الحسين لينظر هل خرج من المدينة أم لا، فلم يصبه في منزله فقال: الحمد لله الذي لم يطالبني الله عز وجل بدمه، وظن أنه خرج من المدينة.

قال: ورجع الحسين إلى منزله مع الصبح! «١»

قال: وأصبح الحسين من الغد، خرج من منزله ليستمع الاخبار، فإذا هو بمروان بن الحكم قد عارضه في طريقه (...). «٢»
لنتابع ما حدث في الليلة الثانية ...

يقول صاحب الفتوح: (... فلما كانت الليلة الثانية خرج إلى القبر أيضا فصلّى ركعتين، فلما فرغ من صلاته جعل يقول:

اللهم، هذا قبر نبيك محمد، وأنا ابن بنت محمد وقد حضرني من الامر ما قد علمت، اللهم وإني أحبّ المعروف وأكره المنكر، وأنا أساء لك يا ذا الجلال والاکرام بحق هذا القبر ومن فيه إلا ما اخترت من أمرى هذا ما هو لك

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٨٠

رضي.

قال: ثم جعل الحسين (ع) يبكي، حتى إذا كان في بياض الصبح وضع رأسه على القبر فاءغى ساعة، فرأى النبي (ص) قد أقبل في

ككبكبه من الملائكة عن يمينه وعن شماله ومن بين يديه ومن خلفه حتى ضمّ الحسين إلى صدره وقبل بين عينيه. وقال: يا بنى يا حسين، كاءنك عن قريب أراك مقتولا مذبوحا باءرض كرب وبلاء من عصابة من أمتى، وأنت في ذلك عطشان لأتسقى، وظم آن لاتروى، وهم مع ذلك يرجون شفاعتى، ما لهم! لأنالهم الله شفاعتى يوم القيامة! فما لهم عندالله من خلاق. حيبى يا حسين، إن أباك وأمك وأحاك قد قدموا علىّ، وهم إليك مشتاقون. وإن لك في الجنة درجات لن تنالها إلا بالشهادة. قال: فجعل الحسين ينظر في منامه إلى جدّه (ص) ويسمع كلامه ..

وهو يقول: يا جدّه، لا حاجة لى في الرجوع إلى الدنيا أبدا، فخذنى إليك، واجعلنى معك إلى منزلك. قال: فقال له النبى (ص): يا حسين، إنّه لا بد لك من الرجوع إلى الدنيا حتى ترزق الشهادة وما كتب الله لك فيها من الثواب العظيم، فإنك وأباك وأحاك وعمك وعمّ أبيك تحشرون يوم القيامة في زمرة واحدة حتى تدخلوا الجنة. «١» ... وانتبه الامام (ع) وقصّ رؤياه على أهل بيته وبنى عبدالمطلب (فلم يكن مع الركب الحسينى (ج ١)، ص: ٣٨١

ذلك اليوم في شرق ولا غرب أشدّ غمّا من أهل بيت الرسول (ص) ولا أكثر منه باكيا ولا باكية. «١» ويقول صاحب الفتوح: (وتهيأ الحسين بن على (ع) وعزم على الخروج من المدينة ومضى في جوف الليل إلى قبر أمّه فصلّى عند قبرها وودّعها ثمّ قام عن قبرها وصار إلى قبر أخيه الحسن (ع) ففعل مثل ذلك، ثمّ رجع إلى منزله. وفى وقت الصبح أقبل أخوه محمّد بن الحنفية. «٢» ومع أن ابن أعثم لم يحدّد أيّة ليلة كانت تلك الليلة التى زار فيها الامام (ع) قبر أمّه وقبر أخيه (ع)، إلا أنّ القرينة فى قوله: (وفى وقت الصبح أقبل إليه أخوه محمّد) كاشفه عن أنّ تلك الليلة هى الليلة التى سبقت ليلة السفر إلى مكّة، لأنّ لقاء أخيه محمّد معه (ع) كان فى آخر نهار له (ع) فى المدينة (على ما فى الفتوح) كما سيأتى.

لقاءات الوداع فى المدينة ص : ٣٨١

إشارة

وفى غضون هذه الفترة الوجيزة هرع إلى الامام (ع) رجال ونساء من بنى هاشم ومن غيرهم يودّعون ويتزوّدون من رؤيته قبل الفراق، وقد سجّل لنا التاءريخ بعض هذه اللقاءات المشحونة بالحزن والاسى والقلق والخوف على الامام (ع). مع الركب الحسينى (ج ١)، ص: ٣٨٢ ونحن نذكر هنا من هذه اللقاءات ما هو متيقّن الحدوث فى المدينة، وأما ما لم نقطع تحقيقا بحدوثه فى المدينة، أو فى مكّة، فسوف نذكره ضمن لقاءات الامام (ع) فى مكّة لوجود قرينة تجعله مظنون الحدوث فى مكّة.

عزاً نساء بنى عبدالمطلب ص : ٣٨٢

عن الامام الباقر (ع) أنّه قال: (لما همّ الحسين (ع) بالشخص عن المدينة أقبلت نساء بنى عبدالمطلب، فاجتمعن للنياحة حتى مشى فيهنّ الحسين (ع) فقال: ائندكّن الله اءن تُبدين هذا الامر معصية لله ولرسوله. قالت له نساء بنى عبدالمطلب: فلمّ نستبقى هذه النياحة والبكاء؟ فهو عندنا كيوم مات فيه رسول الله (ص) وعلىّ (ع) وفاطمة (س) ورقية وزينب وأمّكثوم، فنشدك الله، جعلنا الله فداك من الموت، فيا حبيب الابرار من أهل القبور. وأقبلت بعض عمّاته تبكى وتقول: أشهد يا حسين لقد سمعت الجنّ ناحت بنوحك، وهم يقولون:

وإن قتيل الطف من آل هاشم أذل رقابا من قريش فذلت حبيب رسول الله، لم يك فاحشا أبانت مصيبتك الانوف وجلت وقلن أيضا:

بكوا حسينا سيّدا ولقتله شاب الشّعر ولقتله زلزلتم ولقتله انكسف القمر واحمزت آفاق السماء من العشيّة والسحر وتغيرت شمس البلاد بهم وأظلمت الكور ذاك ابن فاطمة المصاب به الخلاق والبشر أورثنا ذلّا به جدّع الانوف مع الغرر «١» معالركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٨٣

وقد ذكر صاحب كتاب معالي السبطين: (ثم إن نساء بني هاشم أقبلن إلى أمهاني عمّة الحسين (ع) وقلن لها: يا أمّ هاني، أنت جالسة والحسين (ع) مع عياله عازم على الخروج؟! فاءقبلت أمهاني، فلما رآها الحسين (ع) قال: أما هذه عمّتي أمهاني؟ قيل نعم.

فقال: يا عمّة، ما الذي جاء بك وأنت على هذه الحالة؟! فقالت: وكيف لا آتي، وقد بلغني أنّ كليل الارامل ذاهب عني؟! ثمّ إنّها انتحبت باكية، وتمثّلت بآبيات أبيها أبي طالب (ع): وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للارامل تطوف به الهلاك من آل هاشم فهم عنده في نعمه وفواضل ثمّ قالت: سيدي وأنا متطيّرة عليك من هذا المسير لهاتف سمعت البارحة يقول: وإنّ قتيل الطف من آل هاشم اءذل رقابا من قريش فذلت حبيب رسول الله، لم يك فاحشا أبانت مصيبتك الانوف وجلت فقال لها الحسين (ع): يا عمّة لا تقولي من قريش، ولكن قولي (أذلّ رقاب المسلمين فذلت). ثمّ قال: يا عمّة، كلّ الذي مقدر فهو كائن لامحالة. وقال (ع):

وما هم بقوم يغلبون ابن غالب ولكن بعلم الغيب قد قدر الامر معالركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٨٤ فخرجت أمّ هاني من عنده باكية وهي تقول: وما أمّ هاني وحدها ساء حالها خروج حسين عن مدينه جدّه ولكنما القبر الشريف ومن به ومنبره يبكون من أجله فقده «١»

عزاً أمّ المؤمنين أم سلمة (رض): ص: ٣٨٤

وروي أنّه: (لما عزم على الخروج من المدينة أتته أم سلمة رضي الله عنها فقالت: يا بني لا تحزني بخروجك إلى العراق، فإنّي سمعت جدك يقول:

يقتل ولدي الحسين باعرض العراق في أرض يُقال لها كربلا.

فقال لها: يا أمّاه، وأنا والله أعلم ذلك، وإنّي مقتول لامحالة، وليس لي من هذا بدّ، وإنّي والله لا عرف اليوم الذي أقتل فيه، وأعرف

من يقتلني، وأعرف البقعة التي اُدفن فيها، وإني اءعرف من يُقتل من اءهل بيتي وقرابتي وشيعتي، وإن أردت يا أمّاه اءريك حفرتي ومضجعي.

ثم أشار إلى جهة كربلاء فانخفضت الارض حتى أراها مضجعه ومدفنه وموضع عسكره، وموقفه ومشهده.
فعند ذلك بكت أم سلمة بكاءً شديداً، وسلّمت أمره إلى الله ...

فقال لها: يا أمّاه، قد شاء الله عزّ وجلّ أن يراني مقتولاً مذبوها ظلماً وعدواناً، وقد شاء أن يرى حرمي ورهطي ونسائي مُشرّدين، وأطفالاً مذبوحين مظلومين، ماءسورين مقتيدين وهم يستغيثون فلا يجدون ناصرًا ولا معينا.
وفي رواية أخرى:

معالركب الحسيني (ج ۱)، ص: ۳۸۵
قالت أم سلمة: وعندي تربة دفعتها إليّ جدك في قارورة.
فقال: والله إني مقتول كذلك، وإن لم أخرج إلى العراق يقتلونني أيضا. ثم أخذ تربة فجعلها في قارورة، وأعطها إياها.
وقال: إجعلها مع قارورة جدّي، فإذا فاضنا دما فاعلمي أنني قد قتلت. (۱)

أم سلمة (رض) والودائع ص : ۳۸۵

وروى أنّه (لما توجه الحسين (ع) إلى العراق دفع إلى أم سلمة رضي الله عنها زوج النبي (ص) الوصية والكتب وغير ذلك، وقال لها: إذا أتاك أكبر ولدي فادفعي إليه ما قد دفعت إليك.

فلما قُتل الحسين (ع) أتى علي بن الحسين (ع) أم سلمة رضي الله عنها فدفعت إليه كلّ شئ أعطهاها الحسين (ع). (۲)
وفي رواية أخرى: (وكتب الحسين (ع) وصيته، وأودعها أم سلمة، وجعل طلبها منها علامةً على إمامة الطالب لها من الانام، فطلبها زين العابدين (ع). (۳)

وهذا كاشف عن صدق ايمان أم المؤمنين (أم سلمة رضوان الله تعالى عليها) وجلالة شأنها ومنزلتها الخاصّة عند أهل البيت (ع).

عمر الاطرف ومنطق المداهنه وحب السلامة!! ص : ۳۸۵

وروى عن عمر الاطرف بن الامام عليّ (ع) أنّه قال: (لما امتنع أخي
معالركب الحسيني (ج ۱)، ص: ۳۸۶

الحسين (ع) عن البيعة ليزيد بالمدينة دخلت عليه فوجدته خاليا.
فقلت له: جُعلت فداك يا أبا عبد الله، حدّثني أخوك أبو محمّد الحسن عن أبيه (ع) ...
ثمّ سبقتنني الدمعة، وعلا شهيقي، فضمّني إليه.

وقال: حدّثك أنني مقتول؟

فقلت: حوشيت يا ابن رسول الله!

فقال: ساءلتك بحقّ أبيك، بقتلي خبرك؟

فقلت: نعم، فلو لا ناولت وبايعت!!

فقال: حدّثني أبي أنّ رسول الله (ص) أخبره بقتله وقتلي، وأنّ تربتي تكون بقرب تربته، فتظنّ أنّك علمت ما لم أعلمه؟! وإنّه لأعطي
الدينه من نفسي أبداً، ولتلقين فاطمة أباه شاكية ما لقيت ذريتها من أمته، ولا يدخل الجنة أحدٌ آذاها في ذريتها!! (۱)

معالركب الحسيني (ج ۱)، ص: ۳۸۷

محمد بن الحنفية ... النصيحة والوصية ص : ٣٨٧

في صباح آخر نهار للامام الحسين (ع) في المدينة أقبل إليه أخوه محمد بن الحنفية (ر)، وقد غلبه الاسى والحزن، وطغى عليه القلق والخوف على حياة الامام (ع)، وقد قلب أوجه التفكير في الامر، ورأى أن يقدم النصيحة بين يدي أخيه (ع)، فلما استقر به المقام: قال: (يا أخى أنت أحب الناس إليّ، وأعزهم عليّ، ولست أدخر النصيحة لا حد من الخلق إلا لك، وأنت أحق بها، تنح بيعتك عن يزيد بن معاوية وعن الامصار ما استطعت، ثم ابعث رسلك إلى الناس فادعهم إلى نفسك، فإن بايعك الناس د وبايعوا لك حمدت الله على ذلك، وإن اجتمع الناس على غيرك لن ينقص الله بذلك دينك ولا عقلك ولا تذهب به مروّتك ولا فضلك، إنني أخاف عليك أن تدخل مصرا من هذه الامصار، فيختلف الناس بينهم، فمنهم طائفة معك، وأخرى عليك، فيقتلون، فتكون لا ول الاسنة غرضاً، فإذا خير ه ذه الامة كلها نفسا وأبا وأما أضيعها دما وأذلها أهلا!!

فقال له الحسين (ع): فاءين أذهب يا أخى؟

قال: إنزل مكة، فإن اطمأنت بك الدار بها فسيبل ذلك، وإن نبت بك لحقت بالرمال وشعف الجبال، وخرجت من بلد إلى بلد، حتى تنظر إلى ما يصير أمر الناس إليه، فإنك أصوب ما تكون رأيا حين تستقبل الامر استقبالا.

فقال: يا أخى، قد نصحت وأشفت، وأرجو أن يكون رأيك سديدا

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص : ٣٨٨

موفقا. «١»

وفي رواية الفتوح: أخرج إلى مكة، فإن اطمأنت بك الدار فذاك الذي تحب واءحب، وإن تكن الاخرى خرجت إلى بلاد اليمن، فإنهم اءنصار جدك وأخيك وأبيك، وهم أرف الناس وأرقهم قلوبا، وأوسع الناس

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص : ٣٨٩

بلاداً، وأرجحهم عقولا، فإن إطمأنت بك أرض اليمن وإلا لحقت بالرمال وشعوب الجبال، وصرت من بلد إلى بلد، لتنظر ما يؤول إليه أمر الناس ويحكم بينك وبين القوم الفاسقين.

فقال له الحسين (ع): يا أخى، والله لو لم يكن في الدنيا ملجاء ولا ماءوى لما بايعت والله يزيد بن معاوية أبدا، وقد قال (ص): (اللهم لا تبارك في يزيد).

قال: فقطع عليه محمد بن الحنفية الكلام وبكى، فبكى معه الحسين ساعة ..

ثم قال: (جزاك الله يا أخى عني خيرا، ولقد نصحت وأشرت بالصواب، وأنا أرجو أن يكون إن شاء الله رأيك موفقا مسددا، وإنني قد عزمت على الخروج إلى مكة، وقد تهتأت لذلك أنا وإخوتي وبنو إخوتي وشيعتي، وأمرهم أمرى ورأيهم رأيي. وأما أنت يا أخى فلا عليك أن تقيم بالمدينة فتكون لى عينا عليهم، ولا تخف على شيئا من أمورهم). «١»

(ثم دعا الحسين (ع) بدواة وبياض وكتب هذه الوصية لاخيه محمد:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما أوصى به الحسين بن علي بن أبي طالب إلى أخيه محمد المعروف بابن الحنفية: أن الحسين يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، جاء بالحق من عند الحق، وأن الجنة والنار حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من فى القبور، وإنني لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا مفسدا ولا ظالما وإنما خرجت لطلب الاصلاح فى أمة جدى (ص)، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدى وأبى علي بن أبي طالب (ع)، فمن قبلنى بقبول الحق فالله أولى بالحق، ومن رد علي هذا أصبر حتى يقضى الله بينى وبين القوم بالحق وهو خير الحاكمين، وهذه

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٩٠
 وصيتي يا أخى إليك وما توفيقى إلّا بالله عليه توكلت وإليه ائنيب.
 قال: ثم طوى الحسين الكتاب وختمه بخاتمه، ودفعه إلى أخيه محمّد، ثم ودّعه وخرج في جوف الليل. (١)»

تاءمل وملاحظات: ص : ٣٩٠

الامام (ع) في المدينة يتحدّث عن مصرعه في العراق!! ص : ٣٩٠

ملفتٌ لانتباه أنّ الامام الحسين (ع) مع قصده المرحلى في الخروج من المدينة إلى مكّة المكرّمة كان قد أعلن لا هل بيته وشيعته عن قصده النهائي في الخروج إلى أرض العراق وهو في المدينة لَمّا يخرج عنها بعدُ، فها هي أمّ سلمة رضى الله عنها تقول له: (يا بنى لا تحزنى بخروجك إلى العراق، فإنّي سمعتُ جدّك يقول: يُقتل ولدى الحسين باعرض العراق في أرض يُقال لها كربلاء) فيقول (ع): (يا أمّاه وأنا، والله أعلم ذلك، وإنّي مقتول لامحالة...)، ويقول (ع) لا خيه عمر الاطرف: (حدّثني أبى أنّ رسول الله (ص) أخبره بقتله وقتلى، وأنّ تربتي تكون بقرب تربته...)، وهناك نصوص أخرى تؤكّد هذه الحقيقة.

ويستفاد من هذه الحقيقة على صعيد التحليل التاءريخي إضافة إلى البعد الاعتقادى الحاكي عن أنّ الامام الحسين (ع) كان يعلم بكلّ تفاصيل ما يجرى عليه بعلم إلهي موهبي لكونه إماماً أنّ الامام الحسين (ع) على ضوء درايته السياسيّة الاجتماعيّة كان يرى أنّ العراق أفضل أرض يختارها مسرحاً للمواجهة وللمعركة الفاصلة بينه وبين السلطه الامويّة، وأنّ العراق أفضل بقعه مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٩١

يختارها للمصرع المحتوم (وإنّي مقتولٌ لامحالة)، وذلك لما في العراق من كمّ شيعي كبير، اءوقل كمّ كبير محبّ لا هل البيت (ع)، برغم ما في هذا الكمّ الكبير من مرض الازدواجيّة في الشخصيّة (قلوبهم معك وسيوفهم عليك)، ولا-نّ العراق لم ينغلق لصالح الامويين كما انغلقت الشام تماماً، الامر الذي يجعل أرض العراق أفضل البقاع للتاءثرّ يا شعاعات الثورة الحسينيّة وفاجعه الطفّ. ويؤكّد التاءريخ في نصوص كثيرة أنّ الشيعة في العراق كانوا على اتّصال دائم بالامام الحسين (ع) في زمن معاوية منذ عهد الامام الحسن (ع)، وكانوا يساءلونه القيام والخروج على الحكم الامويّ، ويبدون استعدادهم للنصرة والتضحية، غير أنّ الامام الحسين (ع) كان يامرهم بالصبر والاحتراس والترقّب مادام معاوية حيّاً.

من هنا يستفاد أنّ نيّة التوجه إلى العراق كانت منعقدة عند الامام (ع) منذ البدء على ضوء درايته السياسيّة الاجتماعيّة وعلى ضوء صلته وارتباطه باهل العراق.

أى أنّ نيّة التوجه إلى العراق لم تتعقد عند الامام (ع) بسبب رسائل أهل الكوفة بعد موت معاوية، بل كانت هذه النيّة وهذا العزم عند الامام (ع) قبل هذه الرسائل، على أساس منطق الشهيد الباحث عن أفضل أرض مختاره لمصرعه المحتوم، وما شكّلت رسائل أهل الكوفة إلّا حجّة ظاهرة لتاء كيد هذه النيّة وذلك التصميم.

مع العامل الالهّ من عوامل الثورة الحسينيّة ص : ٣٩١

في لقاءه (ع) مع أخيه عمر الاطرف الذي قال للامام (ع) (فلولا ناولت وباعيت!) جدّد الامام (ع) رفضه القاطع لمبايعه يزيد قائلاً: (لاأعطى الدينّه

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٩٢
 من نفسى أبداً)، وأكّد (ع) لا خيه محمد بن الحنفية (ر) أيضاً على هذه القاطعيّة في رفض البيعه حيث قال: (يا أخى، والله لو لم يكن

فى الدنيا ملجاء ولا ماءوى لمبايعتُ والله يزيد بن معاوية أبدا...).

وهذا الرفض القاطع لبيعة يزيد وهو العامل الأول من العوامل المؤثرة فى النهضة الحسينية لو كان منبعثا من سبب شخصى لكان الامام (ع) قد سكت عن الحكم الاموى فى حال سكوت هذا الحكم عن مطالبة الامام (ع) بالبيعة، ولكانت مشكلة هذا الحكم مع الامام (ع) قد انتهت عند هذه الحد!!.

لكنّ عامل رفض البيعة عند الامام (ع) كان منبعثا من سبب مبدئى تمثل فى الخطر الماحق الذى يهدد الاسلام فى حال سكوت الامام (ع) عن حاكم مثل يزيد بن معاوية: (وعلى الاسلام السلام إذ بُليت الامة براع مثل يزيد)، وهذا السبب نفسه هو الذى جعل الامام (ع) وجها لوجه أمام مسؤلية التحرك والنهوض لطلب الاصلاح فى أمة جدّه (ص) والامر بالمعروف والنهى عن المنكر. وهذا السبب المبدئى المشترك هو الذى مزج فى الحقيقة بين عامل رفض البيعة وعامل الامر بالمعروف والنهى عن المنكر، وما التفكيك بينهما فى الحديث عنهما إلا تفكيك إعتبارى.

ونتيجة لهذا الامتراج فى الحقيقة، كان عامل رفض البيعة قد استمد أهمية الكبيرة الناشئة عن الاهمية العليا التى يختص بها عامل الاصلاح والامر بالمعروف والنهى عن المنكر، وإلا لكان من المحتمل أن ينتهى الامر بسكوت الامام (ع) حاشاه عن يزيد بسكوت يزيد عن مطالبته بالبيعة!!

فعامل الامر بالمعروف والنهى عن المنكر إذن هو العامل الاهم فى مجموعة العوامل المؤثرة فى النهضة الحسينية المقدسة.

معالركب الحسينى (ج ١)، ص: ٣٩٣

وفى الوصية التى أوصى بها الامام الحسين (ع) إلى أخيه محمد بن الحنفية (ر) نجد الامام (ع) يحصر العلة فى خروجه بهذا العامل وحده، إنه (ع) لا يعامل الخروج فى هذه الوصية بعامل رفض البيعة ولا يتحدث عنه فيها، كما لا يعامل بعامل آخر من العوامل الاخرى المؤثرة فى نهضته المقدسة كعامل رسائل أهل الكوفة مثلا، إنه (ع) فى هذه الوصية يتحدث فقط عن طلب الاصلاح وضرورة تغيير الاوضاع الفاسدة من خلال الامر بالمعروف والنهى عن المنكر، وهذا دليل واضح وقاطع على الاهمية العليا لعامل الاصلاح والامر بالمعروف والنهى عن المنكر، وكاءن هذه الوصية تتحدث عن ظهور التاثير المستقل لهذا العامل الاهم.

فى إطار عامل الامر بالمعروف والنهى عن المنكر نجد الامام (ع) هو الذى يقرر المواجهة مع الحكم الاموى ابتداءً، لاءن دعوة أهل الكوفة هى التى دفعته إلى المواجهة، ولا مطالبة الحكم الاموى إياه بالبيعة ورفضه (ع) لهذه البيعة هو الذى دفعه إلى المواجهة، بل لآن تحوّل الحرام إلى حلال والحلال إلى حرام وتفسى الفساد فى حياة الامة هو الذى وضع الامام (ع) أمام ضرورة المواجهة ووجوب القيام والنهضة.

ولايعنى هذا أن الامام (ع) كان قد ترك أو تهاون فى واجب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وطلب الاصلاح فى الامة فى زمن معاوية، بل قد كان (ع) ينهض فى زمن معاوية باعباء هذا الواجب المقدس باءشكال مختلفة ومناسبات متوالية، لكنّ أدا هذا الواجب فى إطار النظر إلى الاثار وحساب النتائج المترتبة على ذلك آنثذ (عدم احتمال حصول النتائج المرجوة) كان يقف دون حدّ الخروج على معاوية مادام حيا.

وإذا كانت العوامل المؤثرة فى أية نهضة هى التى تمنحها القيمة والاهمية

معالركب الحسينى (ج ١)، ص: ٣٩٤

الجديرة بها، فإن عامل الاصلاح والامر بالمعروف والنهى عن المنكر قد منح الثورة الحسينية قيمة أعلى بكثير مما منحها العوامل الاخرى المؤثرة فيها، كعامل رفض البيعة، وعامل رسائل أهل الكوفة مثلا، فلقد تمكنت هذه الثورة المقدسة استنادا إلى عامل طلب الاصلاح والامر بالمعروف والنهى عن المنكر أن تكون جديرة بالخلود والحياة، وأن تكون الثورة الاسوة.

وكما أن عامل الامر بالمعروف والنهى عن المنكر قد رفع من قيمة وأهمية الثورة الحسينية، فإن هذه الثورة المقدسة بالمقابل قد

رفعت من قيمة وأهميته مبدأ وأصل الامر بالمعروف والنهي عن المنكر إثباتا لا ثبوتا.

وتوضيح ذلك: هو أنّ لمبدأ الامر بالمعروف والنهي عن المنكر قيمة محدّدة وأهميّة معيّنة ثبوتاً، أي في واقع الامر، أو في نفس الامر، أو في متن الاسلام، هذه القيمة حدّدها الله تبارك وتعالى في متن التشريع الاسلامي، ويعلمها كما هي في الواقع الله تبارك وتعالى والراسخون في العلم محمّد وأهل بيته المعصومون صلوات الله عليهم أجمعين.

وهذا الامر ينطبق على كلّ الاصول والمبادئ الاسلاميّة، فلكلّ منها حدّ معيّن ومقام معلوم وأهميّة محدّدة في متن الاسلام في مقام الثبوت أي في الواقع أو في مقام الشئ بذاته.

وهذا غير مقام الاثبات، أي مقام الشئ بالنسبة إلينا، حيث يمكن في هذا المقام أن نُخطئ في النظر والتأمّل والاستنتاج، فنقيم الشئ تقييماً نبخسه فيه حقّه من القيمة والاهمية، أو نمنحه فوق ما يستحقّ منها.

إذن فمقام الاثبات يختلف عن مقام الثبوت، إذ إنّ هناك فرقا بين ما هو منظور بالنسبة إلينا وبين ما هو واقع الشئ بنفسه.

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٩٥

وفي مقام الاثبات يلاحظ المتأمّل أنّ علماء الاسلام مع إقرارهم بآء الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من أسمى الواجبات الدينيّة وأعظمها، لكنّ قيمة هذا المبدأ ودرجته أهميّة هذا الاصل الاسلامي والاولويّة الممنوحة له قضيه تفاوتت فيها نظراتهم في تفصيلات الاحكام المستنبطة في إطار مبحث هذا الاصل خصوصا بلحاظ قضيه الضرر (المتيقن أو المظنون أو المحتمل احتمالا- يُعتدّ به) المترتب على القيام بهذا الواجب.

فتتساعد القيمة والاهمية والاولويّة التي يتمتّع بها هذا الاصل الاسلامي في عالم الاستنباط: من النظرة الاجتهاديّة التي ترى أنّ من شرائط القيام بهذا الواجب: (أن لا يلزم من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ضررٌ في النفس أو في العرض أو في المال، على الامر أو على غيره من المسلمين، فإذ لزم الضرر عليه أو على غيره لم يجب شئ ...)، «١» ثمّ لم تتحدّث عن أكثر من ذلك!

إلى النظرة الاخرى التي تضيف إلى ما سبق فتقول: (... هذا فيما إذا لم يحرز تاءثير الامر أو النهي، وأمّا إذا أحرز ذلك فلا بدّ من رعايه الاهمية، فقد يجب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مع العلم بترتب الضرر أيضا، فضلا عن الظنّ به أو احتمالها). «٢» إلى النظرة الاخرى التي تعتمد في شرائط هذا الواجب شرط عدم حصول المفسدة، وترى في جملة ما ترى في إطار هذا المبحث:

(: لو وقعت بدعة في الاسلام، وكان سكوت علماء الدين ورؤساء المذهب أعلى الله كلمتهم موجبا لهتك الاسلام وضعف عقائد المسلمين يجب عليهم الانكار بآئية وسيلة ممكنة، سواء كان الانكار مؤثرا في قلع الفساد أم لا،

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٩٦

وكذا لو كان سكوتهم عن إنكار المنكرات موجبا لذك، ولا يلاحظ الضرر والخرج بل تلاحظ الاهمية.

: لو كان في سكوت علماء الدين ورؤساء المذهب أعلى الله كلمتهم خوف أن يصير المنكر معروفا أو المعروف منكرا يجب عليهم إظهار علمهم، ولا يجوز السكوت ولو علموا عدم تاءثير إنكارهم في ترك الفاعل، ولا يلاحظ الضرر والخرج مع كون الحكم ممّا يهتم به الشارع الاقدس جدّا.

: لو كان في سكوت علماء الدين ورؤساء المذهب أعلى الله كلمتهم تقوية للظالم وتأييد له والعياذ بالله يحرم عليهم السكوت، ويجب عليهم الاظهار ولو لم يكن مؤثرا في رفع ظلمه). «١»

هذه النماذج التي أوردناها على سبيل المثال لا الحصر شاهدٌ على تفاوت النظر الاجتهادي في إطار مبحث الامر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وفي صدد ما نحن فيه: فليس قصدنا أنّ ثورة الامام الحسين (ع) قد غيرت أو رفعت من القيمة والاهمية الواقعيّة الموضوعه في متن الاسلام لاصل الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، أي أهميته في مقام الثبوت.

يقول الشهيد آية الله الشيخ مرتضى مطهرى في هذه النقطة:

(ما أقصده هو أن النهضة الحسينية إنما رفعت من إمكانات الاستنباط والاجتهاد لعلماء الاسلام والمسلمين، بشكل عام، في دائرة أصل الامر بالمعروف والنهي عن المنكر.

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٩٧

وعليه، فإننى عندما أقول بقاء الحسين بن على (ع) قد رفع من قيمة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإن قصدى هو القول بقاءه (ع) قد رفع هذه القيمة في عالم الاسلام، وليس في الاسلام.

ذلك أن الحسين بن على (ع) قد بين للعالم أجمع أن مساءلة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر قد تصل إلى درجة يتطلب فيها من الانسان أن يضحي بنفسه وماله وكل ما يملك في سبيل هذا الاصل، ويتحمل في سبيل ذلك كل أنواع اللوم والانتقاد، كما فعل الحسين نفسه.

فهل هناك أحد في الدنيا منح قيمة لا يصل الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بمقدار ما أعطاه الحسين بن على (ع)؟! إن معنى النهضة الحسينية يفيد بقاء الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بالغ القيمة إلى الحد الذي يمكن فيه للمرء أن يضحي في سبيله بكل شيء). «١»

سيرة الاصلاح ص : ٣٩٧

في النص الذي نقله ابن شهر آشوب (ره) لبعض الوصية التي كتبها الامام الحسين (ع) لاختيه محمد بن الحنفية (ر)، «٢» وكذلك في نصها الذي نقله العلامة المجلسي (ره) عن كتاب المقتل للسيد محمد بن أبي طالب الموسوي، والذي أوردناه من قبل، نجد الامام (ع) في تعليقه لخروجه على الحكم الاموي يقرن مع طلب الاصلاح في الامة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر قوله: (وأسير بسيرة جدى وأبي علي بن أبي طالب (ع).

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٩٨

ومما يستفاد من هذا الاقتران وهذا الحصر بهاتين السيرتين المقدستين أمران:

الاول: هو أن الاصلاح العملي في الامة من خلال تقديم الصورة الحية المثلى لهذا الصلاح، والدعوة العملية إلى كل معروف والنهي العملي عن كل منكر، إنما يتحققان بالسير بهاتين السيرتين المقدستين.

والثاني: هو أن الامام (ع) بذكره هاتين السيرتين فقط قد أعلن عن إدانته للسيرة الاخرى التي حكمت حياة المسلمين بعد رسول الله (ص)، وكانت السبب في مناشيء الانحراف الذي تعاضم حتى آلت الامور إلى حاكم مثل يزيد بن معاوية!

ومعنى هذا أن الاصلاح في الامة وتطبيق مبدأ الامر بالمعروف والنهي عن المنكر تحقيقاً لحياة يحكمها الاسلام المحمدي الخالص لا يكون إلا بالاعراض عن تلك السيرة الاخرى ورفضها.

ويبدو أن بعض الاقلام التي دونت سيرة الامام الحسين (ع) أو التي استنسخت بعض كتب التاريخ قد انتهت إلى قوة إدانة الامام (ع) لهذه السيرة الاخرى في قوله: (وأسير بسيرة جدى وأبي علي بن أبي طالب (ع) فقط، فاضافت إليها عبارة (وسيرة الخلفاء الراشدين المهديين رضي الله عنهم) رفعا لهذه الادانة الحسينية لتلك السيرة الاخرى.

يقول السيد مرتضى العسكري وهو محقق مرموق (إن الراشدين اصطلاح تاءخر استعماله عن عصر الخلافة الاموية، ولم يرد في نص ثبت وجوده قبل ذلك، ويقصد بالراشدين الذين أتوا إلى الحكم بعد رسول الله (ص) متواليا، من ضمنهم الامام على (ع)، فلا يصح أن يعطف الراشدين على اسم الامام،

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٣٩٩

كلّ هذا يدلّنا على أن الجملة اءدخلت في لفظ الامام الحسين (ع). «١»

ولقد وردت هذه الاضافة في نصّ الوصية في رواية كتاب الفتوح لابن اعثم الكوفي وفي كتاب مقتل الحسين (ع) للخوارزمي نقلا عن الفتوح.

لماذا الخروج من المدينة ليلا!!! ص : ٣٩٩

تكاد المصادر التاريخية تجمع على أن الركب الحسيني خرج من المدينة في جوف الليل، وإن كانت هذه المصادر قد اختلفت في الليلة التي كان الخروج فيها.

والظاهر من متون بعض الروايات أن ساعة الخروج من المدينة كانت من ساعات الليل المتأخرة، ممّا يوحي بقاء الخروج كان بصورة سرية وعلى خوف من طلب السلطة، خصوصا وأن الروايات تحدّثت أن الامام (ع) قد خرج وهو يقرأ قوله تعالى: (فخرج منها خائفا يترقب قال ربّ نجني من القوم الظالمين).

وظاهر أجواء وقائع ما بعد لقاء الامام (ع) بوالى المدينة يثير مثل هذا التصوّر ولا ينفيه، خصوصا وأن الامام (ع) كان حريصا على أن لا يقتل غيلة في المدينة، أو تقع مواجهة مسلّحة في المدينة، فتهتك بذلك حرمة حرم رسول الله (ص)، فاستبق (ع) الزمن والاحداث كي لا يقع كل ذلك المحذور، وخرج ليلا بتلك الصورة السرية!

وقد تكرر الامر نفسه مع الامام (ع) في مكة المكرمة أيضا، فخرج (ع) منها مستبقا الزمن والاحداث كي لا يقع ذلك المحذور أيضا فتهتك بذلك حرمة البيت، وكان (ع) قد خرج منها في السحر أو في أوائل الفجر كما في الروايات.

فيكون الدافع واحدا في المرّتين (مع أننا قدّمنا من قبل أن هذا المحذور يقع

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٤٠٠

عند الامام (ع) في إطار خوف أكبر، وهو خوفه من أن تخنق ثورته في مهدها، سواء في المدينة أو في مكة (...).

غير أن ما يلفت الانتباه ويشير التاءمل هو أن الامام (ع) قبل خروجه من مكة قام خطيبا وأعلن في خطبته عن موعد خروجه منها حيث قال فيما قال في تلك الخطبة:

(... من كان باذلا فينا مهجته، وموطنا على لقاء الله نفسه فليرحل معنا فإنّي راحلٌ مصبحا إن شاء الله تعالى) «١»

وبهذا يكون الامام (ع) قد كشف عن موعد ارتحاله أوائل الصباح كما في هذه الرواية، أي في الوقت الذي يعتبر أواخر الليل وتكون فيه بعد بقيته من ظلام تصلح للستر والخفاء.

لكنّ كشفه (ع) عن موعد ارتحاله في تلك الساعة ينفي التعليل بانه (ع) خرج في ظلام السحر أو في بقيته ظلام أوائل الصبح تسترنا من رقابة السلطة الحاكمة كي لا يدركه الطلب!

هذا فضلا عن أنه من المستبعد أن يخفى على السلطة خروج الركب الحسيني ساعة خروجه من المدينة (وهو ركب كبير نسبيا) أو ساعة خروجه من مكة (وقد كان أكبر)، إذا حرصت هذه السلطة على أن تعلم متى يخرج هذا الركب، خصوصا والمدن آنئذ تعتبر مدنا صغيرة قياسا إلى المدن المعروفة اليوم.

وهذا فضلا عن أن والى المدينة آنئذ الوليد بن عتبة كان متراخيا في الضغط على الامام (ع)، وكان يتمنى خروجه من المدينة وألا يُبتلى بدمه! وهذا ليس بخافٍ على الامام (ع) كما هو اعتقادنا وكما تشير إلى ذلك أدلّة

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٤٠١

تاريخية.

إنّ التعليل الذي اءطمئن له في هذه المسألة هو اءن الامام (ع) لم يخرج في الظلام من المدينة أو من مكة حذرا من أعين السلطة

وآوف الؔلب؁ بل آرآ في الظلام من كلتا المدينتين وليس في النهار كى لاآآصفآ آعين الناس فيهما النساء في الركب الحسينى؁ أو آنظر الآعين عن قرب كيف يركبن المطايا؁ الامر الذى آاءباه الغيرة الحسينية الهاشمية! ولو لم يكن هذا الامر هو العلة التامة لخروج الركب الحسينى في آوف الليل؁ فلاأقل من أن يكون العلة المهمة آدا في مجموعة العلل الآخرى التى شككت العلة التامة لهذا الخروج في ظلمة الليل.

الاصرار على الطريق الاعظم! ص : ٤٠١

وتقول الرواية آاءريآية وهى آصف الجادة التى سلكها الركب الحسينى بآيادة الامام الحسين (ع) عند آروآه من المدينة إلى مكة المكرمة:

(فسار الحسين (ع) إلى مكة وهو يقرأ: (فآرآ منها آائفا يآرب قال رب نجنى من القوم الظالمين)؁ ولزم الطريق الاعظم. فقال له أهل بيته: لو آآكبآ الطريق الاعظم كما فعل ابن الزبير كى لايلآآكك الؔلب. فقال: (والله؁ لأفآرقه آآى يقضى الله ما هو قاض!) «١») وفى رواية الفآوح:

(فقال له ابن عمه مسلم بن عقيل بن أبى طالب: يا ابن بنت رسول الله مع الركب الحسينى (آ ١)؁ ص : ٤٠٢

(ص)؁ لو عدلنا عن الطريق وسلكنا غير الجادة كما فعل عبدالله بن الزبير كان عندى الرأى؁ فإنا نخاف أن يلآقنا الؔلب! فقال له الحسين (ع): (لا- والله يا ابن عمى؁ لا- فآرآت هذا الطريق أبدا أو أنظر إلى آبيات مكة؁ أو يقضى الله في ذلك ما يآب ويرضى).

آم آعل الحسين يآآآل بشعر يزيد بن مفرآ الحميرى وهو يقول:
لا سهرآ السوام في فلق الصب آ مضيئا ولا دعيآ يزيدا
يوم آعطى من المخآفة ضيما والمنايا يرصدنى آء آء آيدا «١»

وهنا قد يآساءل المتآءآل عن سبب إصرار الامام (ع) عن سلوك الطريق الاعظم إصرار من يرضى بمواجهة كل آآر محتسب وغير محتسب ولا يرضى بالآآلى عن سلوك هذا الطريق الرئيس؟! هل هى الشآاعة الحسينية من ورأ كل هذا الاصرار؟

أم أن الامام (ع) أراد من ورأ ذلك أمرا إعلاميا وتبليغيا للآريف بآيامه ونهضته من آلال الآقاء الركب الحسينى القاصد إلى مكة بكل المارة والقوافل على الطريق الاعظم؁ لا أنهم سيآساءلون عن سبب خروج الامام (ع) من مدينة آده (ص) مع آل بنى هاشم ومن معهم من أنصاره؁ ويآرفون من الامام (ع) مباشرة على أهدافه التى نهض من آجلها؁ فينضم إليه من يوقه الله آعالى إلى نصرته؁ ويآآشر أمر هذا القيام المقدس بين الناس في مناطق عديدة؁ فيآآقق بذلك عمل إعلامى وتبليغى ضرورى لآوسيع رقعة هذا القيام المبارك وكسب الانصار له؟

مع الركب الحسينى (آ ١)؁ ص : ٤٠٣

لاشك أن آعليل إصراره (ع) على لزوم الطريق الاعظم بالشآاعة الحسينية آعليل صحيح في نفسه؁ وكذلك آعليله بالآهدف الاعلامى والتبليغى للآريف بآيام الامام (ع) ونهضته؁ ولا منافاة بين هذين الآعليلين.

ولعل الآعليل الاهم الذى يمكن أن يضاف إليهما؁ هو أن الامام الحسين (ع) في إصراره على لزوم الطريق الاعظم أراد أن يعلن للامة أنه ليس من العصاة البغاء الآارجين على آكومة شرعية كانوا قد اعترفوا بها ثم آردوا عليها؁ أولئك الذين يلوزون بالآرق الفرعية

خوفا من رصد الحكام وفرارا من قبضتهم.

أراد (ع) أن يعلن للامة أنه هو ممثل الشرعية لا الحكم الاموى، وأنه هو صاحب الحق بالطريق الاعظم، وبالخلافة، وبكل شؤن الامة، وأنه هو الاصل الشرعى، وأن يزيد هو الشذوذ والخلاف والانحراف والمتمرد على الشرعية. وهذا البعد بعد تبليغى وإعلامى ثابت فى حركة الامام الحسين (ع)، وهو مفسر عام لجميع تفاصيل حركة نهضته المقدسة منذ حين قال لوالى المدينة:

(أيها الامير، إنا أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، ومحل الرحمة، وبنا فتح الله وبنا ختم، ويزيد رجل فاسق، شارب خمر، قاتل النفس المحترمة، معلن بالفسق، مثلى لا يبايع لمثله، ولكن نصبح وتصبحون، ومنتظر وتنتظرون أينا أحق بالخلافة.) «١» إلى ساعة استشهاده (ع) فى كربلاء.

مع الركب الحسينى (ج ١)، ص: ٤٠٤

الركب الحسينى الخارج من المدينة: ص : ٤٠٤

بنو هاشم: ص : ٤٠٤

لم يرد فى الكتب التارىخية ذكر تفصيلى لاسماء الهاشميين فى الركب الحسينى القاصد من المدينة إلى مكة المكرمة، بل ورد فى أغلب هذه الكتب ذكر إجمالى لمن خرج من الهاشميين مع الامام (ع) من المدينة، كمثل قول الشيخ المفيد (ره): (فخرج الحسين (ع) من تحت ليلته وهى ليلة الاحد ليومين بقيا من رجب متوجها نحو مكة ومعه بنوه وبنو أخيه وإخوته وجل أهل بيته إلا محمداً بن الحنفية (...). «١»

وقال الدينورى: (فلما أمسوا وأظلم الليل مضى الحسين رضى الله عنه أيضا نحو مكة، ومعه أخته: أم كلثوم، وزينب، وولد أخيه، وإخوته أبوبكر وجعفر والعباس، وعامة من كان بالمدينة من أهل بيته إلا أخاه محمداً بن الحنفية... «٢» وقال ابن أعثم الكوفى: (وخرج فى جوف الليل يريد مكة بجميع أهله). «٣»

وقال الطبرى: (وأما الحسين فإنه خرج ببنه وإخوته وبنى أخيه وجل أهل بيته إلا محمداً بن الحنفية). «٤»

كما أشارت بعض المصادر التارىخية الاخرى إلى أن الامام (ع) بعث إلى

مع الركب الحسينى (ج ١)، ص: ٤٠٥

المدينة (وهو فى مكة) يستقدم إليه من خف من بنى هاشم، فخف إليه جماعة منهم، وتبعهم إليه محمداً بن الحنفية، ولكنها لم تحدد من هؤلاء! «١»

وعلى هذه الاجمال جرت المصادر التارىخية الاخرى التى تعرضت لهذا الحدث، ولم أعثر على رواية تتحدث فى تفصيلات قضايا هذا الركب وفى أشخاصه إلا ما ورد فى كتاب (أسرار الشهادة) فى رواية ضعيفة جداً: (عن عبدالله بن سنان الكوفى، عن أبيه، عن جدّه) يصف فيها كيف أركب بعض بنى هاشم محارمهم من النساء من عيالات أبى عبدالله الحسين (ع) على محامل الابل، ثم كيف ركب بنو هاشم والامام (ع). والرواية مصوغه باء سلوب هو أقرب إلى الاسلوب المنبرى المعتمد على الاثارة العاطفية فى الوصف، ومع هذا فالرواية غلب عليها الاجمال فى ذكر من هم (بنو هاشم) فى الركب، وكم كان عددهم. «٢»

نعم، تشير الدلائل التارىخية إلى أن محمداً بن الحنفية، وعمر الاطرف، وعبدالله بن جعفر، وعبدالله بن عباس لم يكونوا مع الركب الحسينى الخارج من المدينة.

وتشير أيضا إلى أن الامام (ع) قد خرج بجميع أبنائه، وجميع أبناء أخيه الامام الحسن (ع)، وجميع بقية إخوته لا بيه عليه وعليهم

السلام.

ومن المتيقن أيضا أن مسلم بن عقيل (ع) كان قد خرج معه، أما ولداه عبدالله ومحمد فلا ظهر أنهما كانا مع أبيهما مسلم في الخروج مع الامام الحسين (ع).

وأما ولدا عبدالله بن جعفر، وهما عون ومحمد، فإن ظاهر القرائن التاريخية يفيد أنهما كانا مع أبيهما، ثم التحقا بالامام (ع) وانصما إليه بعد خروجه من مكة، ويبقى الاحتمال واردا أنهما خرجا مع الامام (ع)، ثم صارا

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٤٠٦

مع أبيهما في مكة، ثم عادا فالتحقا.

أما بقية الانصار من آل عقيل فالقرائن التاريخية لاتفيد القطع في معرفة من منهم خرج مع الامام (ع) من المدينة، أو من منهم التحق به بعد ذلك.

الانصار الاخرون: ص : ٤٠٦

اشارة

أما الانصار الاخرون غير الهاشميين الذين خرجوا مع الامام (ع) من المدينة فقد لايجد المتتبع تلك الصعوبة في معرفتهم، وقد أثبت التاريخ الاسماء التالية:

١ (عبدالله بن يقطر الحميري ص : ٤٠٦

: كانت أمه حاضنة للامام الحسين (ع)، ولم يكن رضع عندها، لانه صح في الاخبار أن الحسين (ع) لم يرضع إلا من صدر فاطمة (س) ومن إبهام رسول الله (ص) وريقه، لكن عبدالله اشتهر في أنه أخوالحسين (ع) من الرضاعة.

وقال ابن حجر في الاصابة: إنه كان صحابيا لانه لدة الحسين (ع). وكان الامام (ع) قد سرحه إلى مسلم بن عقيل بعد خروجه من مكة في جواب كتاب مسلم إلى الحسين (ع)، فقبض عليه الحصين بن تميم بالقادسية، وأرسله إلى عبيدالله بن زياد، فسأله عن حاله فلم يخبره، فقال له: إصعد القصر والعن الكذاب بن الكذاب ثم انزل حتى أرى فيك رأيي. فصعد القصر فلما أشرف على الناس قال: أيها الناس، أنا رسول الحسين بن فاطمة بنت رسول الله (ص) إليكم لتنصروه وتوازروه على ابن مرجانة وابن سميّة الدعى بن الدعى، فامر به عبيدالله فاءلقى من فوق القصر إلى الارض، فتكسرت عظامه، وبقي به رمق فاءتاه عبدالملك بن عمير اللخمي قاضى الكوفة وفتيها فذبحه، فلما عيب عليه، قال إنى أردت أن أريحه!! «١»

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٤٠٧

٢ (سليمان بن رزين مولى الحسين (ع) ص : ٤٠٧

: وهو الذى أرسله الامام الحسين (ع) بكتاب إلى رؤوس الاخماس وإلى الاشراف بالبصرة حين كان بمكة، ومنهم المنذر بن الجارود، وكانت بحرية بنت الجارود زوجة لعبيدالله بن زياد، فاءخذ المنذر سليمان بن رزين والكتاب وقدمهما إلى عبيدالله بن زياد، فلما قرأ الكتاب قتل سليمان، فكان من انصار الحسين (ع) الذين قتلوا في البصرة. «١»

٣ (أسلم بن عمرو مولى الحسين (ع) ص : ٤٠٧

: من شهدا الطف، وقد ذكر أهل السير والمقاتل أن الامام الحسين (ع) اشتراه بعد وفاة أخيه الحسن (ع) ووهبه لابنه على بن الحسين

(ع)، وكان أبوه تركيا، وكان أسلم كاتباً عند الحسين (ع) فى بعض د حوائجه، فلما خرج الحسين (ع) من المدينة إلى مكة كان أسلم ملازماً له حتى أتى معه كربلاء، فلما كان يوم العاشر وشب القتال استاء ذن الامام (ع)، وكان قارئاً للقرآن، فاءذن له، فجعل يقاتل ويرتجز حتى قتل من القوم جمعا كثيرا، ثم سقط صريعا، فمشى إليه الحسين (ع) فرآه وبه رمق وهو يومى إلى الحسين (ع)، فاعتنقه الحسين (ع) ووضع خده على خده، ففتح عينيه فبسم وقال: من مثلى وابن رسول الله واضع خده على خدى، ثم فاضت نفسه (ر). آ «٢»

٤ (قارب بن عبدالله الدلى مولى الحسين (ع) ص : ٤٠٧

: أمه جارية للحسين (ع)، واسمها فكيهة، كانت تخدم فى بيت الرباب زوجة الامام (ع)، تزوجها عبدالله الدلى فولدت منه قاربا، فهو مولى للحسين (ع)، خرج معه من المدينة إلى مع الركب الحسينى (ج ١)، ص : ٤٠٨ مكة، ثم إلى كربلاء، وقتل فى الحملة الاولى التى هى قبل الظهر بساعة. «١»

٥ (منجح بن سهم مولى الحسين (ع) ص : ٤٠٨

: (حكى عن ربيع الابرار للزمخشري أنه قال: حسيته كانت جارية للحسين (ع) اشتراها من نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب، ثم تزوجها سهم فولدت منه منجحا فهو مولى للحسين (ع). (انتهى).

وقد كانت فى بيت السجاد (ع)، فلما خرج الحسين (ع) إلى العراق خرجت معه ومعها ابنها منجح حتى أتوا كربلاء، ولما تبارز الفريقان يوم الطف قاتل القوم قتال الابطال، وقتل فى أوائل القتال رضوان الله عليه. «٢» وقيل: (كان منجح من موالى الحسن (ع)، خرج من المدينة مع ولد الحسن (ع) فى صحبة الحسين (ع) فاءنجح سهمه بالسعادة وفاز بالشهادة). «٣»

٦ (سعد بن الحرث الخزاعى مولى على (ع) ص : ٤٠٨

: (كان سعد مولى لعلى (ع) فانضم بعده إلى الحسن (ع)، ثم إلى الحسين (ع)، فلما خرج من المدينة خرج معه إلى مكة ثم إلى كربلاء، فقتل بها فى الحملة الاولى)، «٤» وقيل: (له إدراك صحبة النبى (ص)، وكان على شرطة اميرالمؤمنين (ع) بالكوفة، وولاه آذربيجان...). «٥»

٧ (نصر بن أبى النيزر مولى على (ع) ص : ٤٠٨

: (كان أبو نيزر من ولد بعض ملوك العجم أو من ولد النجاشى. قال المبرد فى الكامل: صح عندى أنه من ولد مع الركب الحسينى (ج ١)، ص : ٤٠٩ النجاشى، رغب فى الاسلام صبغيا، فأتى به رسول الله (ص) فأسلم، ورباه رسول الله (ص)، فلما توفى صار مع فاطمة وولدها. وقال غيره: إنه من أبناء ملوك العجم، أهدى إلى رسول الله (ص)، ثم صار إلى امير المؤمنين (ع)، وكان يعمل له فى نخله ... ونصر هذا ولده، انضم إلى الحسين (ع) بعد على والحسن (ع)، خرج معه من المدينة إلى مكة ثم إلى كربلاء، فقتل بها، وكان فارسا فعقرت فرسه، ثم قتل فى الحملة الاولى (ر). «١»

٨ (الحرث بن نبهان مولى حمزة بن عبدالمطلب (ع) ص : ٤٠٩

: (قال أهل السير: إن نبهان كان عبداً لحمزة، شجاعاً فارساً، مات بعد شهادة حمزة بسنتين، وانضم ابنه الحرث إلى أميرالمؤمنين (ع)، ثم بعده إلى الحسن (ع)، ثم إلى الحسين (ع)، فلمّا خرج الحسين (ع) من المدينة إلى مكة خرج الحرث معه، ولازمه حتّى وردوا كربلاء، فلمّا شبّ الحرب تقدّم أمام الحسين (ع) ففاز بالشهادة (ر). «٢»

٩ (جون بن حوى مولى أبي ذر الغفاري (ر) ص : ٤٠٩

: (كان جون منضماً إلى أهل البيت (ع) بعد أبي ذر، فكان مع الحسن (ع) ثم مع الحسين (ع)، وصحبه في سفره من المدينة إلى مكة ثم إلى العراق ... فلمّا نشب القتال وقف أمام الحسين (ع) يستأذنه في القتال. فقال له الحسين (ع): يا جون أنت في إذن منّي، فإنّما تبعنا طلباً للعافية، فلا تبطل بطريقتنا. فوقع جون على قدمي أبي عبدالله الحسين (ع) يقبلهما ويقول: يا ابن رسول الله (ص)، أنا في الرخاء ألحسّ قصاعكم وفي الشدة أخذلكم! إن ريحى لنتن، وإنّ حسبي للثيم، وإنّ لوني لا سود، فتنفّس عليّ في الجئة ليطيب ريحى ويشرف حسبي ويبيضّ لوني، لا والله لأفارقكم حتّى يختلط هذا الدم الاسود مع دمائكم. فآذن له

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٤١٠

الحسين (ع) ... ثم قاتل حتّى قتل ... فوقف عليه الحسين (ع) وقال: أللهم بيض وجهه، وطيب ريحه واحشره مع الابرار، وعزّف بينه وبين محمّد وآل محمّد (ص). وروى علماؤنا عن الباقر (ع)، عن أبيه زين العابدين (ع) أنّ بنى أسد الذين حضروا المعركة ليدفنوا القتلى وجدوا جونا بعد أيام تفوح منه رائحة المسك (...). «١»

١٠ (عقبة بن سمعان ص : ٤١٠

: كان عقبة بن سمعان مولى للزّباب بنت امرئ القيس الكلبيّة زوجة الامام الحسين (ع)، وكان في الركب الحسيني الخارج من المدينة إلى مكة ثم إلى العراق. وقال الطبري في تاءريخه: (وأخذ عمر بن سعد عقبة بن سمعان وكان مولى للزّباب بنت امرئ القيس الكلبيّة وهي أمّ سكينه بنت الحسين (ع) فقال له: ما أنت؟ قال: أنا عبدٌ مملوك. فخلّى سبيله). «٢»

وقد نقل الشيخ عباس القمي (ره) في نفس المهموم «٣» ذلك عن الطبري والجزري. وقال المامقاني (ره) في تنقيح المقال: (وقد ذكره الطبري وغيره من مؤرّخي الواقعة، ويفهم ممّا ذكره أنّه كان عبداً لرباب زوجة الحسين (ع)، وأنّه كان يتولّى خدمة أفراسه وتقديمها له، فلمّا استشهد الحسين (ع) فرّ على فرس د فآخذ أهل الكوفة فزعم أنّه عبد للزّباب بنت امرئ القيس الكلبيّة زوجة الحسين (ع) فآءطلق، وجعل يروي الواقعة كما حدثت، ومنه آءخذت أخبارها (...). «٤»

لكنّ بعض علمائنا ذهب إلى القول باستشهاد عقبة بن سمعان في زمره

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٤١١

شهداً الطّف (رضي) إستناداً إلى ورود التسليم عليه في زيارة الحسين (ع) (أولّ يوم من رجب وليلته، وليلة النصف من شعبان)، «١» ومن هؤلاء العلماء السيّد أبوالقاسم الخوئي (ره) في معجم رجال الحديث حيث قال: (من أصحاب الحسين (ع) ... واستشهد بين يدي الحسين (ع)، ووقع التسليم عليه في الزيارة الرجبية، وعن بعض المؤرّخين من العامة أنّه فرّ من المعركة ونجا). «٢»

ومنهم الشيخ على النمازي في مستدركات علم رجال الحديث حيث قال:

(عقبة بن سمعان ... من أصحاب الحسين (ع)، وكان معه في كربلاء، واستشهد معه يوم عاشوراء كما ذكره السيّد في عداد الشهداء في

الزيارة الرجبية (...). «٣»

لقاءات في الطريق ص : ٤١١

إشارة

ومع أن الإمام الحسين (ع) لزم الطريق الأعظم من المدينة إلى مكة المكرمة لكن الرواية التاريخية لم تحدثنا عن كثير من تفاصيل هذا السفر، بل لعل ما ورد في التاريخ من ذلك يعتبر نورا قليلا جدا، ومنه:

لقاؤه (ع) بأفواج من الملائكة ومؤمني الجن ص : ٤١١

إشارة

نقل العلامة المجلسي (ره) في بحاره عن كتاب المقتل للسيد محمد بن أبي طالب الموسوي قوله: (وقال شيخنا المفيد يا سناده إلى أبي عبدالله (ع) قال: لما سار أبو عبدالله من المدينة لقيه أفواج من الملائكة المسومة في مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٤١٢

أيديهم الحراب على نجب من نجب الجنة، فسلموا عليه وقالوا: يا حجة الله على خلقه بعد جدّه وأبيه وأخيه، إن الله سبحانه أمدّ جدك بنا في مواطن كثيرة، وإن الله أمدك بنا.

فقال لهم: الموعد حفرتي وبقعتي التي أستشهد فيها وهي كربلاء، فإذا وردتها فاءتوني.

فقالوا: يا حجة الله، مَرْنَا نَسْمَعُ وَنَطْعُ، فَهَلْ تَخْشَى مِنْ عَدُوٍّ يَلْقَاكَ فَتَكُونُ مَعَكَ؟

فقال: لا سبيل لهم علي ولا يلقوني بكريهه أو أصل إلى بقعتي.

وأنته أفواج مسلمي الجن ...

فقالوا: يا سيدنا، نحن شيعتك وأنصارك، فمرنا بأمرك، وما تشاء، فلو أمرتنا بقتل كل عدو لك وأنت بمكانك لكفيناك ذلك.

فجزّاهم الحسين خيرا وقال لهم: اءَ وَ مَا قَرَأْتُمْ كِتَابَ اللَّهِ الْمَنْزِلَ عَلَى جَدِّي رَسُولَ اللَّهِ (ص): (أينما تكونوا يدر ككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة)، وقال سبحانه: (لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم)، وإذا أقمت بمكاني فماذا يُبتلى هذا الخلق المتعوس؟ وبماذا يختبرون؟ ومن ذا يكون ساكن حفرتي بكربلاء؟ وقد اختارها الله يوم دحا الارض، وجعلها معقلا لشيعتنا، ويكون لهم أمانا في الدنيا والاخرة؟ ولكنّ تحضرون يوم السبت، وهو يوم عاشوراء الذي في آخره أقتل، ولا يبقى بعدى مطلوب من أهلي ونسبي وإخوتي وأهل بيتي، ويسار برأسي إلى يزيد لعنه الله.

فقال الجن: نحن والله يا حبيب الله وابن حبيبه، لولا أن أمرك طاعة وأنه لا يجوز لنا مخالفتك، قتلنا جميع أعدائك قبل أن يصلوا إليك!

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٤١٣

فقال صلوات الله عليه لهم: نحن والله أقدر عليهم منكم، ولكن ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة. (١)

«إشارة»: ص : ٤١٣

لنوع المخاطب أثر في نوع خطاب أهل البيت (ع) مع الغير، وهذه الحقيقة من الحقائق اللازم استذكارها لفهم وإدراك متون خطباتهم (ع).

وعلى قدر درجة المخاطب من العقل والایمان والیقین بهم (ع) والتسليم لهم تكون درجة مخاطبتهم (ع) الغير بصريح القضية ومُرّ

الحق.

معالركب الحسيني (ج ١)، ص: ٤١٤

وفي هذه الرواية نجد المخاطب من الملائكة ومؤمني الجن، من شيعة أهل البيت (ع) ومن أهل الصدق والاخلاص في الابهة والنصرة، وعلى درجة عالية جداً من المعرفة بمنزلة الامام (ع) ومن اليقين والتسليم لامره، كما هو واضح في متن المحاوره في هذه الرواية.

ولذا نجد الامام (ع) يجيبهم بصريح القضيئه ووضوح تام، إنه (ع) في هذه المحاوره بمنطق العمق، منطلق الشهيد الفاتح يؤكده أنه ماضٍ إلى مصرعه المختار (الموعده حفرتي) على الارض المختاره (بعتي التي أستشهد فيها وهي كربلاء). ويؤكد (ع) أن الامر لابد منه تحقيقاً للرادة الالهيه في اختبار (هذا الخلق المتعوس) حتى يتشخص لهم بوضوح تام طريق السعادة من متاهات الشقاء والتعاسة، وليمتاز الحق من الباطل تماماً بلا شائبة اختلاط وشبهه، حين يتحقق بذلك المصراع وعلى تلك البقعه فصل الاسلام المحمدي الخالص عن الامويه المتلبسه بمسوح الاسلام، وهذا من أهم أبعاد الفتح الحسيني المبين، المتواصل على امتداد الزمان، بركه من بركات مصرع (الذبح العظيم)، وفيضا من فيوضات ذلك القبر المقدس الذي اختاره الله يوم دحا الارض مركزاً لا شعاع ذلك الفتح، ومعقلاً للشيعة الحسينيين على مر الايام وأماناً لهم في الدنيا والاخره.

ويؤكد (ع) أيضاً أن الامر لابد من جريان وقائعه في إطار الاسباب العاديه بعيداً عن خوارق العاده من أسباب ما فوق العاده، ولو كانت الغايه نصراً ظاهرياً عاجلاً ولا سبيل إلى تحقيقه إلا بالخوارق فإن الامام (ع) بولايته التكوينيئه العاميه يا ذن الله تبارك وتعالى أقدر من الملائكة والجن على تحقيق ذلك (نحن والله أقدر عليهم منكم، ولكن ليهلك من هلك عن بينه ويحيى من حي عن بينه (...)).

معالركب الحسيني (ج ١)، ص: ٤١٥

أنصار آخرون يلتحقون بالركب من منازل جهينه ص : ٤١٥

ويروى لنا التاءريخ من وقائع الطريق من المدينه إلى مكه أيضاً أن جماعه من الاعراب كانوا يلتحقون بالركب الحسيني عند مروره بمنازلهم، ومن تلك المنازل منازل جهينه (مياه جهينه)، وقد التحق بالامام (ع) منها جماعه، منهم ثلاثه رجال لم ينفصوا عنه فيمن انفض من الاعراب عنه بعد ذلك، بل أقاموا معه ولازموه ولم يتخلوا عنه حتى فازوا بآسمى مراتب الشرف في الدنيا والاخره حيث استشهدوا بين يديه في الطف يوم عاشوراء، وهم:

١ مجمع بن زياد بن عمرو الجهني (ر).

٢ عباد بن المهاجر بن أبي المهاجر الجهني (ر).

٣ عقبه بن الصلت الجهني (ر). «١»

هل لقي الامام (ع) ابن عباس وابن عمر في الطريق إلى مكه؟ ص : ٤١٥

قال ابن الاثير في الكامل: (وقيل إن ابن عمر كان هو وابن عباس بمكه فعادا إلى المدينه، فلقيهما الحسين وابن الزبير فساء لاهما: ماوراً كما!؟

فقالا: موت معاويه وبيعه يزيد!

فقال ابن عمر: لا تفرقا جماعه المسلمين). «٢»

أما الطبري فقال: (فزعم الواقدي أن ابن عمر لم يكن بالمدينه حين ورود نعي معاويه وبيعه يزيد على الوليد، وأن ابن الزبير والحسين

لما دعيا إلى البيعة ليزيد أبيا، وخرجا من ليلتهما إلى مكة، فلقيهما ابن عباس وابن عمر جاثين

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٤١٦

من مكة فساء لاهما: ما ورأكما ...» (١) إلى آخر خبر ابن الاثير بتفاوت سير.

وأما ابن كثير في تاريخه «٢» فقال: (وقال الواقدي ...) ثم أورد نفس رواية الطبري بتفاوت سير.

والظاهر أن هذه الرواية لم يروها أحد من المؤرخين غير هؤلاء الثلاثة إضافة إلى الواقدي الذي نسبها إليه إثنان منها!

وقول ابن الاثير في تصدير الرواية: (وقيل)، وقول الطبري: (فزعم الواقدي)، يشعران بعدم اطمئنانهما إلى هذا الزعم وبضعف هذه

الرواية، خاصة وأنهما قد روايا في تاريخيهما أن عبدالله بن عمر كان في المدينة حينما كان الامام الحسين (ع) فيها قبل خروجه منها.

«٣» كما أن هذه الرواية مخالفة لما هو مشهور من أن عبدالله بن عباس خاصة كان في مكة حينما دخلها الامام الحسين (ع)، ومن

روايات هذا المشهور قول الدينوري في الاخبار الطوال:

(وأما عبدالله بن عباس فقد كان خرج قبل ذلك بآيام إلى مكة)، «٤» وقول ابن أعثم الكوفي وقد نقله عنه الخوارزمي: (وأقام

الحسين بمكة باقى شهر شعبان، وشهر رمضان، وشوال، وذى القعدة، وبمكة يومئذ عبدالله بن عباس د وعبدالله بن عمر بن الخطاب

...). «٥»

هذا فضلا عن أن هذه الرواية مخالفة لما ذهب إليه جلّ المؤرخين من الفريقين من أن عبدالله بن الزبير خرج إلى مكة قبل الامام

الحسين (ع)، إذ

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٤١٧

خرج ابن الزبير في سواد نفس الليلة التي استدعاه إلى البيعة فيها الوليد بن عتبة، فيكون الفارق الزمني بين مسيره إلى مكة ومسير الامام

(ع) ليلتين أو ليلة على الاقل، هذا فضلا عن أن ابن الزبير تنكب عن الطريق الاعظم الذي أصرّ الامام الحسين (ع) على السير عليه، ممّا

يدلّ على أنّهما لم يجمعهما منزل من منازل الطريق، خصوصا وأنّ ابن الزبير قد جدّ في السير إلى مكة كما يجدّ الهارب حتّى أن

واحدا وثمانين راكبا من موالى بنى أمية طلبوه فلم يدركوه ورجعوا. «١»

إذن فكيف يصحّ ما في هذه الرواية من أنّهما كانا معا حتّى لقيهما ابن عباس وابن عمر؟!

هذه الرواية إذن مخالفة للحقيقة التاريخية فضلا عن إرسالها وضعفها. «٢» أمّا مارواه ابن عساكر في تاريخه حيث قال: (وخرج

الحسين وعبدالله بن الزبير من ليلتهما إلى مكة، وأصبح الناس وغدوا إلى البيعة ليزيد وطلب الحسين وابن الزبير فلم يوجدوا ... ولقيهما

عبدالله بن عمر، وعبدالله بن عياش بن أبي ربيعة بالا بوا منصرفين من العمرة، فقال لهما ابن عمر: أذكر كما الله إلّا رجعتما فدخلتما

في صالح ما يدخل فيه الناس، وتظنرا، فإن اجتمع الناس د عليه لم تشدّا عنهم، وإن افترق الناس عليه كان الذي تريدان ... وقال له ابن

عياش: «٣» أين تريد يا ابن فاطمة؟! قال: العراق وشيعتي. فقال: إنى لكاره لوجهك هذا، أخرج إلى قوم قتلوا أباك، وطعنوا أخاك

حتّى تركهم سخطة

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٤١٨

وملّة لهم؟! أذكر كك الله أن تغرر بنفسك ...). «١»

فهذه الرواية كتلك مخالفة للحقيقة التاريخية أيضا على ضوء المناقشة التاريخية التي قدّمناها في ردّ الرواية الاولى، هذا فضلا عن

ضعفها سندا «٢» على الاقلّ بجويرية بن أسماء الذي قال فيه الامام الصادق (ع): (وأما جويرية فزنديق لا يفلح أبدا). «٣»

ولو فرضنا صحّة وقوع المحاوره الاخيره في رواية ابن عساكر بين ابن عياش د وبين الامام (ع)، فإنّ الدلائل التاريخية تشير إلى أنّ

مثل هذه المحاورات التي تحدّث فيها الامام (ع) بصراحة عن توجهه إلى العراق وشيعته هناك لم تقع إلّا في مكة أثناء إقامته فيها أو

قبيل خروجه منها، لا- نّ الامام (ع) لم يكشف عن نيّة عزمه على التوجه إلى العراق لكلّ محاور إلّا في مكة، وأمّا في المدينة وفي

الطريق منها إلى مكة فلم يكشف الامام (ع) عن هذه التية إلا لمن يثق بهم كاءم سلمة رضى الله عنها ومحمد بن الحنفية (ر) مثلاً، أما عبدالله بن مطيع العدوى وأمثاله فكان (ع) لا يكشف لهم إلا عن توجهه إلى مكة.

وعبدالله بن عياش «٤» هذا لم يعرف له قرب من أهل البيت: أو ولاء لهم، بل مع الركب الحسينى (ج ١)، ص: ٤١٩

الظاهر من نص هذه المحاوره التي رواها ابن عساكر هو أن عبدالله هذا على فرض حصول هذه المحاوره لم يكن يحسن حتى مراعاة الادب مع الامام (ع) فضلاً عن معرفه إمامته إذ يقول له: (أذكرك الله أن تغرر بنفسك!)، فهو من نوع عبدالله بن مطيع العدوى بل هو أسوأ منه لأن هذا الاخير على الاقل كان يحسن مراعاة الادب مع الامام (ع) والتودد إليه في محاوراته معه.

لقاؤه (ع) مع عبدالله بن مطيع العدوى ص : ٤١٩

يروى لنا التاريخ لقائين لعبدالله بن مطيع العدوى مع الامام الحسين (ع)، الاول في الطريق من المدينة إلى مكة، والثاني على ما في رواية المفيد في الارشاد لما أقبل الامام الحسين (ع) من الحجاز يسير نحو العراق فانتهى إلى ماء من مياه العرب. «١» وتهماً في هذا المقطع من تأريخ حركة الركب الحسينى قصة اللقاء الاول، تقول الرواية التااريخية في متابعتها حركة الامام الحسين (ع) على الطريق من المدينة إلى مكة: (فبينما الحسين كذل لك بين المدينة ومكة إذ استقبله عبدالله بن مطيع العدوى، فقال: أين تريد أبا عبدالله جعلنى الله فداك؟

قال: أما في وقتي هذا أريد مكة فإذا صرت إليها استخرت الله تعالى في أمرى بعد ذلك.

فقال له عبدالله بن مطيع: خار الله لك يا ابن بنت رسول الله فيما قد عزمت عليه، غير أنني أشير عليك بمشورة فاقبلها منى!

مع الركب الحسينى (ج ١)، ص: ٤٢٠

فقال له الحسين: وما هي يا ابن مطيع؟

قال: إذا أتيت مكة فاحذر أن يغرك أهل الكوفة، فيها قتل أبوك، وأخوك بطعنة طعنوه كادت أن تاتي على نفسه، فالزم الحرم فاءنت سيد العرب في دهرك هذا، فوالله لئن هلكت ليهلكن أهل بيتك بهلاكك، والسلام.

قال فودعه الحسين ودعا له بخير). «١»

وفي رواية الدينورى في الاخبار الطوال أن ابن مطيع قال للامام (ع): (إذا أتيت مكة فاءردت الخروج منها إلى بلد من البلدان فإياك والكوفة، فإيتها بلدة مشؤومة، بها قتل أبوك، وبها خذل أخوك، واغتيل بطعنة كادت تاتي على نفسه، بل الزم الحرم، فإن أهل الحجاز لا يعدلون بك أحدا، ثم ادع اليك شيعتك من كل أرض فسياءتوك جميعاً.

قال له الحسين (ع): يقضى الله ما أحب. «٢»

أما ابن عساكر فروى قصة هذا اللقاء على النحو التالي:

(لما خرج الحسين بن علي (س) من المدينة يريد مكة مرّ بابن مطيع وهو يحفر بئر، فقال له: أين فداك أبي وأمي؟ قال: أردت مكة.

قال وذكر له أنه كتب إليه شيعته بها.

فقال له ابن مطيع: أين فداك أبي وأمي؟ متعنا بنفسك ولا تسر إليهم! فاءبى الحسين (ع)، فقال له ابن مطيع: إن بئري ه ذه قد رشحتها، وهذا اليوم أو ان ما

مع الركب الحسينى (ج ١)، ص: ٤٢١

خرج إلينا في الدلو شى من ماء، فلو دعوت الله لنا فيها بالبركة!

قال: هات من مائها.

فأتى من مائها في الدلو، فشرب منه، ثم تمضمض، ثم رده في البئر، فاءذوب وأمهي). «١»

من هو عبدالله بن مطيع العدوي؟ ص : ٤٢١

ها نحن في محضر الامام الحسين (ع) في الطريق إلى مكة مع مخاطب آخر من نوع آخر، هو عبدالله بن مطيع العدوي، رجل من قريش، همّ العافية والمنفعة الذاتية، وحرصه على مكانة قريش والعرب أكبر من حرصه على الاسلام، وهو ليس من طلاب الحق ولا من أهل نصرته والدفاع عنه، وكاذب في دعوى موّدة أهل البيت (ع) مع معرفته بمنزلتهم الخاصّة عند الله تبارك وتعالى، والامام الحسين (ع) يعرفه تمام المعرفة!

ولذا نراه (ع) يمرُّ به مرور الكرام ولا يعبأ به، ولا يحدثه بصريح قضية النهضة ولا يكشف له عن تفاصيل مستقبلها كما حدّث بذلك أم سلمة رضي الله عنها ومحمد بن الحنفية، (ر) والملائكة، ومؤ منى الجنّ مثلاً، بل حدّثه فقط عن مقصده المرحليّ (مكة)، ولم يكشف له عن شيء بعد ذلك إلّا (فإذا صرّت إليها استخرت الله تعالى في أمرى بعد ذلك!)، أو (يقضى الله ما أحب!).

في محاورته مع الامام (ع) في لقائه الثاني به (على ما في رواية الارشاد) نجد أكبر همّ ابن مطيع هو ألاّ تنتهك (حرمة العرب وحرمة قريش)، ونجده هنا أيضاً يخاطب الامام (ع) قائلاً: (فأنت سيّد العرب في دهرك هذا!) ممّا يكشف عن قوّة النزعة العرقية (القومية) في عقله ونفسيته!

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٤٢٢

ونراه مع معرفته بمنزلة الامام (ع) في الاسلام وفي الامّة، ومع علمه بحقائيق خروج الامام (ع) لا يندفع إلى نصرته الامام (ع) والانضمام إليه، بل يبقى همّ في ماء بثره كيف يكثر ويحلوا! وببركة الامام (ع)!!

لقد فوّت عليه حبّ العافية والمنفعة الذاتية فرصة العمر النادرة بمرور الامام (ع) به في عدم اغتنامها بنصرته والالتحاق به والفوز بشرف الدنيا والاخرة في الاستشهاد بين يديه، وتسافل بهمّه إلى درجة أن انحصر في كثرة ماء البئر وعذوبته!

ونرى ابن مطيع هذا يكشف عن كذبه في دعوى حبه للامام (ع) بعد مقتل الامام «١» ام (ع)، حين انضمّ إلى ابن الزبير، وصار عاملاً له على الكوفة، (فجعل يطلب الشيعة ويخيفهم)، «٢» وقاتلهم في مواجهته لحركة المختار، واستعان عليهم بقتلة الامام الحسين (ع) أنفسهم، أمثال شمر بن ذى الجوشن وشبث بن ربعي وغيرهم!!

وفي أوّل خطبة له في الكوفة أعلن عن عزمه على تنفيذ أمر ابن الزبير في السير بآهل الكوفة بسيرة عمر بن الخطاب وسيرة عثمان بن عفان، لكنّه فوجئ بحنين أهل الكوفة إلى سيرة عليّ (ع) ورفضهم للسير الاخرى، حين قام إليه السائب بن مالك الاشعري فقال له: (أمّا حمل فينا برضانا فإنا نشهد أنّا لانرضى أن يُحمل عنّا فضلُه، وأن لا يُقسّم إلّا فينا، وألّا يُسار فينا إلّا بسيرة عليّ بن أبي طالب (ع) التي سار بها في بلادنا هذه حتّى هلك، ولا حاجة لنا

مع الركب الحسيني (ج ١)، ص: ٤٢٣

في سيرة عثمان في فينا ولا في أنفسنا، ولا في سيرة عمر بن الخطاب فينا، وإن كانت أهون السيرتين علينا ...). «١»

هل وصلت إلى الامام (ع) رسائل قبيل رحيله عن المدينة؟ ص : ٤٢٣

من الطبيعي أن تكون للامام الحسين (ع) في زمن معاوية مراسلات بينه وبين شيعته في العراق والحجاز وباقي مناطق العالم الاسلامي آنئذٍ.

لكنّ سؤالنا التحقيقي في هذا المجال حول ما إذا كانت هناك رسائل قد وصلت إلى الامام (ع) في غضون اليومين أو الثلاثة قبيل

سفره عن المدينة، أى منذ أن جاء نبأ موت معاوية، وطلب منه أن يبيع يزيد، وإلى أن ارتحل (ع) عن المدينة المنورة.

هناك ثلاث روايات يوحى ظاهرها بحصول هذا الامر:

الاولى: وهى الرواية التى مرّت بنا عن ابن عساكر فى قصيدة اللقاء الاول لعبدالله بن مطيع مع الامام (ع)، حيث ورد فيها بعد أن أجب الامام (ع) ابن مطيع أنه يريد مكة قول الراوى إنّ الامام (ع) (ذكر له أنه كتب إليه شيعته بها).

والمتبادر من ظاهرها أنّ للامام الحسين (ع) شيعته فى مكة قد كتبوا إليه! وهذا ممكن إذا كانت هذه الرسائل قد كتبت وأرسلت قبل يوم وصول نبأ موت معاوية إلى المدينة بآيام، فوصلت إليه (ع) فى غضون اليومين أو الثلاثة أيام قبيل سفره عن المدينة، لأنّ المسافة بين مكة والمدينة فى السفر العاجل تقتضى زمانيا ثلاثة أيام على الأقل. وأمّا إذا كانت هذه الرسائل قد كتبت واءرسلت إليه (ع) بعد خبر موت معاوية، فلا شكّ انها لاتصل إليه فى غضون ما قبيل سفره، بل، قد تصل إليه وهو فى الطريق إلى مكة وقد فصل مع الركب الحسينى (ج ١)، ص: ٤٢٤

بعيدا عن المدينة، هذا فى أحسن الفروض.

لكنّ المتأمل فى بقيّة الرواية يجد ابن مطيع بعد ذلك مباشرة يقول للامام (ع): (أين فداك أبى وأمى؟ متعنا بنفس ولا تسر إليهم!). ولا شكّ أنّ ابن مطيع لم يبه الامام (ع) عن مكة، بل نهاه عن الكوفة! ممّا يدلّ على أنّ ه ذه الرسائل المذكورة كانت من الكوفة وليست من مكة! وهنا يظهر لنا الخلط فى متن هذه الرواية بين لقاء ابن مطيع الاول ولقائه الثانى مع الامام (ع)، حيث كان الامام (ع) فى اللقاء الثانى قد حدّث ابن مطيع عن رسائل أهل الكوفة، ولم يحدّثه عنها فى اللقاء الاول، لانها لم تصل إليه إلّا فى مكة، ولانه لم يكن قد وصل إلى مكة بعد.

الثانية: وهى أوضح فى الخلط بين وقائع اللقائين من رواية ابن عساكر، وقد رواها صاحب العقد الفريد، وجاء فيها: (... ومرّ حسين حتّى أتى على عبدالله بن مطيع وهو على بئر له، فنزل عليه، فقال للحسين: يا أبا عبدالله، لا سقانا الله بعدك ماء طيبا، أين تريد؟ قال: العراق!. قال: سبحان الله! لم؟ قال: مات معاوية، وجاءنى أكثر من حمل صحف. قال: لا تفعل أبا عبدالله، فوالله ما حفظوا أباك، وكان خيرا منك، فكيف يحفظونك؟ ووالله لئن قتلت لا بقيت حرمة بعدك إلّا استحلّت! فخرج حسين حتّى قدم مكة...). «١»

وهذه الرواية مغيرة للروايات الكثيرة التى تحدّثت عن وقائع اللقاء الاول، لقاء ما بعد المدينة، حيث حكّت هذه الروايات أنّ الامام (ع) لم يصرّح لابن مطيع فيه إلّا أنّه يريد مكة، ولم يحدّثه أنّه يريد العراق!

ثمّ كيف يتصوّر أنّ حملا من الرسائل يصل إلى الامام وهو فى المدينة من

مع الركب الحسينى (ج ١)، ص: ٤٢٥

أهل الكوفة بعد انتشار نبأ موت معاوية؟! والثابت تاريخيا أنّ أهل الكوفة علموا بموت معاوية بعد وصول الامام (ع) إلى مكة بفترة، ثمّ كتبوا إليه يدعونه إليهم.

فالزواى لهذه الرواية على فرض صحّتها يكون قد خلط بين مجريات اللقائين خلطا ظاهرا من حيث يعلم أو لا يعلم! والمقطوع به تاريخيا أنّ رسائل دعوة أهل الكوفة للامام (ع) لم تصل إليه فى المدينة، بل فى مكة.

الثالثة: وهى الرواية التى حكاها صاحب (أسرار الشهادة) عن بعض (الثقات الادباء الشعراء من تلامذتى من العرب) حسب قوله، وأنّ هذا الثقة قد ظفر بها فى مجموعة كانت تنسب إلى (الفاضل الاديب المقرئ) فنقلها عنها، وهذه الرواية أنّه: (قد روى عبدالله بن سنان الكوفى، عن أبيه، عن جدّه، أنّه قال:

خرجت بكتاب من أهل الكوفة إلى الحسين (ع) وهو يومئذ بالمدينة، فأتته فقرأه وعرف معناه، فقال: أنظرني إلى ثلاثة أيام. فبقيت فى المدينة، ثمّ تبعته إلى أن صار عزمه بالتوجه إلى العراق، فقلت فى نفسى أمضى وأنظر إلى ملك الحجاز كيف يركب وكيف جلا

الراوي كيف أركب الهاشميون محارمهم من عيالات الامام الحسين (ع) على محامل الابل، ثم كيف ركب بنوهاشم والامام (ع). وهذه الرواية على د فرض صحتها (وهي ليست كذلك) «٢» هي الرواية الوحيدة التي تخبر عن وصول رسالة من أهل الكوفة إلى الامام (ع) وهو في المدينة في أيام ما بعد رفضه البيعة ليزيد بعد موت معاوية، أو قبل ذلك بيوم!

ولا شك أن هذه الرسالة تعتبر من رسائل أهل الكوفة إلى الامام (ع) في فترة ما ص : ٤٢٥

معالركب الحسيني (ج ١)، ص: ٤٢٦
 قبل علم أهل الكوفة بموت معاوية، لأنّ بناء موت معاوية من قرائن تاريخية عديدة لم يصل إلى أهل الكوفة إلّا بعد وصول الامام (ع) إلى مكة المكرمة، أو وهو في الطريق إليها.
 من كلّ ما قدّمناه في هذه القضية نستنتج:
 أنّه لم تصل إلى الامام (ع) وهو في المدينة في غضون أيام إعلانه رفض البيعة ليزيد إلى حين خروجه عنها أيّة رسالة من أهل الكوفة تُنبئ عن علمهم بموت معاوية، وعن دعوتهم الامام (ع) إليهم، ولا من مكة أيضا، ولا من سواهما.

على مشارف مكة المكرمة: ص : ٤٢٦

وتواصل رواية الفتوح متابعه مسار الامام الحسين (ع) بركب الشهادة من المدينة إلى مكة حتّى مشارفها من بعيد حيث تبدو جبالها للناظر، فتقول:
 (وسار حتّى وافى مكة، فلما نظر إلى جبالها من بعيد جعل يتلو هذه الآية:
 (ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربّي أن يهديني سوا السبيل). «١»
 وتقول رواية الاخبار الطوال:
 (ثمّ أطلق عنانه ومضى حتّى وافى مكة، فنزل شعب عليّ (...). «٢»
 وتقول رواية ابن عساكر:
 (فنزّل الحسين دار العباس بن عبدالمطلب (...). «٣»

الجزء الثاني

الجزء الثالث

الجزء الرابع

الجزء الخامس

الجزء السادس

إشارة

سرشناسه : طبسى، نجم الدين، - ١٣٣٤

عنوان و نام پديدآور : الامام الحسين عليه السلام في مكة المكرمة / تاليف نجم الدين الطبسى

مشخصات نشر : قم : سپهر انديشه ، ١٤٢٧ق=١٣٨٥.

مشخصات ظاهري : ص ٤٨٠

فروست : (مع الركب الحسيني من المدينة الى المدينة؛ الجزء الثاني)

شابك : ٩٦٤-٧٩٣٥-٥١-X

وضعت فهرست نویسی : فهرست نویسی قبلي

یادداشت : عربي

یادداشت : فهرست نویسی براساس اطلاعات فیا

یادداشت : کتابنامه: ص. ٤٧٢ - ٤٥٥؛ همچنین به صورت زیر نویس

موضوع : حسين بن علي (ع)، امام سوم، ٦١ - ٤ق. — سرگذشتنامه

موضوع : واقعه كربلا، ق ٦١

موضوع : مكة -- تاريخ -- قرن ١

رده بندی کنگره : ٤١/٤/٤٣٣٣/٤٣٣٣ م. ج. ٢، ١٣٨٥

رده بندی ديويي : ٢٩٧/٩٥٣

شماره کتابشناسی ملی : م ٨٥-١١١٠٥

الجزء الثاني

اشاره

سرشناسه : طبسی، نجم الدين، - ١٣٣٤

عنوان و نام پديدآور : الامام الحسين عليه السلام في مكة المكرمة / تاليف نجم الدين الطبسي

مشخصات نشر : قم : سپهر انديشه ، ١٤٢٧ق=١٣٨٥.

مشخصات ظاهري : ص ٤٨٠

فروست : (مع الركب الحسيني من المدينة الى المدينة؛ الجزء الثاني)

شابك : ٩٦٤-٧٩٣٥-٥١-X

وضعت فهرست نویسی : فهرست نویسی قبلي

یادداشت : عربي

یادداشت : فهرست نویسی براساس اطلاعات فیا

یادداشت : کتابنامه: ص. ٤٧٢ - ٤٥٥؛ همچنین به صورت زیر نویس

موضوع : حسين بن علي (ع)، امام سوم، ٦١ - ٤ق. — سرگذشتنامه

موضوع : واقعه كربلا، ق ٦١

موضوع : مكة -- تاريخ -- قرن ١

رده بندی کنگره : ٤١/٤/٤٣٣٣/٤٣٣٣ م. ج. ٢، ١٣٨٥

رده بندی ديويي : ٢٩٧/٩٥٣

شماره كتابشناسی ملی : ٨٥-١١٠٥

مع الركب الحسيني من المدينة الى المدينة (الجز الثاني)

مقدمة مركز الدراسات الإسلامية التابع لممثلية الولي الفقيه في حرس الثورة الإسلامية ص : ٣

إشارة

الحمد لله الذي جعل الحمد مفتاحاً لذكره و دليلاً على نعمه و آلائه، والصلاة والسلام على أشرف الخلائق محمّد وآله الطيبين الطاهرين.

و بعد: فهذا الكتاب هو الجزء الثاني من سلسلة أجزاء الدراسة التاريخية التفصيلية (مع الركب الحسيني من المدينة الى المدينة)، و يختص هذا الجزء بالمقطع الثاني من مقاطع هذه الدراسة، و هو مقطع «الأيام المكيّة من عمر النهضة الحسينية»، أي الأيام التي أقام الإمام الحسين عليه السلام فيها بمكّة المكرمة بعد إعلانه عن رفضه مبايعه يزيد بعد موت معاوية بن أبي سفيان. و فترة الأيام المكيّة من عمر النهضة الحسينية من أصعب أيام هذه النهضة المباركة على صعيد المتابعة التاريخية، لأنها أقلّ مقاطع هذه النهضة المقدّسة من حيث كميّة الوثائق التاريخية التي تحدّثت عنها، مع أنّ هذه الفترة هي أطول مقاطع النهضة الحسينية إذ بلغت ما يقارب مائة و خمسة و عشرين يوماً، و لا شكّ أنها كانت مليئة بالمهم من وقائع حركة الإمام عليه السلام لأنّ مكّة المكرمة في تلك الأيام كانت محطّ و ملتقى جموع المعتمرين والحجاج.

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٤

ولذا فقد عمد مؤلّف هذا الكتاب- من أجل سدّ ثغرة قلّة و نائق هذه الفترة- إلى دراستها من خلال متابعات ثلاث: الأولى هي متابعة حركة الإمام عليه السلام، و الثانية متابعة حركة السلطة الأموية في مواجهه حركة الإمام عليه السلام، و الثالثة هي متابعة حركة الأمة إزاء قيام الإمام عليه السلام.

فجاءت هذه الدراسة غنيّة و جديدة بمعنى الكلمة من حيث النظم و المحتوي، و الإلتفاتة البكر، و الإستنباط الذكيّ الرائع، و التبويب المغنى عن عناء المتابعات المرهقة.

و مؤلّف هذا البحث هو سماحة الشيخ المحقّق الأستاذ نجم الدين الطبسي، صاحب الخبرة الطويلة في ميدان التحقيق العلمي و التأريخي، إذ هو أحد محقّقي موسوعة: «معجم أحاديث المهدي عليه السلام»، و من مؤلفاته القيّمة: كتاب «موارد السجن في النصوص و الفتاوى»، و كتاب «النفى و التغريب»، و كتاب «الوهابية: دعاوى و ردود».

ولا يسعنا هنا إلّا أن نتقدّم الى شيخنا المحقّق مؤلّف هذا الكتاب بالشكر الجزيل على ما بذله من جهد متواصل و عناء كبير من أجل إنجاز هذا البحث القيم، داعين له بمزيد من الموفقيّة و النجاح في ميدان خدمة الحقّ و الحقيقة و نصره دين الله تعالى.

كما نتقدّم بالشكر الجزيل إلى الأخ الأستاذ المحقّق على الشاوي الذي أزر مؤلّف الكتاب مؤازرة صميمية، و بذل جهداً كبيراً مشكوراً في مراجعته و نقد و تنظيم هذا البحث القيم، داعين له بمزيد من الموفقيّة في ميدان التحقيق و مؤازرة المحقّقين، و في مواصلة عنايته الكبيرة في خدمة الأجزاء الباقية من هذه الدراسة القيّمة.

مركز الدراسات الإسلامية

لممثلية الولي الفقيه في حرس الثورة الإسلامية

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٧

مقدمة المؤلف (الأيام المكيّة من عمر النهضة الحسينية) ص : ٧

إشارة

ارتحل الإمام الحسين عليه السلام عن المدينة المنورة سنة ستين للهجرة إلى مكة المكرمة بعد موت معاوية بن أبي سفيان على أثر إعلانه رفض البيعة ليزيد، وكان عليه السلام قد أقام في مكة المكرمة منذ اليوم الثالث من شعبان الى اليوم الثامن من ذي الحجة من نفس السنة، أي ما لا يقل عن مائة وخمسة وعشرين يوماً، وهي فترة طويلة نسبياً في إطار حساب عمر النهضة الحسينية المباركة، غير أن هذه الفترة برغم طولها تعتبر الفترة المجهولة من عمر هذه النهضة المباركة إذا قورنت مع فترات الأخرى من حيث الوقائع والأحداث التي سجلها التاريخ عنها، ذلك لأن كتب التاريخ مرّت على هذه الفترة المكيّة مرور الكرام، فعدا وقائع أيام ما قبيل خروج الإمام عليه السلام من مكة التي حظيت بنوع من العناية التاريخية التفصيلية، نلاحظ أن التاريخ لم يسجل عن بقية هذه الأيام المكيّة الطويلة إلّا ملاحظات عامّة هي أقرب إلى الغموض منها إلى الوضوح.

هذا مع أنّ دراسة النهضة الحسينية واستيعاب أبعادها وفهم أسرارها منال لا يبلغ منه المحقق أقصى غايته بمعزل عن معرفة مجريات وقائع هذه الأيام المكيّة ودراسة الأجواء والتحرّكات المؤيّدّة والمضادّة التي كانت تعاشها النهضة الحسينية والإمام عليه السلام في مكة.

وتتراحم في ذهن المتأمل في هذه الفترة المكيّة أسئلة كثيرة، قد يكون أولها

معالركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٨

هو السؤال عن علّة ارتحال الإمام عليه السلام من المدينة المنورة إلى مكة المكرمة لا إلى سواها. هل أراد الإمام عليه السلام أن يتخذ من مكة مركزاً لانطلاق الثورة على الحكم الأموي؟! أم كان عليه السلام يريد استثمار أشهر الحج في مكة المكرمة لإيصال صوت هذه النهضة المباركة والتعريف بأهدافها الى كلّ العالم الإسلامي آنذاك؟

وكان يمكن للمتأمل أن يجيب بالإيجاب على محتوى الشقّ الأوّل من السؤال، أو يتبنّى الجمع بين محتوى الشقين الأوّل والثاني معاً لو كان في مكة المكرمة قاعدة شعبية كبيرة لأهل البيت عليهم السلام، ولكن هل كانت هذه القاعدة الشعبية الموالية موجودة فعلاً آنذاك؟!

من المؤسف أنّ مثل هذه القاعدة الشعبية الموالية لم تتوفر للإمام الحسين عليه السلام ولا لأخيه الإمام الحسن عليه السلام من قبله ولا لأبيه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام من قبلهما، بسبب ما تركته معارك الإسلام الأولى كبدرٍ وأحدٍ وغيرهن في قلوب بطون قريش من أحقادٍ على أمير المؤمنين عليّ عليه السلام خاصة وعلى أهل البيت عليهم السلام فأضبت على عداوتهم وأكبت على منابذتهم، ذلك لأنها لا تنسى عليّاً عليه السلام الذي نأوش ذؤبانها وقتل صناديدها، وكيف تنساه «وهو صاحب لواء رسول الله صلى الله عليه وآله والمهاجرين» «١»؟! كيف تنسى قريش عليّاً عليه السلام وقد أورد أولها النار وقلّد آخرها العار على حدّ قول الإمام زين العابدين عليه السلام وابن عباس «٢»؟! كيف تحبّه وقد قتل في بدرٍ وأحدٍ من ساداتهم سبعين رجلاً تشرب أنوفهم الماء قبل شفاهم؟ هكذا قال ابن عمر لأمر المؤمنين عليّ عليه السلام الذي ردّ عليه قائلاً:

معالركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٩

ما تركت بدرٌ لنا مُذيقاً ولا لنا من خلفنا طريقاً «١»

عن عليّ بن الحسن بن فضال، عن أبيه، عن أبي الحسن عليه السلام، قال: سألت عن أمير المؤمنين عليه السلام كيف مال الناس عنه الى غيره، وقد عرفوا فضله وسابقته ومكانه من رسول الله صلى الله عليه وآله فقال عليه السلام:

«إنما مالوا عنه الى غيره وقد عرفوا فضله لأنه قد كان قتل من آباءهم وأجدادهم وإخوانهم وأعمامهم وأخوالهم وأقربائهم المحاذين لله ولرسوله عدداً كثيراً، وكان حقدهم عليه لذلك في قلوبهم فلم يحبوا أن يتولّى عليهم، ولم يكن في قلوبهم على غيره مثل ذلك، لأنه لم يكن له في الجهاد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله مثل ما كان له، فلذلك عدلوا عنه ومالوا إلى سواه». (٢)

وقد مارس ساسة السقيفة ومؤيدوهم عملاً إعلامياً مدروساً ومتواصلًا لتأجيج نائرة قريش على عليّ عليه السلام ولترسيخ حقدتها عليه، فهاهو عمر بن الخطاب مثلاً ينظر الى سعيد بن العاص فيقول له: «مالي أراك كأن في نفسك عليّ شيئاً، أتظنّ أنّي قتلت أباك؟ والله لوددت أنّي كنت قاتله! ولو قتلته لم أعتذر من قتل كافر، ولكنني مررت به في يوم بدر فرأيتته يبحث للقتال كما يبحث الثور بقرنه، وإذا شدقاه قد أزيدا كالوزغ، فلما رأيت ذلك هبته ورغبت عنه! فقال: إلى أين يابن الخطاب؟! وصمد له عليّ فتناوله، فوالله ما رمت مكاني حتى قتله». (٣)

وكان عليّ عليه السلام حاضراً في المجلس فقال:

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ١٠

«اللهم غفراً، ذهب الشرك بما فيه، ومحا الإسلام ما تقدّم، فمالك تهيج الناس عليّ؟!». (١)

وقد لخصت سيده نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام علّة كراهية قريش لعليّ عليه السلام أمام نساء المهاجرين والأنصار اللواتي جنن لعيادتها في مرضها قبل شهادتها حيث قالت عليها السلام:

«وما الذي نعموا من أبي الحسن؟! نعموا منه والله نكير سيفه، وقلّة مبالاته بحتفه، وشدة وطأته، ونكال وقعته، وتنمره في ذات الله». (٢)

وما برح أمير المؤمنين عليّ عليه السلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله يشكو الى الله ما فعلت به قريش من غضب حقه وتصغير عظيم شأنه حتى مضى شهيداً، ومن شكايها بثته الى الله تعالى في هذا قوله عليه السلام:

«مالنا ولقريش؟! وما تنكر منا قريش غير أنّا أهل بيت سيّد الله فوق بنيانهم بنياننا، وأعلى فوق رؤوسهم رؤوسنا، واختارنا الله عليهم، فنقموا على الله أن اختارنا عليهم، وسخطوا مارضى الله، وأحبوا ماكره الله، فلمّا اختارنا الله عليهم شركناهم في حريمنا، وعزّفناهم الكتاب والنبوة، وعلمناهم الفرض والدين، وحفظناهم الصحف والزبر، ودبناهم الدين والإسلام، فوثبوا علينا، وجحدوا فضلنا، ومنعونا حقنا، وألتونا (٣) أسباب أعمالنا وأعلامنا، اللهم فإنّي أستعديك على قريش فخذ لي بحقّي منها، ولا تدع مظلمتي لديها، وطالبهم - يارب - بحقّي، فإنك الحكم العدل، فإن قريشاً

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ١١

صغرت عظيم أمرى...». (١)

ويقول عليه السلام في نفثه أخرى وهو يدعو الله تعالى على قريش:

«فأجز قريشاً عنى بفعالها، فقد قطعت رحمتي، وظاهرت عليّ، وسلبتني سلطان ابن عمي...». (٢)

ويجيب عليه السلام أخاه عقيلاً في كتاب إليه: «فدع عنك قريشاً وتركاضهم في الضلال، وتجوالهم في الشقاق، وجماحهم في التيه، فإنهم قد أجمعوا على حربى كإجماعهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وآله قبلى، فجزت قريشاً عنى الجوازى، فقد قطعوا رحمتي، وسلبوني سلطان ابن عمي...». (٣)

ويلخص عليه السلام موقفه في صبره على الطامة الكبرى في انحراف الأئمة عن وصية رسول الله صلى الله عليه وآله وغضب قياده السقيفة حقه الإلهي في الخلافة:

«ما رأيت منذ بعث الله محمّداً صلى الله عليه وآله وأله رخاءً، والحمد لله، والله لقد خفت الله صغيراً وجاهدت كبيراً، أقاتل المشركين وأعدى المنافقين حتى قبض الله نبيه صلى الله عليه وآله فكانت الطامة الكبرى، فلم أزل حذراً وجللاً أخاف أن يكون ما لا يسعني معه المقام، فلم أر - بحمد الله - إلّا خيراً، والله ما زلت أضرب بسيفي صبيّاً حتى صرت شيخاً، وإنه ليصبرني على ما أنا فيه أن ذلك كله في

اللّه...» (٤)

معالركب الحسيني (ج ٢)، ص: ١٢

مكة المكرمة والتركيبة القبلية فيها ص: ١٢

إنّ تركيبة مكة المكرمة الإجتماعية آنذاك تركيبة قبلية، فهي بيوتات وعشائر وبطون، وتتألف قريش من خمسة وعشرين بطناً، «١» و «ما أن أعلن النبي صلى الله عليه و آله نبوته رسمياً، واختياره لولّي عهده، حتى وقفت قريش وقفه رجل واحد بقيادة البيت الأموي، وأعلنت رفضها المطلق للنبوّة والكتاب وولاية العهد، وصرّحت بأنها ستجنّد كلّ طاقاتها الماديّة والمعنويّة لصدّ أهل مكة خاصّة والعرب عامّة عن إتباع محمد صلى الله عليه و آله والدخول في دينه، وانقسم المجتمع المكي الى قسمين:

الأول: وهو الأكثر عدداً ومدداً ظاهرياً، ويتألف من ثلاثة وعشرين بطناً من بطون قريش ومن والاهم من الموالي والأحابيش.

الثاني: وهو الأقلّ عدداً، ويتألف من رسول الله محمد صلى الله عليه و آله ومن بطنه الهاشمي و بطن بني المطلب بن عبد مناف، ومن والى هذين البطنين من الموالي والأحابيش، مضافاً إليهم الذين اعتنقوا الدين الإسلامي». «٢»

وقد «قررت البطون استعمال كلّ الوسائل لعزل محمد صلى الله عليه و آله عن الهاشميين، فإن هم أصروا على عدم التخلّي عنه فلا بدّ من عزل الهاشميين أنفسهم عن البطون، وفرض محاصرتهم ومقاطعتهم، فإن لم تُجدِ هذه الوسائل تعيّن على البطون أن تختار رجالاً منها يشتركون جميعاً في قتل محمد صلى الله عليه و آله فيضيع دمه بين البطون، ولا يقوى الهاشميون على المطالبة بدمه، وإن لم تنجح محاولة القتل، وجب ملاحقة محمد صلى الله عليه و آله، ومحاربتة حتى يتمّ القضاء التام عليه وعلى دعوته». «٣»

معالركب الحسيني (ج ٢)، ص: ١٣

لكنّ هذه البطون المناوئة للدعوة المحمّدية أحسّت بالخيبة وبقوّة الصدمة وشدّة النكسة وهول ما أصابها من بني هاشم عامّة ومن عليّ بن أبي طالب عليهما السلام خاصّة بعد تعاظم أمر رسول الله صلى الله عليه و آله واشتداد شوكتة، خصوصاً بعد معركة بدر الكبرى التي عبّأت فيها قريش كلّ قواها، إذ «مابقى أحد من عظماء قريش إلّا أخرج مألّاً لتجهيز الجيش، وقالوا: من لم يخرج نهدم داره»، «١» ويرى أبو سفيان أنّ لوازم المواجهة مع رسول الله صلى الله عليه و آله تقتضي العداة الى آخر الدهر، هاهو يخاطب الرجل الجهنّي وهو يستقصيه أخبار جيش النبي صلى الله عليه و آله قبيل وقعة بدر الكبرى قائلاً:

«واللات والعزّى لئن كنتمنا أمر محمّد لا تزال قريش لك معادية آخر الدهر، فإنّه ليس أحد من قريش إلّا وله شيء في هذا العير». «٢» لقد ترسّخ حقد قريش على بني هاشم عامّة وعلى أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليهما السلام خاصّة منذ انجلت بدر الكبرى عن انكسار قريش واندحارها، وإنها لتعلم أنّ عليّاً عليه السلام هو السبب الرئيس في انهزامها وخسارتها المفجعة، فهو الذي قتل الوليد ثم شرك في قتل عتبة وشيبة، ولقد تفرّد عليه السلام بقتل خمسة وثلاثين رجلاً ببدر - علي ما أثبتته رواة العامة والخاصة معاً - سوى من اختلفوا فيه، ومن شرك أمير المؤمنين عليه السلام غيره في قتله. «٣»

وهو عليه السلام صاحب الموقف الفذّ الفريد في الشجاعة والثبات يوم أحد، وكشاهد على هذا الموقف العجّاب نقل من ميدان موقعه أحد هذه اللقطة: «قد كانت راية قريش مع طلحة بن أبي طلحة العبدري من بني عبد الدار، فبرز ونادى:

معالركب الحسيني (ج ٢)، ص: ١٤

يامحمّد، تزعمون أنكم تجهّزونا بأسيافكم الى النار ونجهّزكم بأسيافنا الى الجنّة، فمن شاء أن يلحق بجنّته فليبرز إلّي. فبرز إليه أمير المؤمنين عليه السلام وهو يقول:

ياطلح إن كنتم كما تقول لكم خيول ولنا نصول

فأثبت لننظر أينما المقتول وأينما أولى بما تقول
فقد أتاك الأسد الصؤول بصارم ليس به فلول
ينصره القاهر والرسول

فقال طلحة: من أنت يا غلام؟

قال: أنا علي بن أبي طالب.

قال: قد علمت يا قضم «١» أنه لا يجسر علي أحد غيرك!

فشد عليه طلحة فضربه، فاتقاه أمير المؤمنين عليه السلام بالحجفة، ثم ضربه أمير المؤمنين عليه السلام على فخذه فقطعها جميعاً فسقط على ظهره، وسقطت الراية، فذهب علي عليه السلام ليجهز عليه فحلفه بالرحم فانصرف عنه، فقال المسلمون: ألا

مع الركب الحسينى (ج ٢)، ص: ١٥

أجهزت عليه؟ قال: قد ضربته ضربة لا يعيش منها أبداً.

ثم أخذ الراية أبو سعيد بن أبي طلحة، فقتله علي عليه السلام، وسقطت رايته الى الأرض. فأخذها عثمان بن أبي طلحة فقتله علي، وسقطت الراية الى الأرض.

فأخذها مسافع بن أبي طلحة، فقتله علي عليه السلام، وسقطت الراية الى الأرض.

فأخذها الحارث بن أبي طلحة فقتله علي عليه السلام، وسقطت الراية الى الأرض.

فأخذها عزير بن عثمان فقتله علي عليه السلام، وسقطت الراية الى الأرض. فأخذها عبدالله بن جميل بن زهير فقتله علي عليه السلام وسقطت الراية الى الأرض. فقتل أمير المؤمنين التاسع من بنى عبدالدار وهو أرتأة بن شرحبيل مبارزة، وسقطت الراية إلى الأرض.

فأخذها مولاهم صواب فضربه أمير المؤمنين عليه السلام على يمينه فقطعها، وسقطت الراية الى الأرض، فأخذها بشماله، فضربه أمير المؤمنين عليه السلام على شماله فقطعها، فسقطت الراية إلى الأرض، فاحتضنها بيديه المقطوعتين ثم قال: يا بنى عبدالدار، هل

أعدرت فيما بيني وبينكم؟ فضربه أمير المؤمنين عليه السلام على رأسه فقتله، وسقطت الراية الى الأرض... «١»

فبنو عبدالدار يعادون بنى هاشم عامةً وعلياً وآل علي عليهم السلام خاصةً ويبغضونهم الى يوم الدين، حتى وإن عرفوا أنّ علياً «أحد الأربعة الذين أمر الله نبيه أن يحبهم»، «٢» أو سمعوا أنه يقول فيه: «لا يحبته إلا مؤمن ولا يبغضه إلا منافق»، «٣»

أو أنه «أحب الخلق إلى الله»، «٤»

أو أنه «ولئى النبى صلى الله عليه وآله فى الدنيا والآخرة». «٥»

مع الركب الحسينى (ج ٢)، ص: ١٦

ولبطون قريش الأخرى نصيبها من القتلى الذين مضوا الى جهنم بسيف أمير المؤمنين عليه السلام فى بدر وأحد ومعارك الإسلام الأخرى، هذا فضلاً عن قتل منهم فى حربى الجمل وصفين، وأولاء عدا من حده علي عليه السلام لفسقه، أو فر من طائفة عدل علي عليه السلام وقصاصه.

لذا فقد كان أهل مكة وكثير من أهل الحجاز لا يميلون الى بنى هاشم عامةً والى علي وآل علي عليهم السلام خاصةً، ومالوا الى قيادة السقيفة ثم إلى بنى أمية بعدهم، يقول الإمام على بن الحسين عليهما السلام كاشفاً عن تلك الحقيقة:

«ما بمكة والمدينة عشرون رجلاً يحبنا ..». «١»

ويقول أبو جعفر الإسكافى فى هذا الصدد: «أما أهل مكة فكلهم كانوا يبغضون علياً قاطبةً، وكانت قريش كلها على خلافه، وكان جمهور الخلق مع بنى أمية عليه». «٢»

لقد كان لحرارة النفاق بجميع فصائلها دور مدروس ومخطط وذو أثر بالغ فى تأجيج ضغائن الجاهلية ضد أهل البيت عليهم السلام

عامه وضد أمير المؤمنين علي عليه السلام خاصة، ولما تسلّم الحزب الأموي قيادة حركة النفاق بزعامه معاوية بن أبي سفيان الذي ما برح يبكي على قتلى مشرقي قريش في بدر حتى لحظات احتضاره، «٣» كان الهم الأكبر للأمويين هو فصل الأمة عن أمير المؤمنين علي عليه السلام حتى علي الصعيد الوجداني، فأمر معاوية بسببه ولعنه والبراءة منه، واضطهد محبيه معيشياً وسياسياً مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ١٧
اضطهاداً رهيباً. «١»

من كلّ ما مضى تتأكد لنا حقيقة أنّ أهل البيت عليهم السلام لم تكن لهم قاعدة شعبية في مكة المكرمة خاصة، قاعدة شعبية واسعة تتولاهاهم وتدعم مواقفهم وتنصرهم، أو تحبهم على الأقل، والأمر كما وصفه الإمام السّجاد عليه السلام:
«ما بمكة والمدينة عشرون رجلاً يحبنا»!!

ومن هنا أيضاً تتأكد لنا حقيقة أنّ الإمام الحسين عليه السلام لم يقصد من توجهه الى مكة المكرمة أهل هذه المدينة بالأساس، بل كان قصده الرئيسي في التوجه إليها هو إبلاغ وفود العالم الإسلامي من المعتمرين والحجاج بقيامه ونهضته للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، طلباً للنصرة وإتماماً للحجة على الناس.

ومن هنا نرجح أنّ ما ورد في بعض الروايات من أنّ أهل «٢» مكة فرحوا بالإمام عليه السلام فرحاً شديداً، أو عكف الناس بمكة يفتدون إليه، ويجلسون حواله، ويستمعون كلامه، ويتفتعون بما يسمعون منه، ويضبطون ما يروون عنه ... ليس المراد بذلك جلّ أهل مكة بالذات بل المراد بذلك هم جموع الوافدين على مكة من معتمرين وحجاج ونزر قليل جداً من المكيين الذين استوطنوا مكة بعد فتحها وبعد انتشار الإسلام ومما يؤكد ماذهبنا إليه أن التاريخ لم يحدثنا أنّ أحداً من المكيين قد التحق بالإمام عليه السلام وسار معه الى العراق.

والأيام التي قضاها الإمام أبو عبدالله الحسين عليه السلام في مكة المكرمة تشكل

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ١٨

المقطع الأطول من عمر النهضة الحسينية المقدسة، ولاشك أنّ ما يقارب المائة وخمسة وعشرين يوماً مساحةً زمنية حفلت ثناياها بكثير من الإتصالات واللقاءات والمحاورات والمراسلات وأنشطة أخرى متعدّدة غيرها كان الإمام أبو عبدالله الحسين عليه السلام قد قام بها، ولو كان التاريخ قد سجّل لنا جميع تلك الوقائع وتفاصيلها، لكان أغنى المؤرخين والمتبعين المحققين بمادة تاريخية مهمة، ولأعانهم عوناً كبيراً على كشف كثير من الغموض المحيط ببعض الأحداث والواقف الواقعة في إطار تأريخ هذه النهضة المباركة. لكنّ المؤسف فعلاً - كما قلنا في بداية هذه المقدمة - أنّ التاريخ لم يسجل لنا عن هذه الأيام المكيّة إلّا ملاحظات عامّة غصّت الطرف وأغمضته عن كثير من التفاصيل التاريخية اللازمة في الإجابة على كثير من التساؤلات التي تنقدح في ذهن المتأمل حول تلك الفترة وما جرى فيها وبعدها.

ويمكن للمتبع أن يحدّد المحاور العامة التي سجلها التاريخ لهذه الفترة المكيّة بما يأتي:

١- إنشاد الناس في مكة الى الإمام عليه السلام واحتفاؤهم به، وتضايق عبدالله بن الزبير والسلطة الأموية المحليّة في مكة لذلك.
٢- محاولات بعض وجهاء الأمية لثني الإمام عليه السلام عن التوجه الى العراق في إطار لقاءات ومحاورات النصيح والمشورة وبعض المكاتبات في هذا الصدد.

٣- رسائل أهل الكوفة الى الإمام عليه السلام، ورسائل الإمام عليه السلام إليهم والى أهل البصرة.

٤- إرسال الإمام عليه السلام مسلم بن عقيل عليه السلام إلى أهل الكوفة.

٥- خطب الإمام عليه السلام قبيل مغادرة مكة، والمحاولات الأخيرة لثنيه عن التوجه

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ١٩

الى العراق.

ومجموع الروايات التاريخية الواردة في إطار هذه المحاور تعتبر نزرًا قليلًا جدًا إذا قيست إلى ما يمكن أن تتضمنه فترة لا تقل عن مائة وخمسة وعشرين يوماً من وقائع وأحداث، خصوصاً في مدينة مكّة المكرمة وفي أيام كانت هذه المدينة قد غصت بجموع غفيرة من معتمرين وحبّاج وفدوا إليها من شتى أنحاء العالم الإسلامي، وفيهم شخصيات مهمة كثيرة يستبعد المتأمل ألا تكون لها لقاءات كثيرة وطويلة مع الإمام الحسين عليه السلام الذي هو آنذاك الرمز الدينى والروحى لهذه الأمة.

ومن أجل جبران هذا النقص في المادّة التاريخية لفترة الأيام المكيّة من عمر النهضة الإسلاميّة رأينا أن نتابع وقائع وأحداث هذه الفترة من خلال الزوايا الثلاث التالية:

١- حركة الإمام الحسين عليه السلام في هذه الفترة.

٢- حركة السلطنة الأموية في مواجهة الإمام عليه السلام.

٣- حركة الأمة إزاء قيام الإمام عليه السلام.

وقد حاولنا- فضلاً عن الروايات المبذولة في إطار هذه الزوايا الثلاث- أن نلتقط كلّ الشوارد والإشارات التاريخية المتفرقة في كتب التاريخ والتراجم وغيرها ونجمعها في متجهاها كيما نزيح بأضواء جديدة بعض الغموض الجاثم على مساحة كبيرة من تلك الفترة، لنكون بذلك قد قدّمنا جديداً في إطار هذه الدراسة التاريخية التحليلية النقدية.

تُرى هل وُفقنا الى ذلك؟

التقييم في ذلك متروك الى القارئ الكريم.

مع الרכب الحسينى (ج ٢)، ص: ٢٠

وفي الختام: ص : ٢٠

أود أن أتقدم بالشكر والتقدير الفائق إلى صاحب الفضيلة الأستاذ المحقق على الشاوى المحترم حيث أتحننا بملاحظات قيمة، مع بذل غاية جهده في تنظيم وترصين هذا الجهد المتواضع: كتاب «الإمام الحسين عليه السلام في مكّة المكرمة» فله الفضل علىّ والأيدى.

واستميح سيدى الوالد المرحوم آية الله الطبسى عذراً إذ لم أوفق حتى الآن لتنفيذ ما أوصى به إلينا من تحقيق وطبع ونشر مؤلفه القيم- المخطوط- مقتل الإمام الحسين عليه السلام، وعسى أن يكون هذا الجهد المتواضع بداية خير لإنجاز ما طلبه منّا فى قريب عاجل إن شاء الله تعالى.

نجم الدين الطبسى

قم المقدسة

١٩/ محرم الحرام / ١٤٢١ هـ. ق

مع الרכب الحسينى (ج ٢)، ص: ٢٣

الفصل الأول ص : ٢٣

إشارة

حركة الإمام أبى عبدالله الحسين عليه السلام فى مكّة

الفصل الأول: حركة الإمام أبي عبدالله الحسين عليه السلام في مكة ص : ٢٣

ورود الإمام الحسين عليه السلام مكة المكرمة ص : ٢٣

إشارة

سار الإمام عليه السلام بالركب الحسيني من المدينة المنورة حتى وافى مكة المكرمة، فلما نظر إلى جبالها من بعيد جعل يتلو هذه الآية الكريمة: «ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربّي أن يهديني سواء السبيل»، «١» وذلك ما قاله رسول الله موسى بن عمران عليه السلام حينما خرج من مصر إلى مدين.

وقيل: إنه لما قدم مكة قال: «اللهم خذ لي واهدني سواء السبيل». «٢»

وقد دخل عليه السلام مكة ليلة الجمعة لثلاث مضيّن من شعبان. «٣» أو دخلها عليه السلام يوم الجمعة، «٤» ومكث فيها أربعة أشهر وخمسة أيام.

الإستقبال الحافل والحفاوة البالغة ص : ٢٣

قال ابن كثير: «وعكف الناس بمكة يفدون إليه، ويجلسون حواليه،

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٢٤

ويستمعون كلامه، وينتفعون بما يسمعون منه، ويضبطون ما يروون عنه». «١»

وقال الشيخ المفيد قدس سره: «فأقبل أهلها يختلفون إليه، ومن كان بها من المعتمرين وأهل الآفاق...». «٢»

وقال ابن الصباغ: «فأقبل الحسين حتى دخل مكة المشرفة ونزل بها، وأهلها يختلفون إليه ويأتونه، وكذلك من بها من المجاورين والحجاج والمعتمرين من سائر أهل الآفاق». «٣»

وذكر بعض المؤرخين أنّ أهل مكة فرحوا به عليه السلام فرحاً شديداً، وجعلوا يختلفون إليه بكره وعشياً. «٤»

ويبدو أنّ بعض المتبعين المعاصرين - كباقر شريف القرشي - قد استفاد من مجموع مثل هذه النصوص أنّ المكّيين أنفسهم هم الذين احتفوا بالإمام عليه السلام وكانوا يختلفون إليه بكره وعشياً، فأطلق القول هكذا: «وقد استقبل الإمام عليه السلام استقبالاً حافلاً من المكّيين، وجعلوا يختلفون إليه بكره وعشياً، وهم يسألونه عن أحكام دينهم وأحاديث نبيهم». «٥»

لكننا نرجّح - كما قدّمنا في مقدمة الكتاب - أنّ الذين احتفوا بالإمام الحسين عليه السلام وكانوا يفدون إليه، ويجلسون حواليه، ويستمعون كلامه، وينتفعون بما يسمعون منه، ويضبطون ما يروون عنه، هم أهل الأقطار الأخرى من

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٢٥

المعتمرين والحجاج المتواجدين آنذاك في مكة، وفيهم من المكّيين القليل ممن ليسوا من بطون قريش، ممن سكن مكة بعد الفتح وبعد انتشار الإسلام في الأرض، ذلك لأنّ قريشاً توارثت العداة لعليّ وآل عليّ عليهم السلام، والظاهر أنّ جلّ المكّيين آنذاك هم من قريش، ولا ننسى قول الإمام السجاد عليه السلام:

«ما بمكة والمدينة عشرون رجلاً يحبنا...». «١»

منزل الإمام الحسين عليه السلام بمكة ص : ٢٥

صرّح الذهبي بأنّ الإمام الحسين عليه السلام «نزل بمكة دار العباس»، «٢» وكذلك قال المزي، «٣» ومن قبلهما ابن عساكر، «٤» غير أنّ

بعضاً آخر من المؤرخين ذكروا أنه عليه السلام «نزل في شتعب عليّ عليه السلام»، «٥» ولانفاة بين القولين و لأنّ دار العباس بن عبدالمطلب كانت في شعب عليّ عليه السلام.

لكن السؤال الذي قد يفرض نفسه هنا هو:

لماذا اختار الإمام الحسين عليه السلام دار العباس بن عبدالمطلب؟

هل هناك غرض سياسي أو اجتماعي أو تبليغي من وراء ذلك؟ أم أنه عليه السلام لم يُرد أن يكون لأحدٍ عليه منةً بذلك؟ أو أنه عليه السلام خشى أن ينزل على أحدٍ فيكلف المنزول به ثمناً باهضاً وحرماً شديداً، لأنّ السلطة الأموية بعد ذلك سوف تضطهد صاحب المنزل بأشدّ عقوباتها؟ أو أنه عليه السلام لم يُرد أن يمنح رجلاً من أهل

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٢٦

مكةً بنزوله عنده اعتباراً اجتماعياً ومنزلةً في قلوب الناس لا يستحقّها أو يستثمرها بعد ذلك لمنافعه الخاصة؟

أم أنّ الإمام عليه السلام لم ينزل من دور بني هاشم في مكة إلا دار العباس بن عبدالمطلب لأنّ بني هاشم لم تبق لهم دار في مكة إلا دار العباس، ذلك لأنّ عقيل ابن أبي طالب كان قد باع دور المهاجرين من بني هاشم خشيةً أن تستولى عليها قريش وتصادرها، لأنّ قريشاً عمدت حينذاك الى مصادرة منازل المهاجرين من المسلمين الى المدينة انتقاماً وإرهاباً، ولم يكن العباس بن عبدالمطلب قد هاجر آنذاك على فرض إسلامه حين هجرة النبي صلى الله عليه وآله - فسلمت داره من المصادرة.

يقول الواقدي: «قيل للنبي: ألا تنزل منزلك من الشعب؟ قال: فهل ترك لنا عقيل منزلاً؟ وكان عقيل قد باع «١» منزل رسول الله صلى الله عليه وآله ومنزل إخوته من الرجال والنساء بمكة». «٢»

ويعلل السيد علي خان الشيرازي هذه المصادرة قائلاً: «كان عقيل قد باع دور بني هاشم المسلمين بمكة، وكانت قريش تعطي من لم يُسلم مال من أسلم، فباع دور قومه حتى دار رسول الله صلى الله عليه وآله، فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وآله مكة يوم الفتح قيل:

ألا تنزل دارك يا رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فقال: وهل ترك لنا عقيل من دار؟». «٣»

أمّا الشيخ الطوسي فيعلّل هذه المصادرة بسبب الهجرة لا بسبب الإسلام فقط حيث يقول: «.. قول النبي صلى الله عليه وآله يوم فتح مكة وقد قيل له: ألا تنزل دارك؟ فقال:

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٢٧

وهل ترك لنا عقيل من ربيع؟ لأنه كان قد باع دور بني هاشم لما خرجوا الى المدينة ..». «١»

وفى الإجابة عن السؤال المشار حول سبب اختيار الإمام عليه السلام دار العباس بن عبدالمطلب نقول: مما لا شك فيه أنّ سبب هذا الإختيار لا ينحصر في كون دار العباس هي الدار السانحة آنذاك، وذلك لأنّ الإمام عليه السلام كان مقتدرًا ذا سعة، وكان بإمكانه بل من اليسير عليه أن يهب داراً أو أكثر من دار في مكة له ولغيره من أفراد الركب الحسيني، ونرى ألا منافاة بين جميع الدواعي المعقولة لهذا الإختيار، سواء التي ذكرناها في معرض التساؤل أو التي لم نذكرها، فمن الممكن أن يجتمع السبب السياسي مع السبب الاجتماعي مع السبب التبليغي مع الأسباب الأخرى وتتعاقد جميعها في متجه واحد لتشكّل العلة التامة لهذا الإختيار.

رسائل الإمام عليه السلام إلى الولايات الأخرى ص : ٢٧

رسائله عليه السلام إلى البصرة ص : ٢٧

كانت الشيعة بعد استشهاد الإمام الحسن المجتبي عليه السلام على صلة بالإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام رغم الإضطهاد

والإرهاب والمراقبة الشديدة من قبل الحكم الأموي على محبي أهل البيت عليهم السلام، فكانت الشيعة في أنحاء البلاد الإسلامية تبعث الى الإمام الحسين عليه السلام المكاتيب وتساله عما يهّمها من أمور دينهم، وكان للبصرة نصيبها من الصلة بالإمام عليه السلام، وقد أثبت التاريخ بعض رسائل شيعتها إليه، كالرسالة التي بعثوا بها إلى الإمام عليه السلام يسألونه فيها عن معنى الصمد، وبعث إليهم مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٢٨

بجوابها ... (١)

لكنّ الملفت للإنتباه في الرسالة التي بعث بها الإمام عليه السلام إلى اشراف البصرة ورؤساء الأخماس (٢) فيها هو أنّ الإمام عليه السلام كان البادية بالمكاتب، وقد دعا فيها أولئك الأشراف والرؤساء ومن يتبعهم من أهل البصرة إلى نصرته، في وقت لم يكن أحد من أولئك قد بعث من قبل إلى الإمام عليه السلام بكتاب يدعو فيه إلى القيام والنهضة ضد الحكم الأموي، كما فعل اشراف الكوفة ووجهائها وكثير من أهلها الذين كانت رسائلهم تنهال على مكّة حتى بلغت في يوم واحد ستمائة رسالة!

فما هي علّة مبادرة الإمام عليه السلام الى الكتابة إلى اشراف البصرة ورؤسائها؟ لايشك مطلع على التاريخ الإسلامي بالأهمية الخاصة التي كانت تتمتع بها كل من ولايتي الكوفة والبصرة وأثرهما البالغ على حركة أحداث العالم الإسلامي آنذاك، خصوصاً وأن هاتين الولايتين المهمتين لم تنغلقا لصالح الحكم الأموي كما انغلق الشام تماماً لصالحه آنذاك، فمحبو أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم في كل من هاتين الولايتين برغم الإرهاب والقمع الأموي كانت لهم اجتماعاتهم ومنتدياتهم السريّة، وتطلّعاتهم الى يوم الخلاص من كابوس الحكم الأموي.

نعم، هناك فارق واضح بين الكوفة والبصرة من حيث تاريخ كل منهما في نصرته أمير المؤمنين عليه السلام، ومن حيث عدد الشيعة في كل منهما، ومن حيث درجة

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٢٩

تحفّزهم للتحرك ضد الحكم الأموي.

ويُضاف الى ذلك أنّ البصرة آنذاك كانت تحت سيطرة وال قوي وإرهابي مستبد هو عبيدالله بن زياد الذي كان قد هيمن على إدارة أمورها، وأحكم الرقابة الشديدة على أهلها، في وقت كانت الكوفة قد تراخت أزمنة أمورها بيد وال ضعيف يميل الى العافية والسلامة هو النعمان بن بشير، فكان الشيعة في الكوفة أقدر على الحركة والفعل من الشيعة في البصرة عموماً، مما قد يفسّر سبب مبادرة أهل الكوفة وبهذا الكم الكثير إلى المبادرة في الكتابة إلى الإمام عليه السلام ودعوته إليهم، في وقت لم تصل إلى الإمام عليه السلام رسالة من أهل البصرة يدعونه فيها إليهم أو يظهرون فيها استعدادهم لنصرته. (١)

فبادر الإمام عليه السلام إلى الكتابة إلى أهل البصرة عن طريق اشرافها ورؤساء الأخماس فيها، لأنّ أهلها - عدا خلص الشيعة منهم - لا يتجاوزون اشرافهم في اتخاذ موقف وقرار، فكان لابدّ من مخاطبتهم عن طريق اشرافهم ورؤساء الأخماس، وإن كان بعض هؤلاء ممن يميل إلى بني أمية، وبعضهم ممن لا يؤتمن، وبعضهم ممن لا تتسق مواقفه باتجاه واحد ..

ولعلّ الإمام عليه السلام أراد إلقاء الحجّة على الجميع، (٢) مع ما قد تثمره رسالته من صدّ

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٣٠

المتردّد من الأشراف ورؤساء الأخماس عن الانضمام إلى أيّ فعل مضاد لحركة الإمام عليه السلام، وما تثمره هذه الرسالة أيضاً من إعلام البصريين الراغبين في نصرته بأمر نهضته وتعبئتهم لذلك من خلال اشرافهم المواليين لأهل البيت عليهم السلام كمثل يزيد بن مسعود النهشلي وأمثاله.

قال الطبري: «قال أبو مخنف: حدّثني الصقعب بن زهير، عن أبي عثمان النهدي، قال: كتب الحسين مع مولّي لهم يُقال له سليمان، وكتب بنسخة إلى رؤوس الأحماس بالبصرة وإلى الأشراف، فكتب إلى مالك بن مسمع البكري، وإلى الأحنف بن قيس، وإلى المنذر بن الجارود، وإلى مسعود بن عمرو، وإلى قيس بن الهيثم، وإلى عمرو بن عبيد الله بن معمر. فجاءت منه نسخة واحدة إلى جميع أشرافها:

أمّا بعد، فإنّ الله اصطفى محمّداً على خلقه وأكرمه بنبوته، واختاره لرسالته، ثم قبضه الله إليه، وقد نصح لعباده وبلغ ما أرسل به، وكنا أهله وأولياؤه وأوصياؤه وورثته وأحقّ الناس بمقامه في الناس، فاستأثر علينا قومنا بذلك، فرضينا وكرهنا الفرقة، وأحببنا العافية، ونحن نعلم أنّا أحقّ بذلك الحقّ المستحقّ علينا ممن تولاه، وقد أحسنوا وأصلحوا وتحزّوا الحقّ، فرحمهم الله وغفر لنا ولهم. «١»

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٣١

وقد بعثتُ رسولي إليكم بهذا الكتاب، وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنّته، فإنّ السنّة قد أميتت، وإنّ البدعة قد أحييت، وإن تسمعوا قولي وتطيعوا أمرى أهدكم سبيل الرشاد، والسلام عليكم ورحمة الله. «١»

وقد نقل ابن نما الكتاب باختصار واختلاف قائلاً:

«كتب عليه السلام كتاباً إلى وجوه أهل البصرة، منهم الأحنف بن قيس، وقيس بن الهيثم، والمنذر بن الجارود، ويزيد بن مسعود النهشلي.

وبعث الكتاب مع زراع السدوسي، وقيل مع سليمان المكنّي بأبي رزين، فيه: «أدعوكم إلى الله وإلى نبيّه، فإنّ السنّة قد أميتت، فإن تجيبوا دعوتي وتطيعوا أمرى أهدكم سبيل الرشاد». «٢»

نماذج من أشراف البصرة الذين كتب إليهم الإمام عليه السلام ص : ٣١

إشارة

من هم أولئك البصريون الذين كتب إليهم الإمام عليه السلام رسالته؟ هل كانوا جميعاً من محبّي أهل البيت عليهم السلام أو شيعة لهم؟ أم كانوا جميعاً على هوى واحد لبني أمية؟ أم كانوا مختلفين في الميل والهوى؟ يحسن منا هنا أن نلقى ضوءاً - وإن كان يسيراً - يكشف لنا عن هوية نماذج من هذه الشخصيات ومتجهات ميولها، لعلنا بذلك نتعرّف على حقيقة الوضع النفسي والاجتماعي لولاية البصرة آنذاك، كما يساعدنا ذلك على معرفة سبب كون رسالته مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٣٢

الإمام عليه السلام بذلك النصّ بالتحديد، لأنّ نوع المخاطب مؤثّر في نوع الخطاب، فمن هذه الشخصيات المؤثرة في حياة المجتمع البصري آنذاك:

١١- مالك بن مسمع: ص : ٣١

كان رأيه مائلاً إلى بني أمية، وكان مروان بن الحكم قد لجأ إليه يوم الجمل، وكان مالك بن مسمع يأمر الناس بعد واقعة الطف وقتل الإمام الحسين عليه السلام بتجديد البيعة ليزيد بن معاوية. «١»

٢- الأحنف بن قيس: ص : ٣١

قيل إنّه ولد في عهد النبي صلى الله عليه وآله ولم يدركه، ومات عام ٦٧ هـ، وقد روى فضائل عليّ عليه السلام عن أبي ذر، وعندما قرأ ابن عباس كتاب عليّ عليه السلام على أهل البصرة كان الأحنف أوّل رجل أجابه وقال: نعم، والله لنجيئك ... وهو الذي اقترح على

أمير المؤمنين عليه السلام أن يجعله حكماً، وقد وجّهه عليّ عليه السلام إلى الخوارج. وهو الذي بعث إلى عليّ قائلاً: إن شئت أتيتك في مائتي فارس فكنت معك، وإن شئت اعتزلت بني سعد فكففت عنك سته آلاف سيف. فاختار عليّ عليه السلام اعتزاله. (٢)

وعلى ضوء هذه المواقف يراه الرجالي المعروف المامقاني حسناً. (٣)

ويقول رجالي آخر وهو النمازي: «يظهر منه كماله وحكمته ورضايه أمير المؤمنين عليه السلام به، وأنه من السفراء الفصحاء». (٤) ولكن أليس الأحنف بن قيس هو القائل بعد أن دعاه الإمام أبو عبد الله الحسين مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٣٣

إلى نصرته ولم يجبه: «قد جربنا آل أبي الحسن فلم نجد عندهم إيالة للملك ولا جمعاً للمال ولا مكيدة للحرب». (١)

أليس الأحنف بن قيس هو الذي ساعد مصعب بن الزبير على قتل المختار، (٢) وكان عليّ خمس تميم في قتل المختار. (٣) أليس هو القائل في صفين - وهو مع عليّ عليه السلام - «هلك العرب». (٤)

وفي هذا مؤشّر على ضعف اعتقاد الأحنف بأمر المؤمنين عليه السلام وبالحسين عليهما السلام، إذ لو كان له اعتقاد راسخ بهم عليهم السلام لكان مسلماً لمن سالمهم وحرماً لمن حاربهم، ولما همّ بعد ذلك، هلكت العرب في حقّ أو بقيت.

ولذا لم يرتض رجالي آخر وهو التستري (٥) تحسین المامقاني له، كما سكت الخوئي (٦) في المعجم عن تأييده أو تضعيفه.

ومن المواقف الدالة على عدم رسوخ اعتقاده بأمر المؤمنين عليه السلام بل الدالة على تردده وضعف يقينه ووهن موقفه في وجوب نصرته أهل الحقّ وخذلان أهل الباطل أنه حينما قرأت رسالة معاوية على أهل البصرة لتحريضهم على أمير المؤمنين عليه السلام تحت شعار الأخذ بثار عثمان أن الأحنف قال: «أما أنا فلا ناقة»

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٣٤

لي في هذا ولا جمل، واعتزل أمرهم. (١)

٣- مسعود بن عمرو بن عدى الأزدي: ص : ٣٤

وهو أحد قادة الأزدي في معركة الجمل في جيش عائشة وطلحة والزبير، (٢) وهو الذي أجاز ابن مرجانة لما نابذه الناس ومنعه منهم، (٣) ومكث ابن مرجانة تسعين يوماً بعد موت يزيد ثم خرج إلى الشام، وبعث معه مسعود بن عمرو مائة من الأزدي عليهم قرّة بن قيس حتى قدموا به إلى الشام، وكان ابن زياد قد استخلف مسعود بن عمرو على البصرة حينما تركها متوجهاً إلى الشام. (٤)

٤- قيس بن الهيثم السلمي: ص : ٣٤

لما استنصر عثمان بأهل البصرة قام قيس فخطب وحرض الناس على نصر عثمان، فسارع الناس إلى ذلك، وأتاهم قتل عثمان فرجعوا، (٥) وكان قيس هذا والياً لعثمان على خراسان، (٦) وقد ولي شرطة البصرة على عهد معاوية لعبد الله بن عامر، ثم بعثه والياً على خراسان سنتين حيث عزله عنها بعد ذلك وعاقبه وسجنه، (٧) وكان من أخواله فتشفت فيه أمه فأخرجه (٨) ... ثم عطف على قيس فاستخلفه على البصرة ... ثم ولي معاوية على البصرة زياد بن سمية سنة ٤٥ هـ، فبعث قيس بن الهيثم على مروذ والفرارياب والطالقان، ثم

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٣٥

انزل قيس بعزل يزيد لعبد الرحمن بن زياد، فلما هلك يزيد كان قيس بالبصرة.

وكان قيس هذا على المقاتلة لابن الزبير في مقاتلة مثنى بن مخربة الداعي إلى المختار سنة ٦٦ هـ، وكان على خمس أهل العالیه مع

مصعب بن الزبير لمقاتلة المختار سنة ۶۷ هـ، وكان قيس سنة ۷۱ هـ يستأجر الرجال ليقاتلوا معه خالد بن عبد الله داعية عبد الملك بن مروان معيناً وناصرًا لابن الزبير، وكان يحذر أهل العراق من الغدر بمصعب. «۱»

۵- المنذر بن الجارود العبدى: ص : ۳۵

ولاه الإمام علي عليه السلام بعض أعماله فخان فيه، فكتب عليه السلام إليه:

«أما بعد، فإن صلاح أبيك غزنى منك، وظننت أنك تتبع هديه وتسلك سبيله، فإذا أنت فيما رقى إلي عنك لا تدع لهواك انقياداً، ولا تبقى لآخرتك عتاداً، أتعمر دنياك بخراب آخرتك؟! وتصل عشيرتك بقطيعة دينك؟! ولئن كان ما بلغني عنك حقاً لجمل أهلك وشسع نعلك خير منك، من كان بصفتك فليس بأهل أن يسد به ثغر أو ينفذ به أمر أو يعلى له قدر أو يُشرك في أمانة أو يؤمن على جباية، فأقبل إلي حين يصل إليك كتابي هذا إن شاء الله». «۲»

وقال عليه السلام في المنذر بن الجارود هذا أيضاً:

«إنه لنظراً في عطفه، مختالاً في بُرديه، تَفال في شراكه». «۳»

أى أنه ذو زهو، معجب بنفسه ومظهره، متكبر، همّه في نظافة ظاهره لا في

معالركب الحسينى (ج ۲)، ص: ۳۶

طهارة الباطن وتزكية النفس وتهذيب المحتوى والعروج إلى آفاق المعنويات السامية.

و «كان علي عليه السلام ولّاه فارساً فاحتاز مالاً من الخراج .. وكان المال أربعمائة ألف درهم، فحبسه علي عليه السلام، فشجع فيه صعصعة وقام بأمره وخلّصه». «۱»

ولقد شفع المنذر بن الجارود خيانتته في الأموال بخيانتته في النفوس حيث قدّم نسخة رسالة الإمام الحسين عليه السلام إليه مع رسول الإمام عليه السلام سليمان بن رزين إلى عبيد الله بن زياد تقرّباً إليه وطمعاً في الزلفة منه، وكانت نتيجة هذه الخيانة أن قتل رسول الإمام عليه السلام صبراً.

ولقد كافأ ابن زياد ابن الجارود على خيانتته فولاه السند حيث توفي فيها سنة ۶۱ هـ، «۲» فلم يهنأ بجائزته إلا شهوراً قليلة.

هذه صورة موجزة لمجموعة من أشرف البصرة آنذاك، قد تمثل جلّ أشرف البصرة المعروفين يومها، ورأيانها مؤلفة من ذى هوى أموى خالص كمالك بن مسمع، ومعادٍ لأهل البيت عليهم السلام كمسعود بن عمرو، وقيس بن الهيثم السلمى، أو ذى معرفة بحق أهل البيت عليهم السلام ضعيف اليقين مترددٍ واهن المواقف كالأحنف بن قيس، أو طالبٍ للدنيا متكبر معجب بنفسه متملق للأمر غير مؤتمن كالمنذر بن الجارود العبدى.

وكما قلنا من قبل، فقد اضطرّ الإمام عليه السلام إلى الكتابة إلى هؤلاء لأنهم المنفذ الوحيد إلى جلّ أهل البصرة الذين كانوا تبعاً لأشرفهم في فهم الأحداث وتبني المواقف، وكان لابد من إلقاء الحجّة على الجميع من خلال هذا الطريق، فلعلّ ثمة

معالركب الحسينى (ج ۲)، ص: ۳۷

من يهتدى ويسعد بإبلاغ الحجّة.

وهنا لابد من التنبيه أنّ من أشرف البصرة مجموعة تعرف حقّ أهل البيت عليهم السلام وتواليهم ولها مواقف كريمة ورائعة في المبادرة إلى نصره الإمام الحسين عليه السلام كمثل يزيد بن مسعود النهشلى الذى دعا قومه إلى نصره الإمام عليه السلام وعبأهم روحياً بهذا الإتجاه، وهو من الأشرف الذين كتب إليهم الإمام عليه السلام بتلك النسخة أيضاً، وسيأتى تفصيل موقفه في فصل حركة الأمة فيما يأتى من البحث، وقد دعا له الإمام عليه السلام بهذا الدعاء المبارك:

«مالك، آمنك الله يوم الخوف، وأعزك وأرواك يوم العطش الأكبر». «۱»

وكيزيد بن ثيبط العبدى، وهو من أشرف البصرة أيضاً، ومن الشيعة، وقد بادر- بعدما علم بما عزم عليه الإمام الحسين عليه السلام- إلى الالتحاق بركب الإمام عليه السلام فى مكّة، مع ولديه عبدالله وعبيدالله وجماعة آخرين من الشيعة البصريين، ورزقوا الشهادة بين يدى الإمام أبى عبدالله الحسين عليه السلام فى كربلاء يوم العاشر من المحرم. «٢»

الشهيد الأوّل فى الثورة الحسينية: ص : ٣٧

يُطلق لقب (الشهيد الأوّل) فى الثورة الحسينية عادةً على مولانا مسلم بن عقيل عليه السلام، وهو المشهور، وهذا صحيح إذا أردنا بذلك الشهيد الأوّل من شهداء بنى هاشم فى هذه الثورة المقدّسة، ولكننا إذا أردنا (الشهيد الأوّل) من شهداء هذه الثورة المقدّسة عموماً فإنّ رسول الإمام الحسين عليه السلام إلى أشرف البصرة ورؤساء الأخماس فيها هو ذلك الشهيد الأوّل رضوان الله تعالى عليه، الذى قتله عبيدالله بن

مع الركب الحسينى (ج ٢)، ص: ٣٨

زيد قبل يوم من تركه البصرة متوجّهاً إلى الكوفة، وذلك بسبب خيانة المنذر بن الجارود العبدى، الذى زعم «١» أنه خاف أن يكون الكتاب دسيساً من عبيدالله بن زياد- وكانت بحريه بنت المنذر زوجة لعبيدالله بن زياد- فأخذ عبيدالله بن زياد الرسول فصلبه، «٢» أو قدّمه فضرب عنقه. «٣»

وقد ذهب جلّ المؤرّخين إلى أن اسم هذا الرسول هو سليمان، إلا أن ابن نما ذكر- على قول- أن اسمه زراع السدوسى حيث قال: «وبعث الكتاب مع زراع السدوسى، وقيل مع سليمان المكّنى بأبى رزين ..»، «٤» لكنّ السلام الوارد عليه فى زيارة الناحية المقدّسة يؤكّد أن اسمه سليمان: «السلام على سليمان مولى الحسين ابن أمير المؤمنين، ولعن الله قاتله سليمان بن عوف الحضرمى» «٥»

ويُكنى سليمان بأبى رزين، وقيل إنّ أبا رزين «هو إسم أبيه، وأمّه كبش، جارية للحسين عليه السلام، فتزوجها أبورزين فولدها سليمان»، «٦» لكنّ المحقّق السماوى ضبط اسم هذا الشهيد هكذا: سليمان بن رزين. «٧»

وكان سليمان قد خرج مع الإمام الحسين عليه السلام من المدينة إلى مكّة، ثم بعثه

مع الركب الحسينى (ج ٢)، ص: ٣٩

الإمام عليه السلام برسالته إلى البصرة، «١» وهذا كاشف عن ثقته به واعتماده عليه ومنزله الخاصة عنده.

اجتماع الإمام عليه السلام برسل أهل الكوفة ومبعوثيهم ص : ٣٩

بعد أن علم أهل الكوفة بامتناع الإمام عليه السلام عن البيعة ليزيد، وأنه عليه السلام قد صار إلى مكّة، تقاطرت رسائلهم الكثيرة إليه بلا انقطاع، وقد أبدوا فيها استعدادهم لنصرتهم والقيام معه، ودعوه فيها إلى القدوم إليهم.

«وتلاقت الرسل كلها عنده، فقرأ الكتب، وسأل الرسل عن الناس...»، «٢» وكان هانى بن هانى وسعيد بن عبدالله الحنفى آخر الرسل القادمين عليه.

«فقال الحسين عليه السلام لهانى وسعيد بن عبدالله الحنفى:

خبّرانى من اجتمع على هذا الكتاب الذى كتبت معكما إلى؟

فقالا: يا أمير المؤمنين، «٣» اجتمع عليه شيبث بن ربعى، وحجّار بن أبجر، ويزيد

مع الركب الحسينى (ج ٢)، ص: ٤٠

ابن الحارث، ويزيد بن رويم، وعروة بن قيس، وعمرو بن الحجّاج، ومحمد بن عمير بن عطار. «١»

قال: فعندها قام الحسين عليه السلام فطهّر وصلّى ركعتين بين الركن والمقام، ثم انفتل من صلاته وسأل ربّه الخير فيما كتب إليه أهل

الكوفة، ثم جمع الرسل فقال لهم: إنى رأيتُ جدى رسول الله صلى الله عليه وآله فى منامى، وقد أمرنى بأمر وأنا ماضٍ لأمره. فعزم الله لى بالخير، إنه ولى ذلك والقادر عليه إن شاء الله تعالى» (٢).

رسالة الإمام الحسين عليه السلام إلى أهل الكوفة: ص : ٤٠

«... ثم كتب مع هانى بن هانى وسعيد بن عبدالله (٣)، وكانا آخر الرسل:

مع الركب الحسينى (ج ٢)، ص: ٤١

بسم الله الرحمن الرحيم

من الحسين بن على إلى الملاء من المؤمنين والمسلمين:

أما بعد: فإن هانياً وسعيداً قدما على بكتبتكم، وكانا آخر من قدم على من رسلكم، وقد

مع الركب الحسينى (ج ٢)، ص: ٤٢

فهمت كل الذى اقتصصتم وذكرتم، ومقاله جلكم: إنه ليس علينا إمام فأقبل لعل الله أن يجمعنا بك على الحق والهدى.

وإنى باعث إليكم أخى وابن عمى وثقتى من أهل بيتى مسلم بن عقيل، فإن كتب إلي أنه قد اجتمع رأى ملاءكم وذوى الحجبى والفضل منكم على مثل ما قدمت به رسلكم وقرأت فى كتبكم فإنى أقدم إليكم وشيكاً إن شاء الله، فلعمري ما الإمام إلّا الحاكم بالكتاب، القائم بالقسط، الداين بدين الحق، الحابس نفسه على ذات الله، والسلام» (١).

سفير الإمام الحسين عليه السلام إلى الكوفة: ص : ٤٢

إشارة

«ودعا الحسين عليه السلام مسلم بن عقيل، فسرحه مع قيس بن مسهر الصيداوى (٢)، وعمارة بن عبدالله السلولى (٣)، وعبدالله

وعبدالرحمن ابنى شداد الأرحبى (٤)، وأمره

مع الركب الحسينى (ج ٢)، ص: ٤٤

بالتقوى، وكتمان أمره، واللفظ، فإن رأى الناس مجتمعين مستوسقين عجل إليه بذلك ..» (١).

ماذا يعنى كتمان الأمر هنا؟ ص : ٤٤

هل يعنى أن يكتم مسلم بن عقيل عليه السلام أمر سفارته مادام فى الطريق حتى يصل الى الكوفة؟ أم يعنى أن يتبع مسلم بن عقيل عليه السلام الأسلوب السرى فى تعبئة أهل الكوفة للنهضة مع الإمام عليه السلام؟ أم يعنى أن يكتم أمر مكانه وزمان تحركاته ومواقع مخازن أسلحته وأشخاص قياداته ومعتمديه من أهل الكوفة وكلمة السرى وثبته؟ أم غير ذلك؟

وماذا يعنى اللطف هنا؟ هل هو اللطف مع الناس وهو من أخلاق الإسلام؟

أم اللطف هنا بمعنى عدم المواجهة المسلحة مع السلطة المحلية الأموية فى الكوفة حتى يصل إليها الإمام عليه السلام أو يأذن بذلك؟ وهل كانت مهمة مسلم بن عقيل عليه السلام- على ضوء هذه الرواية- منحصرة فى معرفة رأى العام الكوفى، ومعرفة صدق أهل الكوفة فيما كتبوا به إلى الإمام عليه السلام؟

هناك رواية أخرى تقول إن رسالة الإمام عليه السلام إلى أهل الكوفة حوت أيضاً هذه العبارات:

«... وقد بعثت إليكم أخى وابن عمى مسلم بن عقيل بن أبى طالب، وأمرته

مع الركب الحسينى (ج ٢)، ص: ٤٥

أن يكتب إليّ بحالكُم وخبركُم ورأىكُم ورأى ذوى الحجى والفضل منكم، وهو متوجّه إليكم إن شاء الله، ولا قوة إلّا بالله، فإن كنتم على ما قدمت به رسلكم وقرأت في كتبكم، فقوموا مع ابن عمى وبايعوه ولا تخذلوه، فلعمرى ما الإمام العامل بالكتاب القائم بالقسط كالذى يحكم بغير الحق ولا يهتدى سبيلاً...» (١).

ومن هذا النص يتجلى لنا أنّ مهمّة مسلم بن عقيل عليه السلام فى الكوفة لم تنحصر فى استطلاع الرأى العام الكوفى ومعرفة حقيقة ومصداقية التوجهات فيها، بل كانت مهمته الأساسية فيها هى الثورة بأهل الكوفة ضد السلطة المحليّة الأمويّة فيها والتمهيد للقضاء على الحكم الأموى كلّهُ، والدليل على هذا قوله عليه السلام:

«فقوموا مع ابن عمى وبايعوه ولا تخذلوه..».

ويتابع ابن أعثم الكوفى روايته التاريخيّة قائلاً:

«ثم طوى الكتاب، وختمه، ودعا بمسلم بن عقيل فدفع إليه الكتاب، وقال:

إني موجّهك إلى أهل الكوفة، وسيقضى الله من أمرك ما يحبّ ويرضى، وأنا أرجو أن أكون أنا وأنت فى درجة الشهداء، فامض ببركة الله وعونه حتى تدخل الكوفة، فإذا دخلتها فانزل عند أوثق أهلها، وادع الناس الى طاعتى، فإن رأيتهم مجتمعين على بيعتى فعجل علىّ بالخبر حتى أعمل على حساب ذلك إن شاء الله تعالى. ثم عانقه الحسين عليه السلام وودّعه وبكى جميعاً» (٢).

ومن هذه الرواية نستفيد أنّ «كتمان الأمر» فى الرواية الأولى لا يعنى اتّباع

مع الרכب الحسينى (ج ٢)، ص: ٤٦

مسلم بن عقيل أسلوب العمل السرى فى الدعوة إلى طاعة الإمام عليه السلام ذلك لأن ظاهر قوله عليه السلام «وادع الناس إلى طاعتى» هو العلانية فى العمل. نعم قد يلزم الأمر أن تكون البداية والمنطلق من أهل الثقة والولاء، وهذا ما يشعر به قوله عليه السلام: «فإذا دخلتها فانزل عند أوثق أهلها».

ويستفاد من هذه الرواية أيضاً أنّ الإمام عليه السلام قد أشعر مسلم بن عقيل عليه السلام أو أخبره بأنّ عاقبه أمره الفوز بالشهادة من خلال قوله عليه السلام: «وأنا أرجو أن أكون أنا وأنت فى درجة الشهداء!» والعلم بأن المصير هو القتل لا يمنع من المضى فى أداء التكليف إذا كان الأمر متعلقاً بإحدى مصالح الإسلام العُليا. ومما يدلّ على أنّ مسلم بن عقيل عليه السلام قد علم من قول الإمام عليه السلام أنه متوجّه إلى الشهادة، وأنّ هذا آخر العهد بابن عمّه الإمام الحسين عليه السلام هو أنهما تعانقا وودّعا أحدهما الآخر وبكى جميعاً!

وتقول رواية تاريخيّة: «فخرج مسلم من مكّة فى النصف من شهر رمضان، حتى قدم الكوفة لخمسة خلون من شوال...» (١).

من هو مسلم بن عقيل عليه السلام ص : ٤٦

إنه مسلم بن عقيل بن أبى طالب، من أصحاب علىّ والحسين عليهما السلام، وقد تزوّج رقيّة (٢) بنت الإمام علىّ عليه السلام، وكان على ميمنة جند أمير المؤمنين عليه السلام يوم صفين مع الحسن والحسين عليهما السلام وعبدالله بن جعفر (٣).

مع الרכب الحسينى (ج ٢)، ص: ٤٧

قال الخوئى: «وكيف كان فجلالة مسلم بن عقيل وعظمته فوق ما تحويه عبارة، فقد كان بصفين فى ميمنة أمير المؤمنين عليه السلام..» (١).

وعليه لا يعقل أن يكون عمره الشريف يوم بعثه الإمام الحسين عليه السلام إلى الكوفة ٢٨ سنة على ما قاله المامقانى (٢)، لأنّ صفين كانت عام ٣٧ للهجرة، ومعناه أن عمره يوم صفين كان أقل من عشر سنين!!

هذا وقد أخبر النبى الأكرم صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام بأنّ مسلماً عليه السلام سوف يقتل فى محبة الحسين عليه السلام، فقد

روى الصدوق قدس سره في أماليه: «قال عليّ عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وآله: يارسول الله، إنك لتحبّ عقيلًا؟ قال: إي والله، إنى لأحبه حين: حباً له، وحباً لحبّ أبي طالب له، وإنّ ولده لمقتول في محبّته ولدك، فتدمع عليه عيون المؤمنين، وتصلّى عليه الملائكة المقربون، ثم بكى رسول الله صلى الله عليه وآله حتى جرت دموعه على صدره، ثم قال: إلى الله أشكو ما تلقى عترتى من بعدى». (٣)

وكان مسلم عليه السلام مثلاً سامياً في الأخلاق الإسلامية عامة وفي الشجاعة والجرأة والبأس خاصة، وقد شهدت له ملحمة في الكوفة بتلك الأخلاقية السامية عامة وتلك الشجاعة خاصة، حتى قال عدوّه محمد بن الأشعث وهو يصفه لابن زياد: «.. أولم تعلم أيها الأمير أنّك بعثتني إلى أسد ضرغام وسيف حسام في كفّ بطل همام من آل خير الأنام..» (٤).

«ونقل عن بعض كتب المناقب: أنّ مسلم بن عقيل كان مثل الأسد، وكان من

معالركب الحسينى (ج ٢)، ص: ٤٨

قوّته أنّه يأخذ الرجل بيده فيرمى به فوق البيت» (١).

وفي بعض كتب المناقب: أرسل الحسين عليه السلام مسلم بن عقيل إلى الكوفة وكان مثل الأسد (٢).

ومن مواقفه الكاشفة عن شجاعته الهاشمية الفذة موقفه أمام معاوية أيام حكمه وقد طلب منه ردّ المال وأخذ الأرض، حيث قال له مسلم: مه، دون أن أضرب رأسك بالسيف! (٣).

هل طلب مسلم الإستعفاء من السفارة؟! ص : ٤٨

إشارة

روى الطبرى في تاريخه، والشيخ المفيد قدس سره في إرشاده أنّ مسلم بن عقيل عليه السلام بعث إلى الإمام الحسين عليه السلام أثناء طريقه إلى الكوفة يطلب منه أن يعفيه من مهمة السفارة إلى أهل الكوفة، في قصة هي على رواية الطبرى كمايلي:

«فأقبل مسلم حتى أتى المدينة، فضيلى في مسجد رسول الله، وودّع من أحبّ من أهله، ثم استأجر دليلين من قيس فأقبلا به، فضلاً الطريق وجارا، وأصابهم عطش شديد، وقال الدليلان: هذا الطريق حتى تنتهى الى الماء، وقد كادوا أن يموتوا عطشاً (وفى رواية الإرشاد: ومات الدليلان عطشاً)، فكتب مسلم بن عقيل مع قيس بن مسهر الصيداوى الى الحسين وذلك بالمضيق من بطن الخبيث (وفى رواية الإرشاد: بطن الخبت): أما بعد، فإننى أقبلت من المدينة معى دليلان لى فجارا عن الطريق وضلاً، واشتدّ علينا العطش، فلم يلبثا أن ماتا، وأقبلنا حتى انتهينا

معالركب الحسينى (ج ٢)، ص: ٤٩

إلى الماء فلم ننج إلا بحشاشه أنفسنا، وذلك الماء بمكان يُدعى المضيق من بطن الخبيث، وقد تطيرت من وجهى هذا، فإن رأيت أعفيتنى منه وبعثت غيرى، والسلام.

فكتب إليه الحسين:

أما بعد، فقد خشيت ألا يكون حملك على الكتاب إلىّ فى الاستعفاء من الوجه الذى وجّهتك له إلا الجبن، فامض لوجهك الذى وجّهتك له، والسلام عليك.

فقال مسلم لمن قرأ الكتاب (وفى رواية الإرشاد: فلما قرأ مسلم الكتاب قال:): هذا مالستُ أتخوّفه على نفسى ..» (١).

إنّ من يراجع ترجمه حياة مسلم بن عقيل - على اختصارها فى الكتب - وله معرفة بالعرف العربى آنذاك عامه وبالشمانل الهاشمية خاصة لا يتردد فى أنّ هذه القصة مختلفة وأنها من وضع أعداء أهل البيت عليهم السلام لتشويه صورته وسمعته هذا السفير العظيم.

فإنّ مسلماً عليه السلام كان أحد قيادات ميمنه جيش أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، وهو الذى خاطب معاوية وكان آنذاك الطاغية

ذا اليد المطلقة في العالم الإسلامي: مه، دون أن أضرب رأسك بالسيف!، وهو الذي ودّع الإمام الحسين عليه السلام وداع فراق لا لقاء بعده إلّا في الجنّة بعد أن عرف أنه متوجّه إلى الشهادة لا محالة من قول الإمام عليه السلام له: وأنا أرجو أن أكون أنا وأنت في درجة الشهداء.

مع الركب الحسينى (ج ۲)، ص: ۵۰

ترى هل تخشى الموت نفس مطمئنة بالسعادة بعده؟! وهل تتطير من لقاء الموت نفس مشتاقّة الى لقاء الله ولقاء رسوله صلى الله عليه وآله والأحبة الماضين من أهل البيت عليهم السلام؟! وهل فارقت الطمأنينة نفس مسلم عليه السلام لحظة ما؟! وهذه سيرته في الكوفة تشهد له بثبات وطمأنينة مستيقن من أمره، لا يفوقه في مستوى ثباته إلّا الإمام المعصوم عليه السلام. وهل يعقل العارف المتأمل أو يقبل أنّ الإمام الحسين عليه السلام يُرسل في هذه السفارة الخطيرة من يعتوره جبن أو يتطير من وجهته لعارض من المؤلف أن يصيب كثيراً من المسافرين في تلك الأيام؟! ثم هل من الأدب الحسينى أن يخاطب الإمام عليه السلام ابن عمّه مسلماً عليه السلام بهذا النوع من الخطاب ويتهمه بالجبن؟! الخطاب ويتهمه بالجبن!؟

يقول السيد المقرّم قدس سره: ص : ۵۰

«فإنّ المتأمل في صكّ الولاية الذي كتبه سيد الشهداء لمسلم بن عقيل لا يفوته الإذعان بما يحمله من الثبات والطمأنينة ورباطة الجأش، وأنه لا يهاب الموت، وهل يعدو بآل أبي طالب إلّا القتل الذي لهم عادة وكرامتهم من الله الشهادة؟ ولو كان مسلم هيباً في الحروب لما أقدم سيد الشهداء على تشريفه بالنيابة الخاصة عن التي يلزمها كلّ ذلك.

فتلك الجملة التي جاء بها الرواة، وسجلها ابن جرير للحطّ من مقام ابن عقيل الرفيع متفككة الأطراف واضحة الخلل، كيف وأهل البيت ومن استضاء بأنوار تعاليمهم لا يعبأون بالطيرة ولا يقيمون لها وزناً.

وليس العجب من ابن جرير إذا سجّلها ليشوّه بها مقام شهيد الكوفة كما هي عادته في رجالات هذا البيت، ولكنّ العجب كيف خفيت على بعض أهل النظر والتدقيق حتى سجّلها في كتابه، مع أنه لم يزل يلهج بالطعن في أمثالها ويحكم

مع الركب الحسينى (ج ۲)، ص: ۵۱

بأنها من وضع آل الزبير ومن حذا حذوهم» (۱).

ويظهر أنّ السيد المقرّم يرى صحّة أصل الحادثة وموت الدليلين وأنّ مسلم بن عقيل عليه السلام بعث برسالة الى الإمام عليه السلام وأنّ الإمام عليه السلام قد بعث إليه بجواب، ولكن المضمون الذي ينسب فيه التطير والجبن الى مسلم بن عقيل عليه السلام هو من الموضوعات المختلفة التي لا صحّة لها (۲).

غير أنّ الشيخ باقر شريف القرشى ينكر أصل الرسالة والجواب ويراهما من الموضوعات حيث يقول:

۱- «إنّ مضيق الخبت الذي بعث منه مسلم رسالته إلى الإمام يقع ما بين مكّة والمدينة حسب مانصّ عليه الحموى (معجم البلدان ۲: ۳۴۳) في حين أنّ الرواية تنصّ على أنه استأجر الدليلين من يثرب، وخرجوا إلى العراق فضلّوا عن الطريق وماتا الدليلان، ومن الطبيعي أنّ هذه الحادثة وقعت ما بين المدينة والعراق، ولم تقع ما بين مكّة والمدينة.

۲- إنّه لو كان هناك مكان يُدعى بهذا الاسم يقع ما بين يثرب والعراق لم يذكره الحموى فإنّ السفر منه الى مكّة ذهاباً وإياباً يستوعب زماناً يزيد على عشرة أيام، في حين أنّ سفر مسلم من مكّة الى العراق قد حدّده المؤرّخون فقالوا: إنّه سافر من مكّة في اليوم الخامس عشر من رمضان، وقدم إلى الكوفة في اليوم الخامس من شوال، فيكون مجموع سفره عشرين يوماً، وهى أسرع مدّة يقطعها المسافر

مع الركب الحسينى (ج ۲)، ص: ۵۲

من مكّة الى المدينة (ثم الى الكوفة) (۱) ... وإذا استثنينا من هذه المدّة سفر رسول مسلم من ذلك المكان ورجوعه إليه، فإنّ مدّة

سفره من مكة إلى الكوفة تكون أقل من عشرة أيام، ويستحيل عادة قطع تلك المسافة بهذه الفترة من الزمن.

٣- إن الإمام اتهم مسلماً- في رسالته- بالجبن، وهو يناقض توثيقه له من أنه ثقتة وكبير أهل بيته، والمبرز بالفضل عليهم، ومع اتصافه بهذه الصفات كيف يتهمه بالجبن؟!

٤- إن اتهام مسلم بالجبن يتناقض مع سيرته، فقد أبدى هذا البطل العظيم من البسالة والشجاعة النادرة ما يبهر العقول، فإنه حينما انقلبت عليه جموع أهل الكوفة قابلها وحده من دون أن يعينه أو يقف إلى جنبه أى أحد، وقد أشاع في تلك الجيوش المكتنفة القتل مما ملأ قلوبهم ذعراً وخوفاً، ولما جرى به أسيراً إلى ابن زياد لم يظهر عليه أى ذل أو انكسار، ويقول فيه البلاذري: إنه أشجع بنى عقيل وأرجلهم (أنساب الأشراف ٢: ٨٣٦)، بل هو أشجع هاشمى عرفه التأريخ بعد أئمة أهل البيت عليهم السلام.

إن هذا الحديث من المفتريات الذى وضع للحط من قيمة هذا القائد العظيم الذى هو من مفاخر الأمة العربية والإسلامية» ولذا فنحن نرجح رأى القرشى على رأى المقرم فى هذه المسألة، ونذهب للذى ذهب إليه فى أن أصل الرسالة والجواب لا صحة لهما، والشك قوى فى أن الحادثة أيضاً لا صحة لها.

مع الركب الحسينى (ج ٢)، ص: ٥٣

مسلم بن عقيل عليه السلام فى الكوفة ص : ٥٣

إشارة

كان الإمام الحسين عليه السلام قد أوصى مسلم بن عقيل عليه السلام- كما مر بنا- أن يكون نزوله فى الكوفة عند أوثق أهلها «فإذا دخلتها فانزل عند أوثق أهلها» (١)

، ذلك لأن من الطبيعى أن تكون انطلاقة عمله السياسى الثورى فى دعوة الناس الى طاعة الإمام عليه السلام وتعبئتهم للقيام معه، وتخليهم عن آل أبى سفيان، من منزل يكون صاحبه من أوثق أهل الكوفة فى الولاء لأهل البيت عليهم السلام.

قال ابن كثير فى تأريخه: «فلما دخل الكوفة نزل على رجل يُقال له مسلم بن عوسجة الأسدى (٢)».

مع الركب الحسينى (ج ٢)، ص: ٥٤

وقيل نزل فى دار المختار بن أبى عبيد الثقفى (١) .. (٢)».

مع الركب الحسينى (ج ٢)، ص: ٥٦

وقال الشيخ المفيد قدس سره: ص : ٥٦

«... ثم أقبل مسلم حتى دخل الكوفة، فنزل فى دار المختار بن أبى عبيدة، وهى التى تدعى اليوم دار مسلم بن المسيب، وأقبلت الشيعة تختلف إليه، فلما اجتمع إليه منهم جماعة قرأ عليهم كتاب الحسين عليه السلام وهم يبكون، وبايعه الناس حتى بايعه منهم ثمانية عشر ألفاً. فكتب مسلم الى الحسين عليه السلام يخبره ببيعة ثمانية عشر ألفاً، ويأمره بالقدوم ..» (١).

لكن مسلم بن عقيل عليه السلام بعد قدوم عبيدالله بن زياد الى الكوفة والياً عليها من قبل يزيد، وحصول التطورات السريعة المتلاحقة التى أدت إلى ضرورة تحوّل عمل مسلم بن عقيل من حالة العلانية إلى السرى، اضطرّ الى تغيير مقرّه فتحوّل الى دار هانى بن عروة (٢)

زعيم مراد وشيخها وهو شريف من أشراف الكوفة ومن

مع الركب الحسينى (ج ٢)، ص: ٦٠

وجوه الشيعة فيها.

رسالة الإمام عليه السلام الى محمد بن الحنفية ومن قبله من بنى هاشم ص : ٦٠

إشارة

روى ابن عساكر وابن كثير أنّ الإمام عليه السلام بعث الى المدينة (وهو في مكة) يستقدم إليه من خفّ من بنى هاشم، فخفّ إليه جماعة منهم، وتبعهم إليه محمد

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٦١

ابن الحنفية، ولكنّ الرواية لم تحدّد من هم أفراد هذه الجماعة الهاشمية «١».

وقال الذهبي: «بعث الحسين عليه السلام الى المدينة، فقدم عليه من خفّ معه من بنى عبدالمطلب، وهم تسعة عشر رجلاً، ونساء...» «٢».

ومفاد ذلك أنّ هؤلاء لم يرافقوا الحسين عليه السلام حين خروجه من المدينة بل التحقوا به بعد الدعوة التي حملتها تلك الرسالة إلى المدينة.

لكنّ المصادر التاريخية الشيعية روت أنّ الإمام الحسين عليه السلام بعث من مكة إلى أخيه محمد بن الحنفية ومن قبله من بنى هاشم في المدينة رسالة موجزة العبارة عظيمة الدلالة هي من روائع رسائله عليه السلام.

ففي روايته عن الإمام الباقر عليه السلام أنّ الإمام الحسين عليه السلام كتب هذه الرسالة من مكة ونصّها:

بسم الله الرحمن الرحيم

من الحسين بن عليّ إلى محمّد بن عليّ ومن قبله من بنى هاشم.

أمّا بعد: فإنّ من لحق بي استشهد، ومن لم يلحق بي لم يدرك الفتح والسلام. «٣»

كما رويت رواية هذه الرسالة بتفاوت يسير عن الإمام الصادق عليه السلام، وظهرها

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٦٢

أنّ الإمام الحسين عليه السلام كتبها بعد خروجه من مكة «١».

معنى محتوى الرسالة: ص : ٦٢

قال المجلسي قدس سره في تعليقه له على هذه الرسالة: «لم يبلغ الفتح أي لم يبلغ ما يتمناه من فتوح الدنيا والتمتع بها، وظاهر هذا

الجواب ذمه، ويحتمل أن يكون المعنى أنه عليه السلام خيرهم في ذلك فلا إثم على من تخلف». «٢»

فالمجلسي قدس سره فسّر الفتح بالمكاسب والفتوح الدنيوية والتمتع بها، كما احتمل أن يكون المعنى أنّ الإمام عليه السلام خير بنى

هاشم في مسألة الإلتحاق به فلا إثم على من تخلف عنه ولم يلتحق به!!

لكنّ القرشيّ فسّره بفتح من نوع آخر لم يكن ولا يكون لغير الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام مدى العصور وإلى قيام الساعة،

فقال: «لقد أخبر الأسرة النبوية بأنّ من لحقه منهم سوف يظفر بالشهادة، ومن لم يلحق به فإنه لا ينال الفتح، فأى فتح هذا الذي عناه

الإمام؟

إنّ الفتح الذي لم يحرزه غيره من قادة العالم وأبطال التاريخ، فقد انتصرت مبادئه وانتصرت قيمه، وتألقت الدنيا بتضحيته، وأصبح

إسمه رمزاً للحق والعدل، وأصبحت شخصيته العظيمة ليست ملكاً لأمة دون أمّة ولا لطائفة دون أخرى، وإتّما هي ملك للإنسانية الفدّة

في كلّ زمان ومكان، فأى فتح أعظم من هذا الفتح، وأى نصرٍ أسمى من هذا النصر؟ «٣».

وقد يفسّر هذا الفتح بتفسير آخر، وهو أنّ المراد بهذا الفتح هو التحولات

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٦٣

والتغيرات الحاسمة لصالح الإسلام الناشئة عن شهادته عليه السلام في عصره وفي العصور المتعاقبة إلى قيام الطالب بدمه الإمام المهدي عليه السلام الذي يمثل قيامه الفصل الأخير من نهضة جدّه الحسين عليه السلام، والذي يمثّل ظهوره على كلّ الأرض ظهور الدين المحمديّ على الدين كلّه وذلك هو الثمرة الأخيرة لنهضة عاشوراء «١».

ولعلّ المرحوم السيد المقرّم ذهب إلى بعض أبعاد هذا المعنى بقوله: «كان الحسين عليه السلام يعتقد في نهضته أنه فاتح منصور لما في شهادته من إحياء دين رسول الله، وإماتة البدعة، وتفضيح أعمال المناوئين، وتفهم الأئمة أنهم أحقّ بالخلافه من غيرهم، وإليه يشير في كتابه إلى بني هاشم: من لحق بنا منكم استشهد، ومن تخلف لم يبلغ الفتح.

فإنه لم يرد بالفتح إلّا ما يترتب على نهضته وتضحيتته من نقض دعائم الضلال وكسح أشواك الباطل عن صراط الشريعة المطهرة، وإقامه أركان العدل والتوحيد، وأنّ الواجب على الأئمة القيام في وجه المنكر.

وهذا معنى كلمة الإمام زين العابدين عليه السلام لإبراهيم بن طلحة بن عبيدالله لما قال له حين رجوعه إلى المدينة: من الغالب؟! فقال السّجّاد عليه السلام:

إذا دخل وقت الصلاة فأذن وأقم تعرف الغالب! «٢»

فإنه يشير إلى تحقق الغاية التي ضحّى سيد الشهداء نفسه القدسية لأجلها، وفشل يزيد بما سعى له من إطفاء نور الله، وما أراد أبوه من نقض مساعي الرسول صلى الله عليه وآله، وإماتة الشهادة له بالرسالة بعد أن كان الواجب على الأئمة في

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٦٤

الأوقات الخمس الإعلان بالشهادة لنبى الإسلام... «١».

وقد راجعنا موارد كلمة الفتح في القرآن الكريم فوجدناها إثني عشر هي:

١- «فإن كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم...» «٢»

٢- «فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده...» «٣»

٣- «إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح.» «٤»

٤- «ويقولون متى هذا الفتح إن كنتم صادقين.» «٥»

٥- «قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمانهم.» «٦»

٦- «إنّا فتحنا لك فتحاً مبيناً.» «٧»

٧- «فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً.»

٨- «فعلّم مالم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً.» «٩»

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٦٥

٩- «افتح بيني وبينهم فتحاً ونجى ومن معي من المؤمنين.» «١»

١٠- «لايستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل...» «٢»

١١- «وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب.» «٣»

١٢- «إذا جاء نصر الله والفتح.» «٤»

ومعنى الفتح في هذه الموارد: إمّا فتح مكّة، أو فتح بلاد المشركين، أو فتح الله لمحمد صلى الله عليه وآله على جميع خلقه، أو بمعنى نصر محمّد صلى الله عليه وآله، أو النصر بمحمد صلى الله عليه وآله، أو بمعنى القضاء والحكم، أو القضاء بعذاب المشركين في الدنيا، أو الحكم بالثواب والعقاب يوم القيامة «٥».

وورد في تفسير القمي في (وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب): يعني في الدنيا بفتح القائم، وأيضاً قال: فتح مكة «٦». وورد في كتاب تأويل الآيات عن الإمام الصادق عليه السلام في قوله تعالى: «قل يوم الفتح لا يفتح الذين كفروا إيمانهم ولا هم يُنظرون» «٧» أنه قال:

«يوم الفتح يوم تفتح الدنيا على القائم، لا يفتح أحداً تقرب بالإيمان ما لم يكن قبل ذلك مؤمناً وبهذا الفتح موقناً، فذلك الذي ينفعه إيمانه، ويعظم عند الله

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٦٦

قدره وشأنه، وتزخرق له يوم البعث جنانه، وتحجب عنه نيرانه، وهذا أجر الموالين لأمر المؤمنين وذريته الطيبين صلوات الله عليهم أجمعين» «١».

والمأمل يجد أن الفتح في رسالة الإمام الحسين عليه السلام بأى معنى كان من معانيه القرآنية لا ينسجم مع ما ذهب إليه العلامة المجلسي قدس سره في أن المراد به في هذه الرسالة هو ما يتمنى من فتوح الدنيا والتمتع بها.

رسالة أخرى من الإمام الحسين عليه السلام ص : ٦٦

روى صاحب الفتوح أن يزيد بن معاوية كتب من الشام كتاباً إلى أهل المدينة من قريش وبنى هاشم، وأرفق مع كتابه أبياتاً من الشعر يخاطب فيها الإمام الحسين عليه السلام أساساً، ويفهم من سياق روايته ابن أعثم الكوفي أن الرسالة وصلت إلى المدينة والإمام عليه السلام في مكة، كما يقوى هذا الظن قول ابن أعثم بعد ذكره الأبيات الشعرية: «فنظر أهل المدينة إلى هذه الأبيات ثم وجهوا بها وبالكتاب إلى الحسين ابن عليّ عليهما السلام».

والأبيات هي:

«يا أيها الراكب الغادي لطيته على عذافرة في سيره «٢»

قحم

أبلغ قريشاً على نأى المزار بها بيني وبين الحسين الله والرحم

وموقف بفناء البيت ينشده عهد الإله وما توفى به الذم

غنيتم قومكم فخراً بأممكم أمّ لعمري حصان بزة كرم

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٦٧

هي التي لا يداني فضلها أحد بنت الرسول وخير الناس قد علموا

وفضلها لكم فضلٌ وغيركم من يومكم لهم في فضلها قسم

إني لأعلم حقاً غير ما كذب والطرف يصدق أحياناً ويقتصم

أن سوف يُدر ككم ما تدعون بها قتلى تهاداكم العقبان والرحم

يا قومنا لا تشبوا الحرب إذ سكنت تمسكوا بحبال الخير واعتصموا

قد غزت الحرب من قد كان قبلكم من القرون وقد بادت بها الأمم

فأنصفوا قومكم لا تهلكوا بذخاً فربّ ذى بذخ زلت به قدم» «١»

وتقول الرواية أن الإمام الحسين عليه السلام لما نظر في الكتاب علم أنه كتاب يزيد ابن معاوية، فكتب عليه السلام الجواب:

«بسم الله الرحمن الرحيم «وإن كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون» «٢». والسلام» «٣».

ومن ظاهر هذه الرواية لا يمكن القطع بأن الإمام كتب الجواب ليزيد أو أرسله إليه وإن كان المخاطب فيها هو يزيد، إذ قد يكون الإمام

عليه السلام بعث بالجواب إلى أهل المدينة الذين وجهوا بالكتاب وبالآيات إليه، ثم هم بعد ذلك يوصلونه أو ينقلون محتوى الجواب إلى يزيد.

ولم تذكر هذه الرواية من هم أهل المدينة من قريش وبنو هاشم الذين أرسل إليهم يزيد الكتاب، لكن ابن عساكر قال: كتبه يزيد إلى عبد الله بن العباس، وذكر

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٦٨

الآيات الشعرية بتفاوت «١».

والمتمثل في آيات يزيد وفي جواب الإمام عليه السلام يرى سنن الله تكرر نفسها في المواجهات بين الربانيين والطواغيت، فهذا يزيد بمنطق الطاغوت في آياته يهدد الإمام عليه السلام بالإضطهاد والقتل في الدنيا! وذلك قصارى ما يستطيعه الطغاة.

أما الإمام عليه السلام فبمنطق الربانيين فيصريح بانفصام الآصرة بين عمل المهتدين وعمل الضالين وبالبراءة بينهم، تصريحاً يستبطن التهديد بالجزاء الأخرى وبعباد الله الذي لا فتور فيه ولا انقطاع.

وفي متن الجواب ازدراء كامل بيزيد إذ لم يذكر الإمام عليه السلام اسمه ولم يلقبه بلقب، ولم يسلم عليه، مما يفهم منه أن يزيد لعنه الله مصداق تام للمكذب بالدين وبالرسل والأوصياء عليهم السلام.

إرساله عليه السلام قيس بن مسهر إلى الكوفة مرة ثانية ص : ٦٨

إشارة

يظهر من النصوص التاريخية أن الإمام الحسين عليه السلام بعث قيس بن مسهر الصيداوي إلى الكوفة مرتين، إذ كان قد بعثه في المرة الأولى مع مسلم بن عقيل عليه السلام فدخل الكوفة «٢»، ثم بعثه مسلم عليه السلام سفيراً عنه إلى الإمام الحسين عليه السلام، ثم بعثه الإمام الحسين عليه السلام إلى الكوفة مرة ثانية ليستعلم خبر مسلم بن عقيل عليه السلام، فاعتقل في الطريق وجرى عليه ماجرى.

ففي التذكرة: «ثم دعا مسلم بن عقيل فبعثه مع قيس بن مسهر الصيداوي ...» «٣».

وفيها أيضاً: «كان الحسين عليه السلام قد بعث قيس بن مسهر إلى مسلم بن عقيل ليستعلم

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٦٩

خبره قبل أن يصل إليه، فأخذه ابن زياد وقال له: قم في الناس واشتم الكذاب ابن الكذاب، يعني الحسين عليه السلام!

فقام على المنبر وقال: أيها الناس، إنني تركت الحسين بالحاجز، وأنا رسوله إليكم لتنصروه، فلعن الله الكذاب بن الكذاب ابن زياد.

فطرح من القصر فمات» «١».

من هو قيس بن مسهر الصيداوي؟ ص : ٦٩

لم نعر على ترجمة وافية لهذا البطل الفذ رغم التتبع والاستقصاء! فجميع من ترجموا له اکتفوا بأنه حمل كتاباً من أهل الكوفة إلى الإمام الحسين عليه السلام، وأنه رجع مع مسلم إلى الكوفة، ثم إنه حمل كتاباً من مسلم إلى الإمام عليهما السلام في الطريق إلى الكوفة، ثم إنه حمل كتاباً من الإمام عليه السلام إلى أهل الكوفة، وتعرض أثناء الطريق إليها إلى الإعتقال في القادسية، ثم كان منه ذلك الموقف الصلب الذي عبر عن شجاعته وولائه وعظمته.

إنه: «قيس بن مسهر بن خالد بن جندب ... الأسدي الصيداوي، وصيدا بطن من أسد. كان قيس رجلاً شريفاً في بني الصيدا شجاعاً مخلصاً في محبة أهل البيت عليهم السلام.

قال أبو مخنف: اجتمعت الشيعة بعد موت معاوية في منزل سليمان بن صرد الخزاعي، فكتبوا للحسين بن علي عليهما السلام كتاباً يدعوونه فيها للبيعة، وسرحوها إليه مع عبدالله بن سبع وعبدالله بن وال، ثم لبثوا يومين فكتبوا إليه مع قيس بن مسهر الصيداوي وعبدالرحمن بن عبدالله الأرحبي، ثم لبثوا يومين فكتبوا إليه مع سعيد مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٧٠
بن عبدالله وهاني بن هاني ...

فدعا الحسين عليه السلام مسلم بن عقيل وأرسله إلى الكوفة، وأرسل معه قيس بن مسهر وعبدالرحمن الأرحبي، فلما وصلوا إلى المضيق من بطن خبت كما قدّمنا جار دليلاهم فضلوا وعطشوا، ثم سقطوا على الأرض، فبعث مسلم قيساً بكتاب إلى الحسين عليه السلام يخبره بما كان، فلما وصل قيس إلى الحسين بالكتاب أعاد الجواب لمسلم مع قيس وسار معه إلى الكوفة «١». قال: ولما رأى مسلم اجتماع الناس على البيعة في الكوفة للحسين كتب إلى الحسين عليه السلام بذلك، وسرح الكتاب مع قيس وأصبحه عابس الشاكري وشوذباً مولاهم، فأتوه إلى مكة ولازموه، ثم جاءوا معه.

قال أبو مخنف: ثم إن الحسين لما وصل إلى الحاجر من بطن الرمة كتب كتاباً إلى مسلم وإلى الشيعة بالكوفة وبعثه مع قيس، فقبض عليه الحصين بن تميم، وكان ذلك بعد قتل مسلم، وكان عبيدالله نظم الخيل ما بين خفان إلى القادسية وإلى القطقانة «٢» والى لعل «٣» وجعل عليها الحصين، وكانت صورة الكتاب:

«من الحسين بن علي إلى إخوانه من المؤمنين والمسلمين: سلام عليكم. فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو. أما بعد: فإن كتاب مسلم جاءني يخبرني

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٧١

فيه بحسن رأيكم واجتماع ملئكم على نصرنا والطلب بحقنا، فسألت الله أن يحسن لنا الصنع، وأن يثيبكم على ذلك أحسن الأجر، وقد شخصت إليكم من مكة يوم الثلاثاء لثمان مضي من ذي الحجة يوم التروية، فإذا قدم رسولي عليكم فانكمشوا في أمركم وجدوا، فإني قادم عليكم في أيامي هذه إن شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته».

قال: فلما قبض الحصين على قيس بعث به إلى عبيدالله، فسأله عبيدالله عن الكتاب، فقال: خرقتة.

قال: ولم؟!؟

قال: لئلا تعلم ما فيه.

قال: إلى من؟

قال: إلى قوم لا أعرف أسماءهم.

قال: إن لم تخبرني فاصعد المنبر وسب الكذاب بن الكذاب يعني به الحسين عليه السلام.

فصعد المنبر فقال:

أيها الناس، إن الحسين بن علي خير خلق الله، وابن فاطمة بنت رسول الله، وأنا رسوله إليكم، وقد فارقت بالحاجر، فأجيبوه.

ثم لعن عبيدالله بن زياد وأباه، وصلى على أمير المؤمنين، فأمر به ابن زياد، فأصعد القصر، ورمى به من أعلاه، فتقطع ومات.

وقال الطبري: لما بلغ الحسين عليه السلام إلى عذيب الهجانات في ممانعة الحرّ

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٧٢

جاءه أربعة نفر ومعهم دليلهم الطرماح «١» بن عدى الطائي، وهم يجنبون فرس نافع المرادي، فسألهم الحسين عليه السلام عن الناس وعن رسوله، فأجابوه عن الناس، وقالوا له: رسولك من هو؟

قال: قيس!

فقال مجمع العائذي:

أخذه الحصين فبعث به إلى ابن زياد، فأمره أن يلعنك وأباك، فصلى عليك وعلى أبيك، ولعن ابن زياد وأباه، ودعانا إلى نصرتك، وأخبرنا بقدمك، فأمر به ابن زياد فألقى من طمار القصر، فمات رضى الله عنه.

فترقت عينا الحسين عليه السلام وقال:

فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر، اللهم اجعل لنا ولهم الجنة منزلاً، واجمع بيننا وبينهم في مستقر رحمتك وרגائب مذخور ثوابك» (٢).

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٧٣

فهو رضوان الله تعالى عليه من شهداء الثورة الحسينية في الكوفة وليس من شهداء الطف، لكنه شريكهم في الأجر والشرف، ولذا حُصَّ بالسلام عليه في زيارة الناحية المقدسة والرجبية (١).

وليس صحيحاً ما ورد في المناقب أنه كان حاملاً رسالة الإمام الحسين عليه السلام من كربلاء إلى سليمان بن صرد والمسيب بن نجبة ورفاعة بن شداد وعبدالله بن وال وآخرين، وذلك لأن قيساً قتل قبل ورود الإمام عليه السلام كربلاء (٢).

نعم، لقد كان قيس بن مسهر رضوان الله تعالى عليه رسولاً أساسياً بين مكة والكوفة أو على وجه الدقة بين الإمام الحسين ومسلم عليهما السلام، فقد بعثه الإمام عليه السلام مع مسلم في النصف من شهر رمضان، وعلى فرض صحة أصل وقوع حادثه المضيق من بطن الخبت فقد أرسله مسلم إلى الإمام عليه السلام، ثم حمل جواب الإمام عليه السلام إلى مسلم. ثم «لما رأى مسلم اجتماع الناس على البيعة في الكوفة للحسين كتب إلى الحسين عليه السلام بذلك، وسرح الكتاب مع قيس وأصحابه عابساً الشاكري وشوذباً مولاهم، فأتوه إلى مكة ولازموه، ثم جاؤوا معه» (٣)، ثم بعثه الإمام عليه السلام من بطن الرمة في الثامن من ذي الحجة أو بعده.

رسالة مسلم بن عقيل إلى الإمام عليه السلام ص: ٧٣

روى الطبري أن مسلم بن عقيل عليه السلام كان قد كتب إلى الإمام عليه السلام من الكوفة قبل أن يُقتل لسبع وعشرين ليلة:

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٧٤

«أما بعد، فإن الرائد لا يكذب أهله، إن جمع أهل الكوفة معك، فأقبل حين تقرأ كتابي، والسلام عليك» (١).

وفي رواية ابن نما:

«أما بعد، فإن الرائد لا يكذب أهله، وإن جميع أهل الكوفة معك، وقد بايعني منهم ثمانية عشر ألفاً، فعجل الإقبال حين تقرأ كتابي، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته» (٢).

وفي رواية الدينوري:

«... فأقدم، فإن جميع الناس معك، ولا رأى لهم في آل أبي سفيان» (٣).

وتقول الرواية التاريخية أن قيس بن مسهر الصيدواي حمل هذه الرسالة إلى الإمام عليه السلام في مكة، وأصحابه مسلم عابس الشاكري وشوذباً مولا (٤).

وقد كان الإمام الحسين عليه السلام قد علق عزمه في التوجه إلى الكوفة على تقرير مسلم عن حال أهل الكوفة، وقد صرح عليه السلام لأهل الكوفة في رسالته الأولى إليهم بذلك حيث قال:

«... فإن كتب إلي أنه قد اجتمع رأي ملاكم وذوى الحجى والفضل منكم على مثل ما قدمت به رسلكم وقرأت في كتبكم فإنني أقدم

إليكم وشيكاً إن

معالركب الحسينى (ج ۲)، ص: ۷۵

شاء الله...» (۱)

وعلى ضوء رسالته مسلم عليه السلام عقد الإمام الحسين عليه السلام عزمه على التوجه إلى الكوفة، وكتب رسالته الثانية إلى أهلها (۲) في الحاجر من بطن الرمة (۳)، وحملها قيس ابن مسهر إلى الكوفة، لكنه قبض عليه أثناء هذه السفارة في الطريق، فمزق الرسالة كي لا تقع في أيدي الأعداء.

خُطْبُ الإمام عليه السلام في مكة المكرمة ص : ۷۵

إشارة

من المؤسف أن التاريخ لم يسجل لنا طيلة مكث الإمام عليه السلام في مكة المكرمة إلا خطبته المشهورة التي ورد فيها قوله عليه السلام خط الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة، وهي الخطبة التي خطبها قبل خروجه من مكة، وخطبة أخرى قصيرة تضمنت باقة من قصار الحكم!!

ويصعب على المتأمل أن يقتنع بأن الإمام عليه السلام طيلة ما يقارب مائة وخمسة وعشرين يوماً في مكة وفي أيام موسم الحج آنذاك لم يخطب في محافل مكة إلا هاتين الخطبتين، مع ما حدثنا به التاريخ أن الناس كانوا يجتمعون إليه ويلتفون حوله، ويأخذون عنه، ويضبطون ما يسمعون منه!

فهل يُعقل أن الإمام عليه السلام لم يستثمر تلك الأجواء الدينية القدسية في بيت الله

معالركب الحسينى (ج ۲)، ص: ۷۶

الحرام للتبليغ بالحق والتعريف به وبنهضته المقدسة؟!

إنها ثغرة من ثغرات التاريخ المبهم، وعرثه من عثراته المؤلمة!

الخطبة الأولى ص : ۷۶

إشارة

قال المحقق المتبع الشيخ السماوى قدس سره: «ولما جاء كتاب مسلم الى الحسين عزم على الخروج، فجمع أصحابه فى الليلة الثامنة من ذى الحجة فخطبهم ..» (۱).

غير أن السيد ابن طاووس قدس سره لم يذكر أنه خطبها فى أصحابه، بل قال: «وروى أنه عليه السلام لما عزم على الخروج الى العراق قام خطيباً...» (۲).

وقال ابن نما قدس سره: «ثم قام خطيباً...» (۳).

وقد استفاد من نص ابن طاووس وابن نما أن الإمام عليه السلام خطب هذه الخطبة فى الناس فى مكة لا فى خصوص أصحابه. والخطبة هى:

«الحمد لله، ما شاء الله، ولا قوة إلا بالله، وصلى الله على رسوله، خط الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة، وما أولهنى إلى أسلافى اشتياق يعقوب الى يوسف، وخير لى مصرع أنا لاقيه، كأنى بأوصالى تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكر بلا فيملأن منى أكرشاً جوفاً وأجره سغباً، لا محيص عن يوم خط بالقلم، رضى الله رضانا أهل البيت، نصبر على بلائه ويوفينا أجر الصابرين، لن

تشذ عن رسول الله صلى الله عليه وآله لحمته، وهي مجموعة له في حظيرة القدس، تقرّبهم عينه، وينجز بهم وعده، من كان باذلاً فينا مهجته

مع الركب الحسيني (ج ۲)، ص: ۷۷

وموطناً على لقاء الله نفسه فليرحل معنا فإنني راحل مصباحاً إن شاء الله تعالى» (۱) .

مع الركب الحسيني (ج ۲)، ص: ۷۸

ملاحظات مستفاده من هذه الخطبة الشريفة: ص : ۷۸

۱- شبه الإمام عليه السلام حتمية عدم انفلات الإنسان من طوق قهريه الموت بعدم انفلات عنق الفتاة من طوق القلاد المحكم، وتشبيه الموت بالقلادة على جيد الفتاة وهي زينة لها إلفاته رائعة إلى أن الموت خطوة تكاملية في مسار حركة الإنسان التكوينية، وهو زينة للمؤمن خاصة في مسار حركة المصير لكونه معبراً للمؤمن من دار العناء والتراحم والإبتلاء والشدائد الى دار النعيم والجزاء الأوفى والسعادة الأبدية، ولاشك أن الشهادة وهي أفضل وأشرف الموت أخرى بحقيقه الزينه من مطلق الموت، ولا يؤتاها إلا ذو حظ عظيم.

۲- في قوله عليه السلام: «خير لي مصرع أنا لاقيه» إشارة إلى أن هذا المصراع اختيار إلهي لا على نحو القهر والجبر طبعاً، بل على نحو التشريف بكرامة التكليف في الظروف الصعبة الخاصة المؤدية إلى أن يتحرك الإمام عليه السلام نحو هذا المصراع تعبداً وامثالاً لأمر الله تعالى في أداء هذا التكليف في مثل تلك الظروف.

كما أن في قوله هذا إشارة إلى علمه بمصيره ومآل أمره.

۳- في قوله عليه السلام: «لامحيص عن يوم حُطّ بالقلم» إشارة جلية إلى حتمية وقوع هذا المصراع، وتحقق ذلك المصير قضاء من الله تعالى، لا على نحو القهر والجبر كذلك، بل على نحو أن حركة الأحداث في علم الله تبارك وتعالى ستؤول في النهاية بمشيئة الله تعالى إلى تحقق هذا المصراع وبالكيفية التي وقع بها.

۴- في هذه الخطبة ركز الإمام عليه السلام على أن مصيره في التوجه إلى العراق هو القتل، وأشار إلى بشاعة القتل بأن أوصاله تقطعها عسلان الفلوات بين النوايس

مع الركب الحسيني (ج ۲)، ص: ۷۹

وكرباء، ولعل في قوله عليه السلام بين النوايس وكرباء إشارة إلى امتداد الجيش الأموي وكثافته الشديدة على امتداد ما بين هاتين المنطقتين ..

وشرط على من يلتحق به أن يكون باذلاً في موالة أهل البيت عليهم السلام مهجته، وموطناً على لقاء الله نفسه، أي لا مصير إلا القتل والصبر على السيوف والأسنة!

فماذا اراد الإمام عليه السلام من وراء ذلك .. ولماذا!!؟

إن القائد الرباني في حركته نحو تحقيق أهدافه يسعى كغيره من القادة إلى تهيئة العدة والعدد ويتوسل الى ذلك بالأسباب الظاهرة المألوفة، ولكنه يختلف عن القادة الساعين الى تحقيق النصر الظاهري فقط في أنه لا- يتغى الأعوان كيفما كانوا، بل القائد الرباني يتغى أعواناً ربانيين من نوعه، هدفهم الأساس في كل ما هم ساعون إليه مرضاء الرب تبارك وتعالى، أعواناً هادين مهدين، مصرين على المضى في طريق ذات الشوكة مع علمهم بمصيرهم، ومن أولئك تتشكل العدة الحقيقية للقائد الرباني التي يرسم بحسبها خطة الفعل ونوع المواجهة، فهو لا- يعتمد في رسم خطط ونوع المواجهة على كل من التحق به، وكثير منهم الطامعون وأهل الريبة والعصيان، فلا بد من تمحيصهم، ولا بد من تنقية الركب الحسيني من كل أولئك قبل الوصول الى ساحة المواجهة، ولذا كان لا بد من أن يختبر حقيقة التيات والعزائم بالإعلام والتأكيد على أن المصير هو القتل والصبر على السيوف والأسنة، وأن ذلك لا يقوى عليه إلا

بأذل في حقيقة الموالاة مهجته، موطن على لقاء الله نفسه!!

وهذا الإختبار من سنن منهج القيادة الربانية، وقد حدثنا القرآن الحكيم عن هذه السنة في إختبار النهر على يد طالوت عليه السلام:

«فلما فصل طالوت بالجنود قال إن الله مبتليكم بنهر، فمن شرب منه فليس

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٨٠

منى، ومن لم يطعمه فإنه منى، إلا من اغترف غرفة بيده، فشرّبوا منه إلا قليلاً منهم، فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده، قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين» (١).
يُضاف الى ذلك أنّ القائد الرباني حينما يُطلع أنصاره على ما سوف يلقى ويلقونه من مصير وما سوف يواجهونه من شدائد ومكاره يكون بذلك قد فتح لهم باب علو الدرجة وسمو المنزلة والمثوبة العليا عند الله تبارك وتعالى في حال إصرارهم على المضى على طريق الجهاد في سبيل الله.

والمأمل في تفاصيل حركة الإمام الحسين عليه السلام يرى أنّ الإمام عليه السلام كان قد دأب على الإخبار بمصرعه منذ أن كان في المدينة، وفي الطريق الى مكة، وفي مكة، وفي منازل الطريق منها الى العراق، مغرباً بذلك الركب الحسيني من جميع من أرادوا الدنيا من وراء الإلتحاق به، ولم يكتف بذلك بل عرّض حتى الصفوة الخالصة من أنصاره لهذا الإختبار، لتعلو بثباتهم درجاتهم الرفيعة عند الله تبارك وتعالى، وهكذا كان، حتى رأوا منازلهم في الجنة عياناً تلکم العشيّة، ثم في الغد الرهيب نراه عليه السلام قد رسم خطته الحربية على أساس قوته الحقيقية المؤلفة من تلکم الصفوة القليلة الخالصة من كل شائبة!

٥- في قوله عليه السلام: «لن تشدّ عن رسول الله صلى الله عليه وآله لحمته، وهي مجموعته له في حظيرة القدس، تقرّ بهم عينه، وينجز بهم وعده...» إشارة إلى أنّ مسار أهل البيت عليهم السلام امتداد لمسار رسول الله صلى الله عليه وآله، وهم معه في درجته ومنزلته، وتقرّ عين الرسول صلى الله عليه وآله بما

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٨١

جعل الله لهم وخصّهم به من كرامة الدنيا والآخرة (١). ولعل في قوله عليه السلام «وينجز بهم وعده» إشارة إلى أنّ الوعد الإلهي بإظهار دين الله على الدين كله على كلّ الأرض سيتحقق في النهاية على يد رجل من أبناء رسول الله صلى الله عليه وآله ومن أبناء الحسين عليه السلام هو الإمام المهدي المنتظر عليه السلام (٢).

الخطبة الثانية ص : ٨١

إنّ التأمل في محتوى الخطبة الثانية وعدم ارتباط مضامينها بمضامين الخطبة الأولى يقوّي الظنّ في أنّ مناسبة الخطبة الثانية بعيدة عن مناسبة الخطبة الأولى زماناً ومكاناً، غير أنّ الحائري صاحب كتاب معالي السبطين أورد الخطبة الأولى نقلًا عن اللهوف لابن طاووس، ثمّ قال بعدها: «وخطب بعدها هذه الخطبة...» وأورد الخطبة الثانية، علماً بأنّ اللهوف لم يحتو لا على هذه الإشارة ولا على الخطبة الثانية نفسها! والله العالم عن أيّ مصدر أخذ صاحب معالي السبطين هذه الخطبة وتلكم الإشارة.

ونحن نورد هذه الخطبة هنا بعد الخطبة الأولى، لأنّ هذا الفصل يختصّ بكلّ

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٨٢

ما يرتبط بحركة الإمام عليه السلام في مكة المكرمة، ولأنّ من المحتمل أن يكون الإمام عليه السلام قد اشار عقيب الخطبة الأولى بالإشارات الأخلاقية التي تضمنتها مقاطع الحكم القصار التي احتوتها الخطبة الثانية.

والخطبة الثانية هي:

«إنّ الحلم زينته، والوفاء مروّة، والصلة نعمة، والإستكبار صلف، والعجلة سفه، والسفه ضعف، والغلو ورطة، ومجالسة أهل الدناءة شرّ،

ومجالسة أهل الفسق ريبه» (١).

يوم الخروج من مكة المكرمة ص : ٨٢

روى الشيخ المفيد قدس سره، وكذلك الطبرى روى عن أبى مخنف أن يوم خروج الإمام الحسين عليه السلام من مكة متجهاً الى العراق كان يوم الثامن من ذى الحجة: «ثم خرج منها لثمان مضي من ذى الحجة، يوم الثلاثاء، يوم الترويه، فى اليوم الذى خرج فيه مسلم بن عقيل» (٢)، وهذا هو المشهور.

لكن المزي وابن عساكر ذكرا أن خروجه عليه السلام من مكة كان فى يوم الإثنين فى العاشر من ذى الحجة سنة ستين: «فخرج متوجهاً إلى العراق فى أهل بيته وستين شيخاً من أهل الكوفة، وذلك يوم الإثنين فى عشر من ذى الحجة سنة ستين» (٣).

لكن السيد ابن طاووس قدس سره قال: «كان قد توجه الحسين عليه السلام من مكة يوم

معالركب الحسينى (ج ٢)، ص: ٨٣

الثلاثاء لثلاث مضي من ذى الحجة» (١).

وأما سبط ابن الجوزى فقد قال فى تذكره الخواص: «وأما الحسين عليه السلام فإنه خرج من مكة سابع ذى الحجة سنة ستين ...» (٢). ولا يخفى أن المشهور هو الصحيح والقول الفصل لأنه ورد عن لسان الإمام عليه السلام نفسه فى رسالته الثانية إلى أهل الكوفة، حيث قال فيها:

«... وقد شخصت إليكم من مكة يوم الثلاثاء لثمان مضي من ذى الحجة يوم الترويه ...» (٣).

وروى ابن كثير فى تاريخه عن الزبير بن بكار عن محمد بن الضحاك أن الإمام الحسين عليه السلام لما أراد الخروج من مكة الى الكوفة مرّ بباب المسجد الحرام وقال:

لا ذعرت السوام فى فلق الصبح مغيراً ولا دُعيت يزيداً

يوم أعطى مخافة الموت ضيماً والمنايا يرصدننى أن أحيداً» (٤)

لماذا أصرَّ الإمام عليه السلام على مغادرة مكة أيام الحج؟ ص : ٨٣

إشارة

فى حركة أحداث النهضة الحسينية هناك مجموعة من الوقائع ملفتة للانتباه

معالركب الحسينى (ج ٢)، ص: ٨٥

ومثيرة للإستغراب وداعية إلى التساؤل عن العلّة من ورائها، ومن أبرز هذه الوقائع خروج الإمام الحسين عليه السلام من مكة فى يوم الترويه، وللمؤرخين والمحققين والفقهاء تعاليق وآراء فى صدد هذه الواقعة نورد منها هنا ثلاثة أقوال، أحدها للعلامة المجلسى (ره) والثانى للشيخ التستري (ره) والثالث للسيد المرتضى (ره)، ولنا بينها رأى وإيضاح:

تعليقة العلامة المجلسى قدس سره ص : ٨٥

قال العلامة المجلسى فى بحار الأنوار: «قد مضى فى كتاب الإمامة وكتاب الفتن أخبار كثيرة دالة على أن كلاً منهم عليهم السلام كان مأموراً بأمور خاصة مكتوبة فى الصحف السماوية النازلة على الرسول صلى الله عليه وآله فهم كانوا يعملون بها. ولا ينبغى قياس الأحكام المتعلقة بهم على أحكامنا، وبعد الاطلاع على أحوال الانبياء عليهم السلام، وأن كثيراً منهم كانوا يبعثون فرادى على ألوف

من الكفرة،

ويدعونهم الى دينهم، ولا يبالون بما ينالهم من المكاره والضرب والحبس والقتل والإلقاء في النار وغير ذلك. لا ينبغي الاعتراض على أثمة الدين في أمثال ذلك، مع أنه مع ثبوت عصمتهم بالبراهين والنصوص المتواترة لا مجال للاعتراض عليهم، بل يجب التسليم لهم في كل ما يصدر عنهم.

على أنك لو تأملت حق التأمل علمت أنه عليه السلام فدى نفسه المقدسة دين جده، ولم يتزلزل أركان دوله بنى أمية إلا بعد شهادته، ولم يظهر للناس كفرهم وضلالتهم إلا عند فوزه بسعادته. ولو كان عليه السلام يسالمهم ويوادعهم كان يقوى سلطانهم، ويشتهبه على الناس أمرهم، فتعود بعد حين أعلام الدين طامسة، وآثار الهداية مندرسة، مع أنه قد ظهر لك من الاخبار السابقة أنه عليه السلام هرب من المدينة

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٨٦

خوفاً من القتل الى مكة، وكذا خرج من مكة بعدما غلب على ظنة أنهم يريدون غيخته وقتله، حتى لم يتيسر له - فداه نفسى وأبى وأمى وولدى - أن يتم حجه، «١» فتحلل وخرج منها خائفاً يترقب، وقد كانوا لعنهم الله ضيقوا عليه جميع الأقطار، ولم يتركوا له موضعاً للفرار.

ولقد رأيت في بعض الكتب المعتبرة أن يزيد أنفذ عمرو بن سعيد بن العاص في عسكر عظيم، وولاه أمر الموسم، وأمره على الحاج كلهم، وكان قد أوصاه بقبض الحسين عليه السلام سرّاً، وإن لم يتمكن منه يقتله غيلة، ثم إنه دسّ مع الحاج في تلك السنة ثلاثين رجلاً من شياطين بنى أمية، وأمرهم بقتل الحسين عليه السلام على أي حال اتفق، فلما علم الحسين عليه السلام بذلك حلّ من إحرام الحجّ وجعلها عمرة مفردة. «٢»

وقد روى بأسانيد أنه لما منعه عليه السلام محمد بن الحنفية عن الخروج الى الكوفة قال:

والله يا أخى لو كنت فى حُجر هامة من هوامّ الأرض لاستخرجونى منه حتى يقتلونى! «٣»

بل الظاهر أنه صلوات الله عليه لو كان يسالمهم ويبياعهم لا يتركونه لشدة عداوتهم وكثرة وقاحتهم، بل كانوا يغتالونه بكل حيلة، ويدفعونه بكل وسيلة، وإنما كانوا يعرضون البيعة عليه أولاً لعلمهم بأنه لا يوافقهم فى ذلك، ألا ترى إلى مروان لعنه الله كيف كان يشير على والى المدينة بقتله قبل عرض البيعة عليه، وكان عبيد الله بن زياد عليه لعائن الله إلى يوم التناد يقول: عرضوا عليه فليزل على

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٨٧

أمرنا ثم نرى فيه رأينا، ألا ترى كيف آمنوا مسلماً ثم قتلوه!!

فأما معاوية لعنه الله فإنه مع شدة عداوته وبغضه لأهل البيت عليهم السلام كان ذا دهاء ونكراء وحزم، وكان يعلم أن قتلهم علانية يوجب رجوع الناس عنه وذهاب ملكه وخروج الناس عليه، فكان يداريهم ظاهراً على أي حال، ولذا صالحه الحسن عليه السلام ولم يتعرض له الحسين، ولذلك كان يوصى ولده اللعين بعدم التعرض للحسين عليه السلام لأنه كان يعلم أن ذلك يصير سبباً لذهاب دولته... «١»

تعليق الشيخ جعفر التستري قدس سره ص: ٨٧

إشارة

وللشيخ التستري كلام عميق فى تفسير سرّ إصدار الإمام الحسين عليه السلام على مغادرة مكة أيام الحجّ والخروج الى العراق، يقول قدس سره:

«كان للحسين عليه السلام تكليفان واقعي وظاهري:

أما الواقعي ص : ٨٧

الذي دعاه للإقدام على الموت، وتعرض عياله للأسر وأطفاله للذبح مع علمه بذلك، فالوجه فيه أن عتاه بنى أمية قد اعتقدوا أنهم على الحق وأن علياً وأولاده وشيعتهم على الباطل «٢» حتى جعلوا سببه من أجزاء صلاة الجمعة، وبلغ الحال ببعضهم أنه نسي اللعن في خطبة الجمعة فذكره وهو في السفر فقضاه! وبنوا مسجداً سموه «مسجد الذكر»، فلو بايع الحسين عليه السلام يزيد وسلم الأمر إليه لم يبق من الحق أثر، فإن كثيراً من الناس يعتقد بأن المحالفه لبني أمية دليل استصواب رأيهم وحسن سيرتهم، وأما بعد محاربة الحسين عليه السلام لهم

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٨٨

وتعرض نفسه المقدسة وعياله وأطفاله للفواح التي جرت عليهم فقد تبين لأهل زمانه والأجيال المتعاقبة أحقيته بالأمر وضلال من بغى عليه.

وأما التكليف الظاهري ص : ٨٨

فلأنه عليه السلام سعى في حفظ نفسه وعياله بكل وجه فلم يتيسر له، وقد ضيقوا عليه الأقطار حتى كتب يزيد إلى عامله على المدينة أن يقتله فيها، فخرج منها خائفاً يترقب، فلاذ بحرم الله الذي هو أمن الخائف وكهف المستجير، فجدوا في إلقاء القبض عليه أو قتله غيلة ولو وجد متعلقاً بأستار الكعبة، فالتزم بأن يجعل إحرامه عمره مفردة وترك التمتع بالحج، فتوجه إلى الكوفة لأنهم كاتبوه وبايعوه وأكدوا المصير إليهم لإنقاذهم من شرور الأمويين، فألزمه التكليف بحسب الظاهر إلى موافقتهم إتماماً للحجة عليهم لئلا يعتذروا يوم الحساب بأنهم لجأوا إليه واستغاثوا به من ظلم الجائرين فاتهمهم بالشقاق ولم يُغثهم، مع أنه لو لم يرجع إليهم فإلى أين يتوجه وقد ضاقت عليه الأرض بما رحبت، وهو معنى قوله لابن الحنفية: لو دخلت في حجر هامة من هذه الهوام لاستخرجوني حتى يقتلوني! «١».

تمام الحق في القول ... ص : ٨٨

وأقول: لاشك في دقة جل المضامين التي طرحها الشيخ التستري أعلى الله مقامه، خصوصاً في الإلفات إلى أن للإمام عليه السلام تكليفين أحدهما ظاهري وآخر واقعي هما في طول بعضهما ولا تنافي بينهما، وقد أجاد قدس سره في تفصيل هذه الإلفات التي هي من جديد ما قدمه الشيخ التستري في وقته، لكن لنا تحفظاً على قوله قدس سره: «مع أنه لو لم يرجع إليهم - أي إلى أهل الكوفة - فإلى أين يتوجه وقد ضاقت عليه الأرض بما رحبت ...» ذلك لأن هناك أكثر من رواية تاريخية تفيد أنه

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٨٩

كان بإمكانه عليه السلام أن يتوجه إلى اليمن مثلاً ومناطق أخرى غيرها، فهذا محمّد بن الحنفية يقول له:

«تخرج إلى مكة، فإن اطمأنت بك الدار بها فذاك، وإن تكن الأخرى خرجت إلى بلاد اليمن، فإنهم أنصار جدك وأبيك، وهم أرف الناس وأرقهم قلباً وأوسع الناس بلداً، فإن اطمأنت بك الدار وإلا بالرمال وشعوب الجبال، وجزت من بلد إلى بلد، حتى تنظر ما يؤول إليه أمر الناس، ويحكم الله بيننا وبين القوم الفاسقين» «١».

وهذا الطرمّاح يقول له:

«فإن أردت أن تنزل بلداً يمنعك الله به حتى ترى من رأيك ويستبين لك ما أنت صانع، فسر حتى أنزلك مناع جبلنا الذي يُدعى (أجاً)، فأسير معك حتى أنزلك (القرية)». «٢»

وفي نص آخر:

«فإن كنت مجمعاً على الحرب فانزل (أجأ) فإنه جبل منيع، والله ما نالنا فيه ذلٌ قط، وعشيرتي يرون جميعاً نصرَك، فهم يمنعونك ما أقمت فيهم». (٣)

إذن فالحق في هذه النقطة ليس كما ذهب إليه الشيخ التستري قدس سره في أنه عليه السلام لم يكن له ملجأ يتوجه إليه من مكة إلا الكوفة.

ولعل الصواب في هذه المسألة إضافة إلى ما تفضل به العلامة المجلسي قدس سره

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٩٠

والشيخ التستري قدس سره هو: أن الإمام عليه السلام أراد أن (ينجو) من أن يُقتل في المدينة أو في مكة خاصة، قتله يُقضى بها على ثورته في مهدها، وتهتك بها حرمة البيت:

«ياأخي، قد خفت أن يغتالني يزيد بن معاوية في الحرم فأكون الذي يُستباح به حرمة هذا البيت.» (١)

، حيث يتمكن الأمويون في كل ذلك أن يدعوا أنهم بريئون مما جرى على الإمام عليه السلام سواء في المدينة أو في مكة أو في الطريق، فيحافظوا بذلك على الإطار الديني لحكمهم، أو أن تزداد المصيبة سوءاً حين يطالبونهم بدم الإمام عليه السلام، فيقتلون من أمره هم بقتله! أو يتهمون بريئاً ليقتلوه! فيخدعون الناس بادعائهم أنهم أصحاب دمه الآخذون بثأره، فيزداد الناس انخداعاً بهم ومحبة لهم وتصديقاً بما يستظهرون من التدين والالتزام، فتكون المصيبة على الإسلام والأمة الإسلامية أدهى وأمرًا! ... فحيث إن لم يبايع يقتل، فقد سعى عليه السلام ألا يقتل في ظروف زمانية ومكانية وبكيفية يختارها ويخطط لها ويعدها العدو، وسعى عليه السلام بمنطق الشهيد الفاتح أن يتحقق مصرعه الذي لا بد منه على أرض يختارها هو، ولا يستطيع العدو فيها أن يعتّم على مصرعه، فتختنق الأهداف المرجوة من وراء هذا المصرع الذي سيهز الأعماق في وجدان الأمة ويحركها بالإتجاه الذي أراده الحسين عليه السلام، كما سعى عليه السلام أن تجرى وقائع المأساة في وضوح النار لا في ظلمة الليل ليرى جريان وقائعها أكبر عدد من الشهود، فلا يتمكن العدو من أن يعتّم على هذه الوقائع الفجيعة ويغطي عليها، ولعل هذا هو الهدف المنشود من وراء العامل الإعلامي والتبليغي في طلب الإمام عليه السلام عصر تاسوعاء أن يمهلهو إلى صبيحة عاشوراء! (٢). فتأمل!

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٩١

قول السيد المرتضى قدس سره ص : ٩١

إشارة

وللسيد الشريف المرتضى أعلى الله مقامه في سرّ إصرار الإمام عليه السلام على التوجه الى الكوفة رأى غريب حيث قال قدس سره: «فإن قيل: ما العذر في خروجه صلوات الله عليه من مكة بأهله وعياله إلى الكوفة، والمستولى عليها أعداؤه، والمتأمّر فيها من قبل يزيد اللعين، منبسط الأمر والنهي؟! وقد رأى صنع أهل الكوفة بأبيه وأخيه صلوات الله عليهما، وأنهم غادرون خوّانون، وكيف خالف ظنه ظنّ جميع نصحاءه في الخروج، وابن عيّاس رحمه الله يشير بالعدول عن الخروج! ويقطع على العطب فيه! وابن عمر لمّا ودّعه عليه السلام يقول له: «أستودعك الله من قتيل» إلى غير ذلك ...

الجواب: ص : ٩١

قلنا قد علمنا أن الإمام متى غلب على ظنه أنه يصل إلى حقه والقيام بما فوّض إليه بضرب من الفعل، وجب عليه ذلك وإن كان فيه ضرب من المشقة يتحمل مثلها، وسيدنا أبو عبد الله عليه السلام لم يسر طالباً الكوفة إلا بعد توثق من القوم، وعهود وعقود، وبعد أن

كاتبوه عليه السلام طائعين غير مكرهين، ومبتدئين غير مجبيين، وقد كانت المكاتبه من وجوه أهل الكوفة وأشرفها وقرائها تقدّمت إليه في أيام معاوية، وبعد الصلح الواقع بينه وبين الحسن عليه السلام فدفعهم وقال في الجواب ما وجب، ثم كاتبوه بعد وفاة الحسن عليه السلام ومعاوية باقٍ، فوعدهم ومناهم، وكانت أيام معاوية صعبة لا يطعم في مثلها، فلما مضى معاوية وأعادوا المكاتبه وبدلوا الطاعه وكزروا الطلب والرغبة، ورأى عليه السلام من قوتهم على ما كان يليهم في الحال من قبل يزيد، وتسلّطهم عليه، وضعفه عنهم ما قوى فيه ظنّه أنّ المسير هو الواجب، تعيّن عليه ما فعله من الإجتهد والتسبب، ولم يكن في حسابانه عليه السلام أنّ القوم يغدر بعضهم، ويضعف أهل الحقّ عن نصرته، ويتفق ما اتفق من الأمور الغريبة، فإنّ

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٩٢

مسلم بن عقيل لما دخل الكوفة أخذ البيعة على أكثر أهلها!...» (١).

وواضح أنّ جواب السيد الشريف المرتضى قدس سره قائم على مبنى أهل التسنن في أنّ الإمام عليه السلام كغيره من الناس يعمل على أساس ما يؤدّي إليه الظن، وهو مأجور على اجتهداده أخطأ أم أصاب إلّا أنّ أجره على الصواب أجزان! وأنّ الإمام لم يكن يعلم منذ البدء بمصيره! وأنّه إنّما قام بسبب رسائل أهل الكوفة!

ويبدو أنّ الشريف المرتضى قدس سره - وهو من أكابر متكلمي الشيعة - قد اعتمد هذا اللون من الإجابة على تلك التساؤلات ليخاطب به العقل السنّي في بغداد آنذاك، والمتسننون آنئذ هم الأكثرية فيها ..

وإلّا فإنّ هذا الجواب مخالف لاعتقاداتنا بالإمامة وأنّ الأئمة عليهم السلام يعلمون ما كان وما هو كائن وما يكون إلى يوم القيامة علماً موهبياً من الله تبارك وتعالى، هذا فضلاً عن الروايات التاريخية الكثيرة التي مفادها أنّ الإمام عليه السلام كان يعلم بمصيره ومصرعه، وأنه كان يخبر عن ذلك حتى في أيام طفولته.

ثمّ إنّ قيام الإمام الحسين عليه السلام ورفضه البيعة ليزيد لم يكن بسبب رسائل أهل الكوفة إليه بعد موت معاوية، ذلك لأنّ الثابت أنّ هذه الرسائل لم تصل إليه إلّا بعد رفضه البيعة وقيامه وخروجه من المدينة ووروده مكّة، وهي لم تصل إليه إلّا بعد حوالي أربعين يوماً من أيامه في مكّة!

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٩٣

عمره التمتع أم عمره مفردة؟ ص: ٩٣

هل بدّل الإمام عليه السلام إحرامه من عمره التمتع إلى العمرة المفردة؟ ص: ٩٣

أم أنه عليه السلام ابتداءً دخل في إحرام العمرة المفردة لعلمه بأنّ الظالمين سوف يصدّونه عن إتمام حجّه؟! إنّ الذي يظهر من بعض المتون التاريخية (١) ومن صريح أقوال بعض المحدّثين هو أنّ الإمام عليه السلام قد بدّل إحرامه من الحجّ أو من عمره التمتع إلى العمرة المفردة.

ولكنّ ظاهر بل صريح بعض النصوص - ومنها نصوص صحيحة - هو أنّ الإمام الحسين عليه السلام قد دخل في إحرام العمرة المفردة ابتداءً ولم يكن ثمة تبديل في الإحرام، وقد تبنّى هذا القول من الفقهاء السيّد محسن الحكيم قدس سره والسيّد

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٩٤

الخوئي قدس سره والسيد السبزواري قدس سره، وأشار إليه بعض المؤرّخين (١).

لقد تعرّض الفقهاء لهذا البحث في مسألة حكم الخروج من مكّة لمن أتى بالعمرة المفردة فأقام إلى هلال ذي الحجّة، فقد ذهب بعضهم إلى القول بوجوب أداء الحجّ فيما لو أدرك يوم التروية، وهو رأى ابن البرّاج (٢) وهو قول نادر. كما ذهب بعض آخر إلى

القول بالاستحباب خصوصاً إذا أقام إلى هلال ذى الحجة ولاسيما إذا أقام في مكة إلى يوم التروية وهو اليوم الثامن، وهو قول صاحب الجواهر (٣).

وبعض الروايات التي مفادها حرمة الخروج حملت على الكراهة استناداً إلى روايات أخرى منها خبر اليماني في أن الإمام الحسين عليه السلام خرج قبل يوم التروية بيوم وقد كان معتمراً. وفيما يلي النصوص ثم كلمات الفقهاء:

١- الكليني: «على بن إبراهيم، عن أبيه، ومحمد بن اسماعيل، عن الفضل بن شاذان، عن حماد بن عيسى، عن إبراهيم بن عمر اليماني، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه سُئِلَ عن رجل خرج في أشهر الحج معتمراً ثم رجع إلى بلاده؟ قال: لا بأس وإن حجَّ في عامه ذلك وأفرد الحج، فليس عليه دم، فإنَّ الحسين بن علي عليهما السلام خرج مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٩٥ قبل التروية بيوم إلى العراق وقد كان دخل معتمراً» (١).

ومفاد هذا الخبر: أن الإمام الحسين عليه السلام لم يكن يوم خروجه من مكة محرماً حتى يحرام العمرة، بل كان قد أحرم للعمرة يوم وروده مكة المكرمة. فتأمل.

وقد عبّر المجلسي في المرأة عن هذا الحديث بالحسن كالصحيح (٢).

ولقد روى الشيخ الطوسي هذا الحديث في التهذيب عن الكليني، غير أن فيه: «إنَّ الحسين خرج يوم التروية» (٣).

وعبّر المجلسي عنه أيضاً في ملاذ الأخيار بالحسن الصحيح (٤).

وقال صاحب الجواهر: «وفي التهذيب: خرج يوم التروية، ولعله الأصح لصحيح معاوية...» (٥).

٢- الكليني: «على بن إبراهيم، عن أبيه، عن اسماعيل بن مزار، عن يونس، عن معاوية بن عمارة، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: من أين افترق المتمتع والمعتمر؟

فقال: إنَّ المتمتع مرتبط بالحج، والمعتمر إذا فرغ منها ذهب حيث شاء، وقد اعتمر الحسين بن علي في ذى الحجة ثم راح يوم التروية إلى العراق والناس يروحون إلى منى، ولا بأس بالعمرة في ذى الحجة لمن لا يريد الحج.» (٦).

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٩٦

وعبّر عنها المجلسي في الملاذ: «مجهول» وقال: «قوله: وقد اعتمر: لعل المراد أن عمره التمتع أيضاً إذا اضطر الإنسان يجوز أن يجعلها عمرة مفردة كما فعله الحسين عليه السلام، ويحتمل أن يكون عليه السلام لعلمه بعدم التمكن من الحج نوى الأفراد ولعله من الخبر أظهر.» (١).

إذن فالمجلسي يرى في الحديث احتمالين:

الأول: التبديل من عمره التمتع إلى عمرة مفردة.

الثاني: أنه عليه السلام منذ البدء قد نوى الأفراد، وليس ثم تبديل.

ويرى المجلسي أن الإحتمال الثاني أظهر من الخبر، لكنه في البحار يصرح بالإحتمال الأول حيث يقول: «ولقد رأيت في بعض الكتب المعبرة... حل من إحرام الحج وجعلها عمرة مفردة.» (٢)

وقال في نفس الصفحة من كتابه قبل هذا: «وكذا خرج من مكة بعدما غلب على ظنه أنهم يريدون غيلته وقتله، حتى لم يتيسر له - فداه نفسى وأبى وأمى وولدى - أن يتم حجة، فتحلل وخرج منها خائفاً يترقب...» (٣).

١- قال السيد محسن الحكيم في مستمسك العروة الوثقى: «... وأما ما في

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٩٧

بعض كتب المقاتل من أنه عليه السلام جعل عمرته عمرة مفردة، ممّا يظهر منه أنها كانت عمرة تمتّع وعدل بها إلى الافراد، فليس مما يصحّ التعويل عليه في مقابل الأخبار المذكورة التي رواها أهل البيت عليهم السلام» (١).

٢- ويقول السيد السبزواري قدس سره في مهذب الأحكام: «... كما يسقط بهما- أي رواية اليماني ورواية معاوية بن عمار- ما في بعض المقاتل من أنّ الحسين عليه السلام بدّل حجّة التمتع إلى العمرة المفردة، لظهورهما في أنه عليه السلام لم يكن قاصداً للحجّ من أوّل الأمر، بل كان قاصداً للعمرة المفردة، فلا يبقى موضوع للتبديل حينئذ.» (٢).

٣- وقال السيد الخوئي في معتمد العروة الوثقى: «لاريب في أنّ المستفاد من الخبرين أنّ خروج الحسين عليه السلام يوم التروية كان على طبق القاعدة لا لأجل الإضطرار» (٣)، ويجوز ذلك لكلّ أحد وإن لم يكن مضطراً، فيكون الخبران- أي خبر اليماني وخبر معاوية- قرينة على الانقلاب إلى المتعة قهراً والإحتباس بالحجّ إنّما هو فيما إذا أراد الحجّ، وأما إذا لم يرد الحجّ فلا يحتبس بها للحجّ ويجوز له الخروج حتى يوم التروية.» (٤).

ومما يضعف القول بوقوع التبديل إلى العمرة المفردة قول المشهور بعدم جواز التبديل إلى العمرة المفردة.

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٩٨

قال الشيخ الوالد قدس سره: «المشهور بين الأصحاب رضوان الله عليهم أنّ من دخل مكة بعمرة التمتع في أشهر الحج لم يجز له أن يجعلها مفردة، ولا- أن يخرج من مكة حتى يأتي بالحجّ لأنها مرتبة (مرتبطة) بالحجّ، نعم عن ابن إدريس القول بعدم الحرمة وأنه مكروه، وفيه أنه مردود بالأخبار.» (١).

كما يضعف أيضاً القول بوقوع التبديل إلى العمرة المفردة هو أنه لو كان لأجل الصدّ ومنع الظالم فإنّ المصدود عن الحجّ يكون إحلاله بالهدى كما أشار إليه الشهيد الأوّل في الدروس (٢) والشهيد الثاني في المسالك (٣).

فلا بدّ إذن من تأويل العبارات التي ظاهرها التبديل، والمهمّ المعوّل عليه هو عبارة الشيخ المفيد قدس سره في الإرشاد: «لأنه لم يتمكن من تمام الحج»، وأمّا القول الوارد في بعض الكتب من أنه عليه السلام: «لم يتمكن من إتمام الحجّ» فهو مما ورد بعد زمان كتاب «الإرشاد» للشيخ المفيد قدس سره، ولعله وقع بسبب تصحيف غير مقصود، أو بسبب تصرّف مقصود قام على عدم التفريق بين «التمام» و«الإتمام»، والله العالم.

هل خرج الإمام عليه السلام من مكة سراً؟! ص : ٩٨

قال المرحوم المحقق الشيخ السماوي في كتاب (إبصار العين): «ولمّا جاء كتاب مسلم إلى الحسين عزم على الخروج، فجمع أصحابه في الليلة الثامنة من

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٩٩

ذى الحجّة، فخطبهم فقال: ..» (١)، ثم أورد خطبته المعروفة بعبارتها الشهيرة «حُطَّ الموت على ولد آدم مخطّ القلادة على جيد الفتاة» والتي ورد في آخرها قوله عليه السلام:

«فمن كان باذلاً فينا مهجته، موطناً على لقاء الله نفسه فليرحل معنا، فإنني راحل مصباحاً إن شاء الله تعالى».

وقد يُستفاد من قول الشيخ السماوي قدس سره: «فجمع أصحابه ..» أنّ هذه الخطبة التي أعلن فيها الإمام عليه السلام عن موعد ارتحاله

عن مكة لم تكن أمام محضر عام، بل كانت في اجتماع خاص اقتصر على أصحابه عليه السلام فقط، فموعد السفر لم يعلم به إلا أصحابه، ولم يخرج الموعد إذن عن كونه سرّاً من أسرار حركة الركب الحسيني من مكة، أي أنّ الإمام الحسين عليه السلام كان قد خرج بركبه من مكة إلى العراق سرّاً!

لكنّ الملفت للانتباه أنّ الشيخ السماوي قدس سره لم يذكر المصدر الذي أخذ عنه قوله «فجمع أصحابه ..»، كما أننا لم نعثر على مصدر من المصادر التاريخية المعروفة والمعتبرة- والتي يحتمل أنّ الشيخ السماوي قدس سره قد أخذ عنها- كان قد ذكر هذه العبارة «فجمع أصحابه ..».

بل إنّ المصادر التي ذكرت هذه الخطبة بالذات لم تذكر تلك العبارة، ففي اللهوف: «وروى أنّه عليه السلام لما عزم على الخروج إلى العراق قام خطيباً فقال: ..» (٢)، وفي مثير الأحران: «ثم قام خطيباً فقال: ..» (٣)، وفي كشف الغمّة: «ومن كلامه عليه السلام لما عزم على الخروج إلى العراق، قام خطيباً فقال: ..» (٤).

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ١٠٠

هذه هي المصادر الأساسية التي نعلم أنها ذكرت هذه الخطبة ..

ومع هذا، فإنّ خروج الإمام عليه السلام من مكة لم يكن سرّاً حتى على فرض أنّ الإمام عليه السلام كان قد خطب هذه الخطبة في أصحابه فقط، ذلك لأنّ الذين كانوا ملتفتين حول الإمام عليه السلام وهو في مكة كثيرون، وفيهم من يريد الدنيا وفيهم من يريد الآخرة، ولم يُغربل هذا الجمع الكبير إلّا في منازل الطريق إلى العراق منزلاً بعد منزل حتى لم يبق معه إلا الصفوة التي استشهدت بين يديه في الطف. فمن البعيد جداً أن تكون حركة الركب الحسيني من مكة إلى العراق سرّاً، والمحيطون بالإمام عليه السلام في مكة آنذاك خليط من أناس نواياهم شتى، ثم هل يُتصوّر أنّ حركة الركب الحسيني وهو كبير نسبياً في مكة المكرمة وهي آنذاك صغيرة نسبياً- بكلّ ما تستلزمه حركة مثل هذا الركب الكبير من مقدمات واستعدادات- تخفى عن أعين السلطة الذين كانوا يتحسسون الصغيرة والكبيرة من حركة الإمام عليه السلام!؟

يذهب بعض المحققين المتبعين إلى عكس ما أورده الشيخ السماوي قدس سره حيث يقول: «ولما عزم الإمام عليه السلام على مغادرة الحجاز والتوجه إلى العراق أمر بجمع الناس ليلقى عليهم خطابه التأييدي، وقد اجتمع إليه خلق كثير في المسجد الحرام من الحجاج وأهالي مكة، فقام فيهم خطيباً، فاستهلّ خطابه بقوله ..» (١)، ثم أورد تلكم الخطبة نفسها.

ومن الأدلّة على أنّ خروج الإمام الحسين عليه السلام من مكة لم يكن سرّاً أنّ والي مكة يومئذ عمرو بن سعيد بن العاص أمر صاحب شرطته باعتراض الركب الحسيني عند الخروج، يقول التاريخ: «ولما خرج الحسين من مكة اعترضه صاحب شرطته أميرها عمرو بن سعيد بن العاص في جماعة من الجند.

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ١٠١

فقال: إنّ الأمير يأمرك بالإنصاف فانصرف وإلا منعك.

فامتنع عليه الحسين، وتدافع الفريقان، واضطربوا بالسياط.

وبلغ ذلك عمرو بن سعيد، فخاف أن يتفاقم الأمر، فأرسل إلى صاحب شرطته يأمره بالإنصاف.» (١).

إذن فخروج الركب الحسيني من مكة لم يكن سرّاً، وهذا لا ينافي الحقيقة

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ١٠٢

التاريخية في أنّ الإمام الحسين عليه السلام قد استبق الأحداث والزمان فخرج من مكة مبادراً قبل أن يغتاله الحكم الأمويّ فيها أو يُقبض عليه، لأنّ خروج الإمام عليه السلام من مكة بالركب الحسيني الكبير نسبياً وقتذاك كان على امتناع وأهبة واستعداد لكلّ احتمال، في وقت لم يكن من مصلحة الحكم الأمويّ أن تواجه سلطته المحليّة في مكة- على فرض امتلاكها القوّة العسكرية الكافية-

«١» الإمام الحسين عليه السلام مواجهة حربية عنيفة في مكة أو في أطرافها، لأنّ الأمويين يعلمون ما للإمام الحسين عليه السلام من مكانة سامية عزيزة وقديسة بالغه في قلوب جموع الحجاج الذين لازالوا آنذاك في مكة، فهم يخافون من انقلاب الأمر وتفاقمه عليهم، ولعلّ رواية الدينوري السابقة تشعر بهذه الحقيقة حيث تقول: «.. وبلغ ذلك عمرو بن سعيد، فخاف أن يتفاقم الأمر، فأرسل إلى صاحب شرطته يأمره بالإنصراف».

وعلى ضوء ما تقدّم تتأكد صحة ما تقدّم في الجزء الأول «٢» من هذا الكتاب (مع الركب الحسيني من المدينة إلى المدينة): أن خروج الإمام الحسين عليه السلام من مكة المكرمة (وكذلك من المدينة) في السحر أو في أوائل الصباح في ستر الظلام من أجل ألاّ تتصفح أنظار الناس في مكة (وكذلك في المدينة) في وضوح النهار حرائر مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ١٠٣

بيت العصمة والرسالة والنساء الأخريات في الركب الحسيني، وهذا هو السبب الأقوى - إن لم يكن السبب الوحيد - في مجموعة الأسباب التي دفعت الإمام عليه السلام إلى الخروج في السحر أو في أوائل الصباح، وهذا ما يتناسب تماماً مع الغيرة الحسينية الهاشمية.

لماذا حمل الإمام عليه السلام النساء والأطفال معه؟! ص : ١٠٣

في السحر الذي أرتحل فيه الإمام الحسين عليه السلام خارجاً عن مكة إلى العراق كان أخوه محمد بن الحنفية (رض) قد هرع إليه، حتى إذا أتاه أخذ زمام ناقته التي ركبها «فقال له: يا أخي، ألم تعدني النظر فيما سألتك؟! قال عليه السلام: بلى!

قال: فما حداك على الخروج عاجلاً؟

فقال عليه السلام: أتاني رسول الله صلى الله عليه وآله بعدما فارقتك فقال: يا حسين، أخرج فإنّ الله شاء أن يراك قتيلاً!

فقال له ابن الحنفية: إنّنا لله وإنا إليه راجعون، فما معنى حملك هؤلاء النساء معك وأنت تخرج على مثل هذه الحال؟! فقال له عليه السلام: قد قال لي: إنّ الله قد شاء أن يراهنّ سبايا!

وسلم عليه ومضى». «١»

وفي إحدى محاوراته عليه السلام مع ابن عباس (رض):

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ١٠٤

قال له ابن عباس: «جُعِلت فداك يا حسين، إن كان لابدّ من المسير إلى الكوفة فلا تَسِرْ بأهلك ونسائك، فوالله إنّي لخائف أن تقتل

...

فقال عليه السلام: يا ابن العمّ، إنّي رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله في منامي وقد أمرني بأمرٍ لا أقدر على خلافه، وإنه أمرني

بأخذهم معي، إنهنّ ودائع رسول الله صلى الله عليه وآله، ولا آمن عليهنّ أحداً، وهنّ أيضاً لا يفارقنني...». «١»

وفي محاورته عليه السلام مع أمّ سلمة (رض) في المدينة:

كان عليه السلام قد قال لها: «يا أمّاه، قد شاء الله عزّ وجلّ أن يراني مقتولاً مذبوحاً ظلماً وعدواناً، وقد شاء أن يرى حرمي ورهطي

ونسائي مشرّدين، وأطفالي مذبوحين مظلومين مأسورين مقيدين وهم يستغيثون فلا يجدون ناصرًا ولا معينًا». «٢»

لقد علّل الإمام عليه السلام حمله لأهله ونسائه معه - في محاوراته مع ثلاثة من أشدّ الناس إخلاصاً له - بأنّ ذلك تحقيق لمشية الله

سبحانه، وامتنال لأمر رسول الله صلى الله عليه وآله، وأنه عليه السلام يخاف أن تتعرض ودائع رسول الله صلى الله عليه وآله للأذى

والمكروه من بعده إذا فارقته وبقين في المدينة أو في مكة! كما علّل ذلك بإصرارهن على الخروج معه! «٣»

معالركب الحسينى (ج ٢)، ص: ١٠٥

فكيف نفهم ملامح الحكمة فى هذه المشيئة الإلهية وهذا الأمر النبوى وفى مخافة الإمام عليه السلام على ودائع النبوة وفى إصرارهن على الخروج معه!؟

ماذا سيجرى على عقائل بيت الرسالة لو بقين خلاف الإمام عليه السلام فى المدينة أو فى مكة مثلاً؟

يرى الشيخ المرحوم عبدالواحد المظفر فى كتابه: (توضيح الغامض من أسرار السنن والفرائض) أن: «الحسين عليه السلام لو أبقي النساء فى المدينة لوضعت السلطة الأموية عليها الحجر، لا بل اعتقلتها علناً وزجتها فى ظلمات السجون، ولا بد له حينئذ من أحد أمرين خطيرين، كل منهما يشل أعضاء نهضته المقدسة!

إما الإستسلام لأعدائه وإعطاء صفقته لهم طائعاً ليستنقذ العائلة المصونة، وهذا خلاف الإصلاح الذى ينشده وفرض على نفسه القيام به مهما كلفه الأمر من الأخطار، أو يمضى فى سبيل إحياء دعوته ويترك المخدرات اللواتى ضرب عليهنّ الوحي ستراً من العظمة والإجلال، وهذا ما لا تطبق احتماله نفس الحسين الغيور.

ولا يردع أمية رادع من الحياء، ولا يجرها زاجر من الإسلام، إن أمية لا يهّمها اقتراف الشائن فى بلوغ مقاصدها وإدراك غاياتها، فتتوصل إلى غرضها ولو بارتكاب أقبح المنكرات الدينية والعقلية!

ألم يطرق سمعك سجن الأمويين لزوجة عمرو بن الحمق الخزاعى، وزوجة عبيدالله بن الحرّ الجعفى، وأخيراً زوجة الكميّ الأسدى؟». (١)

معالركب الحسينى (ج ٢)، ص: ١٠٦

وهذا الإحتمال الذى نظر إليه الشيخ المظفر (ره) وارد بقوة، لأن السلطة الأموية كانت تريد منع الإمام عليه السلام من القيام والخروج الى العراق بكلّ وسيلة، حتى وإن كانت هذه الوسيلة اعتقال الودائع النبوية من نساء وأطفال يعزّ على الإمام الحسين عليه السلام تعرّضهم للأذى والإهانة والسجن، فيضطرّ الى التحرك لإنقاذهم، الأمر الذى يشل حركة النهضة أو يقضى عليها!

وإمكان إقدام السلطة الأموية على مثل هذه الفعل لا يحتاج إلى أدنى تأمل، لقد كان ضغط السلطة الأموية على المناهضين لها وإحراجها إياهم من خلال إيذاء عوائلهم وإرهابها وسجنها سنّة من سنن الحكم الأموى، وإضافة الى الأمثلة التى قدّمها الشيخ المظفر (ره)، فإنّ ما قامت به السلطة الأموية فى واقعة الحرّة من انتهاك حرّات الأعراض واستباحتها، بل ما فعلته السلطة الأموية بالودائع النبوية نفسها فى السبى بعد استشهاد الإمام عليه السلام دليل على سهولته مثل هذه الجسارة العظيمة عند طغاة بنى أمية، وبهذا قد يتجلّى لنا هنا بعد من أبعاد الحكمة فى الأمر النبوى بحملهن!

وهذا المحذور- حدث تعرّض الودائع النبوية للأذى والسجن- سواء وقع قبل خروج الإمام عليه السلام (من المدينة أو مكة)، أو بعد خروجه (وقبل استشهادها)، سيكون حدثاً خارجاً عن مسار حركة أحداث النهضة وأجنيباً عنها، وذا أثر مضادّ لمتّجه آثارها، بخلاف ما إذا وقع هذا الحدث فى إطار حركة أحداث هذه النهضة وفى مسارها المرسوم، إذ إنه يكون حينذاك امتداداً لها، وتبليغاً بحقائقها، وتحقيقاً لغاياتها.

معالركب الحسينى (ج ٢)، ص: ١٠٧

فكان لا بدّ للإمام عليه السلام من حمل هذه الودائع العزيزة ونسائه معه كيلا يعوّق العدو من خلالها على مسار النهضة المقدسة. ومع تفويت الإمام عليه السلام الفرصة على أعدائه بذلك- والحمد لله الذى جعل أعداء أهل البيت عليه السلام من الحمقى- كان الإمام عليه السلام عالماً منذ البدء بضرورة حمل هذه الودائع النبوية معه تحقيقاً (لمسيرة التبليغ الكبرى)- بعد استشهادها- بدواعى النهضة الحسينية، وبأهدافها، وبمظلومية أهل البيت عليه السلام وأحقّيتهم بالخلافه، وبحقيقة كفر آل أمية ونفاقهم وعدائهم للإسلام الحقّ وأهله.

كان الإمام عليه السلام عالماً منذ البدء بضرورة هذه المسيرة الإعلامية التبليغية الكبرى من بعده، والتي ينهض بأعبائها بقيّة الله الإمام السّجّاد عليه السلام وودائع النبوة في أيام السبي والترحيل من بلد إلى بلد، إذ لولا هذه المسيرة الإعلامية التبليغية لما كان يمكن للثورة الحسينية أن تحقّق كامل أهدافها في عصرها وفي مابعد من العصور إلى قيام الساعة، ولعلّ هاهنا مكمّن السرّ في «إنّ الله قد شاء أن يراهنّ سبايا»، وفي الأمر النبوي بحملهنّ.

إذن فحمل الإمام عليه السلام لودائع النبوة معه ضرورة من ضرورات نجاح الثورة الحسينية، وكان لابدّ للإمام عليه السلام أن يقوم بذلك حتى ولو لم يكن هناك احتمال لتعرض هذه الودائع النبوية للأذى والسجن إذا بقين خلاف الإمام عليه السلام في المدينة أو مكة! فما بالك واحتمال سجنهنّ واردة بقوة؟

والمتمامل في تفاصيل ماجرى على بقيّة الركب الحسيني بعد استشهاد الإمام عليه السلام حتى عودتهم إلى المدينة المنورة يشاهد بوضوح الأثر العظيم المترتب على العمل الإعلامي والتبليغي الكبير الذي قام بأعبائه أعلام بقيّة الركب الحسيني، مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ١٠٨

ويؤمن أنّ الثورة الحسينية لم تكن لتصل إلى تمام غاياتها لو لم تكن تلك الودائع النبوية في الركب الحسيني. (١)
مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ١١٠

أمّا قوله عليه السلام: «وهنّ أيضاً لا يفارقنني!» الحاكي عن إصرارهنّ على السفر معه وملازمته في رحلة الفتح بالشهادة، فيمكن أن يُفسّر بأنّ الودائع النبوية (خصوصاً بنات أمير المؤمنين عليه السلام وعلى رأسهنّ زينب الكبرى عليها السلام) كنّ قد أصررن على ملازمة الإمام عليه السلام في نهضته لأنهنّ - إضافة إلى البعد العاطفي والتعلّق الروحي بالإمام عليه السلام - كنّ يعلمن بأهمية الدور الإعلامي والتبليغي الذي بإمكانهن القيام به في مسار النهضة خصوصاً بعد استشهاد الإمام عليه السلام، إذ من المحتمل جدّاً أنّ «١» الإمام عليه السلام كان قد أطلعهنّ على تفاصيل ما يجري عليه وعلى من معه، وكشف لهنّ عن أهميّة الدور الذي يمكنهنّ أن يضطلعن بأعبائه من بعده، وإن كان من الثابت عندنا أنّ العقيلة زينب عليها السلام كانت تعلم كلّ ذلك بالعلم اللدني موهبه من الله تبارك وتعالى، فقد وصفها الإمام السّجّاد عليه السلام ذات مرّة بأنها: «عالمه غير معلّمه وفهمه غير مفهّمه!»، «٢» ولقد كشفت هي عليها السلام عن علمها حتى بما يجري

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ١١١

على جثمان أخيها عليه السلام إلى قيام الساعة حينما رأت الإمام السّجّاد عليه السلام وجود نفسه حزناً وهو ينظر إلى مصارع شهداء الطفّ، فقالت: «مالي أراك تجود بنفسك يا بقيّة جدّي وأبي وإخوتي؟ فوالله إنّ هذا لعهد من الله إلى جدّك وأبيك، ولقد أخذ الله ميثاق أناس لا تعرفهم فراعنة هذه الأرض، وهم معروفون في أهل السموات أنهم يجمعون هذه الأعضاء المقطّعة والجسوم المضرجة، فيوارونها وينصبون بهذا الطفّ علماً لقبر أبيك سيّد الشهداء، لا يدرس أثره ولا يحى رسمه على كرور الليالي والأيام، وليجتهدنّ أئمة الكفر وأشياخ الضلال في محوه وتطميّسه فلا يزداد أثره إلّا علوّاً!». «١»

رضى الله عنه رضى الله عنه

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ١١٣

الفصل الثاني ص: ١١٣

إشارة

حركة السلطة الأموية في الأيام المكيّة من عمر النهضة الحسينية

الفصل الثاني: حركة السلطة الأموية في الأيام المكيّة من عمر النهضة الحسينية ص : ١١٥

إشارة

وصل الإمام الحسين عليه السلام إلى مكة المكرمة بعد أن استطاع عليه السلام النفاذ من حصار خطه (البيعة أو القتل) في المدينة المنورة، تلك الخطه التي أرادها يزيد، وتمناها وسعى إلى تنفيذها مروان بن الحكم، لكن الوليد بن عتبة والي المدينة آنذاك تردّد في تنفيذها وتمنى النجاة من تبعاتها. وبذلك كان الإمام الحسين عليه السلام بدخوله مكة المكرمة قد اخترق المرحلة الأولى من الحصار العام الذي بادرت السلطة الأموية إلى فرضه عليه.

ولقد انتاب السلطة الأموية خوف شديد، واعتراها اضطراب لا تماسك معه، وقلق لا استقرار فيه، حينما علمت بدخول الإمام عليه السلام مكة المكرمة في الأيام التي تتقاطع إليها جموع المعتمرين والحجاج من جميع أقطار العالم الإسلامي آنذاك. فهرعت هذه السلطة على جميع مستوياتها إلى اتخاذ التدابير اللازمة لمواصلة فرض الحصار على حركة الإمام عليه السلام من جديد، ولمنع انفلات الأمور في الولايات المهمة عامة وفي الكوفة منها خاصة.

فما إن رُفعت الي يزيد تقارير جواسيسه في الكوفة عن ضعف موقف واليها النعمان بن بشير في مواجهة التحولات الناشئة عن تواجد مسلم بن عقيل عليه السلام فيها، حتى اجتمع يزيد مع مستشار القصر الأموي سرجون النصراني ليتلقى منه مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ١١٦

تعليماته في كيفية معالجة مستجدات الأمور قبل انفلاتها وفقدان السيطرة عليها.

وينتهي الاجتماع باتخاذ قرارات خطيرة شملت عزل بعض الولاة ونشر سلطة بعض آخر، وتوجيه رسائل إلى بعض وجهاء الأمة تدعوهم إلى التدخل وممارسة الضغط على الإمام عليه السلام وبذل قصارى سعيهم لإخراج السلطة الأموية من مأزقها الكبير، ورسائل أخرى أيضاً تضمّنت تهديداً وإنذاراً لأهل المدينة عامة وبنى هاشم خاصة، تحذّرهم من مغبة الإلتحاق بالإمام عليه السلام والانضمام الي حركته.

ومن قرارات هذا الاجتماع أيضاً أن خطّطت حركة النفاق الحاكمة أن تغتال الإمام عليه السلام في مكة، وقد بعثت جمعاً من جلاوزتها بالفعل الي مكة لتنفيذ هذه المهمة، إذا لم تُوفّق هذه الزمرة الغادرة بمساعدة السلطة المحليّة في مكة في محاولة لإلقاء القبض على الإمام عليه السلام وإرساله الي دمشق، هذا على صعيد قرارات السلطة المركزية في الشام.

ولم يقلّ حال السلطات المحليّة في المدينة ومكة والكوفة والبصرة في خوفها وقلقها واضطرابها عن حال السلطة المركزية في الشام، ففي مكة يجتهد واليها في متابعة الصغيرة والكبيرة من حركات الإمام عليه السلام، ويطلب منه البقاء في مكة ويبدل له الأمان والصلة ويتعهّد له بذلك، ثم حيث يُصرّ الإمام عليه السلام على الخروج نرى هذا الوالي يبعث بقوة عسكرية لمنع الإمام عليه السلام من ذلك، ثم يكفّ عن منع الإمام عليه السلام خشية من تفاقم الأمر وانقلابه عليهم.

وفي البصرة نرى ابن مرجانة يبادر الي تهديد أهلها ويحدّرهم من مغبة التمرد والاستجابة لنداء الإمام عليه السلام والانضمام إلى حركته، كما يبادر ابن مرجانة قبيل تركه البصرة الي قتل سليمان بن رزين قدس سره رسول الإمام عليه السلام إلى أشرف البصرة

ورؤساء الأخماس فيها، ثم يبادر مسرعاً لايشيه شيء في سفره الى الكوفة ليستبق الزمن والأحداث في الوصول إليها، وليدير دفعة الأمور هناك في أصعب

معالركب الحسيني (ج ٢)، ص: ١١٧

أيامه والكوفة تكاد تسقط حينها في يد سفير الإمام عليه السلام مسلم بن عقيل رضوان الله تعالى عليه.

نشر ابن مرجانه في الكوفة جواً رهيباً من الرعب والخوف وحبس الأنفاس من خلال أعمال منوعة بادر إليها، منها خطب وبيانات التهديد والوعيد بالتعذيب والتنكيل، ومنها حملة واسعة من ممارسات القمع والاعتقالات، ومنها محاولات اختراق صفوف الثوار بواسطة جواسيس ذوى خبرة وفن من اجل الوصول الى مكان ومخبأ قيادة الثورة في الكوفة، ومنها سلسلة من الإعدامات كان من أبرز ضحاياها نخبة من سفراء النهضة الحسينية، مثل مسلم بن عقيل عليه السلام، وقيس بن مسهر الصيداوى (رض)، وعبدالله بن يقطر (رض)، ومن أبرز ضحاياها أيضاً الوجيه الكوفي الصحابي الشيعي المبرز هاني بن عروة المرادى (رض).

هذا استعراض مجمل لأهم معالم تحرك السلطة الأموية في مواجهة حركة الأحداث الناشئة عن قيام الإمام الحسين عليه السلام في الأيام المكيه من عمر نهضته المباركة.

وفي المتابعة التاريخية لتفاصيل حركة السلطة الأموية في مواجهة قيام الإمام الحسين عليه السلام يحسن بنا على ضوء التسلسل التاريخي أن نقرأ حركة الأحداث في إطار الترتيب التالي:

١- حركة السلطة الأموية المحليه في الكوفة.

٢- حركة السلطة الأموية المركزيه في الشام.

٣- حركة السلطة الأموية المحليه في البصرة.

٤- حركة السلطة الأموية المحليه الجديدة في الكوفة.

٥- حركة السلطة الأموية المحليه في مكة.

معالركب الحسيني (ج ٢)، ص: ١١٨

حركة السلطة الأموية المحليه في الكوفة ص : ١١٨

إشارة

كان والى الكوفة حينما دخلها مسلم بن عقيل عليه السلام هو النعمان بن بشير، «١» فلما رأى النعمان استقبال أهل الكوفة الكبير لمسلم عليه السلام وحفاوتهم البالغة به وتجاوبهم الرهيب معه، خرج إلى المسجد وخطب في الناس يحذّرهم من إثارة الفتنة والفرقة وشق عصا الأمة.

يقول الطبرى: «.. عن أبي الوداك قال: خرج إلينا النعمان بن بشير فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، فاتّقوا الله عباد الله، ولا تسارعوا إلى الفتنة والفرقة، فإنّ فيهما يهلك الرجال وتُسفك الدماء وتغصب الأموال- وكان حليماً ناسكاً يحبّ العافية!- قال: إنى لم أقاتل من لم يقاتلنى، ولا أثب على من لا يثب علىّ، ولا أشاتمكم، ولا أتحرّش بكم، ولا آخذ بالقرف «٢» ولا الظنّه ولا التهمه، ولكنكم إن أبتدتم صفحتكم لى ونكتتم بيعتكم، وخالفتم إمامكم، فوالله الذى لا إله غيره لأضربنكم بسيفى ما ثبت قائمه فى يدى ولو لم يكن لى منكم

معالركب الحسيني (ج ٢)، ص: ١١٩

ناصر، أما إنى أرجو أن يكون من يعرف الحق منكم أكثر ممّن يُرديه الباطل.

قال: فقام إليه عبدالله بن مسلم بن سعيد الحضرمي «١» - حليف بني أمية - فقال:

إنه لا يصلح ما ترى إلا الغشم، إن هذا الذي أنت عليه فيما بينك وبين عدوك رأى المستضعفين!!
فقال: أن أكون من المستضعفين في طاعة الله أحب إلي من أن أكون من الأعززين في معصية الله.
ثم نزل، ..

وخرج عبدالله بن مسلم، وكتب إلى يزيد بن معاوية:

أما بعد، فإن مسلم بن عقيل قد قدم الكوفة فبايعته الشيعة للحسين بن علي، فإن كان لك بالكوفة حاجة فابعث إليها رجلاً قوياً، ينفذ أمرك، ويعمل مثل عملك في عدوك، فإن النعمان بن بشير رجل ضعيف أو هو يتضعف!
فكان أول من كتب إليه، ثم كتب إليه عمار بن عقبة «٢» بنحو من كتابه، ثم كتب

معالركب الحسيني (ج ٢)، ص: ١٢٠

إليه عمر بن سعد بن أبي وقاص «١» بمثل ذلك». «٢»

معالركب الحسيني (ج ٢)، ص: ١٢١

وفي رواية الدينوري أن مسلم بن عقيل عليه السلام لما وافى الكوفة، نزل في دار المختار، فكانت الشيعة تختلف إليه وهو يقرأ عليهم كتاب الإمام الحسين عليه السلام، «ففسا أمره بالكوفة حتى بلغ ذلك النعمان بن بشير أميرها، فقال: «لا أقاتل إلا من

معالركب الحسيني (ج ٢)، ص: ١٢٢

قاتلني، ولا أئب إلا على من وثب علي، ولا آخذ بالقرفة والظنة، فمن أبدى صفحته ونكث بيعته ضربته بسيفي ما ثبت قائمه في يدي، ولو لم أكن إلا وحدي». وكان يحب العافية ويغتنم السلامة.

فكتب مسلم بن سعيد الحضرمي وعمار بن عقبة - وكانا عيني يزيد بن معاوية - إلى يزيد يعلمانه قدوم مسلم بن عقيل الكوفة داعياً للحسين بن علي، وأنه قد أفسد قلوب أهلها عليه، فإن يكن لك في سلطانك حاجة فبادر إليه من يقوم بأمرك، ويعمل مثل عملك في عدوك، فإن النعمان رجل ضعيف أو متضاعف، والسلام». «١»

أما البلاذري فقد قال في روايته: «فكتب وجوه أهل الكوفة: عمر بن سعد بن أبي وقاص الزهري، ومحمد بن الأشعث الكندي، «٢» وغيرهما إلى يزيد بخبر مسلم

معالركب الحسيني (ج ٢)، ص: ١٢٤

وتقديم الحسين إياه إلى الكوفة أمامه، وبما ظهر من ضعف النعمان بن بشير وعجزه ووهن أمره». «١»

تأمل وملاحظات ص : ١٢٤

(١) - سكون ما قبل العاصفة في الكوفة ص : ١٢٤

أحدث دخول مسلم بن عقيل عليه السلام مدينة الكوفة داعياً للإمام الحسين عليه السلام

معالركب الحسيني (ج ٢)، ص: ١٢٥

تحولاً كبيراً في ظاهر الحياة السياسية في تلك المدينة بعد أن «اثالت الشيعة على مسلم تباعه للإمام الحسين عليه السلام، وكانت صيغة البيعة الدعوة إلى كتاب الله وسنة رسوله، وجهاد الظالمين، والدفع عن المستضعفين وإعطاء المحرومين، وقسمة الغنائم بين المسلمين بالسوية، ورد المظالم إلى أهلها، ونصرة أهل البيت عليهم السلام، والمسالمة لمن سالموا، والمحاربة لمن حاربوا..»، «١» حتى كان عدد من بايعه من أهلها على أقل التقادير ثمانية عشر ألفاً، وعلى أعلاها أربعين ألفاً.

وكان الكوفة - على أساس هذا التحول الظاهري - كانت قد سقطت سياسياً وعسكرياً أو تكاد في يد سفير الإمام الحسين عليه السلام،

ولم يبق دون أن يتحقق ذلك فعلاً إلا أن يأمر مسلم بن عقيل عليه السلام بهبوب عاصفة الثورة والتغيير، لكن التزام مسلم عليه السلام بحدود صلاحياته التي رسمها الإمام عليه السلام حال دون هبوب العاصفة التي تنتزع الكوفة فعلاً من يد الحكم الأموي، فظلت الكوفة تعيش أيامها تلك في سكون يُنذر باحتمال هبوب العاصفة في أية لحظة إذا ما أخل بذلك السكون سبب غير محتسب.

(٢) - «الغشم» وسيلة خروج الأمويين من مأزقهم الكبير! ص : ١٢٥

فزع الأمويون وعملاؤهم وجواسيسهم من تجاوب الرأي العام في الكوفة مع مسلم بن عقيل عليه السلام، ورأوا أن زمام الأمور سيكون بيد الثوار تماماً إن لم تبادر السلطة الأموية المحليّة في الكوفة إلى اتخاذ التدابير اللازمة الكفيلة بإعادة الوضع الكوفي إلى سابق عهده أو منع تدهوره إلى حدّ سقوط الكوفة فعلاً بيد الثوار.

ولعلم الأمويين «بالحالة النفسية الكوفية» العامة آنذاك ولخبرتهم الطويلة في التعامل معها، كان رأيهم أنه لا وسيلة لهم للخروج من هذا المأزق الكبير إلا

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ١٢٦

«الغشم» وهو الظلم والغصب، وأنه لا بدّ للكوفة من حاكم أمويّ «غشوم» وهو الظالم المبادر بالظلم، الآخذ بالقهر كلّ ما قدر عليه. وقد أرادوا من النعمان بن بشير ذي التأريخ الأسود في معاداة أهل البيت عليهم السلام أن يكون هو هذا الحاكم الغشوم المنشود، وطلبوا إليه - بعد أن أنكروا عليه تراخيه في مواجهة مستجدات الأحداث - «١» أن يبادر إلى تهديد الكوفيين وإرهابهم وقمعهم. لكنّ الأمويين وعملاءهم في الكوفة أحسّوا بالخيبة حينما خطب النعمان بأهل الكوفة خطبته التي كشف فيها عن ضعفه أو تضاعفه، وجرّأ الكوفيين على مواصلة التعبئة للثورة والتأهب لها، فبادروا - وهم على خوف من تسارع الأيام والأحداث - إلى رفع تقاريرهم إلى السلطة المركزيّة في الشام، والتي طلبوا فيها من يزيد أن يسارع إلى إقالة النعمان بن بشير وتعيين حاكم آخر غشوم يأخذ أهل الكوفة بالإحتيال والقوة والقهر.

(٣) - سرّ التراخي في موقف النعمان بن بشير ص : ١٢٦

للنعمان بن بشير بن سعد الخزرجي ولأبيه بشير تأريخ أسود طويل في نصرته حركة النفاق بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، فإنّ أباه بشير بن سعد الخزرجي لحسده سعد بن عبادة على موقعه المرموق في الخزرج خاصة والأنصار عامة، ولبغضه لأهل البيت عليهم السلام، كان أوّل من بادر إلى مبايعة أبي بكر في السقيفة، وظلّ موالياً لحزب السلطة ومعادياً لأهل بيت النبوة عليهم السلام، وابنه النعمان «كان قد ولاه معاوية الكوفة بعد عبدالرحمن بن الحكم، «٢» وكان عثمان بن الهوى، يجاهر ببغض عليّ عليه السلام

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ١٢٧

ويسىء القول فيه، وقد حاربه يوم الجمل وصفين، وسعى بإخلاص لتوطيد الحكم لمعاوية، وهو الذي قاد بعض الحملات الإرهابية على بعض المناطق العراقية، ويقول المحققون: إنّه كان ناقماً على يزيد، ويتمنى زوال الملك عنه شريطة أن لا تعود الخلافة إلى آل عليّ عليهم السلام ..» (١)

ويروى أنّ سبب نعمة النعمان على يزيد هو أنّ يزيد كان يبغض الأنصار بغضاً شديداً، ويُغري الشعراء بهجائهم، الأمر الذي أثار حفيظة النعمان بن بشير فطلب من معاوية قطع لسان الشاعر الأخطل النصراني الذي هجاهم، وأجابه معاوية إلى ذلك، لكنّ يزيد أجاز الأخطل عند أبيه، فعفا معاوية عن الأخطل بدعوى أنه «لا سبيل إلى ذمّة أبي خالد - يعني يزيد»، وكُتبت بذلك النعمان، فلم يزل ناقماً على يزيد. «٢»

ويروى التاريخ أنّ عمرة بنت النعمان بن بشير كانت زوجة المختار بن أبي عبيدة الثقفي الذي نزل عنده مسلم بن عقيل عليه السلام،

ويرى بعض المتتبعين أن هذه الصلة أيضاً كانت سبباً في تراخى موقف النعمان من الثوار، إضافة إلى السبب الأهم وهو نغمته على يزيد. (٣)

ولعل بإمكاننا هنا أن نضيف سبباً آخر إلى أسباب تراخى موقف النعمان من الثوار، وهو أن النعمان وإن كان أنصارياً إلا أنه كان أحد أفراد حركة النفاق، عُرف عنه أنه عثمانى الهوى، متفانٍ في حبّ بنى أمية، ومتبنٍ لسياسة معاوية في قيادة مع الרכب الحسينى (ج ٢)، ص: ١٢٨

حركة النفاق تبنياً تاماً، وكان من معالم هذه السياسة أن معاوية كان يتحاشى المواجهة العلنية مع الإمام الحسين عليه السلام، وأن معاوية لو اضطرّ إلى مواجهة علنية أى إلى قتالٍ ضدّ الإمام الحسين عليه السلام، وظفر بالإمام عليه السلام لعفا عنه، وليس ذلك حباً للإمام عليه السلام وإنما لأنّ معاوية - وهو من دهاة السياسة النكراء والشيطنة - يعلم أن إراقه دم الإمام عليه السلام علناً وهو بتلك القدسية البالغه في قلوب الأمة كفيل بأن يفصل الأموية عن الإسلام ويذهب بجهود حركة النفاق عامة والحزب الأموى خاصة أدراج الرياح، خصوصاً الجهود التى بذلها معاوية فى مزج الأموية بالإسلام فى عقل الأمة وعاطفتها مزجاً لم يعد أكثر هذه الأمة بعدها يعرف إلا (الإسلام الأموى)، حتى صار من غير الممكن بعد ذلك الفصل بين الإسلام والأموية إلا إذا أريق ذلك الدم المقدس - دم الإمام عليه السلام - على مذبح القيام ضد الحكم الأموى. (١)

ولقد صرح معاوية بذلك حتى للإمام الحسين عليه السلام نفسه قائلاً: «.. ولكننى قد ظننتُ يا ابن أخى أن فى رأسك نزوة، وبودى أن يكون ذلك فى زمانى فأعرف لك قدرك، وأتجاوز عن ذلك، ولكننى والله أتخوف أن تُبلى بمن لا ينظرك فواق ناقة». (٢)

وقال فى وصيته لابنه يزيد بصدد الإمام الحسين عليه السلام: «.. ولن يتركه أهل العراق حتى يخرجوه، فإن خرج وظفرت به فاصفح عنه فإنّ له رحماً ماساً وحقاً عظيماً وقرابة من محمّد». (٣)

مع الרכب الحسينى (ج ٢)، ص: ١٢٩

وكان النعمان بن بشير مؤمناً بصحة نظر معاوية فى هذا الصدد، وقد أراد أن يذكر يزيد نفسه بذلك، حينما استدعاه يزيد الى القصر بعد مقتل الإمام عليه السلام وبعد نصب الرأس المقدس بدمشق، فلما جاءه سألّه يزيد قائلاً: كيف رأيت ما فعل عبيدالله بن زياد؟ قال النعمان: الحرب دُول.

فقال يزيد: الحمد لله الذى قتله!

قال النعمان: قد كان أمير المؤمنين - يعنى به معاوية - يكره قتله. (١)

ولا شك أن معاوية - كما قلنا من قبل - يكره قتل الإمام عليه السلام فى مواجهة علنية، أما فى مواجهة سرية فما أكثر من قتلهم معاوية بالسّم أو الاغتيال، ومنهم الإمام الحسن المجتبى عليه السلام، فمعاوية لا يتورّع قيد أنملة فى المبادرة الى قتل الإمام الحسين عليه السلام فى مواجهة سرية بسّم أو اغتيالاً مادعته الضرورة إلى ذلك.

من كلّ ما تقدّم نرجّح أن موقف النعمان بن بشير من الثوار ومن بوادى الثورة إنّما اتسم ظاهراً باللين والتسامح لأنه كان يرى - إيماناً بنظرة معاوية - أن المواجهة العلنية مع الإمام الحسين عليه السلام ليست فى صالح الحكم الأموى.

فلم يكن النعمان ضعيفاً، بل كان يتصعّف مكرراً وحيلة، معوّلاً على الأسلوب السرى والخدعة الخفية للقضاء على الثورة والتخلص من مسلم بن عقيل عليه السلام، بل حتى من الإمام الحسين عليه السلام.

فالنعمان لم يكن «حليماً ناسكاً يحبّ العافية!» كما صوّرتة رواية الطبرى، أو «يحبّ العافية ويغتنم السلامة!» كما صوّرتة رواية الدينورى، بل كان شيطاناً يحذو

مع الרכب الحسينى (ج ٢)، ص: ١٣٠

حذو معاوية كبيرهم الذى علّمهم الشيطنة فى رسم الخطط الماكرة، لكنّه أخطأ هذه المرّة فى حساباته، تماماً كما صوّرت ذلك

التقارير المرفوعة إلى يزيد من عملاء وجواسيس الحكم الأموي في الكوفة، لأن الزمن آنذاك كان يجري في صالح النهضة الحسينية، وكان لابد من المسارعة الى عزل النعمان والإتيان بوال غشوم كعبيد الله بن زياد، يبادر إلى اتخاذ الإجراءات اللازمة التي تقلب مسار حركة الأحداث في العاجل لصالح الحكم الأموي، وهكذا كان. ونحن - مع هذا - لاننفى احتمال أن يكون لسخط النعمان على يزيد، ولو وجود صلة المصاهرة بينه وبين المختار تأثير على موقفه من الثوار، لكننا نرجح أن السبب الذي يتناه كان هو السبب الأهم.

حركة السلطة الأموية المركزية في الشام ص : ۱۳۰

إشارة

لنعد إلى متابعه حركة الأحداث حسب تسلسلها التاريخي، وننظر ماذا صنعت في دمشق التقارير التي رفعها إلى يزيد من الكوفة الأمويون فيها مثل عماره بن عقبه، وعملاؤهم مثل عمر بن سعد بن أبي وقاص، وجواسيسهم مثل عبدالله بن مسلم بن سعيد الحضرمي!

يتابع الطبري رواية القصة قائلاً: «فلما اجتمعت الكتب عند يزيد، ليس بين كتبهم إلا يومان، دعا يزيد بن معاوية سرجون (۱) مولى معاوية.

مع الركب الحسيني (ج ۲)، ص: ۱۳۱

فقال: مارأيك؟ فإن حسينا قد توجه نحو الكوفة، ومسلم بن عقيل بالكوفة يبايع للحسين، وقد بلغني عن النعمان ضعف وقول سيء - وأقرأه كتبهم - فماترى؟ من أستعمل على الكوفة؟ وكان يزيد عاتباً على عبيدالله بن زياد. فقال سرجون: أرايت معاوية لو نشر لك أكنت آخذاً برأيه؟ قال: نعم.

فأخرج عهد عبيدالله على الكوفة ..

فقال: هذا رأى معاوية، ومات وقد أمر بهذا الكتاب.

فأخذ برأيه، وضمّ المصرين إلى عبيدالله، وبعث إليه بعهدته على الكوفة» (۱).

ثم يتابع الطبري رواية القصة قائلاً:

مع الركب الحسيني (ج ۲)، ص: ۱۳۲

«ثم دعا مسلم (۱) بن عمرو الباهلي وكان عنده، فبعثه إلى عبيدالله بعهدته إلى البصرة، وكتب إليه معه:

أمّا بعد، فإنه كتب إلى شيعتي! من أهل الكوفة يخبرونني أن ابن عقيل بالكوفة يجمع الجموع لشق عصا المسلمين، فسّر حين تقرأ كتابي هذا حتى تأتي أهل الكوفة، فتطلب ابن عقيل كطلب الخرزة حتى تثقفه، فتوثقه أو تقتله أو تنفيه. والسلام.

فأقبل مسلم بن عمرو حتى قدم على عبيدالله بالبصرة. فأمر عبيدالله بالجهاز والتهيء والمسير الى الكوفة من الغد». (۲)

هذا وقد نقل الموسوي الكركي في كتابه (تسليمة المجالس) رسالة يزيد إلى ابن زياد بتفاوت مهم، ونصّها:

«سلام عليك. أمّا بعد: فإن الممدوح مسبب يوماً، والمسبب ممدوح يوماً، ولك ما لك، وعليك ما عليك، وقد انتميت وُئِيت إلى كل منصب كما قال الأول:

رُفِعَتْ فجاوزت السحاب برفعه فمالك إلا مقعد الشمس مقعد

وقد ابتلى زمانك بالحسين من بين الأزمان، وابتلى بلدك دون البلدان. وقد أخبرتنى شيعتي من أهل الكوفة أنّ مسلم بن عقيل في الكوفة يجمع الجموع ويشق عصا المسلمين وقد اجتمع إليه خلق كثير من شيعة أبي تراب، فإذا أتاك كتابي هذا فسر حين تقرأه حتى تقدم الكوفة فتكفيني أمرها، فقد ضممتها إليك، وجعلتها زيادة في عملك فاطلب مسلم بن عقيل طلب الخرز، فإذا ظفرت به فخذ بيعته أو اقتله إن لم يبايع واعلم أنه لا عذر لك عندي دون ما أمرتك، فالعجل العجل، الوحا الوحا، والسلام». (١)

وقد روى الوالد قدس سره في كتابه (مقتل الإمام الحسين عليه السلام) نقلًا عن كتاب ناسخ التواريخ أن يزيد في رسالته لابن زياد قال: «بلغني أنّ أهل الكوفة قد اجتمعوا على البيعة للحسين، وقد كتبت إليك كتابًا، فاعمل عليه، فإنني لا أجد سهماً أرمى به عدوي أجراً منك، فإذا قرأت كتابي هذا فارتحل من وقتك وساعتك، وإياك والإبطاء والتواني، واجتهد ولا تبق من نسل عليّ بن أبي طالب أحداً، واطلب مسلم بن عقيل وابعث إليّ برأسه». (٢)

تأمل وملاحظات ص : ١٣٢

(١) - سرجون النصراني .. والإقتراح المتوقع! ص : ١٣٢

في إطار حركة النفاق - بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله - كان فصيل منافقي أهل الكتاب يرى أنّ غاية وجوده وعلّة تأسيسه هي دعم خطّ الانحراف عن أهل البيت عليهم السلام، وتكفي نظرة عابرة على سيرة أمثال: كعب الأخبار، وتميم الداري، مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ١٣٤

ووهب بن متبه، ونافع بن سرجس مولى عبدالله بن عمر، وسرجون مستشار معاوية ويزيد، وأبي زيد مستشار الوليد بن عقبة، دليلاً على منهج هذا الفصيل في نوع حركته على أساس العدا لأهل البيت عليهم السلام.

فكان من المتوقع بما يشبه اليقين - على ضوء التحليل التاريخي والنفسي - أن يبادر سرجون نفسه فيقترح على يزيد تعيين عبيدالله بن زياد والياً على الكوفة بدلاً من النعمان بن بشير لمواجهة المستجدات الصعبة هناك، لما يعلمه سرجون من حقد عبيدالله على أهل البيت عليهم السلام وبغضه الشديد لهم، وهذا أهم مزايا عبيدالله في نظر سرجون، ولما يعلمه فيه من عدم التورع عن الغشم والظلم والقتل، وقدرة إدارية عمادها المكر والحيلة، فهو الرجل المناسب لإدارة الأمور في الكوفة في ذلك الظرف الاستثنائي المعقد. لكنّ سرجون يعلم أيضاً أنّ هذا الإقتراح قد لا يقبله يزيد لأنه كان يبغض عبيدالله بغضاً شديداً «١» أو كان عاتباً عليه، «٢» فسعى سرجون إلى دعم هذا الإقتراح بكتاب معاوية - الذي أمر به قبيل وفاته - بتولية عبيدالله بن زياد على الكوفة، مؤكداً بذلك مطابقتها رأى معاوية لرأيه في هذه المسألة أو العكس.

فسرجون وهو ممثل فصيل منافقي أهل الكتاب في البلاط الأموي لم يكن غير ذي رأى في المسألة، بل كان قد اقترح ما يراه هو - بطريقة غير مباشرة - في إطار رأى معاوية في نفس المسألة، وما يدرينا فلعله كان قد أشار على معاوية أيضاً بنفس هذا الرأى فتبناه معاوية، ثم أظهره سرجون ليزيد في الوقت المناسب على أنه رأى أبيه، والله العالم.

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ١٣٥

(٢) - ماذا يعني عهد معاوية - أواخر أيامه - لعبيدالله على الكوفة؟! ص : ١٣٥

لقد أحسّ معاوية بن أبي سفيان قبيل وفاته بإرهاصات تمرّد الكوفيين على الحكم الأموي، ذلك لأنّ عامة أهل العراق بنوع خاص نتيجة مالمسوه من فداحة الظلم الأموي صاروا يرون بغض بنى أمية وحب أهل البيت عليهم السلام ديناً لأنفسهم. «١»

فكان لابدّ للكوفة خاصة من إدارة قويّة تمسك بأزمنة الأمور فيها، الأمر الذي لم يوفّق فيه النعمان بن بشير واليهما وقتذاك، فبادر معاوية إلى استباق الأحداث وعهد إلى عبيدالله بن زياد بالولاية على الكوفة، ليضبط الأمور فيها، لكن الموت أدرك معاوية قبل التنفيذ

العملى لهذا العهد، وبقي كتاب هذا العهد محفوظاً عند مستشاره سرجون النصرانى، الذى ربّما كان هو الذى حرّك معاويةً باتجاه اتخاذ مثل هذا القرار.

هذا، وهناك رأى آخر يقول: إنّ قرار معاوية- بمشورة سرجون- بتعيين عبيدالله بن زياد والياً على الكوفة يعتبر الخطوة العملية الأولى لقتل الإمام الحسين عليه السلام، ذلك لأنّ معاوية يعلم أنّ الإمام عليه السلام- بعد موت معاوية- لن يبايع ليزيد، ولا بدّ له من القيام، ولا بدّ لأهل الكوفة من تأييده ودعوته إليهم، فلا بدّ إذن من المواجهة العنيفة مع الإمام عليه السلام.

ومعاوية يعلم أنّ يزيد وعبيدالله بن زياد بما يحملانه من حقد شديد على أهل البيت عليهم السلام واعتساف فى معالجة الأمور وقلة فى التدبّر والدهاء والصبر سوف يقدمان على قتل الإمام الحسين عليه السلام، بل كان معاوية قد أخبر الإمام عليه السلام بذلك فى إحدى رسائله إليه. (٢)

معالركب الحسينى (ج ٢)، ص: ١٣٦

إذن فمعاوية بهذا مشارك فعّال فى جريمة قتل الإمام عليه السلام!

ونقول: إنّ هذا صحيح من حيث النظر الى النتيجة العملية، وقد أدرك معاوية هذه النتيجة فى حياته، فى إصراره على البيعة لابنه يزيد ولياً للعهد من بعده- وتوليئه يزيد على كلّ البلاد أهمّ من توليئه عبيدالله على الكوفة- وكان معاوية يعلم بأنّ يزيد سيرتكب تلك الجريمة- التى تحاشا معاوية أن يرتكبها هو فى حياته- لأنه يعلم أنّ قتل الإمام عليه السلام فى مواجهة عنيفة، سوف يقضى بالنتيجة على الحكم الأموى نفسه، وعلى كلّ جهود حركة النفاق منذ وفاة الرسول صلى الله عليه وآله، إلى موت معاوية، ولذا كان معاوية إذا تأمل فى النتيجة العملية تأكل قلبه الحسرة إزاء ضعفه أمام عاطفته ليزيد وهواه فيه، فكان يقول: «لولا هواى فى يزيد لأبصرت رشدى وعرفت قصدى ..» (١)

وقد حاول معاوية قبل موته أن يحتاط لهذا الأمر وأن يحول دون أن يرتكب يزيد من بعده حماقة قتل الإمام الحسين عليه السلام فى مواجهة عنيفة، فأوصاه بذلك، «٢» ولعلّه أكّد عليه فى هذه المسألة بأكثر من سبيل، ولات حين فائدة!!

(٣) - يزيد يستخدم أسلحة أبيه فى الإرهاب الدينى!! ص: ١٣٦

من التضييل الدينى الذى ابتدعه معاوية لتثبيت ملكه، ولاستخدامه فى إرهاب الأئمة إرهاباً دينياً من أجل تحذيرها وتخديرها عن التفكير بالقيام ضده، الأحاديث الكثيرة التى وضعها له وافترأها على رسول الله صلى الله عليه وآله عملاؤه من صحابة وتابعين معروفين بنفاقهم وتهالكهم على دنيا معاوية، كأبى هريرة، وعمرو بن العاص،

معالركب الحسينى (ج ٢)، ص: ١٣٧

وعبدالله بن عمر، والمغيرة بن شعبه، وسمره بن جندب، وغيرهم من النفعيين، الذين تفتنوا فى وضع مفتريات تدعو الأئمة الى الصبر على ظلم الحاكم الجائر والخضوع له وعدم الخروج عليه، فمن مفتريات ابن عمر- على سبيل المثال لا الحصر- «ستكون هنات وهنات فمن أراد أن يفزق أمر هذه الأئمة وهى جمع فاضربوه بالسيف كائناً ما كان» و «من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر عليه، فإنّ من فارق الجماعة شبراً فمات إلاميته جاهلياً!» و «أدوا إليهم حقهم- أى الحكام- واسألوا الله حَقَّكم!» (١) وأمثال ذلك.

فأراد يزيد أن يعزف على نفس النعمة فى رسالته الى عبيدالله بن زياد بقوله:

«فإنه كتب إلى شيعتى! من أهل الكوفة يخبروننى أنّ ابن عقيل بالكوفة يجمع الجموع لشقّ عصا المسلمين ..»، وكانّ يزيد أراد أن يتبّه ابن زياد ليقوم باستخدام تهمة «شقّ عصا المسلمين» فى مواجهة مسلم إعلامياً، ويعرّفه أن عقوبة هذه التهمة هى القتل، وما يجرى على مسلم من التهم عند الأمويين يجرى بالضرورة على سيده الإمام الحسين عليه السلام، بل لقد وجّه الأمويون هذه التهمة إلى الإمام عليه السلام بشكل سافر لما أرادوا منعه عن الخروج من مكة المكرمة فأبى عليهم، حيث نادوه: «ياحسين، ألا تتقى الله؟ تخرج من الجماعة،

وتفرق بين هذه الأمة!!». (٢)

ولقد أسرف ابن زياد في استخدام هذه التهمة إعلامياً ضد مسلم بن عقيل عليه السلام والثوار في الكوفة لتنفير الناس عنهم، وخاطب مسلماً عليه السلام بهذه التهمة مباشرة بعد أن تمكنوا منه وأحضره في القصر قائلاً: «ياعاق، ياشاق، خرجت على إمامك، وشققت عصا المسلمين، وألقحت الفتنة!»، لكنّ البطل الشجاع مسلم

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ١٣٨

بن عقيل عليه السلام ردّ عليه قائلاً: «كذبت يا ابن زياد، إنّما شقّ عصا المسلمين معاوية وابنه يزيد، وأمّا الفتنة فإنّما ألقحها أنت وأبوك زياد..». (١)

(٤) - من هو عبدالله بن زياد؟! ص : ١٣٨

كان زياد بن أبيه قبل استلحاق معاوية إتياء وادعائه أنه أخوه من أبيه يرى نفسه من الموالي، لأنه ولد على فراش عبيد الرومي، (٢) فكان زياد يحنو على الموالي ويدافع عنهم ويدرء عنهم الغوائل، كما فعل في ردّ عمر بن الخطاب عن خطته في الفتك بالموالي والأعاجم التي كتب بها الى أبي موسى الأشعري. (٣)

ولعلّ هذا العامل النفسي كان أقوى عوامل انتماء زياد بن أبيه إلى صفّ أمير المؤمنين عليّ عليه السلام والعمل تحت لوائه حينذاك. وكان معاوية بدعائه وخبئه ومعرفته بنفسية زياد بن أبيه قد انتبه الى هذا العامل النفسي المؤثر جداً في نوع انتماء زياد فكرياً وسياسياً، فبادر إلى القول بتلك الدعوى المختلفة، دعوى الإستلحاق، ليطلق زياداً من عقده انتمائه الى الموالي، وينسبه إلى نسبه (إلى أبيه) أي إلى بيت معروف من بيوتات قريش، وبهذا ضمن معاوية - بماله من معرفة زياد - تحوّلته إلى صفّه وباطله.

وهكذا كان، فبعد أن تحوّل زياد إلى باطل معاوية متحرراً من عقده الموالي بطش بالموالي أشدّ البطش، وكان جلّ الشيعة منهم، وساعده على ذلك معرفته السابقة بهم وبأشخاصهم ورموزهم وأمكنتهم.

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ١٣٩

وفي الرسالة الإحتجاجية الشاملة التي بعثها الإمام الحسين عليه السلام إلى معاوية أشار عليه السلام إلى هذا البعد النفسي من وراء الإستلحاق إضافة إلى مخالفة هذا الإستلحاق للشريعة المقدّسة، تأمل في قوله عليه السلام في هذه الرسالة:

«أولست المدعى زياد بن سميّة المولود على فراش عبيد ثقيف؟! فزعمت أنّه ابن أبيك، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «الولد للفراش وللعاهر الحجر»، وتركت سيّئة رسول الله تعديداً وتبعت هواك بغير هدى من الله، ثمّ سلّطته على العراقيين، يقطع أيدي المسلمين وأرجلهم، ويسمّل أعينهم، ويصلبهم على جذوع النخل، كأنّك لست من هذه الأمة وليسوا منك..». (١)

ولقد نشأ عبيدالله بن زياد في ظلّ الإعتزاز بالنسب السفياني، وكان يفخر به، (٢) وأجج فيه وهم هذا الإنتساب نيران حقد شديد على أهل البيت عليهم السلام خاصة والشيعة عامة، فسجّل له التاريخ ملفاً أسود مليئاً بأبشع الجرائم التي يندى لها جبين التاريخ نفسه!

وروى أنّ عبيدالله ولد سنة ٢٠ هـ، (٣) وكانت أمّه مرجانة مجوسية معروفة بالبغاء، فارقتها زياد وتزوج بها شيرويه (الأسواري)، (٤) ودفع زياد إليها عبيدالله فنشأ في بيت شيرويه (ولم يكن مسلماً) وتربّى في بيته، فكانت فيه لكنة لا يستطيع

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ١٤٠

بسببها أداء بعض الحروف العربية كماهى، فكان يقول للحرورى مثلاً: هرورى، فيضحك سامعوه. (١)

وهلك أبوه زياد سنة ٥٣ هـ، فوفد ابنه عبيدالله على معاوية فولاه خراسان سنة ٥٤ هـ، (٢) ثمّ ولاه البصرة سنة ٥٥ هـ، فترك على خراسان أسلم بن زرعة الكلابي ورجع إلى البصرة. (٣) ولما مات معاوية كان عبيدالله لم يزل والياً عليها.

ومع أنّ حقد عبيدالله بن زياد على أهل البيت عليهم السلام كان كافياً في دفعه الى ارتكاب جريمة قتل الإمام الحسين عليه السلام،

لكن خوفه من نعمة يزيد عليه وبغضه له، ورغبة عبيدالله في ترضية يزيد والتودد إليه، شكلاً دافعاً مضافاً في العزم على قتل الإمام عليه السلام وإظهار الإخلاص التام ليزيد. «٤»

وكان يزيد قد استخدم مع عبيدالله نفس سلاح أبيه معاوية مع زياد في تهديده بسحب هوية النسب الأموي المكذوب منه فيعود كما هو عبداً لتقيف، حينما حثه على امتثال أمره في قتل الإمام عليه السلام إذ كتب إليه: «إنه قد بلغني أن حسيناً سار إلى الكوفة، وقد ابتلى به زمانك من بين الأزمان، وبلدك بين البلدان، وابتليت به من بين العمال، وعنده تعتق أو تعود عبداً، فقتله عبيدالله وبعث برأسه وثقله إلى

معالركب الحسيني (ج ٢)، ص: ١٤١

يزيد. «١»

وكان عبيدالله قبيح السريرة، فاسقاً ظالماً غشوماً جباناً إذا ضعف، جباراً إذا تمكّن، قال الحسن البصري: «قدم علينا عبيدالله، أمره معاوية غلاماً سفيهاً، سفك الدماء سفكاً شديداً.. وكان عبيدالله جباناً». «٢»

«وكان الحسن البصري يسميه الشاب المترف الفاسق، وقال فيه: مارأينا شراً من ابن زياد!». «٣»

و «جىء إليه بسيد من سادات العراق، فأدناه منه ثم ضرب وجهه بقضيب كان في يده حتى كسر أنفه وشق حاجبيه، ونثر لحم وجنته، وكسر القضيب على وجهه ورأسه». «٤»

«وغضب على رجل تمثّل بآية من القرآن، فأمر أن يُبنى عليه ركن من أركان قصره!». «٥»

«وكان يقتل النساء في مجلسه، ويتشقى بمشاهدتهن يعدّبن وتقطع أطرافهن!». «٦»

«عاش مكروهاً عند أهل العراق» «٧» و «مهيناً عند أهل الحجاز». «٨»

معالركب الحسيني (ج ٢)، ص: ١٤٢

«لما مات يزيد أغرى بعض البصريين أن يباعوه، ثم جبن عن مواجهة الناس فاستتر ثم هرب إلى الشام.. وكان عبيدالله من الأكلة، كان يأكل جدياً أو عناقاً يُختير له في كل يوم فيأتي عليه! وأكل مرّة عشر بطات وزبيلاً من عنب، ثم عاد فأكل عشر بطات وزبيلاً من عنب وجدياً!». «٩»

«قال التنوخي: إنّ عبيدالله بن زياد لما بنى داره البيضاء بالبصرة بعد قتل الحسين صوّر على بابها رؤوساً مقطّعة، وصوّر في دهليزها أسداً وكبشاً وكلباً، وقال: أسد كالح، وكبش ناطح، وكلب نابح.

فمرّ بالباب أعرابي فرأى ذلك فقال: أما إنّ صاحبها لا يسكنها إلّا ليلة واحدة لا تتم!

فرفع الخبر إلى ابن زياد، فأمر بالأعرابي فضرب وحبس، فما أمسى حتى قدم رسول ابن الزبير إلى قيس بن السكون ووجوه أهل البصرة في أخذ البيعة له، ودعا الناس إلى طاعته فأجابوه، وراسل بعضهم بعضاً في الوثوب عليه في ليلتهم (أى على ابن زياد)، فأنذره قوم كانت له صنائع عندهم، فهرب من داره في ليلته تلك، واستجار بالأزد فأجاروه، ووقعت الحرب المشهورة بينهم وبين بنى تميم بسببه، حتى أخرجوه فألقوه بالشام، وكسر الحبس فخرج الأعرابي، ولم يعد ابن زياد إلى داره، وقتل في وقعة الخازر». «١٠»

ولما رأى ابن زياد- بعد فاجعة كربلاء- أنه لم يجن إلا غضب الله وسخط الناس عليه «٣» سعى إلى التنصّل من مسؤولية قتل الإمام عليه السلام، فكان يدعى قائلاً: «أمّا

معالركب الحسيني (ج ٢)، ص: ١٤٣

قتلى الحسين فإنه أشار إلى يزيد بقتله أو قتلى فاخترت قتلته!». «١١»

ولما جاء نعي يزيد هرب عبيدالله بعد أن كاد يؤسر، واخترق البرية إلى الشام، وانضم إلى مروان وقاتل معه، فلما ظفر مروان رده إلى العراق، فلما دخل أرض العراق وجّه المختار إليه إبراهيم بن مالك الأشتر، فالتقوا بقرب الزاب، وقتل إبراهيم بن الأشتر عبيدالله بن

زيد بضرية نجلاء قده بها نصفين، وكان ذلك في يوم عاشوراء سنة ٦٧ هـ. «٢»

«وأنفذ رأس عبيدالله بن زياد الى المختار ومعه رؤوس قواده، فألقيت في القصر، فجاءت حية دقية فتخللت الرؤوس حتى دخلت في فم عبيدالله بن زياد ثم خرجت من منخره، ودخلت في منخره وخرجت من فيه، فعلت هذا مراراً، أخرج هذا الترمذى في جامعه». «٣» وكانت جثته قد أحرقت بعد قطع رأسه. «٤»

وهلك هذا الطاغية حين هلك ولم يكن له عقب. «٥»

معالركب الحسينى (ج ٢)، ص: ١٤٤

ومع أننا نجد في كتاب الله الحكيم أن الله تعالى لعن المفسدين في الأرض القاطعين الرحم في قوله تعالى: «فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم» أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم»، «١»

ولا- نطن أن مسلماً عاقلاً عالماً يشك في أن يزيد وعبيدالله بن زياد وأضرابهم كانوا المصدق الأتم لمفهوم المفسد في الأرض والقاطع الرحم، كيف لا وقد قتلوا عامدين ربحانة رسول الله صلى الله عليه وآله الإمام الحسين عليه السلام شرقتله مع أنصاره من أهل بيته وأصحابه وسبوا حريم رسول الله صلى الله عليه وآله على أفجع حالة، يتصفح وجوهن الأعداء والغرباء من كربلاء الى الشام؟! وهل هناك عند الله وعند المؤمنين رجم أعز وأولى بالصله من رحم رسول الله صلى الله عليه وآله؟! وهل هناك إفساد متصور أكثر وأكبر وأنكر مما اجترحه يزيد وعبيدالله وأضرابهم؟! مع كل هذا، يقول الذهبي في شدة ورع وتقوى!! «الشيعة لا يطيب عيشه حتى يلعن هذا ودونه، ونحن نبغضهم في الله!، ونبرأ منهم ولا نلعنهم، وأمرهم إلى الله!». «٢» ونقول: شنشنة أعرها من أخزم!! «٣»

هل غيرت السلطة الأموية المركزية والى مكة؟ ص: ١٤٤

يذهب بعض المؤرخين إلى أن معاوية مات حين مات: «وعلى المدينة الوليد بن عتبة بن أبى سفيان، وعلى مكة يحيى بن حكيم بن صفوان بن أمية»، «٤» وعلى

معالركب الحسينى (ج ٢)، ص: ١٤٥

الكوفة النعمان بن بشير الأنصارى، وعلى البصرة عبيدالله بن زياد». «١»

وهذا يعنى أن السلطة الأموية المركزية في دمشق قد عزلت يحيى بن حكيم عن ولاية مكة، وأحلت مكانه عمرو بن سعيد الأشدق، ضمن الإجراءات الجديدة التي اتخذتها على أثر وصول الإمام الحسين عليه السلام إلى مكة المكرمة.

غير أن مؤرخين آخرين رووا أن عمرو بن سعيد بن العاص الأشدق هو الذى كان والياً على مكة حين مات معاوية، «٢» ثم جمع له يزيد الولاية على مكة والمدينة بعد عزله الوليد بن عتبة عن منصب الولاية في المدينة.

ومما يؤيد هذا ما روى أن الإمام الحسين عليه السلام لما ورد مكة قال له عمرو بن سعيد: ما إقدامك؟! فقال عليه السلام: عائداً بالله وبهذا البيت. «٣»

فتأمل.

عزل الوليد بن عتبة عن ولاية المدينة ص: ١٤٥

كان الوليد بن عتبة «٤» أمويًا مخلصاً كل الإخلاص للحكم الأموي عن وعي تام

معالركب الحسينى (ج ٢)، ص: ١٤٦

لانتمائه القبلى وحرص بالغ على تقديم بنى أمية على من سواهم، وكان في نفس الوقت يتمنى أن لا يصطدم مع بنى هاشم عامة وأهل

البيت خاصة، ويطلب العافية من ذلك ويرجوها.

وفى صدد الموقف من الإمام الحسين عليه السلام خاصة كان الوليد يتبنى نظرة معاوية الذى كان يرى أنه ليس من مصلحة الحكم الأموى أن يدخل فى مواجهة عليّ مع الإمام الحسين عليه السلام، مع ماروى أن الوليد كان يرى لأهل البيت عليهم السلام حرمة ومنزلة عند الله تعالى!، ولذا فقد اتسم موقفه من رفض الإمام الحسين عليه السلام بالتسامح واللين، الأمر الذى أغضب السلطة الأموية المركزية فى دمشق وأسخطها على الوليد، فقام يزيد بعزل الوليد عن ولاية المدينة فى شهر رمضان من نفس السنة، «١» وأضاف ولاية المدينة لعمر بن سعيد الأشدق مع ولاية مكة المكرمة.

رسالة يزيد إلى عبد الله بن عباس ص : ١٤٦

ومن الإجراءات التى بادرت إليها السلطة الأموية المركزية فى الشام بعد وصول الإمام الحسين عليه السلام إلى مكة إرسال الكتب إلى من يحتمل أن يكون له تأثير على موقف الإمام الحسين عليه السلام من بنى هاشم خاصة أو من وجهاء الأمة الإسلامية عامة، «٢» وقد سجل لنا التاريخ فى هذا الإطار قصة الرسالة التى بعث بها يزيد إلى عبد الله بن عباس يطلب إليه فيها أن يرد الإمام عليه السلام عن الخروج على النظام

مع الרכب الحسينى (ج ٢)، ص: ١٤٧

الأموى، وأن يحذره من مغبة ذلك، ويمنيه بالأمان والصلة البالغة والمنزلة الخاصة عند السلطان الأموى!

«قال الواقدي: ولما نزل الحسين مكة كتب يزيد بن معاوية إلى ابن عباس:

أما بعد: فإن ابن عمك حسيناً وعدوّ الله ابن الزبير التويا بيعتى ولحقا بمكة مرصدين للفتنة، معرضين أنفسهما للهلكة، فأما ابن الزبير فإنه صريع الفناء وقتيل السيف غداً، وأما الحسين فقد أحببت الإعذار إليكم أهل البيت مما كان منه، وقد بلغنى أن رجالاً من شيعته من أهل العراق يكاتبونه ويكاتبهم ويمنونه بالخلافة ويمنيهم الإمرة، وقد تعلمون ما بينى وبينكم من الوصلة وعظيم الحرمة ونتائج الأرحام، وقد قطع ذلك الحسين وبته، وأنت زعيم أهل بيتك وسيّد أهل بلادك، فالحق فاردده عن السعى فى الفرقة، وردّ هذه الأمة عن الفتنة، فإن قبل منك وأتاب إليك فله عندى الأمان والكرامة الواسعة، وأجرى عليه ما كان أبى يجريه على أخيه، وإن طلب الزيادة فاضمن له ما أراك الله أنفذ ضمانك، وأقوم له بذلك وله على الأيمان المغلظة والمواثيق المؤكدة بما تظمن به نفسه ويعتمد فى كل الأمور عليه.

عجل بجواب كتابى وبكل حاجة لك إلى وقبلى، والسلام». «١»

وأضاف صاحب تذكرة الخواص قائلاً:

«قال هشام بن محمد: وكتب يزيد فى أسفل الكتاب:

يا أيها الراكب الغادى لمطيته «٢» على عذافرة فى سيرها قحّم

مع الרכب الحسينى (ج ٢)، ص: ١٤٨

أبلغ قريشاً على نأى المزار بها بينى وبين الحسين الله والرحم

وموقف بفناء البيت أنشده عهد الإله غداً يوفى به الذم

هنيتم قومكم فخراً بأممكم أمّ لعمري حسان «١» عفة كرم

هى التى لا يذانى فضلها أحد بنت الرسول وخير الناس قد علموا

إنى لأعلم أو ظناً لعالمه والظن يصدق أحياناً فينتظم

أن سوف يترككم ماتدعون به قتلى تهاداكم العقبان والرحم

يا قومنا لا تشبوا الحرب إذ سكنت وأمسكوا بجبال السلم واعتصموا
قد عزت الحرب من قد كان قبلكم من القرون وقد بادت بها الأمم
فأنصفوا قومكم لا تهلكوا بذخاً فربّ ذى بذخ زلت به القدم» (٢)

ملاحظات حول هذه الرسالة ص : ١٤٨

(١) - هناك مشتركات نفسية أساسية بين متن الرسالة وبين أبيات الشعر التي قال (هشام بن محمد) إن يزيد أرفقها مع الرسالة، وأهم هذه المشتركات هو أن كليهما تضمّن الترغيب والترهيب معاً، ومخاطبة الإمام عليه السلام عن طريق ابن عباس الذي عبر عنه يزيد ب (قريش) في الشعر، وهناك مشترك نفسي آخر فيهما وهو أن يزيد اجتهد في هذه الرسالة أن يمسك بزمام حنقه وغضبه، وهو الناصبيّ الفظّ

معالركب الحسينى (ج ٢)، ص: ١٤٩

الغليظ الجلف الذى لا يتناهى عن منكراته، «١» وهذا التماسك فرضته الضرورة السياسية على مزاج يزيد الذى تعود الإستهتار، ولا يبعد أن تكون هذه الموازنة فى الترغيب والترهيب من تأثير وإملاء سرجون المستشار النصرانى المعتق صاحب الخبرة فى الحرب النفسية ومعالجة الأزمات السياسية منذ عهد معاوية.

(٢) - ونقف فى هذه الرسالة مرّة أخرى أيضاً أمام نفس النغمة التى يعزفها الحكم الأموى بوجه المعارضة، وهى التحذير من شقّ عصا الأُمّة وتفريق كلمّة المسلمين وإرجاعهم إلى الفتنة وما إلى ذلك.

هذا السلاح الذى ابتكره معاوية واستخدمه فى وجه معارضيّه بعد أن روج له فى الأُمّة من خلال أحاديث مفتريات على رسول الله صلى الله عليه وآله تدعو الأُمّة إلى الخنوع للحاكم الظالم والصبر على جورّه، وتدعو إلى قتل كلّ من ينهض للخروج على الحكام الجائرين بتهمه شقّ عصا الأُمّة وتفريق كلمتها.

فليس من المستغرب أن يخاطب يزيد ابن عباس بذلك فيقول: «فألقه فاردده عن السعى فى الفرقة، ورُدّ هذه الأُمّة عن الفتنة!»، وليس بمستغرب أن يخاطب ابن زياد مسلم بن عقيل قائلاً: «أتيت الناس وهم جميع فشققت بينهم وفرقت كلمتهم وحملت بعضهم على بعض!»، «٢» فمن قبل كان معاوية يدسّ تلك التهم إلى الإمام الحسين عليه السلام ويعزف نفس النغمة من خلال تحذيره بألا يشقّ عصا هذه

معالركب الحسينى (ج ٢)، ص: ١٥٠

الأُمّة وألّا يردّها فى الفتنة، وكان الإمام أبو عبد الله الحسين عليه السلام يجيبه قائلاً: «.. فلا أعرف فتنة أعظم من ولايتك عليها، ولا أعلم نظراً لنفسى وولدى وأُمّة جدّى أفضل من جهادك، فإن فعلته فهو قرّبته إلى الله عزوجلّ، وإن تركته فاستغفر الله لذنبى وأسأله توفيقى لإرشاد أمورى ..». «١»

(٣) - سعى يزيد فى هذه الرسالة إلى اتهام الإمام عليه السلام بأنّ غاية خروجه طلب الملك والدينا، ولذا فقد طلب فى الرسالة إلى ابن عباس أن يمّنّى الإمام عليه السلام - فى حال تخلّيه عن القيام - بالأمان والكرامة الواسعة! وإجراء ما كان معاوية يجريه على أخيه عليه السلام! وأنّ له ما يشاء من الزيادة على ذلك!

ويزيد يعلم تمام العلم أنّ الإمام عليه السلام لم يقيم ولم يخرج أشراً ولا بطراً ولا ظالماً ولا مفسداً وإنما خرج لطلب الإصلاح فى هذه الأُمّة المنكوبة بكارثة الحكم الأموى الجاثم على صدرها سنين طويلة، لكنّها عادة الطغاة فى مواجهة الثائرين وعادة الضلال فى مواجهة الهدى، فمن قبل سعى أبو سفيان جدّ يزيد وأعلام جاهلية قريش إلى إتهام النبى صلى الله عليه وآله بتهمه طلب الملك والدينا، وشرطوا لأبى طالب عليه السلام أن يحققوا له صلى الله عليه وآله كلّ ما يتمنّاه من ذلك فيهم إذا هو تخلّى عن دعوته، لكنّ

النبي صلى الله عليه وآله ردّ على إغرائهم وتهمتهم بقاطعية يخلد ذكرها ما خلد الدهر:

«ياعم والله، لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يُظهره الله أو أهلك فيه ما تركته». (٢)

(٤) - ومع ماقدّمناه من ملاحظات حول متن هذه الرسالة، ينبغي أن نلفت الإنتباه إلى أن الواقدي الذي رويت عنه قصة هذه الرسالة قد تأمل علماء الرجال فيه أو رموه بالكذب، فقد قال الذهبي: «قال البخاري: سكتوا عنه، تركه أحمد وابن معالركب الحسيني (ج ٢)، ص: ١٥١

نمير، وقال أسلم وغيره: متروك الحديث، وقال النسائي: ليس بثقة. وقال الشافعي:

كُتِبَ الواقدي كذب. وقال ابن معين: ليس الواقدي بشيء. وقال مرة: لا يُكْتَبُ حديثه. وقال أحمد بن حنبل: الواقدي كذاب. وقال إسحاق: هو عندي يضع الحديث. وقال النسائي: المعروفون بوضع الحديث على رسول الله أربعة ..

والواقدي ببغداد. وقال أبو زرعة: ترك الناس حديث الواقدي. وروى عبد الله بن علي المديني، عن أبيه قال: عند الواقدي عشرون ألف حديث لم أسمع بها، ثم قال: لا يُروى عنه وضعفه». (١)

هذا عند رجاليّ العامّة، وأما عندنا فلم يتعرّضوا له بمدح أو ذم، «٢» وإن حاول المامقاني جعله في سلك الحسان، «٣» كما تفرد ابن النديم في نسبه إلى التشيع.

هذا فضلاً عن أن الرواية مرسلّة، لأنّ الواقدي وراوى الرسالة ولد بعد المائة والعشرين للهجرة، والرسالة - على الفرض التاريخي - تكون قد صدرت عام ستين للهجرة.

والظاهر أن أوّل من ذكر أنّ هذه الرسالة كانت موجّهة الى ابن عباس هو ابن عساكر المتوفى سنة ٥٧١ هـ، «٤» وبعده سبط ابن الجوزي المتوفى ٦٥٤ هـ، ثمّ المزيّ المتوفى ٧٤٢ هـ، أما الكتب التاريخيّة التي هي أقدم من هذه الكتب كالفتوح وتاريخ الطبري فهي خالية من هذه الرسالة، والأبيات الشعريّة التي أوردها سبط ابن الجوزي في ذيل الرسالة أو ردها صاحب الفتوح على أنّ المخاطب بها هم أهل معالركب الحسيني (ج ٢)، ص: ١٥٢

المدينة - وسيأتي ذكرها - مما يثير الشبهة في أنّ هذا الكتاب - الرسالة - ربّما كان من مفتعلات مرتزقة التاريخ الساعين في خدمة الشجرة الملعونة، ظلّاً منهم أنّ ذكر مثل هذه الرسالة يشكّل تبريراً لموقف يزيد بأنّه قد بادر وكتب الى ابن عباس (بنى هاشم) وخاطب الحسين عليه السلام من خلالهم، وأنّه قد أعذر من أنذر!

رسالة يزيد إلى (القرشيين) في المدينة ص: ١٥٢

ويروى التاريخ أيضاً أنّ يزيد بعث برسالة الى أهل المدينة تتضمّن أبياتاً من الشعر - وهي التي مرّ ذكرها - تحتوي على تهديدهم وتحذيرهم من أيّ تحرك يتنافى ومصالح السلطنة الأمويّة، فعن ابن أعثم الكوفي: «وإذا كتاب يزيد بن معاوية قد أقبل من الشام إلى أهل المدينة على البريد - من قریش وغيرهم من بنى هاشم، وفيه هذه الأبيات ..

قال: فنظر أهل المدينة إلى هذه الأبيات، ثمّ وجّها بها وبالكتاب إلى الحسين ابن عليّ - رضى الله عنهما - فلمّا نظر فيه علم أنّه كتاب يزيد بن معاوية، فكتب الحسين الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

«وإنّ كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم، أنتم بريئون مما أعمل، وأنا بريء مما تعملون». «١» والسلام. «٢»

ويظهر من قول المزيّ أنّ يزيد كان قد كتب هذه الأبيات إلى ابن عباس وإلى من كان في مكّة والمدينة من قریش، حيث يقول: «كتب بهذه الأبيات إليه وإلى من

معالركب الحسيني (ج ٢)، ص: ١٥٣

بمكة والمدينة من قریش». (١)

والملفت للإنتباه هنا أن جواب الإمام عليه السلام كاشف عن ازدرائه عليه السلام الكامل ليزيد إذ لم يذكر في الجواب إسمه، كما لم يلقبه بلقب، ولم يسلم عليه، مما يتبين منه أن يزيد لعنه الله مصداق تام للمكذب بالدين وبالرسل والأوصياء عليهم السلام، وقد فضلنا القول في التعليق على هذه الرسالة في الفصل الأول فراجع.

التخطيط لإغتيال الإمام عليه السلام أو اعتقاله في مكة ص : ١٥٣

ومن الإجراءات السرية التي اتخذتها السلطة الأموية المركزية في الشام بعد فشل خطتها الرامية الى اعتقال الإمام عليه السلام أو قتله في المدينة المنورة، «٢» هو قيامها بالتدابير اللازمة لاغتيال الإمام عليه السلام أو اعتقاله في مكة المكرمة. وخطه السلطة الأموية لاغتيال الإمام عليه السلام في مكة المكرمة أو اعتقاله من المسلمات التاريخيه التي يكاد يجمع على أصلها المؤرخون، وكفى بتصريح الإمام الحسين عليه السلام لأخيه محمد بن الحنفية:

«ياأخي، قد خفت أن يغتالني يزيد بن معاوية بالحرم، فأكون الذي يُستباح به حرمه هذا البيت!» (٣)

وقوله عليه السلام للفرزدق: «لو لم أعجل لأخذت». (٤)

معالركب الحسيني (ج ٢)، ص: ١٥٤

ذكرت بعض المصادر التاريخية: «أن يزيد أنفذ عمرو بن سعيد بن العاص في عسكر، وأمره على الحاج وولاه أمر الموسم وأوصاه بالفتك بالحسين أينما وجد ..». (١)

ويقول مصدر آخر: «وبعث ثلاثين من بنى أمية مع جمع وأمرهم أن يقتلوا الحسين». (٢)

ويقول آخر: «إنهم جدوا في إلقاء القبض عليه وقتله غيلة ولو وجد متعلقاً بأستار الكعبة». (٣)

ومن الوثائق التاريخية الكاشفة عن هذه الحقيقة رسالة ابن عباس الى يزيد والتي ورد فيها: «.. وما أنس من الأشياء، فلست بناس اطرادك الحسين بن علي من حرم رسول الله الى حرم الله، ودسك عليه الرجال تغتاله .. فأكبر من ذلك ما لم تكبر حيث دسست عليه الرجال فيها ليقاتل في الحرم ..». (٤)

وفي هذا القدر من المتون التاريخية كفاية في الدلالة على خطه السلطة الأموية المركزية في الشام لإلقاء القبض على الإمام عليه السلام أو اغتياله في مكة المكرمة.

معالركب الحسيني (ج ٢)، ص: ١٥٥

حركة السلطة الأموية المحلية في البصرة ص : ١٥٥

كان عبيدالله بن زياد مدّة ولايته على البصرة قد هيمن على ظاهر الحياة السياسية والاجتماعية فيها، لما عُرف عنه من قدرة على العشم والظلم والجور، والتفريق بين القبائل، وخلق الكراهية بين الوجهاء والأشراف، وما إلى ذلك من فنون المكر في إدارة شؤون الأمة التي تعرف فساد حكّامها وفسقهم، وتنطوي على كرههم.

لكن باطن الحياة السياسية والاجتماعية في البصرة آنذاك كان يشهد أمراً آخر وهو النشاط السري للمعارضة الشيعية بشكل أساسي، فقد كان للشيعية في الخفاء منتدياتهم الخاصة التي يتداولون فيها الأخبار ووقائع الأحداث ومستجدات الأمور ويتشاورون بصدد ما فيما بينهم، وكان ابن زياد على علم إجمالي بمثل هذه الحركة الخفية، وكان يتوجس منها، والدليل على ذلك لحن الخطاب الأخير الذي

ألقاه في البصرة قبل سفره منها الى الكوفة.

تلقى ابن زياد رسالة يزيد التي حملها إليه مسلم بن عمرو الباهلي والتي ولّاه فيها على الكوفة إضافة إلى البصرة، ودعاها فيها الى المبادرة- حين قراءة الرسالة- الى التوجه الى الكوفة ليطلب مسلم بن عقيل طلب الخرزة حتى يتقفه فيوثقه أو يقتله أو ينفيه. وما إن قرأ ابن زياد الرسالة حتى أمر بالجهاز والتهيء والمسير الى الكوفة من الغد، «١» لكن المفاجأة التي أذهلته قبيل سفره إليها هي معرفته بأن الإمام عليه السلام قد ارسل رسولاً إلى البصرة إلى الأشراف ورؤساء الأخماس فيها يدعوهم فيها إلى تأييده والانضمام إليه في قيامه (وإن كان المتيقن أن عبيدالله بن زياد قد أطلع

مع الרכب الحسينى (ج ٢)، ص: ١٥٦

بالفعل على نسخة رسالة الإمام عليه السلام الى المنذر بن الجارود فقط، لكن مما لا ريب فيه أن خبرة ابن زياد الإدارية والسياسية تجعله على يقين بأن المنذر بن الجارود كان واحداً من الأشراف الذين كتب إليهم الإمام عليه السلام ولم يكن الوحيد فيهم). ولم يحدثنا التاريخ- بل لم ننع على وثيقته تحدثنا- أن ابن زياد قد سعى إلى معرفة الأشراف الآخرين الذين كتب إليهم الإمام عليه السلام، أو سعى إلى مطاردتهم واضطهادهم مثلاً، ولعل ذلك بسبب ضيق الوقت والعجالة التي كان عليها في عزمه على السفر الى الكوفة وهي الساحة الأهم والمضطربة الأحداث آنذاك، أو لأنه كان مطمئناً لولاء أكثر هؤلاء الأشراف للحكم الأموى.

لنعد إلى مجرى حركة الأحداث في البصرة قبيل يوم واحد من سفر ابن زياد إلى الكوفة ..

وصلت نسخة من رسالة الإمام الحسين عليه السلام إلى اشراف البصرة بيد رسوله سليمان بن رزين إلى المنذر بن الجارود- الذى كانت ابنته بحرية زوجة لعبيدالله بن زياد- فلم يخف أمر الرسالة كما فعل الآخرون ولم يحفظ الأمان للرسول، بل عزم على الخيانة التي تعودها من قبل، فأقبل بالرسالة وبالرسول الى عبيدالله بن زياد، زعماً منه «١» أنه خاف أن يكون الكتاب دسيسه من عبيدالله نفسه، فصلبه عبيدالله بن زياد، «٢» أو قدّمه فضرب عنقه على رواية أخرى. «٣»

ثم صعد عبيدالله منبر البصرة، وقلبه يرتعد خيفة من استجابة أهلها لنداء الإمام عليه السلام، ويعتصره القلق من انتفاضة المعارضه الخفية وقيامها مع الإمام عليه السلام،

مع الרכب الحسينى (ج ٢)، ص: ١٥٧

فكان خطابه مليئاً بالتهديد والوعيد، كاشفاً بذلك عن قلقه وخوفه، وعن قوة المعارضه التي يخشاها، فقد قال في خطابه بعد أن حمد الله وأثنى عليه: «أما بعد، فوالله ما تقرن بى الصعبة، «١» ولا يقعق لى بالشنان، «٢» وإنى لنكّل «٣» لمن عادانى، وسّم لمن حاربنى، أنصف القارة من رامها. «٤»

يا أهل البصرة، إن أمير المؤمنين ولّانى الكوفة، وأنا غاد إليها الغدا، وقد استخلفت عليكم عثمان بن زياد بن أبى سفيان، «٥» وإياكم والخلاف والإرجاف،

مع الרכب الحسينى (ج ٢)، ص: ١٥٨

فوالذى لا إله غيره لئن بلغنى عن رجل منكم خلافاً لأقتلته وعريفه ووليه، ولآخذن الأذى بالأقصى حتى تستمعوا لى ولا يكون فيكم مخالف ولا مشاق، أنا ابن زياد، أشبهته من بين من وطىء الحصى ولم ينتزعى شبة خال ولا ابن عم. «١»

ويلاحظ المتأمل هنا أيضاً أن عبيدالله بن مرجانه مع كل ما أظهره من استعداد للظلم والغشم والقتل الكاشف عن خوفه وتوجسه من قدرة المعارضه الخفية على التحرك لنصرة الإمام الحسين عليه السلام، كان قد افتخر بانتسابه الموهوم إلى أبى سفيان حيث قال: «وقد استخلفت عليكم عثمان بن زياد بن أبى سفيان»، ومراده من هذا الافتخار تحذير أهل البصرة وتخويفهم بتذكيرهم أنه وأخوه امتداد لعائلة معروفة بالحيلة والمكر والدهاء وبسابقه طويلة في الممارسة السياسية.

حركة السلطنة الأموية المحلية الجديدة في الكوفة ص : ١٥٨

السفر السريع إلى الكوفة ص : ١٥٨

بعد أن تسلّم عبيدالله بن زياد رسالة يزيد التي حملها إليه مسلم بن عمرو الباهلي، أمر بالجهاز من وقته والمسير والتهيؤ إلى الكوفة من الغد، «٢» فلم يبق في البصرة بعدها إلّا يوماً قتل فيه سليمان بن رزين (رض) رسول الإمام الحسين عليه السلام إلى أشراف البصرة، وألقى فيه خطاباً على منبر البصرة أعلن فيه لأهلها عن استخلافه أخاه عثمان بن زياد عليها، وهدّد فيه أهل البصرة وحذّره من الخلاف والإرجاف! وتوعدّهم على ذلك، وفي غد ذلك اليوم خرج من البصرة إلى الكوفة.

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ١٥٩

تقول رواية تاريخية: «وأقبل الى الكوفة ومعه مسلم بن عمرو الباهلي، وشريك بن الأعور الحارثي، «١» وحشمه وأهل بيته حتى دخل الكوفة وعليه عمامة سوداء وهو مثلثم ..». «٢»

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ١٦٠

وتقول رواية أخرى: «فتعجّل ابن زياد المسير إلى الكوفة مع مسلم بن عمرو الباهلي، والمنذر بن الجارود، وشريك الحارثي، وعبدالله بن الحارث بن نوفل، في خمسمائة رجل انتخبهم من أهل البصرة، فجذّ في السير، وكان لا يلوى على أحد يسقط من أصحابه، حتى أنّ شريك بن الأعور سقط أثناء الطريق، وسقط عبدالله بن الحارث رجاء أن يتأخّر ابن زياد من أجلهم، فلم يلتفت ابن زياد إليهم مخافة أن يسبقه الحسين عليه السلام إلى الكوفة، ولما ورد القادسية سقط مولاة مهران.

فقال له ابن زياد: إنّ أمسكت على هذا الحال، فتنظر القصر فلنك مائة ألف.

قال: والله لا أستطيع.

فتركه عبيدالله، ولبس ثياباً يمانية وعمامة سوداء وانحدر وحده، وكلّما مرّ (بالمحارس) ظلّوا أنّه الحسين عليه السلام فقالوا: مرحباً بابن رسول الله. وهو ساكت، فدخل الكوفة مما يلي النجف». «١»

وتتابع القصة على رواية الطبري حيث يقول: «والناس قد بلغهم إقبال الحسين إليهم، فهم ينتظرون قدومه، فظلّوا حين قدم عبيدالله أنّه الحسين، فأخذ لايمرّ على جماعة من الناس إلّا سلّموا عليه «٢» وقالوا: مرحباً بك يا ابن رسول الله! قدمت خير مقدم. فرأى من تباشيرهم بالحسين عليه السلام ماساءه، فقال مسلم بن عمرو لئما أكثروا: تأخّروا، هذا الأمير عبيدالله بن زياد!

فأخذ- حين أقبل - على الظهر، «٣» وإنّما معه بضعة عشر رجلاً. فلما دخل

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ١٦١

القصر وعلم الناس أنه عبيدالله بن زياد دخلهم من ذلك كآبة وحزن شديد، وغاظ عبيدالله ما سمع منهم، وقال: الا أرى هؤلاء كما أرى!». «١»

إنّ المتون التاريخية التي وصفت الطريقة التي دخل بها ابن مرجانة الكوفة تكشف لنا أنّ حالة التأهب (بل الغليان!) والتوتر التي كانت تعيشها الكوفة وهي تنتظر قدوم الإمام الحسين عليه السلام ما كانت تسمح لأي مبعوث أموي أن يدخلها علناً وبسهولة لأنّ الأمة منتفضة على السلطنة الأموية أو تكاد، فكان لا بدّ لأي مبعوث أو مسؤول أموي من التخصّي والتنكّر ومخادعة الناس، فيأتي من طريق غير الطريق التي يأتي منها المسؤولون الرسميون في العادة، ويتنكّر في زيّ آخر، ويشبه على الناس أنه محبوبهم الذي ينتظرون قدومه بكلّ اشتياق، كي يستطيع العبور بسلام والوصول الى القصر، لياشر منه التخطيط والإجراءات اللازمة للقضاء على انتفاضة الأمة في الكوفة أوّلًا ثم القضاء على محبوب الأمة القادم إليها.

خدعة ابن زياد تنطلي حتى على النعمان بن بشير! ص : ۱۶۱

وتواصل الرواية التاريخية قصة خدعة ابن زياد فتقول: «وسار حتى وافى القصر بالليل، ومعه جماعة قد التقوا به لا يشكون أنه الحسين عليه السلام، فأغلق النعمان ابن بشير الباب عليه وعلى خاصته، فناداه بعض من كان معه ليفتح لهم الباب، فأطلع عليه النعمان وهو يظنه الحسين عليه السلام.

فقال: أنشدك الله إلا تنحيت، والله ما أنا بمسلم إليك أمانتي، ومالي في قتالك من أرب.

فجعل لا يكلمه، ثم إنّه دنى وتدلى النعمان من شرف القصر فجعل يكلمه ..

مع الركب الحسينى (ج ۲)، ص: ۱۶۲

فقال: إفتح لا فتحت، فقد طال ليلك!

وسمعهما إنسان خلفه فنكص إلى القوم الذين اتبعوه من أهل الكوفة على أنه الحسين عليه السلام، فقال: يا قوم، ابن مرجانة والذى لا إله غيره!

ففتح له النعمان فدخل وضربوا الباب فى وجوه الناس وانفضوا». (۱)

هذا النصّ كاشف تماماً عن درجة الضعف المذهل التي كان عليها ممثلو النظام الأمويّ فى الكوفة يومذاك، فابن بشير يلبد فى القصر ويخشى الخروج منه لمقابلة القادم الذى ظنّ أنّه الحسين عليه السلام، وعبيدالله وهو بين مجموعة من أهل الكوفة يخشى حتى من إظهار صوته مخافه أن يُعرف .. فما أقوى دلالة هذا النصّ على حالة (الإنقلاب) التي كانت الكوفة تعيشها فى رفضها النظام الأمويّ، وانتظارها لوصول القيادة الشرعية القادمة إليها.

الخطاب الإرهابى الأوّل ص : ۱۶۲

إشارة

ما إن دخل ابن مرجانة القصر وهدأت أنفاسه المضطربة من الخوف والتعب حتى أمر الناس بالإجتماع فى المسجد ليعلن لهم عن وصوله وعن بداية قرارات الغشم الإرهابية، تقول الرواية التاريخية: «لما نزل القصر نودى: الصلاة جامعة، قال: فاجتمع الناس، فخرج إلينا، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أمّا بعد، فإنّ أمير المؤمنين أصلحه الله ولآنى مصركم وثغركم، وأمرنى بإنصاف مظلومكم وإعطاء محرومكم، وبالإحسان إلى سامعكم ومطيعكم، وبالشدّة على مريبكم وعاصيكم، وأنا متّبع فيكم أمره، ومنفّذ فيكم عهده، فأنا لمحسنتكم ومطيعكم كالوالد البرّ، وسوطى وسيفى على من ترك أمرى وخالف عهدى، فليبق امرؤ على

مع الركب الحسينى (ج ۲)، ص: ۱۶۳

نفسه. الصدق ينبىء عنك لا الوعيد! ثمّ نزل». (۱)

إشارة: ص : ۱۶۳

تلقت انتباه المتأمل فى هذه الخطبة دعوى ابن مرجانة بأنّ يزيد أمره فيما أمره به «بالإحسان إلى سامعكم ومطيعكم!» فمع أنّ هذه الدعوى لم تصدّقها وثائق التاريخ وهى أكذوبة من أكاذيب ابن زياد الكثيرة، وهذا الإحسان - لو تحقّق - مشروط بالإنقياد التام والخنوع للسلطة الأموية، فإنّ موعده الإحسان الكاذبة هذه جاءت متأخرة جداً بعد سنين متمادية تعمّد فيها طاغية الأميين الأكبر معاوية أن يُذيق أهل الكوفة الضيم والجوع والحرمان، وأن يجعلهم وقود حروبه فى الثغور وفى مواجهة الخوارج، عقوبة لولاّتهم لعلّى عليه السلام، وكان معاوية لا يعبأ بشكايه أهل الكوفة، بل يردّ على من يحمل إليه الشكوى منهم أسوأ الردّ ويعامله بالإستخفاف

والقسوة.

هذه سودة بنت عماره تأتيه من العراق وتشكو إليه جور ولاته الذين حكمهم في رقاب وأموال أهل الكوفة، فتقول: «لا تزال تُقدم علينا من ينهض بعزك ويبسط سلطانك فيحصدنا حصاد السنبيل، ويدوسنا دياس البقر، ويسومنا الخسيسه ويسألنا الجليله، هذا ابن أوطاه قدم بلادى، وقتل رجالي وأخذ مالي ..». «٢»

فما كان جواب الطاغية إلا أن قال لها: «هيهات، لمظكم ابن أبي طالب الجرأة!». «٣»

وقالت له عكرشه بنت الأطرش: «إنه كانت صدقاتنا تؤخذ من أغنيائنا فترد»

معالركب الحسيني (ج ٢)، ص: ١٦٤

على فقرائنا، وإننا قد فقدنا ذلك، فما يجبر لنا كسير ولا يُنعش لنا فقير. فإن كان ذلك عن رأيك فمثلك من انتبه عن الغفلة وراجع التوبة، وإن كان عن غير رأيك فما مثلك من استعان بالخونه ولا استعمل الظلمه!». «٤»

فما كان جواب معاوية إلا أن قال لها: «هيهات يا أهل العراق، تبهكم على بن أبي طالب فلن تُطاقوا ..». «٥»

فلم تكن الكوفة تنتظر من السلطه الأمويه المركزيه ولا من ولاتها إحساناً ورأفة ورفقاً طيله سنين متماديه جرّعها فيها معاوية كأس الهوان والمذلة والحرمان.

لكن بركان الكوفة لما فارت أعماقه بالحمم، ودوت في فمه صرخه النذر بالتمرد والقيام مع الحسين عليه السلام ضد الحكم الأموي، عزف الوالى الجديد ابن زياد نغمه الإحسان لتهدئه ثورة البركان المتأزم بقذائف الحمم، بعد سنين طويله، فلعل وعسى! ولكن أى إحسان هو؟! إنه الإحسان الخاص للمتقادين السامعين الطائعين فقط.

الإجراء الإرهابي الأول ص: ١٦٤

إشارة

ثم إن عبيدالله بن مرجانه أتبع خطابه الإرهابي الأول بعمل إرهابي كان الأول

معالركب الحسيني (ج ٢)، ص: ١٦٥

أيضاً في سلسله أعماله القمعيه: «فأخذ العرفاء والناس أخذاً شديداً، فقال: اكتبوا إلى الغرباء، ومن فيكم من طلبه «١» أميرالمؤمنين، ومن فيكم من الحروريه، «٢» وأهل الريب الذين رأبهم الخلاف والشقاق، فمن كتبهم لنا فبرىء، ومن لم يكتب لنا أحداً فيضمن لنا مافى عرفته ألا- يخالفنا منهم مخالف، ولا- يبغى علينا منهم باغ، فمن لم يفعل برئت منه الذميه، وحلال لنا ماله وسفك دمه، وأيما عريف ووجد في عرفته من بغيه أميرالمؤمنين أحد لم يرفعه إلينا صلب على باب داره، وألغيت تلك العرافه من العطاء، وسير إلى موضع بعُمان الزارة «٣». «٤»

إشارة: ص: ١٦٥

كانت العرافه من وظائف الدوله لمعرفة الرعيه وتنظيم عطائهم من بيت المال، وقد كان في الكوفه مائه عريف، وكان العطاء يُدفع إلى أمراء أرباع الكوفه الأربعة فيدفعونه إلى العرفاء والنقباء والأمناء، فيدفعونه هؤلاء إلى أهله في دورهم، وكان يؤمر لهم بعطائهم في المحرم من كل سنه، وبفيئهم عند طلوع الشعري في كل سنه حيث إدراك الغلات. وكانت العرافه على عهد النبي صلى الله عليه و آله. «٥»

«وكانت الدوله تعتمد على العرفاء، فكانوا يقومون بأمور القبائل ويوزعون عليهم العطاء، كما كانوا يقومون بتنظيم السجلات العامه التي فيها أسماء الرجال

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ١٦٦ والنساء والأطفال، وتسجيل من يولد ليفرض له العطاء من الدولة، وحذف العطاء لمن يموت، كما كانوا مسؤولين عن شؤون الأمن والنظام، وكانوا في أيام الحرب يندبون الناس للقتال ويحثونهم على الحرب، ويخبرون السلطة بأسماء الذين يتخلفون عن القتال، وإذا قصر العرفاء أو أهملوا واجباتهم فإن الحكومة تعاقبهم أقسى العقوبات. ومن أهم الأسباب في تفرق الناس عن مسلم بن عقيل هو قيام العرفاء بتخذيل الناس عن الثورة، وإشاعة الإرهاب بين الناس، كما كانوا السبب الفعّال في زجّ الناس لحرب الإمام الحسين عليه السلام». «١»

قتل عبدالله بن يقطر «٢» الحميري (رض) ص : ١٦٦

إشارة

إن المشهور عند أهل السير «٣» هو أن الإمام الحسين عليه السلام سرح عبدالله بن يقطر (رض) إلى مسلم بن عقيل عليه السلام بعد خروجه من مكة في جواب كتاب مسلم عليه السلام إلى الحسين عليه السلام يسأله القدوم ويخبره باجتماع الناس، فقبض عليه الحسين بن نمير «٤» (أو بن تميم) «٥» بالقادسية .. إلى آخر قصة استشهاده (رض). ولذا فقصة استشهاده (رض) من مختصات تأريخ فترة وقائع الطريق بين مكة

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ١٦٧ وكربلاء، أي من مختصات (الجزء الثالث) من هذه الدراسة. لكن هناك روايتين تحدّثتا في قصة قتله (رض) مفادهما أنه قُتل في الفترة التي كان فيها الإمام الحسين عليه السلام في مكة المكرمة، ولذا فنحن نتعرض لهاتين الروايتين هنا في هذا الموقع.

الرواية الأولى: ص : ١٦٧

إشارة

وهي رواية ابن شهر آشوب، وفيها أن عبيدالله بن زياد بعد أن زار شريك بن الأعور الحارثي في مرضه (في بيت هانيء بن عروة)، وجرى ما جرى من حثّ شريك مسلماً عليه السلام على قتل عبيدالله من خلال رمز «ما الإنتظار بسلمي أن تحييها ..»، فأوجس عبيدالله منهم خيفة فخرج: «فلما دخل القصر أتاه مالك بن يربوع التميمي بكتاب أخذه من يدي عبدالله بن يقطر، فإذا فيه: «للحسين بن علي: أما بعد، فإني أخبرك أنه قد بايعك من أهل الكوفة كذا، فإذا أتاك كتابي هذا فالعجل العجل، فإن الناس معك، وليس لهم في يزيد رأي ولا هوى» فأمر ابن زياد بقتله». «١»

أما الرواية الثانية: ص : ١٦٧

وهي رواية محمد بن أبي طالب في كتابه (تسليء المجالس) فتفصل القصة هكذا: أنه بينما كان عبيدالله يتكلم مع أصحابه في شأن عيادة هانيء: «إذ دخل عليه رجل من أصحابه يُقال له مالك بن يربوع التميمي، فقال: أصلح الله الأمير، إني كنت خارج الكوفة أجول على فرسي، إذ نظرتُ إلى رجل خرج من الكوفة مسرعاً إلى البادية، فأنكرته، ثم إنني لحقته، وسألته عن حاله فذكر أنه من أهل المدينة! ثم نزلت عن فرسي ففتشته فأصبت معه هذا الكتاب.

فأخذه ابن زياد ففضّه فإذا فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم: إلى الحسين بن علي: أما بعد: فإني أخبرك أنه بايعك من أهل الكوفة نيافاً

على عشرين ألف رجل،

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ١٦٨

فإذا أتاك كتابي فالعجل العجل، فإنّ الناس كلهم معك، وليس لهم في يزيد هوى ..».

فقال ابن زياد: أين هذا الرجل الذي أصبت معه الكتاب؟

قال: هو بالباب.

فقال: إئتوني به.

فلما وقف بين يديه قال: ما اسمك؟

قال: عبدالله بن يقطين.

قال: من دفع إليك هذا الكتاب؟

قال: دفعته إلى امرأة لا أعرفها!

فضحك ابن زياد وقال: اختر أحد اثنين، إمّا أن تخبرني من دفع إليك الكتاب أو القتل!

فقال: أمّا الكتاب فإنّي لا أخبرك، وأمّا القتل فإنّي لا أكرهه لأنّي لا أعلم قتيلاً عند الله أعظم أجراً ممّن يقتله مثلك!

قال فأمر به فضربت عنقه». (١)

فهذا الشهيد (رض) في هاتين الروايتين - وخلافاً للمشهور - هو رسول من مسلم عليه السلام إلى الإمام الحسين عليه السلام، «٢» وهو

في رواية (تسليّة المجالس) ابن يقطين

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ١٦٩

وليس ابن يقطر أو يقطر.

وهنا قد ينقدح في الذهن احتمال أنّ عبدالله بن يقطر هو غير عبدالله بن يقطين هذا، بقريته: اختلاف إسم الأب أولاً. وثانياً اختلاف

اسم الرجل الذي ألقى القبض على ابن يقطر وهو حسب المشهور الحصين بن نمير (أو ابن تميم) عن اسم الرجل الذي ألقى القبض

على ابن يقطين هذا وهو مالك بن يربوع التميمي.

وثالثاً أنّ الأول ألقى عليه القبض خارج الكوفة. ورابعاً أنّ الأول كما هو مشهور قتل برميّه من فوق القصر، بينما الثاني ضربت عنقه.

ويمكن أن يُردّ على هذه المرتكزات التي يقوم عليها هذا الاحتمال:

أولاً: أنّ هناك ظناً قوياً في أنّ يكون اسم يقطين تصحيفاً لإسم يقطر خصوصاً في الكتب المخطوطة قديماً، ويقوّى هذا الظنّ أنّ اسم

يقطين لم يرد إلّا في كتاب تسليّة المجالس، كما أنّ إسم الأب في رواية ابن شهر آشوب المشابهة لهذه الرواية هو يقطر «١» وليس

يقطين، هذا فضلاً عن أنّ رواية كتاب تسليّة المجالس نفسها تذكر أنّ عبدالله هذا رجل من أهل المدينة، والتاريخ لم يذكر لنا رجلاً

من شهداء النهضة الحسينية من أهل المدينة بهذا الإسم (من غير بني هاشم) سوى عبدالله بن يقطر.

وثانياً: أنّه لا يمنع من وحدة الشخص أنّ الأول ألقى القبض عليه الحصين بن

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ١٧٠

نمير (أو تميم) وأنّ الثاني ألقى القبض عليه مالك بن يربوع التميمي، إذ قد يكون مالك بن يربوع أحد مأموري الحصين، فتصحّ

عندئذٍ نسبة إلقاء القبض إلى كليهما.

وثالثاً: أنّ قول مالك بن يربوع كما في رواية تسليّة المجالس: «كنت خارج الكوفة أجول على فرسي إذ نظرت إلى رجل خرج من

الكوفة مسرعاً يريد البادية ..» قد يعني أنه نظر إلى رجل أقبل من ناحية الكوفة مسرعاً يريد البادية، ولا ينافي ذلك أنه نظر إليه في

القادسية أو قريباً منها (من ناحية الكوفة) حيث تنتشر قوّات الرصد الأموي على اتساع تلك المنطقة.

ورابعاً: أنه لا منافاة في الإخبار عن قتله بأنه ضُربت عنقه في حين أن ابن يقطر (رض) رُمى به من فوق القصر فتكسرت عظامه وبقي به رمق ثم ذبحه اللخمي كما هو مشهور، ذلك لأنَّ هذا التفاوت في التعبير عن القتل غير مستغرب في الاستعمال العرفي، وهو ليس في مستوى دقَّة التعبير الفقهي أو الرياضي كما نعلم، ثم إنَّ رواية ابن شهر آشوب ذكرت فقط أن ابن زياد أمر بقتله، ولم تتعرَّض لطريقة القتل.

من هو عبدالله بن يقطر الحميري؟ ص : ١٧٠

«كانت أمه حاضنة للحسين عليه السلام كأم قيس بن ذريح للحسن عليه السلام، ولم يكن رضع عندها، ولكنه يُسمَّى رضيعاً له لحضانه أمه له. وأم الفضل بن العباس لبأه كانت مربيةً للحسين عليه السلام ولم ترضعه أيضاً، كما صحَّ في الأخبار أنه لم يرضع من غير ثدي أمه فاطمة صلوات الله عليها وإبهام رسول الله صلى الله عليه وآله تارة، وريقه تارة أخرى». (١)

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ١٧١

وذكر ابن حجر في الإصابة أنَّ عبدالله بن يقطر كان صحابياً لأنه لِدَّةٌ للحسين عليه السلام. (١)

وكان عبدالله بن يقطر رضوان الله تعالى عليه من أهل اليقين والشجاعة الفائقة، إذ لَمَّا أمره ابن مرجانة قائلاً: «إصعد القصر والعن الكذاب بن الكذاب، ثم انزل حتى أرى فيك رأبي». (٢) صعد هذا البطل القصر «فلَمَّا أشرف على الناس قال: أيها الناس، أنا رسول الحسين بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله إليكم لتنصروه وتوازره على ابن مرجانة وابن سميَّة الدعوى بن الدعوى!». (٣)

والظاهر أنَّ عبدالله بن يقطر رضوان الله تعالى عليه قُتل قبل قيس بن مسهر الصيداوي رضوان الله تعالى عليه، الذي قتل بعد قتل مسلم عليه السلام، بدليل أنَّ خبر مقتل عبدالله ورد إلى الإمام عليه السلام بزبالة في الطريق إلى العراق في نفس خبر مقتل مسلم عليه السلام وهانئ رضوان الله تعالى عليه، فنعاهم الإمام عليه السلام قائلاً: «أمياً بعدد، فقد أتانا خبر فظيع، قُتل مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة وعبدالله بن يقطر، وقد خذلنا

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ١٧٢

شيئتنا ..» (١)

وبذلك يكون عبدالله بن يقطر رضوان الله تعالى عليه ثاني رسل الإمام الحسين عليه السلام الذين استشهدوا أثناء أداء مهمة الرسالة، بعد شهيد النهضة الحسينية الأول سليمان بن رزين رضوان الله تعالى عليه، رسول الإمام عليه السلام إلى أشرف البصرة، بل إنَّ عبدالله بن يقطر هو الشهيد الثاني في النهضة الحسينية المباركة إذا ثبت تاريخياً أنه قُتل قبل قيام انتفاضة مسلم عليه السلام في الكوفة.

اضطهاد رجال المعارضة وحبسهم وقتلهم ص : ١٧٢

«إنَّ ابن زياد لَمَّا أُطلع على مكاتبه أهل الكوفة الحسين عليه السلام حبس أربعة آلاف وخمسمائة رجل من التوابين من أصحاب أمير المؤمنين وأبطاله الذين جاهدوا معه، منهم سليمان بن صرد وابراهيم بن مالك الأشتر و... وفيهم ابطال وشجعان ولم يكن له سبيل إلى نصر الحسين عليه السلام لأنهم كانوا مقيدين مغلولين وكانوا يوماً يطعمون ويوماً لا يُطعمون». (٢)

وينقل المحقق الشيخ باقر شريف القرشي عن كتاب (المختار مرآة العصر الأموي) أنَّ عدد الذين اعتقلهم ابن زياد في الكوفة اثنا عشر ألفاً، كما ينقل عن كتاب (الدرر السلوك في أحوال الأنبياء والأوصياء) أنَّ من بين أولئك المعتقلين سليمان بن صرد الخزاعي، والمختار بن ابي عبيد الثقفي وأربعمائة من الوجوه والأعيان. (٣)

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ١٧٣

وذكر الطبري أن ابن زياد «أمر أن يُطلب المختار وعبدالله بن الحارث، «١» وجعل فيهما جعلًا، فأتى بهما فحبسا». «٢» وقال البلاذري: «أمر ابن زياد بحبسهما- المختار وابن الحارث- بعد أن شتم المختار واستعرض وجهه بالقضيب فشر عينه، وبقي في السجن إلى أن قتل الحسين». «٣»

«ثم إنَّ الحصين «٤»- صاحب شرطة ابن زياد- وضع الحرس على أفواه السكك، وتتبع الأشراف الناهضين مع مسلم، فقبض على عبد الأعلى بن يزيد

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ١٧٤

الكلبي، «١» وعمار بن صلخب الأزدي «٢» فحبسهما، ثم قتلهما، وحبس جماعة من

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ١٧٥

الوجوه استيحاءاً منهم، وفيهم الأصعب بن نباتة، «١» والحارث الأعور الهمداني «٢». «٣»

حبس ميثم التمار ص : ١٧٥

يُستفاد من ظاهر بعض المتون التي تروى قصة مقتل الشهيد الفدّ ميثم التمار (رض) أن قتله كان في أواخر شهر ذي الحجة سنة ستين للهجرة، كقول الشيخ المفيد (ره): «وحجّ في السنة التي قُتل فيها»، «٤» وتصرّح بعض المتون أنه (رض) قتل قبل وصول الإمام الحسين عليه السلام إلى العراق: «وكان مقتل ميثم قبل

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ١٧٦

قدوم الحسين بن علي عليهما السلام إلى العراق بعشرة أيام»، «١» بل تصرّح أخرى قائله:

«وشهادته قبل يوم عاشوراء بعشرين يوماً أو عشرة أيام». «٢»

وعلى أي من هذه الأقوال، يكون ميثم التمار (رض) قد قتل فيما بعد خروج الإمام الحسين عليه السلام من مكة، وفي أثناء أيام الرحلة إلى العراق.

أمّا حبسه (رض) في سجن ابن زياد فهناك إشاره تأريخية يمكن الاستفادة منها أنه حُبس مع المختار في وقت معاً، كما في قول الشيخ المفيد (ره): «فحبسه وحبس معه المختار ..»، «٣» أي قبل مقتل مسلم عليه السلام، وعلى هذا يكون حبسه (رض) في الفترة التي كان فيها الإمام عليه السلام بمكة المكرمة.

ميثم التمار رضوان الله تعالى عليه ص : ١٧٦

يندر أن ترى كتاباً يتناول تأريخ النهضة الحسينية وفاجعة عاشوراء يذكر ميثم التمار (رض) في جملة شهداء فترة تأريخ تلك النهضة المقدسة مع أنه (رض) من طليعة الأبرار وخواص الأولياء الذين استشهدوا في تلك الفترة لولا أنهم لأهل البيت عليهم السلام وعدائهم للحكم الأموي، ولشهادته نفسها خصوصية تجعلها في العلياء من روائع تأريخ وقائع الإستشهاد في سبيل الله تعالى وفي القمة من نوادره.

هو ميثم بن يحيى - أو عبدالله - التمار الأسدي الكوفي، وهو من حوارى أمير المؤمنين والحسن والحسين صلوات الله عليهم، والروايات في مدحه وجلالته وعظم شأنه وعلمه بالمغيبات كثيرة لا تحتاج إلى البيان، ولو كان بين

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ١٧٧

العصمة والعدالة مرتبةً وواسطةً لأطلقها عليه. «١»

كان ميثم (رض) لمنزلته الخاصة عند الله تبارك وتعالى وعند أهل البيت عليهم السلام قد رزق علم المنايا والبلايا، وقد شاعت عنه

إخباراته بمغيبات كثيرة، ومنها أنه أخبر حبيب بن مظاهر باستشهاده في نصره الحسين عليه السلام وأنه يُجال برأسه في الكوفة كما أخبر المختار بأنه ينجو من سجن ابن زياد، ويخرج نائراً مطالباً بدم الحسين عليه السلام فيقتل ابن زياد ويطأ بقدميه على وجنتيه، «٢» بل أخبر ابن زياد نفسه بأنه يقتله وبالطريقة التي يقتله بها وأنه أول من يلجم في الإسلام. «٣»
 روى «أنّ ميثم التمار كان عبداً لامرأة من بنى أسد، فاشتراه أمير المؤمنين عليه السلام منها فأعتقه، فقال له: ما اسمك؟ فقال: سالم.

فقال: أخبرني رسول الله صلى الله عليه وآله أن اسمك الذي سماك به أبواك في العجم ميثم.

قال: صدق الله ورسوله وصدقت يا أمير المؤمنين، والله إنه لأسمى!

قال: فارجع إلى اسمك الذي سماك به رسول الله صلى الله عليه وآله ودع سالماً، فرجع إلى ميثم واكتنى بأبي سالم.

فقال له عليّ عليه السلام ذات يوم: إنك تؤخذ بعدى فتُصلب وتُطعن بحربة، فإذا كان اليوم الثالث ابتدر منخراك وفمك دماً يخضب لحيتك، فانتظر ذلك الخضاب، فتُصلب على باب

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ١٧٨

عمرو بن حُرَيْثٍ عَشْرَةَ، أَنْتِ أَقْصَرُهُمْ خَشْبَةً، وَأَقْرَبُهُمْ مِنَ الْمَطْهَرَةِ، وَامْضِي حَتَّى أُرِيكَ النَّخْلَةَ الَّتِي تُصَلَّبُ عَلَيْهَا جَذْعُهَا.

فأراه إياها. وكان ميثم يأتيها فيصلّي عندها ويقول: بوركت من نخلة، لك خُلِقْتُ ولى غُدَيْتِ، ولم يزل يتعاهدها حتى قُطعت، وحتى عرف الموضوع الذي يُصلب عليها «١» بالكوفة.

قال: وكان يلقي عمرو بن حُرَيْثٍ فيقول له: إنني مجاورك فأحسن جوارى!

فيقول له عمرو: أتريد أن تشتري دار ابن مسعود أو دار ابن حكيم؟

وهو لا يعلم ما يريد.

وحجّ في السنة التي قُتل فيها، فدخل على أم سلمة رضي الله عنها.

فقلت: من أنت؟

قال: أنا ميثم.

قالت: والله لربما سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يذكرك ويوصي بك علياً في جوف الليل.

فسألها عن الحسين عليه السلام، فقالت: هو في حائط له.

قال: أخبريه أنني قد أحببت السلام عليه، ونحن ملتقون عند رب العالمين إن شاء الله تعالى. «٢»

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ١٧٩

فدعت أم سلمة بطيب وطيبت لحيته، وقالت له: أما إنّها ستُخضّب بدم!

فقدم الكوفة، فأخذه عبيد الله بن زياد لعنه الله، فأدخل عليه

فقال له: هذا كان من آثر الناس عند عليّ!

قال: ويحكم، هذا الأعجميّ!

قال له: نعم!

قال له عبيد الله: أين ربك؟!

قال: لبالمرصاد لكلّ ظالم، وأنت أحد الظلمة!

قال: إنك على عجمتك لتبلغ الذي تريد! ما أخبرك صاحبك أني فاعل بك؟

قال: أخبرني أنك تصلبني عاشر عشرة، أنا أقصرهم خشبة، وأقربهم إلى المطهرة.

قال: لنخالفته.

معالركب الحسيني (ج ٢)، ص: ١٨٠

قال: كيف تخالفه؟! فوالله ما أخبرني إلا عن النبي صلى الله عليه وآله عن جبرئيل عن الله تعالى، فكيف تخالف هؤلاء؟! ولقد عرفت الموضوع الذي أصلب عليه أين هو من الكوفة، وأنا أول خلق الله أُلجم في الإسلام!

فحبسه وحبس معه المختار بن أبي عبيدة، قال له ميثم: إنك تفلت وتخرج تائراً بدم الحسين عليه السلام فتقتل هذا الذي يقتلنا. فلما دعا عبيد الله بالمختار ليقتله طلع بريد بكتاب يزيد إلى عبيد الله يأمره بتخليه سبيله فخلّا عنه، «١» وأمر بميثم أن يُلصّب، فأخرج.

فقال له رجل لقيه: ما كان أغناك عن هذا يا ميثم!؟

فتبسّم وقال وهو يومي إلى النخلة: لها خلقت، ولي غُذيت!

فلما رفع على الخشبة اجتمع الناس حوله على باب عمرو بن حُرَيْث، قال عمرو: قد كان والله يقول إنني مجاورك! فلما صُلب أمر جاريته بكنس تحت خشبته ورشّه وتجميره، فجعل ميثم يحدث بفضائل بني هاشم، فقيل لابن زياد:

قد فضحككم هذا العبد! فقال: أجموه. وكان أول خلق الله أُلجم في الإسلام، وكان قتل ميثم رحمة الله قبل قدوم الحسين بن علي عليه السلام بعشرة أيام، فلما كان اليوم الثالث من صلبه طعن ميثم بالحربة، فكبر، ثم انبعث في آخر النهار فمه وأنفه دماً. «٢»

معالركب الحسيني (ج ٢)، ص: ١٨١

التجسس لمعرفة مكان قيادة الثورة ص: ١٨١

لما علم مولانا مسلم بن عقيل عليه السلام بالإجراءات الإرهابية المتسارعة التي اتخذها عبيد الله بن زياد «وما أخذ به العرفاء والناس، خرج من دار المختار حتى انتهى إلى دار هانيء بن عروة فدخلها، فأخذت الشيعة تختلف إليه في دار هانيء على تسرّ واستخفاء من عبيد الله، وتواصوا بالكتمان، فدعا ابن زياد مولى له يُقال له معقل، فقال: خذ ثلاثة آلاف درهم، واطلب مسلم بن عقيل والتمس أصحابه، فإذا ظفرت بواحدٍ منهم أو جماعة فأعطهم هذه الثلاثة آلاف درهم، وقل لهم:

استعينوا بها على حرب عدوكم، وأعلمهم أنك منهم، فإنك لو قد أعطيتهم إياها لقد اطمأنوا إليك ووثقوا بك، ولم يكتموك شيئاً من أمورهم وأخبارهم، ثم اغد عليهم ورحّ حتى تعرف مستقر مسلم بن عقيل وتدخل عليه.

ففعل ذلك، وجاء حتى جلس إلى مسلم بن عوسجة الأسدي في المسجد الأعظم وهو يصلي، فسمع قوماً يقولون: هذا يبائع للحسين، فجاء وجلس إلى جنبه حتى فرغ من صلاته ثم قال: يا عبدالله، إنني امرؤ من أهل الشام، أنعم الله عليّ بحب أهل البيت وحب من أحبهم. وتباكي له، وقال: معي ثلاثة آلاف درهم أردت بها لقاء رجل منهم بلغني أنه قدم الكوفة يبائع لابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، فكنت أريد لقاءه فلم أجد أحداً يدلني عليه، ولا أعرف مكانه، فإنني لجالس في المسجد الآن إذ سمعت نقرأ من المؤمنين يقولون: هذا رجل له علم بأهل هذا البيت وإني أتيتك لتقبض مني هذا المال، وتدخلني على صاحبك فإنني أخ من إخوانك وثقة عليك، وإن شئت أخذت بيعتي له قبل لقاءه.

فقال له ابن عوسجة: أحميد الله على لقاءك إياي، فقد سرّني ذلك، لئنال الذي تحبّ، ولنصرنّ الله بك أهل بيت نبيّه عليه وعليهم السلام، ولقد ساءني معرفة الناس إياي بهذا الأمر قبل أن يتمّ مخافة هذا الطاغية وسطوته.

معالركب الحسيني (ج ٢)، ص: ١٨٢

فقال له معقل: لا يكون إلا خيراً، خذ البيعة عليّ!

فأخذ بيعته، وأخذ عليه المواثيق المغلظة ليناصحنّ وليكتمنن، فأعطاه من ذلك ما رضى به، ثم قال له: اختلف إليّ أياًماً في منزلي فإنني طالب لك الأذن على صاحبك. وأخذ يختلف مع الناس، فطلب له الأذن فأذن له، وأخذ مسلم بن عقيل بيعته، وأمر أبا ثمامة الصائدي

بقبض المال منه، وهو الذي كان يقبض أموالهم وما يعين به بعضهم بعضاً، ويشتري لهم به السلاح، وكان بصيراً وفارساً من فرسان العرب، ووجوه الشيعة، وأقبل ذلك الرجل يختلف إليهم، فهو أول داخل وآخر خارج، وحتى فهم ما احتاج إليه ابن زياد من أمرهم، فكان يخبره به وقتاً فوقتاً. «١»

حبس هاني بن عروة المرادي ص : ١٨٢

ولمّا أكثر تردد الرجال من أهل الكوفة على مسلم بن عقيل عليه السلام في بيت هاني بن عروة، أو جس في نفسه المحذور «وخاف هاني بن عروة عبيد الله على نفسه، فانقطع عن حضور مجلسه وتمارض، فقال ابن زياد لجلسائه: مالي لا أرى هانياً؟! فقالوا: هو شاكٍ. فقال: لو علمتُ بمرضه لعدته.

ودعى محمّد بن الأشعث، وأسماء بن خارجة، وعمرو بن الحجاج الزبيدي وكانت رويحة بنت عمرو تحت هاني بن عروة، وهي أم يحيى بن هاني.

فقال لهم: ما يمنع هاني بن عروة من إتياننا؟

فقالوا: ماندرى، وقد قيل إنه يشتكى.

قال: قد بلغني أنه قد برىء وهو يجلس على باب داره! فالقوه ومروه ألا يدع ما عليه من حقنا، فإنّي لا أحبّ أن يفسد عندي مثله من أشرف العرب.

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ١٨٣

فأتوه حتى وقفوا عليه عشية وهو جالس على بابه.

وقالوا له: ما يمنعك من لقاء الأمير فإنه قد ذكرك وقال لو أعلم أنه شاكٍ لعدته.

فقال لهم: الشكوى تمنعني.

فقالوا له: قد بلغه إنك تجلس كلّ عشية على باب دارك، وقد استبطأك، والإبطاء والجفاء لا يحتمله السلطان، أقسمنا عليك لما ركبت معنا.

فدعى بثيابه فلبسها، ثم دعى ببغلة فركبها، حتى إذا دنى من القصر كأن نفسه أحست ببعض الذي كان.

فقال لحسان بن أسماء بن خارجة: يا ابن الأخ، إني والله لهذا الرجل لخيف، فما ترى؟

فقال: يا عمّ، والله ما أتخوف عليك شيئاً ولم تجعل على نفسك سيلاً. ولم يكن حسان يعلم في أيّ شيء بعث إليه عبيد الله.

فجاء هاني حتى دخل على عبيد الله بن زياد وعنده القوم، فلما طلع قال عبيد الله: أتتك بخاين «١» رجلاه!

فلما دنى من ابن زياد، وعنده شريح القاضي، «٢» التفت نحوه فقال:

أريد حياته ويريد قتلي عذيرك من خليلك من مراد

وقد كان أول ما قدم مكرماً له ملطفاً

فقال له هاني: وما ذاك أيها الأمير؟

قال: إيه يا هاني بن عروة، ما هذه الأمور التي تربص في دارك لأمر المؤمنين وعامة المسلمين؟ جئت بمسلم بن عقيل فأدخلته دارك

وجمعت له السلاح والرجال في الدور حولك، وظننت أن ذلك يخفى عليّ؟

قال: ما فعلت ذلك، وما مسلم عندي.

قال: بلى قد فعلت.

فلما كثر ذلك بينهما وأبى هاني إلّا مجاحدته ومناكرته، دعى ابن زياد معقلاً ذلك العين فجاء حتى وقف بين يديه

فقال: أتعرف هذا؟

قال: نعم!

وعلم هانى عند ذلك أنه كان عيناً عليهم، وأنه قد أتاه بأخبارهم، فأسقط فى يده ساعة، ثم راجعته نفسه.

فقال: إسمع منى وصدق مقالتي، فوالله لا- كذبت، والله مادعوته إلى منزلى، ولا- علمت بشيء من أمره حتى جاءنى يسألنى النزول فاستحييت من رده، ودخلنى من ذلك ذمام فضيفته وآويته، وقد كان من أمره ما بلغك، فإن شئت أن

معالركب الحسينى (ج ٢)، ص: ١٨٧

أعطيك الآن موثقاً مغلظاً ألاً أبغيك سوءً ولا غائلةً، ولا تينك حتى اضع يدي فى يدك، وإن شئت أعطيتك رهينة تكون فى يدك حتى آتيك، وأنطلق إليه فأمره أن يخرج من دارى إلى حيث شاء من الأرض فأخرج من ذمامه وجواره!

فقال له ابن زياد: والله لا تفارقنى أبداً حتى تأتيني به.

قال: لا والله، لا أجيئك به أبداً، أجيئك بضيفى تقاتله؟!

قال: والله لتأتينى به.

قال: لا والله لا آتيك به.

فلما كثر الكلام بينهما قام مسلم بن عمرو الباهلى- وليس بالكوفة شامى ولا بصري غير- فقال: أصلح الله الأمير، خلنى وإياه حتى أكلمه.

فقام فخلا به ناحية من ابن زياد، وهما منه بحيث يراهما، فإذا رفعا أصواتهما سمع ما يقولان.

فقال له مسلم: ياهانى، أنشدك الله أن تقتل نفسك، وأن تدخل البلاء فى عشيرتك، فوالله إنى لأنفس بك عن القتل، إن هذا الرجل ابن عم القوم، وليسوا قاتليه ولا ضائريه، فادفعه إليهم فإنه ليس عليك بذلك مخزاة ولا منقصة، إنما تدفعه إلى السلطان!

فقال هانى: والله إن على فى ذلك الخزى والعار أن أدفع جارى وضيفى وأنا حتى صحيح، أسمع وأرى، شديد الساعد كثير الأعوان، والله لو لم أكن إلّا واحداً ليس لى ناصر لم أدفعه حتى أموت دونه!

فأخذ يناشده وهو يقول: والله لا أدفعه إليه أبداً!

فسمع ابن زياد ذلك، فقال: أدنوه منى.

معالركب الحسينى (ج ٢)، ص: ١٨٨

فأدنوه منه، فقال: والله لتأتينى به أو لأضربن عنقك.

فقال هانى: إذن لكثرة البارقة حول دارك!

فقال ابن زياد: والهفاه عليك، أبالبارقة تخوفنى؟! - وهو يظن أن عشيرته سيمنعونه- ثم قال: أدنوه منى.

فأدنى منه، فاعترض وجهه بالقضيب، فلم يزل يضرب به أنفه وجبينه وخده حتى كسر أنفه وسالت الدماء على وجهه ولحيته، ونثر لحم جبينه وخده على لحيته حتى كسر القضيب، وضرب هانى يده إلى قائم سيف شرطى، وجاذبه الرجل ومنعه.

فقال عبيدالله: أحرورى ساير اليوم؟! قد حل لنا دمك، جزوه! فجزوه، فألقوه فى بيت من بيوت الدار وأغلقوا عليه بابه.

فقال: إجعلوا عليه حرساً. ففعل ذلك به. «١»

أعوان السلطة .. والخدعة المشتركة! ص: ١٨٨

فى قصة حبس هانى بن عروة (رض) هناك دور مريب لعمرو بن الحجاج الزبيدى الذى تفانى فى امتثال أوامر ابن زياد وابن سعد فى كربلاء، مع أن هانياً كان صهراً له!

فالرواية التاريخية التي قصت علينا واقعة حبس هاني ذكرت أن عمرو بن الحجاج كان أحد الذين أتوا هانياً إلى باب منزله وألحوا عليه بإتيان عبيد الله، فالظاهر أنه شهد ما جرى على هاني في لقائه مع عبيد الله، لكن سياقها بعد ذلك يلفت الانتباه حيث تقول: «وبلغ عمرو بن الحجاج أن هانياً قد قُتل، فأقبل في مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ١٨٩

مذبح حتى أحاط بالقصر ومعه جمع عظيم، ثم نادى: أنا عمرو بن الحجاج، وهذه فرسان مذبح ووجوهها لم نخلع طاعه ولم نفارق جماعه، وقد بلغهم أن صاحبهم قتل فأعظموا ذلك. فقيل لعبيد الله بن زياد: هذه مذبح بالباب!

فقال لشريح القاضي: أدخل على صاحبهم فانظر إليه، ثم اخرج وأعلمهم أنه حي لم يقتل! فدخل شريح فنظر إليه، فقال هاني لِمَا رأى شريحاً: يا الله، ياللمسلمين! أهلكت عشيرتي؟ أين أهل الدين؟ أين أهل المصر؟- والدماء تسيل على لحيته، إذ سمع الرجّة على باب القصر- فقال: إني لأظنها أصوات مذبح وشيعتي من المسلمين، إنه إن دخل عليّ عشرة نفر أنفذوني!

فلَمَّا سمع كلامه شريح خرج إليهم فقال لهم: إن الأمير لَمَّا بلغه مكانكم ومقاتلكم في صاحبكم أمرني بالدخول إليه، فأتيته فنظرت إليه، فأمرني أن ألقاكم وأعرفكم أنه حي، وأن الذي بلغكم من قتله باطل! فقال له عمرو بن الحجاج وأصحابه: أما إذا لم يُقتل فالحمد لله. ثم انصرفوا. «١»

فإذا كان المتأمل في هذا النص لا يشك في الدور الخياني الذي لعبه شريح القاضي في ممارسته التورية حيث أظهر لمذبح وكأن هاني بن عروة (رض) هو الذي أمره بقاء مذبح وأن يعرفهم بأنه حي لأبأس عليه، فإن المتأمل ليشك كثيراً في نزاهة الدور الذي لعبه عمرو بن الحجاج الذي ربّما كان قد شهد ما فعله ابن زياد بهاني في القصر حسب ما يُستفاد من السياق الأول للرواية. مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ١٩٠

متى خرج عمرو بن الحجاج من القصر؟ وكيف تصدّى لقيادة مذبح وأتى بجموعها في وقت قصير نسبياً؟ ولماذا اكتفى بقول شريح ولم يدخل- وهو من المقرّبين لابن زياد- ليرى بنفسه هانياً وحقيقه ماجرى عليه داخل القصر؟! إن استمرار ولاء عمرو بن الحجاج الزبيدي لابن زياد حتى بعد مقتل هاني بن عروة (رض)، ليقوى الريب في أن هذا الرجل كان قد تعمّد التصدّى لجموع مذبح التي أقبلت الى القصر معترضه على حبس هاني، ليركب موجتها ثم ليخدعها وليصرفها عن إخراج هاني من القصر بقوة السلاح، متواطئاً في ذلك مع عبيد الله بن زياد وشريح القاضي في تنفيذ الخدعة المشتركة لتضليل مذبح.

تسخير الأشراف لتخذيل الناس عن مسلم عليه السلام ص : ١٩٠

لَمَّا علم مولانا مسلم بن عقيل عليه السلام باعتقال هاني قام في الكوفة على ابن زياد، وأعلن عن بدء الثورة، وحاصر القصر بجموع من اتبعه من أهل الكوفة، أغلق ابن زياد أبواب القصر عليه وعلى من كان معه في القصر من أشراف الناس ومن شرطته وأهل بيته ومواليه، وقبع فيه خائفاً يأكل قلبه الرعب وأبى من الجبن أن يخرج بمن معه لمواجهة قوات مسلم عليه السلام، يقول الطبري: «فلَمَّا اجتمع عند عبيد الله كثير بن شهاب ومحمد (أى ابن الأشعث) والقعقاع فيمن أطاعهم من قومهم، فقال له كثير- وكانوا مناصحين لابن زياد- أصلح الله الأمير، معك في القصر ناس كثير من أشراف الناس، ومن شُرطتك، وأهل بيتك، ومواليك، فاخرج بنا إليهم. فأبى عبيد الله ..» «١»

لكن عبيد الله في ساعات خوفه لجأ إلى تسخير الأشراف الذين كانوا معه في القصر وأمرهم بتخذيل الناس عن مسلم، يقول التاريخ: «فبعث عبيد الله الى

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ١٩١
الأشراف فجمعهم إليه، ثم قال: أشرفوا على الناس، فمَنُوا أهل الطاعة الزيادة والكرامة، وخَوَّفُوا أهل المعصية الحرمان والعقوبة، وأعلموهم فصول الجنود من الشام إليهم». «١»

يقول شاهد عيان كان مع الناس خارج القصر، وهو عبدالله بن حازم الكبرى من الأزدي من بني كبير: «أشرف علينا الأشراف، فتكلم كثير بن شهاب أول الناس حتى كادت الشمس أن تجب، فقال: أيها الناس، إحقوا بأهاليكم ولا تعجلوا الشر ولا تعرضوا أنفسكم للقتل، فإن هذه جنود أمير المؤمنين يزيد قد أقبلت، وقد أعطى الله الأمير عهداً لئن أتممت على حربيه ولم تنصرفوا من عشيتكم أن يحرم ذريتكم العطاء، ويفرّق مقاتلتكم في مغازي أهل الشام على غير طمع، وأن يأخذ البريء بالسقيم، والشاهد بالغائب، حتى لا يبقى له فيكم بقيّة من أهل المعصية إلا أذاقها وبال ما جرّت أيديها. وتكلم الأشراف بنحو من كلام هذا، فلما سمع مقاتلتهم الناس أخذوا يتفرّقون وأخذوا ينصرفون». «٢»

تفتيش دور الكوفة بحثاً عن مسلم عليه السلام ص : ١٩١

وبعد أن آل أمر مولانا مسلم بن عقيل عليه السلام إلى أن يبقى وحيداً متخفياً قد تفرّقت عنه جموع من كانوا معه من أهل الكوفة، وبعد أن اطمأن عبيدالله بن زياد إلى أن القوم قد تفرّقوا وأن المسجد قد خلا تماماً من أنصار مسلم عليه السلام، عمد «بفتح باب السدّة التي في المسجد، ثم خرج فصعد المنبر وخرج أصحابه معه، فأمرهم فجلسوا قبيل العتمة، وأمر عمرو بن نافع فنادي: ألا برئت الذمّة من رجل من الشُرط والعرفاء والمناكب أو المقاتلة صلّى العتمة إلّا في المسجد. فلم يكن إلّا

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ١٩٢

ساعة حتى امتلأ المسجد من الناس، ثم أمر مناديه فأقام الصلاة، وأقام الحرس خلفه وأمرهم بحراسته من أن يدخل عليه أحدٌ يغتاله، وصلّى بالناس، ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أمّا بعد، فإن ابن عقيل .. قد أتى ما قد رأيتم من الخلاف والشقاق، فبرئت ذمّة الله من رجل وجدناه في داره، ومن جاء به فله ديتة، إتقوا الله عباد الله والزموا طاعتكم وبيعتكم، ولا تجعلوا على أنفسكم سيلاً.

ياحصين بن نمير، ثكلتك أمك إن ضاع باب سكة من سكة الكوفة، أو خرج هذا الرجل ولم تأتني به، وقد سلطتك على دور أهل الكوفة، فابعث مراصد على أهل السكة، وأصبح غداً فاستبرء الدور وجس خلالها، حتى تأتيني بهذا الرجل ..». «١»

تجميد الثغور وتوجيه عساكرها إلى حرب الحسين عليه السلام ص : ١٩٢

ومن الإجراءات المهمة والخطيرة التي اتخذها ابن زياد تجميده حركة عدد كبير من الجيوش المتوجهة نحو الحدود لترابط فيها، ليعبئها تحضيراً لحرب الإمام الحسين عليه السلام، يروي الطبري: «عن شهاب بن خراش، عن رجل من قومه: كنت في الجيش الذي بعثهم ابن زياد إلى حسين، وكانوا أربعة آلاف يريدون الديلم، فصرفهم عبيدالله إلى حسين». «٢»

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ١٩٣

حركة السلطة الأموية المحلية في مكة المكرمة ص : ١٩٣

قلق الوالي من تواجد الإمام عليه السلام في مكة ص : ١٩٣

ذعر عمرو بن سعيد بن العاص (الأشدق) «١» والي مكة آنذاك من دخول الإمام

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ١٩٤

الحسين عليه السلام مكة المكرمة ومن تواجد فيه، ومن تقاطر الوفود عليه والتفاف الناس حوله، فلم يُطق الوالي صبراً، ولم يجد بُدّاً من أن يسأل الإمام عليه السلام عن سرّ قدومه إلى مكة، «فقال له عمرو بن سعيد: ما إقدامك؟! فقال: عائداً بالله وبهذا البيت!». (١)

وفي جواب الإمام عليه السلام دلالة قاطعة على أنّ السلطة الأموية كانت قد أرادت بالإمام عليه السلام سوءاً في المدينة المنورة، كأن تفرض عليه الإقامة الجبرية مثلاً أو تغتاله أو تُلقي عليه القبض فتدفع به إلى يزيد، ولذا فقد خرج منها خائفاً يترقب، وقد أشرنا من قبل إلى أنّ خوفه على نفسه وإن كان سبباً في خروجه منها إلا أنه يقع في طول السبب الأهم وهو خوفه على ثورته من أن تؤسر في حدود المدينة أو تخمد في مهدها قبل اندلاعها فلا تصل إشعاعاتها المباركة إلى حيث أراد عليه السلام، هذا فضلاً عن حرصه عليه السلام ألا تهتك حرمة حرم الرسول صلى الله عليه وآله بقتله.

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ١٩٥

سفر الأشدق إلى المدينة المنورة وتهديده أهلها ص : ١٩٥

تحدث روايات تاريخية عديدة عن قدوم عمرو بن سعيد الأشدق إلى المدينة المنورة في شهر رمضان سنة ستين للهجرة، والظاهر أنّ سفر هذا الطاغية إلى المدينة كان بعد عزل الوليد بن عتبة عن منصب الولاية عليها في شهر رمضان نفسه، والأظهر أنّ سفر هذا الطاغية الأموي إلى المدينة كان من مكة إليها لأنّ جلّ المؤرخين ذكروا أنه كان والياً على مكة عند موت معاوية وأضيفت إليه ولاية المدينة بعد عزل الوليد عنها.

و «قدم عمرو بن سعيد بن العاص الأشدق المدينة أميراً، فخرج إلى منبر رسول الله صلى الله عليه وآله ففعد عليه وغمض عينيه، وعليه جُبّة خزّ قرمز، ومُطَرَف خزّ قرمز، وعمامة خزّ قرمز، فجعل أهل المدينة ينظرون إلى ثيابه إعجاباً بها، ففتح عينيه فإذا الناس ينظرون إليه، فقال: ما بالكم يا أهل المدينة ترفعون إليّ أبصاركم، كأنكم تريدون أن تضربونا بسيوفكم! أغرّكم أنكم فعلتم ما فعلتم فغفونا عنكم! أما إنّه لو أثبتم بالأولى ما كانت الثانية! أغرّكم أنكم قتلتم عثمان فوافقتم ثائراً مناً رفيقاً، قد فنى غضبه، وبقي حلمه! إغتموا أنفسكم فقد والله ملكناكم بالشباب المقتبل، البعيد الأمل، الطويل الأجل حين فرغ من الصغر، ودخل في الكبر، حليمٌ حديدٌ، لين شديد، رقيق كثيف، رفيق عنيفٌ، حين اشتدّ عظمه، واعتدل جسمه، ورقى الدهر ببصره، واستقبله بأسره، فهو إن عَضَّ نهس، وإن سطا فرس لا يقلقل له الحصى، ولا تُقرع له العصا، ولا يمشى السَّمهى. قال: فما بقى (أى يزيد) بعد ذلك إلا ثلاث سنين وثمانية أشهر حتى قصمه الله!». (١)

«وعرض في خطابه لابن الزبير فقال: فوالله لنغزوئه، ثمّ لئن دخل الكعبة

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ١٩٦

لنحرقنها عليه، على رغم أنف من رغم ..

ورعف الطاغية على المنبر، فألقى إليه رجل عمامة فمسح بها دمه، فقال رجل من خثعم: دم على المنبر في عمامة! فتنه عمتّ وعلا ذكرها وربّ الكعبة!». (١)

وقد أثر عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «ليرعفنّ على منبري جبار من جبابرة بنى أمية فيسيل رعاfe!». (٢)

وقال ابن عبد ربه الأندلسي: «قدم عمرو بن سعيد أميراً على المدينة والموسم، وعزل الوليد، فلما استوى على المنبر رعف، فقال أعرابي: مه! جاءنا بالدم! فتلقاه رجل بعمامته، فقال: مه! عمّ الناس والله! ثمّ قام فخطب فناولوه عصا لها شعبتان، فقال: تشعب والله ..». والملفتُ للإنتباه هنا هو أنّ الأشدق في هذه الخطبة بعد تهديده أهل المدينة وإرعابهم، «٤» وتذكيرهم بيرة دم عثمان الذي قتله

الصحابة، «٥» وبعد مدحه يزيد وثناؤه عليه وتحذير أهل المدينة من بأسه، نراه لا يتطرق بشيء إلى قضية الإمام

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ١٩٧

الحسين عليه السلام بصورة مباشرة، وإن كان تهديده أهل المدينة كاشفاً عن خوفه من تأييده أهل المدينة للإمام عليه السلام خاصة ولكل معارض عامة، ولعل سبب عدم تعرّضه مباشرة لقضية الإمام عليه السلام هو معرفته بمكانة الإمام عليه السلام وقديسيته في قلوب الأمة، فهو يخشى أن يهيج قلوب الناس على السلطة الأموية بما يدفع الناس عملياً نحو الإلتفاف حول الإمام عليه السلام، ثم نرى الأشدق يعلن صراحة عن عزم السلطة على قتل ابن الزبير، ولعل علمه بأن ابن الزبير لا يتمتع بمكانة ومنزلة خاصة في قلوب الناس هو الذي جرّاه على تلك الصراحة، لكننا نجد هذا الجبار الأموي لا يتورّع عن سحق مشاعر الأمة في إجلالها لحرمة الكعبة حين يهدّد بإحراقها على رغم أنف من رغم! وفي هذا مؤشر واضح على الدرجة الخطيرة التي بلغها مرض الشلل النفسي والروحي في كيان الأمة، حيث تسمع مثل هذا التحدّي لمشاعرها في مقدّساتها ولا تتور على مثل هذا الجبار العنيد!

تنفيذ أمر يزيد باعتقال الإمام عليه السلام أو اغتياله في مكة ص : ١٩٧

قلنا فيما مضى - في متابعتنا لحركة السلطة الأموية المركزية في الشام - تحت عنوان (التخطيط لاغتيال الإمام عليه السلام أو اعتقاله في مكة): إن هذه الخطة من المسلمات التاريخية التي يكاد يجمع على أصلها المؤرخون، وقدّمنا هناك مجموعة كافية من الدلائل التاريخية على وجود هذه الخطة التي كانت السبب الصريح لمبادرة الإمام عليه السلام الى الخروج من مكة يوم التروية كما هو المشهور والصحيح، إضافة الى الأسباب الأخرى الداعية الى مبادرة الخروج والتي تقع في طول ذلك السبب الصريح. ويهمّنا هنا في متابعتنا لحركة السلطة الأموية المحليّة في مكة المكرمة أن نتعرّف على حدود مسؤوليّة هذه السلطة المحليّة في تنفيذ خطة السلطة المركزية لاغتيال الإمام عليه السلام أو إلقاء القبض عليه في مكة المكرمة.

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ١٩٨

إنّ المتأمل في النصوص الواردة عن الإمام عليه السلام نفسه في هذا الصدد يرى أنه عليه السلام يُلقى بمسؤوليّة هذه الخطة على النظام الأموي ككل وينسب هذه المسؤولية صراحة الى يزيد، كما في قوله لأخيه محمد بن الحنفية (رض): «يا أخي، قد خفت أن يغتالني يزيد بن معاوية بالحرم، فأكون الذي يستباح به حرمة هذا البيت»، «١»

وفي قوله عليه السلام للفرزدق «لو لم أعجل لأخذت». «٢»

وفي قوله عليه السلام لابن الزبير: «لأنّ أقتل خارجاً منها بشيرين أحبّ إليّ من أن أقتل خارجاً منها بشير، وأيم الله، لو كنت في جحر هامة من هذه الهوام لاستخرجوني حتى يقضوا بي حاجتهم!». «٣»

لكنّ متوناً تاريخية أخرى تصرّح بأن المكلف بتنفيذ هذه الخطة والإشراف عليها في مكة هو واليها عمرو بن سعيد بن العاص (الأشدق)، يقول الطريحي في تعليقه لعدم أداء الإمام عليه السلام مناسك الحج تلك السنة: «.. وذلك لأنّ يزيد أنفذ عمرو بن سعيد بن العاص في عسكر عظيم، وولاه أمر الموسم، وأمره على الحاج كلّه، وكان قد أوصاه بقبض الحسين سرّاً، وإن لم يتمكّن منه يقتله غيلة. ثمّ إنّه لعنه الله دسّ مع الحجاج في تلك السنة ثلاثين رجلاً من شياطين بني أمية، وأمرهم بقتل الحسين على كلّ حال اتفق ..». «٤»

ومن قبله كان السيّد ابن طاووس قدس سره قد أشار إلى ذلك قائلاً: «فلما كان يوم التروية قدم عمر بن سعد بن أبي وقاص إلى مكة في جند كثيف، قد أمره يزيد أن

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ١٩٩

يناجز الحسين القتال إن هو ناجزه، أو يقاتله إن قدر عليه، فخرج الحسين يوم التروية». «١»

ولاشك أن تصحيفاً وقع من سهو النساخ في بعض نسخ كتاب السيد ابن طاووس قدس سره، حيث ورد فيه إسم (عمر بن سعد بن أبي وقاص) بدلاً من (عمرو بن سعيد بن العاص)، ذلك لأنّ الثابت والمشهور تاريخياً أنّ عمر بن سعد كان في الكوفة في الأيام التي كان فيها الإمام عليه السلام في مكة. (٢)

ويذكر السيد المقزّم (ره): «أنّ يزيد أنفذ عمرو بن سعيد بن العاص في عسكر، وأمره على الحاج، وولاه أمر الموسم، وأوصاه بالفتك بالحسين أينما وجد ..». (٣)

مما مرّ يتضح أنّ والي مكة آنذاك عمرو بن سعيد بن العاص (الأشدق) كان مأموراً بتنفيذ خطة اغتيال الإمام عليه السلام أو إلقاء القبض عليه في مكة سرّاً أو في مواجهة عسكرية عنيفة.

لكنّ لنا تحفظاً على هذه المتون في نقطتين هما:

١- أنّ المستفاد من متون تاريخية أخرى هو أنّ عمرو الأشدق كان في مكة

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٢٠٠

منذ أول يوم دخل إليها الإمام الحسين عليه السلام، «١» وقد كان هذا الأشدق والياً على مكة منذ أيام معاوية، وعلى هذا جُلّ المؤرّخين. ولم نثر على نصّ تاريخي يفيد أنّ الأشدق سافر الى الشام ثم عاد الى مكة في المدّة التي كان الإمام عليه السلام فيها بمكة.

ولذا فإنّ ما ورد في نصّ الطريحي أنّ «يزيد أنفذ عمرو» يحمل على معنى أنّ يزيد أمر عمرو، وما ورد في نصّ ابن طاووس أنّ عمرو قدم الى مكة يوم التروية قد يحمل على عودته من المدينة الى مكة بعد أن سافر إليها لإرعاب أهلها، ومع هذا فإنّ من المستبعد جداً أن يعود الأشدق الى مكة يوم التروية ويتركها أياماً طويلة والإمام عليه السلام فيها ووفود الناس تقبل عليه وتلتفّ حوله!

٢- ورد في بعض هذه المتون أنّ يزيد أنفذ الأشدق في عسكر عظيم أو في جند كثيف، لكنّ المستفاد من دلائل تاريخية أخرى هو أنّ والي مكة الأشدق لم تكن لديه تلك القوّة العسكرية المبالغ فيها، بل كان لديه جماعة من الجند والشرطة قد تكفي لضبط الأمور الإدارية داخل مكة ولتنظيم حركة الحجيج آنذاك وحراسة السلطان فقط، وسنأتى على ذكر بعض هذه الدلائل التاريخية لاحقاً في متابعتنا لمحاولة عمرو بن سعيد الأشدق منع الإمام عليه السلام من الخروج عن مكة.

ويؤكّد صحة مانراه: أنّ الأشدق لم يحقّق ما أمر به من إلقاء القبض على الإمام عليه السلام داخل مكة، أو الفتك به سرّاً، أو جهراً في مواجهة عنيفة!

ولعلّ قائلاً يقول: إنّ وجود الحماية الكافية التي كان الإمام عليه السلام يتمتع بها حيثما حلّ في مكة كان السبب في عجز الأشدق عن تنفيذ ما أمر به!

ولا يخفى أنّ هذا القول اعتراف ضمنى بعدم كفاية القوّة الأموية!

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٢٠١

أو يقول: إنّ عمرو بن سعيد الأشدق تحاشى الفتك بالإمام عليه السلام في مواجهة عنيفة لأنه يخشى من تفاقم الأمر على السلطنة الأموية بسبب تواجد جموع الحجيج العامرة قلوبهم بحبّ الإمام عليه السلام وتقديسه!

ولا يخفى أنّ هذا القول صحيح لو لم تكن هناك أوامر صريحة وصارمه من قبل يزيد بضرورة تنفيذ المؤامرة، أو أنّ عمرو الأشدق لم يكن ذلك الطاغية الجبار الأرعن الذي لم يتورّع أمام أهل المدينة عن إعلان استعدادده لحرق الكعبة إذا تحصّن بها ابن الزبير رغم أنف من رغم! غير مبالٍ بقداسه الكعبة وحرمتها ولا بمشاعر الأمة!

ويؤيّد مانراه أيضاً ما ورد في نفس نصّ ابن طاووس (ره) أنّ يزيد أمر الأشدق بمناجزة الحسين عليه السلام (إن هو ناجزه!) أو يقاتله (إن هو قدر عليه!)، وفي هذا إشعار كافٍ بخوف يزيد من عدم كفاية القوّة الأموية، فأين إذن ذلك العسكر العظيم والجند الكثيف.

وينبغي التأكيد هنا: أن كل ما قدّمناه لا ينافي كون أن هذه الخطة والمؤامرة كانت السبب الصريح في مبادرة الإمام عليه السلام الى الخروج من مكة يوم التروية (قبيل الشروع بمراسم الحج)، وذلك لأن أعوان السلطة وعملاءها قد يتمكنون من اغتيال الإمام عليه السلام أثناء الحج حيث يكون هو وأنصاره وجميع الحجيج عزلاً من السلاح.

محاولة عمرو الأشدق لمنع الإمام عليه السلام من الخروج عن مكة ص : ٢٠١

يحدثنا التاريخ عن أسلوبيين سلكتهما السلطة الأموية المحلية في مكة لمنع الإمام عليه السلام من الخروج عن مكة، أحدهما كان أسلوباً سلمياً عرض فيه عمرو بن سعيد الأشدق الأمان والبر والصلة للإمام عليه السلام في رسالته وجهها إليه، والآخر كان معالركب الحسيني (ج ٢)، ص : ٢٠٢

أسلوباً قمعياً وعسكرياً حيث تصدّت جماعة من جند السلطة للركب الحسيني لمنع حركته في الخروج عن مكة. ويبدو أن الأسلوب الأول أي أسلوب بذل الأمان والصلة كان قبل الأسلوب القمعي، كما هي العادة في مثل هذه الوقائع. تقول رواية تاريخية أن الأشدق لما بلغه عزم الحسين عليه السلام على مغادرة مكة بعث إليه رسالته ورد فيها: «إني أسأل الله أن يلهمك رشدك، وأن يصرفك عما يرديك، بلغني أنك قد عزمت على الشخوص إلى العراق! وإني أعيذك بالله من الشقاق، فإنك إن كنت خائفاً فأقبل إليّ فلك عندى الأمان والبر والصلة!». «١»

قد يُستفاد من قوله: «بلغني أنك قد عزمت على الشخوص ..» أن هذه الرسالة كتبها الأشدق والإمام عليه السلام في مكة قبل شخوصه إلى العراق، لكنّ قوله الآخر فيها:

«فإنك إن كنت خائفاً فأقبل إليّ» مشعر بأن الأشدق قد كتبها إلى الإمام عليه السلام وقد خرج بالفعل عن مكة. لكنّ رواية الطبري تصرّح بأن الأشدق بعث بهذه الرسالة إلى الإمام عليه السلام بعد خروجه باقتراح من عبدالله بن جعفر، وأنّ الذي تولّى أمر كتابة هذه الرسالة بالفعل هو عبدالله بن جعفر ثمّ ختمها الأشدق بختمه، يقول الطبري: «وقام عبدالله بن جعفر الى عمرو بن سعيد بن العاص فكلمه، وقال: أكتب إلى الحسين كتاباً تجعل له فيه الأمان، وتمنيه فيه البر والصلة، وتوثق له في كتابك، وتسأله الرجوع، لعله يطمئن إلى ذلك فيرجع. فقال عمرو بن سعيد: أكتب ماشئت وأتني به حتى أختمه. فكتب عبدالله بن جعفر الكتاب، «٢» ثمّ أتى به عمرو بن سعيد،

معالركب الحسيني (ج ٢)، ص : ٢٠٣

فقال له: اختمه وبعث به مع أخيك يحيى بن سعيد، فإنه أحرى أن تطمئن نفسه إليه ويعلم أنه الجد منك. ففعل». «١» ويتابع الطبري روايته قائلاً: «.. فلحقه يحيى وعبدالله بن جعفر، ثمّ انصرفا بعد أن أقرأه يحيى الكتاب، فقالا: أقرأناه الكتاب وجهنا به، وكان ممّا اعتذر به إلينا أن قال: إني رأيت رؤيا فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وأمرت فيها بأمر أنا ماضٍ له عليّ كان أو لي! فقالا له: فما تلك الرؤيا؟ قال: ما حدثت بها أحداً، وما أنا محدّث بها حتى ألقى ربي!

قال وكان كتاب عمرو بن سعيد إلى الحسين بن عليّ عليه السلام:

بسم الله الرحمن الرحيم

«من عمرو بن سعيد إلى الحسين بن عليّ: أمّا بعد، فإني أسأل الله أن يصرفك عما يوبقك، وأن يهديك لما يرشدك، بلغني أنك قد توجّهت إلى العراق، وإني أعيذك بالله من الشقاق، فإني أخاف عليك فيه الهلاك، وقد بعثت إليك عبدالله بن جعفر ويحيى بن سعيد، فأقبل إليّ معهما فإنّ لك عندى الأمان والصلة والبرّ وحسن الجوار، لك الله عليّ بذلك شهيد وكفيل ومراعٍ ووكيل. والسلام عليك». «٢»

ولا يخفى على ذي بصيرة مافي هذه الرسالة وأشبابها من رسائل السلطة الأموية الظالمة من مفردات متكررة مقصودة، فالخروج على

النظام الظالم فيها من الموبقات، ومن الشقاق، وسعني في تفريق كلمه الأمة والجماعة، وما الى ذلك من أسلحة إعلامية لمواجهة كل قيام للحق والعدل والإصلاح!

مع الרכب الحسيني (ج ۲)، ص: ۲۰۴

ويذكر الطبري أن الإمام عليه السلام كتب إليه:

«.. أميا بعدد: فإنه لم يشاقق الله ورسوله من دعا إلى الله عزوجلّ وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين، وقد دعوت إلى الأمان والبرّ والصله، فخير الأمان أمان الله، ولن يؤمن الله يوم القيامة من لم يخفه في الدنيا، فنسأل الله مخافه في الدنيا توجب لنا أمانه يوم القيامة، فإن كنت نويت بالكتاب صلتى وبرى فجزيت خيراً في الدنيا والآخرة والسلام». «۱»

ويبدو أن الأشدق لما آيس من أسلوب عرض الأمان «۲» على الإمام عليه السلام لجأ

مع الרכب الحسيني (ج ۲)، ص: ۲۰۵

إلى ما تعود عليه من الأساليب القمعية في المواجهه، فقد روى الطبري عن عقبه بن سمعان قال: «لما خرج الحسين من مكة اعترضه رسل عمرو بن سعيد بن العاص عليهم يحيى بن سعيد، فقالوا له: انصرف، أين تذهب؟! فأبى عليهم ومضى، وتدافع الفريقان فاضطربوا بالسياط، ثم إن الحسين وأصحابه امتنعوا منهم امتناعاً قوياً، ومضى الحسين عليه السلام على وجهه، فنادوه: يا حسين، ألا تتقى الله، تخرج من الجماعة وتفترق بين هذه الأمة؟! فتأول حسين قول الله عزوجلّ (لى عملى ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا برىء مما تعملون)». «۱»

وتقول رواية الدينورى: «ولما خرج الحسين من مكة اعترضه صاحب شرطه أميرها عمرو بن سعيد ابن العاص فى جماعة من الجند، فقال: إن الأمير يأمرك بالإنصراف، فانصرف وإلا منعتك!

فامتنع عليه الحسين، وتدافع الفريقان واضطربوا بالسياط.

وبلغ ذلك عمرو بن سعيد، فخاف أن يتفاقم الأمر، فأرسل الى صاحب شرطه يأمره بالإنصراف!». «۲»

والمأمل فى هذين النصين يستشعر بوضوح أن القوة العسكرية الأموية لم

مع الרכب الحسيني (ج ۲)، ص: ۲۰۶

تكن كافية لمنع الإمام عليه السلام من الخروج، والمفروض فى مثل هكذا مواجهة تقع خارج حدود المدينة مع الרכب الحسيني الكبير نسبياً حتى ذلك الوقت) أن يستعمل الأشدق كل ما لديه من قوة فى مواجهة الإمام عليه السلام لمنعه من الخروج، غير أن الحال لم تعد أن تدافع الفريقان واضطربوا بالسياط ثم خاف الأشدق من تفاقم الأمر! وأمر (رساله) أو (جماعة من جنده) بالإنصراف خائبين.

رضى الله عنه رضى الله عنه

مع الרכب الحسيني (ج ۲)، ص: ۲۰۷

الفصل الثالث ص : ۲۰۷

إشارة

حركة الأمة فى الأيام المكيه من عمر النهضة الحسينية

اشارة

سجل لنا التاريخ في المدّة التي قضاها الإمام الحسين عليه السلام في مكّة المكرمة وقائع كثيرة وصوراً مهمة لحركة الأُمّة أفراداً وجماعات على صعيد مواقفهم التي اتخذوها إزاء قيام الإمام الحسين عليه السلام - سلباً أو إيجاباً - في أهمّ مدن العالم الإسلامي التي يمكن آنذاك فيها لحركة المعارضة إذا اشتدت شوكتها أن تؤثر في تغيير مجرى حركة الأحداث أو ترسم للعالم الإسلامي مستقبلاً آخر.

وعدا دمشق ومدن الشام الأخرى التي كانت مغلقة سياسياً وإعلامياً - بشكل عام - لصالح الحكم الأمويّ، فإنّ أهمّ مدن قلب العالم الإسلامي التي يمكن أن تتحرك فيها المعارضة السياسية آنذاك بصورة خطيرة هي الكوفة والبصرة والمدينة ومكّة. وفي متابعتنا هنا لحركة الأُمّة في الأيام المكيّة من عمر النهضة الحسينية نرى من الأفضل - رعاية لترتب بدء التحرك تاريخياً - أن نبدأ أولاً في قراءة حركة الأُمّة في الحجاز (في أهمّ مدنه: مكّة والمدينة)، ثمّ نتابع هذه الحركة في الكوفة، ثمّ في البصرة. مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٢١٠

حركة الأُمّة في الحجاز ص : ٢١٠

اشارة

سجل لنا التاريخ على صعيد حركة الأُمّة في الحجاز مجموعة من حوادث ووقائع وصور في أهمّ حاضرتين فيه آنذاك وهما مكّة المكرمة والمدينة المنورة، نقرأها هنا على النظم التالي:

إحتفاء الناس في مكّة المكرمة بالإمام عليه السلام ص : ٢١٠

استقبل الناس «١» في مكّة المكرمة خبر قدوم الإمام الحسين عليه السلام استقبال البشري، واحتفوا به حفاوة بالغة، فكانوا يقدون ويختلفون إليه ويحيطونه دون غيره، إذ كان عليه السلام يومذاك بقيّة الرسول صلى الله عليه وآله في هذه الأُمّة، وسيّد العرب والحجاز خاصة وسيّد المسلمين والعالم الإسلاميّ عامه، فما كان ثمّ من ينازعه يومذاك من الناس سمو مرتبته وعلو مقامه وشرف منزلته في قلوب المسلمين.

يقول ابن كثير: «فحكف الناس على الحسين يقدون إليه، ويقدمون عليه، ويجلسون حواله، ويستمعون كلامه، حين سمعوا بموت معاوية وخلافة يزيد، وأما ابن الزبير فإنّه لزم مصلاه عند الكعبة، وجعل يتردد في غبون ذلك إلى الحسين في جملة الناس، ولا يمكنه أن يتحرّك بشيء مما في نفسه مع وجود الحسين لما يعلم من تعظيم الناس له وتقديهم إياه عليه .. بل الناس إنّما ميلهم إلى الحسين لأنّه السيّد الكبير وابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، فليس على وجه الأرض يومئذٍ أحد يساويه ..» «٢» مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٢١١

وقال الدينوري: «واختلف الناس إليه، فكانوا يجتمعون عنده حلقاً حلقاً، وتركوا عبدالله بن الزبير، وكانوا قبل ذلك يتحفّلون إليه، فساء ذلك ابن الزبير، وعلم أنّ الناس لا يحفلون به والحسين مقيم بالبلد، فكان يختلف إلى الحسين رضى الله عنه صباحاً ومساءً..» «١»

وجهاء الأُمّة .. مشورات ونصائح ص : ٢١١

اشارة

طيلة المدّة التي أقام الإمام عليه السلام فيها بمكّة المكرّمة كان عليه السلام، قد التقى مجموعة منوّعة المشارب والميول والأفكار من وجهاء مرموقين ومعروفين في أوساط الأُمّة الإسلاميّة، وقد عرض هؤلاء على الإمام عليه السلام مشوراتهم ونصائحهم واعتراضاتهم، كلّ منهم على هدى مشربه وميله وطريقه تفكيره، ولئن اختلفت تلك المشورات والنصائح والإعتراضات في بعض تفاصيلها، فقد اشتركت جميعها في منطلق التفكير والنظرة الى القضية، إذ إنّ جميعها كان يرى الفوز والنصر في تسلّم الحكم والسلامة والعافية والأمان الدنيوي، ويرى الخسارة والإنكسار في القتل والتشرّد والبلاء والتعرّض للإضطهاد، فمن هذا المنطق انبعثت جميع تلك الإعتراضات والمشورات والنصائح.

وكم هو الفرق كبير والبون شاسع بين هذا المنطق وبين منطق العمق الذي كان قد جعل أساس حساباته مصير الإسلام والأمة الإسلاميّة، ولم يغفل في نظره إلى متّجه حركة الأحداث عن «أن معاوية بن أبي سفيان (الذي انتهت إليه قيادة حركة النفاق آنذاك) قد أضلّ حُلَّ هذه الأُمّة إضلالاً بعنوان الدين نفسه! حيث عمّ على ذكر أهل البيت عليهم السلام وعلى ذكر فضائلهم تعتيماً تاماً، وافتعل من خلال وُضاع

معالركب الحسينى (ج ۲)، ص: ۲۱۲

الأحاديث- افتراءً على النبي صلى الله عليه وآله- قداسةً مكذوبة (۱) له ولبعض من مضى من الصحابة الذين قادوا حركة النفاق أو ساروا في ركبها، وتآزرروا على غضب أهل البيت عليهم السلام حقّهم الذي فرضه الله لهم، وخدّر معاوية بن أبي سفيان الأُمّة المسلمة عن القيام والنهوض ضدّ الظلم من خلال تأسيس فرق دينية تقدّم للناس تفسيرات دينية تخدم سلطة الأمويين وتبرّر أعمالهم، كما في مذهب الجبر ومذهب الإرجاء، وأعان على ذلك ما بذله من جهد كبير في تمزيق الأُمّة قليلاً وطبقياً، وفي اضطهاد الشيعة اضطهاداً كبيراً.

ومع طول مدّة حكمه انخدع جُلّ هذه الأُمّة بالتضليل الديني الأمويّ، واعتقدوا أنّ حكم معاوية حكم شرعي، وأنه امتداد للخلافة الإسلاميّة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، وأنّ معاوية إمام هذه الأُمّة، وأنّ من ينوب عنه في مكانه إمام هذه الأُمّة وامتداد لأئمتها الشرعيين!! ومن المؤسف حقّاً أنّ جُلّ هذه الأُمّة خضع خضوعاً أعمى لهذا التضليل وانقاد له، فلم يعد يبصر غيره، بل لم يعد يصدّق أنّ الحقيقة شيء آخر غير هذا!! ... ولقد كان أضمن السبل لتحطيم هذا الإطار الديني هو أن يثور عليه رجل ذو مركز ديني مسلّم به عند الأُمّة الإسلاميّة، فثورة مثل هذا الرجل كفيلاً بأن تمزّق الرداء الديني الذي يتظاهر به الحكّام الأمويون، وأن تكشف هذا الحكم على حقيقته، وجاهليته، وبُعد الكبر عن مفاهيم الإسلام، ولم يكن هذا الرجل إلّا الحسين عليه السلام، فقد كان له في قلوب الأكثرية القاطعة من المسلمين

معالركب الحسينى (ج ۲)، ص: ۲۱۳

رصيد كبير من الحبّ والإجلال والتعظيم ... ولو لم تكن واقعة كربلاء لكان الأمويون قد واصلوا حكم الناس باسم الدين، حتى يترسّخ في أذهان الناس بمرور الأيام والسنين أنه ليس هناك إسلام غير الإسلام الذي يتحدّث به الأمويون ويؤخذ عنهم!! وعلى الإسلام السلام!

لو لم تكن واقعة عاشوراء لما كان بالإمكان فصل الإسلام والأُمويّة عن بعضهما البعض، ممّا يعنى أنّ زوال الأُمويّة يوماً ما كان سيعنى زوال الإسلام أيضاً! ولكانت جميع الإنتفاضات والثورات التي قامت على الظلم الأمويّ تقوم حين تقوم على الإسلام نفسه! لكنّ الفتح الحسيني في عاشوراء هو الذي جعل كلّ هذه الإنتفاضات والثورات التي قامت بعد عاشوراء إنّما تقوم باسم الإسلام على الأُمويّة!!.

(۱)

ونلفت الإنتباه هنا إلى أن الإمام الحسين عليه السلام في الوقت الذي كان يتحرك بالفعل على أساس منطق العمق هذا- منطق الفتح بالشهادة- كان يتعاطى أيضاً بمنطق الحجج الظاهرة في تعامله مع منطق الظاهر، منطق تكلم المشورات والنصائح، كما أنه عليه السلام كان يراعى في ردوده وإجاباته في محاوراته مع أصحاب تلك المشورات والنصائح نوع المخاطب من حيث قدر عقله ومستوى بصيرته ودرجته ولأنه لأهل البيت عليهم السلام ونوع اعتقاده بهم ومدى علاقته بأعدائهم.

فراه عليه السلام مثلما يردّ على أم سلمة (رض) ومحمد بن الحنفية (رض) وعبدالله بن عباس (رض) ردوداً تختلف عن ردوده على عبدالله بن عمر وعبدالله بن الزبير وعبدالله بن مطيع العدوى وأمثالهم.

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٢١٤

هذه الحقيقة لا بدّ من استحضارها وعدم الغفلة عنها في قراءتنا لمحاوراته عليه السلام حتى نفهم سرّ التفاوت الظاهري في إجاباته وردوده عليه السلام.

تحرك عبدالله بن عباس ص: ٢١٤

إشارة

سجّل لنا التاريخ أكثر من محاوره تمت بين الإمام عليه السلام وبين عبدالله بن عباس، وقد كشفت هذه المحاورات في مجموعها عن أن ابن عباس (رض) كان قد تحرك في حدود السعي لمنع الإمام عليه السلام من الخروج الى العراق- لا- من القيام والثورة على الحكم الأموي- وكانت حجته في اعتراضه على خروج الإمام عليه السلام إلى الكوفة أن على أهل الكوفة- قبل أن يتوجه إليهم الإمام عليه السلام- أن يتحرّكوا عملياً لتهيئة الأمور وتمهيداً للإمام عليه السلام، كأن يطردوا أميرهم الأموي أو يقتلوه، وينفوا جميع أعدائهم من الأمويين وعملائهم وجواسيسهم في الكوفة، ويضبطوا إدارة بلادهم، وأنشد يكون من الرشاد والسداد أن يتوجه إليهم الإمام عليه السلام، وإلا فإنّ خروج الإمام عليه السلام إليهم- وهم لم يحركوا ساكناً بعد- مخاطرة لا تكون نتيجتها إلا القتل والبلوى، ومما قاله ابن عباس للإمام عليه السلام في صدد هذه النقطة:

«أخبرني رحمك الله، أتسير الى قوم قد قتلوا أميرهم، وضبطوا بلادهم، ونفوا عدوهم؟! فإن كانوا قد فعلوا ذلك فسِرْ إليهم، وإن كانوا إنّما دعوك إليهم وأميرهم عليهم قاهر لهم، وعمّاله تجبى بلادهم، فإنّما دعوك الى الحرب والقتال، ولا- آمن عليك أن يغزوك ويكذبوك ويخالفوك ويخذلوك، وأن يُستنفروا إليك فيكونوا أشدّ الناس عليك!». (١)

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٢١٥

وقال له أيضاً: «.. فإن كان أهل العراق يريدونك كما زعموا- فاكتب إليهم فلينفوا عدوهم ثم أقدم عليهم، فإن أبيت إلا أن تخرج فسِرْ إلى اليمن فإنّ بها حصوناً وشعاباً، وهي أرض عريضة طويلة، وتبثّ دعواتك، فإنّي أرجو أن يأتيك عند ذلك الذي تحبّ في عافية». (١)

هذه أهمّ نقطة أثارها عبد الله بن عباس في مجموع محاوراته مع الإمام عليه السلام، وهي كاشفة عن محور أساس في تفكير ابن عباس يتلخّص في تأييده لقيام الإمام عليه السلام واعتراضه فقط على الخروج الى العراق قبل تحرك أهله وقيامهم، وهذا فارق كبير من مجموع الفوارق بين موقف ابن عباس وموقف عبدالله بن عمر الذي كان يعترض على أصل القيام ضد الحاكم الأموي الجائر. لكنّ هذه النقطة بالذات كاشفة أيضاً عن انتماء ابن عباس الى مجموعة الناصحين والمشفقين الذين نظروا الى القضية بمنظار النصر الظاهري الذي لم تكن متطلباته لتخفى على الإمام عليه السلام لو كان قد تحرك بالفعل للوصول الى ذلك النصر.

والآن فلنأت الى نصوص محاورات ابن عباس مع الإمام عليه السلام:

المحاورة الأولى: ص : ٢١٥

وهي محاورة ثلاثية كان عبدالله بن عمر، الثالث فيها، ويبدو أن هذه المحاورة حصلت في الأيام الأولى من إقامة الإمام الحسين عليه السلام في مكة المكرمة، وكان بها يومئذ ابن عباس وابن عمر (وقد عزموا أن ينصرفا إلى المدينة)، ونحن نركز هنا على نصوص التحوار فيها بين الإمام عليه السلام وبين ابن عباس لأننا الآن

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٢١٦
بصدد تشخيص أبعاد موقفه وتحركه.

وقد ابتدأ ابن عمر القول في هذه المحاورة محدثاً الإمام عليه السلام من عداوة البيت الأموي وظلمهم وميل الناس إلى الدنيا، وأظهر له خشية عليه من أن يقتل، وأنه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «حسين مقتول، ولئن قتلوه وخذلوهم، ولن ينصروه، ليخذلهم الله إلى يوم القيامة»، (١) ثم أشار على الإمام عليه السلام أن يدخل في صلح ما دخل فيه الناس وأن يصبر كما صبر لمعاوية!! (٢) فقال له الحسين عليه السلام: «أبا عبد الرحمن! أنا أبايع يزيد وأدخل في صلحه وقد قال النبي صلى الله عليه وآله وفي أبيه ما قال؟! فقال ابن عباس: صدقت أبا عبدالله، قال النبي صلى الله عليه وآله في حياته: مالي وليزيد، لا بارك الله في يزيد، وإنه يقتل ولدى وولد ابنتي الحسين عليه السلام، والذي نفسى بيده لا يقتل ولدى بين ظهرائي قوم فلا يمنعونهم إلا خالف الله بين قلوبهم وألسنتهم! ثم بكى ابن عباس، وبكى معه الحسين عليه السلام.

وقال: «يا ابن عباس، تعلم أنني ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله!

فقال ابن عباس: اللهم نعم، نعلم ونعرف أن ما في الدنيا أحد هو ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله غيرك، وأن نصرك لفرض على هذه الأمة كفيضة الصلاة والزكاة التي لا يقدر أن يقبل أحدهما دون الأخرى!

قال الحسين عليه السلام: يا ابن عباس، فما تقول في قوم أخرجوا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله من داره وقراره ومولده، وحرّم رسوله، ومجاورة قبره، ومولده،

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٢١٧

ومسجده، وموضع مهاجره، فتركوه خائفاً مرعوباً لا يستقر في قرار ولا يأوى في موطن، يريدون في ذلك قتله وسفك دمه، وهو لم يشرك بالله شيئاً، ولا اتخذ من دونه ولياً، ولم يتغير عما كان عليه رسول الله!

فقال ابن عباس: ما أقول فيهم إلا «إنهم كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى»، (١) «يُراؤون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلاً، مذبيين بين ذلك، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ومن يُظلل الله فلن تجد له سيلاً»، (٢)

وعلى مثل هؤلاء تنزل البطشة الكبرى، وأما أنت يا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله فإنك رأس الفخار برسول الله صلى الله عليه وآله وابن نظيرة البتول، فلا تظنّ يا ابن بنت رسول الله أن الله غافل عما يعمل الظالمون، وأنا أشهد أن من رغب عن مجاورتك، وطمع في محاربتك ومحاربة نبيك محمد صلى الله عليه وآله فماله من خلاق.

فقال الحسين عليه السلام: اللهم اشهد.

فقال ابن عباس: جعلت فداك يا ابن بنت رسول الله، كأنك تريدني إلى نفسك، وتريد مني أن أنصرك! والله الذي لا إله إلا هو أن لو ضربت بين يديك بسيفي هذا حتى انخلع جميعاً من كفي لما كنت ممن أوفى من حقك عشر العشر وها أنا بين يديك مرني بأمرك.

وهنا يتدخل ابن عمر ليغير مجرى الحوار - حين أحس أن الكلام بلغ الدرجة الحرجة بقول الإمام عليه السلام «اللهم اشهد» أن الحجّة قائمة على المخاطب، وصار الحديث على لسان ابن عباس الذي أدرك مغزى «اللهم اشهد» في وجوب نصره الإمام عليه السلام

ووجوب الإنضمام إلى رأيته في القيام ضد الحكم الأموي، الأمر الذي

مع الרכب الحسيني (ج ۲)، ص: ۲۱۸

يعني أنه (أي ابن عمر) مقصود أيضاً بالإمثال لهذا الواجب - فقال لابن عباس:

مهلاً، ذرنا من هذا يا ابن عباس!!

ثم عطف يخاطب الإمام عليه السلام داعياً إياه إلى الرجوع إلى المدينة والتخلي عما عزم عليه من القيام، وطالباً منه الدخول في صلح القوم، والصبر حتى يهلك يزيد!!، ويدعى ابن عمر هنا أن الإمام عليه السلام متروك ولا بأس عليه إن هو ترك القيام حتى وإن لم يبايع!!

وهنا يظهر الإمام عليه السلام تبرمه من منطلق ابن عمر، ثم يلزمه بالتسليم لحقيقته أن ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله في طهره ورشده ومنزلته الخاصة ليس كيزيد بن معاوية، ويعلمه أن الأمويين لا يتركونه حتى يبايع أو يقتل، ثم يدعو إلى نصرته، فإن لم ينصره فلا أقل من أن لا يسارع بالبيعة!!

ثم أقبل الإمام الحسين عليه السلام على ابن عباس رحمه الله ..

فقال: يا ابن عباس، إنك ابن عمّ والدي، ولم تزل تأمر بالخير منذ عرفتك، وكنت مع والدي تشير عليه بما فيه الرشد، وقد كان يستصحك ويستشيرك فتشير عليه بالصواب، فامض إلى المدينة في حفظ الله وكلائه، ولا يخف عليّ شيء من أخبارك، فأني مستوطنٌ هذا الحرم، ومقيمٌ فيه أبداً ما رأيتُ أهله يحبوني وينصرونني، فإذا هم خذلوني استبدلتُ بهم غيرهم، واستعصمتُ بالكلمة التي قالها إبراهيم الخليل عليه السلام يوم ألقى في النار (حسبي الله ونعم الوكيل) فكانت النار عليه برداً وسلاماً.

.. فبكى ابن عباس وابن عمر في ذلك الوقت بكاءً شديداً، والحسين عليه السلام

مع الרכب الحسيني (ج ۲)، ص: ۲۱۹

يبكي معهما ساعة، ثم ودّعهما، وصار ابن عمر وابن عباس إلى المدينة. «۱»

تأمل وملاحظات: ص: ۲۱۹

۱- أكد ابن عباس (رض)- في أول ما نطق به خلال هذه المحاوره- أن النبي صلى الله عليه وآله كان قد بلغ الأُمّة بأن يزيد قاتل الحسين عليه السلام، وأنّ على الأُمّة أن تحمي الإمام عليه السلام وتنصره، وقد حذر صلى الله عليه وآله الأُمّة بأنّ الإمام عليه السلام لا يقتل بين ظهري قوم فلا يمنعونه إلّا خالف الله بين قلوبهم وألسنتهم! وقد أكد ابن عمر أيضاً على وقوع هذا التحذير والإنذار النبوي حيث قال إنه سمع الرسول صلى الله عليه وآله يقول: «حسين مقتول، ولئن قتلوه وخذلوه، ولن ينصروه، ليخذلهم الله إلى يوم القيامة»، وهذا يعني أنّ الأُمّة كان قد شاع في أوساطها خبر ملحمه مقتل الحسين عليه السلام وأنّ يزيد قاتله، وأنّ على الأُمّة التحرك لحماية الإمام عليه السلام ونصرته!! لكنّ الأُمّة بعد خمسين سنة من ارتحال الرسول صلى الله عليه وآله أعمتها أضاليل حركة النفاق عامة وفصيل الحزب الأموي منها خاصة، فتناوت عن وصايا رسول الله صلى الله عليه وآله وتحذيراته، الأمر الذي استشعر ابن عباس مرارته ونتائج الخطيرة فبكى، وشاركه الإمام عليه السلام في البكاء!

۲- أكد ابن عباس (رض) في هذه المحاوره على معرفته بمقام الحسين عليه السلام وضروره موالاته ونصرته، بدليل قوله: «.. وأنّ نصرک لفرض على هذه الأُمّة كفریضه الصلاة والزکاة ..»، وفي قوله: «.. لو ضربتُ بين يديک بسيفی هذا حتى

مع الרכب الحسيني (ج ۲)، ص: ۲۲۰

انخلع جميعاً من كفى لما كنت ممن أوفى من حَقِّك عشر العشر ..».

۳- كما أكد (رض) على معرفته بكفر الأمويين ونفاقهم، وأنهم ومن أطاعهم في محاربة الإمام عليه السلام ممن لانصيب لهم من

الخير في الآخرة.

(٤) - قد يُستفاد من قوله (رض): «كأنك تريدني إلى نفسك، وتريد مني أن أنصرك ... الى قوله: وها أنا بين يديك مُرني بأمرك» أنه وإن كان كبير السنّ يومذاك لكنّه كان صحيح القوي سليم الجوارح وإلّا لما عرض استعداده للنصرة والجهاد، فلم يكن مكفوف البصر مثلاً - كما يُستفاد ذلك من روايه لقائه بأمّ سلمة (رض) بعد سماع صراخها تنعى الحسين عليه السلام «١» - نعم يمكن القول إنّ الإمام عليه السلام في جميع محاوراته مع ابن عباس لم يطلب منه الالتحاق به ونصرته، مما يقوى القول بأنه كان ضعيف البصر جداً أو مكفوفاً آنذاك، ومعذوراً عن الجهاد إلّا أنه (رض) عرض للإمام عليه السلام استعداده للجهاد والتضحية بين يديه استشعاراً منه لوجوب نصره الإمام عليه السلام والذبّ عنه وإن كان معذوراً.

(٥) - وقد يُستفاد أيضاً من أحد نصوص هذه المحاوره أنّ الإمام عليه السلام رخص لابن عباس (رض) بالبقاء وعدم الالتحاق بركبه، حيث قال عليه السلام له: «فامض إلى المدينة في حفظ الله وكلائه، ولا يخف عليّ شيء من أخبارك».

(٦) - أخبر الإمام عليه السلام ابن عباس (رض) - في الأيام الأولى من إقامته في مكّة المكرّمه - أنّ الأمويين يريدون قتله وسفك دمه! والإمام عليه السلام بهذا ربّما أراد أن يُخبر عن وجود خطّة وضعتها السلطه الأمويه المركزيه بالفعل لقتله في المدينة أو في مكّة، أو أراد أن يُخبر عن حقيقة أنّه (ما لم يبايع يقتل)، مؤكداً بذلك على عدم صحه دعوى بعض من يقول - كابن عمر مثلاً - إنه عليه السلام لا بأس عليه ولا خطر إن

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٢٢١

ترك المعارضة وصبر حتى وإن لم يبايع!

(٧) - ومع علمه عليه السلام بأنّه مالم يبايع يقتل! ومع إصراره على أن لا يكون هو الذي تستباح بقتله حرمة البيت الحرام! يمكننا أن نفهم قوله عليه السلام لابن عباس (رض) في ختام هذه المحاوره: «فإني مستوطن هذا الحرم، ومقيم فيه أبداً ما رأيت أهله يحبوني وينصروني، فإذا هم خذلوني استبدلت بهم غيرهم ..» أنه عليه السلام أراد أن يطمئن ابن عباس (والمحاوره في أوائل الأيام المكيه) أنه باقٍ أياماً غير قليلة في مكّة، وأنّ هنالك متسعاً من الوقت، وإلّا فإنّ الإمام عليه السلام قد جعل استيطانه الحرم مشروطاً بحبّ أهله إياه ونصرتهم له! وهو عليه السلام يعلم أنه ليس في (المكيين) إلا نزر قليل جداً ممّن يحبّ أهل البيت عليه السلام، «١» فليس له في مكّة قاعدة شعبية تحميه وتنصره في مواجهه السلطه الأمويه.

المحاوره الثانيه: ص: ٢٢١

ويبدو أنّ هذه المحاوره حصلت بين ابن عباس (رض) وبين الإمام عليه السلام بعد رجوع ابن عباس من المدينة الى مكّة المكرّمه مرّة أخرى، إذ تقول الروايه التاريخيه: «وقدم ابن عباس في تلك الأيام الى مكّة، وقد بلغه أنّ الحسين عزم على المسير، فأتى إليه ودخل عليه مسلماً».

ثم قال له: جُعلتُ فداك، إنه قد شاع الخبر في الناس وأرجفوا بأنك سائر الى العراق! فبين لي ما أنت عليه؟ «٢»

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٢٢٢

فقال: نعم، قد أزمعتُ على ذلك في أيامي «١» هذه إن شاء الله، ولا حول ولا قوة إلّا بالله العليّ العظيم.

فقال ابن عباس: أعيذك بالله من ذلك، فإنك إن سرت الى قوم قتلوا أميرهم، وضبطوا بلادهم، واتقوا عدوهم، «٢» ففي مسيرك إليهم لعمرى الرشد والسداد، وإن سرت إلى قوم دعوك إليهم وأميرهم قاهر لهم، وعيهم يوجبون بلادهم، «٣» فإنما دعوك الى الحرب والقتال! وأنت تعلم أنه بلدٌ قد قُتل فيه أبوك، واغتيل فيه أخوك، وقُتل فيه ابن عمك وقد بايعه أهله (!) وعييد الله في البلد يفرض ويُعطى، والناس اليوم عييد الدينار والدرهم، فلا آمن عليك أن تُقتل، فاتق الله والزم هذا الحرم، فإن كنت على حال لا بدّ أن

تشخص فصر إلى اليمن فإن بها حصوناً لك، وشيعة لأبيك، فتكون منقطعاً عن الناس.

فقال الحسين عليه السلام: لا بد من العراق!

قال: فإن عصيتني فلا تخرج أهلك ونساءك فيقال إن دم عثمان عندك وعند أبيك، فوالله ما آمن أن تقتل ونساؤك ينظرن كما قُتل عثمان.

فقال الحسين عليه السلام: والله يا ابن عم، لئن أُقتل بالعراق أحب إلي من أن أُقتل بمكة، وما قضى الله فهو كائن، ومع ذلك أستخير الله وأنظر

مع الراكب الحسيني (ج ٢)، ص: ٢٢٣

ما يكون. (١)

تأمل وملاحظات: ص: ٢٢٣

(١) - يمكن تشخيص تأريخ هذه المحاوره من قرائن متون روايتها أنها حصلت في الأيام الأخيرة من إقامة الإمام عليه السلام في مكة، بدليل قوله عليه السلام «قد أزمعت على ذلك في أيامي هذه ..»، أو أنها حصلت في اليوم الأخير أو اليوم الذي قبله، بدليل قوله عليه السلام كما في رواية الطبري: «قد أجمعت المسير في أحد يومئ هذين ..».

(٢) - تؤكد نصوص هذه المحاوره أن تصميم الإمام عليه السلام على التوجه الى العراق قد شاع في الناس في مكة وغيرها، خصوصاً في الأيام الأواخر من إقامته فيها، وهذا لا ينافي أن يبقى موعد السفر سرياً لو أراد الإمام عليه السلام ذلك، مع أن نفس موعد سفر الراكب الحسيني من مكة لم يكن سرياً إذ كان الإمام عليه السلام قد أعلن عنه في خطبته قبيل سفره حين قال فيها: «... من كان باذلاً فينا مهجته، وموطناً على لقاء الله نفسه فليرحل معنا، فإنني راحل مصباحاً إن شاء الله تعالى..». (٢)

(٣) - في هذه المحاوره يتجلى المحور الأساس في تفكير ابن عباس (رض) وموقفه من قيام الإمام عليه السلام فهو مع القيام، وضد الخروج الى العراق قبل أن يتحرك أهله عملياً لترتيب وتهيئة الأوضاع وتمهيداً استقبالياً لمقدم الإمام عليه السلام إليهم، وهذه المقولة صحيحة في حدود منطق النصر الظاهري الذي كانت تنطلق منه مشورات ابن عباس (رض) ونصائحه، والملفت للانتباه أن الإمام عليه السلام لم يُخطيء

مع الراكب الحسيني (ج ٢)، ص: ٢٢٤

مثل هذه المشورة والنصيحة في جميع المحاورات التي طرحت فيها من قبل ابن عباس وغيره، (١) بل كان يعلق عليها بما يشعر بصحتها في حدود منطق الظاهر. (٢)

(٤) - في ضوء منطق (الظاهر) يمكن للمتابع المتأمل أن يفسر قول الإمام عليه السلام «لا بد من العراق» أن إصراره عليه السلام على التوجه الى العراق كان بسبب رسائل أهل الكوفة إليه، إذ شكّلت هذه الرسائل حجة على الإمام عليه السلام في وجوب الإستجابة لهم والتوجه إليهم، خصوصاً بعد وصول رسالته مسلم بن عقيل عليه السلام إليه وقد أخبره فيها بأن عدد المبايعين له في الكوفة بلغ ثمانية عشر ألفاً (أو أكثر)، وطالبه فيها بالقدوم إليهم، ويؤيد هذا ما روى عنه عليه السلام أنه قال لابن عباس في محاوره أخرى:

«... وهذه كتب أهل الكوفة ورسلمهم وقد وجب عليّ إجابتهم وقام لهم العذر عليّ عند الله سبحانه». (٣)

أمّا في ضوء منطق «العمق» فإنّ قوله عليه السلام «لا بد من العراق» مع علمه بأن أهل الكوفة سوف يقتلونه ومن معه من أنصاره - وتصريحات الإمام عليه السلام بأنه سوف يُقتل كثيرة متظاهرة - لا بد أن يفسر بأن الإمام عليه السلام يعلم أيضاً أن العراق هو الأرض المختارة للمصرع المختار، وميدان الواقعة الحاسمة، واقعة «الفتح بالشهادة»، الواقعة التي تكون نتائجها جميعاً لصالح الإسلام المحمدي الخالص وأهل البيت عليهم السلام إلى قيام الساعة، ذلك لأنّ الشيعة في العراق آتت أكثر منهم في أيّ

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٢٢٥

إقليم إسلامي آخر، ولأنّ العراق لم ينعلق إعلامياً ونفسياً لصالح الأمويين كما هو الشام، بل لعلّ العكس هو الصحيح، فالعراق آنذاك هو أرض المصرع المختار لما ينطوى عليه من استعدادات للتأثر بالحدث العظيم «واقعة عاشوراء» والتغير على هدى اشعاعاتها. ويؤيد هذا التفسير (في العمق) أنّ الإمام عليه السلام ظلّ مصرّاً على التوجّه الى الكوفة حتى بعد انتفاء حجّة أهل الكوفة عليه عملياً حين بلغه خذلانهم لمسلم عليه السلام الذي أمسى وحيداً وجاهداً وحيداً حتى قُتل!

(٥) - ورد في هذه المحاوره قول ابن عباس (رض) للإمام عليه السلام: «.. وأنت تعلم أنّه بلدٌ قد قُتل فيه أبو بكر، واغتيل فيه أخوك، وقُتل فيه ابن عمك وقد بايعه أهله!...» ولاشك أنّ المراد ب (ابن عمك) هو مسلم بن عقيل عليه السلام، ولذا فإنّ هذه العبارة شاذة ومخالفة للمشهور الثابت، ذلك لأنّ خبر مقتل مسلم عليه السلام أتى الإمام الحسين عليه السلام بعد خروجه من مكّة في منزل من منازل الطريق (زرود)، ولعلّ هذه العبارة قد أُدخلت إدخالاً على أصل متن هذه المحاوره عمداً أو سهواً، والله العالم. كذلك الأمر في قول ابن عباس (رض) للإمام عليه السلام: «.. فأتق الله والزم هذا الحرم..»، ذلك لأنّ فيه من سوء الأدب في مخاطبة الإمام عليه السلام ما يبعد صدوره جدّاً عن ابن عباس (رض) العارف بمقام الإمام الحسين عليه السلام خاصةً وبمقام أهل البيت عليهم السلام عامةً.

(٦) - يمكن حمل قول الإمام عليه السلام: «.. لئن أقتل بالعراق أحبُّ إليّ من أن أقتل بمكّة..» على أصل إصرار الإمام عليه السلام ألا يكون هو القتل في مكّة الذي تُستحلّ به حرمة هذا البيت، ويمكن حمل هذا القول أيضاً على حقيقة علمه عليه السلام بأنّ العراق هو أفضل أرض للمصرع المختار كما قدّمنا قبل ذلك، ولأنّ الواقعة التي يُقتل عليه السلام مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٢٢٦

فيها على أرض العراق سوف تكون إعلامياً وتبليغياً (على الأقلّ) في صالح الإمام عليه السلام تماماً بحيث لا يتمكّن العدو فيها أن يعتم على مصرعه فتختنق الأهداف المرجوة من وراء هذا المصرع الذي سيهزّ الأعماق في وجدان هذه الأمة ويحرّكها بالإتجاه الذي أراهه الحسين عليه السلام، وهذا بخلاف ما لو قُتل الإمام عليه السلام بمكّة غيلةً في خفاء أو علانية، قتله يمكن للعدوّ أن يُغطّي عليها ويتنصّل من مسؤوليته عنها، بل يستفيد من نفس الحادثة لصالحه إعلامياً، إذ يقتل القاتل - الذي كان قد أمره هو بقتل الإمام عليه السلام - فيظهر للأمة بمظهر المطالب بدم الإمام عليه السلام النائر له، فتنتظي اللعبة على أكثر الناس، وتبقى مأساة الإسلام على ما هي عليه، بل تترسخ المصيبة وتشتدّ.

(٧) - في ختام هذه المحاوره نقف أمام قول الإمام عليه السلام: «وما قضى الله فهو كائن، ومع ذلك أستخير الله وأنظر ما يكون..»، وقد تكرر قوله عليه السلام «أستخير الله» في بعض محاوراته عليه السلام مع ابن الزبير وابن مطيع وفي ردّه على كتاب المسور بن مخرمة. فهل عنى الإمام عليه السلام بالاستخارة طلب معرفة ما فيه الخيرة من الأمور؟! وهل يعنى هذا أنّ الإمام الحسين عليه السلام لم تكن لديه خطّة على الأرض في مسار نهضته منذ البدء، ولم يكن لديه علم بما هو قادم عليه من مصير في مستقبل أيامه وأنّ بوصلة الإستخارة هي التي كانت توجّه حركته!؟

وهل يوافق هذا: الإعتقاد الحقّ بالشرائط اللازمة للإمامة المطلقة المتجسّدة في شخصيات أئمّة أهل البيت عليه السلام بعد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، خصوصاً على صعيد (علم الإمام عليه السلام)؟!؟

وهل يصدّق هذا التراث الروائي الكبير المتظافر المأثور عن النبي صلى الله عليه وآله

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٢٢٧

وعنهم عليهم السلام في إخباراتهم عن (الملاحم والفتن) إلى قيام الساعة، وخصوصاً الإخبارات المأثورة عن النبي صلى الله عليه وآله وعن عليّ والحسن والحسين عليهما السلام بصدد (ملحمة عاشوراء)؟!؟

قبل الإجابة يحسن بنا أن نتعرض هنا الى معنى الإستخارة لغه واصطلاحاً.

معنى الإستخارة: ص : ٢٢٧

الإستخارة لغه: طلب الخيرة في الشيء، واستخار الله: طلب منه الخيرة، و:

اللهم خر لي: أي اختر لي أصلح الأمرين. «١»

وهي اصطلاحاً- كما ورد في الروايات- على معان:

١- بمعنى طلب الخيرة من الله، بأن يسأل الله في دعائه أن يجعل له الخير ويوفقه في الأمر الذي يريده.

٢- بمعنى تيسر ما فيه الخيرة. وهو قريب من الأول.

٣- طلب العزم على ما فيه الخير، بمعنى أن يسأل الله تعالى أن يوجد فيه العزم على ما فيه الخير.

٤- طلب معرفة ما فيه الخيرة، وهو المتداول في العرف. «٢»

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٢٢٨

لنرجع الى أصل المسألة ..

لاشك أن مراد الإمام عليه السلام من الإستخارة ليس معناها المتداول في يومنا هذا:

وهو طلب معرفة ما فيه الخيرة، وأنه عليه السلام كان يريد استكشاف الغيب بطريق الرجاء بلاجزم ويقين!!

إذ إن هذا يناهض الاعتقاد الحق بأن النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام عندهم علم ما كان وما هو كائن وما يكون الى قيام الساعة موهبة من الله تبارك وتعالى، كما يناهض هذا روايات أخبار (الملاحم والفتن) الكثيرة الماثورة عنهم عليهم السلام والكاشفة عن علمهم بمسار وتفصيل حركة أحداث العالم الى قيام الساعة، وخصوصاً أخبار (ملحمة عاشوراء) الماثورة عن الخمسة أصحاب الكساء الذين نزلت فيهم آية التطهير صلوات الله عليهم أجمعين. «١»

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٢٢٩

إذن فمعنى الإستخارة هنا من الممكن أن يكون هو الدعاء الى الله تبارك وتعالى في أن يجعل له عليه السلام الخير في مسعاه ويوفقه في الأمر الذي يريده، أو أن ييسر له ما فيه الخير بتدليل كل الصعوبات والعوائق لبلوغ ما يبتغيه عليه السلام في طريق نهضته المقدسة، أو الدعاء الى الله تبارك وتعالى في طلب المزيد من العزم والتصميم على ما فيه الخير وجزيل المثوبة.

ولاشك أن المتابع المتأمل يُدرك أن الإمام عليه السلام في جميع محاوراته التي ذكر فيها أمر الإستخارة أراد بذلك أن يسكت المخاطب عن الإلحاح في نهيه عما هو عازم عليه.

ولا ينافي ما قدمنا إذا حدثنا التاريخ أن الإمام عليه السلام لجأ لقطع إلحاح المحاور الى الإستفتاح بالقرآن- وهو يعلم نتيجة الإستفتاح مسبقاً- كما فعل ذلك مع ابن عباس نفسه، فقد روى «أن ابن عباس ألح على الحسين عليه السلام في منعه من المسير الى الكوفة، فتفأل بالقرآن لإسكاته، فخرج الفأل قوله تعالى: «كل نفس ذائقة الموت، وإنما توفون أجوركم يوم القيامة...»، «١»

فقال عليه السلام: إنا لله وإنا إليه راجعون، صدق الله ورسوله. ثم قال: يا ابن عباس، فلا تلح علي بعد هذا فإنه لا مرد لقضاء الله عز وجل. «٢»

المحاوره الثالثه: ص : ٢٢٩

يقول التاريخ: «فلما كان من العشي أو من الغد أتى الحسين عبدالله بن

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٢٣٠

عباس ...

فقال: يا ابن عم، إني أتصبر ولا أصبر، إني أتخوف عليك في هذا الوجه الهلاك والإستئصال، إن أهل العراق قوم غدر، فلا تقرّبهم، أقم بهذا البلد فإنك سيد أهل الحجاز، فإن كان أهل العراق يريدونك كما زعموا فاكتب إليهم فلينفوا عدوّهم ثم أقدّم عليهم، فإن أبيت إلّا أن تخرج فسّر إلى اليمن فإن بها حصوناً وشعاباً، وهي أرض عريضة طويلة ولأبيك بها شيعه وأنت عن الناس في عزله، فتكتب إلى الناس وترسل وتبث دعاتك، فإنني أرجو أن يأتيك عند ذلك الذي تحب في عافية!

فقال له الحسين عليه السلام: يا ابن عم، إني والله لأعلم أنك ناصح مشفق، ولكنني قد أجمعت وأجمعت على المسير!

فقال له ابن عباس: فإن كنت سائراً فلا تسرّ بنسائك وصيبتك، فوالله إني لخائف أن تُقتل كما قتل عثمان ونساؤه وولده ينظرون إليه! ثم قال ابن عباس: لقد أقررت عين ابن الزبير بتخليتك إياه والحجاز والخروج منها، وهو اليوم لا ينظر إليه أحد معك، والله الذي لا إله إلا هو، لو أعلم أنك إذا أخذت بشعرك وناصرتك حتى يجتمع عليّ وعليك الناس أطعنتي لفعلت ذلك!!

قال ثم خرج ابن عباس من عنده فمرّ بعبدالله بن الزبير فقال: قرّت عينك يا ابن الزبير! ثم قال:

يا لك من قُبيرةٍ بمعمرٍ خلا لك الجوّ فيضى واصفري

ونقرى ما شئت أن تنقرى

هذا حسينٌ يخرج الى العراق! وعليك بالحجاز!.. «١»

مع الركب الحسينى (ج ٢)، ص: ٢٣٢

المحاورة الرابعة: ص: ٢٣٢

إشارة

روى الطبرى (الإمامى) عن عبدالله بن عباس قال: لقيتُ الحسين بن عليّ وهو يخرج الى العراق ..

فقلت له: يا ابن رسول الله، لا تخرج!

قال فقال لى: يا ابن عباس، أما علمت أنّ متيتى من هناك وأنّ مصارع أصحابى هناك!؟

فقلت له: فأنتى لك ذلك؟

قال: بسّرٍ سرّ لى وعلم أعطيته!.. «١»

إشارة: ص: ٢٣٢

لا يخفى على المتأمل في ما عثرنا عليه من متون محاورات عبدالله بن عباس (رض) مع الإمام الحسين عليه السلام ظهور حقيقة - ما قدّمناه من قبل - أنّ المحور الأساس في تفكير ابن عباس (رض) هو تأييده لقيام الإمام عليه السلام، ومعارضته لخروجه الى العراق قبل تحرّك أهله عملياً لنصرته.

ولم نعر - حسب تتبعنا - على نصّ منسوب الى ابن عباس (رض) يفيد أنه كان معارضاً لقيام الإمام عليه السلام، أو أنه (رض) نهى عن

القيام، إلّا ما ورد في كتاب (أسرار الشهادة) للدربندى (ره) نقلًا عن كتاب (الفوادح الحسينية)، «٢» عن ابن

مع الركب الحسينى (ج ٢)، ص: ٢٣٣

عباس (رض) أنه قال للإمام الحسين عليه السلام في ختام واحدة من محاوراته بعد أن بكى بكاءً شديداً: «يعزُّ واللّه عليّ فراقك يا ابن العم. ثم أقبل على الحسين وأشار عليه بالرجوع الى مكّة والدخول في صلح بنى أمية!!».

فقال الحسين عليه السلام: هيهات هيهات يا ابن عباس، إنّ القوم لم يتركونى، وإنهم يطلبونى أين كنت حتى أبايعهم كرهاً ويقتلونى،

والله لو كنت في جحر هامة من هوام الأرض لاستخرجونى منه وقتلونى، والله إنهم ليعتدون على كما اعتدت اليهود في يوم السبت، وإنى ماض في أمر رسول الله صلى الله عليه وآله حيث أمرنى، وإنا لله وإنا إليه راجعون.» (١)

ونقل صاحب كتاب «معالي السبطين» هذه المحاورة قائلاً: «وفى بعض الكتب: جاء عبد الله بن عباس الى الحسين عليه السلام وتكلم معه بما تكلم الى أن أشار عليه بالدخول في طاعة يزيد وصلاح بنى أمية!!»، وفى نقله إضافة الى نقل الدرر بندى أن ابن عباس قال للامام عليه السلام بعد ذلك: يا ابن العم، بلغنى أنك تريد العراق، وإنهم أهل غدر، وإنما يدعونك للحرب فلا تعجل فأقم بمكة!

فقال عليه السلام: لأن أقتل والله بمكان كذا أحب إلي من أن أستحل بمكة، وهذه كتب أهل الكوفة ورسلمهم، وقد وجب على إجابتهم وقام لهم العذر على عند الله سبحانه!

مع الركب الحسينى (ج ٢)، ص: ٢٣٤

فبكى عبدالله حتى بُلَّت لحيته، وقال: واحسيناه، وا أسفاه على حسين.» (١)

والملاحظ المتأمل يرى: ص : ٢٣٤

- ١- أن ما ورد في هذين الكتابين من دعوى «أن ابن عباس (رض) أشار على الامام عليه السلام بالدخول في صلح بنى أمية وطاعة يزيد» شاذ غريب مخالف للمشهور الوارد في الكتب المعتمدة.
 - ٢- أن صاحب أسرار الشهادة ينسب هذه الدعوى الى كتاب الفوادح الحسينية (لانعرفه في الكتب المعتمدة)، وصاحب معالي السبطين ينسبها الى (بعض الكتب!)، ولا يخفى أنها نسبة ظاهرة الضعف.
 - ٣- أن عبارة الدعوى نفسها ليست قولاً نطق به ابن عباس فنقل عنه، بل هي من إنشاء صاحب أسرار الشهادة وصاحب معالي السبطين.
 - ٤- وهناك أيضاً تعارض بين عبارة صاحبي أسرار الشهادة ومعالي السبطين، ففي الأولى: (وأشار عليه بالرجوع الى مكة)، أى أن المحاورة حصلت بعد خروج الامام عليه السلام من مكة، وفى الثانية: (فلا تعجل فأقم بمكة) أى أن المحاورة حصلت فى مكة.
- كما لا يخفى أن القول بأن المحاورة حصلت بعد خروج الامام عليه السلام من مكة أشد شذوذاً من أصل الدعوى نفسها لأن المشهور الثابت أن ابن عباس (رض) لم يلتق الامام عليه السلام بعد خروجه من مكة المكرمة.

خلاصة القضية: ص : ٢٣٤

ان هذه الدعوى الشاذة لاتستند الى دليل معتبر يمكن الاطمئنان اليه، بل لا دليل عليها، ويبقى الأصل المستفاد من المتون المعتمدة مع الركب الحسينى (ج ٢)، ص: ٢٣٥

صحيحاً فى أن موقف ابن عباس (رض) يتلخص فى تأييده لقيام الامام عليه السلام، ومعارضته لخروجه الى العراق قبل تحرك أهله عملياً لنصرته، نعم، هناك قول للسيد ابن طاووس (ره) مبهم الدلالة وهو: وجاء عبدالله بن عباس رضوان الله عليه، وعبدالله بن الزبير فأشارا إليه بالإمساك، فقال لهما: إن رسول الله صلى الله عليه وآله قد أمرنى بأمر وأنا ماض فيه. قال فخرج ابن عباس وهو يقول: واحسيناه!..» (١)

ولا- دلالة فى هذه العبارة الغامضة: (فأشارا عليه بالإمساك) على أن ابن عباس أشار على الامام عليه السلام بترك القيام، بل الأقوى دلالتها على ترك الخروج الى العراق بقرينة المتون التفصيلية الأخرى ذات المضمون نفسه التى أجاب فيها الامام عليه السلام ابن عباس (رض) بأنه ماض الى العراق بأمر رسول الله صلى الله عليه وآله.

لماذا تخلف ابن عباس (رض) عن الإمام عليه السلام؟! ص : ٢٣٥

عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب بن هاشم رضى الله عنهم أجمعين، كان مؤمناً بإمامة أئمة أهل البيت الإثنى عشر عليهم السلام من بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، «٢» عارفاً

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٢٣٦

بحقهم، موقناً بأن نصرهم والجهاد تحت رايتهم فرض كفرض الصلاة والزكاة، «١» وكانت سيرته مع الامام أمير المؤمنين والامام الحسن والامام الحسين عليهما السلام كاشفة عن هذا الايمان وهذا اليقين وهذه المعرفة، «٢» وكان (رض) لا يتردد في إظهار

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٢٤٠

اعتزازه وافتخاره بما أنعم الله عليه به من موالاتهم وحبهم والينقياد لهم والإمتثال لأمرهم، ومن جميل ما يروى في ذلك أن مُدرِك بن زياد اعترض على ابن عباس حين رآه ذات يوم وقد أمسك للحسن والحسين عليهما السلام بالركاب وسوى عليهما:

«قائلاً: أنت أسنُّ منهما تُمسك لهما بالركاب!؟»

فقال: يالكع، وتدرى من هذان؟ هذان ابنا رسول الله صلى الله عليه وآله، أو ليس مميًا أنعم الله به عليّ أن أمسك لهما وأسوى عليهما؟! «١».

وكان ابن عباس (رض) قد حفظ ما سمع من رسول الله صلى الله عليه وآله ومن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام ما أخبرا به حول مقتل الإمام الحسين عليه السلام، والارض التي يُقتل فيها، وأسماء أصحابه، فها هو يروى قائلاً: «كنت مع أمير المؤمنين عليه السلام في خرجته الى صفين، فلما نزل بنيوى وهو بشطّ الفرات قال بأعلا صوته: يا ابن عباس، أتعرف هذا الموضع؟

قلت له: ما أعرفه يا أمير المؤمنين!

فقال عليه السلام: لو عرفته كعرفتى لم تكن تجوزه حتى تبكى كبكائى!

قال: فبكى طويلاً حتى اخضلت لحيته، وسالت الدموع على صدره، وبكىنا

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٢٤١

معاً وهو يقول: أوّه أوّه، مالى ولآل أبى سفيان؟! مالى ولآل حرب، حزب الشيطان وأولياء الكفر؟! صبراً يا أبا عبدالله، فقد لقي أبوك مثل الذى تلقى منهم..» «١»

وكان ابن عباس (رض) يقول: «ماكنّا نشكُّ، وأهل البيت متوافرون، أنّ الحسين بن عليّ يُقتل بالطفّ!..» «٢»

إذن لم يلتحق ابن عباس (رض) بالركب الحسيني ليفوز بشرف نصره سيد المظلومين عليه السلام وبشرف الشهادة بين يديه!؟

هل أتأقل الى الارض وآثر الدنيا على الآخرة بعد عمر شريف عامر بالجهاد ونصره الحق!؟

إنّ العارف بسيرة ابن عباس (رض) قد يرفض حتى التفكير فى مثل هذا السؤال! أوليس ابن عباس هو القائل فى محاورته الأولى مع الإمام الحسين عليه السلام فى مكّة فى شعبان سنة ٦٠ للهجرة: «جعلت فداك يا ابن بنت رسول الله، كأنك تريدنى إلى نفسك، وتريد منى أن أنصرك! والله الذى لا إله إلا هو أن لو ضربت بين يديك بسيفى هذا حتى انخلع جميعاً من كفى لما كنت ممن أوفى من حقك عشر العشر! وها أنا بين يديك مرنى بأمرك..».

إذن هل كان تقادم العمر به قد أعجزه عن القدرة على النصره!؟

إذا علمنا أن ابن عباس (رض) توفى سنة ٦٨ للهجرة أو ٦٩ وله من العمر سبعون عاماً أو واحد وسبعون، «٣» أدركنا أن عمره سنة ٦٠ للهجرة كان إثنين وستين

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٢٤٢

عاماً أو ثلاثة وستين عاماً، فهو أكبر من الإمام الحسين عليه السلام بحوالى خمسة أعوام، إذن فقد كان قادراً على الجهاد مع الإمام عليه

السلام من حيث السلامة البدنية، خصوصاً وأنه لم يُروَ أن ابن عباس كان مريضاً آنذاك كما روى بصدد محمد بن الحنفية (رض) مثلاً.

فما هي علّة تخلّفه إذن؟!

لعلّ المتأمل في موضوع علّة عدم التحاق ابن عباس (رض) بالامام عليه السلام في نهضته المقدّسة يلاحظ - قبل الوصول الى الجواب - نقطتين مهمتين تساعدان على الإطمئنان أنه كان معذوراً، وهما:

١- في جميع ما روى من لقاءات ومحاورات ابن عباس مع الامام الحسين عليه السلام في مكة سنة ستين للهجرة، لا يجد المتتبع أنّ الإمام عليه السلام قد دعا ابن عباس دعوة مباشرة الى نصرته كما صنع مثلاً مع ابن عمر، وحتى حينما قال الإمام عليه السلام في محاورته الأولى مع ابن عباس وابن عمر: «اللهم اشهد» (١) أدرك ابن عباس مغزى قول الإمام عليه السلام، وبادر الى اظهار استعدادة للنصرة والجهاد بين يدي الامام عليه السلام وعدا هذا لا يجد المتتبع أية إشارة من قريب أو بعيد مؤدّاه أنّ الإمام عليه السلام قد دعا ابن عباس الى نصرته.

٢- لم نعثر - حسب تتبعنا - على نصّ تاريخي عن أئمة أهل البيت عليهم السلام يفيد أنّ ابن عباس كان مقصراً وملوماً ومداناً على عدم إلتحاقه بالإمام الحسين عليه السلام، بل لم نعثر على نصّ تاريخي عام يشير الى إدانته (٢) سوى هذا النصّ الذي نقله ابن

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٢٤٣

شهر آشوب مرسلًا: «وعُنفَ ابن عباس على تركه الحسين فقال: إنّ أصحاب الحسين لم ينقصوا رجلًا ولم يزيدوا رجلًا، نعرفهم بأسمائهم من قبل شهودهم!» (١)، ويظهر من هذا النصّ أنّ ابن عباس لم يكن معذوراً في تركه الإمام عليه السلام، لكنّ إرسال هذا الخبر، ومجهولية المُعَنَّف، ومعلوميته ولاء ابن عباس (رض) لأهل البيت عليهم السلام، كلّ ذلك يفرض عدم الإطمئنان الى صدر هذا الخبر، أي «وعُنفَ ابن عباس!».

بعد هذا، ينبغي أن نذكر بأنّ ابن عباس قد كُفَّ بصره آخر عمره، وهذا متفقٌ عليه عند المؤرّخين، وأنّ سعيد بن جبير كان يقوده بعد أن كُفَّ بصره (٢)، وتعبير «كُفَّ بصره» مشعرٌ بأنّ الضعف كان قد دبّ الى بصره حتى استفحل عليه فكفّه عن رؤية الأشياء، ولعلّ هذا الضعف كان قد دبّ الى بصره منذ أيام معاوية (ويحتمل أنّ بصر ابن عباس قد كُفَّ أواخر سنين معاوية)، هذا ما يُشعر به قول ابن قتيبة في المعارف حيث يقول: «ثلاثة مكافيف في نسق: عبدالله بن عباس، وأبوه العباس بن عبدالمطلب، وأبوه عبدالمطلب بن هاشم. قال: ولذلك قال

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٢٤٤

معاوية لابن عباس: أنتم يا بني هاشم تُصابون في أبصاركم. فقال ابن عباس: وأنتم يا بني أمية تُصابون في بصائركم!»، (١) فلولا أنّ بصر ابن عباس (رض) كان قد ضعف جداً أو قد كُفَّ بصره آنذاك لما كان لقول معاوية مناسبة ولا داع.

ويقول مسروق: «كنتُ إذا رأيت عبدالله بن عباس قلتُ: أجمل الناس، فإذا تكلم قلتُ: أفصح الناس، فإذا تحدّث قلتُ: أعلم الناس، وكان عمر بن الخطّاب يقربه ويُدنيه ويشاوره مع جلة الصحابة، وكُفَّ بصره في آخر عمره». (٢)

فإذا علمنا أنّ مسروقاً هذا قد مات سنة ٦٢ أو ٦٣ للهجرة، (٣) أمكن لنا أن نقول:

إنّ ابن عباس كان مكفوفاً قبل سنة ٦٢ أو ٦٣ على الأظهر، هذا على فرض أنّ عبارة (وكُفَّ بصره في آخر عمره) من قول مسروق أيضاً.

وهناك رواية يمكن أن يُستفاد من ظاهرها أنّ ابن عباس (رض) كان ضعيف البصر جداً أو مكفوفاً أوائل سنة إحدى وستين للهجرة، في الأيام التي لم يكن خبر مقتل الإمام الحسين عليه السلام قد وصل بعد الى أهل المدينة المنورة.

هذه الرواية يرويها الشيخ الطوسي (ره) في أماليه بسندٍ الى سعيد بن جبير (وهو الذي كان يقود ابن عباس بعد أن كُفَّ بصره)، عن

عبدالله بن عباس قال:

«بيناً أنا راقداً فى منزلى، إذ سمعتُ صراخاً عظيماً عالياً من بيت أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وآله، فخرجت يتوجه بى قائدى الى منزلها! وأقبل أهل المدينة اليها الرجال والنساء، فلمّا انتهيتُ إليها قلت: يا أم المؤمنين، ما بالك تصرخين وتغوئين؟ فلم تجبنى، وأقبلت على النسوة الهاشميات وقالت: يا بنات عبدالمطلب، أسعدنى

مع الרכب الحسينى (ج ۲)، ص: ۲۴۵

وابكين معى، فقد والله قُتل سيدك وسيد شباب أهل الجنة، وقد والله قُتل سبط رسول الله وريحانته الحسين.

ف قيل: يا أم المؤمنين، ومن أين علمت ذلك؟ قالت: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله فى المنام الساعة شعناً مذعوراً، فسألته عن شأنه ذلك، فقال: قُتل ابنى الحسين وأهل بيته اليوم فدفنتهم، والساعة فرغت من دفنهم.

قالت فقمْتُ حتى دخلتُ البيت وأنا لا أكاد أن أعقل! فنظرتُ فإذا تربة الحسين التى أتى بها جبرئيل من كربلاء فقال إذا صارت هذه التربة دماً فقد قُتل ابنك! وأعطانيها النبى صلى الله عليه وآله فقال: إجعلى هذه التربة فى زجاجة - أو قال فى قارورة - ولتكن عندك، فإذا صارت دماً عبيطاً فقد قُتل الحسين. فرأيت القارورة الآن وقد صارت دماً عبيطاً تفور.

قال: وأخذت أم سلمة من ذلك الدم فلطخت به وجهها، وجعلت ذلك اليوم ماتماً ومناحاً على الحسين عليه السلام، فجاءت الركبان بخبره، وأنه قد قُتل فى ذلك اليوم... «۱».

فقول ابن عباس (رض): «فخرجت يتوجه بى قائدى الى منزلها» كاشف - على الأقوى - عن مكفوفية بصره آنذاك (أو عن ضعف شديد جداً فى بصره)، لحاجته الى قائد يقوده هو، وليس الى قائد يقود دابته - كما قد يُحتمل - وذلك لقرب المسافة، بدليل أنه سمع الصراخ بإذنيه وشخص أن الصراخ كان ينبعث من بيت أم سلمة (رض).

مما مضى نكاد نطمئن الى أن ابن عباس (رض) كان يعانى من ضعف شديد

مع الרכب الحسينى (ج ۲)، ص: ۲۴۶

فى بصره أو كان مكفوفاً بصره أواخر سنة ستين للهجرة - وبالذات فى الايام التى كان فيها الامام الحسين عليه السلام فى مكة المكرمة - الأمر الذى أعجزه عن القدرة على الالتحاق بالامام عليه السلام والجهاد بين يديه، فكان (رض) معذوراً، ولعل هذا هو السرُّ فى عدم دعوة الإمام عليه السلام إياه للانضمام إليه، وترخيصه إياه فى العودة الى المدينة ليرصد له أخبار السلطة الأموية والناس فيها حيث يقول عليه السلام: «يا ابن عباس، إنك ابن عمّ والدى، ولم تزل تأمر بالخير منذ عرفتك، وكننت مع والدى تشير عليه بما فيه الرشاد، وقد كان يستصحك ويستشيرك فتشير عليه بالصواب، فامض الى المدينة فى حفظ الله وكلائه، ولا يخف على شىء من أخبارك...» «۱»

ولا يقدح بما نطمئن إليه ما أورده المسعودى فى مروج الذهب حيث يقول فى ابن عباس (رض): «وكان قد ذهب بصره لبكائه على علىّ والحسن والحسين..»، «۲» إذ لا يُستفاد من هذا النص بالضرورة أنه صار مكفوفاً بعد مقتل الحسين عليه السلام، بل الظاهر من هذا النص أن الذى سبب ذهاب بصره هو كثرة بكائه المتواصل لفقد امير المؤمنين علىّ «۳» والحسن والحسين عليهما السلام، ومؤدى ذلك أن الضعف قد دب الى بصره لكثرة بكائه منذ أيام فقدته لأمير المؤمنين عليه السلام ثم لفقدته الحسن عليه السلام، «۴» ثم الحسين عليه السلام، ولا يخفى أن ابن عباس (رض) كان يبكى بكاءً

مع الרכب الحسينى (ج ۲)، ص: ۲۴۷

شديداً للحسين عليه السلام وهو بعد لم يخرج ولم يُستشهد، لعلمه بما سيصيب الامام عليه السلام من شديد المحنة ولعلمه بمصيره، والدلائل التاريخية على ذلك كثيرة متوافرة.

رسائل ابن عباس (رض) إلى يزيد ص : ٢٤٧

تروى لنا بعض كتب التاريخ أنّ الإمام الحسين عليه السلام لما نزل مكة كتب يزيد بن معاوية إلى ابن عباس رسالة «١» طلب إليه فيها أن يتوسّط في الأمر ليثنى الإمام الحسين عليه السلام عن عزمه على القيام والخروج على الحكم الأمويّ، وعرض فيها يزيد من الإغراءات الدنيوية ما يتناسب وضعف نفسيته هو!- أي يزيد-

وتقول هذه المصادر التاريخية: «فكتب إليه ابن عباس: أما بعد: فقد ورد كتابك تذكر فيه لحاق الحسين وابن الزبير بمكة، فأما ابن الزبير فرجل منقطع عنّا برأيه وهواه، يكاتمنا مع ذلك أضغاناً يسرها في صدره، يورى علينا ورى الزناد، لافك الله أسيرها، فأراً في أمره ما أنت رائه.

وأما الحسين فإنه لما نزل مكة وترك حرم جدّه ومنازل آبائه سأله عن مقدمه فأخبرني أنّ عمالك في المدينة أساؤا إليه وعجلوا عليه بالكلام الفاحش، فأقبل إلى حرم الله مستجيراً به، وسألقاه فيما أشرت إليه، ولن أدع النصيحة فيما يجمع الله به الكلمة ويطفىء به النائرة ويخمد به الفتنة ويحقن به دماء الأئمة، فاتق الله في السرّ والعلانية، ولا تبتئ ليله وأنت تريد لمسلم غائلة، ولا ترصد بمظلمة، ولا تحفر له مهواة، فكم من حافر لغيره حفراً وقع فيه، وكم من مؤمل أملاً لم يؤت

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٢٤٨

أمله، وخذ بحظك من تلاوة القرآن ونشر السّيئة! وعليك بالصيام والقيام لاتشغلك عنهما ملاهى الدنيا وأباطيلها فإنّ كلّ ما شغلت به عن الله يضرّ ويفنى، وكلّ ما اشتغلت به من أسباب الآخرة ينفع ويبقى، والسلام». «١»

وقد روى المزيّ جواب ابن عباس مختصراً هكذا: «فكتب إليه عبد الله بن عباس: إنني لأرجو أن لا يكون خروج الحسين لأمرٍ تكرهه، ولست أدع النصيحة له في كلّ ما يجمع الله به الألفة ويطفىء به النائرة». «٢»

ويبدو من نصّ هذه الرسالة- جواب ابن عباس- على فرض صحة الرواية أنّ هذه الرسالة كانت بعد لقاء ابن عباس مع الإمام الحسين عليه السلام في مكة لقاء الأول الذي عاد بعده إلى المدينة (بعد الفراغ من العمرة)، كما يُستفاد من نصّها أنّ ابن عباس قبل القيام بدور الوساطة بين الإمام عليه السلام وبين يزيد! كما يظهر من نصّها أيضاً أنّ ابن عباس اعتمد أسلوب الملاينة دون التفرّيع حتى في نهيه عن ارتكاب الظلم واجتراح المآثم!

والعارف بعبد الله بن العباس (رض)، وبولائه لأئمة أهل البيت عليهم السلام وبجراته في الدؤد عنهم، وبشدّته وقاطعته في المحاماة عنهم في محاوراته مع رجال بني أمية، لا يستبعد أن يكون نصّ هذه الرسالة- جواب ابن عباس- من إنشاء الواقدي نفسه الذي يرويها «٣» (ونقلها عنه سبط ابن الجوزي في كتابه تذكرة الخواص)،

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٢٤٩

ذلك لأنّ نفس هذا الجواب مغايرٌ تماماً لنفس ابن عباس في موقفه قبال بني أمية.

هاهو ابن عباس (رض) في بلاط معاوية يُخرس محاوريه: معاوية، وعمرو بن العاص، ومروان بن الحكم، وعتبة بن أبي سفيان، وزيد بن سمية، وعبدالرحمن بن أمّ الحكم، والمغيرة بن شعبة، بعد أن دحض إدعاءاتهم وبهرهم بالحجة الدامغة، ويقول ليزيد بن معاوية نفسه في قصر أبيه: «مهلاً يزيد، فوالله ما صفت القلوب لكم منذ تكذّرت بالعداوة عليكم، ولا دنت بالمحبة إليكم مذ نأت بالبغضاء عنكم، لارضيت اليوم منكم ما سخطت بالأمس من أفعالكم، وإن تدلّ الأيام نستقض ما سيّد عنّا، ونسترجع ما ابتزّ منّا، كيلاً بكيل، ووزناً بوزن، وإن تكن الأخرى فكفى بالله ولياً لنا، وو كيلاً على المعتدين علينا». «١»

وها هو ابن عباس (رض) يجيب يزيد «٢» بقارعة أخرى من قوارعه في رسالته كتبها إليه قائلاً: «من عبد الله بن عباس إلى يزيد بن معاوية. أما بعد: فقد بلغني كتابك بذكر دعاء ابن الزبير إياي إلى نفسه وامتناعى عليه في الذي دعاني إليه من

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٢٥٠

بيعته، فإن يك ذلك كما بلغك فلست حميدك أردت ولاؤدك، ولكن الله بالذي أنوى عليم، وزعمت أنك لست بناس ودّي فلعمري ما تؤتينا مما في يديك من حقنا إلا القليل، وإنك لتجس عنا منه العريض الطويل، وسألتني أن أحت الناس عليك وأخذلهم عن ابن الزبير، فلا ولا سروراً ولا جوراً، وأنت قتلت الحسين بن علي! بفيك الكنكث، «١» ولك الأثلب، «٢» إنك إن تُمنك نفسك ذلك لعازب الرأي، وإنك لأنت المفند المهور.

لاتحسبني، لا أباً لك، نسيتُ قتلك حسيناً وفتيان بني عبدالمطلب، مصايح الدجى، ونجوم الأعلام، غادرهم جنودك مصرعين في صعيد، مرملين بالتراب، مسلوبين بالعراء، لامكفين، تسفى عليهم الرياح، وتعاورهم الذئاب، وتُنشى بهم عُرج الضباع، حتى أتاح الله لهم أقواماً لم يشتركوها في دمائهم، فأجتوهم في أكفانهم، وبى والله وبهم عززت وجلست مجلسك الذى جلست يازيد. وما أنس من الأشياء فلست بناس تسلطك عليهم الدعوى العاهر «٣» ابن العاهر، البعيد رحماً، اللئيم أباً وأماً، الذى فى إدعاء أبيك إياه ما اكتسب أبوك به إلا العار والخزى والمذلة فى الآخرة والأولى، وفى الممات والمحيا، إن نبى الله قال: الولد للفراش وللعاهر الحجر. فألحقه بأبيه كما يلحق بالعفيف النقي ولده الرشيد! وقد أمات أبوك السنه جهلاً! وأحيا البدع والأحداث المظلة عمداً! وما أنس من الاشياء فلست بناس اطرادك الحسين بن علي من حرم رسول

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٢٥١

الله إلى حرم الله، ودشيك إليه الرجال تغتاله، فأشخصته من حرم الله الى الكوفة، فخرج منها خائفاً يترقب، وقد كان أعز أهل البطحاء بالبطحاء قديماً، وأعز أهلها بها حديثاً، وأطوع أهل الحرمين بالحرمين لو تبوأ بها مقاماً واستحل بها قتالاً، ولكن كره أن يكون هو الذى يستحل حرمة البيت وحرمة رسول الله فأكبر من ذلك ما لم تكبر حيث دسست إليه الرجال فيها ليقاتل فى الحرم، وما لم يكبر ابن الزبير حيث ألحد بالبيت الحرام وعرضه للعائر وأراقل العالم.

وأنت! لأنت المستحل فيما أظن، بل لاشك فيه أنك للمحرف العريف، فإنك حلف نسوة، صاحب ملاه، فلما رأى سوء رأيك شخص الى العراق، ولم يبتغك ضرباً، وكان أمر الله قدراً مقدوراً.

ثم إنك الكاتب الى ابن مرجانه أن يستقبل حسيناً بالرجال، وأمرته بمعاجلته، وترك مطاولته والإلحاح عليه، حتى يقتله ومن معه من بنى عبدالمطلب، أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، فنحن أولئك، لسنا كأبائك الأجلاف الجفاة الأكباد الحمير.

ثم طلب الحسين بن علي إليه المودعة وسألهم الرجعة، «١» فاغتنمتم قلبه أنصاره، واستئصال أهل بيته، فعدوتم عليهم، فقتلوهم كأنما قتلوا أهل بيت من الترك والكفر، فلا شىء عندي أعجب من طلبك ودّى ونصرى! وقد قتلت بنى أبى، وسيفك يقطر من دمي، وأنت أخذ تارى، فإن يشأ لا يُطلّ لديك دمي ولا

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٢٥٢

تسبقني بتارى، وإن سبقتنى به فى الدنيا فقبلنا ما قُتل النبيون وآل النبيين، وكان الله الموعد، وكفى به للمظلومين ناصراً، ومن الظالمين منتقماً، فلا يعجبك أن ظفرت بنا اليوم فوالله لنظفرن بك يوماً.

فأما ما ذكرت من وفائى، وما زعمت من حقى، فإن يك ذلك كذلك، فقد والله بايعت أباك «١»، وإنى لأعلم أن ابني عمى وجميع بنى أبى أحق بهذا الأمر من أبيك، ولكنكم معاشر قريش كاثرتموننا، فاستأثرتم علينا سلطاننا، ودفعتمونا عن حقنا، فبعداً على من يجترىء على ظلمنا، واستغوى السفهاء علينا، وتولّى الأمر دوننا، فبعداً لهم كما بعدت ثمود، وقوم لوط، وأصحاب مدين، ومكذبو المرسلين.

ألا ومن أعجب الأعاجيب، وما عشت أراك الدهر العجيب، حملك بنات عبدالمطلب، وغلمه صغاراً من ولده إليك بالشام كالسبى

المجلوب، تُرى الناس أنك قهرتنا، وأنك تأمر علينا، ولعمري لئن كنت تصيح وتمسى آمناً لجرح يدي، إنني لأرجو أن يعظم جراحك بلساني ونقضي وإبرامي فلا يستقر بك الجدل، ولا يمهلك الله بعد قتلك عترة رسول الله إلا قليلاً، حتى يأخذك أخذاً أليماً، فيخرجك الله من الدنيا ذميماً أليماً، فعش لا أباً لك فقد والله أرداك عند الله ما اقترفت، والسلام على من أطاع الله..» (٢) مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٢٥٣

تحرك محمد بن الحنفية (رض) ص: ٢٥٣

إشارة

يشترك محمد بن الحنفية «١» مع عبدالله بن عباس رضي الله عنهما في

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٢٥٤

الموقف من قيام الإمام الحسين عليه السلام بنفس المحورين الرئيسيين اللذين هما:

١- تأييد قيام الإمام عليه السلام.

٢- الاعتراض على خروج الإمام عليه السلام الى الكوفة، وترجيح اليمن كقاعدة لانطلاق الثورة الحسينية الى جميع البلاد الاسلامية. كما يشتركان أيضاً في أن نظرتهم التي انبعثت منها اقتراحاتهما ومشوراتهما كانت تركز على حسابات النصر الظاهري وشرائطه ولوازمه، وتتجلى هذه الحقيقة للمتأمل إذا نظر في محاورات الإمام عليه السلام مع كل منهما.

وكان محمّد بن الحنفية (رض) قد قدّم رأيه بين يدي الإمام عليه السلام في المدينة المنورة قائلاً: «يا أخي، أنت أحبّ الناس إليّ، وأعزهم عليّ، ولست أذخر النصيحة لأحد من الخلق إلّا لك، وأنت أحقّ بها، تنحّ بيعتكم عن يزيد بن معاوية وعن الأمصار ما استطعت، ثم ابعث رسلك الى الناس فادعهم الى نفسك، فإن بايعك الناس وبايعوا لك حمدت الله على ذلك، وإن اجتمع الناس على غيرك لن ينقص الله بذلك دينك ولا عقلك، ولا تذهب بذلك مروّتك ولا فضلك، إنني أخاف عليك أن تدخل مصرًا من هذه الأمصار فيختلف الناس بينهم، فمنهم طائفة معك، وأخرى عليك، فيقتلون فتكون لأوّل الأسنة غرضاً، فإذا خیر هذه الأمة كلّها نفساً وأباً وأماً أضيعها دماً وأذلّها أهلاً!!». «١»

وقال له أيضاً: «إنزل مكّة، فإن اطمأنت بك الدار بها فسيب ذلك، وإن نبت بك لحقت بالرمال وشعف الجبال، وخرجت من بلد الى بلد، حتى تنظر الى ما يصير أمر الناس اليه، فإنك أصوب ما تكون رأياً حين تستقبل الأمر استقبالاً..» (٢)

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٢٥٥

وفي رواية الفتوح: «أخرج إلى مكّة، فإن اطمأنت بك الدار فذاك الذي تحبّ وأحبّ، وإن تكن الأخرى خرجت الى بلاد اليمن، فإنهم أنصار جدك وأخيك وأبيك، وهم أرف الناس وأرقهم قلوباً، وأوسع الناس بلاداً، وأرجحهم عقولاً، فإن اطمأنت بك أرض اليمن وإلا- لحقت بالرمال وشعوف الجبال، وصرت من بلد الى بلد، لتنظر ما يؤول إليه أمر الناس، ويحكم بينك وبين القوم الفاسقين..» (١)

ثم تحرك محمد بن الحنفية (رض) من المدينة إلى مكّة للقاء الإمام الحسين عليه السلام قبل خروجه الى العراق، «٢» ويحدّثنا التاريخ عن لقاء تمّ بينهما في مكّة في الليلة الأخيرة التي خرج الإمام عليه السلام في صبيحتها عن مكّة، يقول السيد ابن طاووس (ره): «رويّت من كتاب أصل لأحمد بن الحسين بن عمر بن بريدة الثقة، وعلى الأصل أنه كان لمحمّد بن داود القميّ، بالإسناد عن أبي عبدالله عليه السلام قال:

سار محمّد بن الحنفية الى الحسين عليه السلام في الليلة التي أراد الخروج في صبيحتها عن مكّة، فقال: يا أخي، إن أهل الكوفة من قد

عرفتَ غدرهم بأبيك وأخيك، وقد خفت أن يكون حالك كحال من مضى، فإن رأيت أن تقيم فإنك أعز من في الحرم وأمنه.

فقال عليه السلام: يا أخي، قد خفت أن يغتالني يزيد بن معاوية في الحرم، فأكون

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٢٥٦

الذي يُستباح به حرمة هذا البيت.

فقال له ابن الحنفية: فإن خفت ذلك فسر إلى اليمن أو بعض نواحي البر، فإنك أمنع الناس به ولا يقدر عليك أحد!

فقال عليه السلام: أنظر فيما قلت.

ولما كان السحر ارتحل الحسين عليه السلام، فبلغ ذلك ابن الحنفية، فأتاه فأخذ زمام ناقته التي ركبها، فقال له: يا أخي، ألم تعدني

النظر فيما سألتك؟!

قال عليه السلام: بلى.

قال: فما حداك على الخروج عاجلاً؟!

فقال عليه السلام: أتاني رسول الله صلى الله عليه وآله بعد ما فارتكتك، فقال: يا حسين، أخرج فإن الله قد شاء أن يراك قتيلاً!

فقال له ابن الحنفية: إنا لله وإنا إليه راجعون، فما معنى حملك هؤلاء النساء معك وأنت تخرج على مثل هذه الحال؟!

فقال عليه السلام له: قد قال لي: إن الله قد شاء أن يراهن سبايا!

وسلم عليه ومضى. «١»

إشارة: ص: ٢٥٦

كنا في آخر الفصل الأول تحت عنوان (لماذا حمل الإمام عليه السلام النساء والأطفال معه؟) قد تناولنا بعض ملامح الحكمة في قول

الامام عليه السلام عن لسان النبي صلى الله عليه وآله: «فإن الله قد شاء أن يراك قتيلاً!» و «إن الله قد شاء أن يراهن سبايا!»،

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٢٥٧

ونود أن نشير هنا إلى:

١- أن من أبعاد خشية الامام عليه السلام من اغتيال السلطة الأموية إياه في مكة المكرمة- إضافة إلى جميع الأبعاد التي مر ذكرها فيما مضى في ثنايا هذا الكتاب- هو أن هناك روايات مأثورة عن النبي صلى الله عليه وآله تندد بالمقتول القرشي في مكة، الذي تنتهك وتستباح به حرمة البيت الحرام، وأن ذنوب هذا الرجل لو وزنت بذنوب الثقلين لوزنتها، وأن عليه نصف عذاب العالم، «١» ومعلوم أن السلطة الأموية سوف تطبق هذه الروايات على الإمام الحسين عليه السلام لتستفيد منها إعلامياً في تنفير الناس من الامام عليه السلام فيما لو تمكنت من قتله في مكة المكرمة.

٢- لم يحدد الإمام عليه السلام في قوله: «أتاني رسول الله صلى الله عليه وآله بعد ما فارتكتك» نوع هذا المحجىء، هل كان في يقظة أو في منام، وإن كانت النتيجة واحدة، لأن رؤية الامام عليه السلام النبي صلى الله عليه وآله في المنام كرويته في اليقظة، ومستوى التكليف الذي يوجهه واحد سواء في يقظة أو في منام، ولا ينحصر هذا في رؤية الامام عليه السلام النبي صلى الله عليه وآله بل يشمل رؤية المؤمن النبي صلى الله عليه وآله أيضاً، إذ قد أثر عنه صلى الله عليه وآله أنه قال: «من رآني في منامه فقد رآني، فإن الشيطان لا يتمثل في صورتى، ولا في صورة أحد من أوصيائي، ولا في صورة أحد من شيعتهم، وإن الرؤيا الصادقة جزء من سبعين جزء من النبوة». «٢»

فلا يبقى مجال إذن للتشكيك بأن الثورة الحسينية وخروج الامام عليه السلام كانا قد

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٢٥٨

ارتكزا على رؤيا منام لا اعتبار لها! كما تسطر ذلك بعض الأعلام المأجورة والعقول الضعيفة. «١»

لماذا تخلف محمد بن الحنفية عن الإمام عليه السلام؟ ص : ٢٥٨

إشارة

لم نعثر - حسب تتبعنا - على مأثور عن أئمة أهل البيت عليهم السلام بصدده علة تخلف محمد بن الحنفية (رض) عن الالتحاق بالإمام الحسين عليه السلام سوى هذه الرواية: التي يرويها ابن فروخ صاحب «بصائر الدرجات» بسند عن حمزة بن حمران عن الإمام الصادق عليه السلام، يقول حمزة: «ذكرنا خروج الحسين وتخلف ابن الحنفية عنه، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: يا حمزة إنني سأحدثك في هذا الحديث ولا تسأل عنه بعد مجلسنا هذا: إن الحسين لما فصل متوجهاً دعا بقرطاس وكتب:

بسم الله الرحمن الرحيم. من الحسين بن عليّ الى بني هاشم: أما بعد، فإنه من لحق بي منكم استشهد معي، ومن تخلف لم يبلغ الفتح. والسلام». «٢»

وقد علق العلامة المجلسي (ره) على هذه الرواية تعليقتين قائلاً:

في الأولى: ص : ٢٥٨

«قوله عليه السلام: لم يبلغ الفتح، أى لم يبلغ ما يتمناه من فتوح الدنيا والتمتع مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٢٥٩

بها، وظاهر الجواب ذمه، ويحتمل أن يكون المعنى أنه عليه السلام خيرهم في ذلك، فلا إثم على من تخلف! «١».

وفي الثانية: ص : ٢٥٩

«ومن تخلف لم يبلغ مبلغ الفتح، أى لا يتيسر له فتح وفلاح في الدنيا أو في الآخرة، أو الأعم، وهذا إما تعليل بأن ابن الحنفية إنما لم يلحق لأنه علم أنه يقتل إن ذهب بإخباره عليه السلام، أو بيان لحرمانه عن تلك السعادة، أو لأنه لا عذر له في ذلك لأنه أعلمه وأمثاله بذلك! «٢».

ونقول: إن نص هذه الرسالة الشريفة - بغض النظر عن حقيقة المراد بالفتح «٣» فيها - يقرر بلا شك أن من لم يلتحق بالإمام عليه السلام محروم من مبلغ الفتح هذا، سواء كان معذوراً أو غير معذور، فلا دليل من نفس النص على أن كل من تخلف غير معذور ويؤدب، كما هو المستفاد من ظاهر تعليقتي العلامة المجلسي (ره) «٤» من أن كل من بلغته هذه الرسالة ليس بمعذور لأن الإمام عليه السلام أعلمه فيها بالمصير! «٥» هذا

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٢٦٠

فضلاً عن المناقشة الموجودة في سند هذه الرواية. «١»

ولعل الإمام الصادق عليه السلام أراد أن يصرف اهتمام المتذاكرين في سبب تخلف ابن الحنفية الى ما هو أهم من أن يكون المتخلف معذوراً أو غير معذور، وهذا الأهم هو أصل الحرمان من بلوغ منزلة «أنصار الحسين عليه السلام» الذين لم يسبقهم

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٢٦١

سابق في سمو مرتبتهم ولا يلحق بهم لاحق كما قرر ذلك أمير المؤمنين عليه السلام «١»، إذ المعذور وغير المعذور من المتخلفين سواء - من حيث النتيجة العملية لامن حيث الحساب والجزاء - في حرمانهم من ذلك الشرف الذي لا يضاهاه والمجد الذي لا يداني،

وَحَقَّ لِكُلِّ مُؤْمِنٍ (غیر أنصار الحسين عليه السلام) أن تذهب نفسه حسرات أسفاً على حرمانه من ذلك الفوز العظيم كلما ردد: ياليتنى كنت معكم فأفوز والله فوزاً عظيماً!!

مع هذا، فإن من علمائنا من روى ونقل أن سيدنا محمد بن الحنفية (رض) كان مريضاً أيام خروج الإمام الحسين عليه السلام، إلى درجة أنه كان لا يقوى على حمل السيف! وفي طليعة هؤلاء الأعلام السيد ابن طاووس (قدس)، فقد أورد في كتابه:

عن أبي مخنف قوله: «وقد كان محمد بن الحنفية موكوعاً (٢)»، لأنه أهدى إلى أخيه الحسين عليه السلام درع من نسج داود على نبينا وعليه السلام، فلبسه ففضل عنه ذراع وأربعة أصابع، فجمع محمد بن الحنفية ما فضل منه وفركه بيده فقطعه، فأصابته نظرة، فصارت أنامله تجرى دمماً مده، ولهذا لم يخرج مع الحسين عليه السلام يوم كربلاء، لأنه ما كان يقدر أن يقبض قائم سيف ولا كعب رمح. (٣) ومن هؤلاء الأعلام أيضاً العلامة الحلبي (ره)، ففي إجابته عن سؤال:

«ما يقول سيدنا في محمد بن الحنفية، هل كان يقول بإمامة أخويه وزين

مع الרכب الحسينى (ج ٢)، ص: ٢٦٢

العابدين عليهما السلام أم لا؟ وهل ذكر أصحابنا له عذراً فى تخلفه عن الحسين عليه السلام وعدم نصرته له أم لا؟ وكيف يكون الحال إن كان تخلفه عنه لغير عذر؟ وكذلك عبدالله بن جعفر وأمثاله؟ قال العلامة الحلبي (ره): «قد ثبت فى أصول الإمامة أن أركان الإيمان: التوحيد والعدل والتبوة والإمامة، والسيد محمد بن الحنفية وعبدالله بن جعفر وأمثالهم أجلّ قدراً وأعظم شأناً من اعتقادهم خلاف الحق وخروجهم عن الإيمان الذى يحصل به اكتساب الثواب الدائم والخلص من العقاب. وأما تخلفه عن نصرته الحسين عليه السلام فقد نُقل أنه كان مريضاً، ويحتمل فى غيره عدم العلم بما وقع لمولانا الحسين عليه السلام من القتل وغيره، وبنوا على ما وصل من كتب العَدْرَةَ إليه وتوهموا نصرتهم له!». (١)

مع الרכب الحسينى (ج ٢)، ص: ٢٦٣

كما أورد الدر بندي فى (اسرار الشهادة) نقلاً عن أبى مخنف محاوره فى المدينة بين الامام عليه السلام وبين أخيه محمد، كان منها قول محمد: «إنى والله ليحزننى فراقك، وما أقعدنى عن المسير معك إلا لأجل ما أجده من المرض الشديد، فوالله يا أخى ما أقدر أن أقبض على قائم سيف ولا كعب رمح، فوالله لا فرحت بعدك أبداً. ثم بكى شديداً حتى غشى عليه، فلما أفاق من غشيته قال: يا أخى استودعك الله من شهيد مظلوم!». (١)

كما تعرّض الشيخ حبيب الله الكاشانى لهذا وذكر أن ابن الحنفية كان مصاباً بالحمى، فلم يقدر على حمل السيف والجهاد، (٢) بل ذكر أن المشهور هو أن ابن الحنفية كان مريضاً فى المدينة. (٣)

وجدير بالذكر: أن محمد بن يزيد المبرد فى كتابه (الكامل) روى قصة محمد بن الحنفية مع الدرع قائلاً: «وكان عبدالله بن الزبير يُظهر البغض لابن الحنفية إلى بغض أهله! وكان يحسده على أيده (أى قوته)، ويُقال: إن علياً استطال درعاً فقال:

لينقص منها كذا وكذا حلقة، فقبض محمد بن الحنفية بإحدى يديه على ذيلها، وبالأخرى على فضلها، ثم جذبه فقطعه من الموضع الذى حدّه أبوه، فكان ابن الزبير إذا حدّث بهذا الحديث غضب واعتراه له أفكك (أى رعدة)!». (٤)

مع الרכب الحسينى (ج ٢)، ص: ٢٦٤

زيادة .. ربّما كانت أموية! ص : ٢٦٤

ادعى ابن عساكر فى تاريخه، ومن بعده المزي، والذهبي، أن ابن الحنفية لما يأس فى مكة من تغيير عزم الامام الحسين عليه السلام ومنعه من الخروج الى العراق منع ولده من الالتحاق بالامام عليه السلام، حيث قالوا: «وبعث الحسين الى المدينة، فقدم عليه من خوف معه من بنى عبدالمطلب، وهم تسعة عشر رجلاً، ونساء، وصبيان، من إخوانه وبناته ونسائهم. وتبعهم محمد بن الحنفية فأدرك حسيناً

بمكة، وأعلمه أن الخروج ليس له برأى يومه هذا، فأبى الحسين أن يقبل [رأيه]، فحبس محمد بن علي وُلده [عنه] فلم يبعث معه أحداً منهم، حتى وجد حسين في نفسه على محمد وقال [له]: أترغب بولدك عن موضع أصاب فيه؟! فقال محمد: وما حاجتي أن تُصاب ويصابون معك، وإن كانت مصيبتك أعظم عندنا منهم!.. «(۱)»
أقول: لم نعثر على هذا- أي حبس محمد أولاده عن الالتحاق بالامام عليه السلام- في كتبنا، بل في تواريخ غيرنا أيضاً سوى ما أورده ابن عساكر ثم المزني «(۲)» ثم الذهبي، «(۳)» وقد أورد الذهبي هذه الرواية مرسله، وكذلك أوردها المزني، ولعلهما أخذها عن ابن عساكر الذي أوردها بسند، فيه أكثر من مجهول، وفيه من اتهمه ابن عساكر نفسه برفقه دينه كاليزاز! «(۴)»، وفيه من هو ليس بالقوى في حديثه كإبن

معالركب الحسيني (ج ۲)، ص: ۲۶۵

فهم. «(۱)»

فضلاً عن هذا، فإن مثل هذا الأمر لو كان قد حصل فعلاً، لكان سبباً وسوءاً يُعَيَّر بها ابن الحنفية وأبناؤه، ولكان لهذا الحدث آثار ممتدة يُعرف من خلالها، كأن يُعاتب ابن الحنفية أو أبناؤه من قبل واحد من أهل البيت عليهم السلام أو أكثر مثلاً، أو من قبل أحد الهاشميين، أو من قبل بعض الناس، فيردّ محمد- أو أبناؤه- مدافعاً عن موقفه في منع أولاده من الالتحاق بالامام عليه السلام، ولاشك أن جميع هذه الآثار أو بعضها سوف تنطبع على صفحة التاريخ فنقرأها في المطبوع منه أو في المخطوط.
لكننا لانجد شيئاً من هذا على صفحة التاريخ، ولا في المأثور عن أهل البيت عليهم السلام بصدده نهضة الامام الحسين عليه السلام، أو بصدده محمد بن الحنفية نفسه، بل ولانجد له أثراً في المأثور عن ابن الحنفية نفسه وعن أبناؤه.

من هنا، نرى أن مارواه ابن عساكر بهذا الصدد، زيادةً مكذوبةً، ولايبعد أن يكون أحد الرواة في سندها ذا ميل أموي «(۲)»، فأراد أن يشوه وحدة الصف الهاشمي في الموقف من نهضة الامام الحسين عليه السلام، ويُسيء بالخصوص الى محمد بن الحنفية (رض) الذي كان معتقداً بإمامة الحسين عليهما السلام، وإمامة زين العابدين عليه السلام

معالركب الحسيني (ج ۲)، ص: ۲۶۶

أئمة له في حياته بعد أمير المؤمنين عليه السلام.

تحرك عبدالله بن جعفر (رض) ص: ۲۶۶

إشارة

لم يحدثنا التاريخ عن شيء من تحرك عبدالله بن جعفر (رض) «(۱)» طيلة أيام

معالركب الحسيني (ج ۲)، ص: ۲۶۷

النهضة الحسينية إلّا في ثلاث قضايا:

الأولى:- ص: ۲۶۷

كتابته الرسالة التي بعث بها من المدينة الى الامام عليه السلام في مكة بعد انتشار الخبر في أهل المدينة بأن الامام الحسين عليه السلام يريد الخروج الى العراق (على ما في رواية الفتوح)، أو بعثها إليه من مكة بعد خروجه عليه السلام منها (على ما في رواية الطبري).

والثانية:- ص: ۲۶۷

وساطته بين والى مكّة والمدينّه يومئذ عمرو بن سعيد الأشدق وبين الامام عليه السلام بُعِدَ خروجه من مكّة.

معالركب الحسينى (ج ۲)، ص: ۲۶۸

والثالثة:- ص : ۲۶۸

إرساله ولديه محمداً وعوناً لنصرة الامام عليه السلام.

أما فى قضيه الرساله فتقول روايه الفتوح:

«.. واتصل الخير بالمدينه، وبلغهم أنّ الحسين عزم على الخروج الى العراق، فكتب إليه عبدالله بن جعفر الطيار:

بسم الله الرحمن الرحيم. للحسين بن على من عبدالله بن جعفر: أما بعد، فإننى أنشدك الله أن تخرج عن مكّة، فإننى خائف عليك من هذا الأمر الذى قد أزمعت عليه أن يكون فيه هلاكك وأهل بيتك، فإنك إن قتلت أخاف أن يُطفأ نور الأرض وأنت روح الهدى، وأمير المؤمنين، فلا تعجل بالمسير الى العراق، فإننى آخذ لك الأمان من يزيد وجميع بنى أمية، على نفسك ومالك وولدك وأهل بيتك، والسلام.» (۱)

فكتب إليه الحسين عليه السلام:

«أما بعد، فإن كتابك ورد على فقرأته وفهمت ما ذكرت، وأعلمك أنّى قد رأيت جدى رسول الله صلى الله عليه وآله فى منامى، فخبرنى بأمر وأنا ماضٍ له، لى كان أو على، والله يا ابن عمى، لو كنت فى جحر هامة من هوام الأرض لاستخرجونى ويقتلونى! والله يا ابن عمى ليعدين على كما عدت اليهود على السبت. والسلام.» (۲)

أما الطبرى فقد روى أنّ عبدالله بن جعفر (رض) كان قد بعث برسالته هذه الى الامام عليه السلام من مكّة بعد خروجه عليه السلام منها، وقد رواها عن على بن

معالركب الحسينى (ج ۲)، ص: ۲۶۹

الحسين عليه السلام قال: «لما خرجنا من مكّة كتب عبدالله بن جعفر بن أبى طالب إلى الحسين بن على مع ابنه عون ومحمد: أما بعد، فإننى أسألك بالله لما انصرفت حين تنظر فى كتابى، فإننى مشفق عليك من الوجه الذى توجه له أن يكون فيه هلاكك، واستئصال أهل بيتك، إنّ هلك اليوم طفء نور الأرض، فإنك علم المهتدين ورجاء المؤمنين، فلا تعجل بالسير فإننى فى أثر الكتاب، والسلام.» (۱)

تأمل وملاحظات: ص : ۲۶۹

(۱) - استفاد من نصّ روايه الفتوح أنّ هذه الرساله كتبها عبدالله بن جعفر (رض) من المدينه إلى الإمام عليه السلام بعد أن شاع فى المدينه نفسها خبر عزم الامام عليه السلام على التوجه الى العراق، أى فى أواخر الأيام المكيه من عمر النهضه الحسينيه، بل استفاد من روايه الطبرى أنّ هذه الرساله كتبت بعد خروج الامام عليه السلام من مكّة، أى بعد انتهاء الأيام المكيه من عمر النهضه الحسينيه. وعلى كلا الإحتمالين قد يستشعر المتأمل أنّ تحرّك عبدالله بن جعفر (رض) جاء متأخراً كثيراً قياساً الى بدايه حركة أحداث النهضه الحسينيه، هذا على ضوء المتون التاريخيه المتوفّره، والله العالم.

أما ابن عساكر فقد أشار إلى هذه الرساله فقط بقوله: «وكتب عبدالله بن جعفر بن أبى طالب إليه كتاباً يحذّره من أهل الكوفه ويناشده الله أن يشخص إليهم»، (۲) كما لم يرو من جواب الامام عليه السلام إلّا: «إننى رأيت رؤيا، ورأيت فيها رسول الله صلى الله عليه وآله معالركب الحسينى (ج ۲)، ص: ۲۷۰

وأمرنى بأمر أنا ماضٍ له، ولست بمخبرٍ بها أحداً حتى ألقى عملى.» (۱)

(٢)- يظهر من نص رسالته ابن جعفر (رض) أنه يشترك مع ابن عباس (رض) وابن الحنفية (رض) وغيرهم في النظره الى قيام الامام عليه السلام من زاوية النصر أو الإنكسار الظاهريين، هذه النظره التي كانت منطلق مشورتهم ونصائحهم، وخوفهم أن يقتل الإمام عليه السلام في الوجهه التي عزم عليها، ولذا فقد كان الامام عليه السلام يجيبهم بأن منطقهم الذي يتحرك على أساسه غير هذا من خلال الرؤيا التي رأى فيها جدّه صلى الله عليه و آله، وأنه مأمور بهذا النوع من التحرك امتثالاً لأمر رسول الله صلى الله عليه و آله.

(٣)- كما يظهر من نص رسالته عبدالله بن جعفر (رض) أنه كان يعتقد أو يأمل - من خلال الوساطه- أن تتحقق المتاركة بين السلطه الأمويه وبين الإمام عليه السلام إذا اتنى عن القيام والخروج وإن لم يبايع!

ولذا فقد ردّ الامام عليه السلام على هذا الوهم بأنه ما لم يبايع يقتل لامحاله، ولأنه لا يبايع يزيد أبداً فالنتيجه لا محاله هي: «لو كنت في جحر هامة من هوامّ الارض لاستخرجوني حتى يقتلونى!..»، وفي هذا ردُّ أيضاً على تصوّر عبدالله بن جعفر- على فرض صحته روايه الفتوح- بأنه يستطيع أخذ الأمان من الأمويين للإمام عليه السلام ولما له وأولاده وأهله!

ولا يخفى على العارف أننا هنا إنما نناقش معانى مستوحاه من نصّ الرسالتين، وإلا فإنّ الامام عليه السلام لم يكن ليتنى عن قيامه ونهضته حتّى لو أعطى الأمان مع عدم المبايعه، ذلك لأنه لم يخرج لفقده الأمان بل لطلب الإصلاح في أمه جده صلى الله عليه و آله وليأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويسير بسيره جدّه وأبيه صلوات الله عليهما وآلهما.

معالركب الحسينى (ج ٢)، ص: ٢٧١

أما قصه وساطته بين عمرو الأشدق وبين الامام عليه السلام

فالظاهر من روايه الطبرى أنّ عبدالله بن جعفر (رض) لم يكتب بمراسله الامام عليه السلام، بل ترك المدينه مسرعاً الى مكه لتحقيق وعده بتحصيل الأمان الأموى للإمام عليه السلام!

ويستفاد من هذه الروايه أيضاً أنّ عبدالله بن جعفر (رض) حينما توسّط في الأمر كان الامام عليه السلام قد تحرك بالفعل خارجاً عن مكه المكرمه ..

تقول الروايه: «وقام عبدالله بن جعفر الى عمرو بن سعيد بن العاص فكلمه وقال: أكتب الى الحسين كتاباً تجعل له فيه الأمان، وتمتبه فيه البرّ والصله، وتوثق له في كتابك، وتسأله الرجوع، لعلّه يطمئنّ الى ذلك فيرجع.

فقال عمرو بن سعيد: أكتب ماشئت وأتنى به حتّى أختمه.

فكتب عبدالله بن جعفر الكتاب، ثم أتى به عمرو بن سعيد، فقال له: اختمه وابعث به مع أخيك يحيى بن سعيد، فإنه أحرى أن تطمئنّ نفسه اليه ويعلم أنه الجدّ منك.

ففعل ... فلحقه يحيى وعبدالله بن جعفر، ثم انصرفا بعد أن أقرأه يحيى الكتاب، فقالا: أقرأناه الكتاب وجهدنا به، وكان مما اعتذر به إلينا أن قال: إني رأيت رؤيا فيها رسول الله صلى الله عليه و آله وأمرت فيها بأمر أنا ماضٍ له عليّ كان أولى!

فقالا له: فما تلك الرؤيا؟

قال: ما حدّثت أحداً بها، وما أنا محدّث بها حتى ألقى ربى!

قال وكان كتاب عمرو بن سعيد الى الحسين بن عليّ:

بسم الله الرحمن الرحيم. من عمرو بن سعيد إلى الحسين بن عليّ:

معالركب الحسينى (ج ٢)، ص: ٢٧٢

أما بعد، فإننى أسأل الله أن يصرفك عمّا يوبقك، وأن يهديك لما يُرشدك، بلغنى أنّك قد توجّهت إلى العراق، وإننى أعيدك بالله من الشقاق، فإننى أخاف عليك فيه الهلاك، وقد بعثت إليك عبدالله بن جعفر ويحيى بن سعيد، فأقبل إليّ معهما، فإنّ لك عندى

الأمان والصله والبرّ وحسن الجوار، لك الله عليّ بذلك شهيداً وكفيلٌ ومُراعٍ ووكيل، والسلام عليك..» (١)

تأمل وملاحظات: ص : ٢٧٢

(١)- توحى هذه الرواية- كما أوحى ذلك من قبل أيضاً رسالة عبدالله بن جعفر الى الامام عليه السلام التي رواها صاحب الفتوح- بأن عبدالله بن جعفر كان يعتقد أن الامام عليه السلام إنما خرج لفقده الأمان على حياته لا لأمرٍ آخر وراء ذلك، فهو هنا يقول للأشدق: أكتب للحسين كتاباً تجعل له فيه الأمان، وتمنيه فيه البر والصلة ... لعله يطمئن الى ذلك فيرجع!

كما توحى أيضاً بأنه كان يرى إمكان تحقق المتاركة بين السلطة الأموية وبين الامام عليه السلام في حال عدم مبايعته ليزيد! الأمر الذي لم يكن يراه محمد بن الحنفية وعبدالله بن عباس رضي الله عنهما كما هو المستفاد من محاوراتهما مع الامام عليه السلام. ونحن نستبعد جداً أن يكون عبدالله بن جعفر (رض) ذا اعتقاد كهذا! وهو ابن عم الإمام عليه السلام، القريب منه الحميم العلاقة به، والمعتقد بإمامته وعصمته، العارف بنظرته الى الأمور، البصير بمشربه. ونعتقد أن قلّة الوثائق التاريخية المتعلقة بأخبار وتفصيل موقف ابن مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٢٧٣

جعفر (رض) من قيام الامام عليه السلام ساعدت كثيراً على مظلوميته! والنزر القليل جداً من الروايات التاريخية المتوفرة في هذا الصدد قد شوّه الصورة الناصعة لهذا الهاشمي العظيم الذي وردت روايات فيه أنه أشبه رسول الله صلى الله عليه وآله خلقاً وخلقاً. «١»

(٢)- وتدعى هذه الرواية أيضاً أن رسالة الأشدق الى الامام عليه السلام كان قد كتبها عبدالله بن جعفر (رض)، وهذا من مظلوميته التاريخية أيضاً، ذلك لأن المتأمل في متن هذه الرسالة يرى فيها كثيراً من سوء الأدب في مخاطبة الامام عليه السلام، كمثل: «أسأل الله أن يصرفك عما يوبقك، وأن يهديك لما يُرشدك .. وإني أعيدك بالله من الشقاق!»، وهذا مستبعد صدوره من رجل مؤمن بإمامة الامام الحسين عليه السلام، ويراها: «نور الأرض» و «أمير المؤمنين» و «روح الهدى». «٢»

ومن الجدير بالذكر هنا: أن ابن أعثم الكوفي في كتابه الفتوح «٣» قد ذكر هذه الرسالة التي بعثها الأشدق الى الامام عليه السلام، ولكنه ذكر أن عمرو بن سعيد الأشدق هو الذي كتبها وليس عبدالله بن جعفر (رض)، كما ذكر أن حاملها الى الامام عليه السلام كان يحيى بن سعيد وحده، أي لم يكن عبدالله بن جعفر (رض) معه!

كما أن الشيخ المفيد (ره) روى نفس قصة هذه الرسالة- كما رواها الطبري- لكنه لم يذكر أن عبدالله بن جعفر (رض) هو الذي كتبها «٤»، بل قال: «فكتب إليه

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٢٧٤

عمرو بن سعيد كتاباً...»، «١» فتأمل!

وأما قصة التحاق ابنه عون ومحمد «٢» بالامام عليه السلام ...

فإن ظاهر القرائن التاريخية يفيد أنهما كانا مع أبيهما، ثم التحقا بالامام عليه السلام وانظما إلى الركب الحسيني بعد خروجه من مكة بعلم من أبيهما وبإذنه، يقول الشيخ المفيد (ره): «فلما أيس منه عبدالله بن جعفر (ره) أمر ابنه عوناً ومحمداً بلزومه والمسير معه والجهاد دونه، ورجع مع يحيى بن سعيد الى مكة». «٣»

وقد كان إبنه محمد وعون حاملي رسالة أبيهما الى الامام عليه السلام قبل ذلك على ما في رواية الطبري والمفيد، «٤» وإن كان سياق القصة على ما في رواية الفتوح أنه بعثهما برسالته من المدينة الى الامام عليه السلام في مكة، «٥» وهذا ما ذهب اليه ابن الصباغ أيضاً في الفصول المهمة حيث قال: «ثم إنه وردت على الحسين عليه السلام كتب من أهل المدينة من عند عبدالله بن جعفر على يدى ابنه

عون ومحمد، ومن سعيد بن العاص ومعه جماعة من أعيان المدينة...» (٦)

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٢٧٥

وإرسال عبدالله بن جعفر (رض) ولديه عوناً ومحمداً ليجاهدا دون الامام عليه السلام وليستشهدا بين يديه دليل تام على تأييده النهضة الحسينية، وهنا يلح المتأمل أن عبدالله بن جعفر يشترك مع ابن الحنفية وابن عباس في أصل تأييد قيام الامام عليه السلام وفي أصل معارضة خروجه الى العراق ..

ومن الروايات الكاشفة عن تأييده (رض) لقيام الامام عليه السلام، ما رواه الشيخ المفيد (ره) قائلاً: «ودخل بعض موالى عبدالله بن جعفر بن أبي طالب عليهم السلام فعنى إليه ابنه، فاسترجع، قال أبو السلاس (أبو السلاس) «١» مولى عبدالله: هذا مالقينا من الحسين بن علي!

فحذفه عبدالله بن جعفر بنعله، ثم قال: يا ابن اللخناء، أللحسين عليه السلام تقول هذا؟! والله لو شهدته لأحببت أن لا أفارقه حتى أقتل معه! والله إنه لمّا يسخى نفسى عنهما ويعزى عن المصاب بهما أنهما أصيبا مع أخى وابن عمى مواسين له، صابرين معه.

ثم أقبل على جلسائه فقال: الحمد لله، عزّ عليّ مصرع الحسين، إن لا أكن آسيت حسيناً بيدي فقد آساه ولداهي...» (٢)

وجدير بالذكر هنا أن نضيف أن أبا الفرج الأصبهاني روى أن لعبدالله بن جعفر (رض) ولداً آخر أسمه عبيدالله، وأمه الخوصاء بنت حفصة بن ثقيف، قُتل أيضاً في كربلاء بين يدي الامام الحسين عليه السلام، وهو أخو محمد بن عبدالله بن جعفر (رض) لأمه وأبيه.

«٣»

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٢٧٦

لماذا لم يلتحق عبد الله بن جعفر (رض) بالامام عليه السلام ص : ٢٧٦

لم نعثر - بحسب تتبعنا - على من تأمل في جلاله عبدالله بن جعفر (رض)، لا في كتبنا ولا في كتب السنّة، فكأنّ جلاله قدر عبدالله بن جعفر (رض) أمرّ متسالم ومتفق عليه.

فالعلامة الحلّي (ره) - على سبيل المثال لا- الحصر - يقول فيه وفي محمّد بن الحنفية رضوان الله عليهما: «والسيد محمّد بن الحنفية وعبدالله بن جعفر وأمثالهم أجل قدراً وأعظم شأناً من اعتقادهم خلاف الحقّ وخروجهم عن الإيمان...» (١)

ويقول السيد الخوئي (ره): «جلالة عبدالله بن جعفر الطيّار بن أبي طالب بمرتبة لا حاجة معها إلى الإطراء...» (٢)

ويقول الذهبي: «عبدالله بن جعفر، السيد العالم .. كان كبير الشأن، كريماً جواداً، يصلح للإمامة ..» (٣).

ولا شك أنّ المتتبع العارف بسيرة عبدالله بن جعفر (رض)، وبأخباره، وبمواقفه الجريئة في الدفاع عن الحق ودحض الباطل، وبانقطاعه

الى عمّه أمير المؤمنين عليّ عليه السلام والحسين عليهما السلام من بعده، وبمعرفة بأئمتهم الذين فرض الله طاعتهم وولايتهم، «٤»

وبعلاقته الحميمة بالامام الحسين عليه السلام وبقربه منه، يقطع مطمئناً بأنّ هذا السيد الهاشمي الإمامي الشجاع البصير المنقطع الى

الامام

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٢٧٧

الحسين عليه السلام كان عارفاً بفرض امتثال أمر إمامه عليه السلام، وبوجوب نصرته، فلا بدّ أنّه كان معذوراً في عدم التحاقه بالركب

الحسيني، وكيف يتخلّف بلا عذرٍ وقد خرجت زوجته وابنة عمّه المكرّمة زينب الكبرى بنت عليّ عليهما السلام، وخرج ولداه - أو

أولاده - مع الامام عليه السلام في رحلته الفتح بالشهادة!؟

إنّ من يواسى الامام عليه السلام بأعزّ ما عنده من أهل بيته لا بدّ وأن يكون تخلفه عن الامام عليه السلام على كرهٍ منه بسبب عذر قاهر!

يقول المامقاني (ره): «وقد واساه بولده عون ومحمد وعبدالله، قتلوا معه بالطف لما كان هو معذوراً في الخروج معه». «١»
 أمّا ما هو عذره في عدم الإلتحاق بالامام عليه السلام، فإننا لم نعرث - مع تتبع غير يسير على مصدر يشخص نوع هذا العذر، إلّا ما وجدناه في كتاب (زينب الكبرى) للمحقّق الشيخ جعفر النقدي، حيث يقول: «أمّا عدم خروجه مع الحسين عليه السلام الى كربلاء فقد قيل إنه مكفوف البصر!». «٢»

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٢٧٨

عبدالله بن الزبير .. والنصائح المتناقضة! ص : ٢٧٨

إشارة

لم يستقل عبدالله بن الزبير «١» وجود الإمام الحسين عليه السلام من قبل في أى مكان

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٢٧٩

- بعد موقعة الجمل - كما أستقله في مكة المكرمة أيام تواجد الإمام عليه السلام فيها بعد رفضه البيعة ليزيد، ذلك لأن ابن الزبير كان قد نوى منذ البدء أن يتخذ مكة المكرمة منطلقاً للتمرد على السلطة الأموية ومركزاً لإدارة أمور البلدان الأخرى في حال نجاحه في مسعاه، ولذا فقد كان في حاجة ماسة إلى أن يخلو له وجه مكة من أى منافس، وتصفو له من كل مزاحم، فما بالك بمزاحم ومنافس لا يرى الناس ابن

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٢٨٠

الزبير قبالة شيئاً مذكوراً؟! ولا يعباون بحضوره أو بغيايه إذا حضر ذلك الشخص المبجل عندهم!؟.

فمع وجود الإمام الحسين عليه السلام في مكة المكرمة كانت الارض قد ضاقت على ابن الزبير بما رحبت، وضاقت عليه حرجاً أنفاسه كأنما يصيعد في السماء، لكنه كان يُدارى حراجه تلك الأيام باستظهار هدوء مفتعل، وصبر مصطنع، ويتكتم على حسده وغله ونواياه بما هو فوق طاقته!

يقول التأريخ: «واشتد ذلك على ابن الزبير لأنه كان قد طمع أن يبايعه أهل مكة، فلما قدم الحسين شق ذلك عليه، غير أنه لا يبدى ما فى قلبه الى الحسين، لكنّه يختلف إليه ويصلّى بصلاته، ويقعد عنده ويسمع حديثه، وهو يعلم أنه لا يبايعه أحد من أهل مكة والحسين بن عليّ بها، لأنّ الحسين عندهم أعظم فى أنفسهم من ابن الزبير». «١»

«وأما ابن الزبير فإنه لزم مصلاه عند الكعبة، وجعل يتردد فى غبون ذلك إلى الحسين فى جملة الناس، ولا يمكنه أن يتحرك بشيء مما فى نفسه مع وجود الحسين، لما يعلم من تعظيم الناس له وتقديهم إياه عليه ... بل الناس إنّما ميلهم الى الحسين لأنه السيد الكبير، وابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، فليس على وجه الأرض يومئذٍ أحد يساميه ولا يساويه...». «٢»

من هنا كان كلُّ همّ عبدالله بن الزبير وأقصى أمنيته أن يخرج الإمام الحسين عليه السلام من مكة لتخلو له، وكان ابن الزبير يظنّ أنّ ما يضمّره خافٍ على

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٢٨١

الإمام عليه السلام وعلى الآخرين من وجهاء الأُمّة وأعلامها، غير أنّ أمره كان أظهر من أن يخفى على ذى فطنه كابن عباس مثلاً، فما بالك بالإمام عليه السلام!؟

يروى الطبرى أنّ ابن الزبير أتى الإمام الحسين عليه السلام - بعد خروج ابن عباس (رض) من عند الإمام عليه السلام! - فحدّثه ساعة، ثمّ قال: ما أدري ما تركنا هؤلاء القوم وكفنا عنهم، ونحن أبناء المهاجرين وولاء الأمر دونهم!؟ خبرنى ما تريد أن تصنع؟

فقال الحسين عليه السلام: والله لقد حدثت نفسي بإتيان الكوفة، ولقد كتب إليّ شيعتي بها وأشرف أهلها، وأستخير الله. فقال له ابن الزبير: أما لو كان لي بها مثل شيعتك ما عدلت بها! ثم خشى أن يتهمه فقال: أما إنك لو أقمت بالحجاز ثم أردت هذا الأمر ها هنا ماخولف عليك إن شاء الله! ثم قام فخرج من عنده.

فقال الحسين عليه السلام: «ها إن هذا ليس شيء يؤتاه من الدنيا أحبّ إليه من أن أخرج من الحجاز الى العراق، وقد علم أنه ليس له من الأمر معنى شيء، وأنّ الناس لم يعدلوه بي فودّ أنّي خرجت منها لتخلو له.» (١) ويروى ابن عساكر عن معمر، عن رجل أنه سمع الإمام الحسين بن عليّ عليهما السلام يقول لابن الزبير: «أتنتي بيعه أربعين ألفاً يحلفون لي بالطلاق والعناق

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٢٨٢

من أهل الكوفة- أوقال من أهل العراق-

فقال له عبدالله بن الزبير: أخرج إلى قوم قتلوا أباك وأخرجوا أخاك!»، (١)

ويروى الطبري أيضاً عن عبدالله بن سليم والمُذرى بن المشمّل الأسديين أنهما رأيا- يوم التروية!- فيما بين الحجر وباب الكعبة كلاً من الإمام الحسين عليه السلام وعبدالله بن الزبير قائمين عند ارتفاع الضحى، وسمعا ابن الزبير يقول للإمام عليه السلام:

«إن شئت أن تقيم أقيم فوّليت هذا الأمر، فأزرناك وساعدناك ونصحنا لك وبايعناك!

فقال له الحسين عليه السلام: إنّ أبي حدّثني أنّ بها كبشاً يستحلّ حرمتها! فما أحبّ أن أكون أنا ذلك الكبش!

فقال له ابن الزبير: فأقم إن شئت وتولّيني أنا الأمر، فُتطاع ولا تُعصى!

فقال عليه السلام: وما أريد هذا أيضاً!». (٢)

أمّا الدينوري فيروى قائلاً: «وبلغ عبدالله بن الزبير ما يهّم به الحسين، فأقبل حتى دخل عليه، فقال له: لو أقمت بهذا الحرم، وبشت رسلك في البلدان، وكتبت إلى شيعتك بالعراق أن يقدموا عليك، فإذا قوى أمرك نفيت عمّال يزيد عن هذا

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٢٨٣

البلد، وعلى لك المكانفة والمؤازرة، وإن عملت بمشورتى طلبت هذا الأمر بالحرم، فإنّه مجمع أهل الآفاق ومورد أهل الأقطار، لم يعدمك بإذن الله إدراك ما تريد، ورجوت أن تناله!». (١)

وفي روايه أخرى عن أبي مخنف عن أبي سعيد عقيصا، (٢) عن بعض أصحابه قال سمعت الحسين بن عليّ وهو بمكّه وهو واقف مع عبدالله بن الزبير فقال له ابن الزبير: إليّ يا ابن فاطمة!

فأصغى إليه، فسارّه، ثم التفت إلينا الحسين عليه السلام

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٢٨٤

فقال: أتدرون ما يقول ابن الزبير؟

فقلنا: لاندري، جعلنا فداك!

فقال: قال أقيم في هذا المسجد أجمع لك الناس!

ثم قال الحسين عليه السلام: والله لئن أقتل خارجاً منها بشر أحبّ إليّ من أن أقتل داخلياً منها بشيراً!، وأيم الله لو كنت في جحر هامة من هذه الهوام لاستخرجوني حتى يقضوا فيّ حاجتهم!، والله ليعتدّن عليّ كما اعتدت اليهود في السبت!». (١)

أمّا ابن قولويه (ره) فيروى (بسند) عن سعيد عقيصا قال:

سمعت الحسين بن عليّ عليهما السلام وخلا به عبدالله بن الزبير ففاجاه طويلاً، ثمّ أقبل الحسين عليه السلام بوجهه إليهم وقال: إنّ هذا

يقول لى: كن حماماً من حمام الحرم، ولأن أقتل وبينى وبين الحرم باع أحب إلي من أن أقتل وبينى وبينه شبر، ولأن أقتل بالطف أحب إلي من أن أقتل بالحرم». (٢)

ويروى ابن قولويه (ره) أيضاً عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«قال عبدالله بن الزبير للحسين عليه السلام: ولو جئت إلى مكة فكنت بالحرم!» (٣)

مع الרכب الحسينى (ج ٢)، ص: ٢٨٥

فقال الحسين عليه السلام: لا نستحلها، ولا تستحل بنا، ولأن أقتل على تل أعفر (١) أحب إلي من أن أقتل بها». (٢)

ويروى ابن قولويه (ره) أيضاً عن الإمام أبى جعفر عليه السلام أن ابن الزبير شيع الإمام الحسين عليه السلام: «فقال: يا أبا عبدالله، قد حضر الحج وتدعه وتأتى العراق؟!»

فقال: يا ابن الزبير، لأن أدفن بشاطيء الفرات أحب إلي من أن أدفن بفناء الكعبة!». (٣)

وروى السيد ابن طاووس (ره) أن عبدالله بن العباس (رض) وعبدالله بن الزبير جاء الى الإمام عليه السلام فأشارا عليه بالإمساك، فقال لهما: إن رسول الله صلى الله عليه وآله قد أمرنى بأمر وأنا ماضٍ فيه!». (٤)

ويبدو أن ابن الزبير - من جملة محاوراته مع الإمام عليه السلام ومن مجموع الإخبارات المتناقلة آنذاك عن مصرع الامام عليه السلام - كان يعلم أن الإمام عليه السلام سوف يُقتل في سفره هذا الى العراق لا محالة، وأن ذلك آخر العهد به عليه السلام، فحرص فى اللحظات الأخيرة على الاستفادة من علم الإمام عليه السلام، فسأله قائلاً: «يا ابن رسول الله، لعلنا لالتقى بعد اليوم، فأخبرنى متى يرث المولود ويورث؟ وعن جوائز السلطان هل تحل أم لا؟».

فأجابه عليه السلام: «أما المولود فإذا استهل صارخاً .. وأما جوائز السلطان فحلال ما لم يغضب الأموال». (٥)

مع الרכب الحسينى (ج ٢)، ص: ٢٨٦

تأمل وملاحظات: ص: ٢٨٦

(١) - فى محاوراته مع الإمام عليه السلام كان ابن الزبير يناقض نفسه فى نصائحه ومشوراته، فمزة يستظهر خلاف ما يستبطن فيشير على الإمام عليه السلام بالبقاء فى مكة!، وأخرى يغفل عن تصنعه فتظهر أمتية قلبه فى فلتات لسانه فيحث الامام عليه السلام على الخروج الى العراق!، وقد يعارض نفسه فى المحاوره الواحدة فيشير فى أولها بالخروج ثم يستدرك فيشير بالبقاء خوفاً من أن يتتهم بما يكره فى نفسه! وقد ينسى نفسه وماحوله فيطلب من الإمام عليه السلام أن يوليه الأمر!!

(٢) - ويلاحظ على ابن الزبير أيضاً أن «حب الرئاسة» قد طغى على قلبه وهيمن على تفكيره إلى درجة أنساه عندها حتى الفرق الهائل بين قعر الوهده وذروة القمه حين تعامى عن الفرق الكبير بينه وبين الإمام عليه السلام! فعده نفسه - كما الإمام عليه السلام! - من ولاء الأمر وأصحاب الحق بالخلافه حيث يقول: «ونحن أبناء المهاجرين وولاء الأمر دونهم!»، بل يغلب حب الرئاسة على عقله الى درجة يفقد عندها توازنه فيعمى عن حقائق الأشياء وموازينها - فيما يمكن وما لا يمكن - فلا يرى مانعاً من أن يكون هو الخليفه حتى مع وجود الإمام عليه السلام حيث يخاطبه قائلاً:

«فأقم إن شئت وتوليني أنا الأمر ..!!».

(٣) - ويلاحظ المتأمل فى جميع هذه المحاورات الأدب الجم والخلق السامى الذى تعامل به الإمام عليه السلام مع عبدالله بن الزبير، مع معرفته التامة بما انطوى عليه ابن الزبير من بغض لأهل البيت عليهم السلام، فكان صلوات الله عليه يساره كما يسار الودود المخلص فى وداده، ويحاوره كما يحاور الناصح الصادق فى نصحه، ومع كل هذا الخلق العظيم فقد حرص الإمام عليه السلام فى محاوراته مع ابن الزبير على أمرين هما:

مع الركب الحسيني (ج ۲)، ص: ۲۸۷

الأول: التأكيد على حرمة استحلال البيت وانتهاك حرمة «إن أبي حدثني أن بها كبشاً يستحلّ حرمتها! فما أحب أن أكون أنا ذلك الكبش!» و «والله لئن أقتل خارجاً منها بشبر أحب إلي من أن أقتل داخلًا منها بشبر!» و «لأن أقتل وبينى وبين الحرم باع أحب إلي من أن أقتل وبينى وبينه شبر!» و «لأنستحلّها ولأنتحلّ بنا، ولأن أقتل على تل أعفر أحب إلي من أن أقتل بها!»، ولا يخفى على المتأمل أن الإمام عليه السلام أراد من خلال هذا التأكيد أيضاً نهى ابن الزبير ألا يكون هو أيضاً ذلك الكبش القتل إقامه للحجة عليه، مع علمه عليه السلام بأن ابن الزبير هو ذلك المستحلّ لحرمة البيت الحرام!

الثاني: تأكيد الإمام عليه السلام على نفي أي ارتباط بينه وبين ابن الزبير، ويظهر حرص الإمام عليه السلام على ذلك كلما أحس أن هناك من يراهما اثناء التحاور ويُنصت لهما، حيث يكشف الإمام عليه السلام لأولئك المراقبين عن ما يسره إليه ابن الزبير، كمثل قوله عليه السلام: «إن هذا يقول لي: كن حماماً من حمام الحرم...» وقوله عليه السلام كاشفاً عن أمنية ابن الزبير: «ها إن هذا ليس شيء يؤتاه من الدنيا أحب إليه من أخرج الى العراق...».

(۴) - ويلاحظ أيضاً أن الإمام عليه السلام أكد لابن الزبير ولسامعيه الآخرين أنه لامحالة مقتول حيث قال عليه السلام: «وأيّم الله لو كنت في جحر هامة من هذه الهوام لاستخرجوني حتى يقضوا فيّ حاجتهم! والله ليعتدنّ عليّ كما اعتدت اليهود في السبت!»، كما أشار عليه السلام تلميحاً إلى مكان مصرعه في قوله: «ولأن أقتل بالطف أحب إلي من أن أقتل بالحرم!» و «يا ابن الزبير، لأن أدفن بشاطيء الفرات أحب إلي من أن أدفن بفناء الكعبة!»، ولعلّ الإمام عليه السلام أراد بذلك إلقاء الحجة على ابن الزبير وعلى من كان يسمع تحاورهما بوجوب الخروج معه

مع الركب الحسيني (ج ۲)، ص: ۲۸۸

لنصرته والجهاد بين يديه.

(۵) - ممّا لا يخفى - على من له أدنى اطلاع على تاريخ النهضة الحسينية - أن مشورات ونصائح ابن الزبير المتعارضة - وإن استمع إليها الإمام عليه السلام بأدبه السامى العظيم - لم يكن لها أي تأثير على الإمام عليه السلام الذي كان عارفاً بحقيقة ما يستبطنه ابن الزبير من عداوة وبغضاء لآل محمّد صلى الله عليه وآله، وبكذب ما يستظهره من نصح ومودة لهم، ولذلك فلم يكن لرأى ابن الزبير أي أثر على حركة أحداث النهضة الحسينية لا من قريب ولا من بعيد.

من هنا حقّ للمتأمل أن يعجب كثيراً من سخيّف ما ذهب إليه ابن أبي الحديد من أن الإمام الحسين عليه السلام خرج الى العراق عملاً بنصيحة ابن الزبير له بذلك، فغشه!

يقول ابن أبي الحديد: «واستشار الحسين عليه السلام، عبدالله بن الزبير وهما بمكة في الخروج عنها، وقصد العراق ظاناً أنه ينصحه، فغشه، وقال له: لا تقم بمكة، فليس بها من يبائعك، ولكن دونك العراق، فإنهم متى رأوك لم يعدلوا بك أحداً، فخرج الى العراق حتى كان من أمره ما كان!». (۱)

وأسخف من قول ابن أبي الحديد قول محمّد الغزالي في الدفاع عن ابن الزبير واستبعاده أن يكون ابن الزبير قد أشار على الإمام عليه السلام بالخروج الى العراق ليستريح منه، قائلاً: «فعبد الله بن الزبير أتقى لله وأعرق في الإسلام من أن يقترب مثل هذه الدتية!». (۲)

مع الركب الحسيني (ج ۲)، ص: ۲۸۹

عبدالله بن عمر .. والمشورة المريية! ص: ۲۸۹

تميز عبدالله بن عمر (١) عن جميع وجهاء الأمة وأعلامها من الرجال الذين

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٢٩٢

التقوا مع الامام الحسين عليه السلام في مكة المكرمة وعرضوا عليه نصائحهم ومشوراتهم بموقفه الراض لأصل القيام والنهضة! وبدعوته الإمام عليه السلام الى الدخول في ما دخل فيه الناس! وإلى مبايعة يزيد! والصبر عليه كما صبر لمعاوية من قبل!

وكان هذا النهي عن القيام والخروج، والدعوة الى مبايعة يزيد، والدخول في ما دخل فيه الناس، خطأً ثابتاً لابن عمر في لقاءاته الثلاثة «١» مع الإمام الحسين عليه السلام منذ ابتداء قيامه المبارك.

ولم يسجل لنا التاريخ في الأيام المكثية من عمر النهضة الحسينية شيئاً عن موقف ابن عمر من قيام الإمام عليه السلام سوى آرائه ومشوراته التي أبداها في المحاوراة الثلاثية بينه وبين الإمام عليه السلام وبين ابن عباس (رض).

وقد نقلنا هذه المحاوراة في حديثنا عن تحرك ابن عباس (رض) مركزين

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٢٩٣

على نصوص التحاور بين الامام عليه السلام وبين ابن عباس (رض)، ونقلها هنا مركزين على نصوص التحاور بين الامام عليه السلام وبين عبدالله بن عمر ..

تقول الرواية التاريخية: «وأقام الحسين عليه السلام بمكة باقى شهر شعبان ورمضان وشوال وذى القعدة، وبمكة يومئذ عبدالله بن عباس وعبدالله بن عمر بن الخطاب، فأقبلا جميعاً حتى دخلا على الحسين عليه السلام وقد عزموا على أن ينصرفا الى المدينة ...

فقال له ابن عمر: أبا عبدالله، رحمك الله إتق الله الذى إليه معادك! فقد عرفت من عداوة أهل هذا البيت لكم وظلمهم إياكم، وقد ولى الناس هذا الرجل يزيد بن معاوية! ولست آمن أن يميل الناس إليه لمكان هذه الصفراء والبيضاء فيقتلونك ويهلك فيك بشرٌ كثير، فإنى قد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يقول: «حسين مقتول، ولئن قتلوه وخذلوه ولن ينصروه ليخذلهم الله الى يوم القيامة»، وأنا أشير عليك أن تدخل في صلح ما دخل فيه الناس، واصبر كما صبرت لمعاوية من قبل، فلعل الله أن يحكم بينك وبين القوم الظالمين!

فقال له الحسين عليه السلام:

أبا عبد الرحمن! أنا أبايع يزيد وأدخل في صلحه وقد قال النبى صلى الله عليه وآله فيه وفى أبيه ما قال!؟

وهنا يتدخل ابن عباس فى الحوار ليصدق قول الامام عليه السلام، ويروى عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «مالى وليزيد! لا بارك الله فى يزيد! وإنه ليقتل ولدى وولد ابنتى الحسين عليه السلام، والذى نفسى بيده لا يقتل ولدى بين ظهراى قوم فلا يمنعونه إلاً خالف الله بين قلوبهم وألستهم»، ثم يبكى ابن عباس، ويبكى معه الإمام عليه السلام ويسأله أليس يعلم أنه ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فيشهد ابن عباس بذلك ويؤكد

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٢٩٤

أن نصره الامام عليه السلام فرض على هذه الأمة كالصلاة والزكاة!

ثم يسأله الامام عليه السلام عن رأيه فى الأميين الذين أخرجوه عن حرم جدّه صلى الله عليه وآله وأرادوا سفك دمه بلا جرم كان قد اجترحه، فيجيبه ابن عباس بأن هؤلاء قوم كفروا بالله ورسوله، وعلى مثلهم تنزل البطشة الكبرى، ثم يشهد ابن عباس أن من طمع فى محاربة الامام عليه السلام والرسول صلى الله عليه وآله فماله من خلاق! وهنا يقول الامام عليه السلام «اللهم اشهد!»، فيدرك ابن عباس (رض) أن الامام عليه السلام قصده وابن عمر بطلب النصرة! فيبادر ابن عباس ويظهر استعدادده لنصرة الامام عليه السلام والجهاد بين يديه، ويقول انه لا يوفى بذلك عشر العشر من حقه عليه السلام!

وهنا يُحرج ابن عمر لأنه مقصود أيضاً بالخطاب! فيتدخل ليحرف مسير الحوار عن الإتجاه الذى أراده الامام عليه السلام فيقول لابن

عباس: مهلاً، ذرنا من هذا يا ابن عباس!

ثم أقبل ابن عمر على الحسين عليه السلام فقال: أبا عبدالله، مهلاً عمّا قد عزمت عليه، وارجع من هنا الى المدينة، وادخل في صلح القوم! ولا تغب عن وطنك وحرم جدك رسول الله صلى الله عليه وآله، ولا تجعل لهؤلاء الذين لا خلاق لهم على نفسك حجةً وسبيلاً، وإن أحببت أن لا تباع فأنت متروك حتى ترى برأيك، فإن يزيد بن معاوية عسى أن لا يعيش إلا قليلاً فيكفيك الله أمره! فقال الحسين عليه السلام:

أف لهذا الكلام أبداً مادامت السموات والأرض!، أسألك بالله يا عبدالله! أنا عندك على خطأ من أمرى هذا؟ فإن كنت عندك على خطأ فردني فإني أخضع وأسمع وأطيع! فقال ابن عمر: ألهم لا، ولم يكن الله تعالى يجعل ابن بنت رسوله على خطأ، مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٢٩٥

وليس مثلك من طهارته وصفوته من الرسول صلى الله عليه وآله على مثل يزيد بن معاوية باسم الخلافة، ولكن أخشى أن يضرب وجهك هذا الحسن الجميل بالسيوف، وترى من هذه الأمة ما لا تحب، فارجع معنا الى المدينة، وإن لم تحب أن تباع فلا تباع أبداً واقعد في منزل!

فقال الحسين عليه السلام:

هيهات يا ابن عمر! إن القوم لا يتركوني، إن أصابوني وإن لم يُصيبوني، فلا يزالون حتى أبايع وأنا كاره، أو يقتلوني! أما تعلم يا عبدالله أن من هوان هذه الدنيا على الله تعالى أنه أتى برأس يحيى بن زكريا عليه السلام الى بغيه من بغايا بنى إسرائيل والرأس ينطق بالحجة عليهم؟ أما تعلم أبا عبدالرحمن أن بنى إسرائيل كانوا يقتلون ما بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس سبعين نبياً ثم يجلسون في أسواقهم يبيعون ويشترون كلهم كأنهم لم يصنعوا شيئاً، فلم يعجل الله عليهم، ثم أخذهم بعد ذلك أخذ عزيز مقتدر! إتق الله أبا عبدالرحمن ولا تدعن نصرتي! واذكرني في صلاتك! يا ابن عمر، فإن كان الخروج معي ممّا يصعب عليك ويثقل فأنت في أوسع العذر، ولكن لا تترك لي الدعاء في دبر كل صلاة، واجلس عن القوم، ولا تعجل بالبيعة لهم حتى تعلم الى ما تؤول الأمور!

ثم أقبل الامام عليه السلام على ابن عباس (رض) فأثنى عليه، ورخصه بالمضى الى المدينة وأوصاه بمواصلته بأخباره، وأظهر عليه السلام أنه مستوطن الحرم ما رأى أهله يحبونه وينصرونه، وأنه يستعصم بالكلمة التي قالها إبراهيم عليه السلام يوم ألقى في النار (حسبى الله ونعم الوكيل) فكانت النار عليه برداً وسلاماً.

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٢٩٦

فبكى ابن عباس (رض) وابن عمر بكاءً شديداً، وشاركهما الامام عليه السلام بكاءهما ساعة ثم ودّعهما وصارا الى المدينة. «١»

تأمل وملاحظات: ص: ٢٩٦

١- سبق ان قلنا «٢» أن ابن أعثم الكوفي كان قد تفرد برواية نص هذه المحاوره المفصّله في كتابه الفتوح، ونقلها عنه الخوارزمي في كتابه مقتل الحسين عليه السلام، والملفت للإنتباه أن هذا النص قد احتوى على عبارات متعارضة، وأخرى لاتسجم مع نظرة أهل البيت عليهم السلام الى بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله سواء في حياته صلى الله عليه وآله أو بعد رحلته، ومثال على المتعارضات قوله عليه السلام لابن عمر «إتق الله أبا عبدالرحمن ولا تدعن نصرتي» وقوله بعد ذلك «فإن كان الخروج معي ممّا يصعب عليك ويثقل فأنت في أوسع العذر!». ومثال على الاخرى قوله: «فوالذي بعث جدى محمداً صلى الله عليه وآله بشيراً ونذيراً لو أن أباك!»، وقوله «واذكرني في صلاتك!» وقوله «ولكن لا تترك لي الدعاء في دبر كل صلاة!».

والظن قوي أن العبارة التي ترخص لابن عمر في عدم نصره الامام عليه السلام وتجعله في أوسع العذر! والعبارة التي تثني على بعض

الصحابه بمالم يفعله (والوثائق التاريخية تؤكد خلاف ذلك!)، والعبارة التي تدعى عنايه الامام عليه السلام بصلاة ابن عمر أو بدعائه- على فرض صحة رواية هذه المحاوره أصلاً- قد

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٢٩٧

أدخلت على أصل النص وأقحمت عليه إقحاماً من قبل بعض الرواه أو النسخ من أجل تحسين صورة البعض على لسان الامام عليه السلام!!

(٢)- اعترف ابن عمر بأن نصره الامام الحسين عليه السلام والانضمام إليه واجب شرعي حين قال إنه سمع رسول الله صلى الله عليه و آله يقول: «حسينٌ مقتول! ولئن قتلوه وخذلوه ولن ينصروه ليخذلهم الله يوم القيامة!».

ويتأكد لابن عمر هذا الواجب الشرعي المقدس حين يسمع من ابن عباس أيضاً أنه سمع رسول الله صلى الله عليه و آله يقول:

«مالي وليزيد؟! لا بارك الله في يزيد! وإنه ليقتل ولدى وولد ابنتي الحسين عليه السلام! والذي نفسى بيده لا يقتل ولدى بين ظهرائي قوم فلا يمنعونه إلا خالف الله بين قلوبهم وألستهم!».

ويلقى الامام عليه السلام الحجّة صريحة بالغه تامه على ابن عمر حيث يقول له:

«إتق الله أبا عبد الرحمن ولا تدع نصرتي!».

ومع كل هذا نرى عبدالله بن عمر يقعد ويتخلف عن نصره الامام الحسين عليه السلام عامداً بلا عذر! ولا يكتفى بذلك بل يلح بإصرار على الامام عليه السلام ليترك القيام، ويرجع الى المدينة، ويدخل في صلح القوم!، ويصبر على يزيد!

(٣)- ونلاحظ ابن عمر أيضاً يحاول- وكأنه ناطق رسمي أموي!- أن يوهم الامام عليه السلام بأن المتاركة بينه وبين يزيد أمر ممكن، وأنه لا بأس على الامام عليه السلام إن ترك القيام حتى وإن لم يبايع! فيقول له: «وإن أحببت أن لا- تبايع فأنت متروك حتى ترى برأيك!»، ويقول: «وإن لم تحب أن تبايع فلا تبايع أبداً واقعد في منزل!».

تري هل كان ابن عمر مؤمناً حقاً بإمكان هذه المتاركة!؟

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٢٩٨

كيف يكون مؤمناً بها وقد روى هو نفسه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه و آله يقول:

«حسين مقتول!...» ويسمع ابن عباس أيضاً يروى عنه صلى الله عليه و آله بأن يزيد قاتل الحسين عليه السلام!؟

وإذا لم يكن مؤمناً بإمكان هذه المتاركة! فلماذا كان يصر على دعوى إمكانها وكأنه ينطق عن لسان الحكم الأموي!؟

هل كان ابن عمر يريد- بلسان المشورة والنصيحة- أن يوقع الامام عليه السلام في شباك صيد يزيد بعد نزع فتيل الثورة قبل اندلاعها!؟

وهل يستبعد التأمل ان يصدر هذا من ابن عمر!؟

لعل التأمل في أبعاد الملاحظة التالية يكشف لنا عن الجواب!

(٤)- أكد ابن عمر في هذه المحاوره اعترافه بعداوة الأمويين لأهل البيت عليهم السلام وبظلمهم إياهم! وبأن الأمويين وعلى رأسهم يزيد هم «القوم الظالمون»! وأنهم «لاخلاق لهم» عند الله! وأكد على خوفه من أن يميل الناس إليهم طمعاً في ما عندهم من الذهب والفضة «الصفراء والبيضاء»!

لكننا نجد أن ابن عمر هذا كان ممن تسلّم هذه الصفراء والبيضاء من معاوية رشوة أيام تمهيدته ليزيد بولاية العهد من بعده! حيث أرسل إليه معاوية مائة ألف درهم فقبلها! «١»

ونجد ابن عمر قد بادر الى بيعه يزيد! مع أن الإمام عليه السلام كان قد طلب إليه في

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٢٩٩

هذه المحاوره- على الأقل!- ألما يعجل بالبيعه ليزيد حتى يعلم ما تقول إليه الأمور! هذا مع اعتراف ابن عمر بأن يزيد رجل ظالم ولاخلاق له عند الله! ثم نجد ابن عمر وقد انتفضت الأمة في المدينة على يزيد وخلعته لفسقه وفجوره يصرُّ على التمسك ببيعه يزيد مدعيًا أنها كانت بيعه لله ولرسوله!! وينهى أهله عن التنكر لهذه البيعه معلناً براءته ممن تنكر لها منهم!

يقول التاريخ: لما خلع أهل المدينة بيعه يزيد «جمع ابن عمر بنيه وأهله ثم تشهد، ثم قال: أما بعد، فإننا قد بايعنا هذا الرجل على بيعه الله ورسوله! وإني سمعت رسول الله يقول: إن الغادر يُنصب له لواء يوم القيامة، يقال هذا غدر فلان، فإن من أعظم الغدر- إلا أن يكون الشرك بالله- أن يبايع رجل رجلاً على بيعه الله ورسوله ثم ينكث بيعته! فلا يخلعن أحد منكم يزيد! ولا يسرفن أحد منكم في هذا الأمر فيكون الفيصل بيني وبينه- رواه مسلم، وقال الترمذي: صحيح.» (١)

فهل يُعقل أن تكون البيعة لرجل ظالم فاسق لاخلاق له عند الله تعالى بيعه لله ولرسوله!؟

أو ليس مما أجمعت الأمة عليه أن العدالة من شروط الإمامة!؟ (٢)

ومن هو الغادر الذي يُنصب له لواء يوم القيامة! الذي بايع الفاسق مع علمه بفسقه منذ البدء- كما فعل ابن عمر!- أم أهل المدينة الذين انتفضوا على يزيد بعد أن تيقنوا من فسقه وخلعوا بيعته!؟

ثم لماذا لا يرى ابن عمر كلاً من طلحة والزبير ومن معهما غادرين تُنصب لهم ألوية غدر يوم القيامة! حيث نكثوا بيعتهم لرمز العدالة أمير المؤمنين علي عليه السلام!؟ أم

معالركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٣٠٠

يتوقف ابن عمر في هذا الأمر فيبتدع مغالطة أخرى من مغالطاته الكبيرة الكثيرة!؟

لقد كان عبدالله بن عمر لساناً من الألسنة التي خدمت الحكم الأموي، بل كان بوقاً أمويًا حرص على عزف النغمة النشاز في أنشودة المعارضة! وسعى إلى تحطيم المعارضة من داخلها، ولا يُعبأ بما صوره به بعض المؤرخين من أنه كان رمزاً من رموزها، لأن المتأمل المتدبر لا يجد لابن عمر هذا أي حضور في أي موقف معارضٍ جاد! بل يراه غائباً تماماً عن كل ساحة صدق في المعارضة! وإذا تأمل المحقق ملياً وجد عبدالله بن عمر ينتمي انتماءً تاماً- عن إصرار وعناد- الى حركة النفاق التي قادها حزب السلطة، منذ البدء ثم لم يزل يخدم فيها حتى في الأيام التي آلت قيادتها فيها الى الحزب الأموي بقيادة معاوية ثم يزيد! هذه هي حقيقة ابن عمر وإن تكلف علاقات حسنة في الظاهر مع وجوه المعارضة عامة ومع الإمام الحسين عليه السلام خاصة. وحقيقة ابن عمر هذه يكشف عنها معاوية لابنه يزيد في وصيته إليه بلا رتوش نفاقية حيث يقول له: «.. فأما ابن عمر فهو معك! فالزمه ولا تدعه!» (١).

الأوزاعي .. والنهي عن المسير إلى العراق! ص : ٣٠٠

روى ابن رستم الطبري في كتابه (دلائل الإمامة) قائلاً:

«حدثنا يزيد بن مسروق قال: حدثنا عبدالله بن مكحول، عن الأوزاعي قال:

بلغني خروج الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام الى العراق، فقصدت مكة فصادفته بها، فلما رأني رحب بي وقال: مرحباً بك يا أوزاعي، جئت تنهاني عن المسير،

معالركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٣٠١

وأبي الله عز وجل إلا ذلك، إن من هاهنا الى يوم الاثنين ميتي (مبعثي)!

فسهدت في عد الأيام، فكان كما قال! (١).

تُرى من هو هذا الأوزاعي الذي أهّمه أمر الإمام الحسين عليه السلام حتى قصد مكة لينهاه عن المسير الى العراق؟ وما هو دافعه في ذلك؟ وما معنى قول الإمام عليه السلام:

«إن من هاهنا الى يوم الإثنين مبيتي (مبعثي)؟!»

أمّا من هو هذا الأوزاعي؟ فإنّ هناك جماعة من الرجال عُرفوا بهذا اللقب «٢» لكنّ الاحتمال الأقوى هو أنّ المراد بهذا الأوزاعي: أبو أيوب، مغيث بن سمي

معالركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٣٠٢

الأوزاعي: الذي يُقال إنه أدرك زهاء ألفٍ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، «١» وقد روى عن ابن الزبير وابن عمر، وابن مسعود، وكعب الأحمري، وأبي هريرة، وهو من الطبقة الثانية من تابعي أهل الشام، وقد وثقه ابن حبان، وأبوداود، ويعقوب بن سفيان. «٢» ولكن لم يرد له ذكر في كتبنا الرجالية على ما حقّقنا.

أمّا ما هو دافعه في التحرك حتى قصد مكة لينهى الامام عليه السلام عن المسير الى العراق، فذلك ممّا لا نستطيع أن نحدده من متن الرواية- ومن عدم معرفتنا بتاريخ هذا الرجل وسيرته- إلّا أنّ ترحيب الامام عليه السلام به قد يكشف عن أنّ هذا الأوزاعي كان مشفقاً على الإمام عليه السلام من القتل في مسيره الى العراق، وإن كان ظاهر النصّ صريحاً في أنه كان ناهياً لا ناصحاً!

وأما ما هو المراد من قوله عليه السلام: «إن من هاهنا الى يوم الإثنين مبيتي (مبعثي)؟!»، فلا يخفى على المتأمل أنّ فيه غموضاً وتشابهاً! فهل أراد الإمام عليه السلام أن يقول للأوزاعي إنّ لك أن تعدّ من هذه الساعة الى يوم الإثنين الذي أُقتل فيه؟! ولذا يقول الأوزاعي: فسهدت (اي سهرت) في عدّ الأيام فكان كما قال! وعلى هذا يكون الإمام عليه السلام قد قُتل في يوم الإثنين! وهذا مالا يتفق مع المأثور أنّ يوم عاشوراء كان يوم الجمعة أو يوم السبت. «٣»

معالركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٣٠٣

أم أنّ الإمام عليه السلام اراد أن يقول للأوزاعي: إنني باقٍ في مكة الى يوم الإثنين، وبعده (أي يوم الثلاثاء) يكون مبعثي الى العراق، أي سفرى إليه!؟

ونرى أنّ هذا هو الأقوى احتمالاً، لأنّ الإمام عليه السلام قد خرج من مكة بالفعل يوم الثلاثاء بدليل قول الإمام عليه السلام نفسه في رسالته الأخيرة التي بعثها الى أهل الكوفة مع قيس بن مسهر الصيداوي (رض) حيث يقول فيها: «... وقد شخصت إليكم من مكة يوم الثلاثاء لثمان مضيّن من ذى الحجة يوم التروية...». «١»

وعلى أساس هذا التقويم يكون يوم عاشوراء الجمعة إذا كان ذو الحجة تسعة وعشرين يوماً، أو السبت إذا كان ثلاثين يوماً، وهذا ما يتفق مع المأثور بصدد يوم عاشوراء.

عمر بن عبدالرحمن المخزومي .. والنصيحة الصائبة! ص : ٣٠٣

إشارة

روى الطبري عن عمر بن عبدالرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي أنه قال: «لما تهيأ الحسين عليه السلام للمسير الى العراق أتيته، فدخلت عليه، فحمدت الله وأثنيت عليه، ثم قلت: أمّا بعد، فإنني أتيتك يا ابن عم لحاجة أريد ذكرها نصيحة، فإن كنت ترى أنك تستنصحنني وإلا كففتُ عمّا أريد أن أقول!

فقال الحسين عليه السلام:

قل، فوالله ما أظنك بسّي الرأي، ولا هو للقيح من الأمر والفعل!

فقال: إنه قد بلغني أنك تريد المسير الى العراق، وإني مشفق عليك من مسيرك، إنك تأتي بلداً فيه عماله وأمرؤه، ومعهم بيوت الأموال، وإنما الناس عبيد

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٣٠٤

لهذا الدرهم والدينار! ولا آمن عليك أن يقاتلك من وعدك نصره ومن أنت أحب إليه ممن يقاتلك معه!!
فقال الحسين عليه السلام: جزاك الله خيراً يا ابن عمّ، فقد والله علمت أنك مشيت بنصح وتكلمت بعقل، ومهما يقض من أمر يكن، أخذت برأيك أو تركته، فأنت عندي أحمد مشير وأنصح ناصح!.. «١»

تأمل وملاحظات: ص: ٣٠٤

١- هذه المحاوره كاشفه عن منزله حسنه جداً لعمر بن عبدالرحمن المخزومي عند الإمام عليه السلام حيث أثنى عليه ثناء رائعاً في قوله عليه السلام: «قل، فوالله ما أظنك بسىء الرأي، ولا هو للقبیح من الأمر والفعل!»، وفي تعبير آخر: «ما أنت ممن يستغش ولا يتهم، فقل»، «٢» وفي تعبير آخر: «قل، فوالله ما أستغشك، وما أظنك بشىء من الهوى!»، «٣» وقال له في ختام هذه المحاوره «فأنت عندي أحمد مشير وأنصح ناصح!»، وفي تعبير آخر: «ولم تنطق عن هوى!»، «٤» وجميع ذلك كاشف عن متانته هذا المخزومي وصدقه وحبّه للإمام الحسين عليه السلام.

ولم يرد لعمر بن عبدالرحمن المخزومي هذا ذكر في كتبنا الرجالية، لكنه معدود من رجال الصحاح الستة، وأحد الفقهاء السبعة بالمدينة، وحدث عن عمّار بن ياسر، وأم سلمة، وعائشة، وأبي هريرة، ومروان ... وقد استصغر يوم الجمل فزُد، وعن ابن سعد: أنه ولد في خلافة عمر، ومات سنة الفقهاء، وقيل سنة خمس

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٣٠٥

وتسعين، «١» وكان يُقال له راهب قريش لكثرة صلاته، وكان مكفوفاً، وهو من سادات قريش. «٢»

٢- إن المشورة التي قدّمها عمر بن عبدالرحمن المخزومي تشبه تماماً في مبناها مشورة لابن عباس (رض) «٣» وأخرى لعمر بن لوذان في هذا الصدد، «٤» ويتلخص مبنی هذا المشورات الثلاث في أنّ الصحيح أن يتحرّك أهل الكوفة عملياً قبل توجه الإمام عليه السلام إليهم، فيثوروا على السلطة في الكوفة، وينفوا عمّال يزيد وأتباعه، وسيطروا على الأوضاع فيها، وعندما يتوجه الامام عليه السلام إليهم، وهذا هو الرأي الصواب عندهم! ولكن على أساس منطق الفتح القريب والنصر الظاهري وتسلم الحكم، ومن هنا نجد الإمام عليه السلام لا يخطئ هذه المشورات، بل نراه يثنى على أصحابها، ومع هذا يخالفها ولا يعمل بها، لأنه كان يتحرّك على أساس منطق آخر هو منطق (الفتح بالشهادة)! الفتح المبين العميق الشامل الدائم الذي يحفظ الإسلام المحمدي الخالص نقياً من كل الشوائب الى قيام الساعة.

٣- ربّما يُقال: إن ما ورد في متن هذا الخبر من قول المخزومي: «لما تهياً الحسين عليه السلام للمسير الى العراق ..» لا يدل بالضرورة على أنّ هذا اللقاء قد تمّ في مكة، لأنّ هناك روايات لبعض اللقاءات مع الإمام عليه السلام حملت مثل هذه الإشارات مع أنّ المؤكّد أنّها تمّت في المدينة، كلقاءه عليه السلام مع أم سلمة (رض)، فهل ثم دليل آخر على أنّ لقاءه عليه السلام مع المخزومي تمّ في مكة؟

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٣٠٦

فنقول: لم ينتشر خبر عزم الإمام عليه السلام على السفر الى العراق إلّا في أواخر أيام مكثه في مكة المكرمة، وحينما كان الإمام عليه السلام في المدينة المنورة لم يكن قد أطلع أحد على نيته في التوجه الى العراق سوى خاصة الخاصة كمثل محمّد بن الحنفية (رض) وأم سلمة (رض)، وأما غير هؤلاء الخواص فإنّ الإمام عليه السلام غالباً ما كان يشير إليهم أنه متوجه الى مكة في أيامه تلك ثم يستخبر الله في أمره، وعليه فإنّ أمثال عمر المخزومي هذا لم يكونوا على علم بنية الامام عليه السلام في التوجه الى العراق منذ البدء.

هذا فضلاً عن أن لهذا الخبر تنمة- في رواية الطبرى- على لسان المخزومى أنه «قال: فانصرفت من عنده، فدخلت على الحارث بن خالد بن العاص «١»- والى مكة- فسألنى: هل لقيت حسيناً؟ فقلت له: نعم. فقال: فما قال لك، وما قلت له؟ قال: فقلت له: قلت كذا وكذا، وقال كذا وكذا. فقال: نصحته ورب المروة الشهباء! أما ورب البيتة إن رأى لما رأيت، قبله أو تركه ..»، «٢» وفى هذا دلالة كافية على أن هذا اللقاء كان قد حصل فى مكة المكرمة.

لقاء جابر بن عبدالله الأنصارى (رض) مع الإمام عليه السلام ص : ٣٠٦

روى ابن كثير خبيراً مرسلًا أن جابر بن عبدالله الأنصارى (رض) «٣» كان قد

مع الركب الحسينى (ج ٢)، ص: ٣٠٧

التقى الإمام عليه السلام وكلمه ليرده عن القيام والخروج على يزيد: «قال جابر بن عبدالله: كلمتُ حسيناً، فقلت: إتق الله، ولا تضرب الناس بعضهم ببعض، فوالله ما حمدتم ما صنعتم. فعصانى!».

مع الركب الحسينى (ج ٢)، ص: ٣٠٨

ولا يخفى على ذى أدنى معرفة بجابر بن عبدالله الأنصارى (رض) أن أصل اللقاء هذا إذا كان محتملاً، فلا سبيل إلى احتمال محتواه! لأنه بعيد كل البعد أن تصدر مثل هذه الجسارة على الامام عليه السلام ومثل سوء الأدب هذا عن هذا الصحابى الجليل القدر العارف بحق أهل البيت عليهم السلام!

والظن قوياً جداً فى أن يكون محتوى هذا الخبر من مفتعلات مرتزقة الإعلام الأموى من أجل الإساءة الى النهضة الحسينية وتخطئتها! ومما يؤيد كون هذا الخبر من الموضوعات أن ابن كثير أورده مرسلًا دون أن يذكر له طريقاً.

نعم، روى عماد الدين أبو جعفر محمد بن على الطوسى «١» المعروف بابن حمزة فى كتابه «الثاقب فى المناقب» لقاء لجابر الأنصارى (رض) مع الامام عليه السلام يفوح منه عطر حسن الأدب فى مخاطبة الامام عليه السلام، والمعرفة بحق أهل البيت عليهم السلام، والصدق فى موالاتهم ومحبتهم والتشيع لهم:

«عن جابر بن عبدالله (رض) قال: لما عزم الحسين بن علىّ عليهما السلام على الخروج الى العراق، أتيت فقلت له: أنت ولد رسول الله صلى الله عليه وآله، وأحد سبطيه، لا أرى إلّا أنك تصالح كما صالح أخوك الحسن عليه السلام، فإنه كان موقفاً راشداً. فقال لى عليه السلام:

يا جابر، قد فعل أخى ذلك بأمر الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله، وإنى أيضاً أفعل

مع الركب الحسينى (ج ٢)، ص: ٣٠٩

بأمر الله تعالى ورسوله، أتريد أن أستشهد لك رسول الله صلى الله عليه وآله وأخى الحسن عليهما السلام بذلك الآن! ثم نظرتُ، فاذا السماء قد انفتحت بابها، واذا رسول الله صلى الله عليه وآله والحسن عليهما السلام وحمزة وجعفر وزيد، «١» نازلين عنها حتى استقرّوا على الأرض، فوثبت فرعاً

مع الركب الحسينى (ج ٢)، ص: ٣١٠

مذعوراً!

فقال لى رسول الله صلى الله عليه وآله:

يا جابر، ألم اقل لك فى أمر الحسن قبل الحسين، لا تكون مؤمناً حتى تكون لأئمتك مسلماً ولا تكون معترضاً، أتريد أن ترى مقعد

معاوية، ومقعد الحسين ابني، ومقعد يزيد قاتله لعنه الله؟

قلت: بلى يا رسول الله!

فضرب برجله الأرض فانشقت، وظهر بحر فانفلق، ثم ضرب فانشقت هكذا حتى انشقت سبع أرضين، وانفلقت سبعة أبحر، فرأيت من تحت ذلك كله النار فيها سلسله قرن فيها الوليد بن المغيرة وأبو جهل ومعاوية الطاغية ويزيد، وقرن بهم مردة الشياطين، فهم أشد أهل النار عذاباً.

ثم قال صلى الله عليه وآله: إرفع رأسك!

فرفعت فإذا أبواب السماء مفتحة، وإذا الجنة أعلاها! ثم صعد رسول الله صلى الله عليه وآله ومن معه الى السماء، فلما صار فى الهواء صاح بالحسين: يا بُنىِ الحقنى. فلحقه الحسين وصعدوا حتى رأيتهم دخلوا الجنة من أعلاها!

مع الركب الحسينى (ج ٢)، ص: ٣١١

ثم نظر إلى من هناك رسول الله صلى الله عليه وآله، وقبض على يد الحسين عليه السلام وقال: يا جابر، هذا ولدى معى ها هنا، فسلم له أمره ولا تشك لتكون مؤمناً.

قال جابر: فعميت عيناى إن لم أكن رأيت ما قلت من رسول الله صلى الله عليه وآله. «١»

لولا تقارب الأشياء وحبوط الأجر لقاتلتهم بهؤلاء! ص : ٣١١

إشارة

روى ابن رستم الطبرى (ره) قائلاً: «حدثنا أبو محمّد سفيان بن وكيع، عن أبيه وكيع، عن الأعمش، قال: قال لى أبو محمّد الواقدى وزرارة بن جليح:

لقينا الحسين بن علىّ عليهما السلام قبل أن يخرج الى العراق بثلاث ليالٍ، فأخبرناه بضعف الناس فى الكوفة، وأنّ قلوبهم معه وسيوفهم عليه! فأوماً بيده نحو السماء ففتحت أبواب السماء، ونزل من الملائكة عدد لا يحصيه إلا الله، وقال:

«لولا- تقارب الأشياء وحبوط الأجر لقاتلتهم بهؤلاء، ولكن أعلم علماً أنّ من هناك مصعدى، وهناك مصارع أصحابى، لا ينجو منهم إلا ولدى علىّ!». «٢»

تأمل وملاحظات: ص : ٣١١

١- من هو هذا الواقدى فى سند هذه الرواية؟ ومن هو زرارة هذا؟

أمّا الواقدى، فإن كان هو محمّد بن عمر بن واقد، أبو عبدالله الأسلمى المدنى

مع الركب الحسينى (ج ٢)، ص: ٣١٢

الواقدى، فولادته سنة عشرين بعد المائة، فهو لم يدرك عصر الحسين عليه السلام! «١»

وإن كان هو واقد بن عبدالله التميمى الحنظلى، فقد توفى أيام عمر بن الخطاب، «٢» فهو لم يدرك أيضاً أيام النهضة الحسينية عام ستين للهجرة!

وأما زرارة، فهو مهمل سواء كان ابن خليج او خليج (كما فى دلائل الإمامة) أو صالح!

وعن النمازى فى مستدركات علم الرجال: أنّ ابن خليج من أصحاب الحسين عليه السلام ورأى معجزته وإخباره إياه بشهادته وشهادة أصحابه، وأمّا ابن صالح فقد تشرف بقاء الحسين عليه السلام قبل خروجه الى العراق بثلاثة أيام! «٣»

لكنّ النمازي (ره) لم يأتِ بأكثر مما في رواية الطبري، ولم يخرج زرارة هذا عن الجهالة والإهمال!

وربما كان في السند حذف وإرسال، وكان اللذان التقيا بالإمام عليه السلام هما غير الواقدي وزرارة، وقد حُذِفَ إسماهما، والله العالم.
(٢)- في متن هذه الرواية صورة من صور الإرادة والقدره التكوينية التي يتمتع بها الإمام المعصوم عليه السلام، وهذا من صلب اعتقاداتنا، فالإمام عليه السلام إذا أشار الى جبل لزال من مكانه، كما في الحديث الوارد عن الإمام الصادق عليه السلام، «٤» وأنّ الكون-

معالركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٣١٣

أعمّ من العالم العلويّ والسفليّ - تحت تصرف الإمام عليه السلام تفضّلاً من الله تبارك وتعالى، والأئمة عليهم السلام مختلف الملائكة، تنزل عليهم وتطوف بهم، وأما في نهضة الإمام أبي عبدالله الحسين عليه السلام فقد نزلت إليه أفواج من الملائكة في طريقه من المدينة الى مكة وعرضت عليه استعدادها لنصرته والقتال بين يديه! «١»

أما ماهو مراده صلوات الله عليه في قوله: «لولا تقارب الأشياء وحبوط الأجر»؟ فلعلّ من مراده عليه السلام في «تقارب الأشياء»: أنه لو توسّل في تحقيق أهدافه بالخوارق والمعاجز دون الأسباب الطبيعية لتحقق له ذلك عاجلاً وعلى أحسن وجه- والله غالب على أمره- لكنّ ذلك خلاف للإرادة الإلهية في امتحان الخلق وابتلائهم في مجارى الأسباب والإقتضات والعلل الطبيعية العادية، ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيّ عن بينة، ولتكون الحجة البالغة لله على خلقه، هذا فضلاً عن أنّ الأعمال والإنجازات العظيمة التي يمكن للناس جميعاً أن يتأسوا بها هي الأعمال والبطولات التي تتمّ في إطار السنن الطبيعية والمجاري العادية المألوفة لا الخوارق والمعاجز- التي لا يُلجأ إليها إلا إذا دعت الضرورة إليها- ذلك لأنّ استخدام المعاجز وخوارق العادة ليس ميسوراً لجميع الناس، وامتحان الخلق- في إطار التأسّي بالقادة الربانيين- إنّما يصح إذا كان الإختبار والتكليف بما يستطيعونه لا بما يعجزون عنه.

ويؤيد هذا قوله عليه السلام لمؤمنى الجنّ الذين عرضوا عليه نصرتهم قائلين:

«يا مولانا، نحن شيعتك وأنصارك، فمرنا بما تشاء، فلو أمرتنا بقتل كلّ عدوّ

معالركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٣١٤

لك وأنت بمكانك لكفيناك ذلك!» «١»

فجزاهم خيراً وقال لهم فيما قال:

«... فإذا أقمت في مكاني فبمّ يمتحن هذا الخلق المتعوس وبماذا يُختبرون؟! ومن ذا يكون ساكن حفرتي؟ وقد اختارها الله تعالى لى يوم دحا الأرض، وجعلها معقلاً لشيعتنا ومُحِبِّينا، تقبل أعمالهم وصلواتهم، ويجاب دعاؤهم، وتسكن شيعتنا فتكون لهم أماناً في الدنيا وفي الآخرة...» «٢»

أما مراده عليه السلام من «حبوط الأجر» فلا شكّ أنّ الأجر مرتبط بالتيه ودرجة المشقّة ومستوى أثر العمل، ولا شكّ أنّ العمل الذي يتمّ بالخوارق والمعاجز ليس كالعمل المتحقق في إطار السنن الطبيعية من حيث درجة المشقّة فيه! كما أنّ الأثر والفتح المترتب على شهادته عليه السلام هو أعظم أثر وفتح متصوّر من حيث النتائج والبركات المترتبة عليه بالنسبة الى الاسلام والإمامة الإسلامية، والإنسان المسلم خاصة، والإنسانية عامة! ولعلّ هذا من أسرار قول الرسول صلى الله عليه وآله له عليه السلام: «يا حسين أخرج! فإنّ الله قد شاء أن يراك قتيلاً!» «٣»

و «وإنّ لك في الجنة درجات لا تنالها إلاّ بالشهادة!» «٤»

معالركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٣١٥

إشارة

روى ابن كثير: أن أبا سعيد الخدري (ره) لقي الإمام الحسين عليه السلام وحذّره من أهل الكوفة، إذ قال: «جاءه أبو سعيد الخدري فقال: يا أبا عبد الله، إني لكم ناصح، وإني عليكم مشفق، وقد بلغني أنه قد كاتبك قوم من شيعتكم بالكوفة يدعونك الى الخروج إليهم، فلا- تخرج إليهم! فإني سمعتُ أباك يقول بالكوفة: والله لقد مللتهم وأبغضتهم وملّوني وأبغضوني! وما يكون منهم وفاء قط! ومن فاز بهم فاز بالسهم الأخبب، والله مالهم نيات ولا عزم على أمر، ولا صبرٌ على السيف!». (١)

وروى ابن كثير أيضاً نصّاً آخر عن لسان أبي سعيد الخدري (ره) أنه قال:

«غلبني الحسين على الخروج، وقلت له: إتق الله في نفسك! والزم بيتك ولا تخرج على إمامك!!». (٢)

تأمل وملاحظات: ص : ٣١٥

(١)- هذان النصان لم يرد أيّ ذكر لهما في التواريخ الشيعية، فهما سني المنبع، وإذا كان المتأمل لا يجد بأساً في قبول النصّ الأوّل مع ما فيه من بعض الهنات، فإنه يقف ذاهلاً متحيراً في دهشته إزاء النصّ الثاني لأنه يشبه تماماً في محتواه- من حيث الجساره وسوء الأدب في مخاطبة الإمام عليه السلام- خطابات قتله الإمام عليه السلام الذين تألبوا وتآزروا على قتله في كربلاء! أمثال شمر وعزرة بن قيس وغيرهم من مسوخ هذه الأمة! الذين اتهموا الإمام عليه السلام بالخروج على (إمامهم!) يزيد.

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٣١٦

ولذا فالمتأمل المنصف العارف لا يتردد في- بل يقطع- أن النصّ الثاني من مكذوبات مرتزقة الإعلام الأمويّ أعداء أهل البيت عليهم السلام ليزينوا للسذج من هذه الأمة أن جمعاً من صحابه رسول الله صلى الله عليه وآله ذوى المكانة المرموقة قد أنكروا على الإمام الحسين عليه السلام خروجه وقيامه، واتهموه بشق عصا الطاعة وتفريق كلمه الأمة! فهذا نصّ مفترى على أبي سعيد الخدري (ره)، ومر بنا من قبل هذا نصّ مفترى آخر على جابر بن عبد الله الأنصاري (ره)، والأمثلة كثيرة!

(٢)- ولكي يطمئنّ القارئ تماماً إلى أنّ هذا النصّ مكذوب على أبي سعيد ومفترى عليه، يحسن هنا أن نقدّم صورة مباركة موجزة عن هذا الصحابي الجليل العارف بحق أهل البيت عليهم السلام، المتأدّب في محضر من شهد منهم:

إنّه سعد بن مالك بن سنان الخزرجي، من مشاهير أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ونجباء الأنصار وعلمائهم، شهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله إثنتي عشرة غزوة أولها الخندق، وتوفي عام ٦٤ أو ٧٤. (١)

وولائه لأئمة المؤمنين علىّ عليه السلام معروف، فهو من السابقين الذين رجعوا اليه، ورواياته في فضائل علىّ عليه السلام كثيرة، وكذلك رواياته عن النبيّ صلى الله عليه وآله في فضائل وأسماء الأئمة الاثني عشر عليهم السلام. (٢)

كما ورد عن الامام الصادق عليه السلام في مدحه أنّه «رُزق هذا الأمر، وكان مستقيماً». (٣)

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٣١٧

كما ذكره الإمام الرضا عليه السلام ضمن من لم يتغيروا ولم يبدلوا، (١) فهو من الذين تجب ولايتهم، والمستفاد من هذا وثاقته وجلالته.

هذا وقد مدحه علماء الرجال والتراجم:

فقد قال فيه الشيخ عباس القميّ (ره): «كان من السابقين الذين رجعوا إلى أمير المؤمنين، وكان من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، وكان مستقيماً». (٢)

وذكر السيّد الخوئي (ره) إطراء الرجالين وثناءهم عليه ولم يذكر أيّ قدح فيه أو ذمّ له! (٣)

وقد دافع التستري عنه حينما عدّه المسعودى فيمن تخلف عن بيعه أمير المؤمنين عليه السلام قائلاً: «إلّا أنه بعد اتفاق أخبارنا على استقامته وقوله بإمامة أمير المؤمنين عليه السلام وجب القول إمّا باستبصاره بعد، أو باشتباه المسعودى وأنه رأى تخلف سعد بن مالك - أى سعد بن أبى وقاص - فتوهمه الخدرى! - فكلُّ منهما سعد بن مالك». «٤»

٢- قد ينقدح فى ذهن المتأمل سؤال حول سرّ عدم إلتحاق أبى سعيد بالإمام عليه السلام مع ماله من معرفة بحق أهل البيت عليهم السلام وولائه لهم؟

وهل يمكن القول: إن ذلك لا يضرُّ بحسنه واستقامته؟!

قال النمازى: «ولانعلم علّة عدم حضوره لنصرة الحسين عليه السلام، فلا يضرُّ ذلك

مع الركب الحسينى (ج ٢)، ص: ٣١٨

فى حسنه واستقامته». «١»

وقال المامقانى: «إنّ بعض الأواخر قد استشكل فى حسن عاقبة الرجل بكونه لم يشهد مع الحسين عليه السلام طفّ كربلاء، مع أنّه ممن سمع رسول الله صلى الله عليه وآله يقول:

الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة. وهذا إشكال واه ضعيف، إذ لم يُحرز علمه بخروجه عليه السلام الى كربلاء! ولا علم عدم عذره لو كان عالماً، وليس كلّ متخلف عنه عليه السلام هالكاً، نعم لا ينال تلك الدرجات الرفيعة المعدّة لأصحابه، وقد تبّهنا على ذلك فى فوائده المقدّمة». «٢»

كلام المامقانى (ره) فى الفائدة السادسة والعشرين: ص: ٣١٨

ويحسن هنا أن نقرأ ماقاله المامقانى (ره)، فى الفائدة السادسة والعشرين:

قال (ره): «إذا ثبت حسنُ حال الرجل أو عدالته وثقته، لم يمكن المناقشة فى ذلك بحياته فى زمان وقعة الطفّ وتركه الحضور لنصرة سيّد المظلومين عليه السلام، ضرورة أنّ عدم الحضور فعل مجمل لا يحمل على الفاسد إلّا إذا احرز فيه جهة الفساد. وسبب الحمل على الصّحة فى ذلك واضح لائح، ضرورة أنّ الرجل إن كان كوفياً فإنّ ابن زياد قد حبس أربعمائة وخمسين رجلاً من الشيعة والموالين حتى لا يحضروا النّصرة! فلعلّ الرجل كان فيهم.

وأيضاً فقد صدّ على الطرق حتى لا يصل أحدٌ الى كربلاء!

ومن حضر الطفّ: بين من كان معه، ومن خرج فى عسكر ابن سعد ولما بلغ

مع الركب الحسينى (ج ٢)، ص: ٣١٩

كربلاء انصرف الى الحسين عليه السلام.

ولعلّ من لم يحضر لم يلتفت إلى إمكان هذه المكيدة الحسنّة: أعنى الخروج بعنوان عسكر ابن سعد واللحوق فى كربلاء بالحسين عليه السلام.

وإن كان الرجل من غير أهل الكوفة فلاّنه مضافاً الى رصد الطرق، لم تطل الميّدّة ولم يمهل ابن زياد حتى يبلغهم الخبر، فإنّ أسباب وصول الخبر يومئذٍ من البريد والبرق لم يكن متهيئاً، ورصد الطرق أوجب تأخير وصول الخبر، ولذا لم يدر الأغلب بالوقعة إلّا بعد وقوعها، فعدم الحضور غير قادح فى الرجل بعد إحراز وثاقته أو حسن حاله، إلّا إذا ثبت علمه بالحال وقدرته على الحضور وتخلّفه عنه كما لا يخفى.

وأما المتخلّفون عنه عند حركته من المدينة، فلاّنّ الحسين عليه السلام حين حركته وإن كان يدرى هو وجمع من المطّلعين على إخبار

النبي الأمين بمقتضى خبره صلى الله عليه وآله أنه يستشهد بالعراق إلا أنه في ظاهر الحال لم يكن ليمضى الى الحرب حتى يجب على كل مكلف متابعتة، وإنما كان يمضى للإمامة بمقتضى طلب أهل الكوفة، فالمتخلف عنه غير مؤاخذ بشيء! وإنما يؤاخذ لترك نصرته من حضر الطف أو كان قريباً منه على وجه يمكنه الوصول إليه ونصرته، ومع ذلك لم يفعل وقصر في نصرته، فالمتخلفون بالحجاز لم يكونوا مكلفين بالحركة معه حتى يوجب تخلفهم الفسق، ولذا فإن جملة من الأخيار الأبدال الذين لم يكتب الله تعالى لهم نيل هذا الشرف الدائم بقوا في الحجاز، ولم يتأمل أحد في عدالتهم كابن الحنفية وأضرابه!..» (١)

معالمة الحسينى (ج ٢)، ص: ٣٢٠

مناقشة كلام المامقانى (ره) ص: ٣٢٠

(١) - إن الإخبارات الكثيرة التى أثرت عن النبي صلى الله عليه وآله، وعن أمير المؤمنين عليه السلام، (ومنها قليل عن الحسن عليه السلام)، وعن الحسين عليه السلام نفسه، كانت قد شخصت زمان استشهاده عليه السلام، ومكان الوقعة التى يستشهد فيها، بل وشخصت الحاكم الأمر بقتله عليه السلام وهو يزيد، وأمير جيشه عمر بن سعد، بل وشخصت حتى صفه القاتل المباشر للذبح شمر بن ذى الجوشن، وكانت هذه الإخبارات على كثرتها ووفرة تفصيلاتها قد انتشرت فى أوساط الصحابة خاصة وفى كثير من أوساط الأمة عامة، فمن البعيد ألا يكون المخلصون من الصحابة (فضلاً عن سواهم من الصحابة الذين كانوا يعملون فى خط حركة النفاق) قد علموا - أو توقعوا على الأقل - أن الإمام عليه السلام فى خروجه من المدينة ثم فى خروجه من مكة الى العراق ماضٍ الى حرب وقتال! نعم، قد يُعذر المتخلفون عنه عند خروجه من المدينة بأنهم ربّما لم يعلموا بخروجه لأنّ خروجه من المدينة تمّ بسرعة ولم يعلم به إلا المقربون منه عليه السلام، أو لأنهم لم يكونوا آنذاك فى المدينة، ولكن ما عذرهم فى عدم الالتحاق به عليه السلام فى مكة وقد أقام فيها ما يقرب من مائة وخمسة وعشرين يوماً؟! خصوصاً وأنه قد شاع فى أواخر تلك الأيام بين الناس فى الحجاز أن أهل الكوفة قد كاتبوه وأنه عليه السلام عازم على التوجه الى العراق، بما يكفى لمن يريد الإلتحاق به أن يلتحق به حتى وإن تحرك إليه من المدينة.

(٢) - من هنا وجب أن نبحث عن عذر كل واحدٍ من هؤلاء المخلصين فى تخلفه عن الإلتحاق بالإمام عليه السلام على حدة، فإن علمنا عذره فى عدم إلتحاقه بالإمام عليه السلام فيها ونعمت، وإن علمنا بأنه لا عذر له فى تخلفه وأنه قصر عن نصره الإمام عليه السلام وقعد عن الجهاد معه عمداً فلا يمكننا حينذاك أن نقول بحسنه وعدالته، وإن لم نعلم بعذره أو عدم عذره استصحبنا حسن حال الرجل أو عدالته

معالمة الحسينى (ج ٢)، ص: ٣٢١

ووثاقته إذا ثبت ذلك من مجموع تاريخ سيرته، خصوصاً إذا أتى عليه السلام الإمام زين العابدين على بن الحسين عليهما السلام أو أحد ممن جاء من بعده من الأئمة عليهم السلام.

(٣) - لم ينبج أحدٌ من أعلام الأمة ممن بقى فى الحجاز ولم يلتحق بالإمام عليه السلام من التأمل فى عدالته من خلال التساؤل عن سرّ عدم التحاقه، ولعلّ أكثر من تعرّضوا للتأمل فى عدالتهم المتخلفين من بنى هاشم، كابن عباس وابن جعفر وابن الحنفية، ولعلّ الأخير أكثر المتعرضين لهذا التأمل منذ أيام الأئمة عليهم السلام (١) وإلى الآن، مع أنّ المأثور أنّ ابن الحنفية (رض) أقعده وأعجزه المرض عن الإلتحاق بالإمام عليه السلام، وورد أنّ ابن جعفر كان مكفوفاً، وتحقق عندنا أنّ ابن عباس (رض) كان عذره فى كونه مكفوفاً أو ضعيف البصر جداً آنذاك. (٢)

فالأمر ليس كما ذهب إليه المامقانى (ره) بقوله: «.. ولم يتأمل أحدٌ فى عدالتهم كابن الحنفية وأضرابه!».

(٤) - أمّا فيما يتعلّق بأمر أبى سعيد الخدرى (ره)، فقد وردت روايات عن الإمامين الصادق والرضا عليهما السلام تثنى عليه وتمدحه،

كقول الإمام الصادق عليه السلام فيه:

«رُزق هذا الأمر، وكان مستقيماً» (۳)

، وعدّه الإمام الرضا عليه السلام فيمن لم يُغيروا ولم يبدّلوا، وهذا يكفي في الإطمئنان الى حسن حاله ووثاقته وعدالته.

مع الريب الحسيني (ج ۲)، ص: ۳۲۲

رسالة المسور بن مخرمه ص : ۳۲۲

إشارة

روى ابن عساكر أنّ المسور بن مخرمه كتب الى الإمام الحسين عليه السلام رسالة يقول فيها: «إياك أن تغترب بكتب أهل العراق، ويقول لك ابن الزبير: إلحق بهم فإنهم ناصروك! إياك أن تبرح الحرم، فإنهم إن كانت لهم بك حاجة فيضربون إليك آباط الإبل حتى يوافوك! فتخرج في قوة وعدّه». (۱)

«فجزاه الحسين خيراً وقال: أستخير الله في ذلك!». ۲

تأمل وملاحظات: ص : ۳۲۲

(۱) - إن محتوى هذه الرسالة كاشف عن أنّ المسور بن مخرمه بعث بها إلى الامام عليه السلام في مكّه، بدليل قوله: «إياك أن تغترب بكتب أهل العراق! ويقول لك ابن الزبير: إلحق بهم فإنهم ناصروك!»، ذلك لأن كتب أهل الكوفة لم تصل إلى الامام عليه السلام إلا في مكّه، كما أنّ ابن الزبير لم يُشر على الامام عليه السلام بالتوجه الى العراق إلا في مكّه المكرمه، هذا فضلاً عن الدليل الواضح في قوله: «إياك أن تبرح الحرم!».

(۲) - صاحب هذه الرسالة هو المسور بن مخرمه بن نوفل القرشي الزهري، وأمه عاتكة أخت عبدالرحمن بن عوف وهي زهرية أيضاً، ولد بعد الهجرة بستين، وكان من صغار الصحابه، قدم دمشق بريداً من عثمان يستصرخ معاوية، وكان ممن يلزم عمر بن الخطاب ويحفظ عنه، وقد انحاز الى مكّه مع ابن الزبير وسخط إمرة يزيد، وقد أصابه حجر منجنيق في الحصار فبقى أياماً ومات، وكانت

مع الريب الحسيني (ج ۲)، ص: ۳۲۳

الخوارج تغشاه وتنتحله. (۱)

وأما عندنا فهو مجهول، وذكر السيد الخوئي (ره) أنّ الشيخ عدّه في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله تارة، وأخرى في أصحاب عليّ عليه السلام قائلاً: المسور بن مخرمه كان رسوله عليه السلام الى معاوية، (۲) وقد روى الشيخ الطوسي رحمه الله في الأمالي رواية يُسَمُّ منها ضعف المسور بن مخرمه، (۳) ونقل القرشي عن كتاب الإصابة أنه كان من أهل الفضل والدين، (۴) كما نقل الأميني (ره) عن كتاب أنساب الأشراف قائلاً:

«وكان مسور بن مخرمه الصحابيّ ممن وفد الى يزيد، فلما قدم شهد عليه بالفسق وشرب الخمر، فكتب الى يزيد بذلك، فكتب الى عامله يأمره أن يضرب مسوراً الحدّ، فقال أبو حرة:

أيشربها صهباء كالمسك ريحها أبو خالد، والحدّ يُضرب مسوراً» (۵)

(۳) - قد يُستفاد من بعض الأقوال التي أوردناها في النقطة الثانية أنّ المسور بن مخرمه كان عمرى المثل عثمانى الهوى، كما قد يُستفاد من نقل الشيخ (ره) أنه كان رسول عليّ عليه السلام إلى معاوية، ومن رواية البلاذري أنه شهد على يزيد بالفسق

مع الريب الحسيني (ج ۲)، ص: ۳۲۴

وشرب الخمر، ومن قول الذهبي أنه سخط إمرة يزيد، أن المسور بن مخزوم ربيما كان ذا شيء من التدين، وعلى هذا يحتمل أنه كتب رسالته الى الامام عليه السلام بدافع الشفقة والخوف عليه من غدر أهل الكوفة، ويساعد على هذا الاحتمال ما ورد في آخر رواية ابن عساكر أن الإمام عليه السلام جزاه خيراً، هذا على فرض صحة الرواية أصلاً!!
كما يظهر من متن الرسالة أن المسور كان عارفاً بمكر ابن الزبير حيث يقول:
«ويقول لك ابن الزبير: إلحق بهم فإنهم ناصروك!» لكن العجيب أن الذهبي يذكر أنه انحاز بعد ذلك إلى مكة مع ابن الزبير، وقتله حجر منجنيق أصابه في الحصار!

رسالة عمره بنت عبدالرحمن ص : ٣٢٤

إشارة

وروى ابن عساكر أيضاً قائلاً: «وكتبت إليه عمره بنت عبدالرحمن، تعظم عليه ما يريد أن يصنع [من إجابة أهل الكوفة]، وتأمره بالطاعة ولزوم الجماعة! وتخبره أنه إنما يساق الى مصرعه وتقول: اشهد لحدثني عائشة أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: يُقتل حسين بأرض بابل!. فلما قرأ [الحسين عليه السلام] كتابها قال:
فلا بُد لي إذن من مصرعي! ومضى.» (١)

إشارة: ص : ٣٢٤

عمره بنت عبدالرحمن بن سعد الأنصاري المدنية، لم يرد لها ذكر في كتبنا الرجالية ولا التراجم، لكن كتب السنن ترجمت لها بإطراء وثناء عليها! فها هو الذهبي يقول فيها: «الفقيهة، تربية عائشة وتلميذتها ... كانت عالمة، فقيهة، حجة، كثيرة العلم، وحديثها كثير في دواوين الإسلام، توفيت عام ثمان وتسعين.» (٢)

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٣٢٥

ويُغينا قول الذهبي فيها إنها تربية عائشة وتلميذتها عن كل تعليق!

ذلك لأن كراهية عائشة لأهل البيت عليهم السلام وحقدوا عليهم أمر أوضح من الشمس في رابعة النهار، فعن أمير المؤمنين عليه السلام: «وأما فلانة فأدركها رأى النساء وظغن غلا في صدرها كمرجل القين!» (١)

ولم تتورع عائشة عن إعلان هذه الكراهية في مواقف كثيرة، وهل ينسى منعها دفن الإمام الحسن عليه السلام إلى جوار جدّه صلى الله عليه وآله وقولها: «تريدون أن تدخلوا بيتي من لا أهوى ولا أحب!» (٢) وقولها: «نحوا ابنكم عن بيتي!» (٣)

فإذا كان هذا حال الأستاذة فما حال مريدتها ورببيتها؟! وهل يُتوقع منها غير أن تأمر الإمام عليه السلام بإطاعة يزيد وعدم شق عصا الجماعة! والقعود عن أي قيام في وجه الطاغوت!

حركة الأمة في الكوفة ص : ٣٢٥

كان الكوفيون يكاتبون الإمام الحسين عليه السلام - بعد استشهاد الامام الحسن عليه السلام - باذلين له الطاعة ويدعونهم الى القيام والنهضة ضد معاوية، فقد روى البلاذري أنه:

«لما توفي الحسن بن علي اجتمعت الشيعة، ومعهم بنو جعدة بن هبيرة بن أبي

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٣٢٦
 وهب المخزومي، «١» وأمّ جعده أمّ هاني بنت أبي طالب، في دار سليمان بن صرد، وكتبوا إلى الحسين كتاباً بالتعزية، وقالوا في كتابهم: إن الله قد جعل فيك أعظم الخلف ممن مضى، ونحن شيعتك المصابه بمصيبتك، المحزونة بحزنك،
 مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٣٢٧

المسرورة بسرورك، المنتظرة لأمرك. وكتب إليه بنو جعده يخبرونه بحسن رأى أهل الكوفة فيه، وحبهم لقدمه، وتطلعهم إليه، وأن قد لقوا من أنصاره وإخوانه من يرضى هديه ويطمأن إلى قوله، ويعرف نجاته وبأسه، فأفصوا إليهم ما هم عليه من شأن ابن أبي سفيان والبراء منه، ويسألونه الكتاب إليهم برأيه...»، «١» وكذلك نقل الشيخ المفيد (ره) عن الكلبي والمدائني وغيرهما من أصحاب السير أنهم قالوا: «لما مات الحسن عليه السلام تحزكت الشيعة بالعراق، وكتبوا إلى الحسين عليه السلام في خلع معاوية، والبيعة له...» «٢» وكان الإمام الحسين عليه السلام في كل ذلك يمتنع عليهم، ويذكر لهم أن بينه وبين معاوية عهداً وعقداً لا يجوز له نقضه حتى تمضي المدّة، فإذا مات معاوية نظر في ذلك.

لكنّ الثابت- من قرائن تاريخه عديده- أن نبأ موت معاوية وصل الى أهل الكوفة بعد وصول الامام الحسين عليه السلام إلى مكة المكرمة أو وهو في الطريق إليها، ومعنى هذا: أنه لم تصل الى الامام عليه السلام وهو في المدينة- في غضون أيام إعلانه رفض البيعة ليزيد إلى حين خروجه عنها- آية رسالته من أهل الكوفة تنبئ عن علمهم بموت معاوية، وعن دعوتهم الإمام عليه السلام إليهم، ولا من أهل مكة أيضاً، ولا من سواهما. «٣»
 مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٣٢٨

أول اجتماع للشيعة في الكوفة بعد هلاك معاوية ص: ٣٢٨

روى الطبري قائلاً: «فلما بلغ أهل الكوفة هلاك معاوية أرحف أهل العراق بيزيد، وقالوا: قد امتنع حسين وابن الزبير ولحقا بمكة، فكتب أهل الكوفة الى حسين...»، وروى أيضاً عن أبي مخنف، عن الحجاج بن علي، عن محمد بن بشر الهمداني «١» قال: «اجتمعت الشيعة في منزل سليمان بن صرد، «٢» فذكرنا هلاك
 مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٣٣٢
 معاوية فحمدنا الله عليه.

فقال لنا سليمان بن صرد: إن معاوية قد هلك، وإن حسيناً قد تقبض على القوم ببيعته، وقد خرج الى مكة، وأنتم شيعته وشيعة أبيه، فإن كنتم تعلمون أنكم ناصره ومجاهدو عدوه فاكتبوا إليه، وإن خفتهم الوهل والفشل فلا تغزوا الرجل من نفسه!
 قالوا: لا، بل نقاتل عدوه ونقتل أنفسنا دونه!
 قال: فاكتبوا إليه.

فكتبوا إليه: بسم الله الرحمن الرحيم.
 لحسين بن علي، من سليمان بن صرد، والمسيب بن نجبة، «١» ورفاعة بن
 مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٣٣٣

شداد، «١» وحيب بن مظاهر، «٢» وشيعته من المؤمنين والمسلمين من أهل الكوفة.
 سلام عليك. فإننا نحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو.

أما بعد: فالحمد لله الذي قصم عدوك الجبار العنيد الذي انتزى على هذه الأمة فابتزها وغصبها فيأها وتأمر عليها بغير رضى منها، ثم

قتل خيارها واستبقى

معالركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٣٣٤

شراها، وجعل مال الله دولة بين جابرتها وأغنيائها، فبعداً له كما بعدت ثمود.

إنه ليس علينا إمام، فأقبل لعل الله أن يجمعنا بك على الحق، والنعمان بن بشير في قصر الإمارة لسنا نجتمع معه في جمعة، ولانخرج معه إلى عيد، ولو قد بلغنا أنك قد أقبلت إلينا أخرجناه حتى نلحقه بالشام إن شاء الله، والسلام ورحمة الله عليك..» (١)

رسل الكوفة إلى الإمام عليه السلام ص : ٣٣٤

إشارة

«ثم سرحوا بالكتاب مع عبدالله بن مسمع الهمداني،» (٢) وعبدالله بن وال،» (٣)

معالركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٣٣٥

وأمرهما بالنجاء، فخرجا مسرعين حتى قدما على الحسين عليه السلام بمكة لعشر مضي من شهر رمضان..» (١)
وقال ابن كثير: «فكان أول من قدم عليه عبدالله بن سبع الهمداني، وعبدالله ابن وال، ومعهما كتاب فيه السلام والتهنئة بموت معاوية..» (٢)

معالركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٣٣٦

وروى ابن الجوزي عن الواقدي صيغته أخرى للرسالة الأولى التي بعث بها أهل الكوفة- ولعلها رسالة أخرى- قائلاً: «ولما استقرّ الحسين بمكة، وعلم به أهل الكوفة كتبوا إليه يقولون: إنا قد حبسنا أنفسنا عليك! ولسنا نحضر الصلاة مع الولاة، فاقدم علينا فنحن في مائة ألف! وقد فشا فينا الجور، وعمل فينا بغير كتاب الله وسنة نبيه، ونرجوا أن يجمعنا الله بك على الحق، وينفي عنا بك الظلم، فانت أحق بهذا الأمر من يزيد وأبيه الذي غصب الأمة فيثها، وشرب الخمر ولعب بالقروود والطنابير، وتلاعب بالدين.

وكان ممن كتب إليه سليمان بن صرد والمسيب بن نجبة ووجوه أهل الكوفة..» (١)

معالركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٣٣٧

إشارة: ص : ٣٣٧

لا يخفى على المتأمل في محتوى الرسائل التي بعث بها أهل الكوفة إلى الإمام عليه السلام، وفي تعبير ابن كثير «ومعهما كتاب فيه السلام والتهنئة بموت معاوية» أن جواً نفسياً طافحاً بالإبتهاج والفرحة عمّ الشيعة في الكوفة لموت معاوية، الذي كان قد أذاقهم الويلات في جميع جوانب حياتهم، وجثم على صدورهم سنين عجايفٍ طويلةٍ مريرةٍ يخنق أنفاسهم ويحصيها عليهم، ويرصد الشاردة والواردة من حركاتهم، ويجرّعهم مرارة الفقر وعذاب مكابدة حروبه في الداخل والخارج، وكان يُضاعف في فظاعة هذا الكابوس، وفي شوقهم إلى يوم الخلاص منه، أنهم كانوا كلما كاتبوا الإمام عليه السلام يدعونهم إلى القيام والنهضة ردّ عليهم يوصيهم- لحكمته البالغة- بالتزام الصبر ومواصلة الإنتظار مادام معاوية حياً، فلما مات معاوية شعر أهل الكوفة وكأنهم أطلقوا من عقال، وأفاقوا وقد تحرّرت ألسنتهم وأيديهم بعد أن زال عنهم ذلك الكابوس المطبق، فتباشروا فرحاً وتبادلوا التهاني والسرور بموت الطاغية، وأعينهم كقلوبهم تنظر بلهفة إلى ماذا سيفعل الإمام عليه السلام منتظرة إشارته.

لكنّ الصادقين منهم قليل، إذ كان الشلل النفسي ومرض ازدواج الشخصية وحبّ الدنيا وكرهية الموت قد تفشى في حياة هذه الأمة، وكان بدء نشوئه في السقيفة وتعاضم فيما بعدها، حتى نُكسَّ جُلُّ الناس على رؤوسهم، فصارت قلوبهم مع الإمام عليه السلام وسيوفهم

عليه، فكان انقلابهم وتخاذلهم عن مواصلة النهضة مع مسلم بن عقيل عليه السلام، ذلك الانقلاب الذي يحارفيه المتأمل المتدبر ويذهل من سهولة وسرعة وقوعه! ثم كانت نكسة هذه الأمة الكبرى بقتلها الإمام عليه السلام في عاشوراء.
مع الركب الحسيني (ج ۲)، ص: ۳۳۸

دفعه أخرى من الزل والرسائل! ص : ۳۳۸

قال الشيخ المفيد (ره): «ولبت أهل الكوفة يومين بعد تسريحهم بالكتاب، وأنفذوا قيس بن مسهر الصيداوي، وعبدالله وعبدالرحمن ابني شداد الأرحبي، وعماره بن عبدالله السلولي، إلى الحسين عليه السلام، ومعهم نحو مائة وخمسين صحيفة، من الرجل، والإثنين، والأربعة...». (۱)

ثم دفعه أخرى! ص : ۳۳۸

قال الشيخ المفيد (ره) أيضاً: «ثم لبثوا يومين آخرين وسرحوا إليه هاني بن هاني السبيعي (۲) وسعيد بن عبدالله الحنفي، (۳) وكتبوا إليه:

بسم الله الرحمن الرحيم. للحسين بن عليّ عليهما السلام من شيعته من المؤمنين والمسلمين: أما بعد، فحيّ هلاً فإنّ الناس ينتظرونك، ولا رأى لهم في غيرك، فالعجل العجل، ثم العجل العجل، والسلام..». (۴)

ثم ما برحت الرسائل تترى على الإمام عليه السلام من أهل الكوفة «يسألونه القدوم عليهم، وهو مع ذلك يتأني ولا يجيبهم، فورد عليه في يوم واحد ستمائة كتاب، وتواترت الكتب حتى اجتمع عنده منها في نوب متفرقة إثني عشر ألف كتاب..». (۵)
مع الركب الحسيني (ج ۲)، ص: ۳۴۰

ولقد روى السيد ابن طاووس (ره) نفس الرسالة التي حملها إلى الإمام عليه السلام هاني بن هاني السبيعي وسعيد بن عبدالله الحنفي، ولكن بتفاوت وإضافه مفصلة، ويرى السيد (ره) أنّ هذه الرسالة كانت آخر ما ورد على الإمام عليه السلام من أهل الكوفة، ولعلّ من الأفضل أن ننقل متن هذه الرسالة أيضاً كما رواها السيد ابن طاووس (ره)، وهي:

«بسم الله الرحمن الرحيم. للحسين بن عليّ أمير المؤمنين عليه السلام من شيعته وشيعه أبيه أمير المؤمنين عليه السلام. أمّا بعد: فإنّ الناس ينتظرونك، لا- رأى لهم غيرك، فالعجل العجل يا ابن رسول الله، فقد اخضرت الجنات، وأينعت الثمار، وأعشبت الأرض، وأورقت الأشجار، فاقدم علينا إذا شئت، فإنما تقدم على جند مجندة لك، والسلام عليك ورحمة الله وعلى أيك من قبلك..». (۱)

دور المنافقين في موجة الرسائل: ص : ۳۴۰

ركب المنافقون والذين في قلوبهم مرض موجة الرسائل التي بعث بها أهل الكوفة إلى الإمام عليه السلام، فشاركوا فيها، أو كتبوا إليه مستقلين عن غيرهم يدعونه أيضاً إلى القدوم عليهم مدعين الطاعة له والاستعداد لنصرته!

روى السيد ابن طاووس (ره) أنّ الإمام عليه السلام بعد أن قرأ الكتاب الذي حمله إليه هاني بن هاني وسعيد الحنفي سألهما قائلاً:
مع الركب الحسيني (ج ۲)، ص: ۳۴۱

«خبراني من اجتمع على هذا الكتاب الذي كتب به إليّ معكما؟»

فقالا: يا ابن رسول الله، شبت بن ربيعى، وحجّار بن أبجر، ويزيد بن الحارث، ويزيد بن رويم، وعروة بن قيس، وعمرو بن الحجّاج، ومحمّد بن عمير بن عطاردا!..» (١)

لكنّ الشيخ المفيد (ره) ذكر أنّ هؤلاء- المنافقين - كتبوا إلى الإمام عليه السلام رسالةً مستقلّةً عن رسائل غيرهم، فقال: «تمّ كتب شبت بن ربيعى، (٢) وحجّار بن أبجر، (٣)

مع الركب الحسينى (ج ٢)، ص: ٣٤٢

ويزيد بن الحارث بن رويم، (١) وعروة بن قيس، (٢) وعمرو بن الحجّاج الزبيدى، (٣)

مع الركب الحسينى (ج ٢)، ص: ٣٤٤

ومحمّد بن عمرو التيمى (١): «أما بعد، فقد اخضّر الجناب، وأينعت الثمار، فإذا شئت فأقبل على جنّدٍ لك مجنّده..» (٢)

التعاطف الكبير مع سفير الحسين عليهما السلام ص : ٣٤٤

بعد أن عمّت الفرحة الكوفة وشاع أريج الإبتهاج فيها لموت معاوية بن أبى سفيان، كان همّ أكثر أهل الكوفة- بعد أن علموا بامتناع الإمام الحسين عليه السلام عن مبايعته يزيد وارتحاله الى مكّة المكرّمة- استنهاض الإمام عليه السلام للقيام ودعوته الى التوجّه إليهم، فكانت رسائلهم الكثيرة إليه.

ولم تزل قلوبهم وأعينهم ترقب الأنباء القادمة إليهم من مكّة، إذ لعلّ طالعاً بالخير يحمل إليهم نبأ البشرى بقدم الإمام عليه السلام، أو قدوم نائب عنه يسبقه إليهم، فلما أفاقوا ذات يوم على خبر مجيء مسلم بن عقيل عليه السلام إليهم ونزوله دار المختار بين ظهرائهم سفيراً عن الحسين عليه السلام، هبوا للقائه ولتقديم البيعة

مع الركب الحسينى (ج ٢)، ص: ٣٤٥

للإمام عليه السلام على يديه، وكان أقلّ عدد ذكره المؤرّخون لمن بايع مسلماً عليه السلام منهم اثني عشر ألفاً.

قال ابن عسّاكر: «كان مسير الحسين بن على من مكّة الى العراق بعد أن بايع له من أهل الكوفة اثنا عشر ألفاً على يدى مسلم بن عقيل، وكتبوا إليه فى القدوم عليهم ..» (١)

وقال المحقّق المقرّم (ره): «وأقبلت الشيعة يبايعونه حتى أحصى ديوانه ثمانية عشر ألفاً، وقيل بلغ خمسة وعشرين ألفاً..» (٢)

وعن ابن نما (ره): «إنّ أهل الكوفة كتبوا إليه: إنّنا معك مائة ألف!، وعن داود بن أبى هند، عن الشعبى قال: بايع الحسين عليه السلام أربعون ألفاً من أهل الكوفة على أن يحاربوا من حارب ويسالموا من سالم..» (٣)

ولاشكّ أنّ هذا العدد سواء فى أقلّ تقدير له أو أعلى تقدير حاكٍ عن انتفاضة شعبيةً وتحرك جماهيرى واسع النطاق تأييداً للإمام عليه السلام ورفضاً للحكم الأموى، بل يُستفاد من رسالة مسلم بن عقيل عليه السلام إلى الإمام عليه السلام أنّ الكوفة كلّها كانت مع الإمام عليه السلام! فإنّ نصّ الكتاب: «أما بعد، فإنّ الرائد لا يكذب أهله، وقد بايعنى من أهل الكوفة ثمانية عشر ألفاً، فعجّل الإقبال حين يأتيك كتابى هذا، فإنّ الناس كلّهم معك! ليس لهم فى آل معاوية رأى ولاهوى، والسلام..» (٤)

مع الركب الحسينى (ج ٢)، ص: ٣٤٦

الإجتماع الأوّل مع سفير الإمام عليه السلام ص : ٣٤٦

روى الطبرى يقول: «ثم أقبل مسلم حتى دخل الكوفة،» (١) فنزل دار المختار بن أبى عبيد، وهى التى تُدعى اليوم دار مسلم بن المسيب، وأقبلت الشيعة تختلف إليه، فلما اجتمعت إليه جماعة منهم قرأ عليهم كتاب حسين، فأخذوا يبكون! فقام عابس بن أبى شيبب الشاكرى، (٢) فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أمّا بعدُ فإنّى لا- أُخبرك عن الناس، ولا أعلم ما فى أنفسهم، وما أغرّك منهم! واللّه، أحدثك عمّا أنا موطنٌ نفسى عليه، واللّه لأجيبنكم إذا دعوتهم، ولأقاتلنّ معكم عدوّكم، ولأضربنّ بسيفى دونكم حتى ألقى الله، لا أريد بذلك إلّا ما عند الله!

فقام حبيب بن مظاهر الفقعى فقال: رحمك الله، قد قضيت ما فى نفسك بواجزٍ من قولك! ثم قال: وأنا والله الذى لا إله إلّا هو على مثل ما هذا عليه!. ثم قال الحنفى مثل ذلك!.. (٣)

إشارة: ص : ٣٤٦

لهذه الرواية تتمه تتحدث عن جوّ آخر غير الجوّ الحماسى الحسينى الذى تجلّى فى مقالات ومواقف رجال مؤمنين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، أمثال عابس بن أبى شيبب الشاكرى، وحبيب بن مظاهر الأسدى، وسعيد بن عبدالله الحنفى، رضوان الله تعالى عليهم أجمعين. جوّ آخر يُخفى نفسه- على استيحاء- فى الأجواء الحماسية فلا يبين! وإن

معالركب الحسينى (ج ٢)، ص: ٣٤٧

كان تأثيره هو التأثير الأقوى والفاعل فى تحديد ورسم مواقف أكثر الناس من أهل الكوفة يومذاك، إنه جوّ الشلل النفسى الذى تفشى فى أكثر الناس آنذاك وطغى عليهم حتى تنكروا لبصائرهم، فاستحبوا العمى على الهدى، وخالفت أيديهم قلوبهم، فأطاعت سيوفهم من كرهوا! فقتلت أعزّ من أحبوا!، وماذاك إلّا للوهن الذى أصابهم حين كرهوا الموت وأحبوا الحياة الدنيا، فصاروا من خوف الموت فى ذلّ! فازدوجوا وتناقض الظاهر مع الباطن فيهم، وكذلك يستحوذ الشيطان على من يؤثر الدنيا على الآخرة!

يقول الحجاج بن على- الذى يروى عنه أبو مخنف قصة هذا الاجتماع:-

فقلت لمحمد بن بشر- الهمدانى الذى كان حاضراً هذا الاجتماع وروى قصته:-

فهل كان منك أنت قول؟

فقال: أنى كنت لأحب أن يُعزّ الله أصحابى بالظفر، وما كنت لأحب أن أقتل، وكرهت أن أكذب!! (١)

الكوفة بانتظار الحسين عليه السلام ص : ٣٤٧

فى غمرة التفافها حول مسلم بن عقيل عليه السلام، وعدم مبالاتها بواليتها يومذاك النعمان بن بشير الذى ضعف قبال موجة انتفاضة الامة أو كان يتضعّف!، كانت أعين أهالى الكوفة ترقب طريق القوافل القادمة من الحجاز، وقلوبهم بأيديهم ينتظار لحظات القدوم المبارك، قدوم الإمام الحسين عليه السلام، ليفرشوا تلك القلوب زرابىً مبنوثة على تراب طريق مقدم ابن رسول الله صلى الله عليه وآله.

معالركب الحسينى (ج ٢)، ص: ٣٤٨

وذات يوم أبصرت أعين أهل الكوفة رجلاً مثلثاً، معتماً بعمامة سوداء، وعليه ثياب يمانية، قادماً وحده، راجلاً ممسكاً بزمام بغلته! فظنوا أنه الإمام الحسين عليه السلام!- ويالسذاجه هذا الظن!- «فقال: امرأة: الله أكبر! ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وربّ الكعبة! فتصايح الناس، وقالوا: إنّنا معك أكثر من أربعين ألفاً! وازدحموا عليه حتى أخذوا بذنب دابته، وظنّهم أنه الحسين عليه السلام..» (١) فكان لا- يمرّ على جماعة من الناس إلّا سلّموا عليه وقالوا: مرحباً بك يا ابن رسول الله! قدمت خير مقدم!، وجعل يمرّ بالمحارس،

فكلما نظروا إليه لم يشكوا أنه الإمام الحسين عليه السلام! فيقولون: مرحباً بك يا ابن رسول الله! وهو لا يكلمهم! وخرج إليه الناس من دورهم وبيوتهم! يسايرونه طريقه الى قصر الإمارة، وهو لا يحييهم ولا يكلمهم!

وسمع النعمان بن البشير بالصخب القادم على الطريق، فأغلق عليه وعلى خاصته القصر! وهو لا يشك أيضاً أن هذا القادم هو الحسين عليه السلام ومعه الخلق يضحون! ملتفين حوله، فلمّا انتهى إليه قال له النعمان: أنشدك الله إلاً تنحيت! فما أنا بمسلم إليك أمانتي! ومالي في قتالك من أرب!

والقادم لا يكلمه! حتى دنا وتدلّى النعمان بين شرفتين قريباً جداً منه، فقال هذا القادم: إفتح لا فتحت! فقد طال ليالك! فسمعها إنسان كوفى خلفه، فانكفاً الى الناس وقد أخذته الدهشة وهو يقول: أي قوم! ابن مرجانة! والذي لا إله غيره! فاندھش الناس، وقالوا- وهم يتشبتون بظنهم الساذج-: ويحك إنما هو الحسين! «۲» وفي رواية ابن نما (ره): «.. فحسر اللثام وقال: أنا عبيدالله! فتساقط القوم، ووطيء مع الركب الحسيني (ج ۲)، ص: ۳۴۹

بعضهم بعضاً، ودخل دار الإمارة...» (۱)

فالقادم إذن لم يكن الإمام عليه السلام، بل كان عبيد الله بن زياد وابن مرجانة لعنهم الله، الوالى الذى أرسلته السلطة الأموية المركزية فى الشام بمشورة من سرجون النصراني إلى الكوفة، للسيطرة على طوارئ حركة الأمة فيها، لماله من معرفة بخصائص النفسية الكوفية، وخبرة إدارية شيطانية، وقدرة على الظلم والغشم.

أهل الكوفة .. والمبادرة المطلوبة ص : ۳۴۹

هناك مجموعة من العوامل والشرائط اللازمة لنجاح أى تحرك ثورى يهدف الى تغيير الاوضاع السياسية فى بلد ما من البلدان، ينبغى لقيادة هذا التحرك الإنتباه إليها والعمل على تحقيقها لضمان نجاح هذا التحرك فى الوصول إلى أهدافه المنشودة. والمتأمل فى تحرك أهل الكوفة بعد موت معاوية- فى رفضهم خلافة يزيد بن معاوية، ومكاتبتهم الإمام الحسين عليه السلام فى مكة، باذلين له الطاعة، وطالبيين منه القدوم إليهم- يرى أن هناك مجموعة من الشرائط اللازمة لنجاح هذا التحرك كان ينبغى لوجهاء وأشراف أهل الكوفة الذين تصدوا لهذا العمل أن يسعوا إلى تحقيقها وتوفيرها حتى يوفق هذا التحرك وهذه الإنتفاضة فى بلوغ الأهداف المنشودة.

ومن أهم وأول الأمور التى كان ينبغى للعقل الكوفى المعارض أن يُعدّ العدة لتحقيقه ويستبق الأيام للقيام به المبادرة إلى السيطرة على الأوضاع فى الكوفة قبل

مع الركب الحسيني (ج ۲)، ص: ۳۵۰

مجيء الإمام عليه السلام إليها، وذلك مثلاً باعتقال الوالى الأموي، وجميع معاونيه وأركان إدارته، ومن عُرف من عيونه وجواسيسه، ومنع الخروج من الكوفة إلّا بإذن خاص، وذلك لحجب أخبار ما يجرى فيها عن مسامع السلطة الأموية أطول مدّة ممكنة من أجل تأخير تحركها لمواجهة الإنتفاضة فى الكوفة قبل وصول الإمام عليه السلام، حتى يصل الإمام عليه السلام فيمسك بزمام الأمور ويقود الثورة إلى حيث كامل الأهداف.

والإهتمام الى ضرورة القيام بمثل هذا المبادرة ليس بدعاً من الأمر، أو من الأفكار التى لا يهتدى إليها إلّا الأوحدي من الناس، بل هو من إدراكات الأذهان العامة، ها هو عبدالله بن العباس (رض) يتحدث عن ضرورة القيام بهذه المبادرة قائلاً للإمام عليه السلام: «فإن كان أهل العراق يريدونك كما زعموا فكتب إليهم فلينفوا عدوهم، ثم اقدم عليهم»، «۱» وهذا عمر بن عبدالرحمن المخزومي يقول للإمام عليه السلام أيضاً: «إنك تأتي بلداً فيه عماله وأمرؤه، ومعهم بيوت الأموال، وإنما الناس عبيد لهذا الدرهم والدينار، ولا آمن

عليك أن يقاتلك من وعدك نصره، ومن أنت أحب إليه ممن يُقاتلك معه»، «٢» وهذا عمرو بن لوذان يخاطب الإمام عليه السلام قائلاً: «وإن هؤلاء الذين بعثوا إليك لو كانوا كفوك مؤنة القتال ووطأوا لك الأشياء فقدمت عليهم، كان ذلك رأياً، فأما على هذه الحال التي تذكر فإنني لا أرى لك أن تفعل!». «٣»

والإمام عليه السلام لا يُخطيء مقولات هؤلاء، بل يُقرّر عليه السلام أن ذلك من النصح والعقل والرأى! فهو يقول لابن عباس: «يا ابن عمّ، إنني والله لأعلم أنك ناصح

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٣٥١

مشفق!»، «١» ويقول للمخزومي: «فقد والله علمت أنك مشيت بنصح وتكلمت بعقل!»، «٢» ويقول لعمرو بن لوذان: «يا عبدالله، ليس يخفى عليّ الرأى!». «٣»

ومن المُلفت للإنتباه أيضاً أنه ليس في رسائل الإمام عليه السلام إلى أهل الكوفة ولا في وصاياهم لمسلم بن عقيل عليه السلام ما يمنع أهل الكوفة من القيام بهذه المبادرة التي أقرّها الإمام عليه السلام أنها من العقل والرأى! بل لقد دعاهم عليه السلام إلى القيام مع مسلم عليه السلام، حيث قال عليه السلام في رسالته الأولى إليهم - على رواية ابن أعثم - «فقوموا مع ابن عمّي وبايعوه وانصروه ولا تخذلوهم!». «٤»

وفي رسالته الثانية التي بعثها إليهم بيد قيس بن مسهرّ الصيداوي (رض) - والتي لم تصل إليهم لأنّ ابن زياد كان قد قبض على الرسول - دعاهم الإمام عليه السلام إلى السرعة والعزم على الأمر والجدّ فيه، حيث قال عليه السلام فيها: «فإذا قدم عليكم رسولى فاكمشوا أمركم وجدوا!»، «٥» إذ الكمّش في الأمر هو العزم عليه والسرعة فيه! «٦»

إذن ما هي علّة عدم مبادرة الشيعة في الكوفة إلى السيطرة على الأوضاع فيها؟! مع أنّ فيهم عدداً يُعتدّ به من رجال ذوى خبرات عريقة في المجالات

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٣٥٢

العسكرية والسياسية والاجتماعية! ولاشك أنّ التفكير بمثل هذه المبادرة قد طرأ على أذهانهم أكثر من مرّة! فلماذا لم يبادروا؟! لعلّ الإجابة على هذا السؤال من أصعب ما يواجه المتأمل في حركة أحداث النهضة الحسينية المقدّسة، ومع هذا فإنّ من الممكن هنا أن نتحدّث باختصار في أهمّ الأسباب التي أدّت إلى عدم مبادرة الشيعة في الكوفة إلى السيطرة على الأوضاع فيها قبل مجيء الإمام عليه السلام إليها، وهي:

(١) - لم يكن للشيعة في الكوفة - وهم من قبائل شتى - خصوصاً في فترة ما بعد الإمام الحسن المجتبي عليه السلام عميد من شيعة أهل الكوفة، يرجعون إليه في أمورهم وملاماتهم، ويصدرون فيها عن رأيه وقراره وأمره.

نعم، هناك وجهاء وأشراف متعدّدون من الشيعة في الكوفة، لكلّ منهم تأثيره في قبيلته، لكنهم لا تصدر مواقفهم إزاء الأحداث الكبرى المستجدة عن تنسيق بينهم وتنظيم يوحد بين تلك المواقف، وينفى عنها التشتت والتفاوت.

ولقد ترسّخت هذه الحالة في شيعة الكوفة خاصة نتيجة السياسات التي مارسها معاوية - بتركيز خاص على الكوفة خلال عشرين من السنوات العجاف الحالكة - في خلق الفرقة والتناحر بين القبائل، والإرهاب والقمع، والمراقبة الشديدة التي ترصد الأنفاس، والإضطهاد المرير والقتل الذي تعرّض له كثير من الشيعة ومن زعمائهم خاصة، الأمر الذي زرع بين الناس على مدى تلك السنين العشرين العجاف الحذر المفرط والخوف الشديد من سطوة السلطان، وضعف الثقة وقلّة الإطمئنان فيما بينهم، والفردية في اتخاذ الموقف والقرار.

ويكفي دليلاً على كلّ ما أشرنا إليه من التعددية والتشتت نفس المنحى الذي تمّت فيه مكاتبة أهل الكوفة الإمام الحسين عليه السلام في مكة، فلولا التعددية في مراكز

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٣٥٣

الوجاهة والزعامه لما تعددت الرسائل والرسائل منهم إلى الإمام عليه السلام.

فلو كان لهم زعيم واحد يصدر عن رأيه وأمره لكفى الإمام عليه السلام منهم رسالة واحدة تأتي من زعيمهم، لا إثنا عشر ألف رسالة!، ولما احتاج الإمام عليه السلام إلى أن يسأل آخر الرسل: «خبراني من اجتمع على هذا الكتاب الذي كتب به إليّ معكم؟». «١» كما يكفي دليلاً على ضعف الثقة والإطمئنان، والفردية في إتخاذ الموقف والقرار، قول الشهيد الفدّ عابس بن أبي شبيب الشاكري (رض) بين يدي مسلم بن عقيل عليه السلام: «أما بعد، فإنّي لا أخبرك عن الناس، ولا أعلم ما في أنفسهم، وما أغرّك منهم! والله أحدثك عما أنا موطن نفسي عليه، والله لأجيبنكم إذا دعوتهم، ولأقاتلنّ معكم عدوكم، ولأضربنّ بسيفي دونكم حتى ألقى الله، لا أريد بذلك إلا ما عند الله». «٢»

٢- هناك ظاهرة عمّت القبائل العربيّة التي استوطنت الكوفة، وهي ظاهرة انقسام الولاء في أفرادها، ففي كلّ قبيلة إذا وجدت من يعارض الحكم الأمويّ أو يوالي أهل البيت عليهم السلام فإنّك تجد أيضاً قبالهم من يوالي الحكم الأمويّ ويخدم في أجهزته، ولعلّ المواليين للحكم الأموي في جُلّ هذه القبائل أكثر من المعارضين له عامه والمواليين لأهل البيت عليهم السلام خاصة. وهذه المشكله ربّما كانت هي المانع أمام زعماء من الشيعة كبار في قبائلهم الكبيرة من أن يُتوّروا قبائلهم ضد الحكم الأمويّ علانية، وينهضوا بهم للقيام بمثل تلك المبادرة المطلوبة، ذلك لأنّ أفراداً كثيرين هناك في نفس القبيلة ممّن

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٣٥٤

يخدمون في أجهزه الأمويين ويوالونهم سيسارعون إلى اخبار السلطه الأمويه بما عزم عليه زعيم قبيلتهم الشيعي، فيقضى على ذلك العمل قبل البدء فيه، كما يقضى على الزعيم الشيعي وعلى أنصاره أيضاً، ففي قبيلة مذحج الكبيرة في الكوفة مثلاً، كما تجد زعيماً شيعياً رائداً مثل هاني بن عروه (رض) تجد إزاءه أيضاً زعيماً آخر - أو أكثر - مثل عمرو بن الحجاج الزبيدي، يتفاني في خدمة الأمويين إلى درجة أن يؤثر مصلحه الأمويين حتى على مصلحه مذحج نفسها، حينما قام بدوره المريب في ركوب موجة انتفاضة مذحج وقيامها لإطلاق سراح هاني (رض) فردّهم عن اقتحام القصر وصرفهم وفرّق جموعهم، بمكيدة منه ومن شريح وابن زياد.

وهذه الظاهرة تجدها في بني تميم، وبني أسد، وكنده، وهمدان، والأزد، وغيرها من قبائل أهل الكوفة.

إذن فقد كان من العسير عملياً على أيّ زعيم كوفي شيعي أن يقود جموع قبيلته في عملٍ ما ضدّ الحكم الأمويّ، وذلك لوجود زعماء آخرين من نفس القبيلة مواليين للحكم الأمويّ، باستطاعتهم التخريب من داخل القبيلة نفسها على مساعي الزعيم الشيعي، أو من خارجها بالإستعانة بالسلطه الأمويه نفسها.

٣- يُضاف إلى السببين الأوّل والثاني - وهما أهمّ الأسباب - سبب ثالث وهو تفشي مرض الشلل النفسي، وازدواج الشخصية، والوهن المتمثّل في حبّ الدنيا والسلامة وكرهية الموت، في جُلّ أهل الكوفة آنذاك خاصة، ومن أوضح الأمثلة على ذلك ما عبّر به محمّد بن بشر الهمداني - الذي روى تفاصيل اجتماع الشيعة الأوّل مع مسلم بن عقيل عليه السلام في دار المختار، وروى مقالة عابس الشاكري ومقالة حبيب بن مظاهر ومقالة سعيد بن عبدالله الحنفي رضوان الله عليهم، في استعدادهم للتضحية والموت في نصره الإمام عليه السلام - حينما سأله الحجاج بن عليّ

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٣٥٥

قائلاً: فهل كان منك أنت قول؟

أجاب قائلاً: إنّي كنت لأحبّ أن يُعزّ الله أصحابي بالظفر، وما كنت لأحبّ أن أقتل، وكرهت أن أكذب! «١»

ومن الأمثلة الواضحه على ذلك أيضاً، قول عبيد الله بن الحرّ الجعفي مخاطباً الإمام عليه السلام: «والله إنّي لأعلم أنّ من شايحك كان السعيد في الآخرة، ولكن ما عسى أن أغني عنك ولم أخلف لك بالكوفة ناصرًا؟! فأنشدك الله أن تحملني على هذه الخطه، فإنّ

نفسى لم تسمح بعد بالموت!». «٢»

وكان زعماء الشيعة الكوفيون قد أدركوا خطورة إنتشار هذا المرض، وتفطنوا لأثره السىء على كل نهضة وقيام، فكانوا يحسبون لخذلان الناس فى أى مبادرة جهادية ألف حساب، نلاحظ ذلك مثلاً فى قول سليمان بن صرد الخزاعى فى اجتماع الشيعة الأول: «فإن كنتم تعلمون أنكم ناصره ومجاهدو عدوه فاكتبوا إليه، وإن خفتم الوهل والفشل فلا تغزوا الرجل من نفسه!». «٣» ونلمح أيضاً هذا الإدراك والمعرفة بتفشى هذا المرض فى قول عابس الشاكرى (رض) وهو يخاطب مسلماً عليه السلام: «فإنى لا أخبرك عن الناس، ولا أعلم ما فى أنفسهم، وما أغرّك منهم!...». «٤» وبعد: فلعل هذه الأسباب المهمة الثلاثة التى ذكرناها تشكل إجابة وافية عن علة عدم مبادرة زعماء الشيعة فى الكوفة إلى السيطرة على الأوضاع فيها قبل مجىء الإمام عليه السلام.

معالركب الحسينى (ج ٢)، ص: ٣٥٦

حركة الأمة فى البصرة ص: ٣٥٦

إشارة

كان ظاهر الحياة السياسية والإجتماعية فى البصرة سنة ستين للهجرة يوحى بأن عبيد الله بن زياد كان قد هيمن هيمنة سياسية وإدارية كاملة على مجارى أمورها وعلى حركة الأحداث فيها، لما اتصف به من قدرة على الغشم والظلم والجور، وبراعة شيطانية فى التفريق بين القبائل، وخلق الكراهية بين الوجهاء والأشراف فيها، وما سوى ذلك من فنون المكر والخداع لمواصله إخضاع وإذلال الأمة التى عرفت فساد الطغاة الأمويين وولاتهم.

ويساعد على هذا الإيحاء فى الظاهر أيضاً وجود مجموعة كبيرة من أشراف ووجهاء البصرة ورؤساء الأخماس «١» فيها ممن لهم علاقات ودية حميمة مع الحكام الأمويين عامة وعبيد الله بن زياد خاصة.

أما باطن الحياة السياسية والاجتماعية فى البصرة آنذاك فكان يشهد أمراً آخر، إذ كان فى البصرة أشراف ووجهاء ورؤساء أخماس آخرون- وإن كانوا قلة- يعرفون حقائق الأمور ويحبون الحق وأهله! كما كان فى عمق الحياة البصرية نشاط سرى لمعارضة شيعته، لها منندياتها واجتماعاتها فى الخفاء، تتداول فيها الأخبار ومستجدات الأحداث، ولها نوع من الإرتباط والعلم بأنشطة المعارضة الشيعية فى الحجاز وفى الكوفة، وكان عبيد الله بن زياد على علم إجمالى بوجود هذه المعارضة الشيعية فى البصرة، وكان يتوجس منها ويحذرهما.

ويمكننا هنا أن نتابع حركة الأمة فى البصرة من خلال:

معالركب الحسينى (ج ٢)، ص: ٣٥٧

رد رؤوس الأخماس والأشراف على رسالة الإمام عليه السلام ص: ٣٥٧

(١)- رد الأحنف بن قيس: ص: ٣٥٧

كتب الأحنف بن قيس رداً على النسخة التى وصلته من كتاب الإمام الحسين عليه السلام الى رؤساء الأخماس فى البصرة وأشرافها قائلاً: «أما بعد: فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفّنك الذين لا يوقنون»، «١» ولم يزد على الآية «٢» شيئاً! فكأن الأحنف قد رأى أنه أدّى واجبه وتكليفه إزاء دعوة الإمام عليه السلام للنهضة لإحياء سنة رسول الله صلى الله عليه وآله، فهو يكتفى بأن يوصى الإمام عليه السلام بالصبر! وأن لا يستخفّه الذين لا يوقنون!

ولا يخفى على العارف بسيرة الأحنف بن قيس أن هذا الرجل كان من أوضح مصاديق (الذين لا يوقنون)، فموقفه هذا في جوابه هذا كاشف عن تردده عن نصرته الإمام عليه السلام مع علمه بأحقيته الإمام عليه السلام بالخلافه وقيادة الأئمة، وموقفه الآخر من قبل في البصرة أيضاً في فتنة عبدالله بن عامر الحضرمي الذي دعا أهل البصرة - بعد صفين - الى نكث بيعته أمير المؤمنين علي عليه السلام مرة أخرى، حيث قال الأحنف رداً على ما دعا إليه الحضرمي رسول معاوية: «أما أنا فلا ناقة لي في هذا ولا جمل!»، «٣» بدلاً من أن يهتب للدفاع عن أمير المؤمنين عليه السلام ويدعو أهل البصرة في المقابل إلى الثبات على البيعة والسمع والطاعة!، وله موقف آخر من قبل ذلك أيضاً نَمَّ عن تردده وضعف يقينه، إذ بعث إلى أمير المؤمنين عليه السلام يقول: «إني مقيم على طاعتك في قومي فإن شئت أتيتك في مائتين من أهل بيتي فعلت، وإن شئت حبست عنك أربعة آلاف سيف من بني سعد! فبعث إليه أمير المؤمنين عليه السلام: بل

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٣٥٨
احبس وكفّ ..» (١)

(٢) - خيانة المنذر بن الجارود: ص : ٣٥٨

وكان هذا أيضاً من البصريين الذين كتب إليهم الإمام عليه السلام، فلَمَّا أتاه رسول الإمام عليه السلام سليمان بن رزين (رض) بالكتاب قرأه، ثم أخذ الكتاب والرسول الى عبيد الله بن زياد، زاعماً «٢» أنه خشى أن يكون الكتاب دسيسته من ابن زياد!، فقتل ابن زياد الرسول! ثم صعد المنبر فخطب وتوعد أهل البصرة على الخلاف وإثارة الإرجاف! «٣»
كان عبيد الله بن زياد صهراً للمنذر بن الجارود، إذ كانت بحرية بنت المنذر (أو أخته) «٤» زوجة له، وقد كافأ ابن زياد، المنذر على جريمته النكراء هذه مكافئته كان يصبو إليها المنذر الذي كشف تماماً في هذه الواقعة عن سوء عنصره وحقارته، حيث ولّاه السند من بلاد الهند، لكنّه لم يهنأ طويلاً بجائزته على خيانتته تلك، إذ هلك في السند سنة ٦٢ هـ. «٥»
ودعوى ابن الجارود أنه خشى أن يكون الكتاب دسيسته من ابن زياد دعوى كاذبة، إذ لم يكن طريق معرفة حقيقة الأمر منحصرأ بتسليم الرسول والكتاب الى ابن زياد!، لقد كان بإمكان المنذر بن الجارود - لو كان صادقاً - أن يعرف صدق الرسول بأبسط تحقيق معه، لا بتسليمه ليقتل!

(٣) - يزيد بن مسعود النهشلي .. والموقف المحمود: ص : ٣٥٨

ما إن وصلت إلى يد يزيد بن
مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٣٥٩
مسعود النهشلي نسخته من رسالة الإمام الحسين عليه السلام فقرأها حتى جمع بنى تميم وبنى حنظلة وبنى سعد، فلَمَّا حضروا قال: يا بنى تميم، كيف ترون موضعي منكم وحسبي فيكم؟
فقالوا: بخّ بخّ! أنت والله فقرة الظهر، ورأس الفخر، حلت في الشرف وسطاً، وتقدمت فيه فرطاً!
قال: فإني قد جمعتكم لأمرٍ أريد أن أشاوركم فيه وأستعين بكم عليه.
فقالوا: والله إننا نمحك النصيحة، ونجهد لك الرأي، فقلّ نسّمع.
فقال: إن معاوية قد مات، فأهون به والله هالكاً ومفقوداً، ألا وإنه قد انكسر باب الجور والإثم، وتضععت أركان الظلم، وقد كان أحدث بيعته عقد بها أمراً وظن أنه قد أحكمه، وهيئات والذي أراد!، اجتهد والله ففشل، وشاور فخذل، وقد قام ابنه يزيد، شارب الخمر، ورأس الفجور، يدعى الخلافه على المسلمين، ويتأمر عليهم بغير رضى منهم، مع قصر حلم، وقلته علم، لا يعرف من الحق

موطىء قدمه.

فأقسم بالله قسماً مبروراً، لجهادُه على الدين أفضل من جهاد المشركين، وهذا الحسين بن عليّ، ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله ذو الشرف الأصيل، والرأى الأتيل، له فضل لا يوصف، وعلم لا يتزف، وهو أولى بهذا الأمر، لسابقته وسنّه وقدمه وقرابته، يعطف على الصغير ويحنو على الكبير، فأكرم به راعي رعِيّة وإمام قوم وجبت لله به الحِجّة، وبلغت به الموعظة، فلا تعشوا عن نور الحقّ، ولا تسكعوا في وهدّة الباطل، فقد كان صخر بن قيس انخذل بكم يوم الجمل، فاغسلوها بخروجكم إلى ابن رسول الله صلى الله عليه وآله ونصرته، واللّه لا يقصّر أحدٌ عن نصرته إلّا أورثه الله الذلّ في ولده، والقلّة في عشيرته، وها أنا قد لبست للحرب مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٣٦٠

لامتها، وأدرعت لها بدرعها، من لم يُقتل يمتّ، ومن يهرب لم يفتّ، فأحسنوا رحمكم الله ردّ الجواب. فتكلّمت بنو حنظلة فقالوا: يا أبا خالد، نحن نبل كنانتك، وفرسان عشيرتك، إن رميت بنا أصبت، وإن غزوت بنا فتحت، لا تخوض واللّه غمرة إلّا أخضناها، ولا تلقى واللّه شدّة إلّا لقيناها، ننصرك واللّه باسيافنا، ونفيك بأبداننا فانهب لما شئت. وتكلّمت بنو سعد بن زيد فقالوا: يا أبا خالد، إن أبغض الأشياء إلينا خلافك والخروج عن رأيك، وقد كان صخر بن قيس «١» أمرنا بترك القتال، فحمدنا أمرنا وبقي عزنا فينا! فأمهلنا نراجع المشورة ونأتك برأينا. وتكلّمت بنو عامر بن تميم فقالوا: يا أبا خالد، نحن بنو أبيك وحلفاؤك، لانرضى إن غضبت، ولا نقطن إن طعنت، والأمر إليك، فادعنا نجيبك، ومُرنا نطعك، والأمر إليك إذ شئت.

فقال: واللّه يا بني سعد لئن فعلتموها لا يرفع الله السيف عنكم أبداً، ولا يزال سيفكم فيكم! ثم كتب إلى الحسين عليه السلام: بسم الله الرحمن الرحيم. أما بعد: فقد وصل إلّي كتابك، وفهمت ما ندبتني إليه ودعوتني له، من الأخذ بحظّي من طاعتك والفوز بنصيبى من نصرتك، وإنّ الله لا يخلّى الأرض من عامل عليها بخير، أو دليل على سبيل النجاة، وأنتم حجّة الله على خلقه، ووديعته فى أرضه، تفرّعتم من زيتونه أحمديّه هو أصلها وانتم فرعها، فاقدم سيّدت بأسعد طائر، فقد ذلّ لك أعناق

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٣٦١

بنى تميم، وتركتهم أشدّ تتابعاً لك من الإبل الظماء يوم خمسها لورود الماء، وقد ذلّت لك رقاب بنى سعد، وغسلت لك درن صدورها بماء سحابة مُزّن حين استهلّ برقها فلمع. فلما قرأ الحسين عليه السلام الكتاب قال:

«آمنك الله يوم الخوف، وأعزّك، وأرواك يوم العطش الأكبر». «١»

وفى رواية ابن نما (ره) قال: «فلما تجهّز المشار إليه للخروج إلى الحسين صلوات الله وسلامه عليه بلغه قتله قبل أن يسير، فجزع لذلك جزعاً عظيماً لما فاته من نصرته». «٢»

ملاحظات وتأمّل: ص: ٣٦١

(١) - كان الإمام الحسين عليه السلام قد كتب نسخة واحدة إلى رؤساء الأخماس فى البصرة وإلى الأشراف فيها، وذكر الطبرى «٣» أنّ الإمام عليه السلام كتب إلى مالك بن مسمع البكرى، والأحنف بن قيس، والمنذر بن الجارود، ومسعود بن عمرو، وقيس بن الهيثم، وعمرو بن عبيد الله بن معمر.

لكنّ التاريخ لم يسجّل أنّ أحداً من هؤلاء قد أجاب على رسالة الإمام عليه السلام أو ردّها حميداً، فالأحنف بن قيس ردّ على رسالة الإمام عليه السلام يوصيه بالصبر! وألّا يستخفّه الذين لا يوقنون!، أمّا المنذر بن الجارود فقد سلّم الرسالة والرسول إلى ابن زياد الذى

قتل الرسول!، وأما مالك بن مسمع البكري فقد كان أموي الهوى، «٤»

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٣٦٢

ولم يسجل التاريخ أنه أجاب على رسالة الإمام عليه السلام!، وأما قيس بن الهيثم فقد كان عثمانى الهوى متباعداً عن أهل البيت عليهم السلام إلى آخر عمره، «١» ولم يذكر التاريخ أيضاً أن قيس بن الهيثم قد أجاب على رسالة الإمام عليه السلام!، وأما عمر (أو عمرو) بن عبيد الله بن معمر فلم تذكر له كتب التواريخ والتراجم أية علاقة طيبة مع أهل البيت عليهم السلام، بل عُرف عنه ولاؤه لابن الزبير أيام سلطانه، وكان على يمينه مصعب ابن الزبير في قتال المختار، ثم انقلب ولاؤه لعبد الملك بن مروان! فكان يأتمر بأمره، حتى وفد عليه بدمشق، فمات عنده بالطاعون سنة ٨٢ هـ، «٢» ولم يذكر التاريخ أيضاً أن هذا الرجل قد أجاب على رسالة الإمام الحسين عليه السلام!، وأما مسعود بن عمرو الأزدي فقد كان أيضاً مجانباً ومعادياً لأهل البيت عليهم السلام، وصديقاً حميماً وناصرًا وحامياً لابن زياد حتى بعد مقتل الحسين عليه السلام، «٣» ولم يذكر التاريخ أيضاً أن مسعود بن عمرو الأزدي هذا قد أجاب على رسالة الإمام الحسين عليه السلام! «٤»

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٣٦٣

فإذا كان جلُّ رؤساء الأخماس في البصرة وأشرافها بين متباعد عن أهل البيت عليهم السلام بجانب لهم، وبين متردد متذبذب في حبه إياهم وموقفه منهم، وبين مترئص خائن طامع في دنيا أعدائهم، فما هو السرُّ في كتابة الإمام عليه السلام إلى مثل هؤلاء؟! لعل مجموعة الأسباب التالية هي التي دعت الإمام عليه السلام إلى كتابة هذه الرسالة إلى رؤساء الأخماس والأشراف في البصرة: أ- كانت مخاطبة القبائل في ذلك الوقت لا تتم ولا تثمر إلّا من خلال رؤسائها وأشرافها ذلك لأن أفراد كل قبيلة كانوا لا يتجاوزون رؤساءهم وأشرافهم في إتخاذ أي موقف وقرار، والمتأمل في خطبة يزيد بن مسعود النهشلي في بني تميم وبني حنظلة وبني سعد، وردّه عليه يرى هذه الحقيقة واضحة جليئة.

ب- إلقاء الحجّة على جميع أهل البصرة بما فيهم رؤسائهم وأشراف

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٣٦٤

قبائلهم، خصوصاً وأن البصرة برغم سيطرة ابن زياد عليها- ما يزيد على خمس سنين حتى ذلك الوقت- لم تكن قد انغلقت لصالح الأمويين كما هو حال مدن الشام، إذ كان فيها أشراف ورؤساء يعرفون حقانية أهل البيت عليهم السلام، وأفئدتهم تهوى إليهم، كما كان في البصرة معارضة شيعية لها اجتماعاتها ومنتدياتها السريّة، إذن ففي مبادرة الإمام عليه السلام في الكتابة إلى كل هؤلاء إلقاء للحجّة عليهم وقطع العذر عليهم بالقول إنهم لم ينصروا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله لأنهم لم يعلموا بقيامه ونهضته.

ج- قد تُثمر رسالة الإمام عليه السلام صدّ المتردد من الأشراف ورؤساء الأخماس عن الإنضمام إلى أي فعل مُضادّ لحركة الإمام عليه السلام، وقد يعتزل هو وكثير من أفراد قبيلته فلا ينصرون الحكم الأموي، وهذا على أية حال أفضل من اشتراكهم في القتال ضدّ الإمام عليه السلام.

د- من ثمرات هذه الرسالة إعلام البصريين الراغبين في نصرته عليه السلام بأمر نهضته، وتعبثهم لذلك من خلال أشرافهم المواليين لأهل البيت عليهم السلام كمثّل يزيد بن مسعود النهشلي وأمثاله.

٢- في قصة رسالة الإمام الحسين عليه السلام إلى رؤساء الأخماس في البصرة وإلى أشرافها، لم يوفق أحدٌ منهم إلى الموقف المحمود إلّا يزيد بن مسعود النهشلي (ره)، الذي كشفت خطبته في بني تميم وبني حنظلة وبني سعد، ورسالته إلى الإمام عليه السلام، عن أنّه كان مؤمناً بمقام أهل البيت عليهم السلام عامةً وبمقام الإمام الحسين عليه السلام خاصةً، وكان عارفاً بحقهم، ويكفيه مجدداً وفخراً موقفه الرائع هذا، كما يكفيه سعادة دعاء الإمام عليه السلام له: «آمنك الله يوم الخوف، وأعزك، وأرواك يوم العطش الأكبر!».»

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٣٦٥

لكنّ ممّا يؤسف له أننا لم نعثر في كتب التواريخ والتراجم على ما يزيدنا معرفة بهذا الرجل الشريف الوجيه الماجد عدا ماورد في قصة هذه الرسالة، وعدا أنه أرسل جوابه إلى الإمام عليه السلام مع الحجاج بن بدر التميمي السعدى (رض)، الذي أوصل الرسالة إلى الإمام عليه السلام بمكة، وبقي معه ورافقه إلى كربلاء واستشهد بين يديه يوم عاشوراء. «١»

٣- قال يزيد بن مسعود النهشلي (ره) في خطبته: «إن معاوية مات، فأهون به والله هالكاً ومفقوداً، ألا وإته قد انكسر باب الجور والإثم، وتضعضت أركان الظلم...»، والظاهر من طبيعة هذه العبائر أنّ يزيد النهشلي (ره) كان يقرّر لجموع بنى تميم حقيقة مسلمة عندهم وعند جميع أهل البصرة، في أنهم كانوا قد عانوا الأمرين من ظلم وجور ومآثم معاوية وولاته عليهم. إنّ الكوارث التي أصابت البصريين على يد ولاة الأمويين لم تكن أقل من تلك التي أصابت الكوفة طيلة حوالي عشرين من السنوات العجاف من بعد شهادة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام.

هذا سمرة بن جندب مثلاً، «٢» كان «في زمن ولايته البصرة يخرج من داره مع

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٣٦٧

خاصته ركباً بغارة، فلا يمرّ بجوان ولا طفل ولا عاجز ولا غافل إلّا سحقه هو واصحابه بخيلهم! وهكذا إذا رجع! ولا يمرّ عليه يوم يخرج به إلّا وغادر به قتيلاً أو أكثر!»، «١» و «قتل من أهل البصرة ثمانية آلاف رجل من الشيعة في ستّة أشهر، وهي أيام إمارته على البصرة!». «٢»

ويروى الذهبي، عن عامر بن أبي عامر قال: «كنا في مجلس يونس بن عبيد، فقالوا: ما في الأرض بقعة نشفت من الدم ما نشفت هذه- يعنون دار الإمارة- قُتل بها سبعون ألفاً! فسألت يونس فقال: نعم، من بين قتيل وقطيع! قيل: من فعل ذلك؟! قال: زياد وإبنة وسمرة...». «٣»

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٣٦٨

وروى الطبري عن محمد بن سليم قال: «سألت أنس بن سيرين: هل كان سمرة قتل أحداً؟ قال: وهل يُحصى من قتلهم سمرة؟! إستخلفه زياد على البصرة وأتى الكوفة، وقد قتل ثمانية آلاف من الناس! فقال له زياد: هل تخاف أن تكون قتلت أحداً بريئاً؟ قال: لو قتلت مثلهم ما خشيت!». «١»

من هنا يمكننا أن نستفيد بعداً آخر ودافعاً جديداً يُضاف الى مجموعة الدوافع التي كانت من وراء كتابة الإمام عليه السلام رسالته إلى أهل البصرة، وهو أنّ أهل البصرة- كما أهل الكوفة- أولى من غيرهم في مجال المبادرة الى النهوض مع الإمام عليه السلام والجهاد بين يديه لإزالة الظلم والجور وإحقاق الحق، لأنهم عانوا الأمرين من جور وظلم بنى أمية الذين قتلوا الآلاف منهم، ولعلّ يزيد بن مسعود النهشلي (ره) كان أيضاً قد اراد هذا المعنى في مخاطبته بنى تميم حينما ابتداء خطبته بتذكيرهم بهذه الحقيقة.

المؤتمر الشيعي السري في البصرة ص: ٣٦٨

إشارة

روى الطبري عن أبي مخارق الراسبي قال: «اجتمع ناس من الشيعة بالبصرة في منزل امرأة من عبد القيس يقال لها مارية «٢» ابنة سعد- أو- منقذ أياماً، وكانت

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٣٦٩

تشيع، وكان منزلها لهم مألفاً يتحدّثون فيه!

وقد بلغ ابن زياد إقبال الحسين فكتب إلى عامله بالبصرة أن يضع المناظر ويأخذ الطريق!
قال: فأجمع يزيد بن نبيط «١» الخروج وهو من عبدالقيس الى الحسين، وكان له بنون عشرة، فقال: أيكم يخرج معي؟ فانتدب معه
إبنان له: عبدالله وعبيدالله، فقال لأصحابه في بيت تلك المرأة: إني قد أزمعت على الخروج، وأنا خارج.
فقالوا له: إنا نخاف عليك اصحاب ابن زياد. فقال: إني والله لو قد استوت اخفافهما بالجُدُد لهان عليّ طلب من طلبني!
قال: ثم خرج فقوى في الطريق حتى انتهى الى حسين عليه السلام فدخل في رحله بالأبطح... «٢»

إشارة: ص : ٣٦٩

شهدت البصرة في السرّ انعقاد هذا المؤتمر الشيعي فيها في الأيام التي كانت تشهد أيضاً في العلانية تحركات رؤساء الأخماس
والأشراف على أثر وصول رسالة الإمام عليه السلام إليهم، وكان الفارق كبيراً جداً بين المشهدين!
معالركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٣٧٠
ذلك لأنها شهدت في تحركات الرؤساء والأشراف: تردداً في نصره الإمام عليه السلام، وشهدت إعراضاً عنه، وخيانته وغدرًا! اللهم إنا
ماشهدته في تحرك يزيد بن مسعود النهشلي (ره) من تحريك وتوجيه المشاعر القبليّة- من خلال مزجها بمشاعر دينية- باتجاه نصره
الامام عليه السلام.

لكنّ ما شهدته البصرة في السرّ كان شهوداً من نوع آخر!
إذ شهدت اجتماعاً استمرّ أياماً في السرّ، لم يقم على أساس الإنتماء القبلي، فالمجتمعون كانوا من قبائل شتى، بل قام على أساس الولاء
لأهل البيت عليهم السلام والبراءة من أعدائهم، وقد تذاكر فيه المجتمعون أمر الإمامة وما آل إليه الوضع الراهن يومذاك، «١»
وتداولوا ما يجب عليهم القيام به أداءً للتكليف الديني «فأجمع رأي بعض على الخروج فخرج، وكتب بعض بطلب القدوم»، «٢»
وبالفعل فقد نتج عن هذا المؤتمر المبارك أن انطلقت كوكبة كريمة من البصريين برغم أعين الرصد وحواجز الحصار، تتجه مسرعةً
إلى مكة المكرمة لتلتحق بالركب الحسيني ولتفوز الفوز العظيم.

خمسمائة من البصريين في سفر ابن زياد الى الكوفة! ص : ٣٧٠

إشارة

روى الطبري عن عيسى بن يزيد الكناني قال: «لما جاء كتاب يزيد إلى عبيدالله بن زياد انتخب من أهل البصرة خمسمائة، فيهم عبدالله
بن الحارث بن

معالركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٣٧١

نوفل، «١» وشريك بن الأعور، «٢» وكان شيعه لعليّ، فكان أول من سقط بالناس شريك، فيقال إنه تساقط غمرة ومعه ناس، ثم سقط
عبدالله بن الحارث وسقط معه ناس، ورجوا أن يلوى عليهم عبيدالله ويسبقه الحسين الى الكوفة! فجعل لايلتفت إلى من سقط، ويمضي
حتى ورد القادسية، وسقط مهران مولاة فقال: أيا

معالركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٣٧٢

مهران، على هذه الحال إن أمسكت عنك حتى تنظر الى القصر فلك مائة ألف! قال: لا والله ما استطع. فنزل عبيد الله فأخرج ثياباً
مقطعة من مقطعات اليمن، ثم اعتجر بمعجرة يمانية، فركب بغلته ثم انحدر راجلاً وحده... «١»

إشارة: ص : ٣٧٢

يبدو من ظاهر نصّ هذا الخبر أنّ عدد الشيعة الذين صحبوا ابن زياد الى الكوفة في هذا السفر لم يكن قليلاً- إن لم يكونوا هم الأكثر- فقد تساقط شريك الحارثي ومعه ناس! وكذلك تساقط عبدالله يتأخر ابن الحارث ومعه ناس! راجين أن يتأخر ابن زياد لأجلهم فلا يسبق الإمام عليه السلام في الوصول الى الكوفة!

تُرى هل كان هذا التساقط أفضل الوسائل لتعويق ابن زياد ومنعه من دخول الكوفة قبل الإمام عليه السلام؟! وإذا كان شريك ومعه من الشيعة يعرفون الدور الخطير الذي سيقوم به ابن زياد لاستباق حركة الأحداث في الكوفة وإدارتها لصالح يزيد! أفلم يكن من الراجح أن يقتلوا ابن زياد بأيّة صورة، سرّاً أو علناً، وإن أدّى ذلك إلى قتل أحدهم أو جماعة منهم أو جميعهم بعد ذلك، ترجيحاً لمصلحة الإسلام العلياً!؟

أم أننا هنا أيضاً أمام صورة أخرى من صور الوهن والشلل النفسى الذى أصاب الأئمة وتفشى فيها، فأصاب هؤلاء أيضاً، فرأوا أن أقصى ما يمكنهم المبادرة إلى هو التساقط في الطريق فقط! متمنين للإمام عليه السلام أن ينصره الله على أن لاتتعرض دنياهم لأى ضرر أو خطر!

إننا لانشكُّ في إخلاص شريك وأمثال شريك من شيعة عليّ عليه السلام، ولكننا

مع الركب الحسينى (ج ٢)، ص: ٣٧٣

نعجب من إقتصارهم على التفكير في التساقط فقط! وعدم تدبيرهم لخطّة يتخلّصون بها من ابن زياد ويخلّصون الأئمة منه في ثنايا الطريق من البصرة إلى الكوفة! وربّما كان قتل ابن زياد بتدبير خفيّ غامض في ليلة ظلماء في هذه الرحلة أيسر بكثير- من حيث الإعتبارات العرفيّة والتبعات- من قتله في بيت هانى بن عروة على ضوء الخطّة التي أقترحها شريك نفسه يومذاك! نقول هذا كلّه بحسب الموازين والحسابات الظاهرية، ونعلم أن إرادة الله وتقديراته شيء آخر!

الملتحقون بالركب الحسينى في مكة المكرمة ص : ٣٧٣

إشارة

إلتحق بالإمام الحسين عليه السلام في مكة المكرمة مجموعة من أختيار هذه الأئمة وأبرارها، فانضمّوا إلى الركب الحسينى المتشكّل آنذاك ممن كان قد قدّم مع الإمام عليه السلام من المدينة المنورة، ومنهم من لازم الإمام عليه السلام حتّى استشهد معه في كربلاء يوم عاشوراء، ومنهم من أرسله الإمام عليه السلام فقتل أو عاد إليه، ويمكننا أن نصنّفهم حسب الأمكنة التي انطلقوا منها للإلتحاق بالإمام عليه السلام في مكة المكرمة الى:

(١)- الملتحقون به عليه السلام في مكة من أهل المدينة

(٢)- الملتحقون به عليه السلام في مكة ولم تحدد التواريخ والتراجم أمكنة انطلاقهم.

(٣)- الملتحقون به عليه السلام في مكة من أهل الكوفة.

(٤)- الملتحقون به عليه السلام في مكة من أهل البصرة.

مع الركب الحسينى (ج ٢)، ص: ٣٧٤

(١) - الملتحقون به عليه السلام في مكة من أهل المدينة: ص : ٣٧٤

روى ابن عساكر قائلاً: «وبعث الحسين إلى المدينة فقدم عليه من خف معه من بني عبدالمطلب وهم تسعة عشر رجلاً، ونساء وصبيان من إخوانه وبناته ونسائهم ..». (١)

ولا يخفى أن متن هذه الرواية لا يحدد لنا أسماء هؤلاء الملتحقين من بني هاشم! كما أنه «لم يرد في الكتب التاريخية ذكر تفصيلي لأسماء الهاشميين في الركب الحسيني القاصد من المدينة إلى مكة المكرمة، بل ورد في أغلب هذه الكتب ذكر إجمالي لمن خرج من الهاشميين مع الإمام عليه السلام من المدينة ..»، (٢) ولذا فقد يعسر تماماً على المتتبع أن يحدد بدقة كاملة أسماء جميع بني هاشم الذين خرجوا مع الإمام عليه السلام من المدينة، فيعرف على ضوء هذا أسماء من التحقوا به عليه السلام في مكة. ولذا فالمسألة بهذا الصدد تبقى على إجمالها وإبهامها!

نعم، تشير مجموعة من الدلائل التاريخية (٣) إلى أن الإمام عليه السلام كان قد خرج من المدينة المنورة بجميع أبنائه، وجميع أبناء أخيه الإمام الحسن عليه السلام، وجميع بقيته إخوته لأبيه عدا محمد بن الحنفية (رض)، وعدا عمر الأطراف كما هو الظاهر من سيرته. (٤)

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٣٧٥

وتشير هذه الدلائل (١) أيضاً إلى أن مسلم بن عقيل عليه السلام كان معه أيضاً في خروجه من المدينة. ومع هذا فإن ذلك لا يخرج القضية من الإجمال إلى التفصيل التام، ذلك لأننا مثلاً لانستطيع القول - على ضوء ما عندنا من وثائق تاريخية - بالنسبة إلى آل عقيل الذين كانوا مع الإمام عليه السلام في مكة: من منهم التحق به في مكة، ومن منهم جاء معه من المدينة.

نعم، تفيد بعض المصادر التاريخية أن ولدي عبدالله بن جعفر: عوناً ومحمداً كانا مع أبيهما في القدوم إلى مكة للقاء الإمام عليه السلام، ثم التحق بالركب الحسيني أوائل خروجه من مكة المكرمة، (٢) وتفيد مصادر أخرى أن أباهما أرسلهما من المدينة إلى مكة بكتاب إلى الامام عليه السلام، وفي مكة إلتحقا بالإمام عليه السلام. (٣)

هذا غاية ما أتضح لنا حول من التحق بالإمام عليه السلام في مكة المكرمة من بني هاشم، أما من غير بني هاشم فلا نعلم أن أحداً إلتحق بالإمام عليه السلام في مكة قادماً إليه من المدينة المنورة سوى ما نظنه ظناً بالنسبة إلى جنادة بن كعب بن الحرث الأنصاري الخزرجي (رض)، الذي التحق مع عائلته بالإمام عليه السلام في مكة المكرمة، ذلك لأننا لم نعثر في التواريخ على أنه كان من سكنة مكة أو الكوفة أو البصرة أو حاضرة أخرى من حواضر العالم الإسلامي آنذاك، وربما كان مع عائلته من المعتمرين، أو ممن أراد الحج سنة ستين للهجرة، فالتحق بالإمام عليه السلام في مكة وصحبه إلى كربلاء، وكذلك الأمر بالنسبة إلى عبدالرحمن بن عبدرب الأنصاري

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٣٧٦

الخرزجي (رض)، لكننا صنفناهما مع عمارة بن حسان الطائي (رض) تحت العنوان التالي، مع أننا نظن ظناً قوياً أيضاً أن عمارة بن حسان الطائي (رض) كان من سكنة الكوفة.

(٢) - الملتحقون به عليه السلام في مكة ولم تحدد التواريخ والتراجم أمكنة إنطلاقهم ص: ٣٧٦

: جنادة بن كعب بن الحرث الأنصاري الخزرجي (رض): ص: ٣٧٦

قال المحقق السماوي (ره): «كان جنادة ممن صحب الحسين عليه السلام من مكة، وجاء معه هو وأهله، فلما كان يوم الطف تقدم إلى القتال فقتل في الحملة الأولى..». (١)

وذكرته بعض المصادر التاريخية بإسم (جنادة بن الحرث الأنصاري)، (٢) كما ذكرت ابنه الذي استشهد بعده في الطف بإسم (عمرو بن جنادة)، أما السماوي (ره) فقد ذكر ابنه بإسم (عمر بن جنادة). (٣)

لكنّ السماوى (ره) لَمَّا ذكر أسماء أنصار الإمام عليه السلام الذين التحقوا بالإمام عليه السلام مع عوائلهم، ذكر جنادة هذا باسم (جنادة بن الحرث السلماني). «٤»

ويرى النمازي إتحاد جنادة بن الحرث الأنصاري مع جنادة بن كعب بن الحارث الأنصاري، ويراها غير جنادة بن الحارث السلماني الأزدي الذي عدّه المامقاني، من أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام، ولم يجد النمازي في زيارة الناحية المقدسة أو في الرجبية ذكراً لإسم جنادة- خلافاً لما قال المامقاني «٥»-

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٣٧٧

بل وجد في الموضوعين: السلام على حيان بن الحارث السلماني الأزدي، «١» وهذا هو الوارد في متن الزيارتين بالفعل. «٢»

وروى في بعض الكتب أنّ جنادة (رض) قُتل بين يدي الإمام عليه السلام في الحملة الأولى، «٣» كما روى في بعض كتب المقاتل هكذا: «ثم خرج من بعده- أي بعد نافع بن هلال (رض)- جنادة بن الحرث الأنصاري وهو يقول:

أنا جنادة، أنا ابن الحارث لستُ بخوَار ولا بناكثٍ

عن بيعتي حتى يقوم وارثي من فوق شلو في الصعيد ماكثٍ
فحمل ولم يزل يُقاتل حتى قُتل.

ثم خرج من بعده عمرو بن جنادة وهو يُشدد ويقول:

أضق الخناق من ابن هند وارمه في عقره بفوارس الأنصار
ومهاجرين مخضبين رماهم تحت العجاجة من دم الكفار
خضبت على عهد النبي محمد فاليوم تُخضب من دم الفجار
واليوم تُخضب من دماء معاشرٍ رفضوا القرآن لنصرة الأشرار
طلبوا بثأرهم بيدٍ وانثوا بالمرهفات وبالقنا الخطار
والله ربّي لا أزال مضارباً للفاسقين بمرهف بتار
هذا علىّ اليوم حقٌّ واجب في كلّ يوم تعانق وحوارٍ

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٣٧٨

ثمّ حمل فقاتل حتى قُتل. «١»

وقال السيد المقرّم (ره): «وجاء عمرو بن جنادة الأنصاري بعد أن قُتل أبوه، وهو ابن إحدى عشرة سنة، يستأذن الحسين فأبى وقال: هذا غلامٌ قُتل أبوه في الحملة الأولى، ولعلّ أمّه تكره ذلك. قال الغلام: إنّ أمّي أمرتني!. فأذن له، فما اسرع أن قُتل ورمى برأسه إلى جهة الحسين عليه السلام، فأخذته أمّه ومسحت الدم عنه وضربت به رجلاً قريباً منها فمات! وعادت إلى المخيم فأخذت عموداً وقيل سيفاً وأنشأت:

أنا عجوز في النسا ضعيفه خاوية بالية نحيفه

أضربكم بضربة عنيفه دون بني فاطمة الشريفه

فردّها الحسين إلى الخيمة بعد أن أصابت بالعمود رجلين. «٢»

ولعلّ عمرو بن جنادة هو الشاب المقصود في الرواية التالية- لمشتركاها الكثيرة مع الرواية السابقة- تقول هذه الرواية: «ثم خرج شاب قُتل أبوه في المعركة، وكانت أمّه معه، فقالت له أمّه: أخرج يا بُنّي وقاتل بين يدي ابن رسول الله! فخرج، فقال الحسين عليه السلام: هذا شابٌ قُتل أبوه ولعلّ أمّه تكره خروجه. فقال الشاب: أمّي أمرتني بذلك!. فبرز وهو يقول:

أميرى حسينٌ ونعم الأمير سرور فؤاد البشير النذير

علّي وفاطمة والداه فهل تعلمون له من نظير
له طلعة مثل شمس الضحى له غزوة مثل بدر منير
وقاتل حتى قُتل، وجُزَّ رأسه ورُمي به إلى عسكر الحسين عليه السلام، فحملت أمه رأسه وقالت: أحسنت يا بُنيَّ يا سرور قلبي ويا قرة
عيني. ثم رمت برأس ابنها

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٣٧٩
رجلاً فقتلته، وأخذت عمود خيمته، وحملت عليهم وهي تقول:
أنا عجوزٌ سيدي ضعيفه خاوية بالية نحيفه
أضربكم بضربة عنيفه دون بني فاطمة الشريفه
وضربت رجلين فقتلتهم! فأمر الحسين عليه السلام بصرفها، ودعا لها. «١»

: عبدالرحمن بن عبد رب الأنصاري الخزرجي (رض): ص : ٣٧٩

قال المحقق السماوي (ره): «كان صحابياً، له ترجمه وروايه، وكان من مخلصي أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام. قال ابن عقدة:
حدثنا محمد بن إسماعيل بن إسحق الراشدي، عن محمد بن جعفر النميري، عن علي بن الحسن العبدى، عن الأصمغ بن نباته قال:
نشد علي عليه السلام الناس في الرحبة: من سمع النبي صلى الله عليه وآله قال يوم غدیر خمّ ما قال إلّا قام ولا يقوم إلّا من سمع رسول
الله صلى الله عليه وآله يقول. فقام بضعة عشر رجلاً فيهم أبو أيوب الأنصاري، وأبو عمر بن عمرو بن محسن، وأبو زينب، وسهل بن
حنيف، وخزيمة بن ثابت، وعبدالله بن ثابت، وحبشى بن جنادة السلولى، وعبيد بن عازب، والنعمان بن عجلان الأنصاري، وثابت بن
وديعة الأنصاري، وأبو فضالة الأنصاري، وعبدالرحمن بن عبد رب الأنصاري، فقالوا:

نشهد أننا سمعنا رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «ألا إن الله عز وجل وليي، وأنا ولي المؤمنين، ألا فمن كنت مولاه فعلي مولاه،
اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، وأحب من أحبه وابغض من أبغضه، وأعز من أعانه». «٢»
وقال صاحب الحدائق: وكان علي بن أبي طالب عليه السلام هو الذي علم

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٣٨٠

عبدالرحمن هذا القرآن وربّاه. «١»

وكان عبدالرحمن جاء مع الإمام الحسين عليه السلام فيمن جاء معه من مكة، وقتل بين يديه في الحملة الأولى. «٢»

: عمّار بن حسان الطائي (رض): ص : ٣٨٠

قال المامقاني (ره): «هو عمّار بن حسان بن شريح، قال علماء السير إنه كان من الشيعة المخلصين في الولاء، ومن الشجعان المعروفين،
صحاب الحسين عليه السلام من مكة ولازمه حتى أتى كربلاء، فلما شبّ القيام يوم الطفّ تقدّم واستشهد بين يديه رضوان الله عليه،
ومع شرف الشهادة نال شرف تخصيصه بالسلام عليه في زيارة الناحية المقدّسة». «٣»

وقال المحقق السماوي (ره): «كان عمّار من الشيعة المخلصين في الولاء، ومن الشجعان المعروفين، وكان أبوه حسان ممن صحب
أمير المؤمنين عليه السلام وقاتل بين يديه في حرب الجمل، وصفين، فقتل بها، وكان عمّار صحب الحسين عليه السلام من مكة ولازمه
حتى قُتل بين يديه. قال السروي: قُتل في الحملة الأولى. «٤»

وورد السلام على عمّار في زيارة الناحية المقدّسة هكذا: «السلام على عمّار

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٣٨١

بن حسان بن شريح الطائى»، «١» وكذلك فى الزيارة الرجيبية وقد احتمل التستري «٢» اتحاد عمار بن حسان الطائى (رض) مع عمار بن أبى سلامة الدالانى (رض)، لكن هذا الاحتمال غير وارد، لأن السلام قد ورد فى زيارة الناحية المقدسة على كل منهما باسمه. «٣»

٢) - الملتحقون به عليه السلام فى مكة من أهل الكوفة: ص : ٣٨١

: بُرَيْرُ بن خُصير الهمدانى المشرقى (رض): ص : ٣٨١

كان برير شيخاً تابعياً ناسكاً، قارئاً للقرآن، من شيوخ القراء، ومن أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، وكان من أشرف أهل الكوفة من الهمدانيين، وقال أهل السير: إنه لما بلغه خبر الحسين عليه السلام سار من الكوفة إلى مكة ليجتمع بالحسين عليه السلام، فجاء معه حتى استشهد.

وروى الطبرى عن السروى أن الحرّ لما ضيق على الإمام الحسين عليه السلام جمع الإمام عليه السلام أصحابه فخطبهم بخطبه التى قال فيها «أما بعد، فإن الدنيا قد تغيرت...»، فقام إليه جماعة من أنصاره فتكلموا وأظهروا استعدادهم وإصرارهم على الموت دونه، وكان برير من هؤلاء المتكلمين حيث قام فقال: «والله يا ابن رسول الله لقد من الله بك علينا أن نقاتل بين يديك، تقطع فيك أعضاؤنا، حتى يكون جدك يوم القيامة بين أيدينا شفيحاً لنا، فلا أفلح قوم ضيعوا ابن بنت نبيهم، وويل لهم ماذا يلقون به الله؟! وأف لهم يوم ينادون بالويل والثبور فى نار جهنم!

وقال أبو مخنف: أمر الحسين عليه السلام فى اليوم التاسع من المحرم بفسطاط فضرب، ثم أمر بمسك فميث فى جفنه عظيمه، فأطلى بالنورة، وعبدالرحمن بن

معالركب الحسينى (ج ٢)، ص : ٣٨٢

عبد ربه، وبرير على باب الفسطاط تختلف مناكبهما، فزدحما أتيهما يطلى على أثر الحسين عليه السلام، فجعل برير يهازل عبدالرحمن ويضحكه.

فقال عبدالرحمن: دعنا، فوالله ما هذه ساعة باطل!

فقال برير: والله، لقد علم قومي أنني ما أحببت الباطل شاباً ولا كهلاً، ولكنى والله لمستبشراً بما نحن لاقون، والله إن بيننا وبين الحور العين إلا أن نحمل على هؤلاء فيميلون علينا بأسيافهم، ولوددت أن مالوا بها الساعة! «١»

: عابس بن أبى شيب الشاكرى (رض): ص : ٣٨٢

ورود اسمه فى زيارة الناحية المقدسة والزيارة الرجيبية هكذا: عابس بن شيب الشاكرى. «٢»

«كان عابس من رجال الشيعة، رئيساً شجاعاً خطيباً ناسكاً متهجيداً، وكانت بنو شاكر من المخلصين بولاء أمير المؤمنين عليه السلام، وفيهم يقول عليه السلام يوم صفين: لو تمت عدتهم ألفاً لعبد الله حق عبادته! وكانوا من شجعان العرب وحماتهم، وكانوا يلقبون فتيان الصباح». «٣»

ولما كتب مسلم عليه السلام إلى الإمام عليه السلام من الكوفة يطلب إليه التعجيل بالقدم، أرسل كتابه مع عابس (رض) وصحبه شوذب مولاه (رض)، ثم بقيا مع الإمام عليه السلام فى مكة، وصحبا فى مسيره الى كربلاء، واستشهدا بين يديه. وروى أبو مخنف أنه لما التحم القتال فى يوم عاشوراء، وقتل بعض أصحاب الحسين عليه السلام جاء عابس الشاكرى ومعه شوذب.

معالركب الحسينى (ج ٢)، ص : ٣٨٣

فقال لشوذب: «يا شوذب، ما فى نفسك أن تصنع؟

قال: ما أصنع؟! أقاتل معك دون ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله حتى أقتل!

فقال: ذلك الظن بك، أما الآن فتقدم بين يدي أبي عبدالله حتى يحتسبك كما احتسب غيرك من أصحابه، وحتى احتسبك أنا، فإنه لو كان معي الساعة أحدٌ أنا أولى به مني بك لسرني أن يتقدم بين يدي حتى احتسبه، فإن هذا يوم ينبغي لنا أن نطلب الأجر فيه بكل ما نقدر عليه، فإنه لا عمل بعد اليوم، وإنما هو الحساب!». (١)

ولمّا تقدّم عابس (رض) إلى الإمام عليه السلام يستأذنه في القتال قال: «يا أبا عبدالله، أما والله ما أمسى على ظهر الأرض قريب ولا بعيد أعزّ عليّ ولا أحبّ إليّ منك، ولو قدرت على أن أدفع عنك الضيم والقتل بشيء أعزّ عليّ من نفسي ودمي لفعلت، السلام عليك يا أبا عبدالله، أشهد أنّي على هداك وهدى أيبك. ثمّ مشى بالسيف مصلاً نحو القوم وبه ضربة على جبينه». (٢)

وروى أبو مخنف عن ربيع بن تميم الهمداني أنه قال: «لمّا رأيت عابساً مقبلاً عرفته، وكنت قد شاهدته في المغازي والحروب وكان أشجع الناس فصحت: أيها الناس، هذا أسد الأسود! هذا ابن أبي شبيب! لا يخرجنّ إليه أحدٌ منكم!». فأخذ عابس ينادي: ألا رجلٌ لرجل؟!!

فقال عمر بن سعد: إرضخوه بالحجارة! قال: فرمى بالحجارة من كلّ جانب، فلمّا رأى ذلك ألقى درعه ومغفره! ثمّ شدّ على الناس، فوالله لرأيت يكرّد (٣) أكثر من مائتين من الناس! ثمّ إنهم تعطفوا عليه من كلّ جانب فقتل. قال: فرأيت رأسه في

معالركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٣٨٤

أيدي رجال ذوى عدّة! هذا يقول أنا قتله، وهذا يقول أنا قتله! فأتوا عمر بن سعد فقال: لا تخصصوا، هذا لم يقتله سنان واحد! ففرّق بينهم». (١)

: شوذب بن عبدالله الهمداني الشاكري (رض): ص : ٣٨٤

وهو مولى لساكر، (٢) «وكان شوذب من رجال الشيعة ووجهها، ومن الفرسان المعدودين، وكان حافظاً للحديث حاملاً له عن أمير المؤمنين عليه السلام، قال صاحب الحقائق الوردية:

وكان شوذب يجلس للشيعة فيأتونه للحديث وكان متقدماً في الشيعة (وجهاً فيهم)». (٣)

وقد صحب شوذب عابس بن أبي شبيب الشاكري مولاه من الكوفة إلى مكة بعد قدوم مسلم الكوفة بكتاب لمسلم ووفادة على الحسين عليه السلام عن أهل الكوفة، وبقي معه حتى جاء إلى كربلاء، (٤) ولمّا التحم القتال حارب أوّلًا، ثمّ دعاه عابس، فاستخبره عمّا في نفسه، فأجاب بحقيقتها - كما مرّ - فتقدّم الى القتال، وقاتل قتال الأبطال، ثمّ قتل رضوان الله تعالى عليه. (٥)

: قيس بن مسهر الصيداوي (رض): ص : ٣٨٤

هو قيس بن مسهر بن خالد بن جندب ...

بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمه، الأسدى الصيداوي، وصيدا بطن من أسد، كان قيس رجلاً شريفاً في بني الصيدا شجاعاً مخلصاً في محبته أهل البيت عليهم السلام،

معالركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٣٨٥

وكان رسول أهل الكوفة مع الأرحبي والسلولي الى الإمام عليه السلام في مكة في الدفعة الثانية من رسائلهم إليه، وقد فصلنا القول في قصته وترجمته في الفصل الأول. (١)

: عبدالرحمن بن عبدالله الأرحبي (رض): ص : ٣٨٥

هو عبدالرحمن بن عبدالله بن الكدن بن أرحب ... وبنو أرحب بطن من همدان، كان عبدالرحمن وجهاً تابعياً شجاعاً مقداماً. قال أهل السير: أوفده أهل الكوفة إلى الحسين عليه السلام في مكة مع قيس بن مسهر ومعهما كتب نحو من ثلاث وخمسين صحيفة.. وكانت وفادته ثانياً الوفادات، فإن وفادة عبدالله بن سبع وعبدالله بن وال الأولى، ووفادة قيس وعبدالرحمن الثانية، ووفادة سعيد بن عبدالله الحنفى وهانى بن هانى السبعى الثالثة، وقال أبو مخنف: ولما دعا الحسين مسلماً وسرحه قبله إلى الكوفة سرح معه قيساً وعبدالرحمن وعماره بن عبيد السلولى، وكان من جملة الوفود، ثم عاد عبدالرحمن إليه فكان من جملة أصحابه. «٢»

وقال المامقانى: «وهو أحد نفر الذين وجههم الحسين عليه السلام مع مسلم، فلما خذلوا أهل الكوفة وقتل مسلم ردّ عبدالرحمن هذا إلى الحسين عليه السلام من الكوفة ولازمه حتى نال شرفى الشهادة وتسليم الإمام عليه السلام فى زيارتى الناحية المقدسة والرجية رضوان الله عليه.» «٣»

وعلى هذا يكون لعبدالرحمن الأرحبى (رض) التحاقان بالإمام عليه السلام، الأول

مع الרכب الحسينى (ج ٢)، ص: ٣٨٦

فى مكة، والثانى بعد خروجه عليه السلام من مكة، لأن مقتل مسلم عليه السلام كان عند أوائل خروج الإمام عليه السلام منها الى العراق.

«حتى إذا كان اليوم العاشر، ورأى الحال، استأذن فى القتال، فأذن له الحسين عليه السلام، فتقدم يضرب بسيفه فى القوم وهو يقول:

صبراً على الأسياف والأسنة صبراً عليها لدخول الجنة

ولم يزل يُقاتل حتى قُتل رضوان الله عليه.» «١»

وقد ورد فى زيارة الناحية المقدسة: «السلام على عبدالرحمن بن عبدالله بن الكدر الأرحبى.» «٢» أما فى الزيارة الرجية فقد ورد السلام هكذا: «السلام على عبدالرحمن بن عبدالله الأزدى.» «٣» والظاهر إتحادهما لأنه ليس فى شهداء الطف إلّا رجل واحد اسمه عبدالرحمن بن عبدالله. فتأمل.

هذا وقد تفرد الشيخ المفيد (ره) فى ذكر أن الذين بعثهم أهل الكوفة الى الإمام الحسين عليه السلام فى ثانى وفادة هم: قيس بن مسهر الصيداوى، وعبدالله وعبدالرحمن ابنا شداد الأرحبى، (بدلاً من عبدالرحمن بن عبدالله الأرحبى)، وعماره بن عبدالله السلولى، كما قال الشيخ المفيد (ره) إن الإمام عليه السلام دعا مسلماً عليه السلام فسرحه إلى الكوفة مع هؤلاء أيضاً. «٤» وهو خلاف ما ورد فى سائر التواريخ وخلاف الوارد فى زيارتى الناحية والرجية.

مع الרכب الحسينى (ج ٢)، ص: ٣٨٧

: الحجاج بن مسروق الجعفى (رض): ص : ٣٨٧

وهو الحجاج بن مسروق بن جعفر بن سعد العشيرة المدحجى الجعفى، وكان الحجاج من الشيعة، صحب أمير المؤمنين عليه السلام فى الكوفة، ولما خرج الحسين عليه السلام الى مكة خرج من الكوفة الى مكة لملاقاته، فصحبه وكان مؤذناً له فى أوقات الصلوات، وهو الذى أرسله الإمام عليه السلام مع يزيد بن مغفل الجعفى فى منطقة قصر بنى مقاتل إلى عبيد الله بن الحرّ الجعفى يدعوانه إليه عليه السلام.

وقال ابن شهر آشوب وغيره: لما كان اليوم العاشر من المحرم، ووقع القتال تقدم الحجاج بن مسروق الجعفى الى الحسين عليه السلام واستأذنه فى القتال، فأذن له، ثم عاد إليه وهو مخضبّ بدمائه، فأنشده:

فدتك نفسى هادياً مهدياً اليوم ألقى جدك النبيا

ثم أباك ذا الندى عليا ذاك الذى نعرفه الوصيا

فقال له الحسين عليه السلام: نعم، وأنا ألقاهما على أترك.

فرجع يُقاتل حتى قُتل رضى الله عنه. «١»

يزيد بن مغل الجعفى (رض): ص : ٣٨٧

وهو يزيد بن مغل بن جعف بن سعد العشيرة المذحجى الجعفى، فهو ابن عمّ الحجاج بن مسروق (رض)، ولقد كان يزيد بن مغل أحد الشجعان من الشيعة، ومن الشعراء المجيدين، وكان من أصحاب عليّ عليه السلام، حارب معه في صفين، وبعثه إلى حرب الخريّ من الخوارج، فكان على ميمنه معقل بن قيس عندما قتل الخريّ.

وروى عبدالقادر البغدادي صاحب كتاب خزانه الأدب: «٢» أنه كان مع

مع الركب الحسينى (ج ٢)، ص: ٣٨٨

الحسين عليه السلام فى مجيئه من مكّه، وأرسله مع الحجاج الجعفى الى عبيد الله بن الحرّ الجعفى عند قصر بنى مقاتل.

وقال المرزبانى فى معجم الشعراء: كان من التابعين، وأبوه من الصحابة. «١»

لكنّ المامقانى ذكر «أنه أدرك النبى صلى الله عليه وآله، وشهد القادسيه فى عهد عمر، وكان من أصحاب أمير المؤمنين يوم صفين،

ثم بعثه فى وقعه الخوارج تحت إمارة معقل بن قيس». «٢»

وذكر أهل المقاتل والسير أنه لما التحم القتال فى اليوم العاشر إستأذن يزيد بن مغل الحسين عليه السلام فى البراز فأذن له، فتقدّم وهو يقول:

أنا يزيد وأنا ابن مغل وفى يمينى نصل سيف منجل

أعلو به الهامات وسط القسطل عن الحسين الماجد المفضل

ثم قاتل حتى قُتل. «٣»

إذن فمجموع الأبرار من هذه الأئمة من أهل الكوفة الذين التحقوا بالإمام عليه السلام فى مكّه - على ضوء هذه المتابعة - سبعة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

وقد ذكر الشيخ باقر شريف القرشى أنّ الصحابى الجليل أنس بن الحارث الكاهلى (رض) - وهو من سكنه الكوفة - قد لازم الحسين

عليه السلام وصحبه من مكّه. «٤» ولعلّ الشيخ القرشى عثر على وثيقه تاريخية تقول بذلك، أو لعلّ هذا من سهو قلمه الشريف، لأنّ

الذى عليه أهل السير أنّ أنس بن الحارث الكاهلى قد إلتحق

مع الركب الحسينى (ج ٢)، ص: ٣٨٩

بالإمام عليه السلام بعد خروجه من مكّه (فى العراق)، «١» أو عند نزوله كربلاء. «٢»

٣ - الملتحقون به عليه السلام فى مكّه من أهل البصرة: ص : ٣٨٩

إشارة

ومن أهل البصرة كوكبة تتألف من تسعة من أبرار هذه الأمة، كانوا قد التحقوا بالإمام الحسين عليه السلام فى مكّه المكرمة، وهم:

الحجاج بن بدر التميمى السعدى (رض): ص : ٣٨٩

وهو من أهل البصرة، من بنى سعد بن تميم، وكان قد حمل رسالة جوايبه من يزيد بن مسعود النهشلى (ره) «٣» إلى الإمام الحسين

عليه السلام في مكة، فلما وصل إلى الإمام عليه السلام بقي معه حتى قُتل بين يديه في كربلاء. «٤»
قال صاحب الحدائق: «٥» قُتل مبارزة بعد الظهر، وقال غيره: قتل في الحملة الأولى قبل الظهر. «٦»

: قعنب بن عمر النمرى (رض): ص : ٣٨٩

«كان قعنب رجلاً بصرياً، من الشيعة الذين بالبصرة، جاء مع الحجاج السعدي إلى الحسين عليه السلام، وانضم إليه، وقاتل في الطف مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٣٩٠
بين يديه حتى قُتل. ذكره صاحب الحدائق. «١» وله في القائميات ذكر وسلام «٢». «٣»

: يزيد بن ثيبط العبدى وإبناه عبدالله وعبيدالله (رض): ص : ٣٩٠

كان يزيد من الشيعة، ومن أصحاب أبي الأسود الدؤلي، وكان شريفاً في قومه، وكان ممن حضر المؤتمر الشيعي في بيت المرأة المؤمنة مارية بنت منقذ العبدية، التي كانت دارها مألفاً ومنتدى للشيعة في البصرة يتحدثون فيه ويتداولون أخبار حركة الأحداث آنذاك، وقد كان ابن زياد قد بلغه عزم الإمام الحسين عليه السلام على التوجه إلى العراق، ومكاتبه أهل الكوفة له، فأمر عماله أن يضعوا المراسد ويأخذوا الطريق.

وقد عزم يزيد بن ثيبط (رض) على الخروج إلى الإمام عليه السلام، وكان له بنون عشرة، فدعاهم إلى الخروج معه.
وقال: أيكم يخرج معي متقدماً؟
فانتدب له إثنان هما: عبدالله، وعبيدالله.

فقال لأصحابه في بيت مارية: إني قد أزمعت على الخروج، وأنا خارج، فمن يخرج معي؟
فقالوا له: إنا نخاف أصحاب ابن زياد!

مع الركب الحسيني (ج ٢)، ص: ٣٩١

فقال: إني والله أن لو قد استوت أخفافها بالجُدُد «١» لهان عليّ طلب من طلبني.

ثم خرج وإبناه، وصحبه عامر ومولاه، وسيف بن مالك، والأدهم بن أمية، وقوى في الطريق حتى انتهى إلى الحسين عليه السلام وهو بالأبطح من مكة، فاستراح في رحله، ثم خرج إلى الإمام الحسين عليه السلام إلى منزله.

وبلغ الإمام عليه السلام مجيئه، فجعل يطلبه حتى جاء إلى رحله، فقيل له: قد خرج إلى منزلك. فجلس في رحله ينتظره!

وأقبل يزيد لما لم يجد الإمام الحسين عليه السلام في منزله، وسمع أنه ذهب إليه راجعاً على أثره، فلما رأى الإمام الحسين عليه السلام في رحله قال: «قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا»، السلام عليك يا ابن رسول الله.

ثم سلم عليه، وجلس إليه وأخبره بالذي جاء له، فدعا له الإمام الحسين عليه السلام بخير، ثم ضمّ رحله إلى رحله، وما زال معه حتى قُتل بين يديه في الطفّ مبارزة، وقُتل إبناه في الحملة الأولى.

وفي رثائه ورثاء ولديه يقول ولده عامر بن يزيد:

يا فزو قومي فاندبى خير البرية في القبور

وابكى الشهيد بعبرة من فيض دمع ذى درور

وارث الحسين مع التفجع، والتأوه، والزفير قتلوا الحرام من الأئمة في الحرام من الشهور.

وابكى يزيد مُجدلاً وابنته في حرّ الهجير

مترملين، دماؤهم تجرى على لُبّ النحور

يا لهف نفسى لم تفرز معهم بجناتٍ وحوارٍ «١»

: الأدهم بن أمية العبدى (رض): ص : ٣٩١

كان الأدهم من الشيعة البصريين الذين يجتمعون فى بيت مارية بنت منقذ العبدية (ره)، وكان قد عزم على الخروج إلى الإمام الحسين عليه السلام فى مكة مع يزيد بن ثبيط (رض)، فصحبه، وانضم إلى الركب الحسينى فى مكة، ثم استشهد بين يدي الإمام عليه السلام يوم عاشوراء، وقيل: قُتل فى الحملة الأولى مع من قُتل من أصحاب الحسين عليه السلام. «٢»
وذهب النمازى إلى أن الأدهم بن أمية (رض) كان صحابياً. «٣»

: سيف بن مالك العبدى (رض): ص : ٣٩١

كان سيف من الشيعة البصريين الذين كانوا يجتمعون فى دار مارية بنت منقذ العبدية (ره)، فخرج مع يزيد بن ثبيط (رض) فيمن خرج معه إلى الإمام الحسين عليه السلام فى مكة، وانضم إليه وما زال معه حتى قُتل بين يديه فى كربلاء مبارزة بعد صلاة الظهر. «٤»

: عامر بن مسلم العبدى ومولاه سالم (رض): ص : ٣٩١

كان عامر من الشيعة فى البصرة، فخرج هو ومولاه سالم مع يزيد بن ثبيط (رض) فيمن خرج معه إلى الإمام الحسين عليه السلام فى مكة المكرمة، وانضم إلى الركب الحسينى فى جملة كوكبة الأبرار الذين أتوا مع يزيد بن ثبيط (رض)، ولم يفارقا الإمام عليه السلام حتى استشهدا

مع الركب الحسينى (ج ٢)، ص: ٣٩٣

بين يديه فى كربلاء يوم عاشوراء، وقيل: قُتلا فى الحملة الأولى. «١»

رضى الله عنه رضى الله عنه

هذا والحمد لله على توفيقه لانجاز هذه السطور المتواضعة من كتاب (الأيام المكية من عمر النهضة الحسينية)، وأنا العبد الخاطيء،
الراجى ربه، نجم الدين بن العلامة الفقيه الشيخ محمد رضا الطبسى النجفى، عفى الله عنه وعن والديه بحرمه السادة أصحاب الكساء.
الحمد لله

الجزء الثالث

إشارة

سرشناسه : طبسى، نجم الدين، - ١٣٣٤

عنوان و نام پديدآور : الامام الحسين عليه السلام فى مكة المكرمة / تاليف نجم الدين الطبسى

مشخصات نشر : قم : سپهر انديشه ، ١٤٢٧ق=١٣٨٥.

مشخصات ظاهرى : ص ٤٨٠

فروست : (مع الركب الحسينى من المدينة الى المدينة؛ الجزء الثانى)

شابك : ٩٦٤-٧٩٣٥-٥١-X

وضعت فهرست نویسى : فهرست نویسى قبلى

يادداشت : عربي

يادداشت : فهرست نويسي براساس اطلاعات فييا

يادداشت : كتابنامه: ص. ٤٧٢ - ٤٥٥؛ همچنين به صورت زيرونويس

موضوع : حسين بن علي (ع)، امام سوم، ٦١ - ٤٠ق. — سرگذشتنامه

موضوع : واقعه كربلا، ق ٦١

موضوع : مكة — تاريخ — قرن ١

رده بندي كنگره : BP٤١/٤م ٦٣ ج. ٢، ١٣٨٥

رده بندي ديويي : ٢٩٧/٩٥٣

شماره كتابشناسي ملي : م ٨٥-١١١٠٥

مع الركب الحسيني من المدينة الى المدينة (الجز الثالث)

مقدمة مركز الدراسات الإسلامية ص : ٣

التابع لممثلية الولي الفقيه في حرس الثورة الإسلامية

الحمد لله الذي جعل الحمد مفتاحاً لذكره ودليلاً على نعمه وآلائه، والصلاة والسلام على أشرف الخلائق محمد وآله الطيبين الطاهرين.

وبعد: فهذا الكتاب هو الجزء الثالث المختص بوقائع طريق الركب الحسيني من مكة المكرمة إلى كربلاء المقدسة، وهو المقطع الثالث من مقاطع دراستنا التاريخية التفصيلية الموسعة (مع الركب الحسيني من المدينة إلى المدينة).

ولاندعى شططاً إذا قلنا إن هذا الجزء - كأخويه الأول والثاني - قد حوى من التحقيقات والنظرات والإشارات الجديدة ما يؤهله لسد ثغرات كثيرة في تأريخ النهضة الحسينية المقدسة كانت قبل ذلك مبهمه غامضة لم تتوفر الإجابة الوافية عنها.

وهنا لابد من أن نتقدم بالشكر الجزيل إلى مؤلف هذا الكتاب سماحة الشيخ المحقق محمد جواد الطبسي لما بذله من جهد كبير في إعداد مادة هذا المقطع وإنجاز هذا البحث القيم.

كما نتقدم بالشكر الجزيل إلى فضيلة الأستاذ المحقق على الشاوي الذي تولى العناية بهذا البحث مراجعة ونقداً وتنظيماً وتكميلاً كعنايته من قبل الجزء الثاني، داعين له بمزيد من الموفقيه في ميدان التحقيق ومؤازرة المحققين، وفي مواصلة عنايته البالغة في خدمة الأجزاء الباقية من هذه الدراسة القيمة.

مركز الدراسات الإسلامية

التابع لمثلية الولي الفقيه في حرس الثورة الإسلامية

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٤

مقدمة الكتاب

«الإشارات المهمة على الطريق بين مكة وكربلاء»

على طريق الركب الحسيني من مكة المكرمة إلى كربلاء المقدسة هناك إشارات مهمة، ليست من نوع الإشارات التي توضع على جانبي الطريق ليستدل بها السائرون على معرفة الطريق، أو صحه السير، أو مدى القرب أو البعد من الغاية المنشودة، بل هي إشارات من نوع آخر! ترسم في آفاق «المعاني السامية» لتتحدث عن «هوية القاصد» على هذا الطريق لا عن «هوية الطريق».

وطريق الركب الحسيني إلى كربلاء مليء بهذه الإشارات .. فمنها مثلاً:

الإشارة: في خروج الركب الحسيني من مكة يوم التروية (الثامن من ذي الحجة)! والإشارة: في قول الإمام عليه السلام للفرزدق «لو لم أعجل لأخذت!» وفي قوله عليه السلام لأبي هريرة الأزدى: «وطلبوا دمي فهربت!». والإشارة: في تصديقه عليه السلام لقول الفرزدق ولقول بشر بن غالب الأسدي في أنهما خلفا الناس في الكوفة قلوبهم مع الإمام عليه السلام وسيوفهم عليه! والإشارة: في قوله عليه السلام لعمر بن لوذان: «يا عبدالله، إنه ليس يخفى عليّ الرأي ما رأيت، ولكنّ الله لا يُغلب على أمره!». والإشارة: في احتجاجه المتواصل برسائل أهل الكوفة إليه، حتى بعد علمه بمقتل مسلم بن عقيل عليه السلام، وفي إصراره على التوجه إلى الكوفة حتى بعد منع الحرّ الرياحي (رض) الإمام عليه السلام من دخول الكوفة حُرّاً! والإشارة: في قوله عليه السلام بعد إصرار آل عقيل على الطلب بتأثر مسلم عليه السلام: «لاخير في العيش بعد هؤلاء!». والإشارة: في قراءته عليه السلام في منزل زبالة بيانه الذي أعلن فيه للركب عن مقتل مسلم وهاني وعبدالله بن يقطر (رض) وترخيصه من معه في الركب بالإنصراف عنه بلاذمام!

والإشارة: في قوله عليه السلام: «.. وإن لم تفعلوا وكنتم لمقدمي كارهين انصرفت عنكم إلى المكان الذي أقبلت منه إليكم ..». والإشارة: في قوله عليه السلام: «يرغب المؤمن في لقاء الله

مع الركب الحسيني (ج ۳)، ص: ۵

محقّقاً، فإنّي لا أرى الموت إلّا شهادة ولا الحياة مع الظالمين إلّا برماً!». والإشارة: في قوله عليه السلام: «إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله ... فلم يغيّر عليه بفعل ولا قول كان حقاً على الله أن يُدخله مدخله ..!». والإشارة: في قوله عليه السلام لابن الحرّ الجعفي: «.. فإن كنت قد بخلت علينا بنفسك فلا حاجة لنا بشيء من مالك، ولم أكن بالذي أتخذ المضلّين عضداً...».

وللقارى، الكريم أن ينعم بالتعرّف على هذه الإشارات وأخرى غيرها كثيرة بين دفتي هذا الكتاب!

لكنني أحببت فيما تبقى من مساحه هذه المقدمه التأكيد مرّة أخرى على أهمّ هذه الإشارات المهمّة: وهي كثرة الإمتحانات المتواليه التي كان الإمام عليه السلام يمتّح بها أتباعه!

لقد شرع الإمام عليه السلام بذلك -فضلاً عن الإخبارات الكثيرة المأثورة عن الرسول صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام حول مصرعه عليه السلام في أرض كربلاء- حين خطب الناس في مكة قبيل رحيله منها خطبته المعروفه بقوله: «.. كأني بأوصالي تقطعها عُسلان الفلوت بين النوايس وكربلاء ..»، بل قبل ذلك أيضاً، ثم لم يزل عليه السلام يواصل امتحان أتباعه - وكان قد تبع الحسين خلق كثير من المياه التي يمرّ بها لأنهم كانوا يظنون استقامه الأمور له عليه السلام- فكان له في كلّ منزل من منازل الطريق امتحان من خلال إشارة أو تصريح أو تصديق لخبر مخيب للآمال يأتي به قادم من الكوفة، حتى إذا بلغ عليه السلام زبالة قرأ على الركب خبر مقتل مسلم عليه السلام وهاني (رض) وابن يقطر (رض) وقال: «.. وقد خذلتنا شيعتنا فمن أحبّ منكم الإنصراف فليصرف ليس عليه منّا ذمام!» فتفرّق الناس عنه يميناً وشمالاً، حتى بقي في صفوة الأنصار الذين آثروا مواساته والقتل معه على التخلّي عنه! وقيل: إنه عليه السلام إنّما أراد ألماً يصحبه إنسان إلماً على بصيره! وقيل: إنه عليه السلام كره أن يسيروا معه إلأ وهم يعلمون علام يقدمون! وقد علم أنهم إذا بين لهم لم يصحبه إلماً من يريد مواساته والموت معه! وقيل: إنّ هذه الإمتحانات من ضرورات التخطيط

مع الركب الحسيني (ج ۳)، ص: ۶

الحربي، لأنه عليه السلام أراد أن يميز قوته الحقيقيه التي سيواجه بها العدو ويرسم خطته القتاليه على أساسها، من قوته الظاهريه المتألّف أكثرها من «أهل الطمع والإرتياب» الذين لا يصمدون ساعة الحرب والنزال! وكلّ هذه الأقوال صحيحة في نفسها ..

لكننا نرى أنّ الإمام عليه السلام كان قد واصل هذه الإمتحانات حتى بعد ذلك، وعرض صفوة الأنصار لاختبارات متواليه حتى ليلة عاشوراء!

فقد خطب فيهم بذي حسم قائلاً: «إنه قد نزل من الأمر ما قد ترون! وإنّ الدنيا قد تغيّرت وتكثرت وأدبر معروفها...». وقال في عذيب الهجانات حين أتاه خبر مقتل قيس الصيداوى (رض): «.. منهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً..». وقال حين سمع بإسم كربلاء: «.. هاهنا محط رحالنا، ومسفك دماننا، وهنا محلّ قبورنا..». ودعاهم ليلة عاشوراء إلى الانصراف عنه قائلاً: «.. فجزاكم الله عني جميعاً خيراً، .. ألا وإني قد أذنت لكم، فانطلقوا جميعاً في حلّ، ليس عليكم مني ذمام، هذا الليل غشيكم فاتخذوه جملاً..». هذا فضلاً عن امتحاناته لبعض الأفراد كنافع بن هلال (رض) وبشر بن عمرو الحضرمي (رض)! من هنا، نفهم أنّ هناك غايةً علياً عند الإمام عليه السلام من وراء هذه التمحيصات- فوق الغايات الحربية- وهي الوصول بهذه الصفوة المقدّسة من الأنصار ذوى البصائر والعزائم الراسخة إلى أعلى منازل الآخرة، من خلال إرتقائهم فى الدرجات بعد النجاح إثر كلّ امتحان، حتّى بلغ عليه السلام بهم منزلة «سادة الشهداء»، ودرجة «.. فإني لا أعلم أصحاباً أوفى ولا خيراً من أصحابي ..»، ورتبة «.. عشاق شهداء لا يسبقهم من كان قبلهم، ولا يلحقهم من بعدهم..». ثمّ نزل عليهم الفيض ليلة عاشوراء بالاستحقاقات، فكشف عليه السلام عن أعينهم الغطاء، وأراهم منازلهم ودرجاتهم فى الجنّة!

وما أروع السلام الذى شرفتهم به زيارة الناحية المقدّسة: «السلام عليكم يا خير أنصار! السلام عليكم بما صبرتم فنعمة عقبى الدار! بؤاكم الله مَبُوءَ الأبرار! أشهد لقد كشف الله لكم الغطاء! ومهدّ لكم الوطاء! وأجزل لكم العطاء! وكنتم عن الحقّ غير بطاء! وأنتم لنا فرطاء! ونحن لكم خلطاء فى دار البقاء! والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..».

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٧

الفصل الأول: الركب الحسيني في الطريق الى العراق ص : ٧

إشارة

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٩

الفصل الأوّل: الركب الحسيني في الطريق الى العراق

بعد انقضاء ما يزيد على أربعة أشهر، «١» أى حوالى مائة وخمسة وعشرين يوماً، أقام الإمام الحسين عليه السلام خلالها فى مكّة المكرمة بعد رفضه المبايعة ليزيد ابن معاوية بعد موت أبيه، بادر الامام عليه السلام الى الخروج عن مكّة بعد أن أحلّ من إحرام عمرته، مخافه أن يُقبض عليه أو أن يُغتال فى مكّة- فى ظروف وملابسات غامضة أثناء مراسم الحجّ- فتنتهك بذلك حرمة البيت الحرام، وكان الركب الحسيني قد تحرّك قاصداً نحو العراق سحراً أو أوائل الصبح من اليوم الثامن من ذى الحجّة الحرام سنه ستين للهجرة.

سبع فوائد تحقيقية ص : ٩

إشارة

١- اختلف المؤرّخون فى يوم خروج الإمام عليه السلام من مكّة المكرمة، فذكر بعضهم أنّ خروجه عليه السلام كان فى اليوم الثالث من ذى الحجّة، «٢» وذكر آخر أنه كان فى اليوم السابع منه، «٣» وقال آخر إنّ ذلك كان فى اليوم العاشر منه، «٤» والصحيح هو أنّ خروجه عليه السلام من مكّة كان فى اليوم الثامن من ذى الحجّة، بدليل قول الإمام الحسين عليه السلام نفسه فى رسالته الثانية إلى أهل الكوفة، إذ ورد فيها: «... وقد

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٠

شخصتُ إليكم من مكة يوم الثلاثاء لثمانٍ مضين من ذى الحجة يوم التروية ..»، «١» وبدليل ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في أكثر من رواية «٢» أنّ الإمام الحسين عليه السلام خرج من مكة المكرمة يوم التروية أى اليوم الثامن من ذى الحجة الحرام.

٢- خرج الامام عليه السلام من مكة بجميع الأعلام «٣» الذين قدموا معه إليها من المدينة المنورة، والذين انضموا إليه في الطريق بين المدينة ومكة، «٤» عدا مسلم بن عقيل عليه السلام الذى أرسله الامام عليه السلام إلى الكوفة قبله، وعدا سليمان بن رزين (رض) الذى أرسله الإمام عليه السلام برسالته إلى رؤساء الأخماس فى البصرة وأشرافها. كما خرج الإمام عليه السلام بجميع من انضم إليه فى مكة من الأعلام عدا قيس بن مسهر الصيداوى (رض)، وعبدالرحمن بن عبدالله الأرحبى (رض)، وعماره بن عبيدالله السلولى، الذين بعثهم الإمام عليه السلام مع مسلم بن عقيل عليه السلام إلى الكوفة، «٥» وعدا سعيد بن عبدالله الحنفى (رض) وهانى بن هانى الذين بعثهما الإمام عليه السلام إلى أهل الكوفة برسالته الأولى إليهم قبل إرساله مسلماً عليه السلام إليهم. «٦»

٣- لا يعنى خروج الركب الحسيني من مكة فى السحر أو فى أوائل الصبح أنّ خروجه كان سراً لم تعلم به السلطة الأموية ولم يعلم به الناس، ذلك لأنّ الإمام عليه السلام كان قد أعلن عن موعد حركة الركب الحسيني وساعة خروجه فى خطبته المعروفة بعبارة الشهيرة «خط الموت على ولد آدم مخط القلادة على

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١١

جيد الفتاة»، حيث قال عليه السلام فى آخرها «فمن كان باذلاً فىنا مهجته، موطناً على لقاء الله نفسه فليرحل معنا، فإننى راحلٌ مصباحاً إن شاء الله تعالى»، «١»

وكان الإمام عليه السلام قد خطب هذه الخطبة فى عموم الناس لا فى أصحابه خاصة. «٢»

٤- من المعلوم تحقيقاً وان كان المواجهة العسكرية العلنية مع الإمام الحسين عليه السلام داخل مكة أو على مشارفها لم تكن فى صالح السلطة الأموية، وكانت السلطة الأموية تعلم ذلك جيداً، ألا أنهم بأمر يزيد صمموا لكى يغتالوا الامام الحسين عليه السلام وان كان معلقاً باستار الكعبة ومع رحيل الامام الحسين عليه السلام من مكة فشلت نقشتهم كما أنّ هذه الحقيقة لم تكن لتخفى على الإمام عليه السلام، وذلك لأنّ الأمويين يعلمون مالالإمام الحسين عليه السلام من منزلة سامية وقداسه فى قلوب المسلمين، فاغتيال له خفياً كان أولى عندهم من المواجهه فالمواجهة العسكرية معه داخل مكة أو عند مشارفها تعنى بالضرورة تأليب قلوب جماهير الحجيج عليهم، وتأييدهم للإمام عليه السلام، وانتصارهم له وانصوائهم تحت رايته، وهذا هو (تفاهم الأمر) «٣» الذى يخشاه الأمويون. فضلاً عن أنّ الملتفتين حول الإمام عليه السلام- وهو لما يزل فى مكة- كانوا كثيرين، بدليل أنّ الركب الحسيني الخارج من مكة كان كبيراً نسبياً.

وفضلاً عن أنّ مكة وهى مدينة دينية مقدسة عند الجميع، لم تكن للسلطة

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٢

الأموية فيها بالفعل إلا قوة محدودة تكفيها لتنفيذ وضبط الأمور الإدارية والقضائية، وتنظيم حركة الحجيج، وحراسة السلطان، وحفظ الأمن الداخلى فعليه فكان يمكن لهم ان ينجزوا اعتيال الام ولا تكفيها لمواجهة تمرد أو انقلاب تقوم به جماعة كبيرة ذات عدّة واستعداد ان كان الاغتياال ممكن وهذا أيضاً شأن المدينة المنورة يومذاك- والدليل على ذلك أنّ كلّ الإنتفاضات الكبيرة التى حصلت فى المدينة المنورة أو فى مكة كانت السلطة الأموية قد واجهتها بجيوش استفدمتها من خارجها، او عيون قدد سوهم فى بين الناس كما فى قضية الامام الحسين لاغتياله (ع) وهذا تختلف عن انتفاضة أهل المدينة ووقعة الحرة الأليمة، وكما فى مواجهة الأمويين لعبدالله بن الزبير فى مكة. «١»

٥- وما قدّمناه لينا فى حقيقة أنّ الامام عليه السلام خرج من مكة مبادراً- قبل شروع أعمال الحج- خوفاً من أن تغتاله السلطة الأموية

في مكة، فنتهك بذلك حرمة البيت الحرام، ذلك لأنّ الأمويين إن لم يكونوا قد تمكّنوا من اختطافه أو اغتياله طيلة مدّة بقائه- الطويلة نسبياً- في مكة بسبب احتياطات الإمام عليه السلام وحذره، وحمايته من قبل أنصاره من الهاشميين وغيرهم، «٢» فإنّ فرصة الأمويين لتنفيذ

معالركب الحسينى (ج ٣)، ص: ١٣

خطّتهم ستكون مؤاتية بصورة أفضل عند شروع أعمال الحجّ، وستكون احتمالات نجاحها أكبر، ذلك لأنّ الإمام عليه السلام- على فرض بقائه في مكة- سيكون هو ومن معه وجموع الحجيج مشغولين في أعمال الحجّ وأجوائها العبادية، عزّلاً من السلاح، وسيساعد وجود الإمام عليه السلام في زحام الحجيج كثيراً على تنفيذ ما أرادته السلطة الأموية به من سوءٍ وشرّ، ولذا بادر عليه السلام إلى الخروج من مكة يوم التروية. «١»

٦- فإذا علمنا من كلّ ما مضى أنّ خروج الإمام عليه السلام لم يكن سرّاً، ولم يكن خوفاً من مواجهة حربيةٍ عنيفةٍ مع السلطة الأموية في مكة، أدركنا أنّ هناك لعله كان سبباً آخر رئيساً كان قد دفع الإمام عليه السلام إلى اختيار السحر أو أوائل الصبح في ستر الظلام موعداً للخروج، وهذا السبب لعله هو الغيرة الحسينية الهاشمية التي تأبى أن تتصفّح أنظار الناس في مكة حرائر بيت العصمة والرسالة، والنساء الأخريات في الركب الحسينى، في حال خروج الإمام عليه السلام في وضوح النهار حيث تغصّ مكة بالناس.

إنّ هذا لعله هو السبب الأقوى في مجموع الأسباب التي دفعت الإمام عليه السلام إلى الخروج في السحر، أو في أوائل الصبح.

٧- يُستفاد من بعض كتب السير والمقاتل أنّ الإمام عليه السلام كان قد اعتمر عمره

معالركب الحسينى (ج ٣)، ص: ١٤

التمتع ثم عدل عنها إلى العمرة المفردة لعلمه بأنّ الظالمين سوف يصدّونه عن إتمام حجّه. «١»

والصحيح تحقيقاً هو أنّ الإمام الحسين عليه السلام قد دخل في إحرام العمرة المفردة ابتداءً، أى لم يكن أحرم لعمرة التمتع ثم عدل عنها إلى العمرة المفردة.

وقد تبنّى هذا القول من الفقهاء السيّد محسن الحكيم قدس سره، والسيّد الخوئي قدس سره، والسيّد السبزواري قدس سره، وآخرون غيرهم. «٢»

يقول السيّد الحكيم قدس سره في مستمسك العروة الوثقى: «.. وأما ما في بعض كتب المقاتل من أنّه عليه السلام جعل عمرته عمرة مفردة، ممّا يظهر منه أنها كانت عمرة تمتّع وعدل بها إلى الأفراد، فليس ممّا يصحّ التعويل عليه في مقابل الأخبار المذكورة التي رواها أهل البيت عليهم السلام». «٣»

ويقول الشيخ محمد رضا الطبسى قدس سره: «المشهور بين الأصحاب رضوان الله عليهم أنّ من دخل مكة بعمرة التمتع في أشهر الحجّ لم يجز له أن يجعلها مفردة، ولا أن يخرج من مكة حتى يأتي بالحجّ لأنها مرتبة (مرتبطة) بالحجّ، نعم عن ابن إدريس القول بعدم الحرمة وأنه مكروه، وفيه أنه مردود بالأخبار». «٤»

«كما يضعف أيضاً القول بوقوع التبديل إلى العمرة المفردة هو أنّه لو كان لأجل الصّد ومنع الظالم فإنّ المصدود عن الحجّ يكون إحلاله بالهدى، كما أشار

معالركب الحسينى (ج ٣)، ص: ١٥

إليه الشهيد الأوّل في الدروس، «١» والشهيد الثانی في المسالك. «٢». «٣»

ولم يرد في خبر أو أثر أنّ الإمام الحسين عليه السلام كان قد أحلّ من إحرام عمرته بالهدى.

إشارة

إن أفضل من يجيب عن هذا السؤال هو الإمام الحسين نفسه عليه السلام، ويمكننا هنا التعرف على أبعاد هذا الجواب، وتحديد العوامل التي دفعت الإمام عليه السلام إلى اختيار العراق لاغيره من البلدان، من خلال تتبع واستقصاء جميع ما أثر من تصريحات الإمام عليه السلام في هذا الصدد، منذ إعلانه عن قيامه المقدس في رفض البيعة ليزيد بعد موت معاوية أمام الوليد بن عتبة والى المدينة آنذاك، حتى أواخر ساعات حياته في كربلاء في احتجاجاته على أعدائه قبيل نشوب القتال يوم عاشوراء.

وعلى ضوء تصنيف تصريحاته عليه السلام على أساس نوع الإشارة فيها يمكننا تحديد العوامل التي دفعت الإمام عليه السلام إلى هذا الأمر، وهذه العوامل هي:

(١) - العراق مهد التشيع ومركز معارضة الحكم الأموي ص : ١٥

في إجابته عليه السلام عن سؤال عبدالله بن عتياش بن أبي ربيعة (٤) بالأبواء - بين

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٦

المدينة ومكة: - أين تريد يا ابن فاطمة؟

قال الإمام عليه السلام: العراق وشيعتي!. (١)

وفي محاوره بينه وبين عبدالله بن عباس قال ابن عباس (رض): فإن كنت على حال لا بد أن تشخص فصّر إلى اليمن فإن بها حصوناً لك، وشيعه لأبيك، فتكون منقطعاً عن الناس!

فقال الإمام عليه السلام: لا بد من العراق!. (٢)

هذان النضان - ونظائرهما - يكشفان بوضوح عن أهمية العراق بذاته عند الإمام عليه السلام بمعزل عن أثر رسائل أهل الكوفة التي وصلت إلى الإمام عليه السلام في مكة بعد موت معاوية، وأهمية العراق بذاته عند الإمام عليه السلام من الحقائق التاريخية التي لا تحتاج لإثباتها إلى الاستشهاد عليها بنص.

فلقد كانت الكوفة «مهلاً للشيعه، وموطناً من مواطن العلويين، وقد أعلنت إخلاصها لأهل البيت في كثير من المواقف ... وقد خاض الكوفيون حرب الجمل و صنفين مع الامام، وكانوا يقولون له: «سّر بنا يا أمير المؤمنين حيث أحببت، فنحن حزبك وأنصارك، نعدى من عاداك، ونشايح من أناب إليك وأطاعك»، (٣) وكان الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يُثنى عليهم ثناء عاطراً، فيرى أنهم أنصاره وأعدائه المخلصون له، يقول لهم: «يا أهل الكوفة، أنتم إخواني وأنصاري وأعواني على

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٧

الحق، ومجيباً إلى جهاد المحلّين، بكم أضرب المدبر، وأرجو إتمام طاعة المُقبل»، (١) ويقول عليه السلام: «الكوفة كنز الإيمان، وجمجمة الإسلام، وسيف الله ورمحه، يضعه حيث يشاء». (٢)». (٣)

وكانت الكوفة بعد أمير المؤمنين عليه السلام والإمام الحسن عليه السلام المقرّ الرئيسي لمعارضة الحكم الأموي، وكان الكوفيون يتمنون زوال الحكم الأموي، «ومما زاد في نعمة الكوفيين على الأمويين أن معاوية ولّى عليهم شذاذ الآفاق كالمغيرة بن شعبة، وزباد بن أبيه، فأشاعوا فيها الظلم والجور، وأخرجوهم من الدعة والإستقرار، وبالغوا في حرمانهم الإقتصادي، واتبعوا فيهم سياسة التجويع والحرمان ... وظلت الكوفة مركزاً للمؤامرات على حكم الأمويين، ولم يُثبهم عن ذلك ما عانوه من التعذيب والقتل والبطش على أيدي الولاة». (٤)

وكان الشيعة في العراق - بعد شهادة الإمام الحسن عليه السلام - على اتصال بالإمام الحسين عليه السلام من خلال المكاتبات

واللقاءات، ونكتفى للدلالة على ذلك بهذين النصين:

(أ) - نقل الشيخ المفيد (ره) عن الكلبي والمدائني وغيرهما من أصحاب السير أنهم قالوا: «لما مات الحسن عليه السلام تحرّكت الشيعة بالعراق، وكتبوا الى الحسين عليه السلام في خلع معاوية، والبيعة له، فامتنع عليهم، وذكر أن بينه وبين معاوية عهداً وعقداً لا يجوز له نقضه حتى تمضي المدّة، فإذا مات معاوية نظر في ذلك». (٥)

مع الרכب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٨

(ب) - روى البلاذري عن العتبي أن الوليد بن عتبة حجب أهل العراق عن الإمام الحسين عليه السلام (أى منعهم من اللقاء به، وهذا يعنى أنهم كانوا يأتون لملاقاته في المدينة المنورة، وبصورة ملفتة ومثيرة لانتباه السلطة)، فقال الحسين عليه السلام: «يا ظالماً لنفسه، عاصياً لربّه، علام تحول بيني وبين قوم عرفوا من حقّي ما جهلته أنت وعمّك؟!». (١)

(٢) - العراق أرض المصراع المختار؟! ص : ١٨

لما عزم الإمام عليه السلام على الخروج من المدينة أتته أم سلمة (رض) فقالت: يا بُنى لاتحزنى بخروجك الى العراق، فإنى سمعت جدك يقول: يُقتل ولدى الحسين عليه السلام بأرض العراق فى أرض يقال لها: كربلاء! فقال لها: «يا أمّاه، وأنا والله أعلم ذلك، وأنى مقتول لامحاله، وليس لى من هذا بدّ، وإنى والله لأعرف اليوم الذى أُقتل فيه، وأعرف من يقتلنى، وأعرف البقعة التى أُدفن فيها، وإنى أعرف من يُقتل من أهل بيتى وقرابتى وشيعتى، وإن أردتِ يا أمّياه أريك حفرتى ومضجى!». (٢)

وفى رواية أخرى أنه عليه السلام قال لها (رض):

«والله إنى مقتول كذلك، وإن لم أخرج إلى العراق يقتلوننى أيضاً...».

«وقد روى بأسانيد أنه لما منعه عليه السلام محمّد بن الحنفية عن الخروج إلى الكوفة قال: والله يا أخى، لو كنت فى جحر هامه من هوامّ الأرض، لاستخرجونى منه حتى

مع الרכب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٩

يقتلوننى...» (١)

وفى رواية أنه عليه السلام قال لابن الزبير: لئن أدفن بشاطيء الفرات أحبّ إلىّ من أن أدفن بفناء الكعبة. (٢)

أو قوله عليه السلام: ولئن أُقتل بالطفّ أحبّ إلىّ من أن أُقتل بالحرم. (٣)

هذه النصوص - ونظائرها - تكشف لنا أن الإمام عليه السلام منذ البدء كان قد اختار العراق أرضاً لمصرعه!

وسرّ ذلك هو أن الإمام عليه السلام بعد أن اختار موقفه المبدئى برفض البيعة ليزيد وبالقيام كان يعلم منذ البدء أنه مقتول لامحاله، خرج الى العراق أولم يخرج، فكان «من الحكمة أن يختار الإمام عليه السلام لمصرعه أفضل الظروف الزمانية والمكانية والنفسية والاجتماعية المساعدة على كشف مظلوميته وفضح أعدائه، ونشر أهدافه، وأن يتحرّك باتجاه تحقيق ذلك ما وسعته القدرة على التحرك. وبما أن الإمام عليه السلام كان يعلم منذ البدء أيضاً أن أهل الكوفة لا يفون له بشيء من عهدهم وبيعتهم وأنهم سوف يقتلونّه: «هذه كتب أهل الكوفة إلىّ ولا أراهم إلّا قاتليّ...» (٤)

إذن فهو عليه السلام - بمنطق الشهيد الفاتح - كان يريد العراق، ويصرّ على التوجّه إليه لأنه أفضل أرض للمصراع المختار، ذلك لما ينطوى عليه العراق من استعدادات للتأثر بالحدث العظيم «واقعة عاشوراء» والتغير نتيجة لها، وذلك لأن الشيعة فى العراق آنئذ أكثر منهم فى أى إقليم اسلامى آخر، ولأنّ العراق لم ينعلق إعلامياً ونفسياً لصالح الأمويين كما هو الشام، بل لعلّ العكس هو الصحيح. وهذه الحقيقة أكّدتها الوقائع التى تلت واقعة عاشوراء، وأثبتت أيضاً صحة هذا المنطق، ولعلّ هذا هو

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢٠

السّر المستودع في قوله عليه السلام لما سأله ابن عتيّاش: اين تريد يا ابن فاطمة؟

حيث أجاب عليه السلام: العراق وشيعتي! «١»

وقوله عليه السلام لابن عباس: لا بدّ من العراق! «٢»

«٣».

٣- رسائل أهل الكوفة بعد موت معاوية ص : ٢٠

إشارة

ما إن علم أهل الكوفة بموت معاوية بن أبي سفيان، وبأنّ الإمام الحسين عليه السلام قد رفض البيعة ليزيد، وقد خرج من المدينة وأقام في مكّة، حتّى تقاطرت إليه رسائلهم ورسائلهم، يدعونه إليهم، مظهرين استعدادهم لنصرته والقيام معه، حتى إنه اجتمع عنده في نوب متفرقة اثنا عشر ألف كتاب، «٤» ووردت إليه قائمة فيها مائة وأربعون ألف اسم يُعربون عن نصرتهم له حال ما يصل إلى الكوفة، «٥» وكان سفيره إليهم مسلم بن عقيل عليه السلام قد كتب الى الإمام عليه السلام- بعد وصوله الكوفة وأخذه البيعة له منهم- قائلاً: «أما بعد، فإنّ الرائد لا يكذب أهله، وقد بايعني من أهل الكوفة ثمانية عشر ألفاً، فعجل الإقبال حين يأتيك كتابي، فإنّ الناس كلّهم معك، ليس لهم في آل معاوية رأي ولا هو، والسلام.»، «٦» وكان أهل الكوفة في آخر وفاداتهم إلى الإمام عليه السلام في مكّة قد كتبوا إليه يقولون: «أما بعد، فإنّ الناس ينتظرونك لا رأى لهم غيرك، فالعجل العجل يا ابن رسول الله، فقد اخضرت

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢١

الجّات، وأينعت الثمار، وأعشبت الأرض، وأورقت الأشجار، فاقدم علينا إذا شئت، فأنما تقدم على جند مجنّده لك.»، «١» وكتبوا إليه: «إنّا قد حبسنا أنفسنا عليك، ولسنا نحضر الصلاة مع الولاة، فاقدم إلينا فنحن في مائة ألف!»، «٢»

لقد شكّلت رسائل أهل الكوفة حجّة على الإمام عليه السلام في وجوب الإستجابة لهم، وقد كان الإمام عليه السلام قد علّق عزمه في التوجّه إلى الكوفة على التقرير الميداني لمسلم بن عقيل عليه السلام عن حال أهل الكوفة، وقد صرّح عليه السلام لأهل الكوفة في رسالته الأولى إليهم بذلك حيث قال:

«.. فإنّ كتب إليّ أنّه قد اجتمع رأى ملائكم وذوى الحجى والفضل منكم على مثل ما قدمت به رسلكم، وقرأت في كتبكم، فإنى اقدم إليكم وشيكاً إن شاء الله...»، «٣»

وعلى ضوء رسالة مسلم عليه السلام عقد الإمام الحسين عليه السلام عزمه على التوجّه الى الكوفة محتجاً برسائلهم إليه، واحتجاجاته عليه السلام برسائل أهل الكوفة إليه كثيرة، نقلتها إلينا كتب التاريخ، منها- على سبيل المثال لا الحصر- جوابه عليه السلام لعبد الله بن مطيع وكان قد سأله عمّا أخرجه عن حرم الله وحرم جدّه صلى الله عليه وآله حيث قال عليه السلام:

«إنّ أهل الكوفة كتبوا إليّ يسألوننى أن أقدم عليهم...»، «٤»

وقوله عليه السلام لعبدالله بن عمر- وكان قد نهاه عن التوجّه الى أهل العراق- «هذه كتبهم ويبيعتهم!»، «٥»

وقوله عليه السلام ليزيد بن الرشك الذى سأله فى منزل من منازل الطريق قائلاً: ما

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢٢

أنزلك هذه البلاد الفلاة التى ليس بها أحد؟! حيث أجاب عليه السلام:

«هذه كتب أهل الكوفة إليّ ولا أراهم إلّا قاتليّ..!»، «١»

وقوله عليه السلام للطرمّاح وقد سأله أن يلجأ إلى جبل أجا: «إنّ بينى وبين القوم موعداً أكره أن أخلفهم..»، «٢»

وفى نص آخر: «إنه قد كان بيننا وبين هؤلاء القوم قولٌ لسنا نقدر معه على الإنصراف ..». «٣»

إشارة: ص : ٢٢

لاشك أن حجة أهل الكوفة على الإمام عليه السلام - برسائلهم إليه وبيعتهم - كانت قد انتفت عملياً وانتهت تماماً بعد انقلابهم على مسلم بن عقيل عليه السلام وخذلانهم إياه، فلماذا لم يُعرض الإمام عليه السلام عن التوجه إلى العراق، بل أصرَّ على التوجه إليهم، وواصل الاحتجاج عليهم برسائلهم وبيعتهم؟

وفى معرض الإجابة عن هذا التساؤل قد يُقال إن مسلم بن عقيل عليه السلام فى مستوى تأثيره على أهل الكوفة ليس كالإمام عليه السلام فى مستوى تأثيره لو دخل الكوفة وكان بين ظهراى أهلها، إذ إن المأمول والمتوقع أنهم سيلتفون حول الإمام عليه السلام ويسارعون الى نصرته، وهذا التصور كان قد أشار إليه بعض أصحاب الإمام عليه السلام حين قال له: «إنك والله ما أنت مثل مسلم بن عقيل، ولو قدمت الكوفة لكان الناس إليك أسرع ..»، «٤» ولذا واصل الإمام عليه السلام الإصرار على التوجه إلى الكوفة حتى بعد مقتل مسلم عليه السلام!

معالركب الحسينى (ج ٣)، ص: ٢٣

لكن التاريخ يثبت أن الإمام عليه السلام لم يعتمد هذا النظر ولم يتحرك على أساسه لعلمه عليه السلام بما سيؤول إليه موقف أهل الكوفة من قبل ذلك (لإعتقادنا الحق بأن الأئمة عليهم السلام يعلمون بما كان وبما سيكون الى قيام الساعة)، ودلائل تاريخية عديدة أيضاً تؤكد أنه عليه السلام كان يعلم منذ البدء أن أهل الكوفة سوف يخذلونه ويقتلونه، «١» ولأن أبناء الكوفة بعد مقتل مسلم عليه السلام تدافعت إلى الإمام عليه السلام بسرعة مؤكدة على أن أهل الكوفة - إلّا من رحم الله - قد أصبحوا إلّبا على الإمام عليه السلام بعد أن عبّأهم ابن زياد لقتاله.

فلا يبقى إذن إلّا أن نقول: «إن الإمام عليه السلام واصل التزامه بالوفاء بهذا الموعد والقول، واصرَّ على التوجه إلى الكوفة لأنَّ لأهل الكوفة حجة باقية عليه فى الواقع، بل لأنَّه لم يشأ أن يدع أى مجال لإمكان القول بأنَّه لم يف تماماً بالعهد لو كان قد انصرف عن التوجه إلى الكوفة فى بعض مراحل الطريق، حتى بعد أن أغلق جيش الحرّ دونه الطريق إليها، ذلك لأنَّ الإمام عليه السلام مع تمام حجته البالغة على أهل الكوفة أراد فى المقابل بلوغ تمام العذر وعلى أكمل وجه فيما قد يتصور أن لهم حجة باقية عليه، بحيث لا يبقى مجال للطعن فى وفائه بالعهد..». «٢»

معالركب الحسينى (ج ٣)، ص: ٢٤

(٤) - تنفيذ أمر رسول الله صلى الله عليه وآله ص : ٢٤

وفى مجموعة نصوص تصريحات الإمام الحسين عليه السلام بصدده علمه اختياره التوجه إلى العراق لا إلى غيره هناك فنه من هذه النصوص يصرح فيها الإمام عليه السلام بأنه إنما يخرج إلى العراق بالذات امتثالاً لأمر رسول الله صلى الله عليه وآله. وقد تلقى الإمام الحسين عليه السلام أمر رسول الله صلى الله عليه وآله عن طريق (الرؤيا)، التى تكررت غير مرّة، وهى رؤيا حقّة لأنَّ الرأى إمام معصوم عليه السلام، لا يأتىه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولأنَّ المرثى هو رسول الله صلى الله عليه وآله، والثابت فى الأثر أن من رآه فى المنام فقد رآه. «١»

وكان بدء هذه الرؤيا الحقّة فى المدينة المنورة بعدما أعلن الإمام عليه السلام رفضه مبايعة يزيد بعد موت معاوية أمام الوليد بن عتبة والى المدينة يومذاك، تقول الرواية:

«فلما كانت الليلة الثانية خرج إلى القبر أيضاً، فصلّى ركعتين، فلما فرغ من صلاته جعل يقول:

«اللهم إن هذا قبر نبيك محمد، وأنا ابن بنت محمد، وقد حضرني من الأمر ما قد علمت، اللهم وإني أحب المعروف وأكره المنكر، وأنا أسألك يا ذا الجلال والإكرام بحق هذا القبر ومن فيه إلا ما اخترت من أمرى هذا ما هو لك رضى.
ثم جعل الحسين عليه السلام يبكي، حتى إذا كان في بياض الصبح وضع رأسه على القبر فأغفى ساعة، فرأى النبي صلى الله عليه وآله قد أقبل في كبكبة من الملائكة عن يمينه وشماله ومن بين يديه ومن خلفه، حتى ضمَّ الحسين عليه السلام إلى صدره، وقبل بين عينيه، وقال صلى الله عليه وآله:

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢٥

يا بنى يا حسين، كأنك عن قريب أراك مقتولاً مذبحاً بأرض كرب وبلاء من عصابة من أمتي، وأنت في ذلك عطشان لا تسقى وظمآن لا تروى، وهم مع ذلك يرجون شفاعتي!، ما لهم لا أنالهم الله شفاعتي يوم القيامة، فما لهم عند الله من خلاق.
حبيبي يا حسين، إن أباك وأمك وأخاك قد قدموا عليّ، وهم إليك مشتاقون، وإن لك في الجنة درجات لن تنالها إلا بالشهادة!
فجعل الحسين عليه السلام ينظر في منامه الى جدّه صلى الله عليه وآله ويسمع كلامه، وهو يقول:
يا جداه، لا حاجة لي في الرجوع الى الدنيا أبداً، فخذني إليك واجعلني معك إلى منزلك!
فقال له النبي صلى الله عليه وآله:

يا حسين، إنه لا بد لك من الرجوع الى الدنيا حتى ترزق الشهادة وما كتب الله لك فيها من الثواب العظيم، فإنك وأباك وأخاك وعمك وعمّ أبيك تحشرون يوم القيامة في زمرة واحدة حتى تدخلوا الجنة». (١)

وقد أشار الإمام عليه السلام إلى هذا الأمر أيضاً في آخر لقاء له مع أخيه محمد بن الحنفية (رض) في مكة المكرمة في الليلة التي أراد الخروج في صبيحتها عن مكة، تقول الرواية: «سار محمد بن الحنفية الى الحسين عليه السلام في الليلة التي أراد الخروج في صبيحتها عن مكة، فقال: يا أخي، إن أهل الكوفة من قد عرفت غدرهم بأبيك وأخيك، وقد خفت أن يكون حالك كحال من مضى، فإن رأيت أن تقيم فإنك أعز من في الحرم وأمنعه!

فقال عليه السلام: يا أخي، قد خفت أن يغتالني يزيد بن معاوية في الحرم، فأكون الذي يُستباح به حرمة هذا البيت.

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢٦

فقال له ابن الحنفية: فإن خفت فسِرْ الى اليمن أو بعض نواحي البرّ، فإنك أمتع الناس به ولا يقدر عليك أحد.
فقال عليه السلام: أنظر فيما قلت.

ولما كان السحر ارتحل الحسين عليه السلام، فبلغ ذلك ابن الحنفية، فأتاه فأخذ زمام ناقته التي ركبها، فقال له: يا أخي، ألم تعدني النظر فيما سألتك؟

قال عليه السلام: بلى.

قال: فما حداك على الخروج عاجلاً؟

فقال عليه السلام: أتاني رسول الله صلى الله عليه وآله بعدما فارقتك، فقال: يا حسين، أخرج فإن الله قد شاء أن يراك قتيلاً!

فقال له ابن الحنفية: إنا لله وإنا إليه راجعون، فما معنى حملك هؤلاء النساء معك، وأنت تخرج على مثل هذه الحال؟!

فقال له عليه السلام: قد قال لي: إن الله قد شاء أن يراهن سبايا! وسلّم عليه ومضى». (١)

كما أشار الإمام عليه السلام أيضاً الى أمر هذه الرؤيا بعد خروجه عن مكة، في رده على عبدالله بن جعفر (رض) ويحيى بن سعيد حينما ألحا عليه بالرجوع وجهدا في ذلك، حيث قال عليه السلام لهما: «إني رأيت رؤيا فيها رسول الله صلى الله عليه وآله، وأمرت فيها بأمر أنا ماضٍ له، عليّ كان أو لي!»، ولما سألاه: فما تلك الرؤيا؟

قال عليه السلام: «ما حدثت بها أحداً، وما أنا محدث بها حتى ألقى ربّي!». (٢)

ويستفاد من هذا الخبر أن هذه الرؤيا التي أخبر الإمام عليه السلام عنها عبد الله بن

معالركب الحسينى (ج ۳)، ص: ۲۷

جعفر (رض) ويحيى بن سعيد هي غير الرؤيا التي رآها في المدينة وغير الرؤيا التي أخبر عنها أخاه محمّد بن الحنفية (رض)، بدليل أنه عليه السلام امتنع عن ذكر تفاصيلها، وذكر أنه لم يحدث بها أحداً ولا يحدث بها.

ولا يخفى أن الأخيرتين من هذه الرؤى الثلاث صريحتان في أن أمر رسول الله صلى الله عليه وآله كان متعلقاً بالتوجه إلى العراق لأبصل الخروج فقط، ذلك لأن الإمام عليه السلام ذكر أمر رسول الله صلى الله عليه وآله في رده على كل من محمّد بن الحنفية (رض) وعبد الله بن جعفر (رض) ويحيى بن سعيد الذين نهوه عن التوجه إلى العراق.

هلع السلطنة الأموية من خبر خروج الإمام عليه السلام! ص : ۲۷

روى ابن قتيبة الدينورى أن عمرو بن سعيد بن العاص والى مكة حينما بلغه خبر خروج الإمام الحسين عليه السلام عن مكة المكرمة قال: «إركبوا كل بعير بين السماء والأرض فاطلبوه!»، فكان الناس يعجبون من قوله هذا، فطلبوه فلم يدركوه! (۱)

ومع أن لنا تحفظاً على هذا الخبر من جهة أن الثابت تاريخياً أن الإمام عليه السلام لم يخرج عن مكة سراً وإن كان خروجه في السحر أو في أوائل الصباح، إذ كان الامام عليه السلام قد خطب الناس في مكة ليلة الثامن من ذي الحجة خطبته الشهيرة التي قال فيها: «من كان باذلاً فينا مهجته، وموطئاً على لقاء الله نفسه، فليرحل معنا، فإننى راحلٌ مصباحاً إن شاء الله تعالى». (۲)

وعلى هذا فإن خبر موعد خروجه عليه السلام كان قد انتشر بين الناس في مكة قبل خروجه، أى في ذات الليلة التي خرج في أواخرها أو في أوائل صباحها، ومن

معالركب الحسينى (ج ۳)، ص: ۲۸

الطبيعى ان تكون السلطنة الأموية في مكة قد علمت بهذا الموعد كما علم الناس في مكة على الأقل من خلال جواسيسها وعيونها. ومن جهة أخرى فإن الركب الحسينى الخارج عن مكة - وكان كبيراً نسبياً أوائل الخروج - لا يمكن أن يبعد كثيراً عن مكة فيختفى بهذه السرعة وفي تلك الفاصلة الزمنية القصيرة عن الأنظار حتى يطلب فلا يدرك!

هذا مع أن المشهور تاريخياً أن رُسل عمرو بن سعيد ورجال شرطته قد أدركوا الركب الحسينى في أوائل طريقه نحو العراق! غير أن الأمر المهم الذى يكشف عنه هذا الخبر هو الهلع الكبير والذعر البالغ اللذان انتابا السلطنة الأموية لخروج الإمام عليه السلام بالفعل، حتى كأن والى مكة آنذاك أراد أن يُعجىء كل واسطة بين السماء والأرض ويسخرها لمنع الإمام عليه السلام من الخروج عن مكة!

لقد عظم خروج الإمام عليه السلام عن مكة على السلطنة الأموية لأن هذا الخروج كان معناه انفلات الثورة الحسينية من طوق الحصار الذى سعت السلطنة الأموية إلى تطويقها به في المدينة المنورة ففشلت، ثم جهدت في سبيل ذلك في مكة أيضاً، طمعاً فى القضاء على هذه الثورة فى مهدها قبل انفلاتها من ذلك الحصار، من خلال القضاء على قائدها بإلقاء القبض عليه أو اغتياله أو قتله بالسّم فى ظروف مفتعلة غامضة تستطيع السلطنة الأموية أن تلقى فيها بالتهمة على غيرها، وتغطى على جريمتها بألف ادعاء، وقد تطالب هى بدمه بعد ذلك فتضللّ الأمة وتظهر للناس بمظهر الآخذ بثأر الإمام عليه السلام، فتبقى مأساة الإسلام على ما هى عليه، بل تترسخ المصيبة وتشتد!

إذن فخروج الإمام عليه السلام عن مكة المكرمة فى ذلك التوقيت المدروس كما فوّت على السلطنة الأموية الفرصة للتخلص من الإمام عليه السلام بطريقة تختارها هى، وتتمكن من الإستفادة منها إعلامياً لتضليل الأمة، كذلك فقد فوّت عليها فرصة

معالركب الحسينى (ج ٣)، ص: ٢٩

تطويق الثورة ومحاصرتها وخنقها، إذ كان «خروجه عليه السلام من المدينة- وكذلك من مكة- فى الأصل انفلتاً بالثورة المقدسة من طوق الحصار والتعتيم الأموى، إضافة الى خوفه عليه السلام من أن تُهتك حرمة أحد الحرمين الشريفين بقتله». (١) إذن فقد حقّ لبنى أمية أن يهللوا لخروج الإمام عليه السلام، لأنّ هذا الخروج حرمهم من أن يرسموا هم فصول المواجهة مع الإمام عليه السلام، وأن يختاروا هم الظروف الزمانية والمكانية والإعلامية لهذه المواجهة، فى وقت «كان الإمام عليه السلام حريصاً على أن يتحقق مصرعه- الذى كان لا بدّ منه ما لم يبايع- فى ظروف زمانية ومكانية يختارها هو عليه السلام، لا يتمكّن العدو فيها أن يعتم على مصرعه، أو أن يستفيد من واقعة قتله لصالحه، فتختنق الأهداف المنشودة من وراء هذا المصرع الذى أراد منه عليه السلام أن تهترّ أعماق وجدان الأمة لتتحرك بالاتجاه الصحيح الذى أراده عليه السلام لها». (٢)

محاولة السلطنة الأموية فى مكة لإرجاع الإمام عليه السلام ص : ٢٩

إشارة

لقد سلكت السلطنة الأموية المحليّة فى مكة المكرمة من أجل إرجاع الإمام عليه السلام إلى مكة مرّة أخرى أسلوبين، كان أحدهما أسلوباً سلمياً عرض فيه عمرو بن سعيد الأشدق الأمان والبرّ والصلة للإمام عليه السلام فى رسالته وجهها إليه، وكان الآخر أسلوباً قمعياً وعسكرياً حيث تصدّت جماعة من رجال الشرطة الأموية للركب الحسينى لمنع مواصلة حركته فى الخروج عن مكة، ولا يخفى أنّ الأسلوب الأوّل أى أسلوب بذل الأمان والصلة كان قبل الأسلوب القمعى، كما هى عادة الطغاة فى مواجهة مثل هذه الوقائع. معالركب الحسينى (ج ٣)، ص: ٣٠

دور عبدالله بن جعفر فى المحاولة السلمية! ص : ٣٠

إشارة

تقول رواية الطبرى: «وقام عبدالله بن جعفر إلى عمرو بن سعيد بن العاص فكلمه وقال: أكتب إلى الحسين كتاباً تجعل له فيه الأمان، وتمنيه فيه البرّ والصلة، وتوثق له فى كتابك، وتسأله الرجوع، لعله يطمئن إلى ذلك فيرجع!». فقال عمرو بن سعيد: أكتب ماشئت وأنتى به حتى أختمه. فكتب عبدالله بن جعفر الكتاب! ثم أتى به عمرو بن سعيد، فقال له: اختمه، وابعث به مع أخيك يحيى بن سعيد، فإنه أحرى أن تطمئن نفسه إليه ويعلم أنه الجد منك. ففعل!». ويتابع الطبرى روايته فيقول: «.. فلحقه يحيى وعبدالله بن جعفر، ثم انصرفا بعد أن أقرأه يحيى الكتاب، فقالا: أقرأناه الكتاب وجهدنا به، وكان ممّا اعتذر به إلينا أن قال: إننى رأيت رؤيا فيها رسول الله صلى الله عليه وآله، وأمرت فيها بأمر أنا ماضٍ له، علىّ كان أو لى! فقالا له: فما تلك الرؤيا؟ قال: ما حدّثت بها أحداً، وما أنا محدّث بها حتى ألقى ربي! قال وكان كتاب عمرو بن سعيد الى الحسين بن علىّ عليهما السلام:

«من عمرو بن سعيد الى الحسين بن علىّ: أمّا بعد، فإننى أسأل الله أن يصرفك عمّا يوبقك، وأن يهديك لما يُرشدك! بلغنى أنّك قد توجّهت إلى العراق، وإننى أعيذك بالله من الشقاق، فإنى أخاف عليك فيه الهلاك، وقد بعثت إليك عبدالله بن جعفر ويحيى بن سعيد، فأقبل إليّ معهما، فإنّ لك عندى الأمان والصلة والبرّ وحسن الجوار، لك الله علىّ بذلك شهيد وكفيل ومراعٍ ووكيل، والسلام عليك.»

وروى الطبري أن الإمام عليه السلام كتب إليه:

أمّا بعد، فإنه لم يشاقق الله ورسوله من دعا إلى الله عز وجلّ وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين، وقد دعوت إلى الأمان والبرّ والصلّة، فخير الأمان أمان الله، ولن يؤمن الله يوم القيامة من لم يخفه في الدنيا، نسأل الله مخافة في الدنيا توجب لنا أمانه يوم القيامة فإن

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٣١

كنت نويت بالكتاب صلتى وبري فجزيت خيراً في الدنيا والآخرة، والسلام». (١)

تأمل وملاحظات: ص : ٣١

مضت في الجزء الثاني من هذه الدراسة (مع الركب الحسيني من المدينة إلى المدينة)، ترجمه موسعة لشخصية عبدالله بن جعفر الطيار (رض)، ودراسة مفصلة لموقفه من النهضة الحسينية، وقد استوتفت تلك الدراسة الإجابة عن جميع الأسئلة التي يمكن أن تثار حول هذه الشخصية الهاشمية.

ومع هذا، فإن دخول جزء من تحرك عبدالله بن جعفر (رض) في إطار متابعتنا هذه يلزمنا أن نذكر هنا - على سبيل الاختصار - ببعض النقاط المهمة المتعلقة بتحرك عبدالله بن جعفر (رض):

(١) - كان عبدالله بن جعفر (رض) - بعد أن علم بعزم الإمام عليه السلام على التوجه إلى العراق - قد كتب رسالة إليه يناشده فيها عدم التوجه إلى العراق، وقد روى ابن أعمش الكوفي (٢) أن عبدالله بن جعفر (رض) قد كتب هذه الرسالة من المدينة إلى الإمام عليه السلام في مكة، أما الطبري فإنه قد روى أنه بعث بها إلى الإمام عليه السلام بعد خروجه عن مكة، مع ولديه محمد وعون، ونص الرسالة على ما في رواية الطبري:

«أما بعد، فأني أسالك بالله لما انصرفت حين تنظر في كتابي، فأني مشفق عليك من الوجه الذي توجه له أن يكون فيه هلاكك، واستئصال أهل بيتك، إن هلك اليوم طفء نور الأرض، فإنك علم المهتدين ورجاء المؤمنين»، فلا تعجل بالسير

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٣٢

فأني في أثر الكتاب، والسلام». (١)

ويلاحظ أن متن هذه الرسالة كاشف عن أمور، منها:

أ- الأدب الجَم الذي يتمتع به عبدالله بن جعفر (رض) في مخاطبة الإمام عليه السلام، الكاشف عن اعتقاده بإمامة الإمام عليه السلام، خصوصاً في قوله على ما في رواية الطبري: إن هلك اليوم طفء نور الأرض، فإنك علم المهتدين، ورجاء المؤمنين. أو على ما في رواية الفتوح: فإنك إن قتلت أخاف أن يطفأ نور الأرض، وأنت روح الهدى، وأمير المؤمنين.

ومن هنا، فإن الرسالة التي بعث بها إلى مكة عمرو بن سعيد الأشدق إلى الإمام عليه السلام بعد خروجه لا يمكن أن تكون من إنشاء عبدالله بن جعفر (رض) - كما روى الطبري! - ذلك لأن هذه الرسالة حوت شيئاً إداً من مضامين الجسارة والجهل بمقام الإمام عليه السلام، وسوء الأدب في مخاطبته عليه السلام، كما في قوله: «أسأل الله أن يصرفك عما يوبقك، وأن يهديك لما يُرشدك ... وإني أعيذك بالله من الشقاق!»، وهذا مستبعد جداً صدوره من إنسان مؤمن بإمامة الإمام الحسين عليه السلام، ويراها «نور الأرض» و «أمير المؤمنين» و «روح الهدى».

بل رسالة الأشدق من إنشائه هو، وذلك: أولاً لأنها انعكاس تام لنظرة هذا الطاغية الأموي المتجبر، وحاكية عن لسان الإعلام الأموي ومفرداته الضالة المضلة، فالخروج على النظام الظالم فيها من الموبقات! ومن الشقاق! وسعى في تفريق كلمة الأمة والجماعة! وما إلى

ذلك من أسلحة إعلامية لمواجهة كل قيام للحق والعدل والإصلاح.

ومن الجدير بالذكر هنا: أن ابن أعثم الكوفي ذكر أن عمرو بن سعيد هو الذي كتب هذه الرسالة وليس عبدالله بن جعفر (رض)، كما ذكر أن حاملها إلى

معالركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٣٣

الإمام عليه السلام كان يحيى بن سعيد وحده، أي لم يكن عبدالله بن جعفر (رض) معه! «١»

كما أن الشيخ المفيد (ره) روى نفس قصة هذه الرسالة- كما رواها الطبري- لكنّه لم يذكر أن عبدالله بن جعفر (رض) هو الذي كتبها، «٢» بل قال: «فكتب إليه عمرو بن سعيد كتاباً...»، «٣» فتأمل!

ب- ويستفاد أيضاً من محتوى رسالة عبدالله بن جعفر (رض) إلى الإمام عليه السلام أنه «يشترك مع ابن عباس (رض) وابن الحنفية (رض) وغيرهم في النظرة إلى قيام الإمام عليه السلام من زاوية النصر أو الإنكسار الظاهريين، هذه النظرة التي كانت منطلق مشوراتهم ونصائحهم، وخوفهم أن يُقتل الإمام عليه السلام في الوجهة التي عزم عليها، ولذا فقد كان الإمام عليه السلام يجيبهم بأن منطقتهم التي يتحرك على أساسه غير هذا من خلال الرؤيا التي رأى فيها جدّه صلى الله عليه وآله، وأنه مأمور بهذا النوع من التحرك امتثالاً لأمر رسول الله صلى الله عليه وآله». «٤»

وجدير بالذكر هنا أن الإمام عليه السلام كان قد كتب جواباً إلى عبدالله بن جعفر (رض) قال فيه: «أما بعد، فإن كتابك ورد عليّ فقراءته وفهمت ما ذكرت، وأعلمك أنّي قد رأيت جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله في منامي، فخبرني بأمر وأنا ماضٍ له، لي كان أو عليّ، والله يا ابن عمّي لو كنت في جحر هامية من هوامّ الأرض لاستخرجوني ويقتلونني! والله ليعدين عليّ كما عدت اليهود على السبت، والسلام». «٥»

معالركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٣٤

٢- يظهر من أخبار تحرك عبدالله بن جعفر (رض) ومن رسالته «١» التي بعث بها إلى الإمام عليه السلام «أنه كان يعتقد أو يأمل - من خلال الوساطة- أن تتحقق المتاركة بين السلطة الأموية وبين الإمام عليه السلام إذا انثنى عن القيام والخروج وإن لم يبايع! ولذا فقد ردّ الإمام عليه السلام على هذا الوهم بأنه ما لم يُبايع يُقتل لا محالة! ولأنه لا يبايع يزيد أبداً فالنتيجة لامحالة هي: «لو كنت في جحر هامية من هوامّ الأرض لاستخرجوني حتى يقتلونني!..»، وفي هذا ردّ أيضاً على تصوّر عبدالله بن جعفر- على فرض صحته رواية الفتوح- بأنه يستطيع أخذ الأمان من الأمويين للإمام عليه السلام ولماله وأولاده وأهله!». «٢»

إذن، يتضح لنا ممّا مرّ أن دور عبدالله بن جعفر (رض) في المحاولة السلمية لم يكن انضواءً منه تحت الراية الأموية، أو أنه (رض) كان موالياً للسلطة الأموية وممثلاً أو مندوباً عنها، بل كل ما حصل هو أن سعيه لتحقيق المتاركة بين السلطة الأموية وبين الإمام عليه السلام كان قد توافقت مع رغبة السلطة الأموية في ثنى الإمام عليه السلام عن مواصلة التوجه إلى العراق، وإرجاعه مرة أخرى إلى مكة المكرمة، من خلال بذل الأمان والبرّ والصلوة وحسن الجوار، فكان سعى عبدالله بن جعفر (رض) وسعى السلطة الأموية في هذا الإطار في طول واحد لاشيئاً واحداً.

ولذا نجد أن عبدالله بن جعفر (رض) لمّا رأى إصرار الإمام عليه السلام على مواصلة القيام والتوجه إلى العراق، أنهى سعيه لتحقيق المتاركة، وأظهر ولاءه التام للإمام عليه السلام حين أمر ولديه محمّداً وعوناً بالإلتحاق به عليه السلام، إذ كان هو معذوراً

معالركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٣٥

لإصابته بالعمى على ما في بعض الآثار. «١»

ويحسن هنا في ختام بحثنا الموجز عن دور عبدالله بن جعفر (رض) أن نذكر هذه الرواية التي رواها الشيخ المفيد (ره)، والكاشفة عن تأييده (رض) لقيام الإمام عليه السلام، تقول هذه الرواية: «ودخل بعض موالى عبدالله بن جعفر بن أبي طالب عليهم السلام فنعى إليه

إبنیه، فاسترجع، فقال أبو السلاسل مولى عبد الله: هذا مالقينا من الحسين بن عليّ!

فحذفه عبد الله بن جعفر بنعله، ثم قال: يا ابن اللخناء! أألحسين عليه السلام تقول هذا؟! والله لو شهدته لأحببت أن لا أفارقه حتى أقتل معه! والله إنّه لمّا يسخى نفسى عنهما ويعزى عن المصاب بهما أنّهما أصيبا مع أخى وابن عمى مواسين له صابرين معه. ثم أقبل على جلسائه فقال: الحمد لله، عزّ عليّ مصرع الحسين، إن لا أكن آسيت حسينا بيدي فقد آساه ولدای.». «۲»

المحاولة القمعية: ص : ۳۵

إشارة

ولمّا يأس الأشدق من فائدة أسلوب عرض الأمان والبرّ والصله وحسن الجوار! لجأ إلى ما تعود عليه من الأساليب الإرهابية القمعية فى معالجة المشكلات التى تواجهه- وتلك سنّة الطغاء- ظناً منه أنّ الأسلوب القمعى لا بدّ وأنّ يثمر النتيجة المنشودة من وراءه! روى الطبرى عن عقبه بن سمرعان قال: «لما خرج الحسين من مكّة اعترضه رسل عمرو بن سعيد بن العاص، عليهم يحيى بن سعيد، فقالوا له: انصرف، أين

مع الרכب الحسينى (ج ۳)، ص: ۳۶

تذهب؟! فأبى عليهم ومضى، وتدافع الفريقان فاضطربوا بالسياط، ثم إنّ الحسين وأصحابه امتنعوا منهم امتناعاً قوياً، ومضى الحسين عليه السلام على وجهه، فنادوه: يا حسين، ألا تتقى الله! تخرج من الجماعة وتفترق بين هذه الأمة؟! فتأول حسين قول الله عزّ وجلّ (لى عملى ولكم عملكم، أنتم بريئون ممّا أعمل وأنا برىء ممّا تعملون).». «(۱)». «(۲)» وتقول رواية الدينورى: «ولمّا خرج الحسين من مكّة اعترضه صاحب شرطه أميرها عمرو بن سعيد ابن العاص فى جماعة من الجنده، فقال: الأمير يأمرك بالإنصراف، فانصرف وإلّا منعتك! فامتنع عليه الحسين، وتدافع الفريقان واضطربوا بالسياط! وبلغ ذلك عمرو بن سعيد، فخاف أن يتفاقم الأمر، فأرسل إلى صاحب شرطه يأمره بالإنصراف!». «(۳)»

إشارة: ص : ۳۶

إنّ التدبّر فى هذين النصّين يكشف بوضوح عن أنّ القوّة العسكرية الأموية لم تكن كافية لمنع الإمام عليه السلام من الخروج، ذلك لأنّ المفروض أن يستعمل عمرو الأشدق كلّ ما لديه من إمكانيّة وقوّة فى مثل هكذا مواجهة تقع خارج حدود مدينه مكّة لقهر الרכب الحسينى الكبير نسبياً حتى ذلك الوقت وإرغامه على الرجوع إلى مكّة، غير أنّ واقع الحال لم يعد أن تدافع الفريقان واضطربوا بالسياط، وكان امتناع الרכب الحسينى (امتناعاً قوياً)، فخاف الأشدق من تفاقم الأمر! وأمر (رسله) أو (جنده) بالإنصراف خائبين، ولاشك أن معنى تفاقم الأمر هنا هو خوف الأشدق من انقلاب السحر على الساحر إذا طال التدافع وامتدّت المناوشة بين الفريقين وانتهى الأمر بهما إلى مواجهة حربية صريحة- لم يكن الأشدق قد استعدّ

مع الרכب الحسينى (ج ۳)، ص: ۳۷

لها تماماً- فضلاً عن خوفه من انقلاب جماهير الحجيج الواردين الى مكّة من أقطار العالم الإسلامى على السلطه الأموية وانضمامهم الى رايه الإمام عليه السلام إذا سمعوا بمثل هذه المواجهه بين السلطه وبين الإمام عليه السلام عند مشارف مكّة.

هل كانت هذه المحاولة إجراءً صورياً؟! ص : ۳۷

ومن الغريب هنا أن يتبنّى سماحه الشيخ المحقق باقر شريف القرشى ما ذهب إليه الدكتور عبدالمنعم ماجد فى كتابه «التاريخ السياسى

للدولة العربية»، من أن المواجهه بين جند الأشدق وبين الركب الحسيني كانت مواجهه صوريه أريد منها إبعاد الإمام عن مكة! والتحجير عليه في الصحراء حتى يسهل القضاء عليه!

يقول الشيخ القرشي: «ولم يبعد الإمام كثيراً عن مكة حتى لاحقته مفرزة من الشرطة بقيادة يحيى بن سعيد، فقد بعثها والي مكة عمرو بن سعيد لصد الإمام عن السفر الى العراق، وجرت بينهما مناوشات، وقد عجزت الشرطة عن المقاومة، وكان ذلك الإجراء فيما نحسب صورياً! فقد خرج الإمام في وضح النهار من دون أية مقاومة تذكر ... لقد كان الغرض من إرسال هذه المفرزة العسكرية إبعاد الإمام عن مكة، والتحجير عليه في الصحراء حتى يسهل القضاء عليه بسهولة، وأكد ذلك الدكتور عبدالمنعم ماجد بقوله: (ويبدو لنا أن عامل يزيد على الحجاز لم يبذل محاولة جدية لمنع الحسين من الخروج من مكة الى الكوفة بسبب وجود كثير من شيعته في عمله، بل لعله قدر سهولة القضاء عليه في الصحراء بعيداً عن أنصاره، بحيث أن بنى هاشم فيما بعد اتهموا يزيد بأنه هو الذي دس إليه الرجال حتى يخرج.)»، (١)

ولعل مرد الإشتباه في هذا النظر يعود إلى الأمور التالية:

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٣٨

(١) - أن الدكتور ماجد ومع الشيخ القرشي قد تصوّرا أن الأشدق كان يملك قوة عسكرية كبيرة في مكة، ولكنه لم يرسل منها لمنع الإمام عليه السلام من الخروج إلّا (مفرزة!) من الشرطة، وقد عجزت عن مقاومة الركب الحسيني وهو كبير نسبياً آنذاك، الأمر الذي يكشف عن أن محاولة الصّد والمنع لم تكن جادة! فتصوّرا أن الغرض الحقيقي من وراء هذه المحاولة هو إبعاد الإمام عليه السلام عن مكة والتحجير عليه في الصحراء ليُقتضى عليه بسهولة!

والحقيقة - كما قلنا من قبل - أن كلاً من مكة والمدينة المنورة مدينتان ديتتان كان الوالي لا يحتاج في كل منهما لإجراء أمور ولايته إلّا إلى قوة محدودة من الحرس والشرطة تكفي لتنفيذ الأمور الإدارية والقضائية وحفظ الأمن الداخلي، فهما ليستا من المدن التي تشكلت للأغراض الحربية أساساً كالقوة مثلًا، حيث تغصّ بالجند الكثيف وبالمسالح، ولذا نرى أن الإنتفاضات التي شهدتها كل من مكة والمدينة كان يُقتضى عليها بجيوش تأتيها من خارجها كما في وقعة الحرة في المدينة، ووقعة القضاء على عبدالله بن الزبير في مكة.

(٢) - كان الإمام عليه السلام ما لم يبايع يزيد بن معاوية يُقتل لامحاله، ولو كان في جحر هامة من هوام الأرض، لكن قتله في ظروف زمانية ومكانية وملابسات غامضة تختارها السلطة الأموية ليس كقتله في مواجهه عسكرية علنية يختار ظروفها الزمانية والمكانية الإمام عليه السلام نفسه، ذلك لأن السلطة الأموية في الحالة الأولى تستطيع التعقيم على قتل الإمام عليه السلام والتغطية عليه بألف ادعاء وادعاء، أما في الحالة الثانية فيستحقق للإمام عليه السلام استثمار مصرعه لتحقيق جميع أهدافه المنشودة من وراء قيامه المقدس. (١)

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٣٩

من هنا كان الأمويون يحرسون أشد الحرس على قتل الإمام عليه السلام في مكة لا - خارجاً عنها، بواسطة الإغتيال في ظروف وملابسات غامضة، وهذا هو السر في قول عمرو بن سعيد الأشدق لرجاله لما بلغه خروج الحسين عليه السلام من مكة: «اركبوا كل بعير بين السماء والأرض فاطلبوه!»، وفي محاولته إغراء الإمام عليه السلام ببذل (الأمان الأموي!) (١) «والصلة والبر وحسن الجوار! لإرجاع الإمام عليه السلام إلى مكة، ثم في المحاولة القمعية التي لم تعد الإضطراب بالسياط.

فهذه المحاولة القمعية كانت محاولة جادة لإرجاع الإمام عليه السلام إلى مكة بالفعل، لا كما ذهب إليه الشيخ القرشي والدكتور ماجد أنها كانت إجراء صورياً أريد منها إبعاد الإمام عليه السلام عن مكة!

(٣) - قال الشيخ القرشي: «وكان ذلك الإجراء صورياً، فقد خرج الإمام في وضح النهار من دون أية مقاومة تذكر ..»، ولانعلم مصدرأً تاريخياً روى أن الإمام عليه السلام خرج عن مكة في وضح النهار، (٢) فجعل المصادر التاريخية المعبرة التي

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٤٠

تعرّضت لساعة خروجه ذكرت أنّ خروجه عليه السلام عن مكة كان في السحر أو في أوائل الصباح، «١» لا في وضح النهار. ولو فرضنا أنّ الإمام عليه السلام كان قد خرج فعلاً عن مكة في وضح النهار، لما تعرّضت له السلطة الأموية داخل مكة لمنعه من الخروج، لأنّ السلطة الأموية كانت راغبةً بخروج الإمام عليه السلام، بل لما في المواجهة معه عليه السلام داخل مكة من خطورة انتفاضة جموع الحجيج الكثيرة جداً ضدها وقد كانت مكة تغصّ بهم آنذاك، وهو أمرٌ كانت تتحاشاه السلطة الأموية وتخشى عواقبه. (٤) - في قول الدكتور عبدالمنعم ماجد فضلاً عن الإشتباه الأصل هناك اشتباهان آخران - وقد وافقه الشيخ القرشي على ذلك! - وهذان الإشتباهان هما:

أ قوله: «ويبدو لنا أنّ عامل يزيد على الحجاز لم يبذل محاولة جدية لمنع الحسين من الخروج من مكة الى الكوفة بسبب وجود كثير من شيعته في عمله!».

وهذه دعوى غريبة! لم نثر على متن تاريخي معتبر - حسب تتبعنا - يؤيدها أو يمكن أن تستفاد منه استنتاجاً، ولانعلم من أين جاء بها هذا الكاتب، بل هناك من الدلائل التاريخية ما يشير إلى عكس هذه الدعوى، كما في قول الإمام السجاد علي بن الحسين عليهما السلام: «ما بمكة والمدينة عشرون رجلاً يحبنا!»، «٢»

وقول أبي جعفر الإسكافي في هذا الصدد: «أما أهل مكة فكلّهم كانوا يبغضون علياً قاطبةً، وكانت قريش كلّها على خلافه، وكان جمهور الخلق مع بني أمية عليه!». «٣»

ولعلّ منشأ هذا الإشتباه عائد إلى الخلط بين أهل مكة وبين الوافدين إليها من

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٤١

المعتمرين والحجاج الذين كانوا قد احتفوا بالإمام عليه السلام في مكة حفاوةً عظيمةً وكانوا يأتونه ويسمعون كلامه ويأخذون عنه، لكنّ هذا أيضاً لا يستفاد منه أنّ للإمام عليه السلام شيعه كثيرين يعملون داخل الجهاز الأموي الحاكم في مكة.

ب- قوله: «أنّ بني هاشم فيما بعد اتهموا يزيد بأنّه هو الذي دسّ إليه الرجال حتّى يخرج!».

والإشتباه في هذا القول هو في عدم التفريق بين أن يكون يزيد قد دسّ الرجال لإخراج الإمام عليه السلام، وبين أن يكون يزيد قد دسّ الرجال لاغتيال الإمام عليه السلام أو لإلقاء القبض عليه في مكة فاضطرّ الإمام عليه السلام الى الخروج، والتاريخ يؤكّد أنّ يزيد كان قد أراد اختطاف الإمام عليه السلام أو اغتياله في مكة فاضطرّ الإمام عليه السلام إلى الخروج، «١» لا كما توهم الدكتور عبدالمنعم ماجد، ثمّ إنّ بني هاشم في تقريرهم يزيد على ما فعله بالإمام عليه السلام أكدوا على أنّ يزيد دسّ الرجال لاغتيال الإمام عليه السلام لا لإخراجه، هذا ابن عباس (رض) مثلاً يقول في رسالته منه إلى يزيد: «وما أنس من الأشياء فلسّ بناس إطرادك الحسين بن عليّ من حرم رسول الله إلى حرم الله، ودسكّ إليه الرجال تغتاله، فاشخصته من حرم الله الى الكوفة، فخرج منها خائفاً يترقب، وقد كان أعزّ أهل البطحاء بالبطحاء قديماً، وأعزّ أهلها بها حديثاً، وأطوع أهل الحرمين بالحرمين لو تبتوأ بها مقاماً واستحلّ بها قتالاً، ولكن كره أن يكون هو الذي يستحلّ حرمة البيت وحرمة رسول الله، فأكبر من ذلك ما لم تكبر حيث دسست إليه الرجال فيها ليقاتل في الحرم...».

«٢»

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٤٢

رسائل أموية إلى ابن زياد! ص : ٤٢

في كيان الحزب الأموي هناك تياران مختلفان في صدد نوع الموقف الذي يجب أن يتّخذه الأمويون في مواجهة الإمام الحسين عليه

السلام، التيار الأول يتزعمه معاوية بن أبي سفيان، ويرى هذا التيار أن المواجهة العلنية مع الإمام الحسين عليه السلام ليست في صالح الحكم الأموي، فلا بد من تحاشي مثل هذه المواجهة معه عليه السلام، ويرى هذا التيار أن المتاركة بين الإمام عليه السلام وبين بني أمية هي أفضل ما يوافق مصلحة الحكم الأموي، حتى يأتي على الإمام عليه السلام ريب المنون فيخلو لبني أمية وجه الساحة السياسية بعد موت ابن رسول الله صلى الله عليه وآله، ويرى هذا التيار أنه إذا كان لابد من مواجهة مع الامام عليه السلام فينبغي أن تكون مواجهة سرية غير مكشوفة، يتم التخلص فيها من وجود الإمام عليه السلام بنفس الطريقة التي تم التخلص فيها من أخيه الإمام الحسن عليه السلام أو بما يماثلها، حتى لا يستفز الرأي العام في الأمة - بموته عليه السلام - ضد الحكم الأموي.

ويتبنى هذا الرأي دهاة الأمويين وحلماؤهم وذوو النظر البعيد منهم، ومن هؤلاء مثلاً الوليد بن عتبة بن أبي سفيان. (١)
أما التيار الآخر فيتزعمه يزيد بن معاوية، وينضم إليه جميع قصيرو النظر والتفكير وأهل الحمق والخرق من بني أمية، أمثال مروان بن الحكم، (٢) وعمر بن سعيد الأشدق.

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٤٣

ويرى هذا التيار أنه لابد من المبادرة إلى التخلص من الإمام الحسين عليه السلام إذا ما أعلن عن رفضه البيعة وعن قيامه ضد الحكم الأموي، سواء من خلال مواجهة سرية أو علنية!

وكان معاوية يعلم بوجود هذا التيار الآخر داخل الحزب الأموي، ويعرف أشخاصه، وقد حذر الإمام عليه السلام من بطش هذا التيار وهدده به في رسالته التي بعث بها إلى الإمام عليه السلام على أثر حادثة استيلاء الإمام عليه السلام على حمولة القافلة القادمة إلى معاوية من اليمن، فقد ورد في هذه الرسالة قوله: «.. ولكني قد ظننت يا ابن أخي أن في رأسك نزوة! وبودي أن يكون ذلك في زمانى فأعرف لك قدرك! وأتجاوز عن ذلك! ولكني والله أخوف أن تبلى بمن لا ينظرك فوق ناقه!». (١)

فلما مات معاوية وسيطر التيار الأرعن على دفة الحكم الأموي، وبعد أن أصر الإمام عليه السلام على رفض البيعة ليزيد، وخرج إلى العراق فعلاً - ولم يتمكن الأمويون من خطفه أو اغتياله في المدينة أو في مكة - اضطرب الأمويون عامة ودهاتهم خاصة اضطراباً شديداً خوفاً من نتائج المواجهة العلنية مع الإمام عليه السلام، ومن مصاديق هذا الاضطراب الرسالة التي بعثها الوليد بن عتبة بن أبي سفيان إلى عبيد الله بن زياد، والتي كان نصها: «بسم الله الرحمن الرحيم. من الوليد بن عتبة إلى عبيد الله بن زياد: أما بعد، فإن الحسين بن علي قد توجه نحو العراق، وهو ابن فاطمة، وفاطمة ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله، فاحذر يا ابن زياد أن تبعث إليه رسوياً فتفتح على نفسك ما لاتختار من الخاص والعام. والسلام». (٢)

هذه الرسالة كاشفة تماماً عن طريقة التفكير التي يتبناها التيار الأول داخل

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٤٤

الحزب الأموي (طريقة تفكير معاوية)، فالوليد لا يذكر ابن زياد بجلالة منزلة الحسين بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله ولا يخوفه من عذاب الله في الآخرة، بل يحذره ويخوفه من انقلاب الرأي العام والخاص ضد الحكم الأموي!! ولا شيء عن عذاب الآخرة!!

وجدير بالذكر أن التيار الأموي الآخر لا يعبا بطريقه تفكير تيار معاوية والوليد بن عتبة! ولذا ورد في ذيل خبر هذه الرسالة: «قال: فلم يلتفت عبيد الله بن زياد إلى الكتاب». (١)

وروى ابن عساكر أن مروان كتب إلى عبيد الله بن زياد: «أما بعد: فإن الحسين بن علي قد توجه إليك، وهو الحسين بن فاطمة، وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبالله ما أحد يسلمه الله أحب إلينا من الحسين! فإياك أن تهيج على نفسك ما لا يسده شيء، ولا تنسأه العامة ولا تدع ذكره، والسلام». (٢)

وقال الشيخ محمد باقر المحمودي في حاشية الصفحة التي فيها هذا الخبر:

«وكل من ألم بشيء من سيرة مروان يعلم يقيناً أن هذا الكلام والكتاب لا يلائم نفسيات مروان ونزعاته وما كان يجيش في قلبه من بغض أهل البيت، وتمنيته استئصالهم واجتثاثهم عن وجه الأرض، فإن كان لهذا الكتاب أصل وواقعية فالمظنون أنه للوليد بن عتبة بن أبي سفيان، كما نقله عنه الخوارزمي في أول الفصل ١١ من مقتله: ج ٢: ص ٢٢١، ونقله أيضاً ابن أعثم الكوفي في كتاب الفتوح». (٣) مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٤٥

وكذلك روى ابن كثير في تاريخه «١» أن هذه الرسالة من مروان إلى ابن زياد، وقال الشيخ المحقق باقر شريف القرشي معلّقاً على ذلك: «واشتهه ابن كثير فزعم أن مروان كتب لابن زياد ينصحه بعدم التعرض للحسين، ويحذّره من مغبة الأمر، ورسالته التي بعثها إليه تضارع رسالة الوليد السابقة مع بعض الزيادات عليها... إن من المقطوع به أن هذه الرسالة ليست من مروان فإنه لم يفكر بأي خير يعود للأمة، ولم يفعل في حياته أي مصلحة للمسلمين، يُضاف إلى ذلك مواقف العدائية للعترة الطاهرة وبالأخص للإمام الحسين، فهو الذي أشار على حاكم المدينة بقتله، وحينما بلغه مقتل الإمام أظهر الفرح والسرور! فكيف يوصى ابن زياد برعايته والحفاظ عليه!؟». (٢)

نعم، إن مروان بن الحكم وهو من أعلام التيار الأموي الأرعن الذين تتلظى قلوبهم حنقاً على أهل البيت وبغضاً لهم، لا يمكن أن تصدر عنه مثل هذه الرسالة- وإن كانت هذه الرسالة لاتفيض إلّا بالخوف من هياج الرأي العام ضد الأمويين!- ذلك لأن أفراد التيار الأموي الأرعن تشابهت قلوبهم وتمائلت أقلامهم فيما كتبوا به من تهديد لابن زياد: في أنه إن لم يقتل الإمام عليه السلام يُعيد إلى أصله الحقيقي عبداً لبني ثقيف! فهذا عمرو بن سعيد بن العاص الأشدق وهو من طغاة بني أمية الرعناء يكتب الى ابن زياد- بعد خروج الإمام الحسين عليه السلام من مكة- قائلاً: «أما بعد: فقد توجه إليك الحسين، وفي مثلها تعتق أو تكون عبداً تسترق كما تسترق العبيد!».

وكأنه يستل ذات المعاني من قلب سيده يزيد بن معاوية الذي كتب إلى ابن زياد

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٤٦

قائلاً: «قد بلغني أن أهل الكوفة قد كتبوا إلى الحسين في القدوم عليهم، وأنه قد خرج من مكة متوجّهاً نحوهم، وقد بلى به بلدك من بين البلدان، وأيامك من بين الأيام، فإن قتلته وإلّا رجعت إلى نسبك وإلى أبيك عبيد، (١) فاحذر أن يفوتك!». (٢) مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٤٧

الفصل الثاني: حركة أحداث الكوفة أيام مسلم بن عقيل عليه السلام ص: ٤٧

إشارة

الفصل الثاني: حركة أحداث الكوفة أيام مسلم بن عقيل عليه السلام

في البدء: ص: ٤٩

ينبغي التذكير بأن عمدة المتون التاريخية التي ذكرت يوم خروج وقيام مسلم بن عقيل عليه السلام في الكوفة هي:

(١)- «وكان خروج مسلم بن عقيل رحمه الله عليه بالكوفة يوم الثلاثاء لثمان مضيّن من ذى الحجة سنة ستين، وقتله يوم الأربعاء لتسع خلون منه، يوم عرفة». (١)

(٢)- «وكان مخرج ابن عقيل بالكوفة لثمان ليالٍ مضيّن من ذى الحجة سنة ستين، وقيل لتسع مضيّن منه». (٢)

(٣)- «وكان قتل مسلم لثمان مضيّن من ذى الحجة بعد رحيل الحسين من مكة بيوم، وقيل يوم رحيله». (٣)

(۴) - «ويقال يوم الأربعاء لسبع مضين سنة ۶۰ من يوم عرفه بعد مخرج الحسين من مكه مقبلاً إلى الكوفة بيوم». (۴)

(۵) - «وكان قتل مسلم بن عقيل يوم الثلاثاء لثلاث خلون من ذى الحجة سنة

مع الركب الحسينى (ج ۳)، ص: ۵۰

ستين، وهى السنة التى مات فيها معاوية، وخرج الحسين بن على عليه السلام من مكه فى ذلك اليوم». (۱)

مناقشة هذه المتون: ص : ۵۰

إشارة

إنَّ المشهور وهو الصحيح «۲» أنَّ الإمام الحسين عليه السلام كان قد خرج من مكه إلى العراق يوم الثلاثاء، يوم الثامن من ذى الحجة سنة ستين، وعليه فإنَّ القول الخامس الأخير وهو قول الدينورى فى «الأخبار الطوال» لا يُعتدُّ به، ولا يستقيم إلَّا إذا كانت ثمان بدلاً من ثلاث، أى أنَّ ثلاثاً وقعت تصحيفاً لثمانٍ، وهو أمرٌ ممكن الوقوع.

أمَّا القول الرابع: «ويقال يوم الأربعاء لسبع مضين سنة ستين من يوم عرفه بعد مخرج الحسين من مكه مقبلاً إلى الكوفة بيوم». فهو فضلاً عن غموض دلالته، شاذٌّ فى نفسه على ظاهره، «۳» ولا يستقيم معناه إلَّا إذا كانت (فى) بدلاً من (من)، و (لتسع) بدلاً من (لسبع)، فيكون على النحو التالى: ويقال يوم الأربعاء لتسع

مع الركب الحسينى (ج ۳)، ص: ۵۱

مضين سنة ستين فى يوم عرفه، بعد مخرج الحسين من مكه مقبلاً إلى الكوفة بيوم.

ومثل هذا التصحيف ممكن وكثير الوقوع ..

أمَّا القول الثالث فيؤخذ على مبناه بأنَّ خروج الإمام عليه السلام كان يوم السابع من ذى الحجة، وهو خلاف المشهور الصحيح. فلا يبقى من هذه الأقوال بعد هذا إلَّا ما لا يُعارض المشهور الصحيح وهو أنَّ خروج الإمام عليه السلام من مكه إلى العراق كان فى يوم التروية يوم الثامن من ذى الحجة سنة ستين للهجرة.

وعلى هذا يكون خروج مسلم بن عقيل عليه السلام فى الكوفة يوم الثلاثاء يوم التروية، يوم الثامن من ذى الحجة سنة ستين، ويكون يوم مقتله يوم الأربعاء لتسع مضين منه، أى يوم عرفه، وهو الأقوى.

أو كان خروجه يوم التاسع من ذى الحجة بتلك السنة، «۱» فيكون مقتله عليه السلام فى اليوم العاشر منه، أى يوم عيد الأضحى، وهو الأضعف. «۲»

إشارة: ص : ۵۱

بقى أن نشير هنا إلى مسألة مهمّة أخرى فى هذا الصدد، وهى أنَّ الطبرى قد

مع الركب الحسينى (ج ۳)، ص: ۵۲

روى نصّاً صريحاً مفاده أنَّ أهمَّ وقائع حركة أحداث الكوفة أيام تواجد مسلم بن عقيل عليه السلام فيها: من تفكير السلطنة الأموية المركزية فى الشام بعزل النعمان بن بشير عن ولاية الكوفة، وتعيين عبيد الله بن زياد بدلاً منه، ثم ما جرى بعد ذلك إلى يوم مقتل مسلم عليه السلام، كلُّ تلك الأحداث كانت قد وقعت بعد خروج الإمام عليه السلام من مكه، أى وهو فى الطريق إلى العراق، يقول

الطبرى فى قصّة استشارة يزيد سرجون النصرانى فيمن يستعمل على الكوفة بدلاً من النعمان:

«دعا يزيد بن معاوية سرجون مولى معاوية، فقال: ما رأيك؟ فإنّ حسيناً قد توجه نحو الكوفة، ومسلم بن عقيل بالكوفة يبايع للحسين، وقد بلغنى عن النعمان ضعفٌ وقولٌ سيء- وأقرأه كتبهم- فما ترى؟ من أستعمل على الكوفة؟...» (١)

وهذا النصّ بعبارة «فإنّ حسيناً قد توجه نحو الكوفة» شاذٌ إذ لم ترد هذه العبارة فى أى مصدرٍ تاريخي آخر تعرّض لقصّة هذه الإستشارة بين يزيد وسرجون، (٢) هذا فضلاً عن كون رواية الطبرى هذه مرسلّة عن عوانة بن الحكم الذى كان عثمانىّ الهوى، وكان يضع الأخبار لبني أمية كما يقرّر ذلك العسقلانيّ فى لسان الميزان، (٣) فضلاً عن أنّ الطبرى نفسه قد روى قصّة هذه الإستشارة أيضاً بسند عن عمّار الدهنى عن أبي جعفر، وليس فيها هذه العبارة أو ما

معالركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٥٣

بمفادها، (١) بل روى ما يعارض هذه العبارة كمثل قوله «كان مخرج مسلم بن عقيل بالكوفة يوم الثلاثاء لثمان ليالٍ مضين من ذى الحجة سنة ستين ..» (٢) أى فى نفس اليوم الذى خرج فيه الإمام عليه السلام من مكّة، ومعنى هذا أنّ جُلّ وقايح أيام مسلم عليه السلام فى الكوفة قد وقعت والإمام عليه السلام فى مكّة، ومنها واقعة عزل النعمان عن الكوفة وتنصيب ابن زياد على العراق.

إذن لا يمكن التعويل على عبارة رواية الطبرى الشاذة، المعارضة للمشهور الثابت وهو: أنّ عزل النعمان عن ولاية الكوفة وتعيين ابن زياد مكانه كان قد تمّ والإمام الحسين عليه السلام لم يزل فى مكّة لم يرحل عنها.

وهناك أيضاً نصٌّ لابن عبد البرّ فى كتابه العقد الفريد ربّما أوهم البعض كذلك أنّ عزل النعمان عن ولاية الكوفة وتعيين ابن زياد بدلاً منه كان قد حصل والإمام عليه السلام فى الطريق إلى العراق، يقول ابن عبد البرّ: «فكتب يزيد إلى عبيد الله بن زياد وهو واليه على العراق أنه قد بلغنى أنّ حسيناً سار الى الكوفة، وقد ابتلى به زمانك بين الأزمان، وبلدك بين البلدان، وابتليت من بين العمّال، وعنده تُعتق أو تعود عبداً». (٣)

ومنشأ هذا الوهم من تصوّر أنّ هذا الكتاب هو الكتاب الأوّل الذى كتبه يزيد إلى ابن زياد، أى كتابه الذى أمره فيه بالتوجه سريعاً من البصرة إلى الكوفة، والأمر ليس كذلك، إذ إنّ هذا الأخير هو كتاب آخر غير الأوّل، بدليل عبارة «وهو واليه على العراق»، أى كان يومذاك والياً على الكوفة والبصرة معاً قبل هذا الكتاب، لأنّ

معالركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٥٤

الولاية على العراق لأتطلق على الولاية على البصرة فقط، وقد روى اليعقوبى أيضاً نفس نصّ هذا الكتاب بعبارة واضحة كاشفة بصورة أفضل عن أنّ هذا الكتاب غير الكتاب الأوّل، يقول اليعقوبى: «وأقبل الحسين من مكّة يريد العراق، وكان يزيد قد ولى عبيدالله بن زياد العراق، وكتب إليه: قد بلغنى أنّ أهل الكوفة قد كتبوا إلى الحسين فى القدوم عليهم، وأنّه قد خرج من مكّة متوجّهاً نحوهم، وقد بلى به بلدك من بين البلدان، وأيامك من بين الأيام، فإنّ قتلته وإلّا رجعت إلى نسبك وإلى أبيك عبيد، فاحذر أن يفوتك!»، (١) وواضح من هذا النصّ أنّ ابن زياد كان قد صار والياً على الكوفة والبصرة معاً قبل خروج الإمام عليه السلام من مكّة، وأنّ يزيد كتب إلى ابن زياد هذا الكتاب بعدما ولّاه الكوفة أيضاً، لا أنّ هذا الكتاب كان كتاب التولية، فتأمل!.

معالركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٥٥

استعراض أهمّ وقايح أيام الإعداد للتورة «١» ص: ٥٥

خرج مسلم بن عقيل عليه السلام «٢» من مكة المكرمة سفيراً للإمام الحسين عليه السلام إلى أهل الكوفة في منتصف شهر رمضان سنة ستين للهجرة، ودخل الكوفة في اليوم الخامس من شهر شوال من نفس السنة، «٣» وكان الإمام عليه السلام قد سرح معه قيس بن مسهر الصيداوى (رض)، وعمار بن عبيد الله السلولى (ره)، وعبدالله مع الركب الحسينى (ج ٣)، ص: ٥٦

وعبدالرحمن ابنا شداد الأرحبى (رض). «١» وقيل: بعث معه أيضاً عبدالله بن يقطر (رض). «٢» وقد أوصى الإمام عليه السلام مسلم بن عقيل عليه السلام أن ينزل عند أوثق أهل الكوفة قائلاً: «فإذا دخلتها فانزل عند أوثق أهلها»، «٣» وقد روى أنه نزل عند مسلم بن عوسجة (رض)، «٤» كما روى أنه نزل عند هانى بن عروة (رض) ابتداءً، «٥» لكن الأشهر هو أن مسلماً عليه السلام نزل في دار المختار بن أبى عبيد الثقفى (ره) ابتداءً ثم تحوّل منها بعد ذلك إلى دار هانى (رض). «٦» وكان الإمام الحسين عليه السلام قد جعل مبادرته وإسراعه فى القدوم على أهل الكوفة منوطاً بما إذا كتب إليه مسلم عليه السلام بأن حقيقة حالهم على مثل ما قدمت به رسالهم وكتبهم، إذ كتب عليه السلام فى رسالته الأولى إليهم: «... فإن كتب إلى أنه قد اجتمع رأى ملاكم وذوى الحجى والفضل منكم على مثل ما قدمت به رسلكم وقرأت فى كتبكم فإنى أقدم إليكم وشيكاً إن شاء الله...». «٧» مع الركب الحسينى (ج ٣)، ص: ٥٧

وفى رواية أخرى أن الإمام عليه السلام كتب إليهم فى تلك الرسالة قائلاً: «فإن كنتم على ما قدمت به رسلكم وقرأت فى كتبكم، فقوموا مع ابن عمى وبايعوه ولا تخذلوه...». «١»

ويستفاد من هذا النص أن مهمية مسلم عليه السلام فى الكوفة لم تكن منحصرة فى إطار إعداد وتعبئة أهل الكوفة حتى يأتى إليهم الإمام عليه السلام فيقوموا معه ضد الحكم الأموى، وكتابة التقارير المتوالية إلى الإمام عليه السلام بحال أهل الكوفة والتحوّلات الجارية آنذاك، بل كان من صلاحية مسلم عليه السلام - فى ظرف استثنائى - أن يبادر هو إلى القيام بأهل الكوفة ضد السلطة الأموية هناك ما رأى ذلك مناسباً حتى قبل مجيء الإمام عليه السلام، وهذا ما حصل بالفعل حينما أضطر مسلم عليه السلام - نتيجة الظروف الإستثنائية الطارئة بعد اعتقال هانى بن عروة (رض) - إلى أن يبادر إلى القيام يومذاك بمن معه.

البشرى بدرجة الشهادة! ص : ٥٧

وكان الإمام عليه السلام قد أشعر مسلماً عليه السلام بأن ختام أمره فى هذا الطريق هو الفوز بدرجة الشهادة، إذ روى أنه عليه السلام قال له وهو يودّعه فى مكة: «إنى موجّهك إلى أهل الكوفة، وسيقضى الله من أمرك ما يحب ويرضى، وأنا أرجو أن أكون أنا وأنت فى درجة الشهداء، فامض بركة الله وعونه حتى تدخل الكوفة، فإذا دخلتها فانزل عند أوثق أهلها، وادع الناس إلى طاعتى، فإن رأيتهم مجتمعين على بيعتى فعجل على بالخبر حتى أعمل على حساب ذلك إن شاء الله تعالى»، ثم عانقه الحسين عليه السلام وودّعه وبكى جميعاً. «٢»

مع الركب الحسينى (ج ٣)، ص: ٥٨

كتمان الأمر ص : ٥٨

وكان الإمام عليه السلام قد أوصى مسلماً عليه السلام أيضاً: «بالتقوى، وكتمان أمره، واللطف، فإن رأى الناس مجتمعين مستوسقين عجل إليه بذلك...». «١»

ولعل الإمام عليه السلام قد عنى ب «كتمان الأمر» الذي أوصى مسلماً عليه السلام به هو كتمان أمر سفارته مادام في الطريق حتى يصل إلى الكوفة.. والأسلوب السرى في تعبئة أهل الكوفة للنهضة، وكتمان أمر مكانه وزمان تحركاته، ومواقع مخازن أسلحته، وأشخاص قياداته ومعتمديه، وكلمة السر في وثبته، وغيره ذلك مما يكون من مصاديق كتمان الأمر.

وامتثالاً لهذه الوصية كان مسلم عليه السلام قد اعتمد الستر والرفق في تعبئة أهل الكوفة حتى يستكمل العدد والعدة الكافيين لتأهيل الكوفة للقيام معه أو مع الإمام عليه السلام- إذا جاء الكوفة- بوجه السلطة الأموية.

يقول القاضي نعمان: «وكان مسلم بن عقيل رحمه الله عليه قد بايع له جماعة من أهل الكوفة في استنارهم!».

ويقول الدينوري: «ولم يزل مسلم بن عقيل يأخذ البيعة من أهل الكوفة حتى بايعه ثمانية عشر ألف رجل في ستر ورفق!». «٣»

ويقول الفتيال النيسابوري: «وجعلت الشيعة تختلف إلى مسلم بن عقيل رضى الله عنه حتى علم بمكانه، فبلغ ذلك النعمان بن بشير وكان والياً على الكوفة...». «٤»

معالركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٥٩

اجتماع الشيعة الأول مع مسلم عليه السلام ص : ٥٩

يقول الطبري: «ثم أقبل مسلم حتى دخل الكوفة، فنزل دار المختار بن أبي عبيد، وهي التي تدعى اليوم دار مسلم بن المسيب، وأقبلت الشيعة تختلف إليه، فلما اجتمعت إليه جماعة منهم قرأ عليهم كتاب حسين، فأخذوا يبكون...». «١»

وفي هذا الاجتماع الأول برزت ظاهرة ثابتة من ظواهر المجتمع الكوفي، وهي ظاهرة وجود القلة من المؤمنين الصادقين المتحررين من أسر «الشلل النفسى» ومرض «الإزدواجية» و «حب الدنيا وكرهية الموت»، فعلى كثرة من حضر هذا الاجتماع ممن هو محسوب على التشيع لم يقم إلا ثلاثة (هم من أعظم شهداء الطف (رض)، أظهروا لمسلم عليه السلام استعدادهم التام لامثال أمره والتضحية في هذا السبيل!

يوصل الطبري روايته قائلاً: «... فقام عابس بن أبي شبيب الشاكري، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أميا بعدد، فإنى لا أخبرك عن الناس! ولا أعلم ما فى أنفسهم! وما أغرك منهم! والله أحدثك عما أنا موطن نفسى عليه، والله لأجيبنكم إذا دعوتهم، ولأقاتلن معكم عدوكم، ولأضربن بسيفى دونكم حتى ألقى الله، لا أريد بذلك إلا ما عند الله!. فقام حبيب بن مظاهر الفقعى فقال: رحمك الله، قد قضيت ما فى نفسك بواجز من قولك! ثم قال: وأنا والله الذى لا إله إلا هو على مثل ما هذا عليه!. ثم قال الحنفى مثل ذلك!». «٢»

معالركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٦٠

وفي هذا الاجتماع كانت هناك أيضاً ظاهرة أخرى، تواجدت فى هذا الاجتماع متخفية على استحياء، وإن كانت هى أكبر وأوضح ظواهر المجتمع الكوفي، وهى ظاهرة وجود الكثرة الكاثرة التى تحب الحق وتكره أن تموت من أجله! ظاهرة «الوهن» و «الشلل النفسى»، التى أدت بالنتيجة إلى أن استحوز الشيطان على جمل أولئك القوم، فقتلوا ابن بنت نبيهم عليه السلام!

يقول الحجاج بن على - الذى يروى عن محمد بن بشر الهمدانى، شاهد العيان الذى روى قصة هذا الاجتماع-: «فقلت لمحمد بن بشر: هل كان منك أنت قول؟ فقال: إني كنت لأحِبُّ أن يُعزَّ الله أصحابى بالظفر، وما كنت أحبُّ أن أُقتل! وكرهتُ أن أكذب!». «١»

توالى اجتماعات الشيعة مع مسلم عليه السلام ص : ٦٠

وقد تتابعت اجتماعات جماهير الشيعة فى الكوفة مع مسلم عليه السلام، وكان يقرأ عليهم كتاب الإمام عليه السلام إليهم، فيكون

ويقولون: «والله لنضربنَّ بين يديه بسيوفنا حتى نموت جميعاً!». (٢)

رسالة مسلم عليه السلام إلى الإمام عليه السلام ص : ٦٠

وأخذ عدد الذين يبايعون مسلماً عليه السلام من أهل الكوفة يتزايد يوماً بعد يوم، فلمَّا بلغ هذا العدد ثمانية عشر ألفاً (٣) كتب مسلم عليه السلام إلى الإمام عليه السلام بذلك، وبعث مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٦١

الكتاب مع قيس بن مسهر الصيداوى، وأصحابه عابس بن أبى شبيب الشاكرى وشوذباً مولاه، وكان نصَّ الرسالة: «أما بعد، فإنَّ الرائد لا يكذب أهله، وقد بايعنى من أهل الكوفة ثمانية عشر ألفاً، فعجّل الإقبال حين يأتيك كتابى هذا، فإنَّ الناس كلهم معك! ليس لهم فى آل معاوية رأى ولاهوى، والسلام». (١)

النعمان بن بشير وال ضعيف أم يتضعف؟! ص : ٦١

إشارة

ومع تزياد عدد المبايعين لمسلم عليه السلام والتفاف الناس حوله، كان لابدّ للأمر أن يفشو بين الناس فى الكوفة، ويصير موضوع مسلم عليه السلام وقضية انتظار الناس لمجىء الإمام عليه السلام حديث الساعة يومذاك فى المساجد والبيوت والأسواق والطرق، فلمَّا تعاضم الأمر واخترق حجب الستر، علم النعمان بن بشير بن سعد الخزرجى (٢) والى الكوفة آنذاك بالتحوّلات الجديدة وأحسّ بالخطر الدايم ..

فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، فاتقوا الله عباد الله،

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٦٢

ولاتسارعوا إلى الفتنة والفرقة، فإنَّ فيهما يهلك الرجال وتُسفك الدماء وتُغصبُ الأموال- وكان حليماً ناسكاً يحب العافية- قال: إني لم اقاتل من لم يقاتلنى، ولا- أثب على من لا- يثب على، ولا- أشتاكم، ولا- أتحرش بكم، ولا- آخذ بالقرف ولا الظنَّة ولا التهمة، ولكنكم إن أديتم صفحتكم لى ونكتكم بيعتكم وخالفتم إمامكم، فوالله الذى لا إله غيره لأضربنكم بسيفى ما ثبت قائمه فى يدي ولو لم يكن لى منكم ناصر، أما إني أرجو أن يكون من يعرف الحق منكم أكثر ممَّن يُرديه الباطل». (١)

فلما أتم خطبته اعترض عليه أحد حلفاء بنى أمية وعملائهم، وهو عبدالله بن مسلم بن سعيد الحضرمي، فقال: «إنه لا يصلح ما ترى إلّا الغشم! إن هذا الذى أنت عليه فيما بينك وبين عدوك رأى المستضعفين!!

فقال: أن أكون من المستضعفين فى طاعة الله أحبُّ إليّ من أن أكون من الأعزّين فى معصية الله. ثم نزل». (٢)

ومنذ ذلك اليوم توالى التقارير المرفوعة من قبل الأمويين وعملائهم وجواسيسهم فى الكوفة (٣) إلى يزيد فى الشام تخبره بمستجدات حركة الأحداث فى الكوفة، وبموقف النعمان بن بشير منها، وقد أجمعت هذ التقارير المرفوعة إلى يزيد تقول: «فإن كان لك بالكوفة حاجة فابعث إليها رجلاً قوياً، يُنفذ أمرك، ويعمل مثل عملك فى عدوك، فإنَّ النعمان بن بشير رجل ضعيف أو هو (١)

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٦٣

يتضعف!». (١)

إشارة: ص : ٦٣

لم يكن النعمان بن بشير محباً لأهل البيت عليه السلام ولا ذاميلٍ إليهم، «٢» لقد كان له ولأبيه تاريخ أسود طويل في نصره حركة النفاق بعد رحلة النبي صلى الله عليه وآله، تماماً وكان النعمان عثمانى الهوى، يجاهر ببغض علي عليه السلام، ويسىء القول فيه، وقد حاربه يوم الجمل وصفين، وكان يتبنى سياسة معاوية في قيادة حركة النفاق تبتياً تاماً، «وكان من معالم هذه السياسة أن معاوية كان يتحاشى المواجهة العلنية مع الإمام الحسين عليه السلام، وأن معاوية لو اضطرَّ إلى مواجهة علي عليه السلام إلى قتال ضدَّ الإمام الحسين عليه السلام وظفر بالإمام عليه السلام لعفا عنه، وليس ذلك حباً للإمام عليه السلام وإنما لأنَّ معاوية - وهو من دهاة السياسة النكراء والشيطنة - يعلم أن إراقه دم الإمام عليه السلام علناً وهو بتلك القدسيَّة البالغة في قلوب الأمية كفيل بأن يفصل الأموية عن الإسلام، ويذهب بجهود حركة النفاق عامة والحزب الأموي خاصة أدراج الرياح، خصوصاً الجهود التي بذلها معاوية في مزج الأموية بالإسلام في عقل الأمة وعاطفتها مزجاً لم يعد أكثر هذه الأمية بعدها يعرف إلَّا (الإسلام الأموي)، حتى صار من غير الممكن بعد ذلك الفصل بين الإسلام والأموية إلَّا إذا أريق ذلك الدم

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٦٤

المقدس - دم الإمام عليه السلام - على مذبح القيام ضدَّ الحكم الأموي..» (١)

من هنا كان أسلوب النعمان بن بشير في معالجته لمستجدات الأمور في الكوفة - بعد ورود مسلم عليه السلام - يتسم باللين والتسامح، لأنه كان يرى - إيماناً بنظرة معاوية - أن المواجهة العلنية مع الإمام الحسين عليه السلام ليست في صالح الحكم الأموي. فلم يكن النعمان ضعيفاً، أو «حليماً ناسكاً يحب العافية» كما صورته رواية الطبري، «٢» أو «يحب العافية ويغتم السلامة» كما صورته رواية الدينوري، «٣» بل كان يتضعف مكرراً وحيلة، معوّلاً على الأسلوب السري والخدعة الخفية للقضاء على الثورة والتخلص من مسلم بن عقيل عليه السلام، بل التخلّص حتى من الإمام عليه السلام، فهو - أي النعمان بن بشير - شيطان يحذو حذو معاوية كبيرهم الذي علّمهم الشيطنة في رسم الخطط الماكرة.

لكنّ تسارع حركة الأحداث في الكوفة يومذاك، والتحوّلات الكبيرة في ظاهر حياتها السياسية، أفزعا الأمويين وعملاءهم وجواسيسهم من تجاوب الرأي العام في الكوفة مع مسلم بن عقيل عليه السلام، ورأوا أن زمام الأمور سيكون بيد الثوار تماماً إن لم تبادر السلطة الأموية المحلية في الكوفة إلى اتخاذ التدابير اللازمة الكفيلة

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٦٥

بإعادة الوضع الكوفي إلى سابق استقراره النسبي، ورأوا أن سياسة اللين والتسامح التي كان يمارسها «بتضعفه» النعمان بن بشير سوف تؤدي إلى سقوط الكوفة فعلاً بيد مسلم بن عقيل عليه السلام، وكان رأيهم أن لا خلاص من هذا المأزق إلَّا بعزل النعمان ومجيء وال جديد ظلم غشوم، وبهذا بادروا إلى كتابة تقاريرهم السرية بهذا النظر ورفعوها إلى يزيد في الشام.

عبيدالله بن زياد والى الكوفة الجديد ص : ٦٥

فلمّا تتابعت الكتب (التقارير) التي بعثها من الكوفة إلى يزيد أمويون وعملاء وجواسيس بني أمية، واجتمعت عنده، استدعى يزيد مستشاره ومستشار أبيه من قبل سرجون بن منصور النصراني - وهو من أعلام رجال فصيل منافقي أهل الكتاب العاملين في ظلّ فصائل حركة النفاق الأخرى، الذي كانوا مقرّبين من الحكام ومستشارين وندماء لهم - وسأله عن رأيه في من يكون الوالي على الكوفة بدلاً من النعمان، فأشار عليه سرجون باستعمال عبيدالله بن زياد «١» قائلاً بأنّ هذا هو رأي معاوية أيضاً، وأخرج له كتاباً كان معاوية قد كتبه بذلك قبل موته، «٢» فأخذ يزيد بهذا الرأي وضم المصريين (الكوفة والبصرة) إلى عبيدالله بن زياد.

ودعا يزيد مسلم بن عمرو الباهلى، «٣» فبعثه الى عبيد الله بن زياد فى البصرة بعهدہ الجديد إليه (اي ضمّ الكوفة الى البصرة) تحت ولايته، وكتب إليه معه: «أما بعد، فإنه كتب إلى شيعتى من أهل الكوفة يخبروننى أن ابن عقيل بكفيل بالكوفة يجمع مع الركب الحسينى (ج ٣)، ص: ٦٦

الجموع لشق عصا المسلمين، فسّر حين تقرأ كتابى هذا حتى تأتى أهل الكوفة، فتطلب ابن عقيل كطلب الخرز حتى تتقفه، فتوثقه، أو تقتله، أو تنفيه، والسلام..» (١)

وفى رواية أخرى أن يزيد كتب فيما كتب الى عبيد الله بن زياد قائلاً: «وقد ابتلى زمانك بالحسين من بين الأزمان، وابتلى بلدك دون البلدان ... فاطلب مسلم بن عقيل طلب الخرز، فإذا ظفرت به فخذ بيعة أو اقتله إن لم يبايع، واعلم أنه لا عذر لك عندى دون ما أمرتك...» (٢)

وفى رواية أخرى: «... فإننى لا أجد سهماً أرمى به عدوى أجراً منك، فإذا قرأت كتابى هذا فارتحل من وقتك وساعتك، وإيتاك والإبطاء والتوانى، واجتهد، ولا تبق من نسل على بن أبى طالب أحداً!! واطلب مسلم بن عقيل وابعث إلى برأسه..» (٣)

القادم المتكر في الظلام! ص : ٦٦

وما إن تسلّم عبيد الله بن زياد رسالة يزيد التى حملها إليه الباهلى حتى أمر بالجهاز من وقته والمسير والتهيو إلى الكوفة من الغد، «٤» فلم يبق فى البصرة بعدها إلا يوماً واحداً قتل فيه سليمان بن رزين (رض) رسول الإمام الحسين عليه السلام إلى أشرف البصرة ورؤساء أحماسها، وألقى فيه خطاباً هدّد فيه أهل البصرة وحذّره من الخلاف والإرجاف وتوعّدهم على ذلك.

«ثم خرج عبيد الله من البصرة، ومعه مسلم بن عمرو الباهلى، وشريك بن

مع الركب الحسينى (ج ٣)، ص: ٦٧

الأعور الحارثى، «١» وحشمه وأهل بيته، وكان شريك شيعياً، وقيل: كان معه خمسمائة، فتساقطوا عنه، فكان أول من سقط فى الناس شريك، ورجوا أن يقف عليهم ويسبقه الحسين إلى الكوفة، فلم يقف على أحدٍ منهم...» (٢)

فلما أشرف عليها نزل حتى أمسى ليلاً، فظن أهلها أنه الحسين، «٣» وكان معتماً بعمامة سوداء وهو متلثم، «والناس قد بلغهم إقبال الحسين عليه السلام إليهم فهم ينتظرون قدومه، فظنوا حين رأوا عبيد الله أنه الحسين عليه السلام، فأخذ لايمر على جماعة من الناس إلا سلّموا عليه وقالوا: مرحباً بك يا ابن رسول الله، قدمت خير مقدم، فرأى من تباشرهم بالحسين ما ساء...» (٤)

ولما صار فى داخل المدينة فى جنح الظلام توهم الناس أنه الإمام عليه السلام، «فقال امرأة: أله أكبر! ابن رسول الله ورب الكعبة! فتصايح الناس، قالوا: إننا معك أكثر من أربعين ألفاً. وازدحموا عليه حتى أخذوا بذنّب دابته، وظنهم أنه الحسين...» (٥)

«وسار حتى وافى القصر بالليل، ومعه جماعة قد التفوا به لايشكون أنه الحسين عليه السلام، فأغلق النعمان بن بشير الباب عليه وعلى خاصته، فناده بعض من

مع الركب الحسينى (ج ٣)، ص: ٦٨

كان معه ليفتح لهم الباب، فأطع عليه النعمان وهو يظنه الحسين عليه السلام، فقال:

أنشدك الله إلا تنحيت، والله ما أنا بمسلم إليك أماتتى، ومالى فى قتالك من أرب!

فجعل لا يكلمه، ثم إنّه دنى وتدلى النعمان من شرف القصر، فجعل يكلمه، فقال: إفتح لافتح! فقد طال ليالك!

وسمعا إنسان خلفه فنكص إلى القوم الذين اتبعوه من أهل الكوفة على أنه الحسين عليه السلام، فقال: يا قوم! ابن مرجانة والذى لا إله غيره!

ففتح له النعمان فدخل، وضربوا الباب في وجوه الناس وانفضوا!». (١)

وفي رواية المسعودي: «.. حتى انتهى الى القصر وفيه النعمان بن بشير، فتحصن فيه، ثم أشرف عليه، فقال: يا ابن رسول الله، مالي ولك؟ وما حملك على قصد بلدي من بين البلدان؟

فقال ابن زياد: لقد طال نومك يا نعيم. (٢) وحسر اللثام عن فيه، فعرفه ففتح له، وتنادى الناس: ابن مرجانة! وحصبوه بالحصباء، ففاتهم ودخل القصر!». (٣)

مما مرّ- من هذه المتون التاريخية التي روت لنا كيف دخل ابن مرجانة الكوفة- تتضح لنا تماماً درجة الضعف المذهل التي كان عليها ممثلوا السلطة الأموية في الكوفة آنذاك، فالنعمان بن بشير يلبد في القصر ويخشى الخروج منه لمقابلة القادم المنتكر في الظلام الذي ظنّ أنه الحسين عليه السلام، وعبيدالله بن زياد

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٦٩

وهو بين مجموعة من أهل الكوفة يخشى حتى من إظهار صوته مخافاً أن يُعرف، ويحصبه الناس بالحجارة بعد أن عرفوه فلا يقوى على شيء سوى الهروب الى داخل القصر! ومعنى هذا أن الكوفة يومذاك كانت تعيش بالفعل حالة (الإنقلاب) في رفضها النظام الأموي، وانتظارها لوصول القيادة الشرعية القادمة إليها من مكة المكرمة.

الإجراءات الإرهابية الغاشمة! ص : ٦٩

وما إن دخل ابن مرجانة القصر وهدأت أنفاسه المضطربة من شدة الخوف والتعب، وأطلع على حقيقة مجريات حركة الأحداث في الكوفة، حتى بدأت قرارات الغشم الإرهابية، وقد مهّد لقراراته وإجراءاته الظالمة بخطاب إرهابي توعد أهل الكوفة فيه بالسوط، والسيف، ورغبهم بالإنقياد إليه بادعائه أن يزيد أمره بإنصاف المظلوم وإعطاء المحروم وبالإحسان إلى السامع المطيع! قال ابن زياد: «أما بعد، فإن أمير المؤمنين أصلحه الله ولما نى مصركم وثرغكم، وأمرنى بإنصاف مظلومكم وإعطاء محرومكم، وبالإحسان إلى سامعكم ومطيعكم، وبالشدّة على مريبكم وعاصيكم، وأنا متبع فيكم أمره، ومنفد فيكم عهده، فأنا لمحسنتكم ومطيعكم كالوالد البير! وسوطى وسيفى على من ترك أمرى وخالف عهدى، فليبق امرؤ على نفسه! الصدق يُنبىء عنك لا الوعيد!». (١)

ثم أتبع خطابه بإجراء قمعي رهيب «فأخذ العرفاء والناس أخذاً شديداً، فقال:

اكتبوا إلى الغرباء، ومن فيكم من طلبه (٢) أمير المؤمنين، ومن فيكم من الحرورية، (٣)

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٧٠

وأهل الريب الذين رأبهم الخلاف والشقاق! فمن كتبهم لنا فبرىء، ومن لم يكتب لنا أحداً فيضمن لنا ما في عرفته ألا يخالفنا منهم مخالف، ولا يبغى علينا منهم باغ، فمن لم يفعل برئت منه الذمة، وحلال لنا ماله وسفك دمه، وأتما عريف وجد في عرفته من بغية أمير المؤمنين أحد لم يرفعه إلينا صلب على باب داره، وألغيت تلك العرافة من العطاء، وسير إلى موضع بعمان الزارة. (١)». (٢)

لقد كان لهذا القرار الجائر أكبر الأثر على مجرى حركة الأحداث في الكوفة، إذ كان العرفاء الواسطة بين السلطة والناس آنذاك، فهم المسؤولون عن أمور القبائل، يوزعون عليهم العطاء، ويقومون بتنظيم السجلات العامة، التي فيها أسماء الرجال والنساء والأطفال، ويسجل فيها من يولد ليفرض له العطاء، ويحذف منها الميت ليحذف عطاؤه، وكانوا أيضاً مسؤولين عن شؤون الأمن والنظام، وكانوا أيام الحرب يقومون بأمر تعبئة الناس لها، ويخبرون السلطة بأسماء المتخلفين عنها، وتعاقب السلطة العرفاء أشد العقوبة إذا أهملوا واجباتهم أو قصروا فيها، ولقد كان للعرفاء بعد هذا القرار دور كبير في تخذيل الناس عن الثورة، وإشاعة الخوف والرهبة بينهم، كما كان لهم بعد ذلك دور كبير في زج الناس لحرب الإمام الحسين عليه السلام.

تغير مقر قيادة الثورة! ص : ٧٠

قال الشيخ المفيد (ره): «ولما سمع مسلم بن عقيل مجيء عبيدالله إلى الكوفة ومقالته التي قالها، وما أخذ به العرفاء والناس، خرج من دار المختار حتى انتهى إلى دار هانيء بن عروة فدخلها، فأخذت الشيعة تختلف إليه في دار هانيء على معالركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٧١

تستّر واستخفاء من عبيدالله، وتواصوا بالكتمان ..» (١)

ولعلّ سبب هذا التحوّل عن دار المختار إلى دار هانيء هو ما يمكن أن يسببه بقاء مسلم في دار المختار من خطر قد يتعرض له مسلم عليه السلام نفسه والمختار (ره) أيضاً من قبل جلاوزة ابن زياد، خصوصاً وأنّ المختار (ره) ليس له من القوّة القبليّة في الكوفة ما يجعله في منعة من اعتداء ابن زياد عليه، بعكس ما عليه هانيء بن عروة المرادي (رض) من العزّة والقوّة القبليّة في الكوفة، فقد كان فيما يقول المؤرّخون: إذا ركب معه أربعة آلاف دارع وثمانية آلاف راجل، فإذا أجابتها أحلافها من كنده وغيرها كان في ثلاثين ألف دارع، «٢» ثم إنّ الحيطه والحذر- بعد التغيرات الجديدة- أوجبا على مسلم عليه السلام أن ينتقل إلى مقرّ آخر منيع وخفي بعد أن علمت السلطه الأموية المحليّة في الكوفة بمقرّه الأول حسب الظاهر.

خطه اغتيال ابن زياد في بيت هانيء! ص : ٧١

إشارة

قال ابن الأثير: «ومرض هانيء بن عروة ..، فأتاه عبيدالله يعوده، فقال له عمارة بن عبدالسلولي: إنّما جماعتنا وكيدنا قتل هذا الطاغية، وقد أمكنك الله فاقتله.

فقال هانيء: ما أحبُّ أن يُقتل في دارى!

وجاء ابن زياد فجلس عنده ثم خرج.

فما مكث إلّا جمعة حتى مرض شريك بن الأعور، وكان قد نزل على هانيء وكان كريماً على ابن زياد وغيره من الأمراء، وكان شديد التشييع، وقد شهد، «٣»

معالركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٧٢

صفيين مع عمّار، فأرسل إليه عبيدالله: إني رائح إليك العشيّة. فقال لمسلم: إنّ هذا الفاجر عائدى العشيّة، فإذا جلس أخرج إليه فاقتله، ثم اقعده في القصر، ليس أحدٌ يحول بينك وبينه، فإن برئت من وجعي سرتُ إلى البصرة حتّى أكفيك أمرها.

فلما كان من العشي أتاه عبيدالله، فقام مسلم ليدخل، فقال ل شريك:

لا يفوتتكَ إذا جلس! فقال هانيء بن عروة: لا أحبُّ أن يُقتل في دارى!

فجاء عبيدالله فجلس وسأل شريكاً عن مرضه فأطال، فلما رأى شريكاً أنّ مسلماً لا يخرج خشي أن يفوته، فأخذ يقول:

ما تنظرون بسلمي لأتحيوها، اسقونيها وإن كانت بها نفسي! «١»

فقال ذلك مرتين أو ثلاثاً، فقال عبيدالله: ما شأنه، ترونه يخلط؟! فقال له هانيء: نعم، ما زال هذا دأبه قبيل الصبح حتى ساعته هذه!

فانصرف، وقيل: إنّ شريكاً لما قال: اسقونيها، وخلط كلامه، فظن به مهراّن «٢» فغمز عبيدالله فوثب، فقال له شريك: أيها الأمير، إنّي

أريد أن أوصي إليك! فقال:

أعود إليك.

مع الרכب الحسيني (ج ۳)، ص: ۷۳

فقال له مهران: إنه أراد قتلك! فقال: وكيف مع إكرامى له؟! وفي بيت هانىء، ويدُّ أبى عنده؟! «۱» فقال له مهران: هو ماقلت لك.

فلما قام ابن زياد خرج مسلم بن عقيل، فقال له شريك: ما منعك من قتله؟

قال: خصلتان، أمياً إحداهما فكراهية هانىء أن يُقتل في منزله، وأمأ الأخرى فحديث حدثه عليٌّ عن النبي صلى الله عليه وآله أن

الإيمان قيد الفتك، فلا يفتك مؤمن بمؤمن!

فقال له هانىء: لو قتلت لقتلت فاسقاً فاجراً كافراً غادراً!

ولبت شريك بعد ذلك ثلاثاً ثم مات، «۲» فصلّى عليه عبيدالله!.. «۳»

تأمل وملاحظات: ص: ۷۳

(۱) - هذا النص الذي أورده ابن الأثير يفيد أن خطّة اغتيال عبيدالله كانت من وضع شريك وعلى كراهية من هانىء، لكن مصادر

أخرى ذكرت أن هانئاً هو الذي كان مريضاً، وهو صاحب خطّة اغتيال عبيدالله بن زياد، قال يعقوبى: «وقدم عبيدالله بن زياد الكوفة،

وبها مسلم بن عقيل قد نزل على هانىء بن عروة، وهانىء شديد العلة، وكان صديقاً لابن زياد، فلما قدم ابن زياد الكوفة أخبر بعلة

مع الרכب الحسيني (ج ۳)، ص: ۷۴

هانىء، فأتاه ليعوده، فقال هانىء لمسلم بن عقيل وأصحابه وهم جماعة: إذا جلس ابن زياد عندي وتمكن، فإننى سأقول اسقونى،

فاخرجوا فاقتلوه... «۱»

ويُرحح أن خطّة اغتيال عبيدالله بن زياد كانت من وضع شريك الحارثي لأنه كان من قبل في الطريق من البصرة الى الكوفة قد بادر

إلى التساقط هو وجماعه ممن معه ليقف عليهم ابن زياد فيتأخر عن الوصول إلى الكوفة ويسبقه الإمام عليه السلام إليها، كما أن

شريكاً كان يحرض هانئاً على مساعدة مسلم عليه السلام والقيام بأمره، وقد روى الدينورى: أن شريكاً قال لمسلم عليه السلام: «إنما

غايتك وغاية شيعتك هلاك هذا الطاغية، وقد أمكنتك الله منه، هو صائرٌ إليّ ليعودنى، فقم فادخل الخزانة، حتى إذا اطمأن عندي،

فاخرج إليه فقاتله، ثم صرّ إلى قصر الإمارة، فاجلس فيه فإنه لا ينازعك فيه أحدٌ من الناس، وإن رزقنى الله العافية صرّت الى البصرة

فكفيتك أمرها وباع لك أهلها. فقال هانىء بن عروة: ما أحب أن يُقتل في دارى ابن زياد! فقال له شريك: ولم؟ فوالله إن قتله

لقربان إلى الله!.. «۲»

(۲) - كانت كراهية هانىء لقتل ابن زياد في بيته لاتختص بابن زياد، بل هي كراهية قتل أى رجل في بيته، «۳» وذلك تمسكاً بالأعراف

والعادات العربية التي لا تبيح قتل الضيف والقاصد إليها في بيوتها لما في ذلك من سببٍ ومعابة تبقى على الألسن مدى الأيام، وهذا

لا يعنى أن هانئاً (رض) كان لا يتمنى قتل ابن زياد، فقد قال لمسلم عليه السلام على ما في رواية الطبرى: «أما والله، لو قتلت لقتلت فاسقاً

فاجراً

مع الרכب الحسيني (ج ۳)، ص: ۷۵

كافراً غادراً، ولكن كرهت أن يُقتل في دارى!.. «۱»

(۳) - أساءت بعض المصادر التاريخية إلى شخصيته مسلم بن عقيل عليه السلام، إساءة منكرة إذ نسبت إليه الجبن والفسل حيث لم يقدم

على قتل ابن زياد، فقد قال الدينورى في أخباره الطوال: «ثم قام عبيدالله وخرج، فخرج مسلم بن عقيل من الخزانة، فقال شريك: ما

الذى منعك منه إلا الجبن والفسل؟!»، «۲» ومع اعتراف ابن قتيبة وهو دينورى آخر بأن مسلماً عليه السلام كان من أشجع الناس إلا أنه

ادعى أن كبوة قد أخذت مسلماً عليه السلام حين لم يقدم على قتل ابن زياد، يقول هذا الدينورى:

«فخرج عبيدالله، ولم يصنع الآخر شيئاً، وكان من أشجع الناس ولكنه أخذته كبوّة ..». (٣)

وهذا غير صحيح، فلم يعرف مسلم عليه السلام الجبن، ولم تأخذه كبوّة، وقد ذكرت مصادر تاريخية أنّ كراهية هانىء لقتل ابن زياد بل لقتل أى رجل فى بيته، كانت واحداً من الأسباب التى منعت مسلماً عليه السلام من تنفيذ خطة شريك، «٤» كما ذكرت بعض مصادرنا المعبرة أنّ امرأة فى بيت هانىء كانت قد تعلقت بمسلم عليه السلام وتوسّلت إليه وهى تبكى ألا يقتل ابن زياد فى دارهم، قال ابن نما (ره): «فخرج مسلم والسيف فى كفه، وقال له شريك: يا هذا، ما منعك من الأمر؟! قال مسلم: لما هممت بالخروج فتعلقت بى امرأة قالت: ناشدتك الله إن قتلت ابن زياد فى دارنا! وبكت فى وجهى! فرميت السياف وجلست.

معالركب الحسينى (ج ٣)، ص: ٧٦

قال هانىء: يا ويلها قتلتنى وقتلت نفسها، والذى فررت منه وقعت فيه!». (١)

وهناك سبب آخر وهو أنّ مسلماً عليه السلام ذكر أنّ السبب الذى منعه من قتل ابن زياد- إضافة إلى كراهية هانىء (رض) لذلك- هو حديث سمعه عن علىّ عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنّ الإيمان قيد الفتك، لا يفتك مؤمن»، «٢» والفتك لغه هو: «أن يأتى الرجل صاحبه وهو غارٌ غافلٌ حتّى يشدّ عليه فيقتله، وإن لم يكن أعطاه أماناً قبل ذلك». (٣)

وقد علّق هبة الله الشهرستانى (ره) على تعليل مسلم عليه السلام إحجامه عن قتل ابن زياد بهذا الحديث قائلاً: «كلمة كبيرة المغزى، بعيدة المدى، فإن آل علىّ من قوّة تمسكهم بالحقّ والصدق نبذوا الغدر والمكر حتّى لى الضرورة، واختاروا النصر الآجل بقوّة الحقّ على النصر العاجل بالخدعة، شنشنة فيهم معروفة عن أسلافهم، وموروثه فى أخلاقهم، كأنهم مخلوقون لإقامة حكم العدل والفضيلة فى قلوب العرفاء الأصفياء، وقد حفظ التاريخ لهم الكراسى فى القلوب». (٤)

معالركب الحسينى (ج ٣)، ص: ٧٧

ومن الملفت للإنتباه أنّ هناك إضافة مريبة فى نقل ابن الأثير لمتن هذا الحديث، وهى «فلا يفتك مؤمن»، وكأنّ ابن الأثير أراد أنّ يطبّق الإيمان على عبيدالله بن زياد، وأنّ مسلماً عليه السلام إنّما امتنع عن قتله لأنّه مؤمن!!

ابن زياد يستبق الأحداث فيقتل وجوه الشيعة ص : ٧٧

ومن جملة مبادرات ابن زياد للسيطرة على زمام الأمور والقضاء على حركة مسلم بن عقيل عليه السلام، إسراعه فى تقصّى رجال الشيعة فى الكوفة وإلقاء القبض عليهم وقتلهم، وكان ضحية هذه المبادرة الإرهابية القمعية عدد كبير من رجال الشيعة ممن كان يُعوّل عليهم فى مهمّات الأمور.

حبس ميشم التمار (رض) وقتله ص : ٧٧

كان ميشم التمار (رض) «١» قد عاد من العمرة «٢» الى الكوفة فأخذه عبيدالله بن

معالركب الحسينى (ج ٣)، ص: ٧٨

زياد، فأدخل عليه، فقيل له: هذا كان من آثر الناس عند علىّ!

قال: ويحكم، هذا الأعجمى؟!

قيل له: نعم.

قال له عبيدالله: أين ربك؟

قال: بالمرصاد لكل ظالم، وأنت أحد الظلمة.

قال: إنك على عجمتك لتبلغ الذى تريد! ما أخبرك صاحبك أنى فاعل بك؟! قال:

أخبرنى أنك تصلبنى عاشر عشرة، «١» أنا أقصرهم خشبة وأقربهم إلى المطهرة!

قال: لنخالفه!

قال: كيف تخالفه؟! فوالله ما أخبرنى إلما عن النبى، عن جبرئيل، عن الله تعالى، فكيف تخالف هؤلاء؟! ولقد عرفت الموضع الذى

اصلبُ عليه أين هو من الكوفة، وأنا أول خلق الله ألجمُ فى الإسلام!

مع الركب الحسينى (ج ٣)، ص: ٧٩

فحبسه، وحبس معه المختار بن أبى عبيد. «١»

قال له ميثم: إنك تفلت، وتخرج تائراً بدم الحسين فتقتل هذا الذى يقتلنا!

فلما دعا عبيدالله بالمختار ليقتله طلع بريد بكتاب يزيد إلى عبيد الله يأمره بتخليه سبيله فخلاه، «٢» فأمر ميثم أن يُصلب فأخرج، فقال له

رجل لقيه: ما كان أغناك عن هذا!؟

فتبسم وقال- وهو يومئذ إلى النخلة- لها خلقت ولى غديت! فلما رفع على الخشبة اجتمع الناس حوله على باب عمرو بن حريث، قال

عمرو: كان والله يقول: إننى مجاورك!

فلما صُلب أمر جاريتته بكنس تحت خشبته ورشه وتجميره.

فجعل ميثم يحدث بفضائل بنى هاشم، فقبل لابن زياد: قد فضحككم هذا العبد!

فقال: إجموه! فكان أول خلق الله ألجم فى الإسلام.

وكان قتل ميثم رحمه الله قبل قدوم الحسين عليه السلام إلى العراق بعشرة أيام، فلما

مع الركب الحسينى (ج ٣)، ص: ٨٠

كان فى اليوم الثالث من صلبه طعن بالحربة فكبر! ثم انبعث فى آخر النهار فمه وأنفه دماً. «١»

وروى أنه اجتمع سبعة من التمارين فاتعدوا بدفن ميثم، فجاؤا إليه ليلاً والحرس يحرسونه وقد أوقدوا النار، فحالت النار بينهم وبين

الحرس فاحتملوه بخشبته حتى انتهوا به إلى فيض من ماء فى مراد، فدفنوه فيه ورموا الخشبة فى مراد فى الخراب، فلما أصبحوا بعث

الخيال فلم تجد شيئاً. «٢»

وروى عن ميثم قال: دعانى أمير المؤمنين عليه السلام، وقال: كيف أنت يا ميثم إذا دعاك دعى بنى أمية [ابن دعيها] عبيدالله بن زياد

إلى البراءة منى؟

فقلت: يا أمير المؤمنين، والله لا أبرأ منك!

قال: إذن والله يقتلك ويصلبك.

قلت: أصبر، فذاك فى الله قليل.

فقال: يا ميثم، إذن تكون معى فى درجتى. «٣»

قتل رشيد الهجرى (رض) ص : ٨٠

وممن قُتل من رجالات الشيعة وأعلامها فى تلك الأيام رشيد الهجرى (رض) «٤»، فقد روى الكشى بسندٍ عن أبى حيان البجلي، عن

قنوا بنت

مع الركب الحسيني (ج ۳)، ص: ۸۴

رشيد الهجري (رض): قال أبوحيان: «قلتُ لها: أخبريني ما سمعت من أبيك.

مع الركب الحسيني (ج ۳)، ص: ۸۵

قالت: سمعتُ أبي يقول: أخبرني أمير المؤمنين صلوات الله عليه، فقال: يا رشيد، كيف صبرك إذا أرسل إليك دعوى بني أمية فقطع يديك ورجليك ولسانك؟

قلت: يا أمير المؤمنين، آخر ذلك إلى الجنة؟

فقال: يا رشيد، أنت معي في الدنيا والآخرة!

قالت: فوالله ما ذهبت الأيام حتى أرسل إليه عبيد الله بن زياد الدعوى، فدعاه إلى البراءة من أمير المؤمنين عليه السلام، فأبى أن يبرأ منه! فقال له الدعوى: فبأى ميتة قال لك تموت؟!

فقال له: أخبرني خليلي أنك تدعوني إلى البراءة منه فلا أبرأ منه، فتقدمني فتقطع يدي ورجلي ولساني! فقال: والله لأكذبن قوله فيك.

قالت: فقدّموه فقطعوا يديه ورجليه وتركوا لسانه، فحملتُ أطراف يديه ورجليه، فقلت: يا أبت، هل تجد ألماً لما أصابك؟! «۱»

فقال: لا يا بنية إلا كالزحام بين الناس!

فلما احتملناه وأخرجناه من القصر اجتمع الناس حوله.

فقال: إئتوني بصحيفة ودواة أكتب لكم ما يكون إلى قيام الساعة! فأرسل إليه

مع الركب الحسيني (ج ۳)، ص: ۸۶

الحجّام حتى يقطع لسانه، فمات رحمه الله عليه في ليلته. «۱»

وروى الكشي أيضاً بسند عن فضيل بن الزبير قال: «خرج أمير المؤمنين عليه السلام يوماً إلى بستان البرني، ومعه أصحابه، فجلس تحت نخلة، ثم أمر بنخله فلُقطت فأنزل منها رطب فوضع بين أيديهم، قالوا: فقال رشيد الهجري: يا أمير المؤمنين، ما أطيب هذا الرطب!

فقال: يا رشيد، أما إنك تُصلب على جذعها!

فقال رشيد فكنتُ أختلف إليها طرفي النهار أسقيها!

ومضى أمير المؤمنين عليه السلام، قال فجئتُها يوماً وقد قطع سعفها، قلتُ اقترب أجلى، ثم جئت يوماً فجاء العريف فقال: أجب الأمير. فأتيته، فلما دخلت القصر فإذا الخشب مُلقى، ثم جئت يوماً آخر فإذا النصف الآخر قد جعل زرنوقاً «۲» يُستقى عليه الماء، فقلت ما

كذبني خليلي! فأتاني العريف فقال: أجب الأمير. فأتيته، فلما دخلت القصر إذا الخشب مُلقى، فإذا فيه الزرنوق! فجئت حتى ضربت الزرنوق برجلي ثم قلتُ: لك عُذيتُ ولى أنبت! ثم أدخلت

مع الركب الحسيني (ج ۳)، ص: ۸۷

على عبيد الله بن زياد.

فقال: هات من كذب صاحبك!

فقلت: والله ما أنا بكذاب ولا هو، ولقد أخبرني أنك تقطع يدي ورجلي ولساني.

قال: إذاً والله نكذبه، إقطعوا يده ورجله، وأخرجوه!

فلما حُمل إلى أهله أقبل يحدث الناس بالعظام، وهو يقول: أيها الناس، سلوني فإنّ للقوم عندي طلبه لم يقضوها. فدخل رجل على ابن زياد فقال له: ما صنعت؟ قطع يده ورجله وهو يحدث الناس بالعظام!

قال: ردّوه. وقد انتهى إلى بابه، فردّوه فأمر بقطع يديه ورجليه ولسانه، وأمر بصلبه. «۱»

إضطهاد مجاميع من رجال المعارضة وحسبهم ص : ۸۷

قال المامقانى (ره): «إنَّ ابن زياد لَمَيَّا أطلع على مكاتبه أهل الكوفة الحسين عليه السلام حبس أربعة آلاف وخمسمائة رجل من التوابين من أصحاب أمير المؤمنين وأبطاله الذين جاهدوا معه، منهم سليمان بن صُيرد وإبراهيم بن مالك الأشتر و... فيهم أبطال وشجعان». (۲)

ونقل القرشى أنَّ عدد الذين اعتقلهم ابن زياد في الكوفة إثنًا عشر ألفاً، (۳) وأنَّ من بين أولئك المعتقلين سليمان بن صُرد الخزاعي، والمختار بن أبي عبيد الثقفى

مع الركب الحسينى (ج ۳)، ص: ۸۸

واربعمائة من الوجوه والأعيان. (۱)

و «حبس جماعة من الوجوه استيحاشاً منهم، وفيهم الأصبع بن نباتة، والحارث الأعور الهمدانى». (۲)

وذكر الطبرى أنَّ ابن زياد: «أمر أن يُطلب المختار وعبدالله بن الحارث وجعل فيهما جعلاً، فأُتى بهما فحُبسا». (۳)

قتل عبدالله بن يقطر (رض) «۴» ص : ۸۸

إشارة

إنَّ المشهور عند أهل السير (۵) هو أنَّ الإمام الحسين عليه السلام سرح عبدالله بن يقطر (رض) إلى مسلم بن عقيل عليه السلام بعد خروجه من مكة في جواب كتاب مسلم إلى الإمام عليهما السلام الذى أخبره فيه باجتماع الناس وسأله فيه القدوم إلى الكوفة، فقبض عليه الحصين بن نمير (۶) (أو بن تميم) (۷) بالقادسية، لكنَّ هناك روايتين

مع الركب الحسينى (ج ۳)، ص: ۸۹

تفيدان أنه (رض) كان رسولاً من مسلم عليه السلام إلى الإمام عليه السلام، وقبض عليه مالك بن يربوع التميمى أحد مأمورى الحصين بن نمير خارج الكوفة.

وتفصيل القصة ص : ۸۹

- على أساس رواية كتاب تسلية المجالس - هكذا: أنه بينما كان عبيدالله بن زياد يتكلم مع أصحابه فى شأن عيادة هانىء: «۱» إذ دخل عليه رجل من أصحابه يُقال له مالك بن يربوع التميمى، فقال: أصلح الله الأمير، إنى كنت خارج الكوفة أجول على فرسى، إذ نظرتُ إلى رجل خرج من الكوفة مسرعاً إلى البادية، فأنكرته، ثم إنى لحقته، وسألته عن حاله فذكر أنه من أهل المدينة! ثم نزلت عن فرسى ففتشته فأصبت معه هذا الكتاب. فأخذ ابن زياد ففضّه فإذا فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم: إلى الحسين بن على: أميّا بعد: فإنى أخبرك أنه بايعك من أهل الكوفة نيفاً على عشرين ألف رجل، فإذا أتاك كتابى فالعجل العجل، فإنَّ الناس كلهم معك، وليس لهم فى يزيد هوى ...

فقال ابن زياد: أين هذا الرجل الذى أصبت معه الكتاب؟

قال: هو بالباب.

فقال: إئتونى به.

فلما وقف بين يديه، قال: ما اسمك؟

قال: عبدالله بن يقطين. (٢)

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٩٠

قال: من دفع إليك هذا الكتاب؟

قال: دفعته إليّ أمراً لا أعرفها!

فضحك ابن زياد وقال: اختر أحد الإثنين، إما أن تخبرني من دفع إليك الكتاب أو القتل!

فقال: أما الكتاب فإنني لا أخبرك، وأما القتل فإنني لا أكرهه لأنني لا أعلم قتيلاً عند الله أعظم أجراً ممن يقتله مثلك!

قال: فأمر به فضربت عنقه (١)». (٢)

وقال المحقق الشيخ محمد السماوي (ره): «وقال ابن قتيبة وابن مسكويه: إن الذي أرسله الحسين قيس بن مسهر ... وإنَّ عبدالله بن

يقطر بعثه الحسين عليه السلام مع مسلم، فلما أن رأى مسلم الخذلان قبل أن يتمَّ عليه ماتمَّ بعث عبدالله إلى الحسين

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٩١

يخبره بالأمر الذي انتهى، فقبض عليه الحصين وصار ما صار عليه من الأمر الذي ذكرناه». (١)

وهذا يؤيد أنَّ عبدالله بن يقطر (رض) كان رسولاً من مسلم عليه السلام إلى الإمام عليه السلام، ولكنَّه يخالف ما في رواية المناقب

ورواية تسليمة المجالس في أنه (رض) كان قد حمل إلى الإمام عليه السلام خبر الخذلان لآخبر البشري بالعدد الكبير من المبايعين!

والظاهر أنَّ عبدالله بن يقطر (رض) - على المشهور - قُتل بنفس الطريقة التي قُتل بها قيس بن مسهر الصيداوي (رض)، حيث أُلقي كلُّ

منهما من فوق القصر، لكنَّ الأول قُتل قبل الثاني رضوان الله تعالى عليهما، بدليل أنَّ خبر مقتل ابن يقطر (رض) ورد إلى الإمام عليه

السلام بزبالة في الطريق إلى العراق في نفس خبر مقتل مسلم عليه السلام وهانيء (رض)، فنعاهم الإمام عليه السلام قائلاً: «أما بعد، فقد

أتانا خبرٌ فظيع، قُتل مسلم بن عقيل وهانيء بن عروة وعبدالله بن يقطر، وقد خذلنا شيعتنا...»، (٢)

وبذلك يكون عبدالله بن يقطر (رض) ثاني رسل النهضة الحسينية الذين استشهدوا أثناء أداء مهمَّة الرسالة، بعد شهيد النهضة الحسينية

الأول سليمان بن رزين (رض) رسول الإمام عليه السلام إلى البصرة.

البحث لمعرفة مكان مسلم بن عقيل عليه السلام ص : ٩١

إشارة

كان الهُمام الأ-كبر لعبيدالله بن زياد منذ بدء وصوله الكوفة هو معرفة مكان مسلم بن عقيل عليه السلام، فهو طلبته الكبرى ومبتغاه

الأساس تنفيذاً لرسالة يزيد التي طلب منه فيها أن يطلب مسلماً عليه السلام طلب الخرزة.

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٩٢

وكان مسلم عليه السلام نتيجة الإجراءات الإرهابية المتسارعة التي اتخذها ابن زياد وما أخذ به العرفاء والناس قد خرج من دار المختار

حتى انتهى الى دار هانيء (رض) فاتخذها مقراً له، وأخذت الشيعة تختلف إليه فيها على تستر واستخفاء وتواصل بالكتمان.

قال الدينوري: «وخفي على عبيدالله بن زياد موضع مسلم بن عقيل، فقال لمولى له من أهل الشام يسمي معقلاً - وناوله ثلاثة آلاف

درهم في كيس (١) - وقال:

خذ هذا المال وانطلق فالتمس مسلم بن عقيل، وتأتَّ له بغاية التأتّي!

فانطلق الرجل حتى دخل المسجد الأعظم، وجعل لا يدرى كيف يتأتَّى الأمر، ثمَّ إنَّه نظر إلى رجل يكثر الصلاة إلى ساريه من سواري

المسجد، فقال في نفسه:

إن هؤلاء الشيعة يكثرّون الصلاة! وأحسب هذا منهم! فجلس الرجل حتى إذا انفتل من صلاته قام، فدنا منه، وجلس فقال: جعلت فداك، إني رجل من أهل الشام، مولى لذي الكلاع، وقد أنعم الله عليّ بحبّ أهل بيت رسول الله صلّى الله عليه وسلم، وحبّ من أحبّهم، ومعى هذه الثلاثة آلاف درهم، أحبّ إيصالها إلى رجل منهم، بلغنى أنه قدم هذا المصر داعيةً للحسين بن عليّ عليه السلام، فهل تدلّني عليه لأوصل هذا المال إليه، ليستعين به على بعض أموره ويضعه حيث أحبّ من شيعته؟

قال له الرجل: وكيف قصدتني بالسؤال عن ذلك دون غيري ممّن هو في المسجد!؟

قال: لأنني رأيت عليك سيما الخير، فرجوت أن تكون ممّن يتولّى أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله.

معالركب الحسيني (ج ۳)، ص: ۹۳

قال له الرجل: ويحك، قد وقعت عليّ بعينك، أنا رجل من إخوانك وإسمى مسلم بن عوسجة، وقد سررت بك، وسأني ما كان من حسي قبلك، فإني رجل من شيعة أهل هذا البيت، خوفاً من هذا الطاغية ابن زياد، فأعطني ذمّة الله وعهده أن تكتم هذا عن جميع الناس.

فأعطاه من ذلك ما أراد!

فقال له مسلم بن عوسجة: إنصرف يومك هذا، فإن كان غداً فائتني في منزلي حتى انطلق معك إلى صاحبنا - يعني مسلم بن عقيل - فأوصلك إليه.

فمضى الشامي، فبات ليلته، فلما أصبح غداً إلى مسلم بن عوسجة في منزله، فانطلق به حتّى أدخله إلى مسلم بن عقيل، فأخبره بأمره، ودفع إليه الشامي ذلك المال، وبايعه!

فكان الشامي يغدو إلى مسلم بن عقيل، فلا يحجب عنه، فيكون نهاره كلّه عنده، فيتعرّف جميع أخبارهم، فإذا أمسى وأظلم عليه الليل دخل على عبيد الله ابن زياد فأخبره بجميع قصصهم، وما قالوا وفعلوا في ذلك، وأعلمه نزول مسلم في دار هانيء بن عروة. «۱»

إشارة: ص: ۹۳

قد يأسف المتتبع بادية ذي بدء للسهولة التي تمّت بها عملية اختراق حركة مسلم بن عقيل عليه السلام من داخلها على يد الجاسوس معقل مولى عبيد الله بن زياد،

معالركب الحسيني (ج ۳)، ص: ۹۴

من طريق مسلم بن عوسجة الأسدي (رض)، وهو علم من أعلام الشيعة في الكوفة، وأحد شهداء الطف، وهو الشريف السري في قومه، «۱» والفارس الشجاع الذي له ذكر في المغازي والفتوح الإسلامية، وقد شهد له الأعداء بشجاعته وخبرته وبصيرته وإقدامه. «۲»

وفي ظنّ المتتبع أنّ عليّ مسلم بن عوسجة (رض) أن يحذر أكثر ويحتاط حتّى يطمئنّ تماماً إلى حقيقة هويّة معقل الجاسوس قبل أن يدلّه على مكان مسلم بن عقيل عليه السلام أو يستأذن له في الدخول عليه! ليخترق بذلك الحركة من داخلها!

لكنّ ما وقع فعلاً هو أنّ ابن عوسجة (رض) لم يكن قد قصّر في حذره وحيطة، غير أنّ معقلاً كان فعلاً «ماهرًا في صناعته وخبيراً فيما انتدب إليه» «۳» لاختراق حركة مسلم عليه السلام من داخلها.

أمّا سهولة تعرّفه عليّ ابن عوسجة (رض) فلا تحتاج إلى كثير جهد ومشقة إذا كان (رض) وجهاً شيعياً معروفاً في الكوفة، وقد كشف له معقل عن سرّ سهولة تعرّفه عليه حين قال له: «سمعت نفاً يقولون: هذا رجلٌ له علم بأهل هذا البيت، فأتيك لتقبض هذا المال وتدلّني على صاحبك فأبايعه، وإن شئت أخذت البيعة»

معالركب الحسيني (ج ۳)، ص: ۹۵

له قبل لقائه!»، «١» ولقد عبّر له ابن عوسجة (رض) عن استيائه لسرعة تعرّفه عليه بقوله: «.. ولقد سائنتى معرفتك إياى بهذا الأمر من قبل أن ينمى مخافة هذا الطاغية وسطوته ..». «٢»

ثم إن ابن عوسجة (رض) أخر معقلاً أياًماً قبل أن يطلب الأذن له، وكان يجتمع معه فى منزله هو تلك الأيام «إختلف إالى أياًماً فى منزلى فىانى طالب لك الأذن على صاحبك ..»، «٣» ثم لم يدخله على مسلم بن عقيل عليه السلام حتى طلب له الأذن فأذن له، ولاشك أن أخذ الأذن يتم بعد شرح ظاهر الحال الذى تظاهر به معقل، ومن الدلائل على مهارة ابن زياد ومعقل فى فنّ التجسس أن ابن زياد أوصى معقلاً أن يتظاهر بأنه رجل من أهل الشام ومن أهل حمص بالذات، «٤» ذلك حتى لا يكون بإمكان مسلم بن عوسجة أن يسأل ويستفسر عن حقيقة حاله فى قبائل الكوفة، كما أن أهل حمص آنذاك على ما يبدو قد عرف عنهم حبهم لأهل البيت عليهم السلام، أو عرف أن فيهم من يحب أهل البيت عليه السلام، فيكون ذلك مدعاة لاطمئنان من يتخذ معقل منفذاً لاختراق حركة مسلم عليه السلام من داخلها، كما أن معقلاً قد ادعى أمام ابن عوسجة (رض) أنه مولى لذى الكلاع الحميرى هناك فى الشام، والمعروف عن جلّ الموالى حبهم لأهل البيت عليهم السلام!

الخلاصة أن معقلاً كان قد أحكم خطته واتقن تمثيل دوره المرسوم وبرع فى

مع الרכب الحسينى (ج ٣)، ص: ٩٦

ذلك، لكنّ فى حضوره يوماً عند مسلم بن عقيل عليه السلام، ودخوله عليه فى أوّل الناس، وخروجه عنه آخرهم، فيكون نهاره كلّه عنده، ما يدعو إلى الريبة والشك فيه، فلماذا لم يرتب ولم يشكّ فيه مسلم عليه السلام وأصحابه؟! إن فى هذا ما يدعو إلى الإستغراب والحيرة فعلاً!

لكننا حيث لانملك معرفة تفاصيل جريان حركة أحداث تلك الأيام بشكل كافٍ، وحيث لم يأتنا التاريخ إلّا بنزير قليل منها لاينفعا إلّا فى رسم صورة عامة عن مجرى حركة تلك الأحداث، وحيث نعلم أن مسلم بن عقيل عليه السلام ومسلم بن عوسجة (رض) وأصحابهما هم من أهل الخبرة الإجتماعية والسياسية والعسكرية، فلا يسعنا أن نتعرض باللوم عليهم أو أن نتهمهم بالسذاجة! بل علينا أن نتأدّب بين يدي تلك الشخصيات الإسلامية الفذة، وأن ننزه ساحاتهم المقدّسة عن كلّ ما يليق بها، وأن نقف عند حدود معرفتنا التاريخية القاصرة لانتعّادها إلى استنتاجات واتهامات غير صائبة ولا لائقة، خصوصاً إذا تذكّرنا حقيقة أن عمليات الإختراق من الداخل من خلال دسّ الجواسيس المتظاهرين بغير حقيقتهم كانت أمراً مألوفاً منذ قديم الأيام ولم تزل حتى يومنا الحاضر وتبقى إلى ما شاء الله، وشدّ وندر أن يجد الإنسان حركة سياسية تغييرية تعمل لقلب الأوضاع سلمت من الإختراق من داخلها من قبل أعدائها، بل قد لا يجد الإنسان حركة سياسية تغييرية غير مخترقة، وهذا لايعنى أن قيادتها ساذجة ولا تتمتع بالحكمة!

اعتقال هانىء بن عروة (رض) ص: ٩٦

إشارة

كان هانىء بن عروة المرادى (رض) بفضلته السياسية والإجتماعية يتوقع ما يحذره من عبيدالله بن زياد برغم التستر والخفاء الذى كانت تتم فى ظلّها اجتماعات مسلم عليه السلام مع مرّيديه وأتباعه فى بيته، وبرغم التواصى بالكتمان، ذلك لأنّ هانئاً (رض) كان يعلم أنّ الهمّ الأكبر لابن زياد هو معرفته مكان ومقرّ

مع الרכب الحسينى (ج ٣)، ص: ٩٧

مسلم عليه السلام، فلا بدّ له من أن يتجسس ويحتال الحيلة لمعرفة ذلك، وكان هانىء (رض) يعرف مكر ابن زياد وغدره، فانقطع عن زيارة القصر خشية أن يمشى الى المحذور برجليه فيواجهه الخطر بمعزل عن قوّة قبيلته التى يحسب لها ألف حساب فى مجتمع الكوفة،

تقول الرواية التاريخية «وخاف هانىء بن عروة على نفسه، فانقطع عن حضور مجلسه وتمارض.

فقال ابن زياد لجلسائه: مالي لا أرى هانياً؟

فقالوا: هو شاكٍ.

فقال: لو علمتُ بمرضه لعدتُه!!

ودعى محمد بن الأشعث، «١» وأسماء بن خارجة، وعمرو بن الحجاج الزبيدي - وكانت رويحة بنت عمرو تحت هانىء بن عروة، وهى

أم يحيى بن هانىء -

فقال لهم: ما يمنع هانىء بن عروة من إتياننا؟

فقالوا: ما ندرى، وقد قيل إنه يشتكى.

قال: قد بلغنى أنه قد برىء، وهو يجلس على باب داره! فالقوه ومروه ألا يدع ما عليه من حقنا، فإننى لا أحب أن يفسد عندى مثله من

أشراف العرب!

فأتوه حتى وقفوا عليه عشية وهو جالس على بابه.

وقالوا له: ما يمنعك من لقاء الأمير؟! فإنه قد ذكرك وقال لو أعلم أنه شاكٍ لعدتُه.

فقال لهم: الشكوى تمنعنى!

مع الركب الحسينى (ج ٣)، ص: ٩٨

فقالوا له: قد بلغه أنك تجلس كل عشية على باب دارك! وقد استبطأك، والإبطاء والجفاء لا يحتمله السلطان، أقسمنا عليك لما

ركبت معنا!

فدعى بشيابه فلبسها، ثم دعى ببغلة فركبها، حتى إذا دنى من القصر كأن نفسه أحست ببعض الذى كان، فقال لحسان بن أسماء بن

خارجة: يا ابن الأخ، إننى والله لهذا الرجل لخائف! فما ترى؟

فقال: يا عم، والله ما أتخوف عليك شيئاً، ولم تجعل على نفسك شيئاً.

ولم يكن حسان يعلم فى أى شىء بعث إليه عبيدالله.

فجاء هانىء حتى دخل على عبيدالله بن زياد وعنده القوم، فلما طلع قال عبيدالله: أتتكم بخاين رجلاه! «١»

فلما دنى من ابن زياد، وعنده شريح القاضى، «٢» إلتفت نحوه فقال:

أريدُ حياته ويُريد قتلنى عذيرك من خليلك من مُراد

وقد كان أول ما قدم مكرماً له ملطفاً ...

فقال له هانىء: وما ذاك أيها الأمير؟

قال: إيه يا هانىء بن عروة، ما هذه الأمور التى تربص فى دارك لأمر المؤمنين وعامة المسلمين؟ جئت بمسلم بن عقيل فأدخلته دارك

وجمعت له السلاح والرجال فى الدور حولك، وظننت أن ذلك يخفى على!

قال: ما فعلتُ ذلك، وما مسلم عندى.

مع الركب الحسينى (ج ٣)، ص: ٩٩

قال: بلى، قد فعلت!

فلما كثر ذلك بينهما وأبى هانىء إلا مجاحدته ومناكرته، دعى ابن زياد معقلاً ذلك العين، فجاء حتى وقف بين يديه.

فقال: أتعرف هذا؟

قال: نعم!

وعلم هاني عند ذلك أنه كان عيناً عليهم، وأنه قد أتاه بأخبارهم، فأسقط في يده ساعه، ثم راجعته نفسه.

فقال: إسمع مني وصدق مقالتي، فوالله لا كذبت، والله ما دعوته إلى منزلي، ولا علمت بشيء من أمره حتى جاءني يسألني النزول فاستحييت من رده، ودخلني من ذلك ذمام فضيفته وآويته، وقد كان من أمره ما بلغك، فإن شئت أن أعطيك الآن موثقاً مغلظاً ألا أبغيك سوءاً ولا غائله، ولا تبتك حتى أضع يدي في يدك، وإن شئت أعطيتك رهينة تكون في يدك حتى آتيك، وأنطلق إليه فأمره أن يخرج من داري إلى حيث شاء من الأرض فأخرج من ذمامه وجواره.

فقال له ابن زياد: والله لا تفارقني أبداً حتى تأتيني به!

قال: لا والله، لأجيئك به أبداً، أجيئك بضيقي تقتله!؟

قال: والله لتأتيني به.

قال: لا والله لا آتيك به.

«فلما كثر الكلام بينهما قام مسلم بن عمرو الباهلي - وليس بالكوفة شامياً ولا بصرياً غيره - فقال: أصلح الله الأمير، خلني وإياه حتى أكلمه.

فقام فخلاً به ناحية من ابن زياد، وهما منه بحيث يراهما، فإذا رفعاً أصواتهما

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٠٠

سمع ما يقولان.

فقال له مسلم: يا هاني، أئشدك الله أن تقتل نفسك، وأن تدخل البلاء في عشيرتك، فوالله إنني لأنفس بك عن القتل، إن هذا الرجل ابن عم القوم، وليسوا قاتليه ولا ضائريه، فادفعه إليهم فإنه ليس عليك بذلك مخزاة ولا منقصة، إنما تدفعه إلى السلطان! فقال هاني: والله إن علي في ذلك الخزي والعار أن أدفع جاري وضيقي وأنا حتى صحيح أسمع وأرى، شديد الساعد كثير الأعوان، والله لو لم أكن إلا واحداً ليس لي ناصر لم أدفعه حتى أموت دونه!

فأخذ يناشده وهو يقول: والله لا أدفعه إليه أبداً!

فسمع ابن زياد ذلك، فقال: أدنوه مني.

فأدنوه منه، فقال: والله لتأتيني به أو لأضربن عنقك.

فقال هاني: إذن لكثرة البارقة حول دارك!

فقال ابن زياد: والهفاه عليك، أبالبارقة تخوفني!؟ - وهو يظن أن عشيرته سيمنعونه - ثم قال: أدنوه مني!

فأدنى منه، فاعترض وجهه بالقضيب، فلم يزل يضرب به أنفه وجبينه وخذته حتى كسر أنفه وسالت الدماء على وجهه ولحيته، ونثر لحم جبينه وخذته على لحيته حتى كسر القضيب!

وضرب هاني يده إلى قائم سيف شرطي، وجاذبه الرجل ومنعه! فقال عبيد الله: أحرورتي! «١» ساير اليوم!؟ قد حل لنا دمك! جزوه.

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٠١

فجزوه، فألقوه في بيت من بيوت الدار وأغلقوا عليه بابه!

فقال: إجعلوا عليه حرساً. ففعل ذلك به. «١»

فقام إليه حسان بن أسماء فقال: أرسل غدر ساير اليوم!؟ أمرتنا أن نجيبك بالرجل حتى إذا جئناك به هشمت أنفه ووجهه وسيلت دماءه على لحيته، وزعمت أنك تقتله!؟

فقال له عبيد الله: وإنك لهاهنا!؟ «٢» فأمر به فلهز وتغيب وأجلس في ناحية، فقال محمد بن الأشعث: قد رضينا بما رأى الأمير، لنا كان أم علينا، إنما الأمير مؤدب!.. «٣»

تأمل وملاحظات: ص : ١٠١

(١) - قد يتساءل المتأمل عجباً من أمر هاني بن عروة (رض) الذي كان يعرف مكر ابن زياد وغدره، وكانت خبرته السياسية والاجتماعية وتجارب العمر الطويل تفرض عليه أن يحتمل احتمالاً قوياً أن تكون حركة النهضة قد اخترقت من قبل جواسيس ابن زياد: كيف مضى برجله إلى مواجهة المحذور من إهانة أو حبس أو

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٠٢

قتل دون أن يأخذ الأهبة والإحتياط الكافيين لكل احتمالات لقائه بابن زياد، كأن يأخذ معه من رجالات قبيلته (مدحج) مجموعة لا يقوى معها ابن زياد على إهانته أو حبسه أو قتله، أو يوقف عند باب القصر كتيبه من قبيلته تقتحم القصر إذا استبطأته وقتاً محدداً بينه وبينها؟!

وهذا تساؤل في محله تماماً! ومن البعيد جداً ألا يكون هاني (رض) قد فكر بتلكم الإحتياطات لمواجهة محذورات لقائه بابن زياد في القصر لو كان رسل ابن زياد إليه من الجلاوزة أو ممن يرتاب فيهم هاني (رض)، لكن الرسل الذين انتقاهم ابن زياد - على علم ومكر هم ممن لا يرتاب هاني (رض) فيهم أو في بعضهم على الأقل، فمنهم عمرو بن الحجاج الزبيدي الذي كانت ابنته رويحة زوجة لهاني، وأسماء بن خارجة، أو ابنه حسان، «١» وهو زعيم قبيلة فزارة، «٢» ومحمد بن الأشعث زعيم قبيلة كنده، «٣» فهؤلاء من كبار وجهاء الكوفة وأشرافها، ومن البعيد جداً - في ظن هاني (رض) - أن يكونوا رُسل غدر أو أهل خيانة!

والظاهر أن هذا هو الذي جعل هانئاً (رض) يستبعد الإحتمال السيء، فلم يعد العدة ولم يأخذ الأهبة والإحتياط لمحذورات هذا اللقاء، فانطلت حيلة ابن زياد عليه، وصدق الرُسل في مانقلوه إليه من أن ابن زياد تفقده لإنقطاعه عنه، وقال إنه لم يعلم بمرضه ولو علم به لقام بزيارته! فاستظهر هاني (رض) أن ابن

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٠٣

زياد حتى تلك الساعة لم يكن له علم بمكان مسلم عليه السلام، فدعا بثيابه فلبسها، وبيغلة فركبها، ومضى معهم! ومع استبعاد الإحتمال السيء واستظهار أن ابن زياد لم يكن حتى تلك اللحظة قد علم بمكان مسلم عليه السلام، لا يكون من الحكمة الإمتناع عن لقائه، أو أخذ الأهبة والعدة للمحذور منه، أو طلب الأمان شرطاً للقائه، لأن كل ذلك سيكشف عن المستور، ويؤكد التهمة، ويؤدي إلى تعجيل ضرار في توقيت قيادة حركة النهضة لموعد قيامها ضد ابن زياد، ولعل كل هذه الأمور قد خطرت على بال هاني بن عروة، فأثر المجازفة بنفسه دفعا لكل تلك الأضرار والمساويء.

من هنا، يُستبعد ما أورده صاحب كتاب تجارب الأمم حيث قال: «ودعا عبيد الله هاني بن عروة، فأبى أن يُجيبه إلا بأمان! فقال: ماله وللأمان، هل أحدث حدثاً؟! فجاءه بنو عمه ورؤساء العشائر فقالوا: لاتجعل على نفسك سبيلاً وأنت برىء. وأتى به...»، «١» أو ما رواه الطبري أن ابن زياد قال لأسماء بن خارجة ومحمد بن الأشعث: «إئتياي بهانيء. فقالا: إنه لا يأتي إلا بأمان! قال: وماله وللأمان، وهل أحدث حدثاً؟! إنطلقا فإن لم يأت إلا بأمان فآمناه!..». «٢»

(٢) - يبدو أن حيلة ابن زياد كانت قد انطلت حتى على بعض رُسله إلى هاني بن عروة (رض)، إذ إن سياق القصة يكشف عن أن أسماء بن خارجة «٣» أو حساناً ابنه قد فوجيء بغدر ابن زياد بهم وبهاني (رض)، فانتفض معترضاً بعدما رأى ما

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٠٤

صنع بهاني (رض) وقال لابن زياد: أرسل غدر ساير اليوم؟! أمرتنا أن نجيئك بالرجل حتى إذا جئناك به هشمت أنفه ووجهه وسيلت دمائه على لحيته، وزعمت أنك تقتله؟! فقال له ابن زياد: وإنك لها هنا؟! فلهمز وتعتع وأجلس ناحية، وفي رواية الفتوح: «فصرب حتى وقع لجنبه.. فحبس في ناحية من القصر وهو يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، إلى نفسي أنعاك يا هانيء!..». «١»

أما محمد بن الأشعث فقد روى الطبري قائلاً «وزعموا أنّ أسماء لم يعلم في أي شيء بعث إليه عبيد الله، فأما محمد فقد علم به!..»،
 (٢) وسواء أكان عالماً بخطئة ابن زياد أم لم يكن يعلم، نراه - وقد أدركه عرق النفاق الضارب في أعماق عائلته - يقول متملقاً لابن
 زياد: قد رضينا بما رأى الأمير، لنا كان أم علينا، إنّما الأمير مؤدّب!

أما عمرو بن الحجاج الزبيدي - وهو أحد هؤلاء الرسل الذين جاؤا بهاني (رض) إلى ابن زياد - فقد غاب فجأة ولم يشهد ما جرى في
 هذا اللقاء، مع أنّ المفروض عرفاً وهو أحد الرسل الثلاثة أن يبقى كوسيط لإزالة السخيمة بين هاني (رض) وابن زياد، أو ليحامي عن
 هاني (رض) إذا تجاوز ابن زياد حدّه واعتدى عليه - كما حصل فعلاً - خصوصاً وأنّ هاني بن عروة زوج ابنته!

إذن فغيابه المتعمّد فجأة عن مسرح الحدث يكشف عن علمه المسبق بخطئة ابن زياد للإيقاع بهاني (رض)، وعن تواطئه معه لحبسه
 وقتله! ولقد أراد من وراء هذا الغياب الفاجيء المتعمّد أمرين: الأول هو أن يصرف عن نفسه حرج عدم دفاعه عن هاني (رض) في
 حال حضوره، كما يدفع بذلك عن نفسه أيضاً شبهة

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٠٥

تواطئه مع ابن زياد لقتل هاني (رض)، لقد كان عمرو بن الحجاج الزبيدي حقاً رسول غدر! أمّا الأمر الثاني: فهو أنّ هذا الخائن أراد
 أن يستبق الوقت ليمتطي موجة غضب قبيلة مذحج التي كانت ستثور حتماً لما أصاب هاني (رض)، فيقوم جموعها الزاحفة بسيوفها
 نحو القصر لإنقاذه، وهناك ليفرّق هذه الجموع الغاضبة، ويصرفها عن القصر بخدعة مشتركة - كما سيأتي - بينه وبين شريح القاضي
 وابن زياد! إنّ هذا الدور الخياني نفسه دليل آخر قاطع على علم الزبيدي المسبق بخطئة ابن زياد.

(٣) - أظهرت هذه الرواية وكأنّ هاني بن عروة (رض) إنّما امتنع عن تسليم مسلم عليه السلام لابن زياد لسبب أخلاقي عربي وإسلامي
 وهو حماية الضيف والذّب عن الجوار «والله إنّ عليّ في ذلك الخزي والعار أن أدفع جاري وضيفي وأنا حيّ صحيح، أسمع وأرى،
 شديد الساعد كثير الأعوان، والله لو لم أكن إلّا واحداً ليس لي ناصر لم أدفعه حتّى أموت دونه!»، وفي هذا الموقف - وبهذا الحدّ
 الأخلاقي - شرف ومفخرة لهاني (رض) وأيّ مفخرة!

لكنّ هناك نصوصاً تاريخية أخرى تؤكّد أنّ الدافع الذي منع هانئاً (رض) من تسليم مسلم عليه السلام كان دافعاً أسمى وأعلى من
 الدافع الأخلاقي! وهو الدافع الإيماني الطافح بالولاء لأهل البيت عليهم السلام، فقد روى ابن نما (ره) أنّ هاني بن عروة (رض) قال:
 «والله إنّ عليّ في ذلك العار أن أدفع ضيفي ورسول ابن رسول الله، وأنا صحيح الساعدين كثير الأعوان ..»، (١) وفي رواية ابن أعثم:
 «بلى والله، عليّ في ذلك من أعظم العار أن يكون مسلم في جوارى وضيفي، وهو رسول ابن بنت

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٠٦

رسول الله صلى الله عليه وآله...»، (١) وفي رواية المسعودي أنّ هانئاً (رض) قال لابن زياد: «إنّ لزياد أيبك عندي بلاءً حسناً، (٢)
 وأنا أحبّ مكافأته به، فهل لك في خير؟ قال ابن زياد: وما هو؟ قال: تشخص إلى أهل الشام أنت وأهل بيتك سالمين بأموالكم، فإنه
 قد جاء حقّ من هو أحقّ من حقّك وحقّ صاحبك ..». (٣)

(٤) - من مجموع النصوص التاريخية التي روت لنا قصة هذا اللقاء بين هاني (رض) وبين ابن زياد، أو جوانب من هذا اللقاء، يتضح
 جلياً أنّ هاني بن عروة (رض) كان يتمتع - وهو في التسعين من العمر - برباطة جأش، وثقة بالنفس، وشجاعة ملفتة للانتباه، كما كان
 في غاية الإطمئنان والثقة بأنّ مذحج لن تسلمه إذا تعرّض لمكروه، وأنّ الكوفة يومذاك بالفعل كانت ساقطة بيد المعارضة وماهي إلّا
 إشارة تصدر عن مسلم عليه السلام حتّى يتحقق ذلك الأمر فعلاً وعلناً، فقوله لابن زياد لما هدّده بالقتل: «إذن لكثّر البارقة حول
 دارك!» كاشف عن ثقته بردّ الفعل المناسب الذي كان لابد سيصدر عن مذحج خاصة وعن قيادة الثورة عامة، ومدّه يده الشريفه إلى
 قائم سيف الشرطي ليقتل به ابن زياد كاشف عن شجاعته الفائقة، وقوله لابن زياد: «.. تشخص إلى أهل الشام أنت وأهل بيتك
 سالمين بأموالكم، فإنه قد جاء حقّ من هو أحقّ من حقّك وحقّ صاحبك»، أو قوله: «أيها الأمير، قد

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٠٧

كان الذي بلغك، ولن أضيع يدك عندي، فأنت آمن وأهلك! فسر حيث شئت! «١» كاشف عن ثقته التامة بأن الكوفة فعلاً بيد قيادة الثورة، وأن ابن زياد ليس إلّا أميراً رمزياً يومذاك! ولا يخفى على ذي دراية أن قوله لابن زياد: «... فإن شئت أعطيك الآن موتاً مغلظاً إلّا أبغيك سوءً ولا غائله، ولآتينك حتى أضع يدي في يدك، وإن شئت أعطيتك رهينة تكون في يدك حتى آتيك، وأنطلق إليه فأمره أن يخرج من داري إلى حيث شاء من الأرض فأخرج من ذمامه وجواره!» كان قولاً صادقاً وفيه من العمق السياسي الشيء الكثير، إذ لو خرج من القصر لأخرج مسلم بن عقيل عليه السلام من داره فعلاً ولكن إلى قيادة الثورة بالفعل، ولأعلنها حرباً على ابن زياد يؤلب لها الآلاف الكثيرة من المبايعين من مذحج وكندة وبقية القبائل الأخرى، فليس بعد يومه ذاك ما يدعو إلى الصبر والانتظار - بعد أن اخترق ابن زياد حركة المعارضة من داخلها وعلم بكل شيء! - وهذا لا ينافي أن هائناً (رض) كان صادقاً بقوله لابن زياد: «إلّا أبغيك سوءً ولا غائله، ولآتينك حتى أضع يدي في يدك!»، لأنه قد يشفع لابن زياد - بعد انتصار الثورة بالفعل وسيطرتها على الكوفة وعلى القصر - ويأتيه كما وعده ويضع يده في يده ليسرّحه مع أهله إلى الشام، ولهانيء بن عروة (رض) من المنزلة الرفيعة عند مسلم عليه السلام وعند أهل الكوفة ما يُستبعد عندها ردُّ شفاعته، اللهم إلّا إذا اعترض عليه بالدماء الزاقيات التي سفحها ابن زياد ظلماً وجوراً.

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٠٨

الخدعة المشتركة! ص : ١٠٨

في قصة حبس هانيء بن عروة (رض) هناك دور خيائى لاريب فيه، تقمصه عمرو بن الحجاج الزبيدي المتفاني في امتثال أوامر أعداء أهل البيت عليهم السلام مع أن هائناً (رض) كان صهراً له! ودور خيائى صريح آخر تقمصه شريح القاضي العمرى الأموى الميل والهوى، «١» بتنسيق وتخطيط من ابن زياد لعنه الله.

تقول الرواية التاريخية: «وبلغ عمرو بن الحجاج أن هانياً قد قُتل! فأقبل في مذحج حتى أحاط بالقصر ومعه جمع عظيم، ثم نادى: أنا عمر بن الحجاج، وهذه فرسان مذحج ووجوهها، لم نخلع طاعة ولم نفارق جماعة، وقد بلغهم أن أصحابهم قُتل فأعظموا ذلك!

فقيل لعبيدالله بن زياد: هذه مذحج بالباب!

فقال لشريح القاضي: أدخل على صاحبهم فانظر إليه، ثم أخرج وأعلمهم أنه حمى لم يقتل!

فدخل شريح فنظر إليه، فقال هاني لَمَّا رأى شريحاً: «٢» يا لله! يا للمسلمين!

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٠٩

أهلكت عشيرتي؟! أين أهل الدين؟! أين أهل المصر؟! - والدماء تسيل على لحيته، إذ سمع الرجّة على باب القصر - فقال: إنى لأظنها أصوات مذحج وشيعتي من المسلمين، إنّه إن دخل على عشرة نفر أنقذوني!

فلَمَّا سمع كلامه شريح خرج إليهم، فقال لهم: إن الأمير لَمَّا بلغه مكانكم ومقاتلكم في صاحبكم أمرنى بالدخول إليه، فأتيته فنظرت إليه، فأمرنى أن ألقاكم وأعزّفكم أنه حى، وأن الذى بلغكم من قتله باطل!

فقال له عمرو بن الحجاج وأصحابه: أمّا إذا لم يقتل فالحمد لله! ثم انصرفوا!.. «١»

وفى رواية الدينورى: «فقال لهم سيدهم عمرو بن الحجاج: أمّا إذ كان صاحبكم حياً فما يعجلكم الفتنة؟! انصرفوا!. فانصرفوا». «٢»

لقد تجسّد دور شريح القاضي الخيائى - وما أكثر أدواره الخيائىة - فى ممارسته التورية فى عبارته الأخيرة: «فأمرنى أن ألقاكم وأعزّفكم أنه حى، وأن الذى بلغكم من قتله باطل!» لأنه أتى بهذه العبارة بعد قوله لهم: «فأتيته فنظرت إليه»، فكأن الذى أمره هو هاني (رض)

نفسه لا ابن زياد، ليشيع في نفوسهم الطمأنينة، وليوحى لهم أن هائناً يقول: إن الذي أثاركم وألبكم خيرٌ باطل، ولا داعي لهذه الإثارة وهذه الفتنة!

وهنا يواصل عمرو بن الحجاج دوره الخياني الطويل، فلا يرُدُّ على شريح

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١١٠

القاضي فيقول مثلاً: لتر سيدنا هائناً ولنكلمه أو لنخرجته من القصر عنوة! أو ما يشبه هذا القول، أو لا يكتفى بقول شريح فيدخل القصر - وهو من المقرّبين لابن زياد - ليرى بنفسه هائناً وحقيقته ما جرى عليه داخل القصر!!

بل نراه يؤكد صحة مقالة شريح ويخاطب جموع مذبح الثائرة قائلاً: «صدق، ليس على صاحبكم بأس فتفرّقوا!». «١»، «أمّا إذا كان صاحبكم حياً فما يُعجلكم الفتنة؟! انصرفوا» فتصرف هذه الجموع فاشلة وقد ذهبت ريحها، وأكثرهم يحبُّ العافية لتفشي (الوهن: حب الدنيا وكرهية الموت) في قلوبهم، ولو انبعث في تلك اللحظات الحاسمة رجال من مذبح فأنكروا على الزبيدي الخائن «٢» رأيه وموقفه، وحرّضوا جموع مذبح على اقتحام القصر وإطلاق سراح هاني (رض) ثمّ واصلوا تطهير الكوفة من كلّ رجس أمويّ، لكان قد كُتب لمذبح دور رياديّ في تغيير مجرى تاريخ حياة المسلمين، يُذكر فيشكر إلى قيام الساعة، لكنهم آثروا طاعة ابن الحجاج الزبيدي حرصاً على احترام عرف قبليّ - وحبّاً للعافية! - وإن

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١١١

كان ذلك خلافاً لما هو أحقُّ وأهمّ!، فكُتب لهم دور في الخذلان والخيبة، ماتلاه التاريخ على مسامح الأجيال إلّا وبعث في العقول والقلوب استنكاراً وريبةً ونفوراً!!

قيام مسلم بن عقيل عليه السلام ص : ١١١

إشارة

إنّ أصعب مقاطع النهضة الحسينية المباركة من ناحية التحليل التاريخي هو مقطع حركة أحداث الكوفة أيام مسلم بن عقيل عليه السلام بعامه وحركة أحداث قيامه وانكساره السريع بخاصة، ففي هذا المقطع من كثرة الحلقات المفقودة، ومن تشابك العوامل وتداخلها وتنوعها، ومن اضطراب النقل التاريخي لبعض مهمّ من وقائع هذا المقطع، ومن خفاء علل بعض مهمّ آخر، ما يجعل المتتبع المتأمل في حركة هذه الأحداث في حيرة غامرة.

وكثيرون ممّن كتبوا في أحداث هذا المقطع - والأقدمون منهم خاصة - مرّوا به مروراً مرتبكاً كما ارتبكت رواياته التاريخية، فجاء ما نقلوه أقرب إلى السطحية منه إلى التعمق، خالياً من الربط المطلوب بين حلقات أحداثه، فاقداً لما ينبغي أن يكون فيه من التحليل والتعليل.

والمحقّقون الذين بذلوا جهداً كبيراً في تحليل وقائع هذا المقطع وفي الربط بينها، وإنّ جاؤا بتحليلات وتفسيرات جديدة وصحيحة غير قليلة - شكر الله سعيهم - إلّا أنهم وجدوا أنفسهم مضطّرين إلى اعتماد بعض الافتراضات التي لا تسندها رواية أو حتى إشارة تاريخية، وما ذلك إلّا لكثرة الثغرات التاريخية في هذا المقطع، التي ألجأت المتتبع المحقّق إلى مثل هذه الافتراضات التي ربّما كانت

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١١٢

صحيحة وفي محلّها تماماً. «١»

ونحن هنا، لاندعى أننا سنقدّم التفسير والتحليل الجامع المانع لجريان حركة أحداث هذا المقطع، بل نقول: إننا في هذه السطور

سنحاول ردم بعض الثغرات، وسنسلط الضوء الكافى على قضايا مهمّة لم تنل من قبل من الإهتمام والإيضاح ما يكفى لإبراز دورها الكبير فى ما وصلت إليه أحداث الكوفة من نتائج مؤسفة، ويظهر أهميتها الكبرى فى تفسير جريان تلك الأحداث. وفى البدء يكون من اللازم أن نقدّم الإجابة عن هذا السؤال:

المبادرة التى كان ينبغى أن تتحقّق! ص : ۱۱۲

فى حسابات التحوّك نحو الأهداف المنشودة هناك مبادرات ضرورية ينبغى القيام بها والسبق إليها لضمان نجاح الحركة السياسية الإجتماعية التغييرية فى الوصول الى أهدافها، بل ولضمان صدق المنتمين إلى هذه الحركة فيما بايعوا قائدهم وعاهدوه عليه، بل ولاختبار قدرتهم بالفعل على تنفيذ الأوامر الملقاة من قبل القيادة إليهم، وصبرهم الميدانى على تحمّل تبعات تلك الأوامر المفترضة الإطاعة.

وإدراك ضرورة القيام بمثل هذه المبادرات ليس من مختصات العقول المتفوّقة فى الوعى والذكاء، بل إن إدراك هذه الضرورة فى تناول العقل العادى، هذا عمرو بن لوزان يخاطب الإمام الحسين عليه السلام قائلاً: «وإنّ هؤلاء الذين بعثوا إليك لو كانوا كفوك مؤنّة القتال، ووطأوا لك الأشياء، فقدمت عليهم، كان ذلك رأياً،

مع الركب الحسينى (ج ۳)، ص: ۱۱۳

فأما على هذه الحال التى تذكر فأنى لا أرى لك أن تفعل!». «۱»

وهذا عمر بن عبد الرحمن المخزومى يقول للإمام عليه السلام أيضاً: «إنّك تأتى بلدأ فيه عمّاله وأمرأوه، ومعهم بيوت الأموال، وإنّما الناس عبيد لهذا الدرهم والدينار، ولا آمن عليك أن يقاتلك من وعدك نصره! ومن أنت أحبّ إليه ممّن يقاتلك معه!». «۲»

ويقول له ابن عباس (رض): «فإن كان أهل العراق يريدونك كما زعموا فكتب إليهم فلينفوا عدوّهم، ثمّ اقدم عليهم!». «۳»

والإمام عليه السلام لا يخطئ على هذا الإدراك، بل يقتر عليه السلام أنّ هذا الإدراك من النصح والعقل والرأى! فهو يقول لابن عباس: «يا ابن عمّ، إنى والله لأعلم أنّك ناصح مشفق!». «۴»

ويقول للمخزومى: «فقد والله علمت أنّك مشيت بنصح وتكلّمت بعقل!». «۵»

ويقول لعمر بن لوزان: «يا عبد الله، ليس يخفى على الرأى!». «۶»

إذن فقد كان ينبغى للقوة المعارضة للحكم الأموى فى الكوفة أن تُعدّ العدة وتستبق الأيام للقيام، وتبادر إلى السيطرة على الأوضاع فى الكوفة قبل مجيء الإمام عليه السلام إليها، «وذلك مثلاً باعتقال والى الأموى وجميع معاونيه وأركان إدارته، ومن عُرف من عيون وجواسيسه، ومنع الخروج من الكوفة إلّا بإذن خاص، وذلك

مع الركب الحسينى (ج ۳)، ص: ۱۱۴

لحجب أخبار مايجرى فيها عن مسامع السلطنة الأموية أطول مدّة ممكنة من أجل تأخير تحوّلها لمواجهة الإنتفاضة فى الكوفة قبل وصول الإمام عليه السلام، حتى يصل الإمام عليه السلام فيمسك بزمام الأمور ويقود الثورة إلى حيث كامل الأهداف.

وليس فى رسائل الإمام عليه السلام إلى أهل الكوفة ولا فى وصاياه إلى مسلم بن عقيل عليه السلام ما يمنع أهل الكوفة من القيام بهذه المبادرة التى أقرّ الإمام عليه السلام أنها من العقل والرأى! بل لقد دعاهم عليه السلام إلى القيام مع مسلم عليه السلام، حيث قال عليه السلام فى رسالته الأولى إليهم - على رواية ابن أعثم -: «فقوموا مع ابن عمّى وبايعوه وانصروه ولا تتخذوه!». «۷»

وفى رسالته الثانية التى بعثها إليهم بيد قيس بن مسهر الصيدواوى (رض) - والى لم تصل إليهم لأنّ ابن زياد كان قد قبض على الرسول - دعاهم الإمام عليه السلام إلى السرعة والعزم على الأمر والجدّ فيه، حيث قال عليه السلام فيها: «فإذا قدم عليكم رسولى

فاكمشوا أمركم وجدوا!!»، إذ الكمش في الأمر هو العزم عليه والسرعة فيه!». (١)

لكن هذه المبادرة لم تصدر عن الشيعة في الكوفة، مع أن فيهم من ذوى الخبرات العريقة في المجالات الاجتماعية والسياسية والعسكرية عدداً يُعتدُّ به، ومن البعيد جداً أن التفكير بمثل هذه المبادرة لم يكن قد طرأ على أذهانهم أكثر من مرة! فلماذا لم يبادروا؟! لعل أهم الأسباب التي أدت إلى عدم مبادرة الشيعة في الكوفة إلى السيطرة على الأوضاع فيها قبل مجيء الإمام عليه السلام إليها هي:

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١١٥

(١) - لم يكن للشيعة في الكوفة - وهم من قبائل شتى - خصوصاً في فترة ما بعد الإمام الحسن المجتبي عليه السلام عميداً من شيعة أهل الكوفة، يرجعون إليه في أمورهم وملاماتهم، ويصدرون فيها عن رأيه وقراره وأمره.

نعم، هناك وجهاء وأشراف متعدّدون من الشيعة في الكوفة، لكلّ منهم تأثيره في قبيلته، لكنهم لا تصدر مواقفهم إزاء الأحداث الكبرى المستجدة عن تنسيق بينهم وتنظيم يوحد بين تلك المواقف، وينفى عنها التشّت والتفاوت.

ولقد ترسّخت هذه الحالة في شيعة الكوفة خاصة نتيجة السياسات التي مارسها معاوية - بتركيز خاص على الكوفة خلال عشرين من السنوات العجاف الحالكه - في خلق الفرقة والتناحر بين القبائل، والإرهاب والقمع، والمراقبة الشديدة التي ترصد الأنفاس، والإضطهاد المرير والقتل الذي تعرّض له كثير من الشيعة ومن زعمائهم خاصة، الأمر الذي زرع بين الناس على مدى تلك السنين العشرين العجاف الحذر المفرط والخوف الشديد من سطوة السلطان، وضعف الثقة وقلّة الإطمئنان فيما بينهم، والفردية في اتخاذ الموقف والقرار.

ويكفي دليلاً على كلّ ما أشرنا إليه من التعددية والتشتت نفس المنحى الذي تمّت فيه مكاتبة أهل الكوفة الإمام الحسين عليه السلام في مكة، فلولا التعددية في مراكز الوجاهة والزعامه لما تعدّدت الرسائل والرسول منهم إلى الإمام عليه السلام.

فلو كان لهم زعيم واحد يصدرون عن رأيه وأمره لكفى الإمام عليه السلام منهم رسالة واحدة تأتي من زعيمهم، لا إثنا عشر ألف رسالة! ولما احتاج الإمام عليه السلام إلى أن يسأل آخر الرسل: «خبراني من اجتمع على هذا الكتاب الذي كتبت به إليّ معكما؟». (١)

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١١٦

كما يكفي دليلاً على ضعف الثقة والإطمئنان، والفردية في اتخاذ الموقف والقرار، قول الشهيد الفدّ عابس بن أبي شبيب الشاكري (رض) بين يدي مسلم بن عقيل عليه السلام: «أما بعد، فإنّي لا أخبرك عن الناس، ولا أعلم ما في أنفسهم، وما أغرّك منهم! واللّه أحدثك عمّا أنا موطنٌ نفسي عليه، واللّه لأجيبنكم إذا دعوتهم ولأقاتلنّ معكم عدوكم ولأضربن بسيفي دونكم حتّى ألقى الله، لا أريد بذلك إلّا ما عند الله». (١)

(٢) - هناك ظاهرة عمّت القبائل العربية التي استوطنت الكوفة، وهي ظاهرة إنقسام الولاء في أفرادها، ففي كلّ قبيلة إذا وجدت من يعارض الحكم الأمويّ أو يوالي أهل البيت عليهم السلام، فإنّك تجد أيضاً قبائلهم من يوالي الحكم الأمويّ ويخدم في أجهزته، ولعلّ الموالي للحكم الأمويّ في بعض هذه القبائل أكثر من المعارضين له عامة والموالي لأهل البيت عليهم السلام خاصة.

وهذه المشكلة ربّما كانت هي المانع أمام زعماء من الشيعة كبار في قبائلهم الكبيرة من أن يُثوّروا قبائلهم ضد الحكم الأمويّ علانية، وينهضوا بهم للقيام بمثل تلك المبادرة المطلوبة، ذلك لأنّ أفراداً كثيرين هناك في نفس القبيلة ممّن يخدمون في أجهزة الأمويين ويوالونهم سيسارعون إلى إخبار السلطة الأموية بما عزم عليه زعيم قبيلتهم الشيعي، فيقضى على ذلك العمل قبل البدء فيه، كما يقضى على الزعيم الشيعي وعلى أنصاره أيضاً، ففي قبيلة مذحج الكبيرة في الكوفة مثلاً، كما تجد زعيماً شيعياً رائداً مثل هانيء بن عروة (رض) تجد إزاءه أيضاً زعيماً آخر - أو أكثر - مثل عمرو بن الحجاج الزبيدي، «٢» يتفاني في خدمة

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١١٧

الأمويين إلى درجة أن يؤثر مصلحة الأمويين حتى على مصلحة مذحج نفسها، حينما قام بدوره المريب «١» في ركوب موجة انتفاضة

مدحج وقيامها لإطلاق سراح هانى (رض) فردهم عن اقتحام القصر وصرفهم وفرق جموعهم بمكيدة منه ومن شريح وابن زياد.

وهذه الظاهرة تجدها فى بنى تميم، وبنى أسد، وكنده، وهمدان، والأزد، وغيرها من قبائل أهل الكوفة.

إذن فقد كان من العسير عملياً على أى زعيم كوفى شيعى أن يقود جموع قبيلته فى عملٍ ما ضدّ الحكم الأموى، وذلك لوجود زعماء آخرين من نفس القبيلة موالين للحكم الأموى، باستطاعتهم التخريب من داخل القبيلة نفسها على مساعى الزعيم الشيعى، أو من خارجها بالإستعانة بالسلطة الأموية نفسها.

٣- يُضاف إلى السببين الأوّل والثانى - وهما أهمّ الأسباب - سبب ثالث وهو تفشى مرض الشلل النفسى، وازدواج الشخصية، والوهن المتمثل فى حبّ الدنيا والسلامة وكرهية الموت، فى جُلّ أهل الكوفة آنذاك خاصة.

ومن أوضح الأمثلة على ذلك ما عبّر به محمد بن بشر الهمداني - الذى روى تفاصيل اجتماع الشيعة الأوّل مع مسلم بن عقيل عليه السلام فى دار المختار (ره)، وروى مقاله عابس الشاكرى ومقاله حبيب بن مظاهر ومقاله سعيد بن عبدالله الحنفى (رض)، فى استعدادهم للتضحية والموت فى نصرة الإمام عليه السلام - حينما

معالركب الحسينى (ج ٣)، ص: ١١٨

سأله الحجاج بن على قائلاً: فهل كان منك أنت قول؟

أجاب قائلاً: إني كنت لأحبّ أن يُعزّ الله أصحابى بالظفر، وما كنت لأحبّ أن أن أقتل، وكرهتُ أن أكذب! «١»

ومن الأمثلة الواضحة على ذلك أيضاً: قول عبيدالله بن الحرّ الجعفى مخاطباً الإمام عليه السلام: «والله إني لأعلم أنّ من شايحك كان السعيد فى الآخرة، ولكن ما عسى أن أغنى عنك ولم أخلف لك بالكوفة ناصراً؟! فأنشذك الله أن تحملنى على هذه الخطّة، فإنّ نفسى لم تسمح بعدّ بالموت!». «٢»

وكان زعماء الشيعة الكوفيون قد أدركوا خطورة انتشار هذا المرض، وتفطنوا لأثره السىء على كلّ نهضة وقيام، فكانوا يحسبون لخذلان الناس فى أىّ مبادرة جهادية الف حساب، نلاحظ ذلك مثلاً فى قول سليمان بن صرد الخزاعى فى اجتماع الشيعة الأوّل: «فإنّ كنتم تعلمون أنّكم ناصرهم ومجاهدو عدوّهم فاكثروا إليه، وإنّ خفتم الوهل والفضل فلاتغروا الرجل من نفسه!». «٣»

وبعدّ، فلعلّ هذه الأسباب المهمة الثلاثة التى ذكرناها تشكّل إجابة وافية عن علّة عدم مبادرة زعماء الشيعة فى الكوفة إلى السيطرة على الأوضاع فيها قبل مجىء الإمام عليه السلام. «٤»

حدود مهمّة مسلم بن عقيل عليه السلام ص : ١١٨

من هنا كانت مهمّة مسلم عليه السلام هى تعبئة وتنظيم وإعداد القوّة الموالية لأهل

معالركب الحسينى (ج ٣)، ص: ١١٩

البيت عليهم السلام والمعارضة للحكم الأموى فى الكوفة، والوصول بها إلى المستوى الكافى للقيام بكلّ ما تقتضيه متطلّبات ومسؤوليات النهضة مع الإمام الحسين عليه السلام.

ولاشكّ أنّ الوصول بهذه الحركة والقوّة إلى ذلك المستوى المنشود يحتاج إلى وقت كافٍ تُسدّ فيه كلّ الثغرات وتستكمل فيه كلّ النواقص الروحية والعملية، لأنّ الغاية لم تكن إسقاط الحكومة المحليّة فى الكوفة فحسب، بل الغاية فى الأصل هو إعداد الكوفة روحياً وعملياً - من جديد - كمرکز لمواجهة ميدانية فاصلة مع جيش الشام.

وكان الأصل فى مهمّة مسلم بن عقيل عليه السلام هو مواصلة تعبئة وتنظيم وإعداد الحركة الثورية حتى يأتى الإمام الحسين عليه السلام الى الكوفة، فيواصل من موقعه الذى لا يرقى إليه موقع فى القلوب قيادة النهضة على طريق تحقيق كامل أهدافها، والمتأمل فى

ما كتبه مسلم بن عقيل عليه السلام من الكوفة إلى الإمام عليه السلام، وفى أسلوبه وطريقته فى التعامل مع الأحداث سواء فى أيام النعمان أو ابن زياد يلحظ هذا الأصل واضحاً جلياً لا ريب فيه.

لقد كان مسلم عليه السلام يتحاشى المواجهة الميدانية الفاصلة مع الحكومة الأموية المحلية فى الكوفة ما كان ذلك باختياره، حتى يستكمل الإعداد والتحضير من كل جهة لمهمته التى أرسله من أجلها الإمام عليه السلام الى الكوفة، وكانت الحكومة المحلية فى الكوفة من جهتها أيضاً تتحاشى المواجهة الميدانية الفاصلة مع التكتل الثورى لأنها لم تكن تملك القدرة على ذلك إلا إذا جاءتها النجدة من الشام.

والمتمائل فى أسلوب وطريقة تعامل عبيدالله بن زياد مع حركة الأحداث فى الكوفة يلحظ بوضوح أن هذا الطاغية- على ضوء معرفته ومعرفته أبيه العريقة

مع الركب الحسينى (ج ٣)، ص: ١٢٠

بالوضع السياسى والإجتماعى والنفسى فى الكوفة، وبرجالها وقبائلها- كان يسعى بدهائه وخبثه وغدره إلى أن يخرج من أزمته برغم صعوبتها منتصراً دون الحاجة إلى الإستنجاد بجيش الشام، طمعاً فى تقوية موقعه الإدارى ومركزه القيادى عند يزيد بن معاوية. وهكذا كان، فقد لجأ إلى حيلة اختراق الحركة من داخلها بواسطة أحد جواسيسه المحترفين المهرة، ثم تواطأ مع عمرو بن الحجاج الزبيدى وغيره من الوجهاء الخونة «١» لاعتقال هانى (رض) ثم لامتطاء موجة غضب مذحج الزاحفة نحو القصر، ثم لصفها عنه وتفريق جموعها، ثم للوصول بعد ذلك الى المطلوب الأساس وهو اعتقال مسلم عليه السلام.

الإضطراب .. والقرار الإستثنائى ص : ١٢٠

إذا كان اعتقال هانى (رض) فى حسابات ابن زياد يعتبر الخطوة الناجحة الثانية- بعد نجاح خطوته الأولى فى اختراق الحركة الثورية من داخلها- على طريق سعيه لإنهاء الأزمة الكوفية يومذاك، فإن اعتقال هانى (رض) فى حسابات مسلم بن عقيل عليه السلام كان قد مثل منعطفاً حرجاً خطيراً اضطره إلى الخروج عن خط السير المرسوم فى الأصل، وألجأه إلى قرار استثنائى من أجل

مع الركب الحسينى (ج ٣)، ص: ١٢١

معالجة الوضع الطارىء الجديد الذى فرضه ابن زياد على الحركة باعتقاله هانياً (رض)، إذ لم يعد أمام مسلم عليه السلام عندها إلا أحد اختيارين:

الأول: هو البقاء على أصل خط السير المرسوم فى مواصلة التعبئة والإعداد والتحضير، لكن هذه المواصلة لم تعد ممكنة بعد اعتقال هانى (رض) وذلك: لأن هانى بن عروة (رض) هو أقوى وأمنع شخصية كوفية من الناحية القبلية- فضلاً عن وجاهته الإجتماعية والدينية وموقعه البارز فى حركة الثورة- فإذا تمكّن ابن زياد من اعتقاله ولم يواجه بانتفاضة كبرى جادة مستميتة من قبيلته خاصة ومن حركة الثورة عامة، فإن الكوفة بعدها لن تنتفض لإنقاذ أى رجل آخر من قبضة ابن زياد، وعندها فما هى فائدة مواصلة التعبئة والإعداد والتحضير؟! ثم إن ابن زياد بعدها سيعتقل من يشاء من أشرف ووجهاء الكوفة بلا أدنى محذور، ومعنى هذا أن مسلماً عليه السلام لم يعد آمناً فى الكوفة، ولا شك أنه الرجل الثانى الذى سيعتقل مباشرة بعد هانى (رض) الذى كان أقوى وأمنع حصن يمكن أن يحميه. الثانى: هو التخلّى عن مواصلة الإعداد والتحضير، والتحرك قبل استكمال شرائط التحرك- تحت قهر الضرورة والإضطراب- لمواجهة حاسمة مع السلطة الأموية المحلية فى الكوفة، وهو الإختيار الوحيد الذى لا بُدّ من النهوض للقيام به فوراً.

وهكذا كان ... ص : ١٢١

يحدثنا عبدالله بن حازم البكرى «١» فيقول: «أنا والله رسول ابن عقيل إلى القصر في أثر هانيء لأنظر ما صار إليه أمره، فدخلت، فأخبرته الخبر، فأمرني أن

معالركب الحسينى (ج ٣)، ص: ١٢٢

أنادى في أصحابى وقد ملأ الدور منهم حوالبه، فقال: ناد: يا منصور أمث! «١» فخرجت فناديت، وتبادر أهل الكوفة فاجتمعوا إليه، فعقد لعبدالرحمن بن عزيز الكندى على ربيعه، وقال له: ستر أمامى. وقدمه فى الخيل، وعقد لمسلم بن عوسجة على مذبح وأسد، وقال له: إنزل فأنت على الرجال. وعقد لأبى ثمامة الصائدى على تميم وهمدان، وعقد للعباس بن جعدة الجدلى على أهل المدينة، ثم أقبل نحو القصر...» «٢»

وفى رواية الإرشاد عن لسان عبدالله بن حازم قال: «أنا والله رسول ابن عقيل إلى القصر لأنظر ما فعل هانيء فلما ضرب وحبس ركب فرسى فكنت أول الداخلين الدار على مسلم بن عقيل بالخبر، فإذا نسوة لمراد مجتمعات ينادين: يا عبرتاه! يا ثكله! فدخلت على مسلم فأخبرته الخبر، فأمرني أن أنادى فى أصحابه وقد ملأ بهم الدور حوله، فكانوا فيها أربعة آلاف رجل ... فناديت: يا منصور أمث! فتنادى أهل الكوفة فاجتمعوا عليه، فعقد مسلم رحمه الله لرؤوس الأرباع على القبائل كنده ومذحج وتميم وأسد ومضر وهمدان، وتداعى الناس واجتمعوا، فما لبثنا إلّا قليلاً حتى امتلأ المسجد من الناس والسوق، وما زالوا يتوبون حتى المساء...» «٣»

ويدهشنا فى خبر يرويه الطبرى - عن عباس الجدلى أحد قيادى جيش مسلم عليه السلام - أن عدد أصحاب مسلم عليه السلام كان قد تناقص فى تحركهم من الدور إلى القصر!! غير أن الناس قد تداعوا إلى مسلم عليه السلام من جديد واجتمعوا إليه بعد أن

معالركب الحسينى (ج ٣)، ص: ١٢٣

أقبل فى المرادين وأحاط بالقصر: «... عن عباس الجدلى قال: خرجنا مع ابن عقيل أربعة آلاف، فما بلغنا القصر إلّا ونحن ثلاثمائة!! وأقبل مسلم يسير فى الناس من مراد حتى أحاط بالقصر، ثم إن الناس تداعوا إلينا واجتمعوا، فوالله ما لبثنا إلّا قليلاً حتى امتلأ المسجد من الناس والسوق، وما زالوا يتوبون حتى المساء...» «١»

وكان عبيدالله بن زياد بعد أن ضرب هانياً (رض) وحبسه، وبعد أن نجح فى مؤامرتة مع شريح القاضى وعمرو بن الحجاج الزبيدى فى صرف قبيلة مذحج عن القصر وتفريق جموعها، قد بادر الى المسجد - «خشية أن يثب الناس به» «٢» - فصعد المنبر، ومعه أشرف الناس وشمرطه وحشمه، «فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد أيها الناس، فاعتصموا بطاعة الله وطاعة أئمتكم، ولا تختلفوا ولا تفرقوا فتهلكوا وتذللوا وتقتلوا وتجفوا وتحرموا، إن أخاك من صدقك، وقد أعذر من أنذر...» «٣»

وتواصل الرواية التاريخية الخبر فتقول:

«ثم ذهب لينزل، فما نزل عن المنبر حتى دخلت النظارة المسجد من قبل التمارين يشتدون ويقولون: قد جاء ابن عقيل! قد جاء ابن عقيل!

فدخل عبيد الله القصر مسرعاً، وأغلق أبوابه...» «٤»

وفى رواية ابن أعمش: «فما أتم عبيدالله بن زياد تلك الخطبة حتى سمع الصيحة، فقال: ما هذا؟ فقيل له: أيها الأمير، الحذر الحذر! هذا مسلم بن عقيل قد أقبل فى جميع من بايعه!

معالركب الحسينى (ج ٣)، ص: ١٢٤

فتزل عبيد الله عن المنبر مسرعاً، وبادر فدخل القصر وأغلق الأبواب...» «١»

وفى رواية أخرى: «فلما بلغ عبيدالله إقباله تحرز فى القصر، وغلق الأبواب، وأقبل مسلم حتى أحاط بالقصر، فوالله ما لبثنا إلّا قليلاً حتى امتلأ المسجد من الناس والسوق، وما زالوا يتوبون حتى المساء، فضاقت بعبيدالله أمره...» «٢»

«وأقبل مسلم بن عقيل رحمه الله في وقته ذلك عليه، وبين يديه ثمانية عشر ألفاً أو يزيدون، وبين يديه الأعلام وشاكو السلاح، وهم في ذلك يشتمون عبيد الله بن زياد ويلعنون أباه». (٣)
 «وأقام الناس مع ابن عقيل يكبرون ويتوثبون حتى المساء وأمرهم شديد». (٤)
 «فضاق بعبيد الله ذرعه، وكان كبر أمره أن يتمسك بباب القصر، وليس معه إلا ثلاثون رجلاً من الشرط، وعشرون رجلاً من أشرف الناس وأهل بيته ومواليه». (٥)

ماذا صنع الأشراف المواليون لابن زياد؟! ص : ١٢٤

فلما سمع وجهاء الكوفة وأشرافها المواليون لابن زياد- الطامعون في دنياه والخائفون من بطشته!- بما يجرى عند القصر وحواليه بادروا الى التسلل والإلتحاق بابن زياد في القصر ليثبتوا لأنفسهم حضوراً عنده، تقول الرواية التاريخية: «وأقبل أشرف الناس يأتون ابن زياد من قبل الباب الذي يلي دار مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص : ١٢٥ الرومين». (١)

وفي البدء كانت الحجارة والشتائم! ص : ١٢٥

ولم يكن باستطاعته من كان في القصر مع ابن زياد من أشرف الكوفة المواليين له ومن الشرط والحشم والخدم أن يصنعوا شيئاً إلا أن يُشرفوا على الناس من أعلى القصر لينظروا إليهم، ولم يكن جواب الجماهير الثائرة إلا الحجارة والشتائم وسب ابن زياد وأبيه «وجعل من بالقصر مع ابن زياد يشرفون عليهم فينظرون إليهم، فيتقون أن يرموهم بالحجارة وأن يشتموهم، وهم لا يفترون على عبيد الله وعلى أبيه». (٢)

ثم كان المدر والنشاب! ص : ١٢٥

يقول الدينوري: «وتحصن عبيد الله بن زياد في القصر مع من حضر مجلسه في ذلك اليوم من أشرف أهل الكوفة والأعوان والشرط، وكانوا مقدار مائتي رجل، فقاموا على سور القصر يرمون القوم بالمدر (٣) والنشاب، ويمنعونهم من الدنو من القصر، فلم يزالوا بذلك حتى أمسوا!». (٤)

ثم بدأت حملات التخذيّل ورايات الأمان الكاذب! ص : ١٢٥

تقول رواية الطبري: «ودعا عبيد الله كثير بن شهاب ابن الحصين الحارثي فأمره أن يخرج فيمن أطاعه من مذحج! فيسير بالكوفة ويخذل الناس عن ابن مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص : ١٢٦ عقيل ويخوفهم الحرب ويحدّدهم عقوبة السلطان، وأمر محمّد بن الأشعث أن يخرج فيمن أطاعه من كنده وحضرموت فيرفع راية

أمان لمن جاءه من الناس، وقال مثل ذلك للقعقاع بن شور الذهلي، وشبث بن ربعي التميمي، وحجّار بن أبجر العجلي، وشمر بن ذى الجوشن العامري، وحبس سائر وجوه الناس عنده استيحاشاً إليهم لقلّة عدد من معه من الناس». (١)

إعتقال المجاهدين عبدالأعلى بن يزيد وعماراً بن صلخب! ص : ١٢٦

ويواصل الطبرى روايته قائلاً: «وخرج كثير بن شهاب (٢) يخذل الناس عن ابن عقيل، قال أبو مخنف: فحدّثنى ابن جناب الكلبي: أنّ كثيراً ألقى رجلاً من كلب يُقال له عبدالأعلى بن يزيد، قد لبس سلاحه يريد ابن عقيل فى بنى فتيان، (٣) فأخذه حتّى أدخله على ابن زياد، فأخبره خبره.

فقال لابن زياد: إنّما أردتكم!

قال: وكنت وعدتني ذلك من نفسك؟! فأمر به فحبس.

وخرج محمّد بن الأشعث حتى وقف عند دور بنى عماراً، وجاء عماراً بن صلخب الأزدي، وهو يريد ابن عقيل، عليه سلاحه، فأخذه فبعث به إلى ابن زياد، فحبسه». (٤)

معالركب الحسينى (ج ٣)، ص: ١٢٧

مسلم عليه السلام يبعث بقوة عسكرية تدحر ابن الأشعث! ص : ١٢٧

ويبدو أنّ مسلماً عليه السلام علم أنّ مجموعات ابن زياد التى أخذت تخذل الناس عنه، بقيادة كثير بن شهاب، ومحمّد بن الأشعث، والقعقاع، وشمر، وشبث، وحجّار، أخذت تقطع عليه المدد من المجاهدين المقبلين إليه من ضواحي الكوفة وتعتقلهم، فبعث بقوة عسكرية من المسجد بقيادة المجاهد عبدالرحمن بن شريح الشبامى ليدحر ابن الأشعث ويردّه الى القصر، تقول رواية الطبرى:

«فبعث ابن عقيل إلى محمّد بن الأشعث من المسجد عبدالرحمن بن شريح الشبامى، فمّا رأى محمّد بن الأشعث كثرة من أتاه أخذ يتنحّى - وأرسل القعقاع بن شور الذهلي إلى محمّد بن الأشعث: قد حُلّت على ابن عقيل من العرار - فتأخّر عن موقفه فأقبل حتى دخل على ابن زياد من قبل دار الروميين». (١)

والظاهر أنّ قوات مسلم عليه السلام لم تدحر مجموعة محمّد بن الأشعث فحسب بل دحرت كلّ المجاميع التى أخرجها ابن زياد لرفع رايات الأمان ولتخذيّل الناس واعتقال من يمكن اعتقاله من الثوار، والدليل على هذا أنّ قادة هذه المجاميع مع مجاميعهم عادوا الى القصر مرّة أخرى، والأظهر أنهم عادوا منهزمين مقهورين، وعبيدالله بن زياد أكثر منهم انكساراً وخوفاً، تقول رواية الطبرى: «فلما اجتمع عند عبيدالله كثير بن شهاب، ومحمّد، والقعقاع، فيمن اطاعهم من قومهم، فقال له كثير - وكانوا مناصحين لابن زياد - أصلح الله الأمير، معك فى القصر ناس كثير من أشرف الناس ومن شرطك وأهل بيتك ومواليك، فاخرج بنا إليهم! فأبى عبيدالله، وعقد لشبث بن ربعي لواءً فأخرجه!». (٢)

معالركب الحسينى (ج ٣)، ص: ١٢٨

فكان قتال وقاتل! ص : ١٢٨

ثمّ لا يذكر التاريخ ماذا صنع لواء شبث بن ربعي! لكنّ بعض المتون التاريخية تشير إلى وقوع قتال شديد، فرواية ابن أعثم الكوفى

تقول: «وركب أصحاب عبيدالله، واختلط القوم، فقاتلوا قتالاً شديداً، وعبيدالله بن زياد وجماعته من أهل الكوفة قد أشرفوا على جدار القصر ينظرون إلى محاربة الناس!». «١»

وأما ابن نما (ره) فيروى خبراً خاصاً في محتواه، حيث ذكر أن أكثر الأشراف الذين كانوا قد بايعوا مسلماً عليه السلام قد نقضوا البيعة وتخلوا عنه قبل أن يتوجه إلى محاربة عبيدالله بن زياد، ويستفاد من روايته أن القتال الشديد بين الطرفين قد استمر إلى الليل!، يقول (ره): «ولما بلغ مسلم بن عقيل خبره «٢» خرج بجماعة ممن بايعه إلى حرب عبيدالله بعد أن رأى أكثر من بايعه من الأشراف نقضوا البيعة، وهم مع عبيدالله، فتحصن بدار الإمارة، واقتتلوا قتالاً شديداً إلى أن جاء الليل». «٣»

لماذا لم يقتحم الثوار القصر؟! ص : ١٢٨

لعل هذا التساؤل قد انقذ في ذهن كل من فكر وتأمل في قصة حركة أحداث الكوفة أيام مسلم بن عقيل عليه السلام، وهو سؤال وجيه، يبقى السائل عنده في حيرة واستغراب مالم يلم بكل المتون التاريخية الواردة في قصة تلك الأيام، ويحيط بشوارد الدلالات الظاهرة والخفية فيها، أو يتلقى الإجابة المقنعة عن ذي علم قد أحاط بها.

معالركب الحسيني (ج ٣)، ص : ١٢٩

ومن مجموع تلك المتون يمكننا أن نذكر بمجموعة من الملاحظات التي تتضح وتحدد بمعرفتها واستذكارها الإجابة عن هذا التساؤل:

١- ذكرنا من قبل أن قرار المواجهة مع الحكومة المحلية في الكوفة كان قراراً استثنائياً فرضته الضرورة التي اضطرت مسلماً عليه السلام إلى الخروج عن أصل خط السير في إتمام إعداد وتحضير جموع المبايعين روحياً وعملياً لتحمل أعباء النهضة مع الإمام عليه السلام، والمدة التي قضاها مسلم عليه السلام منذ دخوله الكوفة حتى محاصرته القصر وهي حوالي شهرين تعتبر قصيرة إزاء المدة المطلوبة لإتمام الإعداد والتحضير.

إذن فقد حاصر مسلم عليه السلام القصر بجموع أكثريتها لم تستكمل الإعداد الكافي، فهي من حيث الناحية الروحية لم يزل الشلل النفسي والوهن الروحي يحجب لهم الدنيا والعافية والسلامة وكرهية الموت- إنهم يتمنون لو انتصر مسلم أو الإمام عليهما السلام ولكن بلا- مؤنة على أنفسهم في ذلك!- ولم يزل إسم (جيش الشام) يثير فيهم أقصى درجات الرعب والإحساس بالهوان والمذلة!، ومن الناحية العملية فإن ارتباطهم القبلي لم يزل- عند الأكثرية منهم- أقوى من الارتباط الديني، وهذا أخطر ما يمكن أن يضر بالحركة الدينية الثورية آنذاك، وربما إلى اليوم في بعض بلدان العالم الإسلامي! هذا فضلاً عن عدم استكمال تحضير العدة الكافية من أسلحة وأموال، وتدريب ووسائل وأساليب الارتباط والإمداد وما إلى ذلك!

يرى المتتبع ماقلناه في هذه النقطة واضحاً جلياً في دلالات بعض المتون التاريخية، فهذا عباس بن جعدة الجدلي وهو أحد قادة الألوية في جيش مسلم عليه السلام يقول: «خرجنا مع ابن عقيل أربعة آلاف، فما بلغنا القصر إلّا ونحن

معالركب الحسيني (ج ٣)، ص : ١٣٠

ثلثمائة!»، «١» وهذا ابن نما (ره) يروى أن مسلماً عليه السلام أحس بالخذلان قبل مهاجمته القصر حيث «رأى أكثر من بايعه من الأشراف نقضوا البيعة وهم مع عبيدالله»، «٢» وخذ مثلاً على تفضيل الإنتماء القبلي على الرابطة الدينية روايه الطبري أن ابن زياد دعا كثير بن شهاب «فأمره أن يخرج فيمن أطاعه من مذحج فيسير في الكوفة ويخذل الناس عن ابن عقيل ويخوفهم الحرب ويحدّهم عقوبة السلطان، وأمر محمّد بن الأشعث أن يخرج فيمن أطاعه من كنده وحضرموت..»، «٣» وفي هذا النصّ بالذات إشعار كافٍ أيضاً بالحالة المعنوية المتدنية عند الناس يومذاك، والتي كان ابن زياد لعنه الله يعرفها جيداً فيهم وفي وجهاتهم!

(٢) - كان لتفرق قبيلة مذحج وإنصرافها عن القصر، وبقاء هاني (رض) رهن الإعتقال وخطر القتل - بعد أن اجتمعت مذحج قاطبة بكل فروعها لاستنقاذه أو للثأر له - أثر سيء كبير فيما بعد على المواجهة التي قام بها مسلم عليه السلام لاستنقاذ هاني (رض)، إذ ألقت هذه النهاية الخائبة في روع الناس - وهذا ما كان يهدف إليه أيضاً ابن زياد وعمرو بن الحجاج وأمثالهم - أنه إذا كانت مذحج قبيلة هاني (رض) نفسه وهي أكبر وأقوى قبيلة في الكوفة لم تستطع إنقاذه، أو رضيت ببقائه معتقلاً عند ابن زياد، فما بال مسلم عليه السلام يصرّ على إطلاق سراحه؟! وهل يقوى بمن معه من هذا الخليط المتنوع من قبائل شتى أن يحقق ما لم تحققه مذحج نفسها!؟

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٣١

لقد كان هذا سبباً من اسباب انبعاث الشك في قلوب ضعاف الإيمان من أهل الكوفة - وما أكثرهم! - حول قدرة مسلم عليه السلام على تحقيق ما يريد، مما أدّى إلى تراخي الهمة والعزم فيهم وتفرقهم عنه.

وإذا تذكّرنا أنّ حادثه اجتماع مذحج وإحاطتها بالقصر ثم تفرّقها وإنصرافها عنه قد تزامنت مع قيام مسلم عليه السلام وإقباله بمن معه لمحاصرة القصر - مع تفاوت زمني قليل جداً - علمنا أنه لم يكن هناك متسع من الوقت أمام قيادة الثورة لمعالجة هذا الأثر النفسي السيء الذي سببته النهاية الخائبة لاجتماع مذحج ثم انصرافها.

ولعلّ هذا الأثر النفسي السيء هو الذي يفسر لنا تناقص عدد جيش مسلم عليه السلام في بداية الأمر كما حدّثنا بذلك القائد عبّاس الجدلي: «خرجنا مع ابن عقيل أربعة آلاف، فما بلغنا القصر إلّا ونحن ثلثمائة!».

(٣) - الظاهر مما توحىه بعض المتون التاريخية أنّ مسلماً عليه السلام حاصر القصر بعدد من مبايعيه (أربعة آلاف) يشكل أقل من ثلث العدد الشهير لمجموع مبايعيه (ثمانية عشر ألفاً)، ويبدو أنّ بقيّة هذا المجموع - الذين لم يشتركوا في بدء محاصرة القصر - كانوا مبعوثين في داخل مدينة الكوفة وفي أطرافها وضواحيها، والظاهر أنّ مسلماً عليه السلام قد أرسل إليهم من يخبرهم بقراره الإستثنائي ويستنفرهم للإلتحاق به، ويبدو أنّ من كان منهم في داخل الكوفة قد استطاع الإلتحاق بمسلم عليه السلام قبل المساء، بدليل قول القائد عبّاس الجدلي أيضاً: «.. ثم إنّ الناس تداعوا إلينا واجتمعوا، فوالله ما لبثنا إلّا قليلاً حتّى امتلأ المسجد من الناس والسوق وما زالوا يثوبون حتّى المساء ..»، «١» كما أرسل مسلم عليه السلام إلى قواته الموجودة في أطراف الكوفة، لكنها في الظاهر لم تستطع الوصول إلى داخل

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٣٢

الكوفة إلّا بعد تفرق الناس وانتهاء الحصار وانقلاب الوضع، مثل اللواء الذي جاء به المختار، واللواء الذي جاء به عبدالله بن الحارث بن نوفل، حيث وصلا إلى داخل الكوفة بعد فوات الأمر، فاضطر المختار إلى أن يدعى أنه جاء لحماية عمرو بن حريث! بعد أن وضح لهما قتل مسلم عليه السلام وهاني (رض)، ففي رواية تاريخية:

«وكان المختار عند خروج مسلم في قرية له تدعى (خطواتية) فجاء بمواليه يحمل راية خضراء، ويحمل عبدالله بن الحارث راية حمراء، وركز المختار رايته على باب عمرو بن حريث وقال: أردت أن أمنع عمراً! ووضح لهما قتل مسلم عليه السلام وهاني (رض)، وأشير عليهما بالدخول تحت راية الأمان عند عمرو بن حريث ففعلا، وشهد لهما ابن حريث باجتنابهما ابن عقيل، فأمر ابن زياد بحبسهما بعد أن شتم المختار واستعرض وجهه بالقضيب فشتر عينه، وبقيا في السجن إلى أن قتل الحسين عليه السلام». «١»

من هنا، يفهم أنّ مسلماً عليه السلام بقى مدّة طويلة من ذلك النهار يستجمع قوّاته وينتظر وصول ما لم يصل منها للقيام بعمل عسكري حاسم يؤدي إلى فتح القصر أمام الثوار والسيطرة عليه وعلى من فيه.

(٤) - لا يشك المتأمل العارف بأخلاق أهل البيت عليهم السلام السامية وأخلاقه من تربّي في أحضانهم وكنفهم، والمُدرّك للضرورات السياسية والاجتماعية، أنّ مسلم بن عقيل عليه السلام كان يحرص كلّ الحرص على سلامة هاني بن عروة (رض)

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٣٣

وعلى انقاذه وإطلاق سراحه محفوظ العزة والجاه والكرامة، وبرغم أنف ابن زياد ومن شايعة من وجهاء وأشراف الكوفة. وذلك: لإيمان هاني (رض) ومظلوميته وأهميته، فنصرته واستنقاذه وإعازته أمرٌ واجب مع القدرة على ذلك، وتتجلى أهميته هاني (رض) - فضلاً عن كونه قيادياً بارزاً جداً في التكتل الثوري - في كونه القطب الذي يمكن أن تجتمع عند كلمته قبيلة مذحج قاطبة، ففي إطلاق سراحه عزيزاً منتصراً على يد قوات الثورة - برغم ابن زياد - تعزيز وتقوية لموقعه الرفيع في أهل الكوفة عامة، وفي قبيلة مذحج خاصة التي قد تستشعر فضل الثورة عليها بإطلاق سراح زعيمها معزراً مكرماً، الأمر الذي قد يدفع جميع مذحج بعد ذلك إلى إطاعة هاني (رض) في مناصرة الثورة والإنضمام إليها إلى آخر الأمر، ولا يخفى ما في جميع ذلك من إذلال للسلطة الأموية وكسر لشوكتها وإضعافها، هذا على فرض أن المواجهة بين الثوار والسلطة كانت ستنتهي عند إطلاق سراح هاني (رض). من هنا، يمكن للمتأمل المتتبع أن يجزم بأن الثوار كانوا قد عزموا على اقتحام القصر، ووضعوا لذلك الخطة التي تضمن سلامة هاني (رض) أيضاً.

٥- هناك إشارات تاريخية تفيد أن عبيد الله كانت قد تزايدت قواته القتالية طيلة نهار ذلك اليوم - يوم حصار القصر - حتى صار بإمكانها أن تؤخر عملية اقتحام الثوار للقصر حتى المساء.

نعم، لعل من الصحيح ما ورد أنه لم يكن معه في البدء لما أقبلت قوات مسلم عليه السلام نحو القصر غير ثلاثين رجلاً من الشرط وعشرين رجلاً من أشراف الناس وأهل بيته ومواليه، «١» لكن الأشراف والوجهاء الذين كان ميلهم مع ابن زياد أو مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٣٤

كانوا يخشون أن تصيبهم دائرته تسللوا إلى داخل القصر مع مواليهم ومن أطاعهم من قبائلهم بخفاء وتدرج: «وأقبل أشراف الناس يأتون ابن زياد من قبل الباب الذي يلي دار الروميين ..»، «١» حتى بلغ عددهم على ما في رواية الدينوري: «وكانوا مقدار مائتي رجل، فقاموا على سور القصر يرمون القوم بالمدر والنشاب، ويمنعونهم من الدنو من القصر، فلم يزالوا بذلك حتى أمسوا»، «٢» ثم ازداد عددهم حتى عبر عنه كثير بن شهاب ب (الكثير) حين قال لابن زياد: «أصلح الله الأمير، معك في القصر ناس كثير من أشراف الناس ومن شرطك وأهل بيتك ومواليك فاخرج بنا إليهم!». «٣»

إذن فإن قوة ابن زياد الحربية تزايدت حتى صار بمقدورها مقاومة الثوار ومنعهم من الدنو من القصر وتأخير اقتحامه حتى حلول المساء.

هذا فضلاً عن أن «من المعلوم أن إخضاع القصر بمن فيه لا يتم خلال ساعة من الحصار، كما أن وقت النهار يكاد ينتهي، والهجوم على القصر الضخم البناء الذي أوصد ابن زياد أبوابه الكبيرة بشكل محكم لا يسفر عن نتيجة نافعة، إنه كالهجوم على الصخر - كان القصر مشيداً بمتانته بالغه، تحكى ذلك أنقاضه الموجودة لحد الآن، رغم مرور ألف وثلاثمائة وخمسين عاماً على تشييده، ويكفي أن نتصور كون جدار القصر من القوة والسعة بحيث تتمكن الشاحنات من السير فوقه - فلا بُدَّ إذن والحالة هذه من المحاصرة المستمرة التي قد تطول أياماً

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٣٥

حتى يستسلم من فيه مثلاً، أو يسلموا هانيء على أقل تقدير..». «١»

٦- لا يتردد المتأمل في المتون التاريخية التي تتحدث عن نشوب القتال بين الطرفين في القطع بأن الثوار بقيادة مسلم عليه السلام كانوا قد نفذوا خططهم لاقتحام القصر، وأنهم قاتلوا قتالاً شديداً لتحقيق النصر، كما أن قوات ابن زياد قد دافعت عن القصر دفاعاً مستميتاً حتى المساء، ومن هذه المتون التي تشير إلى ذلك قول ابن أعثم الكوفي: «وركب أصحاب عبيد الله، واختلط القوم، فقاتلوا قتالاً شديداً ..»، «٢» وقول ابن طاووس (ره): «وأقتل أصحابه وأصحاب مسلم»، «٣» وقول ابن نما (ره): «واقتلوا قتالاً شديداً إلى أن جاء الليل..». «٤»

وأقبل المساء يحمل النهاية المؤسفة! ص : ۱۳۵

يقول الطبرى: «.. وأقام الناس مع ابن عقيل يُكبرون ويثوبون حتى المساء، وأمرهم شديد، فبعث عبيدالله إلى الأشراف فجمعهم إليه ثم قال: أشرفوا على الناس، فمنا أهل الطاعة الزيادة والكرامة، وخوفوا أهل المعصية الحرمان والعقوبة، واعلموهم فصول الجنود من الشام إليهم»، «۵» وفي رواية الدينورى:

«لئشرف كل رجل منكم في ناحية من السور فخوفوا القوم! فأشرف كثير بن شهاب، ومحمد بن الأشعث، والقعقاع بن شور، وشبث بن ربعي، وحجار بن أبجر، وشمر بن ذى الجوشن، فتنادوا: يا أهل الكوفة! اتقوا الله ولا تستعجلوا مع الרכب الحسينى (ج ۳)، ص: ۱۳۶

الفتنة! ولا تشقوا عصا هذه الأمة! ولا توردوا على أنفسكم خيول الشام! فقد ذقتموهم، وجزبتهم شوكتهم!. فلما سمع أصحاب مسلم مقاتلتهم فتروا بعض الفتور!!.. «۱»

ويواصل الطبرى روايه النهاية المؤسفة عن لسان عبدالله بن حازم: «قال:

أشرف علينا الأشراف، فتكلم كثير بن شهاب أول الناس حتى كادت الشمس أن تجب، فقال: أيها الناس، إحقوا بأهاليكم ولا تعجلوا الشر، ولا تعرضوا أنفسكم للقتل، فإن هذه جنود أمير المؤمنين يزيد قد أقبلت! وقد أعطى الله الأمير عهداً لئن أتممت على حربته، ولم تنصرفوا من عشيتكم، أن يحرم ذريتكم العطاء، ويفرق مقاتلتكم في مغازى أهل الشام على غير طمع، وأن يأخذ البريء بالسقيم، والشاهد بالغائب، حتى لا يبقى له فيكم بقية من أهل المعصية إلا أذاقها وبال ما جرت أيديها!

وتكلم الأشراف بنحو من كلام هذا!

فلما سمع مقاتلتهم الناس أخذوا يتفرقون، وأخذوا ينصرفون!.. «۲»

ثم كان الإنهيار من الداخل! ص : ۱۳۶

يقول الدينورى: «وكان الرجل من أهل الكوفة يأتي ابنه وأخاه وابن عمه فيقول: انصرف فإن الناس يكفونك! وتجيء المرأة الى ابنها وزوجها وأخيها فتتعلق به حتى يرجع!». «۳»

مع الרכب الحسينى (ج ۳)، ص: ۱۳۷

ويروى الطبرى: «أن المرأة كانت تأتي ابنها وأخاها فتقول: انصرف، الناس يكفونك! ويجيء الرجل إلى ابنه أو أخيه فيقول: غداً يأتيك أهل الشام فما تصنع بالحرب والشر؟! انصرف! فيذهب به، فما زالوا يتفرقون ويتصدعون ..». «۱»

وقال ابن أعمش: «فلما سمع الناس ذلك تفرقوا وتحادوا عن مسلم بن عقيل رحمه الله، ويقول بعضهم لبعض: ما نضع بتعجيل الفتنة، وغداً تأتينا جموع أهل الشام؟!، ينبغي لنا أن نقعد في منازلنا، وندع هؤلاء القوم حتى يصلح الله ذات بينهم ... ثم جعل القوم يتسللون والنهار يمضى ..». «۲»

علّة الإنهيار المذهل والتداعى السريع! ص : ۱۳۷

هذا الإنهيار والتداعى السريع الذى هدم كيان التكتل الكبير الذى كان قد التفت حول مسلم بن عقيل عليه السلام كاشف تماماً عن أن

جماهير هذا التكتل لم تستكمل الإعداد الروحي لمثل هذه المواجهة ولما بعدها من مسؤوليات وتبعات، الإعداد الروحي الذي يستنقذها من مرض الوهن: وهو حب الدنيا وكرهية الموت! وحب السلامة والعافية! والرضا بالذلة، والشلل النفسى الذى يتجلى فى السكوت عن الباطل! بل وفى إطاعة الباطل مع المعرفة بأنه باطل ومقارعة الحق مع المعرفة بأنه الحق!

هذان المرضان اللذان تسربا إلى شخصية الإنسان المسلم بعد السقيفة واشتدا فى حياة الأمة المسلمة بعد كل منعطف إنحرافى تلا السقيفة، واشتد هذان المرضان بدرجة كبيرة فى الشخصية الكوفية خاصة واستحكما فيها فى فترة ما مع الركب الحسينى (ج ٣)، ص: ١٣٨

بعد صفين، وخصوصاً فى الأيام التى صار فيها معاوية بلامنازع ينازعه، «١» حتى صار لكلمة (خيل الشام) أو (جند الشام) أو (جيش الشام) يومذاك أثر رهيب فى روع جُلّ أهل الكوفة خاصة، لما ذاقوه من ويلات ومرارات على يد ذلك الجيش، ولما عانوه فى عهد معاوية من سياسات تعمّدت قهرهم خاصة وإذلالهم فى جميع جوانب حياتهم، وكانت المواجهة مع (جيش الشام) فى أذهان وقلوب جلّ الكوفيين تعنى يومذاك المواجهة مع عدوّ لا يرقب فيهم إلّا ولاذمة، ولا يتورّع عن انتهاك أعراضهم وحرمتهم وقتل العزّل والأبرياء منهم، وقطع أرزاقهم ومنع العطاء عنهم.

وهذا لا يعنى أنّ الكوفة قد عُدمت الأخيار الأبرار من أهاليها، بل إنّ فى الكوفة، من رجالات المبدأ والعقيدة والجهاد جماعة مثّلوا المستوى الرفيع فى الشخصية الإسلامية التى جسّدت النهج القرآنى فى سيرتها وسلوكها.

لكنّ هؤلاء كانوا القلّة العزيزة النادرة فى مجموع أهل الكوفة، ويكفى دليلاً على ذلك قياس مجموع من نصر الإمام الحسين عليه السلام منهم إلى مجموع من نكل عنه ونقض بيعته وأطاع أعداءه فى قتاله وقتله!

فلو كان التكتل الكبير الذى بايع مسلماً عليه السلام قد نال حظاً وافراً من الإعداد التربوى والإصلاح الروحي لما تفرّق هذا التفرّق السريع المذهل عن مسلم عليه السلام، وكان فيه بقيّة وافية كافية لإنجاح خطّة مسلم عليه السلام وقهر ابن زياد، من الرجال القرآنيين الذين لم يُضعف عزائمهم الوهن، ولم يعثورهم الشلل النفسى، الذين أحبّوا الموت والقتل فى الله من أجل لقاء الله، وكرهوا الدنيا بلا عزّة وما أتّقلوا

مع الركب الحسينى (ج ٣)، ص: ١٣٩

إلى الأرض، فكان هيهات منهم الذلّة: «الذين قال لهم النَّاسُ إنّ النَّاسَ قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل، فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم..» (١)

وأطبق الليل مرّة أخرى على الكوفة .. ومسلم عليه السلام وحده! ص : ١٣٩

إشارة

يقول ابن أعثم الكوفى: «فما غابت الشمس حتى بقى مسلم بن عقيل فى عشرة أفراس من أصحابه، لا أقل ولا أكثر! واختلط الظلام، فدخل مسلم بن عقيل المسجد الأعظم ليصلي المغرب، وتفرّق عنه العشرة!

فلما رأى ذلك استوى على فرسه، ومضى فى أزقة الكوفة، وقد أثنى بالجراحات، حتى صار إلى دار امرأة يُقال لها طوعة ..» (٢)
وقال المفيد (ره): «.. أمسى ابن عقيل وصلّى المغرب وماعه إلّا ثلاثون نفساً فى المسجد، فلما رأى أنه قد أمسى وماعه إلّا أولئك نفر خرج متوجّهاً نحو أبواب كنده، فما بلغ الأبواب إلّا معه منهم عشرة، ثم خرج من الباب فإذا ليس معه إنسان يدله!، فالتفت فإذا هو لا يحسُّ أحداً يدله على الطريق! ولا يدله على منزله! ولا يواسيه بنفسه إن عرض له عدوّ! فمضى على وجهه متلداً فى أزقة الكوفة لا يدري أين يذهب! حتى خرج إلى دور بنى جبله من كنده، فمشى حتى انتهى إلى باب امرأة يُقال لها طوعة ..» (٣)

وقال الدينوري: «فصلّى مسلم العشاء في المسجد، ومامعه إلّا زهاء ثلاثين رجلاً، فلما رأى ذلك مضى منصرفاً ماشياً، ومشوا معه، فأخذ نحو كنده، فلما

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٤٠

مضى قليلاً التفت فلم يرَ منهم أحداً، ولم يُصب إنساناً يدُّهُ على الطريق، فمضى هائماً على وجهه في ظلمة الليل حتى دخل على كنده، فإذا امرأة قائمة على باب دارها تنتظر ابنها، وكانت ممّن خفّ مع مسلم! ..» (١)

إشارة وتأمل ص : ١٤٠

هذه أهمّ المتون التاريخية التي روت لنا كيف أمسى مسلم بن عقيل ومامعه إلّا قليل ممّن كان معه - عشرة فرسان على رواية الفتوح، وثلاثون رجلاً ثمّ قَلُوا إلى عشرة على رواية المفيد والطبري - ثمّ كيف مضى وحده حتّى وقف على باب المرأة الصالحة طوعاً. وقد أشارت رواية الفتوح إلى أنّ مسلماً عليه السلام كان قد أُتخِن بالجراحات، الأمر الذي يدلُّ على أنه عليه السلام خاض المعارك التي دارت حول القصر بنفسه، ولم يكن قائداً موجّهاً مرشداً فحسب، وهذا فضلاً عن كونه دليلاً على شجاعته عليه السلام، فهو دليل أيضاً على نشوب القتال حول القصر، وعلى أنّ الثوّار كانوا قد حاولوا اقتحامه بالفعل!

لكنّ الذي يُثير التأمل في هذه المتون هو طريقتها في عرض كيفية تفرّق هؤلاء الرجال القلّة الذين كانوا آخر الناس معه! ففي نصّ الفتوح: «وتفرّق عنه العشرة، فلما رأى ذلك استوى على فرسه ومضى ..»، وفي نصّ المفيد والطبري:

«فما بلغ الأبواب إلّا معه منهم عشرة، ثمّ خرج من الباب فإذا ليس معه إنسان يدُّهُ، فالتفت فإذا هو لا يحسّ أحداً ..».

هذه الطريقة في عرض الحدث تُلقى في روع المطالع أنّ هؤلاء ليس بينهم

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٤١

وبين جموع الناس الذين انفصّوا بسرعته عن مسلم عليه السلام إلّا فرق واحد وهو الفارق الزمني في الانفصاض عنه ليس إلّا! بل تُشعر هذه الطريقة بأنّ هؤلاء القلّة أسوأ بكثير من أولئك الذين انفصّوا عنه بسرعته، وذلك لأنّ هؤلاء تفرّقوا في الختام عنه وهو أحوج ما يكون إليهم، كما تفرّقوا عنه خفية في غفلة منه! هذا ما يُشعر به التعبير «فالتفت فإذا هو لا يحسّ أحداً ..».

وهذا ما لا يقبل به اللبيب المتدبّر، كما أنه لا يوافق طبيعة الأشياء وواقعها، إذ لنا أن نتساءل: ما الذي أبقى هؤلاء إلى الأخير مع مسلم عليه

السلام؟! أهو الطمع؟ وبماذا يطمع هؤلاء مع قائد قد انفصّ عنه أنصاره وبقي وحيداً غريباً لا يدري أين يذهب وإلى أين يأوي؟! أم هو الخوف من عار الإنصراف عنه بعد مبايعته، لاشجاعة منهم ولا ثباتاً؟! أ فلا يعني هذا - في مثل هذا الحد الأدنى - أنّ هؤلاء ممن يرعى القيم والأخلاق، ويتجافى عن كلّ ما يعود عليه بالذم؟! وهل يُحتمل

من مثل هؤلاء مع مثل هذا الحفاظ والأخلاقية أن يتفرّقوا في بلدتهم خفية وفي لحظة غفلة من صاحبهم الوحيد الغريب في أرضهم؟! أم أنّ الذي أبقى هؤلاء القلّة مع مسلم عليه السلام إلى آخر الأمر هو الشجاعة والإيمان والثبات على البيعة؟ وأنهم كانوا من صفوة

المجاهدين في حركة الثوّار تحت راية مسلم عليه السلام، ومن صنّاد أهل الكوفة؟

وهذا هو الحقّ! إذ لا يشكُّ ذو دراية وتأمل أنّ قادة الألوية الأربعة: مسلم بن عوسجة (رض) وأبا ثمامة الصائدي (رض) وعبدالله بن

عزيز الكندي (ره) وعباس بن جعدة الجدلي (ره)، وأمثالهم من مثل عبدالله بن حازم البكري (ره) ونظرائه كانوا من القلّة التي بقيت

مع مسلم عليه السلام إلى آخر الأمر، ذلك لأنّ من

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٤٢

الممتنع على اخلاقية أمثال ابن عوسجة (رض) والصائدي (رض) وإخوانهم أن يتخلّوا عن مسلم عليه السلام خصوصاً في ساعة العسرة!

إنّ هؤلاء الصفوة من المجاهدين كانوا ممن اشتهر بالإيمان والإخلاص والشجاعة والثبات، وقد وقّوا للشهادة في سبيل الله، فهذا

مسلم بن عوسجہ (رض)، وهذا أبو ثمامة الصائدي (رض) قد وَّفقا للفوز بالشهادة بين يدي الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء، وهذا العباس بن جعدة الجدلي (ره) قتله ابن زياد بعد سجن، وهذا عبدالله - أو عبيدالله بن عمرو بن عزيز الكندي (ره) - قتله ابن زياد بعد سجن، وهذا عبدالله بن حازم البكري (ره) المنادي بكلمة السر:

يامنصور أمت! ممن شارك بثورة التوايين وقُتل فيها مما يوحى أنه اختفى أو سجن في أعقاب أحداث الكوفة أيام مسلم عليه السلام، وقس على ذلك نظراءهم من صفوة المجاهدين في حركة الثوار تحت راية مسلم بن عقيل عليه السلام.

أفهل يُعقل أن يتخلى أمثال هؤلاء عن مسلم عليه السلام ساعة العسرة ويتفرقوا عنه في لحظة غفلة منه ويتركوه في الطريق وحيداً غريباً؟!

لاشك أن التاريخ حينما نقل لنا حادثة تفرقهم عن مسلم عليه السلام كان قد نقلها بظاها فقط، أي بطريقة «صورة بلاصوت» كما يعبر عنها في أيامنا هذه! وذلك لأنه لم يكن بمقدور التاريخ وهو يشاهد حركة الحدث من بُعد أن ينقل إلينا ما دار من حوار بين مسلم عليه السلام ومن بقي معه إلى آخر الأمر!

إن التاريخ لايسجل الهمس والسرار! وإن ما يطمئن إليه المتتبع والمتأمل هو أن مسلماً عليه السلام اتفق مع هذه الصفوة على التفرق فرادى والاختفاء تربصاً بسنوح الفرصة للإلتحاق بركب الإمام الحسين عليه السلام القادم إلى العراق لمواصلة الجهاد بين يديه، فلم يكن تفرقهم عن مسلم عليه السلام إلّا بأمره وإذنه وعن امثال لأمره! هذا ما

معالركب الحسيني (ج ۳)، ص: ۱۴۳

يفرضه التصور السليم والتحليل الصحيح على أساس منطق الواقع وطبيعة الأشياء.

القائد المجاهد في ضيافة المرأة الصالحة طوعة ص : ۱۴۳

لنعد إلى مواصلة معرفة ما جرى على القائد المفرد الغريب في قلب الكوفة ...

قال الطبري: «طوعة أمّ ولد كانت للأشعث بن قيس فاعتقها، فتزوجها أسيد الحضرمي، فولدت له بلالاً، «۱» وكان بلال قد خرج مع الناس، وأمه قائمة تنتظره، فسلم عليها ابن عقيل فردت عليه.

فقال لها: يا أمّة الله، إسقيني ماء!

فدخلت، فسقته، فجلس، وأدخلت الإناء ثم خرجت.

فقالت: يا عبدالله، ألم تشرب؟!

قال: بلى.

قالت: فاذهب إلى أهلك.

فسكت! ثم عادت فقالت مثل ذلك، فسكت!

ثم قالت له: فيء لله! سبحان الله! يا عبدالله، فمّر إلى أهلك عافاك الله، فإنه لا يصلح لك الجلوس على بابي ولا أحله لك!

معالركب الحسيني (ج ۳)، ص: ۱۴۴

فقام فقال: يا أمّة الله، مالي في هذا المصر منزل ولا عشيرة، فهل لك إلى أجرٍ ومعروف؟ ولعلّي مكافئك به بعد اليوم!

فقالت: يا عبدالله، وماذا لك؟

قال: أنا مسلم بن عقيل، كذبنى هؤلاء القوم وغزوني!

قالت: أنت مسلم؟

قال: نعم.

قالت: أدخل.

فأدخلته بيتاً في دارها غير البيت الذي تكون فيه، وفرشت له، وعرضت عليه العشاء فلم يتعش.

ولم يكن بأسرع من أن جاء ابنها، فرآها تكثر الدخول في البيت والخروج منه فقال: والله إنه ليريبني كثرة دخولك هذا البيت منذ الليلة وخروجك منه! إن لك لشأناً!

قالت: يا بُنَيَّ أله عن هذا.

قال لها: والله لتخبرني!

قالت: أقبل على شأنك ولا تسألني عن شيء.

فألح عليها، فقالت: يا بُنَيَّ لا تُحدِثَنَّ أحداً من الناس بما أخبرك به!

وأخذت عليه الأيمانَ فحلف لها، فأخبرته، فاضطجع وسكت! وزعموا أنه قد كان شريداً «١» من الناس، وقال بعضهم كان يشرب مع أصحاب له... «٢»

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٤٥

ابن زياد .. والمفاجأة السارة عند المساء ...! ص : ١٤٥

قال الشيخ المفيد (ره): «ولما تفرق الناس عن مسلم بن عقيل طال على ابن زياد، وجعل لا يسمع لأصحاب ابن عقيل صوتاً كما كان يسمع قبل ذلك، قال لأصحابه: أشرفوا فانظروا هل ترون منهم أحداً؟

فأشرفوا فلم يروا أحداً!

قال: فانظروهم، لعلهم تحت الظلال قد كمنوا لكم!

فنزحوا تخائج المسجد، وجعلوا يخفضون بشعل النار في أيديهم وينظرون فكانت أحياناً تُضيء لهم، وأحياناً لا تُضيء كما يريدون، فدلّوا القناديل، وأطاب القصب تُشدُّ بالحبال فيها النيران، ثم تُدلى حتى تنتهي إلى الأرض، ففعلوا ذلك في أقصى الظلال وأدناها وأوسطها، حتى فعل ذلك بالظلمة التي فيها المنبر، فلما لم يروا شيئاً أعلموا ابن زياد بتفرق القوم. «١»

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٤٦

ففتح باب السدة التي في المسجد، ثم خرج فصعد المنبر، وخرج أصحابه معه، فأمرهم فجلسوا قبيل العتمة، وأمر عمرو بن نافع فنادى: ألا برئت الذمة من رجل من الشرط والعرفاء والمناكب أو المقاتلة صلى العتمة إلّا في المسجد.

فلم يكن إلّا ساعة حتى امتلأ المسجد من الناس، ثم أمر مناديه فأقام الصلاة، وأقام الحرس خلفه «١» وأمرهم بحراسته من أن يدخل عليه أحدٌ يغتاله! وصلّى بالناس، ثم صعد المنبر: فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

أما بعد: فإن ابن عقيل السفية الجاهل قد أتى ما قد رأيتم من الخلاف والشقاق! فبرئت ذمة الله من رجل وجدناه في داره، ومن جاء به فله ديتة، إتقوا الله عباد الله، والزموا طاعتكم وبيعتمكم، ولا تجعلوا على أنفسكم سيلاً. يا حصين بن نمير «٢» ثكلتك أمك إن ضاع باب سكة من سكة الكوفة، أو خرج هذا الرجل ولم تأتني به، وقد سلطتك على دور أهل الكوفة فابعث مراصد على أهل السكك، وأصبح غداً فاستبرء الدور وجس خلالها، حتى تأتيني بهذا الرجل - وكان الحصين بن نمير على شرطته وهو من بني تميم - ثم دخل

ابن زياد القصر، وقد عقد لعمرو بن حريث راية وأمره على الناس .. «٣»

وفي رواية الفتوح: «ثم نزل عن المنبر، ودعا الحصين بن نمير السكوني فقال:

ثكلتك أمك إن فاتتك سكة من سلك الكوفة لم تطبق على أهلها أو أتوك بمسلم

معالركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٤٧

ابن عقيل! فوالله لئن خرج من الكوفة سالماً لثريقتن أنفسنا في طلبه! فانطلق الآن فقد سلطتك على دور الكوفة وسككها، فانصب المرصد وجد الطلب حتى تأتيني بهذا الرجل..» (١)

وفي ذلك الصباح الأسود! ص : ١٤٧

ويواصل الشيخ المفيد (ره) سرد بقية القصة قائلاً: «فلما أصبح جلس مجلسه وأذن للناس فدخلوا عليه، وأقبل محمد بن الأشعث، فقال: مرحباً بمن لا يستغش ولا يتهم! ثم أفعده الى جنبه.

وأصبح ابن تلك العجوز، فغدا إلى عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث، فأخبره بمكان مسلم بن عقيل عند أمه! فأقبل عبدالرحمن حتى أتى أباه وهو عند ابن زياد فسارّه، فعرف ابن زياد سراره، فقال له ابن زياد بالقضيب في جنبه: قم فأتني به الساعة. فقام، وبعث معه قومه، لأنه قد علم أن كل قوم يكرهون أن يُصاب فيهم مسلم بن عقيل، وبعث معه عبيدالله بن عباس السلمى في سبعين رجلاً من قيس، حتى أتوا الدار التي فيها مسلم بن عقيل..» (٢)

وفي رواية الفتوح: «.. واقبل ابن تلك المرأة التي مسلم بن عقيل في دارها إلى عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث فخبّره بمكان مسلم بن عقيل عند أمه، فقال له عبدالرحمن: أسكت الآن ولا تعلم بهذا أحداً من الناس! (٣) قال: ثم أقبل عبدالرحمن بن محمد إلى أبيه فسارّه في أذنه وقال: إن مسلماً في دار طوعه! ثم تتجى عنه.

فقال عبيدالله بن زياد: ما الذى قال لك عبدالرحمن؟

معالركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٤٨

فقال: أصلح الله الأمير، البشارة العظمى!

فقال: وما ذاك؟ ومثلك من بشر بخير!

فقال: إن ابني هذا يخبرني أن مسلم بن عقيل في دار طوعه، عند مولاه لنا.

قال: فسرّ بذلك، ثم قال: قم فأت به، ولك ما بذلت من الجائزة والحظ الأوفى!

قال: ثم أمر عبيدالله بن زياد خليفته عمرو بن حريث المخزومى أن يبعث مع محمد بن الأشعث ثلاثمائة رجل من صناديد أصحابه!

قال: فركب محمد بن الأشعث حتى وافى الدار التي فيها مسلم بن عقيل..» (١)

وفي رواية الدينورى أن عبيدالله بن زياد أمر ابن حريث أن يبعث معه مائة رجل من قريش، وكره أن يبعث إليه غير قريش خوفاً من العصبية أن تقع! (٢)

وفي رواية الطبرى أنه أمره أن يبعث مع ابن الأشعث ستين أو سبعين رجلاً كلهم من قيس، وإنما كره أن يبعث معه قومه لأنه قد علم أن كل قوم يكرهون أن يُصادف فيهم مثل ابن عقيل! (٣)

معالركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٤٩

المعركة الأخيرة .. حرب الشوارع! ص : ١٤٩

كان سيدنا مسلم بن عقيل عليه السلام قد أبى أن يأكل شيئاً في ليلته الأخيرة، وحرص على أن يُحييها بالعبادة والذكر والتلاوة فلم يزل

قائماً وراكعاً وساجداً يصلي ويدعو ربه إلى أن انفجر عمود الصبح، لكنه لشدة الإعياء من أثر القتال في النهار كان قد أخذته سنة من النوم، فرأى في عالم الرؤيا عمه أمير المؤمنين علياً عليه السلام، وبشره بسرعة التحاقه بمن مضى منهم عليهم السلام في أعلى عليين. ففي كتاب نفس المهموم عن كتاب المنتخب للطريحي أنه: «لما أن طلع الفجر جاءت طوعه إلى مسلم بماء ليتوضأ. قالت: يا مولاي، ما رأيتك رقدت في هذه الليلة؟!»

فقال لها: أعلمى أنني رقدت رقدة فرأيت في منامي عمي أمير المؤمنين عليه السلام وهو يقول: الوحاء الوحاء، العجل العجل! وما أظن إلا أنه آخر أيامي من الدنيا!». (١)

يقول الطبري: «فلما سمع وقع حوافر الخيل وأصوات الرجال عرف أنه قد أتى، فخرج إليهم بسيفه، واقتحموا عليه الدار، فشدّ عليهم يضربهم بسيفه حتى أخرجهم من الدار! ثم عادوا إليه فشدّ عليهم كذلك، فاختلف هو وبكير بن حمران الأحمرى ضربتين، فضرب بكير فم مسلم فقطع شفته العليا وشرع السيف في السفلى ونصلت له ثنيتاه، فضربه مسلم ضربة في رأسه منكرة وثنى بأخرى على جبل العاتق كادت تطلع على جوفه! فلما رأوا ذلك أشرفوا عليه من فوق ظهر البيت، فأخذوا يرمونه بالحجارة ويلهبون النار في أطناب القصب ثم يقبلونها عليه من فوق البيت! فلما رأى ذلك خرج عليهم مُصلتاً بسيفه في السكة فقاتلهم! مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٥٠

فأقبل عليه محمد بن الأشعث فقال: يا فتى! لك الأمان، لا تقتل نفسك! (١) فأقبل يقاتلهم وهو يقول:

أقسمت لا أقتل إلا حراً وإن رأيت الموت شيئاً نكراً

كل امرئ يوماً مُلاقٍ شراً ويخط البارد سخناً مراً

رُدَّ شعاع الشمس فاستقرأ أخاف أن أكذب أو أغزأ (٢)

فقال له محمد بن الأشعث: إنك لا تكذب ولا تتخذ ولا تغزأ! إن القوم بنو عمك، وليسوا بقاتليك ولا ضاربيك!

وقد أثنى بالحجارة وعجز عن القتال، وانبهر فأسند ظهره إلى جنب تلك الدار، فدنا محمد بن الأشعث فقال: لك الأمان!

فقال: آمن أنا؟

قال: نعم! وقال القوم: أنت آمن!

غير عمرو بن عبيد الله بن العباس السلمي فإنه قال: لاناقة لي في هذا ولا جمل وتنخي.

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٥١

وقال ابن عقيل: أما لو لم تؤمنوني ما وضعت يدي في أيديكم! وأتى ببغلة فحمل عليها، واجتمعوا حوله وانتزعوا سيفه من عنقه! فكأنه

عند ذلك آيس من نفسه، فدمعت عيناه، ثم قال: هذا أول الغدر!

قال محمد بن الأشعث: أرجو ألا يكون عليك بأس!

قال: ما هو إلا الرجاء؟! أين أمانكم؟! إنا لله وإنا إليه راجعون! وبكى، فقال له عمرو بن عبيد الله بن عباس: إن من يطلب مثل الذي

تطلب إذا نزل به مثل الذي نزل بك لم يبك!

قال: إني والله ما لنفسي أبكى، ولا لها من القتل أرثي، وإن كنت لم أحب لها طرفه عين تلفاً، ولكن أبكى لأهلي المُقبلين إليّ! أبكى

لحسين وآل حسين!

ثم أقبل على محمد بن الأشعث فقال: يا عبدالله، إنني أراك والله ستعجز عن أمانتي! فهل عندك خير؟ تستطيع أن تبعث من عندك

رجلاً على لساني يُبلغ حسيناً، فإنني لا أراه إلا قد خرج إليكم اليوم مقبلاً أو هو خرج غداً، هو وأهل بيته، وإن ما ترى من جزعي لذلك!

فيقول إن ابن عقيل بعثني إليك، وهو في أيدي القوم أسير! لا يرى أن تمشي حتى تُقتل! وهو يقول إرجع بأهل بيتك ولا يغرك أهل

الكوفة، فإنهم أصحاب أبيك الذي كان يتمنى فراقهم بالموت أو القتل! إن أهل الكوفة قد كذبوك وكذبوني، وليس لمكذوب رأى.

فقال ابن الأشعث: والله لأفعلن، ولأعلمن ابن زياد أني قد آمنتك! (١)

معالركب الحسينى (ج ٣)، ص: ١٥٢

... وأقبل محمد بن الأشعث بابن عقيل إلى باب القصر فاستأذن فأذن له، فأخبر عبيدالله خبر ابن عقيل وضرب بكبير إياه، فقال: بعداً له! فأخبره محمد بن الأشعث بما كان منه وما كان من أمانه إياه، فقال عبيدالله: ما أنت والأمان؟! كأننا أرسلناك تؤمنه؟! إنما أرسلناك تأتينا به. فسكت!

وانتهى ابن عقيل إلى باب القصر وهو عطشان، وعلى باب القصر ناسٌ جلوس ينتظرون الإذن، منهم عمارة بن عقبه بن أبي معيط، وعمرو بن حريث، ومسلم بن عمرو، وكثير بن شهاب .. فإذا قلة باردة موضوعة على الباب. فقال ابن عقيل: أسقوني من هذا الماء.

فقال له مسلم بن عمرو: أتراها ما أبردها! لا والله لا تذوق منها قطرة أبداً حتى تذوق الحميم في نار جهنم! قال له ابن عقيل: ويحك! من أنت؟

قال: أنا ابن من عرف الحق إذ أنكرته! ونصح لإمامه إذ غششته! وسمع وأطاع إذ عصيته وخالفت! أنا مسلم بن عمرو الباهلى.

فقال ابن عقيل: لإمك الثكل، ما أجفاك وما أفظك وأقسى قلبك وأغلظك؟! أنت يا ابن باهله أولى بالجحيم والخلود في نار جهنم منى. ثم جلس متسانداً إلى حائط ...

وروى الطبرى أيضاً: أن عمرو بن حريث بعث غلاماً له يدعى سليمان فجاءه بماء في قلة فسقاه ...

معالركب الحسينى (ج ٣)، ص: ١٥٣

وروى أيضاً: أن عمارة بن عقبه بعث غلاماً له يدعى قيساً فجاءه بقلة عليها منديل، ومعه قدح، فصب فيه ماءً ثم سقاه، فأخذ كلما شرب امتلأ القدح دماً! فلما ملأ القدح المرة الثالثة ذهب ليشرب فسقطت ثيابه فيه! فقال: الحمد لله، لو كان من الرزق المقسوم شربته!». (١)

ورواية أخرى أشد صدقاً وحرارةً! ... ص: ١٥٣

روى ابن أعثم الكوفى: «قال: وسمع مسلم بن عقيل وقع حوافر الخيل وزعقات الرجال فعلم أنه قد أتى فى طلبه، فبادر رحمه الله الى فرسه فأسرجه وألجمه، وصب عليه درعه، وأعجز بعمامه، وتقلد بسيفه، والقوم يرمون الدار الحجاره، ويهلون النار فى نواحي القصب. قال: فتبسم مسلم رحمه الله! ثم قال: يا نفس اخرجى الى الموت الذى ليس منه محيص ولا عنه محيد! ثم قال للمرأة: أى رحمك الله وجزاك عنى خيراً، أعلمى أنما أوتيت من قبل ابنك! ولكن افتحى الباب.

قال: ففتحت الباب، وخرج مسلم فى وجوه القوم كأنه أسد مغضب!، فجعل يضاربهم بسيفه حتى قتل منهم جماعة! (٢)

معالركب الحسينى (ج ٣)، ص: ١٥٤

وبلغ ذلك عبيدالله بن زياد، فأرسل الى محمد بن الأشعث وقال: سبحان الله يا عبدالله! بعثناك الى رجل واحد تأتينا به فأثلم (بأصحابك هذه الثلمة العظيمة! فكتب) إليه محمد بن الأشعث: أيها الأمير! أما تعلم أنك بعثتني إلى أسدٍ ضرغام، وسيف حسام، فى كف بطل همام من آل خير الأنام؟! قال: فأرسل إليه عبيدالله بن زياد: أن أعطه الأمان، فإنك لن تقدر عليه إلا بالأمان. (١)

فجعل محمد بن الأشعث يقول: ويحك يا ابن عقيل! لا تقتل نفسك، لك الأمان! ومسلم بن عقيل يقول: لاجأه إلى أمان الغدره! ثم جعل يقاتلهم وهو يقول:

أقسمت لا أقتل إلا حراً ولو وجدت الموت كأساً مراً

أكره أن أخدم أو أعزّا كل امرئ يوماً يلاقى شراً

أضربكم ولا أخاف ضراً

قال: فناداه محمد بن الأشعث وقال: ويحك يا ابن عقيل! إنك لا تكذب ولا تغتر! القوم ليسوا بقاتليك فلا تقتل نفسك!

مع الركب الحسينى (ج ۳)، ص: ۱۵۵

قال: فلم يلتفت مسلم بن عقيل رحمه الله إلى كلام ابن الأشعث، وجعل يقاتل حتى أثنى بالجراح وضعف عن القتال، وتكاثروا عليه

فجعلوا يرمونه بالنبل والحجارة!

فقال مسلم: ويلكم! ما لكم ترموننى بالحجارة كما ترمى الكفار؟! وأنا من أهل بيت الأنبياء الأبرار! ويلكم، أما ترعون حق رسول الله

صلى الله عليه وسلم وذريته!؟

قال: ثم حمل عليهم على ضعفه فكسرهم! وفرقهم فى الدروب! ثم رجع وأسند ظهره إلى باب دار هناك، فرجع القوم إليه، فصاح بهم

محمد بن الأشعث:

ذروه حتى أكلمه بما يريد.

قال: ثم دنا منه ابن الأشعث حتى وقف قبالته وقال: ويلك يا ابن عقيل! لا تقتل نفسك، أنت آمن ودمك فى عنقى!

فقال له مسلم: أتظن يا ابن الأشعث أنى أعطى يدي أبداً وأنا أقدر على القتال؟! لا والله لا كان ذلك أبداً!

ثم حمل عليه حتى ألحقه بأصحابه، ثم رجع إلى موضعه فوقف وقال: اللهم إن العطش قد بلغ منى! فلم يجسر أحد أن يسقيه الماء

ولا قرب منه!

فأقبل ابن الأشعث على أصحابه وقال: ويلكم! إن هذا لهو العار والفشل أن تجزعوا من رجل واحد هذا الجزع! إحملوا عليه بأجمعكم

حملة واحدة!

قال: فحملوا عليه وحمل عليهم، فقصده من أهل الكوفة رجل يقال له بكير بن حمران الأحمري، فاختلفا بضربتين فضربه بكير ضربه

على شفته العليا،

مع الركب الحسينى (ج ۳)، ص: ۱۵۶

وضربه مسلم بن عقيل ضربه فسقط الى الأرض قتيلاً «١»

قال: فطعن من ورائه طعنه فسقط إلى الأرض، فأخذ أسيراً، ثم أخذ فرسه وسلاحه، وتقدم رجل من بنى سليمان يقال له عبيد الله بن

العباس فأخذ عمامته! «٢»

ونقل «أنهم احتالوا عليه وحفروا له حفرة عميقة فى وسط الطريق، وأخفوا رأسها بالدغل والتراب، ثم انطردوا بين يديه، فوقع بتلك

الحفرة، وأحاطوا به، فضربه ابن الأشعث على محاسن وجهه، فلعب السيف فى عرنين أنفه ومحاجر عينيه حتى بقيت أضراسه تلعب فى

فمه! فأوثقوه وأخذوه أسيراً الى ابن زياد ..» «٣»

محمد بن الأشعث يسلب مسلماً عليه السلام سلاحه! ص: ۱۵۶

روى المسعودى قائلاً: «وقد سلبه ابن الأشعث حين أعطاه الأمان سيفه وسلاحه، وفى ذلك يقول بعض الشعراء فى كلمة يهجو فيها ابن

الأشعث:

وتركت عمك «٤»

أن تقاتل دونه فشلاً، ولولا أنت كان منيعاً

وقتلَ وافد آل بيت محمد وسلبت أسياً له ودروعا. «٥»

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٥٧

كلمة الحق الجريئة تزلزل قصر الخبال والضلال! ص : ١٥٧

روى ابن أعثم الكوفى: «قال: فأدخل مسلم بن عقيل على عبيد الله بن زياد فقال له الحرسي: سلّم على الأمير!

فقال له مسلم: أسكت لا أم لك! مالك وللكلام؟! والله ليس هو لى بأمرٍ فأسلّم عليه! «١» وأخرى فيما ينفعى السلام عليه وهو يريد

قتلى؟! فإن استبقاني فسيكثر عليه سلامي! «٢»

فقال له عبيد الله بن زياد: لا عليك! سلّمّت أم لم تسلّم، فإنك مقتول!

فقال مسلم بن عقيل: إن قتلتنى فقد قتل شرّ منك من كان خيراً منى!

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٥٨

فقال له ابن زياد: يا شاق! يا عاق! خرجت على إمامك وشققت عصا المسلمين وألقحت الفتنة!

فقال مسلم: كذبت يا ابن زياد! والله ما كان معاوية خليفه بإجماع الأئمة، بل تغلب على وصي النبي بالحيلة، وأخذ عنه الخلافة

بالغضب، وكذلك ابنه يزيد! وأما الفتنة فإنك ألقحتها أنت وأبوك زياد بن علاج من بنى ثقيف! وأنا أرجو أن يرزقنى الله الشهادة

على يدى شرّ بريته! فوالله ما خالفت ولا كفرت ولا بدلت! وإنما أنا فى طاعة أمير المؤمنين الحسين بن على، بن فاطمة بنت رسول الله

صلى الله عليه وآله، ونحن أولى بالخلافة من معاوية وابنه وآل زياد!

فقال له ابن زياد: يا فاسق! ألم تكن تشرب الخمر فى المدينة؟! «١»

فقال مسلم بن عقيل: أحقّ والله بشرب الخمر منى من يقتل النفس الحرام (ويقتل على الغضب والعداوة والظن) وهو فى ذلك يلهو

ويلعب كأنه لم يصنع شيئاً!

فقال له ابن زياد: يا فاسق! منتهك نفسك أمراً أحالك الله دونه وجعله لأهله!

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٥٩

فقال مسلم بن عقيل: ومن أهله يا ابن مرجانة؟! «١»

فقال: أهله يزيد ومعاوية!

فقال مسلم بن عقيل: الحمد لله، كفى بالله حكماً بيننا وبينكم!

فقال ابن زياد لعنه الله: أتظن أن لك من الأمر شيئاً؟

فقال مسلم بن عقيل: لا والله ما هو الظن ولكنه اليقين!

فقال ابن زياد: قتلنى الله إن لم أقتلك!

فقال مسلم: إنك لاتدع سوء القتل وقبح المثلة وخبث السريرة! «٢» والله لو كان معى عشرة ممن أثق بهم، وقدرت على شربه من ماء

لطال عليك أن ترانى فى هذا القصر! ولكن إن عزمت على قتلى ولا بد لك من ذلك فأقم إلّى رجلاً من قريش أوصى إليه بما أريد.

فوثب «٣» إليه عمر بن سعد بن أبى وقاص، فقال: أوصِ إلّى بما تريد يا ابن

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٦٠

عقيل! «١» فقال له مسلم: أوصيك بتقوى الله، فإن التقوى درك كل خير، ولى إليك حاجة!

فقال عمر: قل ما أحببت.

فقال: حاجتى إليك أن تسترد فرسى وسلاحى من هؤلاء القوم فتبيعه، وتقضى عنى سبعمائة درهم استدنتها فى مصركم هذا، وأن تستوهب جثتى إن قتلنى هذا الفاسق!، فتوارينى فى التراب، وأن تكتب للحسين: أن لا يقدم فينزل به ما نزل بى!
فقال عمر بن سعد: أيها الأمير! إنه يقول كذا وكذا! «٢»

فقال ابن زياد: يا ابن عقيل! أميا ما ذكرت من دينك فإتما هو مالك تقضى به دينك، ولسنا نمنعك أن تصنع به ما أحببت، وأما جسدك فإننا إذا قتلناك فالخيار لنا، ولسنا نبالى ما صنع الله بجثتك! «٣» وأما الحسين فإنه إن لم يُردنا لم نرده، وإن اردنا مع الركب الحسينى (ج ٣)، ص: ١٦١

لم نكف عنه!)، ولكنى أريد أن تخبرنى يا ابن عقيل، بماذا أتيت الى هذا البلد؟!
شئت أمرهم، وفرقت كلمتهم، ورميت بعضهم على بعض!

فقال مسلم بن عقيل: ليس لذلك أتيت هذا البلد، ولكنكم أظهرتم المنكر، ودفنتم المعروف، وتأمرتم على الناس من غير رضا، وحملتموهم على غير ما أمركم الله به، وعملتهم فيهم بأعمال كسرى وقىصر، فأتيناهم لنأمر فيهم بالمعروف وننهاهم عن المنكر، وندعوهم إلى حكم الكتاب والسنة، وكنا أهل ذلك، ولم نزل الخلافة لنا منذ قتل أمير المؤمنين على بن ابى طالب، ولا تزال الخلافة لنا، فإننا قهرنا عليها، لأنكم أول من خرج على إمام هدى، وشق عصا المسلمين، وأخذ هذا الأمر غضباً، ونازع أهله بالظلم والعدوان! ولا نعلم لنا ولكم مثلاً إلا قول الله تبارك وتعالى: «وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون» «١»
.. فجعل ابن زياد يشتم علياً والحسن والحسين رضى الله عنهم!

فقال له مسلم: أنت وأبوك أحق بالشيمة منهم! فاقض ما أنت قاض! فنحن أهل بيت موكل بنا بالبلاء!

فقال عبيد الله بن زياد: إلحقوا به إلى أعلى القصر فاضربوا عنقه، وألحقوا رأسه جسده! «٢»

فقال مسلم رحمه الله: أما والله يا ابن زياد! لو كنت من قريش أو كان بينى

مع الركب الحسينى (ج ٣)، ص: ١٦٢

وبينك رحم أو قرابه لما قتلتنى، ولكنك ابن أبيك!

قال: فأدخله ابن زياد القصر، ثم دعا رجلاً من أهل الشام قد كان مسلم بن عقيل ضربه على رأسه ضربه منكرة، فقال له: خذ مسلماً واصعد به إلى أعلى القصر، واضرب عنقه بيدك ليكون ذلك أشفى لصدرك!». «١»

أول شهداء النهضة الحسينية من بنى هاشم ص : ١٦٢

«فأصعد مسلم بن عقيل رحمه الله إلى أعلى القصر، وهو فى ذلك يسبح الله تعالى ويستغفره، وهو يقول: اللهم احكم بيننا وبين قوم غزونا وخذلونا.

فلم يزل كذلك حتى أتى به الى أعلى القصر، وتقدم ذلك الشامى فضرب عنقه!». «٢»

وفى رواية الطبرى: «.. ثم قال ابن زياد: أين هذا الذى ضرب ابن عقيل رأسه بالسيف وعاتقه. فدعى، فقال: إصعد فكن أنت الذى تضرب عنقه! فصعد به وهو يكبر ويستغفر ويصلى على ملائكة الله ورسله، وهو يقول: اللهم احكم بيننا وبين قوم غزونا وكذبونا وأذلونا. وأشرف به على موضع الجزارين «٣» اليوم فضربت عنقه، وأتبع جسده رأسه!». «٤»

مع الركب الحسينى (ج ٣)، ص: ١٦٣

وفخراً عند الموت! ص : ١٦٣

«.. نزل الأحمرى بُكير بن حمران «١» الذى قتل مسلماً، فقال له ابن زياد: قتلته؟
قال: نعم.

قال: فما كان يقول وأنتم تصعدون به؟

قال: كان يكبر ويسبح ويستغفر! فلما أدنيت له لأقتله قال: أَللّهُم أَحْكَم بَيْنَا وَبَيْنَ قَوْمِ كَذَّبُونَا وَغَرَّوْنَا وَخَذَلُونَا! فقلتُ له: أَدْنُ مِنْى، الحمد لله الذى أقادنى منك! فضربته ضربة لم تُغن شيئاً فقال: أما ترى فى خَدَشِ تُخَدَشِيهِ وفاءً من دمك أيها العبد! فقال ابن زياد: وفخراً عن الموت؟؟ قال: ثم ضربته الثانية فقتلته.. «٢»

وكم من آية لله أعرض عنها ابن زياد!! ص : ١٦٣

قال ابن أعثم الكوفى: «ثم نزل الشامى إلى عبيدالله بن زياد وهو مدهوش!

فقال له ابن زياد: ما شأنك؟! أقتلته؟

قال: نعم، أصلح الله الأمير! إلا أنه عرض لى عارض، فأنا له فرجٌ مرهوب!

فقال: ما الذى عرض لك؟!

قال: رأيت ساعة قتلته رجلاً حذاي، أسود كثير السواد، كرىه المنظر، وهو عاضٌ على إصبعيه- أو قال: شفتيه- ففزعتُ منه فرعاً لم أفرع قط مثله!

مع الركب الحسينى (ج ٣)، ص: ١٦٤

فتبسّم ابن زياد وقال له: لعلك دُهشت؟! وهذه عادة لم تعتدها قبل ذلك!! «١»

مقتل هانى بن عروة (رض) ص : ١٦٤

«قال: ثم أمر عبيدالله بن زياد بهانى بن عروة أن يُخرج فيلحق بمسلم بن عقيل، فقال محمّد بن الأشعث: أصلح الله الأمير، إنك قد عرفت شرفه فى عشيرته، وقد عرف قومه أنى وأسماء بن خارجة جئنا به إليك فأنشدك الله أيها الأمير (إلاً) وهبته لى، فإنى أخاف عداوة أهل بيته! فإنهم سادات أهل الكوفة وأكثرهم عدداً!

قال: فزبره ابن زياد! ثم أمر بهانى بن عروة فأخرج إلى السوق إلى موضع يُباع فيه الغنم، وهو مكتوف.

قال: وعلم أنه مقتول فجعل يقول: وامذحجاه! واعشيرتاه!

ثم أخرج يده من الكتاف وقال: أما من شىء فأدفع به عن نفسى؟! «٢»

قال: فصكّوه، ثم اوثقوه كتافاً، فقالوا: أمدد عنقك!

فقال: لا والله، ما كنت الذى أعينكم على نفسى. «٣»

مع الركب الحسينى (ج ٣)، ص: ١٦٥

فتقدّم إليه غلام لعبيدالله بن زياد يُقال له رشيد، «١» فضربه بالسيف فلم يصنع شيئاً!

فقال هانى: إلى الله المعاد، أَللّهُم إلى رحمتك ورضوانك، أَللّهُم اجعل هذا اليوم كفارةً لذنوبى! فإنى إنما تعصيت لابن بنت نبيك

صلى الله عليه و آله.

فتقدم رشيد وضربه ضربة أخرى فقتله رحمه الله..» (٢)

سحل الشهيدين في الشوارع والسوق! ص : ١٦٥

ثم قام جلاوزة ابن زياد لعنهم الله بسحل الجثتين الزكيتين في الشوارع وفي السوق، فقد روى الطبري أن عبد الله بن سليم، والمذري بن المشمل، الأسديين أخبرا الإمام الحسين عليه السلام في منطقته زرود عن لسان الأسدي الذي كان يحمل خير مقتل مسلم عليه السلام أنه «لم يخرج من الكوفة حتى قُتل مسلم بن عقيل وهانيء بن عروة، وحتى رأهما يُجران في السوق بأرجلهما ..» (٣)

صلب الشهيدين منكسين! ص : ١٦٥

«ثم أمر عبيد الله بن زياد بمسلم بن عقيل وهانيء بن عروة رحمهما الله فصيلا جميعاً منكسين، وعزم أن يوجه برأسيهما إلى يزيد بن معاوية..» (٤)

«ولما صلب مسلم بن عقيل، وهانيء بن عروة، قال فيهما عبد الله بن الزبير

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٦٦

الأسدي:

إذا كنت لاتدرين ما الموت فانظري إلى هانيء بالسوق وابن عقيل

إلى بطل قد هشم السيف وجهه وآخر يهوى من طمار قتييل

ترى جسداً قد غير الموت لونه ونضح دم قد سال كل مسيل

فتى كان أحيى من فتاه حية وأقطع من ذى شفرتين صقييل

وأشجع من ليث بخفان مُصحر وأجراً من ضار بغابة غيل

أصابهما أمر الأمير فأصبحا أحاديث من يسرى بكل سبييل

أيركب أسماء (١)

الهماليح آمناً وقد طلبته مذحج بدخول

تطوف حواليه مراد وكلهم على رقبته من سائل ومسول

فإن أنتم لم تتأروا لأخيكم فكونوا بغايا أرضيت بقليل..» (٢)

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٦٧

انتقام ابن زياد من بقية الثوار! ص : ١٦٧

الثائر عبدالأعلى بن يزيد الكلبى ص : ١٦٧

«ثم إن عبيد الله بن زياد لما قتل مسلم بن عقيل وهانيء بن عروة دعا بعبدالأعلى الكلبى الذى كان أخذه كثير بن شهاب فى بنى فتيان،

فأتى به، فقال له:

أخبرني بأمرك!

فقال: أصلحك الله خرجت لأنظر ما يصنع الناس، فأخذني كثير بن شهاب!

فقال له: فعليك وعليك من الأيمان المغلظة إن كان أخرجك إلا ما زعمت!؟

فأبى أن يحلف! فقال عبيدالله: انطلقوا بهذا إلى جبانة السبع فاضربوا عنقه بها! .. فانطلق به فُضِرَت عنقه.

التائر عماره ابن صلخب الأزدي ص : ١٦٧

وأخرج عماره ابن صلخب الأزدي، وكان ممن يريد أن يأتي مسلم بن عقيل بالنصرة لينصره، فأتى به أيضاً عبيدالله، فقال له: ممن أنت!؟

قال: من الأزدي.

قال: إنطلقوا به إلى قومه! فُضِرَت عنقه فيهم!.. «١»

التائر القائد عبيدالله بن عمرو بن عزيز الكندي «٢» ص : ١٦٧

«فارس شجاع من الشيعة في الكوفة، ومن أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام،

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٦٨

وشهد مشاهده، وبايع لمسلم وكان يأخذ البيعة له، وأمر ابن زياد بقتله». «١»

وهو أحد القادة الأربعة الذين عقد لكل منهم مسلم عليه السلام رايه، وعقد له مسلم عليه السلام على ريع كنده وريعه وقال: سيرو أمامي في الخيل. «٢»

التائر القائد العباس بن جعدة الجدلي ص : ١٦٨

«كان من الشيعة المخلصين في الولاء، وبايع مسلماً، وكان يأخذ البيعة للحسين عليه السلام، ولما تخاذل الناس عن مسلم أمر ابن زياد

بالقبض عليه وحبسه، ثم بعد شهادة مسلم قتل شهيداً». «٣»

وهو الذي عقد له مسلم عليه السلام على ريع المدينة. «٤»

التائران القائدان المختار وعبدالله بن الحارث ص : ١٦٨

كان المختار (ره) وعبدالله بن الحارث بن نوفل قد خرجا مع مسلم، خرج المختار براية خضراء، وخرج عبدالله براية حمراء وعليه

ثياب حمراء. «٥»

ولكنهما دخلا الكوفة بعد فوات الأمر وانتهاء الحصار وبعد قتل مسلم عليه السلام وهاني (رض)، «٦» فلمّا عرفا ذلك، ركز المختار

رايته على باب عمرو بن حُرَيْث وقال: أردتُ أن أمنع عمراً! وأشير عليهما بالدخول تحت راية الأمان عند عمرو

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٦٩

بن حُرَيْث ففعلاً، وشهد لهما ابن حريث باجتنابهما ابن عقيل! فأمر ابن زياد بحبسهما بعد أن شتم المختار واستعرض وجهه بالقضيب فشر عينه (فذهبت عينه)، «١» وبقياً في السجن إلى أن قُتل الحسين عليه السلام!.. «٢»

تقرير ابن زياد الأمتى إلى يزيد! ص : ١٦٩

«ثم إنَّ عبيدالله بن زياد لما قتل مسلماً وهانئاً بعث برؤوسهما مع هاني بن أبي حَيَّة الوادعي، والزبير بن الأرواح التميمي، إلى يزيد بن معاوية وأمر كاتبه عمرو بن نافع أن يكتب إلى يزيد بن معاوية بما كان من مسلم وهانيء، فكتب إليه كتاباً أطال فيه - وكان أوّل من أطال في الكتب - فلما نظر فيه عبيدالله بن زياد كرهه وقال ما هذا التطويل وهذه الفضول؟! أكتب:

أما بعد، فالحمد لله الذي أخذ لأمر المؤمنين بحقه، وكفاه مؤنثه عدوّه، أُخبر أمير المؤمنين أكرمه الله أن مسلم بن عقيل لجأ إلى دار هانيء بن عروة المرادي، وإني جعلت عليهما العيون، ودسست إليهما الرجال، وكذتُهما حتى استخرجتهما! وأمكن الله منهما فقدمتهما فضربت أعناقهما، وقد بعثت إليك برؤوسهما مع هاني بن أبي حَيَّة الهمداني، والزبير بن الأرواح التميمي، وهما من أهل السمع والطاعة والنصيحة! فليسألها أمير المؤمنين عمّا أحب من أمرٍ فإنَّ عندهما علماً وصدقاً وفهماً وورعاً! والسلام..» «٣»

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٧٠

«فكتب إليه يزيد: أما بعد، فإنك لم تعد أن كنت كما أحب! عملت عمل الحازم، وصُيئت صولة الشجاع الرابط الجأش! فقد أغنيت وكفيت، وصدقت ظني بك ورأيي فيك، وقد دعوت رسوليك فسألتها وناجيتها، فوجدتها في رأيها وفضلها كما ذكرت! فاستوص بهما خيراً، وإنه قد بلغني أن الحسين بن عليّ قد توجه نحو العراق، فضع المناظر والمسالح، واحترس على الظن! وخذ على التهمة! غير ألا تقتل إلا من قاتلك! واكتب إليّ في كلّ ما يحدث من الخبر، والسلام عليك ورحمة الله..» «١»

وذكر ابن شهر آشوب أن يزيد لعنه الله نصب الرأسين الشريفين في درب من دمشق. «٢»

وروى اليعقوبي أن يزيد كان قد كتب إلى ابن زياد يأمره بقتل الإمام الحسين عليه السلام، قال اليعقوبي: «وأقبل الحسين من مكّة يريد العراق، وكان يزيد قد ولي عبيدالله بن زياد العراق، وكتب إليه: قد بلغني أن أهل الكوفة قد كتبوا إلى الحسين في القدوم عليهم، وأنه قد خرج من مكّة متوجّهاً نحوهم، وقد بلى به بلدك من بين البلدان، وأيامك من بين الأيام، فإن قتلته وإلا رجعت إلى نسبك وإلى أبيك عبيد! فاحذر أن يفوتك!..» «٣»

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٧١

إغلاق ورصد المناطق والمنافذ الحدودية الكوفية! ص : ١٧١

قال الشيخ المفيد (ره): «ولما بلغ عبيدالله إقبال الحسين من مكّة إلى الكوفة بعث الحصين بن نمير صاحب شرطه حتى نزل القادسية، ونظّم ما بين القادسية إلى خفان، وما بين القادسية إلى القططانية، وقال للناس هذا الحسين يُريد العراق!»، «١» «وكان عبيدالله بن زياد أمر فأخذ ما بين واقصة إلى طريق الشام إلى طريق البصرة! فلا يدعون أحداً يلج ولا أحداً يخرج!..» «٢»

وقال الدينوري: «ثم إنَّ ابن زياد وجّه الحصين بن نمير - وكان على شرطه - في أربعة آلاف فارس من أهل الكوفة!، وأمره أن يُقيم بالقادسية إلى القططانة، فيمنع من أراد النفوذ من ناحية الكوفة إلى الحجاز، إلا من كان حاجياً أو معتمراً، ومن لا يُتَّهم بممالة

الحسين!..» «٣»

وفى أنساب الأشراف: «حتى نزل القادسية ونظم الخيل بينها وبين خفان، وبينها وبين القططانة إلى لعل». «٤»
مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٧٢

تعبئة الكوفة، وتجميد الثغور، استعداداً لقتال الإمام عليه السلام ص : ١٧٢

ثم إن ابن زياد بالغ في إشاعة الرعب والخوف في أوساط أهل الكوفة، من خلال إجراءات إرهابية عديدة، تمهيداً لتعبئتهم وتوجيههم إلى قتال الإمام الحسين عليه السلام، لعلهم بأن جُلَّ أهل الكوفة يكرهون «١» التوجه لقتاله عليه السلام، «فقد كان يحكم بالموت على كل من يتخلف أو يرتدع عن الخوض في المعركة». «٢»
كما جمّد الثغور ووجه عساكرها إلى قتال الإمام الحسين عليه السلام، فقد روى ابن عساكر «عن شهاب بن خراش، عن رجل من قومه: كنت في الجيش الذي بعثهم ابن زياد إلى حسين، وكانوا أربعة آلاف يريدون الديلم، فصرفهم عبيد الله إلى حسين ..». «٣»
مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٧٣

الفصل الثالث: وقايع منازل الطريق بين مكة وكربلاء ص : ١٧٣

إشارة

فشلت محاولة والي مكة آنذاك عمرو بن سعيد الأشدق لإرجاع الامام الحسين عليه السلام إلى مكة بالقوة، حيث أبقى الإمام عليه السلام الرجوع وتدافع الفريقان (رجال الركب الحسيني وجند الأشدق) واضطربوا بالسياسات، فتراجع الأشدق عن قرار المنع بعد أن خشى من تفاقم الأمر عليه!
وجد الركب الحسيني في المسير نحو العراق، وكان قد مرّ في طريقه من مكة حتى وصوله إلى كربلاء بمواقع ومنازل عديدة، بقي الإمام الحسين عليه السلام في بعضها يوماً وليلة، ولبث في بعضها الآخر يوماً، ولم يبق في بعض آخر إلا ساعات قليلة، وتوقف في بعض آخر لأداء الصلاة فقط، ومرّ على بعضها مرور الكرام بلا توقف، وأهمّ هذه المواقع والمنازل على الترتيب هي:

(١) - بستان بنى عامر (أو ابن عامر) «١» ص : ١٧٣

روى أن الشاعر الفرزدق «٢» كان قد لقي الإمام الحسين عليه السلام قبل خروج الركب
مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٧٦
الحسيني من الحرم إلى أرض الحلّ، فقد ورد عن لسان الفرزدق أنه قال:
«حججتُ بأمي في سنة ستين، فبينما أنا أسوق بغيرها حين دخلت الحرم إذ لقيتُ الحسين بن عليّ عليهما السلام خارجاً من مكة مع
أسيافه وأتراسه فقلتُ: لمن هذا القطار؟
فقال: للحسين بن عليّ عليهما السلام.
فأتيته فسلمت عليه وقلت له: أعطاك الله سؤلك، وأمّلك فيما تحبّ، بأبي أنت وأمّي يا ابن رسول الله، ما أعجلك عن الحجّ؟!
فقال: لو لم أعجل لأخذتُ! «١»
ثم قال لي: من أنت؟
قلتُ: امرؤ من العرب!

فلا والله ما فتننى عن أكثر من ذلك ..

مع الركب الحسينى (ج ٣)، ص: ١٧٧

ثم قال لى: أخبرنى عن الناس خلفك؟

فقلت: الخبير سألت، قلوب الناس معك وأسيفهم عليك «١» والقضاء ينزل من السماء، والله يفعل ما يشاء!

فقال: صدقت، لله الأمر، وكل يوم هو فى شأن! إن ينزل القضاء بما نحب ونرضى فنحمد الله على نعمائه وهو المستعان على أداء

الشكر، وإن حال القضاء دون الرجاء فلم يبعد من كان الحق نبيته والتقوى سريره.

فقلت له: أجل، بلغك الله ما تحب، وكفاك ماتحذر.

وسألته عن أشياء من نذور ومناسك، فأخبرنى بها، وحرك راحلته، وقال:

السلام عليك. ثم افرقنا! «٢»

ويبدو أن مكان هذا اللقاء هو بستان بنى عامر الذى ذكره سبط ابن الجوزى فى نقله خبر لقاء الفرزدق مع الإمام عليه السلام حيث قال:

«فلما وصل بستان بنى عامر

مع الركب الحسينى (ج ٣)، ص: ١٧٨

لقى الفرزدق الشاعر، وكان يوم التروية، فقال له: إلى أين يا ابن رسول الله، ما أعجلك عن الموسم؟!

قال: لولم أعجل لأخذت أخذاً! فأخبرنى يا فرزدق عما ورائك؟

فقال: تركت الناس بالعراق قلوبهم معك وسيوفهم مع بنى أمية، فاتق الله فى نفسك وارجع! «١»

فقال له: يا فرزدق، إن هؤلاء قوم لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد فى الأرض، وأبطلوا الحدود، وشربوا

الخمور، واستأثروا فى أموال الفقراء والمساكين، وأنا أولى من قام بنصرة دين الله وإعزاز شرعه والجهاد فى سبيله لتكون كلمة الله هى

العليا.

فأعرض عنه الفرزدق وسار! «٢» «٣»

ف «بستان ابن عامر هو أول منزل مر به الحسين عليه السلام». «٤»

مع الركب الحسينى (ج ٣)، ص: ١٧٩

(٢) - التنعيم ص: ١٧٩

إشارة

وهو موضع فى حل مكة، على فرسخين من مكة (١٢ كم)، وقيل على أربعة، وسمى بذلك لأن جبلاً عن يمينه يُقال له نعيم، وآخر عن

شماله يُقال له ناعم، والوادى نعمان، ومن موضع التنعيم يُحرم المكيون بالعمرة. «١»

قال البلاذرى: «ولقى الحسين بالتنعيم عيراً قد أقبل بها من اليمن، بعث بها بجير بن ريسان الحميرى إلى يزيد بن معاوية، وكان عامله

على اليمن، وعلى العير ورس وحلل، ورسله فيها ينطلقون إلى يزيد، فأخذها الحسين فانطلق بها معه، وقال لأصحاب الإبل: لا أكرهكم،

من أحب أن يمضى معنا الى العراق وفيناه كراه وأحسنا صحبتته، ومن أحب أن يفارقنا من مكاننا هذا أعطينا من الكراء على قدر

ماقطع من الأرض. فأوفى من فارقه حقه بالتنعيم، وأعطى من مضى معه وكساهم ..» «٢»

لكن الشيخ المفيد (ره) روى قصة هذه العير هكذا: «وسار حتى أتى التنعيم، فلقى عيراً قد أقبلت من اليمن، فاستأجر من أهلها جمالاً

لرحله وأصحابه، وقال لأصحابها: من أحب أن ينطلق معنا إلى العراق وفيناه كرائه وأحسننا صحبته، ومن أحب أن يفارقنا في بعض الطريق أعطيناه كراه على قدر ما قطع من الطريق. فمضى معه قوم وامتنع آخرون..» (٣)
مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٨٠

هل صادر الإمام عليه السلام الورس والخَلل فعلاً؟ ص : ١٨٠

قال المحقق القرشي: «وقد أنقذ الإمام عليه السلام هذه الأموال من أن تُنفق على موائد الخمر، وتدعيم الظلم، والإساءة إلى الناس، وقد تقدّم أن الإمام عليه السلام قام بنفس هذه العملية أيام معاوية. (١) وقد ذهب آية الله المغفور له السيد مهدي آل بحر العلوم إلى عدم صحة ذلك، فإنّ مقام الإمام عليه السلام أسمى وأرفع من الإقدام على مثل هذه الأمور، (٢) والذي نراه أنه لا مانع من ذلك إطلاقاً، فإنّ الإمام كان يرى الحكم القائم في أيام معاوية ويزيد غير شرعي، ويرى أن أموال المسلمين تُنفق على فساد الأخلاق ونشر العيب والمجون، فكان من الضروري إنقاذها لتنفق على الفقراء والمحتاجين، وأيّ مانع شرعي أو اجتماعي من ذلك؟» (٣)
ولقد علّق السيد ابن طاووس (ره) في ضمن خبر قصة هذه العير قائلاً: «فأخذ الهدية لأنّ حكم أمور المسلمين إليه». (٤)
ويقوى القول بأنّ الإمام عليه السلام قد استولى على هذه الهدايا الموجهة إلى يزيد، أن هناك روايات عديدة تتحدث عن ورس قد انتهب من مخيم الإمام الحسين عليه السلام بعد مقتله. (٥)

هل التقى الإمام الحسين ابن عمر في التنعيم؟ ص : ١٨٠

نقل لنا التاريخ خبر آخر لقاء لعبدالله بن عمر مع الإمام الحسين عليه السلام بعد
مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٨١
خروجه من مكة، (١) ففي أمالي الشيخ الصدوق (ره): «وسمع عبدالله بن عمر بخروجه، فقدّم راحلته وخرج خلفه مسرعاً، فأدركه في بعض المنازل.
فقال: أين تريد يا ابن رسول الله؟!
قال: العراق!
قال: مهلاً، إرجع إلى حرم جدك!
فأبى الحسين عليه السلام عليه، فلمّا رأى ابن عمر إباءه، قال: يا أبا عبدالله، إكشف لي عن الموضوع الذي كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقبله منك!
فكشف الحسين عليه السلام عن سرّته، فقبلها ابن عمر ثلاثاً وبكى وقال: أستودعك الله يا أبا عبدالله، فإنك مقتول في وجهك هذا!».
(٢)
وفي بعض المصادر: أنّه أدركه على ميلين من مكة، (٣) وفي أخرى: أنّه أدركه على مسير ليلتين أو ثلاث من المدينة، (٤) فقال: أين تريد؟

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٨٢
قال: العراق! - وكان معه طوامير وكتب -
فقال له: لا تأتهم!

فقال: هذه كتبهم وبيعتهم!

فقال: إن الله عز وجل خير نبيه بين الدنيا والآخرة فاختر الآخرة ولم يُرد الدنيا، وإنكم بضعة من رسول الله صلى الله عليه وآله، والله لا يليها أحد منكم أبداً! وما صرفها الله عز وجل عنكم إلا للذي هو خير لكم، فارجعوا!

فأبى وقال: هذه كتبهم وبيعتهم!

قال فاعتقه ابن عمر وقال: استودعك الله من قتيل!.. «١»

ولم نعر في مصدر من المصادر التاريخية - حسب متابعتنا - على تشخيص دقيق لمكان هذا اللقاء وتحديده، فقد كان هذا اللقاء في (بعض المنازل!) على رواية أمالي الصدوق، وكانت الإشارة إليه في مصادر أخرى تتحدث عن: ميلين من مكة! أو مسير ليلتين أو ثلاث من المدينة!

نعم: صرح المحقق السماوي (ره) ضمن استعراضه لمسير الإمام عليه السلام من مكة إلى العراق بأن هذا اللقاء كان في (التنعيم) حيث قال (ره): «ثم أصبح فسار، فمانعه ابن عباس وابن الزبير فلم يمتنع، ومرّ بالتنعيم فمانعه ابن عمر، وكان على ماء له فلم يمتنع...». «٢»

غير أن السماوي (ره) لم يُشر إلى المصدر الذي أخذ عنه هذا التحديد والتشخيص، ولعله (ره) كان قد استنتج - أن هذا اللقاء كان في التنعيم - استنتاجاً

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٨٣

من أكثر من إشارة ودلالة تاريخية، أو لعله (ره) كان قد أراد عبدالله بن مطيع العدوي بدلاً من عبدالله بن عمر، لكنّ قلمه الشريف كتب ابن عمر بدلاً من ابن مطيع سهواً وعفواً، ذلك لأنّ ابن مطيع في لقائه الأخير مع الامام عليه السلام كان على ماء له وليس ابن عمر! والله العالم.

منطق ابن عمر! ص: ١٨٣

«لقد كان عبدالله بن عمر لساناً من الألسنة التي خدمت الحكم الأموي، بل كان بوقاً أمويّاً حرص على عزف النغمة النشاز في أنشودة المعارضة! وسعى إلى تحطيم المعارضة من داخلها، ولا يُعبأ بما صوّره به بعض المؤرخين من أنه كان رمزاً من رموزها، لأنّ المتأمل المتدبر لا يجد لابن عمر هذا أيّ حضور في أيّ موقف معارضٍ جاد! بل يراه غائباً تماماً عن كل ساحة صدق في المعارضة! وإذا تأمل المحقق ملياً وجد عبدالله بن عمر ينتمي انتماءً تاماً - عن إصرار وعناد - إلى حركة النفاق التي قادها حزب السلطة منذ البدء، ثم لم يزل يخدم فيها حتى في الأريام التي آلت قيادتها فيها إلى الحزب الأموي بقيادة معاوية، ثم يزيد! هذه هي حقيقة ابن عمر، وإنّ تكلف علاقات حسنة في الظاهر مع وجوه المعارضة عامّة ومع الإمام الحسين عليه السلام خاصّة، وحقيقة ابن عمر هذه يكشف عنها معاوية لابنه يزيد في وصيته إليه بلا رتوش نفاقية حيث يقول له: «فأما ابن عمر فهو معك! فالزمه ولا تدعه!». «١».. «٢»

وهنا في هذا اللقاء أيضاً نجد ابن عمر يتحدّث عن لسان الأمويين بصورة

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٨٤

غير مباشرة، فمعاوية الذي أشاع في الناس الفكر الجبري بأنّ حكمه وما يفعله بالأمة من قضاء الله الذي لا يُبدل! وليس للأمة إلا التسليم أمام الإرادة الإلهية في ذلك! أذاع في الناس أيضاً من خلال كثير من وعاظ السلاطين - أمثال عبدالله بن عمر - أن الله اختار آل النبي صلى الله عليه وآله الآخرة ولم يُرد لهم الدنيا بمعنى أنّ هؤلاء المصطفين لم يُرد الله لهم أن يكونوا حكاماً!! ولذا فقد صرفها عنهم لما هو خير لهم!!

والأعجب أن ابن عمر في ذروة اندفاعه - امتثالاً لأمر الأمويين - لمنع الإمام عليه السلام من مواصلة سفره إلى العراق، ينسى نفسه

ويذهل عن أنه يخاطب أحد أفراد العترة المطهرة- الذين هم مع القرآن والقرآن معهم لا يفارقهم، والذين هم أعلم الخلق بإرادة الله في التشريع والتكوين- فيقول له: والله لا يليها أحدٌ منكم أبداً!! مخالفاً بذلك لصريح الحقائق القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة المتواترة، لا أقل في ما أجمعت عليه الأمة عن نبيها صلى الله عليه وآله في أن المهدي عليه السلام وهو من ولد فاطمة عليها السلام، ومن ولد الحسين عليه السلام، هو الذي سوف يملأ الأرض عدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً!

لقد كان منتهى ما يتمناه ابن عمر- الأموي الهوي- هو أن يمنع الإمام عليه السلام من أصل القيام والنهضة، لا من السفر إلى العراق فحسب، ولذا نراه يعبر بعد فشله في مسعاه عن هذه الأمنية الخائبة فيقول: «غلبنا الحسين بن علي بالخروج! ولعمري لقد رأى في أبيه وأخيه عبرة، ورأى من الفتنة وخذلان الناس لهم ما كان ينبغي أن لا يتحرك ما عاش!! وأن يدخل في صالح ما دخل فيه الناس!! فإن الجماعة خير..». (١)

معالركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٨٥

لقد كان أفضل رد على منطلق ابن عمر هو رد الإمام الحسين عليه السلام نفسه حيث قال له في محاورته إياه في مكة: «أف لهذا الكلام أبداً مادامت السماوات والأرض!». (١)

(٣) - الصفاح ص : ١٨٥

إشارة

«وهو موضع بين حنين وأنصاب الحرم، على يسرة الداخل الى مكة من مشاش، وهناك لقي الفرزدق الحسين بن علي رضي الله عنه لما عزم على قصد العراق، قال:

لقيت الحسين بأرض الصفاح عليه اليلامق والدرق». (٢)

وروى البلاذري أيضاً قائلاً: «ولمّا صار الحسين إلى الصفاح لقيه الفرزدق ابن غالب الشاعر، فسأله عن أمر الناس وراءه، فقال له الفرزدق: الخبير سألت، إن قلوب الناس معك وسيوفهم مع بني أمية، والقضاء ينزل من السماء، والله يفعل ما يشاء. فقال الحسين: صدقت..». (٣)

وكذلك روى الدينوري أن الفرزدق لقي الإمام عليه السلام في الصفاح (٤) وكذلك روى ابن الأثير، (٥) والطبري، (٦) وابن مسكويه (٧).

معالركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٨٦

أين لقي الفرزدق الإمام عليه السلام بالضبط؟ ص : ١٨٦

من الوقائع التي تفاوتت الروايات التاريخية تفاوتاً غير يسير فيها واقعة لقاء الفرزدق الشاعر مع الإمام الحسين عليه السلام، خصوصاً في تحديد مكان هذا اللقاء.

نجد من المؤرخين من لا يذكر المنزل لامن قريب ولا بعيد، كالإربلي (ره) حيث يقول: «وقال الفرزدق لقيني الحسين في منصرفي من الكوفة..»، (١) ومنهم من يذكر أن هذا اللقاء كان في أرض الحرم وخارج مكة، كما مر في رواية الشيخ المفيد (ره) والطبري، (٢) ومنهم من يشخص مكانه في أرض الحرم كسبط ابن الجوزي حيث قال: «فلمّا وصل بستان بني عامر لقي الفرزدق الشاعر..»، (٣)

ومنهم من روى أنهما التقيا في ذات عرق، كابن عساكر، والبلاذري، «٤» ومنهم من قال في الشقوق، كابن شهر آشوب، والأربلي في قول ثانٍ، «٥» ومنهم من قال في الصفاح، كالبلاذري، وابن الأثير، والطبري، وابن مسكويه، والحموي، والدينوري، «٦» ومنهم من قال إنهما التقيا بعد خروج الإمام عليه السلام من منطقة زُبالة، كالسيد ابن طاووس (ره) حيث قال: «ثم إن الحسين عليه السلام سار من زُبالة قاصداً لما دعاه الله إليه فلقية الفرزدق الشاعر ..». «٧»

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٨٧

وقول السيد ابن طاووس (ره) - على فرض أن الفرزدق كان في طريقه إلى مكة - هو أبعد الأقوال، بل لا يمكن أن يؤخذ به! لأن الفرزدق لا يمكن أن يُدرك الحج إذا كان قد التقى الإمام عليه السلام - الذي خرج من مكة يوم التروية - قبل زبالة من جهة الكوفة، وذلك لبعده المسافة التي تستغرق أياماً بين زبالة ومكة المكرمة، فعلى هذا تكون أيام الحج قد انتهت والفرزدق عند زبالة لم يصل بعد إلى مكة!

أما أقرب الأقوال وأقواها هو ما رواه الشيخ المفيد والطبري وسبط ابن الجوزي من أن هذا اللقاء كان في أرض الحرم أطراف مدينة مكة، وفي بستان بنى عامر على حدّ نقل سبط ابن الجوزي، وذلك لأنّ هذا اللقاء كان في يوم التروية، فلا بدّ أن يكون مكان اللقاء على هذا القرب - قريباً جداً - من مكة حتى يستطيع الفرزدق مع أمه إدراك أعمال الحج في وقتها.

نعم، يمكن أن نحتمل إمكان أن الفرزدق لقي الإمام عليه السلام ما بعد زبالة - على قول السيد ابن طاووس (ره) - فقط على فرض أن هذا اللقاء كان اللقاء الثاني بينهما - بعد عودة الفرزدق من مكة بعد أدائه الحج - وهو احتمال بعيد، لبعده المسافة بين مكة وزبالة التي هي قريب من القادسية! نعم، يمكن أن يُقال بإمكان ذلك إذا كان الفرزدق قد ترك مكة مباشرة بعد انتهاء أعمال الحج، وجدّ في السير على أثر الإمام عليه السلام فلم يلو على شيء حتى أدرك الإمام عليه السلام فيما بعد زبالة، ولكن لم نعثر على إشارة تاريخية تفيد أن الفرزدق قد قام بهذا فعلاً!

وإذا صحّ أن هذا اللقاء - على رواية السيد ابن طاووس (ره) - كان اللقاء الثاني بينهما، بعد عودة الفرزدق من الحج، فلا يستبعد عندئذٍ ما رواه السيد (ره) من أن الفرزدق بعد أن سلّم على الإمام عليه السلام قال: «يا ابن رسول الله كيف تركن إلى أهل

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٨٨

الكوفة وهم الذين قتلوا ابن عمك مسلم بن عقيل وشيعته؟!»، «١» ذلك لأنّ خبر مقتل مسلم عليه السلام آتئذٍ كان قد شاع في الديار، أو أنّ الفرزدق على الأقلّ كان قد علم خبره من أوساط الركب الحسيني نفسه قبل سلامه على الإمام عليه السلام وقد استدلّ بعض المحققين «٢» على أن الصحيح هو أن لقاء الفرزدق مع الإمام عليه السلام كان في الصفاح لأنّ الفرزدق نظم في ذلك شعراً، وهو استدلال ساذج لإمكان أن ينظم هذا الشعر غير الفرزدق ثم ينسبه إليه!

وفي ختام البحث حول لقاء الفرزدق مع الإمام عليه السلام، يحسن هنا أن ننقل نصّ المحاوره بينهما - على رواية الأربلي (ره) - عن لسان الفرزدق أنه قال: «لقيني الحسين عليه السلام في منصرفي من الكوفة، فقال: ما وراءك يا أبافراس؟

قلت: أصدّقك؟

قال: الصدق أريد!

قلت: أمّا القلوب فمعك، وأمّا السيوف مع بني أمية! والنصر من عند الله.

قال: ما أراك إلّا صدقت! الناس عبيد المال! والدّين لغو (لعق) على ألسنتهم، يحوطونه مادرت به معاشهم! فإذا مَحَصُوا بالبلاء قلّ الدّيانون!». «٣»

إشارة

«ذات عرق مَهَلُّ أهل العراق، وهو الحدُّ بين نجد وتُّهامة، وقيل: عرق جبل

معالركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٨٩

بطريق مكَّة، ومنه ذات عرق ...». (١)

«ويعتبر الشَّيْنة ذات عرق ميقات العراقيين وأهل الشرق، بينما يحتاط فقهاء الإمامية بالإحرام من المسلخ وهو أبعد عن مكَّة، وتبعد ذات عرق مرحلتين عن مكَّة (أى حوالى ٩٢ كم)». (٢)

لقاء بشر بن غالب الأسدي «٣» مع الإمام عليه السلام! ص : ١٨٩

إشارة

قال السيد ابن طاووس (ره): «ثمَّ سار حتَّى بلغ ذات عرق فلقى بشر بن غالب وارداً من العراق، فسأله عن أهلها، فقال: خلَّفت القلوب معك، والسيوف مع بنى امية! فقال عليه السلام: صدق أخو بنى أسد، إنَّ الله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد». (٤)

معالركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٩٠

إشارة: ص : ١٩٠

فى لقاء الإمام عليه السلام مع كلِّ من الفرزدق وبشر بن غالب، نلاحظ أنَّ كلًّا من الرجلين كان قد أخبر الإمام عليه السلام أنَّ القلوب فى الكوفة معه وأنَّ السيوف مع بنى أمية! وكان هذا قبل مجيء خبر مقتل مسلم بن عقيل عليه السلام! ونلاحظ أيضاً أنَّ الإمام عليه السلام قد صدَّق كلًّا من الرجلين! فهذا التصديق من أوثق الدلائل التاريخية على علم الإمام عليه السلام منذ البدء بأنَّ أهل الكوفة سوف يخذلونه ويقتلونه، وكان عالماً منذ البدء بأنَّ مصيره الشهادة.

تأمَّل:

أين مضى بشر بن غالب بعد لقائه بالإمام عليه السلام؟! ولماذا لم يلتحق به وينضمَّ إلى ركبته؟! وهو الذى روى عنه عليه السلام خاصة من الدعاء، وفى ثمرة حبِّ أهل البيت عليهم السلام، وفى الإمامة، وفى أخبار القائم عليه السلام، وفى غير ذلك، ما يكشف عن معرفته واعتقاده بأهل البيت عليهم السلام وحبِّهم لهم؟!

هل كان معذوراً فى مفارقتة الإمام عليه السلام وفى عدم نصرته؟! هذا ما لا نعلم عنه شيئاً حسب متابعتنا القاصرة، وهو ممَّا سكت عنه المؤرِّخون والرجاليون!

والفرزدق .. مرَّة أخرى؟! ص : ١٩٠

روى البلاذرى عن الزبير بن الخزيت قال: «سمعت الفرزدق قال: لقيتُ الحسين بذات عرق وهو يريد الكوفة، فقال لى: ما ترى أهل الكوفة صانعين، فإنَّ معى جُملاً من كتبهم؟ قلت: يخذلونك فلا تذهب، فإنَّك تأتي قوماً قلوبهم معك وأيديهم عليك! فلم يُطعننى!». (١)

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٩١

وقد مرّ بنا في الإجابة عن هذا السؤال: أين لقي الفرزدق الإمام عليه السلام بالضبط؟

أنّ أقرب الأقوال وأقواها هو أنّ الفرزدق لقي الإمام عليه السلام في بستان بنى عامر على مشارف مكة وأوائل الأرض الحرام، لأنّ هذا اللقاء ينبغي أن يكون يوم التروية- يوم خروج الإمام عليه السلام من مكة- وينبغي أن يكون قريباً جداً من مكة، حتى يستطيع الفرزدق إدراك أعمال الحجّ في وقتها.

هل لقي الإمام عليه السلام بذات عرق بن عبدالله بن جعدة؟ ص : ١٩١

وروى البلاذري أيضاً فقال: «قالوا: ولحق الحسين عون بن عبدالله بن جعدة بن هبيرة بذات عرق بكتاب من أبيه يسأله فيه الرجوع، وذكر ما يخاف عليه من مسيره! فلم يُعجبه!». «١»

يُستفاد من نصّ هذه الرواية أنّ عوناً هذا كان في مكة وسار حتى أدرك الإمام عليه السلام بذات عرق، بدليل كلمة «ولحق»، وأنّ أباه عبدالله موجود في مكة المكرمة، بدليل عبارة «يسأله فيه الرجوع».

فالظاهر أنّ الراوي قد اشتبه فذكر إسم عون بن عبدالله بن جعدة بدلاً من إسم عون بن عبدالله بن جعفر!

يؤيّد هذا: أولاً: أنّ التاريخ حدّثنا عن التحاق عون ومحمّد ولدى عبدالله بن جعفر بن أبي طالب بالإمام عليه السلام بعد خروجه من مكة.

وثانياً: أنّ التاريخ حدّثنا أيضاً أنّ بنى جعدة بن هبيرة المخزومي كانوا في الكوفة، وقد كان بنو جعدة ممّن اجتمع من الشيعة في دار سليمان بن صرد الخزاعي بعد شهادة الإمام الحسن عليه السلام، وكتبوا إلى الإمام عليه السلام يعزّونه، ويخبرونه

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٩٢

بحسن رأى أهل الكوفة فيه، وحبّهم لقدمه، وتطلّعهم إليه ... «١»

فضلاً عن كلّ هذا، فإنّ هذا الخبر مما تفرّد به البلاذري، ولم نعره عليه عند مؤرّخ آخر، ليساعدنا على كشف غموضه ورفع اضطرابه.

(٥) - الحاجر من بطن الرمة ص : ١٩٢

إشارة

«بضمّ الراء، وتشديد الميم .. وهو واد معروف بعاليه نجد، وقال ابن دريد:

الرّمّة قاع عظيم بنجد، تنصبّ إليه أودية». «٢» و «الحاجر: بالجيم والراء، وفي لغة العرب: ما يمسك الماء من شفه الوادي ..» «٣» و «بطن

الرّمّة: منزل لأهل البصرة إذا أرادوا المدينة، وفيه يجتمع أهل الكوفة والبصرة، ويقع شمال نجد ..». «٤»

روى الطبري قائلاً: «ولمّا بلغ عبيدالله إقبال الحسين من مكة الى الكوفة بعث الحصين بن نمير صاحب شرطه حتى نزل القادسية، ونظّم

الخيّل ما بين القادسية إلى خفّان، وما بين القادسية إلى القطقطانة، وإلى لعل، وقال للناس: هذا الحسين يُريد العراق!». «٥»

ثمّ إنّ الحسين عليه السلام: «أقبل حتّى إذا بلغ الحاجر من بطن الرّمّة، بعث قيس بن مسهر الصيداوى إلى أهل الكوفة، «٦» وكتب معه

إليهم:

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٩٣

(بسم الله الرحمن الرحيم. من الحسين بن علي إلى إخوانه من المؤمنين والمسلمين. سلام عليكم، فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد:

فإن كتاب مسلم بن عقيل جاءني يخبرني فيه بحسن رأيكم، واجتماع ملتكم على نصرنا والطلب بحقنا، فسألت الله أن يحسن لنا الصنع، وأن يثيبكم على ذلك أعظم الأجر، وقد شخصت إليكم من مكة يوم الثلاثاء لثمان مضي من ذي الحجة يوم التروية، فإذا قدم عليكم رسولي فاكمشوا أمركم وجدوا، فإني قادم عليكم في أيامي هذه إن شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

وأقبل قيس بن مسهر الصيداوي إلى الكوفة بكتاب الحسين، حتى إذا انتهى إلى القادسية أخذه الحصين بن نمير، فبعث به إلى عبيدالله بن زياد، فقال له عبيدالله: إصعد إلى القصر، فسب الكذاب ابن الكذاب!

فصعد، ثم قال: أيها الناس، إن هذا الحسين بن علي خير خلق الله، ابن فاطمة بنت رسول الله، وأنا رسوله إليكم، وقد فارقت بالحاجر، فأجيبوه. ثم لعن عبيدالله بن زياد وأباه، واستغفر لعلي بن أبي طالب.

قال: فأمر به عبيدالله بن زياد أن يرمى به من فوق القصر، فرمى به فتقطع فمات. «١»

مع الراكب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٩٤

وقال السيد ابن طاووس (ره): «قال الراوي وكتب الحسين عليه السلام كتاباً إلى سليمان بن صرد الخزاعي، والمسيب بن نجبه، ورفاعة بن شداد، وجماعة من الشيعة بالكوفة، وبعث به مع قيس بن مسهر الصيداوي، فلما قارب دخول الكوفة اعترضه الحصين بن نمير صاحب عبيدالله بن زياد لعنه الله ليفتشه فأخرج قيس الكتاب ومزقه، فحملة الحصين بن نمير إلى عبيدالله بن زياد، فلما مثل بين يديه قال له: من أنت؟

قال: أنا رجل من شيعة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وابنه!

قال: فلماذا خرقت الكتاب؟!

قال: لئلا تعلم ما فيه!

قال: وممن الكتاب وإلي من؟!

قال: من الحسين عليه السلام إلى جماعة من أهل الكوفة لا أعرف أسماءهم!

فغضب ابن زياد وقال: والله لا تفارقني حتى تخبرني بأسماء هؤلاء القوم، أو تصعد المنبر فتلعن الحسين بن علي وأباه وأخاه! وإلا قطعتك إرباً إرباً!

فقال قيس: أما القوم فلا أخبرك بأسمائهم! وأما لعن الحسين عليه السلام وأبيه وأخيه فأفعل!

فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على النبي صلى الله عليه وآله، وأكثر من الترحم على علي والحسن والحسين صلوات الله عليهم، ثم لعن عبيدالله بن زياد وأباه، ولعن عتاة بني أمية عن آخرهم! ثم قال: أيها الناس، أنا رسول الحسين عليه السلام إليكم، وقد خلفته بموضع كذا فأجيبوه. فأخبر ابن زياد بذلك، فأمر بإلقائه من

مع الراكب الحسيني (ج ٣)، ص: ١٩٥

أعلى القصر، فألقى من هناك فمات، فبلغ الحسين عليه السلام موته فاستعبر بالبكاء ثم قال:

اللهم اجعل لنا ولشيعتنا منزلاً كريماً واجمع بيننا وبينهم في مستقر من رحمتك إنك على كل شيء قدير.

وروي أن هذا الكتاب كتبه الحسين عليه السلام من الحاجر، وقيل غير ذلك. «١»

قيس بن مسهر (رض) أم عبدالله بن يقطر (رض)؟ ص: ١٩٥

هناك قضية لم تزل غامضة مبهمه على أكثر المتبعين لحركة أحداث النهضة الحسينية- والقضايا الغامضة في إطار هذه النهضة المقدسة كثيرة!- وهى:

هل أن الرسول الذى بعثه الإمام عليه السلام أثناء الطريق بعد الخروج من مكة الى العراق، فألقى القبض عليه فى القادسية، ثم أمر به ابن زياد فألقى مكتوفاً من أعلى القصر فقضى نحبه، هو قيس بن مسهر (رض) أم عبدالله بن يقطر (رض)؟! ولقد عبّر الشيخ المفيد (ره) عن هذا الغموض والإبهام أفضل تعبير بقوله:

«ويقال بل بعث أخاه من الرضاة عبدالله بن يقطر إلى الكوفة ..». (٢)

أم أن كلاً منهما كان رسولاً للإمام أثناء الطريق إلى الكوفة، وكلاً منهما ألقى عليه القبض فى القادسية، وكلاً منهما أمر به ابن زياد فألقى من أعلى القصر فمضى شهيداً؟!

أم أن هناك تفاوتاً بين قصتي هذين الشهيدين العظيمين؟

من أجل استكشاف الحقيقة وإزالة الإبهام والغموض فى هذا الصدد نضع

معالركب الحسينى (ج ٣)، ص: ١٩٦

الملاحظات التالية بين يدي القارىء الكريم:

(١)- تؤكد مصادر تاريخية على أن كلاً من هذين الشهيدين كان رسولاً للإمام عليه السلام إلى الكوفة، لكنها تحدد المكان الذى أرسل الإمام عليه السلام منه قيس بن مسهر (رض) إلى الكوفة وهو الحاجر من بطن الرمية، ولا تحدد المكان الذى أرسل الإمام عليه السلام منه ابن يقطر (رض) إلى الكوفة ولا زمان ذلك، فمثلاً: يقول مؤرخون: «ثم إن الحسين لَمَّا وصل الى الحاجر من بطن الرمة كتب كتاباً الى مسلم وإلى الشيعة بالكوفة وبعثه مع قيس ..» (١) لكنهم يصدد ابن يقطر يقولون: «وكان قد سرحه إلى مسلم بن عقيل من الطريق وهو لا يدري أنه أصيب..» (٢)

نعم، هناك ملاحظة مهمة صرح بها الشيخ السماوى (ره) قائلاً: «وقال ابن قتيبة وابن مسكويه: إن الذى أرسله الحسين قيس بن مسهر .. وإن عبدالله بن يقطر بعثه الحسين عليه السلام مع مسلم، فلما أن رأى مسلم الخذلان قبل أن يتم عليه ماتم بعث عبدالله إلى الحسين يخبره بالأمر ..»، (٣) فإذا صح هذا يكون رسول الإمام عليه السلام الى الكوفة أثناء الطريق هو قيس بن مسهر لاسواه.

(٢)- على فرض أن عبدالله بن يقطر (رض) كان أيضاً رسولاً من قبل الإمام عليه السلام الى الكوفة بعد خروجه من مكة، فإن إرساله الى الكوفة كان قبل إرسال قيس بن مسهر (رض) زمانياً، وقبل منطقة الحاجر من بطن الرمية مكانياً، ذلك لأنه- على الأقل- كان قد وصل الى القادسية وأخذ وقتل بإلقائه من أعلى القصر قبل

معالركب الحسينى (ج ٣)، ص: ١٩٧

فترة من وصول قيس بن مسهر (رض) الذى قتل بعد مقتل مسلم عليه السلام، بدليل أن خبر مقتل عبدالله بن يقطر (رض) كان قد وصل الى الامام الحسين عليه السلام- بزبالة- بعد خبر مقتل مسلم عليه السلام وهانى بن عروة (رض) بقليل، فنعاهم الإمام عليه السلام قائلاً:

«أمياً بعدد، فقد أتانا خبرٌ فظيع! قُتل مسلم بن عقيل، وهانى بن عروة، وعبدالله بن يقطر ..»، (١) وأمياً خبر مقتل قيس (رض) فقد بلغ الإمام عليه السلام- بعد ذلك بفترة- فى عذيب الهجانات. (٢)

إذن لامانع من أن يكون كل منهما رسولاً للإمام عليه السلام إلى الكوفة بعد خروجه عليه السلام من مكة، لكن إرسال ابن يقطر (رض) كان قبل إرسال ابن مسهر (رض)، وقد قُتلا بنفس القتل باللقاء من أعلى القصر، لكن ابن يقطر (رض) قُتل قبل ابن مسهر (رض) بفترة.

(٣)- هناك مصادر تاريخية تقول إن عبدالله بن يقطر (رض) كان رسولاً من قبل مسلم عليه السلام، فقبض عليه بعد خروجه من الكوفة

عند أطرافها قريباً من القادسية، وكان مقتله قبل مقتل مسلم بن عقيل عليه السلام، فقد ورد في رواية ابن شهر آشوب أن عبيد الله بن زياد بعد أن زار شريك بن الأعور الحارثي في مرضه (في بيت هانيء بن عروة)، وجرى ما جرى من حث شريك مسلماً عليه السلام على قتل عبيد الله من خلال رمز «ما الإنتظار بسلمي أن تحيها..»، فأوجس عبيد الله منهم خيفةً فخرج: «فلما دخل القصر أتاه مالك بن يربوع التميمي بكتاب أخذه من يدى عبدالله بن يقطر، فإذا فيه: للحسين بن علي، أما بعد: فأني أخبرك أنه قد بايعك من أهل الكوفة كذا، فإذا أتاك كتابي هذا فالعجل العجل، فإن الناس معك،

مع الרכب الحسيني (ج ۳)، ص: ۱۹۸

وليس لهم في يزيد رأى ولاهوى. فأمر ابن زياد بقتله»، «۱» وكذلك روى السيد محمد بن أبي طالب في كتابه تسلية المجالس، «۲» فإذا أضفنا إلى هاتين الروايتين ما ذكره الشيخ السماوي (ره) عن ابن قتيبة وابن مسكويه من أن الإمام الحسين عليه السلام كان قد أرسل عبدالله بن يقطر (رض) مع مسلم عليه السلام، فلما أن رأى مسلم الخذلان قبل أن يتم عليه ماتم بعث عبدالله إلى الحسين يخبره بالأمر .. «۳»

يتحقق إذن على أساس ذلك تفاوت بين قصتي هذين الشهيدين (رض)، إذ يكون عبدالله بن يقطر (رض) مبعوثاً مع مسلم عليه السلام إلى الكوفة من مكة - أو رسولاً من قبل الإمام عليه السلام إلى الكوفة بعد خروجه من مكة - وحين ألقى القبض عليه كان حاملاً كتاباً من مسلم عليه السلام إلى الإمام عليه السلام، لا كحال قيس بن مسهر (رض) الذي ألقى عليه القبض وهو رسول من الإمام عليه السلام يحمل كتاباً منه إلى الكوفة، إلى مسلم عليه السلام أو إلى بعض وجوه الشيعة فيها.

والمسألة لاتزال بحاجة الى مزيد من البحث والتنقيب والتحقيق، وباب المعرفة لازال مفتوحاً على مصراعيه، فكم ترك الأول للآخر!

اللقاء الثاني لعبدالله بن مطيع «۴» مع الامام عليه السلام ص : ۱۹۸

إشارة

قال الشيخ المفيد (ره): «ثم أقبل الحسين عليه السلام من الحاجر يسير نحو الكوفة، فانتهى إلى ماء من مياه العرب، فإذا عليه عبدالله بن مطيع العدوي وهو نازل به، فلما رأى الحسين عليه السلام قام إليه فقال: بأبي أنت وأمي يا ابن رسول الله، ما أقدمك؟!»

مع الרכب الحسيني (ج ۳)، ص: ۱۹۹

واحتمله فأنزله فقال له الحسين عليه السلام:

كان من موت معاوية ما قد بلغك، فكتب إلي أهل العراق يدعونني إلى أنفسهم.

فقال له عبدالله بن مطيع: أذكرك الله يا ابن رسول الله وحرمة الإسلام أن تنتهك! أنشدك الله في حرمة قريش! أنشدك الله في حرمة العرب! فوالله لئن طلبت ما في أيدي بني أمية ليقنتنك، ولئن قتلوك ليهابون بعدك أحداً أبداً، والله إنها لحرمة الإسلام تنتهك وحرمة قريش وحرمة العرب! فلاتفعل ولا تأت الكوفة، ولا تعرض نفسك لبني أمية.

فأبى الحسين عليه السلام إلّا أن يمضى!.. «۱»

إشارة: ص : ۱۹۹

كان هذا هو اللقاء الثاني لعبدالله بن مطيع العدوي مع الإمام عليه السلام، إذ كان اللقاء الأول بينهما بين المدينة ومكة، عند بئر لهذا العدوي كان يحفره آنذاك، «۲» وهذا العدوي: «رجل من قريش، همّة العافية والمنفعة الذاتية، وحرصه على مكانة قريش والعرب أكبر من حرصه على الإسلام، وهو ليس من طلباب الحق ولا من أهل نصرته والدفاع عنه، وكاذب في دعوى مودة أهل البيت عليهم

السلام مع معرفته

معالركب الحسينى (ج ۳)، ص: ۲۰۰

بمزلتهم الخاصة عندالله تبارك وتعالى ... ونرى ابن مطيع هذا يكشف عن كذبه فى دعوى حبه للإمام عليه السلام، حين انضم الى ابن الزبير وصار عاملاً له على الكوفة «فجعل يطلب الشيعة ويخيفهم»، «۱» وقتلهم فى مواجهته لحركة المختار! واستعان عليهم بقتله الإمام الحسين عليه السلام أنفسهم، أمثال شمر بن ذى الجوشن، وشبث بن ربعى، وغيرهم! وفى أول خطبة له فى الكوفة أعلن عن عزمه على تنفيذ أمر ابن الزبير فى السير بأهل الكوفة بسيرة عمر بن الخطاب وسيرة عثمان بن عفان! لكنّه فوجيء بحنين أهل الكوفة إلى سيرة عليّ عليه السلام ورفضهم للسير الأخرى .. «۲»

ولقد كان الإمام الحسين عليه السلام يعرفه تمام المعرفة! ويعرف حقيقة دعاواه! وكان يعامله بأدبه الإسلامى السامى، فلا يكذب له دعواه فى المودة وفى حرصه على ألا يقتل، لكنه عليه السلام لم يُطلعه على شىء من أمر نهضته إلا بقدر ما يناسبه، ففى لقائه الأول معه لم يكشف له إلا عن مقصده المرحلى (مكة)، ولم يكشف له عن شىء مما بعدها إلا «فإذا صرت إليها استخرتُ الله تعالى فى أمرى بعد ذلك!» «۳»

أو «يقضى الله ما أحب!»، «۴» أما فى لقائه الثانى فكان لابدّ- وقد رآه فى الطريق إلى العراق- أن يكشف له عن ظاهر علّة سفره إلى العراق، أى رسائل أهل الكوفة إليه عليه السلام، ويُلاحظ بوضوح أن الإمام عليه السلام فى كلا اللقائين لم يكن يعابى بمعارضة العدوى هذا وإصراره وتوسلاته، بل كان عليه السلام يمرّ به مرور الكرام!

معالركب الحسينى (ج ۳)، ص: ۲۰۱

٦- الخزيمة ص: ۲۰۱

«بضم أوله وفتح ثانيه، تصغير خزيمة، منسوبه إلى خزيمة بن خازم فيما أحسب، وهو منزل من منازل الحجّ بعد الثعلبية من الكوفة وقبل الأجر، وقال قوم: بينه وبين الثعلبية إثنان وثلاثون ميلاً، وقيل: إنه الخزيمة بالحاء المهملة..» «۱» وقيل: «الخزيمة: نسبة الى خزيمة بن حازم، وهى قبل زرود» «۲».

قال ابن أعثم الكوفى: «وسار الحسين حتى نزل الخزيمة، وأقام بها يوماً وليلة، فلما أصبح أقبلت إليه أخته زينب بنت عليّ فقالت: يا أخى ألا أخبرك بشىء سمعته البارحة؟! فقال الحسين عليه السلام: وما ذاك؟

فقالت: خرجت فى بعض الليل لقضاء حاجة فسمعت هاتفاً بهتف وهو يقول:

ألا يا عيّن فاحتفلى بجهدٍ ومن يبكى على الشهداء بعدى

على قوم تسوقهم المنايا بمقدارٍ إلى إنجاز وعدٍ

فقال لها الحسين عليه السلام: يا أختاه! المقضى هو كائن! «۳»

معالركب الحسينى (ج ۳)، ص: ۲۰۲

٧- زرود ص: ۲۰۲

«الزُّرْدُ: البُلْعُ، ولعلها سُمِّيت بذلك لابتلاعها المياه التي تمطرها السحائب، لأنها رمال بين الثعلبية والخزيمية بطريق الحاج من الكوفة.. وتسمى زرود العتيقة، وهي دون الخزيمية بميل، وفي زرود بركة وقصر وحوض!». (١)

إضمام زهير بن القين (رض) إلى الركب الحسيني! ص : ٢٠٢

قال الدينوري: «ثُمَّ سار حتّى انتهى إلى زَرُود، فنظر إلى فسطاط مضروب، فسأل عنه، فقيل له: هو لزهير بن القين. وكان حاجاً أقبل من مكة يريد الكوفة، فأرسل إليه الحسين: أن القنى أكلّمك.

فأبى أن يلقاه! وكانت مع زهير زوجته، فقالت له: سبحان الله! يبعث إليك ابن رسول الله صلى الله عليه وآله فلا تجيبه! فقام يمشى إلى الحسين عليه السلام، فلم يلبث أن انصرف وقد أشرق وجهه! فأمر بفسطاطه فقلّع، وضرب إلى لزيق فسطاط الحسين! ثم قال لامرأته: أنت طالق! فتقدّمت مع أخيكَ حتّى تصلى إلى منزلك، فإني قد وطّنت نفسي على الموت مع الحسين عليه السلام! ثم قال لمن كان معه من أصحابه: من أحبّ منكم الشهادة فليقيم، ومن كرهها فليتقدّم.

فلم يقيم معه منهم أحد! وخرجوا مع المرأة وأخيها حتّى لحقوا بالكوفة». (٢)

وروى الطبري في تاريخه عن رجل من بني فزارة قال: «كُنّا مع زهير بن القين

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢٠٣

الجبلي حين أقبلنا من مكة نساير الحسين! فلم يكن شيء أبغض إلينا من أن نسايره في منزل! فإذا سار الحسين تخلّف زهير بن القين، وإذا نزل الحسين تقدّم زهير! حتّى نزلنا يومئذ في منزل لم نجد بداً من أن ننازله فيه، فنزل الحسين في جانب ونزلنا في جانب، فبينما نحن جلوس نتغذى من طعام لنا إذا أقبل رسول الحسين حتّى سلّم ثمّ دخل، فقال: يا زهير بن القين، إنّ أبا عبد الله الحسين بن عليّ بعثنى إليك لتأتيه.

قال فطرح كلُّ إنسان ما في يده حتّى كأننا على رؤوسنا الطير!». (١)

ثم يواصل الطبري قصة هذا الحدث قائلاً: «قال أبو مخنف: فحدّثني دلهم بنت عمرو امرأة زهير بن القين قالت: فقلت له: أبعث إليك ابن رسول الله ثمّ لا تأتيه؟! سبحان الله، لو أتيته فسمعت من كلامه ثمّ انصرفت! قالت: فأتاه زهير بن القين، فما لبث أن جاء مستبشراً قد أسفر وجهه! قالت:

فأمر بفسطاطه وثقله ومتاعه فقدم وحمل إلى الحسين! ثمّ قال لامرأته: أنت طالق، إلحقي بأهلك فإني لا أحبُّ أن يُصيبك من سببي إلّا خيراً!

ثمّ قال لأصحابه: من أحبّ منكم أن يتبعني وإلّا فإنه آخر العهد!

إني سأحدّثكم حديثاً: غزونا بَلَنْجَر «٢» ففتح الله علينا، وأصبنا غنائم، فقال لنا سلمان الباهلي: «٣» أفرحتم بما فتح الله عليكم وأصبتم من المغانم؟

فقلنا: نعم.

فقال لنا: إذا أدرتكم شباب «٤» آل محمّد فكونوا أشدّ فرحاً بقتالكم معهم بما

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢٠٤

أصبتم من الغنائم. فأما أنا فإني استودعكم الله! ..». (١)

وفي رواية السيد ابن طاووس (ره) أنّ زهير بن القين (رض) كان قد قال لزوجته فيما قال لها: «وقد عزمْتُ على صحبة الحسين عليه السلام لأفديه بنفسي، وأقيه بروحي. ثمّ أعطاها مالها، وسلّمها إلى بعض بنى عمّها ليوصلها إلى أهلها، فقامت إليه وبكت وودّعته

وقالت: كان الله عوناً ومعيناً، خار الله لك، أسألك أن تذكرني في القيامة عند جدّ الحسين عليه السلام! ...» (٢)

زهير بن القين (رض)

هو زهير بن القين بن قيس الأنمارى البجلي، كان رجلاً شريفاً فى قومه، نازلاً فيهم بالكوفة، شجاعاً، له فى المغازى مواقف مشهورة ومواطن مشهودة .. حجّ سنة ستين فى أهله، ثم عاد فوافق الحسين عليه السلام فى الطريق .. «٣» فلحق به ولازمه حتى استشهد بين يديه فى كربلاء.

معالركب الحسينى (ج ٣)، ص: ٢٠٥

وقد ورد السلام عليه فى زيارة الناحية: «السلام على زهير بن القين البجلي القائل للحسين عليه السلام وقد أذن له فى الإنصراف: لا والله، لا يكون ذلك أبداً! أترك ابن رسول الله صلى الله عليه وآله أسيراً فى يد الأعداء وأنجو أنا؟! لا أرانى الله ذلك اليوم». (١) وكانت لزهير (رض) مواقف جلية فذة مع الإمام عليه السلام منذ أن انضم إلى ركبته حتى استشهد بين يديه، يذكرها التاريخ وتقرأها الأجيال فتخشع إكباراً وتعظيماً لهذه الشخصية الإسلامية السامية، ومن هذه المواقف:

لما بلغ الركب الحسينى (ذا حسم) خطب الإمام عليه السلام أصحابه خطبته التى يقول فيها: «أما بعد، فإنه نزل بنا من الأمر ما قد ترون .. إلخ، قام زهير وقال لأصحابه: أتتكلّمون أم أتكلّم؟

قالوا: بل تتكلّم.

فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: قد سمعنا هداك الله يا ابن رسول الله مقاتلك، والله لو كانت الدنيا لنا باقية، وكُنّا فيها مخلّدين، إلّا أنّ فراقها فى نصرك ومواساتك، لآثرنا النهوض معك على الإقامة فيها! فدعا له الحسين وقال له خيراً». (٢)

وروى أبو مخنف: عن الضحّاك بن عبد الله المشرقى قال: لما كانت الليلة العاشرة خطب الحسين أصحابه وأهل بيته فقال فى كلامه: «هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً، وليأخذ كل رجل منكم بيد رجل من أهل بيتي، فإنّ القوم إنّما يطلبونى»، فأجابه العباس عليه السلام وبقية أهله .. ثمّ أجابه مسلم بن عوسجة .. وأجابه سعيد .. ثم قام زهير فقال: والله لو ددّت أنّى قتلت ثمّ نُشرت، ثمّ قتلت حتى أقتل

معالركب الحسينى (ج ٣)، ص: ٢٠٦

كذا ألف قتلة! وأنّ الله يدفع بذلك القتل عن نفسك وعن أنفس هؤلاء الفتية من أهل بيتك! (١)

وروى أبو مخنف عن عليّ بن حفظة بن أسعد الشبامى، عن كثير بن عبد الله الشعبي البجلي قال: لما زحفنا قبل الحسين عليه السلام خرج إلينا زهير بن القين على فرس له ذنوب، وهو شاك فى السلاح فقال: يا أهل الكوفة، نذار لكم من عذاب الله نذار! إنّ حقاً على المسلم نصيحة أخيه المسلم، ونحن حتى الآن إخوة وعلى دين واحد وملة واحدة مالم يقع بيننا وبينكم السيف! فإذا وقع السيف انقطعت العصمة، وكنا أمة وكنتم أمة! إنّ الله قد ابتلانا وإياكم بذيئة نبيّه محمّد صلى الله عليه وآله لينظر ما نحن وأنتم عاملون! إنّنا ندعوكم إلى نصرهم وخذلان الطاغية عبيد الله بن زياد، فإنّكم لا تدركون منهما إلّا السوء عمّر سلطانهما كلّ، إنّهما يسمّلان أعينكم، ويقطعان أيديكم وأرجلكم، ويمتّلان بكم، ويرفعانكم على جذوع النخل! ويقتلان أمثالكم وقراءكم أمثال حُجر بن عدى وأصحابه، وهانى بن عروة وأشباهه!

قال: فسبّوه وأثنوا على عبيد الله وأبيه! وقالوا: والله لانبرح حتى نقتل صاحبك ومن معه! أو نبعث به بأصحابه إلى الأمير!

فقال لهم زهير: عباد الله! إنّ ولد فاطمة عليها السلام أحقّ بالودّ والنصر من ابن سميّة، فإنّ لم تنصروهم فأعيذكُم بالله أن تقتلوهم، فخلّوا بين هذا الرجل وبين يزيد، فلعمري إنّهُ ليرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين عليه السلام!

قال فرماه شمر بسهم وقال له: أسكت أسكت الله نامتك! فقد أبرمتنا بكثرة كلامك!

معالركب الحسينى (ج ٣)، ص: ٢٠٧

فقال زهير: يا ابن البؤال على عقبيه! ما إياك أخاطب، إنما أنت بهيمه، والله ما أظنك تحكم من كتاب الله آيتين! فابشر بالخزى يوم القيامة والعذاب الأليم.

فقال له شمر: إن الله قاتلك وصاحبك عن ساعة!

قال زهير: أقبال الموت تخوفنى؟! والله للموت معه أحب إلي من الخلد معكم! قال: ثم أقبل على الناس رافعاً صوته، وصاح بهم: عبادة الله! لا يغرركم عن دينكم هذا الجلف الجافى وأشباهه، فوالله لا تنال شفاعته محمد صلى الله عليه وآله قوماً هرقوا دماء ذريته وأهل بيته! وقتلوا من نصرهم وذبح عن حريمهم!

قال فناده رجل من خلفه: يا زهير، إن أبا عبد الله يقول لك:

أقبل، فلعمري لئن كان مؤمن آل فرعون نصح لقومه وأبلغ في الدعاء، لقد نصحت لهؤلاء وأبلغت لونغف النصح والإبلاغ! «١»

وبعد عدة حملات وصولات له (رض) في يوم عاشوراء، رجع فوقف أمام الإمام الحسين عليه السلام وأنشد مودعاً إياه:

فدتك نفسى هادياً مهدياً أليوم ألقى جدك النبيا

وحسناً والمرضى علينا وذا الجناحين الشهيد الحيا «٢»

هل كان زهير بن القين عثمانياً؟! ص : ٢٠٧

إشارة

الشائع في سيرة زهير بن القين (رض) أنه كان عثمانياً قبل التحاقه بالإمام الحسين عليه السلام، والعثماني أو عثمانى الميل واليهوى يومذاك مصطلح سياسى يعنى - على الأقل - التأييد الكامل لبنى أمية في دعوى مظلومية عثمان بن عفان، ومعاداة

مع الרכب الحسينى (ج ٣)، ص: ٢٠٨

على عليه السلام بسبب ذلك، ويعنى - على الأكثر - الإشتراك في حرب أو أكثر ضد على عليه السلام تحت راية المطالبة بالتأثر لدم عثمان كما في الجمل وصفين.

والظاهر أن أقدم مصدر تاريخى وردت فيه الإشارة بصراحة إلى عثمانية زهير بن القين (رض) هو تاريخ الطبرى وأنساب الأشراف

للبلاذرى، فقد روى الطبرى عن أبى مخنف، عن الحارث بن حصيرة، عن عبد الله بن شريك العامرى، بعض وقائع عصر تاسوعاء:

كيف جاء شمر بأمان من عبيد الله بن زياد لأبى الفضل العباس وأخوته من أمه عليهم السلام، وكيف رفض العباس وإخوته عليهم

السلام هذا الأمان ولعنوا شمراً، ثم كيف أمر عمر بن سعد جيوشه بالزحف نحو معسكر أبى عبد الله عليه السلام بعد صلاة العصر

ذلك اليوم، ثم كيف أمر الإمام الحسين عليه السلام أخاه العباس عليه السلام أن يأتى القوم فيسألهم عما جاء بهم، «فأتاهم العباس

فاستقبلهم فى نحو من عشرين فارساً، فيهم زهير بن القين، وحبیب بن مظاهر، فقال لهم العباس: ما بدا لكم وما تريدون؟! قالوا:

جاء أمر الأمير بأن نعرض عليكم أن تنزلوا على حكمه أو ننازلكم!

قال: فلا تعجلوا حتى أرجع إلى أبى عبد الله فأعرض عليه ما ذكرتم.

قال فوقفوا، ثم قالوا: إلقه فأعلمه ذلك ثم ألقنا بما يقول.

فانصرف العباس راجعاً يركض الى الحسين يخبره بالخبر، ووقف أصحابه يخاطبون القوم، فقال حبيب بن مظاهر لزهير بن القين: كلم

القوم إن شئت، وإن شئت كلمتهم. فقال له زهير: أنت بدأت بهذا، فكُن أنت تكلمهم.

فقال له حبيب بن مظاهر: أما والله لبئس القوم عند الله غداً قومٌ يقدمون عليه قد قتلوا ذرية نبيه عليه السلام وعترته وأهل بيته صلى الله

عليه وآله وعباد أهل هذا المصر المجتهدين بالأسحار والذاكرين الله كثيراً!

مع الרכب الحسيني (ج ۳)، ص: ۲۰۹

فقال له عزرة بن قيس: إنك لتركى نفسك ما استطعت!

فقال له زهير: يا عزرة، إن الله قد زكاهها وهداها، فاتق الله يا عزرة، فإنني لك من الناصحين، أنشدك الله يا عزرة أن تكون ممن يعين الضلال على قتل النفوس الزكية!

قال: يا زهير، ما كنت عندنا من شيعه أهل هذا البيت، إنما كنت عثمانياً!

قال: أفلس تستدل بموقفي هذا أتى منهم؟ أما والله ما كتبتُ إليه كتاباً قط، ولا أرسلتُ إليه رسولاً قط، ولا وعدته نصرتي قط، «(۱) ولكن الطريق جمع بيني وبينه، فلمّا رأيته ذكرتُ به رسول الله صلى الله عليه وآله ومكانه منه، وعرفتُ ما يقدم عليه من عدوه وحزبكم، فرأيت أن أنصره وأن أكون في حزبه، وأن أجعل نفسي دون نفسه حفظاً لما ضيعتم من حقّ الله وحقّ رسوله عليه السلام...» (۲)

وأما البلاذري فقد قال: «قالوا: وكان زهير بن القين البجلي بمكة، وكان عثمانياً، فانصرف من مكة متعجلاً، فضمه الطريق وحسناً فكان يسايره ولا ينازله، ينزل الحسين في ناحية وزهير في ناحية، فأرسل الحسين إليه في إتيانه، فأمرته امرأته ديلم بنت عمرو أن يأتيه فأبى! فقالت: سبحان الله! أبعث إليك ابن بنت رسول الله فلاتأتيه؟ فلمّا صار إليه ثم انصرف إلى رحله قال لامرأته: أنت طالق! فالحق بأهلك فإنني لا أحب أن يصيبك بسببي إلّا خيراً. ثم قال لأصحابه: من أحب منكم أن يتبعني وإلّا فإنه آخر العهد! وصار مع الحسين...» (۳)

مع الרכب الحسيني (ج ۳)، ص: ۲۱۰

كما أن الطبري أيضاً حدّثنا كذلك عن كراهية زهير (رض) أن ينزل مع الإمام عليه السلام نفس منازل في الطريق، فيما رواه عن أبي مخنف، عن السدي، عن رجل من بني فزارة: «كنا مع زهير بن القين البجلي حين أقبلنا من مكة نساير الحسين! فلم يكن شيء أبغض إلينا من أن نسايره في منزل، فإذا سار الحسين تخلف زهير بن القين، وإذا نزل الحسين تقدّم زهير، حتى نزلنا يومئذ في منزل لم نجد بُدّاً من أن ننازله فيه...» (۱)

وساعد على ذلك أيضاً ما في رواية الدينوري أن زهيراً أبى أن يذهب إلى لقاء الإمام عليه السلام حين استدعاه في زرود: «فأبى أن يلقاه...» (۲)

ولنا في كل هذا كلام: ص: ۲۱۰

(۱) - رواية منازل الطريق التي رواها الطبري عن (رجل من بني فزارة!) فضلاً عن ضعف سندها - بمجهولية الفزاري - لا يستقيم محتوى متنها مع الحقيقة التاريخية والجغرافية، ذلك لأن زهير بن القين (رض) كان عائداً من مكة إلى الكوفة بعد الإنتهاء من أداء الحج، فلو فرضنا أنه قد خرج من مكة بعد انتهاء مراسم الحج مباشرة فإنه يكون قد خرج منها في اليوم الثالث عشر من ذي الحجة على الأقوى، وبهذا يكون الفرق الزمني بين يوم خروجه ويوم خروج الإمام عليه السلام منها خمسة أيام على الأقل، وإذا كان هذا فكيف يصح ما في متن الرواية: «كنا مع زهير بن القين البجلي حين أقبلنا من مكة نساير الحسين!...» (۳) الدال - حسب

مع الרכب الحسيني (ج ۳)، ص: ۲۱۱

الظاهر - أنهم سايروا الإمام عليه السلام من مكة؟!!

أما رواية البلاذري فيكفي في عدم الإعتماد عليها أنها مأخوذة عن وكالة أبناء (قالوا)!

ولو أننا افترضنا أن زهير بن القين (رض) بادر بعد الفراغ من أداء مناسك الحج «فانصرف من مكة متعجلاً» - على ما في رواية البلاذري - وجدّ السير ليلوى على شيء، فإن الفارق الزمني في أثره على الفارق المكاني قد لا يتغير، ويبقى كما هو على الأقوى، لأن

الإمام عليه السلام- حسب متون تاريخية عديدة- كان قد خرج من مكة يجد السير أيضاً نحو العراق ولا يلوى على شيء! من هنا، فإننا نحتمل احتمالاً قوياً أن أول المنازل التي اشترك فيها الإمام عليه السلام مع زهير (رض) هو منزل زرود نفسه، لا بسبب أن زهيراً كان يتحاشى الإشتراك مع الإمام عليه السلام في المنازل قبل زرود، بل لأن هذا المنزل هو المنزل الأول الذي يمكن أن يكون فيه معاً! يعنى أول المنازل التي يمكن لزهير (رض)- بسبب تعجله!- أن يدرك الإمام عليه السلام عنده.

(٢)- من المؤرخين من روى قصة لقاء الإمام عليه السلام مع زهير (رض) دون أن يرد في روايته أي ذكر لامتناع زهير (رض) من الذهاب إليه عليه السلام كما ذكر الدينوري: «فأبى أن يلقاه!» والبلاذري: «فأمرته إمرأته ديلم بنت عمرو أن يأتيه فأبى!»، هذا الامتناع المُفسّر على أساس عثمانية زهير (رض)!

فهاهو ابن أعثم الكوفي- المعاصر لكل من الطبري والدينوري والبلاذري- يروي قصة هذا اللقاء- بدون أي ذكر للعثمانية أو للإمتناع- قائلاً: «ثم مضى الحسين فلقه زهير بن القين، فدعاه الحسين إلى نصرته فأجابه لذلك، وحمل إليه

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢١٢

فسطاطه، وطلق امرأته، وصرفها إلى أهلها، وقال لأصحابه: إني كنت غزوت بلنجر مع سلمان الفارسي، فلما فتح علينا اشتد سرورنا بالفتح، فقال لنا سلمان: لقد فرحتم بما آفأ الله عليكم! قلنا: نعم.

قال: فإذا أدركتم شباب آل محمد صلى الله عليه و آله فكونوا أشد فرحاً بقتالكم معه منكم بما أصبتم اليوم. فأنا أستودعكم الله تعالى! ثم مازال مع الحسين حتى قُتل..» (١)

(٣)- لم يحدثنا التاريخ في إطار سيرة زهير بن القين (رض) عن أي واقعة أو حدث أو محاوره أو تصريح من زهير نفسه تتجلى فيه هذه العثمانية التي أُلصقت فيه! مع أن الآخرين ممن عرفوا بعثمانيتهم كانوا قد عرفوا بها من خلال آرائهم ومواقفهم واشتراكهم في حرب أو أكثر ضد علي عليه السلام!

(٤)- وإذا تأملنا جيداً في مقاله عزرة بن قيس لزهير (رض) وما رد به زهير (رض)- على ما في رواية الطبري- يتجلى لنا أن زهير بن القين (رض) لم يكن عثمانياً في يوم من الأيام! ذلك لأن زهير (رض) أجاب عزرة الذي اتهمه بالعثمانية فيما مضى قائلاً: «أفلسست استدلاً بموقفي هذا أنني منهم؟!» أي من أهل هذا البيت عليهم السلام رأياً وميلاً وانتماءً.

ولم يقل له مثلاً: نعم كنت عثمانياً كما تقول، ثم هداني الله فصرت من أتباع أهل هذا البيت عليهم السلام وأنصارهم، أو ما يشبه ذلك.

بل كان في قوله: «أفلسست استدلاً بموقفي هذا أنني منهم» نفى ضمنياً لعثمانيته مطلقاً في الماضي والحاضر، ثم إن سكوت عزرة بعد ذلك عن الرد كاشف عن تراجع عن تهمة العثمانية، فتأمل.

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢١٣

(٥)- إن التأمل يسيراً في أقوال زهير بن القين (رض) وفي قول زوجته وموقفها، يكشف عن أن زهيراً (رض) وزوجه كانا يعرفان حق أهل البيت عليهم السلام وتعمر قلوبهما مودتهم، تأمل في قوله لزوجته- على ما في رواية السيد ابن طاووس-: «وقد عزمت على صحبة الحسين عليه السلام لأفديه بنفسي وأقيه بروحي»، وفي قولها له: «كان الله عوناً ومعيناً، خار الله لك، أسألك أن تذكرني في القيامة عند جد الحسين عليه السلام!»، أو قوله لها- على ما في رواية الدينوري-: «فإني قد وُطئت نفسي على الموت مع الحسين عليه السلام»، وقوله لأصحابه: «من أحب منكم الشهادة فليقيم..»، وإخباره إياهم بحديث سلمان الفارسي (رض)- على ما في رواية الإرشاد-: «إذا أدركتم سيد شباب آل محمد فكونوا أشد فرحاً بقتالكم معهم..!»

وتأمل بتعمق أكثر في قوله: «وُطئت نفسي على الموت مع الحسين عليه السلام، وقوله: «من أحب منكم الشهادة فليقيم..»، وقوله لزوجته: «أسألك أن تذكرني في القيامة عند جد الحسين عليه السلام، وقوله لأصحابه: «من أحب منكم أن يتبعني وإلاً فإنه آخر العهد!»، تجد

أن هذه العائلة الكريمة كانت على علم بأن الإمام عليه السلام سيستشهد في سفره هذا مع أنصاره من أهل بيته وأصحابه، وذلك قبل أن تظهر في الأفق معالم الإنكسار الظاهري، وخذلان أهل الكوفة، وقبل أن يصل إلى الإمام عليه السلام نبأ مقتل مسلم بن عقيل عليه السلام وهانى بن عروة (رض) وعبدالله بن يقطر (رض)، وهذا كاشف عن أن زهيراً (رض) كان ذا عناية واهتمام بأخبار الإمام الحسين عليه السلام ومتابعاً لأبناء مستقبل حركته وقيامه، حتى لو فرضنا أن زهيراً كغيره من الناس كان قد سمع بأخبار الملاحم المتعلقة بنهضة الحسين عليه السلام واستشهاده، أو سمع من نفس الإمام عليه السلام بعض خطبه في مكة التي كان قد أشار فيها عليه السلام إلى استشهاده.

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢١٤

أضف الى ذلك: أن صاحب كتاب (أسرار الشهادة) نقل هذه الواقعة قائلاً:

«قيل: أتى زهير إلى عبدالله بن جعفر بن عقيل قبل أن يُقتل فقال له: يا أخي ناولني الرأي!»

فقال له عبدالله: أو فَيَّ قصورٌ عن حملها؟

قال: لا، ولكن لي بها حاجة!

قال فدفعها إليه وأخذها زهير، وأتى تجاه العباس بن أمير المؤمنين عليهما السلام.

وقال: يا ابن أمير المؤمنين، أريد أن أحدثك بحديث وعيته!

فقال: حدّث فقد حلا وقت الحديث! حدّث ولا حرج عليك فإنما تروى لنا متواتر الإسناد!

فقال له: إعلم يا أبا الفضل أن أباك أمير المؤمنين عليه السلام لما أراد أن يتزوج بأُمّك أمّ البنين بعث إلى أخيه عقيل، وكان عارفاً

بأنساب العرب، فقال له: يا أخي، أريد منك أن تخطب لي امرأة من ذوى البيوت والحسب والنسب والشجاعة لكي أُصيب منها ولداً

يكون شجاعاً وعضداً ينصر ولدى هذا- وأشار إلى الحسين عليه السلام- ليواسيه في طفّ كربلاء! وقد ادّخرت أبوك لمثل هذا

اليوم، فلا تقصّر عن حلائل أخيك وعن أخواتك...». «١»

فإذا صحّت هذه الرواية، فإنّ هذا الحديث الذي (وعاه) زهير (رض) ورواه للعباس عليه السلام، كاشف عن أن زهيراً (رض) على

اطّلاع منذ سنين بأخبار ووقائع البيت العلوي، وقد وعى أبناءهم وعياً! وأنه (رض) كان على قرب من أهل هذا البيت المقدّس غير

متباعد عنهم!

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢١٥

أيمكن أن يكون مثل هذا الرجل عثمانياً؟

إننا نستبعد ذلك بقوة! وهذا مبلغ علمنا الآن! ولعلّ من أهل البحث والتحقيق من يأتي بعدنا، ويتتبع الإشارات التي قدّمناها بتوسع أكبر

وتعمّق أكثر، ويصل الى مصادر لم نصل إليها، ويتنبه إلى ما لم ننتبه إليه، فيجلى أبعاد هذه القضية التاريخية بوضوح أتم، فيزيد من

كمال الصورة، وكم ترك الأول للآخر!

وسلام على زهير بن القين يوم ولد ويوم استشهد ويوم يُبعث حيّاً.

(٨) - التعلية ص: ٢١٥

إشارة

«من منازل طريق مكة من الكوفة، بعد الشقوق وقبل الخزيمية، وهي ثلثا الطريق...». «١»

روى الطبرى، عن أبى مخنف، عن أبى جناب الكلبي، عن عدى بن حرملة الأسدى، عن عبد الله بن سليم، والمذرى بن المشمعل الأسديين: «قالا: لما قضينا حجنا لم يكن لنا همّة إلا اللحاق بالحسين فى الطريق لننظر ما يكون من أمره وشأنه! فأقبلنا تُرقل بنا ناقتنا مسرعين حتى لحقناه بزروء، فلما دنونا منه إذا نحن برجل من أهل الكوفة قد عدل عن الطريق حين رأى الحسين. قالوا: فوقف الحسين كأنه يريد، ثم تركه ومضى، ومضينا نحوه، فقال أحدنا لصاحبه: إذهب بنا إلى هذا فلنسأله، فإن كان عنده خبر بالكوفة علمناه. فمضينا حتى انتهينا إليه، فقلنا: السلام عليك.

قال: وعليكم السلام ورحمة الله. ثم قلنا: فمن الرجل؟

مع الريب الحسينى (ج ۳)، ص: ۲۱۶

قال: أسدى.

فقلنا: نحن أسديان، فمن أنت؟

قال: أنا بكير بن المشعب. «۱»

فانتسبنا له، ثم قلنا: أخبرنا عن الناس وراءك! قال: نعم، لم أخرج من الكوفة حتى قتل مسلم بن عقيل وهانى بن عروة، فرأيتهما يجزان بأرجلهما فى السوق!

قالا: فأقبلنا حتى لحقنا بالحسين فسايرناه حتى نزل الثعلبية ممسياً، فجننا فسلمنا عليه فرد علينا.

فقلنا له: يرحمك الله، إن عندنا خبراً، فإن شئت حدثنا علانية وإن شئت سراً.

قال فنظر إلى أصحابه وقال: مادون هؤلاء سراً!

فقلنا له: رأيت الراكب الذى استقبلك عشاء أمس؟

قال: نعم، وقد أردتُ مسألته!

فقلنا: قد استبرأنا لك خبره وكفيناك مسألته، وهو ابن امرىء من أسدٍ منّا، ذو رأى وصدق وفضل وعقل، وإنه حدثنا أنه لم يخرج من الكوفة حتى قتل مسلم بن عقيل وهانى بن عروة، وحتى رأهما يجزان فى السوق بأرجلهما!

مع الريب الحسينى (ج ۳)، ص: ۲۱۷

فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، رحمة الله عليهما. فرد ذلك مراراً!

فقلنا: نشدك الله فى نفسك وأهل بيتك إلا انصرفت من مكانك هذا، فإنه ليس لك بالكوفة ناصر ولا شيعه! بل نتخوف أن تكون عليك!

فوثب عند ذلك بنوعيل بن أبى طالب! «۱»

وروى الطبرى، عن أبى مخنف، عن عمر بن خالد، عن زيد بن على بن الحسين، وعن داود بن على بن عبد الله بن عباس: «أن بنى عقيل قالوا: لا والله، لا نبرح حتى ندرک ثأرنا أو نذوق ماذا أخونا! «۲»

ثم يعود إلى رواية الأسديين، «قالا: فنظر إلينا الحسين فقال: لا خير فى العيش بعد هؤلاء! قالوا: فعلمنا أنه قد عزم له رأيه على المسير، قالوا: فقلنا: خار الله لك! فقال: رحمكما الله.

قالا: فقال له بعض أصحابه: إنك والله ما أنت مثل مسلم بن عقيل، ولو قدمت الكوفة لكان الناس إليك أسرع.

قال الأسديان: ثم انتظر حتى إذا كان السحر قال لفتياناه وغلمايه: أكثروا من الماء! فاستقوا وأكثروا، ثم ارتحلوا وساروا حتى انتهوا إلى زبالة. «۳»

(١)- الملفت للإنتباه والمثير للعجب في متن هذه الرواية- رواية الطبري- هو أن هذين الرجلين الأسديين مع حسن أدبهما مع الإمام عليه السلام وعاطفتهما نحوه لم يكونا ممن عزم على نصره الإمام عليه السلام والإلتحاق بركبه! كل مافي أمرهما هو أن الفضول دفعهما إلى معرفة ما يكون من أمر الإمام عليه السلام فقط!- هذا باعترافهما كما

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢١٨

في الرواية- وقد تخلّيا عنه أخيراً بالفعل وفارقاه!

(٢)- والمتأمل في نصوص محاورات الإمام الحسين عليه السلام منذ أن أعلن عن قيامه المقدس يجد أن الإمام كان لا يخاطب هذا النوع من الرجال- نوع هذين الأسديين- بمُرّ الحقّ وصریح القضية، بل كان يسلك إلى عقولهم في الحديث عن مراميه شبيهاً غير مباشرة، يعرض فيها سبباً أو أكثر من الأسباب التي تقع في طول السبب الرئيس بما يُناسب المقام والحال!

فقوله عليه السلام صدق وحقّ: «لاخير في العيش بعد هؤلاء» أي بني عقيل، بعد أن وثبوا- لنباً مقتل مسلم عليه السلام- وقالوا: واللّه لا نرجع حتى نصيب ثأرنا أو نذوق مذاق!، لكنّ هذا لا يعنى أن مواساة بني عقيل كانت هي السبب الرئيس في إصرار الإمام على التوجّه إلى الكوفة، فالإمام عليه السلام لم يعلل في أي موقع أو نصّ إصراره على التوجّه إلى الكوفة بطلب الثأر لمسلم عليه السلام، بل كان يعلل ذلك في أكثر من موقع ونصّ بحجّة رسائل أهل الكوفة وبيعتهم، بل حتّى رسائل أهل الكوفة كانت سبباً في مجموعة أسباب وقعت في طول السبب الرئيس لقيامه عليه السلام وهو إنقاذ الإسلام المحمّديّ الخالص من يد النفاق الأموية وتحريفاتها!

ها هو الإمام عليه السلام يوجه مسلم بن عقيل الى الكوفة ويشره بالشهادة! فيقول:

«أني موجّهك إلى أهل الكوفة، وهذه كتبهم إليّ، وسيقتضى الله من أمرك ما يحبّ ويرضى، وأنا أرجو أن أكون أنا وأنت في درجة الشهداء!...» (١)

ويقول عليه السلام للفرزدق: «رحم الله مسلماً، فلقد صار إلى روح الله وريحانه وجنته ورضوانه، أما إنّه قد قضى ما عليه وبقي ما علينا...» (٢)

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢١٩

إذن فالقضية عند الإمام عليه السلام هي قضية نجاه الإسلام التي هي أكبر من دم مسلم عليه السلام ومن كل دم! وهذه القضية هي السبب الرئيس في إصرار الإمام عليه السلام على مواصلة السير نحو الكوفة، لاطلب الثأر لمقتل مسلم عليه السلام! ولا لأنّه لاخير عنده في العيش بعد شباب بني عقيل وإن كان ذلك حقاً!

(٣)- ولا يُعجب بما روى أن الإمام عليه السلام كان قد همّ بالرجوع بعد أن علم بمقتل مسلم عليه السلام وهانئ (رض) وعلم بعدم وجود من ينصره في الكوفة!، ذلك ما ذكره ابن قتيبة في «الإمامة والسياسة» حيث قال: «وذكروا أنّ عبيدالله بن زياد بعث جيشاً عليهم عمرو بن سعيد، وقد جاء الحسين الخبر فهمّ أن يرجع! ومعه خمسة من بني عقيل فقالوا له: أترجع وقد قُتل أخونا، وقد جاءك من الكتب ما نثق به؟!»

فقال لبعض أصحابه: والله مالي عن هؤلاء من صبر!...» (١)

وذكره ابن عبدربه في «العقد الفريد» حيث قال: «فبعث معه- أي مع عمر بن سعد- جيشاً وقد جاء حسيناً الخبر وهم بشراف، (٢) فهمّ بأن يرجع! ومعه خمسة من بني عقيل...» (٣)

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢٢٠

أمّا الطبري فله رواية أيضاً بهذا الصدد، هي: «فأقبل حسين بن علي بكتاب مسلم بن عقيل كان إليه، حتى إذا كان بينه وبين القادسية ثلاثة أميال لقيه الحرّ بن يزيد التميمي، فقال له: أين تريد؟ قال: أريد هذا المصر! قال له: إرجع فأني لم أدع لك خلفي خيراً أرجوه!،

فهم أن يرجع! وكان معه إخوة مسلم بن عقيل، فقالوا:

والله لانرجع حتى نصيب بئارنا أو نُقتل! فقال: لآخر في الحياة بعدكم، فسار فلقيته أوائل خيل عبيدالله، فلما رأى ذلك عدل إلى كربلاء...» (١)

وهذه الرواية معارضة لرواية الطبري نفسه - الموافقة لما هو مشهور - من أن الحرّ (رض) التقى الإمام عليه السلام ما بعد شراف في ألف فارس، مأموراً من قبل ابن زياد ألا يفارق الإمام عليه السلام حتى يُقدمه الكوفة! وقد قال للإمام عليه السلام في (ذى حسم) وهو يسايره: يا حسين إنني أذكرك الله في نفسك، فإني أشهد لئن قاتلت لتقتلن، ولئن قوتلت لتهلكن فيما أرى! فقال له الحسين: أقبال الموت تخوفني؟! وهل يعدو بكم الخطب أن تقتلوني؟! ما أدري ما أقول لك؟ ولكن أقول كما قال أخو الأوس لابن عمه، ولقيه وهو يريد نصره رسول الله صلى الله عليه وآله فقال له: اين تذهب، فإنك مقتول؟! فقال:

سأمضي وما بالموت عارٌ على الفتى إذا مانوى حقاً وجاهد مسلماً
وآسى الرجال الصالحين بنفسه وفارق مثبوراً يغش ويرغماً..» (٢)

هذه هي الهمة الحسينية العالية القاطعة! (٣) فأين هي من «فهم أن يرجع»؟! مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢٢١

نعم، ربّما استفاد بعض المؤرخين أن الإمام عليه السلام «هم بالرجوع» من أنه عليه السلام - على بعض الروايات - نظر إلى بنى عقيل فقال لهم: «ماترون، فقد قُتل مسلم؟ فبادر بنو عقيل وقالوا: والله لانرجع، أئقتل صاحبنا ونصرف؟! لا والله، لانرجع حتى نصيب بئارنا أو ندوق ماذا صاحبنا...» (١)

والأرجح أن الإمام عليه السلام أراد أن يختبر عزم وتصميم بنى عقيل على مواصلة المسير معه - بعد نبأ مقتل مسلم عليه السلام - فسألهم «ماترون..؟»، فكانوا عند حسن معرفته بهم.

إغفاءة .. ورؤيا حقة! ص : ٢٢١

قال السيد ابن طاووس (ره): «... ثم سار حتى نزل الثعلبية وقت الظهيرة، فوضع رأسه فرقد، ثم استيقظ فقال:

قد رأيت هاتفاً يقول: أنتم تسرعون والمنايا تسرع بكم إلى الجنة!

فقال له ابنه عليّ: يا أبة! فلسنا على الحق؟! فقال: بلى يا بنى والله الذى إليه مرجع العباد!

فقال: بلى يا بنى والله الذى إليه مرجع العباد!

فقال: يا أبة! إذن لانبألى بالموت!

فقال الحسين عليه السلام: جزاك الله يا بنى خير ما جزى ولدأ عن والده..» (٢) ونقلها الخوارزمي في المقتل عن ابن أعثم الكوفى بتفاوت. (٣)

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢٢٢

وقد ذكر الشيخ الصدوق (ره) هذه الرؤيا في عذيب الهجانات، (١) وذكرها الذهبي في قصر بنى مقاتل

.. ولا بأس بذلك على فرض احتمال تعدد الرؤيا.

وذكرها ابن شهر آشوب أيضاً دون أن يذكر أنها كانت رؤيا منام، بل قال: «فلما وصل الثعلبية جعل يقول: باتوا نياماً والمنايا تسرى! فقال عليّ بن الحسين الأكبر:

ألسنا على الحق؟ قال: بلى. قال: إذن والله لانبألى!..» (٣)

مع أبى هزرة الأزدي ص : ۲۲۲

إشارة

قال ابن أعثم الكوفى: «فلما أصبح الحسين وإذا برجلٍ من الكوفة يُكنى أباهزرة الأزدي، أتا فسلم عليه، ثم قال: يا ابن بنت رسول الله، ما الذى أخرجك عن حرم الله وحرم جدك محمد صلى الله عليه وآله؟ فقال الحسين عليه السلام: يا أباهزرة، إن بنى أمية أخذوا مالى فصبرت، وشتموا عرضى فصبرت، وطلبوا دمي فهربت! وأيم الله يا أباهزرة، لتقتلنى الفئة الباغية، وليلبسهم الله ذلاً شاملاً وسيافاً قاطعاً، وليسطن الله عليهم من يُذلهم حتى يكونوا أذل من قوم سبأ إذ ملكتهم امرأة منهم فحكمت فى أموالهم ودمائهم!». «۴»
مع الركب الحسينى (ج ۳)، ص: ۲۲۳

إشارة: ص : ۲۲۳

إن ظاهر جواب الإمام عليه السلام لأبى هزرة الأزدي هنا، وكذلك جوابه عليه السلام للفرزدق حينما سأله: «ما أعجلك عن الحج؟» حيث قال عليه السلام: «لو لم أعجل لأخذت!» يوحى بأن الإمام عليه السلام كان همّه الأكبر النجاة بنفسه!! فقد صبر على أخذ ماله وشتم عرضه - على ما فى جوابه عليه السلام لأبى هزرة الأزدي - وحين أرادوا قتله هرب لينجو بنفسه! هذه هى حدود مظلوميته لا أكثر! وكأنه ليس هناك رفض ببيعة يزيد! ولا طلب إصلاح فى أمة جده صلى الله عليه وآله! ولا أمر بمعروف ولا نهى عن منكر! ولا قيام ونهضة!

إن الإقتصار على مثل هذه النصوص يؤدى إلى هذا الإستنتاج الخاطيء الذى وقع فيه بعض من كتب فى تاريخ النهضة الحسينية، وهو: أن علّمة خروج الإمام عليه السلام من المدينة المنورة ومن مكة المكرمة هو خوفه على نفسه من الإختطاف أو القتل، وأن هذا هو سرّ أسرار النهضة الحسينية!!

كذلك الحال إذا اقتصر نظر الباحث مثلاً على النصوص المتعلقة برسائل أهل الكوفة إلى الإمام عليه السلام، خصوصاً النصوص الواردة عنه عليه السلام فى ذلك، لأنّ نتيجة مثل هذا النظر ستكون اعتبار رسائل أهل الكوفة هى سبب قيام الإمام عليه السلام! وهذا من أشهر الإشتباهات الحاصلة فى مجرى النظر إلى قيام الإمام الحسين عليه السلام.

وكذلك الحال إذا اقتصر نظر الباحث على النصوص التى تحدّث فيها الإمام عليه السلام عن «الإستخارة»، «۱» ذلك لأنّ ظاهر هذه النصوص يوحى بأن الإمام عليه السلام لم تكن لديه خطّة على الأرض فى مسار النهضة منذ البدء! ولا علم له بما هو قادم عليه فى مستقبل أيامه من مصير! بل كانت توجه حركته بوصلة الإستخارة! الأمر الذى يعارض وينافى كثيراً من النصوص الأخرى الواردة عنه عليه السلام، فضلاً عن

مع الركب الحسينى (ج ۳)، ص: ۲۲۴

منافاته للإعتقاد الصحيح بعلم الإمام عليه السلام!

وهكذا الحال، إذا اقتصر نظر الباحث على النصوص المتعلقة بالرؤيا التى رأى فيها الإمام عليه السلام جده صلى الله عليه وآله، أو النصوص التى توحى بأنّه عليه السلام كان يأمل النصر والنجاح وتسلم زمام الأمور ...

كلّ تلك النتائج القاصرة أو الخاطئة إنّما تنشأ نتيجة الأخذ الجزئى المفكك، أمّا أخذ جميع النصوص المتعلقة بهذه النهضة المقدّسة كمجموعة واحدة أخذاً كلياً موحّداً فهو أحد عناصر عصمة الإستنتاج من القصور والخطأ، كذلك فإنّ معرفة نوع المخاطب الذى

يكلّمه الإمام عليه السلام، وردّ متشابه قوله عليه السلام إلى محكمه، هما العنصران الآخران لهذه العصمة فى التدبير الإستنتاج.

وبشر بن غالب الأسدى .. مرّة أخرى ص : ٢٢٤

كُنّا فى «ذات عرق» قد تعرّضنا للقاء الإمام عليه السلام مع بشر بن غالب الأسدى، وعلّقنا على هذا اللقاء، وعرضنا ترجمه موجزة لهذا الرجل.

لكنّ الشيخ الصدوق (ره) فى الأمالى روى أنّ هذا اللقاء كان فى الثعلبية، قال (ره): «فسار الحسين عليه السلام وأصحابه، فلمّا نزلوا ثعلبية ورد عليه رجل يُقال له بشر بن غالب، فقال: يا ابن رسول الله، أخبرنى عن قول الله عز وجلّ (يوم ندعوا كلّ أناسٍ يمامهم)؟» (١)

قال: إمامٌ دعا إلى هدىّ فأجابوه إليه، وإمامٌ دعا إلى ضلالةٍ فأجابوه إليها، هؤلاء فى الجنّة، وهؤلاء فى النار، وهو قوله عزّ وجلّ (فريقٌ فى الجنّة وفريقٌ فى السعير) (٢).
٣. «٣»

معالركب الحسينى (ج ٣)، ص: ٢٢٥

ولعلّ الإمام عليه السلام أراد- من خلال هذه الإجابة الحقّة- تنبيه بشر بن غالب الأسدى إلى وجوب إجابته فى قيامه والإلتحاق به! ولعلّ هذا اللقاء كان لقاءً ثانياً لبشر بن غالب مع الإمام عليه السلام بعد لقاء (ذات عرق)، إذا كان بشر قد عاد باتجاه الكوفة مرّة أخرى وبسرعة!

ومع زهير الأسدى من أهل الثعلبية ص : ٢٢٥

روى ابن عساكر بسند إلى سفيان قال: «حدّثنى رجل من بنى أسد يُقال له:

بحير- بعد الخمسين والمائة- وكان من أهل الثعلبية، ولم يكن فى الطريق رجل أكبر منه، فقلت له: مثلٌ مَنْ كُنْتَ حين مرّ بكم حسين بن على؟ قال: غلامٌ قد يفتت، قال: فقام إليه أخٌ لى أكبر منى يُقال له زهير وقال: أى ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله إنى أراك فى قلّة من الناس!

فأشار الحسين عليه السلام بسوط فى يده هكذا، فضرب حقيبه وراءه فقال: ها إنّ هذه مملوءة كُتبا!...» (١)

ومع آخر من أهل الكوفة ص : ٢٢٥

روى صاحب بصائر الدرجات (ره) بسند عن الحكم بن عتيبة قال: «لقى رجلٌ الحسين بن علىّ عليهما السلام بالثعلبية وهو يريد كربلاء، فدخل عليه فسلمّ عليه، فقال له الحسين عليه السلام: من أى البلدان أنت؟

معالركب الحسينى (ج ٣)، ص: ٢٢٦

فقال: من أهل الكوفة.

قال: يا أخا أهل الكوفة، أما والله لو لقيتك بالمدينة لأريتك أثر جبرئيل من دارنا ونزوله على جدّى بالوحى! يا أخا أهل الكوفة، مُستقى العلم من عندنا، أفعلّموا وجهلنا؟! هذا ما لا يكون!..» (١)

لقاء ربّما كان في الثعلبية أيضاً! «٢» ص : ٢٢٦

وروى ابن عساكر بسند عن يزيد الرّشك قال: «حدّثني من شافه الحسين قال: رأيتُ أبنيةً مضروبةً بفلاةٍ من الأرض، فقلت: لمن هذه؟ قالوا: هذه لحسين. قال: فأتيته، فإذا شيخ يقرأ القرآن- قال- والدموع تسيل على خديهِ ولحيته! قال: قلتُ: بأبي وأمي يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله ما أنزلك هذه البلاد والفلاة التي ليس بها أحد؟ فقال: هذه كتب أهل الكوفة إلّاي، ولا أراهم إلّا قاتلي! فإذا فعلوا ذلك لم يدعوا لله حرمه إلّا انتهكوها، فسلّط الله عليهم من يذلّهم حتّى يكونوا أذلّ من فرم الأمة. «٣»
.. «٤»

مع الراكب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢٢٧

٩- الشقوق ص : ٢٢٧**إشارة**

«جمع: شقّ أو شقّ، وهو الناحية، منزل بطريق مكّة بعد واقصه من الكوفة، وبعدها تلقاء مكّة بطن ..». «١»

والفرزدق .. في الشقوق أيضاً!! ص : ٢٢٧**إشارة**

روى ابن أعمش الكوفي قائلاً: «وسار الحسين حتى نزل الشقوق، فإذا هو بالفرزدق بن غالب الشاعر قد أقبل عليه، فسلم ثمّ دنى منه فقبل يده، فقال الحسين: من أين أقبلت يا أبافراس؟ فقال: من الكوفة يا ابن بنت رسول الله! فقال: كيف خلّفت أهل الكوفة؟ فقال: خلّفت الناس معك وسيوفهم مع بني أمية، والله يفعل في خلقه ما يشاء. فقال: صدقت وبررت، إنّ الأمر لله يفعل ما يشاء، وربّنا تعالى كلّ يوم هو في شأن، مع الراكب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢٢٨
فإن نزل القضاء بما نحبّ فالحمد لله على نعمائه وهو المستعان على أداء الشكر، وإنّ حال القضاء دون الرجاء فلم يبعد من كان الحقّ نيتته.

فقال الفرزدق: يا ابن بنت رسول الله! كيف تركن إلى أهل الكوفة وهم قد قتلوا ابن عمّك مسلم بن عقيل وشيعته؟! قال: فاستعبر الحسين بالبكاء، ثم قال: رحم الله مسلماً! فلقد صار إلى روح الله وريحانه وجنته ورضوانه، أما إنه قد قضى ما عليه وبقي ما علينا.

قال: ثم أنشأ الحسين يقول:

فإن تكن الدنيا تُعدُّ نفيسه فدار ثواب الله أعلى وأنبلُ
وإن تكن الأبدان للموت أنشئت فقتل امرئٍ بالسيف في الله أفضلُ
وإن تكن الأرزاق قِسماً مقدراً فقله حرص المرء في الكسب أجملُ
وإن تكن الأموال للترك جمعها فما بال متروك به المرء يبخلُ

قال: ثم ودَّعه الفرزدق في نفر من أصحابه، ومضى يريد مكة، فأقبل عليه ابن عم له من بني مجاشع فقال: أبا فراس، هذا الحسين بن علي!

فقال الفرزدق: هذا الحسين بن فاطمة الزهراء بنت محمد صلى الله عليه وآله، هذا والله (خيرة الله) ابن خيرة الله، وأفضل من مشى على وجه الأرض بعد محمد (من خلق الله)، وقد كنت قلتُ فيه أبياتاً قبل اليوم، فلا عليك أن تسمعها.

فقال له ابن عمه: ما أكره ذلك يا أبا فراس! فإن رأيت أن تنشدي ما قلتُ فيه!

فقال الفرزدق: نعم، أنا القائل فيه وفي أبيه وأخيه وجده صلوات الله عليهم هذه الأبيات:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه والحل والحرم

معالركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢٢٩

هذا ابن خير عباد الله كلهم هذا التقى النقى الطاهر العلم

هذا حسين رسول الله والده أمست بنور هُداة تهتدى الأمم

إلى آخر قصيدته العصماء المشهورة ...

قال: ثم أقبل الفرزدق على ابن عمه فقال: والله، لقد قلت في هذه الأبيات غير متعرض إلى معروفه، غير أنني أردتُ الله والدار الآخرة..».

(١)

إشارتان ص: ٢٢٩

(١)- في متن هذه الرواية تصريح بأن الفرزدق كان على علم بمقتل مسلم عليه السلام (وقد قُتل في الثامن أو التاسع من ذي الحجة) وهو في الشقوق، ومعنى هذا أن الفرزدق كان- على أقل تقدير- في الشقوق في ما بعد الثامن أو التاسع من ذي الحجة، وعلى هذا فهو لن يُدرك الوصول إلى مكة أيام الحج قطعاً بعد المسافة كثيراً عن مكة، من هنا لا بد من عدم القبول بمكان وزمان هذه الرواية وهي تصرح بهذا، وبأن الفرزدق ودَّع الإمام عليه السلام ومضى يريد مكة! لإداء الحج!

(٢)- المشهور أن هذه القصيدة ارتجلها الفرزدق في مدح الإمام السَّجَّاد علي ابن الحسين عليهما السلام في مكة متحدياً بذلك الطاغوت هشام بن عبدالملك، ولما منع من أن يكون الفرزدق قد نظمها من قبل في الحسين عليه السلام كما صرح هو في هذه الرواية- وأبياتها تصلح لمدح جميع أئمة أهل البيت عليه السلام- فلما أراد أن يمدح الإمام السَّجَّاد عليه السلام بنفس هذه الأبيات أمام هشام أضاف إليها بيت المناسبة مخاطباً هشام بن عبدالملك:

وليس قولك من هذا بضائره العربُ تعرف من أنكرت والعجم

والله العالم بحقيقته الحال.

معالركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢٣٠

إشارة

«منزل معروف بطريق مكة من الكوفة، وهي قرية عامرة بها أسواق، بين واقصه والثعلبية، وقال أبو عبيدة السكوني: زباله بعد القاع من الكوفة قبل الشقوق فيها حصن وجامع لبنى غاضرة من بنى أسد، قالوا: سميت زباله بزبلها الماء أى بضبطها له وأخذها منه ..». (١) وقد سجل التاريخ لنا وقائع مهمة فى هذا المنزل، منها:

قال الدينورى: «فلما وافى زباله وافاه بها رسول محمد بن الأشعث وعمر بن سعد، بما كان سألهم مسلم أن يكتب به إليه فى أمره، وخذلان أهل الكوفة إياه بعد أن بايعوه، وقد كان مسلم سأل محمد بن الأشعث ذلك.

فلما قرأ الكتاب استيقن بصحة الخبر، وأفضعه قتل مسلم بن عقيل وهانى بن عروة، ثم أخبره الرسول بقتل قيس بن مسهر الصيدوى رسوله الذى وجهه من بطن الرمة.

وقد كان صحبه قوم من منازل الطريق، فلما سمعوا خبر مسلم، وقد كانوا ظنوا أنه يقدم على أنصار وعضد تفرقوا عنه، ولم يبق معه إلا خاصته..» (٢)

وقال السيد ابن طاووس (ره): «ثم سار الحسين عليه السلام حتى بلغ زباله فأتاه فيها خبر مسلم بن عقيل، فعرف بذلك جماعة ممن تبعه، فتفرق عنه أهل الأطماع والإرتياب، وبقي معه أهله وخيار الأصحاب.

قال الراوى: وارتجّ الموضوع بالبكاء والعويل لقتل مسلم بن عقيل، وسالت

معالركب الحسينى (ج ٣)، ص: ٢٣١

الدموع كل مسيل!..» (١)

وكان الطبرى قد روى قصة مبعوث محمد بن الأشعث إلى الإمام عليه السلام هكذا:

«دعا محمد بن الأشعث إياس بن العثلى الطائى من بنى مالك بن عمرو بن ثمامه، وكان شاعراً وكان لمحمد زوراً، فقال له: إلقى حسيناً فأبلغه هذا الكتاب، وكتب فيه الذى أمره ابن عقيل، وقال له: هذا زادك وجهازك ومُتعة لعيالك. فقال: من أين لى براحله؟ فإن راحلتى قد أنضيتها! قال: هذه راحله فاركبها برحلتها.

ثم خرج فاستقبله بزباله لأربع ليال، فأخبره الخبر وبلغه الرسالة، فقال له حسين: كل ما حُمّ نازل، وعند الله نحتسب أنفسنا وفساد أمتنا!..» (٢)

تأمل وملاحظات: ص: ٢٣١

(١) - لم يبعث عمر بن سعد لعنه الله إلى الإمام صلى الله عليه وآله أحداً كما أوصاه مسلم عليه السلام، وماتفرّد به الدينورى فى أن هذا المبعوث كان من قبل محمد بن الأشعث وعمر ابن سعد تعارضه رواية الطبرى حيث ذكر أن إياس بن العثلى الطائى كان مبعوثاً من قبل ابن الأشعث ولم يذكر عمر بن سعد معه، كما أن مسلماً عليه السلام أوصى ابن الأشعث بإرسال من يخبر الإمام عليه السلام بمعزل عن ابن سعد وقبل أن يطلب من هذا الأخير ذلك أيضاً، ثم إن عمر بن سعد كان قد خان الوصية فى نفس مجلس ابن زياد وتنكر لها، فقد مضى فى رواية أخرى للطبرى - وهو المشهور أيضاً - أن مسلماً عليه السلام قبل أن يقتل حين سار عمر بن سعد بوصاياهم، والتى كانت الأخيرة منها: «وابعث إلى حسين من يردّه فإنى قد كتبت إليه أعلمه أن الناس معه، ولا أراه إلا مقبلاً! فقال عمر لابن زياد أتدرى ما قال لى؟! إنه ذكر كذا وكذا! قال له ابن زياد:

معالركب الحسينى (ج ٣)، ص: ٢٣٢

إنه لا يخونك الأمين ولكن قد يؤتمن الخائن!!» (١)

(٢) - مر بنا قبل هذا أن خير مقتل مسلم بن عقيل عليه السلام وهانى بن عروة (رض) قد بلغ الإمام عليه السلام فى الثعلبية، ولا مانع أن يتكرر ورود هذا الخبر المفجع على الإمام عليه السلام فى أكثر من منزل، وبواسطة أكثر من مخبر، فيتجدد اتقاد حزن الإمام عليه السلام ومن معه على هؤلاء الشهداء الأبرار كلما حدثه قادمٌ عليه بخبرهم! فيرتج الموضع بالإسترجاع وبالبعاء والعويل، وتسيل الدموع لأجلهم كل مسيل، كما هو الوصف فى رواية السيد ابن طاووس (ره)

(٣) - خبر مقتل عبدالله بن يقطر (رض): أما قول الدينورى: ثم أخبره الرسول بقتل قيس بن مسهر الصيداوى رسوله الذى وجهه من بطن الرمة، فهو مخالف للمشهور الذى عليه جل علماء البيت من أن الذى وصل إلى الإمام عليه السلام فى زباله هو خبر مقتل عبدالله بن يقطر أخيه من الرضاعة، يقول الطبرى: «كان الحسين لا يمر بأهل ماء إلا اتبعوه! حتى انتهى إلى زباله سقط إليه مقتل أخيه من الرضاعة، مقتل عبدالله بن يقطر، (٢) وكان سرّحه إلى مسلم بن عقيل من الطريق وهو لا يدري أنه قد أصيب، فتلقاه خيل الحصين بن نمير بالقادسية، فسرح به إلى عبيدالله بن زياد، فقال: إصعد فوق القصر فالعن الكذاب ابن الكذاب ثم انزل حتى أرى فيك رأبي! قال: فصعد، فلما أشرف على الناس قال: أيها الناس، إني رسول الحسين بن فاطمة، بن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله لتنصروه وتوازره على ابن مرجانه، ابن سمية الدعوى! فأمر به عبيدالله فألقى من فوق القصر إلى الأرض، فكسرت عظامه وبقي

مع الרכب الحسينى (ج ٣)، ص: ٢٣٣

به رمق، فأتاه رجل يقال له: عبدالملك بن عمير اللخمى فذبحه! فلما عيب ذلك عليه قال: إنما أردت أن أريحه! - قال هشام: حدثنا أبو بكر بن عياش عن أخبره قال: والله ما هو عبدالملك بن عمير الذى قام إليه فذبحه، ولكنه قام إليه رجل جعد طوال يشبه عبدالملك بن عمير - قال: فأتى ذلك الخبر حسينا وهو بزباله، فأخرج للناس كتاباً فقرأه عليهم:

بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد فإنه قد أتانا خبرٌ فظيع! قتل مسلم بن عقيل وهانى بن عروة وعبدالله بن يقطر! وقد خذلتنا شيعتنا، فمن أحب منكم الإنصراف فلينصرف ليس عليه منّا ذمام!

قال: فتفرق الناس عنه تفرقاً فأخذوا يميناً وشمالاً! حتى بقى فى أصحابه الذين جاءوا معه من المدينة! (١) وإنما فعل ذلك لأنه ظن أننا اتبعه الأعراب لأنهم ظنوا أنه يأتى بلداً قد استقامت له طاعة أهله! فكره أن يسيروا معه إلا وهم يعلمون علام يقدمون! وقد علم أنهم إذا بين لهم لم يصحبه إلا من يريد مواساته والموت معه! ..» (٢)

(٤) - تؤكد مجموعة من المتون التاريخية على أن أهل الأطماع والإرتياب تفرقوا عن الإمام عليه السلام فى زباله، بعدما شاع فيهم خبر مقتل مسلم عليه السلام وهانى بن عروة (رض) وعبدالله بن يقطر (رض)، وعندما خطب فيهم الإمام عليه السلام - أو قرأ كتاباً عليهم - فأعلمهم بانقلاب الأمر وخذلان الشيعة فى الكوفة، ثم إذن لهم بالإنصراف بلاذمام! - كما مر بنا فى رواية الطبرى - أو كما نقل الخوارزمي فى المقتل حيث قال: «وكان قد تبع الحسين خلق كثير من المياه التى يمر بها لأنهم

مع الרכب الحسينى (ج ٣)، ص: ٢٣٤

كانوا يظنون استقامه الأمور له عليه السلام، فلما صار بزباله قام فيهم خطيباً فقال:

ألا - إن أهل الكوفة وثبوا على مسلم بن عقيل، وهانى بن عروة، فقتلوهما وقتلوا أخى من الرضاعة، فمن أحب منكم أن ينصرف فلينصرف من غير حرج، وليس عليه منّا ذمام!

فتفرق الناس وأخذوا يميناً وشمالاً، حتى بقى فى أصحابه الذين جاءوا معه من مكة، وإنما أراد أن لا يصحبه إنسان إلا على بصيرة!»، (١) أو «فكره أن يسيروا معه إلا وهم يعلمون علام يقدمون! وقد علم أنهم إذا بين لهم لم يصحبه إلا من يريد مواساته والموت معه! ..»

(٢)

ونقول: تلك هى سينة القادة الربانيين فى قيامهم، إنهم يريدون العدة وكثرة الأنصار، ولكن ليس أى ناصر وكيفما كان! بل الناصر

«الرَبِّيُّ»: «٣» الشديد التمسك بإطاعة الأمر الإلهي، الذي يُقدم على تنفيذ الأمر الإلهي ناظراً إلى التكليف لا إلى النتيجة!، قد نزع قلبه من كلِّ عوائل الدنيا وما فيها وأخلصه لطاعة الله تبارك وتعالى، فكانت مرضاه «الربِّ» عزَّ وجلَّ هي الهمُّ الشاغل لقلبه لاسواها.

هذه العدة من «الربيين» «٤» هي العدة التي يطلبها ويسعى إلى تكثيرها القائد الرباني في قيامه ونهضته!

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢٣٥

ومن سُنَّة القادة الربانيين أيضاً أنهم يستثمرون كلَّ مناسبة لامتحان (المجموع) الذي يصحبهم، وذلك لتخليص عدتهم الربانية من كلِّ ما يعلق بها من أهل الطمع والإرتياب، حتَّى تصفو هذه العدة من الإضافات الكاذبة! فتبقى الصفوة الخالصة (القوة الحقيقية) التي يخطط القائد الرباني على أساسها نوع المواجهة وأسلوب القتال يوم الملحمة!

وهذه مسألة مهمة وأساسية في التخطيط الحربي، بل حتَّى في التخطيط لكلِّ مواجهة سياسية، ذلك لأنَّ التخطيط في كلِّ مواجهة على أساس (القوة الظاهرية) لا على أساس (القوة الحقيقية) سيضع القوة العسكرية أو الحركة السياسية أمام حدث هو أكبر من حجمها الحقيقي، فإذا تعرّضت هذه القوة أو الحركة لضربة قاصمة أو إنكسار كبير مثلاً فإنَّ هذه الضربة أو هذا الإنكسار سيقعان على رأس (القوة الحقيقية) فقط! لأنَّ الإضافات غير الحقيقية التي أحاطت بالقوة الحقيقية وشكّلت معها القوة الظاهرية ستفترق وتتلاشى عنها ساعة الشدة كما هي عادة وطبيعة الأشياء، تاركة القوة الحقيقية وحدها عرضة لضربة أو انكسار هما أكبر من استطاعتها وتحملها!! ولذا قد تتحطم القوة الحقيقية أو تزول تماماً قبل تحقيق الهدف المنشود من وراء وجودها!

هذا في إطار الأثر على الأرض! أما في إطار الأثر في السماء، فإنَّ اختبار العدة الظاهرية بالامتحان بعد الإمتحان، وتمحيصها حتَّى لا يبقى منها إلّا أهل البصائر والعزائم الراسخة، سوف يزيد من علوِّ درجاتهم ومنازلهم الأخروية عند الله تبارك وتعالى، لأنَّ لهم أجراً وفوزاً وارتقاءً لنجاحهم بعد كلِّ امتحان وتمحيص! والله يختص برحمته من يشاء، والله واسع عليم!

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢٣٦

(١١) - بطن العقبة ص : ٢٣٦

إشارة

«العقبة: منزل في طريق مكة بعد واقصه وقبل القاع لمن يريد مكة، وهو ماء لبني عكرمة من بكر بن وائل». «١»

لقاء الإمام عليه السلام مع عمرو بن لوزان ص : ٢٣٦

إشارة

قال الطبري: «... ثمَّ سار حتَّى مرَّ ببطن العقبة فنزل بها، قال أبو مخنف: فحدّثني لوزان أحد بني عكرمة أنّ أحد عمومته سأل الحسين عليه السلام: أين تريد؟ فحدّثه، فقال له: إني أنشدك الله لما انصرفت، فوالله لا تقدم إلّا على الأسنة وحدّ السيوف! فإنَّ هؤلاء الذين بعثوا إليك لو كانوا كفوك مؤنة القتال ووطأوا لك الأشياء فقدمت عليهم كان ذلك رأياً، فأما على هذه الحال التي تذكرها فإني لا أرى لك أن تفعل!

قال: فقال له:

يا عبدالله، إنّه ليس يخفى عليّ الرأى ما رأيت! ولكنّ الله لا يغلب على أمره!

ثم ارتحل منها..» (٢)

وفى رواية الإرشاد أن هذا الشيخ من بنى عكرمة يقال له: عمرو بن لوزان، وفيها أيضاً أن الإمام عليه السلام قال له: يا عبد الله، ليس يخفى عليّ الرأي! وإنّ الله لا يغلب على أمره!

ثم قال عليه السلام: والله لا يدعوني حتى يستخرجوا هذه العلقمة من جوفى! فإذا فعلوا سلط الله عليهم من يذلهم حتى يكونوا أذلّ فرق الأمم! (٣)

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢٣٧

أما الدينوري فروى هذا اللقاء هكذا: «فسار حتى انتهى إلى بطن العقيق، (١) فلقية رجل من بنى عكرمة، فسلم عليه وأخبره بتوطيد ابن زياد الخيل ما بين القادسية إلى العذيب (٢)» رسداً له! ثم قال له: إنصرف بنفسى أنت! فوالله ماتسير إلّا الى الأسنه والسيوف! ولا تتكلن على الذين كتبوا إليك، فإن أولئك أول الناس مبادرة إلى حربك!

فقال له الحسين: قد ناصحت وبالغت، فجزيت خيراً!

ثم سلم عليه ومضى ..» (٣)

إشارة: ص : ٢٣٧

إنّ المشورة أو الرأي الذي عرضه عمرو بن لوزان للإمام عليه السلام هنا شبيه بالرأي الذي كان قد عرضه كل من عبد الله بن عباس (رض)

وعمر بن عبد الرحمن المخزومي في مكة، (٥) ولاحظنا أن الإمام عليه السلام لم يخطيء هذه الآراء والمشورات والإقتراحات، بل أجاب أصحابها بما يؤكد صحتها وصوابها وأنها كانت من

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢٣٨

النصح والعقل والرأي.

لكن الإمام عليه السلام مع إقراره بصحة وصواب تكلم النصائح والمشورات كان يؤكد لكل من أصحابها بطريقة تناسب ونوع المخاطب أنه لا بد له من عدم الأخذ بتلك النصائح والإقتراحات! وذلك لأن منطق هؤلاء وان كان صحيحاً بمقياس حدود الظواهر إلّا أنه لا يتعدى التفكير بالسلامة والمنفعة الذاتية والنصر الظاهري، في حين كان الإسلام آتياً يمر بمنعطف حاسم النتيجة في أن يبقى أولاً يبقى، وقد عبر الإمام عليه السلام عن حال الإسلام الحرجة هذه أمام مروان بن الحكم بقوله:

«وعلى الإسلام السلام إذ قد بُليت الأمة براع مثل يزيد!» (١)

كان الإسلام المحمدي الخالص قد اشتبهت حقيقته على أكثر هذه الأمة حين اختلط عليهم - بفعل جهود حركة النفاق عامة والحزب الأموي خاصة - اختلاطاً عجيباً مع أباطيل وتحريفات كثيرة وكبيرة افتريت عليه ودست فيه، حتى صار من غير الممكن فصل الإسلام المحمدي الخالص عن (الإسلام الأموي!) إلّا إذا ارتكب الأمويون الجريمة الكبرى، جريمة سفك الدم المقدس، دم ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وإلّا لاستمرت عملية التحريف والمزج، حتى تصل الأمة إلى حد لا تعرف عنده إلّا الإسلام الأموي! فلا يبقى من الإسلام المحمدي إلّا اسمه!

إذن فحال الإسلام يومذاك كحال المريض الذي لا ينفع في علاجه إلّا الكي، وقديماً قيل في المثل (آخر الدواء الكي!) لما يترتب عليه من علاج حاسم!

حال الإسلام يومذاك لم يكن ينفع في علاجها منطق السياسة والمعاملة السياسية والدهاء السياسي، ورعاية المصالح الذاتية، والتفكير بالسلامة،

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢٣٩

وحسابات الاستفادة والمنفعة والربح والخسارة الشخصية، وضوابط التخطيط للسيطرة على الحكم! حال الإسلام يومذاك ما كانت لتصل إلى علاجها الحاسم وتبلغ درجة الشفاء التام إلا بمنطق الشهادة! ولم يكن لها مرهمٌ إلا الدمّ الأقدس، دم ابن رسول الله الذي هو دم رسول الله صلى الله عليه وآله نفسه!! دم الحسين عليه السلام، الشهيد الفاتح الذي جاء من قلب (المدينة) يسعى، يحدو به الشوق إلى المصرع المختار «وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف!»، «١»

في ركب من عُشاق الشهادة لاتنيهم عن مصارع العشق عقلائيّه عقلاء الظاهر ولانصائحهم ولاملامة المحجوب عن المحبوب!

رأيت كلاباً تنهني أشدها على كلب أبقع! ص: ٢٣٩

إشارة

روى الشيخ أبو القاسم جعفر بن محمد بن قولويه القمي (ره) بسندٍ عن شهاب بن عبدربه، عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «لما صعد الحسين بن عليّ عليهما السلام عقبه البطن قال لأصحابه: ما أراني إلا مقتولاً! قالوا: وما ذاك يا أبا عبد الله؟ قال: رؤيا رأيتها في المنام! قالوا: وما هي؟ قال: رأيت كلاباً تنهني أشدها على كلب أبقع!». «٢»

إشارة: ص: ٢٣٩

حدّثنا المتون التاريخية أنّ أهل الطمع والإرتياب كانوا قد تفرّقوا عن

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢٤٠

الإمام عليه السلام ذات اليمين وذات الشمال في منطقة زباله- بعد أن علموا بمقتل مسلم بن عقيل عليه السلام وهاني بن عروة (رض) وعبدالله بن يقطر (رض)، وبعد أن خطبهم الإمام عليه السلام خطبته التي أعلمهم فيها بمقتل هؤلاء الشهداء الأبرار (رض)، ورخصهم في الإنصراف عنه- فما بقي معه إلا الصفوة من أصحابه الذين لازموه حتّى استشهدوا بين يديه.

لكننا هنا نلاحظ أنّ الإمام عليه السلام ما برح يواصل إختبار وامتحان تصميم الباقيين معه على الشهادة حتّى بعد منطقة زباله، من خلال إخبارهم بما رأى من الحقّ في عالم المنام، وما ذاك إلا لتنقية الركب الحسيني تماماً من كلّ متردد مرتاب أو ذى طمع في دنيا أو عافية وسلامة ربّما كان لم يزل حتّى تلك الساعة عالقاً بالركب الحسيني، وكذلك ليزداد أهل البصائر والتيات الصادقة يقيناً على يقينهم وتصميمهم على المضى إلى القتل فوق تصميمهم، ليزدادوا بذلك عند الله مثوبة ويرقون إلى منازل أعلى في عليين! ولعلّ الإمام عليه السلام أراد أيضاً- في ضمن ذلك- أن يكشف لهم عن وحشيّة الأعداء وإصرارهم على قتله، وأشدّهم نهشاً ووحشيّة وإصراراً على قتله ذلك الرجل الأبقع فيهم، وهو شمر بن ذى الجوشن العامري لعنه الله!

(١٢) - شراف ص: ٢٤٠

«شراف بين واقصة والقرعاء على ثمانية أميال من الأحساء التي لبنى وهب، ومن شراف إلى واقصة ميلان (٤ كم تقريباً)، وهناك بركة

تُعرف باللوزة، وفي شراف ثلاث آبار كبار، رشاؤها أقل من عشرين قامة، وماؤها عذب كثير، وبها قلبٌ كثيرة طيبة الماء يدخلها ماء المطر ..» (١)

معالركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢٤١
قال الشيخ المفيد (ره): «ثم سار عليه السلام في بطن العقبة حتى نزل شراف فلما كان في السحر أمر فتياه فاستقوا من الماء فأكثروا ..» (١)

هذا ما حدثنا التاريخ به عما حصل في منطقة شراف لاغير، وإن لأمره عليه السلام فتياه بالإستقاء من الماء والإكثار منه أثراً كاشفاً عن علمه عليه السلام بالوقائع قبل حصولها، وقد تجلّى هذا الأثر عند لقائهم لأول مرة مع الحرّ بن يزيد الرياحي (رض) في قوة قتاليه مؤلفة من ألف فارس! بعد قليل من شراف.

نعم، ذكر مؤرخون «٢» أنّ الإمام عليه السلام أمر بالإستقاء من الماء والإكثار منه قبل ذلك في أكثر من موضع، بل ربّما كان ذلك من عادة السير والسفر قبيل التحرك من كل منزل من المنازل، لكنّ الظاهر أنّ الإستقاء من الماء والإكثار منه في شراف كان أكثر من كل مرة بحيث يزيد هذه المرة عن حاجة الركب الحسيني كثيراً.

(١٣) ذو حُسم: ص: ٢٤١

إشارة

وهو جبل يقع بين شراف وبين منزل البيضة، كان النعمان بن المنذر ملك الحيرة يصطاد فيه. (٣)
روى الطبري عن الرجلين الأسديين (عبدالله بن سَلِيم والمذريّ بن المشمعل) قالوا: «ثم ساروا منها- أي شراف- فرسموا صدر يومهم حتى انتصف النهار، ثم إن رجلاً قال: الله أكبر!

معالركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢٤٢

فقال الحسين: الله أكبر! ما كبرت؟

قال: رأيت النخل!

فقال له الأسديان: إنّ هذا المكان ما رأينا به نخلة قط!

قالا: فقال لنا الحسين: فما تريانه رأى؟

قلنا: نراه رأى هوادي الخيل!

فقال: وأنا والله أرى ذلك! .. أما لنا ملجأ نلجأ إليه نجعله في ظهورنا ونستقبل القوم من وجه واحد؟

فقلنا له: بلى، هذا ذو حُسم إلى جنبك تميل إليه عن يسارك فإن سبقت القوم إليه فهو كما تريد.

قال فأخذ إليه ذات اليسار، قال وملنا معه، فما كان بأسرع من أن طلعت علينا هوادي الخيل فتبينّاها وعدلنا، فلما رأونا وقد عدلنا عن

الطريق عدلوا إلينا كأنّ أسنتهم اليعاسيب! وكأنّ راياتهم أجنحة الطير!

قال فاستبقنا إلى ذي حُسم فسبقناهم إليه، فنزل الحسين فأمر بأبنيته فضربت، وجاء القوم وهم ألف فارس مع الحرّ بن يزيد التميمي

اليربوعي حتّى وقف هو وخيله مقابل الحسين في حرّ الظهر، والحسين وأصحابه معتمون متقلدو أسياهم!

فقال الحسين لفتياه: إسقوا القوم واروهم من الماء! ورشّفوا الخيل ترشيفاً!

فقام فتياه فرشّفوا الخيل ترشيفاً، فقام فتية وسقوا القوم من الماء حتّى أروهم! وأقبلوا يملؤون القصاع والأتوار والطّساس من الماء ثم

يُدنونها من الفرس، فإذا عبَّ فيه ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً عُزلت عنه وسقوا آخر حتى سقوا الخيل كلها.

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢٤٣

قال هشام: حدّثني لقيط، عن عليّ بن الطعان المحاربي: كنت مع الحرّ بن يزيد، فجنّت في آخر من جاء من أصحابه، فلمّا رأى الحسين مابى وبفرسى من العطش قال: أتخج الراوية- والراوية عندي السقاء- ثم قال: يا ابن أخي، أنخ الجمل! فأنخته، فقال: إشرّب. فجعلتُ كلّمًا شربتُ سال الماء من السقاء، فقال الحسين:

أخنت السقاء- أي إعطفه قال جعلت لا أدري كيف أفعل! قال فقام الحسين فخنّته، فشربت وسقيتُ فرسى.

قال: وكان مجيء الحرّ بن يزيد ومسيره إلى الحسين من القادسية، وذلك أنّ عبيدالله بن زياد لما بلغه إقبال الحسين بعث الحصين بن نمير التميمي وكان على شُرطه، فأمره أن ينزل القادسية وأن يضع المسالح، فينظّم ما بين القفططانة إلى خفان! وقدّم الحرّ بن يزيد بين يديه في هذه الألف من القادسية فيستقبل حُسيناً!

قال فلم يزل موافقاً حُسيناً حتى حضرت الصلاة صلاة الظهر، فأمر الحسين الحجاج بن مسروق الجعفي أن يؤذّن فأذّن، فلمّا حضرت الإقامة خرج الحسين في إزارٍ ورداءٍ ونعلين، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

أيها الناس، إنّها معذرة إلى الله عزّ وجل وإليكم! إنّني لم آتكم حتى أتتني كتبكم وقدمت عليّ رسلكم: أن أقدم علينا فإنّه ليس لنا إمام. لعلّ الله يجمعنا بك على الهدى، فإن كنتم على ذلك فقد جئتكم، فإن تعطوني ما أطمئنّ إليه من عهودكم ومواثيقكم أقدم مصركم، وإن لم تفعلوا وكنتم لمقدمي كارهين انصرفت عنكم الى المكان الذي أقبلتُ منه إليكم! قال فسكتوا عنه، وقالوا للمؤذّن: أقم. فأقام الصلاة.

فقال الحسين عليه السلام للحرّ: أتريد أن تصلّي بأصحابك؟

قال: لا، بل تصلّي أنت ونصلّي بصلاتك!

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢٤٤

قال فصلّى بهم الحسين، ثمّ إنّّه دخل واجتمع إليه أصحابه، وانصرف الحرّ إلى مكانه الذي كان به، فدخل خيمته قد ضُربت له، فاجتمع إليه جماعة من أصحابه، وعاد أصحابه إلى صفّهم الذي كانوا فيه فأعادوه، ثمّ أخذ كلّ رجل منهم بعنان دابّته وجلس في ظلّها. فلمّا كان وقت العصر أمر الحسين أن يتهيؤا للرحيل، ثمّ إنّّه خرج فأمر مناديه فنادى بالعصر وأقام، فاستقدم الحسين فصلّى بالقوم ثمّ سلّم وانصرف الى القوم بوجهه، فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال:

أمّا بعد أيها الناس، فإنكم إن تتقوا وتعرفوا الحقّ لأهله يكنّ أرضى لله، ونحن أهل البيت أولى بولاية هذا الأمر عليكم من هؤلاء المدّعين ما ليس لهم، والسائرين فيكم بالجور والعدوان! وإنّ أنتم كرهتمونا وجهلتم حقّنا، وكان رأيكم غير ما أتتني كتبكم وقدمت به عليّ رسلكم انصرفت عنكم!

فقال له الحرّ بن يزيد: إنّنا والله ما ندرى ما هذه الكتب التي تذكر!

فقال الحسين: يا عقبه بن سمعان، أخرج الخرجين اللذين فيهما كتبهم إليّ! فأخرج خرجين مملوئين صحفًا، فنشرها بين أيديهم!

فقال الحرّ: فإنّا لسنا من هؤلاء الذين كتبوا إليك، وقد أمرنا إذا نحن لقيناك ألاّ نفارقك حتى نقدمك على عبيدالله بن زياد!

فقال له الحسين: الموت أدنى إليك من ذلك!

ثم قال لأصحابه: قوموا فاركبوا. فركبوا وانتظروا حتى ركب نساؤهم، فقال لأصحابه: انصرفوا بنا. فلما ذهبوا لينصرفوا حال القوم بينهم وبين الإنصراف، فقال الحسين للحرّ: ثكلتك أمك! ما تريد؟! قال: أما والله لو غيرك من العرب يقولها لي وهو على مثل الحال التي أنت

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢٤٥

عليها ما تركت ذكر أمه بالثكل أن أقوله، كائنًا من كان، ولكن والله مالي إلى ذكر أمك من سبيل إلا بأحسن ما يُقدَّر عليه!

فقال له الحسين: فما تُريد؟!

قال الحرّ: أريد والله أن أنطلق بك إلى عبيدالله بن زياد!

قال له الحسين: إذن والله لا أتبعك!

فقال له الحرّ: إذن والله لا أدعك!

فترادًا القول ثلاث مرّات، ولمّا كثر الكلام بينهما:

قال له الحرّ: إنّي لم أؤمر بقتالك وإنّما أمرت أن لا أفارقك حتّى أقدمك الكوفة! فإذا أبيت فخذ طريقاً لا تُدخلك الكوفة ولا تردك إلى المدينة، لتكون بيني وبينك نصفاً، حتّى أكتب إلى ابن زياد، وتكتب أنت إلى يزيد بن معاوية إن أردت أن تكتب إليه، أو إلى عبيدالله بن زياد إن شئت، ففعل الله إلى ذاك أن يأتي بأمر يرزقني فيه العافية من أن أبتلى بشيء من أمرك. قال: فخذ هاهنا فتيسر عن طريق العذيب والقادسيّة. (وبينه وبين العذيب ثمانية وثلاثون ميلاً).

ثمّ إنّ الحسين سار في أصحابه، والحرّ يسايره... «١»

تأمل وملاحظات: ص : ٢٤٥

(١) - تعامل الإمام عليه السلام - القائد الرباني - مع الظالمين والمُعزّرين بهم والمشولين نفسياً من أبناء هذه الأمة ص : ٢٤٥

معامله الأب الرؤوف الحاني - مالم يقع بينه وبينهم السيف - وذلك لأنّ غاية الإمام عليه السلام أساساً هي دعوتهم الى الحق والهدى، وقد تجسّدت هذه الروح الأبوية الحانية في سقايه هؤلاء القادمين بأمر ابن زياد

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢٤٦

للمعجعة به عليه السلام، وإروائهم في ساعة هم أشدّ ما يكونون فيها حاجة إلى الماء، وكأنّه عليه السلام كان قد أحياهم بعد احتضار من شدّة العطش! - بل لقد تجلّت رأفته وحنّوه عليه السلام كخليفة لله على كلّ خلقه أيضاً في إرواء الخيل والدواب الأخرى وترشيفها - ولاشكّ أنّ هذه الأخلاقيّة الربانيّة حيّة بالغة على أولئك القوم، تهزّ ضمائرهم هزّاً عنيفاً وتدفعها دفعاً قوياً إلى التأمل والتفكير وتستنتق الفطرة فيهم للإجابة عن هذا السؤال: أيّ الرجلين أحقّ بالاتباع والإطاعة: الإمام عليه السلام أم ابن زياد الجلف الجافي؟!

فعلّ ضالاً - بعد هذه الهزّة في الضمير - يستبصر فيهدى إلى الحقّ ويتبعه، ومُعزّراً به تنكشف له حقيقة الأمر فيعرف أهل الحقّ وقادته، ومشولاً في نفسه يتحرر فينطلق بقوة وعزم للانضمام إلى أهل الحقّ وقد كان ولم يزل يعرفهم!!

(٢) - كان الإمام عليه السلام يريد أن يدخل الكوفة حراً وبالطريقة التي يختارها هو!، وكان الحرّ يريد أن يأخذه إليها أسيراً! ص : ٢٤٦

بأمر ابن زياد! كان هذا أصل الأخذ والردّ بينهما، لكنّ ما يُلفت الانتباه في هذه النقطة هو أنّ الإمام عليه السلام ظلّ مصرّاً على التوجه نحو الكوفة حتّى بعد الإختيار الموسّع الذي عرضه عليه الحرّ بن يزيد (رض) في أن يتخذ طريقاً لا تُدخله الكوفة ولا تردّه الى المدينة، فيذهب حيث يشاء بين ذلك! بل كان الإختيار أوسع - على رواية ابن أعثم الكوفي - حيث شمل حتّى الرجوع الى المدينة إذا شاء! حين قال له الحرّ (رض): «أبا عبدالله، إنّي لم أؤمر بقتالك، وإنّما أمرت أن لا أفارقك أو أقدم بك على ابن زياد! وأنا والله كارّة إن

سلبنى الله بشيء من أمرك! غير أنى قد أخذت بيعة القوم وخرجت اليك! وأنا أعلم أنه لا يوافقى القيامة أحد من هذه الأمة إلا وهو يرجو شفاعه جدك محمد صلى الله عليه وآله! وأنا خائف إن قاتلتك أن أخسر الدنيا والآخرة! ولكن خذ عني هذا الطريق وامض حيث شئت! حتى أكتب إلى ابن زياد أن هذا خالفنى فى الطريق مع الركب الحسينى (ج ۳)، ص: ۲۴۷ فلم أقدر عليه! ..» (۱)

إن إصرار الإمام عليه السلام على التوجه نحو الكوفة حتى بعد انتفاء حجة رسائل أهل الكوفة عملياً - بعد وصول خبر مقتل مسلم عليه السلام وهانى (رض) وعبدالله بن يقطر (رض) إلى الإمام عليه السلام - كاشف عن أن رسائل أهل الكوفة إليه لم تكن السبب الرئيس فى توجهه نحو العراق! وإن كان صحيحاً القول إنه عليه السلام «لم يشأ أن يدع أى مجال لإمكان القول بأنه عليه السلام لم يف تماماً بالعهد لو كان قد انصرف عن التوجه إلى الكوفة فى بعض مراحل الطريق، حتى بعد أن أغلق جيش الحرّ دونه الطريق إليها! ذلك لأن الإمام عليه السلام مع تمام حجته البالغة على أهل الكوفة أراد فى المقابل بلوغ تمام العذر وعلى أكمل الوجه فيما قد يتصور أن لهم حجة باقية عليه، بحيث لا يبقى ثمة مجال للطعن فى وفائه بالعهد!». (۲)

نعم، هذا سبب من جملة الأسباب التى تقع فى طول السبب الرئيس فى توجهه عليه السلام نحو العراق: وهو أن الإمام عليه السلام - مع علمه بأنه مالم يبايع يقتل - كان قد أصر على العراق لأنه أفضل أرض للمصرع الذى لا بد منه، لما ينطوى عليه العراق من استعدادات للتأثر بواقعة المصرع والتغير نتيجة لها! وقد فصلنا القول فى هذا تحت عنوان (لماذا اختار الإمام الحسين عليه السلام العراق) فى الفصل الأول، فراجع.

(۳) - لم يقصد الإمام عليه السلام التخلي عن نهضته بقوله فى خطبته بعد صلاة الظهر: ص: ۲۴۷

«.. وإن لم تفعلوا وكنتم لمقدمى كارهين انصرفت عنكم إلى المكان الذى أقبلت منه إليكم!» أو قوله فى خطبته بعد صلاة العصر: «وإن كرهتمونا وجهلتم

مع الركب الحسينى (ج ۳)، ص: ۲۴۸

حقنا، وكان رأيكم غير ما أتتني كتبكم وقدمت به على رسلكم انصرفت عنكم!».

بل كل ما عناه الإمام عليه السلام فى هذين القولين - وفى نظائرهما - هو التخلي عن التوجه إلى الكوفة - مادام لا يمكنه أن يدخلها إلا أسيراً! - وهذا لا يعنى تخليه عن مواصلة القيام والنهضة، بل يعنى تغيير مسار حركة الركب الحسينى إلى جهة أخرى غير الكوفة، سواء بالعودة إلى مكة المكرمة أو المدينة المنورة أو الذهاب إلى اليمن أو أى مكان آخر! هذه حدود المعنى المفهوم فى قوله عليه السلام: انصرفت عنكم.

(۴) من هو الحر بن يزيد الرياحى؟ ص: ۲۴۸

إشارة

هو الحر بن يزيد بن ناجية بن قناب بن عتاب [الردف] بن هرمى بن رياح بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد بن مناة بن تميم، فهو التميمى اليربوعى الرياحى.

كان الحر شريفاً فى قومه جاهلية وإسلاماً، فإن جدّه عتاباً كان رديف النعمان، وولد عتاب قيساً وقعباً ومات، فردف قيس للنعمان

ونازعه الشيبانيون، فقامت بسبب ذلك حرب يوم الطخفة.

والحز هو ابن عمّ الأخوص الصحابي الشاعر: زيد بن عمرو بن قيس بن عتاب. وكان الحزّ في الكوفة رئيساً، ندبه ابن زياد لمعارضة الحسين عليه السلام فخرج في ألف فارس! (١)

والظاهر من متون قصة لقاء الإمام عليه السلام مع الحزّ (رض) على رأس ألف فارس مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢٤٩

قادمًا من القادسية لمعارضة الإمام عليه السلام في مسيره: أن الحزّ (رض) كان يومذاك عارفاً ومؤمناً بمقام ومنزلة أهل البيت عليهم السلام عند الله تبارك وتعالى، وكارهاً لمأمرية خروجه لمعارضة الإمام عليه السلام!

فها هو يجيب الإمام عليه السلام حينما قال له: ثكلتك أمك! ما تريد؟ قائلاً: أما والله لو غيرك من العرب يقولها لي، وهو على مثل الحال التي أنت عليها ما تركت ذكر أمه بالثكل أن أقوله، كائناً من كان! ولكن والله مالي إلى ذكر أمك من سبيل إلا بأحسن ما يُقدر عليه!

ويقول للإمام عليه السلام أيضاً: وأنا أعلم أنه لا يوافق القيامة أحدٌ من هذه الأمة إلا وهو يرجو شفاعته جدك محمد صلى الله عليه و آله! وأنا خائف إن قاتلتك أن أخسر الدنيا والآخرة! ...

وروى الشيخ ابن نما (ره) بإسناده أن الحزّ (رض) - بعد أن هداه الله ووفقه للانضمام إلى الإمام عليه السلام - قال للحسين عليه السلام: لما وجهني عبيدالله إليك خرجت من القصر فنوديت من خلفي: أبشر يا حزّ بخير! فالتفت فلم أر أحداً! فقلت: والله ما هذه بشاره وأنا أسير إلى الحسين عليه السلام!! وما أحدث نفسي بتباعك! فقال عليه السلام: لقد أصبت أجراً وخيراً. (١)

لكنّ الظاهر من مجموع سياق قصة خروجه إلى الإمام عليه السلام وجعجعت به هو

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢٥٠

أنّ الحزّ (رض) لم يكن يتوقع أن القوم سوف ينتهي بهم الأمر إلى مقاتلة الإمام عليه السلام، ولذا نراه حينما رأى في كربلاء جدية الموقف والحال، وأنّ كلّ ما حوله يؤكد أنّ فتيل الحرب على وشك الإشتعال، توجه إلى عمر بن سعد يسأله مستغرباً قائلاً: أي عمر! أمقاتل أنت هذا الرجل؟!

فقال عمر لعنه الله: إي والله قتالاً شديداً، أيسره أن تسقط الرؤوس وتطيح الأيدي! فردّ عليه الحزّ (رض): أفما لكم فيما عرضه عليكم رضى؟!

قال عمر: أما والله، لو كان الأمر إلّي لفعلت، ولكنّ أميرك أبي!

فأقبل الحزّ حتّى وقف من الناس موقفاً، ومعه رجل من قومه يُقال له قُرّة بن قيس، فقال له: يا قُرّة! هل سقيت فرسك اليوم؟ قال: لا!

قال: فما تريد أن تسقيه؟

قال قُرّة: فظننتُ والله أنه يريد أن يتنحى ولا يشهد القتال، فكره أن أراه حين يصنع ذلك، فقلت له: لم أسقه، وأنا منطلق فأسقيه. فاعتزل ذلك المكان الذي كان فيه، فوالله لو أنه أطلعني على الذي يريد لخرجت معه إلى الحسين! فأخذ يدنو من الحسين قليلاً قليلاً، فقال له مهاجر بن أوس: ما تريد يا ابن يزيد؟! أتريد أن تحمل؟ فلم يجبه، فأخذه مثل الأفكل وهي الرعدة! فقال له المهاجر: إن أمرك لمريب! والله ما رأيت منك في موقف قطّ مثل هذا! ولو قيل لي: من أشجع أهل الكوفة لما عدوتك، فما هذا الذي أرى منك؟! فقال له الحزّ: إنّي والله أخير نفسي بين الجنة والنار، فوالله لا أختار على الجنة شيئاً ولو قطعت وأحرقت!!

ثمّ ضرب فرسه فلحق الحسين عليه السلام فقال له: جعلت فداك يا ابن رسول الله!

مع الركب الحسينى (ج ٣)، ص: ٢٥١

أنا صاحبك الذى حبستك عن الرجوع وسأيرتك فى الطريق وجعجت بك فى هذا المكان! وما ظننت أن القوم يردون عليك ما عرضته عليهم! ولا يبلغون منك هذه المنزلة! والله لو علمت أنهم ينتهون بك إلى ما أرى ما ركب مثل الذى ركب! وأنا تائب إلى الله مما صنعت، فترى لى من ذلك توبه؟

فقال له الحسين عليه السلام: نعم، يتوب الله عليك، فانزل.

فقال: أنا لك فارساً خير منى راجلاً، أقاتلهم على فرسى ساعه، وإلى النزول ما يصير آخر أمرى!

فقال له الحسين عليه السلام: فاصنع يرحمك الله ما بدا لك. «١»

وبهذا يتجلى أن الحرّ (رض) لما رأى من القوم ما لم يكن يتوقعه منهم ناقش نفسه نقاشاً جاداً حاسماً - فى ظرف زمنى صعب وعسير وقصير! - ليتخذ الموقف الصحيح بين صفّ الحقّ وصفّ الباطل، وما هى إلا لحظة مصيرية حاسمة تحرّر فيها الحرّ من كلّ شلل نفسى وازدواج فى داخله، فانطلق إلى الحقّ وانضمّ إليه متبرئاً من كلّ عوالم الباطل، منياً إلى الله تائباً إليه، فى لحظة تاريخية فريدة، وموقف ريادى لامثيل له، جعل من اسم الحرّ الرياحى (رض) رمزاً لكلّ عشاق الحقيقة الأحرار على مرّ الدهور وتتابع الأجيال.

وكان الحرّ (رض) - كما وصفه المهاجر بن أوس - من أشجع أهل الكوفة، وقد روى «أن الحرّ لما لحق بالحسين عليه السلام قال رجل من تميم يُقال له يزيد بن سفيان: أما والله لو لحقته لأتبعته السنان!

فبينما هو يقاتل، وإن فرسه لمضروب على أذنيه وحاجبيه وإنّ الدماء لتسيل، إذ قال الحصين: يا يزيد هذا الحرّ الذى كنت تتمناه! قال: نعم.

مع الركب الحسينى (ج ٣)، ص: ٢٥٢

فخرج إليه، فما لبث الحرّ أن قتله، «١» وقتل أربعين فارساً وراجلاً، فلم يزل يقاتل حتى عُرِيبَ فرسه، وبقي راجلاً وهو يقول:

إنى أنا الحرّ ونجل الحرّ أشجع من ذى ليد هزبر

ولست بالجبان عند الكرّ لكننى الوقاف عند الفرّ

كما روى أنه (رض) قال للإمام عليه السلام: «يا ابن رسول الله، كنت أول خارج عليك، فائذن لى لأكون أول قتيل بين يديك، وأول من يصفح جدك غداً! - وإنما قال الحرّ: لأكون أول قتيل بين يديك، والمعنى يكون أول قتيل من المبارزين، وإلا فإن جماعة كانوا قد قتلوا فى الحملة الأولى كما ذكر - فكان أول من تقدّم إلى براز القوم، وجعل ينشد ويقول:

إنى أنا الحرّ وماوى الضيف أضرب فى أعناقكم بالسيف

عن خير من حلّ بأرض الخيف أضربكم ولا أرى من خيف «٢»

وروى أنه (رض) لما قتل احتمله أصحاب الحسين عليه السلام حتى وضعوه بين يدى الحسين عليه السلام وبه رمق، «فجعل الحسين يمسح وجهه ويقول: أنت الحرّ كما سمتك أمك! وأنت الحرّ فى الدنيا، وأنت الحرّ فى الآخرة!

ورثاه رجل من أصحاب الحسين عليه السلام، وقيل: بل رثاه على بن الحسين عليهما السلام:

لنعم الحرّ حرّ بنى رياح صبور عند مختلف الرياح

ونعم الحرّ إذ فادى حسيناً وجاد بنفسه عند الصباح

فيا ربى أضفه فى جنان وزوجه مع الحور الملاح «٣»

وله (رض) خطبة فى القوم يوم عاشوراء قال فيها:

مع الركب الحسينى (ج ٣)، ص: ٢٥٣

«يا أهل الكوفة! لأمتكم الهبل والعبر! أدعوتم هذا العبد الصالح حتى إذا جاءكم أسلمتموه! وزعمتم أنكم قاتلو أنفسكم دونه، ثم

عدوتم عليه لتقتلوه! وأمسكتكم بنفسه وأخذتم بكظمه! وأحطتم به من كل جانب لتمنعوه التوجه في بلاد الله العريضة، فصار كالأسير في أيديكم! لا يملك لنفسه نفعاً ولا يدفع عنها ضرراً! وحلأتموه ونساءه وصبيته وأهله عن ماء الفرات الجارى! يشربه اليهود والنصارى والمجوس، وتمرغ فيه خنازير السواد وكلابهم! فيها هم قد صرعهم العطش! بثسما خلفتم محمداً في ذريته، لاسقاكم الله يوم الضمأ..» (١)

فسلام على رمز التحول الواعى السريع الجرىء من ظلمات الباطل إلى نور الحق، سلام على الحرّ الرياحى يوم ولد ويوم استشهد ويوم يُبعث حيّاً!

إنى لا أرى الموت إلّا شهادة، ولا الحياة مع الظالمين إلّا برماً!

وروى الطبرى عن عقبه بن أبى العيزار قال: «قام حسين عليه السلام بذى حسم، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إنّه قد نزل من الأمر ما قد ترون! وإنّ الدنيا قد تغيرت وتنكرت، وأدبر معروفها، واستمرت جذاً فلم يبق منها إلّا ضيابة كضيابة الإناء! وخسيس عيش كالمرعى الويل! ألا ترون أنّ الحق لا يعمل به وأنّ الباطل لا يتناهى عنه!؟

ليرغب المؤمن فى لقاء الله محققاً، فإننى لا أرى الموت إلا شهادة ولا الحياة مع الظالمين إلّا برماً.» (٢)

قال: فقام زهير بن القين البجلي فقال لأصحابه: أتتكمون أم أتكلّم؟

مع الركب الحسينى (ج ٣)، ص: ٢٥٤

قالوا: لا، بل تكلم.

فحمد الله فأثنى عليه، ثم قال: قد سمعنا هداك الله يا ابن رسول الله مقاتلك، والله لو كانت الدنيا لنا باقية، وكنا فيها مخلدين، إلّا أنّ فراقها فى نصر ك ومواساتك لآثرنا الخروج معك على الإقامة فيها!!

قال: فدعا له الحسين، ثم قال له خيراً...» (١)

لكنّ السيّد ابن طاووس (ره) ذكر أنّ الإمام عليه السلام خطب هذه الخطبة فى أصحابه، ثم ذكرها، وذكر مقالته زهير (رض)، ثم أضاف قائلاً: «وقال الراوى: وقام هلال بن نافع البجلي (٢) فقال: والله ما كرهنا لقاء ربنا! وإنّا على نياتنا وبصائرنا، نوالى من والاك ونعدى من عاداك.»

قال: وقام بُرير بن خضير فقال: والله يا ابن رسول الله لقد منّ الله بك علينا أن نقاتل بين يديك، وتقطع فيك أعضاؤنا، ثم يكون جدك شفيعنا يوم القيامة!..» (٣)

تأمل وملاحظات: ص : ٢٥٤

(١) يُلاحظ المتأمل فى هذه الخطبة القصيرة البليغة الوافية التى خطب الإمام عليه السلام أصحابه بها: ص : ٢٥٤

أنّ الإمام عليه السلام ما فتأ يواصل امتحان عزائم أنصاره من خلال تذكيرهم هذه المرّة بتغيير الأمور وتنكر الدنيا وإدبار معروفها! وأنّ ما يستقبلهم من

مع الركب الحسينى (ج ٣)، ص: ٢٥٥

مجرى حركة الأحداث لا يحمل لهم إلّا المكاره!

لكنّ المُلفت للانتباه هنا هو أنّ الإمام عليه السلام فى هذه الخطبة أيضاً كان يحث أصحابه ويحرضهم على التمسك بنصرتهم! فهاهو يذكرهم بأنّ مابقى من الدنيا ليس إلّا كماء ضئيل فى قعر إناء صغير! والأيام الباقية من هذا العمر فى ظلّ حكومة الطاغوت أيام لا عزّة فيها، عيشها خسيس كالمرعى الويل! فى عالم لا يعمل فيه بالحق، ولا يتناهى فيه عن الباطل! فالأولى للمؤمن أن يرفض هذا العيش

الذليل النكد، راغباً في لقاء الله تحت راية قائم بالحق، فإن أفضل الموت القتل في سبيل الله، وهو الشهادة والسعادة! وإن أسوأ حياة حياة بُدِّل تحت قهر الظالمين، إنها التعاسة والبرم!

وهنا كان أنصاره عليه السلام قد أدركوا مراده من هذه المقالة، وعلموا أنه محزون لقلّة ناصريه! وأنه أراد أن يختبر نيّاتهم وعزائمهم في المضىّ معه حتى الشهادة! فبادر زهير بن القين (رض) عن لسان جميع الأنصار- ثم تصدّى بالقول نافع بن هلال (رض) وبرير بن خضير (رض) كما في رواية ابن طاووس (ره)- لتطمين الإمام عليه السلام بأنهم ثابتون على نيّاتهم وبصائرهم، وعلى عهدهم في موالاته من والاه، ومعاداة من عاداه، وأنهم موقنون بأن الله قد منّ عليهم بالإمام عليه السلام إذ فتح لهم باب الجهاد بين يديه ليفوزوا بالشهادة وهي أقصى أميّة المؤمنين الصادقين!

والإنسانية لم تزل إلى اليوم- وتبقى إلى قيام الساعة- تقرأ قصة هذا المشهد الرائع من مشاهد مسيرة الركب الحسينى، فتقف إجلالاً وإكباراً لمقالة كل من نافع وبرير رضوان الله تعالى عليهما، وتأمل بخشوع وإعجاب لا ينقضى في المعانى السامية لأشودة الفداء والمواساة التي تضمّنتها مقالة زهير بن القين رضوان الله تعالى عليه: «والله، لو كانت الدنيا لنا باقية، وكُنّا فيها مخلّدين، إلّا أن فراقها في نصر ك ومواساتك، لآثرنا الخروج معك على الإقامة فيها!!».

معالركب الحسينى (ج ٣)، ص: ٢٥٦

٢) ويستفاد أيضاً من قوله عليه السلام: ص : ٢٥٦

«ألا ترون أنّ الحق لا يعمل به، وأنّ الباطل لا يئاهى عنه؟! ليرغب المؤمن في لقاء الله محققاً فإنّي لا أرى الموت إلّا شهادة ولا الحياة مع الظالمين إلّا برماً» أنّ المؤمنين جميعاً- في كلّ عصر- في مثل هذه الحال أمام تكليف عام بالقيام لله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والعمل على تغيير واقع حياة الأمة الإسلامية على أساس ما أمر الله تعالى به.

٣) من هو نافع بن هلال الجملى؟ ص : ٢٥٦

«هو نافع بن هلال بن نافع بن جمل بن سعد العشيرة بن مذحج، المذحجى الجملى، كان نافع سيّداً شريفاً سرّياً شجاعاً، وكان قارئاً، كاتباً، من حملة الحديث، ومن أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، وحضر معه حروبه الثلاث في العراق. وخرج إلى الحسين عليه السلام فلقه في الطريق، وكان ذلك قبل مقتل مسلم، وكان أوصى أن يُتبع بفرسه المسمى بالكامل، فأُتبع مع عمرو بن خالد وأصحابه الذين ذكرواهم (مجمع بن عبد الله العائذى (رض) وابنه عائذ (رض)، وسعد (رض) مولى عمرو، وواضح التركى (رض) مولى الحرث السلمانى).» (١)

لقد كان نافع (رض) من ذوى البصائر، هاهى مقالته بين يدى الإمام عليه السلام فى ذى حُسم تشهد له بذلك: «والله ما كرهنا لقاء ربنا! وإنّا على نيّاتنا وبصائرنا نوالى من والاك ونعادى من عاداك!»، (٢) ولما بلغ الإمام الحسين عليه السلام قتل قيس بن مسهر الصيدواوى (رض) استعبر باكياً، ثم قال: «اللهم اجعل لنا ولشيعتنا عندك منزلاً كريماً، واجمع بيننا وبينهم فى مستقرّ من رحمتك، إنك على كلّ شىء قدير.

قال: فوثب إلى الحسين عليه السلام رجل من شيّعه يقال له هلال بن نافع البجلى

معالركب الحسينى (ج ٣)، ص: ٢٥٧

(والصحيح هو: نافع بن هلال الجملى كما قدّمنا) فقال: يا ابن رسول الله! أنت تعلم أنّ جدّك رسول الله لم يقدر أن يُشرب الناس

محبته، ولا أن يرجعوا إلى أمره ما أحب! وقد كان منهم منافقون يعدونه بالنصر ويضمرون له الغدر! يلقونه بأحلى من العسل، ويخلفونه بأمر من الحنظل! حتى قبضه الله إليه.

وإن أباك علياً رحمه الله عليه قد كان في مثل ذلك، فقوم قد أجمعوا على نصره وقاتلوا معه الناكثين والقاسطين والمارقين، حتى أتاه أجله فمضى إلى رحمه الله ورضوانه.

وأنت اليوم عندنا في مثل تلك الحالة! فمن نكث عهده وخلع بيعته فلن يضر إلا نفسه، والله مغيث عنه! فسير بنا راشداً معافاً، مشرّفاً إن شئت، وإن شئت مغرباً، فوالله ما أشفقنا من قدر الله، ولا كرهنا لقاء ربنا، وإننا على تياتنا وبصائرنا، نوالى من والاك ونعادي من عاداك!.. «١»

وكان نافع (رض) على مرتبة عالية من الأدب والوفاء ومعرفة حق الإمام الحسين عليه السلام عليه وعلى جميع المسلمين، روى الطبرى أنه لما اشتد على الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه العطش في كربلاء - قبل يوم عاشوراء - «دعا العباس بن علي بن أبي طالب أخاه، فبعثه في ثلاثين فارساً وعشرين رجلاً، وبعث معهم بعشرين قربة، فجاءوا حتى دنوا من الماء ليلاً، واستقدم أمامهم باللواء نافع بن هلال الجملي، فقال عمرو بن الحجاج الزبيدي: من الرجل؟ فجيء، ما جاء بك؟ قال: جئنا نشرب من هذا الماء الذي حلاّتمونا عنه!

قال: فاشرب هنيئاً!

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢٥٨

قال: لا والله، لا أشرب منه قطرة وحسين عطشان ومن ترى من أصحابه! فطلعوا عليه، فقال: لا سبيل إلى سقى هؤلاء، إنما وضعتنا بهذا المكان لنمنعهم الماء!

فلما دنا منه أصحابه قال لرجاله: إملؤا قربكم. فشدّ الرجال فملؤا قربهم. وثار إليهم عمرو بن الحجاج وأصحابه، فحمل عليهم العباس بن علي ونافع بن هلال فكفّوهم ثم انصرفوا إلى رحالهم.. «١»

وخرج الإمام عليه السلام ليلة عاشوراء في جوف الليل إلى خارج الخيام يتفقد التلاع والعقبات، فبعثه نافع بن هلال الجملي، فسأله الحسين عليه السلام عما أخرجه؟

قال: يا ابن رسول الله، أفرعني خروجك إلى جهة معسكر هذا الطاغى!

فقال الحسين عليه السلام: إني خرجت أتفقد التلاع والروابي مخافة أن تكون مكمناً لهجوم الخيل يوم تحملون ويحملون.

ثم رجع عليه السلام وهو قابض على يد نافع ويقول: هي هي! والله وعد لا خلف فيه! ثم قال له: ألا تسلك بين هذين الجبلين في جوف الليل وتنجو بنفسك؟ فوقع نافع على قدميه يقبلهما ويقول: ثكلتني أمي! إن سيفي بألف، وفرسي مثله! فوالله الذي من بك علي لا فارقتك حتى يملأ عن فري وجزي!.. «٢»

وقد جسد نافع (رض) صوراً رائعة من صور الشجاعة يوم عاشوراء، منها: لما استشهد عمرو بن قرظة الأنصاري (رض)، خرج أخوه علي بن قرظة وكان مع عمر بن سعد، فهتف بالإمام الحسين هتافاً سيئاً ثم حمل على الإمام عليه السلام فاعترضه

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢٥٩

نافع بن هلال المرادي قطعنه فصرعه، فحمله أصحابه فاستنقذوه.. «١»

وكان نافع (رض) يقاتل يومئذ وهو يقول: أنا الجملي أنا على دين علي، فخرج إليه رجل يقال له مزاحم بن حريث فقال: أنا على دين عثمان!

فقال له: أنت على دين الشيطان! ثم حمل عليه فقتله، فقال عمرو بن الحجاج بالناس: يا حمقى! أتدرون من تقاتلون؟! فرسان مصر!

قوماً مستميتين! لا يبرزنّ لهم منكم أحد، فإنهم قليلٌ، وقلّ ما يقون! والله لولم ترموهم إلّا بالحجارة لقتلتموهم!
فقال عمر بن سعد: صدقت، الرأى ما رأيت. وأرسل إلى الناس يعزم عليهم ألا يبارز رجلٌ منكم رجلاً منهم! (٢)
وكان نافع (رض) قد كتب اسمه على أفواق نبله! فجعل يرمى بها مسمومةً! وهو يقول: أنا الجملى أنا على دين على.
فقتل إثني عشر من أصحاب عمر بن سعد سوى من جرح! ففُضرب حتى كُسرت عضداه، وأُخذ أسيراً، أخذته شمر بن ذى الجوشن لعنه
الله ومعه أصحاب له يسوقون نافعاً (رض) حتى أُوتى به عمر بن سعد، فقال له عمر بن سعد: ويحك يا نافع! ما حملك على ما صنعت
بنفسك؟! قال: إن ربي يعلم ما أردت! والدماء تسيل على لحيته وهو يقول: والله لقد قتلت منكم إثني عشر سوى من جرحت، وما
ألوم نفسي على الجُهد! ولو بقيت لى عضد وساعد ما أسرتمنى!

فقال شمر لعمر: أقتله أصلحك الله!

مع الركب الحسينى (ج ٣)، ص: ٢٦٠

قال عمر: أنت جئت به، فإن شئت فاقتله!

فانتضى شمر سيفه، فقال له نافع: أما والله، لو كنت من المسلمين لعظم عليك أن تلقى الله بدمائنا، فالحمد لله الذى جعل مناينا على
يدى شرار خلقه. فقلته! (١)

فسلام على نافع بن هلال يوم ولد ويوم استشهد ويوم يُبعث حياً!

(٤) - أما بُرَيْرُ بن خُصَيْرِ الهمدانى المشرقى (رض) ص : ٢٦٠

فقد كان شيخاً تابعياً ناسكاً، قارئاً للقرآن، وكان من شيوخ القراء فى الكوفة، ومن أصحاب أمير المؤمنين على عليه السلام، وكان من
أشراف أهل الكوفة من الهمدانيين.

ونقل: أنه لما بلغه خبر الحسين عليه السلام سار من الكوفة إلى مكة ليجتمع بالحسين عليه السلام، فجاء معه حتى استشهد. (٢)

ومن مقالاته مع الإمام عليه السلام الكاشفة عن قوة بصيرته قوله (رض): «والله يا ابن رسول الله، لقد من الله بك علينا أن نقاتل بين
يديك، وتقطع فيك أعضاؤنا، ثم يكون جدك شفيعنا يوم القيامة!».

ومن المواقف الكاشفة عن قوة يقينه (رض) ما رواه الطبرى أن الإمام الحسين عليه السلام أمر بفسطاط فُضرب، ثم أمر بمسك فميث
فى جفنه عظيمه أو صحفه ثم دخل الإمام عليه السلام ذلك الفسطاط فتطلى بالنورة، وعبدالرحمن بن عبد ربه وبرير بن خضير
الهمدانى على باب الفسطاط تحتك مناكبهما! فازدحما أيهما

مع الركب الحسينى (ج ٣)، ص: ٢٦١

يطلى على أثره! «فجعل برير يهازل عبدالرحمن! فقال له عبدالرحمن: دعنا فوالله ما هذه بساعة باطل! فقال له برير: والله لقد علم قوماى
أنى ما أحببت الباطل شائياً ولا كهلاً، ولكن والله إنى لمستبشراً بما نحن لاقون! والله إن بيننا وبين الحور العين إلّا أن يميل هؤلاء علينا
بأسيافهم! ولوددت أنهم قد مالوا علينا بأسيافهم! ..» (١)

ونقل أنه «لما بلغ من الحسين عليه السلام العطش ما شاء الله أن يبلغ، استأذن برير الحسين عليه السلام فى أن يكلم القوم فأذن له،
فوقف قريباً منهم ونادى: يا معشر الناس، إن الله بعث بالحق محمداً بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله يآذنه وسراجاً منيراً، وهذا ماء الفرات
تقع فيه خنازير السواد وكلابها! وقد حيل بينه وبين ابن رسول الله صلى الله عليه وآله، أفجزاء محمد هذا؟!

فقالوا: يا برير، قد أكثرت الكلام فاكفف! فوالله ليعطشن الحسين كما عطش من كان قبله! فقال الحسين عليه السلام: أكفف يا برير».

وروى الطبرى عن عفيف بن زهير بن أبى الأحنس، وكان قد شهد مقتل الحسين عليه السلام قال: «خرج يزيد بن معقل من بنى عميرة بن ربيعة ...

فقال: يا برير بن خضير، كيف ترى الله صنع بك؟!

قال: صنع الله والله بى خيراً، وصنع الله بك شراً!

قال: كذبت، وقبل اليوم ما كنت كذاباً! هل تذكر وأنا أماشيكت فى بنى لوزان، «٣»

معالركب الحسينى (ج ٣)، ص: ٢٦٢

وأنت تقول: إن عثمان بن عفان كان على نفسه مسرفاً، وإن معاوية بن أبى سفيان ضالُّ مُضَلُّ، وإن إمام الهدى والحقِّ على بن أبى طالب؟!

فقال له برير: أشهد أن هذا رأى وقولى.

فقال له يزيد بن معقل: فإنى أشهد أنك من الضالين!

فقال له برير بن خضير: هل لك أن أباهلك؟ ولندع الله أن يلعن الكاذب، وأن يقتل المُبطل، ثم اخرج فلأبارزك!

قال فخرجا فرعما أيديهما إلى الله يدعوانه أن يلعن الكاذب، وأن يقتل المحقُّ المُبطل، ثم برز كل واحدٍ منهما لصاحبه فاختلفا ضربتين، فضرب برير بن خضير ضربه خفيفة لم تضره شيئاً! وضربه برير بن خضير ضربه قَدَّت المغفر وبلغت الدماغ! فخرَّ كأنما هوى من حالق! وإن سيف ابن خضير لثابت فى رأسه، فكأنى أنظر إليه ينضضه من رأسه!

وحمل عليه رضئ بن منقذ العبدى فاعتق بريراً، فاعتركا ساعة، ثم إن بريراً قعد على صدره! فقال رضئ: أين أهل المصاع والدفاع؟!

قال فذهب كعب بن جابر بن عمرو الأزدى ليحمل عليه، فقلت: إن هذا برير ابن خضير القارىء الذى كان يُقرئنا القرآن فى المسجد! فحمل عليه بالرمح حتى وضعه فى ظهره، فلما وجد مسَّ الرمح برك عليه فعضَّ بوجهه وقطع طرف أنفه! فطعنه كعب بن جابر حتى ألقاه عنه، وقد غيب السنان فى ظهره، ثم أقبل عليه يضربه بسيفه حتى قتله ..». «١»

فسلام على برير بن خضير يوم ولد ويوم استشهد ويوم يُبعث حياً!

معالركب الحسينى (ج ٣)، ص: ٢٦٣

(١٤) - البيضة: ص: ٢٦٣

إشارة

«بكسر الباء، ماء بين واقصه إلى العذيب، متصله بالحرن، لبنى يربوع». «١»

وروى الطبرى: عن أبى مخنف، عن عقبه بن أبى العيزار قال: «إن الحسين خطب أصحابه وأصحاب الحرِّ بالبيضة، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

أيها الناس، إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، يعمل فى عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغير عليه بفعل ولاقول كان حقاً على الله أن يدخله مدخله! ألا وإن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد، وعطلوا الحدود، واستأثروا بالفىء، وأحلوا حرام الله، وحرّموا حلاله! وأنا أحق من غير، وقد أتتني كتبكم، وقدمت على رسلكم ببيعتكم: أنكم لاتسلمونى ولاتخذلونى، فإن تمتمت على بيعتكم تُصيبيوا رشدكم، فأنا الحسين بن علىّ وابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، نفسى مع أنفسكم، وأهلى مع

أهليكم، فلكم في أسوء، وإن لم تفعلوا ونقضتم عهدكم وخلعتم بيعتي من أعناقكم، فلعمري ماهي لكم بُنكر! لقد فعلتموها بأبي وأخي وابن عمي مسلم، والمغرور من أغترّ بكم! فحظّكم أخطأتم، ونصيبكم ضيعتم! ومن نكث فإنما ينكث على نفسه، وسيغني الله عنكم! والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..» (٢)
معالركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢٦٤

إشارة: ص: ٢٦٤

هذه الخطبة من أشهر وأقوى خطب الإمام الحسين عليه السلام في منازل الطريق بين مكة وكربلاء، وقد تضمنت أقوى الأدلة على أنّ المسلمين جميعاً أمام تكليف عام بوجوب النهوض لمواجهة السلطان الجائر المستحلّ لحرم الله، الناكث لعهد الله، المخالف لسنة رسول الله صلى الله عليه وآله، العامل في عباد الله بالإثم والعدوان! فالإمام عليه السلام يروي عن جدّه صلى الله عليه وآله أنه قال: «من رأى: أي كل من رأى، فلا تختصّ الحال بواحدٍ دون آخر ...

ثم ما أعجب قوله صلى الله عليه وآله: «لم يغيّر عليه بفعل ولا قول كان حقاً على الله أن يمدخله مدخله!»، فالإنكار القلبي فقط هنا لا ينجي صاحبه - كما هو ظاهر المتن - من الدخول في نفس مصير السلطان الجائر! ونشاهد في هذه الخطبة أيضاً أنّ الإمام عليه السلام قد أشار إلى مسؤوليته موقعه الخاص في الأمة، فهو ابن رسول الله صلى الله عليه وآله، وإمام منصوب عليه، منصوب من قبل الله تعالى، مفترض الطاعة، فهو «أحقّ من غير» على السلطان الجائر بالقيام ضده والنهضة لإسقاطه، إنّه عليه السلام القائم بالحق في وقته.

وهو الحسين بن عليّ وابن فاطمة بنت رسول الله صلوات الله عليهم أجمعين، فلجميع المسلمين فيه أسوء حسنة «فلكم في أسوء»، فعليهم عامة وعلي من سمع نداءه خاصة أن يقوموا معه وينصروه لإسقاط الطاغوت فيصيبوا بهذا رشدهم وخير دنياهم وآخرتهم. فإن لم يفعلوا ونقضوا العهد وخلعوا البيعة فما ذلك بجديد مستغرب منهم! ولا يجدي على الإمام عليه السلام، فقد عرف ذلك منهم فيما مضى بما صنعوه بأبيه وأخيه ثم بآبائهم مسلم صلوات الله عليهم .. وهم بذلك يُخطئون حظهم ويضيعون معالركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢٦٥

نصيبهم من الفرصة السانحة التي من الله بها عليهم في الجهاد بين يدي إمام مفترض الطاعة لإسقاط الطاغوت! .. والإمام عليه السلام على كل حال في غنى عن الناكثين .. إنه الشهيد الفاتح الذي سيتحقق الفتح بدمه أساساً لا بدم سواه! لو كانوا يعلمون!

(١٥) - عذّيب الهجانات ص: ٢٦٥

إشارة

«العذّيب: تصغير العذب: وهو الماء الطيب، وهو ماء بين القادسية والمغيثة، وبينه وبين القادسية أربعة أميال، وإلى المغيثة إثنان وثلاثون ميلاً. وقيل هو واد لبني تميم، وهو من منازل حاج الكوفة ..» (١)

يواصل الطبري روايته عن عقبه بن أبي العيزار التي حدّثنا فيها عن خطبة الإمام عليه السلام بأصحابه في ذي حُسم، وحدّثنا فيها أيضاً عن جواب زهير بن القين (رض) عن لسان جميع الأنصار (رض)، فيقول الطبري:

«.. وأقبل الحرّ يسايره، وهو يقول له: يا حسين، إنّي أذكرك الله في نفسك! فإنّي أشهد لئن قاتلت لتقتلن، ولئن قوتلت لتهلكن فيما

أرى!

فقال له الحسين عليه السلام: أباالموت تخوفني؟! وهل يعدو بكم الخطب أن تقتلوني؟! ما أدري ما أقول لك! ولكن أقول كما قال أخو الأوس لابن عمه ولقيه وهو يريد نصره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال له: أين تذهب فإنك مقتول؟! فقال:

سأمضي ومابالموت عارٌ على الفتى إذا مانوى حقاً وجاهد مسلماً

وآسى الرجال الصالحين بنفسه وفارق مثبوراً يغش ويرغما (٢)

قال: فلما سمع ذلك منه الحرُّ تنحى عنه وكان يسير بأصحابه في ناحية، وحسين في ناحية أخرى، حتى انتهوا إلى عذيب الهجانات- وكان بها هجانن النعمان ترعى هنالك- فإذا هم بأربعة نفرٍ قد أقبلوا من الكوفة على رواحلهم يجنبون (١) فرساً لنافع بن هلال، يُقال له الكامل، ومعهم دليلهم الطرمّاح بن عدى على فرسه وهو يقول:

يا ناقتي لاتدعري من زجري وشمري قبل طلوع الفجر

بخير رُكبانٍ وخير سفرٍ حتى تحلى بكريم النَّجرِ (٢)

الماجد الحُرِّ رحيب الصدرأتى به الله لخير أمرٍ

ثُمَّتْ أبقاء بقاء الدَّهرِ (٣)

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢٦٧

قال: فلما انتهوا إلى الحسين أنشدوه هذه الأبيات فقال: أما والله إنني لأرجو أن يكون خيراً ما أراد الله بنا، قُتلنا أم ظفرنا!

وأقبل إليهم الحرُّ بن يزيد فقال: إن هؤلاء النفر الذين من أهل الكوفة ليسوا ممن أقبل معك، وأنا حابسهم أو رادهم!

فقال له الحسين عليه السلام: لأمنعهم ممّا أمنع منه نفسي! إنّما هؤلاء أنصاري وأعواني، وقد كنت أعطيتني ألاً تعرض لى بشيء حتى يأتيك كتاب من ابن زياد!

فقال: أجل، لكن لم يأتوا معك!

قال عليه السلام: هم أصحابي، وهم بمنزلة من جاء معي، فإن تممت على ما كان بيني وبينك وإلاً ناجزتك!

فقال فكفّ عنهم الحرّ.

خبر مقتل قيس بن مسهر الصيداوى (رض) ص : ٢٦٧

قال: ثم قال لهم الحسين: أخبروني خبر الناس وراءكم؟!!

فقال له مجمع بن عبدالله العائدي- وهو أحد النفر الأربعة الذين جاؤوه:-

أما أشراف الناس فقد أعظمت رشوتهم ومُلئت غرائرهم! يُستمال ودّهم ويُستخلص به نصيحتهم! فهم ألبّ واحد عليك! وأما سائر

الناس بعدُ فإن أفئدتهم تهوى إليك وسيوفهم غداً مشهورة عليك!

قال: أخبرني فهل لكم علمٌ برسولي إليكم؟

قالوا: من هو؟

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢٦٨

قال: قيس بن مسهر الصيداوى!

فقالوا: نعم، أخذه الحصين بن نمير فبعث به إلى ابن زياد، فأمره ابن زياد أن يلعنك ويلعن أباك، فصلى عليك وعلى أبيك، ولعن

ابن زياد وأباه، ودعا إلى نصرتك! وأخبرهم قدومك! فأمر به ابن زياد فألقى من طمار القصر!

فترقرقت عینا الحسین علیہ السلام ولم یملک دمعہ، ثم قال:

منہم من قضی نحبہ ومنہم من ینظر وما بدّلوا تبدیلاً. اللّٰہم اجعل لنا ولہم الجنّة نُزلاً وأجمع بیننا وبینہم فی مستقرٍ من رحمتک ورغائب مذخور ثوابک!». (۱)

مجموعۃ المجاہدین الذین التحقوا بالإمام علیہ السلام فی عذیب الہجانات ص : ۲۶۸

إنّ النفر الذین التحقوا بالإمام علیہ السلام فی عذیب الہجانات لم یكونوا أربعہ كما ذكرت رواية الطبری، بل كانوا ستہ، ہم: عمرو بن خالد الأسدی الصیداوی (رض)، ومولاه سعد (رض)، ومجمع بن عبد اللہ العائذی (رض)، وابنه عائذ (رض)، وجنادہ بن الحرث السلمانی (رض)، وواضح التركي (رض) مولى الحرث السلمانی، «۲» وكان معهم أيضاً غلام لنافع بن هلال أتبعهم بفرسه المدعوّ الكامل، «۳» وكان الطرمّاح بن عدی معهم كما هو ظاهر من رواية الطبری.

عمرو بن خالد الأسدی الصیداوی (رض) ص : ۲۶۸

كان عمرو - أبو خالد - (رض) شريفاً في الكوفة، مخلص الولاء لأهل

مع الركب الحسيني (ج ۳)، ص: ۲۶۹

البيت عليهم السلام، قام مع مسلم عليه السلام، حتى إذا خانت أهله الكوفة لم يسعه إلا الإختفاء! فلما سمع بقتل قيس بن مسهر الصيداوي (رض) وأنه أخبر أن الحسين عليه السلام صار بالحاجر خرج إليه (مع بقية المجموعة التي ذكرناها)، وأخذوا دليلاً لهم الطرمّاح بن عدی الطائي، وكان جاء الى الكوفة يمتار لأهله طعاماً، فخرج بهم على طريق متكبّئ، وسار سيراً عنيماً من الخوف لأنهم علموا أن الطريق مرصود. (۱)

وقد مرّ بنا - في رواية الطبری الماضيّة - تفصيل قصّة لقاءهم بالإمام علیہ السلام فی عذیب الہجانات، وما جرى بين الإمام علیہ السلام وبين الحرّ الرياحي (رض) بسببهم، وكيف ساء لهم الإمام علیہ السلام عن قيس بن مسهر الصيداوي (رض)، وكيف أخبروه بمقتله ... وروى أنه: لمّا التحم القتال يوم عاشوراء، شدّ هؤلاء مقدمين بأسياهم في أوّل القتال على الأعداء، فلما غلوا فيهم عطف عليهم الأعداء فأخذوا يحوزونهم، وقطعواهم من أصحابهم، فلما نظر الحسين عليه السلام إلى ذلك ندب إليهم أخاه العباس عليه السلام! فنهد إليهم وحمل على القوم وحده يضرب فيهم بسيفه قدماً! حتى خلس إليهم واستنقذهم، فجاءوا معه وقد جرحوا، فلما كانوا في أثناء الطريق رأوا أن القوم تدانوا إليهم ليقطعوا عليهم الطريق، فانسأوا من العباس، وشدّوا على القوم بأسياهم شدّة واحدة على مابهم من الجراحات! وقاتلوا حتى قُتلوا في مكان واحد، فتركهم العباس ورجع إلى الحسين عليه السلام فأخبره بذلك فترحم عليهم الإمام عليه السلام وجعل يكرّر ذلك. (۲)

فسلام على عمرو بن خالد الصيداوي يوم ولد ويوم استشهد ويوم يُبعثُ حياً!

مع الركب الحسيني (ج ۳)، ص: ۲۷۰

سعد (رض) مولى عمرو بن خالد الصيداوي (رض) ص : ۲۷۰

كان هذا المولى سيّداً شريف النفس والهيمّة، تبع مولاه عمراً في المسير الى الإمام الحسين عليه السلام والقتال بين يديه حتى قُتل

شهيداً، وقد ذكرنا خبره مع موله، وكيف جاء معه، وكيف قتلوا في كربلاء. «١»
فسلام على سعد يوم ولد ويوم استشهد ويوم يُبعث حيًا!

مجمع بن عبدالله العائذي (رض) وابنه عائذ (رض) ص : ٢٧٠

هو مجمع بن عبدالله بن مجمع بن مالك بن أياس بن عبدمناة بن عبيدالله بن سعد العشيرة، المذحجي العائذي. كان عبدالله بن مجمع العائذي صحابياً، وكان ولده مجمع (رض) تابعياً من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، ذكرهما أهل الأنساب والطبقات.

وكان مجمع (رض) مع ابنه عائذ (رض) قد التحقا بالإمام عليه السلام في عذيب الهجانات كما مرّ، واستشهدا مع عمرو بن خالد الصيداوي (رض) وجنادة بن الحرث السلماني (رض) في مكان واحد- كما مرّ بنا في ترجمة عمرو بن خالد- لكن صاحب الحدائق الوردية ذكر أن ابنه عائذاً استشهد في الحملة الأولى. «٢»

فسلام على مجمع بن عبدالله العائذي يوم ولد ويوم استشهد ويوم يبعث حيًا! وسلام على ابنه عائذ يوم ولد ويوم استشهد ويوم يُبعث حيًا!

جنادة بن الحرث السلماني (رض) ص : ٢٧٠

هو جنادة بن الحرث المذحجي المرادي السلماني الكوفي، كان من مشاهير معالركب الحسيني (ج٣)، ص : ٢٧١

الشيعة، ومن أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، وكان خرج مع مسلم عليه السلام أولًا، فلما رأى الخذلان خرج إلى الحسين عليه السلام مع عمرو بن خالد الصيداوي (رض) وجماعته، «١» وكان من قصة إلتحاقهم بالإمام عليه السلام في عذيب الهجانات، ثم استشهدهم في مكان واحد ما قد مرّ بنا قبل ذلك.

فسلام على جنادة بن الحرث السلماني يوم ولد ويوم استشهد ويوم يُبعث حيًا!

واضح التركي (رض) مولى الحرث المذحجي السلماني ص : ٢٧١

كان واضح غلاماً تركياً شجاعاً قارئاً، وكان للحرث السلماني، فجاء مع جنادة بن الحرث، «٢» والتحق بالإمام عليه السلام في عذيب الهجانات كما مرّ.

قال الشيخ السماوي (ره): «والذي أظنُّ أنّ واضحاً هذا هو الذي ذكر أهل المقاتل أنه برز يوم العاشر إلى الأعداء فجعل يقاتلهم راجلاً بسيفه وهو يقول:

البحر من ضربى وطعنى يصطلى والجو من عثير نفعى يمتلى

إذا حسامى فى يمينى ينجلى ينشق قلب الحاسد المبجل

قالوا: ولما قُتل استغاث، فانقضَّ عليه الحسين عليه السلام واعتنقه وهو يجود بنفسه، فقال: من مثلى وابن رسول الله صلى الله عليه وآله واضح خدّه على خدى! ثم فاضت نفسه رضى الله عنه. «٣»

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢٧٢

فسلام على واضح التركي يوم ولد ويوم استشهد ويوم يُبعث حيا!

إقتراح الطرماع وجواب الإمام عليه السلام ص: ٢٧٢

إشارة

روى الطبرى، عن أبي مخنف قال: حدّثني جميل بن مرشد من بنى معن، عن الطرماع بن عدى: «أنه دنا من الحسين فقال له: والله إنى لأنظر فما أرى معك أحداً! ولو لم يقاتلك إلما هؤلاء الذين أراهم ملازميك لكان كفى بهم وقد رأيتُ قبل خروجي من الكوفة إليك بيوم ظهر الكوفة وفيه من الناس مالم تر عيناى فى صعيد واحدٍ جمعاً أكثر منه! فسألت عنهم فقيل: اجتمعوا ليعرضوا، ثم يُسرحون إلى الحسين!

فأنشدك الله إن قدرت على ألا تقدم عليهم شبراً إلّا فعلت! فإن أردت أن تنزل بلداً يمنعك الله به حتى ترى من رأيك ويستين لك ما أنت صانعٌ فسِر حتى أنزلك مناع جبلنا الذى يُدعى (أجا).

امتنعنا والله به من ملوك غسان وحمير، ومن النعمان بن المنذر، ومن الأسود والأحمر، والله إن دخل علينا ذلٌ قطُّ!!
فأسير معك حتى أنزلك القرية، «١» ثم نبعث إلى الرجال ممن بأجا وسلّمى «٢» من طيء، فوالله لا يأتى عليك عشرة أيام حتى يأتيك طيء رجالاً وركباناً! ثم اقم فينا ما بدا لك، فإن هاجك هيجٌ فأنازعهم لك بعشرين ألف طائى يضربون بين يديك
مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢٧٣

بأسيافهم! والله لا يوصل إليك أبداً ومنهم عينٌ تطرف!

فقال له عليه السلام:

جزاك الله وقومك خيراً، إنه قد كان بيننا وبين هؤلاء القوم قولٌ لسننا نقدر معه على الإنصراف! ولاندرى علام تنصرف بنا وبهم الأمور فى عاقبه! «١»

قال الطرماع بن عدى: فودّعته، وقلت له: دفع الله عنك شرّ الجنّ والإنس، إنى قد امترت لأهلى من الكوفة ميرة، ومعى نفقة لهم، فأتيهم فأضع ذلك فيهم، ثم أقبل إليك إن شاء الله، فإن ألحقك فوالله لأكونن من أنصارك!
قال: فإن كنت فاعلاً فعجل رحمتك الله!

قال فعلمت أنه مستوحشٌ إلى الرجال حتى يسألنى التعجيل! قال فلما بلغت أهلى وضعتُ عندهم ما يصلحهم وأوصيتُ! فأخذ أهلى يقولون: إنك لتصنع مرّةك هذه شيئاً ما كنت تصنعه قبل اليوم؟! فأخبرتهم بما أريد، وأقبلتُ فى طريق بنى نعل حتى إذا دنوت من عُذيب الهجانات استقبلنى سماعه بن بدر فعاه إلى! فرجعت. «٢»

إشارة ص: ٢٧٣

فى عُذيب الهجانات كان مجمع بن عبدالله العائذى (رض) قد أخبر الإمام عليه السلام عن حال أهل الكوفة- عن لسانه ولسان من معه- قائلاً: «أما أشراف الناس فقد أعظمت رشوتهم ومُلئت غرائرهم، يُستمال ودّهم ويستخلص به

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢٧٤

نصيحتهم، فهم ألبٌ واحد عليك! وأما سائر الناس بعدُ فإنّ أفئدتهم تهوى إليك، وسيوفهم غداً مشهورة عليك!..

ومن قبل هذا كان الفرزدق وبشر بن غالب وغيرهم قد أخبروا الإمام عليه السلام بذلك! ثم ها هو الطرماع يقول له: «وقد رأيتُ قبل

خروجي من الكوفة إليك بيوم ظهر الكوفة وفيه من الناس مالم ترّ عيناى فى صعيد واحدٍ جمعاً أكثر منه! فسألت عنهم فقيل: اجتمعوا ليعرضوا ثمّ يُسرّحون إلى الحسين! فالأنباء تابعت على الإمام عليه السلام بذلك، وفى عذيب الهجانات لم يعد ثمة شكّ فى أنّ الكوفة قد انقلبت على عهدها مع الإمام عليه السلام رأساً على عقب، بل وقد عبّأها ابن زياد عن بكره أبيها واستعرض عساكرها ليسرّح بهم إلى الحسين عليه السلام!

لكننا نجد الإمام عليه السلام يُصرّ على التوجّه إلى أهل الكوفة قائلاً: «إنّه قد كان بيننا وبين هؤلاء القوم قولٌ لسنا نقدر معه على الإنصراف!..»، وعلى رواية ابن نما (ره):

«إنّ بينى وبين القوم موعداً أكره أن أخلفهم، فإنّ يدفع الله عنّا فقد يمّا ما أنعم علينا وكفى، وإنّ يكن ما لا بدّ منه ففوز وشهادة إن شاء الله!». (١)

هنا نعود لتكرّر القول وتؤكد على هذه الحقيقة مرّة أخرى: وهى أنّ من الصحيح القول إنّ الإمام عليه السلام لم يشأ أن يدع لأهل الكوفة أيّة مؤاخذه عليه يمكن أن يتذرّعوا بها لو أنّه كان قد انصرف عن التوجّه إليهم أثناء الطريق، لأنهم يمكن أن يدّعوا أنّ الأخبار التى بلغت الإمام عليه السلام عن حال الكوفة لم تكن صحيحة أو دقيقة! وأنّ أنصاراً له كثيرين فيها كانوا ينتظرونه فى خفاء عن رصد السلطة! ولذا كان عليه السلام قد قال للطّرماح: «بيننا وبين هؤلاء القوم قولٌ لسنا نقدر معه على الإنصراف!». أو «إنّ بينى وبين القوم موعداً أكره أخلفهم!».

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢٧٥

لكنّ أصحّ القول: هو أنّ الإمام عليه السلام كان يعلم بما لا بدّ من وقوعه «وإنّ يكن ما لا بدّ منه ففوز وشهادة إن شاء الله!»، لقد كان عليه السلام يعلم منذ البدء أنه سوف يُقتل حتى لو كان فى جحر هامه من هوامّ الأرض، وكان عليه السلام يعلم أنّ أهل الكوفة قاتلوه «هذه رسائل أهل الكوفة إلىّ ولا أراهم إلّا قاتليّ!»، إذن فإصراره عليه السلام على العراق دون غيره هو إصرار على الأرض المختارة للمصرع المحتوم! الأرض التى ستهبّ منها- بعد مقتله- عواصف التغيير والتحوّلات الكبرى التى لا تهدأ حتى تسقط دولة الأمويين! الأرض التى ستمتدّ منها وتتسع جميع آفاق الفتح الحسيني!

(١٦) - قصر بنى مقاتل ص: ٢٧٥

إشارة

«قال السكوني: هو قرب القطقطنه وسلام ثمّ القريّات. وهو منسوب إلى مقاتل بن حسان بن ثعلبة التميمي». (١)
روى ابن أعمش الكوفي قائلاً: «وسار الحسين عليه السلام حتّى نزل فى قصر بنى مقاتل، فإذا هو بفسطاط مضروب، ورمح منصوب، وسيف معلق، وفرس واقف على مذوده! فقال الحسين عليه السلام: لمن هذا الفسطاط؟
فقيل: لرجل يُقال له عبيدالله بن الحرّ الجعفيّ.

قال فأرسل الحسين برجل من أصحابه يُقال له الحجّاج بن مسروق الجعفيّ فأقبل حتّى دخل عليه فى فسطاطه فسلمّ عليه فردّ عليه السلام ثم قال: ما وراءك؟

فقال الحجّاج: واللّه، ورائي يا ابن الحرّ، واللّه قد أهدى الله إليك كرامه إن قبلتها!

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢٧٦

قال: وماذا ك؟

فقال: هذا الحسين بن عليّ رضی اللہ عنہما يدعوك إلى نصرته! فإن قاتلت بين يديه أجرت، وإن متّ فإنك استشهدت! فقال له عبيدالله: واللّٰه ما خرجت من الكوفة إلّا مخافة أن يدخلها الحسين بن عليّ وأنا فيها فلا أنصره، لأنّه ليس له في الكوفة شيعة ولا أنصار إلّا وقد مالوا إلى الدنيا إلّا من عصم اللّٰه منهم! فارجع إليه وخبره بذاك.

فأقبل الحجاج إلى الحسين فخبره بذلك، فقام الحسين ثم صار إليه في جماعة من إخوانه، فلمّا دخل وسلّم وثب عبيدالله بن الحرّ من صدر المجلس، وجلس الحسين فحمد اللّٰه وأثنى عليه، ثم قال:

أمّا بعد يا ابن الحرّ، فإنّ مصركم هذه كتبوا إليّ وخبروني أنّهم مجتمعون على نصرتي، وأن يقوموا دوني ويقاتلوا عدوّي، وإنهم سألونى القدوم عليهم فقدمت، ولست أدري القوم على مازعموا؟ فإنّهم قد أعانوا على قتل ابن عمّي مسلم بن عقيل رحمه اللّٰه وشيعته! وأجمعوا على ابن مرجانة عبيدالله بن زياد مبايعين ليزيد بن معاوية!

وأنت يا ابن الحرّ فاعلم أنّ اللّٰه عزّ وجلّ مؤاخذك بما كسبت وأسلمت من الذنوب في الأيام الخالية، «١» وأنا أدعوك في وقتي هذا إلى توبة تغسل بها ما عليك من الذنوب، أدعوك إلى نصرتنا أهل البيت، فإن أعطينا حقنا حمدنا اللّٰه على ذلك وقبلناه، وإن منعنا حقنا ورُكبتنا بالظلم كنت من أعوانى على طلب الحقّ.

مع الרכب الحسينى (ج ۳)، ص: ۲۷۷

فقال عبيدالله بن الحرّ: واللّٰه يا ابن بنت رسول اللّٰه، لو كان لك بالكوفة أعوان يقاتلون معك لكنّ أشدهم على عدوك! ولكنّي رأيت شيعةك بالكوفة وقد لزموا منازلهم خوفاً من بنى أمية ومن سيوفهم! فأنشدك اللّٰه أن تطلب منّي هذه المنزلة! وأنا أواسيك بكلّ ما أقدر عليه، وهذه فرسى ملجئة، واللّٰه ما طلبت عليها شيئاً إلّا أذقته حياض الموت، ولا طلبتُ وأنا عليها فُلحقت، وخذ سيفي هذا فواللّٰه ما ضربت به إلّا قطعُ!

فقال له الحسين رضی اللّٰه عنه:

يا ابن الحرّ ما جئناك لفرسك وسيفك! إنّما أتيناك لنسألك النصره، فإنّ كنت قد بخلت علينا بنفسك فلاحاجة لنا في شيء من مالك! ولم أكن بالذى اتخذ المضلّين عضداً لأنى قد سمعت رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه وآله وسلّم وهو يقول: من سمع داعية أهل بيتي ولم ينصرهم على حقّهم إلّا أكبه اللّٰه على وجهه في النار!

ثمّ سار الحسين رضی اللّٰه عنه من عنده، ورجع إلى رحله، فلمّا كان من الغد رحل الحسين .. «١»

مع الרכب الحسينى (ج ۳)، ص: ۲۷۸

وفى رواية الدينورى: «.. فأتاه الرسول، فقال: هذا الحسين بن عليّ يسألك أن تصير إليه! فقال عبيدالله: واللّٰه ما خرجت من الكوفة إلّا لكثرة من رأيت خرج لمحاربتة، وخذلان شيعته، فعلمتُ أنه مقتول ولا أقدر على نصره! فلست أحبّ أن يرانى ولا أراه! فانتعل الحسين حتّى مشى، ودخل عليه قبتة، ودعا إلى نصرته!

فقال عبيدالله: واللّٰه إنى لأعلم أنّ من شايحك كان السعيد فى الآخرة! ولكن ما عسى أن أغنى عنك؟! ولم أخلف لك بالكوفة ناصرًا! فأنشدك اللّٰه أن تحملنى على هذه الخطّة، فإنّ نفسى لم تسمح بعدُ بالموت! ولكن فرسى هذه المُلحقة، واللّٰه ما طلبت عليها شيئاً قطّ إلّا لحقته! ولا طلبنى وأنا عليها أحدٌ إلّا سبقته! فخذها فهى لك.

قال الحسين عليه السلام: أمّا إذا رغبت بنفسك عنّا فلاحاجة لنا إلى فرسك! «١»

إشارة ص: ۲۷۸

فى لقاء الإمام عليه السلام مع عبيدالله بن الحرّ الجعفى تتجلى بشكل مفعج آثار مرض الوهن (حبّ الدنيا وكراهية الموت!) والشلل

النفسى الذى تفشى بدرجة واسعة وعميقة وخطيرة فى هذه الأمة، بعد ارتحال رسول الله صلى الله عليه وآله نتيجة المنعطفات الإنحرافية التى مرّت بها الأمة، بفعل حركة النفاق طيلة خمسين سنة! ها هو ابن الحرّ الجعفى يعترف قائلاً: «والله إننى لأعلم أنّ من شايحك كان السعيد

معالركب الحسينى (ج ٣)، ص: ٢٧٩

فى الآخرة!»، وهو يعلم- بحكم العقل والشرع- أنّ درجة وجوب نصره الإمام عليه السلام على كلّ مسلم تشتدّ كلّما اشتدّت حاجة الإمام عليه السلام إلى من ينصره! لكنّه يجيب الإمام عليه السلام بمنطق الوهن المتمثل بحبّ الدنيا وكراهية الموت والتثاقل إلى الأرض قائلاً: «ولكن ما عسى أن أغنى عنك؟! ولم أخلف لك بالكوفة ناصراً! فأنتدك الله أن تحملنى على هذه الخطة! فإنّ نفسى لم تسمح بالموت!..».

ونرى الإمام عليه السلام الذى دعاه إلى التوبة وإلى الإلتحاق بركب الربانيين يرُدُّ عليه- بعد أن أظهر الجعفى تناقله إلى الأرض وتشبّهه بالحياة الدنيا- قائلاً:

«أما إذا رغبت بنفسك عنّا فلا حاجة لنا إلى فرسك!» أو «يا ابن الحرّ! ما جئناك لفرسك وسيفك، إنّما أتيناك لنسألك النصره! فإنّ كنت بخلت علينا بنفسك فلا حاجة لنا فى شىء من مالك، ولم أكن بالذى اتخذ المضلّين عضداً!».

نعم، فالقائد الربانى ليست حاجته الأساس إلى وسائل وأسلحة وأموال، وإن كان ذلك من العدة، بل حاجته الأساس إلى الإنسان الربانى، المشتاق إلى لقاء ربّه، المبادر إلى طاعته، المخفّ إلى مرضاته، المسارع إلى نصره أوليائه، المؤثر آخرته على دنياه.. ذلك لأنّ أفضل العدة وأقوى الأسلحة على مرّ الزمان هو الإنسان الربانى الذى يُجرى الله على يديه الإنتصارات المعنوية الكبيرة والفتوحات الإلهية المبينة!

ونرى أيضاً خليفة الله فى عصره، ووليّه الأعظم، الإمام الحسين عليه السلام يعامل هذا الواهن المشلول روحياً عبيدالله بن الحرّ الجعفى- الذى خرج من الكوفة حتى لا ينصر الحسين عليه السلام ولا يكون ضدّه!- برحمته العامة ورأفته! فيحدّره من أن يكون ممّن يسمع واعية أهل البيت فلا ينصرهم فيكبه الله على وجهه فى النار!

معالركب الحسينى (ج ٣)، ص: ٢٨٠

ما أخسرَ صفقة الجعفى هذا! وما أحرّاه بالحسرة العظمى! «١» على ما فرّط فى حظّ نفسه، وفى الفرصة النادرة التى كانت قد أتت له للإلتحاق بركب الربانيين العشاق الشهداء الذين لم يسبقهم سابق ولا يلحق بهم لاحق!

هل التحق الصحابى أنس الكاهلى بالإمام عليه السلام فى قصر بنى مقاتل؟ ص : ٢٨٠

قال البلاذرى: «وكان أنس بن الحارث الكاهلى سمع مقالة الحسين لابن الحرّ، وكان قدم من الكوفة بمثل ما قدم له ابن الحرّ، فلما خرج «٢» من عند ابن الحرّ

معالركب الحسينى (ج ٣)، ص: ٢٨١

سلم على الحسين وقال له: والله ما أخرجنى من الكوفة إلّا ما أخرج هذا من كراهة قتالك أو القتال معك! ولكنّ الله قذف فى قلبى نصرتك! وشجّعنى على المسير معك!

فقال له الحسين: فاخرج معنا راشداً محفوظاً.. «١»

ونقول: إنّ هذا التردّد الذى اعترى قلب هذا الصحابى الجليل القدر (رض)- كما تصف رواية البلاذرى- لا يتلائم مع ما رواه جماعة من أهل السير عن هذا الصحابى الكبير (رض) أنه قال: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

إن ابني هذا- يعنى الحسين- يُقتل بأرض يُقال لها كربلاء، فمن شهد ذلك منكم فلينصره!

قال: فخرج أنس بن الحارث إلى كربلاء فقتل مع الحسين!.. «٢»

كما لا يتلائم ما ذكره البلاذرى من أن مكان لقائه بالإمام عليه السلام فى قصر بنى مقاتل مع ما يوحىه ظاهر رواية ابن عساکر، وما ذكره ابن حجر العسقلانى «٣» من أنه خرج إلى كربلاء فقتل مع الحسين!

وفى إِبصار العين أنه «كان جاء الى الحسين عليه السلام عند نزوله كربلاء، والتقى معه ليلاً فيمن أدركته السعادة!». «٤»

وهذا الصحابى الجليل هو: «أنس بن الحرث بن نبيه بن كاهل بن عمرو بن صعب بن أسد بن خزيمه، الأسدى الكاهلى، كان صحابياً كبيراً مَمَّن رأى

مع الרכب الحسينى (ج ٣)، ص: ٢٨٢

النبيّ صلى الله عليه و آله وسمع حديثه ... روى أهل السير: أنه لما جاءت نوبته استأذن الحسين عليه السلام فى القتال فأذن له- وكان شيخاً كبيراً- فبرز وهو يقول:

قد علمت كاهلها ودودان والخنديون وقيس عيلان

بأن قومي آفة للأقران». «١»

وقد ذكر الشيخ باقر شريف القرشى أن الصحابى الجليل أنس بن الحارث الكاهلى (رض) قد لازم الإمام الحسين عليه السلام وصحبه من مكّة. «٢» ولعل الشيخ القرشى عثر على وثيقة تاريخية تقول بذلك- أو لعل هذا من سهو قلمه الشريف- لأن الذى عليه أهل السير أن أنس بن الحارث الكاهلى (رض) قد التحق بالإمام عليه السلام بعد خروجه من مكّة (فى العراق) «٣» أو عند نزوله كربلاء.

لقاء الإمام عليه السلام مع الرجلين المشرقين ص : ٢٨٢

إشارة

روى الشيخ الصدوق (ره) بسنده عن عمرو بن قيس المشرقى قال: «دخلت على الحسين عليه السلام أنا وابن عمّ لى، وهو فى قصر بنى مقاتل، فسلمنا عليه، فقال له ابن عمّى: يا أبا عبد الله، هذا الذى أرى خضاباً أو شعرك؟

فقال: خضاب! والشيب إلينا بنى هاشم يعجل!

ثم أقبل علينا فقال: جئتما لنصرتى؟

فقلت: إننى رجل كثير العيال، وفى يدي بضائع للناس، ولا أدرى ما يكون، وأكره أن أضيع أمانتى!

مع الרכب الحسينى (ج ٣)، ص: ٢٨٣

وقال له ابن عمّى مثل ذلك!

قال لنا: فانطلقا فلا تسمعا لى واعية ولا تريا لى سواداً! فإنه من سمع واعيتنا أو رأى سوادنا فلم يجبنا ولم يُغننا كان حقاً على الله عزّ وجلّ أن يُكبه على منخريه فى النار!». «١»

إشارة: ص : ٢٨٣

لو كان هذان المشرقيان صادقين فيما اعتذرا به! أو كانا صادقين فى رغبتهما فى الإلتحاق بالإمام عليه السلام! لكان بإمكانهما على الأقل- وهما ابنا عمّ- أن يختارا أحدهما للإلتحاق بالإمام عليه السلام لنصرته، والآخر منهما للبقاء وأداء الأمانات إلى أهلها!

لكنه الوهن (حبّ الدنيا وكرهية الموت) والشلل النفسى المتفشى فى هذه الأُمَّة، له ذرائع ومعاذير لا تنتهى!

إنّ سؤالهما عن الخضاب! كاشف عن انحطاط اهتمامهما، فبدلاً من أن يسألا الإمام عليه السلام عن نهضته ومسارها ومصيرها وكلّ ما يرتبط بها! كان سؤال أحدهما:

«يا أبا عبد الله، هذا خضابٌ أم شعرك؟»!

ثمّ ها هو الإمام عليه السلام يشملهما برحمته ورأفته الغامرة، فيحذّرهما من أن يكونا ممن يستمع واعيته فلا يجيبه، ويرى له سواداً فلا يُغيثه وينصره! فيكون حقاً على الله أن يُكبه على منخره في النار!

ما أعظمك وأرحمك يا مولانا يا أبا عبد الله الحسين!!

رؤيا المنايا أيضاً .. بين قصر بني مقاتل ونيوى! ص : ٢٨٣

روى الطبرى، عن أبى مخنف، عن عبدالرحمن بن جندب، عن عقبه بن

مع الركب الحسينى (ج ٣)، ص : ٢٨٤

سمعان قال: «لَمَّا كَانَ فِي آخِرِ اللَّيْلِ أَمَرَ الْحُسَيْنَ بِالِاسْتِقَاءِ مِنَ الْمَاءِ، ثُمَّ أَمَرَنَا بِالرَّحِيلِ ففعلنا .. فلَمَّا ارتحلنا من قصر بني مقاتل وسرنا ساعة خفق الحسين برأسه خفقةً، ثمّ انتبه وهو يقول: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، والحمد لله ربّ العالمين .. ففعل ذلك مرتين أو ثلاثاً! .. فأقبل إليه ابنه عليّ بن الحسين على فرس له فقال: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، والحمد لله ربّ العالمين! يا أبتِ، جُعِلت فداك، مِمَّ حمدت الله واسترجعت؟

قال: يا بَنِيَّ إِنِّي خَفَقْتُ بِرَأْسِي خَفَقَةً، فَعَنَّ لِي فَارَسٌ عَلَى فَرَسٍ فَقَالَ: الْقَوْمُ يَسِيرُونَ وَالْمَنِيَا تَسْرِي إِلَيْهِمْ! فَعَلِمْتُ أَنَّهَا أَنْفُسُنَا نُعِيَتْ إِلَيْنَا! قال له: يا أبتِ لا أراك الله سوءاً، ألسنا على الحقّ؟

قال: بلى والذي إليه مرجع العباد!

قال: يا أبتِ، إِذَا لَانبَالِي نَمُوتُ مُحَقِّينَ!

فقال له: جزاك الله من ولدٍ خير ما جزى ولداً عن والده..» (١)

(١٧) - نيوى: ص : ٢٨٤

«وبسواد الكوفة ناحية يُقال لها نيوى، منها كربلاء التي قُتل بها الحسين رضى الله عنه» (٢) و «نيوى: تقع شرق كربلاء .. وهى الموضع المعروف بباب طويريج شرقى كربلاء ..». (٣)

مع الركب الحسينى (ج ٣)، ص : ٢٨٥

كان الإمام الحسين عليه السلام قد ارتحل بالركب الحسينى من منطقة قصر بني مقاتل آخر الليل، «فلَمَّا أَصْبَحَ نَزَلَ فَصَلَّى الْغَدَاةَ، ثُمَّ عَجَلَ الرُّكُوبَ، فَأَخَذَ يَتِيَّاسِرُ بِأَصْحَابِهِ يُرِيدُ أَنْ يَفْرَقَهُمْ! فَيَأْتِيهِ الْحَرْبُ بْنُ يَزِيدَ فَيُرَدِّهِمْ فَيُرَدِّهِمْ إِذَا رَدَّهِمْ إِلَى الْكُوفَةِ رَدًّا شَدِيدًا اِمْتَنَعُوا عَلَيْهِ فَارْتَفَعُوا! فَلَمْ يَزَالُوا يَتَسَايِرُونَ حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى نِيْوَى الْمَكَانِ الَّذِي نَزَلَ بِهِ الْحُسَيْنِ.

قال فإذا راكبٌ على نجيب له وعليه السلاح متنكبٌ قوساً مُقبِلٌ من الكوفة! فوقفوا جميعاً ينتظرونه، فلَمَّا انتهى إليهم سلّم على الحرّ بن يزيد وأصحابه، ولم يُسلّم على الحسين عليه السلام وأصحابه! فدفع إلى الحرّ كتاباً من عبيد الله بن زياد فإذا فيه: أمّا بعدُ، فجعجع بالحسين حين يبلغك كتابى ويقدم عليك رسولى، فلا تنزله إلّا بالعراء! فى غير حصنٍ وعلى غير ماء! وقد أمرت رسولى أن يلزمك ولا يفارقك حتّى يأتينى بإنفاذك أمرى، والسلام.

قال فلَمَّا قرأ الكتاب قال لهم الحرّ: هذا كتاب الأمير عبيد الله بن زياد يأمرنى فيه أن أجمعج بكم فى المكان الذى يأتينى فيه كتابه،

وهذا رسوله وقد أمره أن لا يفارقني حتى أنفذ رأيه وأمره!

فنظر إلى رسول عبيدالله يزيد بن زياد بن المهاصر- أبوالشعثاء الكندى ثم النهدي «١»- فعن له، فقال: أما لك بن النسر البدي؟

معالركب الحسينى (ج ٣)، ص: ٢٨٦

قال: نعم. وكان أحد كنده.

فقال له يزيد بن زياد: ثكلتك أمك، ماذا جئت فيه؟!

قال: وما جئت فيه؟! أظعت إمامى ووفيت ببيعتى!

فقال له أبوالشعثاء: عصيت ربك وأظعت إمامك فى هلاك نفسك! كسبت العار والنار! قال الله عز وجل «وجعلنا منهم أئمة يدعون

إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون» «١»

فهو إمامك!

قال وأخذ الحر بن يزيد القوم بالتزول فى ذلك المكان على غير ماء ولا فى قرية! فقالوا: دعنا ننزل فى هذه القرية يعنون نينوى، أو هذه

القرية يعنون الغاضرية، «٢» أو هذه الأخرى يعنون الشفوية! «٣»

فقال: لا والله ما استطع ذلك! هذا رجل قد بعث إلى عينا!

فقال له زهير بن القين: يا ابن رسول الله! إن قتال هؤلاء أهون من قتال من يأتينا من بعدهم، فلعمري ليأتينا من بعد من ترى مالا قبيل لنا

به!

معالركب الحسينى (ج ٣)، ص: ٢٨٧

فقال له الحسين عليه السلام: ما كنت لأبدأهم بالقتال.

فقال له زهير بن القين: ستر بنا إلى هذه القرية حتى تنزلها فإنها حصينة، وهى على شاطئ الفرات، فإن منعونا قاتلناهم، فقتالهم أهون

علينا من قتال من يجىء من بعدهم!

فقال له الحسين: وأية قرية هى؟

قال: هى العقر! «١»

فقال الحسين: ألهم إني أعوذ بك من العقر!

ثم نزل، وذلك يوم الخميس وهو اليوم الثانى من المحرم سنة ٤١هـ. «٢»

وفى رواية الدينورى: «.. فقال له زهير: فيها هنا قرية بالقرب من على شط الفرات، وهى فى عاقول «٣» حصينة، الفرات يحدق بها إلا من

وجه واحد!

قال الحسين: وما اسم تلك القرية؟

قال: العقر

قال الحسين: نعوذ بالله من العقر!

فقال الحسين للحر: سر بنا قليلاً، ثم نزل!

معالركب الحسينى (ج ٣)، ص: ٢٨٨

فسار معه حتى أتوا كربلاء! فوقف الحر وأصحابه أمام الحسين ومنعوه من المسير، وقال: إنزل بهذا المكان، فالفرات منك قريب!

قال الحسين: وما اسم هذا المكان؟

قالوا له: كربلاء!

قال عليه السلام: ذات كرب وبلاء! ولقد مرّ أبى بهذا المكان عند مسيره إلى صفين وأنا معه، فوقف فسأل عنه، فأخبر باسمه، فقال:

هاهنا محطّ ركابهم، وها هنا مهراق دمائهم! فُسِّئِلَ عن ذلك، فقال: ثقل لآل بيت محمّد، ينزلون هاهنا! ثمّ أمر الحسين بأتقاله، فحطّت بذلك المكان يوم الأربعاء، غزّة المحرّم من سنّه إحدى وستين...» (١) وفي رواية السيّد ابن طاووس (ره): «ثمّ إنّ الحسين عليه السلام قام وركب وسار، وكلّما أراد المسير يمنعونّه تارةً ويسايرونه أخرى، حتى بلغ كربلاء، وكان ذلك في اليوم الثاني، من المحرّم، فلما وصلها قال: ما اسم هذه الأرض؟ فقيل: كربلاء. فقال عليه السلام: أللّهم إنّي أعوذ بك من الكرب والبلاء! ثم قال: هذا موضع كرب وبلاء! إنزلوا، هاهنا محطّ رحالنا، ومسفك دمائنا، وهنا محلّ قبورنا! بهذا حدّثني جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله! فنزلوا جميعاً...» (٢) وفي تذكرة الخواص: «فلما قيل للحسين: هذه أرض كربلاء. سمّها وقال: هذه والله هي الأرض التي أخبر بها جبرائيل رسول الله وأننى أقتل فيها!». (٣)

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢٨٩

وفي المقتل المنسوب إلى أبي مخنف: «وساروا جميعاً إلى أن أتوا أرض كربلاء وذلك يوم الأربعاء، فوقف فرس الحسين عليه السلام، فنزل عنها وركب أخرى فلم تبعث خطوة واحدة! ولم يزل يركب فرساً بعد فرس حتّى ركب سبعة أفراس وهنّ على هذه الحال! فلما رأى ذلك قال: يا قوم ما اسم هذه الأرض؟

قالوا: أرض الغاضرية.

قال: فهل لها إسم غير هذا؟

قالوا: تُسمّى نينوى.

قال: أهّل لها إسم غير هذا؟

قالوا: شاطيء الفرات.

قال: أهّل لها إسم غير هذا؟

قالوا: تُسمّى كربلاء.

فعند ذلك تنفّس الصعداء! وقال: أرض كرب وبلاء! ثمّ قال:

إنزلوا، هاهنا مناخ ركابنا، هاهنا تُسفك دماؤنا، هاهنا والله تُهتك حریمنا، هاهنا والله تُقتل رجالنا، هاهنا والله تُذبح أطفالنا، هاهنا والله تُزار قبورنا، وبهذه التربة وعدني جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله ولاخلف لقوله. ثمّ نزل عن فرسه...» (١)

أسماء بقيّة الأنصار الملتحقين بالإمام عليه السلام أثناء الطريق ص: ٢٨٩

إشارة

كُنّا قد تعرّضنا خلال البحث إلى ذكر مجموعة من أنصار الإمام الحسين عليه السلام الذين مرّ لهم ذكر في بعض وقائع الطريق من مكّة إلى كربلاء، وترجمنا لكلّ منهم في موقعه المناسب من سياق البحث، كزهير بن القين (رض)، وبرير بن مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢٩٠

خضير (رض)، ونافع بن هلال الجملي (رض)، وعمرو بن خالد الصيداوي (رض)، ومجمع بن عبد الله العائذي (رض) وآخرين غيرهم.

غير أنّ هناك عدداً آخر من أنصاره عليه السلام كانوا قد التحقوا به أيضاً أثناء الطريق، منهم من لم نأتِ على ذكره في موقع إلتحاقه

لأنه لم يكن له شأن يُذكر في جريان سياق أحداث الطريق، ومنهم من لم تحدّد كتب التواريخ أو التراجم مكان إتحاقه، وقد آثرنا أن نجتمع أسماء هؤلاء الأبرار رضوان الله تعالى عليهم في قائمة واحدة، نبدأها بالذين حدّدت مواقع التحاقهم، ثمّ نتبعهم الآخرين (رض):

سلمان بن مضارب البجلي (رض) ص : ٢٩٠

ذكره المحقق السماوى (ره) قائلاً: «كان سلمان ابن عمّ زهير لحاً، فإن القين أخو مضارب، وأبوهما قيس، وكان سلمان حجّ مع ابن عمّه سنه ستين، ولما مال في الطريق مع الحسين عليه السلام وحمل ثقله إليه مال معه في مضربه.

قال صاحب الحدائق: إنّ سلمان قُتل فيمن قتل بعد صلاة الظهر، فكأنّه قُتل قبل زهير». (١)

وقال السيّد الخوئى (ره): «سلمان بن مضارب: ابن قيس، ابن عمّ زهير بن القين، عدّه بعضهم من المستشهدين مع زهير بن القين يوم الطفّ». (٢)

وقال النمازى (ره): «سلمان بن مضارب بن قيس، ابن عمّ زهير بن القين، من أصحاب مولانا الحسين صلوات الله عليه المستشهدين بالطفّ، كان مع زهير، فلما عدل زهير إلى الحسين عليه السلام عدل معه، وقتل يوم عاشوراء رضوان الله تعالى

مع الركب الحسينى (ج ٣)، ص : ٢٩١

عليه، كما ذكره العلّامة المامقانى في رجاله، وكذا ذكره في عطية الذرّة». (١)

وبهذا يتضح عدم صحّة قول الدينورى (٢) أنّه لم يعدل مع زهير أحد من أصحابه أو لم يُقم معه.

وهب بن وهب (ابن الحباب الكلبى) ص : ٢٩١

روى الشيخ الصدوق (ره) في أماليه يصف وقائع حرب يوم عاشوراء وتتابع أصحاب الإمام الحسين عليه السلام في الخروج إلى البراز قائلاً: «وبرز من بعده (٣) وهب بن وهب، وكان نصرانياً أسلم على يد الحسين عليه السلام هو وأمه، فاتّبعوه إلى كربلاء، فركب فرساً وتناول بيده عود الفسطاط (عمود الفسطاط)، فقاتل وقتل من القوم سبعة أو ثمانية، ثم استوسر فأُتى به عمر بن سعد لعنه الله، فأمر بضرب عنقه، ورمى به إلى عسكر الحسين عليه السلام، وأخذت أمّه سيفه وبرزت! فقال لها الحسين عليه السلام: يا أمّ وهب، اجلسى فقد وضع الله الجهاد عن النساء، إنك وابنتك مع جدّى محمّد صلى الله عليه وآله في الجنّة». (٤)

ويبدو أنّ العلّامة المجلسى (ره) يرى أنّ وهب هذا هو نفسه: وهب بن عبد الله بن حباب الكلبى، لنقرأ هذه الفقرة من مقتل البحار:

«ثمّ برز من بعده (٥) وهب بن عبد الله بن حباب الكلبى، وقد كانت معه أمّه يومئذ.

مع الركب الحسينى (ج ٣)، ص : ٢٩٢

فقال: قم يا بِنْتِي فانصر ابن بنت رسول الله!

فقال: أفعل يا أمّاه ولا أقصر!

فبرز وهو يقول:

إنّ تنكرونى فأنا ابن الكلب سوف ترونى وترون ضربى

وحملتى وصولتى فى الحرب أدرك تأرى بعد نأر صحبى

وأدفع الكرب أمام الكرب ليس جهادى فى الوغى باللعب

ثمّ حمل فلم يزل يقاتل حتّى قتل منهم جماعة، فرجع إلى أمّه وأمراته، فوقف عليهما فقال: يا أمّاه أَرْضِيْتِ؟

فقالت: ما رضيْتُ أو تقتل بين يدي الحسين عليه السلام!

فقالت إمرأته: بالله لا تفجعني في نفسك!

فقالت أمه: يا بُني لا تقبل قولها، وارجع فقاتل بين يدي ابن رسول الله فيكون غداً في القيامة شفيحاً لك بين يدي الله. فرجع قائلاً:

إني زعيمٌ لك أمَّ وهبٍ بالطعن فيهم تارةً والضربِ
ضرب غلام مؤمنٍ بالربِّ حتَّى يُذيق القوم مرَّ الحربِ
إني امرؤٌ ذو مرّةٍ وعصبٍ ولستُ بالخوار عند النكبِ
حسبي إلهي من عليم حسبي

فلم يزل يقاتل حتَّى قتل تسعة عشر فارساً وإثني عشر راجلاً! ثمَّ قُطعت يداه، فأخذت امرأته عموداً وأقبلت نحوه وهي تقول: فداك أبي وأمِّي! قاتل دون الطيبين حرم رسول الله. فأقبل كي يردّها إلى النساء فأخذت بجانب ثوبه وقالت:
لن أعود أو أموت معك! فقال الحسين عليه السلام: جزيتم من أهل بيت خيراً! إرجعي إلى النساء رحمك الله.
مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢٩٣

فانصرفت، وجعل يُقاتل حتَّى قُتل رضوان الله عليه، قال فذهبت امرأته تمسح الدّم عن وجهه، فبصر بها شمر، فأمر غلاماً له فضربها بعمودٍ كان معه، فشدخها وقتلها، وهي أوّل امرأة قتلت في عسكر الحسين.
ورأيت حديثاً أنّ وهب هذا كان نصرانياً، فأسلم هو وأمّه على يدي الحسين، فقتل في المبارزة أربعة وعشرين راجلاً وإثني عشر فارساً، ثمَّ أخذ أسيراً، فأُتِيَ به عمر بن سعد فقال: ما أشدَّ صولتك؟! ثمَّ أمر فضربت عنقه، ورمى برأسه إلى عسكر الحسين عليه السلام، فأخذت أمّه الرأس فقبّلته، ثمَّ رمت بالرأس إلى عسكر ابن سعد، فأصابت به رجلاً فقتلته! ثمَّ شدّت بعمود الفسطاط، فقتلت رجلين!
فقال لها الحسين عليه السلام: إرجعي يا أمَّ وهب، أنت وابنك مع رسول الله فإنَّ الجهاد مرفوع عن النساء. فرجعت وهي تقول: إلهي لا تقطع رجائي! فقال لها الحسين عليه السلام: لا يقطع الله رجائك يا أمَّ وهب..» (١)
ونقل السيد إبراهيم الزنجاني يقول: «وقيل إنّ وهب كان عمره خمساً وعشرين سنة، وإسم زوجته هانية، وكان لها سبعة عشر يوماً منذ عرسه، وله عشرة أيام منذ دخل في دين الإسلام على يدي الحسين عليه السلام من المنزل الثامن: الثعلبية في طريق كربلاء..» (٢)

نعيم بن العجلان الأنصاري الخزرجي (رض) ص : ٢٩٣

قال المحقق السماوي (ره): «كان النضر والنعمان ونعيم إخوة، من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، ولهم في صفين»
مواقف فيها ذكر وسمعة، وكانوا شجعاء

مع الركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢٩٤

شعراء، مات النضر والنعمان، وبقي نعيم في الكوفة، فلمّا ورد الحسين عليه السلام إلى العراق خرج إليه وصار معه، فلمّا كان اليوم العاشر تقدّم إلى القتال، فقتل في الحملة الأولى..» (١)
وقد ورد عليه السلام في زيارة الناحية المقدّسة: «السلام على نعيم بن عجلان الأنصاري..» (٢)

زاهر بن عمر الأسلمي الكندي – صاحب عمرو بن الحمق (رض): ص : ٢٩٤

قال النمازى (ره): «قال العلامة المامقانى: هو زاهر بن عمر الأسلمى الكندى، من أصحاب الشجرة، وروى عن النبى صلى الله عليه وآله، وشهد الحديبية وخيبر، وكان من أصحاب عمرو بن الحمق الخزاعى، كما نصّ على ذلك أهل السير، وقالوا: إنه كان بطلاً مجزّباً، شجاعاً، مشهوراً، محبباً لأهل البيت، معروفاً، وحجّ سنه ستين، فالتقى مع الحسين عليه السلام فصحبه، وكان ملازماً له حتى حضر معه كربلاء، واستشهد بين يديه ..». (٣)

لكنّ المحقق السماوى (ره) لم يذكر أنّ له صحبة، بل قال: «زاهر بن عمرو الكندى: كان زاهر بطلاً مجزّباً وشجاعاً مشهوراً، ومحبباً لأهل البيت معروفاً، قال أهل السير: إنّ عمرو بن الحمق لمّا قام على زياد قام زاهر معه، وكان صاحبه فى القول والفعل، ولمّا طلب معاوية عمرواً طلب معه زاهراً، فقتل عمرواً وأفلت زاهر، فحجّ سنه ستين، فالتقى مع الحسين عليه السلام فصحبه وحضر معه كربلاء. وقال السروى: قُتل فى الحملة الأولى..». (٤)

مع الركب الحسينى (ج ٣)، ص: ٢٩٥

وقد ورد عليه السلام فى زيارة الناحية المقدسة: «السلام على زاهر مولى عمرو بن الحمق الخزاعى». (١)

نقول: إذا كان مفاد عبارة «وحجّ سنه ستين» أنّه أتمّ الحجّ فإنّ زاهراً يكون قد التحق بالإمام عليه السلام بعد خروجه من مكة فى منزل من منازل الطريق، وإذا كان مفادها أنّه أتى إلى مكة قاصداً الحجّ، فالتقى مع الإمام عليه السلام فى مكة وصحبه ولازمه، فإنّ زاهراً يكون - على هذا - ممّن انضمّ إلى الإمام عليه السلام فى مكة، وخرج معه منها، ولم يتمّ حجّه.

أبو ثمامة عمرو بن عبدالله الهمدانى الصائدى (رض) ص: ٢٩٥

قال المحقق السماوى (ره): «كان أبو ثمامة تابعياً، وكان من فرسان العرب ووجوه الشيعة، ومن أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام الذين شهدوا معه مشاهدته، ثم صحب الحسن عليه السلام بعده، وبقي فى الكوفة، فلمّا توفى معاوية كاتب الحسين عليه السلام، ولمّا جاء مسلم بن عقيل إلى الكوفة قام معه، وصار يقبض الأموال من الشيعة بأمر مسلم فيشتري بها السلاح، وكان بصيراً بذلك، ولمّا دخل عبيد الله الكوفة وثار الشيعة بوجهه، وجهه مسلم فيمن وجهه، وعقد له على ربع تميم وهمدان .. ولمّا تفرّق عن مسلم الناس بالتخذيّل اختفى أبو ثمامة، فاشتدّ طلب ابن زياد له، فخرج إلى الحسين عليه السلام، ومعه نافع بن هلال الجملى، فلقياه فى الطريق وأتيا معه.

وروى أبو مخنف: أنّ أبا ثمامة لمّا رأى الشمس يوم عاشوراء زالت، وأنّ الحرب قائمة، قال للحسين عليه السلام: يا أبا عبدالله، نفسى لنفسك الفداء! إنى أرى هؤلاء قد اقتربوا منك، ولا والله لا تقتل حتى أقتل دونك إن شاء الله، وأحبّ أن

مع الركب الحسينى (ج ٣)، ص: ٢٩٦

ألقى الله ربى وقد صليت هذه الصلاة التى دنا وقتها، فرجع الحسين رأسه ثم قال:

ذكرت الصلاة! جعلك الله من المصلين الذاكرين، نعم هذا أول وقتها ..

قال: ثمّ إنّ أبا ثمامة قال للحسين وقد صلى: يا أبا عبدالله، إنى قد هممت أن ألقى بأصحابى، وكرهت أن أتخلف وأراكم وحيداً من أهلك قتيلاً. فقال له الحسين عليه السلام: تقدّم، فإننا لآحقون بك عن ساعة! فتقدّم فقاتل حتى أثنى بالجراحات، فقتله قيس بن

عبدالله الصائدى ابن عمّ له كان له عدواً، وكان ذلك بعد قتل الحرّ..». (١)

وقد ورد عليه السلام فى زيارة الناحية المقدسة: «السلام على أبى ثمامة الصائدى عمر بن عبدالله الصائدى..». (٢)

الحناب بن عامر بن كعب بن تميم اللأه بن نعلبة، التميمى (رض) ص: ٢٩٦

قال المحقق السماوي (ره): «كان الحجاب في الكوفة من الشيعة، وممن بايع مسلماً، وخرج إلى الحسين عليه السلام بعد التخاذل عن مسلم فصادفه في الطريق، فلزمه حتى قُتل بين يديه. قال السروي: قتل في الحملة الأولى». (۳)

جندب بن حجير الكندي الخولاني (رض): ص : ۲۹۶

قال المحقق السماوي (رض): «كان جندب من وجوه الشيعة، وكان من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، خرج إلى الحسين عليه السلام فوافقه في الطريق قبل اتصال الحرّ به، فجاء معه إلى كربلا.

مع الركب الحسيني (ج ۳)، ص: ۲۹۷

قال أهل السير: إنّه قاتل فُقتل في أول القتال.

وقال صاحب الحقائق: إنّه قُتل هو وولده حجير بن جندب في أول القتال. (۱)

ولم يصح لي أنّ ولده قُتل معه، كما أنّه ليس في القوائم ذكر لولده، فلهذا لم أترجمه معه. (۲)

وقد ورد عليه السلام في زيارة الناحية المقدسة: «السلام على جندب بن حجر الخولاني». (۳)

سويد بن عمرو بن أبي المطاع الأنماري الخثعمي (رض) ص : ۲۹۷

لم نعثر في كتب التواريخ والتراجم - حسب متابعتنا - على مكان إلتحاق هذا الشهيد بركب الإمام الحسين عليه السلام، إذ لم يُذكر فيمن التحق بالإمام عليه السلام في مكة، كما لم يُذكر فيمن التحق به عليه السلام في كربلاء، فالظنّ أنّه ممّن التحق بالإمام عليه السلام في الطريق بين مكة وكربلاء، ولذا فقد أوردنا ذكره هنا احتياطاً.

قال المحقق السماوي (ره): «كان سويد شيخاً شريفاً عابداً كثير الصلاة، كان شجاعاً مجرباً في الحروب، كما ذكره الطبري والداودي ...». (۴)

ولقد كان آخر من بقي من أنصار أبي عبد الله الحسين عليه السلام (من غير الهاشميين) بشر بن عمرو الحضرمي وسويد بن عمرو بن أبي المطاع «وقال أهل السير: إنّ بشراً الحضرمي قُتل، فتقدّم سويد، وقاتل حتى أثنى بالجراح وسقط على وجهه، فظنّ بأنه قُتل، فلمّا قُتل الحسين عليه السلام وسمعهم يقولون: قُتل الحسين،

مع الركب الحسيني (ج ۳)، ص: ۲۹۸

وجد به إفاقته، وكان معه سكين خبأها، وكان قد أخذ سيفه منه، فقاتلهم بسكينه ساعة، ثمّ إنهم عطفوا عليه، فقتله عروة بن بكار التغلبي، وزيد بن ورقاء الجهني. (۱)

سعيد بن عبد الله الحنفي (رض) ص : ۲۹۸

ولم نعثر في كتب التواريخ والتراجم - حسب متابعتنا أيضاً - على مكان إلتحاق هذا الشهيد بالإمام عليه السلام إلّا ما ذكره المحقق السماوي (ره) بقوله: «ثمّ بعثه مسلم بكتاب إلى الحسين، فبقي مع الحسين حتى قُتل معه»، (۲) ولا يعلم من هذه العبارة متى بعثه مسلم عليه السلام، أكان ذلك قبل بعثه عابس بن أبي شبيب الشاكري (رض) أم بعده بقليل أو كثير؟ ولذا فالأقوى أنّه التحق بالإمام عليه السلام في مكة، لكنّ الإحتمال باقٍ في أنّ إلتحاقه بالإمام عليه السلام ربّما كان في الطريق بعد خروج الإمام عليه السلام من مكة.

وهذا الشهيد (رض) من أفضل شهداء الطفّ، وقد مرّت بنا ترجمته في الجزء الثاني من هذه الدراسة. «٣»
ويكفيه فضلاً وشرفاً - فضلاً عن شرف الشهادة - ما ورد في حقّه من سلام مفصّل وثناء عاطر في زيارة الناحية المقدّسة:
«السلام على سعد بن عبدالله الحنفي القائل للحسين وقد أذن له في الإنصراف: لا والله، لا نخليّك حتى يعلم الله أنا قد حفظنا غيبه رسول الله صلى الله عليه وآله فيك، والله لو أعلم أنّي أُقتل ثمّ أُحيى ثمّ أُحرق ثمّ أُذرى، ويفعل بي ذلك سبعين مرّة ما فارقتك حتى ألقى حمامي

معالركب الحسيني (ج ٣)، ص: ٢٩٩

دونك! وكيف أفعل ذلك وإنّما هي موته أو هي قتله واحدة؟! ثمّ بعدها الكرامة التي لا انقضاء لها أبداً!
فقد لقيت حمامك وواسيت إمامك، ولقيت من الله الكرامة في دار المقامة، حشرنا الله معكم في المستشهدين! ورزقنا مرافقتكم في أعلى عليين.». «١»
الحمد لله

الجزء الرابع

إشارة

سرشناسه: طبسى، نجم الدين، - ١٣٣٤

عنوان و نام پديدآور: الامام الحسين عليه السلام في مكة المكرمة / تاليف نجم الدين الطبسى

مشخصات نشر: قم: سپهر انديشه، ١٤٢٧ق=١٣٨٥.

مشخصات ظاهري: ص ٤٨٠

فروست: (معالركب الحسيني من المدينة الى المدينة؛ الجزء الثاني)

شابك: ٩٦٤-٧٩٣٥-٥١-X

وضعيت فهرست نویسی: فهرست نویسی قبلي

یادداشت: عربي

یادداشت: فهرست نویسی براساس اطلاعات فييا

یادداشت: کتابنامه: ص. ٤٧٢ - ٤٥٥؛ همچنين به صورت زیر نویسی

موضوع: حسين بن على (ع)، امام سوم، ٦١ - ٤ق. — سرگذشتنامه

موضوع: واقعه كربلا، ق ٦١

موضوع: مكة -- تاريخ -- قرن ١

رده بندی كنگره: ٤/٤١٤١٤/٤٣٣٣ م٦٣ ج. ٢، ١٣٨٥

رده بندی ديويي: ٢٩٧/٩٥٣

شماره كتابشناسي ملي: م٨٥-١١١٠٥

معالركب الحسيني من المدينة الى المدينة (الجز الرابع)

إسم «كربلاء» .. الأصل والإشتقاق ص : ١٣

إشارة

اختلف اللغويون والمؤرخون والجغرافيون في أصل كلمة كربلاء وفي اشتقاقها وفي معناها، فذهب بعضهم إلى أن أصل هذه الكلمة عربي محض، وذهب آخرون إلى أن أصلها غير عربي، وقال آخرون إنها متداخلة الأصل من العربية وغيرها ...

(١) - نظرية الأصل العربي لإسم كربلاء ص : ١٣

قال ياقوت الحموي: «كربلاء، بالمد: وهو الموضع الذي قُتل فيه الحسين بن علي رضي الله عنه، في طرف البرية عند الكوفة، فأما اشتقاقه فالكربلة رخاوة في القدمين، يقال: جاء يمشى مُكْرَبِلًا، فيجوز على هذا أن تكون أرض هذا الموضع رخوة فسميت بذلك. ويُقال: كَرَبَلْتُ الحنطة، إذا هَدَبْتها ونَقَيْتَها، ويُشَدُّ في صفة الحنطة: يحملن حمراء رسوباً للثقل قد غُرِبْتُ وكُرِبْتُ من القصل فيجوز على هذا أن تكون هذه الأرض منقاة من الحصى والدغل فسميت بذلك. والكربل: إسم نبت الحماض، وقال أبووجزة السعدي يصف عهون اليهودج: وثامرُ كربلٍ وعميمٌ دُفلي عليها والندی سبط يموُرُ فيجوز أن يكون هذا الصنف من النبت يكثر نبتة هناك فُسِّمِي به.» (١)

(٢) - نظرية الأصل غير العربي (الأصل الديني) ص : ١٣

وقال الدكتور مصطفى جواد في موضوع كتبه تحت عنوان (كربلاء قديماً) في موسوعة العتبات المقدسة: «.. وذكر السيد العلامة هبة الدين الشهرستاني أن «كربلاء» منحوتة من كلمتي «كور بابل» بمعنى مجموعة قرى بابلية. (٢) وقال الأب اللغوي أنستاس الكرملی: «والذي تذكره فيما قرأناه في بعض كتب الباحثين أن كربلاء منحوتة من كلمتين: من (كربل) و (إل) أي حرم الله أو مقدس الله. (٣) قلنا: إن رجوع الأعلام الأعجمية إلى أصول عربية كان ديدناً لعلماء اللغة العربية منذ القديم، فقلما اعترفوا بأن علماء من الأعلام أصله أعجمي، دون أسماء الجنس فإنهم اعترفوا بعجمتها وسموها «المعربات»، لأن الذين يعرفون اللغة الفارسية كثير، ولأنهم يدرون أصول المعربات على التحقيق والتأكيد. وكان الذي يسهل عليهم اجتيال الأعلام وغيرها إلى اللغة العربية كونها مشابهة وموازنة لكلمات عربية، كما مرّ في «كربلا» والكربلة، والكربل، فهم قالوا بعروبة تلك الأعلام الأعجمية ثم حاروا في تخريجها اللغوي فبعثهم ذلك على التكلف! كما فعلوا في كربلاء وغيرها من الأعلام الأعجمية.

مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ١٥

وأنا أرى محاولة ياقوت الحموي ردّ «كربلاء» إلى الأصول العربية غير مجدية ولا يصحّ الإعتماد عليها! لأنها من بابه الظنّ والتخمين، والرغبة الجامحة العارمة في إرادة جعل العربية مصدراً لسائر أسماء الممكنة والباق! مع أن موقع كربلاء خارج عن جزيرة العرب، وأن

فى العراق كثيراً من البلدان ليست أسماؤها عربيه كبغداد وصرورا، وجوخا، وبابل، وكوش، وبعقوبا، وأن التاريخ لم ينص على عروبته إسم «كربلاء» فقد كانت معروفة قبل الفتح العربى للعراق، وقبل سكنى العرب هناك، وقد ذكرها بعض العرب الذين رافقوا خالد بن الوليد القائد العربى المشهور فى غزوته لغربى العراق سنة ۱۲ هجرية/ ۶۳۴ م. قال ياقوت الحموى:

«ونزل خالد عند فتحه الحيرة كربلاء، فشكا إليه عبدالله بن وشيمه النصرى «۱» الذبان، فقال رجل من أشجع فى ذلك: لقد حُبست فى كربلاء مطيتى وفى العين «۲»

حتى عادعتنا سميना

إذا رحلت من منزل رجعت له لعمرى وأيها إننى لأهينها ويمنعها من ماء كل شريعة رفاق من الذبان زرق عيونها ومن أقدم الشعر الذى ذكرت فيه كربلاء قول معن بن أوس المزنى من مخضرمى الجاهلية والإسلام، وعمّر حتى أدرك عصر عبدالله بن الزبير وصار مصاحباً له! وقد كُفّ بصره فى آخر عمره. وذكر ياقوت الحموى هذا الشعر فى

مع الרכب الحسينى (ج ۴)، ص: ۱۶

«النوائح» من معجمه للبلدان .. وذكره قبله أبو الفرج الأصبهاني فى ترجمته معن من الأغاني (۱۲: ۶۳/ دار الكتاب) وقال وهى قصيدة طويلة:

إذا هى حلت كربلاء فلعلماً فجوز العذيب دونها فالنوائح

وقال الطبرى فى حوادث سنة ۱۲: «وخرج خالد بن الوليد «۱» فى عمل عياض ابن غنم ليقضى ما بينه وبينه ولإغاثة فسلك الفلوجة حتى نزل بكربلاء وعلى مسلحتها عاصم بن عمرو ... وأقام خالد على كربلاء أياماً، وشكا إليه عبدالله بن وثيمه الذباب، فقال له خالد: إصبر فإنى إنما أريد أن أستفرغ المسالحي التى أمر بها عياض فتنسكنها العرب فتأمن جنود المسلمين أن يؤتوا من خلفهم وتجيئنا العرب آمنه غير متعته، وبذلك أمرنا الخليفة ورأيه يعدل نجده الأمة. وقال رجل من أشجع فيما شكا ابن وثيمه:

لقد حُبست فى كربلاء مطيتى .. «۲» الأبيات

وقال ياقوت الحموى فى كلامه على الكوفة: «.. ثم توجه سعد نحو المدائن إلى يزدجرد، وقدم خالد بن عرفطة «۳» حليف بنى زهرة بن كلاب، فلم يقدر عليه

مع الרכب الحسينى (ج ۴)، ص: ۱۷

سعد حتى فتح خالد سباط المدائن، ثم توجه إلى المدائن فلم يجد معابر فدلوه على مخاضه عند قرية الصيادين أسفل المدائن فأخاضوها الخيل حتى عبروا، وهرب يزدجرد إلى اصطخر، فأخذ خالد كربلاء عنوة وسبى أهلها، فقسمها سعد بين أصحابه ... «۱» ولقائل أن يقول: إن العرب أوطنوا تلك البقاع قبل الفتح العربى، فدولة المناذرة بالحيرة ونواحيها كانت معاصرة للدولة الساسانية الفارسية وفى حمايتها وخدمتها. والجواب: أن المؤرخين لم يذكروا لهم إنشاء قرية سميت بهذا الإسم - أعنى كربلاء، غير أن وزن كربلاء ألحق بالأوزان العربية، ونقل «فغلا» إلى «فغلاء» فى الشعر حسب ... «۲»

أمّا قول الأيب اللغوى أنستاس ما معناه أن كربلاء منحوتة من (كرب) و (إل) فهو داخل فى الإمكان، لأن هذه البقاع قد سكنها الساميون، وإذا فسرنا (كرب) بالعربية أيضاً دل على معنى «القرب» فقد قالت العرب: «كرب يكرب كروباً: أى دنا» وقالت: «كرب فلان يفعل، وكرب أن يفعل: أى كاد يفعل، وكاد تفيد القرب، قال ابن مقبل يصف ناقته:

فبعثتها تقص المقاصر بعدما كربت حياة النار للمتور «۳»

وقال أبو يزيد الأسلمى:

سقاها ذوو الأرحام سجلاً على الظما وقد كربت أعناقها أن تقطعا «۱»

وإذا فسرنا «إل» كان معناه «إله» عند الساميين أيضاً، ودخول تفسير التسمية فى الإمكان لا يعنى أنها التسمية الحقيقية لغيرها، لأن

اللغة والتاريخ متعاونان دائماً فهي تؤيده عند احتياجه إليها، وهو يؤيدها عند احتياجها إليه، فهل ورد في التاريخ أن موضع كربلاء كان «حرم إله» قوم من الأقوام الذين سكنوا العراق؟ «٢» أو مقدس إله لهم؟ لايجبنا التاريخ عن ذلك! ومن الأسماء المضافة الى «إل» بابل وأربل وبابلي.

ومن العجيب أن لفظ «كرب» تطوّر معناه في اللغة العبرية! قال بعض الأدباء الأمريكيين: «مما يصوّر لنا فكرة عن سوء أسلوب الحياة أن نجد الكلمة العبرية (كرب Karab) - ومعناها يقترب - تعنى في الوقت نفسه (يقاتل ويحارب) ومن هنا كانت كلمة (كرب Kerab) بمعنى معركة. «٣»

لذلك يمكن القول بتطور الإسم «كربلاء» من الحقيقة الى المجاز، وبذلك لايجب الإلتزام بأصل معناه بل يجوز، ومما قدّمنا يفهم أن «كربلاء» مقصور في

مع الרכب الحسينى (ج ٤)، ص: ١٩

الأصل، وأنّ الهمزة أدخلت عليها لضرورة الشعر ...

وعلى حسابان «كربلاء» من الأسماء السامية الآرامية أو البابلية، تكون القرية من القرى القديمة الزمان كبابل وأربيل، وكيف لا وهى من ناحية نينوى الجنوبية .. «١» و نينوى من الأسماء الآشورية ... «٢»

وقال الشيخ محمّد باقر المدرّس في كتابه (مدينة الحسين عليه السلام): «إنّ كربلاء تلخّصت من كلمتين في لغة الآراميين، وهما (كرب) بمعنى معبد أو الحرم، و (إيلا) بمعنى آلهة، فالمعنى: حرم الآلهة!». «٣» ثم يقول الشيخ المدرّس: «لو أننا رجعنا إلى تاريخ هذه المدينة إلى عهد البابليين لوجدنا لها إسمًا وأثرًا! لأنه بناءً على ما قاله المستشرق الفرنسى ماسينسيون - فى كتابه: خطط الكوفة/ ترجمة تقى المصعبى - إنّ كربلاء كانت معبد الكلدانيين الذين كانوا يقطنون فى مدينة نينوى والعقر البابلي، وكلاهما كان بقرب كور كربلاء». «٤»

مع الרכب الحسينى (ج ٤)، ص: ٢٠

نُبذة مختصرة من تاريخ كربلاء وجغرافيتها إلى سنة ستين للهجرة ص : ٢٠

«كربلاء» بلدة عُرفت بهذا الإسم قبل الإسلام بزمن بعيد، بل لعلّ الظاهر من بعض الروايات أن إسم كربلاء موغل فى القدم إلى زمن آدم أبى البشر عليه السلام، «١» بل هى معروفة فى السماء ب (أرض كرب وبلاء) كما فى رواية عن أميرالمؤمنين عليه السلام. «٢»

«وعلى حسابان «كربلاء» من الأسماء السامية الآرامية أو البابلية تكون القرية من القرى القديمة الزمان كبابل وأربيل، وكيف لا وهى من ناحية نينوى الجنوبية ..

ونينوى من الأسماء الآشورية .. «٣»

ويوحى إحتمال كون إسمها منحوتاً من كلمتى «كور بابل» أى مجموعة قرى بابلية أنها كانت آنذاك أمّ القرى لقرى عديده، منها نينوى، والعقر البابلي، والنواويس، والحير، والعين: عين التمر، وغيرها من القرى العديده التى كانت تقع بين البادية وشاطئ الفرات. ولعلّ «كربلاء» كانت قد أسست منذ عهد البابليين والآشوريين وورثها عنهم التنوخيون واللخميون، أمراء المناذرة وسكان الحيرة تحت حماية الأكاسرة فى إيران الذين كانت سيطرتهم يومذاك قد امتدّت على مساحة واسعة جداً من آسيا.

كانت كربلاء عامرة ومتقدّمة من الناحية الزراعية آنذاك، لخصوبه أرضها وقربها من الفرات وملائمة مناخها لكثير من الزراعات، وكانت تمون المنطقة

مع الרכب الحسينى (ج ٤)، ص: ٢١

والقوافل السيّارة المارة بها بالمتوجات من حبوب وتمور وأثمار، وقد ازدهرت حتّى فى العصر الكلدانى، وكان يسكنها قومٌ من

النصارى والدهاقين، وكانت تُسمى آنذاك بـ «كور بابل»، وقد أُقيم على أرضها معبد تقام فيه الصلاة، وحولها معابد أخرى، وقد عُثر في قرى مجاورة لها على جثث أموات في أوانٍ خزفية يعود تاريخها إلى ما قبل ميلاد المسيح عليه السلام. وقد اشتهرت في عهد اللخمين الذين كانت الحيرة عاصمتهم، وقد كانت «عين التمر» يومئذٍ من البلاد التي تستورد منها أنواع التمور وتُنسخ فيها القوافل السيارة مُناخ ركابها للإستراحة فيها، وقد اكتسبت كربلاء أهميتها التجارية يومذاك من موقعها المشرف آنذاك على الطرق المؤدية إلى الحيرة والأنبار والشام والحجاز، كل ذلك كان قبل الفتح الإسلامي لتلك المنطقة ولأرض السواد من العراق. ويرى الشيخ محمد باقر المدرّس في كتابه (مدينة الحسين عليه السلام) أنّ الفرس في عصر الملك سابور ذي الأكتاف الذي بويع سنة ٣١٠ م في إيران - وهو من الملوك الفرس الساسانيين - كانوا قد قسّموا أرض العراق بعد فتحها إلى عشرة أُلوية، وكلّ لواء إلى طسوج، وكلّ طسج إلى رساتيق، وكانت الأرض الواقعة بين عين التمر والفرات تُعَدُّ اللواء العاشر، وكانت كربلاء أحد طسوج هذا اللواء. (١)

ولقد فتحت كربلاء في جملة أراضي العراق التي فتحت عنوة على يد المسلمين في زمن أبي بكر (سنة ١٢ هـ. ق)، وكان الذي أخذها عنوة خالد بن عرفطة - وكان قد بعثه سعد بن أبي وقاص مقدّمة له - ولقد اتخذها مقرّاً ومعسكراً لجنده فترة من الزمن، وبعد أن استنفد منها غاياته الحربية تركها وانتقل إلى الكوفة

مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٢٢

لوخامة المناخ والرطوبة في كربلاء.

ثم لم تزل كربلاء - بعد ازدهار الكوفة وتعظيم أهميتها - قرية من قراها الكثيرة المبتوثة حولها، لا يأتي على ذكرها ذاكراً إلّا في مناسبة من نواذر المناسبات، كما في مرور أمير المؤمنين عليّ عليه السلام عليها في جيشه الزاحف نحو الشام، أو جرت على لسان متحدّث يروي خبراً من أخبار الملاحم عن رسول الله صلى الله عليه وآله أو أمير المؤمنين عليه السلام بصدد مقتل سيد الشهداء أبي عبد الله الحسين عليه السلام وأرض مصرعه!

«وتقع كربلاء غرب نهر الفرات على حافة البادية، وسط المنطقة الرسوبية المعروفة بأرض السواد، وعلى شمالها الغربي مدينة الأنبار، وعلى شرقها مدينة بابل الأثرية، وفي الغرب منها الصحراء الغربية، وفي الجنوب الغربي منها مدينة الحيرة عاصمة المناذرة ... وتقع كربلاء على حدود البادية، يقصدها البدو من بلاد الحجاز والشام للميرة والتموين، وإلى عهد قريب كان هذا شأنها، وهي على مسافة قريبة من العين، وهي واحة وارفّة الأشجار وفيرة المياه، وقد كانت مدينة العين من المدن المهمة في منطقة البادية ...». (١)

«وكان للحائر وهذه فسيحة محدودة بسلسلة تلال ممدودة وربوات متصلة في الجهات الشمالية والغربية والجنوبية منه، تشكّل للناظرين نصف دائرة مدخلها الجهة الشرقية حيث يتوجه منها الزائر إلى مثنى سيدنا العباس بن عليّ عليهما السلام». (٢)

ويقول السيّد هبة الدين الشهرستاني إنّ المنقبين وجدوا في أعماق البيوت

مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٢٣

المحدقة بقبر الحسين عليه السلام آثاراً تدلّ على ارتفاعها القديم في أراضي جهات الشمال والغرب، ولا يجدون في الجهه، الشرقية سوى تربة رخوة واطئة، الأمر الذي يُرشدنا إلى وضعيته هذه البقعة، وأنها كانت في عصرها الأول واطئة من جهة الشرق، وراية من جهتي الشمال والغرب على شكل هلال، وفي هذه الدائرة الهلالية حوَصر ابن الزهراء البتول الطاهرة. (١)

الأسماء الأخرى لكربلاء ص: ٢٣

هنالك أسماء أخرى تُطلق على أرض مصرع الإمام الحسين عليه السلام، هي إمّا أسماء عامّة للمنطقة التي منها كربلاء، فاطلقت من باب إطلاق الكلّ على الجزء كإطلاق الطفّ على كربلاء، أو هي أسماء لقُرَى مجاورة لكربلاء، فأطلقت أسماءها على كربلاء أيضاً، ربّما من باب المجاز أو لعلاقة القرب والجوار كإطلاق نينوى أو الغاضرية على كربلاء، أو هي أسماء كانت تُطلق على أرض كربلاء في غابر الأزمان، فوردت أيضاً في لسان الروايات، كما في إطلاق عمورا على كربلاء، وأهمّ هذه الأسماء:

(١) - الطفّ أو الطفوف: ص : ٢٣

من المواضع التي عرفها العرب قديماً قرب كربلاء «الطفّ»، قال ياقوت الحموي: «وهو في اللغة ما أشرف من أرض العرب على ريف العراق، قال الأصمعي: وإِنَّمَا سُمِّيَ طِفًّا لِأَنَّهُ دَانَ مِنَ الرَّيْفِ .. وقال أبو سعيد: سُمِّيَ الطِفّ لِأَنَّهُ مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٢٤

مشرف على العراق، مِنْ أَطْفٍ عَلَى الشَّيْءِ بِمَعْنَى أَطْلٍ، وَالطِفّ: طِفّ الْفِرَاتِ أَي الشَّاطِئِ، وَالطِفّ: أَرْضٌ مِنْ ضَاحِيَةِ الْكُوفَةِ فِي طَرِيقِ الْبَرِيَّةِ فِيهَا كَانَ مَقْتَلُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَهِيَ أَرْضٌ بَادِيَةٌ قَرِيبَةٌ مِنَ الرَّيْفِ فِيهَا عِدَّةُ عَيُونٍ مَاءٍ جَارِيَةٍ، مِنْهَا: الصَّيْدُ، وَالقَطْقَطَانَةُ، وَالرَّهَيْمَةُ، وَعَيْنُ جَمَلٍ، وَذَوَاتُهَا، وَهِيَ عَيُونٌ كَانَتْ لِلْمَوَكَّلِينَ بِالمَسَالِحِ الَّتِي كَانَتْ وَرَاءَ خَنْدَقِ سَابُورِ الَّذِي حَفَرَهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْعَرَبِ وَغَيْرِهِمْ .. فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ ذِي قَارِ وَنَصَرَ اللَّهُ الْعَرَبَ بِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، غَلَبَتِ الْعَرَبُ عَلَى طَائِفَةٍ مِنَ تِلْكَ الْعَيُونِ وَبَقِيَ بَعْضُهَا فِي أَيْدِي الْأَعَاجِمِ، ثُمَّ لَمَّا قَدِمَ الْمُسْلِمُونَ الْحَيْرَةَ وَهَرَبَتِ الْأَعَاجِمُ بَعْدَهَا طَمَّتْ عَامَّةً مَا كَانَ فِي أَيْدِيهَا مِنْهَا! وَبَقِيَ مَا فِي أَيْدِي الْعَرَبِ .. وَلَمَّا انْقَضَى أَمْرُ الْقَادِسِيَّةِ وَالْمَدَائِنِ وَقَعَ مَا جَلَا عَنْهُ الْأَعَاجِمُ مِنَ أَرْضِ تِلْكَ الْعَيُونِ إِلَى الْمُسْلِمِينَ ...

قال أبو دهب الجُمحى (١) يرثي الحسين بن عليّ رضي الله عنه، ومن قتل معه بالطفّ:

مررتُ على أبيات آل محمّدٍ فلم أرها أمثالها يوم حُلَّتِ
فلا يُبعد الله الديارَ وأهلها وإنّ أصبحتُ منهم برغمي تحلّتِ
ألا إنّ قتلى الطفّ من آل هاشمٍ أدلّت رقاب المسلمين فدلت ...
وقال أيضاً:

تبيّت سكارى من أُميّه نُوْمًا وبالطفّ قتلى ما ينام حميها

وما أفسد الإسلام إلّا عصابة تأمر نوكاها فدام نعيمها

فصارت قناة الدين في كفّ ظالمٍ إذا عوج منها جانبٌ لا يُقيمها.. (٢)

(٢) - نينوى: ص : ٢٤

قال ياقوت الحموي: «.. وبسواد الكوفة ناحية يُقال لها نينوى منها كربلاء التي قُتل بها الحسين رضي الله عنه...». (١)
وقال الأستاذ الدكتور مصطفى جواد: «وزعم الأستاذ فيرد هوفر Ferd Hofer أن أسترابون Strabon الجغرافي اليوناني المولود في أواسط القرن الأوّل قبل الميلاد ذكر في كتابه «ما بين النهرين: آشورية و بابل وكلديّة» ذكر نينوى ثانية غير نينوى الشماليّة، فإنّ صحّ زعمه كانت نينوى الجنوبيّة هي المقصود ذكرها ..

وكانت على نهر العلقمي..» (٢)

وقال الطبري يصف رحلة الركب الحسيني من منزل قصر بني مقاتل إلى نينوى - ويعنى بها كربلاء -: «فلما أصبح نزل فصلّى الغداة، ثم

عجل الركوب، فأخذ يتياسر بأصحابه يُريد أن يفرّقهم! فيأتيه الحرّ بن يزيد فيردّهم فيردّه! فجعل إذا ردّهم إلى الكوفة ردّاً شديداً امتنعوا عليه فارتفعوا! فلم يزالوا يتسايرون حتّى انتهوا إلى نينوى المكان الذى نزل به الحسين..» (٣)

(٣) - النواويس: ص : ٢٤

الناووس والقبر واحد، «٤» والناووس: مقابر النصارى، «٥» والنواويس كانت مقابر للنصارى الذين سكنوا «كربلاء» قبل الإسلام، وتقع هذه المقابر شمال غرب

معالركب الحسينى (ج ٤)، ص: ٢٦

«كربلاء» فى الأيام الحاضرة. «١»

وقد ذكرها الإمام الحسين عليه السلام فى خطبته بمكة حيث قال: «.. كأنى بأوصالى تقطّعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء..». «٢»

(٤) - الغاضرية: ص : ٢٦

قال ياقوت الحموى: «الغاضرية .. منسوبة إلى غاضرة من بنى أسد، وهى قرية من نواحي الكوفة قريبة من كربلاء..»، «٣» وهذا الوصف يدلّ على أنّ الغاضرية أنشئت بعد انتقال قبيلة بنى أسد إلى العراق فى صدر الإسلام، فليست الغاضرية قديمة التاريخ جاهلية. «٤» وهى فى شمال كربلاء إلى شمالها الشرقى، وتبعد عنها أقلّ من نصف كيلومتر. «٥»

وكان الإمام الحسين عليه السلام بعد نزوله كربلاء فى أوائل العشرة الأولى من المحرم سنة ٦١ هـ قد اشترى من أهل الغاضرية ونينوى مساحة كبيرة من الأراضى الواقعة أطراف مرقده المقدّس، كانت تبلغ مساحتها من حيث المجموع أربعة أميال فى أربعة أميال، بستين ألف درهم، ثمّ تصدّق عليهم بتلك الأراضى الواسعة بشرط أن يقوم أهلها بإرشاد الزائرين إلى قبره الشريف وأن يقوموا بضيافتهم ثلاثة أيام، غير أنهم لم يفوا بهذا الشرط فسقط حقّهم فيها، وبقيت تلك الأراضى المشترية منهم ملكاً للإمام عليه السلام ولولده من بعده كما كان الحال قبل التصدق عليهم

معالركب الحسينى (ج ٤)، ص: ٢٧

بذلك الشرط. «١»

وقد ورد ذكر الغاضرية فى أدب الطفّ كثيراً، من ذلك هذه الأبيات:

يا كوكب العرش الذى من نوره الكرسى والسبع العلى تتشعشع

كيف اتخذت الغاضرية مضجعاً والعرش ودّاً بأنه لك مضجع

(٥) - عمورا: ص : ٢٧

روى قطب الدين الراوندى (ره) بسند، عن جابر، عن الإمام الباقر عليه السلام قال:

قال الحسين بن علىّ عليهما السلام لأصحابه قبل أن يُقتل:

«إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: يا بُنى، إنك ستساق إلى العراق، وهى أرض قد التقى بها النبيون وأوصياء النبيين، وهى أرض

تدعى «عمورا»، وإنك تستشهد بها، ويستشهد معك جماعة من أصحابك، لا يجدون ألم مس الحديد، وتلا: «قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم»، تكون الحرب عليك وعليهم برداً وسلاماً، فأبشروا... إلى آخر تفاصيل الرواية الشريفة. «٢»

٢٧ - (٦) - أرض بابل: ص : ٢٧

روى ابن عساكر أن عمرة بنت عبدالرحمن كتبت إلى الإمام عليه السلام تعظم عليه ما يريد أن يصنع من إجابة أهل الكوفة، وتأمره بالطاعة ولزوم الجماعة! وتخبره أنه إنما يساق إلى مصرعه، وتقول: أشهد لحدثني عائشة أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: يقتل حسين بأرض بابل... «٣»
معالركب الحسينى (ج ٤)، ص: ٢٨

٢٨ - (٨) - شط الفرات: ص : ٢٨

أخرج ابن أبى شيبه بسند، عن عبدالله بن يحيى الحضرمى، عن أبيه، أنه سافر مع علي عليه السلام، وكان صاحب مطهرته - حتى حاذى «نينوى» وهو منطلق إلى «صفين»، فنادى: صبراً أبا عبدالله! صبراً أبا عبدالله!
فقلت: ماذا أبا عبدالله؟
فقال: دخلت على النبى صلى الله عليه وآله وعيناه تفيضان، قال: قلت: يارسول الله صلى الله عليه وآله مالعينيك تفيضان، أغضبك أحد؟!
قال: قام من عندى جبرئيل فأخبرنى أن الحسين عليه السلام يقتل ب «شط الفرات» فلم أملك عينى أن فاضت! «١»

٢٨ - (٩) - أرض العراق: ص : ٢٨

أخرج أبونعيم الأصبهانى فى دلائل النبوة بسنده، عن سحيم، عن أنس بن الحارث (رض) قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «إن ابنى هذا يقتل بأرض العراق، فمن أدركه فليصره». «٢»

٢٨ - (١٠) - ظهر الكوفة ص : ٢٨

أخرج ابن قولويه (ره) بإسناده، عن سعيد بن عمر الجلاب، عن الحارث الأعور (ره) قال: قال علي عليه السلام: «بأبى وأمى الحسين المقتول بظهر الكوفة، والله كأتى معالركب الحسينى (ج ٤)، ص: ٢٩
أنظر إلى الوحوش مادة أعناقها على قبره من أنواع الوحوش يكونه ويرثونه ليلاً حتى الصباح! فإذا كان ذلك فإياكم والجفاء!». «١»

٢٩ - (١١) - الحائر والخير ص : ٢٩

قال ياقوت الحموي: «الحاير: بعد الألف ياء مكسورة وراء، وهو في الأصل حوض يصب إليه مسيل الماء من الأمطار، سُمي بذلك لأن الماء يتحير فيه يرجع من أقصاه إلى أدناه.. وأكثر الناس يُسمون الحائر: الحَيْر، والحائر: قبر الحسين بن علي رضي الله عنه... قال أبو القاسم: هو الحائر إلا أنه لاجمع له لأنه إسم لموضع قبر الحسين بن علي رضي الله عنه، فأما الحيران فجمع حائر، وهو مستنقع ماء يتحير فيه فيجىء ويذهب.. يقولون الحَيْر بلا إضافة إذا عنوا كربلاء...» (٢)

وقال ابن منظور: «.. وحر الماء فهو حائر، وتحير: تردد، وتحير الماء: اجتمع ودار، والحائر: مجتمع الماء... والحائر: كربلاء، سُميت بأحد هذه الأشياء...» (٣)

وقد حار الماء عن قبر الإمام الحسين عليه السلام لما أجراه (الديزج) الذي بعثه المتوكل ليطمس آثار معالم القبر المقدس ويعفى أثره سنة ٢٣٦ هـ. (٤)

وقال الدكتور مصطفى جواد: «وقد ذكرنا أن الحائر إسم عربي وأن العرب سكنوا هذه البلاد منذ عصور الجاهلية، فلا بد من أن يكون معروفاً قبل استشهاد الحسين عليه السلام، لأن هذه التسمية هي والحَيْر والحيرة من أصل واحد...» (٥)

معالركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٣٠

لكن الدكتور عبدالجواد الكليدار زعم أنه: «لم يرد في التأريخ أو الحديث ذكر لكربلاء بإسم الحائر أو الحَيْر قبل وقعة الطف أو أثناء هذه الوقعة أو بعدها بزمن يسير، إذ إن الأحاديث النبوية المنبئة بقتل الحسين عليه السلام بأرض العراق تضمنت كل الأسماء عدا إسم الحائر...» (١)

غير أن الطبري في تأريخه عن القاسم بن يحيى قال: «بعث الرشيد إلى ابن أبي داود والذين يخدمون قبر الحسين بن علي في الحَيْر، قال فأتى بهم، فنظر إليه الحسن بن راشد وقال: مالك؟! قال: بعث إلي هذا الرجل يعني الرشيد فأحضرني ولست آمنه على نفسي. قال له: فإذا دخلت عليه فسألك فقل له الحسن بن راشد وضعني في ذلك الموضع. فلما دخل عليه قال هذا القول، قال: ما أخلق أن يكون هذا من تخليط الحسن، أحضروه! قال فلما حضر قال ما حملك على أن صيرت هذا الرجل في الحَيْر؟! قال: رحم الله من صيره في الحَيْر! أمرتني أم موسى أن أصيره فيه وأن أجرى عليه في كل شهر ثلاثين درهماً. فقال: ردوه إلى الحَيْر، وأجروا عليه ما أجرته أم موسى. وأم موسى هي أم المهدي...» (٢)

معالركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٣١

ولعل أوائل ماورد إسم «الحائر» في النصوص الدينية، ماجاء في بعض الروايات عن الإمام الصادق عليه السلام التي علم بعض الأصحاب فيها بعض طرق زيارة سيد الشهداء عليه السلام، كما في رواية يوسف بن الكناسي عن أبي عبدالله عليه السلام: «قال: إذا أتيت قبر الحسين فائت الفرات واغتسل بحيال قبره وتوجه إليه، وعليك السكينة والوقار حتى تدخل الحائر من جانبه الشرقي، وقل حين تدخله...» (١)

وكما في رواية عن الحسن بن عطية، عن أبي عبدالله عليه السلام: «قال: إذا دخلت الحائر فقل...»، (٢) وغيرها أيضاً مما روى عن الصادق عليه السلام. (٣)

وكان المراد بالحائر في تلك الأيام ما حواه سور المشهد الحسيني على مشرفه السلام، (٤) وهذا القول تؤيده اللغة والقرائن والروايات معاً، لأن الحائر لغة هو فناء الدار أو ما يحيط بها من كل جانب» وقالوا: لهذه الدار حائر واسع...» (٥) ثم توسع الإستعمال حتى صار المراد بالحائر كربلاء نفسها.

ويمكن أن يُقال إن كربلاء كانت من مساكن العرب منذ الجاهلية، وكانت تُسمى «الحَيْر» بلا إضافة - كما ذكر ياقوت الحموي - لكن هذا الإسم ضعف

معالركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٣٢

استعماله وندر إطلاقه بعدما غلب إسم «الحائر» على كربلاء مكانه، خصوصاً بعدما احيط به إسم «الحائر» من حرمة وتقديس وأنيط به من أعمال وأحكام فى الرواية والفقہ. «١»

فضل كربلاء وقداسته تربتها ص : ٣٢

أعطيت أرض كربلاء- حسب النصوص الواردة- من الشرف ما لا تُعطى أى بقعة من بقاع الأرض حتى مكة المعظمة منذ أن خلق الله الارض.

ففى حديث- على سبيل المثال لا الحصر- عن الإمام السجاد عليه السلام أنه قال:

«اتخذ الله أرض كربلاء حرماً آمناً مباركاً قبل أن يخلق أرض الكعبة ويتخذها حرماً بأربعة وعشرين ألف عام. وإنه إذا زلزل الله تبارك وتعالى الأرض وسيرها، رُفعت كما هى بتربتها نورانية صافية فجعلت فى افضل روضه من رياض الجنة، وأفضل مسكن فى الجنة، لا يسكنها إلا النبيون والمرسلون- أو قال: أولوا العزم من الرسل- وإنها لتزهو بين رياض الجنة كما يزهر الكوكب لأهل الأرض، يُغشى نورها أبصار أهل الجنة وهى تنادى «أنا أرض الله المقدسة، الطيبة، المباركة التى تضمنت سيد الشهداء وسيد شباب أهل الجنة». «٢»

وهى التى فى تربتها الشفاء كما قال الصادق عليه السلام: «فى طين قبر الحسين عليه السلام الشفاء من كل داء، وهو الدواء الاكبر». «٣» مع الركب الحسينى (ج ٤)، ص: ٣٣

والأحاديث فى فضلها لم تنحصر فيما روى الشيعة عن أئمة الهدى عليهم السلام بل هى متوفرة أيضاً فى كتب بقية الفرق الإسلامية. فقد روى السيوطى ما يناهز على عشرين حديثاً عن أكابر ثقاة أبناء العامة، كالحاكم والبيهقى وأبى نعيم وأمثالهم. «١» وناهيك عن أن قداسة بعض البقاع أو التراب لم تكن منحصرة فيما رواه العلماء سلفاً عن سلف عند الفريقين، بل إن السيرة العملية المستمرة بين المسلمين منذ الصدر الأول وحتى فى زمن النبى الأعظم صلى الله عليه وآله تحكى أنهم كانوا يقدسون بعض البقاع والتراب ويتبركون ويستشفون بترابها.

قال البرزنجى: «ويجب على من أخرج شيئاً من المدينة رده إلى محلّه، ولا يزول عصيانه إلّا بذلك، نعم إستثنى من ذلك ما دعت الحاجة إليه من تراب الحرم للتداوى به منه! كتراب مصرع حمزة سيد الشهداء وتربة صهيب لإطباق السلف والخلف على ذلك. «٢» وهكذا استمرت هذه السيرة بعد زمن النبى صلى الله عليه وآله أيضاً، فقد قال العلامة السهمودى فى كتاب وفاء الوفاء: «لما توفى النبى صلى الله عليه وآله صاروا يأخذون من تربته الشريفة فأمرت عائشة بجدار فُضرب عليهم، وكانت فى الجدار كوة فكانوا يأخذون منها فأمرت بالكوة فسُدّت. «٣»

ولم يقتصر على الإستشفاء بالتراب- بل كانوا يقدسون مواضع أقدام بعض أولياء الله وغير ذلك. وإذا كان كذلك فكيف لا تُقدس تربة ابن الرسول الأعظم

مع الركب الحسينى (ج ٤)، ص: ٣٤

وريحانته وقلده كبده وبضعته، وهى أطيب تربة وأزكاها!؟

وعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «إن فاطمة عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وآله كانت سبحتها من خيط صوف مفتيل معقود عليه عدد التكبيرات، وكانت تديرها بيدها تكبير وتسبح حتى قتل حمزة بن عبدالمطلب، فاستعملت تربته، وعملت التسايح، فاستعملها الناس، فلما قُتل الحسين صلوات الله عليه عدل بالأمر اليه، فاستعملوا تربته لما فيها من الفضل والمزية. «١»

وقال العلامة كاشف الغطاء: «... حمزة دفن فى أحد وكان يسمّى سيد الشهداء ويسجدون على تراب قبره ... ولما قتل الحسين عليه السلام صار هو سيد الشهداء وصاروا يسجدون على تربته. «٢»

واستمرت سيره شيعه أئمه أهل البيت خصوصاً الى زمن الصادق عليه السلام حيث كانوا يحملون معهم «حمزة»، وهي كانت عبارة عن مقدار من التراب في صرة أعدوها للسجود عليها، وقد تطورت إلى قطعة من تراب قبر الحسين عليه السلام بصورة ألواح تسهياً للمصلين - ولما كان تعفير الجبين والسجود على الأرض فريضة لكونه أبلغ في التواضع فلماذا لا يكون السجود على أتقى وأزكى وأجود وأطيب وأقدس تربة في الأرض - وهي تربة الحسين عليه السلام التي نطقت الأحاديث بفضلها. (٣)

وأئمة الهدى عليهم السلام هم الذين أسسوا ذلك. فترى أول من صلى على تربة الحسين عليه السلام واتخذها مسجداً للإمام زين العابدين عليه السلام. إذ بعد أن دفن جثمان أبيه عليه السلام أخذ قبضة من التربة التي وضع عليها الجسد الشريف وعمل منها سجادة مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٣٥

وسبحة وكان عليه السلام يديرها حين دخوله على يزيد لعنه الله، وبعد ما رجع من الشام، وصار يتبرك بتلك التربة ويسجد عليها ويعالج بعض مرضى عائلته بها - فشاع عند العلويين وأتباعهم واشياعهم. (١)

ومن بعد الإمام زين العابدين عليه السلام تبعه في ذلك ابنه الإمام الباقر عليه السلام، ومن بعده الامام الصادق عليه السلام وهكذا. ولعل من أسرار السجود على تربة الحسين عليه السلام أن السجود على تربة الحسين عليه السلام يجعل المصلّي على ذكرٍ دائم لما جرى من المصائب والفجائع العظيمة على الإمام الحسين عليه السلام الذي حفظ بقيامه ضدّ الحكم الأمويّ الطاغوتي وبشهادته: الإسلام المحمديّ الخالص، والصلاة المحمّدية، من عبث وتحريفات الفئة الباغية والشجرة الخبيثة الملعونة في القرآن، «أشهد أنك قد أقمّت الصلاة..»، فلولا قيام الحسين عليه السلام لما بقيت الصلاة، ولا - كانت الزكاة، ولأفرغ من معناه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بل لما بقي الإسلام، وصحّ تماماً ذلك القول الرائع: «الإسلام محمّدي الوجود حسينيّ البقاء!».

والذي ينبغي أن نشير إليه أن تقديس تربة ما لا ينحصر بالإستشفاء بها، بل حتّى بالسجود لله عليها - فهي بما أنها أرض طاهرة زاكية - ويجب السجود على الأرض، كان الأولى والأفضل السجود على تراب أقدس وأزكى وأطهر بقعة منها. وما افتروه على الشيعة في قضية السجود على التربة الطاهرة الحسينية بأنّ السجود على تربة الحسين عليه السلام ضرب من عبادة الأصنام والأوثان التي حاربها الإسلام. فهي مردودة للفرق بين السجود للشئ والسجود على الشئ، فالشيعة تسجد لله على تربة الحسين لا لتربة الحسين عليه السلام.

مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٣٦

كربلاء في تاريخ بعض أنبياء الله عليهم السلام ص : ٣٦

(١) عن سعد بن عبدالله القمي (ره) في جملة الأسئلة التي سأل الإمام القائم عليه السلام عنها: «قلت: فأخبرني يا ابن رسول الله عن تأويل «كهيعص».

قال: هذه الحروف من أنباء الغيب أطلع الله عليها عبده زكريا، ثم قصّها على محمد صلى الله عليه وآله، وذلك أن زكريا سأل ربّه أن يعلمه أسماء الخمسة، فأهبط عليه جبرئيل فعلمه إياها، فكان زكريا إذا ذكر محمّداً وعلياً وفاطمة والحسن سيّري عنه همّه، وانجلى كربه، وإذا ذكر اسم الحسين خنفته العبرة! ووقعت عليه الثهرة! فقال ذات يوم: إلهي، ما بالي إذا ذكرت أربعة منهم تسليت بأسمائهم من همومي، وإذا ذكرت الحسين تدمع عيني وتثور زفرتي؟

فأنبأه الله تبارك وتعالى عن قصّته وقال: «كهيعص»، «فالكاف»: إسم كربلاء، و«الهاء» هلاك العترة الطاهرة، و«الياء» يزيد وهو ظالم الحسين، و«العين» عطشه، و«الصاد» صبره ... إلى آخر الخبر». (١)

(٢) قال العلامة المجلسي (ره): «وروى مرسلًا أن آدم لمّا هبط إلى الأرض لم ير حواء، فصار يطوف الأرض في طلبها، فمرّ بكربلاء

فاغتمَّ وضاق صدره من غير سبب، وعثر في الموضع الذي قُتل فيه الحسين حتى سال الدم من رجله، فرفع رأسه إلى السماء وقال: إلهي هل حدث مني ذنبٌ آخر فعاقبتني به؟ فإنني طفتُ جميع الأرض، وما أصابني سوء مثل ما أصابني في هذه الأرض! فأوحى الله إليه: يا آدم، ما حدث منك ذنب، ولكن يُقتل في هذه الأرض ولدك الحسين ظلماً فسأل دمك موافقاً لدمه. فقال آدم: يا رب أياكون الحسين نبياً؟

قال: لا، ولكنّه سبط النبيّ محمّد.

مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٣٧

فقال: ومن القاتل له؟

قال: قاتله يزيد لعين أهل السموات والأرض!

فقال آدم: فأى شيء أصنع يا جبرئيل؟

فقال: لعنه يا آدم.

فلعنه أربع مرّات، ومشى خطوات إلى جبل عرفات فوجد حواً هناك. «١»

٣) وقال العلامة المجلسي (ره): «وروى أنّ نوحاً لما ركب السفينة طافت به جميع الدنيا، فلما مرّت بكربلا أخذته الأرض، وخاف نوح الغرق فدعا ربّه وقال:

إلهي، طفت جميع الدنيا وما أصابني فرع مثل ما أصابني في هذه الأرض!

فنزل جبرئيل وقال: يا نوح في هذا الموضع يُقتل الحسين سبط محمّد خاتم الأنبياء، وابن خاتم الأوصياء!

فقال: ومن القاتل له يا جبرئيل؟

قال: قاتله لعين أهل سبع سموات وسبع أرضين!

فلعنه نوح أربع مرّات، فسارت السفينة حتى بلغت الجوديّ واستقرّت عليه. «٢»

٤) وقال (ره) أيضاً: «وروى أنّ إبراهيم عليه السلام مرّ في أرض كربلا وهو راكب فرساً، فعثرت به وسقط إبراهيم وشجّ رأسه وسال دمه، فأخذ في الاستغفار وقال:

إلهي، أى شيء حدث مني؟

فنزل إليه جبرئيل وقال: يا إبراهيم، ما حدث منك ذنب، ولكن هنا يُقتل سبط خاتم الأنبياء، وابن خاتم الأوصياء، فسأل دمك موافقاً لدمه.

مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٣٨

قال: يا جبرئيل، ومن يكون قاتله؟

قال: لعين أهل السموات والأرضين، والقلم جرى على اللوح بلعنه بغير إذن ربّه، فأوحى الله تعالى إلى القلم: إنك استحققت الثناء بهذا اللعن.

فرفع إبراهيم عليه السلام يديه ولعن يزيد لعناً كثيراً، وأمّن فرسه بلسان فصيح! فقال إبراهيم لفرسه: أى شيء عرفت حتى تؤمن على دعائي؟

فقال: يا إبراهيم، أنا أفتخر بركوبك عليّ، فلمّا عثرتُ وسقطت عن ظهري عظمت خجلتي، وكان سبب ذلك من يزيد لعنه الله تعالى. «١»

٥) وقال (ره) أيضاً: «وروى أنّ إسماعيل كانت أغنامه ترعى بشطّ الفرات، فأخبره الراعي أنها لاتشرب الماء من هذه المشرعة منذ كذا يوماً! فسأل ربّه عن سبب ذلك، فنزل جبرئيل وقال: يا إسماعيل، سلّ غنمك فإنها تجيبك عن سبب ذلك!»

فقال لها: لِمَ لاتشربين من هذا الماء!؟

فقلت بلسان فصيح: قد بلغنا أن ولدك الحسين عليه السلام سبط محمّد يُقتل هنا عطشاناً، فنحن لانشرب من هذه المشرعة خُزناً عليه! فسألها عن قاتله، فقالت: يقتله لعين السموات والأرضين والخلاتق أجمعين.

فقال إسماعيل: أَللّهم العن قاتل الحسين عليه السلام.. «٢»

٦) وقال (ره) أيضاً: «وروى أن موسى كان ذات يوم سائراً ومعه يوشع بن نون، فلمّا جاء إلى أرض كربلاء انخرق نعله، وانقطع شراكه، ودخل الحسك في رجله، وسال دمه، فقال: إلهي، أيّ شيء حدث منّي؟

معالركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٣٩

فأوحى إليه أن هنا يُقتل الحسين عليه السلام، وهنا يُسفك دمه، فسال دمك موافقة لدمه.

فقال: ربّ! ومن يكون الحسين؟

ف قيل له: هو سبط محمّد المصطفى وابن عليّ المرتضى.

فقال: ومن يكون قاتله!؟

ف قيل: هو لعين السمك في البحار، والوحوش في القفار، والطير في الهواء!

فرجع موسى يديه ولعن يزيد ودعا عليه، وأمن يوشع بن نون على دعائه، ومضى لشأنه.. «١»

٧) وقال (ره) أيضاً: «وروى أن سليمان كان يجلس على بساطه ويسير في الهواء، فمرّ ذات يوم وهو سائر في أرض كربلاء، فأدارت الريح بساطه ثلاث دورات حتّى خاف السقوط، فسكنت الريح، ونزل البساط في أرض كربلاء.

فقال سليمان للريح: لِمَ سكنتي؟

ف قالت: إن هاهنا يُقتل الحسين عليه السلام.

فقال: ومن يكون الحسين؟

ف قالت: هو سبط محمّد المختار، وابن عليّ الكرّار.

فقال: ومن قاتله!؟

قالت: لعين أهل السموات والأرض يزيد.

فرجع سليمان يديه ولعنه ودعا عليه، وأمن على دعائه الإنس والجنّ، فهبّت الريح وسار البساط.. «٢»

٨) وقال (ره) أيضاً: «وروى أن عيسى كان سائحاً في البراري ومعه الحواريون، فمروا بكربلاء فرأوا أسداً كاسراً قد أخذ الطريق فتقدّم عيسى إلى

معالركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٤٠

الأسد فقال له: لِمَ جلست في هذا الطريق؟ وقال: لاتدعنا نمّر فيه؟

فقال الأسد بلسان فصيح: إنّي لن أدع لكم الطريق حتّى تلعنوا يزيد قاتل الحسين عليه السلام!

فقال عيسى عليه السلام: ومن يكون الحسين؟

قال: هو سبط محمّد النبيّ الأمي، وابن عليّ الولي.

قال: ومن قاتله!؟

قال: قاتله لعين الوحوش والذباب والسباع أجمع، خصوصاً أيام عاشورا!

فرجع عيسى يديه ولعن يزيد ودعا عليه، وأمن الحواريون على دعائه، فتنحى الأسد عن طريقهم، ومضوا لشأنهم.. «١»

٩) وروى الشيخ الصدوق (ره) في أماليه وفي كمال الدين بإسنادين مختلفين إلى ابن عباس، عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام في

حديث طويل (جرى أثناء مروره عليه السلام بكرلاء حين خروجه إلى صفين)، قال ابن عباس: «... ثم قال: يا ابن عباس، اطلب لي حولها بحر الطباء، فوالله ما كذبت ولا كُذِّبت، وهي مصفرة لونها لون الزعفران. قال ابن عباس فطلبها فوجدتها مجتمعاً! فناديته: يا أمير المؤمنين، قد أصبتها على الصفة التي وصفتها لي! فقال عليُّ عليه السلام: صدق الله ورسوله. ثم قام عليه السلام يهرول إليها، فحملها وشمها، وقال: هي هي بعينها، أتعلم يا ابن عباس ما هذه الأبعاد؟

هذه قد شمها عيسى بن مريم عليه السلام، وذلك أنه مرَّ بها ومعها الحواريون، فرأى هاهنا الطباء مجتمعاً وهي تبكي، فجلس عيسى عليه السلام وجلس الحواريون معه، فبكى وبكى الحواريون وهم لا يدرون لِمَ جلس ولِمَ بكى، فقالوا: يا روح الله وكلمته، ما يبكيك؟ قال: أتعلمون أي أرض هذه؟ قالوا: لا! قال: هذه أرض يُقتل فيها فرخ الرسول أحمد، وفرخ الحرّة الطاهرة

مع الركب الحسيني (ج ۴)، ص: ۴۱

البتول شبيهة أمي، ويُلحد فيها، طينة أطيب من المسك لأنها طينة الفرخ المستشهد، وهكذا تكون طينة الأنبياء وأولاد الأنبياء، فهذه الطباء تكلمني وتقول إنها ترعى في هذه الأرض شوقاً إلى تربة الفرخ المبارك، وزعمت أنها آمنة في هذه الأرض. ثم ضرب يده إلى هذه الصيران فشمها وقال: هذه بحر الطباء على هذا الطيب لمكان حشيشها، اللهم فأبقها أبداً حتى يشمها أبوه فيكون له عزاء وسلوة...» (۱)

ومصاب الحسين عليه السلام في حياة أنبياء الله عليهم السلام وأمههم ص: ۴۱

(۱) ونقل العلامة المجلسي (ره) عن كتاب الدرّ الثمين في تفسير قوله تعالى: «فتلقى آدم من ربه كلمات ..» (۲) أنه رأى ساق العرش وأسماء النبي والأئمة عليهم السلام فلقنه جبرئيل: قل: يا حميد بحق محمد، يا عالي بحق علي، يا فاطر بحق فاطمة، يا محسن بحق الحسن والحسين ومنك الإحسان. فلما ذكر الحسين سألت دموعه وانخشع قلبه، وقال: يا أخي جبرئيل، في ذكر الخامس ينكسر قلبي وتسيل عبرتي؟

قال جبرئيل: ولدك هذا يُصاب بمصيبة تصغر عندها المصائب!

فقال: يا أخي، وما هي؟

قال: يُقتل عطشاناً غريباً وحيداً فريداً، ليس له ناصرٌ ولا معين! ولو تراه يا آدم وهو يقول: واعطشاه! واقلة ناصراه! حتى يحول العطش بينه وبين السماء كالمدخان! فلم يُجبه أحدٌ إلّا بالسيوف وشرب الحتوف! فيذبح ذبح الشاة من قفاه! وينهب رحله أعداؤه! وتُشهر رؤوسهم هو وأنصاره في البلدان ومعهم النسوان! كذلك سبق في علم الواحد

مع الركب الحسيني (ج ۴)، ص: ۴۲

المئان. فبكى آدم وجبرئيل بكاء الثكلى...» (۱)

(۲) روى الشيخ الصدوق (ره) بسند، عن الفضل بن شاذان قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول: لما أمر الله تبارك وتعالى إبراهيم عليه السلام أن يذبح مكان ابنه إسماعيل الكبش الذي أنزله عليه تمنى إبراهيم أن يكون قد ذبح ابنه إسماعيل عليه السلام بيده، وأنه لم يؤمر بذبح الكبش مكانه، ليرجع إلى قلبه ما يرجع إلى قلب الوالد الذي يذبح أعزّ ولده بيده، فيستحقّ بذلك أرفع درجات أهل الثواب على المصائب!

فأوحى الله عزّ وجلّ إليه: يا إبراهيم، من أحبّ خلقي إليك؟

فقال: يا ربّ ما خلقت خلقاً هو أحبّ إليّ من حبيبك محمد صلى الله عليه وآله.

فأوحى الله عزّ وجلّ إليه: يا إبراهيم، أفهو أحبّ إليك أو نفسك؟

قال: بل هو أحبّ إليّ من نفسي.

قال: فولده أحب إليك أو ولدك؟

قال: بل ولده.

قال: فذبح ولده ظلماً على أيدي أعدائه أوجع لقلبك أو ذبح ولدك بيدك في طاعتي؟

قال: يا ربّ بل ذبحه على أيدي أعدائه أوجع لقلبي.

قال: يا إبراهيم، فإنّ طائفته تزعم أنها من أمية محمد صلى الله عليه وآله ستقتل الحسين عليه السلام إبنه من بعده ظلماً وعدواناً كما يُذبح الكبش، فيستوجبون بذلك سخطي.

فجزع إبراهيم عليه السلام لذلك وتوجع قلبه، وأقبل يبكي!

فأوحى الله عزّ وجلّ إليه: يا إبراهيم، قد فديت جزعك على إبنك إسماعيل لو ذبحته بيدك بجزعك على الحسين عليه السلام وقتله، وأوجبت لك أرفع درجات أهل الثواب على المصائب!

معالركب الحسينى (ج ٤)، ص: ٤٣

فذلك قول الله عزّ وجلّ: «وفديناه بذبح عظيم»، ولا حول ولا قوة إلّا بالله العليّ العظيم. «١»

٣) ونقل الشيخ قطب الدين الراوندى عن تاريخ محمد النجار شيخ المحدثين بالمدرسة المستنصرية بإسناد مرفوع إلى أنس بن مالك، عن النبى صلى الله عليه وآله أنه قال: «لما أراد الله أن يهلك قوم نوح أوحى إليه أن شقّ ألواح الساج، فلما شقّها لم يدر ما يصنع بها، فهبط جبرئيل فأراه هيئة السفينة ومعه تابوت بها مائة ألف مسمار وتسعة وعشرون ألف مسمار، فسمر بالمسامير كلّها السفينة إلى أن بقيت خمسة مسامير، فضرب بيده إلى مسمار فأشرق بيده وأضاء كما يضيء الكوكب في أفق السماء فتحير نوح، فأنطق الله المسمار بلسان طلق ذلق: أنا على إسم خير الأنبياء محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله.

فهبط جبرئيل، فقال له: يا جبرئيل، ما هذا المسمار الذى ما رأيت مثله؟

فقال: هذا بإسم سيّد الأنبياء محمد بن عبد الله، أسمره على جانب السفينة الأيمن.

ثمّ ضرب بيده على مسمار ثانٍ فأشرق وأنار!

فقال نوح: وما هذا المسمار؟

فقال: هذا مسمار أخيه وابن عمّه سيّد الأوصياء على بن أبى طالب فأسمره على جانب السفينة الأيسر فى أولها.

ثمّ ضرب بيده إلى مسمار ثالث فزهر وأشرق وأنار!

معالركب الحسينى (ج ٤)، ص: ٤٤

فقال جبرئيل: هذا مسمار فاطمة فأسمره إلى جانب مسمار أبيها.

ثمّ ضرب بيده إلى مسمار رابع فزهر وأنار!

فقال جبرئيل: هذا مسمار الحسن فأسمره إلى جانب مسمار أبيه. ثمّ ضرب إلى مسمار خامس فزهر وأنار وأظهر النداءة!

فقال جبرئيل: هذا مسمار الحسين فأسمره إلى جانب مسمار أبيه.

فقال نوح: يا جبرئيل، ماهذه النداءة؟

فقال: هذا الدّم!

فذكر قصّة الحسين عليه السلام وماتعمل الأمة به، فلعن الله قاتله وظالمه وخاذله. «١»

٤) وروى الشيخ الصدوق (ره) بإسناد إلى الإمام الرضا عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنّ موسى بن عمران سأل ربّه عزّ وجلّ فقال: يا ربّ، إنّ أخى هارون مات فاغفر له. فأوحى الله تعالى إليه: يا موسى، لو سألتنى فى الأولين والآخرين لأجبتك ما

خلا قاتل الحسين بن على بن أبى طالب عليه السلام، فإنّى أنتقم له من قاتله. «٢»

٥) وروى الشيخ الصدوق (ره) في علل الشرائع بسندٍ إلى الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «إن إسماعيل الذي قال الله عز وجل في كتابه: واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولاً نبياً، لم يكن إسماعيل بن إبراهيم، بل كان نبياً من الأنبياء بعثه الله عز وجل إلى قومه فأخذوه فسلخوا فروة رأسه ووجهه، فأتاه ملك فقال:

مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٤٥

«إن الله جل جلاله بعثني إليك فمرني بما شئت. فقال: لى أسوء بما يُصنع بالحسين عليه السلام.» (١)

ورواه الشيخ الصدوق (ره) أيضاً بتفاوت وبسند آخر إلى الإمام الصادق عليه السلام. (٢)

وروى ابن قولويه (ره) بسندٍ عن بُرير بن معاوية العجليّ: «قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: يا ابن رسول الله، أخبرني عن إسماعيل الذي ذكره الله في كتابه حيث يقول: «واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولاً نبياً» أكان إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام؟ فإنّ الناس يزعمون أنه إسماعيل بن إبراهيم!

فقال عليه السلام: إن إسماعيل مات قبل إبراهيم، وإن إبراهيم كان حجّة لله قائماً، صاحب شريعته، فإلى من أرسل إسماعيل إذن؟ قلت: فمن كان جعلت فداك؟

قال عليه السلام: ذاك إسماعيل بن حزقيل النبيّ، بعثه الله إلى قومه فكذبوه وقتلوه وسلخوا وجهه، فغضب الله له عليهم، فوجه إليه سطاطائل ملك العذاب، فقال له: يا إسماعيل أنا سطاطائل ملك العذاب، وجهني إليك ربّ العزة لأعذب قومك بأنواع العذاب إن شئت.

فقال له إسماعيل: لاجه لي في ذلك! فأوحى الله إليه: فما حاجتك يا إسماعيل؟ فقال: يا ربّ إنك أخذت الميثاق لنفسك بالربوبية، ولمحمد بالنبوة، ولأوصيائه بالولاية، وأخبرت خير خلقك بما تفعل أمتة بالحسين بن عليّ عليهما السلام من بعد نبيها، وإنك وعدت الحسين عليه السلام أن تُكرّره إلى الدنيا حتّى ينتقم بنفسه ممّن فعل ذلك به، فحاجتي إليك يا ربّ أن تكزني إلى الدنيا

مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٤٦

حتى أنتقم ممّن فعل ذلك بي، كما تُكرّز الحسين عليه السلام، فوعد الله إسماعيل بن حزقيل ذلك فهو يكرّ مع الحسين عليه السلام.» (١)

٦) وروى الشيخ الصدوق في أماليه بسندٍ إلى سالم بن أبي جعدة قال:

سمعت كعب الأبحار يقول: إن في كتابنا أن رجلاً من ولد محمّد رسول الله يُقتل ولايجفّ عرق دواب أصحابه حتّى يدخلوا الجنة فيعانقوا الحور العين.

فمرّ بنا الحسن عليه السلام، فقلنا: هو هذا؟

قال: لا

فمرّ بنا الحسين عليه السلام فقلنا: هو هذا؟

قال: نعم.» (٢)

٧) وروى الشيخ الصدوق (ره) أيضاً بسندٍ إلى يحيى بن يمان، عن إمام لبنى سليم، عن أشياخ لهم: قالوا: غزونا بلاد الروم فدخلنا كنيسة من كنائسهم فوجدنا فيها مكتوباً:

أيرجو معشر قتلوا حسيناً شفاعته جدّه يوم الحساب

قالوا: فسألنا: منذ كم هذا في كنيستكم؟

فقالوا: قبل أن يُبعث نبيكم بثلاثمائة عام! (٣)

وقال الشيخ ابن نما (ره): «وحدّث عبدالرحمن بن مسلم، عن أبيه أنه قال:

غزونا بلاد الروم فأتينا كنيسة من كنائسهم قريبة من قسطنطينية وعليها شيء

مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٤٧

مكتوب، فسألنا أناساً من أهل الشام يقرأون بالرومية، فإذا هو مكتوب هذا البيت [الشعر].

وذكر أبو عمرو الزاهد في كتاب الياقوت قال: قال عبدالله بن الصّفّار صاحب أبي حمزة الصوفي: غزونا غزاه وسينا سيياً، وكان فيهم

شيخ من عقلاء النصارى، فأكرمانه وأحسننا إليه، فقال لنا: أخبرني أبي، عن آباءه أنهم حضروا في بلاد الروم حضراً قبل أن يُبعث النبي

العربي بثلاثمائة سنة، فأصابوا حجراً عليه مكتوب بالمسند هذا البيت من الشعر:

أترجو عصبه قتلت حسيناً شفاعه جدّه يوم الحساب

والمسند كلام أولاد شيث.. «١»

الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله ومصاب الحسين عليه السلام ص : ٤٧

كان رسول الله صلى الله عليه وآله كَلِّمًا ذكر ما يجري على الإمام الحسين عليه السلام من المصائب الفادحة حزن واغتمّ وبكى

وأبكى من حوله، منذ أن بشرته الملائكة

مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٤٨

بالحسين عليه السلام، ثم منذ اليوم الأوّل من حياة الإمام الحسين عليه السلام إلى آخر أيامه صلى الله عليه وآله، والمأثور المروي في

هذا الصدد كثير متوّع انتقينا منه نماذج على سبيل المثال تبرّكاً، وهي:

١) روى ابن قولويه (ره) بسندٍ عن الإمام أبي عبدالله الصادق عليه السلام أنه قال:

«أتى جبرئيل رسول الله فقال له: السلام عليك يا محمّد، ألا أبشرك بغلام تقتله أمّتك من بعدك؟

فقال: لا حاجة لي فيه.

قال: فانتفض إلى السماء، ثم عاد إليه الثانية فقال له مثل ذلك.

فقال: لا حاجة لي فيه.

فانعرج إلى السماء، ثم انقضّ إليه الثالثة فقال له مثل ذلك.

فقال: لا حاجة لي فيه.

فقال: إنّ ربك جاعل الوصية في عقبه.

فقال: نعم.

ثم قام رسول الله صلى الله عليه وآله فدخل على فاطمة فقال لها: إنّ جبرئيل أتاني فبشّرني بغلام تقتله أمّتي من بعدى!

فقلت: لا حاجة لي فيه.

فقال لها: إنّ ربّي جاعل الوصية في عقبه.

فقلت: نعم إذن.

قال فأنزل الله تعالى عند ذلك هذه الآية: «حملته أمّه كرهاً ووضعته كرهاً» لموضع إعلام جبرئيل إياها بقتله، «فحملته كرهاً» بأنّه

مقتول، و «ووضعته كرهاً» لأنّه مقتول.. «١»

مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٤٩

٢) وروى ابن قولويه (ره) أيضاً بسندٍ عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «لما حملت فاطمة بالحسين عليه السلام جاء جبرئيل إلى

رسول الله فقال: إِنَّ فَاطِمَةَ سَتَلِدُ وَلِذَا تَقْتُلُهُ أُمَّتُكَ مِنْ بَعْدِكَ. فَلَمَّا حَمَلَتْ فَاطِمَةُ الْحُسَيْنِ كَرِهَتْ حَمْلَهُ، وَحِينَ وَضَعَتْهُ كَرِهَتْ وَضْعَهُ. ثُمَّ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: هَلْ رَأَيْتُمْ فِي الدُّنْيَا أُمَّاً تَلِدُ غُلَاماً فَتُكْرَهُهُ؟! وَلَكِنْهَا كَرِهَتْهُ لِأَنَّهَا عَلِمَتْ أَنَّهُ سَيُقْتَلُ. قَالَ: وَفِيهِ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: «وَوَضَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا، حَمَلْتَهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلَهُ وَفَصَّالَهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا» (١) «٢».

(٣) قَالَ الشَّيْخُ ابْنُ نَمَا (رَه): «وَقَدْ رَوَى عَنْ زَوْجَةِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمَطَّلِبِ وَهِيَ أُمُّ الْفَضْلِ «لِبَابَةِ بِنْتِ الْحَارِثِ» قَالَتْ: رَأَيْتُ فِي النَّوْمِ قَبْلَ مَوْلَدِهِ كَأَنَّ قِطْعَةً مِنْ لَحْمِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قُطِعَتْ وَوَضِعَتْ فِي حَجْرِي، فَقَصَصْتُ الرَّؤْيَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَقَالَ: إِنْ صَدَقْتَ رُؤْيَاكَ فَإِنَّ فَاطِمَةَ سَتَلِدُ غُلَامًا وَأَدْفَعُهُ إِلَيْكَ لِتَرْضِعِيهِ.» (٣)

فَجَرَى الْأَمْرَ عَلَى ذَلِكَ، فَجِئْتُ بِهِ يَوْمًا فَوَضَعْتُهُ فِي حَجْرِهِ فَبَالَ، فَقَطَّرْتُ مِنْهُ قِطْرَةً عَلَى ثُوبِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَقَرَصْتُهُ فَبَكَى. فَقَالَ كَالْمَغْضَبِ: مَهَلًا يَا أُمَّ الْفَضْلِ، فَهَذَا ثُوبِي يُغْسَلُ، وَقَدْ أَوْجَعْتِ ابْنِي! قَالَتْ فَتَرَكْتَهُ وَمَضَيْتُ لِأْتِيَهُ بِمَاءٍ، فَجِئْتُ فَوَجَدْتَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَبْكِي، فَقُلْتُ: مِمَّ بَكَوْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: إِنَّ جَبْرَائِيلَ أَتَانِي فَأَخْبَرَنِي أَنَّ أُمَّتِي تَقْتُلُ وَلَدِي هَذَا! «٤»

مع الركب الحسينى (ج ٤)، ص: ٥٠

(٤) وَأَخْرَجَ الشَّيْخُ الطُّوسِي (رَه) بِسَنَدٍ عَنِ الْإِمَامِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ قَالَ:

«حَدَّثَنِي أَسْمَاءُ بِنْتُ عَمِيْسِ الْخَثْعَمِيَّةُ قَالَتْ: قَبِلْتُ جَدَّتَكَ فَاطِمَةَ بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ. قَالَتْ: فَلَمَّا وَلَدَتْ الْحَسْنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ جَاءَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَقَالَ: يَا أَسْمَاءُ هَاتِي ابْنِي. قَالَتْ: فَدَفَعْتَهُ إِلَيْهِ فِي خِرْقَةٍ صَفْرَاءَ، فَرَمَى بِهَا وَقَالَ: أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكَ أَنْ تَلْفُوا الْمَوْلُودَ فِي خِرْقَةٍ صَفْرَاءَ؟»

وَدَعَا بِخِرْقَةٍ بِيضَاءَ فَلَفَّهُ فِيهَا، ثُمَّ أَذِنَ فِي أُذُنِهِ الْيَمْنَى، وَأَقَامَ فِي أُذُنِهِ الْيَسْرَى، وَقَالَ لِعَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: بِمِ سَمَّيْتَ ابْنَكَ هَذَا؟ قَالَ: مَا كُنْتُ لِأَسْبِقَكَ بِاسْمِهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: وَأَنَا مَا كُنْتُ لِأَسْبِقَ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ.

قَالَ فَهَبْطُ جَبْرَائِيلَ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ وَيَقُولُ لَكَ: يَا مُحَمَّدُ، عَلِيُّ مِنْكَ بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَانَبِيِّ بَعْدَكَ، فَسَمِّ ابْنَكَ بِاسْمِ ابْنِ هَارُونَ. قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: يَا جَبْرَائِيلَ، وَمَا اسْمُ ابْنِ هَارُونَ؟ قَالَ: جَبْرَائِيلُ: شُبْر. قَالَ: وَمَا شُبْرٌ؟ قَالَ:

الحسن. قالت أسماء: فسماه الحسن.

قَالَتْ أَسْمَاءُ: فَلَمَّا وَلَدَتْ فَاطِمَةُ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ نَفَسَتْهَا بِهِ، فَجَاءَنِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَقَالَ:

هَلْمِي ابْنِي يَا أَسْمَاءُ. فَدَفَعْتَهُ إِلَيْهِ فِي خِرْقَةٍ بِيضَاءَ، فَفَعَلَ بِهِ كَمَا فَعَلَ بِالْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَتْ:

وَبَكَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ثُمَّ قَالَ: إِنَّهُ سَيَكُونُ لَكَ حَدِيثٌ! اللَّهُمَّ الْعِنِ قَاتِلَهُ، لِأَتَعْلَمِي فَاطِمَةَ بِذَلِكَ.

قَالَتْ: فَلَمَّا كَانَ يَوْمُهُ سَابِعَهُ جَاءَنِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَقَالَ: هَلْمِي ابْنِي.

فَأْتَيْتَهُ بِهِ، فَفَعَلَ بِهِ كَمَا فَعَلَ بِالْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَعَقَّ عَنْهُ كَمَا عَقَّ عَنِ الْحَسَنِ كِبَشًا أَمْلَحَ، وَأَعْطَى الْقَابِلَةَ رِجْلًا، وَحَلَقَ رَأْسَهُ، وَتَصَدَّقَ بِوِزْنِ الشَّعْرِ وَرِقًا، «١» وَخَلَقَ رَأْسَهُ بِالْخُلُوقِ، «٢»

مع الركب الحسينى (ج ٤)، ص: ٥١

وَقَالَ: إِنَّ الدَّمَ مِنْ فِعْلِ الْجَاهِلِيَّةِ. قَالَتْ: ثُمَّ وَضَعَهُ فِي حَجْرِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، عَزِيزٌ عَلَيَّ! ثُمَّ بَكَى. فَقُلْتُ: يَا أَبَتِي أَنْتِ وَأُمِّي، فَعَلْتُ فِي هَذَا الْيَوْمِ وَفِي الْيَوْمِ الْأَوَّلِ، فَمَا هُوَ؟ فَقَالَ:

أَبُكِي عَلَى ابْنِي هَذَا، تَقْتُلُهُ فِتْنَةٌ بَاغِيَةٌ كَافِرَةٌ مِنْ بَنِي أُمِّيَّةٍ، لَا أَنَالَهُمُ اللَّهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَقْتُلُهُ رَجُلٌ يَثْلُمُ الدِّينَ وَيَكْفُرُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ. ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فِيهِمَا مَا سَأَلْتُكَ إِبْرَاهِيمَ فِي ذُرِّيَّتِهِ، اللَّهُمَّ أَحْبَبْهُمَا، وَأَحَبِّ مَنْ يُحِبُّهُمَا، وَالْعَنِ مَنْ يَبْغِضُهُمَا مِلَّةَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ. «١»

٥) وروى فرات الكوفي (ره) عن جعفر بن محمد الفزاري معنعناً، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «كان الحسين مع أمته تحمله، فأخذه النبي صلى الله عليه وآله وقال: لعن الله قاتلك، ولعن الله سالكك، وأهلك الله المتوازين عليك، وحكم الله بيني وبين من أعان عليك.

قالت فاطمة الزهراء: يا أبت! أي شيء تقول؟

قال: يا بنتاه، ذكرت ما يصيبه بعدى وبعذك من الأذى والظلم والغدر والبغى، وهو يومئذ في عصبه كأنهم نجوم السماء يتهادون إلى القتل، وكأني أنظر إلى معسكرهم، وإلى موضع رحالهم وتربتهم!

قالت: يا أبة! وأين هذا الموضع الذي تصف؟

قال: موضع يقال له كربلاء، وهي دار كرب وبلاء علينا وعلى الأمة (الأئمة) يخرج عليهم شرار أمتي، لو أن أحدهم شفع له من في السموات والأرضين ما شفعوا فيه، وهم المخلدون في النار!

قالت: يا أبة! فيقتل؟!

قال: نعم يا بنتاه! وما قتل قتلته أحد كان قبله، ويكيه السموات والأرضون،

مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٥٢

والملائكة، والوحش، والنباتات، والبحار، والجبال، ولو يؤذن لها ما بقي على الأرض متنفس، ويأتيه قوم من محبيننا ليس في الأرض أعلم بالله ولا أقوم بحقنا منهم، وليس على ظهر الأرض أحد يلتفت إليه غيرهم، أولئك مصابيح في ظلمات الجور، وهم الشفعاء، وهم واردون حوضي غداً، أعرفهم إذا وردوا عليّ بسماهم، وكلُّ أهل دين يطلبون أئمتهم، وهم يطلبوننا لا يطلبون غيرنا، وهم قوام الأرض، وبهم ينزل الغيث.

فقالت فاطمة الزهراء عليها السلام: يا أبة! إنا لله! وبكت.

فقال لها: يا بنتاه! إن أفضل أهل الجنان هم الشهداء في الدنيا، بذلوا أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويُقتلون وعداً عليه حقاً، فما عند الله خير من الدنيا وما فيها، قتله أهون من ميتة، ومن كتب عليه القتل خرج إلى مضجعه، ومن لم يقتل فسوف يموت.

يا فاطمة بنت محمد! أما تحبين أن تأمرين غداً بأمر فتطاعين في هذا الخلق عند الحساب؟ أما ترضين أن يكون ابنك من حملة العرش؟ أما ترضين أن يكون أبوك يأتونه يسألونه الشفاعة؟

أما ترضين أن يكون بعلك يذود الخلق يوم العطش عن الحوض فيسقى منه أوليائه ويذود عنه أعداءه؟ أما ترضين أن يكون بعلك قسيم النار! يأمر النار فتطيعه! يُخرج منها من يشاء ويترك من يشاء!

أما ترضين أن تنظرين إلى الملائكة على أرجاء السماء ينظرون إليك وإلى ما تأمرين به، وينظرون إلى بعلك قد حضر الخلائق وهو يخاصمهم عند الله، فما ترين الله صانع بقاتل ولدك وقاتليك وقاتل بعلك إذا أفلجت حجته على الخلائق وأمرت النار أن تطيعه؟

أما ترضين أن يكون الملائكة تبكي لابنك، ويأسف عليه كل شيء؟ أما ترضين أن يكون من أتاه زائراً في ضمان الله، ويكون من أتاه بمنزلة من حج إلى بيت الله واعتمر، ولم

مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٥٣

يخل من الرحمة طرفه عين، وإذا مات مات شهيداً، وإن بقي لم تزل الحفظة تدعوا له ما بقي، ولم يزل في حفظ الله وأمنه حتى يفارق الدنيا؟

قالت: يا أبة، سلّمتُ، ورضيتُ، وتوكلت على الله.

فمسح على قلبها ومسح عينيها، وقال: إنني وبعلك وأنت وإبنك في مكان تقرّ عيناك ويفرح قلبك. «١»

٦) وروى الشيخ ابن نما (ره) قائلاً: «وعن عبدالله بن يحيى قال: دخلنا مع عليّ عليه السلام إلى صفّين، فلما حاذى نينوى نادى: صبراً أبا عبدالله، فقال: دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وعيناه تفيضان! فقلت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، مالعينيك تفيضان؟ أغضبك أحد؟ قال: لا، بل كان عندي جبرئيل فأخبرني أنّ الحسين يُقتل بشاطئ الفرات، فقال: هل لك أن أشمّك من تربته؟ قلت: نعم. فمدّ يده فأخذ قبضه من تراب وأعطانها، فلم أملك عينيّ أن فاضتا، وإسم الأرض كربلاء. فلما أتت عليه سنتان خرج النبيّ صلى الله عليه وآله (مع سفر) إلى سفر فوقف في بعض الطريق واسترجع ودمعت عيناه! فسئل عن ذلك.

فقال: هذا جبرئيل يخبرني عن أرض بشطّ الفرات يُقال لها كربلاء يُقتل فيها ولدى الحسين. فقيل: ومن يقتله!؟

قال: رجل يقال له يزيد، كأني أنظر إليه وإلى مصرعه ومدفنه بها، وكأني أنظر على أقتاب المطايا وقد أهدى رأس ولدى الحسين إلى يزيد لعنه الله، فوالله ما ينظر أحد إلى مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٥٤

رأس الحسين ويفرح إلاً خالف الله بين قلبه ولسانه، وعدّبه الله عذاباً أليماً.

ثمّ رجع النبيّ من سفره مغموماً مهموماً كئيباً حزيناً، فصعد المنبر وأصعد معه الحسن والحسين، وخطب ووعظ الناس، فلما فرغ من خطبته وضع يده اليمنى على رأس الحسن ويده اليسرى على رأس الحسين، ورفع رأسه إلى السماء وقال:

اللّهمّ إنّ محمّداً عبدك ورسولك ونبّيك، وهذان أطائب عترتي وخيار ذريّتي وأرومتي، ومن أخلفهما في أمتي، وقد أخبرني جبرئيل أنّ ولدى هذا مقتول بالسّم، والآخر شهيد مضرّج بالدم، اللّهمّ فبارك له في قتله، واجعله من سادات الشهداء، اللّهمّ ولا تبارك في قاتله وخاذله، وأصله حرّاً نارك واحشره في أسفل درك الجحيم.

قال فضيخ الناس بالبكاء والعيويل!

فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: أتنبكون ولا تنصرونه؟! اللّهمّ فكن أنت له ولياً وناصرًا.

ثم قال: يا قوم، إنني مخلّف فيكم الثقلين: كتاب الله، وعترتي وأرومتي ومزاج مائي، وثمره فؤادي، ومهجتي، لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض، ألا وإنني لا أسألكم في ذلك إلاً ما أمرني ربّي أن أسألكم عنه، أسألكم عن المودّة في القربى، واحذروا أن تلقوني غداً على الحوض وقد آذيتم عترتي وقتلتم أهل بيتي وظلمتموهم.

ألا إنّه سيرد عليّ يوم القيامة ثلاث رايات من هذه الأئمة:

الأولى: راية سوداء مظلمة قد فرغت منها الملائكة، فتقف عليّ فأقول لهم: من أنتم؟

فينسون ذكري! ويقولون: نحن أهل التوحيد من العرب. فأقول لهم: أنا أحمد نبيّ العرب والعجم. فيقولون: نحن من أمتك. فأقول: كيف خلفتموني من بعدى في أهل بيتي وعترتي وكتاب ربّي؟ فيقولون: أمّا الكتاب فضيّعناه! وأمّا العترة فحرصنا أن نبيدهم عن جديد الأرض. فلما أسمع ذلك منهم أعرض عنهم وجهي، فيصدرون عطاشاً مسوّدة وجوههم.

ثمّ ترد عليّ راية أخرى أشدّ سواداً من الأولى، فأقول لهم: كيف خلفتموني من بعدى في

مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٥٥

الثقلين كتاب الله وعترتي؟

فيقولون: أمّا الأكبر فخالقناه! وأمّا الأصغر فمزقناه كل ممزّق! فأقول: إليكم عنى.

فيصدرون عطاشاً مسوّدة وجوههم.

ثم ترد عليّ رايه تلمع وجوههم نوراً فأقول لهم: من أنتم؟ فيقولون: نحن أهل كلمة التوحيد والتقوى من أئمة محمد المصطفى، ونحن بقيه أهل الحق، حملنا كتاب ربنا، وحلّلنا حلاله، وحزّنا حرامه، وأحبينا ذريته نبينا محمد، ونصرناهم من كلّ ما نصرنا به أنفسنا، وقاتلنا معهم من ناوهم. فأقول لهم: أبشروا، فأنا نبيكم محمّد، ولقد كنتم في الدنيا كما قلتم، ثم أسقيهم من حوضي فيصدرون مرويين مستبشرين، ثم يدخلون الجنّة خالدين فيها أبد الأبدين». (١)

(٧) روى الشيخ الصدوق (ره) بسند عن ابن عباس قال: «إن رسول الله صلى الله عليه وآله كان جالساً ذات يوم إذ أقبل الحسن عليه السلام، فلما رآه بكى! ثم قال: إلى أين يا بُنيّ؟ فما زال يديه حتى أجلسه على فخذه اليمنى.

ثم أقبل الحسين عليه السلام، فلما رآه بكى! ثم قال: إلى أين يا بُنيّ؟ فما زال يُدِينه حتى أجلسه على فخذه اليسرى. ثم أقبلت فاطمة عليها السلام، فلما رآها بكى! ثم قال: إلى أين يا بُنيّة. فأجلسها بين يديه، ثم أقبل أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، فلما رآه بكى! ثم قال: إلى أين يا أخي. فما زال يُدِينه حتى أجلسه إلى جنبه الأيمن.

فقال له أصحابه: يا رسول الله، ما ترى واحداً من هؤلاء إلّا بكيت! أو ما فيهم

مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٥٦

من تسرُّ برؤيته؟!

فقال صلى الله عليه وآله: والذي بعثني بالنبوة واصطفاني على جميع البرية، إنني وإياهم لأكرم الخلق على الله عزّ وجلّ، وما على وجه الأرض نسمة أحبّ إليّ منهم، أمّا عليّ بن أبي طالب عليه السلام ...

وأما الحسين فإنه منّي، وهو ابني وولدي وخير الخلق بعد أخيه، وهو إمام المسلمين، ومولى المؤمنين، وخليفة ربّ العالمين، وغيث المستغيثين، وكهف المستجيرين، وحجّة الله على خلقه أجمعين، وهو سيّد شباب أهل الجنّة، وباب نجاه الأئمة، أمره أمري، وطاعته طاعتي، من تبعه فإنّه مني، ومن عصاه فليس منّي، وإنّي لَمِأ رأيتُهُ تذكّرت ما يُصنع به بعدى، كأنّي به وقد استجار بحرّمى وقرّبى فلا يُجار! فأضّمه في منامه إلى صدرى، وأمره بالرحلة عن دار هجرتى، وأبشّره بالشهادة فيرتحل عنها إلى أرض مقتله وموضع مصرعه أرض كرب وبلاء، وقتل وفناء، تنصره عصابة من المسلمين، أولئك من سادة شهداء أمتي يوم القيامة، كأنّي أنظر إليه وقد رُمى بسهمٍ فخرّ عن فرسه صريعاً، ثم يُذبح كما يُذبح الكبش مظلوماً.

ثم بكى رسول الله صلى الله عليه وآله، وبكى من حوله، وارتفعت أصواتهم بالضجيج! ثم قام صلى الله عليه وآله وهو يقول: أَللّهمّ إنّي أشكو إليك ما يلقي أهل بيتي بعدى! ثم دخل منزله». (١)

(٨) «وروى عن عبد الله بن عباس (رض) أنه قال: لما اشتدّ برسول الله صلى الله عليه وآله مرضه الذي مات فيه، وقد ضمّ الحسين عليه السلام إلى صدره، يسيل من عرقه عليه، وهو يوجد بنفسه ويقول: مالي وليزيد؟! لا بارك الله فيه، أَللّهمّ العن يزيد.

ثم غشى عليه طويلاً، وأفاق وجعل يقبل الحسين وعيناه تدرّفان، ويقول: أما إن لى ولقاتلك مقاماً بين يدي الله عزّ وجلّ». (٢)

مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٥٧

أمير المؤمنين عليّ عليه السلام ومصاب الحسين عليه السلام ص : ٥٧

وكما كان رسول الله صلى الله عليه وآله يعيش مأتماً متواصلاً ويكابد حزناً شديداً وجزعاً عظيماً ويبكى بكاءً مرّاً ويُبكي من حوله لما سوف يُصيب الإمام الحسين عليه السلام من عظيم البلاء، كذلك كان أمير المؤمنين عليه السلام، وإنّ المأثور عنه عليه السلام في ذلك لكثير، لكننا لا يسعنا هنا أيضاً إلّا أن نتتقى منه نماذج على سبيل المثال تبركاً:

(١) روى الشيخ الصدوق (ره) بسند عن الأصمغ بن نباتة (ره) قال: «خرج علينا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام ذات يوم ويده في يد ابنه الحسن عليه السلام وهو يقول: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم ويدي في يده هكذا وهو يقول:

خير الخلق بعدى وسيدهم أخی هذا، وهو إمام كل مسلم، ومولى كل مؤمن بعد وفاتي.

ألاً وإني أقول: خير الخلق بعدى، وسيدهم إبنی هذا، وهو إمام كل مؤمن، ومولى كل مؤمن بعد وفاتي، ألا وإنه سيُظلم بعدى كما ظُلمت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، وخير الخلق وسيدهم بعد الحسن ابني أخوه الحسين المظلوم بعد أخيه، المقتول في أرض كربلاء، إما إنه وأصحابه من سادة الشهداء يوم القيامة...» (١)

(٢) وأخرج الشيخ الصدوق (ره) أيضاً في أماليه بسند عن جبله المكيه قالت: سمعت ميثم التمار يقول: «والله لتقتلن هذه الأمة ابن نبيها في المحرم لعشر مضي من، وليتخذن أعداء الله ذلك اليوم يوم بركه، وإن ذلك لكائن قد سبق في علم الله تعالى ذكره، أعلم ذلك بعهد عهده إلی مولاى أمير المؤمنين صلوات الله عليه، ولقد أخبرني أنه يبكي عليه كل شيء حتى الوحوش في الفلوات، والحيتان في البحار، والطير في جو السماء، وتبكي عليه الشمس، والقمر، والنجوم، والسماء، والأرض، مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٥٨

ومؤمنو الإنس والجن، وجميع ملائكة السموات ورضوان ومالك، وحمله العرش، وتمطر السماء دماً ورماداً، ثم قال: وجبت لعنة الله على قتله الحسين عليه السلام كما وجبت على المشركين الذين يجعلون مع الله إلهاً آخر، وكما وجبت على اليهود والنصارى والمجوس.

قالت جبله: فقلت: يا ميثم، وكيف يتخذ الناس ذلك اليوم الذي يُقتل فيه الحسين بن عليّ عليهما السلام يوم بركة؟! فبكي ميثم، ثم قال: سيزعمون بحديث يضعونه أنه اليوم الذي تاب الله فيه على آدم عليه السلام، وإنما تاب الله على آدم عليه السلام في ذى الحجة، ويزعمون أنه اليوم الذي قبل الله فيه توبة داود، وإنما قبل الله توبته في ذى الحجة، ويزعمون أنه اليوم الذي أخرج الله فيه يونس من بطن الحوت، وإنما أخرجه الله من بطن الحوت في ذى القعدة، ويزعمون أنه اليوم الذي استوت فيه سفينة نوح على الجودي، وإنما استوت على الجودي يوم الثامن عشر من ذى الحجة، ويزعمون أنه اليوم الذي فلق الله فيه البحر لبنى إسرائيل، وإنما كان ذلك في شهر ربيع الأول.

ثم قال ميثم: يا جبله: إعلمي أن الحسين بن عليّ سيد الشهداء يوم القيامة، ولأصحابه على سائر الشهداء درجة، يا جبله إذا نظرت إلى الشمس حمراء كأنها دم عييط فاعلمي أن سيدك الحسين قد قُتل! قالت جبله: فخرجت ذات يوم فرأيت الشمس على الحيطان كأنها الملاحف المعصفرة! فصحت حينئذٍ وبكيت، وقلت قد والله قُتل سيدنا الحسين بن عليّ عليه السلام...» (١)

(٣) وأخرج الشيخ الصدوق (ره) أيضاً في أماليه بسند عن ابن عباس قال: مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٥٩

«كنت مع أمير المؤمنين عليه السلام في خروجه (في خروجه) إلى صفين، فلما نزل بنينوى وهو شطّ الفرات قال بأعلى صوته: يا ابن عباس، أتعرف هذا الموضع؟ قلت له: ما أعرفه يا أمير المؤمنين. فقال عليه السلام: لو عرفته كمعرفتي لم تكن تجوزه حتى تبكي بكبائي.

قال فبكي طويلاً حتى اخضلت لحيته وسالت الدموع على صدره! وبكينا معاً، وهو يقول: أوه أوه! مالي ولآل أبي سفيان؟! مالي ولآل حرب حزب الشيطان وأولياء الكفر؟! صبراً يا أبا عبدالله! فقد لقي أبوك مثل الذي تلقى منهم!

ثم دعا بماء فتوضأ وضوءه للصلاة، فصلّى ما شاء الله أن يصلّى، ثم ذكر نحو كلامه الأول، إلّا أنه نعس عند انقضاء صلاته وكلامه ساعة، ثم انتبه، فقال: يا ابن عباس! فقلت: ها أنا ذا؟

فقال: ألا أحدثك بما رأيت في منامي آنفاً عند رقدتي؟

فقلت: نامت عيناك ورأيت خيراً يا أمير المؤمنين!

قالت: رأيت كأنى برجال قد نزلوا من السماء، معهم أعلام بيض، قد تقلدوا سيوفهم وهى بيض تلمع، وقد خطوا حول هذه الأرض خطه، ثم رأيت كأن هذه النخيل قد ضربت بأغصانها الأرض تضطرب بدم عبيط، وكأنى بالحسين سُخيلى وفرخى ومضنتى ومخى قد غرق فيه يستغيث فلا يُغاث، وكأن الرجال البيض قد نزلوا من السماء ينادونه ويقولون:

صبراً آل الرسول! فإنكم تقتلون على أيدى شرار الناس، وهذه الجئة يا أبا عبدالله إليك مشتاقه! ثم يعزوني ويقولون: يا أبا الحسن، أبشر فقد أقر الله به عينك يوم القيامة يوم يقوم الناس لرب العالمين. ثم انتبهت!

وهكذا والذى نفس على بيده، لقد حدثني الصادق المصدق أبو القاسم صلى الله عليه وآله أنى سارها فى خروجى إلى أهل البغى علينا، وهذه أرض كرب وبلاء، يُدفن فيها الحسين وسبعة عشر رجلاً من ولدى وولد فاطمة، وإنها لفى السموات معروفة تذكر أرض كرب وبلاء، كما تذكر بقعة الحرمين، وبقعة بيت المقدس.

مع الركب الحسينى (ج ٤)، ص: ٦٠

ثم قال: يا ابن عباس، أطلب لى حولها بعر الطباء، فوالله ما كذبت ولا كذبت، وهى مصفرة لونها لون الزعفران!

قال ابن عباس فطلبتها فوجدتها مجتمعته، فناديته: يا أمير المؤمنين، قد أصبتها على الصفة التى وصفتها لى!

فقال على عليه السلام: صدق الله ورسوله. ثم قام عليه السلام يهرول إليها، فحملها وشمها، وقال: هى هى بعينها! أتعلم يا ابن عباس ما هذا الأبعاد؟

هذه قد شمها عيسى بن مريم عليه السلام! وذلك أنه مر بها ومعه الحواريون فرأى هاهنا الطباء مجتمعته وهى تبكى، فجلس عيسى عليه السلام وجلس الحواريون معه فبكى وبكى الحواريون وهم لا يدرون لم جلس ولم بكى!

فقالوا: يا روح الله وكلمته، ما بيكيك؟!

قال: أتعلمون أى أرض هذه؟

قالوا: لا!

قال: هذه أرض يُقتل فيها فرخ الرسول أحمد، وفرخ الحرّة الطاهرة البتول شبيهة أُمى، ويُلحد فيها، طينه أطيب من المسك لأنها طينه الفرخ المستشهد وهكذا تكون طينه الأنبياء وأولاد الأنبياء، فهذه الطباء تكلمنى وتقول إنها ترعى فى هذه الأرض شوقاً إلى تربة الفرخ المبارك!

وزعمت أنها آمنه فى هذه الأرض! ثم ضرب بيده إلى هذه الصيران فشَمها وقال: هذه بعر الطباء على هذا الطيب لمكان حشيشها! اللهم فأبقها أبداً حتى يشمها أبوه فيكون له عزاء وسلوة.

قال: فبقيت إلى يوم الناس هذا! وقد اصفرت ل طول زمنها، وهذه أرض كرب وبلاء.

ثم قال بأعلى صوته: يا رب عيسى بن مريم، لا تبارك فى قتلته، والمعين عليه، والخاذل له.

مع الركب الحسينى (ج ٤)، ص: ٦١

ثم بكى بكاءً طويلاً وبكىنا معه، حتى سقط لوجهه وغشى عليه طويلاً! ثم أفاق فأخذ البعر فصرّه فى رده، وأمرنى أن أصرّها كذلك، ثم قال: يا ابن عباس، إذا رأيتها تنفجر دماً عبيطاً ويسيل منها دم عبيط فاعلم أن أبا عبدالله قد قتل بها ودُفن.

قال ابن عباس: فوالله لقد كنت أحفظها أشد من حفظى لبعض ما افترض الله عز وجل على وأنا لا أحلها من طرف كُمى، فبينما أنا نائم فى البيت إذ انتبهت فإذا هى تسيل دماً عبيطاً، وكان كُمى قد امتلأ دماً عبيطاً، فجلست وأنا باكٍ وقلت: قد قتل والله الحسين! والله ما كذبنى على قط فى حديث حدثنى، ولا أخبرنى بشيء قط أنه يكون إلّا كان كذلك، لأن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يخبره بأشياء لا يخبر بها غيره.

ففرجت وخرجت وذلك عند الفجر، فرأيت والله المدينة كأنها ضباب لا يستبين منها أثر عين، ثم طلعت الشمس فرأيت كأنها منكسفة،

ورأيت كأنَّ حيطانَ المدينة عليها دم عييط! فجلست وأنا باكٍ فقلت: قد قتل والله الحسين! وسمعت صوتاً من ناحية البيت وهو يقول:

إصبروا آلَ الرسول قُتل الفرخ النحول

نزل الروح الأمين ببيكاء وعويل

ثمَّ بكى بأعلى صوته وبكى، فأثبَّتْ عندي تلك الساعة، وكان شهر المحرَّم يوم عاشوراء لعشر مضيّن منه، فوجدته قُتل يوم ورد علينا خبره وتاريخه كذلك، فحدّثت هذا الحديث أولئك الذين كانوا معه، فقالوا: والله لقد سمعنا ما سمعت ونحن في المعركة ولاندرى ما هو فكنا نرى أنّه الخضر عليه السلام. «(۱)»

معالركب الحسينى (ج ۴)، ص: ۶۲

(۳) وأخرج أبو نعيم الأصبهاني عن الأصبغ بن نُباتة قال: «أتينا مع عليّ عليه السلام موضع قبر الحسين عليه السلام فقال: «هاهنا مناخ ركابهم وموضع رحالهم، وهاهنا مهراق دمائهم، فتيّة من آل محمّد صلى الله عليه وآله يُقتلون بهذه العرصة، تبكى عليهم السماء والأرض.» (۱)»

(۴) وأخرج الراوندى في الخرائج عن أبي سعيد عقيصا قال: «خرجنا مع عليّ عليه السلام نريد صفين، فمررنا بكربلاء فقال: هذا موضع قبر الحسين عليه السلام وأصحابه.» (۲)»

(۵) وقال عليّ عليه السلام للبراء بن عازب: «يا براء! يُقتل ابني الحسين وأنت حيٌّ لا تنصره.» فلما قُتل الحسين عليه السلام كان البراء بن عازب يقول: صدق والله عليّ بن أبي طالب، قُتل الحسين ولم أنصره. ثمَّ أظهر على ذلك الحسرة والندم.» (۳)»

(۶) وروى الشيخ ابن قولويه (ره) بسند عن أبي عبد الله الجدلي قال:

«دخلت على أمير المؤمنين عليه السلام والحسين إلى جنبه، فضرب بيده على كتف الحسين، ثمَّ قال: إنَّ هذا يُقتل ولا ينصره أحد!»

قال: قلت: يا أمير المؤمنين، والله إنَّ تلك لحياة سوء!

قال: إنَّ ذلك لكائن.» (۴)»

(۷) «وروى عن أبي جعفر، عن أبيه عليهما السلام قال: مرَّ عليّ بكربلاء فقال لَمَّا مرَّ

معالركب الحسينى (ج ۴)، ص: ۶۳

به أصحابه وقد أغرورقت عيناه يبكى ويقول: هذا مناخ ركابهم، وهذا مُلقى رحالهم، هاهنا مُراق دمائهم، طوبى لك من تربة عليها تُراق دماء الأحبّة!

وقال الباقر عليه السلام: خرج عليّ يسير بالناس حتّى إذا كان بكربلاء على ميلين أو ميل تقدّم بين أيديهم حتى طاف بمكان يُقال له المقذفان، فقال: قُتل فيها مائتا نبيٍّ ومائتا سبط كلهم شهداء، ومناخ ركاب ومصارع عشاق شهداء لا يسبقهم من كان قبلهم ولا يلحقهم من بعدهم.» (۱)»

إخبارات الإمام الحسين عليه السلام بمقتله قبل قيامه ص : ۶۳

إنَّ إخبارات الإمام الحسين عليه السلام بمصرعه ومصرع أصحابه، وزمان ومكان هذا المصرع بعد أن أعلن عن قيامه ورفضه لبيعة يزيد أمام والى المدينة آنذاك الوليد بن عتبة كثيرة مبثوثة في لقاءاته ومحاوراته، خصوصاً في المدة الممتدة من قبيل رحيله عن مكة إلى ساعة استشهاده عليه السلام.

لكنَّ الإمام الحسين عليه السلام كان قبل قيامه قد تحدّث وأخبر عن مصرعه وعن قاتله، منذ أن كان طفلاً صغيراً، ولم يزل يواصل الإخبار عن استشهاده إلى أواخر أيام ما قبل الإعلان عن قيامه، ومن هذه الأخبار:

(۱) عن حذيفة بن اليمان قال: «سمعتُ الحسين بن عليّ يقول: والله ليجمعنَّ على قتلى طغاة بني أمية، ويقدمهم عمر بن سعد. وذلك

في حياة النبي صلى الله عليه وآله! فقلت: أتأكل بهذا رسول الله؟ قال: لا.

فأتيت النبي فأخبرته فقال: علمي علمه، وعلمه علمي، وأنا لنعلم بالكائن قبل كينونته..» (٢)

مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٦٤

(٢) وروى أن عمر بن سعد قال للحسين عليه السلام: «يا أبا عبد الله، إن قَبَلْنَا ناساً سفهاء يزعمون أنني أقتلك!

فقال له الحسين عليه السلام: إنهم ليسوا بسفهاء، ولكنهم حلما، أما إنه تقرّ عيني أن لا تأكل من برّ العراق بعدي إلّا قليلاً..» (١)

(٣) وروى الشيخ ابن قولويه (ره) بسند عن الإمام الصادق عليه السلام، عن أبيه عليه السلام، عن جدّه عليه السلام، عن الإمام الحسين

عليه السلام أنه قال: «والذي نفس حسين بيده لا يهنيء بني أمية ملكهم حتى يقتلوني، وهم قاتلي، فلو قد قتلوني لم يصلوا جميعاً أبداً،

ولم يأخذوا عطاءً في سبيل الله جميعاً أبداً، إن أول قتيل هذه الأمة أنا وأهل بيتي، والذي نفس حسين بيده لا تقوم الساعة وعلى

الأرض هاشميٌّ يطرف..» (٢)

(٤) وروى (ره) أيضاً بسند عن الإمام الصادق عليه السلام أيضاً قال: «قال الحسين بن عليّ عليهما السلام: أنا قتيل العبرة، لا يذكركني

مؤمنٌ إلّا استعبر..» (٣)

لماذا كان الإخبار بمقتله عليه السلام؟ ص : ٦٤

«إن أخبار الملاحم والفتن المأثورة عن أهل بيت العصمة عليهم السلام عامة وعن رسول الله صلى الله عليه وآله خاصة فضلاً عن أنها

تؤكد على أن علم هؤلاء المصطفين الأخيار عليهم السلام علمٌ لدنّي ربّانيّ كاشف عن مكانتهم الإلهية الخاصة المنصوص عليها من

قبل الله تعالى، تؤكد أيضاً على مدى حرصهم الكبير على رعاية هذه

مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٦٥

الأمة وإنقاذها من هلكات مدلهّمات الفتن التي أحاطت بها منذ بداية التيه في يوم السقيفة.

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله يعلم مدى الإنحراف الذي سيصيب الأمة من بعده ويلقى بها في متاهات تنعدم فيها القدرة

على الرؤية السديدة إلّا على قلبه من ذوى البصائر، ويصعب فيها تشخيص الحق من الباطل إلّا على من تمسك بعروة الثقلين، وكان

صلى الله عليه وآله يعلم خطورة حالة الشلل النفسى والإزدواجية فى الشخصية التى ستعاظم فى الأمة من بعده حتى لا يكاد ينجو منها

إلّا أقلّ القليل.

لذا لم يألُ صلى الله عليه وآله جهداً فى تبيان سبل الوقاية والنجاة من تلك الهلكات، ومن جملة تلك السبل سبيل إخبار الأمة

بملاحمها وبالفتن التى ستتعرض لها إلى قيام الساعة، فكشف لها صلى الله عليه وآله عن كلّ الملاحم والفتن، وأوضح لها مزلق

وعثرات الطريق إلى أن تنقضى الدنيا، يقول حذيفة بن اليمان (ره): والله ما ترك رسول الله صلى الله عليه وآله من قائد فتنة إلى أن

تنقضى الدنيا بلغ من معه ثلاثمائة فصاعداً إلّا قد سمّاه لنا بإسمه وإسم أبيه وإسم قبيلته! (١)

وذلك لكى لا تلتبس على الأمة الأمور، ولا تقع فى خطأ الرؤية أو انقلابها فترى المنكر معروفاً والمعروف منكراً! (٢) إضافة إلى ما

يتضمّنه بيان الملاحم للأمة من دعوة إلى نصره صفّ الحق وخذلان صفّ الباطل بعد تشخيص كلّ من الصقّين.

مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٦٦

وقد اختصّ قتل الحسين عليه السلام بنصيب وتركيز أكبر فى الإخبارات الواردة عن النبي صلى الله عليه وآله وعن أمير المؤمنين عليه

السلام، وذلك لعظيم حرمة الإمام الحسين عليه السلام، ولنوع مصرعه المفجع ومصارع أنصاره، ولشدّة مصابهما بتلك الوقعة الفظيعة

والرزية العظيمة، (١) ولأهميّة واقعة عاشوراء بلحاظ ما يترتب عليها من حفظ الإسلام وبقائه، ولأهميّة المثوبة العظيمة والمنزلة الرفيعة

المرتبة على نصره الحسين عليه السلام، واللعنة الدائمة والعقوبة الكبيرة التى تلحق من يقاتله ويخذله.

ولعلّ قرب عاشوراء الزمنى من عهد النبىّ صلى الله عليه وآله وعلىّ عليه السلام عامل أيضاً من عوامل هذا التركيز، لأنّ النبىّ صلى الله عليه وآله ووصيّه عليه السلام يعلمان أنّ جماعة غير قليلة من الصحابة والتابعين سوف يدركون يوم عاشوراء، فالتركيز على الإخبار بمقتله عليه السلام ومخاطبة هؤلاء مخاطبة مباشرةً بذلك يؤثّران التأثير البالغ فى الدعوة إلى نصرته عليه السلام، والتحذير من الإنتماء إلى صف أعدائه، مع ما فى ذلك من إتمام الحجّة على هؤلاء الناس آنئذٍ، ولذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله يخاطب الباكين معه لبكائه على الحسين عليه السلام خطاباً مباشراً فيقول لهم: «أيها الناس، أتبكونه ولا تنصرونه؟!»، (٢) ويخاطب علىّ عليه السلام البراء بن عازب قائلاً: «يا براء، يُقتل ابني الحسين وأنت حتى لا تنصروه». (٣) معالركب الحسينى (ج ٤)، ص: ٦٧

وفى المقابل فقد انتفع بهذا الإخبار جمع من أهل الصدق والإخلاص من الصحابة والتابعين، فقد روى الصحابىّ الجليل أنس بن الحارث رضوان الله تعالى عليه عن النبىّ عليه السلام أنه قال: «إنّ ابني هذا- وأشار إلى الحسين- يُقتل بأرض كربلاء، فمن شهد ذلك منكم فلينصروه»، ولما خرج الإمام الحسين عليه السلام إلى كربلاء خرج معه الصحابىّ الجليل أنس بن الحارث رضوان الله تعالى عليه، واستشهد بين يدي الحسين عليه السلام. (١)

ولعلّ سرّ التحوّل فى موقف زهير بن القين رضوان الله تعالى عليه ما كان يحفظه من قول سلمان الفارسىّ رضوان الله تعالى عليه وإخباره عن بشرى نصره الإمام الحسين عليه السلام، يقول زهير: «سأحدّثكم حديثاً، إنّنا غزونا البحر ففتح الله علينا وأصنبا غنائم، فقال لنا سلمان الفارسىّ رحمه الله: أفرحتم بما فتح الله عليكم وأصبتم من الغنائم؟ فقلنا: نعم. فقال: إذا أدركتم سيّد شباب آل محمّد صلى الله عليه وآله فكونوا أشدّ فرحاً بقتالكم معهم ممّا أصبتم اليوم من الغنائم». (٢) و «قال العريان بن الهيثم: كان أبى يتبدى، (٣) فينزل قريباً من الموضع الذى كان فيه معركة الحسين، فكنا لانبذوا إلّا وجدنا رجلاً من بنى أسدٍ هناك.

فقال له أبى: أراك ملازماً هذا المكان؟؟

قال: بلغنى أنّ حسيناً يُقتل هاهنا، فأنا أخرج إلى هذا المكان لعلّى أصادفه

معالركب الحسينى (ج ٤)، ص: ٦٨

فأقتل معه!! قال ابن الهيثم: فلما قُتل الحسين قال أبى: انطلقوا بنا ننظر هل الأسدىّ فيمن قُتل مع الحسين؟ فأتينا المعركة وطوّفنا فإذا الأسدىّ مقتول!»، (١). (٢)

معالركب الحسينى (ج ٤)، ص: ٧١

الفصل الثانى: الإمام الحسين عليه السلام فى كربلاء ص : ٧١

من اليوم الثانى من المحرم سنة ٦١ هـ ق حتى فجر اليوم العاشر ص : ٧١

إشارة

نزل الركب الحسينىّ أرض كربلاء فى الثانى من المحرم سنة إحدى وستين للهجرة، وكان ذلك فى يوم الخميس، على ماهو المشهور القويّ. (١)

معالركب الحسينى (ج ٤)، ص: ٧٢

وروى أنّ فرس الإمام الحسين عليه السلام عند وصوله أرض كربلاء وقفت ممتنعة عن الحركة فلم تنبعت خطوة واحدة، «فنزّل عنها

وركب أخرى فلم تتبعث خطوة واحدة! ولم يزل يركب فرساً بعد فرس حتى ركب سبعة أفراس وهنّ على هذه الحال! فلما رأى ذلك قال: يا قوم، ما اسم هذه الأرض؟
قالوا: أرض الغاضرية.
قال: فهل لها إسم غير هذا؟
قالوا: تُسمّى نينوى.
قال: أهلّ لها إسم غير هذا؟
قالوا: شاطيء الفرات.
قال: أهلّ لها إسم غير هذا؟
قالوا: تُسمّى كربلاء!

فعند ذلك تنفس الصعداء! وقال: أرض كرب وبلاء! ثمّ قال: إنزلوا، هاهنا مناخ ركابنا، هاهنا تُسفك دماؤنا، هاهنا والله تُهتك حريمنا، هاهنا والله تُقتل رجالنا، هاهنا والله تُذبح أطفالنا، هاهنا والله تُزار قبورنا، وبهذه التربة وعدنى جدّى رسول الله صلى الله عليه وآله، ولا تخلف لقوله. ثمّ نزل عن فرسه!.. «١»
وفى رواية: «ثمّ قال الحسين: ما يُقال لهذه الأرض؟
فقالوا: كربلاء ويُقال لها أرض نينوى قرية بها.
فبكى وقال: كرب وبلاء! أخبرتنى أمّ سلمة قالت: كان جبرئيل عند رسول الله صلى الله عليه وآله مع الركب الحسينى (ج ٤)، ص: ٧٣

وأنت معى، فبكيّت، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: دعى ابنى. فتركتك، فأخذك ووضعك فى حجره، فقال جبرئيل: أتحنّبه؟ قال: نعم. قال: فإنّ أمتك ستقتله! قال: وإنّ شئت أن أريك تربة أرضه التى يُقتل فيها. قال: نعم. قالت: فبسط جبرئيل جناحه على أرض كربلاء فأراه إيّاها.. «١»
«فلما قيل للحسين هذه أرض كربلا شمّها (وفى رواية: قبض منها قبضة فشمّها) وقال: هذه والله هى الأرض التى أخبر بها جبرئيل رسول الله، وأننى أقتل فيها!.. «٢»
وفى رواية ابن أعثم الكوفى أنّ الإمام عليه السلام لَمّا نزل كربلاء «أقبل إلى أصحابه فقال لهم: أهذه كربلاء؟ قالوا: نعم.

فقال الحسين لأصحابه: إنزلوا، هذا موضع كرب وبلاء، هاهنا مناخ ركابنا، ومحطّ رحالنا، وسفك دماننا! قال فنزل القوم، وخطوا الأثقال ناحية من الفرات، وضربت خيمة الحسين لأهله وبنيه، وضرب عشيرته خيامهم من حول خيمته.. «٣»
وفى رواية السيد ابن طاووس (ره): «فلما وصلها قال: ما اسم هذه الأرض؟
فقيل: كربلاء.

فقال عليه السلام: أللهمّ إني أعوذ بك من الكرب والبلاء! ثمّ قال: هذا موضع كرب وبلاء إنزلوا، هاهنا محطّ رحالنا ومسفك دماننا، وهنا محلّ قبورنا! بهذا حدّثنى جدى رسول الله صلى الله عليه وآله! فنزلوا جميعاً.. «٤»
مع الركب الحسينى (ج ٤)، ص: ٧٤
وأقبل الحرّ بن يزيد حتّى نزل حذاء الحسين عليه السلام فى ألف فارس ثمّ كتب إلى عبيدالله بن زياد يخبره أنّ الحسين عليه السلام نزل بأرض كربلاء. «١»

إشارة رقم ١: ص : ٧٤

قال المرحوم السيد المقرّم (ره): «لاتذهب على القارىء النكتة في سؤال الحسين عليه السلام عن اسم الأرض - وكلّ قضايا سيّد الشهداء غامضة الأسرار! - والإمام عندنا معاشر الإمامية عالم بما يجرى في الكون من حوادث وملاحم، عارف بما أودع الله تعالى في الكائنات من المزايا، إقداراً له من مبدع السموات والأرضين تعالى شأنه ... وكان السرّ في سؤاله عليه السلام عن اسم الأرض التي مُنعوا من اجتيازها، أو أنّ الله تعالى أوقف الجواد كما أوقف ناقه النبيّ صلى الله عليه وآله عند الحديبية، أن يعرف أصحابه بتلك الأرض التي هي محلّ التضحية الموعودين بها بإخبار النبيّ أو الوصيّ صلّى عليهما لتطمئنّ القلوب، وتمتاز الرجال، وتثبت العزائم، وتصدق المفداة، فتزداد بصيرتهم في الأمر والتأهب للغاية المتوخاه لهم، حتّى لا يبقى لأحد المجال للتشكيك في موضع كربلا التي هي محلّ تربته! ولاجزاف في هذا النحو من الأسئلة بعد أن صدر مثله من النبيّ صلى الله عليه وآله، فقد سأل عن اسم الرجلين اللذين قاما لحلب الناقه، وعن اسم الجبلين اللذين في طريقه إلى «بدر»، ألم يكن النبيّ صلى الله عليه وآله عالماً بذلك؟ بلى، كان عالماً، ولكنّ المصالح الخفية علينا دعت إلى السؤال ... وهذا باب من الأسئلة يُعرف عند علماء البلاغة «بتجاهل العارف»، وإذا كان فاطر الأشياء الذي لا يغادر علمه صغيراً ولا كبيراً يقول لموسى عليه السلام: «وما تلك يمينك يا موسى»، ويقول لعيسى عليه السلام: «أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين ..» لضرب من المصلحة، وقال سبحانه للخليل عليه السلام: «أولم تؤمن» مع أنه عالم بإيمانه، مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٧٥

فالإمام المنصوب من قبله أميناً على شرعه لاتخفى عليه المصالح.

كما أنّ سيّد الشهداء عليه السلام لم يكن في تعوّذه من الكرب والبلاء عندما سمع باسم كربلاء متطيراً، فإنّ المتطير لا يعلم ما يرد عليه وإنّما يستكشف ذلك من الأشياء المعروفة عند العرب أنها سبب للسرّ، والحسين عليه السلام على يقين مما ينزل به في أرض الطفّ من قضاء الله، فهو عالم بالكرب الذي يحلّ به وبأهل بيته وصحبه كما أنبأ عنه غير مرّة. «١»

إشارة رقم ٢: ص : ٧٥

قال ابن أعثم الكوفي في كتابه الفتوح: «ونزل الحسين في موضعه ذلك ونزل الحرّ بن يزيد حذاءه في ألف فارس، ودعا الحسين بدواة وبياض، وكتب إلى أشرف الكوفة ممّن كان يظنّ أنه على رأيه:

بسم الله الرحمن الرحيم، من الحسين بن عليّ إلى سليمان بن صرد، والمسيب بن نجبة، ورفاعة بن شداد، وعبدالله بن وال، وجماعة المؤمنين. أمّا بعد: فقد علمتم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قد قال في حياته: من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، ثمّ لم يُغيّر عليه بقول ولا فعل كان حقاً على الله أن يُدخله مدخله، وقد علمتم أنّ هؤلاء القوم قد لزمو طاعة الشيطان، وتولّوا عن طاعة الرحمن، وأظهروا في

مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٧٦

الأرض الفساد، وعطلوا الحدود والأحكام، واستأثروا بالفىء، وأحلّوا حرام الله، وحزّموا حلاله، وإنّي أحقّ من غيري بهذا الأمر لقرايتي من رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد أتتني كتبكم، وقدمت عليّ رسلكم بيعتكم أنكم لاتسلموني ولا تخذلوني، فإن وفيتم لى بيعتكم فقد أصبتم حصّكم ورشدكم، ونفسى مع أنفسكم، وأهلى وولدى مع أهاليكم وأولادكم، فلکم فى أسوءه، وإن لم تفعلوا ونقضتم عهدكم ومواثيقكم، وخلعتم بيعتكم، فلعمري ما هي منكم بنكر، لقد فعلتموها بأبى وأخى وابن عمى، هل المغرور إلّا من اغترّ بكم، فإنما حصّكم أخطأتم، ونصيبكم ضيعتم، ومن نكث فإنما ينكث على نفسه وسيغنى الله عنكم.

والسلام.

قال: ثم طوى الكتاب وختمه ودفعه إلى قيس بن مسهر الصيداوى، وأمره أن يسير إلى الكوفة.

قال: فمضى قيس إلى الكوفة، وعبيدالله بن زياد قد وضع المراصد والمسالح على الطرق، فليس أحد يقدر أن يجوز إلّا فُتّش، فلما تقارب من الكوفة قيس بن مسهر لقيه عدو الله، يقال له الحصين بن نمير السكونى، فلما نظر إليه قيس كأنه اتقى على نفسه، فأخرج الكتاب سريعاً فمزقه عن آخره!

قال: وأمر الحصين أصحابه فأخذوا قيساً وأخذوا الكتاب ممزقاً حتى أتوا به إلى عبيدالله بن زياد.

فقال له عبيدالله بن زياد: من أنت؟!

قال: أنا رجل من شيعة أمير المؤمنين الحسين بن على رضى الله عنهما!

قال: فلم خرت الكتاب الذى كان معك؟!

قال: خوفاً حتى لاتعلم ما فيه!

قال: وممن كان هذا الكتاب وإلى من كان؟!

معالركب الحسينى (ج ٤)، ص: ٧٧

فقال: كان من الحسين إلى جماعة من أهل الكوفة لا أعرف أسماءهم!

قال فغضب ابن زياد غضباً عظيماً، ثم قال: والله لاتفارقنى أبداً أو تدلنى على هؤلاء القوم الذين كتب إليهم هذا الكتاب! أو تصعد المنبر فتسبّ الحسين وأباه وأخاه فتنجو من يدي أو لأقطعنك!

فقال قيس: أما هؤلاء القوم فلا أعرفهم، وأما لعنة الحسين وأبيه وأخيه فإني أفعل!

قال فأمر به فأدخل المسجد الأعظم، ثم صعد المنبر، وجمع له الناس ليجمعوا ويسمعوا اللعنة! فلما علم قيس أن الناس قد اجتمعوا وثب قائماً، فحمد الله وأثنى عليه، ثم صلى على محمد وآله، وأكثر الترحم على على وولده، ثم لعن عبيدالله بن زياد ولعن أباه ولعن عتاه بنى أمية عن آخرهم، ثم دعا الناس إلى نصره الحسين بن على.

فأخبر بذلك عبيدالله بن زياد، فأصعد على أعلى القصر، ثم رمى به على رأسه فمات رحمه الله، وبلغ ذلك الحسين فاستعبر باكياً ثم قال: اللهم اجعل لنا ولشيعتنا منزلاً كريماً عندك واجمع بيننا وإياهم فى مستقر رحمتك إنك على كل شىء قدير.

قال فوثب إلى الحسين رجل من شيعة يقال له هلال «١» فقال: يا ابن بنت رسول الله! تعلم أن جدك رسول الله لم يقدر أن يشرب الخلائق محبته، ولا أن يرجعوا من أمرهم إلى ما يحب، وقد كان منهم منافقون يعدونه النصر ويضمرون له الغدر! يلقونه بأحلى من العسل ويلحقونه بأمر من الحنظل! حتى توفاه الله عز وجل، وأن أباك علياً قد كان فى مثل ذلك، فقوم أجمعوا على نصره وقاتلوا معه

معالركب الحسينى (ج ٤)، ص: ٧٨

المنافقين والفاسقين والمارقين والقاسطين حتى أتاه أجله، وأنتم اليوم عندنا فى مثل ذلك الحال، فمن نكث فإنما ينكث على نفسه، والله يُغنى عنه، فسرت بنا راشداً مشرفاً إن شئت أو مغرباً، فوالله ما أشفقتنا من قدر الله، ولا كرهنا لقاء ربنا، وإننا على ثباتنا ونصرتنا، نوالى من والاك ونعادي من عاداك.

قال فخرج الحسين وولده وإخوته وأهل بيته رحمه الله عليهم بين يديه، فنظر إليهم ساعة وبكى وقال: اللهم إننا عتره نبيك محمد صلى الله عليه وآله، وقد أخرجنا وطرنا عن حرم جدنا، وتعدت بنو أمية علينا، فخذ بحقنا وانصرنا على القوم الكافرين. قال ثم صاح الحسين فى عشيرته ورحل من موضعه ذلك حتى نزل كربلاء فى يوم الأربعاء أو يوم الخميس، وذلك فى الثانى من المحرم سنة

إحدى وستين... «١»

ونقول:

(١) إن المشهور تاريخياً هو أن الإمام عليه السلام خطب أصحابه وأصحاب الحرّ في منزل البيضة خطبته الشهيرة التي جاء فيها: «أيها الناس، إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله...»، (٢) ولعلّ ابن أعثم قد تفرد برواية نصّ تلکم الخطبة على أنها متن رسالة بعث بها الإمام عليه السلام إلى مجموعة من وجهاء الشيعة وجماعة المؤمنين في الكوفة. (٣)
 (٢) وقد تُوهم رواية ابن أعثم هذه- كما اختلط الأمر بالفعل على بعض المؤرخين المتأخرين- أن الإمام عليه السلام كتب هذه الرسالة (نصّ خطبة البيضة) بعد

مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٧٩

نزوله كربلاء! لكنّ التأمل في جميع متن رواية ابن أعثم- بالرغم من اضطراب سياق الرواية اضطراباً يتناً- يكشف عن أن الإمام عليه السلام كان قد كتبها في موضع من المواضع القريبة من كربلاء قبل نزوله كربلاء، بل قبل اشتداد محاصرة جيش الحرّ للركب الحسيني، بدليل قول نافع بن هلال مخاطباً الإمام عليه السلام: «فيسر بنا راشداً مشرقاً إن شئت أو مغرباً»، إذ لو كان هذا القول في كربلاء أو بعد اشتداد المحاصرة لكان قولاً بلا معنى، لأنّ الإمام عليه السلام- بعد ذلك- كان قد جُمع به وحوصر، وما كان يملك الإختيار في الحركة لاشرقاً ولاغرباً.

هذا أولها، أما ثانياً، فلأنّ آخر متن رواية ابن أعثم يصرح هكذا، «ثم صاح الحسين في عشيرته، ورحل من موضعه ذلك حتى نزل كربلاء..»، وفي هذا دلالة لاريب فيها على أن الواقعة التي رواها ابن أعثم حصلت قبل كربلاء وليس فيها.
 (٣) المشهور تاريخياً أن الإمام عليه السلام كان قد أرسل قيس بن مسهر الصيداوى (رض) برسالته الثانية إلى أهل الكوفة من منطقة الحاجر من بطن الرميّة، (١) فجرى عليه ما جرى حتى استشهاده (رض)، وكان خبر مقتله قد وصل إلى الإمام عليه السلام في منطقة عذيب الهجانات، (٢) لاكما تصف رواية ابن أعثم الكوفى.

المخيم الحسيني ص : ٧٩

ونصبت خيام الركب الحسيني بأمر الإمام عليه السلام في البقعة الطاهرة التي لاتزال

مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٨٠

آثارها باقية إلى اليوم، وأقام الإمام عليه السلام في بقعة بعيدة عن الماء تحيط بها سلسلة ممدودة من تلال وربوات تبدأ من الشمال الشرقى متصلّة بموضع باب السدرة في الشمال، وهكذا إلى موضع الباب الزينبي إلى جهة الغرب، ثم تنزل إلى موضع الباب القبلي من جهة الجنوب، وكانت هذه التلال المتقاربة تشكّل للناظرين نصف دائرة، وفي هذه الدائرة الهلالية حوصر ريحانه رسول الله صلى الله عليه وآله. (١)

وضربت خيمة الحسين لأهله وبنيه، وضرب عشيرته خيامهم من حول خيمته، (٢) ثم خيام بقية الأنصار ..

وقد نفى السيد محمّد حسن الكلدار أن يكون الموضع المعروف بمخيم الحسين عليه السلام هو الموضع الذي حطّ فيه الإمام عليه السلام أثقاله، وذهب إلى أن المخيم إنّما يقع بمكان ناءً بالقرب من (المستشفى الحسيني)، مستنداً في ذلك إلى أنّ التخطيط العسكري المتبع في تلك العصور يقضى بالفصل بين القوي المتحاربة بما يقرب من ميلين، وذلك لما تحتاجه العمليات الحربية من جولان الخيل وغيرها من مسافة، كما أنّ نصب الخيام لابدّ أن يكون بعيداً عن رمى السهام، والنبال المتبادلة بين المحاربين، وأستند أيضاً إلى بعض الشواهد التاريخية التي تؤيد ماذهب إليه. (٣)

وردّ الشيخ باقر شريف القرشي على ذلك قائلاً: «وأكبر الظنّ أن المخيم إنّما هو في موضعه الحالي، أو يبعد عنه بقليل، وذلك لأنّ الجيش الأموي المكثف الذي زحف لحرب الإمام لم يكن قبالة إلّا معسكر صغير عبر عنه الحسين

مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٨١

بالأسرة، فلم تكن القوى العسكرية متكافئة في العدد حتى يفصل بينهما بميلين أو أكثر.

لقد أحاط الجيش الأمويّ بمعسكر الإمام حتىّ أنه لمّا أطلق ابن سعد السهم الذي أنذر به بداية القتال وأطلق الرماة من جيشه سهامهم لم يبق أحدٌ من معسكر الإمام إلّا أصابه سهم، حتىّ اخترقت السهام بعض أزر النساء، ولو كانت المسافة بعيدة لما أصيبت نساء أهل البيت بسهامهم. وممّا يدعّم ما ذكرناه أنّ الإمام الحسين عليه السلام لمّا خطب في الجيش الأمويّ سمعت نساؤه خطابه، فارتفعت أصواتهم بالبكاء، ولو كانت المسافة بعيدة لما انتهى خطابه إليهنّ، وهناك كثير من البوادر التي تدلّ على أنّ المخيم في وضعه الحالي.». (١)

اليوم الثالث من المحرم سنة ٦١ هـ ص : ٨١

إشارة

قال الشيخ المفيد (ره): «فلما كان من الغد قدم عليهم عمر بن سعد بن أبي وقاص «٢» من الكوفة في أربعة آلاف فارس فنزل بنيوى». (٣)

أما الطبرى فقال: «فأقبل في أربعة آلاف حتىّ نزل بالحسين من الغد من يوم نزل الحسين نينوى»، «٤» وهناك انضمّ إليه الحرّ بن يزيد الرياحي في ألف فارس، فصار في خمسة آلاف فارس.

معالركب الحسينى (ج ٤)، ص : ٨٢

حبّ الدنيا رأس كلّ خطيئة! ص : ٨٢

وقال الطبرى: «وكان سبب خروج ابن سعد إلى الحسين عليه السلام أنّ عبيدالله بن زياد بعثه على أربعة آلاف من أهل الكوفة يسير بهم إلى دستبي، «١» وكانت الديلم قد خرجوا إليها وغلبوا عليها، فكتب إليه ابن زياد عهده على الرىّ وأمره بالخروج فخرج معسكرًا بالناس بحمّام أعين، فلما كان من أمر الحسين ما كان وأقبل إلى الكوفة، دعا ابن زياد عمر بن سعد فقال: سرّ إلى الحسين، فإذا فرغنا ممّا بيننا وبينه سرّرت إلى عملك.

فقال له عمر بن سعد: إنّ رأيتّ رحمك الله أن تعفينى فافعل!

فقال عبيدالله: نعم، على أن تردّ لنا عهدنا!

قال فلما قال له ذلك، قال عمر بن سعد: أمهلنى اليوم حتىّ أنظر. «٢»

قال فانصرف عمر يستشير نصحاءه! فلم يكن يستشير أحداً إلّا نهاه! قال

معالركب الحسينى (ج ٤)، ص : ٨٣

وجاء حمزة بن المغيرة بن شعبة، «١» وهو ابن أخته، فقال: أنشدك الله يا خال أن تسير إلى الحسين فتأثم بربك وتقطع رحمك، فوالله لأن تخرج من دنياك ومالك وسلطان الأرض كلّها- لو كان لك- خير لك من أن تلقى الله بدم الحسين!

فقال له عمر بن سعد: فإنى أفعل إن شاء الله!

قال هشام: حدّثنى عوانة بن الحكم، عن عمّار بن عبدالله بن يسار الجهنى، عن أبيه، قال: دخلت على عمر بن سعد وقد أمر بالمسير

إلى الحسين!

فقال لي: إنَّ الأمير أمرني بالمسير إلى الحسين، فأبيتُ ذلك عليه!

فقلت له: أصاب الله بك! أرشدك الله! أحلُّ فلا تفعل ولا تسيِّرْ إليه! قال فخرجت من عنده، فأتاني آتٍ وقال: هذا عمر بن سعد يندب الناس إلى الحسين!

قال فأتيته فإذا هو جالس، فلما رآني أعرض بوجهه! فعرفت أنه قد عزم على المسير إليه، فخرجت من عنده!

قال فأقبل عمر بن سعد إلى ابن زياد، فقال: أصلحك الله، إنَّك وليتني هذا العمل وكتبت لي العهد، وسمع به النَّاس، فإنَّ رأيت أن تُنفذ لي ذلك فافعل، وابعث إلى الحسين في هذا الجيش من أشرف الكوفة من لستُ بأغني ولا أجزأ عنك في الحرب منه. فسَمي له أناساً.

فقال له ابن زياد: لا تعلِّمني بأشرف أهل الكوفة، ولستُ أستأمرك فيمن أريد أن أبعث! إنَّ سيِّوتَ بجنودنا وإلَّا فابعث إلينا بعهدنا. فلما رآه قد لَجَّ، قال: إنِّي سائر!...» (٢)

مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٨٤

هكذا أعمى طغيان حبِّ الدنيا بصيرة عمر بن سعد لعنه الله، وشلَّه روحياً حتَّى أفقده القدرة والعزم على اتخاذ القرار الصائب الذي ينجيه من شديد عقاب الله تعالى، برغم كلِّ النواهي والتحذيرات التي سبق أن بلغت مسامعه الصَّماء، فقد «روى عن محمَّد بن سيرين، عن بعض أصحابه قال: قال عليُّ لعمر بن سعد: كيف أنت إذا قُمتَ مقاماً تُخَيَّر فيه بين الجنَّة والنار فتختار النار!؟». (١)

«وروى سالم بن أبي حفصة قال: قال عمر بن سعد للحسين: يا أبا عبدالله، إنَّ قبلنا ناساً سفهاء يزعمون أنَّي أقتلك!»

فقال له الحسين عليه السلام: إنَّهم ليسوا بسفهاء ولكنَّهم حلماء، أما إنَّه تقرَّ عيني أن لا تأكل من برِّ العراق بعدى إلَّا قليلاً!». (٢)

«وروى عبدالله بن شريك العامري قال: كنت أسمع أصحاب عليِّ عليه السلام إذا دخل عمر بن سعد من باب المسجد يقولون: هذا قاتل الحسين بن عليِّ عليهما السلام وذلك قبل أن يُقتل بزمان!». (٣)

ولم يكن عمر بن سعد لعنه الله عبدالدينيا فحسب! بل كان ذا ميل وهوى أموى، فقد كان ممَّن يتقرَّب إلى سلطانهم، وكان من جملة الذين كتبوا إلى يزيد بن معاوية في ضعف والى الكوفة النعمان بن بشير أو تضعفه في مواجهة مسلم بن عقيل عليه السلام! (٤) وكان قد نفَّذ تعاليم ابن زياد تماماً في قتل الإمام الحسين عليه السلام وفي أن يوطيء

مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٨٥

الخيال صدره وظهره! (١)

وقد أكلت قلبه الحسرة - بعد أن غلبت عليه شقوته ونفَّذ أشبع جريمة في تأريخ البشريَّة - وندم على ما فرَّط في أمر دنياه وآخرته، ولات ساعة مندم!

يروى لنا التاريخ أنَّ عمر بن سعد لعنه الله لما لم ينل - بعد عاشوراء - من ابن زياد لعنه الله ما كان يأمله من ولاية الرى والزلفى من السلطان، خرج من مجلس ابن زياد «يريد منزله إلى أهله وهو يقول في طريقه: ما رجعتُ مثل ما رجعت! أطعتُ الفاسق ابن زياد، الظالم ابن الفاجر! وعصيت الحاكم العدل! وقطعت القرابة الشريفة!»

وهجره النَّاس، وكلَّما مرَّ على ملاء من النَّاس أعرضوا عنه، وكلَّما دخل المسجد خرج النَّاس منه، وكلَّ من رآه قد سبَّه! فلزم بيته إلى أن قُتل...» (٢)

رُسل عمر بن سعد إلى الإمام عليه السلام

قال الطبري: «بعث عمر بن سعد إلى الحسين عليه السلام عزرة بن قيس الأحمسى، (٣) فقال: إنَّه فسَّله ما الذى جاء به، وماذا يريد؟ وكان عزرة ممَّن كتب إلى الحسين، فاستحيا منه أن يأتيه!

قال فعرض ذلك على الرؤساء الذين كاتبوه، فكلمهم أبى وكرهه!

قال وقام إليه كثير بن عبد الله الشعبي، وكان فارساً شجاعاً ليس يردّ وجهه شيء، فقال: أنا أذهب إليه، والله لئن شئت لأفتكنّ به!
مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٨٦

فقال له عمر بن سعد: ما أريد أن يفتكك به! ولكن ائته فسله ما الذي جاء به؟

قال فأقبل إليه، فلما رآه أبو ثمامة الصائدي «١» قال للحسين: أصلحك الله أبا عبد الله، قد جاءك شرّ أهل الأرض، وأجرأه على دم، وأفتكه! فقام إليه فقال: ضَع سيفك!

قال: لا والله ولا كرامه، إنما أنا رسول، فإن سمعتم مني أبلغتكم ما أرسلت به إليكم، وإن أبيتم انصرفت عنكم.

فقال له: فأني آخذُ بقائم سيفك، ثم تكلم بحاجتك.

قال: لا والله لا تمسه!

فقال له: أخبرني ما جئت به وأنا أبلغه عنك، ولا أدعك تدنو منه فإنك فاجر!

فاستبأ، ثم انصرف إلى عمر بن سعد فأخبره الخبر، فدعا عمر قُزّة بن قيس الحنظلي، فقال له: ويحك يا قُزّة! إلقِ حسيماً فسله ما جاء به وماذا يريد؟

قال فأتاه قُزّة بن قيس، فلما رآه الحسين مقبلاً قال: أتعرفون هذا؟

فقال حبيب بن مظاهر: نعم، هذا رجل من حنظلة تميمي، وهو ابن أختنا ولقد كنتُ أعرفه بحسن الرأي، وما كنت أراه يشهد هذا المشهد!

قال فجاء حتى سلّم على الحسين، وأبلغه رسالة عمر بن سعد إليه له.

فقال الحسين عليه السلام: كتب إليّ أهل مصركم هذا أن أقدم، فأما إذ كرهوني فأنا أنصرف عنهم.

قال ثمّ قال له حبيب بن مظاهر: ويحك يا قُزّة بن قيس! أني ترجع إلى القوم

مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٨٧

الظالمين؟! أنصر هذا الرجل الذي بآبائه أيديك الله بالكرامة وإيانا معك!

فقال له قُزّة: أرجع إلى صاحبي بجواب رسالته، وأرى رأيي! «١»

قال فانصرف إلى عمر بن سعد فأخبره الخبر، فقال له عمر بن سعد: إنني لأرجو أن يعافيني الله من حربه وقتاله!!.. «٢»

تبادل الرسائل بين عمر بن سعد وابن زياد ص : ٨٧

ثمّ كتب عمر بن سعد إلى عبيد الله بن زياد لعنهما الله كتاباً، كان نصه - على رواية الطبري -: «بسم الله الرحمن الرحيم، أمّا بعد: فأني حيث نزلت بالحسين بعثت إليه رسولي، فسألته عمّا أقدمه، وماذا يطلب ويسأل؟ فقال: كتب إليّ أهل هذه البلاد، وأتنتي رسلهم، فسألوني القدوم ففعلت، فأما إذ كرهوني فبدا لهم غير

مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٨٨

ما أتنتي به رسلهم فأني منصرف عنهم.. «١»

ويواصل الطبري: روايته قائلاً: «فلما قرىء الكتاب على ابن زياد قال:

الآن إذ علقّت مخالبتنا به يرجو النجاة ولات حين مناص

قال وكتب إلى عمر بن سعد: «بسم الله الرحمن الرحيم، أمّا بعد: فقد بلغني كتابك، وفهمت ما ذكرت، فأعرض على الحسين أن يبايع

ليزيد بن معاوية، هو وجميع أصحابه، فإذا فعل ذلك رأينا رأينا، والسلام.. «٢»

وفي رواية الدينوري: «فلما وصل كتابه إلى ابن زياد كتب إليه في جوابه: «قد فهمت كتابك، فأعرض على الحسين البيعة ليزيد، فإذا

بايع فى جميع من معه، فأعلمنى ذلك ليأتىك رأيى!»، فلما انتهى كتابه إلى عمر بن سعد قال: ما أحسبُ ابن زياد يريدُ العافية! فأرسل عمر بن سعد بكتاب ابن زياد إلى الحسين! فقال الحسين للرسول: لا أُجيب ابن زياد إلى ذلك أبداً، فهل هو إلّا الموت؟ فمرحّباً به! فكتب عمر بن سعد إلى زياد بذلك، فغضب، فخرج بجميع أصحابه إلى النخيلة «٣».. «٤» معالركب الحسينى (ج ٤)، ص: ٨٩

الإمام عليه السلام يشتري ستّة عشر ميلاً مربعاً من أرض كربلاء ص : ٨٩

روى محمد بن أحمد بن داود القمى فى كتاب الزيارات، وحكاه عنه السيد رضى الدين على بن طاووس (ره) فى كتابه مصباح الزائر، ونقله عنه أيضاً الشيخ بهاء الدين محمد العاملى (ره) فى كتاب الكشكول «١» بما نصه: «روى أن الحسين عليه السلام اشترى النواحي التى فيها قبره من أهل نينوى والغازية بستين ألف درهم، وتصدق عليهم وشرط أن يُرشدوا إلى قبره، ويُصَيِّفوا من زاره ثلاثة أيام»، «٢» ثم يبين فى ذيل الخبر مقدار مساحة تلك الأراضى، وأنها هى حرم الحسين عليه السلام بقوله: «قال الصادق عليه السلام: حرم الحسين عليه السلام الذى اشتراه أربعة أميال فى أربعة أميال، فهو حلال لولده ومواليه، حرام على غيرهم ممن خالفهم، وفيه البركة». «٣»

«وذكر السيد الجليل رضى الدين على بن طاووس رحمه الله، أنها إنما صارت حلالاً بعد الصدقة لأنهم لم يفوا بالشرط. قال: وقد روى محمد بن داود عدم وفائهم بالشرط فى باب نواذر الزمان». «٤»

ابن زياد يُعْبَى الكوفة لقتال الحسين عليه السلام ص : ٨٩

كان الحر بن يزيد الرياحى قد كتب إلى ابن زياد- بعد نزول الإمام عليه السلام فى كربلاء- يخبره بذلك، ويروى بعض المؤرخين أن ابن زياد عندئذ كتب إلى الإمام الحسين عليه السلام: «أما بعدُ يا حسين، فقد بلغنى نزولك بكربلاء، وقد كتب إلى معالركب الحسينى (ج ٤)، ص: ٩٠

أمير المؤمنين يزيد بن معاوية أن لا أتوسد الوثير ولا أشبع من الخمير، أو ألحقك باللطيف الخبير! أو ترجع إلى حكى وحكم يزيد بن معاوية.

فلما ورد الكتاب قرأه الحسين ثم رمى به، ثم قال: لا أفلح قوم آثروا مرضاهم أنفسهم على مرضاهم الخالق! فقال له الرسول: أبا عبد الله! جواب الكتاب؟

قال: ماله عندى جواب، لأنه قد حقت عليه كلمة العذاب!

فقال الرسول لابن زياد ذلك، فغضب من ذلك أشد الغضب... «١»

ثم إن ابن زياد- كما مر بنا- أمر عمر بن سعد بتولى قيادة الجيوش لقتال الإمام عليه السلام، فخرج بعد- تردد!؟- فى أربعة آلاف حتى نزل كربلاء فى الثالث من المحرم، وانضم إليه الحرّ مع ألف فارس هناك، فصار فى خمسة آلاف فارس.

وقال ابن أعمش الكوفى: «ثم جمع عبد الله بن زياد الناس إلى مسجد الكوفة، ثم خرج فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس! إنكم قد بلوتم آل سفيان فوجدتموهم على ما تحبون! وهذا يزيد قد عرفتموه أنه حسن السيرة! محمود الطريقة! محسن إلى الرعية! متعاهد الثغور! يعطى العطاء فى حقه، حتى أنه كان أبوه كذلك!، وقد زاد أمير المؤمنين فى إكرامكم، وكتب إلى يزيد بن معاوية بأربعة آلاف دينار ومائتى ألف درهم «٢» أفرقها عليكم وأخرجكم إلى حرب عدوّه الحسين بن على! فاسمعوا وأطيعوا.

والسلام.

مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٩١

قال: ثم نزل عن المنبر، ووضع لأهل الشام «١» العطاء فأعطاهم ونادى فيهم بالخروج إلى عمر بن سعد ليكونوا أعواناً له على قتال الحسين.

قال فأول من خرج إلى عمر بن سعد الشمير بن ذى الجوشن «٢» السلولى لعنه الله في أربعة آلاف فارس، فصار عمر بن سعد في تسعة آلاف، ثم اتبعه زيد (يزيد) بن ركاب الكلبي في ألفين، والحصين بن نمير السكوني «٣» في أربعة آلاف، والمصاب الماري «٤» في ثلاثة آلاف، ونصر بن حرب في ألفين، فتم له عشرون ألفاً،

مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٩٢

ثم بعث ابن زياد إلى شيبث بن ربيعي الرياحي .. «١» فاعتلّ بمرض، فقال له ابن زياد:

أتتمرض؟ إن كنت في طاعتنا فاخرج إلى قتال عدونا، فخرج إلى عمر بن سعد في ألف فارس بعد أن أكرمه ابن زياد وأعطاه وحباه، وأتبعه بحجار بن أبجر «٢» في ألف فارس، فصار عمر بن سعد في اثنين وعشرين ألفاً ما بين فارس وراجل.. «٣»

ويصف البلاذري التبعئة العامة التي قام بها ابن زياد لإخراج أهل الكوفة إلى قتال الإمام الحسين عليه السلام قائلاً: «ولما سرح ابن زياد عمر بن سعد من (حمام أعين)، «٤» أمر الناس فعسكروا بالنخيلة، وأمر ألا يتخلف أحد منهم، وصعد المنبر فقرّظ معاوية وذكر إحسانه وإداره الأعتيات، وعنايته بأمر الثغور، وذكر اجتماع الالفه به وعلى يده! وقال: إن يزيد ابنه الممتقيل «٥» له، السالك لمناهجه المحتذى لمثاله، وقد زادكم مائة مائة في أعتياتكم، فلا يبقين رجل من العرفاء والمناكب

مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٩٣

والتجار والسكان إلا خرج فعسكر معي! فأيما رجل وجدناه بعد يومنا هذا متخلفاً عن العسكر برئت منه الذمة!

ثم خرج ابن زياد فعسكر، وبعث إلى الحصين بن تميم وكان بالقادسية في أربعة آلاف، فقدم النخيلة في جميع من معه، ثم دعا ابن زياد كثير بن شهاب الحارثي، ومحمد بن الأشعث بن قيس، والققعاق بن سويد بن عبد الرحمن المنقري، وأسماء بن خارجة الفزاري، وقال: طوفوا في الناس فمروهم بالطاعة والاستقامة، وخوفوهم عواقب الأمور والفتنة والمعصية! وحثوهم على العسكرة! فخرجوا فعذروا وداروا بالكوفة، ثم لحقوا به، غير كثير بن شهاب فإنه كان مبالغاً يدور بالكوفة يأمر الناس بالجماعة ويحذرهم الفتنة والفرقة، ويخذل عن الحسين!

وسرح ابن زياد أيضاً حصين بن تميم في الأربعة آلاف الذين كانوا معه إلى الحسين بعد شخوص عمر بن سعد بيوم أو يومين، ووجه أيضاً إلى الحسين حجار بن أبجر العجلي في ألف، وتمارض شيبث بن ربيعي، فبعث إليه فدعاه وعزم عليه أن يشخص إلى الحسين في ألف ففعل. «١»

وكان الرجل يُبعث في ألف فلا يصل إلا في ثلاثمائة أو أربعمائة وأقل من

مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٩٤

ذلك كراهة منهم لهذا الوجه! «١»

ووجه أيضاً يزيد بن الحارث بن يزيد بن رويم «٢» في ألف أو أقل، ثم إن ابن زياد استخلف على الكوفة عمرو بن حريث، «٣» وأمر الققعاق بن سويد بن

مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٩٥

عبد الرحمن بن بجير المنقري بالتطواف بالكوفة في خيل، فوجد رجلاً من همدان قد قدم يطلب ميراثاً له بالكوفة، «١» فأتى به ابن زياد فقتله! فلم يبق بالكوفة محتلم إلا خرج إلى العسكر بالنخيلة.

ثم جعل ابن زياد يُرسل العشرين والثلاثين والخمسين إلى المائة، غدوةً وضحوهً ونصف النهار وعشيته، من النخيلة يمدُّ بهم عمر بن سعد- وكان يكره أن يكون هلاكك الحسين على يده! فلم يكن شىء أحبَّ إليه من أن يقع الصلح!- ووضع ابن زياد المناظر على الكوفة لئلا يجوز أحدٌ من العسكر مخافةً لأن يلحق الحسين مغيثاً له! ورتب المسالِح حولها، وجعل على حرس الكوفة والعسكر زحر بن قيس الجعفى، «٢» ورتب بينه وبين عسكر عمر بن سعد خيلاً مضمرهً مقدحهً! فكان خبر ما قبله يأتيه فى كلِّ وقت..»
معالركب الحسينى (ج ٤)، ص: ٩٦

إكتمال تعبئة الكوفة لقتال الإمام عليه السلام فى السادس من المحرم ص : ٩٦

وفى رواية السيد محمد بن أبى طالب: «فما زال يُرسل إليه بالعساكر حتى تكامل عنده ثلاثون ألفاً ما بين فارس وراجل..» (١)
وروى الشيخ الصدوق (ره) بسندٍ عن المفضل بن عمر، عن الإمام الصادق عليه السلام عن أبيه عليه السلام، عن جدّه عليه السلام: «أنَّ الحسين بن عليّ بن أبى طالب عليه السلام دخل يوماً إلى الحسن عليه السلام، فلما نظر إليه بكى.
فقال له: ما يبكيك يا أبا عبد الله؟!
قال: أبكى لما يُصنع بك!»

فقال له الحسن عليه السلام: إنَّ الذى يؤتى إلى ستمَّ يُدسُّ إلىّ فأقتل به، ولكن لا يوم كيومك يا أبا عبد الله! يزدلف إليك ثلاثون ألف رجل يدعون أنّهم من أمية جَدنا محمد صلى الله عليه وآله، وينتحلون دين الإسلام فيجتمعون على قتلك وسفك دمك، وانتهاك حرمتك، وسبى ذراريك ونسائك، وانتهاك ثقلك، فعندها تحلّ ببنى أمية اللعنة، وتمطر السماء رماداً ودماً، ويبكى عليك كلُّ شىء حتى الوحوش فى الفلوات، والحيتان فى البحار!..» (٢)

كما روى الشيخ الصدوق (ره) بسند عن ثابت بن أبى صفيته قال: «نظر سيد العابدين عليّ بن الحسين عليه السلام إلى عبيد الله بن عباس بن عليّ بن أبى طالب فاستعبر ثم قال: ما من يوم أشدَّ على رسول الله صلى الله عليه وآله من يوم أحد، قُتل فيه عمّه حمزة بن عبدالمطلب أسد الله وأسد رسوله، وبعده يوم مؤته، قُتل فيه ابن عمّه جعفر بن أبى طالب.

معالركب الحسينى (ج ٤)، ص: ٩٧

ثم قال عليه السلام: ولا يوم كيوم الحسين عليه السلام ازدلف عليه ثلاثون ألف رجل يزعمون أنّهم من هذه الأمة، كلُّ يتقرّب إلى الله عزّ وجلّ بدمه! وهو بالله يذكّره فلا يتعظون حتى قتلوه بغياً وظلماً وعدواناً...» (١)

فالصحيح إذن فى عدد جيش عمر بن سعد لعنه الله هو الثلاثون ألفاً- كما يقره الإمام الحسن المجتبى عليه السلام والإمام السجاد عليه السلام- وينبغى الإنتباه إلى أنهما عليهما السلام ربما عنيا- فقط- الذين يزدلفون يوم عاشوراء لقتال الإمام الحسين عليه السلام، وهذا يعنى ضمناً أنّ فى جيش ابن سعد من هو كاره لا يزدلف لقتال الإمام عليه السلام، وهذا يعنى أن سواد الجيش الأموى الذى واجه الإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء يبلغ أكثر من ثلاثين ألف رجل.

وتقول رواية ابن أعثم الكوفى: «ثم كتب ابن زياد إلى عمر بن سعد: إننى لم أجعل لك علةً فى قتال الحسين من كثرة الخيل والرجال، فانظر أن لا تبدأ أمراً حتى تشاورنى غدواً وعشيّاً مع كلِّ غادٍ ورائح- والسلام.

قال: وكان عبيد الله بن زياد فى كلِّ وقت يبعث إلى عمر بن سعد، ويستعجله فى قتال الحسين!

قال: والتأمت العساكر إلى عمر بن سعد لست مضين من المحرم..» (٢)

أحد أنصار الإمام عليه السلام يحاول اغتيال ابن زياد! ص : ٩٧

روى البلاذرى قائلاً: «وهمَّ عمّار بن أبى سلامة الدالانى أن يفتكك بعبيد الله

مع الרכب الحسينى (ج ۴)، ص: ۹۸

بن زياد فى عسكره بالنخيلة، فلم يمكنه ذلك، فلطف حتى لحق بالحسين فقتل معه!». (۱)

غير أن هذا اللطف والتخفى لم ينفذ هذا الشهيد البطل (رض) عند كلّ المفارز والمسالح التى ترصد حركة كلّ عابر باتجاه كربلاء، فاضطرّ إلى الإصطدام مع إحدى المسالح الكبيرة الموجودة على جسر الصراة التى كان على رأسها اللعين زجر بن قيس الجعفى، فقد نقل المحقق المرحوم السيد المقرّم فى مقتله يقول: «وجعل عبيدالله بن زياد زجر بن قيس الجعفى على مسلحة فى خمسمائة فارس! وأمره أن يُقيم بجسر الصراة»، (۲) يمنع من يخرج من الكوفة يريد الحسين عليه السلام، فمرّ به عامر (۳) بن أبى سلامة بن عبدالله بن عرار الدالانى، فقال له زجر: قد عرفت حيث تريد فارجع! فحمل عليه وعلى أصحابه فهزمهم ومضى! وليس أحدٌ منهم يطمع فى الدنوّ منه! فوصل كربلاء ولحق بالحسين عليه السلام حتّى قُتل معه، وكان قد شهد المشاهد مع أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام». (۴)

رسالة الإمام عليه السلام إلى أخيه محمد بن الحنفية ص : ۹۸

إشارة

روى الشيخ ابن قولويه (ره) بسند عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «كتب الحسين

مع الרכب الحسينى (ج ۴)، ص: ۹۹

بن علىّ عليهما السلام إلى محمد بن علىّ من كربلاء:

بسم الله الرحمن الرحيم.

من الحسين بن علىّ إلى محمد بن علىّ ومن قبله من بنى هاشم:

أما بعد، فكأنّ الدنيا لم تكن! وكأنّ الآخرة لم تزل! والسلام». (۱)

تأمل: ص : ۹۹

إنّ غير المعصوم فى أخذه وتلقّيه عن النّبىّ الأكرم محمّد وآله الطيبين الطاهرين صلى الله عليه وآله - كما فى أخذه عن القرآن الكريم - إنّما يأخذ على قدر وعائه وأدائه، ولا يمكنه - مع قصوره - أن يدعى أنّ ما فهمه من القرآن أو من المعصوم عليه السلام هو كلّ ما أراد المعصوم عليه السلام أو هو كلّ المراد القرآنىّ.

وهذه الرسالة التى كتبها الإمام الحسين عليه السلام من كربلاء إلى أخيه محمّد بن الحنفية (رض)، وهى آخر ما كتبه الإمام عليه السلام من الرسائل، ولعلّها أقصر رسائله عليه السلام متناً، مشيرة للعجب وداعية إلى التأمل!

ما هو المعنى الذى أراد الإمام الشهيد الفاتح عليه السلام أن يوصله خلال هذه الرسالة من أرض المصرع المختار إلى أخيه محمّد بن الحنفية (رض) وإلى بنى هاشم، وإلى الأجيال كافة؟

لكلّ مغترف أن يعترف على قدر وعائه! ونحن على قدر وعائنا نقول: ربّما أراد الإمام عليه السلام فى قوله: «فكأنّ الدنيا لم تكن، وكأنّ الآخرة لم تزل» نفس المعنى الذى أراده عليه السلام فى قوله لأنصاره ليلئ عاشوراء: «واعلموا أنّ الدنيا حلّوها ومُرّها حلّم!

مع الרכب الحسينى (ج ۴)، ص: ۱۰۰
والإنتباه فى الآخرة، والفائز من فاز فيها، والشقى من شقى فيها!..»، «۱» ذلك لأنّ الإنسان ابن الأيام الثلاثة: يوم ولدته أمّه، ويوم يخرج من هذه الدنيا، ويوم يقوم للحساب! وهذه الأيام الثلاثة الكبرى هى التى ورد السلام فيها من الله تبارك وتعالى على يحيى عليه السلام، فى قوله تعالى: «وسلام عليه يوم ولد، ويوم يموت، ويوم يُبعث حيّاً»، «۲»
وفى قوله تعالى عن لسان عيسى عليه السلام: «والسلام علىّ يوم ولدت، ويوم أموت، ويوم أُبعث حيّاً». «۳»
وإذا تأمّل كلّ إنسان فى الماضى من عمره طويلاً كان أم قصيراً، فكأنّما يتأمّل فى رؤيا منام رآها البارحة! والآتى من العمر- بعد مروره- كما الماضى، حلّم أيضاً!

فالدنيا وهى عمر الإنسان بكلّ تفصيلاته الحلوة والمرّة حلّم فى الختام! فكأنّ الدنيا لم تكن!
فالعاقل السعيد من أخذ من هذه الدنيا كما يأخذ المارّ من ممره لمقرّه، والعاقل السعيد من لم يتعلّق قلبه بهذه الدار الزائلة، ولم يقع فى شباكها، وكان من المخفّين فيها، ليكون فراقها عليه سهلاً يسيراً هيناً، فعن الإمام الصادق عليه السلام: «من كثر إشتباكه بالدنيا كان أشدّ لحسرتة عند فراقها». «۴»

وإذا كانت هذه هى حقيقة الدنيا! وكان لابدّ من فراقها، فليكن الختام أفضل الختام! ولتكن النهاية أشرف نهاية، وأفضل الموت القتل فى سبيل الله! فليكن

مع الרכب الحسينى (ج ۴)، ص: ۱۰۱
الختام إذن قتلاً فى سبيل الله! وهذا هو البرّ الذى ليس فوقه برّ! وفى ذلك فليتنافس المتنافسون! ولهذا فليعمل العاملون!
وأقوى الظنّ أنّ هذا المعنى الذى أراد أن يوصله الإمام عليه السلام فى رسالته هذه التى كتبها من كربلاء أرض المصرع المختار وبقعه الفتح إلى محمد بن الحنفية وبقية بنى هاشم فى المدينة المنورة- وإلى كافّة الأجيال إلى قيام الساعة- متمّم ومكّم لمعنى رسالته القصيرة الأولى التى بعثها عليه السلام إليهم من مكّة المكرّمة والتى جاء فيها: «بسم الله الرحمن الرحيم. من الحسين بن علىّ إلى محمّد بن علىّ ومن قبله من بنى هاشم: أمّا بعد، فإنّ من لحق بى استشهد! ومن لم يلحق بى لم يُدرِك الفتح! والسلام». «۱»
فتأمّل!

خطبة للإمام عليه السلام فى أصحابه ص : ۱۰۱

إشارة

روى ابن عساكر يقول: «لما نزل عمر بن سعد بحسين، وأيقن أنّهم قاتلوه قام فى أصحابه خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: «قد نزل بنا ما ترون من الأمر، وإنّ الدنيا قد تغيّرت وتنكرت، وأدير معروفها، واستمرت حتىّ لم يبق منها إلّا صباية كصباية الإناء! وإلّا خسيس عيش كالمرعى الوبيل!، ألا- ترون أنّ الحقّ لا يعمل به! وأنّ الباطل لا يتناهى عنه! ليرغب المؤمن فى لقاء الله، وإنّى لا أرى الموت إلّا سعادة! والحياة مع الظالمين إلّا برماً». «۲»

مع الרכب الحسينى (ج ۴)، ص: ۱۰۲

إشارة: ص : ۱۰۲

مرّ بنا قبل ذلك- في وقائع وأحداث منازل الطريق بين مكة وكربلاء- كما في رواية الطبري «١» أنّ الإمام عليه السلام خطب هذه الخطبة في منطقته ذي حُسم، وكان قد تمّ التعليق على هذه الخطبة- هناك- بعدة ملاحظات، فراجعها «٢» وقد أوردناها أيضاً هنا لاحتمال وقوعها أصلاً في كربلاء، أو لاحتمال أنّ الإمام عليه السلام كان قد كرّر مخاطبة أصحابه بهذا الكلام في الموضوعين.

حبيب بن مظاهر (رض) «٣» يستنفر حياً من بنى أسد لنصرة الإمام عليه السلام ص : ١٠٢

إشارة

في المقتل للخوارزمي: «قال: والتأمت العساكر عند عمر لستة أيام مضين من محرّم، فلما رأى ذلك حبيب بن مظاهر الأسدي جاء إلى الحسين فقال له: يا ابن رسول الله! إنّ هاهنا حياً من بنى أسد قريباً منا، أفتأذن لي بالمصير إليهم الليلة أدعوهم إلى نصرتك، فعسى الله أن يدفع بهم عنك بعض ما تكره؟ فقال له الحسين: قد أذنت لك!

فخرج إليهم حبيب من معسكر الحسين في جوف الليل متنكراً، حتى صار إليهم فحيّاهم وحيّوه وعرفوه. فقالوا له: ما حاجتك يا ابن عمّ؟

معالركب الحسيني (ج ٤)، ص: ١٠٣

قال: حاجتي إليكم أني قد أتيتكم بخير ما أتى به وافد إلى قوم قط! أتيتكم أدعوكم إلى نصره ابن بنت نبيكم، فإنّه في عصابة من المؤمنين، الرجل منهم خير من ألف رجل! لن يخذلوه ولن يُسلموه وفيهم عين تطرف! وهذا عمر بن سعد قد أحاط به في إثنين وعشرين ألفاً! وأنتم قومي وعشيرتي وقد أتيتكم بهذه النصيحة، فأطيعوني اليوم تنالوا شرف الدنيا وحسن ثواب الآخرة، فإنّي أقسم بالله لا يقتل منكم رجل مع ابن بنت رسول الله صابراً محتسباً إلّا كان رفيق محمّد صلى الله عليه وآله في أعلى عليين. فقام رجل من بنى أسد يُقال له عبدالله بن بشر فقال: أنا أول من يجيب إلى هذه الدعوة، ثمّ جعل يرتجز ويقول:

قد علم القوم اذا تناكلوا وأحجم الفرسان إذ تناضلوا
أنّي الشجاع البطل المقاتل كأنني ليث عرينٍ بأسل

ثمّ بادر رجال الحى إلى حبيب، وأجابوه فالتأم منهم تسعون رجلاً وجاءوا مع حبيب يريدون الحسين، فخرج رجل من الحى، يُقال: فلان بن عمرو حتّى صار إلى عمر بن سعد في جوف الليل، فأخبره بذلك، فدعا عمر برجلٍ من أصحابه يقال له «الأزرق بن الحرث الصدائي» فضمّ إليه أربعمائة فارس، ووجه به إلى حى بنى أسد مع ذلك الذى جاء بالخبر، فبينما أولئك القوم من بنى أسد قد أقبلوا في جوف الليل مع حبيب يريدون عسكر الحسين اذ استقبلتهم خيل ابن سعد على شاطئ الفرات، وكان بينهم وبين معسكر الحسين اليسير، فتناوش الفريقان واقتتلوا، فصاح حبيب بالأزرق بن الحرث: مالك ولنا؟! إنصرف عنّا! يا ويلك دعنا واشقّ بغيرنا! فأبى الأزرق، وعلمت بنو أسد أن لاطاقة لهم بخيل ابن سعد فانهزموا راجعين إلى حيهم! ثمّ تحمّلوا في جوف الليل خوفاً من ابن سعد أن يكبسهم،

معالركب الحسيني (ج ٤)، ص: ١٠٤

ورجع حبيب إلى الحسين فأخبره، فقال: لاحول ولاقوة إلّا بالله العليّ العظيم! «١»

من غرائب ما تقرّد به البلاذري! ص : ١٠٤

وكان البلاذرى ممتن روى قصة استنفار حبيب بن مظاهر (رض) حياً من بنى أسد لنصرة الإمام الحسين عليه السلام - وقد أوردنا روايته في الحاشية - لكن البلاذرى قال في ذيل روايته لهذه القصة:

«وكان فراس بن جعدة بن هبيرة المخزومي مع الحسين، وهو يرى أنه لا يخالف! فلما رأى الأمر وصعوبته هاله ذلك! فأذن له الحسين في الإنصراف، فانصرف ليلاً». (٢)

ونقول:

أولاً: لم يُعرف في كتب التواريخ وكتب الرجال أن لجعدة بن هبيرة مع الركب الحسينى (ج ٤)، ص: ١٠٥

المخزومي ولداً إسمه فراس (كما ذكر البلاذرى)، بل إن له ولدين معروفين أحدهما يحيى، وله رواية عن الإمام الحسين عليه السلام، وهو من رواة الغدير، وعبدالله (وهو الذى فتح القهندر وكثيراً من خراسان)، وقيل إن له ولداً آخر إسمه عمر. (١)

ولو فرضنا - جلاً - أن لجعدة بن هبيرة المخزومي ولداً إسمه فراس كما زعم البلاذرى، فإن ما نسبته البلاذرى لهذا الولد من تخليه عن الإمام الحسين عليه السلام فى الشدة أمرٌ مستبعدٌ جداً! ذلك لأن جعدة بن هبيرة هو ابن أم هانى بنت أبى طالب عليه السلام فجعدة ابن عمِّه الإمام عليه السلام، ففراس (المزعوم) هذا وهو ابن جعدة يكون ذا قرابة قريبة من الإمام عليه السلام، هذا فضلاً عن أن التأريخ - بل البلاذرى نفسه - حدَّثنا عن أن بنى جعدة كانوا من أهل المعرفة بأهل البيت عليهم السلام ومن شيعتهم، (٢) وهذا - أيضاً - فضلاً عن أن جعدة وأبناءه قد عُرفوا بالشجاعة والبأس والشدة فى الحرب والكرهية، ولم يُعرف لهم موقف متخاذل، أو أخزاهم خوف من الأعداء! هذا جعدة وقد عُرفت عنه الشدة فى الحرب، يقول له عتبة بن أبى سفيان: إنما لك هذه الشدة فى الحرب من قبل خالك - يعنى علياً عليه السلام! فيقول له جعدة: لو كان لك خال مثل خالى لنسيت أباك! (٣)

فهل يُتصور أن ولداً من أولاد جعدة الشجاع هذا يعرض نفسه وشرفه لعار الجبن على صفحة التأريخ إلى قيام الساعة فيتخلى ساعة الشدة عن رجل محتاج

مع الركب الحسينى (ج ٤)، ص: ١٠٦

إليه وذى رحم ماسه به كانت الأعداء قد أحاطت به من كلِّ جانب!؟ فما بالك إذا كان هذا المحتاج إليه ابن رسول الله وابن خال أبيه وهو الحسين عليه السلام!؟

هذا مالو تأمل البلاذرى نفسه فيه لما تجرأ على الإتيان به!

ومما يؤسف له أن بعض المتتبعين أخذ هذا عن البلاذرى أخذ المسلمات، ولم يكلف نفسه مناقشة تلك الدعوى. (١)

وقايح اليوم السابع من المحرم! ص : ١٠٦

بعد أن روى الخوارزمى فى مقتله قصة المواجهة بين جماعة بنى أسد الذين استجابوا لدعوة حبيب بن مظاهر (رض) وبين خيل عمر بن سعد (أربعمائه فارس) بقيادة الأزرق بن الحرث الصدائى، وكيف انهزمت مجموعة بنى أسد بعد قتال شديد، ورجوعهم إلى حبيهم، ثم ارتحالهم عنه فى جوف الليل خوفاً من بأس جيش ابن سعد، وعودة حبيب (رض) إلى معسكر الإمام عليه السلام!

يتابع الخوارزمى سرد بقية قصة كربلاء فيقول: «ورجعت تلك الخيل حتى نزلت على الفرات، وحالوا بين الحسين وأصحابه وبين الماء، فأضّر العطش بالحسين وبمن معه، فأخذ الحسين عليه السلام فأساً، وجاء إلى وراء خيمة النساء، فخطا على الأرض تسع عشرة خطوة نحو القبلة، ثم احتفر هنالك فنبعت له هناك عين من الماء العذب! فشرب الحسين وشرب الناس بأجمعهم! وملاؤا أسقيتهم، ثم غارت العين فلم ير لها أثراً!

وبلغ ذلك إلى عبيدالله فكتب إلى عمر بن سعد: بلغنى أن الحسين يحفر

مع الركب الحسينى (ج ٤)، ص: ١٠٧

الآبار ويصيب الماء فيشرب هو وأصحابه، فانظر إذا ورد عليك كتابى هذا فامنعهم من حفر الآبار ما استطعت، وضيق عليهم ولا تدعهم أن يذوقوا من الماء قطرة! وافعل بهم كما فعلوا بالزكى عثمان! والسلام..» (١)

«فلما ورد على عمر بن سعد ذلك أمر عمرو بن الحجاج أن يسير فى خمسمائة راكب، فينيخ على الشريعة، ويحولوا بين الحسين وأصحابه وبين الماء، وذلك قبل مقتله بثلاثة أيام، فمكث أصحاب الحسين عطاشى..» (٢)

«وناداه عبدالله بن أبى حصين الأزدي (عبدالله بن حصن الأزدي) (٣) فقال: يا حسين ألا تنظر إلى الماء كأنه كبد السماء! والله لا تذوق منه قطرة حتى تموت عطشاً! فقال حسين: اللهم اقله عطشاً ولا تغفر له أبداً. قال حميد بن مسلم: (٤) والله

مع الركب الحسينى (ج ٤)، ص: ١٠٨

لعدته بعد ذلك فى مرضه، فوالله الذى لا إله إلا هو لقد رأيته يشرب حتى يبغرا! (١) ثم يقىء ثم يعود فيشرب حتى يبغرا فما يروى! فما زال ذلك دأبه حتى لفظ غصته يعنى نفسه!..» (٢)

ويواصل الطبرى قصة منع الماء يوم السابع من المحرم قائلاً: «ولما اشتد على الحسين وأصحابه العطش دعا العباس بن على بن أبى طالب أخاه، فبعثه فى ثلاثين فارساً وعشرين راجلاً، وبعث معهم بعشرين قرية، فجاءوا حتى دنوا من الماء ليلاً، واستقدم أمامهم باللواء

نافع بن هلال الجملى، فقال عمرو بن الحجاج الزبيدى: من الرجل؟! فجيء! ما جاء بك؟!؟

قال: جئنا نشرب من هذا الماء الذى حلا تمونا عنه!

قال: فاشرب هنيئاً!

قال: لا والله، لا أشرب منه قطرة وحسين عطشان ومن ترى من أصحابه! فطلعوا عليه، فقال: لاسبيل إلى سقى هؤلاء! إنما وضعنا بهذا المكان لنمنعهم الماء!

فلما دنا منه - أى نافع - أصحابه قال لرجاله: املؤا قربكم!

فشد الرجال فملؤا قربهم، وثار إليهم عمرو بن الحجاج وأصحابه، فحمل عليهم العباس ابن على ونافع بن هلال فكفؤهم! ثم انصرفوا إلى رحالهم فقالوا:

مع الركب الحسينى (ج ٤)، ص: ١٠٩

إمضوا! ووقفوا دونهم، فعطف عليهم عمرو بن الحجاج وأصحابه، وأطردوا قليلاً، ثم إن رجلاً من صيداء طعن، من أصحاب عمرو بن الحجاج، طعنه نافع بن هلال، فظن أنها ليست بشيء، ثم إنها انتفضت بعد ذلك فمات منها! وجاء أصحاب حسين بالقرب فأدخلوها

عليه..» (١)

وفى رواية ابن أعمش الكوفى: «... فاقتلوا على الماء قتالاً عظيماً! فكان قوم يقتتلون وقوم يملؤون القرب حتى ملؤها، فقتل من أصحاب عمرو جماعة ولم يقتل من أصحاب الحسين أحد! ثم رجع القوم إلى معسكرهم وشرب الحسين من القرب ومن كان معه..» (٢)

وفى رواية البلاذرى: «ويقال إنهم حالوا بينهم وبين ملئها، فانصرفوا بشيء يسير من الماء، ونادى المهاجر بن أوس التميمى: يا حسين ألا ترى إلى الماء يلوح كأنه بطون الحيات، والله لا تذوقه أو تموت! فقال: إني لأرجو أن يوردينه الله ويحلأكم عنه.

ويقال: إن عمرو بن الحجاج قال: يا حسين! إن هذا الفرات تلغ فيه الكلاب وتشرب منه الحمير والخنازير، والله لا تذوق منه جرعة حتى تذوق الحميم فى نار جهنم!!..» (٣)

أما الدينورى يصف واقعة الشريعة يوم السابع وصفاً مختصراً ودقيقاً حيث يقول: «فمضى العباس نحو الماء، وأمامهم نافع بن هلال، حتى دنوا من الشريعة، فمنعهم عمرو بن الحجاج، فجالدهم العباس على الشريعة بمن معه حتى أزالوهم

معالركب الحسيني (ج ٤)، ص: ١١٠

عنها! واقتحم رجاله الحسين الماء فملأوا قريتهم، ووقف العباس في أصحابه يذّبون عنهم حتى أوصلوا الماء إلى عسكر الحسين!». (١)

من هو أبو الفضل العباس بن أمير المؤمنين عليهما السلام؟ ص : ١١٠

مولانا أبو الفضل العباس بن أمير المؤمنين عليّ عليهما السلام، وأمه أم البنين فاطمة بنت حزام بن خالد الكلابي صلوات الله عليها، وهو أكبر أولادها، ولدته في الرابع من شعبان سنة ست وعشرين من الهجرة، وكان عمره الشريف عند شهادته أربعاً وثلاثين سنة. (٢)

والحديث حول هذه الشخصية الإسلامية المقدسة الفذة يستدعي بالضرورة أن يُفرد له كتاب مستقل، (٣) وحيث لا يسعنا ذلك في إطار هذه الدراسة (مع الركب الحسيني من المدينة إلى المدينة)، فإننا هنا - لكي لا نُحرم من توفيق أداء بعض حقه العظيم علينا - نقدم تبرّكاً بأقواله من النصوص الواردة في حقه عليه السلام، الكاشفة عن عظمتة وسموّ منزلته:

قال الإمام زين العابدين عليّ بن الحسين عليهما السلام:

«رحم الله العباس، فلقد آثر وأبلى وفدى أخاه بنفسه حتى قُطعت يده، فأبدله الله عزّ وجلّ بهما جناحين يطير بهما مع الملائكة في الجنة كما جعل

معالركب الحسيني (ج ٤)، ص: ١١١

لجعفر بن أبي طالب! وإنّ للعباس عند الله تبارك وتعالى منزلةً يغطيه بها جميع الشهداء يوم القيامة...». (١)

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «كان عمنا العباس نافذ البصيرة، صلب الإيمان، جاهد مع أبي عبد الله عليه السلام، وأبلى بلاء حسناً ومضى شهيداً...». (٢)

وفي زيارته الواردة عن الإمام الصادق عليه السلام من العبائر العجيبة الكاشفة عن جلالته رتبة مولانا أبي الفضل عليه السلام وعظمت منزلته ما يحير الأبواب! فلنقرأ معاً: «قال الصادق عليه السلام: إذا أردت زيارة قبر العباس بن عليّ، وهو على شطّ الفرات بحذاء الحائر، فقف على باب السقيفة وقل:

سلاماً لله، وسلاماً لملائكته المقرّبين، وأنبيائه المرسلين، وعباده الصالحين، وجميع الشهداء والصديقين، والزوايا الطيبات فيما تغتدى وتروح، عليك يا ابن أمير المؤمنين.

أشهد لك بالتسليم والتصديق والوفاء والنصيحة لخلف النبي صلى الله عليه وآله المرسل، والسبط المنتجب، والدليل العالم، والوصي المبلّغ، والمظلوم المهتمّم، فجزاك الله عن رسوله، وعن أمير المؤمنين، وعن الحسن والحسين صلوات الله عليهم، أفضل الجزاء بما صبرت واحتسبت وأعتت، فنعم عقبى الدار، لعن الله من قتلك، ولعن الله من جهل حقك واستخفّ بحرمتك، ولعن الله من حال بينك وبين ماء الفرات، أشهد أنك قتلت مظلوماً، وأنّ الله منجزٌ لكم ما وعدكم.

جتتك يا ابن أمير المؤمنين وافداً إليكم، وقلبي مُسلمٌ لكم، وأنا لكم تابع، ونصرتي لكم مُعدّة حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين، فمعكم معكم لامع عدوكم، إنّي بكم وبإيابكم من

معالركب الحسيني (ج ٤)، ص: ١١٢

المؤمنين، وبمن خالفكم وقتلكم من الكافرين، قتل الله أمةً قتلتكم بالأيدى والألسن. ثمّ ادخل وانكبّ على القبر وقل:

السلام عليك ايها العبد الصالح، المطيع لله، ولرسوله، ولأمير المؤمنين، والحسن، والحسين عليهم السلام، السلام عليك ورحمة الله وبركاته ورضوانه، وعلى روحك وبدنك، وأشهد الله أنّك مضيّت على ما مضى عليه البدريون، المجاهدون في سبيل الله، المناصحون له في جهاد أعدائه، المبالغون في نصرته أوليائه، الذّابون عن أحيائه، فجزاك الله أفضل الجزاء، وأكثر الجزاء، وأوفر

الجزاء، وأوفى جزاء أحد مَن وفي بيعته، واستجاب له دعوته، وأطاع ولاة أمره، أشهد أنك قد بالغت في النصيحة، وأعطيت غاية المجهود، فبعثك الله في الشهداء، وجعل روحك مع أرواح الشهداء (السعداء)، «١» وأعطاك من جناحه أفسحها منزلاً، وأفضلها غرفاً، ورفع ذكرك في عليين، وحشرك مع النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً، أشهد أنك لم تهن ولم تنكل، وأنتك مضيت على بصيرة من أمرك، مقتدياً بالصالحين، ومتّبِعاً للنبيين، فجمع الله بيننا وبينك وبين رسوله وأوليائه في منازل المختبين، فإنّه أرحم الراحمين.». «٢»

وورد السلام عليه في زيارة الناحية المقدّسة: «السلام على أبي الفضل العباس بن أمير المؤمنين، المواسى أخاه بنفسه، الآخذ لغده من أمسه، الفادى له، الواقى، الساعى إليه بمائه، المقطوعة يداه، لعن الله قاتله يزيد «٣» بن الرُقّاد الجهنّي، وحكيم بن الطفيل الطائي.». «٤» وكان مولانا أبو الفضل عليه السلام قد قدّم إخوته لأمه وأبيه وهم: عبدالله، وجعفر، مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ١١٣

وعثمان إلى القتال يوم عاشوراء ليستشهدوا قبله فيحتسبهم عند الله تعالى، فقد قال لأولهم: «تقدّم بين يدي حتى أراك واحتسبك فإنّه لا ولد لك!». «١»

«وكان العباس رجلاً وسيماً جميلاً، يركب الفرس المطهّم ورجلاه تخطّان في الأرض، وكان يُقال له: قمر بني هاشم! وكان لواء الحسين بن علي عليه السلام معه يوم قُتل.». «٢»

وفي اليوم العاشر «لَمّا نشبت الحرب بين الفريقين تقدّم عمرو بن خالد الصيداوى، ومولاه سعد، ومجمع بن عبدالله، وجنادة بن الحرث، فشدّوا مقدمين بأسياهم على الناس، فلَمّا وغلوا فيهم عطف عليهم الناس فأخذوا يحوزونهم، وقطعوه من أصحابهم، فندب الحسين عليه السلام لهم أخاه العباس، فحمل على القوم وحده! فضرب فيهم بسيفه حتّى فرّقهم عن أصحابه وخلص إليهم فسلموا عليه، فأتى بهم، ولكنهم كانوا جرحى فأبوا عليه أن يستنقذهم سالمين، فعاودوا القتال وهو يدفع عنهم حتّى قُتلوا في مكان واحد فعاد العباس إلى أخيه وأخبره خبرهم.». «٣»

وكان صلوات الله عليه يُلقّب بالسقاء، «٤» وهو حامل لواء الحسين عليه السلام. «٥»

وكان الإمام الحسين عليه السلام يحبّ أخاه العباس حبّاً خاصّاً فائقاً، حتّى كان عليه السلام

مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ١١٤

يفدّى أبا الفضل عليه السلام بنفسه القدسيّة!

روى الطبرى أنّ عمر بن سعد لعنه الله لَمّا زحف يوم الخميس التاسع من المحرم بعد صلاة العصر بجيوشه نحو معسكر الإمام الحسين عليه السلام، قال الإمام عليه السلام لأخيه أبي الفضل عليه السلام: «يا عباس! إركب - بنفسى أنت يا أخى! - حتّى تلقاهم فتقول لهم مالكم وما بدالكُم، وتسالهم عمّا جاء بهم؟!». «١»

ولقد نجح أبو الفضل العباس عليه السلام في جميع الإختبارات الإلهية الصعبة التي تعرّض لها حتّى استشهد صلوات الله عليه، لكنّ أسمى وأروع تلك الإختبارات في مراقى الكمال والفداء والإيثار كان يوم العاشر بعد أن قُتل أنصار الإمام عليه السلام من أهل بيته وصحبه الكرام، وضاق صدر أبي الفضل عليه السلام بالبقاء في دار الفناء وسئم الحياة، فجاؤا إلى الإمام الحسين يستأذنه في قتال القوم، فقال له الحسين عليه السلام: إن عزمت فاستق لنا ماء! «٢» فأخذ قربته وحمل على آلاف الأعداء حتّى كشفهم عن الشريعة، ثمّ ملأ القربة، واغترف من الماء غرفةً ليشرب وقلبه كما الجمر من العطش! لكنّه ذكر عطش الحسين عليه السلام ومن معه فرمى بالماء من يده وقال:

يا نفسى من بعد الحسين هونى وبعده لا كنت أن تكونى

هذا الحسين وارد المنون وتشربين بارد المعين!؟

تا الله ما هذا فعال دينى «٣»

ولما صُيرع أبو الفضل وخزّ إلى الأرض - بلا يدين! - نادى بأعلى صوته: أدركنى يا أخى! فانقضّ عليه أبو عبد الله كالصقر! فرآه مقطوع اليمين واليسار، مرضوخ

مع الركب الحسينى (ج ٤)، ص: ١١٥

الجين، مشكوك العين بسهم، مرتثاً بالجراحة، فوقف عليه منحنيًا! وجلس عند رأسه يبكى حتى فاضت نفسه المقدسة، ثم حمل الإمام عليه السلام على القوم فجعل يضرب فيهم يميناً وشمالاً، فيفرون من بين يديه كما تفرّ المعزى إذا شدّ فيها الذئب! وهو يقول: أين تفرّون وقد قتلتم أخى؟! أين تفرّون وقد فتمت عضدى؟! ثم عاد إلى موقفه منفرداً! «١»
«ولمّا قُتل العباس قال الحسين عليه السلام: الآن انكسر ظهري وقُلت حيلتي!». «٢»

ولقد تركه الإمام الحسين عليه السلام فى المكان الذى صُرع فيه، ولم يحمله إلى خيمة الشهداء كما فعل بمن سبقه منهم! ولقد أجاد المحقق المرحوم السيد المقرّم حيث قال: «وتركه فى مكانه لسرّ مكنون أظهرته الأيام، وهو أن يُدفن فى موضعه منحازاً عن الشهداء، ليكون له مشهد يُقصد بالحوائج والزيارات! وبقعه يزولف إليها الناس، وتترلف إلى المولى سبحانه تحت قبتة التى ضاهت السماء رفعةً وسناءً، فتظهر هنالك الكرامات الباهرة، وتعرف الأئمة مكانته السامية، ومنزلته عند الله تعالى، فتؤدى ما وجب عليهم من الحبّ المتأكد والزيارات المتواصلة، ويكون عليه السلام حلقة الوصل فيما بينهم وبين الله تعالى، فشاء حجة الوقت أبو عبد الله عليه السلام كما شاء المهيمن سبحانه أن تكون منزله «أبى الفضل» الظاهرية شبيهة بالمنزلة المعنوية الأخروية، فكان كما شاء وأحباً». «٣»
والسلام على مولانا أبى الفضل العباس مادام الليل والنهار!

مع الركب الحسينى (ج ٤)، ص: ١١٦

المحاوره بين الإمام عليه السلام وبين عمر بن سعد لعنه الله ص : ١١٦

إشارة

قال ابن أعثم الكوفى: «ثم أرسل «١» الحسين رحمه الله إلى عمر بن سعد: إنى أريد أن أكلمك، فالقنى الليلة بين عسكرى وعسكرك.

قال فخرج إليه عمر بن سعد فى عشرين فارساً، وأقبل الحسين فى مثل ذلك، فلما التقيا أمر الحسين أصحابه فتنحوا عنه، وبقي معه أخوه العباس وابنه على الأكبر رضى الله عنهم، وأمر عمر بن سعد أصحابه فتنحوا، وبقي معه حفص ابنه وغلّام له يُقال له لاحق. فقال له الحسين رضى الله عنه:

ويحك يا ابن سعد! أما تتقى الله الذى إليه معادك أن تقاتلنى، وأنا ابن من علمت يا هذا من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم؟! فاترك هؤلاء وكنّ معى، فإننى أقربك إلى الله عزّ وجلّ. فقال له عمر بن سعد: أبا عبد الله! أخاف أن تُهدم دارى! فقال له الحسين رضى الله عنه: أنا أبنيتها لك.

فقال: أخاف أن تؤخذ ضيعتى!

فقال الحسين: أنا أخلف عليك خيراً منها من مالى بالحجاز.

فقال: لى عيال أخاف عليهم!

فقال: أنا أضمن سلامتهم..» (٢)

قال فلم يُجب عمر إلى شيء من ذلك! فانصرف عنه الحسين رضى الله عنه

مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ١١٧

وهو يقول: مالك!؟ ذبحك الله (من) «١» على فراشك سريعاً عاجلاً! ولاغفر الله لك يوم حشرك ونشرك! فوالله إننى لأرجو أن لا تأكل من برّ العراق إلّا يسيراً..» (٢)

«فقال له عمر: يا أبا عبدالله! فى الشعر عوض عن البر!! ثم رجع عمر الى معسكره..» (٣)

ولقد روى الطبرى هذا اللقاء بين الإمام عليه السلام وبين عمر بن سعد من طريق أحد مجرمى جيش ابن سعد وهو (هانىء بن ثبيت الحضرمي)، وفى روايته: «...»

فلما التقوا أمر حسين أصحابه أن يتنحوا عنه، وأمر عمر بن سعد أصحابه بمثل ذلك. قال: فانكشفنا عنهما بحيث لانسمع أصواتهما ولا كلامهما، فتكلما فأطالا حتى ذهب من الليل هزيع، ثم انصرف كل واحد منهما إلى عسكره بأصحابه ..» (٤)

وهنا يُقحم الظنّ الأثم ليختلط بالحق!! ص : ١١٧

يقول الطبرى بعد هذا: «وتحدّث النَّاسُ فيما بينهما ظنّاً يظنونهُ أنّ حسيناً قال لعمر بن سعد: أخرج معى إلى يزيد بن معاوية! وندع العسكرين! قال عمر: إذن تُهدم دارى! قال: أنا أبنيتها لك! قال: إذن تؤخذ ضياعى! قال: إذن أعطيك خيراً منها من مالى بالحجاز. قال فتكره ذلك عمر، قال فتحدّث الناس بذلك وشاع فيهم من غير أن يكونوا سمعوا من ذلك شيئاً ولا علموه!». «٥»

مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ١١٨

ثمّ يزيد الطبرى الطين بلة! ص : ١١٨

حيث يقول بعد ذلك: «وأما ما حدّثنا به الماجد بن سعيد، والصقعب بن زهير الأزدى وغيرهما من المحدّثين فهو ما عليه جماعة المحدّثين! قالوا: إنه قال:

اختراروا منى خصالاً ثلاثاً، إمّا أن أرجع إلى المكان الذى أقبلت منه، وإمّا أن أضع يدي فى يد يزيد بن معاوية فىرى فيما بينى وبينه رأيه!، وإمّا أن تسيرونى إلى أىّ ثغر من ثغور المسلمين شئتم، فأكون رجلاً من أهله، لى مالهم وعلّى ما عليهم..» (١)

لكنّ شاهد عيان يروى الحقيقة فيقول: ص : ١١٨

وممّا يخفف الغمّ والهَمّ عن قلب طالب الحقيقة التأريخية أنّ الطبرى مع روايته لتلك المظنونات الكاذبة الآتمة روى أيضاً حقيقة القضية عن لسان عقبه بن سمعان (رض) مولى الرباب زوج الإمام الحسين عليه السلام، وكان ممّن صحب الإمام عليه السلام من المدينة إلى كربلاء، وكان فى خدمة الإمام عليه السلام فلم يغيب عن شيء ممّا خاطب الإمام عليه السلام به الناس!

قال الطبرى: «قال أبو مخنف: فأما عبدالرحمن بن جندب فحدّثنى عن عقبه بن سمعان «٢» قال: صحبتُ حسيناً، فخرجت معه من المدينة إلى مكّة، ومن مكّة إلى العراق، ولم أفرقه حتّى قُتل، وليس من مخاطبته الناس كلمةً بالمدينة ولا بمكّة ولا فى الطريق ولا بالعراق ولا فى عسكر إلى يوم مقتله إلّا وقد سمعتها، ألا والله ما أعطاهم ما يتذاكر النَّاسُ وما يزعمون من أن يضع يده فى يد يزيد بن

معاوية! ولا- أن يسيروه إلى ثغر من ثغور المسلمين! ولكنة قال: دعوني فلأذهب في هذه الأرض العريضة حتى ننظر ما يصير أمر الناس...» (۳)

معالركب الحسينى (ج ۴)، ص: ۱۱۹

أكذوبة عمر بن سعد التي افتراها على الإمام عليه السلام ص : ۱۱۹

إشارة

ويروى الطبرى أن عمر بن سعد بعد لقائه مع الإمام عليه السلام كان قد كتب إلى ابن زياد كتاباً نصه: «أما بعد، فإن الله قد أطفأ النائرة، وجمع الكلمة، وأصلح أمر الأمة! هذا حسين قد أعطاني أن يرجع إلى المكان الذى منه أتى، أو أن نسيره إلى أى ثغر من ثغور المسلمين شئنا، فيكون رجلاً من المسلمين، له مالهم وعليه ما عليه، أو أن يأتى يزيد أمير المؤمنين فيضع يده فى يده، فيرى فيما بينه وبينه رأيه، وفى هذا لكم رضى وللامة صلاح!». «۱»

إشارة: ص : ۱۱۹

يلفت انتباه المتتبع أن رواية هذا الكتاب والرواية التي ذكرت المطالب الثلاثة المفتراة على الإمام عليه السلام قد رواهما الطبرى عن أبى مخنف، عن مجالد بن سعيد (۲) الهمدانى، والصقعب بن زهير، (۳) فإن كان خبر هذه الرسالة صادقاً، وقد علم هذان الراويان بمحتواها، فالظن قوى بأن خبر المطالب الثلاثة المفتراة على الإمام عليه

معالركب الحسينى (ج ۴)، ص: ۱۲۰

قد نُسج عن محتوى هذه الرسالة! وإن لم يكن حتى خبر هذه الرسالة صادقاً! فإن الخبر الأول والثانى كليهما قد صدرا عن منبع واحد كاذب!

وعلى فرض صحة خبر هذه الرسالة! فما هو الداعى الذى دفع عمر بن سعد إلى أن يفتري على الإمام عليه السلام هذه الفرية؟! لاشك أن عمر بن سعد- كغيره من مجرمى جيش ابن زياد- كان يعلم علماً يقيناً بأحقية الإمام عليه السلام بهذا الأمر! كما كان يعلم بما لا يرتاب فيه بالعار العظيم وبالسقوط الفظيع الذى سيلحقه مدى الدهر إذا ما قتل الإمام عليه السلام فى هذه المواجهة التى صار هو فيها على رأس الجيش الأموى! ولكنة كان فى باطنه أيضاً أسير رغبته الجامحة فى ولاية الرى ونعمائها! من هنا فقد سعى إلى أن يجد المخرج من هذه الورطة فيعافى من ارتكاب جريمة قتل الإمام عليه السلام، ولا يخسر أمنيته فى ولاية الرى!

وفى صفوف جيش ابن زياد أفراد كثيرون من نوع عمر بن سعد يتمنون بقاء مواقعهم ومنافعهم الدنيوية مع العافية من الإشتراك فى جريمة قتل الإمام عليه السلام! كشيث بن ربيع وغيره كثير، لكن هؤلاء قد غلبت عليهم شقوتهم- إذ سلبهم الشلل النفسى والروحى كل قدرة على اتخاذ الموقف الصحيح- فاستحوذ عليهم الشيطان، فدفعهم إلى ارتكاب أفحش وأفجع الجرائم وهم يتوهمون نوال ما يتمنون من هذه الدنيا الفانية! أو بقاء ما فى أيديهم- الخالية- منها!

شمر بن ذى الجوشن يُحبط خطة عمر بن سعد! ص : ۱۲۰

ويواصل الطبرى رواية مجرى هذا الحدث فيقول: «فلما قرأ عبيدالله الكتاب قال: هذا كتاب رجل ناصح لأميره مشفق على قومه! نعم

قد قبلت!

مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ١٢١

قال فقام إليه شمر بن ذى الجوشن فقال: أتقبل هذا منه، وقد نزل بأرضك إلى جنبك؟! والله لئن رحل من بلدك ولم يضع يده في يدك ليكوننّ أولى بالقوة والعزّ! ولتكوننّ أولى بالضعف والعجز! فلا تعطه هذه المنزلة فإنّها من الوهن، ولكنّ لينزل على حكمك هو وأصحابه، فإنّ عاقبت فأنت ولئى العقوبة! وإنّ غفرت كان ذلك لك! والله لقد بلغنى أنّ حسيناً وعمر بن سعد يجلسان بين العسكرين فيحدثان عامّة الليل!

فقال له ابن زياد: نعم ما رأيت، الرأى رأيك!! «١»

ويواصل الطبرى رواية ذلك الحدث، عن أبي مخنف، عن سليمان بن أبي راشد، عن حميد بن مسلم قال: «ثمّ إنّ عبيدالله بن زياد دعا شمر بن ذى الجوشن، فقال له: أخرج بهذا الكتاب إلى عمر بن سعد، فليعرض على الحسين وأصحابه النزول على حكمى! فإنّ فعلوا فليبعث بهم إلىّ سلماً! وإنّ هم أبوا فليقاتلهم! فإنّ فعل فاسمع له وأطع! وإنّ هو أبى فقاتلهم فأنت أميرالنّاس! وثبّ عليه فاضرب عنقه وابعث إلىّ برأسه!». «٢»

وكان كتاب ابن زياد لعمر بن سعد: «أما بعد، فإنّى لم أبعثك إلى حسين لتكفّ عنه، ولا لتطاوله، ولا لتمنيه السلامة والبقاء، ولا لتتعد له عندى شافعاً! أنظر فإنّ نزل حسين وأصحابه على الحكم واستسلموا فابعث بهم إلىّ سلماً! وإنّ أبوا فازحف إليهم حتّى تقتلهم وتمثّل بهم فإنّهم لذلك مستحقّون! فإنّ قُتل حسين فأوطيء الخيل صدره وظهره! فإنّه عاقّ مشاقّ قاطع ظلوم!! ولست أرى فى هذا أن يضرّ بعد الموت شيئاً، ولكنّ علىّ قول لو قد قتلته فعلت هذا به! فإنّ أنت مضيت

مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ١٢٢

لأمرنا فيه جزيئاك جزاء السامع المطيع، وإنّ أبيت فاعتزل عملنا وجندنا، وخلّ بين شمر بن ذى الجوشن وبين العسكر فإنّا قد أمرناه بأمرنا! والسلام». «١»

ابن زياد يكتب أماناً لأبى الفضل العباس وإخوته عليهم السلام! ص : ١٢٢

يروى الطبرى، عن أبي مخنف، عن الحارث بن حصيرة، عن عبدالله بن شريك العامرى قال: «لما قبض شمر بن ذى الجوشن الكتاب، قام هو وعبدالله بن أبى المحل، وكانت عمّته أمّ البنين ابنة حزام عند علىّ بن أبى طالب عليه السلام، فولدت له العباس، وعبدالله، وجعفرأ وعثمان، فقال عبدالله بن أبى المحلّ بن حزام بن خالد بن ربيعة بن الوحيد بن كعب بن عامر بن كلاب: أصلح الله الأمير! إنّ بنى أختنا مع الحسين، فإنّ رأيت أنّ تكتب لهم أماناً فعلت. قال: نعم، ونعمه عين! فأمر

مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ١٢٣

كاتبه فكتب لهم أماناً، فبعث به عبدالله بن أبى المحل مع مولى له يُقال له: كُزمان، فلما قدم عليهم دعاهم فقال: هذا أمانٌ بعث به خالكم!

فقال له الفتية: أقرىء خالنا السلام، وقل له أنّ لاجحة لنا فى أمانكم! أمان الله خيرٌ من أمان ابن سميّة!». «١»

مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ١٢٤

وقائع اليوم التاسع من المحرم الحرام ص : ١٢٤

ويواصل الطبرى رواية قصة كربلاء قائلاً: «فأقبل شمر بن ذى الجوشن بكتاب عبيدالله بن زياد إلى عمر بن سعد، فلما قدم به عليه فقرأه

قال له عمر:

ما لك؟! ويلك، لا قرب الله دارك! وقبح الله ما قدمت به علي! والله إنني لأظنك أنت ثنيته أن يقبل ما كتبت به إليه! أفسدت علينا أمراً كنا رجونا أن يصلح! لا يستسلم والله حسين، إن نفساً أبيت لئين جنيه!
فقال له شمر: أخبرني ما أنت صانع؟! أتمضى لأمر أميرك وتقتل عدوه؟! وإلا فخل بيني وبين الجند والعسكر!
قال: لا! ولا كرامه لك! وأنا أتولّى ذلك!! فدونك «١» فكن أنت على الرجاله.. «٢»

شمر بن ذى الجوشن يبذل الأمان للعباس وإخوته عليهم السلام! ص : ١٢٤

«وجاء شمر حتى وقف على أصحاب الحسين عليه السلام فقال: أين بنو أختنا؟!
مع الركب الحسينى (ج ٤)، ص: ١٢٥
فخرج إليه العباس وجعفر وعبدالله وعثمان بنو علي بن أبي طالب عليه السلام، فقالوا له:
ما تريد؟!
فقال: أنتم يا بنى أختى آمنون!
فقال له الفتية: لعنك الله ولعن أمانك! أتؤمننا وابن رسول الله لا أمان له!؟». «١»

جيش الضلال يزحف على معسكر الحق والهدى! ص : ١٢٥

إشارة

ثم إن عمر بن سعد لعنه الله - وقد آثر العمى على الهدى، والدنيا الفانية على الآخرة، وانقاد مستسلماً لهواه فيها - نفر بجيشه لقتال الإمام عليه السلام «فنهض إليه عشية «٢» الخميس لتسع مضين من المحرم». «٣»
مع الركب الحسينى (ج ٤)، ص: ١٢٦
ويقول المؤرخون أيضاً: «ثم إن عمر بن سعد نادى: يا خيل الله اركبى وأبشرى! فركب فى الناس، ثم زحف نحوهم بعد صلاة العصر، وحسين جالس أمام بيته محبباً بسيفه، إذ خفق برأسه على ركبتيه!
وسمعت أخته زينب الصيحة، فندت من أخيها فقالت: يا أخى! أما تسمع الأصوات قد اقتربت؟
قال: فرجع الحسين رأسه فقال: إنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله فى المنام فقال لى: إنك تروح إلينا! «١»
قال فلطمت أخته وجهها وقالت: يا ويلتا!
فقال: ليس لك الويل يا أختى! اسكنى رحمك الرحمن. «٢»
وقال العباس بن علي: يا أخى! أتناك القوم!
قال فنهض ثم قال: يا عباس، إركب بنفسى أنت يا أخى! حتى تلقاهم فتقول لهم: ما لكم، وما بدا لكم، وتسالهم عما جاء بهم؟!
فأتاهم العباس، فاستقبلهم فى نحو من عشرين فارساً، فيهم زهير بن القين وحبيب بن مظاهر، فقال لهم العباس: ما بدا لكم وما تريدون؟!»

قالوا: جاء أمر الأمير بأن نعرض عليكم أن تنزلوا على حكمه أو ننازلكم!

مع الركب الحسينى (ج ٤)، ص: ١٢٧

قال: فلا تعجلوا حتى أرجع إلى أبي عبد الله فأعرض عليه ما ذكرت.

قال فوقفوا، ثم قالوا: إلقه فأعلمه ذلك ثم ألقنا بما يقول.

قال فانصرف العباس راجعاً يركض إلى الحسين يخبره بالخبر، ووقف أصحابه يخاطبون القوم!

فقال حبيب بن مظاهر لزهير بن القين: كَلِّمِ الْقَوْمَ إِنْ شِئْتَ، وَإِنْ شِئْتَ كَلِّمْتَهُمْ.

فقال له زهير: أنت بدأت بهذا، فكُنْ أنت الذي تكلّمهم.

فقال لهم حبيب بن مظاهر: أما والله لبئس القوم عند الله غداً قومٌ يقدمون عليه قد قتلوا ذريته نبيّه عليه السلام وعترته وأهل بيته عليهم

السلام، وعُباد أهل هذا المصر المجتهدين بالأسحار والذاكرين الله كثيراً!

فقال له عزرة بن قيس: إنك لتزكي نفسك ما استطعت!

فقال له زهير: يا عزرة، ان الله قد زكّاها وهداها، فاتق الله يا عزرة فإنني لك من الناصحين، أنشدك الله يا عزرة أن تكون ممن يُعين

الضلال على قتل النفوس الزكية!

قال: يا زهير! ما كنت عندنا من شيعة أهل هذا البيت، إنما كنت عثمانياً؟! «١»

قال: أفلست تستدل بموقفي هذا أني منهم؟! أما والله ما كتبت إليه كتاباً قط، ولا أرسلت إليه رسواً قط، ولا وعدته نصرتي قط، ولكن

الطريق جمع بيني وبينه، فلمّا رأيته ذكرت به رسول الله صلى الله عليه وآله ومكانه منه، وعرفت ما يقدم عليه من عدوّه وحزبكم!

فرايت أن أنصره وأن أكون في حزبه، وأن أجعل نفسي دون نفسه حفظاً

مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ١٢٨

لما ضيّعتم من حقّ الله وحقّ رسول عليه السلام!

قال وأقبل العباس بن عليّ يركض حتى انتهى إليهم.

فقال: يا هؤلاء! إنّ أبا عبد الله يسألكم أن تنصرفوا هذه العشيّة حتى ينظر في هذا الأمر، فإنّ هذا أمرٌ لم يحر بينكم وبينه فيه منطّق فإذا

أصبحنا إلتقينا إن شاء الله، فأما رضيناه فأتينا بالأمر الذي تسألونه وتسومونه! أو كرهنا فرددناه.

وإنما أراد بذلك أن يردّهم عنه تلك العشيّة حتى يأمر بأمره ويوصي أهله! «١»

فلما أتاهم العباس بن عليّ بذلك قال عمر بن سعد: ما ترى يا شمر!

قال: ما ترى أنت؟! أنت الأمير والرأي رأيك!

قال: قد أردتُ ألا أكون!! «٢»

ثم أقبل على الناس فقال: ماذا ترون؟

فقال عمرو بن الحجاج بن سلمة الزبيدي: سبحان الله! والله لو كانوا من الديلم ثم سألوك هذه المنزلة لكان ينبغي لك أن تجيبهم

إليها! «٣»

وقال قيس بن الأشعث: أجبهم إلى ما سألوك، فلعمري ليصُبْحَنَك بالقتال غدوة!

فقال: والله لو أعلم أن يفعلوا ما أخرتهم العشيّة!

مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ١٢٩

قال وكان العباس بن عليّ حين أتى حسيناً بما عرض عليه عمر بن سعد قال:

إرجع إليهم، فإن استطعت أن تؤخّرهم إلى غدوة وتدفعهم عن العشيّة، لعلنا نصلي لربنا الليلة وندعوه ونستغفره، فهو يعلم أني قد كنت

أحب الصلاة له وتلاوة كتابه وكثرة الدعاء والإستغفار. «١»

ويروى الطبري، عن أبي مخنف، عن الحارث بن حصيرة، عن عبد الله بن شريك العامري، عن الإمام السجاد عليه السلام قال: «أتانا

رسول من قبل عمر بن سعد، فقام مثل حيث يُسمع الصوت فقال: إنا قد أجلناكم إلى غد، فإن استسلمتم سرّحنا بكم إلى أميرنا عبيدالله بن زياد، وإن أبيتتم فلسنا بتاركيكم.». (٢)

أمّيا ابن أعثم الكوفى فيروى قائلاً: «... فقال عمر بن سعد: إنا قد أجلناهم فى يومنا هذا. قال فنأدى رجل من أصحاب عمر: يا شيعه الحسين بن على! قد أجلناكم يومكم هذا إلى غد، فإن استسلمتم ونزلتم على حكم الأمير وجّهنا بكم إليه، وإن أبيتتم نأجزناكم. قال فانصرف الفريقان بعضهم من بعض.». (٣)

إشارة: ماذا لو حصلت فاجعة عاشوراء فى الليل؟! ص : ١٢٩

مرّ بنا قول الراوى- فى روايه الطبرى- فى تعليله لطلب الإمام عليه السلام من عمر مع الركب الحسينى (ج ٤)، ص: ١٣٠

بن سعد أن يؤجلهم إلى صباح يوم العاشر: «وإنما أراد بذلك أن يردهم عنه تلك العشيّه حتى يأمر بأمره ويوصى أهله.». (١)

كما مرّ بنا أيضاً قول الإمام الحسين عليه السلام نفسه لأخيه أبى الفضل العبّاس عليه السلام: «إرجع إليهم، فإن استطعت أن تؤخرهم إلى غدوة وتدفعهم عنّا العشيّه، لعلنا نصلى لربّنا الليلة وندعوه ونستغفره، فهو يعلم أنى قد كنت أحبّ الصلاة له وتلاوة كتابه وكثرة الدعاء والاستغفار.». ولعلّ ماظنه الراوى- فى روايه الطبرى- كان صحيحاً، فى أنه عليه السلام أراد المهلة إلى الصباح حتى يأمر- من ينجو من أهله- بأمره ويوصيهم بوصاياهم، وهذا لا ينافى ما ورد فى الأثر أنه عليه السلام ترك وصاياهم وأماناته عند أمّ سلمه (رض) «٢» حتى تسلّمها إلى الإمام السجّاد عليه السلام بعد عودته، كما لا ينافى كون الإمام السجّاد عليه السلام والعقيلة زينب عليه السلام وسواهما من أهله كانوا معه منذ بدء رحله الركب من المدينه حتى كربلاء.

لكنّ هذا سبب من جملة أسباب متعدده كانت الدافع لطلب الإمام عليه السلام المهلة حتى الصباح، ولم يكن السبب الوحيد الذى انحصرت به القضية كما عبّر الراوى عن ذلك بأداة الحصر (إنّما)!

وصحيح تماماً أنّ الإمام الحسين عليه السلام كان يحبّ أن يقضى الليلة الأخيرة من عمره الشريف- خصوصاً وأنها ليلة جمعه- فى صلاة وكثرة دعاء واستغفار وتلاوة القرآن.

مع الركب الحسينى (ج ٤)، ص: ١٣١

نعم، لكنّ هذا أيضاً- مع أهميته البالغه- كان من جملة الأسباب!

«إنّ الإمام الحسين عليه السلام كان قد تعامل فى العمق مع كلّ قضيه فى مسار النهضه المقدسه بمنطق (الشهيد الفاتح)، وخاطبها بلغه الشهاده التى هى عين الفتح! وإن كان فى نفس الوقت قد تعاطى مع ظواهر القضايا بمنطق الحج الظاهره، ولأمانافه بين المنطقين بل هما فى طول بعضهما البعض ...

فحيث إن لم يبايع عليه السلام يقتل! فقد سعى عليه السلام ألا يقتل فى ظروف زمانيه ومكانيه وبكيفية يختارها ويخطط لها ويعدّها العدو، وسعى عليه السلام بمنطق (الشهيد الفاتح) أن يتحقّق مصرعه الذى لا بدّ منه على أرض يختارها هو، «١» لا يتمكّن العدو فيها أن يعتمّ على مصرعه فتختنق الأهداف المرجوه من وراء هذا المصرع الذى سيهزّ الأعماق فى وجدان الأمتّه ويحرّكها بالإتجاه الذى أراد الحسين عليه السلام، كما سعى عليه السلام أن تجرى وقائع المأساه فى وضح النهار لا فى ظلمه الليل، ليرى جريان وقائعها أكبر عدد من الشهود، فلا يتمكّن العدو من أن يعتمّ على هذه الوقائع الفجيعة ويغطّي عليها، وهذا هو الهدف المنشود من وراء العامل الإعلامى والتبليغى فى طلب الإمام عليه السلام عصر تأسوعاء أن يمهله إلى صبيحه عاشوراء!». (٢)

نعم، فهذا السبب- وإن كان من جملة حسابات التخطيط الحربى خصوصاً بالنسبة إلى قوة محاصرة في بقعة محدودة ضيقة- إلا أنه سبب أول وأساس في حسابات التخطيط الإعلامى والتبليغى، خصوصاً بالنسبة إلى إمام مفترض الطاعة مظلوم مع مجموعة من الأنصار الربانيين، يريد أن يكشف للأمة- وللعالم أجمع- عن حقيته وأحقته ومظلوميته، وعن وحشيته أعدائه وعدم مراعاتهم لأى معنى والتزام أخلاقى ودينى!

معالركب الحسينى (ج ٤)، ص: ١٣٢

فكان لابد من النهار، «وأن يُحشَرَ الناس ضحى»، «١» حتى يشهد الناس التفاصيل الكبيرة والصغيرة من الفاجعة والمأساة، ويسمعوا كل البلاغات والنداءات والإحتجاجات الإلهية عن لسان الإمام عليه السلام وأنصاره الكرام! ثم لينظروا كيف لا تستجيب الوهدة لنداء الذروة! ويروا فى واضحة النهار كيف تفرس أسنة الرذيلة النواشس وسيوفها البواتر هيكل الفضيلة الطاهر!، وكيف تهشم حوافر خيولها العمياء أضلاع الصدر القدسى الذى فى طيه سرُّ الإله مصون!، وكيف تُباد عصبه الأبرار، وتُحزُّ الرؤوس، ويُقتل الصغار، وكيف تنحزُّ سهام الضلالة الحاقدة حتى الطفل الرضيع! وكيف تُحرق الخيام! وتُسلب النساء! ويتهب الرحل! .. الى ما سوى ذلك من تفاصيل مأساوية فجيعة، شوهدت فى رابعة النهار، فرواها المشاهدون، وتناقلها الناس والتاريخ.

لقد كان النهار عاملاً مهماً من عوامل نجاح حفظ حقيقة فاجعة الطف كما هى وبكل تفاصيلها، إذ لو كانت قد حصلت الواقعة فى ليل لغطت ظلمته على جل تفاصيلها المفجعة وبطولاتها المشرفة، ولما رأى من حضرها إلا نزرًا قليلاً من وقائعها، ثم لما بلغنا منها إلا حكاية مبهمه وجيزة لاتحمل فى طياتها من الفعل والتأثير إلا شيئاً يسيراً!

وقائع ليلة عاشوراء! ص : ١٣٢

يروى الطبرى، عن أبى مخنف، عن الحارث بن حصيرة، عن عبدالله بن

معالركب الحسينى (ج ٤)، ص: ١٣٣

شريك العامرى، عن الإمام السجّاد عليه السلام قال: «جمع الحسين أصحابه بعدما رجع عمر بن سعد، وذلك عند قرب المساء، فدنوت منه لأسمع وأنا مريض، فسمعت أبى وهو يقول لأصحابه: أئننى على الله تبارك وتعالى أحسن الثناء، وأحمده على السراء والضراء، اللهم إئننى أحمدك على أن أكرمتنا بالنبوة، وعلمتنا القرآن، وفقهتنا فى الدين، وجعلت لنا أسماعاً وأبصاراً وأفئدة، ولم تجعلنا من المشركين.

أما بعد، فئننى لا أعلم أصحاباً أوفى ولاخيراً من أصحابى! ولا أهل بيت أبر ولا أوصل من أهل بيتى! فجزاكم الله عنى جميعاً خيراً، ألا وإئننى أظن يومنا من هؤلاء الأعداء غداً، ألا وإئننى قد أذنت لكم! فانطلقوا جميعاً فى حل، ليس عليكم منى ذمام! هذا الليل غشيكم فاتخذوه جملاً!». (١)

معالركب الحسينى (ج ٤)، ص: ١٣٤

وفى رواية بعدها للطبرى أيضاً أنه عليه السلام قال: «هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً، ثم ليأخذ كل رجل منكم بيد رجل من أهل بيتى، ثم تفرقوا فى سوادكم ومدائنكم حتى يفرج الله، فإن القوم إنما يطلبوننى، ولو قد أصابونى لهوا عن طلب غيرى.

فقال له إخوته، وأبناءؤه، وبنو أخيه، وإبنا عبدالله بن جعفر: لم نفعل!؟ لنبقى بعدك!؟ لا أرانا الله ذلك أبداً!

بدأهم بهذا القول العباس بن على، ثم إنهم تكلموا بهذا ونحوه!

فقال الحسين عليه السلام: يا بنى عقيل! حسبكم من القتل بمسلم، إذهبوا قد أذنت لكم!

قالوا: فما يقول الناس!؟ يقولون إننا تركنا شيخنا وسيدنا وبنى عمومتنا خير الأعمام، ولم نرم معهم بسهم، ولم نطعن معهم برمح، ولم نضرب معهم بسيف! ولاندرى ما صنعوا!؟ لا والله لانفعل، ولكن تفديك أنفسنا وأموالنا وأهلونا، ونقاتل معك حتى نرد موردك!

ففتح الله العيش بعدك!». «١»

معالركب الحسينى (ج ٤)، ص: ١٣٥

«قال فقام إليه مسلم بن عوسجة الأسدى فقال: أنحن نخلى عنك ولينا نعدز إلى الله فى أداء حصك؟! أما والله حتى أكسر فى صدورهم رمحى! وأضربهم بسيفى ما ثبت قائمه فى يدى! ولا أفارقك! ولو لم يكن معى سلاح أقاتلهم به لقدفتهم بالحجارة دونك حتى أموت معك!»

وقال سعد بن عبدالله الحنفى: «١» والله لانخليك حتى يعلم الله أنا قد حفظنا غيبه رسول الله صلى الله عليه وآله فىك، والله لو علمت أنى أقتل ثم أحيا ثم أحرقت حيا ثم أذرت، يفعل ذلك بى سبعين مره، ما فارتكتك حتى ألقى حمامى دونك! فكيف لا أفعل ذلك وإنما هى قتله واحده ثم هى الكرامه التى لا انقضاء لها أبداً؟

وقال زهير بن القين: والله لوددت أنى قتلت ثم نشرت ثم قتلت حتى أقتل كذا ألف قتله وأن الله يدفع بذلك القتل عن نفسك وعن أنفس هؤلاء الفتية من أهل بيتك!

قال وتكلم جماعه بكلام يشبه بعضه بعضاً فى وجه واحد فقالوا: والله لانفارقك ولكن أنفسنا لك الفداء! نتيك بنحورنا وجباهنا وأيدنا! فإذا نحن قتلنا كنا وفينا وقضينا ما علينا!». «٢»

وفى مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمى: «ثم تكلم برير بن خضير الهمدانى، وكان من الزهاد الذين يصومون النهار ويقومون الليل، فقال: يا ابن رسول الله!

معالركب الحسينى (ج ٤)، ص: ١٣٦

إنذن لى أن آتى هذا الفاسق عمر بن سعد فأعظه لعله يتعظ ويرتدع عما هو عليه!

فقال الحسين: ذاك إليك يا برير.

فذهب إليه حتى دخل على خيمته، فجلس ولم يسلم! فغضب عمر وقال: يا أخا همدان مامنع من السلام على؟! ألسنت مسلماً أعرف الله ورسوله! وأشهد بشهادة الحق؟!»

فقال له برير: لو كنت عرفت الله ورسوله كما تقول لما خرجت إلى عترة رسول الله تريد قتلهم! وبعد فهذا الفرات يلوح بصفائه، ويلج كأنه بطون الحيات، تشرب منه كلاب السواد وخنازيرها، وهذا الحسين بن على وإخوته ونساؤه وأهل بيته يموتون عطشاً! وقد حلت بينهم وبين ماء الفرات أن يشربوه! وتزعم أنك تعرف الله ورسوله؟!»

فأطرق عمر بن سعد ساعه إلى الأرض، ثم رفع رأسه وقال: والله يا برير إنى لأعلم يقيناً أن كل من قاتلهم وغضبهم حقهم هو فى النار لامحاله، ولكن يا برير! أفتشير على أن أترك ولايه الرى فتكون لغيرى؟! فوالله ما أجد نفسى تجيبنى لذلك، ثم قال:

دعانى عبيدالله من دون قومه إلى خطه فيها خرجت لىنى

فوالله ما أدرى وإنى لحائر أفكر فى أمرى على خطيرين

أترك ملك الرى والرى منيتى أم ارجع مأثوماً بقتل حسين؟

وفى قتله النار التى ليس دونها حجاب، ومملك الرى قره عيني «١»

فرجع برير إلى الحسين وقال: يا ابن رسول الله! إن عمر بن سعد قد رضى لقتلك بملك الرى!». «١»

وفى رواية أخرى عن الإمام السجاد عليه السلام! ص : ١٣٦

روى السيد هاشم البحرانى مرسلًا عن أبى حمزة الثمالى قال: سمعت على بن الحسين زين العابدين عليهما السلام يقول: «لما كان اليوم الذى استشهد فيه أبى، جمع أهله وأصحابه فى ليلة ذلك اليوم.

فقال لهم: يا أهلى وشيعتى اتخذوا هذا الليل جملاً لكم، وانجوا بأنفسكم، فليس المطلوب غيرى، ولو قتلونى ما فكروا فيكم، فانجوا رحمكم الله، وأنتم فى حِلِّ وسعته من بيعتى وعهدى الذى عاهدتمونى.

فقال إخوته وأهله وأنصاره بلسان واحد: والله يا سيدنا يا أباعبدالله، لاخذلناك أبداً، والله لا قال الناس: تركوا إمامهم وكبيرهم وسيدهم وحده حتى قُتل! ونبلوا بيننا وبين الله عُذراً ولا نخليتك أو نُقتل دونك!

مع الركب الحسينى (ج ٤)، ص: ١٣٨

فقال عليه السلام لهم: يا قوم إنى غداً أُقتل وتُقتلون كلكم معى، ولا يبقى منكم واحداً!

فقالوا: الحمد لله الذى أكرمنا بنصرتك وشرفنا بالقتل معك! أو لا ترضى أن نكون معك فى درجتك يا ابن رسول الله؟

فقال عليه السلام: جزاكم الله خيراً. ودعا لهم بخير، فأصبح وقُتل وقتلوا معه أجمعون! «١»

فقال له القاسم بن الحسن عليهما السلام: وأنا فىمن يُقتل؟

فأشفق عليه فقال له: يا بُنى كيف الموت عندك؟

قال: يا عم، أحلى من العسل!

فقال عليه السلام: إى والله، فداك عمك! إنك لأحد من يُقتل من الرجال معى بعد أن تبلو ببلاءٍ عظيم! وإبنى عبدالله!

فقال: يا عم! ويصلون إلى النساء حتى يُقتل عبدالله وهو رضيع؟!

فقال عليه السلام: فداك عمك! يُقتل عبدالله إذ جفت روحى عطشاً، وصرتُ إلى خيما فطلبت ماءً ولبناً فلا أجد قطاً! فأقول: ناولونى

إبنى لأشرب من فيه! فيأتونى به فيضعونه على يدي، فأحمله لأدنيه من فى فيرميه فاسق بسهم فينحره وهو يُناغى! فيفيض دمه فى كفى!

فأرفعه إلى السماء وأقول: ألهم صبراً واحتساباً فيك! فتعجلنى الأسنة فيهم والنار تسعر فى الخندق الذى فى ظهر الخيم، فأكرز عليهم

فى أمر أوقات فى الدنيا! فيكون ما يريد الله!

مع الركب الحسينى (ج ٤)، ص: ١٣٩

فبكى وبكىنا، وارتفع البكاء والصراخ من ذرارى رسول الله صلى الله عليه وآله فى الخيم.

ويسأل زهير بن القين وحبیب بن مظاهر عنى، فيقولون: يا سيدنا! فسيدنا على - فيشيرون إلى - ماذا يكون حاله؟

فيقول مستعبراً: ما كان الله ليقطع نسلى من الدنيا! فكيف يصلون وهو أبو ثمانية أئمة؟! «١»

وفى رواية أخرى ص: ١٣٩

جاء فى التفسير المنسوب إلى الإمام الحسن العسكرى عليه السلام: «ولما امتحن الحسين عليه السلام ومن معه بالعسكر الذين قتلوه

وحملوا رأسه، قال لعسكره: أنتم فى حِلِّ من بيعتى فالحقوا بعشائركم ومواليكم. وقال لأهل بيته: قد جعلتكم فى حِلِّ من مفارقتى،

فأنكم لا تطيقونهم لتضاعف أعدادهم وقواهم، وما المقصود غيرى، فدعونى والقوم، فإن الله عزّ وجلّ يعيننى ولا يخلينى من حسن نظره

كعادته فى أسلافنا الطيبين.

فأما عسكره ففارقوه، «٢» وأما أهله الأذنون من أقربائه فأبوا وقالوا: لانفارقك

مع الركب الحسينى (ج ٤)، ص: ١٤٠

ويحزننا ما يحزنك، ويصيبنا ما يصيبك، وإنا أقرب ما نكون إلى الله إذا كُنّا معك!

فقال لهم: فإن كنتم قد وطّنت أنفسكم على ما وطّنت نفسى عليه فاعلموا أنّ الله يهب المنازل الشريفة لعباده باحتمال المكاره، وأنّ الله

وإنّ كان خصينى مع من مضى من أهلى الذين أنا آخرهم بقاءً فى الدنيا من الكرامات بما يسهل علىّ معها احتمال المكروهات، فإنّ

لكم شطر ذلك من كرامات الله تعالى، وأعلموا أنّ الدنيا حلّوها ومُرّها حلم! والإنتباه فى الآخرة! والفائز من فاز فيها، والشقى من شقى

فيها ...» (١)

الحضرمي: أكلتني السباع حياً إن فارقتك! ص : ١٤٠

وروى السيد ابن طاووس (ره) أنه: «وقيل لمحمد بن بشير الحضرمي في تلك الحال: قد أسر ابنك بغير الرى! قال: عند الله أحسبه ونفسي، ما كنت أحب أن يؤسر وأن أبقى بعده!

فسمع الحسين عليه السلام قوله: فقال: رحمك الله! أنت في حل من بيعتي، فاعمل في فكاك ابنك! فقال: أكلتني السباع حياً إن فارقتك!!

قال: فاعط ابنك هذه الأثواب البرود يستعين بها في فداء أخيه! فأعطاه خمسة أثواب قيمتها ألف دينار!». (٢)

معالركب الحسيني (ج ٤)، ص: ١٤١

إشارة

في زيارة الناحية المقدسة ورد السلام على بشر بن عمر الحضرمي والثناء عليه بما قاله للإمام الحسين عليه السلام هكذا: «السلام على بشر بن عمر الحضرمي، شكر الله لك قولك للحسين وقد أذن لك في الإنصراف: أكلتني إذن السباع حياً إن فارقتك! وأسأل عنك الركبان؟! وأخذلك مع قلة الأعوان؟! لا يكون هذا أبداً!». (١)

وقال المحقق السماوي (ره): «بشر بن عمرو بن الأحداث الحضرمي الكندي: كان بشر من حضرموت، وعداده في كنده، وكان تابعياً، وله أولاد معروفون بالمغازي، وكان بشر ممن جاء إلى الحسين عليه السلام أيام المهادنة. وقال السيد الداودي: لما كان اليوم العاشر من المحرم ووقع القتال، قيل لبشر وهو في تلك الحال: إن ابنك عمراً قد أسر في ثغر الرى! فقال: عند الله أحسبه ونفسي! ما كنت أحب أن يؤسر وأن أبقى بعده! فسمع الحسين عليه السلام مقالته، فقال له: رحمك الله! أنت في حل من بيعتي، فاذهب واعمل في فكاك ابنك!

فقال له: أكلتني السباع حياً إن أنا فارقتك يا أبا عبد الله!

فقال له: فأعط ابنك محمداً- وكان معه- هذه الأثواب البرود يستعين بها في فكاك أخيه. وأعطاه خمسة أثواب قيمتها ألف دينار!». (٢)

فالمستفاد مما أورده المحقق السماوي (ره): أن هذا الشهيد (رض) إسمه بشر، وإسم ابنه الذي كان معه محمد، وإسم ابنه الأسير في ثغر الرى عمرو.

معالركب الحسيني (ج ٤)، ص: ١٤٢

إذن فإسم هذا الشهيد (رض)- وهو الموافق لما ورد في زيارة الناحية المقدسة- بشر بن عمرو (أو عمر) الحضرمي، وليس اسمه محمد بن بشير الحضرمي كما ورد في تاريخ ابن عساكر واللهوف! هذا أولاً.

أمّا ثانياً: فإن ما أورده المحقق السماوي (ره) صريح في أن هذه الواقعة كانت يوم العاشر وليس ليلة العاشر كما يشعر به سياق كتاب اللهوف!

ويؤيد أن هذه الواقعة كانت يوم العاشر ما ذكره أبوالفرج الأصبهاني في كتابه مقاتل الطالبين مشيراً إلى هذه قصة، حيث يقول: «وجاء رجل حتى دخل عسكر الحسين، فجاء إلى رجل من أصحابه فقال له: إن خبر ابنك فلان وافى أن الديلم أسروه! فتصرف معي حتى نسعي في فدائه؟

فقال: حتى أصنع ماذا؟! عند الله أحسبه ونفسي!

فقال له الحسين عليه السلام: انصرف، وأنت في حل من بيعتي، وأنا أعطيك فداء ابنك!

فقال: هيهات أن أفارقك ثم أسأل الركبان عن خبرك! لا يكن والله هذا أبداً ولا أفارقك!

ثم حمل على القوم فقاتل حتى قُتل رحمه الله عليه ورضوانه.. «١»

ولاندرى .. ففعل العبارة الأخيرة في خبر أبي الفرج الأصبهاني كانت هي مستند القول فيما بعد أن هذه الواقعة كانت يوم العاشر وليس ليلة العاشر، كما قال به الشيخ السماوي (ره) نقلًا عن السيد رضي الدين الداودي، والله العالم.

الإمام عليه السلام يرى أنصاره منازلهم في الجنة! ص : ١٤٢

روى القطب الراوندي (ره) عن أبي حمزة الثمالي (ره) قال: قال علي بن

مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ١٤٣

الحسين عليهما السلام: «كنت مع أبي الليلة التي قُتل صبيحتها، فقال لأصحابه: هذا الليل فاتخذوه جملاً، فإن القوم إنما يريدونني، ولو قتلوني لم يلتفتوا إليكم، وأنتم في حلّ وسعة! فقالوا: لا والله! لا يكون ذلك أبداً!

قال: إنكم تقتلون غداً كذلك لا يفلت منكم رجل! «١»

قالوا: الحمد لله الذي شرفنا بالقتل معك!

ثم دعا، وقال لهم: إرفعوا رؤوسكم وانظروا!

فجعلوا ينظرون إلى مواضعهم ومنازلهم من الجنة! وهو يقول لهم: هذا منزلك يا فلان! وهذا قصرك يا فلان! وهذه درجتك يا فلان!

فكان الرجل يستقبل الرماح والسيوف بصدرة ووجهه ليصل إلى منزله من الجنة!.. «٢»

وروى الشيخ الصدوق (ره) في العلل بسند عن محمد بن عمار أنه سأل الإمام الصادق عليه السلام: «قال: قلت له: أخبرني عن أصحاب الحسين عليه السلام وإقدامهم على الموت؟

فقال: إنهم كُشف لهم الغطاء حتى رأوا منازلهم من الجنة! فكان الرجل منهم يقدم على القتل ليبادر إلى حوراء يعانقها! وإلى مكانه من الجنة!.. «٣»

مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ١٤٤

حبيب بن مظاهر وسرّ المزاح ليلة عاشوراء! ص : ١٤٤

إشارة

نقل الكشي (ره) عن كتاب (مفاخر الكوفة والبصرة) قائلاً:

«ولقد مزح حبيب بن مظاهر الأسدي، فقال له يزيد بن خضير الهمداني، وكان يُقال له سيد القراء: يا أخي! ليس هذه بساعة ضحكك!

قال: فأى موضع أحق من هذا بالسرور!! والله ما هو إلا أن تميل علينا هذه الطغام بسيوفهم فنعانق الحور العين!.. «١»

إشارة ص : ١٤٤

ليس في أنصار الإمام الحسين عليه السلام الذين استشهدوا بين يديه في كربلاء رجل من آل همدان اسمه يزيد بن خضير الهمداني،

بل إن هذا الرجل هو برير بن خضير الهمداني، ويؤكد صحة هذا ما وصفه الخبر بأنه كان سيد القراء، لأن بريراً كان معروفاً بشيخ القراء أو سيد القراء في الكوفة، إذن فزيد تصيحف البرير.

ونقل السيد المقدم (ره) في المقتل «٢» هذه الواقعة عن رجال الكشي أيضاً قائلاً:

«وخرج حبيب بن مظاهر يضحك، فقال له يزيد بن الحسين الهمداني: ما هذه ساعة ضحكك!...».

وقد ورد في زيارة الناحية المقدسة أيضاً: «السلام على يزيد بن حسين الهمداني المشرقى القارى». «٣»

قال المحقق السماوى (ره): «برير: فى ضبط هذا الإسم وضبط إسم أبيه

مع الרכب الحسينى (ج ٤)، ص: ١٤٥

خلاف، فقد كُتب فى الرجال: يزيد بن حسين...». «١»

وقال المحقق التستري: «هَذَا، وقد قلنا فى عنوان برير بن حسين: إن يزيد بن حسين فى نسخة الكشي محرف «برير بن خضير» هذا.

«٢»

أصحاب الإمام الحسين عليه السلام لا يجدون ألم مس الحديد! ص : ١٤٥

روى القطب الراوندى (ره) بسندٍ عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «قال الحسين بن عليّ عليهما السلام لأصحابه قبل أن يُقتل: إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: يا بُنى، إنك ستساق إلى العراق، وهى أرض التقى بها النبيون وأوصياء النبيين، وهى أرض تُدعى (عمورا)، وإنك تستشهدُ بها، ويستشهد معك جماعة من أصحابك، لا يجدون ألم مس الحديد، وتلا: «قلنا يا نار كونى برداً وسلاماً على إبراهيم»، تكون الحرب عليك وعليهم برداً وسلاماً! فأبشروا! فوالله لئن قتلونا فإننا نرد على نبينا...». «٣»

وفى حديث عن الإمام الباقر عليه السلام أن الإمام الحسين عليه السلام قال لأصحابه:

«أبشروا بالجنة! فوالله إننا نمكث ما شاء الله بعدما يجرى علينا، ثم يخرجنا الله وإياكم حتى يظهر قائمنا فينتقم من الظالمين! وأنا وأنتم نشاهدكم فى السلاسل والأغلال وأنواع العذاب! فقيل له: من قائمكم يا ابن رسول الله؟

قال: السابع من ولد إبنى محمد بن عليّ الباقر: وهو الحجّة ابن الحسن بن عليّ

مع الרכب الحسينى (ج ٤)، ص: ١٤٦

بن محمّد بن عليّ بن موسى بن جعفر بن محمد بن عليّ بنى، وهو الذى يغيب مدّة طويلة ثم يظهر ويملا الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً...». «١»

الإمام عليه السلام يأمر بحفر خندق حول معسكره ص : ١٤٦

«ثم إن الحسين عليه السلام أمر بحفيرة فحفرت حول معسكره شبه الخندق، وأمر فحشيت حطباً، وأرسل عليّاً ابنه عليه السلام فى ثلاثين فارساً وعشرين راجلاً ليستقوا الماء، وهم على وجل شديد! «٢» وأنشأ الحسين عليه السلام يقول:

يا دهرُ أف لك من خليل كم لك فى الإشراق والأصيل

من طالب وصاحب قتيلٍ والدهر لا يقنع بالبدل

وإنما الأمر إلى الجليل وكلُّ حىّ سالك سبيلى

ثم قال لأصحابه: قوموا فاشربوا من الماء يكن آخر زادكم وتوضأوا واغتسلوا واغسلوا ثيابكم لتكون أكفانكم!...». «٣»

مع الרכب الحسينى (ج ٤)، ص: ١٤٧

أما الخوارزمي فقد نقل قضية حفر الخندق عن ابن أعثم الكوفي هكذا: «فلما أيس الحسين من القوم، وعلم أنهم مقاتلوه، قال لأصحابه: قوموا فاحفروا لنا حفيرة شبه الخندق حول معسكرنا، وأججوا فيها ناراً حتى يكون قتال هؤلاء القوم من وجه واحد، فإنهم لو قاتلونا وشغلنا بحربهم لضاعت الحرم.

فقاموا من كل ناحية فتعاونوا واحفروا الحفيرة، ثم جمعوا الشوك والحطب فألقوه في الحفيرة وأججوا فيها النار.» (١)

يا دهرُ أف لك من خليل! ص : ١٤٧

قال الشيخ المفيد (ره): «قال علي بن الحسين عليه السلام: إنني جالس في تلك العشيّة التي قُتل أبي في صبيحتها وعندى عمّتي زينب تمرّضني، إذ اعتزل أبي في خباء له وعنده جوين مولى أبي ذر الغفاري، وهو يعالج سيفه ويصلحه، وأبي يقول:

يا دهرُ أف لك من خليلٍ كم لك بالإشراق والأصيل

من صاحبٍ أو طالبٍ قتيلٍ والدهر لا يقنع بالبديل

وإنما الأمر إلى الجليل وكلُّ حيٍّ سالك سبيلي

فأعادها مرتين أو ثلاثاً، حتى فهمتها وعرفت ما أراد، فخنقتني العبرة فرددتها، ولزمت السكوت، وعلمت أن البلاء قد نزل، وأما عمّتي فإنها سمعت ما سمعت، وهي امرأة ومن شأن النساء الرقة والجزع، فلم تملك نفسها إذ وثبت تجرّ ثوبها وإنها لحاسرة حتى انتهت إليه.

فقال: واثكلاه! ليت الموت أعدمني الحياة! اليوم ماتت أمي فاطمة، وأبي علي، وأخي

معالركب الحسيني (ج ٤)، ص: ١٤٨

الحسن عليهم السلام! يا خليفة الماضين وثمان «١» الباقيين!

فنظر إليها الحسين عليه السلام فقال لها: يا أختي لا يذهبن حلمك الشيطان! وترقرقت عيناه بالدموع وقال: لو ترك القطا لنام!

فقال: يا ويلتاه! أفتغتصب نفسك اغتصاباً، فذاك أقرح لقلبي وأشد على نفسي!

ثم لطمت وجهها! وهوت إلى جيبها فشقتة! وخرت مغشياً عليها!

فقام إليها الحسين عليه السلام، فصب على وجهها الماء، وقال لها: إيهاً يا أختاه! إن تقى الله وتعزى بعزاء الله، واعلمي أن أهل الأرض

يموتون، وأهل السماء لا يبقون، وأن كل شيء هالك إلا وجه الله الذي خلق الخلق بقدرته، ويبعث الخلق ويعيدهم، وهو فردّ وحده،

جدى خيرٍ مني، وأبي خيرٍ مني، وأمّي خيرٍ مني، وأخي خيرٍ مني، ولي ولكل مسلم برسول الله صلى الله عليه وآله أسوة!

فعزّاه بهذا ونحوه وقال لها: يا أختي، إنني أقسمت عليك فأبزي قسمي، لا تشقى عليّ جيئاً، ولا تخمشي عليّ وجهاً، ولا تدعي عليّ

بالويل والشور إذا أنا هلكت!

ثم جاء بها حتى أجلسها عنده، ثم خرج إلى أصحابه فأمرهم أن يقرب بعضهم بيوتهم من بعض، وأن يدخلوا الأطناب بعضها في

بعض، وأن يكونوا بين البيوت، فيستقبلون القوم من وجه واحد، والبيوت من ورائهم وعن أيمنهم وعن شمائلهم، قد حفّت بهم إلا

الوجه الذي يأتيهم منه عدوهم، ورجع عليه السلام إلى مكانه، فقام الليل كله يصلي ويستغفر ويدعو ويتضرّع! وقام أصحابه كذلك

يُصلّون ويدعون ويستغفرون.» (٢)

معالركب الحسيني (ج ٤)، ص: ١٥٠

الإمام الحسين عليه السلام يتفقد التلاع والروابي! ص : ١٥٠

«وخرج عليه السلام في جوف الليل إلى خارج الخيام يتفقد التلاع والعقبات، فتبعه نافع بن هلال الجملي، فسأله الحسين عما أخرجه.

قال: يا ابن رسول الله! أفرعني خروجك إلى جهة معسكر هذا الطاغى!

فقال الحسين عليه السلام: إني خرجت أتفقد التلاع والروابي مخافة أن تكون مكمناً لهجوم الخيل يوم تحملون ويحملون!

ثم رجع عليه السلام وهو قابض على يد نافع ويقول: هي هي والله! وعد لا خلف فيه!

ثم قال له: ألا تسلك بين هذين الجبلين في جوف الليل وتنجو بنفسك؟

فوقع نافع على قدميه يُقبلها ويقول: ثكلتني أمي! إن سيفي بألف وفرسى مثله، فوالله الذي من بك علي لا فارقتك حتى يكلا عن فرى

وجرى!

ثم دخل الحسين خيمة زينب، ووقف نافع بإزاء الخيمة ينتظره، فسمع زينب تقول له: هل استعلمت من أصحابك نياتهم؟ فإنني أخشى

أن يُسلموك عند الوثبة!

فقال لها: والله لقد بلوتهم فما وجدت فيهم إلا الأشوس الأقعس «١» يستأنسون بالمتية دوني استيناس الطفل إلى محالب أمه.

قال نافع: فلما سمعت هذا منه بكيت، وأتيت حبيب بن مظاهر وحكيت ما سمعت منه ومن أخته زينب.

قال حبيب: والله، لولا انتظار أمره لعاجلتهم بسيفي هذه الليلة!

قلت: إني خلفته عند أخته، وأظن النساء أفقن وشاركنها في الحسرة! فهل لك

مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ١٥١

أن تجمع أصحابك وتواجهوهن بكلام يطيب قلوبهن!

فقام حبيب ونادى: يا أصحاب الحمية وليوث الكريهة!

فتطالعوا من مضاربهم كالأسود الضارية! فقال لبنى هاشم: إرجعوا إلى مقركم لاسهرت عيونكم! ثم التفت إلى أصحابه وحكى لهم ما

شاهده وسمعه نافع.

فقالوا بأجمعهم: والله الذي من علينا بهذا الموقف، لولا انتظار أمره لعاجلناهم بسيفونا الساعة! فطب نفساً وقراً عيناً!

فجزأهم خيراً، وقال: هلموا معي لنواجه النسوة ونطيب خاطرهن.

فجاء حبيب ومعه أصحابه وصاح: يا معشر حرائر رسول الله! هذه صوارم فتيانكم آلوا ألاً يغمدوها إلاً في رقاب من يريد السوء فيكم!

وهذه أسنة غلمانكم أقسموا ألاً يركزوها إلاً في صدور من يفزق ناديكم!

فخرجن النساء إليهم ببكاء وعويل وقلن: أيها الطيبون! حاموا عن بنات رسول الله وحرائر أمير المؤمنين!

فضج القوم بالبكاء حتى كأن الأرض تميد بهم. «١»

قُل: لا يستوي الخبيث والطيب «٢» ص: ١٥١

وفي رواية للطبري عن الضحّاك ابن عبد الله المشرقي قال: «فلما أمسى حسين وأصحابه قاموا الليل كله يصلّون ويستغفرون ويدعون

ويتضرّعون، قال

مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ١٥٢

فتمرّ بنا خيلٌ لهم تحرسنا، وإنّ حسيناً ليقراً: «ولا يحسبنّ الذين كفروا أنّهم نملى لهم خيراً لأنفسهم، إنّما نملى لهم ليزدادوا إثماً ولهم

عذاب مهين، ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب»، «١» فسمعها رجل من تلك الخيل التي كانت

تحرسنا، فقال: نحن وربّ الكعبة الطيبون! مئزنا منكم!

قال فعرفته، فقلت لبرير بن خضير: تدرى من هذا؟! قال: لا!

قلت: هذا أبو حرب السبيعي، عبد الله بن شهر. وكان مضحاكاً بطّالاً! وكان شريفاً شجاعاً فاتكاً! وكان سعيد بن قيس ربّما حبسه في

جناية.

فقال له برير بن خضير: يا فاسق! أنت يجعلك الله في الطيبين!؟

فقال له: من أنت!؟

قال: أنا برير بن خضير!

قال: إنا لله! عزّ عليّ! هلكت والله هلكت والله يا برير!

قال: يا أبا حرب! هل لك أن تتوب إلى الله من ذنوبك العظام؟ فوالله إنا لنحن الطيبون ولكنكم لأنتم الخبيثون.

قال: وأنا على ذلك من الشاهدين!!

قلت: ويحك! أفلا ينفعك معرفتك!؟

قال: جعلت فداك! فمن يُنادم يزيد بن عذرة العزري من عتري بن وائل!؟ قال:

هاهو ذا معي!

قال: فتبح الله رأيك! على كل حال أنت سفيه!

قال ثم انصرف عنا! وكان الذي يحرسنا بالليل في الخيل عزرة بن قيس الأحمسي وكان على الخيل. «٢»

معالركب الحسيني (ج ٤)، ص: ١٥٣

أنصار جدد ص: ١٥٣

«وبات الحسين عليه السلام وأصحابه تلك الليلة ولهم دويّ كدويّ النحل ما بين راع وساجد وقائم وقاعد، فعبر عليهم في تلك الليلة من عسكر عمر بن سعد إثنان وثلاثون رجلاً! «١» وكذا كانت سجيّة الحسين عليه السلام في كثرة صلاته وكمال صفاته! «٢»

رؤيا حقة! ساعة السحر ص: ١٥٣

«فلما كان وقت السحر خفق الحسين برأسه خفقة، ثم استيقظ فقال: أتعلمون ما رأيت في منامي الساعة؟

قالوا: فما رأيت يا ابن رسول الله؟

قال: رأيت كلاباً قد شدت عليّ (تناشبنى) لتنهشني! وفيها كلب أبقع رأيته كأشدها عليّ! وأظنّ الذي يتولّى قتلي رجلاً أبرص من بين هؤلاء القوم. ثم إنني رأيت بعد ذلك جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله، ومعه جماعة من أصحابه، وهو يقول لي: يا بُنيّ! أنت شهيد آل محمّد، وقد استبشر بك أهل السموات وأهل الصفيح الأعلى! فليكن إفتارك عندي الليلة! عجل يا بُنيّ ولا تتأخر! فهذا ملك نزل من السماء ليأخذ دمك في قارورة خضراء! فهذا ما رأيت، وقد أذف الأمر، واقترب الرحيل من هذه الدنيا. «٣»

معالركب الحسيني (ج ٤)، ص: ١٥٤

الأنصار الملتحقون به عليه السلام في كربلاء حتى ليلة العاشر! ص: ١٥٤

(١) - أنس بن الحارث الكاهلي - الصحابي - (رض) ص: ١٥٤

مرّت بنا ترجمته في وقايح الطريق بين مكة وكربلاء، في وقايح منزل (قصر بني مقاتل) فراجع ترجمته هناك. «١»

وقد ورد السلام عليه في زيارة الناحية المقدّسة: «السلام على أنس بن كاهل الأسدي». «٢»

وقد قال المحقق الشيخ السماوي (ره) في إِبصار العين أنه: «كان جاء إلى الحسين عليه السلام عند نزوله كربلاء، والتقى معه ليلاً فيمن أدركته السعادة!». «٣»

(٢) - جوين بن مالك بن قيس بن ثعلبة التميمي (رض) ص : ١٥٤

«كان جوين نازلاً في بني تيم، فخرج معهم إلى حرب الحسين عليه السلام، وكان من الشيعة، فلما رُدت الشروط على الحسين عليه السلام مال معه فيمن مال، ورحلوا إلى الحسين عليه السلام ليلاً، وقُتل بين يديه، قال السروي: وقتل في الحملة الأولى». «٤»
وقال الزنجاني: «قال المحقق الأسترآبادي في رجاله: جوين بن مالك التميمي .. وقال ابن عساكر في تأريخه: هو جوين بن مالك بن قيس بن ثعلبة التميمي له ذكر في المغازي والحروب». «٥»
معالركب الحسيني (ج ٤)، ص: ١٥٥
وورد السلام عليه في زيارة الناحية المقدسة: «السلام على جوين بن مالك الضبعي». «١»

(٣) - حبيب بن مظاهر (مُظَهَّر) الأسدي الفقعسي - الصحابي - (رض) ص : ١٥٥

«هو حبيب بن مُظَهَّر بن رثاب بن الأشتر بن جخوان بن فقعس بن طريف بن عمرو بن قيس بن الحرث بن ثعلبة بن دودان بن أسد. أبو القاسم الأسدي الفقعسي، كان صحابياً رأى النبي صلى الله عليه وآله، ذكره ابن الكلبي، «٢» وكان ابن عم ربيعة بن حوط بن رثاب المكنى أباثور الشاعر الفارس.
قال أهل السير: إنَّ حبيباً نزل الكوفة، وصحب علياً عليه السلام في حروبه كلها وكان من خاصته وحملة علومه.
وروى الكشي عن فضيل بن الزبير قال: مرَّ ميثم التمار على فرس له، فاستقبله حبيب بن مظاهر الأسدي عند مجلس بني أسد، فتحدثا حتى اختلف عنقا فرسيهما، ثم قال حبيب: لكأني بشيخ أصلع ضخم البطن يبيع البطيخ عند دار الرزق، قد صُلب في حب أهل بيت نبيه، فتبقر بطنه على الخشبة!
فقال ميثم: وإنِّي أعرف رجلاً أحمر له ضفيران، يخرج لنصرة ابن بنت نبيه، فيقتل ويُجال برأسه في الكوفة!
ثم افترقا، فقال أهل المجلس: ما رأينا أكذب من هذين؟!
قال فلم يفترق المجلس حتى أقبل رشيد الهجري فطلبهما، فقالوا: افترقا، وسمعناهما يقولان كذا وكذا! فقال رشيد: رحم الله ميثماً نسي ويُزاد في عطاء

معالركب الحسيني (ج ٤)، ص: ١٥٦

الذي يجيء بالرأس مائة درهم.

ثم أدبر، فقال القوم: هذا والله أكذبهم!

قال فما ذهبت الأيام والليالي حتى رأينا ميثماً مصلوباً على باب عمرو بن حريث!

وجيء برأس حبيب قد قُتل مع الحسين عليه السلام! ورأينا كلما قالوا. «١»

وذكر أهل السير: أنَّ حبيباً كان ممن كاتب الحسين عليه السلام. «٢»

قالوا: ولما ورد مسلم بن عقيل إلى الكوفة ونزل دار المختار، وأخذت الشيعة تختلف إليه، قام فيهم جماعة من الخطباء، تقدّمهم عابس الشاكري، وثناه حبيب فقام وقال لعابس بعد خطبته: رحمك الله، لقد قضيت ما في نفسك بواجز من القول، وأنا والله الذي لا إله إلا

هو لعلى مثل ما أنت عليه! (٣)

قالوا: وجعل حبيب ومسلم (ابن عوسجة) يأخذان البيعة للحسين عليه السلام فى الكوفة، حتى إذا دخل عبيدالله بن زياد الكوفة، وخذّل أهلها عن مسلم، وفرّ أنصاره، حبسهما عشائرها وأخفياهما، فلما ورد الحسين كربلا خرجا إليه مختفين يسيران الليل ويكتمان النهار حتى وصلا إليه!

وروى ابن أبى طالب: أنّ حبيباً لّمّا وصل إلى الحسين عليه السلام ورأى قلّة أنصاره وكثرة محاربيه قال للحسين: إنّ هاهنا حياً من بنى أسد، فلو أذنت لى لسرتُ إليهم ودعوتهم إلى نصرتك، لعلّ الله أن يهديهم ويدفع بهم عنك! فأذن له الحسين عليه السلام، فسار إليهم حتى وافاهم فجلس فى ناديهم ووعظهم، مع الركب الحسينى (ج ٤)، ص: ١٥٧

وقال فى كلامه: يا بنى أسد! قد جئتكم بخير ما أتى به رائد قومه، هذا الحسين بن على أمير المؤمنين، وابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله قد نزل بين ظهرانيكم فى عصابة من المؤمنين، وقد أطافت به أعداؤه ليقتلوه! فأتيتكم لتمنوه وتحفظوا حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله فىه، فوالله لئن نصرتموه ليعطينكم الله شرف الدنيا والآخرة! وقد خصصتكم بهذه المكرمة لأنكم قومي وبنو أبى وأقرب الناس منى رحماً! فقام عبدالله بن بشير الأسدى وقال: شكر الله سعيك يا أبا القاسم، فوالله لجئتنا بمكرمة يستأثر بها المرء الأحبّ فالأحبّ! أمّا أنا فأؤل من أجاب، وأجاب جماعة بنحو جوابه فنهدوا مع حبيب، وانسلّ منهم رجل فأخبر ابن سعد! فأرسل الأزرق فى خمسمائة فارس فعارضهم ليلاً، ومانعهم فلم يمتنعوا فقاتلهم، فلّمّا علموا أن لاطاقه لهم بهم تراجعوا فى ظلام الليل، وتحملوا عن منازلهم، وعاد حبيب إلى الحسين عليه السلام فأخبره بما كان، فقال عليه السلام: وما تشاؤون إلّا أن يشاء الله، ولا حول ولا قوة إلّا بالله. (١)

ومن متابعة هذه الواقعة (دعوة حبيب حتى بنى أسد لنصرة الإمام عليه السلام) فى المصادر التاريخية التى تعرّضت لذكرها يُستفاد أنّ حبيب (رض) كان قد التحق بالإمام عليه السلام فى كربلاء قبل اليوم السادس من المحرم، ويتضح هذا جلياً فى قول الخوارزمى: «والتأمت العساكر عند عمر لستة أيام مضمين من محرم، فلّمّا رأى ذلك حبيب بن مظاهر الأسدى جاء الى الحسين فقال له: يا ابن رسول الله، إنّ هاهنا حياً من بنى أسد قريباً منّا...» (٢)

ولّمّا جاء قرّة بن قيس الحنظلى إلى الإمام عليه السلام رسولاً من ابن سعد، وأبلغه

مع الركب الحسينى (ج ٤)، ص: ١٥٨

رسالة عمر، ثمّ أجابه الإمام عليه السلام، قال له حبيب: ويحك يا قرّة بن قيس أتى ترجع إلى القوم الظالمين؟! أنصر هذا الرجل الذى بآبائه أيدك الله بالكرامة وإيانا معك! فقال له قرّة: أرجع إلى صاحبي بجواب رسالته وأرى رأيى! (١)

وكلم حبيب القوم عصر يوم تاسوعاء قائلاً: «أما والله لبئس القوم عند الله غداً قوم يقدمون عليه قد قتلوا ذرية نبيه عليه السلام وعترته وأهل بيته صلى الله عليه وآله، وعُباد أهل هذا المصر المجتهدين بالأسحار والذاكرين الله كثيراً!». (٢)

ولّمّا ردّ شمر بن ذى الجوشن على إحدى مواعظ الإمام عليه السلام قائلاً: «هو يعبد الله على حرف إن كان يدرى ما تقول! فقال له حبيب بن مظاهر: والله إنى لأراك تعبد الله على سبعين حرفاً! وأنا أشهد أنك صادق ما تدرى ما يقول! قد طبع الله على قلبك!». (٣) وذكر الطبرى وغيره أنّ حبيباً كان على ميسرة الحسين عليه السلام، وزهيراً على الميمنة، (٤) وآنه كان خفيف الإجابة لدعوة المبارز. (٥)

قالوا: ولّمّا صرّع مسلم بن عوسجة مشى إليه الحسين عليه السلام ومعه حبيب، فقال حبيب: عزّ على مصرعك يا مسلم، أبشر بالجنة! فقال له مسلم قولاً ضعيفاً: بشرك الله بخير.

فقال حبيب: لولا أنّى أعلم أنّى فى إثرك لاحق بك من ساعتى هذه لأحببت

مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ١٥٩

أن توصي إليّ بكلّ ما أممك حتى أحفظك في كلّ ذلك بما أنت له أهل من الدين والقراءة.
فقال له: بلي، أوصيك بهذا رحمك الله! - وأوماً بيديه إلى الحسين عليه السلام - أن تموت دونه!
فقال حبيب: أفعل وربّ الكعبة!». «١»

«قالوا: ولما استأذن الحسين عليه السلام لصلاة الظهر وطلب منهم المهلة لأداء الصلاة قال له الحصين بن تميم: إنها لا تقبل منك!
فقال له حبيب: زعمت لا تقبل الصلاة من آل رسول الله صلى الله عليه وآله وتقبل منك يا حمار!
فحمل الحصين وحمل عليه حبيب، فضرب حبيب وجه فرس الحصين بالسيف، فشبّ به الفرس ووقع عنه، فحمله أصحابه واستنقذوه،
وجعل حبيب يحمل فيهم ليختطفه منهم وهو يقول:
أقسم لو كُنّا لكم أعداداً أو شطركم وليتّم أكتادا «٢»
يا شرّ قوم حسباً وآدا

ثمّ قاتل القوم، فأخذ يحمل فيهم ويضرب بسيفه وهو يقول:

أنا حبيبٌ وأبى مُظَهَّر فارس هيجاء وحرب تسعر

أنتم أعدّ عدّة وأكثر ونحن أوفى منكم وأصبر

ونحن أعلى حُجّة وأظهر حقّاً وأتقى منكم وأعذر

ولم يزل يقولها حتى قتل من القوم مقتله عظيمة!». «٣»

مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ١٦٠

وروى أنّ القاسم بن حبيب - وهو يومئذ قد راهق - بصر بقاتل أبيه قد علّق رأس أبيه حبيب في لبان فرسه، «فأقبل مع الفارس لا يفارقه،
كلّما دخل القصر دخل معه، وإذا خرج خرج معه، فارتاب به فقال: مالك يا بُنّي تتبّعني؟! قال:
لا شيء! قال: بلي يا بُنّي فأخبرني؟! قال: إنّ هذا رأس أبي! أفتعطينه حتى أدفنه؟

قال: يا بُنّي لا يرضى الأمير أن يُدفن! وأنا أريد أن يُثبني الأمير على قتله ثواباً حسناً! فقال القاسم: لكنّ الله لا يثيبك على ذلك إلّا أسوأ
الثواب! أم والله لقد قتلته خيراً منك، وبكى ثمّ فارقه، ومكث القاسم حتى إذا أدرك لم تكن له همّة إلّا اتّباع أثر قاتل أبيه ليجد منه
غزّة فيقتله بأبيه، فلمّا كان زمان مصعب ابن الزبير وغزا مصعب باجميرا، «١» دخل عسكر مصعب فإذا قاتل أبيه في فسطاطه! فأقبل
يختلف في طلبه والتماس غزته، فدخل عليه وهو قاتل «٢» نصف النهار فضره بسيفه حتى برد». «٣»

«وقيل: بل قتله رجل يُقال له: بديل بن صيريم، وأخذ رأسه فعلقه في عنق فرسه، فلما دخل الكوفة رآه ابن حبيب بن مظاهر - وهو غلام
غير مراهق - فوثب عليه وقتله، وأخذ رأسه». «٤»

ولمّا قُتل حبيب (رض) هدّد ذلك الحسين عليه السلام وقال: «عند الله أحتسب نفسي وحماء أصحابي». «٥»

مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ١٦١

وفي بعض المقاتل أنه عليه السلام قال: «لله درك يا حبيب! لقد كنت فاضلاً تختم القرآن في ليلة واحدة!». «١»

وورد السلام عليه في زيارة الناحية المقدّسة: «السلام على حبيب بن مظاهر الأسدي». «٢»

(٤) - مسلم بن عوسجة الأسدي - الصحابي - (رض) ص: ١٦١

«هو مسلم بن عوسجة بن سعد بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمه. أبو حجل الأسدي السعدي، كان رجلاً شريفاً سرّياً عابداً متنسكاً.

قال ابن سعد في طبقاته: «٣» وكان صحابياً ممن رأى رسول الله صلى الله عليه وآله، وروى عنه الشعبي، وكان فارساً شجاعاً، له ذكر في المغازي والفتوح الإسلامية.

وقال أهل السير: إنه ممن كاتب الحسين عليه السلام من الكوفة ووفى له، وممن أخذ البيعة له عند مجيء مسلم بن عقيل إلى الكوفة». «٤»

وكان مسلم بن عوسجة (رض) أحد القادة الأربعة الذين عقد لهم مسلم بن عقيل عليه السلام على الأرباع في الكوفة أثناء هجومه على قصر الإمارة، فعقد لابن عوسجة (رض) على ربع مذحج وأسد. «٥»

معالركب الحسيني (ج ٤)، ص: ١٦٢

وقد احتال عبيد الله بن زياد لمعرفة مكان مسلم بن عقيل عليه السلام بحيلة اختراق حركة الثوار من داخلها، «فبعث معقلاً مولاه وأعطاه ثلاثة آلاف درهم، وأمره أن يستدل بها على مسلم، فدخل الجامع وأتى إلى مسلم بن عوسجة فرآه يصلي إلى زاوية، فانتظره حتى انفتل من صلاته، فسلم عليه ثم قال: يا عبدالله، إني امرؤ من أهل الشام مولى لذي الكلاع، وقد من الله عليّ بحب هذا البيت وحب من أحبهم! فهذه ثلاثة آلاف درهم أردت بها لقاء رجل منهم بلغني أنه قدم الكوفة يبايع لابن رسول الله صلى الله عليه وآله فلم يدلني أحد عليه، فأني لجالس آنفاً في المسجد إذ سمعت نفاً يقولون: هذا رجل له علم بأهل هذا البيت! فأتيك لتقبض هذا المال، وتدلني على صاحبك فأبأه! وإن شئت أخذت البيعة له قبل لقاءه! فقال له مسلم بن عوسجة:

أحمد الله على لقاءك إياي فقد سررتني ذلك لتنال ما تحب، ولينصر الله بك أهل بيت نبيه صلى الله عليه وآله، ولقد ساءتني معرفتك إياي بهذا الأمر من قبل أن ينمي مخافة هذا الطاغية وسطوته. ثم إنه أخذ يبعته قبل أن يبرح وحلفه بالأيمان المغلظة ليناصحني وليكتمن، فأعطاه ما رضى، ثم قال له: اختلف إليّ أياماً حتى أطلب لك الإذن، فاختلف إليه ثم اذن له فدخل، ودل عبيد الله على موضعه ..». «١»

«قالوا: ثم إن مسلم بن عوسجة بعد أن قبض على مسلم وهانى وقتلا اختفى مدة، ثم فرّ بأهله إلى الحسين فوافاه بكربلا، وفداه بنفسه». «٢»

معالركب الحسيني (ج ٤)، ص: ١٦٣

وكان مسلم بن عوسجة (رض) قد قاتل يوم عاشوراء قتالاً شديداً لم يُسمع بمثله، فكان يحمل على القوم وسيفه مصلت بيمينه فيقول:

إنّ تسألوا عني فإني ذو لبد وإن بيتي في ذرى بنى أسد

فمن بغاني حائداً عن الرشد وكافرٌ بدين جبار صمد «١»

ولما صُرع (رض) مشى إليه الحسين عليه السلام فإذا به رمق، فقال له الحسين عليه السلام:

«رحمك الله يا مسلم! فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً»، ثم دنا منه، فقال له حبيب بن مظاهر (رض) - ما ذكرناه في ترجمته - فقال له مسلم (رض):

«بلى، أوصيك بهذا رحمك الله - وأوماً بيديه إلى الحسين عليه السلام - أن تموت دونه!». «٢»

ولما فاضت روحه الطاهرة صاحت جارية له: «واسيدها! يا ابن عوسجة! فتباشر أصحاب عمر بذلك، فقال لهم شبت بن ربي: ثكلتكم أمهاتكم! إنما تقتلون أنفسكم بأيديكم، وتدلون أنفسكم لغيركم! أتفرحون أن يقتل مثل مسلم بن عوسجة؟! أما والذي أسلمت له! لربّ موقف له قد رأيته في المسلمين كريم، لقد رأيته يوم سلق آذربايجان قتل سته من المشركين قبل أن تنام خيول المسلمين! أفيقتل منكم مثله وتفرحون؟!». «٣»

وقد ورد السلام عليه في زيارة الناحية المقدسة مع ثناء عاطر: «السلام على مسلم بن عوسجة الأسدي، القاتل للحسين وقد أذن له في الإنصراف: نحن نُخلّي عنك؟!»

وَيَمَّ نَعْتَدُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ أَدَاءِ حَقِّكَ؟ لَا وَاللَّهِ حَتَّى أَكْسِرَ فِي صَدُورِهِمْ رُمْحِي هَذَا، وَأَضْرِبَهُمْ

مع الركب الحسينى (ج ۴)، ص: ۱۶۴

بِسَيْفِي مَا ثَبَتَ قَائِمَةٌ فِي يَدِي، وَلَا أَفَارِقُكَ! وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مَعِيَ سِلَاحٌ أَقَاتَلَهُمْ بِهِ لَقَدَفْتَهُمْ بِالْحِجَارَةِ، وَلَمْ أَفَارِقْكَ حَتَّى أَمُوتَ مَعَكَ!
وَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ شَرَى نَفْسَهُ! وَأَوَّلَ شَهِيدٍ شَهِدَ لِلَّهِ وَقَضَى نَجْبَهُ! فَفَزْتُ وَرَبَّ الْكَعْبَةِ، شَكَرَ اللَّهُ اسْتِقْدَامَكَ وَمَوَاسَاتِكَ إِمَامَكَ، إِذْ مَشَى
إِلَيْكَ وَأَنْتَ صَرِيحٌ، فَقَالَ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ يَا مُسْلِمَ بْنَ عَوْسَجَةَ، وَقَرَأَ: فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَجْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا.
لَعَنَ اللَّهُ الْمُشْتَرِكِينَ فِي قَتْلِكَ: عَبْدَ اللَّهِ الضَّبَابِيُّ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ خُشَكَارَةَ الْبَجَلِيُّ، وَمُسْلِمَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الضَّبَابِيِّ. «(۱)»

(۵) - مسلم أو أسلم بن كثير الأعرج الأزدي - الصحابي - (رض) ص: ۱۶۴

قال المحقق السماوى (ره): «مسلم بن كثير الأعرج الأزدي - أزد شئوؤه - الكوفى: كان تابعياً كوفياً صحب أمير المؤمنين عليه السلام،
وأصيبت رجله في بعض حروبه.

قال أهل السير: إنّه خرج إلى الحسين عليه السلام من الكوفة، فوفاه لادن نزوله في كربلاء. وقال السروى: إنّه قتل في الحملة الأولى.»
«(۲)»

وقال النمازى: «مسلم بن كثير الأعرج: من أصحاب الرسول وأمير المؤمنين صلوات الله عليهما، وتشرف بشهادة الطفّ في الحملة
الأولى.» «(۳)»

وقال الزنجانى: «وقال العسقلانى فى (الإصابة): هو أسلم بن كثير بن قليب الصدقى الأزدي الكوفى، له إدراك مع النبى صلى الله عليه
وآله، وذكره ابن يونس، وقال: شهد فتح مصر فى زمان عمر بن الخطاب.» «(۴)»

مع الركب الحسينى (ج ۴)، ص: ۱۶۵

وقد ورد السلام عليه فى زيارة الناحية المقدسة: «السلام على أسلم بن كثير الأزدي الأعرج.» «(۱)»

(۶) - رافع بن عبدالله مولى مسلم بن كثير (رض) ص: ۱۶۵

قال المحقق السماوى (ره): «كان رافع خرج إلى الحسين عليه السلام مع مولاة مسلم المذكور قبله، وحضر القتال فقتل.» «(۲)»
وقال الزنجانى: «رافع بن عبدالله الأزدي الكوفى: وهو مولى مسلم بن كثير الذى قتل فى الحملة الأولى بعد أن قتل من عساكر ابن
سعد، وقُتل رافع مبارزة بعد صلاة الظهر فى حومة الحرب بعدما قتل من القوم جماعة كثيرة وجرح آخرين، ثم اشتركا فى قتله كثير بن
شهاب التميمى، ومخضر بن أوس الضبيى على قول الذخيرة.» «(۳)» «(۴)»

(۷) - القاسم بن حبيب بن أبى بشر الأزدي (رض) ص: ۱۶۵

قال المحقق السماوى (ره): «كان القاسم فارساً من الشيعة الكوفيين، خرج مع ابن سعد، فلما صار فى كربلا مال إلى الحسين عليه
السلام أيام المهادنة، وما زال معه حتى قتل بين يديه فى الحملة الأولى.» «(۵)»

وقد ورد السلام عليه فى زيارة الناحية المقدسة: «السلام على قاسم بن حبيب الأزدي.» «(۶)»

مع الركب الحسينى (ج ۴)، ص: ۱۶۶

۸- زهير بن سليم الأزدي (رض) ص : ۱۶۶

قال المحقق السماوى (ره): «كان زهير مَمَّن جاء إلى الحسين عليه السلام في الليلة العاشرة عندما رأى تصميم القوم على قتاله، فانضمَّ إلى أصحابه، وقُتل في الحملة الأولى.» (۱)

وقال الزنجاني: «قال العسقلاني في الإصابة: هو زهير بن سليم بن عمرو الأزدي، وقال صاحب الحقائق: كان زهير بن سليم من الذين جاءوا إلى الحسين في الليلة العاشرة عندما رأى تصميم القوم على قتاله، فانضمَّ إلى أصحابه الأزدية الذين كانوا مع الحسين. وقال أبو مخنف: فلما شبَّ القتال وحمل أهل الكوفة على عسكر الحسين عليه السلام تقدّم زهير بن سليم أمام الحسين وقاتل قتال المشتاقين حتى قُتل في الحملة الأولى.» (۲)

وقد ورد السلام عليه في زيارة الناحية المقدسة: «السلام على زهير بن سليم الأزدي.» (۳)

۹- النعمان بن عمرو الأزدي الراسي (رض) ص : ۱۶۶

۱۰- الخُلاس بن عمرو الأزدي الراسي (رض) ص : ۱۶۶

قال المحقق السماوى (ره): «كان النعمان والخُلاس ابنا عمرو الراسيين من أهل الكوفة، وكانا من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، وكان الخُلاس على شرطته بالكوفة.

مع الركب الحسيني (ج ۴)، ص: ۱۶۷
قال صاحب الحقائق: خرج مع عمر بن سعد، فلما ردّ ابن سعد الشروط جاء إلى الحسين ليلاً فيمن جاء، وما زال معه حتى قُتل بين يديه.

وقال السروي: قُتل في الحملة الأولى.» (۱)

ونقل الزنجاني في (وسيلة الدارين) أنهما انضمّا إلى الإمام عليه السلام ليلة الثامن من المحرم، وما زال معه إلى يوم العاشر، فلما شبَّ القتال تقدّم الخُلاس أمام الحسين عليه السلام إلى الجهاد فقتل في الحملة الأولى مع من قُتل من أصحاب الحسين، وقُتل أخوه النعمان أيضاً مبارزة فيما بين الحملة الأولى والظهر في حومة الحرب بعدما عقروا فرسه.» (۲)

۱۱- جابر بن الحجاج مولى عامر بن نهشل التيمي (رض) ص : ۱۶۷

قال المحقق السماوى (رض): «كان جابر فارساً شجاعاً، قال صاحب الحقائق: حضر مع الحسين عليه السلام في كربلاء وقُتل بين يديه، وكان قتله قبل الظهر في الحملة الأولى.» (۳)

ونقل الزنجاني يقول: «قال المامقاني في رجاله إنه من قبيلة تيم، وكان شجاعاً وذا فكر، قال الذهبي في التجريد: هو جابر بن الحجاج بن عبدالله بن رثاب ابن النعمان بن سنان بن عبيد بن عدى، مولى عامر بن نهشل التيمي، من بني تيم الله بن ثعلبة. وقال صاحب الحقائق: كان جابر فارساً شجاعاً كوفياً مَمَّن تابع مسلماً، فلما تخاذل الناس عن مسلم بن عقيل وقُبض عليه اختفى جابر عند قومه، فلما سمع بمجيء الحسين إلى كربلاء خرج من الكوفة مع عمر بن سعد، حتى إذا كان

مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ١٦٨
 له فرصة أيام المهادنة جاء إلى الحسين وسلّم عليه، فبقى عنده إلى يوم الطف، فلما شبّ القتال تقدّم بين يدي الحسين وقاتل حتى قُتل رضوان الله عليه. «١»

(١٢) - مسعود بن الحجاج التيمي - تيم الله بن ثعلبة - (رض) ص : ١٦٨

(١٣) - عبدالرحمن بن مسعود بن الحجاج التيمي (رض) ص : ١٦٨

قال المحقّق السماوي (ره): «كان مسعود وابنه من الشيعة المعروفين، ولمسعود ذكر في المغازي والحروب، وكانا شجاعين مشهورين، خرجا مع ابن سعد حتّى إذا كانت لهما فرصة أيام المهادنة جاءا إلى الحسين عليه السلام يسلمان عليه فبقيا عنده، وقتلا في الحملة الأولى كما ذكره السروي». «٢»
 وقد ورد السلام عليهما في زيارة الناحية المقدّسة: «السلام على مسعود بن الحجاج وإبنة». «٣»

(١٤) - عمر بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة الضبيعي التيمي - الصحابي - (رض) ص : ١٦٨

نقل الزنجاني يقول: «قال المحقّق الأسترآبادي في رجاله: عمرو بن ضبيعة الضبيعي من أصحاب الحسين عليه السلام قُتل معه بالطف، وقال العسقلاني في الإصابة: هو عمرو بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة الضبيعي التيمي، له ذكر في المغازي والحروب، وكان فارساً شجاعاً له إدراك. قال أبو مخنف: حدّثني فضيل بن خديج الكندي أنّ عمرو بن ضبيعة بن قيس كان ممّن خرج مع عمر بن سعد إلى حرب الحسين، فلما ردّوا الشروط على الحسين عليه السلام مال إليه، ثمّ دخل في أنصار مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ١٦٩
 الحسين عليه السلام فيمن دخل، وقاتل بين يديه حتّى قُتل في الحملة الأولى مع من قُتل رضوان الله عليه. «١»
 وقد ورد السلام عليه في زيارة الناحية المقدّسة: «السلام على عمرو بن ضبيعة الضبيعي». «٢»

(١٥) - أمية بن سعد الطائي (رض) ص : ١٦٩

قال المحقّق السماوي (ره): «كان أمية من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام تابعياً نازلاً في الكوفة، سمع بقدم الحسين عليه السلام إلى كربلاء فخرج إليه أيام المهادنة، وقتل بين يديه. قال صاحب الحداثق: قُتل في أوّل الحرب، يعنى في الحملة الأولى». «٣»
 ونقل الزنجاني يقول: «قال العسقلاني في الإصابة: هو أمية بن سعد بن زيد الطائي. قال علماء السير والتراجم: كان أمية بن سعد فارساً شجاعاً تابعياً من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام نازلاً في الكوفة، له ذكر في المغازي والحروب، خصوصاً يوم صفين، فلما سمع بقدم الحسين إلى كربلاء خرج من الكوفة مع من خرج أيام المهادنة حتّى جاء إلى الحسين عليه السلام ليلة الثامن من المحرم...».

١٦- -الضرغامه بن مالك التغلبي (رض) ص : ١٦٩

قال المحقق السماوي (ره): «كان كإسمه ضرغاماً، وكان من الشيعة، وممن بايع مسلماً، فلما خُذل خرج فيمن خرج مع ابن سعد، ومال إلى الحسين عليه السلام مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ١٧٠ فقاتل معه، وقتل بين يديه مبارزة بعد صلاة الظهر، رضى الله عنه...» (١) «وقال أبو مخنف: ثم برز ضرغامه بن مالك وهو يرتجز ويقول: إليك من مالك ضرغام ضرب فتى يحمى عن الكرام يرجو ثواب الله بالتمام سبحانه من مالك علّام ثم حمل على القوم فقاتل قتال الرجل الباسل، وصبر على الخطب الهائل، حتى قتل ستين فارساً سوى من جرح، ثم قُتل رضوان الله عليه...» (٢) وورد السلام عليه في زيارة الناحية المقدسة: «السلام على ضرغامه بن مالك...» (٣)

١٧- -كنانه بن عتيق التغلبي - الصحابي - (رض) ص : ١٧٠

نقل الزنجاني يقول: «قال أبو علي في رجاله: كنانة بن عتيق التغلبي من أصحاب الحسين عليه السلام قُتل معه بكر بلاء. وقال العسقلاني في الإصابه: هو كنانة بن عتيق بن معاوية بن الصامت بن قيس التغلبي، الكوفي شهد أحداً هو وأبوه عتيق - بالثناء المثناة ثم القاف - فارس رسول الله عليه السلام، وقد ذكره ابن منده في تاريخه. وقال العلامة في الخلاصة: كنانة بن عتيق بن معاوية بن الصامت، فارس رسول الله صلى الله عليه وآله. وقال علماء السير وأرباب المقاتل: كان كنانة بن عتيق بطلاً من أبطال الكوفة، وعابداً من عبّادها، وقارئاً من قُرّائها، جاء إلى الحسين عليه السلام من الطفّ أيام المهادنة، وجاهد بين يديه حتى قُتل. وقال صاحب الحدائق عن أحمد بن محمد مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ١٧١ السروي قال: وقتل كنانة بن عتيق في الحملة الأولى مع من قُتل. وقال غيره: قُتل مبارزة فيما بين الحملة الأولى والظهر...» (١) وقد ورد السلام عليه في زيارة الناحية المقدسة: «السلام على كنانة بن عتيق...» (٢)

١٨- -قاسط بن زهير بن الحرث التغلبي (رض) ص : ١٧١

١٩- -كردوس بن زهير بن الحرث التغلبي (رض) ص : ١٧١

٢٠- -مقسط بن زهير بن الحرث التغلبي (رض) ص : ١٧١

قال المحقق السماوي (ره): «كان هؤلاء الثلاثة من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام ومن المجاهدين بين يديه في حروبه، صحبوه أولاً، ثم صحبوا الحسن عليه السلام، ثم بقوا في الكوفة، ولهم ذكر في الحروب، ولاسيما صفين، ولما ورد الحسين عليه السلام كربلا

خرجوا إليه، فجاؤه ليلاً، وقتلوا بين يديه ..» (۳)

ونقل الزنجاني يقول: «قال أبو علي في رجاله: قاسط بن عبدالله بن زهير بن الحارث التغلبي من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام. وقال نصر بن مزاحم المنقري الكوفي في كتاب صفين إن علياً عليه السلام لَمَّا عقد الألوية للقبائل فأعطاها قوماً بأعيانهم جعلهم رؤساءهم وأمرأهم، وجعل على قريش وأسد وكنانة عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب، وعلى كنده حُجر بن عدى الكندي، وعلى بكر البصرة حصين بن المنذر، وعلى تميم البصرة الأحنف بن قيس وقاسط بن عبدالله بن زهير بن معالركب الحسيني (ج ۴)، ص: ۱۷۲

الحرث التغلبي، وعلى حنظلة البصرة أعين بن ضبيع وكردوس بن عبدالله بن زهير التغلبي (۱) ...» (۲) وقد ورد السلام في زيارة الناحية المقدسة على قاسط وأخيه كردوس فقط ولم يُذكر مقسط فيها: «السلام على قاسط وكردوس إبنى زهير التغلبيين». (۳)

(۲۱) - رجل من بنى أسد (رض)! ص: ۱۷۲

روى ابن عساكر، عن العريان بن الهيثم قال: «كان أبي يتبدي فينزل قريباً من الموضع الذي كان فيه معركة الحسين، فكنا لانبدو إلّا وجدنا رجلاً من بنى أسد هناك.

فقال له أبي: أراك ملازماً هذا المكان؟!

قال: بلغني أن حسيناً يُقتل ها هنا! فأنا أخرج إلى هذا المكان لعلّي أصادفه فأقتل معه!!

قال ابن الهيثم: فلما قُتل الحسين قال أبي: إنطلقوا بنا ننظر هل الأسديّ فيمن قُتل مع الحسين؟

فأتينا المعركة وطوّفنا فإذا الأسديّ مقتول!». (۴)

معالركب الحسيني (ج ۴)، ص: ۱۷۳

(۲۲) - حنظلة بن أسعد الشبامي (رض) ص: ۱۷۳

قال المحقق السماوي (ره): «هو حنظلة بن أسعد بن شبام بن عبدالله (۱) بن أسعد بن حاشد بن همدان، الهمداني الشبامي، وبنو شبام بطن من همدان.

كان حنظلة بن أسعد الشبامي وجهاً من وجوه الشيعة، ذا لسان وفصاحة، شجاعاً قارئاً، وكان له ولد يُدعى علياً، له ذكر في التاريخ.

قال أبو مخنف: جاء حنظلة إلى الحسين عليه السلام عندما ورد الطفّ، وكان الحسين عليه السلام يُرسله إلى عمر بن سعد بالمكاتبة أيام الهدنة، فلما كان اليوم العاشر جاء إلى الحسين عليه السلام يطلب منه الإذن، فتقدّم بين يديه وأخذ يُنادي:

«يا قوم إنّي أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم وما الله يريد ظلماً للعباد، ويا قوم إنّي

أخاف عليكم يوم التناد يوم تولّون مدبرين مالكم من الله من عاصم، ومن يُضلل الله فماله من هاد»، (۲)

يا قوم لا تقتلوا حسيناً «فيسحتكم الله بعذاب وقد خاب من أفترى» (۳).

فقال الحسين عليه السلام: يا ابن أسعد! إنهم قد استوجبوا العذاب حين ردّوا عليك ما دعوتهم

معالركب الحسيني (ج ۴)، ص: ۱۷۴

إليه من الحقّ، ونهضوا إليك ليستيحوك وأصحابك!! فكيف بهم الآن وقد قتلوا إخوانك الصالحين؟!

قال: صدقت، جعلتُ فداك! أفلا نروح إلى ربنا ونلحق بإخواننا؟

قال: رُحْ إلى خيرٍ من الدنيا وما فيها، إلى ملكك لا يبلى!

فقال حنظلة: السلام عليك يا أبا عبد الله، صلى الله عليك وعلى أهل بيتك، وعزف بينك وبيننا في جنته!

فقال الحسين عليه السلام: آمين آمين!

ثم تقدم إلى القوم مصلاً سيفه يضرب فيهم قُدماً! حتى تعطفوا عليه فقلته في حومة الحرب رضوان الله عليه. «١»

ونقل الزنجاني يقول: «وقال أبو مخنف: حدثني سليمان بن أبي راشد، عن حميد بن مسلم قال: جاء حنظلة بن أسعد الشبامي إلى الحسين عند نزوله كربلاء، وكان الحسين يُرسله إلى عمر بن سعد للمكالمة أيام المهادنة، فلما صار يوم العاشر ورأى أصحاب الحسين قد أصيبوا كلهم، ولم يبق معه غير سويد بن عمرو بن المطاع الخنعمي، وبشر بن عمرو الحضرمي، جاء حنظلة فوقف بين يدي الحسين يقيه السهام والرماح والسيوف بوجهه ونحره، ويطلب منه الإذن، وأخذ ينادى...». «٢»

وقد ورد السلام عليه في زيارة الناحية المقدسة: «السلام على حنظلة بن أسعد الشبامي...». «٣»

معالركب الحسيني (ج ٤)، ص: ١٧٥

٢٣- سيف بن الحرث بن سريع بن جابر الهمداني الجابري (رض) ص: ١٧٥

٢٤- مالك بن عبد الله بن سريع بن جابر الهمداني الجابري (رض) ص: ١٧٥

قال المحقق السماوي (ره): «وبنو جابر بطن من همدان، كان سيف ومالك الجابريان ابني عم وأخوين لأم، جاء إلى الحسين عليه السلام ومعهما شبيب مولاهما فدخلوا في عسكره وانضموا إليه.

قالوا: فلما رأيا الحسين عليه السلام في اليوم العاشر بتلك الحال، جاء إليه وهما يبكيان، فقال لهما الحسين عليه السلام: أي ابني أخوي ما يبكيكما؟ فوالله إنني لأرجو أن تكونا بعد ساعة قريري العين!

فقالا: جعلنا الله فداك! لا والله ما على أنفسنا بكى، ولكن بكى عليك! نراك قد أحيط بك ولانقدر على أن نمنعك بأكثر من أنفسنا!

فقال الحسين عليه السلام: جزاكما الله يا ابني أخوي عن وجدكما من ذلك ومواساتكما إيتاي أحسن جزاء المتقين!

قال أبو مخنف: فهما في ذلك إذ تقدم حنظلة بن أسعد يعظ القوم، فوعظ وقاتل فقتل - كما تقدم - فاستقدا يتسابقان إلى القوم ويلتفتان إلى الحسين عليه السلام فيقولان: السلام عليك يا ابن رسول الله!

ويقول الحسين عليه السلام: وعليكما السلام ورحمة الله وبركاته!

ثم جعلا يقاتلان جميعاً، وإن أحدهما ليحمي ظهر صاحبه «١» حتى قتلا...». «٢»

معالركب الحسيني (ج ٤)، ص: ١٧٦

وقد ورد السلام عليهما في زيارة الناحية المقدسة: «السلام على شبيب بن الحرث بن سريع، السلام على مالك بن عبد الله بن سريع...».

«١»

٢٥- شبيب مولى الحرث بن سريع الهمداني الجابري (رض) ص: ١٧٦

قال المحقق السماوي: «كان شبيب بطلاً شجاعاً جاء مع سيف ومالك إبنى سريع. قال ابن شهر آشوب: قُتل في الحملة الأولى التي قُتل فيها جملة من أصحاب الحسين، وذلك قبل الظهر في اليوم العاشر..» (٢)

ونقل الزنجاني تحت عنوان (شبيب بن عبدالله مولى الحرث بن سريع الكوفي) يقول: «... قال العسقلاني في الإصابة هو شبيب بن عبدالله بن مشكل بن حي بن جديه (بفتح الجيم وسكون الدال بعدها ياء تحتانية)، مولى الحرث بن سريع الهمداني الجابري، وبنو جابر بطن من همدان، وقال ابن الكلبي: (٣) شبيب بن عبدالله كان صحابياً أدرك صحبة رسول الله وشهد مع علي بن أبي طالب عليه السلام مشاهدته كلها وعداده من الكوفيين، وكان شبيب هذا بطلاً شجاعاً جاء مع سيف بن الحارث ومالك بن عبدالله بن سريع...» (٤)

وقد ورد السلام في زيارة الناحية المقدسة على من إسمه شبيب في موضعين: الأول: «السلام على شبيب بن عبدالله النهشلي»، (٥) وهذا من شهداء الطف

مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ١٧٧

أيضاً ولكنه غير المقصود. والثاني: «السلام على شبيب بن الحارث بن سريع»، والظاهر أن شبيب هنا تصحيف لسيف. (١)

٢٦- عمّار بن أبي سلامة الدالاني - الصحابي - (رض) ص: ١٧٧

قال المحقق السماوي (ره): «هو عمّار بن أبي سلامة بن عبدالله بن عمران بن راس بن دالان، أبو سلامة الدالاني، وبنو دالان بطن من همدان.

كان أبو سلامة عمّار صحابياً له رؤية كما ذكره الكلبي وابن حجر (٢) وقال أبو جعفر الطبري: وكان من أصحاب علي عليه السلام ومن المجاهدين بين يديه في حروبه الثلاث، وهو الذي سأل أمير المؤمنين عليه السلام عندما سار من ذي قار إلى البصرة فقال: يا أمير المؤمنين إذا قدمت عليهم فماذا تصنع؟

فقال: أدعوهم إلى الله وطاعته، فإن أبوا قاتلتهم.

فقال أبو سلامة: إذن لن يغلبوا داعي الله - في كلام له -

وقال ابن حجر في الإصابة: إنه أتى إلى الحسين عليه السلام في الطف وقُتل معه، (٣) وذكر صاحب الحقائق، والسروي: أنه قُتل في الحملة الأولى حيث قُتل جملة من أصحاب الحسين عليه السلام..» (٤)

وروى البلاذري قائلاً: «وهم عمّار بن أبي سلامة الدالاني أن يفتكك بعبيد الله

مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ١٧٨

بن زياد في عسكره بالنخيلة، فلم يمكنه ذلك، فلطف حتى لحق بالحسين فقتل معه..» (١)

وفي طريقه إلى كربلاء كان عمّار (رض) قد أصطدم بمسلحة كبيرة من مسالح ابن زياد التي حاصرت الطريق إلى كربلاء، ينقل المحقق السيد المقرّم (ره) عن كتاب الإكليل للهمداني قائلاً: «وجعل عبيد الله بن زياد زجر بن قيس الجعفي على مسلحة في خمسمائة فارس! وأمره أن يُقيم بجسر الصراء، يمنع من يخرج من الكوفة يريد الحسين عليه السلام، فمرّ به عامر بن أبي سلامة بن عبدالله بن عرار الدالاني، فقال له زجر: قد عرفت حيث تريد، فارجع!

فحمل عليه وعلى أصحابه فهزمهم ومضى، وليس أحد منهم يطمع في الدنو منه! فوصل كربلاء، ولحق بالحسين عليه السلام حتى قُتل معه، وكان قد شهد المشاهد مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام..» (٢)

وقد ورد السلام عليه في زيارة الناحية المقدسة: «السلام على عمّار بن أبي سلامة الهمداني..» (٣)

(٢٧) - حبشي بن قيس النهمي (رض) ص : ١٧٨

قال المحقق السماوي (ره): «هو حبشي بن قيس بن سلمة بن طريف بن أبان بن سلمة بن حارثة، الهمداني النهمي، وبنو نهم بطن من همدان.

كان سلمة صحابياً ذكره جماعة من أهل الطبقات، وإبنة قيس له إدراك ورؤية، مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ١٧٩

وابن قيس حبشي ممن حضر الطف وجاء الى الحسين فيمن جاء أيام الهدنة. قال ابن حجر: وقتل مع الحسين عليه السلام. «١». «٢».

(٢٨) - زياد بن عريب الهمداني الصائدي، أبو عمرة (رض) ص : ١٧٩

قال المحقق السماوي (ره): «هو زياد بن عريب بن حنظلة بن دارم بن عبدالله بن كعب الصائدي بن شرحبيل بن ... بن همدان، أبو عمرة الهمداني، كان عريب صحابياً ذكره جملة من أهل الطبقات، وأبو عمرة ولده هذا له إدراك، وكان شجاعاً ناسكاً معروفاً بالعبادة، قال صاحب الإصابة: إنه حضر وقتل مع الحسين عليه السلام.

وروى الشيخ (ابن نما) عن مهران الكاهلي مولى لهم - أي مولى لبني كاهل - قال: شهدت كربلاء مع الحسين عليه السلام فرأيت رجلاً يُقاتل قتالاً شديداً، لا يحمل على قوم إلا كشفهم! ثم يرجع إلى الحسين عليه السلام فيقول له: أبشر هديت الرشديا ابن أحمد في جنة الفردوس تعلق صعدا فقلت: من هذا؟ قالوا: أبو عمرة الحنظلي.

فاعترضه عامر بن نهشل أحد بني اللات بن ثعلبة فقتله واحتز رأسه. قال وكان متهجداً. «٣» مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ١٨٠

(٢٩) - سوار بن منعم بن حابس بن أبي عمير بن نهم الهمداني النهمي (رض) ص : ١٨٠

قال المحقق السماوي (ره): «كان سوار ممن أتى إلى الحسين عليه السلام أيام الهدنة، وقاتل في الحملة الأولى فُجرح وصُرع. قال في الحدائق الوردية: قاتل سوار حتى إذا صُرع أتى به أسيراً إلى عمر بن سعد فأراد قتله، فشفع فيه قومه، وبقي عندهم جريحاً حتى توفي على رأس ستة أشهر.

وقال بعض المؤرخين: إنه بقي أسيراً حتى توفي، وإنما كانت شفاعته قومه للدفع عن قتله، ويشهد له ما ذكر في القائميات من قوله عليه السلام: «السلام على الجريح المأسور سوار بن أبي عمير النهمي»، «١» على أنه يمكن حمل العبارة على أسره في أول الأمر. «٢»

(٣٠) - عمرو بن عبدالله الجندعي (رض) ص : ١٨٠

قال المحقق السماوي (ره): «وبنو جندع بطن من همدان، كان عمرو الجندعي ممن أتى إلى الحسين عليه السلام أيام المهادنة في الطف، وبقي معه.

قال فى الحدائق: إنه قاتل مع الحسين عليه السلام فوق صريعاً مرتباً بالجراحات، قد وقعت ضربة على رأسه بلغت منه، فاحتمله قومه، وبقى مريضاً من الضربة صريع فراش سنة كاملة، ثم توفى على رأس السنة، رضى الله عنه، ويشهد له ما ذكر فى مع الركب الحسينى (ج ۴)، ص: ۱۸۱ القائميات من قوله عليه السلام: «السلام على الجريح المرتب عمرو الجندعى (۱)» . «(۲)»

(۳) - عمرو بن قرظة الأنصارى (رض) ص : ۱۸۱

قال المحقق السماوى (ره): «هو عمرو بن قرظة بن كعب بن عمرو بن عائذ ابن زيد مناة بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج، الأنصارى الخزرجى الكوفى».

كان قرظة من الصحابة الرواة، وكان من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام نزل الكوفة، وحارب مع أمير المؤمنين عليه السلام فى حروبه، وولاه فارس، وتوفى سنة إحدى وخمسين، وهو أول من نيح عليه بالكوفة، وخلف أولاداً أشهرهم عمرو، وعليّ. أما عمرو فجاء إلى أبى عبد الله الحسين عليه السلام أيام المهادنة فى نزوله بكر بلا قبل الممانعة، وكان الحسين عليه السلام يُرسله إلى عمر بن سعد فى المكالمة التى دارت بينهما قبل إرسال شمر بن ذى الجوشن فىأتيه بالجواب، حتى كان القطع بينهما بوصول شمر. فلما كان اليوم العاشر من المحرم استأذن الحسين عليه السلام فى القتال، ثم برز وهو يقول:

قد علمت كتائب الأنصار إننى سأحمى حوزة الذمار

فعل غلام غير نكس، شار دون حسين مهجتى ودارى

قال الشيخ ابن نما: عرض بقوله (دون حسين مهجتى ودارى) بعمر بن سعد فإنه لما قال له الحسين عليه السلام: صر معى! قال: أخاف على دارى!

مع الركب الحسينى (ج ۴)، ص: ۱۸۲

فقال الحسين عليه السلام له: أنا أعوضك عنها. قال: أخاف على مالى!

فقال له: أنا أعوضك عنه من مالى بالحجاز. فتكره! إنتهى كلامه. «(۱)»

ثم إنه قاتل ساعة ورجع للحسين عليه السلام فوقف دونه ليقية من العدو! قال الشيخ ابن نما: فجعل يتلقى السهام بجهته وصدده فلم يصل إلى الحسين عليه السلام سوء حتى أثنى بالجراح! فالتفت إلى الحسين عليه السلام فقال: أوفيت يا ابن رسول الله؟ قال: نعم! أنت أمامى فى الجنة! فأقرأ رسول الله صلى الله عليه وآله السلام وأعلمه أنى فى الأثر! فخرّ قتيلاً رضوان الله عليه. «(۲)»

وأما عليّ فخرج مع عمر بن سعد! فلما قُتل أخوه عمرو برز من الصف ونادى: يا حسين يا كذاب أغررت أخى وقتلته؟ فقال له الحسين عليه السلام: إنى لم أغرّ أخاك ولكن هداه الله وأصلك! فقال عليّ: قتلنى الله إن لم أقتلك أو أموت دونك! ثم حمل على الحسين عليه السلام، فاعترضه نافع بن هلال فطعنه حتى صرعه، فحمل أصحابه عليه واستنقذوه، فدوى بعد فبرىء. ولعلّى هذا دون أخيه الشهيد ترجمه فى كتب القوم ورواية عنه ومدح فيه! «(۳)»

وقد ورد السلام على عمرو بن قرظة فى زيارة الناحية المقدسة: «السلام على عمرو بن قرظة الأنصارى». «(۴)»

مع الركب الحسينى (ج ۴)، ص: ۱۸۳

(۳۲) – عبدالله بن بشر الخثعمي (رض) ص : ۱۸۳

قال المحقق السماوي (ره): «هو عبدالله بن بشر بن ربيعة بن عمرو بن منارة بن قميير بن عامر بن رائسة بن مالك بن واهب بن جليحة بن كلب بن ربيعة بن عفرس بن خلف بن اقبل بن انمار، الأنماري الخثعمي. كان عبدالله بن بشر الخثعمي من مشاهير الكماء، الحماة للحقائ، وله ولأبيه ذكر في المغازي والحروب. قال ابن الكلبي: بشر بن ربيعة الخثعمي هو صاحب الخطبة بالكوفة التي يقال لها: جبانة بشر. وهو القائل يوم القادسية: أنخت بياب القادسية ناقتي وسعد بن وقاص علي أمير وكان ولده عبدالله ممن خرج مع عسكر ابن سعد، ثم صار إلى الحسين عليه السلام فيمن صار إليه أيام المهادنة. قال صاحب الحدائق وغيره: إن عبدالله بن بشر قتل في الحملة الأولى قبل الظهر». «۱»

(۳۳) – الحارث بن امرء القيس الكندي (رض) ص : ۱۸۳

نقل الزنجاني يقول: «قال في الإصابة: هو حارث بن امرء القيس بن عابس بن المنذر بن امرء القيس بن عمرو بن معاوية الأكرمين الكندي ... قال صاحب الحدائق: كان الحرث ممن خرج مع عسكر عمر بن سعد حتى أتى كربلاء، فلما ردوا الشروط على الحسين مال إلى الحسين، وجاء إليه فسلم وانضم إلى أصحابه الكنديين - وهم أربعة أشخاص كما ذكرنا بعضهم - وما زال مع الحسين عليه السلام، فلما شب القتال تقدم أمام الحسين مع من تقدم، وقتل في الحملة الأولى رضوان الله عليه». «۲» مع الريب الحسيني (ج ۴)، ص : ۱۸۴ «كان الحارث من الشجعان العبادة، وله ذكر في المغازي ..». «۱»

(۳۴) – بشر بن عمرو بن الأحداث الحضرمي الكندي (رض) ص : ۱۸۴

مرت بنا ترجمته (رض) في وقائع ليلة عاشوراء، فراجعها هناك تحت عنوان (الحضرمي: أكلتني السباع حياً إن فارتكك!) مع الإشارة المرتبطة بهذا العنوان. وقد ورد السلام عليه في زيارة الناحية المقدسة: «السلام على بشر بن عمر الحضرمي، شكر الله لك قولك للحسين وقد أذن لك في الإنصراف: أكلتني إذن السباع حياً إذا فارتكك! وأسأل عنك الركبان!؟ وأخذلك مع قلة الأعوان!؟ لا يكون هذا أبداً!». «۲»

(۳۵) – عبدالله بن عروة بن حراق الغفاري (رض) ص : ۱۸۴

(۳۶) – عبدالرحمن بن عروة بن حراق الغفاري (رض) ص : ۱۸۴

قال المحقق السماوي (ره): «كان عبدالله وعبدالرحمن الغفاريان من أشرف الكوفة ومن شجعانهم وذوي الموالاة منهم، وكان جدّهما حراق من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام وممن حارب معه في حروبه الثلاث. وجاء عبدالله وعبدالرحمن إلى الحسين عليه السلام بالطف.

وقال أبو مخنف: لما رأى أصحاب الحسين أنهم قد كثروا، وأنهم لا يقدرن على أن يمنعوا الحسين ولا أنفسهم، تنافسوا في أن يقتلوا بين يديه، فجاءه عبدالله وعبدالرحمن ابنا عروة الغفاريان فقالا: يا أبا عبدالله السلام عليك! حازنا العدو إليك فأحبينا أن نُقتل بين يديك، نمنعك وندفع عنك! فقال: مرحباً بكما! أدنوا مني.

مع الרכب الحسيني (ج ۴)، ص: ۱۸۵

فدنوا منه، فجعلوا يقاتلان قريباً منه، وإن أحدهما ليرتجز ويتّم له الآخر، فيقولان:

قد علمتُ حقاً بنو غفار وخندف بعد بني نزار

لنضرينّ معشر الفجار بكلّ غضب صارم بتار

يا قوم ذودوا عن بني الأطهار بالمشرفي والقنا الخطار

فلم يزالا يقاتلان حتى قُتلا.

وقال السروي: إنَّ عبدالله قُتل في الحملة الأولى، وعبدالرحمن قُتل مبارزة.

وقال غيره: إنهما قُتلا مبارزة. وهو الظاهر من المراجعة. «۱»

وقد ورد السلام عليهما في زيارة الناحية المقدسة: «السلام على عبدالله وعبدالرحمن ابني عروة بن حرق الغفاريين». «۲»

۳۷- عبدالله بن عمير الكلبى (رض) ص: ۱۸۵

قال المحقق السماوى (ره): «هو عبدالله بن عمير بن عباس بن عبدقيس بن عُليم بن جناب، الكلبى العليمى، أبو وهب.

كان عبدالله بن عمير بطلاً شجاعاً شريفاً، نزل الكوفة واتخذ عند بئر الجعد من همدان داراً، فنزلها ومعه زوجته أمّ وهب بنت عبد من بنى النمر بن قاسط.

قال أبو مخنف: فرأى القوم بالنخيلة يُعرضون ليسرحوا إلى الحسين عليه السلام، فسأل عنهم، فقيل له: يُسرحون إلى الحسين بن فاطمة بنت رسول الله!

فقال: والله، لقد كنت على جهاد أهل الشرك حريصاً، وإني لأرجو ألا يكون

مع الרכب الحسيني (ج ۴)، ص: ۱۸۶

جهاد هؤلاء الذين يغزون ابن بنت نبيهم أيسر ثواباً عند الله من ثوابه إياي في جهاد المشركين!

فدخل إلى امرأته فأخبرها بما سمع، وأعلمها بما يريد، فقالت له: أصبت أصاب الله بك أرشد أمورك، إفعل وأخرجني معك!

قال: فخرج بها ليلاً حتى أتى حُسناً فأقام معه.

فلما دنا عمر بن سعد ورمى بسهم فارتدى الناس، خرج يسار مولى زياد، وسالم مولى عبيدالله، فقالا: من يبارز؟ ليخرج إلينا بعضكم!

فوثب حبيب وبرير، فقال لهما الحسين: أجلسا!

فقام عبدالله بن عمير فقال: أبا عبدالله! رحمتك الله إنذن لى لأخرج إليهما! فرأى الحسين رجلاً آدم، طوالاً، شديد الساعدين، بعيد ما

بين المنكبين!

فقال الحسين: إني لأحسبه للأقران قتالاً! أخرج إن شئت.

فخرج إليهما، فقالا له: من أنت؟! فانتسب لهما فقالا: لانعرفك، ليخرج إلينا زهيرٌ أو حبيب أو برير!

ويسارٌ مستتبل أمام سالم، فقال له عبدالله: يا ابن الزانية! وبك رغبة عن مبارزة أحدٍ من الناس؟! أو يخرج إليك أحدٌ من الناس إلّا

وهو خير منك!

ثم شد عليه فضربه بسيفه حتى برد، فإنه لمشتغل يضربه بسيفه إذ شد عليه سالم، فصاح به أصحابه: قد رهقك العبد. فلم يابه له حتى غشيه فبدره بضربة فاتقاها عبدالله بيده اليسرى فأطار أصابع كفه اليسرى، ثم مال عليه فضربه حتى قتله، وأقبل إلى الحسين عليه السلام يرتجز أمامه وقد قتلها جميعاً فيقول:

إن تُكروني فأنا ابن كلب حسبي بيتي في عليم حسبي

مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ١٨٧

إنى امرؤ ذو مژه وعصبٍ ولستُ بالخوار عند النكب

إنى زعيمٌ لك أم وهبٍ بالطعن فيهم مقدماً والضرب

قال: فأخذت أم وهب إمرأته عموداً، ثم أقبلت نحو زوجها تقول: فداك أبي وأمي! قاتل دون الطيبين ذريته محمد صلى الله عليه وآله. فأقبل إليها يردها نحو النساء، فأخذت تجاذب ثوبه وتقول: إنى لن أدعك دون أن أموت معك. (وإن يمينه سدكت على السيف ويساره مقطوعة أصابعها فلا يستطيع رد إمرأته)، فجاء إليها الحسين عليه السلام وقال: جزيتم من أهل بيت خيراً! إرجعي رحمك الله إلى النساء فاجلسي معهن فإنه ليس على النساء قتال. فانصرفت إليهن.. وقاتل الكلبى وكان فى الميسرة قتال ذى لبد! وقتل من القوم رجالاً، فحمل عليه هانى بن ثبيت الحضرمي، وبكير بن حى التيمى - من تيم الله بن ثعلبة - فقتلاه... وانجلت الغبرة فخرجت إمرأة الكلبى تمشى إلى زوجها حتى جلست عند رأسه تمسح التراب عنه وتقول: هنيئاً لك الجنة! أسأل الله الذى رزقك الجنة أن يصحبنى معك!

فقال شمر لغلामه رستم: إضرب رأسها بالعمود!

فضرب رأسها فشدخه فماتت مكانها.. «١»

وقد ورد السلام عليه فى زيارة الناحية المقدسة: «السلام على عبدالله بن عمير الكلبى». «٢»

٣٨ - سالم بن عمرو مولى بنى المدينة الكلبى (رض) ص : ١٨٧

قال المحقق السماوى (ره): «كان سالم مولى لبنى المدينة، وهم بطن من

مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ١٨٨

كلب، كوفياً من الشيعة، خرج إلى الحسين عليه السلام أيام المهادنة، فانضم إلى أصحابه.

قال فى الحدائق: وما زال معه حتى قُتل.

وقال السروى: قُتل فى أول حملة مع من قُتل من أصحاب الحسين عليه السلام وله فى القائميات ذكر وسلام.. «١»

ونقل الزنجانى قائلاً: «وقال فى الذخيرة ص ٢٤٢: وقال أهل السير: كان سالم فارساً شجاعاً خرج مع مسلم بن عقيل أولاً، ولما تخاذل الناس عن مسلم قبض عليه كثير بن شهاب التميمي مع جماعة من الشيعة، فأراد تسليمه إلى عبيدالله بن زياد مع أصحابه الذين كانوا معه، فأفلت واختفى عند قومه، فلما سمع نزول الحسين بن على إلى كربلاء خرج إليه أيام المهادنة فانضم إلى أصحابه الذين كانوا مع الحسين من الكلبيين...» «٢»

وقد ورد السلام عليه فى زيارة الناحية المقدسة: «السلام على سالم مولى بنى المدينة الكلبى». «٣»

مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ١٩١

الفصل الثالث: كربلاء يوم العاشر من المحرم سنة ٦١ هـ ق ص : ١٩١

أنصار الامام الحسين عليه السلام ص : ١٩١

قبل الحديث حول أنصار الإمام الحسين عليه السلام، في عددهم، وأسمائهم، وأنسابهم، وكل ما يتعلّق بهم، لا بدّ من الحديث- ولو على نحو الإشارة- في علو منزلتهم، وسمو مقامهم، وخصوصية تلك المنزلة وذلك المقام.

وحيث يعجز البيان، وتقصّر قدرة العارف البليغ عن بلوغ الغاية في وصف هذه النخبة المصطفاه التي اختارها الله تبارك وتعالى لتكون رمز الإنسانية (لنصرة الحق) على مَرّ الدهور وإلى قيام الساعة، كان لا بدّ من الرجوع في وصف هؤلاء الأنصار الكرام إلى سادة البيان ومعدن العلم والحكمة، أهل البيت عليهم السلام، إذ هم خير وأقدر من يستطيع القيام بمهمّة تعريف البشرية بهذه الكوكبة الفدّة الفريدة من أنصار الحق، ولعلّ أوّل وأولى وصف لهم بلغ الغاية في تعريفهم، هو ما وصفهم به الإمام الحسين عليه السلام نفسه، حين جمع أصحابه عند قرب مساء ليلة عاشوراء ليلقى إليهم يا حدى كلماته الخالدة- يقول الإمام زين العابدين عليّ بن الحسين عليه السلام في نقله تفاصيل هذه الواقعة:-

«فدنوت لأسمع ما يقول لهم، وأنا إذ ذاك مريض، فسمعتُ أبي يقول لأصحابه:

أثنى على الله أحسن الثناء، وأحمده على السراء والضراء، أَللّهمّ إنّي أحمدك على أن أكرمتنا بالنبوة، وعلمتنا القرآن، وفقهتنا في الدين، وجعلت لنا

مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ١٩٢

أسماعاً وأبصاراً وأفئدة، فاجعلنا من الشاكرين.

أما بعد: فإنّي لا أعلم أصحاباً أوفى ولا خيراً من أصحابي، ولا أهل بيت أبرّ ولا أوصل من أهل بيتي، فجزاكم الله عنّي خيراً...» (١)

وهذا القول على إطلاقه «لا أعلم أصحاباً أوفى ولا خيراً من أصحابي، ولا أهل بيت أبرّ ولا أوصل من أهل بيتي» صادر عن الإمام المعصوم الذي وهبه الله علم ما كان وما يكون إلى قيام الساعة، «٢» مفاد هذا النصّ الشريف إذن هو أنّ أنصار الإمام الحسين عليه السلام من أهل بيته وصحبه الكرام على مرتبة من الشرف والسمو ورفعة المقام بحيث لم يسبقهم إليها سابق ولا يلحق بهم لاحق.

ويؤكّد هذا المفاد ما ورد عن الإمام الباقر عليه السلام فيما رواه عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، حيث قال:

«خرج عليّ يسير بالنّاس، حتّى إذا كان بكربلاء على ميلين أو ميل تقدّم بين أيديهم حتّى طاف بمكان يُقال لها المقذفان، فقال: قُتل فيها مائتا نبيّ ومائتا سبط كلّهم شهداء، ومناخ ركاب ومصارع عشاق شهداء، لا يسبقهم من

مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ١٩٣

كان قبلهم، ولا يلحقهم من بعدهم.» (١)

فشهداء الطّف إذن أعلى مقاماً وأشرف رتبة حتّى من شهداء بدر.» (٢)

مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ١٩٤

ولسمو منزلتهم كان رسول الله صلى الله عليه وآله قد حفر لهم قبورهم! فقد ورد في الحديث الشريف الذي رواه شيخ الطائفة بسنده عن غياث بن إبراهيم، عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«أصبحت يوماً أمّ سلمة تبكي، فقيل لها: ممّ بكائك؟ قالت: لقد قُتل ابني الحسين الليلة، (١) وذلك أنّي ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله منذ مضى إلا الليلة، فرأيت شاحباً كثيراً، فقالت: قلت: مالي أراك يا رسول الله شاحباً كثيراً؟

قال: ما زلت الليلة أحفر القبور للحسين وأصحابه عليه السلام.» (٢)

و من خصائص شهداء الطّف عليهم السلام أنّهم كُشف لهم الغطاء فرأوا جزاء ثباتهم وشجاعتهم وإصرارهم على التضحية مع ابن رسول الله صلى الله عليه وآله، حيث رأوا منازلهم في الجنة- وذلك بعد سلسلة الإمتحانات التي امتحنهم الإمام عليه السلام بها-

فكانوا أهلاً لهذا الكشف المبين وأحقَّ به، فقد روى عن جعفر بن محمد بن عماره، عن أبيه، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قلت له: أخبرني عن أصحاب الحسين عليه السلام وإقدامهم على الموت! فقال عليه السلام: «إنَّهم كُشف لهم الغطاء حتَّى رأوا منازلهم من الجنَّة، فكان الرجل منهم يقدم على القتل ليبادر إلى حوراء يعانقها وإلى مكانه من الجنَّة!». (۳)

مع الركب الحسيني (ج ۴)، ص: ۱۹۶

ولقد أشير إلى ذلك في زيارة الناحية المقدسة: «اشهد لقد كشف الله لكم الغطاء، ومهد لكم الوطاء، وأجزل لكم العطاء...». (۱) وقد اعترف الأعداء أنفسهم بشجاعه وعجيب ثبات أنصار الإمام عليه السلام، فهذا عمرو بن الحجاج الزبيدي لعنه الله، وهو من قادة الجيش الأموي في كربلاء يوم عاشوراء، يخاطب جيش الضلالة قائلاً: «يا حمقى! أتدرون من تقاتلون؟! إنما تقاتلون نقاوة فرسان أهل مصر، وقوماً مستقتلين مستميتين، فلا يبرزنَّ لهم منكم أحد...». (۲) ويستغيث عروة (عزرة) بن قيس وهو قائد خيل جيش الضلال بأمره عمر بن سعد قائلاً: «أما ترى ما تلقى خيلي منذ اليوم من هذه العدة اليسيرة...». (۳)

«وقيل لرجل شهد يوم الطفِّ مع عمر بن سعد: ويحك! أقتلتم ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله؟! فقال: عضضت بالجنديل! (۴) إنك لو شهدت ما شهدنا لفعلت ما فعلنا! ثارت علينا عصابة أيديها في مقابض سيوفها، كالأسود الضارية، تحطم الفرسان يميناً وشمالاً، وتلقى أنفسها على الموت، لاتقبل الأمان! ولاترغب في المال!

مع الركب الحسيني (ج ۴)، ص: ۱۹۷

ولا يحول حائل بينها وبين الورود على حياض المتيه أو الإستيلاء على الملك! فلو كففنا عنها رويداً لأتت على نفوس العسكر بحذافيرها! فما كنا فاعلين لا أمَّ لك! (۴)». (۱)

عدد أصحاب الإمام الحسين عليه السلام يوم الطف ص : ۱۹۷

في البدء لابد أن نذكر بالفرق بين قولنا: أنصار الإمام الحسين عليه السلام (عامه) وبين قولنا: أنصار الإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء، وكذلك بين قولنا: (شهداء النهضة الحسينية) وبين قولنا: (شهداء الطف)، ذلك لأن أنصار الإمام الحسين عليه السلام (عامه) أوسع مراداً من أنصاره يوم عاشوراء، إذ في عامته أنصاره من قتل في البصرة أو في الكوفة، أو سجن في محابس ابن زياد لعنه الله وأباه، وفيهم من لم يدرك نصره الإمام عليه السلام كالطرماح مثلاً.

وكذلك فإن (شهداء النهضة الحسينية) أوسع مراداً أيضاً من (شهداء الطف)، لأن في العنوان الأول من استشهد في البصرة كسليمان بن رزين (رض) رسول الإمام عليه السلام إلى أشرفها، ومنهم من استشهد في الكوفة كمسلم بن عقيل عليه السلام، وعبدالله بن يقطر (رض)، وقيس بن مسهر الصيداوي (رض)، وهاني بن عروة (رض)، وعمار بن صلح الأزدى (رض)، وعبد الأعلى بن يزيد الكلبي (رض)، وغيرهم.

كذلك يحسن التذكير هنا أيضاً بأن أنصار الإمام عليه السلام يوم الطف (أوسع مراداً من (شهداء الطف)، ذلك لأن بعضاً من أنصاره عليه السلام الذين جاهدوا بين يديه يوم عاشوراء لم يستشهدوا يوم الطف كالحسن المثنى (رض) وغيره.

مع الركب الحسيني (ج ۴)، ص: ۱۹۸

أما عدد أنصار الإمام عليه السلام يوم الطف فقد اختلف فيه المؤرخون اختلافاً شديداً، ووقع في حساب هذا العدد المبارك خلط بين عدد الأنصار وعدد القتلى منهم، ذلك لأن بعضاً من المؤرخين استنتج عدد الأنصار من مجموع عدد الرؤوس الشريفة التي حملتها القبائل إلى ابن زياد مثلاً.

وهنا نعرض بعض هذه الأرقام المتفاوتة مشيرين إلى مصادرها في الحاشية:

(٧٠) شخصاً، «١» (٧٢) شخصاً، «٢» (٨٢) شخصاً، «٣» (٨٧) شخصاً، «٤» (١٠٠) شخص، «٥» (١٤٥) شخصاً، «٦» (٥٠٠) فارس و (١٠٠) راجل، «٧» وورد في بعض المصادر أن عددهم كان (٦٠)، «٨» أو (٦١)، «٩» غير أن أشهر عدد لأنصار الإمام عليه السلام يوم الطف هو إثنان وسبعون.

الهاشميون من أنصار الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء ص : ١٩٨

اختلفت المصادر التاريخية اختلافًا شديداً في عدد رجال «١٠» بني هاشم الذين

معالركب الحسيني (ج ٤)، ص: ١٩٩

حضرُوا كربلاء مع الإمام الحسين عليه السلام، والظاهر أن منشأ هذا الإختلاف هو إختلاف هذه المصادر في عدد من قُتل من بني هاشم مع الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء.

بل لقد اختلفت هذه المصادر في عدد الناجين منهم من القتل وفي أسماء بعضهم. «١»

ولذا فمن الصعب الوصول بدقة تامة وعلى نحو اليقين إلى عدد من حضر من بني هاشم في كربلاء مع الإمام الحسين عليه السلام، لكن إضافة عدد الناجين منهم إلى عدد من قُتل منهم - عدا الإمام عليه السلام - يوصلنا إلى عدد تقريبي ظنّي لهؤلاء الأنصار

معالركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٢٠٠

الهاشميين عليه السلام، يختلف باختلاف عدد الناجين الذي يكون الحساب على أساسه، ويتفاوت أيضاً بتفاوت عدد القتلى المعتمد والمضاف إليه.

إن أقل عدد لشهداء الطف من الأنصار الهاشميين ذكرته المصادر التاريخية هو أحد عشر. «١» اللهم إلهما ما ذكره ابن أبي حاتم في كتابه السيرة النبوية أن شهداء بني هاشم كانوا تسعة أشخاص! «٢»

وإن أشهر عدد لمن قُتل منهم هو سبعة عشر، «٣» وإن أكبر الأعداد المذكورة

معالركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٢٠١

لهم عليهم السلام هو سبعة وعشرون شهيداً، «١» وبين الأقل والأكثر كانت بعض المصادر قد ذكرت أعداداً أخرى متفاوتة. «٢»

معالركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٢٠٢

فإذا أخذنا عدد الناجين منهم من القتل - في ضوء رواية ابن سعد في الطبقات - وهو خمسة، فإن أقل عدد لأنصار الإمام عليه السلام من بني هاشم في كربلاء يكون ستة عشر، ويكون أكبر عدد لهم إثنين وثلاثين، هذا على وجه التقريب، ويكون أقوى وأشهر عدد لهم إثنين وعشرين.

عدد الصحابة في جيش الإمام الحسين عليه السلام يوم الطف ص : ٢٠٢

إشارة

لقد كان في جيش الإمام عليه السلام - عدا الإمام الحسين عليه السلام - جملة من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله، سواء ممن صحبه وروى عنه، أو ممن أدركه ورآه. «١»

معالركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٢٠٣

وفى هذه الجملة من أصحابه من لم يُناقش مورخ أو رجالي في صحبته (فهو متفق عليه)، وفيهم من نوقش في أنه كان صحابياً أم لا، وفيهم من شك في كونه هو ذلك الصحابي المقصود لتشابه الإسم بينه وبين آخر معروف بالصحبة، وعند عرضنا لأسمائهم المباركة سنشير إلى المختلف فيهم وإلى سبب الاختلاف، وهذه المجموعة المباركة من الصحابة الكرام والأنصار العظام هي:

١ أنس بن الحارث الكاهلي الأسدي (رض): ص : ٢٠٣

وهو ممن روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله حديثه: «إنّ إبنى هذا- يعنى الحسين- يُقتل بأرض يُقال لها كربلاء، فمن شهد ذلك منكم فلينصره». (١)

٢ عبدالرحمن بن عبد ربّ الأنصاري الخزرجي (رض): ص : ٢٠٣

وهو ممن شهد حينما استشهد الامام على عليه السلام الناس في الرحبة أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «ألا- إنّ الله عزّ وجلّ وليّى، وأنا وليّ المؤمنين، ألا فمن كنت مولاه فعلىّ مولاه، أللهمّ وال من والاه، وعاد من عاداه، وأحبّ من أحبّه، وأبغض من أبغضه، وأعزّ من أعانه». (٢)

٣ حبيب بن مظاهر (مظهر) الأسدي (رض): ص : ٢٠٣

كان صحابياً رأى النبى صلى الله عليه وآله. (٣)

٤ عبدالله بن يقطر الحميري (رض): ص : ٢٠٣

كان صحابياً، لأنه كان لده الحسين عليه السلام (في معالركب الحسينى (ج ٤)، ص: ٢٠٤ مثل عمره)، وكان ابن حاضنة الحسين عليه السلام، فهو قد أدرك النبى صلى الله عليه وآله وراه. (١)

٥ مسلم بن عوسجة الأسدي (رض): ص : ٢٠٤

كان صحابياً رأى النبى صلى الله عليه وآله. (٢).

٦ كنانة بن عتيق التغلبي (رض): ص : ٢٠٤

شهد موقعة أحد مع أبيه عتيق، وكان فارس رسول الله صلى الله عليه وآله. (٣)

٧ عتار بن أبى سلامة الدالانى الهمدانى (رض): ص : ٢٠٤

كان صحابياً له رؤية أى أنه (رض) قد أدرك النبى صلى الله عليه وآله ورآه. «٤»

٨ الحرث بن نيهان (رض) مولى حمزة عليه السلام: ص : ٢٠٤

كان والده نيهان (ره) عبداً لحمزة بن عبدالمطلب، وقد مات والده بعد شهادة حمزة بسنتين، وهذا يعنى أن الحرث قد أدرك زمان النبى صلى الله عليه وآله، وبما أن الحرث قد ترعرع ونشأ فى كنف أميرالمؤمنين على عليه السلام فلا بد أن يكون قد رأى رسول الله صلى الله عليه وآله عن قرب مراراً كثيرة. «٥»

وهناك إثنان من الأنصار عليهم السلام ص : ٢٠٤

إشارة

ذكر أنهما أدركا زمن النبى صلى الله عليه وآله، ولم يعلم أنهما هل لقياه فرأياه أم لا؟ وهما:
معالركب الحسينى (ج ٤)، ص: ٢٠٥

١ زياد بن عريب الهمدانى الصائدى (رض): ص : ٢٠٥

وهو أبوعمرة، كان أبوه عريب صحابياً ذكره جملة من أهل الطبقات، وأبوعمرة ولده هذا له إدراك. «١»

٢ عمرو بن ضبعة الضبعى التميمى (رض): ص : ٢٠٥

نقل الزنجانى قائلاً: «وقال العسقلانى فى الإصابة: هو عمرو بن ضبعة بن قيس بن ثعلبة الضبعى التميمى، له ذكر فى المغازى والحروب، وكان فارساً شجاعاً له إدراك.» «٢»

أما من وقع الاختلاف ص : ٢٠٥

إشارة

فى صحبتهم من الأنصار عليهم السلام، فهم:

١ أسلم (مسلم) بن كثير الأعرج الأزدي (رض): ص : ٢٠٥

فقد ذكر المحقق السماوى (ره) أنه كان تابعياً، «٣» لكنّ النمازى فى المستدركات ذكر أنّ له صحبة، «٤» وذكر الزنجاني نقلًا عن العسقلاني فى الإصابة أنّه أدرك النبى صلى الله عليه وآله. «٥»

٢ زاهر مولى عمرو بن الحمق الخزاعى (رض): ص : ٢٠٥

هكذا ورد السلام عليه فى زيارة الناحية المقدسة، «٦» وذكر بعض الرجالين: زاهر صاحب عمرو بن الحمق، «٧» وذكره المحقق السماوى (ره): زاهر بن عمرو الكندى، «٨» وكذلك ذكره الزنجاني فى ترجمته، «٩» ونقل النمازى (ره) عن المامقاني (ره) أنّه: هو زاهر بن عمر الأسلمى

معالركب الحسينى (ج ٤)، ص: ٢٠٦

الكندى من أصحاب الشجرة وروى عن النبى صلى الله عليه وآله وشهد الحديبية وخيبر، «١» لكنّ السماوى (ره) لم يذكر له صحبة، «٢» أمّا السيد الخوئى (ره) فقد فصل بين زاهر صاحب عمرو بن الحمق وبين زاهر الأسلمى (الذى هو والد مجزأة- أو محذأة- من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله) ولم ير اتحادهما. «٣»

وقد نقل الزنجاني أيضاً فى ترجمته لزاهر (رض) عن العسقلاني فى الإصابة قوله: «هو زاهر بن عمرو بن الأسود بن حجاج بن قيس الأسلمى الكندى من أصحاب الشجرة وتحتها بايعوا رسول الله صلى الله عليه وآله، وسكن الكوفة، وروى عن النبى صلى الله عليه وآله وشهد الحديبية وخيبر». «٤»

لكنّ الشيخ التستري (ره) ذهب- كما السيد الخوئى (ره)- إلى أنّ زاهر صاحب عمرو بن الحمق (رض) ليس زاهر الأسلمى الكندى، لأنّ هذا الثانى وهو عربى لا يكون مولى لعمرو بن الحمق (رض)، كما ذهب إلى أنّ قولهم (زاهر بن عمرو) تخليط، بل هو زاهر مولى عمرو. «٥»

٣ سعد بن الحرث (رض) مولى على بن أبى طالب عليهما السلام: ص : ٢٠٦

لم يذكر له المحقق السماوى (ره) صحبة أو إدراكاً، بل قال: «كان سعد مولى لعلّى عليه السلام فانضمّ بعده إلى الحسن عليه السلام ثم إلى الحسين عليه السلام، فلما خرج من المدينة خرج معه إلى مكة ثم إلى معالركب الحسينى (ج ٤)، ص: ٢٠٧

كربلاء فقتل بها فى الحملة الأولى...». «١»

لكنّ الزنجاني نقل عن العسقلاني فى الإصابة أنه «هو سعد بن الحرث بن سارية بن مرّة... بن كنجب الخزاعى، مولى على بن أبى طالب، له إدراك مع النبى وكان على شرطه على عليه السلام بالكوفة...». «٢»

وقال النمازى اعتماداً على المامقاني: «سعد بن الحرث الخزاعى مولى أمير المؤمنين عليه السلام، ومن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، ومن شرطه الخميس مع أمير المؤمنين عليه السلام، وكان والياً من قبله على آذربيجان...». «٣»

لكن التستري (ره) ردّ قول المامقاني (ره) قائلاً: «اقول: لم يذكر مستنداً له، وكيف يجتمع كونه خزاعياً ومولاه عليه السلام؟ ولو كان صحابياً، كيف لم تعنونه الكتب الصحابية؟!...». «٤»

٤ يزيد بن مغل الجعفى (رض): ص : ٢٠٧

نقل المحقق السماوي (ره) عن المرزباني في معجم الشعراء أنه: «كان من التابعين، وأبوه من الصحابة». «٥»
 لكن المامقاني (ره) ذكر أنه «أدرك النبي صلى الله عليه وآله، وشهد القادسية في عهد عمر...». «٦»
 مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٢٠٨

ونقل الزنجاني عن العسقلاني في الإصابة أنه: «هو يزيد بن مغفل بن عوف بن عمير بن كلب بن ذهل ... بن جعفر بن سعد العشيرة
 المذحجي الجعفي له إدراك مع النبي، وشهد حرب القادسية هو وأخوه زهير بن مغفل في عهد ابن الخطاب». «١»

٥ شبيب بن عبدالله مولى الحرث بن سريع الكوفي (رض): ص : ٢٠٨

لم يذكر له المحقق السماوي (ره) صحبه أو إدراكاً، «٢» لكنّ الزنجاني نقل عن ابن الكلبي قوله: «شبيب بن عبدالله كان صحابياً
 أدرك صحبه رسول الله، وشهد مع علي بن أبي طالب عليه السلام مشاهده كلها..»، «٣» غير أنه لا دليل على أن هذا هو شبيب بن
 عبدالله مولى الحرث، كما أن الزنجاني ذكر نسبه نقلًا عن العسقلاني في الإصابة- نقلًا غير دقيق «٤»- إذ قد وجدنا ما ذكره العسقلاني
 هكذا: «شبيب بن عبدالله بن شكل بن حي بن جديده ...

المذحجي- له إدراك وشهد مع علي مشاهده، ذكر ذلك ابن الكلبي»، «٥» ولادليل أيضاً على أن هذا هو شبيب بن عبدالله مولى
 الحرث، خصوصاً وأن من ذكره العسقلاني عربي (مذحجي) فكيف يكون مولى للحرث بن سريع الكوفي؟
 ولانعلم الدليل الذي استند إليه المامقاني (ره)، «٦» والنمازي (ره)، «٧» حيث ذكرا أنه (أي شبيب بن عبدالله مولى حارث بن سريع):
 من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله؟

مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٢٠٩

وقد ردّ التستري (ره) على قول المامقاني (ره) قائلاً: «قال: صرح أهل السير:

أنه أدرك النبي صلى الله عليه وآله، وشهد مشاهد علي عليه السلام، وحضر الطف واستشهد، ووقع التسليم عليه في الناحية.
 أقول: لم يعين من كان من أهل السير ذكر ما قال! ولو كان صحابياً كيف لم تعونه الكتب الصحابية؟ وقد عنونوا المختلف فيه! وليس
 في الناحية، وإنما في نسختها «شبيب بن الحارث بن سريع» وهو محرّف «سيف بن الحارث بن سريع» المتقدم، وبالجملة: العنوان لم
 يُعلم أصله، فضلاً عن فرعه». «١»

٦ جنادة بن الحرث السلماني الأزدي الكوفي (رض): ص : ٢٠٩

قال الزنجاني: «.. وقال علي بن الحسين بن عساكر في تاريخه: هو جنادة بن الحرث بن عوف بن أمية بن قلع بن عبادة بن حذيق بن
 عدى بن زيد بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن الحرث، المذحجي المرادي السلماني الكوفي، له إدراك وصحبه مع النبي». «٢»
 كذلك ذكر المامقاني عن أهل السير أنه كان من أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله، «٣» لكنّ الشيخ السماوي (ره) لم يذكر له
 إدراكاً وصحبه، بل قال: «كان جنادة بن الحرث من مشاهير الشيعة، ومن أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام...». «٤»

٧ جندب بن حجير الخولاني الكوفي (رض): ص : ٢٠٩

قال الزنجاني: «قال ابن عساكر في تاريخه: هو جندب بن حجير بن جندب بن زهير بن الحارث بن كثير بن جشم بن حجير الكندي الخولاني الكوفي، يُقال له صحبة مع رسول الله، وهو من أهل

مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٢١٠

الكوفة وشهد مع علي بن أبي طالب عليه السلام حرب صفين، وكان أميراً على كنده والأزد..»، «١» وقال المامقاني أيضاً: «ذكر أهل السير أن له صحبة»، «٢» لكن الشيخ السماوي لم يذكر له صحبة، بل قال: «كان جندب من وجوه الشيعة، وكان من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام...». «٣»

أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام من أنصار الإمام الحسين عليه السلام في الطّف ص : ٢١٠

شكّل أصحاب أمير المؤمنين عليّ عليه السلام عدداً كبيراً من أنصار الإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء، فهم عدا من مرّ ذكره من صحابة الرسول صلى الله عليه وآله، وعدا الهاشميين منهم، وعدا من لم يصرّح المؤرّخون بصحبته لعلّي عليه السلام، «٤» وعدا من ظلم التاريخ سيرته، «٥» قد بلغ عددهم على أقلّ التقادير وعلى حدّ اليقين عشرين رجلاً، وهم:

مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٢١١

١ سعد بن الحرث (رض) مولى عليّ عليه السلام.

٢ نصر بن أبي نيزر (رض) مولى عليّ عليه السلام.

٣ أبو ثمامة الصائدي (رض).

٤ برير بن خضير (رض).

٥ شوذب بن عبدالله (رض). ٦ جنادة بن الحرث السلماني المدحجي (رض).

٧ مجمع بن عبدالله العائدي (رض).

٨ نافع بن هلال الجملي (رض).

٩ الحجاج بن مسروق الجعفي (رض).

١٠ يزيد بن مغفل الجعفي (رض).

١١ نعيم بن العجلان الأنصاري الخزرجي (رض).

١٢ جندب بن حجير الكندي الخولاني (رض).

١٣ جون بن حوى مولى أبي ذرّ الغفاري (رض).

١٤ أسلم (مسلم) بن كثير الأعرج الأزدي (رض).

١٥ النعمان بن عمرو الأزدي الراسبي (رض).

١٦ الحُلاس بن عمرو الأزدي الراسبي (رض).

١٧ أمية بن سعد الطائي (رض).

١٨ قاسط بن زهير بن الحرث التغلبي (رض).

١٩ كردوس بن زهير بن الحرث التغلبي (رض).

٢٠ مقسط بن زهير بن الحرث التغلبي (رض).

مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٢١٢

جيش الإمام الحسين عليه السلام ... حجازيون وكوفيون وبصريون ص : ٢١٢

تكون جيش الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء من ثلاثة بلدان من بلاد العالم الإسلامي، هي الحجاز (المدينة المنورة بالأساس ومياه جهين)، والكوفة، والبصرة.

وتألف مجموعة الحجازيين - في ضوء ما حققه المرحوم الشيخ السماوي (ره)، وعلى هذا عمدة التحقيقات الأخرى أيضاً «١» - من بني هاشم عليهم السلام ومواليهم، والصحابي عبدالرحمن بن عبد رب الأنصاري الخزرجي، وجنادة بن كعب بن الحرث الأنصاري، وابنه عمرو بن جنادة، وجون مولى أبي ذر الغفاري رضوان الله عليهم، وثلاثة التحقوا بالإمام عليه السلام من مياه جهين ولازموه حتى استشهدوا بين يديه في كربلاء، وهم: مجمع بن زياد الجهني، وعباد بن المهاجر الجهني، وعقبه بن الصلت الجهني رضوان الله عليهم. أمّا الكوفيون من أنصار الإمام عليه السلام في كربلاء فقد بلغ عددهم - في ضوء تحقيق الشيخ السماوي (ره) - ثمانية وستين مع مواليهم، وقد شكّل هؤلاء الكوفيون رضوان الله تعالى عليهم الأكتريّة في جيش الإمام عليه السلام.

أمّا البصريون فقد بلغ عددهم تسعة مع مواليهم «٢» في جيش الإمام عليه السلام وهم:

معالركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٢١٣

يزيد ثبيط العبدى (عبد قيس) البصرى، وإبناه: عبدالله، وعبيدالله، وعامر بن مسلم العبدى البصرى، ومولاه سالم، وسيف بن مالك العبدى البصرى، والأدهم بن أمية العبدى البصرى، والحجاج بن بدر التميمي البصرى، وقعب بن عمر النمري البصرى، رضوان الله تعالى عليهم.

الموالي من أنصار الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء ص : ٢١٣

بلغ عدد الموالى - المقطوع به على وجه اليقين - من أنصار الإمام الحسين عليه السلام الذين حضروا معه كربلاء - في ضوء ما صرح به المحقق السماوي (ره) - ستة عشر رجلاً، وهذا العدد هو على الأقل كما لا يخفى، لأنّ هناك من الموالى من لم يذكرهم التاريخ، ومنهم من لم يعرف مصيره كمولى نافع بن هلال الجملي (رض) «١» وهم:

معالركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٢١٤

- ١ نصر بن أبي نيزر (رض) مولى على عليه السلام. ٢ سعد بن الحرث (رض) مولى على عليه السلام.
- ٣ أسلم بن عمرو (رض) مولى الحسين عليه السلام.
- ٤ قارب بن عبدالله الدثلي (رض) مولى الحسين عليه السلام.
- ٥ منجح بن سهم (رض) مولى الحسين عليه السلام.
- ٦ الحرث بن نيهان (رض) مولى حمزة عليه السلام.
- ٧ سعد (رض) مولى عمرو بن خالد الصيداوى (رض).
- ٨ شوذب (رض) مولى شاعر.
- ٩ شبيب (رض) مولى الحرث بن سريع الهمداني الجابري.
- ١٠ واضح التركي (رض) مولى الحرث المذحجي السلماني.
- ١١ زاهر (رض) مولى عمرو بن الحمق الخزاعي. «١»
- ١٢ جون بن حوى (رض) مولى أبي ذر (رض).
- ١٣ سالم بن عمرو (رض) مولى بني المدينة.

- ١٤ رافع بن عبدالله (رض) مولى أسلم (مسلم) بن كثير (رض).
 ١٥ سالم (رض) مولى عامر بن مسلم العبدى (رض).
 ١٦ عقبه بن سمعان (رض) مولى الرباب (رض). «٢»
 معالركب الحسينى (ج٤)، ص: ٢١٥
 ١٧ غلام تركى (رض) مولى للحز بن يزيد الرياحى (رض). «١»

من ألقاب الجيش الحسينى ص : ٢١٥

هناك ألقاب كثيرة كريمه ساميه فى المتون الروائيه والتاريخيه كانت قد أطلقت على الجيش الحسينى فى كربلاء، نورد هنا ما تيسر منها:

عباد الله الصالحون. «٢»

عشاق شهداء. «٣»

العباد النساك. «٤»

الطيبون. «٥»

الذاكرون الله. «٦»

أهل البصائر. «٧»

حملة الحديد. «٨»

الأتقياء الأبرار. «٩»

المجتهدون بالأسفار. «١٠»

معالركب الحسينى (ج٤)، ص: ٢١٦

شيوخ القراء، قراء القرآن. «١»

أسد الأسود. «٢»

فرسان المصر. «٣»

القوم المستميتون. «٤»

قتله المشركين. «٥»

فقره الظهر ورأس الفخر. «٦»

عمر الإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء سنة ٦١ هـ ص : ٢١٦

اختلفت الروايات والأقوال فى عمر الإمام عليه السلام يوم استشهاده، ويمكن تصنيف هذه الأقوال من الأقل إلى الأكثر كما يلى:

١- أربع وخمسون سنة وستة أشهر: ذهب إلى ذلك قتاده، «٧» وذكر ذلك أيضاً الخوارزمى فى المقتل. «٨»

معالركب الحسينى (ج٤)، ص: ٢١٧

٢- خمس وخمسون سنة: ذهب إلى ذلك الواقدى، «١» والمسعودى. «٢» ٣- ست وخمسون سنة: ذهب إلى ذلك اليعقوبى فى

تأريخه، «٣» وابن عبد ربّه الأندلسى، «٤» وأبوالفرج الإصبهانى، «٥» وسعد بن عبدالله القمى، «٦» وابن سعد فى طبقاته. «٧»

۴- سبع وخمسون سنة: ذهب إلى ذلك الشيخ الصدوق (ره) في أماليه، «۸» والكليني في الكافي، «۹» وابن الدارع، «۱۰» والزرندی في نظم درر السمطين. «۱۱»

وهذا القول هو الأشهر والأقوى، وأما ما قاله الشيخ المفيد (ره): «ومضى الحسين عليه السلام في يوم السبت العاشر من المحرم سنة إحدى وستين من الهجرة بعد

مع الركب الحسيني (ج ۴)، ص: ۲۱۸

صلاة الظهر منه، قتيلاً مظلوماً ظمآن صابراً محتسباً، على ما شرحناه، وسنه يومئذ ثمان وخمسون سنة، أقام منها مع جده رسول الله صلى الله عليه وآله سبع سنين، ومع أبيه أمير المؤمنين عليه السلام ثلاثين سنة، ومع أخيه الحسن عليه السلام عشر سنين، وكانت مدة خلافته بعد أخيه إحدى عشرة سنة...» «۱»

ففيه اشتباه ظاهر، وذلك لأن الشيخ المفيد نفسه يذكر أنه عليه السلام ولد في الخامس من شعبان سنة أربع من الهجرة، «۲» فبطرح أربع من إحدى وستين يكون الباقي سبعاً وخمسين، «۳» هذا مع العلم أنه عليه السلام لم يعيش من سنة إحدى وستين إلا عشرة أيام، ولهذا أيضاً تكون مدة خلافته عليه السلام «۴» بعد أخيه الحسن عليه السلام عشر سنين لا إحدى عشرة سنة، فتأمل.

۵- ثمان وخمسون سنة: وذهب إلى ذلك ابن العديم، «۵» وابن قتيبة، «۶» وابن

مع الركب الحسيني (ج ۴)، ص: ۲۱۹

حبان، «۱» والبخارى، «۲» والمزني، «۳» وروى ذلك عن أحمد بن حنبل، «۴» وابن أبي شيبة، «۵» وروى الخطيب «۶» ذلك عن ابن عيينة عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام ورواه ابن سعد في طبقاته أيضاً عن الإمام الصادق عليه السلام. «۷»

۶- تسع وخمسون سنة: ذكر ذلك المسعودي في مروجته أيضاً. «۸»

الجيش الأموي: الألقاب والأوصاف ص : ۲۱۹

لقد وُصف الجيش الأموي الذي ارتكب بقيادة عمر بن سعد لعنه الله أبشع جريمة في تاريخ الأرض بأوصاف سيئة وألقاب ذميمة كثيرة، على لسان الإمام الحسين عليه السلام ولسان أصحابه رضوان الله تعالى عليهم، نورد هنا بعضاً من هذه الأوصاف - وجملها عن لسان الإمام عليه السلام - للتعريف بهوية هذا الجيش الآثم:

شيعه آل أبي سفيان. «۹»

مع الركب الحسيني (ج ۴)، ص: ۲۲۰

العتاة. «۱»

الطغاة. «۲» الجهال. «۳»

شيعه الشيطان. «۴»

الفساق. «۵»

المليئة بطونهم من الحرام. «۶»

الممسوخون. «۷»

عبيد الأمة. «۸»

شداذ الأحزاب. «۹»

شرار الأحزاب. «۱۰»

نبدة الكتاب، محرفو الكلم، عصبه الإثم، نفثه الشيطان، مطفئو السنن. «۱۱»

معالركب الحسينى (ج ٤)، ص: ٢٢١

الظالمون. «١»

السفهاء. «٢» المطبوع على قلوبهم. «٣»

أممء السوء. «٤»

شاربو الخمر. «٥»

مؤذو المؤمنين، صراخ أممء المستهزئين، أكله الغاصب، قتله أولاد الأنبياء، ميرو عترة الأوصياء، ملحقو العهار بالنسب. «٦»

عظماء الجبارين. «٧»

قتله أولاد البدرين، قتله عترة خير المرسلين، قتله المؤمنين. «٨»

الخبثون. «٩»

أولاد الزنا. «١٠»

الطغام. «١١»

معالركب الحسينى (ج ٤)، ص: ٢٢٢

مُظْهرو الفساد فى الأرض، مبطلو الحدود، المستأثرون فى أموال الفقراء والمساكين. «١»

عدد الجيش الأموى ص: ٢٢٢

اشارة

تفاوتت الروايات والتمون التاريخيئة فى عدد الجيش الأموى الذى واجه الإمام الحسين عليه السلام فى كربلاء يوم عاشوراء، وهذه

الأعداد على الترتيب من الأقل إلى الأكثر هى:

١- ألف مقاتل. «٢»

٢- أربعة آلاف. «٣»

٣- ستة آلاف. «٤»

٤- ثمانية آلاف. «٥»

٥- إثنا عشر ألفاً. «٦»

٦- ستة عشر ألفاً. «٧»

معالركب الحسينى (ج ٤)، ص: ٢٢٣

٧- عشرون ألفاً. «١»

٨- إثنا عشر ألفاً. «٢» ٩- ثلاثون ألفاً. «٣»

١٠- خمسة وثلاثون ألفاً. «٤»

١١- أربعون ألفاً. «٥»

١٢- خمسون ألفاً. «٦»

١٣- مائة ألف. «٧»

لقد أنشئت مدينة الكوفة لغرض عسكري بالأساس، وكانت تتمتع بقدرات تعبوية كبيرة من حيث العدد والعدة، وفي الروايات والمتون التاريخية دلائل كثيرة على هذه الحقيقة، فقد روى مثلاً أن سليمان بن صيرد الخزاعي كان قد خاطب الإمام الحسن عليه السلام - وقد أنكر عليه أمر الصلح - قائلاً: «لا ينقضى تعجبي من بيعتك معاوية ومعك مائة ألف مقاتل من أهل العراق»، «(۸)» وورد في بعض رسائل أهل

مع الרכب الحسينى (ج ۴)، ص: ۲۲۴

الكوفة إلى الإمام الحسين عليه السلام: «إن لك هاهنا مائة ألف سيف فلاتأخر»، «(۱)» ولاشك أن قدرة الكوفة التعبوية عسكرياً أكبر من ذلك بكثير لأن هذه المائة ألف المشار إليها في هذين النصين إنما تُعبأ لطرف من طرفي النزاع الداخلي على الحكم، لا لمواجهة أمر خارجي يستدعى تعبئة كل الأمة حيث يكون العدد أكبر وأكبر.

وإذا كان الحديث عن العدة كاشفاً عن العدد، فإنّ عده السلاح والإمداد في جيش ابن زياد وضخامتها دليل على أن جيش ابن زياد كان كبيراً جداً، يقول الشيخ القرشي: «وتسلح جيش ابن زياد بجميع أدوات الحرب السائدة في تلك العصور، فقد كان إستعداده لحرب الإمام إستعداداً هائلاً، ويحدّثنا المؤرّخون عن ضخامة ذلك الإستعداد، فقالوا: إنّ الحدّادين وصانعي أدوات الحرب في الكوفة كانوا يعملون ليلاً ونهاراً في برء النبال وصقل السيوف في مدّة كانت تربو على عشرة أيام ... لقد دفع ابن زياد لحرب الحسين بقوة عسكرية مدجّجة بالسلاح بحيث كانت لها القدرة على فتح قطر من الأقطار». «(۲)»

ويذهب بعض المتتبعين إلى أن الأقرب الأقوى أن عدد الجيش الأموي الذي واجه الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء هو ثلاثون ألفاً، لأنّ هناك رواية عن الإمام الحسن عليه السلام أنّه خاطب الإمام الحسين عليه السلام قائلاً: «ولكن لا يوم كيومك يا أبا عبدالله! يزدلف إليك ثلاثون ألف رجل يدعون أنّهم من أمّة جدنا محمد صلى الله عليه وآله وينتحلون دين الإسلام، فيجتمعون على قتلك وسفك دمك، وانتهاك حرمتك، وسبى ذراريك ونسائك، وانتهاج

مع الרכب الحسينى (ج ۴)، ص: ۲۲۵

ثقلك ...» «(۱)»

ورواية أخرى عن الإمام زين العابدين عليه السلام أنه قال:

«ولا يوم كيوم الحسين عليه السلام ازدلف عليه ثلاثون ألف رجل يزعمون أنّهم من هذه الأمّة! كلُّ يتقرّب إلى الله عزّ وجلّ بدمه!! وهو بالله يذكّرهم فلا يتعظون حتى قتلوه بغياً وظلماً وعدواناً...» «(۲)»

لكنّ التأمّل ملياً في هذين النصين الشريفين يكشف أنّ هؤلاء الثلاثين ألفاً هم فقط الذين يزدلفون إليه عليه السلام متقرّبين إلى الله تعالى بقتله! ومن الثابت تاريخياً أنّ جُلّ أهل الكوفة كانت قلوبهم مع الحسين عليه السلام ويكرهون قتاله، وقد أحضروا إلى كربلاء مكرهين مرغمين، «(۳)» ومثل هؤلاء وهم كثرة لا يزدلفون إليه عليه السلام لقتله

مع الרכب الحسينى (ج ۴)، ص: ۲۲۶

طائعين، وإذا ازدلفوا إليه مرغمين فهم ليسوا ممّن يتقرّب إلى الله تعالى بقتله!

إذن فإذا أضفنا عدد هؤلاء المرغمين على الحضور في كربلاء الكارهين لقتل الإمام عليه السلام وقاتله إلى الثلاثين ألفاً المزدلفين إليه المتقرّبين إلى الله تعالى بقتله فإنّ عدد الجيش الأموي بلاشك يزيد على الثلاثين ألفاً بكثير، ولكننا لا يمكن لنا أن نقطع بالرقم اليقين لعدد هذا الجيش، لأننا لانملك وثائق تاريخية تمكّننا من هذا القطع، والى هنا مبلغ علمنا، والله العالم.

أبرز القادة العسكريين في جيش ابن زياد ص : ٢٢٦

ذكرت بعض كتب التاريخ أسماء أبرز القادة العسكريين في جيش ابن زياد، والمهمات الحربية التي أنيطت بهم، والمناصب العسكرية التي كانت لهم، وهم:

١- عمر بن سعد بن أبي وقاص: وهو القائد الميداني العام لهذا الجيش، وكان ابن زياد قد سرحه على أربعة آلاف أيام تعبته الجيش. «١»

٢- شمر بن ذى الجوشن: ويأتى من حيث الرتبة والأهميته بعد عمر بن سعد، وكان على أربعة آلاف في تعبته الجيش، كما كان قائد الميسرة في جيش ابن سعد

مع الركب الحسينى (ج ٤)، ص: ٢٢٧

يوم عاشوراء. «١»

٣- الحصين بن نمير (بن تميم): «٢» وكان على أربعة آلاف في تعبته الجيش، كما كان قائد قوات محاصرة حدود الكوفة قبل ذلك. «٣»

٤- شبت بن ربيعى: وكان على ألف فارس في تعبته الجيش، وكان أمير الرجاله في جيش ابن سعد يوم عاشوراء. «٤»

٥- الحر بن يزيد الرياحى: وكان على ألف فارس لمحاصرة الركب الحسينى، كما كان على ربع تميم وهمدان في كربلاء يوم عاشوراء. «٥»

٦- عبدالله بن زهير بن سليم الأزدي: وكان على ربع أهل المدينة في كربلاء يوم عاشوراء. «٦»

٧- قيس بن الأشعث: وكان على ربع ربيعة وكندة في كربلاء يوم عاشوراء. «٧»

٨- عبدالرحمن بن أبى سبرة الحنفى: وكان على ربع مذحج وأسد في كربلاء

مع الركب الحسينى (ج ٤)، ص: ٢٢٨

يوم عاشوراء. «١»

٩- مضابر بن رهينة المازنى: وكان على ثلاثة آلاف في تعبته الجيش. «٢»

١٠- كعب بن طلحة: وكان على ثلاثة آلاف في تعبته الجيش. «٣» ١١- عزرة بن قيس الأحمسي: وكان أمير الخيل في جيش ابن سعد يوم عاشوراء. «٤»

١٢- نصر بن حرشة: وكان على ألفين في تعبته الجيش. «٥»

١٣- يزيد بن ركاب الكلبي: وكان على ألفين في تعبته الجيش. «٦»

١٤- يزيد بن الحرث بن رويم: وكان على ألف في تعبته الجيش. «٧»

١٥- عمرو بن الحجاج الزبيدى: وكان أميراً على قوات منع الماء منذ اليوم السابع من المحرم، وكان أمير ميمنه جيش ابن سعد يوم عاشوراء. «٨»

١٦- حجار بن أبجر: وكان على ألف في تعبته الجيش. «٩»

مع الركب الحسينى (ج ٤)، ص: ٢٢٩

١٧- الأزرق بن الحرث الصدائى: وكان أميراً على أربعمائه فارس قاتلوا جماعة بنى أسد الذين أرادوا الإلتحاق بمعسكر الإمام الحسين عليه السلام. «١»

١٨- زجر بن قيس الجعفى: وكان على خمسمائة فارس في مسلحة عند جسر الصراة لمنع من يخرج من الكوفة ملتحقاً بالإمام عليه

السلام. (٢)

وهناك قادة آخرون كانوا قد حضروا كربلاء يوم عاشوراء، غير أن المصادر التاريخية- حسب متابعتنا- لم تشخص مهماتهم ومناصبهم العسكرية، منهم:

محمد بن الأشعث، وكثير بن شهاب الحارثى، والققعاق بن سويد بن عبدالرحمن المنقرى، وأسماء بن خارجة الفزارى ... (٣)

عناصر الجيش الأموى ص : ٢٢٩

إشارة

يمكن تصنيف الجيش الأموى الذى واجه الإمام الحسين عليه السلام فى كربلاء من حيث نوع العناصر التى تألف منها إلى الأصناف التالية:

١- المزدلفون إلى الإمام عليه السلام لقتله: ص : ٢٢٩

متقربين إلى الله بذلك، وبانتهاك حرمة، وسبى ذراريه ونسائه، وانتهاج ثقله، مجتمعين على هذا الرأى، وهم مع هذا يدعون ويزعمون أنهم من أمية محمد صلى الله عليه وآله! وهم ثلاثون ألفاً على ما حدده الإمام الحسن المجتبى عليه السلام والإمام زين العابدين عليه السلام فيما أثر عنهما، (٤) وهذا الصنف

معالركب الحسينى (ج ٤)، ص: ٢٣٠

الضالّ ربّما شكّل من حيث العدد الأكثرية الساحقة فى جيش ابن زياد، ولاشك أن هؤلاء ممّن أضلّهم الإعلام الأموى وطمس على أبصارهم وبصائرهم، فكانوا يرون الإمامة والخلافة الشرعية ليزيد بن معاوية!! ويرون الإمام الحقّ عليه السلام خارجاً عن طاعة الإمام!! شاقاً لعصاة هذه الأمية ومفرقاً لكلمتها، ولو لم يكن هذا ما يعتقدونه لما تقربوا إلى الله بقتل الإمام الحسين عليه السلام على حدّ قول الإمام السجّاد عليه السلام.

٢- أهل الأهواء والأطماع: ص : ٢٣٠

إشارة

ويمكن تقسيم هؤلاء أيضاً إلى:

أ- الإنتهازيون: ص : ٢٣٠

وهم الساعون وراء مصالحهم الدنيوية مهما فرضت عليهم هذه المصالح والمطامع من تقلبات فى الإنتماء بين الرايات المتعارضة، ولايعنى هذا أن الإنتهازى لايعرف أين الحقّ ومن هم أهله! لكنّ حبه للدنيا وللرئاسة والمقام يضطرّه إلى التنكّر لأهل الحقّ، كما قد يضطرّه إلى قتلهم وملء قلبه حسرة عليهم ودموعه تجرى أسى لما أصابهم، ومن أوضح الأمثلة على هؤلاء: عمر بن سعد لعنه الله، وشبث بن ربعى وحجار بن أبجر، وغيرهم كثير. (١)

ب- المرتزقة: ص : ٢٣٠

وهم الذين يخدمون من يعطى أكثر من غيره، ولا يعأون بما إذا كان مبطلًا أو محققًا ولا ترق قلوب هؤلاء لمظلوميته مظلوم ولا تأخذهم شفقه لبشاعته مقتله! ومن أوضح الأمثلة على هؤلاء:

سنان بن أنس، وشمر بن ذى الجوشن، وحرمله بن كاهل، ومسروق بن وائل وحكيم بن طفيل، ومنهم أولئك الذين سلبوا جميع ملابس الحسين عليه السلام حتى

مع الركب الحسينى (ج ٤)، ص: ٢٣١

تركوه عرياناً لعنهم الله جميعاً.

وهؤلاء- كما هو شأنهم فى القديم والحاضر- ممسوخون روحياً ونفسياً، قد امتلأت صدورهم بالحق والكرهية لجميع الناس عامة ولأهل الفضل منهم خاصة، فهم يندفعون بسهولة إلى ارتكاب المذابح الطائشة والجرائم الفجيعة بقساوة فظيعة كما الوحوش الكواسر. (١)

ج- الفسقة والبطالون: ص : ٢٣١

وهم الذين لا يهتمهم من دنياهم إلا قضاء أوطارهم من المفسدات التى ألقوها وتعودوا عليها، ومن العادة وطبيعة الأمور أن يتواجد هؤلاء فى صف أهل الباطل عند مواجهتهم لأهل الحق، وهؤلاء يشهدون على أنفسهم بأنهم أهل فساد وباطل، ويتذرعون لأنفسهم بأسخف العلل لعدم انتمائهم لصف الحق مع معرفتهم به، ومن أوضح الأمثلة على هؤلاء فى جيش عمر بن سعد: أبو

مع الركب الحسينى (ج ٤)، ص: ٢٣٢

حريث عبدالله بن شهر السبيعى ويزيد بن عذرة العنزى. (١)

٣- الخوارج: ص : ٢٣٢

المشهور بين المؤرخين أن الخوارج كانوا من جملة المشتركين فى جيش ابن زياد الذى عبأه لقتال الإمام الحسين عليه السلام فى كربلاء، وورد فى أكثر كتب المقاتل والتراجم أن سعد بن الحرث الأنصارى العجلانى وأخاه أبا الحتوف كانا من الخوارج (المحكمة) وخرجا مع ابن سعد إلى قتال الحسين عليه السلام، ولتياً قتل أصحاب الحسين عليه السلام، وجعل يقول: «ألا ناصر فينصرنا؟» وسمعتة النساء والأطفال فتصارخن، وسمع سعد وأخوه أبو الحتوف النداء من الحسين عليه السلام والصراخ من العيال، فمالا مع الحسين عليه السلام على أعدائه حتى استشهدا بين يديه. (٢)

فإذا افترضنا أن الخوارج كانوا قد خرجوا مع ابن زياد لقتال الإمام الحسين عليه السلام

مع الركب الحسينى (ج ٤)، ص: ٢٣٣

راغبين كما ذهب إلى ذلك الشيخ القرشى حيث يقول: «ومن بين العناصر التى اشتركت فى حرب الإمام عليهما السلام الخوارج، وهم من أحقد الناس على آل النبى عليهم السلام لأن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قد وترهم فى واقعة النهروان، فتسابقوا إلى قتل العترة الطاهرة للتشقى منها»، (١) إذن فهم بلا شك من المزدلفين إلى قتل الإمام عليه السلام المتقربين إلى الله تعالى بذلك، فهم إذن من الصنف الأول.

لكننا إذا أخذنا رأى المحقق التستري (ره) فى رده على الشيخ المامقانى (ره)، بصدد كون الأخوين سعد بن الحارث العجلانى (رض)

وأخيه أبى الحتوف (رض) من الخوارج، حيث يقول التستري (ره): «... ثم خروج الخارجي مع ابن سعد غير معقول، فكانت الخوارج لا يعاونون الجبابرة في قتال الكفار، فكيف في حربه عليه السلام؟ ثم كيف ينصر الحسين من يقول: لاحكم الله ويعلم أن الحسين عليه السلام مثل أبيه يجوز التحكيم بكتاب الله؟»، «٢» أمكن لنا القول بأن حضور الخوارج في جيش ابن زياد لقتال الإمام الحسين عليه السلام ربما كان على كره منهم، فهم من حيث التصنيف من المكروهين الآتي ذكرهم.

٤- المكروهون: ص : ٢٣٣

ومنهم الخوارج- على احتمال- كما قدمنا، ومنهم مخلص في حب الإمام عليه السلام وطاعته، لكنه لم يستطع اللحق به بسبب الحصار وشدّة المراقبة، حتى إذا حضر كربلاء في جيش ابن زياد، تحين الفرصة ليلة العاشر أو قبلها فالتحق بالإمام عليه السلام، وهؤلاء في حساب العدد أفراد قليلون، ورد ذكرهم في تراجم أنصار الحسين عليه السلام، وربما أمكن القول إن من هؤلاء أيضاً من خرج في جيش ابن سعد وهو لا يتوقع نشوب الحرب بل يتوقع الصلح، حتى إذا زدّت على الإمام عليه السلام معالركب الحسيني (ج ٤)، ص : ٢٣٤

شروطه وصارت الحرب حتماً مقضياً انحاز إلى الإمام عليه السلام وجاهد بين يديه حتى استشهد، وهؤلاء أيضاً أفراد قليلون. غير أن القسم الأعظم من صنف المكروهين أولئك الذين خرجوا في جيش ابن سعد مرغمين خوفاً من بطش ابن زياد إبان التعبئة الشاملة القاهرة التي فرضها على أهل الكوفة، وهم الذين غلب الشلل النفسي على وجودهم، وطغى مرض الإزدواجية على شخصيتهم، فكانت قلوبهم مع الإمام عليه السلام وسيوفهم عليه مع سيوف أعدائه، فكانوا حطب نار الفاجعة، ومادة ارتكاب الجريمة، وعدد هؤلاء كبير جداً نسبة إلى مجموع جيش ابن سعد في كربلاء.

هل اشترك أهل الشام في واقعة الطف؟ ص : ٢٣٤

ذهب المسعودي إلى أن واقعة الطف لم يحضرها شامي، حيث قال: «وكان جميع من حضر مقتل الحسين من العساكر وحاربه وتولى قتله من أهل الكوفة خاصة، لم يحضرهم شامي...»، «١» لكن هناك متوناً تاريخية قد يُستفاد منها أن أهل الشام قد حضروا كربلاء يوم عاشوراء، منها:

ما رواه ابن سعد في طبقاته قائلاً: «ودعا رجل من أهل الشام علي بن حسين الأكبر- وأمه آمنه بنت أبي مرّة بن عروة بن مسعود الثقفي، وأمه بنت أبي سفيان ابن حرب- فقال: إن لك بأمر المؤمنين قرابة ورحماً، فإن شئت آمناك وامض حيث ما أحببت فقال: أما والله لقرابة رسول الله صلى الله عليه وآله كانت أولى أن تُرعى من قرابة أبي سفيان، ثم كرّ عليه...». «٢»

معالركب الحسيني (ج ٤)، ص : ٢٣٥

وما رواه ابن عبد ربّه قائلاً: «ورأى رجل من أهل الشام عبدالله بن حسن بن علي- وكان من أجمل الناس- فقال: لأقتلن هذا الفتى...». «١»

وما رواه ابن قتيبة قائلاً: «قال الإمام علي بن الحسين عليه السلام: فمما فهمته وعقلته يومئذٍ مع عليّ وشدتها أنه أتى بي إلى عمر بن سعد، فلما رأى ما بي أعرض عني فبقيت مطروحاً لما بي، فأتاني رجل من أهل الشام فاحتملني فمضى بي وهو يبكي...». «٢» وما رواه ابن أعمش الكوفي قائلاً: «ثم حمل رضى الله عنه- أي علي الأكبر عليه السلام- فلم يزل يقاتل حتى ضجّ أهل الشام من يده ومن كثرة من قتل منهم...». «٣»

وورد في كتاب مناقب آل أبي طالب عليه السلام: «عندما صاح القاسم بن الحسن:

ياعمّاه. حمل الحسين على قاتله عمر بن سعيد الأزدى فقطع يده، وسلبه أهل الشام من يد الحسين ..»، «٤» وفيه أيضاً: «وبعث ابن زياد شمر بن ذى الجوشن فى أربعة آلاف من أهل الشام ...». «٥»

معالركب الحسينى (ج ٤)، ص: ٢٣٦

ومما رواه الشيخ الصدوق (ره): «... وأقبل عدوّ الله سنان بن أنس الأيدى وشمر بن ذى الجوشن العامرى فى رجال من أهل الشام حتّى وقفوا على رأس الحسين عليه السلام، فقال بعضهم لبعض: ما تنظرون؟! أريحو الرجل ...». «١»
ومما رواه الشيخ الكلينى (ره) عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «.. تاسوعاء يومٌ حوَصر فيه الحسين عليه السلام وأصحابه رضى الله عنهم بكرىلاء واجتمع عليه خيل أهل الشام وأناخوا عليه ...». «٢» ومما يلاحظ على هذه المتون أنّ مصطلح «أهل الشام» فيها ربما كان المراد منه- وهذا هو الأظهر والأقوى-: هوية إنتماء هذا الجيش سياسياً «الهوية السياسية» لا أنّ هذا الجيش متكوّن من أفراد هم من سكّان الشام، ومما يؤكّد هذا:

ما ورد فى رواية الكلينى (ره): «اجتمع عليه خيل الشام ...»، وما ورد فى رواية ابن أعثم الكوفى «حتّى ضجّ أهل الشام من يده ومن كثرة من قتل منهم ..»، وما ورد فى رواية المناقب «وسلبه أهل الشام من يد الحسين»، فإنّ المراد فى كلّ هذه المتون الثلاثة هو جيش ابن زياد المتألّف جُلّه من أهل الكوفة وقبائلها، ومن الأدلّة على ذلك أنّ ما ورد فى هذه المتون الثلاثة ذكرته مصادر أخرى بدون مصطلح «أهل الشام» بل أشارت إلى أنّ أولئك هم أهل الكوفة.

نعم، قد يكون أظهر هذه المتون دلالة- على حضور أهل الشام- ما ورد فى كتاب مناقب آل أبى طالب عليهم السلام: «وبعث ابن زياد شمر بن ذى الجوشن فى أربعة آلاف من أهل الشام»، غير أنّ ابن شهر آشوب قد تفرد بهذه الإضافة «من أهل الشام» إذ إنّ جميع المصادر التاريخية التى ذكرت أنّ ابن زياد سرح شمر بن ذى

معالركب الحسينى (ج ٤)، ص: ٢٣٧

الجوشن فى أربعة آلاف- أيام التعبئة- لم تذكر أنّ هؤلاء كانوا من أهل الشام، «١» ويضاف إلى هذا أنّ المصادر التاريخية أيضاً لم تذكر أنّ واحداً أو أكثر من القادة العسكريين الشاميين قد حضروا كربلاء يوم عاشوراء، ولو أنّ بعض القطعات العسكرية الشامية كانت قد حضرت كربلاء، لكان التاريخ قد ذكر القادة العسكريين الذين كانوا أمراء عليها، وهذا ما لم نعر عليه- حسب متابعتنا- فى المصادر التاريخية المبذولة.

من هنا نقول: إنّنا لانقطع- كما يقطع المسعودى- أنّ جيش ابن زياد لم يحضر فيه حتى شامئى واحد بل نقول: من الممكن العادى أن يحضر فى جيش ابن زياد أفراد متفرّقون كثيرون من الشام، بل لعلّ من غير الممكن أنّ لا يتحقق هذا، ذلك لأنّه لا بدّ للسلطة المركزية فى الشام من مراسلين وجواسيس شاميين يعتمدهم يزيد بن معاوية، يواصلونه بكلّ جديد عن حركة الأحداث فى العراق عامّة والكوفة خاصة.

لكننا نقطع: بأنّ الشام لم يبعث الى ابن زياد بأية قطعات عسكرية شامية للمساعدة فى مواجهة الإمام الحسين عليه السلام، وذلك لخلوّ التاريخ من أية إشارة معتبرة تفيد ذلك، بل التاريخ يشير من خلال دلائل كثيرة إلى أنّ ابن زياد أراد أن يثبت ليزيد قدرته الإدارية الفائقة من خلال الإكتفاء بتعبئة الكوفة فقط للقضاء على الإمام عليه السلام وأصحابه رضوان الله تعالى عليهم.

وإنّ من يتابع هذا المعنى- الذى قدّمناه- فى المصادر التاريخية يجده واضحاً بيّناً.

معالركب الحسينى (ج ٤)، ص: ٢٣٨

من الأعراف الحربىة فى ذلك العصر ص: ٢٣٨

يقول المرحوم القزوينى: «ثم اعلم أنّ قانون المحاربة فى ذلك الوقت- على ما استفدناه من الحروب المعظمة كحرب صفين وغيرها-

أن من تهيأ ميمنه وميسره وقلباً وجناحاً وساقية، ومكاناً للرامية، وموضعاً لأصحاب الأحجار، ويكون لأصحاب الميمنه عدّه مخصوصه من النبالة والحجارة، وكذا لأصحاب الميسره ولأصحاب القلب عدّه مخصوصه لايتجاوزون عن مقرهم وعن وظيفتهم، وأصحاب القلب لا يبرحون عن مكانهم، ولا يحملون مادام أصحاب الميمنه والميسره باقين. نعم، لا تتفق المبارزة بين أصحاب القلب مع من يحذوهم من أصحاب القلب، وأول من يحمل أو يبارز أصحاب الميمنه على الميسره، ثم أصحاب الميسره على أصحاب الميمنه. فما فى جُلّ المقاتل أنه حمل ميمنه ابن زياد على ميمنه الحسين عليه السلام لعله اشتباه ناشىء عن عدم التأمل وعدم العلم بقانون الحرب، إذ مقتضى الطبيعة فى التعبه أن الميمنه إزاء الميسره، ولا يمكن أن يحمل الميمنه على الميمنه إلا بعد التجاوز عن الميسره، إلا أن يكون البعد بين الفريقين كثيراً بحيث يمكن حمل الميمنه على الميمنه، ثم لا منافاه بين حمل الميمنه على الميسره ومبارزة الميسره مع أصحاب الميمنه، فتكون بين الميمنه والميسره حمله وحمله، وبين الميسره والميمنه مبارزة يبارز رجل بعد رجل، فيقاتلان، والقلب ثابت على مكانه لا يحمل.

نعم، بعد مغلوبية الميمنه والميسره- بحيث لا يبقى ميمنه ولا ميسره- يكون الجند كله بمنزله القلب، والقلب يحمل عليه، حتى إذا لم يبق من طرف إلا واحداً أو اثنين يحملون عليه بأجمعهم أو يتبارزون. «١»
معالركب الحسينى (ج ٤)، ص: ٢٣٩

الفصل الرابع: ملحمة كربلاء- يوم عاشوراء من المحرم سنة ٦١ هـ ق ص : ٢٣٩

إشارة

معالركب الحسينى (ج ٤)، ص: ٢٤١
الفصل الرابع: ملحمة كربلاء يوم عاشوراء من المحرم سنة ٦١ هـ
روى الطبرى قائلاً: «وعبأ الحسين عليه السلام أصحابه، وصلى بهم صلاة الغداة، وكان معه إثنان وثلاثون فارساً وأربعون راجلاً، فجعل زهير بن القين فى ميمنه أصحابه، وحبيب بن مظاهر فى ميسره أصحابه، وأعطى رايته العباس بن على أخاه، وجعلوا البيوت فى ظهورهم، وأمر بحطب وقصب كان من وراء البيوت تحرق بالنار مخافة أن يأتوهم من ورائهم. قال: وكان الحسين عليه السلام أتى بقصب وحطب إلى مكان من ورائهم منخفض كأنه ساقية فحفروه فى ساعه من الليل فجعلوه كالخندق، ثم ألقوا فيه ذلك الحطب والقصب، وقالوا إذا عدوا علينا فقاتلونا ألقينا فيه النار كيلا نوتى من ورائنا وقاتلونا القوم من وجه واحد، ففعلوا وكان ذلك لهم نافعاً». «٢»

معالركب الحسينى (ج ٤)، ص: ٢٤٢
كما روى الطبرى أيضاً قائلاً: «فلما صلى عمر بن سعد الغداة يوم السبت، وقد بلغنا أيضاً أنه كان يوم الجمعة، وكان ذلك اليوم يوم عاشوراء، خرج فيمن معه من الناس» وقال أيضاً: «لما خرج عمر بن سعد بالناس كان على ربع أهل المدينة يومئذ عبد الله بن زهير بن سليم الأزدى، وعلى ربع مذحج وأسد عبدالرحمن بن أبى سبرة الحنفى، وعلى ربع ربيعة وكندة قيس بن الأشعث بن قيس، وعلى ربع تميم وهمدان الحر بن يزيد الرياحى- فشهد هؤلاء كلهم مقتل الحسين إلا الحر بن يزيد فإنه عدل إلى الحسين وقتل معه- وجعل عمر على ميمنته عمرو بن الحجاج الزبيدى على ميسرته شمر بن ذى الجوشن بن شرحبيل بن الأعور بن عمر بن معاوية وهو الضباب بن كلاب، وعلى الخيل عزرة بن قيس الأحمسى،

معالركب الحسينى (ج ٤)، ص: ٢٤٣

وعلى الرجال شيب بن ربيعى اليربوعى، وأعطى الراية ذويداً مولاه». «١»

دعاء الإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء ص : ٢٤٣

وروى عن الإمام زين العابدين على بن الحسين عليهما السلام أنه قال: «لَمَّا صَبَّحَتِ الْخَيْلُ الْحُسَيْنَ رَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ ثَقْتِي فِي كُلِّ كَرْبٍ، وَرَجَائِي فِي كُلِّ شِدَّةٍ، وَأَنْتَ لِي فِي كُلِّ أَمْرٍ نَزَلَ بِي ثِقَةٌ وَعَيْدَةٌ، كَمْ مِنْ هَمٍّ يَضْعُفُ فِيهِ الْفُؤَادُ، وَتَقَلُّ فِيهِ الْحَيْلَةُ، وَيَخْذَلُ فِيهِ الصَّدِيقُ، وَيَشْمَتُ فِيهِ الْعَدُوُّ، أَنْزَلْتَهُ بِكَ وَشَكْوَتَهُ إِلَيْكَ، رَغْبَةً مَتَى إِلَيْكَ عَمَّنْ سِوَاكَ، فَفَرَّجْتَهُ وَكَشَفْتَهُ، وَأَنْتَ لِي كُلُّ نِعْمَةٍ، وَصَاحِبُ كُلِّ حَسَنَةٍ، وَمُنْتَهَى كُلِّ رَغْبَةٍ.» (٢)»
معالركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٢٤٤

إشعال النار في الخندق خلف المخيم ص : ٢٤٤

وأمر الإمام الحسين عليه السلام صبيحة يوم عاشوراء بحطب وقصب كانوا قد جمعه خلف الخيم - فوضع في المكان المنخفض خلف المخيم كأنه ساقية، بعد أن حفروه ليلة العاشر فجعلوه كالخندق - فأشعلت فيه النار، حتى لا يتمكن العدو أن يقاتلهم إلا من وجه واحد.
(١)

ردّة فعل العدو على إشعال النار ص : ٢٤٤

إشارة

أدرك أعداء الإمام الحسين عليه السلام أنّ مكيدة إشعال النار في الخندق خلف مخيم الإمام عليه السلام قد ضيّقت عليهم سعة ميدان الحرب، وجعلت المواجهة من وجه واحد، فاستفز ذلك أعصابهم، وصدّرت من بعض وجهائهم ردود فعل هستيرية، فقد روى الطبري بسنده عن الضحّاك المشرقى أنّه قال: «لَمَّا أَقْبَلُوا نَحُونَا فَنَظَرُوا إِلَى النَّارِ تَضَطَّرَمَ فِي الْحَطَبِ وَالْقَصَبِ الَّذِي كُنَّا أَلْهَبْنَا فِيهِ النَّارَ مِنْ وَرَائِنَا لَنَلْمَا يَأْتُونَا مِنْ خَلْفِنَا، إِذْ أَقْبَلَ إِلَيْنَا مِنْهُمْ رَجُلٌ يَرْكُضُ عَلَى فَرَسٍ كَامِلِ الْأَدَاةِ، فَلَمْ يَكَلِّمْنَا حَتَّى مَرَّ عَلَيَّ أَبْيَاتِنَا، فَنَظَرَ إِلَى أَبْيَاتِنَا فَإِذَا هُوَ لَا يَرَى إِلَّا حَطْبًا تَلْتَهَبُ النَّارُ فِيهِ، فَرَجَعَ فَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ: يَا حُسَيْنُ! اسْتَعْجَلْتَ النَّارَ فِي الدُّنْيَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ؟! فَقَالَ الْحُسَيْنُ: مِنْ هَذَا، كَأَنَّهُ شَمَرَ بِنَ ذِي الْجَوْشَنِ؟»

فقالوا: نعم أصلحك الله، هو هو!

فقال: يا ابن راعية المعزى، أنت أولى بها صلياً!

فقال له مسلم بن عوسجة: يا ابن رسول الله، جعلت فداك، ألا أرميه فإنه قد

معالركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٢٤٥

أمكنني، وليس يسقط سهم، فالفاسق من أعظم الجبارين.

فقال له الحسين: لا ترمه، فإنّي أكره أن أبدأهم!». (١)

وروى البلاذري يقول: «وقال رجل من بني تميم يقال له: عبدالله ابن حوزة، وجاء حتى وقف بحيال الحسين عليه السلام فقال: أبشر يا حسين بالنار!

فقال: كلاً، إنّي أقدم على ربّ رحيم وشفيع مطاع. ثم قال: من هذا!؟

قالوا: ابن حوزة.

قال: حازه الله إلى النار.

فاضطربت به فرسه في جدول، فعلقت رجله بالركاب، ووقع رأسه في الأرض، ونفر في الفرس فجعل يمرّ برأسه على كل حجر وأصل شجرة حتى مات، ويقال: بقيت رجله اليسرى في الركاب فشدد عليه مسلم بن عوسجة الأسدى فضرب رجله اليمنى فطارت، ونفر به فرسه يضرب به كل شيء حتى مات.». (٢)

معالركب الحسينى (ج ٤)، ص: ٢٤٦

وروى البلاذرى أيضاً أنّ محمّد بن الأشعث جاء «فقال: أين حسين؟

قال: ها أنذا.

قال: أبشر بالنار تردها الساعة!

قال: بل أبشر برّب رحيم وشفيع مطاع، فمن أنت؟

قال: محمّد بن الأشعث.». (١)

معالركب الحسينى (ج ٤)، ص: ٢٤٧

وقال البلاذرى: «ثم جاء رجل آخر فقال أين الحسين؟ قال: ها أنذا. قال: أبشر بالنار تردها الساعة! قال: بل أبشر برّب رحيم وشفيع مطاع، فمن أنت؟

قال: شمر بن ذى الجوشن.

فقال الحسين: الله أكبر! قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنى رأيت كلباً أبقع يلغ في دماء أهل بيتى!». (١)

إشارة: ص : ٢٤٧

قد يُلفت انتباه المتابع في رواية البلاذرى الأولى هنا قول الإمام عليه السلام لمسلم بن عوسجة (رض): «لا ترمه فإنى أكره أن أبدأهم»، وقوله عليه السلام لزهير بن القين (رض) - إبان تضيق الحرّ عليهم -: «... ولكن ما كنت لأبدأهم بالقتال حتى يبدأونى»، (٢) رداً على قول زهير: «... درنا نقاتل هؤلاء القوم، فإنّ قتالنا إياهم الساعة أهون علينا من قتال من يأتينا معهم بعد هذا». (٣)

معالركب الحسينى (ج ٤)، ص: ٢٤٨

إن إصرار الإمام عليه السلام على عدم البدء بالقتال من سنن الدعاء إلى الحقّ في مواجهة المنحرفين عن الهدى ودعوتهم الى الصراط المستقيم - ومن قبله كان أبوه أمير المؤمنين على عليه السلام قد امتنع عن البدء في القتال في الجمل وصفين (١) ذلك لأنّ الداعى إلى الحقّ الواثق من قوة حجّته وصحّة دليبه على موقفه لا يبرى إلى القتال حاجة مادام طريق مخاطبة العقول والقلوب بنور الحقيقة مفتوحاً لم يوصد بعد، إذ الأصل في الغاية عند هذا الداعى هو الهداية إلى الحقّ لا الحرب، فلو بدأهم بقتال لأوصد - هو بنفسه - على حجّته طريق النفوذ إلى القلوب والعقول التي يريد هدايتها، ولمنع حجّته من بلوغ تمامها، بل وجعل الحجّة عليه بيد خصومه فيكون بذلك قد نقض حجّته، ذلك لأنّ لهم أن يقولوا عند ذاك إذا كنت تريد لنا الهداية بالحقّ فلماذا ابتدأتنا بالقتال؟! وهذا ما لا يصدر عن الساحة المقدّسة لأهل بيت العصمة والطهارة عليه السلام أبداً، بل قد لا يصدر عمّن يقتدى بهديهم وسنتهم.

إحتجاجات الإمام عليه السلام في ساحة المعركة ص : ٢٤٨

حرص الإمام الحسين عليه السلام على مواصلة احتجاجاته على أعدائه - وهو يعلم أنّ القوم قاتلوه - ليتمّ الحجّة عليهم أمام الله تبارك وتعالى، وليستنقذ من يمكن أن

معالركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٢٤٩

ينتفع بمعرفة الحق والحقيقة، وليكشف للأمة عامة ولأجيالها الآتية فيما بعد عصره خاصة- من خلال بياناته الاحتجاجية- عن حقائقه قيامه، وعن أحقيته بالأمر، وعن أبعاد مظلوميته عليه السلام.

قال اليعقوبي في تاريخه: «فلما كان من الغد خرج فكلم القوم، وعظم عليهم حقه، وذكرهم الله عز وجل ورسوله، وسألهم أن يخلوا بينه وبين الرجوع، فأبوا إلما قتاله أو أخذه حتى يأتوا به عبيد الله بن زياد، فجعل يكلم القوم بعد القوم، والرجل بعد الرجل، فيقولون ماندرى ما تقول!». «١»

خطابه عليه السلام قبل بدء القتال ص: ٢٤٩

إشارة

روى الشيخ المفيد (ره) في الإرشاد يقول: «ثم دعا الحسين براحلته فركبها، ونادى بأعلى صوته: «يا أهل العراق»- وجلهم يسمعون- فقال:

«أيها الناس إسمعوا قولي ولا تعجلوا حتى أعظكم بما يحق لكم عليّ، وحتى أعذر إليكم، فإن أعطيتموني النصف كنتم بذلك أسعد، وإن لم تعطوني النصف من أنفسكم فأجمعوا رأيكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمّة ثم اقضوا إليّ ولا تنظرون، إن وليّ الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين».

ثم حمد الله وأثنى عليه وذكر الله بما هو أهله، وصلى على النبي صلى الله عليه وآله وعلى ملائكته الله وأنبيائه، فلم يسمع متكلم قط قبله ولا بعده أبلغ في منطق منه، ثم قال:

«أما بعد: فانسبونى فانظروا من أنا، ثم أرجعوا إلى أنفسكم وعاتبوها، فانظروا هل يصلح لكم قتلى وانتهاك حرمتي؟! ألسنت ابن بنت نبيكم، وابن

معالركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٢٥٠

وصيه وابن عمّه وأول المؤمنين المصدق لرسول الله بما جاء به من عند ربّه؟ أو ليس حمزة سيّد الشهداء عمّي؟ أو ليس جعفر الطيّار في الجنة بجناحين عمّي؟ أو لم يبلغكم ما قال رسول الله لى ولأخى: هذان سيّدا شباب أهل الجنة؟

فإن صدقتموني بما أقول وهو الحقّ، والله ما تعديت كذباً منذ علمت أنّ الله يمقت عليه أهله، وإن كذبتموني فإنّ فيكم من إن سألتموه عن ذلك أخبركم، سلوا جابر بن عبد الله الأنصاري، وأبا سعيد الخدري، وسهل بن سعد الساعدي، وزيد ابن أرقم، وأنس بن مالك، يخبروكم أنّهم سمعوا هذه المقالة من رسول الله صلى الله عليه وآله لى ولأخى، أما في هذا حاجز لكم عن سفك دمي؟!».

فقال له شمر بن ذى الجوشن: هو يعبد الله على حرف إن كان يدرى ما تقول! «١» فقال له حبيب بن مظاهر: والله إنى لأراك تعبد الله على سبعين حرفاً! وأنا أشهد أنّك صادق ما تدرى ما يقول، قد طبع الله على قلبك.

ثم قال لهم الحسين عليه السلام:

معالركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٢٥١

«فإن كنتم في شك من هذا! أفتشكون أنّى ابن بنت نبيكم؟! فوالله ما بين المشرق والمغرب ابن بنت نبي غيري فيكم ولا في غيركم، ويحكم! أطلبوني بقتيل منكم قتلته؟! أو مال لكم استهلكته؟! أو بقصاص جراحه؟!».

فأخذوا لا يكلمونه! فنادى:

«يا شبت بن ربي، يا حجار بن أبحر، يا قيس بن الأشعث، يا يزيد بن الحارث، ألم تكتبوا إلي أن قد أينعت الثمار واخضر الجناب، وإنما تقدم على جند لك مُجند؟!».

فقال له قيس بن الأشعث: ما ندرى ما تقول! ولكن انزل على حكم بني عمك، فإنهم لن يروك إلا ما تحب!
فقال له الحسين:

«لا والله، لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل، ولا أفر فرار العبيد»، ثم نادى:

«يا عباد الله، إني عذت بربي وربكم أن ترجمون، أعوذ بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب».

ثم إنه أناخ راحلته، وأمر عقبه بن سمعان فعقلها. (١)

مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٢٥٢

أميا الخوارزمي فقد روى تفاصيل هذا الخطاب على نحو آخر يتفاوت كثيراً مع رواية الشيخ المفيد (ره) والطبري وابن الأثير، قال الخوارزمي: «وأصبح الحسين فصلّى بأصحابه، ثم قرب إليه فرسه، فاستوى عليه وتقدم نحو القوم في نفر من أصحابه، وبين يديه برير بن خضير الهمداني، فقال له الحسين: كلم القوم يا برير وانصحهم. فتقدم برير حتى وقف قريباً من القوم، والقوم قد زحفوا إليه عن بكرة أبيهم، فقال لهم برير: يا هؤلاء! اتقوا الله فإن ثقل محمد قد أصبح بين

مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٢٥٣

أظهركم، هؤلاء ذريته وعترته وبناته وحرمه! فهاتوا ما عندكم؟ وما الذي تريدون أن تصنعوا بهم؟!

فقالوا: نريد أن نمكن منهم الأمير عبيد الله بن زياد فيرى رأيه فيهم!

فقال برير: أفلا ترضون منهم أن يرجعوا إلى المكان الذي أقبلوا منه؟! ويلكم يا أهل الكوفة! أنسيتم كتبكم إليه وعهودكم التي أعطيتموها من أنفسكم وأشهدتم الله عليها، وكفى بالله شهيداً؟! ويلكم، دعوتهم أهل بيت نبيكم وزعمتم أنكم تقتلون أنفسكم من دونهم، حتى إذا أتوكم أسلمتوهم لعبيد الله! وحلا تموهم عن ماء الفرات الجاري، وهو مبذول يشرب منه اليهود والنصارى والمجوس! وترده الكلاب والخنازير! بسما خلفتم محمداً في ذريته! مالكم؟! لا سقاكم الله يوم القيامة! فبئس القوم أنتم!

فقال له نفر منهم: يا هذا ما ندرى ما تقول؟

فقال برير: الحمد لله الذي زادني فيكم بصيرة، اللهم إني أبرأ إليك من فعال هؤلاء القوم! اللهم ألق بأسهم بينهم حتى يلقوك وأنت عليهم غضبان!

فجعل القوم يرمونه بالسهام، فرجع برير إلى ورائه.

فتقدم الحسين عليه السلام حتى وقف قبالة القوم، وجعل ينظر إلى صفوفهم كأنها السيل! ونظر إلى ابن سعد واقفاً في صناديد الكوفة، فقال:

الحمد لله الذي خلق الدنيا فجعلها دار فناء وزوال، متصرفة بأهلها حالاً بعد حال، فالمغرور من غرته، والشقي من فتنته، فلا تغرنكم هذه الدنيا، فإنها تقطع رجاء من ركن إليها، وتخب طمع من طمع فيها، وأراكم قد اجتمعتم على أمر قد أسخطتم الله فيه عليكم! فأعرض بوجهه الكريم عنكم، وأحل بكم نعمته، وجنبكم رحمته! فنعم الرب ربنا، وبئس العبيد أنتم! أقررتم

مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٢٥٤

بالطاعة وآمنتكم بالرسول محمد، ثم إنكم زحفتم إلى ذريته تريدون قتلهم! لقد استحوذ عليكم الشيطان فأنساكم ذكر الله العظيم! فتباً لكم وما تريدون، إننا لله وإننا إليه راجعون، هؤلاء قوم قد كفروا بعد إيمانهم فبعداً للقوم الظالمين!

فقال عمر بن سعد: ويلكم! كلموه فإنه ابن أبيه! فوالله لو وقف فيكم هكذا يوماً جديداً لما قطع ولما حصر! فكلّموه.

فتقدم إليه شمر بن ذى الجوشن فقال: يا حسين! ما هذا الذي تقول؟ أفهمنا حتى نفهم!

فقال عليه السلام:

أقول لكم أتقوا الله ربكم ولا تقتلون، فإنه لا يحل لكم قتلى ولا انتهاك حرمتي، فإنني ابن بنت نبيكم، وجدتي خديجة زوجة نبيكم، ولعله قد بلغكم قول نبيكم محمد صلى الله عليه وآله: الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة ما خلا النبيين والمرسلين، فإن صدقتموني بما أقول وهو الحق، فوالله ما تعمدت كذباً منذ علمت أن الله يمقت عليه أهله، وإن كذبتموني فإن فيكم من الصحابة مثل جابر بن عبد الله، وسهل بن سعد، وزيد بن أرقم، وأنس بن مالك، فأسألوهم عن هذا، فإنهم يخبرونكم أنهم سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وآله، فإن كنتم في شك من أمري أفتشكون أنني ابن بنت نبيكم؟! فوالله ما بين المشرقين والمغربين ابن بنت نبي غيري! ويلكم! أتطلبوني بدم أحد منكم قتلته أو بمال استملكته، أو بقصاص من جراحات استهلكته؟! فسكتوا عنه لا يجيبونه! ثم قال عليه السلام:

والله لا أعطيهم بيدي إعطاء الذليل، ولا أفر فرار العبيد، عباد الله! إنني

مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٢٥٥

عدت بربي وربكم أن ترجمون، وأعوذ بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب!

فقال له شمر بن ذى الجوشن: يا حسين بن علي! أنا أعبد الله على حرف إن كنت أدري ما تقول!

فسكت الحسين عليه السلام، فقال حبيب بن مظاهر للشمر: يا عدو الله وعدو رسول الله، إنني لأظنك تعبد الله على سبعين حرفاً! وأنا أشهد أنك لا تدري ما يقول، فإن الله تبارك وتعالى قد طبع على قلبك! فقال له الحسين عليه السلام:

«حسبك يا أبا بني أسد! فقد قضى القضاء، وجفّ القلم، والله بالغ أمره، والله إنني لأشوق إلى جدّي وأبي وأمي وأخي وأسلافي من يعقوب إلى يوسف وأخيه! ولي مصرع أنا لاقيه.» (١)

وأما السيد ابن طاووس (ره) فقد روى تفاصيل هذا الخطاب على نحو آخر أيضاً، قال: «قال الراوي: وركب أصحاب عمر بن سعد لعنهم الله، فبعث الحسين عليه السلام برير بن خضير، فوعظهم فلم يستمعوا، وذكرهم فلم ينتفعوا، فركب الحسين عليه السلام ناقته - وقيل فرسه - فاستنصتهم فأنصتوا، (٢) فحمد الله وأثنى عليه

مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٢٥٦

وذكره بما هو أهله، وصلى على محمد صلى الله عليه وآله وعلى الملائكة والأنبياء والرسل، وأبلغ في المقال، ثم قال:

تباً لكم أيتها الجماعة وترحاً! حين استصرختمونا والهين فأصرخناكم موجفين! سلّتم علينا سيفاً لنا في أيمانكم! وحششتم علينا ناراً اقتدحناها على عدونا وعدوكم! فأصبحتم إلماً لأعدائكم على أوليائكم، بغير عدلٍ أفشوه فيكم، ولا أملٍ أصبح لكم فيهم! فهلاً لكم الولايات تركتمونا والسيف مشيم، والجأش طامن، والرأى لئماً يستحصف؟! ولكن أسرعتم إليها كطيرة الدبى (١)، وتداعيتم إليها كتهافت الفراش! فسحقاً لكم يا عبيد الأمة، وشذاذ الأحزاب، ونبذة الكتاب، ومخرفي الكلم، وعصبه الآثام، ونفثة الشيطان، ومطفئي السنن! أهؤلاء تعضدون وعنا تتخاذلون؟! أجل والله، غدر فيكم قديم! وشجت عليه أصولكم، وتآزرت عليه فروعكم! فكنتم أخبث ثمر، شجى الناظر وأكلة للغاصب! ألا وإنّ الدعى ابن الدعى قد ركز بين اثنتين، بين السلة والذلة، وهيهات منا الذلة! يأبى الله ذلك لنا ورسوله والمؤمنون، وحجور طابت وطهرت، وأنوف حمية، ونفوس أبية، من أن تؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام، ألا وإنني زاحف بهذه الأسرة مع قلّة العدد وخذلة الناصر!

ثم أوصل كلامه بأبيات فروة بن مسيك المرادى:

فإن نُهزم فهزامون قدماً وإن نُغلب فغير مُغلبينا

وما إن طَبنا جُبُنْ ولكنْ منايانا ودولة آخرينا

إذا ما الموت رَفَع عن أناسٍ كلاكه أناخ بأخرينا
فأفنى ذلكم سروات قومي كما أفنى القرون الأولينا
فلو خلد الملوك إذا خلدنا ولو بقى الملوك إذا بقينا
فقل للشامتين بنا أفيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا

ثُمَّ أَيْمُ اللَّهِ، لا تلبثون بعدها إلَّا كريث ما يركب الفرس! حتَّى تدور بكم دور الرحي، وتقلق بكم قلق المحور! عهدٌ عهدُه إلَيَّ أبي عن جدِّي، فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثمَّ لا يكن أمركم عليكم عمَّة ثمَّ اقضوا إلَيَّ ولا تنظرون، إنِّي توكلت على الله ربِّي وربكم، ما من دابةٍ إلَّا هو آخذٌ بناصيتها إنَّ ربِّي على صراط مستقيم. اللَّهُمَّ احبس عنهم قطر السماء، وابعث عليهم سنين كسنى يوسف، وسلط عليهم غلام ثقيف فيسومهم كأساً مصبَّرة، «١» فإنهم كذبونا وخذلونا، وأنت ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير.

ثمَّ نزل عليه السلام ودعا بفرس رسول الله صلى الله عليه و آله المرتجز فركه وعبأ أصحابه للقتال. «٢»
مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٢٥٨

إشارات ص : ٢٥٨

١ المستفاد من ظاهر متون الأصول التاريخية التي روت نصَّ خطاب الإمام عليه السلام قبل بدء القتال - على ما هي عليه من الاختلاف فيما بينها - هو أن كلاً من هذه النصوص يشكّل وحده متن هذا الخطاب، ومع فرض صحة صدور هذه النصوص جميعاً عن الإمام عليه السلام، فلا محيص من أن تكون هذه النصوص خطباً متعددة خطبها عليه السلام قبل بدء القتال، أو أن تكون أجزاء و مقاطع متعددة من خطاب واحد، فصلت بينها فواصل قطعت اتصالها ووحده سياقها. وبحسب طبيعة تدرّج الأمور والأشياء فلا بد أن يكون عليه السلام قد بدأهم بتعريفهم بنفسه الشريفة وبنصيحتهم ودعوتهم إلى الحق، وتذكيرهم بكتبهم وعهودهم، ثمَّ حيث لم يجد منهم الإستجابة والتسليم، بل الإصرار والعناد، فإنَّ لهجة خطابه اشتدَّت تبعاً لذلك.

من هنا فإنَّ الأرجح أن يكون النصّ الذي رواه الطبري والمفيد (ره) والذي كانت بدايته «أيها الناس إسمعوا قولي، ولا تعجلوا حتَّى أعظكم بما يحقّ لكم على ... أما بعد فانسبونى فانظروا من أنا، ثمَّ ارجعوا إلى أنفسكم وعاتبوها ...». هو المقطع الأوّل من خطابه عليه السلام، ثمَّ يأتي بعده - مقطعاً ثانياً - ما رواه الخوارزمي:

«الحمد لله «١» الذي خلق الدنيا فجعلها دار فناء وزوال، متصرّفة بأهلها حالاً بعد حال ...»، ثمَّ حيث لم تنفع بهم المواعظ والإحتجاجات فإنَّ لهجة خطابه اشتدَّت فقرّعهم عليه السلام ووبّخهم فقال: «تباً لكم أيّتها الجماعة وترحاً ...» فكان هذا المقطع هو

مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٢٥٩

الجزء الأخير من خطابه عليه السلام.

٢ وربّما يستظهر المتأمّل أن خطاب برير (رض) كان فاصلاً بين المقطع الأوّل والمقطع الثاني من خطابه عليه السلام، ولربّما كانت خطبة زهير ابن القين (رض) - وتأتى فيما بعد - فاصلاً بين مقطعين من مقاطع خطابه عليه السلام، أى أن خطابه قبل بدء القتال تخلّلتها فواصل بسبب خطابي برير وزهير رضوان الله عليهما.

٣ ذهب المحقق الشيخ السماوي (ره) إلى أن كلامه عليه السلام الأوّل هو خطبته الأولى، وهي تنتهى بنزوله عليه السلام عن راحلته التي عقلها عقبه بن سمعان، وأنَّ خطبته الثانية هي التي تبدأ بقوله: «تباً لكم أيّتها الجماعة وترحاً ...». «١»

٤ وذهب المحقق السيّد المقرّم (ره) إلى أن كلامه عليه السلام الأوّل هو خطبته الأولى. «٢»

وأنَّ وقائع: حادثه عبد الله بن حوزة التميمي، «٣» وحادثه محمّد بن الأشعث، «٤»

معالركب الحسينى (ج ۴)، ص: ۲۶۰

وما حصل لمسروق بن وائل الحضرمى، «۱» وخطبة زهير بن القين (رض)، وخطبة برير (رض)، جميعها تأتي بعد خطبته عليه السلام الأولى، ثم تأتي بعد هذه الوقائع خطبته عليه السلام الثانية، حيث يقول السيد المقرّم (ره): «ثم إن الحسين عليه السلام ركب فرسه، وأخذ مصحفاً ونشره على رأسه ووقف بإزاء القوم، وقال: يا قوم، إن بينى وبينكم كتاب الله وسنة جدى رسول الله صلى الله عليه وآله. ثم استشهدهم عن نفسه المقدسة وما عليه من سيف النبى صلى الله عليه وآله ولامته وعمامته، فأجابوه بالتصديق، فسألهم عما أقدمهم على قتله؟! قالوا: طاعة للأمر عبيدالله بن زياد! فقال عليه السلام: تبا لكم أيتها الجماعة وترحاً..». «۲»

۵ أمياً المحقق الشيخ القرشى فقد ذهب إلى ما ذهبنا إليه فى أن الإمام عليه السلام كان قد خطب خطبة واحدة، متألفه من مقاطع فصلت بينها فواصل، لكنّه ذكر أن خطبة زهير (رض) ثم خطبة برير (رض) فصلتا بين مقطعى خطبته عليه السلام، إذ إن الشيخ القرشى - كما السيد المقرّم - أدرج المقطع الذى رواه الخوارزمى: «الحمد لله الذى خلق الدنيا فجعلها دار فناء وزوال...» «۳» فى المقطع الأول، وذكره بعد إسكات النساء عن الصراخ والبكاء، ولانعلم أيضاً المستند التاريخى أو التحليلى للسياق الذى اعتمده؟ ولعلّه اعتمد على ما ذهب إليه السيد المقرّم رحمه الله عليه.

معالركب الحسينى (ج ۴)، ص: ۲۶۱

خطاب زهير بن القين (رض) ص: ۲۶۱

لم تحدّد المصادر التاريخية الأساسية التى روت خطاب زهير بن القين (رض) قبل بدء القتال موقع هذا الخطاب بدقة، أى هل كان قبل خطاب الإمام عليه السلام أم بعده، أم كان فى أثناءه، وهل كان قبل خطاب برير (رض) أم بعده؟

يروى الطبرى عن كثير بن عبدالله الشعبى أنه قال: «لَمَّا زحفنا قبل الحسين خرج إلينا زهير بن القين على فرس له ذنوب، شاك فى السلاح، فقال: يا أهل الكوفة! نذار لكم من عذاب الله نذار! إن حقاً على المسلم نصيحة أخيه المسلم، ونحن حتى الآن إخوة، وعلى دين واحد وملة واحدة، ما لم يقع بيننا وبينكم السيف، وأنتم للنصيحة منا أهل فإذا وقع السيف انقطعت العصمة وكنا أمّة وأنتم أمّة. إن الله قد ابتلانا وإياكم بذرية نبيّه محمد صلى الله عليه وآله لينظر ما نحن وأنتم عاملون، إننا ندعوكم إلى نصرهم وخذلان الطاغية عبيدالله بن زياد، فإنكم لا تدركون منهما إلّا بسوء عمّر سلطانهما كلّ! ليسملان أعينكم ويقطعان أيديكم وأرجلكم، ويمثلان بكم، ويرفعانكم على جذوع النخل، ويقتلان أمثالكم وقراءكم، أمثال حُجر بن عدى وأصحابه، وهانىء بن عروة وأشباهه! قال: فسبوه وأثنوا على عبيدالله بن زياد ودعوا له! وقالوا: والله لانبجح حتى نقتل صاحبك ومن معه، أو نبعث به بأصحابه إلى الأمير عبيدالله سلماً!

فقال لهم: عباد الله! إن وُلِدَ فاطمة رضوان الله عليها أحق بالودّ والنصر من ابن سميّه، فإن لم تنصروهم فأعيذكُم بالله أن تقتلوهم، فخلّوا بين هذا الرجل وبين ابن عمّه يزيد بن معاوية، فلعمري إن يزيد ليرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين!

قال: فرماه شمر بن ذى الجوشن بسهم وقال: أسكت، أسكت الله نامتك!

معالركب الحسينى (ج ۴)، ص: ۲۶۲

أبرمتنا بكثرة كلامك.

فقال له زهير: يا ابن البوّال على عقبه! ما إياك أخطب إنما أنت بهيمة! والله ما أظنك تُحكّم من كتاب الله آيتين! فأبشر بالخرى يوم القيامة والعذاب الأليم.

فقال له شمر: إن الله قاتلك وصاحبك عن ساعة!

قال: أباالموت تخوفنى؟! فوالله للموت معه أحبّ إليّ من الخلد معكم!

قال: ثم أقبل على الناس رافعاً صوته فقال: عبادَ الله! لا يغرنكم من دينكم هذا الجلف الجافي وأشباهه! فوالله لا تنال شفاعهُ محمد صلى الله عليه وآله يوماً أهرقوا دماء ذريته وأهل بيته، وقتلوا من نصرهم وذبَّ عن حريمهم.
قال: فناداه رجل فقال له: إنَّ أبا عبد الله يقول لك: أقبل: فلعمري لئن كان مؤمن آل فرعون نصح لقومه وأبلغ في الدعاء لقد نصحت لهؤلاء وأبلغت لو نفع النصح والإبلاغ!.. (١)

الحربُ بن يزيد الرياحي .. والموقف الخالد ص : ٢٦٢

قال الشيخ المفيد (ره): «فلما رأى الحرّ بن يزيد أنّ القوم قد صمّوا على قتال الحسين عليه السلام قال لعمر بن سعد: أيُّ عُمر! أمقاتل أنت هذا الرجل؟!
قال: إي والله، قتالاً أيسره أن تسقط الرؤوس وتطيح الأيدي!!
قال: أفما لكم فيما عرضه عليكم رضى؟!
مع الراكب الحسيني (ج ٤)، ص: ٢٦٣
قال عمر: أما لو كان الأمرُ إليّ لفعلت! ولكن أميرك قد أبى.
فأقبل الحرُّ حتى وقف من الناس موقفاً، ومعه رجل من قومه يُقال له قُرّة بن قيس، فقال: يا قُرّة هل سقيت فرسك اليوم؟
قال: لا!

قال: فما تريد أن تسقيه؟
قال قُرّة فظننتُ والله أنه يُريد أن يتنحى فلا يشهد القتال، ويكره أن أراه حين يصنع ذلك، فقلت له: لم أسقيه، وأنا منطلق فأسقيه.
فاعتزل ذلك المكان الذي كان فيه، فوالله لو أنه أطلعني على الذي يُريد لخرجت معه إلى الحسين بن عليّ عليه السلام. (١)
فأخذ يدنو من الحسين قليلاً قليلاً، فقال له المهاجر بن أوس: ما تريد يا ابن يزيد، أتريد أن تحمل؟
فلم يجبه وأخذه مثل الأفكل - وهي الرعدة - فقال له المهاجر: إنَّ أمرك لمريب!! والله ما رأيت منك في موقف قطُّ مثل هذا، ولو قيل لي: من أشجع أهل الكوفة؟ ما عدوتك! فما هذا الذي أرى منك؟!
مع الراكب الحسيني (ج ٤)، ص: ٢٦٤

فقال له الحر: إنّي والله أخير نفسي بين الجنّة والنار! فوالله لا أختار على الجنّة شيئاً ولو قُطعتُ وحُرقت!
ثم ضرب فرسه فلحق بالحسين عليه السلام فقال له: جُعلت فداك يا ابن رسول الله! أنا صاحبك الذي حبستك عن الرجوع، وسأيرتك في الطريق، وجعجتُ بك في هذا المكان، وما ظننتُ أنّ القوم يردّون عليك ما عرضته عليهم! ولا يبلغون منك هذه المنزلة! والله لو علمتُ أنّهم ينتهون بك إلى ما أرى ماركبت منك الذي ركبت، وإنّي تائب إلى الله مما صنعتُ! فترى لي من ذلك توبه؟ (١)

فقال له الحسين عليه السلام: نعم، يتوب الله عليك، فانزل. (٢)

قال: أنا لك فارساً خيراً مني راجلاً، أقاتلهم على فرسي ساعة، وإلى النزول ما يصير آخر أمرى.

فقال له الحسين عليه السلام: فاصنع يرحمك الله ما بدالك.

فاستقدم أمام الحسين عليه السلام (٣) ثم قال:

مع الراكب الحسيني (ج ٤)، ص: ٢٦٥

يا أهل الكوفة، لأُمكنم الهبَل والعَبْر! أَدعوتم هذا العبد الصالح حتى إذا أتاكم أسلمتموه؟! وزعتم أنكم قاتلو أنفسكم دونه ثم عدوتم عليه لتقتلوه؟! أمسكتم أنفسه، وأخذتم بكظمه، وأحطتم به من كل جانب لتمنعوه التوجه في بلاد الله العريضة! (١) فصار كالأسير في

أيديكم لا يملك لنفسه نفعاً ولا يدفع عنها ضرراً! وحلاً-تموه ونساءه وصبيته وأهله عن ماء الفرات الجارى يشربه اليهود والنصارى والمجوس! وتمرغ فيه خنازير السواد وكلابه! وهاهم قد صرعهم العطش! بئس ما خلفتم محمداً في ذريته، لاسقاكم الله يوم الظم الأكبر. (٢)

فحمل عليه رجال يرمونه بالنبل! فأقبل حتى وقف أمام الحسين عليه السلام. (٣)

هل التحق ثلاثون رجلاً بالإمام عليه السلام يوم عاشوراء؟ ص : ٢٦٥

إشارة

يقول ابن عبدربه الأندلسي: «وكان مع عمر بن سعد ثلاثون رجلاً من أهل الكوفة فقالوا: يعرض عليكم ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله ثلاث خصال فلا تقبلون منها شيئاً؟! فتحوّلوا مع الحسين فقاتلوا معه». (٤)

مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٢٦٦

إشارة: ص : ٢٦٦

إنّ المتأمل في متون المصادر التاريخية (١) التي ذكرت قضية تحوّل والتحاق ثلاثين رجلاً من جيش ابن سعد بالإمام عليه السلام يجد أنّ هذه المتون لا- تشخص ساعة وزمان إلتحاقهم بالتحديد، لكنّ ظاهر هذه المتون يوحي بأنّ هذا الإلتحاق كان قد حصل يوم عاشوراء، ولذا فإنّ بعض المؤرّخين المتأخرين- أخذوا بهذا الظاهر- ذكر قضية هذا الإلتحاق بعد ذكره إلتحاق الحرّ (رض) بالإمام عليه السلام، (٢) بل ذهب آخر إلى القول: «ولاشكّ في أنّ موقف الحرّ بن يزيد كان له أعمق الأثر في نفوس الكثيرين من جيش ابن زياد... ولذلك لم يلبث أن انحاز إلى الحرّ بن يزيد في انتصاره للحسين جماعة من أعيان الكوفة وفرسانها يُقدّر عددهم بثلاثين فارساً»، (٣) فهذا الكاتب يصرّح بأنّ التحاق هؤلاء الثلاثين كان نتيجة التأثير بالتحاق الحرّ (رض) بالإمام عليه السلام صبيحة عاشوراء.

ولنا هنا ملاحظات في هذا الصدد:

١- ليس هناك دليل تاريخي يفيد أنّ التحاق هؤلاء الثلاثين (رض) كان بعد التحاق الحرّ (رض) أو كان نتيجة له!

٢ هناك مصادر تاريخية أخرى تروى أنّ عملية التحوّل والإلتحاق

مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٢٦٧

بالإمام عليه السلام من قبل مجموعة من جيش ابن سعد كانت قد تمّت ليلة العاشر، فهذا السيّد ابن طاووس (ره) يروى قائلاً: «وبات الحسين عليه السلام وأصحابه تلك الليلة ولهم دوىّ النحل، ما بين راعع وساجد وقائم وقاعد، فعبر عليهم في تلك الليلة من عسكر عمر بن سعد إثنان وثلاثون رجلاً..». (١)

٣ إنّ هذه الخصال أو الشروط التي تحدّثت مصادر تاريخية أنّ الإمام عليه السلام عرضها على ابن سعد ورُدّت عليه (٢)- على فرض أنّها عرضت يوم عاشوراء أيضاً- كانت قد عرضت أيضاً قبل يوم عاشوراء وبالتحديد بعد إحكام الحصار على معسكر الإمام عليه السلام، أي في اليوم السابع أو الثامن، وقد وردت هذه الخصال المزعومة في رسالة ابن سعد إلى ابن زياد، (٣) ولاشكّ أنّ أمر هذه الرسالة ومحتواها- على فرض صحّة خبرها- كان قد انتشر في صفوف جيش ابن سعد لأهميتها البالغة.

٤ تذكر كتب التراجم والتواريخ أسماء مجموعة من الأنصار قد تحوّلوا إلى معسكر الامام عليه السلام في سواد ليلة عاشوراء- بعد ردّ

الجيش الأموى ما عرضه الامام عليه السلام- ومن هؤلاء الأنصار (رض) على سبيل المثال لا الحصر: جوين بن مالك بن قيس بن ثعلبة التميمى (رض)، وزهير بن سليم الأزدي (رض)، والنعمان بن عمرو الأزدي الراسبي (رض)، وأخوه الحُلاس (رض). «۴» بل تذكر كتب التراجم والتاريخ أن بعض هؤلاء الأنصار (رض) كان قد تحوّل مع الרכب الحسينى (ج ۴)، ص: ۲۶۸

إلى معسكر الإمام عليه السلام- بعد ردّ ما عرضه الإمام عليه السلام- دون أن تشخّص أن هذا التحوّل كان ليلة عاشوراء، ممّا يفيد أن هذا الإلتحاق ربّما كان قبل ليلة عاشوراء، ومن هؤلاء على سبيل المثال: عمرو بن ضبيعة الضبيعى (رض)، «۱» والحارث بن امرء القيس الكندى (رض). «۲»

إذن فالصحيح أن تحوّل والتحاق مجموعة من رجال جيش ابن سعد إلى معسكر الإمام عليه السلام قد بدأ ليلة العاشر- أو قبل ذلك على احتمال- ثم استمرت عمليّة التحوّل هذه حتى يوم عاشوراء، إلى أن تمّ فى يوم عاشوراء عدد الرجال الذين تحوّلوا إلى معسكر الإمام الحسين عليه السلام ثلاثين أو يزيدون، وهذا ما ذهب إليه أيضاً المحقّق السماوى (ره) فى تلخيصه لمجريات وقائع نهضة الإمام عليه السلام، حيث يقول: «... فقطع- أى عمر بن سعد- المراسلات بينه وبين الحسين، وضيق عليه ومنع عليه ورود الماء، وطلب منه إحدى الحالتين النزول أو المنازلة، فجعل يتسلل إلى الحسين من أصحاب عمر بن سعد فى ظلام الليل الواحد أو الإثنان حتى بلغوا فى اليوم العاشر زهاء ثلاثين ممّن هداهم الله إلى السعادة ووفّقهم إلى الشهادة». «۳» مع الרכب الحسينى (ج ۴)، ص: ۲۶۹

بداية الحرب - الحملة الأولى ص : ۲۶۹

عمر بن سعد: إشهدوا أنى أول من رمى!! ص : ۲۶۹

قال الشيخ المفيد (ره): «ونادى عمر بن سعد: يا ذويد، «۱» أذن رايترك. فأدناها، ثم وضع سهمه فى كبد قوسه، ثم رمى، وقال: إشهدوا أنى أول من رمى!! ثم ارتمى الناس وتبارزوا...». «۲» وروى الخوارزمى قائلاً: «وزحف عمر بن سعد، فنادى غلامه دريداً: قدّم رايترك يا دريد! ثم وضع سهمه فى كبد قوسه، ثم رمى به وقال: إشهدوا لى عند الأمير أنى أول من رمى! فرمى أصحابه كلهم بأجمعهم فى أثره رشقة احده!! فما بقى من أصحاب الحسين أحدٌ إلّا أصابه من رميتهم سهم!». «۳»

الإمام عليه السلام يأذن لأنصاره (رض) بالقتال ص : ۲۶۹

وقال السيد ابن طاووس (ره): «فتقدّم عمر بن سعد فرمى نحو عسكر الحسين عليه السلام بسهم، وقال: إشهدوا لى عند الأمير أنى أول من رمى! وأقبلت السهام من القوم كأنها القطر! فقال عليه السلام لأصحابه: قوموا رحمكم الله إلى الموت الذى لا بدّ منه! فإنّ هذه السهام رسل القوم إليكم! فاقتتلوا ساعة من النهار حملةً وحملةً، حتى قُتل من أصحاب الحسين عليه السلام جماعة!» مع الרכب الحسينى (ج ۴)، ص: ۲۷۰

قال: فعندها ضرب الحسين عليه السلام بيده إلى لحيته، وجعل يقول:

«اشتدّ غضب الله تعالى على اليهود إذ جعلوا له ولداً! واشتدّ غضب الله تعالى على النصارى إذ جعلوه ثالث ثلاثة! واشتدّ غضبه على المجوس إذ عبدوا الشمس والقمر دونه! واشتدّ غضبه على قوم اتفقت كلمتهم على قتل ابن بنت نبيهم! أما والله لا أجيبهم إلى شىء ممّا يريدون حتى ألقى الله تعالى وأنا مخضّب بدمى!». «۱»

وقال الخوارزمي: «قال أبو مخنف: فلما رموهم هذه الرمية قل أصحاب الحسين عليه السلام، فبقي في هؤلاء القوم الذين يُذكرون في المبارزة، وقد قُتل منهم ما يُنيف على خمسين رجلاً...» (٢)

النصر يرفرف على رأس الحسين عليه السلام ص : ٢٧٠

روى الشيخ الكليني (ره) عن الامام الباقر عليه السلام قال: «أنزل الله تعالى النصر على الحسين عليه السلام حتى كان ما بين السماء والأرض، ثم حُيّر: النصر أو لقاء الله، فاخترت مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٢٧١ لقاء الله!». (١)

وينقلها السيد ابن طاووس (ره) عن معالم الدين للنرسي هكذا: «لما التقى الحسين عليه السلام وعمر بن سعد لعنه الله وقامت الحرب، أنزل النصر حتى رفر على رأس الحسين عليه السلام، ثم حُيّر بين النصر على أعدائه وبين لقاء الله تعالى، فاخترت لقاء الله تعالى». (٢)

المبارزة التي وقعت قبل الحملة الأولى ص : ٢٧١

عبدالله بن عمير الكلبى (رض) ... والموقف البطولى! ص : ٢٧١

لما أدنى عمر بن سعد رايته ورمى بالسهم معلناً بداية الحرب ارتمى الناس «فلما ارتموا خرج يسار مولى زياد بن أبى سفيان!!، وسالم مولى عبيدالله بن زياد، فقالا: من يُبارز؟ ليخرج إلينا بعضكم! قال فوثب حبيب بن مظاهر، وبرير بن خضير، فقال لهما الحسين: أجلسا. فقام عبدالله بن عمير الكلبى فقال: أبا عبدالله! رحمك الله، إنذن لى فلاأخرج إليهما! فرأى حسين رجلاً آدم طويلاً، شديد الساعدين، بعيد ما بين المنكبين، فقال حسين: إنى لأحسبه للأقران قتالاً! أخرج إن شئت. مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٢٧٢ قال فخرج إليهما، فقالا له: من أنت؟! فانتسب لهما، فقالا: لانعرفك، ليخرج إلينا زهير بن القين، أو حبيب بن مظاهر، أو برير بن خضير!

ويسار مستتل أمام سالم، فقال له الكلبى: يا ابن الزانية! وبك رغبة عن مبارزة أحد من الناس؟! ويخرج إليك أحد من الناس إلّا وهو خير منك؟! ثم شدّ عليه فضربه بسيفه حتى برد! فإنه لمشتغل به يضربه بسيفه إذ شدّ عليه سالم، فصاح به أصحابه: قد رهقك العبد! فلم يأبه له حتى غشيه فبدره الضربة، فأتقاه الكلبى بيده اليسرى، فأطار أصابع كفه اليسرى! ثم مال عليه الكلبى فضربه حتى قتله! وأقبل الكلبى مرتجزاً وهو يقول وقد قتلتهما جميعاً:

إن تُنكرونى فأنابن كلب حاسبى بيتى فى عُلَيْم حاسبى
 إنى امرؤ ذو مرّة وعصبٍ ولست بالخوار عند التكب
 إنى زعيمٌ لك أم وهبٍ بالطعن فيهم مُقدماً والضرب
 ضرب غلام مؤمن بالرب

فأخذت أم وهب امرأته عموداً ثم أقبلت نحو زوجها تقول له: فداك أبى وأمى! قاتل دون الطيبين ذرية محمد.

فأقبل إليها يردّها نحو النساء، فأخذت تجاذب ثوبه! «١» ثمّ قالت: إنّي لن أدعك دون أن أموت معك! فنادها حسينٌ فقال: «جزيتم من أهل بيت خيراً! إرجعي رحمك الله إلى النساء فاجلسي معهنّ، فإنّه ليس على النساء قتال. فانصرفت إليهنّ..». «٢» مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٢٧٣

بعض تفاصيل الحملة الأولى ص : ٢٧٣

يظهر من المتون التاريخية أنّ الحملة الأولى كان قد شنّها جيش عمر بن سعد على جيش الإمام عليه السلام عقيب المبارزة التي قتل فيها عبدالله بن عمير الكلبي (رض) كلاً من يسار مولى زياد بن أبيه، وسالم مولى عبيدالله بن زياد، يروي الطبري بداية الحملة الأولى فيقول: «وحمل عمرو بن الحجاج «١» وهو على يمينه الناس في الميمنة، «٢» فلمّا أن دنا من حسين جثوا على الركب وأشرعوا الرماح نحوهم، فلم تقدم خيلهم على الرماح، فذهبت الخيل لترجع، فرشقوهم بالنبل فصرعوا منهم رجالاً وجرحوا منهم آخرين ..». «٣» وروي الطبري عمّن سمع عمرو بن الحجاج حين دنا من أصحاب الحسين عليه السلام أنّه كان يقول: «يا أهل الكوفة! الزموا طاعتكم وجماعتكم، ولا ترتابوا في قتل من مرقّ من الدين وخالف الإمام!! فقال له الحسين: يا عمرو بن الحجاج! أعلّى تحرّض الناس؟! أنحن مرقنا

مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٢٧٤

وأنتم ثبتم عليه؟! أما والله لتعلمنّ لو قد قبضت أرواحكم ومثّم على أعمالكم أيّنا مرقّ من الدين، ومن هو أولى بصلى النّار؟!...». ثمّ إنّ عمرو بن الحجاج حمل على الحسين في ميمنة عمر بن سعد من نحو الفرات فاضطربوا ساعة، فصرع مسلم بن عوسجة الأسدى، أوّل أصحاب الحسين، ثمّ انصرف عمرو بن الحجاج وأصحابه، وارتفعت الغبرة فإذا هم به صريع، فمشى إليه الحسين فإذا به رمق، فقال: رحمك ربّك يا مسلم بن عوسجة! منهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدّلوا تبديلاً! ودنا منه حبيب بن مظاهر فقال: عزّ على مصرعك يا مسلم! أبشر بالجنّة! فقال له مسلم قولاً ضعيفاً: بشرك الله بخير.

فقال له حبيب: لولا أنّي أعلم أنّي في أثرك لاحق بك من ساعتى هذه لأحببت أن توصيني بكلّ ما أممّك، حتى أحفظك في كلّ ذلك بما أنت أهل له في القرابة والدين.

قال: بل أنا أوصيك بهذا رحمك الله- وأهوى بيده إلى الحسين- أن تموت دونه!

قال: أفعل وربّ الكعبة!

قال فما كان بأسرع من أن مات بأيديهم!

وصاحت جارية له فقالت: يا ابن عوسجته يا سيّده!

فتنادى أصحاب عمرو بن الحجاج: قتلنا مسلم بن عوسجة!

فقال شيب لبعض من حوله من أصحابه: ثكلتكم أمهاتكم! إنّما تقتلون أنفسكم بأيديكم، وتذلّون أنفسكم لغيركم! تفرحون أن يُقتل مثل مسلم بن

مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٢٧٥

عوسجة؟! أما والذي أسلمت له، لربّ موقف له قد رأيته في المسلمين كريم، لقد رأيته يوم سلق آذربيجان قتل سته من المشركين قبل أن تنامّ خيول المسلمين! أفيقتل منكم مثله وتفرحون!؟

قال وكان الذي قتل مسلم بن عوسجة: مسلم بن عبدالله الضبابي، وعبدالرحمن بن أبي خشكاره البجلي ..». «١»

زيارة الناحية المقدّسة تؤيد أنّ مسلم بن عوسجة (رض) أوّل شهداء الحملة الأولى، أي أوّل شهداء الطّفّ رضوان الله تعالى عليهم،

فقد ورد فيها السلام على مسلم ابن عوسجة هكذا:

«السلام على مسلم بن عوسجة الأسدى، القائل للحسين وقد أذن له فى الإنصراف: أنحن نخلى عنك؟! وبم نعتذر عند الله من أداء حقك؟ لا والله حتى أكسر فى صدورهم رمحى هذا! وأضربهم بسيفى ما ثبت قائمه فى يدي! ولا أفارقك، ولو لم يكن معى سلاح أقاتلهم به لقدفتهم بالحجارة! ولم

مع الركب الحسينى (ج ٤)، ص: ٢٧٦

أفارقك حتى أموت معك! وكنت أول من شرى نفسه، وأول شهيد شهد لله وقضى نجه، ففزت ورب الكعبة، شكر الله استقدامك ومواساتك إمامك، إذ مشى إليك وأنت صريع فقال: يرحمك الله يا مسلم بن عوسجة. وقرأ:

«فمنهم من قضى نجه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً»، لعن الله المشتركين فى قتلك: عبدالله الضبائى، وعبدالله بن خشكاره البجلي، ومسلم بن عبدالله الضبائى.». (١)

شمر بن ذى الجوشن .. يواصل الحملة فى الميسرة! ص : ٢٧٦

ونعود إلى رواية الطبرى- التى ذكرت مصرع مسلم بن عوسجة (رض) فى حملة عمرو بن الحجاج فى ميمنه جيش ابن سعد- فنقرأ فيها أيضاً: «وحمل شمر ابن ذى الجوشن فى الميسرة على أهل الميسرة، فثبتوا له فطاعونه وأصحابه ..». (٢)

ثم صارت الحملة من كل جانب! ص : ٢٧٦

وتقول نفس رواية الطبرى: «وحمل على حسين وأصحابه من كل جانب!». (٣)

مع الركب الحسينى (ج ٤)، ص: ٢٧٧

فقتل الشهيد الثانى عبدالله بن عمير الكلبى (رض) ص : ٢٧٧

وتتابع رواية الطبرى وصف تفاصيل هذه الحملة فتقول: «فقتل الكلبى وقد قتل رجلين بعد الرجلين الأولين، وقاتل قتالاً شديداً، فحمل عليه هانىء بن ثبيت الحضرمى، وبكير بن حى التيمى من تيم الله بن ثعلبه فقتلاه، وكان القتل الثانى من أصحاب الحسين.». (١)

خيل الإمام عليه السلام تحمل على الأعداء!! ص : ٢٧٧

تواصل رواية الطبرى وصف تفاصيل الحملة الأولى فتقول: «وقاتلهم أصحاب الحسين قتالاً شديداً، وأخذت خيلهم تحمل- وإنما هم إثنان وثلاثون فارساً- وأخذت لاتحمل على جانب من خيل أهل الكوفة إلا كشفته!، فلما رأى ذلك عزرة بن قيس وهو على خيل أهل الكوفة- أن خيله تنكشف من كل جانب!- بعث إلى عمر بن سعد عبدالرحمن بن حصن، فقال: أما ترى ما تلقى خيلى مذ اليوم من هذه العدة اليسيرة؟! إبعث إليهم الرجال والرماء...». (٢)

مع الركب الحسينى (ج ٤)، ص: ٢٧٨

مشهد كريم من مشاهد بطولة الحرّ (رض) ص : ٢٧٨

روى الطبرى، عن أبى مخنف، عن النضر بن صالح العيسى: أن الحرّ بن يزيد الرياحى (رض) لما لحق بالإمام الحسين عليه السلام:

«قال رجل من بنى تميم من بنى شقرة، وهم بنو الحارث بن تميم، يُقال له يزيد بن سفيان: أما والله لو أني رأيت الحرّ بن يزيد حين خرج لأتبعته السنان!»

... فيينا الناس يتجاولون ويقتتلون، والحرّ بن يزيد يحمل على القوم مقدماً ويتمثل قول عنترة:

ما زلت أرميهم بثغرة نحره ولبانه حتى تسربل بالدم .. وإن فرسه لمضروب على أذنيه وحاجبه، وإن دمائه لتسيل .. فقال الحصين ابن تميم «١»- وكان على شرطه عبيدالله، فبعثه إلى الحسين، وكان مع عمر بن سعد، فولاه عمر مع الشرطه المجففة «٢»- ليزيد بن سفيان: هذا الحرّ بن يزيد الذي كنت تتمنى!! قال: نعم. فخرج إليه، فقال له: هل لك يا حرّ بن يزيد في المبارزة؟ قال: نعم قد شئت! فبرز له.

قال (الراوي): فأنا سمعت الحصين بن تميم يقول: والله لبرز له، فكأنما كانت نفسه في يده! فما لبث الحرّ حين خرج إليه أن قتله!». «٣» مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٢٧٩

مقتل مجموعة عمرو بن خالد الصيداوي (رض) ص : ٢٧٩

قال الطبري: «فأما الصيداوي عمرو بن خالد، وجابر «١» بن الحارث السلماني، وسعد مولى عمرو بن خالد، ومجمّع بن عبد الله العائدي، «٢» فإنهم قاتلوا في أول القتال، فشدّوا مقدمين بأسياهم على الناس، فلما وغلوا عطف عليهم الناس فأخذوا يحوزونهم، وقطعواهم من أصحابهم غير بعيد، فحمل عليهم العباس بن علي فاستنقذهم، فجاءوا قد جرحوا، فلما دنا منهم عدوهم شدّوا بأسياهم فقاتلوا في أول الأمر حتى قُتلوا في مكان واحد». «٣»

زُماة ابن سعد يعقرون خيل الإمام عليه السلام ص : ٢٧٩

وتواصل رواية الطبري خبر هذه الحملة فتقول: «ودعا عمر بن سعد الحصين ابن تميم، فبعث معه المجففة «٤» وخمسائة من المرامية، فأقبلوا حتى إذا دنوا من الحسين وأصحابه رشقوهم بالنبل، فلم يلبثوا أن عقروا خيولهم، وصاروا رجالة كلهم!». «٥» مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٢٨٠

ويروي الطبري أيضاً أن أيوب بن مشرح الخيواني كان يقول: «أنا والله عقرت بالحرّ بن يزيد فرسه، حشأته سهماً فما لبث أن أرعد الفرس واضطرب وكبا، فوثب عنه الحرّ كأنه ليث! والسيف في يده وهو يقول: إن تعقروا بي فأنا ابن الحرّ أشجع من ذي لبدٍ هزبرٍ فما رأيت أحداً قط يفري فريه!». «١»

اشتداد القتال حتى منتصف النهار! ص : ٢٨٠

ويروي الطبري أيضاً فيقول: «وقاتلوهم حتى انتصف النهار أشدّ قتالٍ خلقه الله! وأخذوا لا يقدرن على أن يأتوهم إلا من وجه واحد لاجتماع أبنيتهم وتقارب بعضها من بعض. قال: فلما رأى ذلك عمر بن سعد أرسل رجالاً يقوّضونها عن أيمانهم وعن شمائلهم ليحيطوا بهم.

قال فأخذ الثلاثة والأربعة من أصحاب الحسين يتخلّلون البيوت فيشدّون على الرجل وهو يقوّض وينتهب فيقتلونه ويرمونه من قريب ويعقرونه، فأمر بها عمر بن سعد عند ذلك فقال إحرقوها بالنار ولا تدخلوا بيتاً ولا تقوّضوه! فجاءوا بالنار فأخذوا يحرقون!

فقال حسين:

دعوهم فليحرقوها، فإنهم لو قد حرقوها لم يستطيعوا أن يجوزوا إليكم منها.

وكان ذلك كذلك وأخذوا لا يقاتلونهم إلا من وجه واحد..» (٢)

معالركب الحسينى (ج ٤)، ص: ٢٨١

أم وهب (رض) تستشهد عند مصرع زوجها (رض)! ص : ٢٨١

ويسجل لنا تأريخ وقائع يوم عاشوراء أن أم وهب (رض) زوجة عبدالله بن عمير الكلبى (رض) كانت من شهداء الحملة الأولى، وهى أول شهيدة من النساء يوم عاشوراء، تقول رواية الطبرى: «وخرجت امرأة الكلبى تمشى إلى زوجها حتى جلست عند رأسه تمسح عنه التراب وتقول: هنيئاً لك الجنة!

فقال شمر بن ذى الجوشن لغلام يسمى رستم: إضرب رأسها بالعمود! فضرب رأسها فشدخه فماتت مكانها..» (١)

زهير فى عشرة من الأنصار يكشف جند الشمر عن الخيام ص : ٢٨١

ويواصل الطبرى رواية وقائع الحملة الأولى فيقول: «وحمل شمر بن ذى الجوشن حتى طعن فسطاط الحسين برمحه، ونادى على النار حتى أحرق هذا البيت على أهله! .. فصاح النساء وخرجن من الفسطاط .. وصاح به الحسين: يا ابن ذى الجوشن! أنت تدعو بالنار لتحرق بيتى على أهلى؟! حرّقتك الله بالنار ... وحمل عليه زهير بن القين فى رجال من أصحابه عشرة، فشدّ على شمر بن ذى الجوشن وأصحابه فكشفهم عن البيوت حتى ارتفعوا عنها، فصرعوا أبا عزة الضبابى وكان من أصحاب شمر ..» (٢)

وحين زالت الشمس وحضر وقت الصلاة! ص : ٢٨١

تجمع المصادر التاريخية (٣) أن جيش عمر بن سعد فى حملته الأولى على

معالركب الحسينى (ج ٤)، ص: ٢٨٢

جيش الإمام عليه السلام كان قد أحاط بأصحاب الإمام عليه السلام وبمعسكره من كل جانب، ثم تعطف عليهم من كل جهة وبجميع الأسلحة، فكان إذا قُتل الرجل والرجلان من أصحاب الإمام عليه السلام يبين ذلك فيهم لقتلهم، ولا يبين القتل فى جيش ابن سعد مع كثرة من يقتل منهم لكثرتهم، وكان قد قُتل من أنصار الإمام ما يناهز الخمسين نفساً زكية طاهرة مقدسة، والحرب لم تزل حتى تلك الساعة على استعارها واشتدادها، والشمس فى أول زوالها، «فلما رأى ذلك أبو ثمامة عمرو بن عبدالله الصائدى، قال للحسين: يا أبا عبدالله! نفسى لك الفداء، إنى أرى هؤلاء قد اقتربوا منك! ولا والله لا تقتل حتى أقتل دونك إن شاء الله، وأحب أن ألقى ربى وقد صليت هذه الصلاة التى قد دنا وقتها! فرفع الحسين رأسه، ثم قال: ذكرت الصلاة! جعلك الله من المصلين الذاكرين، نعم، هذا أول وقتها.

ثم قال: سلوهم أن يكفوا عنا حتى نصلى..» (١)

أسماء شهداء الحملة الأولى ص : ٢٨٢

يُستفاد من جملة من كتب التراجم والتواريخ أن شهداء الحملة الأولى هم:

١ مسلم بن عوسجة الأسدى (رض).

- ٢ عبدالله بن عمير الكلبي (رض).
- ٣ نعيم بن عجلان (رض).
- ٤ عمران بن كعب بن حارث الأشجعي (رض). «٢»
مع الركب الحسينى (ج ٤)، ص: ٢٨٣
- ٥ حنظلة بن عمرو الشيبانى (رض). «١»
- ٦ قاسط بن زهير التغلبى (رض).
- ٧ مقسط بن زهير التغلبى (رض).
- ٨ كنانة بن عتيق التغلبى (رض). «٢»
- ٩ عمرو بن ضبعة الضبعى (رض). «٣»
- ١٠ ضرغامه بن مالك التغلبى (رض). «٤»
- ١١ عامر بن مسلم العبدى البصرى (رض).
مع الركب الحسينى (ج ٤)، ص: ٢٨٤
- ١٢ سالم مولى عامر بن مسلم (رض).
- ١٣ سيف بن مالك العبدى البصرى (رض). «١»
- ١٤ عبدالرحمن بن عبدالله الأرجبى (رض). «٢»
- ١٥ الحجاب بن عامر التميمى (رض). «٣»
مع الركب الحسينى (ج ٤)، ص: ٢٨٥
- ١ عمرو الجندعى (رض). «١»
- ١٧ الحُلاس بن عمرو الراسبى الأزدي (رض).
- ١٨ النعمان بن عمرو الراسبى الأزدي (رض).
- ١٩ سوار بن أبى عمير النهemy (رض). «٢»
مع الركب الحسينى (ج ٤)، ص: ٢٨٦
- ٢٠ عمّار الدالانى (رض).
- ٢١ زاهر بن عمرو الكندى (رض) صاحب عمرو بن الحمق (رض).
- ٢٢ جبلة بن على الشيبانى (رض). «١»
- ٢٣ مسعود بن الحجاج التيمى (رض).
- ٢٤ عبدالرحمن بن مسعود بن الحجاج (رض). «٢»
- ٢٥ زهير بن بشر الخنعمى (رض). «٣»
مع الركب الحسينى (ج ٤)، ص: ٢٨٧
- ٢٦ مسلم بن كثير الأزدي (رض).
- ٢٧ زهير بن سليم الأزدي (رض).
- ٢٨ عمّار بن حسان الطائى (رض).
- ٢٩ عبيد الله بن يزيد العبدى البصرى (رض).

- ۳۰ عبدالله بن يزيد العبدى البصرى (رض).
- ۳۱ الأدهم بن أمية العبدى البصرى (رض).
- ۳۲ جندب بن حجير الكندى (رض).
- ۳۳ حجير بن جندب بن حجير الكندى (رض). «۱»
- ۳۴ جنادة بن كعب بن الحرث الأنصارى (رض).
- ۳۵ عبدالرحمن بن عبد ربّ الأنصارى (رض). «۲»
- ۳۶ عبدالله بن عروة الغفارى (رض). «۳»
- معالركب الحسينى (ج ۴)، ص: ۲۸۸
- ۳۷ عائذ بن مجمع بن عبدالله العائذى (رض).
- ۳۸ مجمع بن عبدالله العائذى (رض).
- ۳۹ أمّ وهب (رض) زوج عبدالله بن عمير الكلبي (رض).
- ۴۰ أمية بن سعد الطائى (رض).
- ۴۱ القاسم بن حبيب بن أبى بشر الأزدي (رض).
- ۴۲ جوين بن مالك التيمى (رض). «۱»
- ۴۳ عبدالله بن بشر الخثعمى (رض). «۲»
- ۴۴ بشر بن عمرو بن الأحدوث الحضرمى الكندى (رض). «۳»
- معالركب الحسينى (ج ۴)، ص: ۲۸۹
- ۴۵ الحجاج بن بدر التيمى السعدى (رض). «۱»
- ۴۶ قارب بن عبدالله الدثلى (رض).
- ۴۷ عمرو بن خالد الأسدى الصيداوى (رض). «۲»
- ۴۸ جنادة بن الحرث المذحجى السلمانى (رض).
- ۴۹ سعد (رض) مولى عمرو بن خالد الصيداوى (رض).
- ۵۰ منجج بن سهم (رض) مولى الحسن عليه السلام. «۳»
- معالركب الحسينى (ج ۴)، ص: ۲۹۰
- ۵۱ أسلم بن عمرو التركى مولى الحسين عليه السلام. «۱»
- ۵۲ سعد بن الحرث (رض) مولى على عليه السلام. «۲» ۵۳ نصر بن أبى نيزر (رض) مولى على عليه السلام. «۳»
- ۵۴ الحرث بن نبهان (رض) مولى حمزة عليه السلام.
- ۵۵ جون بن حوى (رض) مولى أبى ذرّ (رض). «۴»
- معالركب الحسينى (ج ۴)، ص: ۲۹۱
- ۵۶ جابر بن الحجاج (رض) مولى عامر بن نهشل التيمى. «۱»
- ۵۷ الحارث بن امرء القيس الكندى (رض). «۲»
- ۵۸ شبيب (رض) مولى الحرث بن سريع الهمدانى الجابرى. «۳»
- معالركب الحسينى (ج ۴)، ص: ۲۹۲

٥٩ شيب بن عبدالله النهشلي (رض). «١»

مقتل حبيب بن مظاهر (رض) «٢» قبيل الصلاة! ص : ٢٩٢

مرّ بنا أنّه لما رأى أبو ثمامة الصائدي (رض) قلّمة من بقي من الأنصار مع الإمام عليه السلام نتيجة الحملة العامة طلب إلى الإمام عليه السلام قائلاً: «يا أبا عبدالله نفسي لك الفداء! إنّي أرى هؤلاء قد اقتربوا منك، ولا والله لا تُقتل حتى أُقتل دونك إن شاء مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٢٩٣

الله، وأحبّ أن ألقى ربّي وقد صلّيت هذه الصلاة التي قد دنا وقتها»، «١» فرغ الحسين عليه السلام رأسه ثم قال: «ذكرت الصلاة! جعلك الله من المصلّين الذاكرين، نعم هذا أول وقتها»، «٢» ثم قال: «سلوهم أن يكفوا عنّا حتى نصلّي»، «٣» ففعلوا. «٤»

«فقال لهم الحصين بن تميم: إنّها لا تقبل!

فقال له حبيب بن مظاهر: لا تقبل!! زعمت الصلاة من آل الرسول صلى الله عليه وآله لا تقبل، وتقبل منك يا حمار؟! .. فحمل عليهم حصين بن تميم، وخرج إليه حبيب بن مظاهر فضرب وجه فرسه بالسيف، فشبّ ووقع عنه، وحمله أصحابه فاستنقذوه، وأخذ حبيب يقول:

أقسم لو كُنّا لكم أعداداً أو شطركم وليتّم أكتاداً
ياشترّ قوم حسباً وآداً
.. وجعل يقول يومئذ:

أنا حبيب وأبي مظاهر فارس هيجاء وحرب تُسعرُ
أنتم أعدّ عدّة وأكثر ونحن أوفى منكم وأصبر
ونحن أعلى حجّة وأظهر حقاً وأتقى منكم وأعدر

وقاتل قتالاً شديداً، «٥» فحمل عليه رجل من بني تميم فضربه بالسيف على

مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٢٩٤

رأسه فقتله، «١» وكان يُقال له بديل بن صريم من بني عقفان، وحمل عليه آخر من بني تميم فطعنه فوق، فذهب ليقوم فضربه الحصين بن تميم على رأسه بالسيف فوق، ونزل إليه التميمي فاحتزّ رأسه، فقال له الحصين: إنّي لشريكك في قتله.

فقال الآخر: والله ما قتله غيري. فقال الحصين: أعطنيه أعلّقه في عنق فرسي، كيما يرى الناس ويعلموا أنّي شركت في قتله، ثم خذه أنت بعد فامض به إلى عبيدالله ابن زياد فلاحاجة لي فيما تُعطاه على قتلك إياه! .. فأبى عليه فأصلح قومه فيما بينهما على هذا، فدفع إليه رأس حبيب بن مظاهر، فجال به في العسكر قد علّقه في عنق فرسه! ثم دفعه بعد ذلك إليه، فلما رجعوا إلى الكوفة أخذ الآخر رأس حبيب ثم أقبل به إلى ابن زياد في القصر...». «٢»

مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٢٩٥

ولقد ذكر ابن شهر آشوب أنّ حبيب بن مظاهر (رض) كان قد قتل إثنين وستين رجلاً، وأنّ الذي قتله الحصين بن نمير وعلّق رأسه في عنق فرسه. «١»

وروى أنّه لما قُتل حبيب بن مظاهر (رض) هدّد ذلك الحسين عليه السلام وقال عند ذلك: «عند الله أحسب نفسي وحماة أصحابي!». «٢»

«وفي بعض المقاتل: قال عليه السلام: لله درك يا حبيب! لقد كنت فاضلاً تختم القرآن في ليله واحدة!». «٣»

مقتل الحر بن يزيد الرياحي (رض) ص : ٢٩٥

يروى الطبري - ويتابعه في ذلك جمع من المؤرخين - أنه لما قتل حبيب بن مظاهر الأسدي (رض)، وهدد ذلك الإمام الحسين عليه السلام وقال: «عند الله أحسب نفسي وحماء أصحابي!»، أخذ الحر (رض) يقاتل - راجلاً - «٤» فحمل على القوم وهو يرتجز ويقول:

أليت لا أقتل حتى أقتلا ولن أصاب اليوم إلا مقبلا

مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٢٩٦

أضربهم بالسيف ضرباً مفصلاً لا ناكلاً عنهم ولا مهلاً

وأخذ يقول أيضاً:

أضرب في أعراضهم بالسيف عن خير من حل مني والخيف «١»

فقاتل هو وزهير بن القين قتالاً شديداً، فكان إذا شد أحدهما فإن استلحم شد الآخر حتى يخلصه، ففعلاً ذلك ساعة، ثم إن رجالة شدت على الحر بن يزيد فقتل. «٢» فكان مقتله (رض) بعد مقتل حبيب (رض) وقبل صلاة الظهر أيضاً. «٣»

وقال الشيخ المفيد (ره): «وتكاثروا عليه، فاشترك في قتله أيوب بن مسرّح، ورجل آخر من فرسان أهل الكوفة». «٤»

غير أن مصادر تاريخية أخرى «٥» تذكر أن التحاق الحر (رض) بالإمام الحسين عليه السلام بعد أن قتل من أصحابه عليه السلام ما يربو على الخمسين في الحملة العامة، حيث سمع الحر (رض) الإمام عليه السلام يقول على أثرها: «أما من مغيث يُغيثنا لوجه الله؟

أما من ذاب يذب عن حرم رسول الله؟»، فأقبل الحر (رض) إلى عمر بن سعد فقال:

مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٢٩٧

أمقاتل أنت هذا الرجل؟! إلى آخر محاورته مع ابن سعد التي مرّت بنا في قصة تحوّلته والتحاقه بالإمام عليه السلام!

والمتمّأل في سياق كل من اللهوف ومقتل الخوارزمي يلحظ تعارضاً بيناً في سردهما لقصة إلتحاق الحر (رض)، حيث يجد أن الحر بعد مقتل خمسين رجلاً أو أكثر من أنصار الإمام عليه السلام يسأل عمر بن سعد: أمقاتل أنت هذا الرجل؟! الأمر الذي يُضعف من

الوثوق بسياق قصة الحر (رض) في هذين الكتابين!

وتقول مصادر تاريخية أن الحر (رض) كان أول من تقدّم إلى قتال القوم، وأنه كان قد قال للإمام عليه السلام: يا ابن رسول الله، كنت أول خارج عليك فائذن لي أن أكون أول قتيل بين يديك، فلعلّي أن أكون أول من يصفح جدك محمّداً غداً في القيامة!». «١»

يقول صاحب تسليّة المجالس في معنى ذلك: «وإنما قال الحرُّ لأكون أول قتيل من المبارزين وإلّا فإنّ جماعه كانوا قد قتلوا في الحملة الأولى كما ذكر: فكان أول من تقدّم إلى براز القوم...». «٢»

وقال الشيخ الصدوق في شأن الحرّ (رض): «فقتل منهم ثمانية عشر رجلاً». «٣» وقال الخوارزمي: «وقتل أربعين فارساً وراجلاً». «٤»

مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٢٩٨

وقال ابن شهر آشوب: «فقتل نيفاً وأربعين رجلاً». «١» وقال السيد ابن طاووس:

«حتى قتل جماعه من شجعان وأبطال». «٢»

وروى أنه لما استشهد الحرّ (رض) احتمله أصحاب الحسين عليه السلام حتى وضعوه بين يدي الحسين عليه السلام وبه رمق، فجعل الحسين عليه السلام يمسح وجهه ويقول:

أنت الحرُّ كما سمّتك أمك! وأنت الحرّ في الدنيا وأنت الحرّ في الآخرة!». «٣»

وقيل: «ثم أنشأ الحسين يقول:

لِنَعْمَ الْحَرْبُ بِنِي رِيَّاحٍ وَنَعْمَ الْحَرْبُ عِنْدَ مُخْتَلَفِ الرِّمَاحِ

وَنَعْمَ الْحَرْبُ إِذْ نَادَى «٤»

حَسِينًا فَجَادَ بِنَفْسِهِ عِنْدَ الصَّبَاحِ. «٥»

وَقِيلَ رِثَاءَ بِهَذِهِ الْآيَاتِ بَعْضُ أَصْحَابِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامِ. «٦»

وَذَكَرَ الْخَوَارِزْمِيُّ عَنِ الْحَاكِمِ الْجَشْمِيِّ أَنَّهُ قَالَ: بَلَ رِثَاءَ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامِ «٧».

مع الרכب الحسينى (ج ٤)، ص: ٢٩٩

كيف كانت صلاة الإمام عليه السلام ظهر عاشوراء؟ ص : ٢٩٩

ذَكَرَ أَكْثَرَ الْمُؤَرِّخِينَ أَنَّ الْإِمَامَ عَلَيْهِ السَّلَامَ صَلَّى بِأَصْحَابِهِ صَلَاةَ الْخَوْفِ، «١» وَقَالَ الشَّيْخُ ابْنُ نَمَا (رَه): «وَقِيلَ: صَلَّى الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ

السَّلَامَ وَأَصْحَابَهُ فِرَادَى بِالْإِيمَاءِ!». «٢»

وَقَالَ الْمَرْحُومُ الْمُحَقِّقُ السَّيِّدُ الْمُقَرَّمُ: «وَالَّذِي أَرَاهُ أَنَّ صَلَاةَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَتْ قَصْرًا، لِأَنَّهُ نَزَلَ كَرْبَلَاءَ فِي الثَّانِي مِنَ الْمُحَرَّمِ،

وَمِنْ أَخْبَارِ جَدِّهِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِضَافًا إِلَى عِلْمِهِ بِأَنَّهُ يُقْتَلُ يَوْمَ عَاشُورَاءَ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَنْوِيَ الْإِقَامَةَ إِذَا لَمْ تَكْمَلْ لَهُ عَشْرَةٌ

أَيَّامٍ، وَتَخِيلُ مِنْ لَامَعْرِفَةٍ لَهُ بِذَلِكَ أَنَّهُ صَلَّى صَلَاةَ الْخَوْفِ!». «٣»

مع الרכب الحسينى (ج ٤)، ص: ٣٠٠

مقتل سعيد بن عبدالله الحنفى (رض) أثناء صلاة الإمام عليه السلام ص : ٣٠٠

ذَكَرَ الطَّبْرِيُّ وَتَابَعَهُ عَلِيُّ ذَلِكَ ابْنُ الْأَثِيرِ أَنَّ سَعِيدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ (رَض) قُتِلَ بَعْدَ الصَّلَاةِ، حَيْثُ يَقُولُ: «ثُمَّ اقْتَتَلُوا بَعْدَ الظَّهْرِ فَاشْتَدَّ قِتَالُهُمْ،

وَوُصِّلَ إِلَى الْحُسَيْنِ، فَاسْتَقْدَمَ الْحَنْفِيُّ أَمَامَهُ، فَاسْتَهْدَفَ لَهُمْ يَرْمُونَهُ بِالنَّبْلِ يَمِينًا وَشِمَالًا قَائِمًا بَيْنَ يَدَيْهِ، فَمَا زَالَ يُرْمَى حَتَّى سَقَطَ!». «١»

لَكِنَّ الْمُؤَرِّخِينَ الْآخَرِينَ رَوَوْا أَنَّ سَعِيدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ (رَض) قُتِلَ أَتْنَاءَ صَلَاةِ الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامِ، فَقَدْ رَوَى الْخَوَارِزْمِيُّ فِي الْمَقْتَلِ يَقُولُ:

«فَقَالَ الْحُسَيْنُ لَزَهْرِ بْنِ الْقَيْنِ وَسَعِيدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ: تَقَدَّمَا أَمَامِي. فَتَقَدَّمَا أَمَامَهُ فِي نَحْوِ مِنْ نِصْفِ أَصْحَابِهِ حَتَّى صَلَّى بِهِمْ صَلَاةَ الْخَوْفِ.

وَرَوَى أَنَّ سَعِيدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ تَقَدَّمَ أَمَامَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامِ، فَاسْتَهْدَفَ لَهُ يَرْمُونَهُ بِالنَّبْلِ، فَمَا أَخَذَ الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامَ يَمِينًا وَشِمَالًا إِلَّا

قَامَ بَيْنَ يَدَيْهِ!

مع الרכب الحسينى (ج ٤)، ص: ٣٠١

فَمَا زَالَ يُرْمَى حَتَّى سَقَطَ إِلَى الْأَرْضِ وَهُوَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ الْعَنَّهُمْ لَعْنِ عَادٍ وَثَمُودَ، اللَّهُمَّ أبلغ نبيك عني السلام، وأبلغه مالمقيت من ألم

الجراح، فإنني أردت بذلك نصرته نبيك، ثم مات، فوجد به ثلاثة عشر سهماً سوى ما به من ضرب السيوف وطعن الرماح!»، «١» ثم

التفت إلى الحسين عليه السلام فقال: أوفيت يا ابن رسول الله؟

فقال عليه السلام: نعم، أنت أمامي في الجنة! ثم فاضت نفسه النفيسة. «٢»

وَيَنْبَغِي التَّذْكِيرَ هُنَا بِأَنَّ السَّلَامَ عَلَى سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْحَنْفِيِّ (رَض) الْوَارِدُ فِي زِيَارَةِ النَّاحِيَةِ الْمُقَدَّسَةِ كَاشِفٌ عَنِ مَكَانَتِهِ سَامِيَةٌ خَاصَّةٌ

لَهُ عِنْدَ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، فَقَدْ وَرَدَ السَّلَامُ عَلَيْهِ فِيهَا هَكَذَا:

«السَّلَامُ عَلَى سَعْدِ «٣» بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْحَنْفِيِّ، الْقَائِلِ لِلْحُسَيْنِ وَقَدْ أذِنَ لَهُ فِي الْإِنْصِرَافِ: لَا وَاللَّهِ لَا نَخْلِيكَ حَتَّى يَعْلَمَ اللَّهُ أَنَّا قَدْ حَفِظْنَا

غَيْبَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِيكَ، وَاللَّهِ لَوْ أَعْلَمَ أَنِّي أَقْتُلُ ثُمَّ أَحْيَا ثُمَّ أُحْرَقُ ثُمَّ أُذْرَى وَيُفْعَلُ ذَلِكَ بِي سَبْعِينَ مَرَّةً مَا فَارَقْتُكَ

حَتَّى أَلْقَى حِمَامِي دُونَكَ! وَكَيْفَ أَفْعَلُ ذَلِكَ وَإِنَّمَا هِيَ مَوْتُهُ أَوْ قَتْلُهُ وَاحِدَةٌ!؟ ثُمَّ هِيَ بَعْدَهَا الْكِرَامَةُ الَّتِي لَا انْقِضَاءَ لَهَا أَبَدًا!!

فقد لقيت حمامك، وواسيت إمامك، ولقيت من الله الكرامة في دار المقامة، حشرنا الله معكم في المستشهدين، ورزقنا مرافقتكم في أعلى عليين!». «٤»

مع الركب الحسينى (ج ٤)، ص: ٣٠٢

مقتل أنس بن الحارث الكاهلى (رض) «١» ص : ٣٠٢

واستأذن الصحابى الجليل أنس بن الحارث الكاهلى (رض) الإمام الحسين عليه السلام لمبارزة الأعداء فأذن له، «وبرز شاداً وسطه بالعمامة، رافعاً حاجبيه بالعصابة، ولما نظر اليه الحسين عليه السلام بهذه الهيئة بكى وقال: شكر الله لك يا شيخ. فقتل على كبره ثمانية عشر رجلاً، وقتل». «٢»

وكان فى قتاله يرتجز قائلاً:

قد علمت كاهلها ودودان والخندفيون وقيس عيلان

بأن قومي آفة للأقران». «٣»

مع الركب الحسينى (ج ٤)، ص: ٣٠٣

مقتل يزيد بن زياد بن مهاصر الكندى (رض) ص : ٣٠٣

روى الطبرى، عن أبى مخنف، عن فضيل بن خديج الكندى: «أن يزيد بن زياد، «١» وهو أبو الشعثاء الكندى - من بنى بهدله - جنى على ركبته بين يدي الحسين فرمى بمائة سهم ما سقط منها إلا خمسة أسهم، وكان رامياً، فكان كلما رمى قال:

أنا ابن بهدله فرسان العرجله

ويقول حسين: اللهم سد رميته، واجعل ثوابه الجنة.

فلما رمى بها قام فقال: ما سقط منها إلا خمسة أسهم، ولقد تبين لى أننى قد قتلت خمسة نفر. وكان فى أول من قُتل ..». «٢»

ثم حمل على القوم بسيفه وقال:

أنا يزيد وأبى مهاصر كأتنى ليث بغيل خادر

يا رب إننى للحسين ناصر ولا بن سعد تارك وهاجر

فلم يزل يُقاتل حتى قُتل رضوان الله عليه». «٣»

وروى الصدوق (ره) أن أبا الشعثاء (رض) قتل تسعة من الأعداء، وذكر

مع الركب الحسينى (ج ٤)، ص: ٣٠٤

مبارزته بعد مبارزة الكاهلى (رض). «١»

أما ابن شهر آشوب فذكر مبارزته بعد مبارزة أنيس بن معقل الأصبهى. «٢»

وهذا بخلاف ما ذكر الطبرى فى روايته أنه «كان فى أول من قتل» وما ذكره ابن الأثير «وكان أول من قتل بين يدي الحسين». «٣»

وقد ورد السلام عليه من الناحية المقدسة: «السلام على يزيد بن زياد بن مهاصر الكندى». «٤»

مقتل وهب بن وهب (رض) ص : ٣٠٤

روى الشيخ الصدوق (ره) «٥» فى أماليه يصف جملة من وقائع فاجعة عاشوراء

مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٣٠٥

وتتابع أصحاب الإمام عليه السلام في التقدم إلى القتال والمبارزة قائلاً: «وبرز من بعده - أي

مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٣٠٦

من بعد يزيد بن زياد بن المهاصر، أبي الشعثاء الكندي (رض) - وهب بن وهب، وكان نصرانياً أسلم على يد الحسين عليه السلام هو وأمه، فاتبعوه إلى كربلاء، فركب فرساً وتناول بيده عود الفسطاط (عمود الفسطاط)، فقاتل وقتل من القوم سبعة أو ثمانية، ثم أستوسر فأتى به عمر بن سعد لعنه الله، فأمر بضرب عنقه، ورمى به إلى عسكر الحسين عليه السلام، وأخذت أمه سيفه وبرزت، فقال لها الحسين عليه السلام:

يا أمّ وهب! اجلسي فقد وضع الله الجهاد عن النساء، إنك وابنك مع جدّي محمد صلى الله عليه وآله في الجنة». «١»

مقتل الحجاج بن مسروق المذحجي الجعفي (رض) ص : ٣٠٦

وهو (رض) مؤذن الإمام الحسين عليه السلام في أوقات الصلاة، وكان قد خرج من الكوفة إلى الإمام عليه السلام والتحق به في مكة المكرمة، ولما كان يوم العاشر وبرز بقيه أصحاب الإمام عليه السلام بعد الحملة الأولى إلى مقاتلة الأعداء تباعاً، برز الحجاج بن مسروق الجعفي (رض) بعد أبي الشعثاء الكندي يزيد بن زياد (رض) - على رواية الخوارزمي وابن شهر آشوب - وهو يقول:

أقدم حسين هادياً مهدياً اليوم نلقى جدك النبي

ثم أباك ذا العلاء علياً والحسن الخير الرضا الولي

وذا الجناحين الفتى الكميتاً وأسد الله الشهيد الحيا «٢»

ثم حمل فقاتل حتى قُتل، «٣» وكان قد قتل خمسة وعشرين رجلاً. «٤»

مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٣٠٧

وقد ذكر كل من المحقق السماوي (ره)، والمحقق المقدم (ره)، أن مسروق بن الحجاج (رض) بعد أن استأذن الإمام عليه السلام قاتل قتالاً شديداً ثم عاد إليه وأنشده:

فدتك نفسي هادياً مهدياً اليوم ألقى جدك النبي

ثم أباك ذا الندى علياً ذاك الذي نعرفه الوصيا

فقال له الحسين عليه السلام: نعم، وأنا ألقاهما على أترك. فرجع يُقاتل حتى قتل رضي الله عنه. «١»

مقتل زهير بن القين (رض) ص : ٣٠٧

قال الطبري بعد ذكره مقتل سعيد بن عبد الله (رض): «وقاتل زهير بن القين قتالاً شديداً، وأخذ يقول:

أنا زهير وأنا ابن القين أذودهم بالسيف عن حسين

.. وأخذ يضرب على منكب حسين «٢» ويقول:

أقدم هديت «٣»

هادياً مهدياً فاليوم نلقى جدك النبي

وحسناً والمرضى علياً وذا الجناحين الفتى الكميتاً

وأسد الله الشهيد الحيا

... فشدَّ عليه كثير بن عبد الله الشعبي، ومهاجر بن أوس، فقتلاه..» (٤)

مع الركب الحسينى (ج ٤)، ص: ٣٠٨

وقال الخوارزمى فى مقتله: «فقال الحسين حين صُرع زهير: لا يبعدنك الله يا زهير! ولعن الله قاتلك لعن الذين مسخهم قرده وخنازير..» (١)

وذكر الشيخ الصدوق (ره) أن زهيراً (رض) قتل من الأعداء تسعة عشر رجلاً. (٢)

وذكر ابن شهر آشوب (ره)، والسيد محمد بن أبى طالب (ره)، أن زهيراً قتل مائة وعشرين رجلاً. (٣)

إن السلام الوارد فى زيارة الناحية المقدسة على زهير بن القين كاشف عن منزلة خاصة له (رض) عند أهل البيت عليهم السلام، إذ ورد فيها:

«السلام على زهير بن القين البجلي، القاتل للحسين وقد أذن له فى الإنصراف: لا والله لا يكون ذلك أبداً! أترك ابن رسول الله أسيراً فى يد الأعداء وأنجو!؟ لا أرانى الله ذلك اليوم!». (٤)

مع الركب الحسينى (ج ٤)، ص: ٣٠٩

مقتل سلمان بن مضارب البجلي (رض) ص : ٣٠٩

كان سلمان (رض) مع ابن عمه زهير (رض) فى سفر الحج سنة ستين للهجرة، ولما مال زهير (رض) فى الطريق إلى الإمام عليه السلام وانضم إليه، مال معه ابن عمه سلمان هذا (رض) وانضم إلى الإمام عليه السلام أيضاً.

ونقل المحقق السماوى رحمه الله عن صاحب الحقائق الوردية قوله: إن سلمان قُتل فىمن قُتل بعد صلاة الظهر، «١» فكأنه قُتل قبل زهير. (٢)

مقتل أبى ثمامة الصائدى (رض) ص : ٣٠٩

قال ابن شهر آشوب: «ثم برز أبو ثمامة الصائدى وقال:

عزاء لآل المصطفى وبناته على حبس خير الناس سبط محمد

عزاء لزهراء النبى وزوجها خزانه علم الله من بعد أحمد

عزاء لأهل الشرق والغرب كلهم وحنناً على حبس الحسين المسدد

فمن مبلغ عنى النبى وبنته بأن ابنكم فى مجهد أى مجهد». (٣)

ويُفهم من سياق الطبرى - ويتابعه على ذلك ابن الأثير - بأن أباً ثمامة الصائدى (رض) كان قد قتل ابن عم له فى فترة ما قبل إقامة صلاة الظهر، إذ يقول الطبرى: «.. ثم إن رجالة شددت على الحر بن يزيد فقتل، وقتل أبو ثمامة الصائدى ابن عم له كان عدواً له، ثم

صلوا الظهر...» (٤)

مع الركب الحسينى (ج ٤)، ص: ٣١٠

أما كيف قُتل أبو ثمامة (رض) ومن قتله؟ فلم نعره - حسب متابعتنا - على مصدر من المصادر التاريخية القديمة كان قد ذكر ذلك! إلا أن المحقق السماوى (ره) ذكر قائلاً: «قال: ثم إن أباً ثمامة قال للحسين، وقد صلى: يا أباً عبد الله، إني قد هممت أن ألحق بأصحابي، وكرهت أن أتخلف وأراكم وحيداً من أهلك قتيلاً. فقال له الحسين عليه السلام: تقدم فإننا لاحقون بك عن ساعة.

فتقدم فقاتل حتى أثنى بالجراحات، فقتله قيس بن عبد الله الصائدى ابن عم له، كان له عدواً! وكان ذلك بعد قتل الحر». (١)

ويبدو أن المحقق المقرّم (ره) قد أخذ ذلك عن الشيخ السماوي (ره)، إذ يقول: «وخرج أبو ثمامة الصائدي فقاتل حتى أثنى بالجراح، وكان مع عمر بن سعد ابن عمّ له يُقال له قيس بن عبدالله، بينهما عداوة، فشدّ عليه وقتله». «٢»
 وإلى هنا لا بدّ أن نقول: ربّما كان المحقق السماوي (ره) والمحقق المقرّم (ره) قد أخذوا ذلك عن مصدر لم نوفق للإطلاع عليه، خصوصاً وأنّهما قد ذكرا إسم قاتله: قيس بن عبدالله الصائدي! أما إذا كان أخذهما عن الطبري أو ابن الأثير، فإنّ هذين قد ذكرا أنّ ابا ثمامة هو قاتل ابن عمّه لا العكس!

مقتل برير بن خضير الهمداني (رض) ص : ٣١٠

يروى الطبري عن أبي مخنف بسنده إلى عفيف بن زهير بن أبي الأخنس، وكان قد شهد مقتل الحسين عليه السلام «قال: وخرج يزيد بن معقل - من بني عميرة بن مع الراكب الحسيني (ج ٤)، ص: ٣١١ ربيعة، وهو حليف لبني سليمة من عبدالقيس - فقال: يا برير بن خضير، كيف ترى الله صنع بك؟! قال: صنع الله والله بي خيراً، وصنع الله بك شراً!
 قال: كذبت، وقبل اليوم ما كنت كذاباً! هل تذكر وأنا أماشيكي في بني لوزان، وأنت تقول: إنّ عثمان بن عفان كان على نفسه مسرفاً، وإنّ معاوية بن أبي سفيان ضالٌّ مُضِلٌّ، وإنّ إمام الهدى والحقّ عليّ بن أبي طالب؟ فقال له برير: أشهد أنّ هذا رأيي وقولي.

فقال له يزيد بن معقل: فإني أشهد أنّك من الضالين!
 فقال له برير بن خضير: هل لك فلاّباهلك، ولندع الله أن يلعن الكاذب، وأن يقتل المبطل! ثمّ اخرج فلاّبارزك!
 قال فخرجا فرفعا أيديهما إلى الله يدعوانه أن يلعن الكاذب، وأن يقتل المحقّ المبطل، ثمّ برز كلّ واحدٍ منهما لصاحبه، فاختلفا ضربتين، فضرب يزيد ابن معقل برير بن خضير ضربة خفيفة لم تضربه شيئاً! وضربه برير بن خضير ضربة قدّدت المغفر وبلغت الدماغ! فخرّ كأنما هوى من حالق، وإنّ سيف ابن خضير لثابت في رأسه، فكأني أنظر إليه ينضنضه من رأسه، وحمل عليه رضئ بن منقذ العبدى فاعتنق بريراً، فاعتركا ساعة، ثمّ إنّ بريراً قعد على صدره، فقال رضئ:

أين أهل المصاع «١» والدفاع؟!

قال فذهب كعب بن جابر بن عمرو الأزدي ليحمل عليه، فقلت: إنّ هذا برير ابن خضير القاريء الذي كان يُقرؤنا القرآن في المسجد! فحمل عليه بالرمح حتى وضعه في ظهره، فلمّا وجد مسّ الرمح برك عليه فعصّ بوجهه وقطع طرف أنفه!
 مع الراكب الحسيني (ج ٤)، ص: ٣١٢

فطعنه كعب بن جابر حتى ألقاه عنه وقد غيّب السنان في ظهره، ثمّ أقبل عليه يضربه بسيفه حتى قتله! «١»
 وذكر ابن شهر آشوب أنّ بريراً (رض) برز بعد الحرّ (رض)، وهو يقول:

أنا بُرير وأبي خُضَيْرٍ لِيث يَرُوعُ الأَسَدَ عِنْدَ الزُّرِّ

يَعْرِفُ فِينَا الخَيْرَ أَهْلَ الخَيْرِ أَضْرِبُكُمْ وَلَا أَرَى مِنْ ضَيْرِ

كَذَاكَ فَعَلَ الخَيْرِ فِي بُرَيْرِ

وَأَنَّ الَّذِي قَتَلَهُ بُحَيْرِ بْنِ أَوْسِ الضَّبِّيِّ. «٢»

أمّا الشيخ الصدوق فقد روى أنّ بُريراً (رض) برز من بعد عبدالله بن أبي عروة الغفاري (رض)، «٣» الذي برز من بعد حبيب بن مظاهر (رض)، وكان

معالركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٣١٣

برير يقول:

أنا بُرَيْرٌ وأبى خُضَيْرٌ لاخير فيمن ليس فيه خير
وأنته قتل من الأعداء ثلاثين رجلاً ثُمَّ قُتِلَ. «١»

وفي كتاب تسلية المجالس أن بريراً (رض) كان يحمل على القوم وهو يقول:

«إقتربوا مني يا قتله المؤمنين، إقتربوا مني يا قتله أولاد البدرين، إقتربوا مني يا قتله أولاد رسول رب العالمين وذريته الباقين». «٢»

مقتل عمرو بن قرظة الأنصاري (رض) ص : ٣١٣

وروى الطبري يقول: «وخرج عمرو بن قرظة الأنصاري يقاتل دون حسين وهو يقول:

قد علمتُ كتيبة الأنصارِ أني سأحمي حوزة الدمار

ضرب غلام غيرِ نكسٍ شارٍ دون حسين مهجتي وداري». «٣»

معالركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٣١٤

ويتابع الطبري فيقول: «قال أبو مخنف، عن ثابت بن هبيرة: فقتل عمرو بن قرظة بن كعب وكان مع الحسين، وكان عليُّ أخوه مع عمر بن سعد! فنادى عليُّ بن قرظة: يا حسين «١» ... أضللت أخى وغررتي حتى قتلته؟! قال: إن الله لم يضل أخاك ولكنه هدى أخاك وأضلك! قال: قتلني الله إن لم أقتلك أو أموت دونك! فحمل عليه، فاعترضه نافع بن هلال المرادي فطعنه فصرعه، فحمله أصحابه فاستنقذوه فدووى بعد فبراً». «٢»

مقتل نافع بن هلال الجملي (رض) ص : ٣١٤

كان لنافع بن هلال الجملي (رض) مواقف بطولية عديدة في عرصه الطف، وكان من تلك المواقف ما رواه الطبري عن يحيى بن هاني بن عروة «أن نافع بن

معالركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٣١٥

هلال كان يُقاتل يومئذ وهو يقول:

أنا الهزبرُ الجملي أنا على دين علي «١»

فخرج إليه رجل يُقال له مُراحم بن حُرَيْث فقال: أنا على دين عثمان!

فقال له: أنت على دين شيطان! ثم حمل عليه فقتله، فصاح عمرو بن الحجاج بالناس: يا حمقى أتدورن من تقاتلون؟! فرسان المِصر، قوماً مستميتين! لا يبرزن لهم منكم أحد، فإنهم قليل وقل ما يبقون، والله لو لم ترموهم إلّا بالحجارة لقتلتموهم. فقال عمر بن سعد: صدقت، الرأي ما رأيت. وأرسل إلى الناس يعزم عليهم إلّا يبارز رجل منكم رجلاً منهم!». «٢»

وكان نافع بن هلال الجملي (رض) قد كتب اسمه على أفواق نبله، فجعل يرمى بها مسمومةً وهو يقول:

أرمي بها معلمة أفواقها مسمومة تجرى بها أخفاقها

ليملأن أرضها رشاقها والنفس لا ينفعها إشفاقها

فقتل إثني عشر رجلاً من أصحاب عمر بن سعد سوى من جرح! حتى إذا فئيت نباله جرّد فيهم سيفه فحمل عليهم وهو يقول:

أنا الهزبرُ الجملي أنا على دين علي

معالركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٣١٦

فتواثبوا عليه وأطافوا به يضاربونه بالحجارة والنصال حتى كسروا عضديه، فأخذوه أسيراً، فأمسكه شمر بن ذى الجوشن ومعه أصحابه يسوقونه حتى أتى به عمر بن سعد، فقال له عمر: ويحك يا نافع! ما حملك على ما صنعت بنفسك؟! قال: إن ربي يعلم ما أردت. فقال له رجل وقد نظر الدماء تسيل على لحيته: أما ترى ما بك؟! قال: والله لقد قتل منكم إثني عشر رجلاً سوى من جرحت، وما ألوم نفسي على الجهد، ولو بقيت لي عضد وساعد ما أسرتموني! فقال شمر لابن سعد: أقتله أصلحك الله! قال: أنت جئت به، فإن شئت فاقتله! فانتضى شمر سيفه، فقال له نافع: أما والله لو كنت من المسلمين لعظم عليك أن تلقى الله بدمائنا، فالحمد لله الذي جعل منا يانا على يدي شرار خلقه. ثم قتله شمر لعنه الله. «١» وقد روى الخوارزمي أن مقتل نافع بن هلال (رض) كان بعد مقتل سعيد بن عبد الله الحنفي (رض) حيث قال: «ثم خرج من بعده نافع بن هلال الجملي، وقيل:

هلال بن نافع، وجعل يرميهم بالسهم فلا يخطيء، وكان خاضباً يده...». «٢»

ويرى المحقق السماوي (ره) أن مقتل نافع (رض) بعد مقتل عمرو بن قرظ (رض)، بعد أن قتل نافع (رض) علياً أخا عمرو بن قرظ، حيث يقول السماوي (ره): «وحدث هاني بن عروة المرادي أنه لما جالت الخيل بعد ضرب نافع علياً، حمل عليها نافع بن هلال، فجعل يضرب بها قدماً وهو يقول:

معالركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٣١٧

إن تُنكرونني فأنا ابن الجملي ديني على دين حسين بن علي...». «١»

ولعل الشيخ السماوي (ره) قد استفاد ذلك من سياق نصوص الطبري.

أما الشيخ الصدوق (ره) فقد روى مقتل نافع (رض) بعد مقتل وهب بن وهب (رض)، وذكره باسم (هلال بن حجاج)، «٢» حيث قال (ره): «ثم برز بعده هلال بن حجاج وهو يقول:

أرمى بها معلمة أفواها (أفواها) والنفس لا ينفعها إشفاقها

فقتل منهم ثلاثة عشر رجلاً ثم قتل...». «٣»

أما ابن شهر آشوب (ره) فقد ذكر مقتله (رض) بعد مقتل زهير بن القين (رض) حيث قال: «ثم برز نافع بن هلال البجلي «٤» قائلاً:

أنا الغلام اليماني البجلي ديني على دين حسين بن علي

أضربكم ضرب غلام بطل ويختم الله بخير عملي «٥»

فقتل إثني عشر رجلاً، وروى سبعين رجلاً...». «١»

مقتل يزيد بن مغفل الجعفي (رض) «٢» ص: ٣١٧

قال المحقق السماوي (ره): «وذكر أهل المقاتل والسير أنه لما التحم القتال في اليوم العاشر استأذن يزيد بن مغفل الحسين عليه السلام في البراز فأذن له، فتقدم وهو يقول:

أنا يزيد وأنا ابن مغفل وفي يميني نصل سيف منجل

أعلو به الهامات وسط القسطل «٣»

عن الحسين الماجد المفضل

ثم قاتل حتى قتل...». «٤»

لكن الخوارزمي «٥» وابن شهر آشوب «٦» ذكرا مثل هذه الأبيات في الرجز لإسم

معالركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٣١٩

آخر هو (أنيس بن معقل الأصبحي)، ولعله هو يزيد بن مغفل الجعفي (رض)، والله العالم.

مصراع الموقع «١» بن ثمامة الأسدى الصيداوى (رض) ص : ٣١٩

قال المحقق السماوى (ره): «كان الموقع مّمن جاء إلى الحسين في الطفّ، وخلص إليه ليلاً مع من خلص. قال أبو مخنف: «٢» إنّ الموقع صُرع فاستنقذوه قومه

معالركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٣٢٠

وأتوا به إلى الكوفة فأخفوه، وبلغ ابن زياد خبره فأرسل إليه ليقتله، فشفع فيه جماعة من بنى أسد، فلم يقتله ولكن كبله بالحديد ونفاه إلى الزارة، «١» وكان مريضاً من الجراحات التي به، فبقي في الزارة مريضاً مكبلاً حتى مات بعد سنه، وفيه يقول الكُميت الأسدى: وإنّ أباموسى أسيرٌ مُكبّل - يعنى به الموقع. «٢»

مقتل عمر «٣» (عمرو) بن جنادة الأنصارى الخزرجى (رض) ص : ٣٢٠

كان جنادة بن كعب بن الحرث الأنصارى الخزرجى (رض) مّمن قتل في الحملة الأولى من أصحاب الإمام الحسين عليه السلام، وكان قد قتل من الأعداء ستّة عشر رجلاً، «٤» وكان جنادة قد صحب الإمام عليه السلام من مكة وجاء معه هو وأهله، وكان ابنه عمرو وهو ابن إحدى عشرة سنه «٥» قد تقدّم - بعد مقتل أبيه (رض) - إلى الإمام عليه السلام يستأذنه في القتال، فأبى عليه السلام «وقال: هذا غلام قُتل أبوه في الحملة الأولى «٦» ولعلّ أمّه تكره ذلك. قال: إنّ أمى أمرتنى! فأذن له فما أسرع أن قُتل ورُمى برأسه إلى جهة الحسين، فأخذته أمّه ومسحت الدم عنه وضربت به رجلاً قريباً منها فمات! وعادت إلى المخيم فأخذت عموداً، وقيل سيفاً، وأنشأت:

إنى عجوز فى النسا ضعيفه خاوية بالية نحيفه

أضربكم بضربة عنيفه دون بنى فاطمة الشريفه

فردّها الحسين إلى الخيمة بعد أن أصابت بالعمود رجلين. «١»

لكنّ الخوارزمى فى المقتل ذكر مصراع جنادة ثم مصراع ابنه عمرو هكذا: «ثم خرج من بعده «٢» جنادة بن الحرث الأنصارى، «٣» وهو يقول:

أنا جنادة أنا ابن الحارث لست بخوّارٍ ولا بناكث

عن بيعتى حتى يقوم وارثى من فوق شلوٍ فى الصعيد ماكث

فحمل، ولم يزل يُقاتل حتى قُتل.

ثم خرج من بعده عمرو بن جنادة، وهو ينشد ويقول:

أضيق الخناق من ابن هندٍ وارمه فى عقره بفوارس الأنصارِ

ومهاجرين مخضبين رماهم تحت العجاجة من دم الكفار

خضبت على عهد النبىّ محمّد فاليوم تُخضب من دم الفجار

واليوم تُخضب من دماء معاشرٍ رفضوا القرآن لنصرة الأشرار

طلبوا بئارهم بيدٍ واثنوا بالمرهفات وبالقنا الخطار

والله ربي لا أزال مضارباً للفاسقين بمرهف بتار

مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٣٢٢
 هذا عليّ اليوم حقّ واجب في كل يوم تعاقب وحوار
 ثم حمل، فقاتل حتى قُتل. «١»
 ثم يروي الخوارزمي الواقعة- التي ذكرها كل من المحقق السماوي (ره)، والمحقق المقرّم (ره)- لشاب آخر، قائلاً: «ثم خرج من بعده
 شاب قُتل أبوه في المعركة، وكانت أمّه عنده، فقالت: يا بُنيّ اخرج فقاتل بين يدي ابن رسول الله حتى تُقتل! فقال: أفعُل. فخرج، فقال
 الحسين: هذا شاب قُتل أبوه، ولعلّ أمّه تكره خروجه. فقال الشاب: أمّي أمرتني يا ابن رسول الله! فخرج وهو يقول:
 أميرى حسينٌ ونعم الأمير سرور فؤاد البشير النذير
 عليّ وفاطمة والداه فهل تعلمون له من نظير
 ثم قاتل فقتل، وحزّ رأسه ورمى به إلى عسكر الحسين، فأخذت أمّه رأسه وقالت له: أحسنت يا بُنيّ! يا قُرّة عيني وسرور قلبي!
 ثم رمت برأس ابنها رجلاً فقتلته، وأخذت عمود خيمه وحملت على القوم وهي تقول:
 أنا عجوز في النسا ضعيفه باليه خاويه نحيفه
 أضربكم بضربه عنيفه دون بني فاطمة الشريفه
 فضربت رجلين فقتلتهم، فأمر الحسين عليه السلام بصرفها ودعا لها. «٢»
 مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٣٢٣

مقتل الأخوين الغفاريين (رض) ص: ٣٢٣

يروى الطبري قائلاً: «فلما رأى أصحاب الحسين أنهم قد كثروا، وأنهم لا يقدرّون على أن يمنعوا حسينا ولا أنفسهم تنافسوا في أن يقتلوا
 بين يديه، فجاءه عبدالله وعبدالرحمن ابنا عزة (عروة) «١» الغفاريان، فقالا: يا أبا عبدالله، عليك السلام! حازنا العدو إليك فأحببنا أن
 نُقتل بين يديك، نمنعك وندفع عنك!
 قال: مرحباً بكما أدنوا منّي!
 فدنوا منه، فجعلوا يقاوتلان قريباً منه، وأحدهما يقول:
 قد علمت حقاً بنو غفارٍ وخندفٌ بعد بني نزار
 لنضربنّ معشرَ الفُجّارِ بكلّ غضبٍ صارمٍ بتار
 يا قوم ذودوا عن بني الأحرار «٢»
 بالمشرفي والقنا الخطار. «٣»
 أمّا الخوارزمي فقد ذكر أنّ (قُرّة بن أبي قُرّة الغفاري) خرج بعد خروج (يحيى بن سليم المازني) وهو يقول:
 قد علمت حقاً بنو غفارٍ وخندفٌ بعد بني نزار «١»
 ثم حمل فقاتل حتى قُتل. «٢»
 والظاهر أنّ هذا هو نفسه (عبدالله بن عروة الغفاري)، ذلك لأنّ الخوارزمي يذكر أنّ أخاه (عبدالرحمن بن عروة) كان قد خرج بعد
 خروج عمرو بن قرظ، وأنه كان يقول أيضاً:
 قد علمت حقاً بنو غفارٍ وخندفٌ بعد بني نزار
 ثم قاتل حتى قُتل. «٣»
 والجدير بالذكر أنّ ابن شهر آشوب كان قد ذكر أنّ عبدالله قد قُتل في الحملة الأولى، «٤» كما أنّ ما ذكره المحقق السماوي (ره) أنّ

عبدالله وأخاه عبدالرحمن كانا قد دنوا من الإمام عليه السلام، وجعلا يقاتلان قريباً منه، وإن أحدهما ليرتجز ويؤتم له الآخر.. فلم يزالا يقاتلان حتى قُتلا، «٥» لايبعد أن يكون قتالهما هذا ومقتلهما أثناء معالركب الحسينى (ج ٤)، ص: ٣٢٥
الحملة الأولى.

وقد ورد السلام عليهما من الناحية المقدسة هكذا: «السلام على عبدالله وعبدالرحمن ابني عروة بن حراق الغفاريين». «١»

مقتل حنظلة بن أسعد الشامي والأخوين الجابريين سيف ومالك (رض) ص : ٣٢٥

روى الطبرى قائلاً: «وجاء الفتيان الجابريان سيف بن الحارث بن سريع، ومالك بن عبد «٢» بن سريع، وهما إبن عم وأخوان لأم، فأتيا حسيناً فدنوا منه وهما يبكيان، فقال: أى ابنى أخى! ما يبكيكما؟ فوالله إننى لأرجو أن تكونا عن ساعة قريرى عين.
قالا: جعلنا الله فداك! لا والله ما على أنفسنا نبكى، ولكننا نبكى عليك! نراك قد أحيط بك ولا نقدر على أن نمنعك!
فقال: جزاكما الله يا ابنى أخى بوجد كما من ذلك ومواساتكما إياى بأفسكما أحسن جزاء المتقين.
وجاء حنظلة بن أسعد الشامى فقام بين يدى حسين، فأخذ يُنادى: يا قوم! إننى أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب، مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم، وما الله يريد ظلاماً للعباد، ويا قوم إننى أخاف عليكم يوم التناد يوم تولون مدبرين مالكم من الله من عاصم، ومن يُظلل الله فماله من هاد، يا قوم لا تقتلوا
معالركب الحسينى (ج ٤)، ص: ٣٢٦
حسيناً فيسحتكم الله بعذاب وقد خاب من أترى.

فقال له حسين: يا ابن أسعد رحمك الله، إنهم قد استوجبوا العذاب حين ردوا عليك ما دعوتهم إليه من الحق ونهضوا إليك ليستبيحوك وأصحابك! فكيف بهم الآن وقد قتلوا إخوانك الصادقين؟!
قال: صدقت جعلت فداك! أنت أفقه منى وأحقّ بذلك، أفلا نروح إلى الآخرة ونلحق بإخواننا؟
قال: رُح إلى خير من الدنيا وما فيها! وإلى ملك لا يبلى!
فقال: السلام عليك أبا عبدالله، صلى الله عليك وعلى أهل بيتك، وعرف بيننا وبينك فى جنته!
فقال: آمين آمين!
فاستقدم فقاتل حتى قُتل.

ثم استقدم الفتيان الجابريان يلتفتان إلى حسين ويقولان: السلام عليك يا ابن رسول الله!
فقال: وعليكما السلام ورحمة الله!
فقاتلا حتى قُتلا». «١»

وقد ورد السلام على حنظلة من الناحية المقدسة هكذا: «السلام على حنظلة بن أسعد الشامى». «٢»
معالركب الحسينى (ج ٤)، ص: ٣٢٧

وعلى الجابريين: «السلام على شبيب «١» بن الحارث بن سريع، السلام على مالك بن عبدالله بن سريع». «٢»

مقتل شوذب بن عبدالله (رض) «٣» ص : ٣٢٧

وروى الطبرى أيضاً يقول: «وجاء عابس بن أبى شبيب الشاكرى ومعه شوذب مولى شاكرا، فقال: يا شوذب، ما فى نفسك أن تصنع؟

قال: ما أصنع؟! أقاتل معك دون ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله حتى أقتل!

قال: ذلك الظن بك! أما الآن فتقدم بين يدي أبي عبد الله حتى يحتسبك كما احتسب غيرك من أصحابه، وحتى احتسبك أنا، فإنه لو كان معي الساعة أحدٌ أنا أولى به مني بك لسرتني أن يتقدم بين يدي حتى احتسبه، فإن هذا يوم ينبغي لنا أن نطلب الأجر فيه بكل ما قدرنا عليه، فإنه لا عمل بعد اليوم وإنما هو الحساب!

.. فتقدم فسلم على الحسين، ثم مضى فقاتل حتى قتل!.. «٤»

وقال الشيخ المفيد (ره): «وتقدم بعده «٥» شوذب مولى شاعر فقال: السلام عليك يا أبا عبد الله ورحمة الله وبركاته، أستودعك الله وأسترعيك. ثم قاتل حتى

مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٣٢٨

قتل رحمه الله.. «١»

مقتل عابس بن أبي شبيب الشاكري (رض) ص : ٣٢٨

ثم لما قتل شوذب (رض) تقدم عابس (رض) الى الإمام عليه السلام «ثم قال: يا أبا عبد الله! أما والله ما أمسى على ظهر الأرض قريب ولا بعيد أعز علي ولا أحب إلي منك! ولو قدرت على أن أدفع عنك الضيم والقتل بشيء أعز علي من نفسي ودمي لفعلته! السلام عليك يا أبا عبد الله، أشهد الله أنني على هديك وهدي أبيك.

ثم مشى بالسيف مصلتاً نحوهم وبه ضربة على جبينه!.. «٢»

ويقول رجل همداني - يُقال له ربيع بن تميم - شهد ذلك اليوم: «لما رأيته مُقبلاً عرفته، وقد شاهدته في المغازي وكان أشجع الناس، فقلت: أيها الناس هذا أسد الأسود! هذا ابن أبي شبيب! لا يخرجن إليه أحد منكم. فأخذ يُنادي: ألا رجل لرجل!؟ فقال عمر بن سعد: ارضخوه بالحجارة!

قال: فرمى بالحجارة من كل جانب، فلما رأى ذلك ألقى درعه ومغفره، ثم شد على الناس، فوالله لرأيته يكرد «٣» أكثر من مائتين من الناس، ثم إنهم تعطفوا عليه من كل جانب فقتل.

قال: فرأيت رأسه في أيدي رجال ذوى عدّة، هذا يقول: أنا قتلت! وهذا يقول:

مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٣٢٩

أنا قتلت! فأتوا عمر بن سعد فقال: لا تختصموا، هذا لم يقتله سنان «١» واحداً! ففرق بينهم بهذا القول.. «٢»

مقتل الأخوين الأنصارين (رض) ص : ٣٢٩

وهما سعد بن الحرث الأنصاري العجلاني (رض) وأخوه أبو الحتوف بن الحرث الأنصاري العجلاني (رض)، وكانا قد التحقا بالإمام الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء، يقول المحقق السماوي (ره): «كانا من أهل الكوفة ومن المحكّمه، «٣» فخرجا مع عمر بن سعد إلى قتال الحسين عليه السلام. قال صاحب الحقائق: فلما كان اليوم العاشر، وقتل أصحاب الحسين فجعل الحسين يُنادي: ألا ناصرٌ فينصرنا.

فسمعتة النساء والأطفال، فتصارخن، وسمع سعد وأخوه أبو الحتوف النداء من الحسين عليه السلام والصراخ من عياله، فمالا بسيفيهما مع الحسين على أعدائه، فجعلتا يُقاتلان حتى قتلا جماعة وجرحا آخرين، ثم قتلا معاً.. «٤»

وذكر صاحب الحقائق أنّهما (رض) قد قتلا من الأعداء ثلاثة نفر.. «٥»

وفى ضوء هذا الخبر: إذا كان المراد من «وقتل أصحاب الحسين» قتل أصحابه

مع الركب الحسينى (ج ۴)، ص: ۳۳۰

بعد الحملة العامة الأولى، فإنّ هذين الأنصارين (رض) يكونان - حسب الظاهر - قد قُتلا أواخر الحملة الأولى أو بعدها مباشرة، وإذا كان المراد من «وقتل أصحاب الحسين» قتل أصحابه جميعاً، فإنّ هذين الأنصارين (رض) يكونان آخر من قُتل معه عليه السلام، والنصوص المتوفرة في مقتلتهما لاتساعد بأكثر من هذا على تشخيص ساعة مقتلتهما في الملحمة.

مقتل الأنصار الجهنين الثلاثة (رض) ص : ۳۳۰

وهم مجمع بن زياد بن عمرو الجهنى (رض)، «۱» وعياد بن المهاجر بن أبى المهاجر الجهنى (رض)، «۲» وعقبه بن الصلت الجهنى (رض)، «۳» وكان هؤلاء الأبرار

مع الركب الحسينى (ج ۴)، ص: ۳۳۱

قد التحقوا بالإمام عليه السلام من مياه جهينة (منازل جهينة) وهو فى طريقه من المدينة إلى مكة، وثبتوا معه ولازموه، فلم ينفصوا عنه حين انفض كثير من الأعراب عنه عليه السلام فى زبالة، فلما كان يوم العاشر قاتلوا بين يديه حتى قتلوا رضوان الله عليهم.

مقتل يزيد بن ثيبط العبدى البصرى (رض) ص : ۳۳۱

إشارة

كان ولداه عبدالله وعبيدالله رضى الله عنهما قد قُتلا فى الحملة الأولى، «۱» أمّا هو رضوان الله تعالى عليه فقد قُتل مبارزة، «۲» وقد مرّت بنا ترجمته وقصة ارتحاله إلى الإمام عليه السلام من البصرة مع مجموعة من المجاهدين البصريين والتحاقهم بالإمام عليه السلام فى مكة المكرمة، وملازمتهم الإمام عليه السلام حتى فوزهم بالشهادة بين يديه. «۳»

مقتل رافع بن عبدالله (رض) مولى مسلم الأزدى (رض) ص : ۳۳۱

كان رافع بن عبدالله (رض) قد خرج إلى الإمام الحسين عليه السلام مع مولاة مسلم بن كثير الأعرج الأزدى (رض) من الكوفة، وانضمّا إلى الإمام عليه السلام فى كربلاء، ولما كان اليوم العاشر ونشب القتال قُتل مسلم بن كثير (رض) فى الحملة الأولى، أمّا مولاة عبدالله فتقدّم بعد صلاة الظهر مبارزاً للأعداء بين يدي الإمام الحسين عليه السلام،

مع الركب الحسينى (ج ۴)، ص: ۳۳۲

فقاتل ثم نال شرف الشهادة. «۱»

مقتل حبشى بن قيس النهى (رض) «۲» ص : ۳۳۲

ومن أنصاره عليه السلام الذين قُتلوا معه فى كربلاء حبشى (حبش) «۳» بن قيس النهى (رض)، ولم نعثر فى المصادر الأخرى على تفصيل مصرعه ومقتله.

مقتل زياد بن عريب الهمداني الصائدي (رض) «٤» ص : ٣٣٢

وكنيته أبوعمرة «٥» وهو ممن أدرك زمان النبي صلى الله عليه وآله، وقد روى الشيخ (ابن نما) عن مهران الكاهلي - أي مولى لبني كاهل - قال: شهدت كربلاء مع الحسين عليه السلام فرأيت رجلاً يُقاتل قتالاً شديداً، لا يحمل على قوم إلا كشفهم! ثم يرجع إلى الحسين عليه السلام ويرتجز ويقول:

أبشر هُدَيْتَ الرُّشْدَ يا ابن أحمدا في جَنَّةِ الفردوس تعلوا صَعْدَا

فقلت: من هذا؟ قالوا: أبوعمر النهشلي. «١» وقيل: الخثعمي فاعترضه عامر بن نهشل أحد بني اللات بن ثعلبة فقتله واحترَّ رأسه. قال: وكان أبوعمرو هذا متهجداً كثير الصلاة. «٢»

مقتل قعنب بن عمر النمري (رض) ص : ٣٣٢

ومن أنصاره عليه السلام الذين استشهدوا بين يديه في كربلاء قعنب بن عمر النمري البصري (رض)، الذي كان قد جاء إلى الإمام عليه السلام مع الحجاج بن بدر السعدي (رض) من البصرة، والتحقا به في مكة، ولم يزل ملازماً له، حتى نشب القتال يوم عاشوراء، فقاتل في الطف بين يدي الإمام عليه السلام حتى قُتل رضوان الله عليه، «٣» ولم تذكر المصادر التاريخية تفصيلاً لمصرعه إلا أن الزنجاني نقل عن صاحب الذخيرة أنه قتل في الحملة الأولى، «٤» وقد ورد السلام عليه في زيارة الناحية المقدسة هكذا: «السلام على قعنب بن عمرو النمري». «٥»

مقتل بكر بن حي التيمي (رض) ص : ٣٣٢

قال المحقق السماوي (ره): «كان بكر ممن خرج مع ابن سعد إلى حرب الحسين عليه السلام، حتى إذا قامت الحرب على ساق، مال مع الحسين على ابن سعد، فقتل بين يدي الحسين عليه السلام بعد الحملة الأولى، ذكره صاحب الحقائق «٦» وغيره. «٧» مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٣٣٤ ولم نعثر على تفصيل لمصرعه (رض) في مصادر أخرى.

مقتل سالم بن عمرو (رض) مولى بني المدينة ص : ٣٣٤

وقال المحقق السماوي (ره) أيضاً: «كان سالم مولى لبني المدينة، وهم بطن من كلب، كوفياً من الشيعة، خرج إلى الحسين عليه السلام أيام المهادنة، فانضم إلى أصحابه. قال في الحقائق: وما زال معه حتى قُتل. «١» وقال السروي: قُتل في أول حملة مع من قُتل من أصحاب الحسين عليه السلام. «٢» وله في القائميات ذكر وسلام. «٣». «٤»

مقتل الغلام التركي (رض) ص : ٣٣٤

قال الخوارزمي: «ثم خرج غلام تركي مبارز، قارئ للقرآن، عارف بالعربية، وهو من موالى الحسين، فجعل يقاتل ويقول:

البحر من طعنى وضربى يصطلى والجو من سهمى ونبلى يمتلى

إذا حسامى فى يمينى ينجلى ينشق قلب الحاسد المبجل

فقتل جماعة، فتحاوشوه فصرعوه، فجاءه الحسين وبكى ووضع خده على خده، ففتح عينيه ورآه فتبسّم، ثم صار إلى ربه. «٥»

مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٣٣٥

لكن ابن شهر آشوب ذكر هذه الأبيات لغلام تركي للحز، قائلاً «وروى أنه برز غلام تركي للحز، وجعل يقول...»، كما ذكر أنه قتل سبعين رجلاً. (١)

أما المحقق السماوي (ره) فقد قال في ترجمته (أسلم بن عمرو مولى الحسين بن علي عليه السلام): «كان أسلم من موالى الحسين، وكان أبوه تركياً، وكان ولده أسلم كاتباً. قال بعض أهل السير والمقاتل: إنه خرج إلى القتال وهو يقول:

أميرى حسينٌ ونعم الأمير سرور فؤاد البشير النذير

فقاتل حتى قُتل، فلما صُرع مشى إليه الحسين عليه السلام، فرآه وبه رمقٌ يومى إلى الحسين عليه السلام فاعتنقه الحسين ووضع خده على خده، فتبسّم وقال: من مثلى وابن رسول الله صلى الله عليه وآله واضعٌ خده على خدى، ثم فاضت نفسه رضوان الله عليه». (٢)

مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٣٣٦

وقال صاحب ذخيرة الدارين: «ومشى الحسين عليه السلام إلى أسلم مولاه واعتنقه، وكان به رمق فتبسّم وافتخر بذلك». (١)

مقتل بشر «٢» بن عمرو بن الأحود الحضرى (رض) ص : ٣٣٦

ذكرنا فيما مضى فى قائمة أسماء شهداء الحملة الأولى إسم «بشر بن عمرو الحضرى» فى جملة أولئك الشهداء رضوان الله عليهم، وقلنا فى حاشية إسمه إن المحقق السماوى (ره) ذكر أنه قُتل فى الحملة الأولى نقلًا عن قول ابن شهر آشوب السروى فى المناقب. (٣) وقلنا: إننا بعد مراجعة كتاب المناقب وجدنا أن ابن شهر آشوب لم يذكره فى أسماء شهداء الحملة الأولى، (٤) لكنّ الزنجاني فى وسيلة الدارين ذكره فى أسماء شهداء الحملة الأولى (٥) وقال فى ترجمته: «قال أهل السير: فلما ثبت القتال بين الفريقين تقدّم بشر بن عمرو الحضرى إلى الحرب، وقاتل حتى قُتل فى الحملة الأولى مع من قُتل فى أصحاب الحسين عليه السلام»، (٦) ولانعلم من هم أهل السير الذين

مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٣٣٧

عناهم الزنجاني؟!

لكنّ الطبرى فى تاريخه (١) روى أن آخر من بقى مع الإمام عليه السلام من أصحابه سويد بن عمرو بن أبى المطاع الخثعمى (رض)، وبشير بن عمرو الحضرى (رض).

و من الغريب أنّ المحقق السماوى (ره) (٢) فى موضع آخر من كتابه ذكر أيضاً أنّ بشراً الحضرى (رض) قُتل فى آخر أصحاب الإمام عليه السلام قبل سويد بن عمرو (رض)!.

وروى البلاذرى يقول: «وقاتل بشير بن عمرو الحضرى وهو يقول:

اليوم يا نفس ألقى الرحمن واليوم تُجزى بكلّ إحسان

لا تجزى فكلّ شىءٍ فان والصبر أحظى لك عند الديان». (٣)

وقد ورد السلام عليه فى زيارة الناحية المقدّسة هكذا: «السلام على بشر بن عمر الحضرى، شكر الله لك قولك للحسين وقد أذن لك فى الإنصراف: أكلتني اذن السباع حياً إن فارتك! وأسأل عنك الركبان؟! وأخذلك مع قلة الأعوان؟! لا يكون هذا أبداً!». (٤)

مقتل سويد بن عمرو بن أبى المطاع (رض) ص : ٣٣٧

روى الطبرى أنّ سويد بن عمرو بن أبى المطاع الخثعمى (رض) كان آخر من

مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٣٣٨
 بقى مع الحسين عليه السلام من أصحابه، «١» وقال المحقق السماوي (ره) في ترجمته: «كان سويد شيخاً شريفاً عابداً كثير الصلاة، وكان شجاعاً مجزباً في الحروب، كما ذكره الطبري والداودي». «٢»
 وقال السيد ابن طاووس (ره): «وتقدم سويد بن عمرو بن أبي المطاع، وكان شريفاً كثير الصلاة، فقاتل قتال الأسد الباسل، وبالغ في الصبر على البلاء النازل حتى سقط بين القتلى وقد أثنى بالجراح، ولم يزل كذلك وليس به حراك، حتى سمعهم يقولون: قُتل الحسين. فتحامل وأخرج من خفه سكيناً، وجعل يقاتلهم بها حتى قتل رضوان الله عليه». «٣»
 وقال المحقق السماوي (ره): «وقال أهل السير: إن بشراً الحضرمي قُتل، فتقدم سويد وقاتل حتى أثنى بالجراح، وسقط على وجهه فظن بأنه قُتل، فلما قُتل الحسين عليه السلام وسمعهم يقولون: قُتل الحسين. وجد به إفاقته، وكانت معه سكين خبأها، وكان قد أخذ سيفه منه، فقاتلهم بسكينه ساعة، ثم إنهم عطفوا عليه، فقتله عروة بن بكار التغلبي، وزيد بن ورقاء الجهني. «٤». «٥»
 مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٣٣٩

قصة الضحّاك بن عبدالله المشرقى! ص : ٣٣٩

قال الطبري: «قال أبو مخنف، حدّثنا عبدالله بن عاصم الفائسي - بطن من همدان - عن الضحّاك بن عبدالله المشرقى قال: قدمت ومالك بن النضر الأرحبي على الحسين، فسلمنا عليه ثم جلسنا إليه، فردّ علينا ورحّب بنا، وسألنا عمّا جئنا له، فقلنا جئنا لنسلم عليك وندعوا الله لك بالعافية، ونُحدث بك عهداً، ونخبرك خبر الناس، وإنا نحدّثك أنهم قد جمعوا على حربك! فر رأيتك.
 فقال الحسين عليه السلام: حسبي الله ونعم الوكيل.
 قال: فتدمّمنا وسلمنا عليه ودعونا الله له!
 قال: فما يمنعكما من نصرتي؟!
 فقال مالك بن النضر: عليّ دين، ولي عيال!!
 فقلت: إن عليّ ديناً، وإن لي لعيالاً، ولكنك إن جعلتني في حلّ من الإنصراف إذا لم أجد مقاتلاً، قاتلتُ عنك ما كان لك نافعاً وعنك دافعاً!
 قال: قال: فأنت في حلّ! فأقمتُ معه». «١»
 ويستفاد من هذا المتن أنّ هذا اللقاء كان في الطريق إلى كربلاء، «٢» أو في كربلاء قبل الحصار، ذلك لأنّ مالك بن النضر كان قد ترك الإمام عليه السلام، ولا يكون ذلك بمقدوره إلّا قبل الحصار.
 ثم نجد الطبري يروي بنفس السند عن الضحّاك هذا تفاصيل عن وقائع مهمّة
 مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٣٤٠
 في ليلة عاشوراء، وفي يوم عاشوراء، منها احتجاج الإمام عليه السلام على أعدائه قبل نشوب الحرب.
 ثم يروي الطبري بنفس السند عن الضحّاك المشرقى كيف استأذن الإمام عليه السلام بالتخلّي عنه آخر الأمر، وكيف فرّ من الميدان، وكيف نجا من القتل!!
 قال الضحّاك: «لما رأيت أصحاب الحسين قد أصيبوا، وقد خلّص إليه وإلى أهل بيته، ولم يبق معه غير سويد بن عمرو بن أبي المطاع الخثعمي، وبشير بن عمرو الحضرمي، قلت له: يا ابن رسول الله! قد علمت ما كان بيني وبينك، قلتُ لك: أقاتلُ عنك ما رأيت مقاتلاً، فإذا لم أر مقاتلاً فأنا في حلّ من الإنصراف.
 فقلت: نعم.»

قال: صدقت! وكيف لك بالنجاء؟ إن قدرت على ذلك فأنت في حل! قال فأقبلت إلى فرسى وقد كنت حيث رأيت خيل أصحابنا تُعقرُ أقبلت بها حتى أدخلتها فسطاطاً لأصحابنا بين البيوت، وأقبلت أقاتل معهم راجلاً، فقتلت يومئذ بين يدي الحسين رجلين، وقطعت يد آخر، وقال لي الحسين يومئذٍ مراراً لا تُشلل! لا يقطع الله يدك! جزاك الله خيراً عن أهل بيت نبيك صلى الله عليه وآله.

فلما أذن لي استخرجتُ الفرس من الفسطاط، ثم استويتُ على متنها ثم ضربتها، حتى إذا قامت على السنايك رميتُ بها عرض القوم فأفرجوا لي، واتبعتني منهم خمسة عشر رجلاً، حتى انتهيتُ إلى سُفَيْتِه قريةً قريبةً من شاطئ الفرات، فلما لحقوني عطفتُ عليهم، فعرفني كثير بن عبد الله الشعبي، وأيوب بن مشرح الخيواني، وقيس بن عبد الله الصائدي، فقالوا: هذا الضحّاك بن عبد الله المشرقي، هذا ابن عمنا! نشدكم الله لما كلفتم عنه! فقال ثلاثة نفر من بني تميم كانوا معهم:

بلى والله، لنجيين إخواننا وأهل دعوتنا إلى ما أحبوا من الكف عن صاحبهم. قال:

معالركب الحسيني (ج ۴)، ص: ۳۴۱

فلما تابع التميميون أصحابي كف الآخرون، قال: فنجانى الله!.. (۱)

أسماء أخرى وملاحظات: ص: ۳۴۱

۱- مالك بن دودان:

قال ابن شهر آشوب السروي: «ثم برز مالك بن دودان وأنشأ يقول:

إليكم من مالك الضرغام ضرب فتى يحمى عن الكرام

يرجو ثواب الله ذى الإنعام». (۲)

۲- أنيس بن معقل الأصبحي:

وقال أيضاً: «ثم برز أنيس بن معقل الأصبحي وهو يقول:

أنا أنيس وأنا ابن معقل وفي يميني نصل سيف مصقل

أعلو بها الهامات وسط القسطل عن الحسين الماجد المفضل

ابن رسول الله خير مرسل».

فقتل نيفاً وعشرين رجلاً». (۳)

۳- ربيعة بن خوط:

قال الحائري في ذخيرة الدارين: «نزل الكوفة، وكان بها إلى أن جاء

معالركب الحسيني (ج ۴)، ص: ۳۴۲

الحسين عليه السلام من مكة إلى العراق حتى نزل بكربلاء، ثم خرج ربيعة بن خوط من الكوفة وجاء إلى الحسين عليه السلام مع ابن

عمه حبيب، وكان حبيب معه إلى أن قتل بين يديه في الحملة الأولى مع من قتل من أصحاب الحسين عليه السلام». (۱)

۴- زيد بن معقل:

عده الشيخ الطوسي في أصحاب الإمام الحسين عليه السلام، (۲) وذكره ابن شهر آشوب السروي في المناقب، (۳) وقد ورد عليه السلام

في زيارة الناحية المقدسة. (۴)

۵- هلال بن الحجاج:

ذكره الشيخ الصدوق قائلاً: «ثم برز من بعده- أي من بعد وهب بن وهب النصراني (رض)- هلال بن الحجاج وهو يقول:

أرمى بها معلمة أفواقها (أفواهاها) والنفس لا ينفعها إشفاقها

فقتل منهم ثلاثة عشر رجلاً ثم قُتل. «٥»

معالركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٣٤٣

٦- بدر بن رقيط وإبنيه

ورد في الزيارة الرجبية والشعبانية التي رواها السيد ابن طاووس (ره) هكذا:

«السلام على بدر بن رقيط وإبنيه عبدالله وعبيدالله». «١»

أما في زيارة الناحية المقدسة فقد ورد السلام هكذا: «السلام على زيد بن ثابت القيسي، السلام على عبدالله وعبيدالله ابني يزيد بن ثابت القيسي». «٢»

ومن الواضح أن هذا ناشىء عن تصحيف النسخ، إذ لم يُعرف أحدٌ من أنصار الإمام عليه السلام من شهداء الطفّ مع إبنين له بهذين الإسمين: عبدالله وعبيدالله غير يزيد بن ثبيط العبدى (القيسي) البصرى (رض) كما ضبط إسمه المحقق السماوى (ره).

٧- خالد بن عمرو بن خالد الأزدي:

وقد ذكره ابن شهر آشوب السروي قائلاً: «ثم برز إبنه خالد- أى ابن عمرو بن خالد الأزدي- وهو يقول:

صبراً على الموت بنى قحطان كيما تكونوا في رضى الرحمن

ذى المجد والعزة والبرهان وذو العلى والطول والإحسان

يا أبتا قد صرت في الجنان في قصر درّ حسن البنيان». «٣»

معالركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٣٤٤

وعمر بن خالد وهو من شهداء الطفّ ويكنى بأبى خالد، «١» ليس من الأزد، بل هو أسدى صيداوى، ولم يذكر المؤرخون والرجالون الذين ترجموا له بأنّ خالداً إبنه كان معه في شهداء الطفّ.

٨- جابر بن عروة الغفارى:

قال النمازى: «لم يذكره، وهو من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله شهد بدرًا وغيرها، وكان شيخاً كبيراً تعصب بعصابه ترفع حاجبيه عن عينيه، فلما رأى غربه مولانا الحسين صلوات الله عليه، إستأذن، فقال له الحسين: شكر الله سعيك يا شيخ. فقاتل وقتل جمعاً حتى استشهد بين يديه. نقل ذلك كله في النسخ عن أبى مخنف، وكذا في فرسان الهيجا، وعطيته الذرّة». «٢»

ولا يخفى على المتتبع أنّ هذه الترجمة منسوبة في المصادر الأخرى إلى الصحابي الجليل أنس بن الحارث الأسدى الكاهلى (رض). «٣»

٩- عمرو بن جندب الحضرمي:

قال النمازى: «من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، وشهد في الجمل وصفين معه، ووفّق للشهادة يوم الطفّ، وتشرف بسلام الناحية المقدسة». «٤»

١٠- شبيب بن جراد الكلابي الوحيدى:

معالركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٣٤٥

قال النمازى: «من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، من شجعان الشيعة في الكوفة، وله ذكر في المغازى والحروب سيّما في صفين، وبايع مسلماً، وكان يأخذ البيعة له حتى إذا رأى الخذلان انحرف وخرج مع عمر بن سعد إلى كربلاء، فلما جاء الشمر بكتاب ابن زياد وايقن بالحرب لحق بالحسين عليه السلام ليلة عاشوراء، وانضمّ إلى أبى الفضل العباس لكونه من قبيلته، «١» واستشهد يوم عاشوراء بين يدي الحسين عليه السلام».

١١- جعبة بن قيس بن مسلمة:

قال ابن حجر في الإصابة: «جعبه بن قيس بن مسلمة بن طريف، قُتل مع الحسين بن علي، قاله الكلبي». «٢»
١٢- أبو الهياج:

وقال ابن حجر أيضاً: «أبو الهياج قُتل مع الحسين. قال: ذكر الواقدي في مقتل الحسين إنَّ أبا الهياج قُتل معه». «٣»
١٣- يزيد بن حُصين الهمداني المشرقي:

يرد ذكره في بعض كتب التأريخ والتراجم، «٤» وينسب إليه كل ما تنسبه كتب التأريخ والتراجم الأخرى لبرير بن خضير الهمداني المشرقي (رض)، وهو تصحيف ظاهر لبرير بن خضير، وهذا ممّا لا يخفى على المتأمل بدقّه، وذهب إلى معالركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٣٤٦

ماقلناه أيضاً الشيخ التستري (ره) في قاموس الرجال. «١»

١٤- عمرو بن مطاع الجعفي «٢»

قال ابن شهر آشوب السروي: «ثم برز عمرو بن مطاع الجعفي وقال:

اليوم قد طاب لنا الفراع دون حسينِ الضرب والسطاع «٣»

ترجو بذاك الفوز والدفاع من حرّ نارٍ حين لا امتناع». «٤»

وقال الخوارزمي: «ثم خرج من بعده- أي من بعد الكاهلي (رض)- عمر بن مطاع الجعفي، وهو يقول:

أنا ابن جعفي وأبي مطاع وفي يميني مرفف قطع

وأسمّر سنانه لماع يُرى له من ضوءه شعاع

قد طاب لي في يومى القراع دون حسينٍ وله الدفاع

ثم حمل فقاتل حتى قُتل». «٥»

١٥- عبدالرحمن بن عبدالله اليزني:

قال ابن شهر آشوب السروي: «ثم برز عبدالرحمن بن عبدالله اليزني قائلاً:

أنا ابن عبدالله من آل يزن ديني علي دين حسين وحسن

معالركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٣٤٧

أضربكم ضرب فتى من اليمن أرجو بذاك الفوز عند المؤمن». «١»

وذكره محمد بن أبي طالب أيضاً، وأتم قائلاً: «ثم حمل فقاتل حتى قُتل». «٢»

١٦- يحيى بن سليم المازني

ثم قال ابن شهر آشوب: «ثم برز يحيى بن سليم المازني وهو يقول:

لأضربن القوم ضرباً فيصلاً ضرباً شديداً في العدى معجلاً

لا عاجزاً فيها ولا مولولاً ولا أخاف اليوم موتاً مقبلاً». «٣»

وذكره الخوارزمي أيضاً بتفاوت في الشعر. «٤»

١٧- جبلة بن عبدالله

وقد ورد السلام عليه في الزيارة الرجبية والشعبانية التي رواها السيّد ابن طاووس، «٥» والظاهر أنّ هذا الاسم تصحيف ل «جبلة بن علي

الشباني» الذي ورد السلام عليه في زيارة الناحية المقدسة. «٦»

١٨- سعد بن حنظلة التميمي:

قال الخوارزمي: «ثم خرج من بعده- أي من بعد خالد بن عمرو بن خالد الأزدي (وقد مرّ ذكره)- سعد بن حنظلة التميمي، وهو يقول:

صبراً على الأسياف والأسنه صبراً عليها لدخول الجنه
 وهور عين ناعمات هته لمن يريد الفوز لابلظنه
 يا نفس للراحة فاطرحنه وفي طلاب الخير فاطلبنه
 ثم حمل وقاتل قتالاً شديداً فقتل». (١)

وذكره أيضاً ابن شهر آشوب السروي بتفاوت يسير في الشعر. (٢)

ويلاحظ أن مصادر تاريخية أخرى (٣) ذكرت نصيراً آخر غير هذا وهو «حنظله بن أسعد الشبامى» الذى ورد السلام عليه في زيارة الناحية المقدسة، (٤) كما أن مصادر تاريخية أخرى ذكرت هذا الشعر لنصير آخر هو عبدالرحمن الأرحبى (رض). (٥)
 ١٩- عمير بن عبدالله المذحجى:

ثم قال الخوارزمى: «ثم خرج من بعده عمير بن عبدالله المذحجى وهو يقول:

قد علمت سعد وحي مذحج أتى ليث الغاب لم أهجج
 أعلو بسيفى هامة المدجج وأترك القرن لدى التعرج
 فريسه الضبع الأزل الأعرج فمن تراه واقفاً بمنهجى
 ولم يزل يقاتل قتالاً شديداً، حتى قتله مسلم الضبابى، وعبدالله البجلى،
 معالركب الحسينى (ج ٤)، ص: ٣٤٩
 اشتركا في قتله». (١)

وذكره أيضاً ابن شهر آشوب السروي بتفاوت يسير في الشعر. (٢)

٢٠- إبراهيم بن الحصين الأسدى:

قال ابن شهر آشوب السروي: «ثم برز إبراهيم بن الحصين الأسدى يرتجز:

أضرب منكم مفصلاً وساقاً ليهرق اليوم دمي إهراقاً
 ويُرزق الموت أبو إسحاقاً أعنى بنى الفاجرة الفساقاً
 فقتل منهم أربعة وثمانين رجلاً!». (٣)

٢١- دارم بن عبدالله الصائدى:

ذكره أبو محمد على بن أحمد الأندلسى (٤) وقال: «قتل مع الحسين»، وذكره أبو عبيد (٥) وقال أيضاً: «قتل مع الحسين»، وذكره الشيخ الطوسى أيضاً في رجاله. (٦)

٢٢- يحيى بن هانى بن عروه

كان يحيى بن هانى من وجوه العرب، والمعروفين بينهم، وأبوه هانى بن عروه قُتل بالكوفة، قال المزى: يحيى بن هانى بن عروه بن قعاص، (٧) أبو داود

معالركب الحسينى (ج ٤)، ص: ٣٥٠

الكوفى، وكان من أشرف العرب، وكان أبوه ممن قتله عبيدالله بن زياد فى شأن الحسين بن على بن أبى طالب. وعن شعبة: كان سيد أهل الكوفة. وعن أبى حاتم:

صالح من سادات أهل الكوفة. (١)

وقال المامقانى: «يحيى بن هانى بن عروه المرادى العطيفى، نسبة إلى بنى عطيف بطن من مراد، وقد ذكر أهل السير: أنه لما قُتل هانى مع مسلم بن عقيل، فرأى ابنه يحيى واختفى عند قومه خوفاً من ابن زياد، فلما سمع بنزول الحسين بكرىلاً جاء وانضم إليه ولزمه إلى أن

شب القتال يوم الطفّ، فتقدّم وقتل من القوم رجالاً كثيرة ثمّ نال شرف الشهادة رضوان الله عليه»، «٢» ولكننا لم نعثر - حسب متابعتنا - على أحد من أهل السير الأقدمين حكى ذلك!

ويلاحظ أيضاً أنّ الطبري في تاريخه يروي عن هشام بن محمّد، عن أبي مخنف، عن يحيى بن هانئ بن عروة، أنّ نافع بن هلال كان يقاتل يومئذٍ وهو يقول: أنا الجملي، أنا على دين عليّ... إلى آخر قصة قتله مزاحم بن حريث. «٣» وهذا كاشف عن أن يحيى بن هانئ لم يكن من شهداء الطفّ يوم عاشوراء، فتأمل!

٢٣- الهفهاف بن المهند الراسبي «٤» البصري

قال الزنجاني: «ذكر في ذخيرة الدارين ص ٢٥٧: الهفهاف بن المهند الراسبي البصري الذي قُتل يوم الطفّ بعد شهادة الحسين علي ما رواه حميد بن أحمد في

مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٣٥١

كتاب الحداثق، قال: كان الهفهاف هذا فارساً شجاعاً بصرياً، من الشيعة ومن المخلصين في الولاء، له ذكر في المغازي والحروب، وكان من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، وحضر معه مشاهدته كلّها، ولما عقد الألوية أمير المؤمنين عليه السلام يوم صفين ضمّ تميم البصرة إلى الأحنف بن قيس، وأمر على حنظلة البصرة أعين بن ضبعه، وعلى أزد البصرة الهفهاف بن المهند الراسبي الأزدي... وكان ملازماً لعليّ عليه السلام إلى أن قُتل، فانضمّ بعده إلى ابنه الحسن عليه السلام، ثمّ إلى الحسين عليه السلام بعد صلاة العصر، «١»

سأل: أين الحسين؟ فدخل على عمر بن سعد فسأل القوم: ما الخبر أين الحسين بن عليّ؟ فقالوا له: من أنت؟ فقال: أنا الهفهاف الراسبي البصري جئت لنصرة الحسين عليه السلام حين سمعت خروجه من مكة إلى العراق.

فقالوا له: وقد قتلنا الحسين وأصحابه وأنصاره وكلّ من لحق به وانضمّ إليه، ولم يبق غير النساء والأطفال وابنه العليل علي بن الحسين، أما ترى هجوم القوم على المخيم وسلبهم بنات رسول الله صلى الله عليه وآله، فلما سمع الهفهاف بقتل الحسين عليه السلام وهجوم الناس انتضى سيفه وهو يرتجز ويقول:

يا أيها الجند المجند أنا الهفهاف بن المهند أحمى عيالات محمّد

ثمّ شدّ عليهم كليث العرين يضربهم بسيفه، فلم يزل يقتل كلّ من دنا منه من عيون الرجال حتى قتل من القوم جماعة كثيرة سوى من جرح، وقد كانت الرجال

مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٣٥٢

تشدّ عليه فيشدّ عليها بسيفه فتتكشف انكشاف المعزى إذا شدّ فيها الذئب، وهو في ذلك يرتجز بالشعر المتقدّم وقد أثنى بالجراح، فصاح عمر بن سعد بقومه:

الويل لكم! إحملوا عليه من كلّ جانب. ثمّ قال علي بن الحسين عليه السلام في ذلك اليوم:

قلّما رأى الناس منذ بعث الله محمداً فارساً بعد علي بن أبي طالب قتل ما قتل بعده كهذا الرجل. فتداعوا عليه فأقبل خمسة عشر نفرًا «١» فاحتوشوه حتى قتلوه في حومة الحرب بعدما عقروا فرسه رضوان الله عليه». «٢»

٢٤- سليمان بن سليمان الأزدي

ورد السلام عليه في زمرة الشهداء في الزيارة الرجبية والشعبانية التي رواها السيّد ابن طاووس رحمه الله، وكذلك ورد السلام فيها في زمرة الشهداء علي كلّ من الأسماء التالية:

٢٥- عامر بن مالك.

٢٦- منيع بن زياد.

٢٧- عامر بن جليدة.

٢٨- حماد بن حماد الخزاعي.

٢٩- رميث بن عمرو. «٣»

معالركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٣٥٣

٣٠- منذر بن المفضل الجعفي.

٣١- حيان بن الحارث. «١»

٣٢- عمر بن أبي كعب. ٣٣- سليمان بن عون الحضرمي.

٣٤- عثمان بن فروة الغفاري.

٣٥- غيلان بن عبدالرحمن.

٣٦- قيس بن عبدالله الهمداني.

٣٧- عمر بن كناد.

٣٨- زائدة بن مهاجر. «٢»

٣٩- سليمان بن كثير.

٤٠- سويد مولى شاكر. «٣»

وقد أعرضنا عن ذكر أسماء أخرى لأنها برأينا تصحيفات ظاهرة لأسماء أنصار معروفين في كتب التواريخ والتراجم. «٤»

معالركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٣٥٤

مقاتل ومصارع بنى هاشم ص : ٣٥٤

إشارة

وبعد ما استشهدت الصفوة العظيمة من أصحاب الامام عليه السلام هبّ أبناء الأسرة النبوية شباباً وأطفالاً للتضحية والفداء، وهم بالرغم من صغر أسنانهم كانوا كالليوث لم يرهبهم الموت ولم تفزعهم الأهوال، وتسابقوا بشوق إلى ميادين الجهاد، وقد ظنّ الإمام عليه السلام على بعضهم بالموت، فلم يسمح لهم بالجهاد إلّا أنهم أخذوا يتضرّعون إليه ويقبلون يديه ورجليه ليأذن لهم في الدفاع عنه. والمنظر الرهيب الذي يذيب القلوب، ويذهل كل كائن حي هو أنّ أولئك الفتية جعل يودّع بعضهم بعضاً الوداع الأخير فكان كلّ واحد منهم يوسع أخاه وابن عمه تقيلاً، وهم غارقون بالدموع حزناً وأسى على ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله حيث يرونه وحيداً غريباً قد أحاطت به جيوش الأعداء، ويرون عقائل النبوة ومخدرات الوحي وقد تعالت أصواتهن بالبكاء والعيول .. وساعد الله الامام عليه السلام على تحمّل هذه الكوارث التي تقصم الأصلاب، وتذهل الألباب، ولا يطيقها أيّ إنسان إلّا من إمتحن الله قلبه للايمان، «١» بل لا يطيقها إلّا من عصمه الله بعصمة الإمامة.

معالركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٣٥٥

مقتل عليّ الأكبر عليه السلام ص : ٣٥٥

إشارة

أمّا أوّل الهاشميين «١» الذين تقدّموا إلى الشهادة بين يدي الإمام أبي عبدالله الحسين عليه السلام فهو إبنه عليّ الأكبر عليه السلام. «٢»

مع الركب الحسيني (ج ۴)، ص: ۳۵۷

وقد لايسع الواصف الساعى إلى وصفه بما يكشف عن عظم شأنه وعلو منزلته وسمو مقامه إلا أن يتمسك بالوصف الجامع المانع الذى وصفه به أبوه الحسين عليه السلام حين قال: «غلامٌ أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه و آله خَلْقًا وَخُلُقًا ومنطقًا!!». وكان عمره الشريف يومئذٍ - على أعلى الأقوال - سبعاً وعشرين سنة، «۱» وعلى - أقلها - ثمانى عشرة سنة. «۲»

مع الركب الحسيني (ج ۴)، ص: ۳۵۸

قال الخوارزمى يصف خروج على الأ-كبر عليه السلام إلى قتال القوم: «فتقدم على بن الحسين، وأمه ليلى بنت أبى مرّة بن عروة بن مسعود الثقفى، «۱» وهو يومئذ ابن

مع الركب الحسيني (ج ۴)، ص: ۳۵۹

ثمانى عشرة سنة، فلما رآه الحسين رفع شبيته نحو السماء، وقال:

أَللّهُمَّ اشهد على هؤلاء القوم، فقد برز إليهم غلام أشبه الناس خَلْقًا وَخُلُقًا ومنطقًا برسولك محمد صلى الله عليه و آله، كُنّا إذا اشتقنا إلى وجه رسولك نظرنا إلى وجهه! أَللّهُمَّ فامنعمهم بركات الأرض، وإنّ منعتهم ففرّقهم تفريقاً، ومزّقهم تمزيقاً، واجعلهم طرائق قديداً، ولا تُرضِ الولاءَ عنهم أبداً، فإنهم دعونا لينصرونا، ثمّ عدوا علينا يقاتلونا ويقتلونا!.

ثم صاح الحسين بعمر بن سعد: مالك! قطع الله رحمك، ولابارك الله فى أمرك، وسلط عليك من يذبحك على فراشك، كما قطعت رحمى، ولم تحفظ قرابتى، من رسول الله صلى الله عليه و آله، ثم رفع صوته وقرأ: «إنّ الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ذريةً بعضها من بعض والله سميع عليم».

ثم حمل على بن الحسين وهو يقول:

أنا على بن الحسين بن على نحن وبيت الله أولى بالنبى
والله لا يحكم فىنا ابن الدعى أطعنكم بالرمح حتى ينشى
أضربكم بالسيف حتى يلتوى ضرب غلام هاشمى علوى

فلم يزل يقاتل حتى ضجّ أهل الكوفة لكثرة من قتل منهم، حتى أنه روى: أنه على عطشه قتل مائة وعشرين رجلاً! ثم رجع إلى أبيه وقد أصابته جراحات كثيرة، فقال: يا أبة! العطش قد قتلنى! وثقل الحديد قد أجهدنى! فهل إلى شربة من ماء سبيل؟ أتقوى بها على الأعداء!

فبكى الحسين وقال: يا بُنى! عزّ على محمد، وعلى على، وعلى أيبك، أن تدعوهم

مع الركب الحسيني (ج ۴)، ص: ۳۶۰

فلايجيونك، وتستغيث بهم فلايغيثونك، يا بُنى هات لسانك.

فأخذ لسانه فمضّه! ودفع إليه خاتمه وقال: خُذ هذا الخاتم فى فيك، وارجع إلى قتال عدوك، فإنى أرجو أن لاتمسى حتى يسقيك جدك بكأسه الأوفى شربةً لاتظماً بعدها أبداً!

فرجع على بن الحسين إلى القتال، وحمل وهو يقول:

الحربُ قد بانت لها حقائق وظهرت من بعدها مصادق
والله ربّ العرش، لانفارق جموعكم أو تُعمد البوارقُ

وجعل يُقاتل حتى قتل تمام المائتين! ثم ضربه منقذ بن مرّة العبدى «۱» على مفرق رأسه ضربه صرعه فيها، «۲» وضربه الناس بأسيافهم، فاعتق الفرس، فحمله

مع الركب الحسيني (ج ۴)، ص: ۳۶۱

الفرس إلى عسكر عدوّه! فقطعوه بأسيافهم إرباً إرباً! فلما بلغت روحه التراقي نادى بأعلى صوته: يا أبتاه! هذا جدى رسول الله صلى الله عليه وآله قد سقانى بكأسه الأوفى شربة لا أظمأ بعدها أبداً! وهو يقول لك: العجل! فإن لك كأساً مذخورة! فصاح الحسين: قتل الله قوماً قتلوك يا بُنى! ما أجرأهم على الله وعلى انتهاك حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله! على الدنيا بعدك العفا.

قال حميد بن مسلم: لكأنى أنظر إلى امرأة خرجت مسرعة كأنها الشمس طالعة، تنادى بالويل والثبور، تصيح: واحبيباه! واثمرة فؤاده! وانور عيناه! فسألت عنها فقيل: هذه زينب بنت على! «١» ثم جاءت حتى انكبت عليه، فجاء إليها الحسين حتى أخذ بيدها وردّها إلى الفسطاط، ثم أقبل مع فتiane إلى ابنه فقال: إحملوا أحاكم. فحملوه من مصرعه حتى وضعوه عند الفسطاط الذى يقاتلون أمامه.»

معالركب الحسينى (ج ٤)، ص: ٣٦٢

ويقول السيد المقرّم فى كتابه المقتل: «١» «فأتاه الحسين عليه السلام وانكبت عليه واضعاً خده على خده! «٢» وهو يقول: على الدنيا بعدك العفا! ما أجرأهم على الرحمن وعلى انتهاك حرمة الرسول؟! «٣» يعزّ على جدك وأبيك أن تدعوهم فلا يجيبونك، وتستغيث بهم فلا يغيثونك!

ثم أخذ بكفه من دمه الطاهر ورمى به نحو السماء، فلم يسقط منه قطرة! وفى هذا جاءت زيارته:

معالركب الحسينى (ج ٤)، ص: ٣٦٣

«بأبى أنت وأمى من مذبح ومقتول من غير جرم، بأبى أنت وأمى، دمك المرتقى به إلى حبيب الله، بأبى أنت وأمى من مقدّم بين يدي أبيك يحتسبك، ويكى عليك محترفاً عليك قلبه، يرفع دمك الى عنان السماء لا يرجع منه قطرة، ولا تسكن عليك من أبيك زفرة.» «١»

ولعلّى الأكبر عليه السلام سلام فى زيارة الناحية المقدّسة كاشف عن منزلته السامية ومقامه الشامخ، فقد ورد السلام عليه فيها هكذا: «السلام عليك يا أول قتل من نسل خير سليل، من سلالة إبراهيم الخليل، صلى الله عليك وعلى أبيك، إذ قال فيك: قتل الله قوماً قتلوك يا بُنى! ما أجرأهم على الرحمن، وعلى انتهاك حرمة الرسول؟! على الدنيا بعدك العفا! كأنى بك بين يديه مائلاً، وللكافرين قاتلاً قاتلاً:

أنا علّى بن الحسين بن على نحن وبيت الله أولى بالنبي

أطعنكم بالرمح حتى يئننى أضربكم بالسيف أحمى عن أبى

ضرب غلام هاشمى عربى والله لا يحكم فىنا ابن الدعى

حتى قضيت نجبك، ولقيت ريّك، أشهد أنك أولى بالله وبرسوله، وأنك ابن رسوله، وحجته وأمينه، وابن حجته وأمينه، حكم الله على قاتلك مُرّة بن منقذ بن النعمان العبدى، لعنه الله وأخزاه ومن شركه فى قتلك، وكانوا عليك ظهيراً، أصلاهم الله جهنم وساءت مصيراً، وجعلنا الله من ملائكتك، ومرافقك جدك وأبيك وعمّك وأخيك، وأمّك المظلومة، وأبرء إلى الله من أعدائك أولى الجحود، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.» «٢»

معالركب الحسينى (ج ٤)، ص: ٣٦٤

هل كان لعلّى الأكبر ذرية؟ ص: ٣٦٤

صرّح المرحوم العلوى بأنّ على الأكبر عليه السلام لم يخلف عقباً وقال: روى ذلك غير واحد من شيوخنا، «١» وذكر حسام الدين فى

الحدائق الوردية «٢» بأنه كان له عقب.

ونحن بدورنا نعتقد بهذا القول الثاني، ويشهد لذلك ما ورد في زيارته عليه السلام المروية عن أبي حمزة الثمالي أن الإمام الصادق عليه السلام قال له:

«ضع خدك على القبر وقل: صلى الله عليك يا أبا الحسن».

وكما يحتمل أن تكون الكنية للتفأل بالولد الحسن، فإنه يحتمل أيضاً أنها صدرت على الحقيقة وأنه كان له ولد اسمه الحسن.

ورواية أحمد بن أبي نصر البزنطي تشهد بأنه كان متزوجاً من جارية له ولد منها، فإنه قال للإمام الرضا عليه السلام: الرجل يتزوج المرأة وأمّ ولد أبيها؟

قال عليه السلام: لا بأس. فقال أحمد: بلغنا أن علي بن الحسين السجاد تزوج بنت الحسن بن علي عليهما السلام وأمّ ولد أبيها؟ فقال عليه السلام:

ليس هكذا إنما تزوج ابنه الحسن عليه السلام وأمّ ولد لعلي بن الحسين المقتول عندكم.

ومن المعلوم أن الجارية لا يقال لها أمّ ولد إلا إذا ولدت من سيدها، فهذا الحديث شاهد صريح على أن علي الأكبر كانت عنده جارية قد أولدها.

على أن الإستضاء بقول الإمام الصادق عليه السلام في تلك الزيارة التي رواها

مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٣٦٥

أبو حمزة الثمالي تكشف لنا عن حقيقة ناصعة أضاعتها الحقب وهي أن للأكبر الشهيد أهلاً وولداً، وإن كان عقبه منقطعاً هو الآخر، فإن الإمام عليه السلام يقول فيها:

«صلى الله عليك وعلى عترتك وأهل بيتك وآبائك وابنائك وأمهاتك الأخيار الأبرار الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً».

ولفظ الأبناء جمع يدل على أكثر من اثنين، وكما يحتمل إرادة الصليبين خاصةً يحتمل أيضاً أن يراد ما يعمهم وأبناءهم لكن الإحتمال الثاني مدفوع بظاهر إطلاق اللفظ عند العرف، فإنه يختص بالصليبين.

كما أن قوله عليه السلام «وعلى عترتك» دالٌّ عليه فإنّ عتره الرجل ذريته فلولم يكن له ذرية لما صحّ استعمال هذا اللفظ وورود هذه الجملة في لسان الإمام العارف بخواص البلاغة ومقتضيات الأحوال أقوى برهان. «١»

مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٣٦٦

مقاتل آل عقيل عليهم السلام «١» في يوم عاشوراء ص: ٣٦٦

إشارة

إن أنصار الإمام الحسين عليه السلام من آل عقيل عليهم السلام الذين اشتهر عند المؤرخين وأهل التراجم أنهم استشهدوا مع الإمام عليه السلام يوم عاشوراء، هم:

مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٣٦٧

عبدالله «١» بن مسلم بن عقيل عليهم السلام ص: ٣٦٧

يرى ابن أعثم الكوفى، وكذلك الخوارزمى، أن أول من خرج من الطالبين عليهم السلام إلى قتال الأعداء هو عبدالله بن مسلم عليهما السلام، وكان يقول:

أليوم ألقى مسلماً وهو أبى وفتية بادوا على دين النبى

ليسوا كقوم عرفوا بالكذب لكن خياراً وكرام النسب

من هاشم السادات أهل الحسب

ثم حمل فقاتل حتى قتل منهم جماعة وقتل. «٢»

وقال ابن شهر آشوب: «فقاتل حتى قتل ثمانية وتسعين رجلاً بثلاث حملات، ثم قتله عمرو بن صبيح الصيداوى، «٣» وأسد بن مالك». «٤»

مع الركب الحسينى (ج ٤)، ص: ٣٦٨

وقال البلاذرى: «ورمى عمرو بن صبيح الصيداوى عبدالله بن مسلم بن عقيل، واعتوره الناس فقتلوه، ويقال: إن رقاد الجنبى كان يقول:

رميت فتى من آل الحسين ويده على جبهته فأثبتها فيها، وجعلت أنضض «١» سهمى حتى نزعته من جبهته وبقي النصل فيها». «٢»

وقال المحقق السماوى (ره): وكانت قتلته بعد على بن الحسين فيما ذكره أبو مخنف والمدائنى وأبو الفرج دون غيرهم. «٣»

وقال الطبرى: «ثم إن عمرو بن صبيح الصيداوى رمى عبدالله بن مسلم بن عقيل بسهم فوضع كفه على جبهته، فأخذ لا يستطيع أن

يحرك كفيه، ثم انتهى له بسهم آخر ففلق قلبه، فاعتورهم الناس من كل جانب». «٤»

محمد بن مسلم بن عقيل بن أبى طالب عليه السلام ص : ٣٦٨

وبرز إلى ميدان الحرب محمد بن مسلم بن عقيل وأمه أم ولد، فشد عليه أبو مرهم الأزدي ولقيط بن إياس الجهنى. «٥»

مع الركب الحسينى (ج ٤)، ص: ٣٦٩

قال المحقق السماوى (ره): «حمل بنو أبى طالب بعد قتل عبدالله حملة واحدة، فصاح بهم الحسين عليه السلام: صبراً على الموت يا

بنى عمومتى! فوقع فيهم محمد بن مسلم، قتله أبو مرهم الأزدي ولقيط بن إياس الجهنى». «١»

جعفر بن عقيل بن أبى طالب عليه السلام ص : ٣٦٩

وبرز الى ميدان الحرب جعفر «٢» بن عقيل بن أبى طالب وهو يرتجز ويقول:

أنا الغلام الأبطحى الطالبى من معشر فى هاشم وغالب

ونحن حقاً سادة الذوائب هذا حسين سيد الأطائب

قال أبو الفرج: قتله عروة بن عبدالله الخثعمى فيما روينا عن أبى جعفر محمد بن على بن حسين، وعن حميد بن مسلم. «٣»

وقال السروى: «فقتل رجلين وفى قول خمسة عشر فارساً»، «٤» وقال لمحقق السماوى (ره): «فقتل خمسة عشر رجلاً، ثم قتله بشر بن

مع الركب الحسينى (ج ٤)، ص: ٣٧٠

حوط قاتل أخيه عبدالرحمن». «١»

عبد الرحمن بن عقيل عليه السلام ص : ٣٧٠

وأُمّه أم ولد، «٢» وانبرى إلى ساحة القتال وهو يرتجز ويقول:

أبى عقيل فأعرفوا مكاني من هاشم وهاشم إخواني

كهول صدق سادة القرآن هذا حسين شامخ البنيان». «٣»

وقال الطبرى: «وشدّ عثمان بن خالد بن أسير الجهنى، وبشر بن سوط الهمدانى ثم القابضى على عبدالرحمن بن عقيل بن أبى طالب

فقتلاه». «٤»

معالركب الحسينى (ج ٤)، ص: ٣٧١

محمد بن أبى سعيد بن عقيل بن أبى طالب عليه السلام ص : ٣٧١

محمد بن أبى سعيد أمّه أم ولد، وبرز الى ساحة الحرب. وقتله لقيط بن ياسر الجهنى، وفى كتاب تسميه من قتل مع الحسين عليه

السلام: قتله ابن زهير الأزدي، ولقيط بن ياسر الجهنى، اشتركا فيه. «١» وعن ابن سعد: قتله لقيط الجهنى ورجل من آل أبى لهب لم

يُسم لنا. «٢»

قال المحقق السماوى (ره): «قال أهل السير نقلًا عن حميد بن مسلم الأزدي أنه قال: لما صرع الحسين خرج غلام مذعوراً يلتفت يميناً

وشمالاً، فشدّ عليه فارس فضربه! فسألت عن الغلام؟ فقيل: محمد بن أبى سعيد. وعن الفارس؟

فقيل: لقيط بن أياس الجهنى.

وقال هشام الكلبي: حدّث هانى بن ثبيت الحضرمى قال: كنت ممن شهد قتل الحسين عليه السلام، فوالله إننى لواقف عاشر عشرة ليس

متياً إلّا رجل على فرس، وقد جالت الخيل وتضععت إذ خرج غلامٌ من آل الحسين وهو ممسك بعود من تلك الأبنية عليه إزار

وقميص، وهو مذعور يلتفت يميناً وشمالاً، فكأنى أنظر إلى درّتين فى أذنيه يتذبذبان كلّما التفت، إذ أقبل رجل يركض حتّى إذا دنا

منه مال عن فرسه، ثم اقتصد الغلام فقطعه بالسيف!

قال هشام الكلبي: هانى بن ثبيت الحضرمى هو صاحب - أى قاتل - الغلام، وكنى عن نفسه استحياءً أو خوفاً.». «٣»

معالركب الحسينى (ج ٤)، ص: ٣٧٢

وأما الآخرون من آل عقيل عليهم السلام ص : ٣٧٢

إشارة

الذين ذكرهم بعض المؤرخين فهم:

عبدالله بن عقيل الأكبر: ص : ٣٧٢

وانبرى إلى ساحة القتال عبدالله بن عقيل «١» وقاتل قتال الأبطال وقتل. وقتله عثمان بن خالد بن أشيم الجهنى ورجل من همدان. «٢»

وقال ابن فندق: قتل وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة. «٣»

وعن سبط ابن الجوزى: ان قاتل عبدالله بن عقيل: عمر بن صبيح. «٤» ولم يذكره بعض المحققين مثل السماوى (ره) فى كتاب إِبصار

العين.

عبيدالله بن عقيل: ص : ٣٧٢

قد ذكر ابن قتيبة أنّ عبيدالله بن عقيل أحد أولاد مسلم بن عقيل. وقيل: أمّه الحوصا بنت حفصه، قتل مع الحسين عليه السلام. «٥»

محمد بن عقيل: ص : ٣٧٢

وهو صهر الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام «٦» وذكره السروي في عداد شهداء أولاد آل معالركب الحسيني (ج٤)، ص: ٣٧٣
عقيل. «١» وقال الدينوري: ثمّ قُتل محمد بن عقيل، رماه هو لقيط بن ناشر الجهني بسهم فقتله. «٢»

عون بن عقيل: ص : ٣٧٣

ذكره السروي والنمازي في عداد شهداء الطف. «٣»

علي بن عقيل: ص : ٣٧٣

ذكر الحائري والنمازي أنّ من جملة شهداء آل عقيل: علي بن عقيل. «٤»

موسى بن عقيل: ص : ٣٧٣

وذكر صاحب ذخيرة الدارين أنّ موسى بن عقيل أحد شهداء الطف. «٥»

أحمد بن محمد بن عقيل: ص : ٣٧٣

قال المامقاني (ره): «أحمد بن محمد بن عقيل بن أبي طالب عليهم السلام، وأمّه أمّ ولد، برز يوم الطفّ وهو يرتجز ويقول:

اليوم أتلو حسبي وديني بصارم تحمله يميني

معالركب الحسيني (ج٤)، ص: ٣٧٤

وقتل من القوم جمعاً كثيراً وجرح آخرين، ثمّ إنهم تعطفوا عليه من كلّ جانب فقتلوه في حومة الحرب بعدما عقروا فرسه رضوان الله عليه. «١»

مقاتل آل جعفر بن أبي طالب عليهم السلام: ص : ٣٧٤

مقتل عون بن عبدالله بن جعفر عليه السلام ص : ٣٧٤

وأُمّه العقيلة «٢» زينب بنت الإمام أمير المؤمنين عليه السلام. وقد برز يوم عاشوراء الى حومه الحرب لنصرة سيد شباب أهل الجنة وهو يرتجز ويقول:

مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٣٧٥

إن تنكروني فأنا ابن جعفر شهيد صدق في الجنان أزهر

يطير فيها بجناح أخضر كفى بهذا شرفاً في المحشر

فقتل ثلاثة فوارس وثمانية عشر راجلاً. قتله عبدالله بن قطنه الطائي. «١»

مقتل محمد بن عبدالله بن جعفر عليه السلام ص : ٣٧٥

محمد بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب، وأُمّه الخوصاء بنت حفصة بنت ثقيف بن ربيعة بن عائذ بن الحارث بن تيم الله بن ثعلبة بن

بكر بن وائل. «٢» برز الى ميدان المعركة وهو يرتجز:

نشكو إلى الله من العدوان فعال قوم في الردى عميان

قد بدلوا معالم القرآن ومحكم التنزيل والتبيان

وأظهروا الكفر مع الطغيان. «٣»

فقاتل، وقتله عامر بن نهشل التيمي. «٤»

وقد رثاه سليمان بن قتة:

وسمى النبي غودر فيهم قد علوه بصارم مصقول

فإذا ما بكيت عيني فجودي بدموع تسيل كل مسيل. «٥»

مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٣٧٦

وقال الحائري: ثم قاتل حتى قتل عشرة أنفس، ثم قتله عامر بن نهشل التيمي. «١»

مقتل القاسم بن محمد بن جعفر بن أبي طالب عليه السلام ص : ٣٧٦

قال المامقاني (ره): «.. وأُمّه أم ولد، كان ملازماً لابن عمّه الحسين عليه السلام ولم يفارقه ابداً، وقد زوجه عليه السلام بنت عمّه

عبدالله بن جعفر التي خطبها معاوية لابنه يزيد- وله قصة مذكورة في محلّها- وأُمّها زينب بنت أمير المؤمنين عليه السلام، وإسمها أم

كلثوم الصغرى، وقد انتقل القاسم مع زوجته مع الحسين عليه السلام الى كربلاء، وخرج بعد عون بن عبدالله بن جعفر، وقاتل فقتل

منهم جمعاً كثيراً عدّ بعضهم فارسهم بثمانين، وراجلهم إثني عشر، وأُتخن بالجراح، فتعطفوا عليه من كل جانب، فقتلوه في حومه

الحرب رضوان الله عليه. «٢»

مقتل عبيدالله بن عبدالله بن جعفر عليه السلام ص : ٣٧٦

قال أبو الفرج الأصبهاني: و «وأمه الخوصاء بنت حفصة، ذكر يحيى بن الحسن العلوي فيما حدثني به أحمد بن سعيد عنه: أنه قُتل مع الحسين بالطفّ، رضوان الله عليه وصلواته على الحسين وآله». (٣)

مقتل عبدالله بن عبدالله بن جعفر عليهما السلام ص : ٣٧٦

ذكره السروي ابن شهر آشوب فيمن قُتل من أهل بيت الحسين عليهما السلام، (٤) ولعلّه

معالركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٣٧٧

هو عبيدالله الذي ذكره أبو الفرج الأصبهاني على احتمال قويّ لكثرة ما يقع في التصحيف من سهو النساخ بين عبيدالله وعبدالله، والله العالم.

أبناء الامام الحسن بن علي عليهم السلام ص : ٣٧٧

إشارة

لقد لازم أبناء الإمام الحسن عليه السلام عمّهم الحسين عليه السلام في نهضته منذ البدء حتى يوم العاشر من المحرم في كربلاء، ومثلوا أباهم خير تمثيل يوم عاشوراء، حتى كأنّ الإمام الحسن المجتبي عليه السلام قد حضر كربلاء بكلّ ما عنده ليفدى أخاه الإمام الحسين عليه السلام.

مقتل القاسم «١» بن الحسن عليهما السلام ص : ٣٧٧

كان مولانا القاسم عليه السلام يقول: «لا يُقتل عمّي وأنا أحمل السيف». (٢) ولما رأى وحده عمّه استأذنه في القتال فلم يأذن له لصغره، فما زال به حتى أذن له، (٣) روى

معالركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٣٧٨

الشيخ المفيد (ره) قائلاً: «قال حميد بن مسلم: فإننا لكذلك إذ خرج علينا غلام كأنّ وجهه شقّة قمر في يده سيف، وعليه قميص وإزار، ونعلان قد انقطع شسع إحداهما، فقال لي عمر بن سعيد بن نفيّل الأزدي: والله لأشدنّ عليه. فقلت:

سبحان الله، وما تريد بذلك؟! دعه يكفيكه هؤلاء القوم الذين ما يبقون على أحد منهم! فقال: والله لأشدنّ عليه. فشدّ عليه فما ولى حتى ضرب رأسه بالسيف ففلقه، ووقع الغلام لوجهه فقال: يا عمّاه! فجلىّ الحسين عليه السلام كما يُجلىّ الصّقر، ثم شدّ شدة ليث أغضب، فضرب عمر بن سعيد بن نفيّل بالسيف فاتقاها بالساعد، فأطنها من لدن المرفق، فصاح صيحة سمعها أهل العسكر، ثم تنحّى عنه الحسين عليه السلام، وحملت خيل الكوفة لتستنقذه فتوطّأته بأرجلها حتى مات.

وانجلت الغيرة فرأيت الحسين عليه السلام قائماً على رأس الغلام وهو يفحص برجله والحسين عليه السلام يقول: بعداً لقوم قتلوك، ومن خصمهم يوم القيامة فيك جدك. ثم قال: عزّ - والله - على عمّك أن تدعوه فلا يجيبك، أو يجيبك فلا ينفعك، صوت - والله - كثر واتروه وقلّ ناصره!!

ثم حمله على صدره، فكأني أنظر إلى رجلى الغلام تخطان الأرض. فجاء به حتى ألقاه مع ابنه علي بن الحسين عليه السلام والقتلى من

أهل بيته، فسالتُ عنه فقيل لي:

القاسم بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام». (١)

مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٣٧٩

وفي المقتل للخوارزمي:

«عزَّ والله على عمِّك أن تدعوه فلا يجيبك أو يعينك فلا يعينك أو يعينك فلا يغني عنك، بعداً لقوم قتلوك، الويل لقاتلك.

ثم احتمله فكأنني أنظر إلى رجلى الغلام تخطان الأرض، وقد وضع صدره إلى صدره. فقلت في نفسي: ماذا يصنع به؟ فجاء به حتى

ألقاه مع القتلى من أهل بيته، ثم رفع صراخه إلى السماء وقال:

أَللَّهِمَّ أَحْصِهِمْ عِدْداً، وَلَا تَغَادِرْ مِنْهُمْ أَحْداً، وَلَا تَغْفِرْ لَهُمْ أَبْداً، صَبِراً يَا بَنِي عَمومتى، صَبِراً يَا أَهْلَ بَيْتِي لَا رَأَيْتُمْ هَوَاناً بَعْدَ هَذَا الْيَوْمِ أَبْداً.

«١»

وفي المناقب لابن شهر آشوب: «برز أخوه القاسم - يعني أخا عبدالله بن الحسن - وعليه ثوب وإزار، ونعلان فقط، وكأنه فلقه قمر وأنشأ

يقول:

إني أنا القاسم من نسل علي ونحن بيت الله أولى بالنبى

من شمر ذى الجوشن أو ابن الدعى

فقتله عمر بن سعيد الأزدي فخرَّ وصاح: يا عمّاه. فحمل عليه الحسين فقطع يده، وسلبه أهل الشام من يد الحسين». (٢)

وقال البلاذري: «وقتل عمرو بن سعيد بن نفيل الأزدي القاسم بن الحسن فصاح: يا عمّاه. فوثب الحسين وثبته ليث فضرب عمرًا فأطن

يده، وجاء أصحابه ليستنقذوه فسقط بين حوافر الخيل فتوطّأته حتى مات!». (٣)

مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٣٨٠

مقتل عبدالله «١» بن الحسن عليه السلام ص: ٣٨٠

كان عبدالله غلاماً له من العمر إحدى عشرة سنة، «٢» ولما رأى وحده عمّه عليه السلام بين أعدائه الذين قد أحاطوا به بعد مقتل

أنصاره، وكان نرف رأسه قد اشتدّ به من ضربة مالك بن النسر الكندي «٣» لعنه الله، خرج إليه عبدالله بن الحسن «- وهو غلام لم

يراهق- من عند النساء حتى وقف الى جنب الحسين، فلحقته زينب بنت عليّ عليهما السلام لتحبسه، فقال لها الحسين عليه السلام:

«إحسبه يا أختي» فأبى وامتنع عليها امتناعاً شديداً وقال: والله لا أفارق عمّي! وأهوى أبجر بن كعب «٤» إلى الحسين عليه السلام

بالسيف، فقال له الغلام: ويلك يا ابن الخبيثة أتقتل عمي؟! فضربه أبجر بالسيف فاتّقاها الغلام بيده، فأطنّها إلى الجلدة فإذا يده معلقة،

ونادى الغلام: يا أمّاه! فأخذه الحسين عليه السلام فضمّه إليه وقال:

يا ابن أخي إصبر على ما نزل بك، واحتسب في ذلك الخير، فإنّ الله يُلحقكك بآبائك الصالحين».

مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٣٨١

ثم رفع الحسين عليه السلام يده وقال:

«اللّهم إن متّعتهم إلى حين ففرّقهم فرّقاً، واجعلهم طرائق قديداً، ولا تُرض الولاء عنهم أبداً، فإنّهم دعونا لينصرونا، ثم عدوا علينا فقتلونا!». (١)

«١»

لكنّ الخوارزمي قال: «ثم خرج عبدالله بن الحسن الذي ذكرناه أولاً- في رواية- والأصحّ أنه برز بعد القاسم في الرواية الثانية، وهو

يقول:

إن تنكروني فأنا ابن حيدره ضرغام آجام وليث قسوره
على الأعادي مثل ريح صرصره أكيلكم بالسيف كيل السندره
وقاتل حتى قُتل». (٢)

وفي المناقب لابن شهر آشوب: «ثم برز عبدالله بن الحسن بن علي عليه السلام وهو يقول:

إن تنكروني فأنا فرع الحسن سبط النبي المصطفى والمؤمن
هذا الحسين كالأسير المرتهن بين أناس لاسقوا صوب المزن

فقتل أربعة عشر رجلاً، قتله هاني بن شبيب الحضرمي فاسود وجهه». (٣) وفي مقاتل الطالبين: أن حرمله بن كاهل الأسدي قتله. (٤)
مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٣٨٢

وقال السيد ابن طاووس: فرماه حرمله بن الكاهل لعنه الله بسهم فذبحه وهو في حجر عمه الحسين عليه السلام. (١)

مقتل أحمد بن الحسن عليهما السلام ص : ٣٨٢

قال المامقاني: «أحمد بن الحسن بن أمير المؤمنين عليه السلام، وأمه أم بشر بنت أبي مسعود الأنصاري، خرج مع عمه الحسين عليه السلام هو وأمه وأخوه القاسم وأخته أم الحسن وأم الخير إلى مكة، ثم إلى كربلاء، وله من العمر ست عشرة سنة، وحمل على القوم عند اشتداد القتال بعد صلاة الظهر وهو يرتجز، وقتل من القوم على ما قيل ثمانين فارساً، وأُتخن بالجراح، فتعطفوا عليه

مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٣٨٣

جماعة كثيرة فقتلوه في حومة الحرب». (١)

مقتل أبي بكر بن الحسن عليه السلام ص : ٣٨٣

قال البلاذري: «ورمى عبدالله بن عقبة الغنوي أبا بكر بن الحسن بن علي بسهم فقتله. ففي ذلك يقول ابن أبي عقبة:
وعند عني قطرة من دماننا وفي أسد أخرى تعد وتذكر». (٢)

وفي مقاتل الطالبين: وفي حديث عمرو بن شمر، عن جابر عن أبي جعفر: أن عقبة الغنوي قتله. (٣)

وصرح الطبرسي بأن عبدالله الغنوي هو قاتل أبي بكر بن الحسن. (٤)

مصرع الحسن بن الحسن عليهما السلام ص : ٣٨٣

قال السيد ابن طاووس (ره): «وروى مصنف كتاب المصايح أن الحسن بن

مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٣٨٤

الحسن المثنى قتل بين يدي عمه الحسين عليه السلام في ذلك اليوم سبعة عشر نفساً، وأصابته ثمانى عشرة جراحة، فوقع فأخذه خاله أسماء بن خارجة فحملة إلى الكوفة وداواه حتى برىء وحمله إلى المدينة. (١)

وأصابته الحسن المثنى ابن الإمام الحسن عليه السلام ثمانى عشرة جراحة وقطعت يده اليمنى ولم يستشهد. (٢)

مقتل عمر بن الحسن عليه السلام ص : ۳۸۴

قيل إنه من شهداء الطف، «۳» ولكن ابن الجوزى قال: «واستصغروا أيضاً عمر ابن الحسن بن على عليهما السلام فلم يقتلوه وتركوه». «۴»

مقاتل إخوان الإمام الحسين عليه السلام ص : ۳۸۴

إشارة

هناك اختلاف بين المؤرخين حول عدد أولاد الإمام على بن أبى طالب عليه السلام الذين قتلوا مع ریحانة رسول الله صلى الله عليه وآله في واقعة الطف، فعن المفيد والطبرى أنهم كانوا خمسة، وعن آخرين أنهم كانوا تسعة أشخاص، ونحن نذكر هنا المشهورين منهم أولاً:

مقتل عبدالله بن على عليه السلام ص : ۳۸۴

قال الشيخ المفيد: «فلما رأى العباس بن على رحمة الله عليه كثرة القتلى في

معالركب الحسينى (ج ۴)، ص: ۳۸۵

أهله، قال لإخوته من أمه - وهم عبدالله وجعفر وعثمان «۱» - يا بنى أمى، تقدّموا حتى أراكم قد نصحتم لله ولرسوله، فإنه لا ولد لكم.

«۲» فتقدّم عبدالله فقاتل قتالاً شديداً، فاختلف هو وهانى بن ثبيت الحضرمى «۳» ضربتنى فقتله هانى لعنه الله». «۴»

قال ابن شهر آشوب: «ثم برز أخوه عبدالله - أى من بعد أخيه جعفر - قائلاً:

أنا ابن ذى النجدة والإفضال ذاك علىّ الخير ذو الفعال

سيف رسول الله ذو النكال فى كل يوم ظاهر الأهوال

قتله هانى بن شبيب الحضرمى». «۵»

معالركب الحسينى (ج ۴)، ص: ۳۸۶

مقتل جعفر بن على بن أبى طالب عليه السلام ص : ۳۸۶

قال الشيخ المفيد: «وتقدم بعده (أى بعد عبدالله) جعفر «۱» بن على رحمه الله فقتله أيضاً هانى». «۲»

وقال ابن شهر آشوب: «ثم برز أخوه جعفر - يعنى أخا عثمان - منشئاً:

إنى أنا جعفر ذو المعالى ابن علىّ الخير ذو النوال

ذاك الوصىّ ذو السنا والوالى حسبى بعمى جعفرٍ والخال

أحمى حسينا ذا الندى المفضال

معالركب الحسينى (ج ۴)، ص: ۳۸۷

رماه خولى الأصبحي فأصاب شقيقته أو عينه». (١)
 وقال الطبرى: «ثم شدَّ (أى هانى بن ثبيت) على جعفر بن على فقتله وجاء برأسه». (٢)
 وقال أبوالفرج: «قال نصر بن مزاحم: حدثنى عمرو بن شمر، عن جابر، عن أبى جعفر محمد بن على: أنَّ خولى بن يزيد الأصبحي -
 لعنه الله - قتل جعفر بن على». (٣)
 وقال أبوالفرج الأصبهانى أيضاً: قال يحيى بن الحسن، عن على بن ابراهيم، بالإسناد الذى قدّمته فى خبر عبدالله: قتل جعفر بن على بن
 أبى طالب، وهو ابن تسع عشرة سنة». (٤)

مقتل عثمان بن على عليه السلام ص : ٣٨٧

وقال الشيخ المفيد: «وتعمّد خولى بن يزيد الأصبحي (٥)
 معالركب الحسينى (ج ٤)، ص: ٣٨٨
 عثمان (١) بن على رضى الله عنه وقد قام مقام إخوته، فرماه بسهم فصرعه، وشدّ عليه رجل من بنى دارم فاحتزّ رأسه». (٢)
 وقال السروى: «ثم برز أخوه عثمان - أى بعد أخيه عمر - وهو ينشد:
 إنى أنا عثمان ذو المفاخر شيخى على ذو الفعال الطاهر
 هذا حسين سيد الأخير وسيد الصغار والأكابر
 بعد النبى والوصى الناصر
 رماه خولى بن يزيد على جنبه فسقط عن فرسه، وحزّ رأسه رجل من بنى أبان بن حازم». (٣)
 وقال أبوالفرج: «قتل عثمان بن على، وهو ابن إحدى وعشرين سنة». (٤)

مقتل أبى بكر بن على عليه السلام ص : ٣٨٨

قال ابن شهر آشوب: «ثم برز أبوبكر بن على عليهما السلام قائلاً:
 شيخى علىّ ذو الفخار الأطول من هاشم الخير الكريم المفضل
 معالركب الحسينى (ج ٤)، ص: ٣٨٩
 هذا حسين ابن النبى المرسل عنه نحامى بالحسام المصقل
 تفديه نفسى من أخ مبيجل
 فلم يزل يقاتل حتى قتل زجر بن بدر الجحفى، (١) ويُقال: عقبه الغنوى». (٢)
 وقال أبوالفرج الأصبهانى: «وأبوبكر بن على بن أبى طالب عليه السلام، لم يُعرف إسمه، وأمه ليلى بنت مسعود بن خالد ... بن تميم ...
 ذكر أبو جعفر محمّد بن على بن الحسين وفى الإسناد الذى تقدّم: أن رجلاً من همدان قتله. وذكر المدائنى: أنه وُجد فى ساقية مقتولاً
 لا يدري من قتله». (٣)

مقتل محمّد الأصغر بن على بن أبى طالب عليه السلام ص : ٣٨٩

قال الطبرى: «ورمى رجل من بنى ابان بن دارم محمّد بن عليّ بن ابي طالب فقتله وجاء برأسه»، «٤» وقال أبو الفرج الأصبهاني: «ومحمّد الأصغر بن عليّ بن ابي طالب عليهم السلام، وأمّه أمّ ولد، حدّثني أحمد بن عيسى قال: حدّثنا الحسين بن نصر، عن أبيه، عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن ابي جعفر، وحدّثني أحمد بن شيبه، عن أحمد بن الحرث، عن المدائني: أنّ رجلاً من تميم من بنى ابان بن دارم قتله -

مع الרכب الحسينى (ج ٤)، ص: ٣٩٠

رضوان الله عليه - ولعن قاتله». «١»

وقال ابن شهر آشوب بعد أن ذكر إسمه في قتلى بنى هاشم: «ويقال لم يُقتل محمّد الأصغر بن عليّ بن ابي طالب لمرضه». «٢»

وقال المحقّق السماوى (ره) في ترجمه ابي بكر بن علي بن ابي طالب عليه السلام:

«إسمه محمّد الأصغر أو عبدالله»، لكنّه ذكر أنّ إسم أمّ ابي بكر «ليلى بنت مسعود الثقفيّه». «٣»

كذلك ذهب الشيخ المفيد (ره) «٤» من قبله إلى أنّ محمّداً الأصغر هو المكنتى بأبي بكر، وتابعه على ذلك الشيخ الطبرسى (ره) فى

تاج المواليده، «٥» وأخذ بذلك المرحوم الأربلى نقلًا عن المفيد. «٦»

من هنا فيحتمل قوياً أنّ محمّداً الأصغر هو أبو بكر بن علي، والمسألة لم تنزل بحاجه إلى تحقيق أعمق وأدق، والله العالم.

مقتل عمر بن علي عليه السلام ص : ٣٩٠

وقال ابن شهر آشوب السروى: «ثم برز أخوه عمر - أى من بعد ابي بكر - وهو يرتجز:

خلّوا عداة الله خلّوا عن عمر خلّوا عن الليث الهصور المكفهر

مع الרכب الحسينى (ج ٤)، ص: ٣٩١

يضر بكم بسيفه ولا يفر يا زجر يا زجر تدان من عمر

وقتل زجراً قاتل أخيه ثم دخل حومه الحرب». «١»

وفى تسليّة المجالس: «ثم برز عمر بن علي، وهو يقول:

أضربكم ولا أرى فيكم زحر ذاك الشقى بالنبيّ قد كفر

يا زجر يا زجر تدان من عمر لعلك اليوم تبوء من سقر

شّر مكانٍ فى حريق وسعر لأنك الجاحد يا شرّ البشر

ثم حمل على زجر قاتل أخيه فقتله، واستقبل القوم وجعل يضرب بسيفه ضرباً منكراً .. فلم يزل يقاتل حتى قتل». «٢»

هل قُتل عمر فى واقعة الطفّ؟ ص : ٣٩١

قال الداودى: «وتخلّف عمر عن أخيه الحسين عليه السلام ولم يسر معه إلى الكوفة، ولا يصح روايه من روى أن عمر حضر كربلاء،

ومات عمر بينبع «٣» وهو ابن سبع وسبعين سنه، وقيل خمس وسبعين سنه». «٤»

وقال ابن سعد فى الطبقات: «عمر الأكبر ... وأمّه الصهباء بنت ربيعه ... بن تغلب بن وائل، وكانت سيّئه أصابها خالد بن الوليد حيث

أغار على بنى تغلب بناحية عين التمر ...». «٥»

مع الרכب الحسينى (ج ٤)، ص: ٣٩٢

وقال خليفه بن خياط في حوادث سنة سبع وستين: «وفيها وقعة المذار وفيها قتل عمر بن علي بن أبي طالب». «١»
وفي مقابل هذه التصريحات بعدم قتله مع الحسين عليه السلام يوجد تصريح ابن شهر آشوب حيث أورده في عداد أولاد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام المقتولين بكربلاء، ولم نثر على نصوص مهممة وقديمة تصرح بقتله في كربلاء. ولا يخفى على المتتبع الخبير أن المناقب لا يخلو من أخطاء تاريخية ورجالية.

يقول المرحوم الشيخ القمي: «المشهور بين أهل التواريخ والسير أن عمر لم يشهد مع أخيه الحسين عليه السلام بالطف». «٢»
ويرى النمازي أن أمير المؤمنين عليه السلام إبنين بإسم عمر، عمر الأصغر وأمه الصهباء وهو من شهداء الطف، أما عمر الأكبر فعاش خمساً وثمانين سنة!». «٣»

وعمر الأصغر الذي عناه النمازي هو عمر الأطراف وهو ابن الصهباء وشقيق رقية وتوأمها، وقد تخلف عن نصره الحسين عليه السلام بلا عذر معروف، وعاش سبعا وسبعين سنة. «٤»

مقتل إبراهيم بن علي بن أبي طالب عليه السلام ص : ٣٩٢

لقد اختلفت كلمات المؤرخين حول مقتل إبراهيم في وقعة الطف. ولعل أقدم نص شكك في ذلك أبو الفرج حيث قال: «وقد ذكر محمد بن علي بن حمزة أنه قتل يومئذ إبراهيم بن علي بن أبي طالب. وأمه أم ولد. وما سمعت بهذا من غيره، مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٣٩٣

ولا رأيت لإبراهيم في شيء من كتب الأنساب ذكراً». «١»

وفي مقابل ذلك توجد تصريحات بأنه قد قتل أيضاً في كربلاء، فقد ذكر ابن عبد ربه الأندلسي، «٢» وابن شهر آشوب «٣» والمرحوم النمازي، «٤» والخوارزمي «٥» بأن إبراهيم هذا قتل بين يدي ريحانه رسول الله صلى الله عليه وآله.
وقال المرحوم المظفر: يستفاد من مجموع الأقوال أن الشهداء من ولد أمير المؤمنين عليه السلام يوم كربلاء أحد عشر رجلاً سيدهم وسيد الناس جميعاً الحسين بن علي عليه السلام ... وإبراهيم على قول مشهور. «٦»

مقتل عتيق بن علي بن أبي طالب عليه السلام ص : ٣٩٣

وذكر ابن قتيبة أن أمه أم ولد «٧» وعدّه الذهبي والياضي والديار بكرى في عداد شهداء كربلاء. «٨»

مقتل عون بن علي عليه السلام ص : ٣٩٣

ذكر كل من السيد جعفر الأعرجي (ره)، والذهبي، أن عون بن علي من جملة

مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٣٩٤

أولاد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام المقتولين ظلماً بين يدي سيد شباب أهل الجنة. «١»

مقتل يحيى بن علي عليه السلام ص : ٣٩٤

ذكر السيد الأعرجي (ره) في مناهل الضرب أنّ يحيى بن على عليه السلام من شهداء الطف «٢» وذكر النمازي (ره) في مستدركات علم رجال الحديث: أنّ أمّه أسماء بنت عميس. «٣»
لكنّ أبا الفرج ذكر أنّ يحيى توفي في حياة أمير المؤمنين عليه السلام.

مقتل عبيدالله بن على بن أبي طالب عليه السلام ص : ٣٩٤

لعلّ أقدم من صرّح بأنه قتل بكر بلاء هو الشيخ المفيد أعلى الله مقامه الشريف في الإرشاد حيث أوردته في باب ذكر أولاد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وقال:

ومحمد الأصغر المكنى ابابكر، وعبيدالله، الشهيدان مع أخيهما الحسين عليه السلام بالطف، أمهما ليلي بنت مسعود الدارمية. «٥»
كذلك قال المرحوم الشيخ الطبرسي في ذكر أولاد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:
«ومحمد الأصغر المكنى بأبي بكر، وعبيدالله، الشهيدان مع أخيهما الحسين عليه السلام
مع الרכب الحسينى (ج ٤)، ص: ٣٩٥

بالطف، أمهما ليلي بنت مسعود الدارمية. «١»

وتابعهما على ذلك الإربلي في كشف الغمة ناقلاً عن المرحوم المفيد. «٢» وصرّح المرحوم المظفر بأنّه من شهداء الطف. «٣»
كذلك قال بذلك الفلقشندى «٤» وقال المزى في ذكر أولاد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «وعبيدالله يكنى أبا على، يقال إنه قتل بكر بلاء». «٥»

وورد في تاريخ خليفه أنه قتل مع الحسين عليه السلام، وأمّه الرباب بنت امرى القيس. «٦»

وورد في الزيارة الرجبية: «السلام على عبيدالله بن أمير المؤمنين عليه السلام». «٧»

لكنّ ابا الفرج الأصبهاني في مقاتل الطالبين قال: «وذكر يحيى بن الحسن، فيما حدثني به أحمد بن سعيد أنّ أبا بكر بن عبيدالله الطلحي حدّثه عن أبيه أنّ عبيدالله بن على قتل مع الحسين، وهذا خطأ، وإنما قتل عبيدالله يوم المدار، «٨» قتله أصحاب المختار بن أبي عبيدة، وقد رأيت بالمدار». «٩»

مع الרכب الحسينى (ج ٤)، ص: ٣٩٦

وقال ابن ادريس: «وقد ذهب شيخنا المفيد في كتاب الإرشاد إلى أنّ عبيدالله بن النهشلية قتل بكر بلاء مع أخيه الحسين عليه السلام، وهذا خطأ، محض بلا مراء، لأنّ عبيدالله بن النهشلية كان في جيش مصعب بن الزبير، ومن جملة أصحابه، قتله أصحاب المختار بن أبي عبيد بالمدار «١» وقبره هناك ظاهر.

الخبر بذلك متواتر وقد ذكره شيخنا أبو جعفر في الحائريات لَمّا سأله السائل عما ذكر المفيد في الإرشاد فأجاب بأنّ عبيدالله بن النهشلية قتله أصحاب المختار

مع الרכب الحسينى (ج ٤)، ص: ٣٩٧

بالمدار، وقبره هناك معروف عند أهل تلك البلاد. «١»

يستفاد من مجموع ما ذكرنا أنّ النصوص التي تشير إلى أنّ عبيدالله بن على عليه السلام قتل في واقعه الطف لا يمكن الاعتماد عليها بسهولة، وكلّها ترجع إلى كلام المرحوم المفيد (ره)، وفي مقابل هذا القول تتوافر الأقوال الكثيرة التي تصرّح بأنه لم يقتل بكر بلاء، ولا يمكن الإغماض عنها خصوصاً وأنّ في أصحابها من له الخبرة التامة في علم الأنساب، نظير مصعب الزبيرى في نسب قريش أو ابن فندق في كتابه لباب الأنساب، أو الأندلسى في جمهرة أنساب العرب، وغيرهم.

و من الغريب جداً كلام البعض «٢» حيث صرّح بأنه اتفقت كلمة المورّخين على قتله يوم عاشوراء!!.

من هو «العبّاس الأصغر»، وابن من هو؟ ص : ٣٩٧

قال الشيخ القرشي: «وهو أخو الإمام لأبيه، وأمّه لبابه بنت عبيدالله بن العباس، استشهد يوم الطفّ». «٣» وقال خليفه بن خياط: «وقتل مع الحسين عليه السلام العباس الأصغر، أمّه لبابه بنت عبيدالله بن العباس». «٤»
ومما يؤيد ذلك ما رواه سبط ابن الجوزي، عن هشام بن محمد، عن القاسم ابن الأصبغ المجاشعي قال: «لما أتى بالرؤوس إلى الكوفة إذا بفارس أحسن الناس وجهاً! قد علق في ليب فرسه رأس غلام أمرد كأنه القمر ليلة تمامه!
مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٣٩٨

والفرس يمرح فإذا طأطأ رأسه لحق الرأس بالأرض، فقلت له: رأس من هذا؟
فقال: هذا رأس العباس بن علي. قلت: ومن أنت؟ قال: حرمله بن الكاهل الأسدي.
قال: فلبثت أياماً وإذا بحرمله وجهه أشدّ سواداً من القار! فقلت له: لقد رأيتك يوم حملت الرأس وما في العرب أنظر وجهاً منك! وما أرى اليوم لا أقبح ولا أسود وجهاً منك!؟ فبكي وقال: واللّه منذ حملت الرأس وإلى اليوم ما تمرّ عليّ ليلة إلّا وإثنان يأخذان بضبعي ثم ينتهيان بي إلى نار تأجج، فيدفعاني فيها، وأنا أنكص فتسفعني كما ترى، ثم مات علي أقبح حال». «١»
فالعبّاس هذا على أساس هذه الرواية هو ابن أمير المؤمنين عليه السلام، وهو في هذه الرواية غلام أمرد!
ويقول الشيخ القرشي تعقياً: «وهذا ممّا يؤكّد وجود العباس الأصغر لأنّ العباس الأكبر كان عمره يوم قُتل إثنين وثلاثين سنة، وليس غلاماً أمرداً». «٢»

لكنّ النمازي (ره) يقول في ترجمه (لبابه بنت عبيدالله بن عباس بن عبدالمطلب): «تزوجها أبو الفضل العباس بن أمير المؤمنين عليه السلام، فولد له منها عبيدالله وفضل، وكانت جميلة عاقلة، وبعد شهادة العباس عليه السلام تزوجها زيد بن الحسن المجتبي عليه السلام، فولد له منها نبيسه والحسن، ثم بعده تزوجها وليد بن عبد الملك، وعن المجدي تزوجها وليد بن عبته بن أبي سفيان، فولد له منها

مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٣٩٩

القاسم». «١»

من هنا نقول: إذا كان العباس الأصغر - علي فرض وجوده حقاً - ابن لبابه بنت عبيدالله بن العباس، زوجة مولانا أبي الفضل عليه السلام، فهو إذن ابن العباس وليس أخاه كما في رواية سبط ابن الجوزي وكما استنتج الشيخ القرشي، ذلك لأن لبابه لا يمكن أن تكون زوجة لأمير المؤمنين عليه السلام، ثم زوجة لابنه أبي الفضل عليه السلام.
هذا مبلغ علمنا في قضية «العبّاس الأصغر»، والمسألة بحاجة إلى مزيد من الوثائق التاريخية الكاشفة عن حقيقة الأمر، وإلى مزيد من التعمق والمتابعة والتحقيق، وكم ترك الأول للآخر!

مقتل مولانا أبي الفضل العباس عليه السلام ص : ٣٩٩

كان مولانا أبو الفضل العباس بن أمير المؤمنين عليهما السلام أكبر أولاد عليّ عليه السلام من أمهم أمّ البنين فاطمة بنت حزام الكلابية (رض)، وقد ولد في الرابع من شعبان سنة ست وعشرين للهجرة، وكان عمره الشريف عند استشهاده أربعاً وثلاثين سنة. «٢»
وكان صلوات الله عليه عماد وركيزة الجيش الحسيني في كربلاء، وقد أعطاه الإمام الحسين عليه السلام رايته يوم عاشوراء: «لأنه وجد

قمر الهاشميين أكفأ مَمِين معه لحملها، وأحفظهم لذمامه، وأرأفهم به، وأدعاهم إلى مبدئه، وأوصلهم لرحمه، وأحمأهم لجواره، وأثبتهم للطعان، واربطهم جأشاً، واشدَّهم مراساً. «٣»

قال الدينورى: «بقى العباس بن على قائماً أمام الحسين يقاتل دونه، ويميل

مع الركب الحسينى (ج ٤)، ص: ٤٠٠

معه حيث مال». «١» قال الشيخ المفيد (ره): «وحملة الجماعة على الحسين عليه السلام فغلبوه على عسكريه، واشتدَّ به العطش، فركب

المُسْنَاءَ يريد الفرات، وبين يديه العباس أخوه، فاعترضته خيل ابن سعد وفيهم رجل من بنى دارم فقال لهم:

ويلكم حولوا بينه وبين الفرات ولا-تمكَّنوه من الماء! فقال الحسين عليه السلام: أَللَّهِمَّ أَظْمئه. فغضب الدارمى ورمأه بسهم فأثبته فى

حَنَكِه، فانترع الحسين عليه السلام السهم، وبسط يده تحت حنكه فامتألت راحته بالدم! فرمى به ثم قال: اللّهُمَّ إِنّى أشكو إليك ما

يُفعل ببن بنت نبيك! ثم رجع إلى مكانه وقد اشتدَّ به العطش، وأحاط القوم بالعباس فاقتطعوه عنه، فجعل يقاتلهم وحده حتى قُتل -

رضوان الله عليه- وكان المتولّى لقتله زيد بن ورقاء الحنفى، «٢» وحكيم بن الطفيل السنبسى، «٣» بعد أن أُتخن بالجراح فلم يستطع

حراكاً!». «٤»

أما الخوارزمى فقد قال: «ثم خرج من بعده العباس بن على - أى من بعد أخيه

مع الركب الحسينى (ج ٤)، ص: ٤٠١

عبدالله- وأمه أمّ البنين أيضاً، وهو «السقاء» فحمل وهو يقول:

أقسمتُ بالله الأعزَّ الأعظم وبالحنجون صادقاً وزمزم

وبالحطيم والفنا المحرّم ليخضبنّ اليوم جسمى بدمى

دون الحسين ذى الفخار الأقدم إمام أهل الفضل والتكرم

فلم يزل يقاتل حتى قتل جماعةً من القوم، ثم قُتل، فقال الحسين: الآن انكسر ظهري وقلّت حيلتى!». «١»

أما ابن شهر آشوب السروى فقال: «وكان عباس السقاء قمر بنى هاشم، صاحب لواء الحسين، وهو أكبر الإخوان، مضى يطلب الماء، «٢»

فحملوا عليه

مع الركب الحسينى (ج ٤)، ص: ٤٠٢

وحمل هو عليهم وجعل يقول:

لا أرهب الموتَ إذا الموت رقى «١»

حتى أوارى فى المصاليت لقا «٢»

نفسى لنفسى المصطفى الطهر وقاينى أنا العباس أغدو بالسقا

ولا أخاف الشرَّ يوم الملتقى

ففرّقههم، فكمن له زيد بن ورقاء الجهنى من وراء نخلة، وعاونه حكيم بن طفيل السنبسى فضربه على يمينه «٣» فأخذ السيف بشماله،

وحمل عليهم وهو يرتجز:

والله إن قطعتم يمينى إننى أحامى أبداً عن دينى

وعن إمام صادق اليقين نجل النبى الطاهر الأمين

فقاتل حتى ضعف، فكمن له الحكيم بن الطفيل الطائى من وراء نخلة فضربه على شماله «٤» فقال:

يا نفسُ لا تخشى من الكفار وأبشرى برحمة الجبار

مع النبى السّيد المختار قد قطعوا بغيهم يسارى

فأصلهم يا ربَّ حرَّ النَّارِ

فقتله الملعون بعمود من حديد». (١)

ومن الجميل في ساحة عزاء أبي الفضل عليه السلام أن نورد هذه الفقرة الحزينة الرائعة التي جادت بها روح المرحوم المحقق السيد المقرّم، الطافحة بالولاء لأهل البيت عليهم السلام، قال رحمه الله:

«وسقط على الأرض ينادى: عليك مني السلام أبا عبدالله! فأناه الحسين عليه السلام، ولتيني علمت بماذا أتاه؟ أبحياء مستطارة منه بهذا الفادح الجلل؟ أم بجاذب من الأخوة إلى مصرع صنوه المحبوب؟

مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٤٠٤

نعم، حصل الحسين عليه السلام عنده، وهو يبصر قربان القداسة فوق الصعيد قد غشيتته الدماء وجلّته النبال! «١» فلا- يمين تبطش، ولا منطلق يرتجز، ولا صولة تُرهب، ولا عين تبصر، ومرتكز الدماغ على الأرض مبدّد!!

أصحيح أنّ الحسين عليه السلام ينظر إلى هذه الفجائع ومعه حياة ينهض بها؟

لم يبق الحسين بعد أبي الفضل إلّا هيكلًا شاخصاً مُعزّى عن لوازم الحياة، وقد أعرب سلام الله عليه عن هذا الحال بقوله: الآن انكسر ظهري، وقلّت حيلتي!

وبان الإنكسار في جبينه فاندكت الجبال من حينه

وكيف لا؟ وهو مجال بهجته وفي محياه سرور مهجته

كافل أهله وساقى صبيته وحامل اللوا بعالي همته «٢»

ورجع الحسين إلى المخيم منكسراً حزيناً باكياً، يكفكف دموعه بكّمه، وقد تدافعت الرجال على مخيمه فنادى: أما من مغيث يُغيثنا؟

أما من مجير يجيرنا؟ أما من طالب حقّ ينصرنا؟ أما من خائف من النار فيذبّ عنّا؟ «٣»

فأثته سكينه وسألته عن عمّها، فأخبرها بقتله! وسمعت زينب فصاحت: وا أخاه وا عبّاساه، وا ضيعتنا بعدك! وبكين النسوة وبكى الحسين

معهن وقال: واضيعتنا بعدك!! «٤»

الإمام الحسين عليه السلام وحيداً فريداً في الميدان ص : ٤٠٤

إشارة

«ولمّا قُتل العباس عليه السلام إلتفت الحسين عليه السلام فلم ير أحداً ينصره! ونظر إلى أهله

مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٤٠٥

وصحبه مجزّرين كالأضاحي، وهو إذ ذاك يسمع عويل الأيامي وصراخ الأطفال، صاح بأعلى صوته: هل من ذابّ عن حُرّم رسول

الله؟ هل من موخّد يخاف الله فينا؟ هل من مغيث يرجو الله في إغاثتنا؟ فارتفعت أصوات النساء بالبكاء!! «١»

خروج الإمام زين العابدين عليه السلام!! ص : ٤٠٥

«فخرج على بن الحسين زين العابدين عليه السلام، وكان مريضاً لا يقدر أن يقلّ سيفه، وأمّ كلثوم «٢» تنادى خلفه: يا بنّي ارجع! فقال:

يا عمّاه ذريني أقاتل بين يدي ابن رسول الله! وقال الحسين عليه السلام: يا أمّ كلثوم! خذيه لئلا تبقى الأرض خالية من نسل آل محمّد

صلى الله عليه وآله. «٣»

مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٤٠٦

مقتل الرضيع عبدالله بن الحسين عليه السلام

النصوص الواردة في مقتل ابنه الرضيع عليه السلام يوم الطف مختلفة جداً، وهي على أقسام:

١- النصوص التي تصرّح باسمه وهو عبدالله.

٢- النصوص التي لا تصرّح فيها باسمه.

٣- النصوص التي تقول بأنّ الطفل اسمه علي الأصغر.

٤- النصوص التي تصرّح بمقدار سنّه فقط.

أما الطائفة الأولى: فقد روى الشيخ المفيد قائلاً: «ثمّ جلس الحسين عليه السلام أمام الفسطاط فأتى بابنه عبدالله بن الحسين وهو طفل فأجلسه في حجره، فرماه رجل من بني أسد بسهم فذبحه، فتلقى الحسين عليه السلام دمه فلمّا ملأ كفه صبّه في الأرض ثم قال: «ربّ إن تكن حبست عني النصر من السماء، فاجعل ذلك لما هو خير، وانتقم لنا من هؤلاء القوم الظالمين». ثم حمله حتى وضعه مع قتلى أهله. «١»

مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٤٠٧

وفي ضمن رواية عن أبي حمزة الثمالي، عن الإمام السجّاد عليه السلام يصف فيها كيف جمع الإمام الحسين عليه السلام أصحابه ليلة عاشوراء، وردت هذه المحاوره بين الإمام عليه السلام وبين ابن أخيه القاسم عليه السلام هكذا: «فقال له القاسم بن الحسن عليه السلام: وأنا فيمن يُقتل؟ فأشفق عليه فقال له: يا بُنيّ كيف الموت عندك؟

قال: يا عمّ، أحلى من العسل!

فقال عليه السلام: إي والله، فداك عمّك! إنك لأحد من يُقتل من الرجال معي بعد أن تبلو بلاء عظيم! وإبني عبدالله!

فقال: يا عمّ! ويصلون إلى النساء حتى يُقتل عبدالله وهو رضيع؟!

فقال عليه السلام: فداك عمّك! يُقتل عبدالله إذا جفّت روحى عطشاً، وصرّت الى خيمنا فطلبت ماءً ولبناً فلا أجد قطاً! فأقول: ناولوني ابني لأشرب من فيه! فيأتوني به فيضعونه على يدي، فأحملة لأدنيه من فيّ، فيرميه فاسقٌ بسهم فينحره وهو يناغي! فيفيض دمه في كفي!

فأرفعه إلى السماء وأقول: أللهم صبراً

مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٤٠٨

واحتساباً فيك!... «١»

ومن الملفت للانتباه والمثير للعجب والحزن والمصائب في هذه الرواية هو أنّ الإمام عليه السلام لجفاف روحه من العطش الشديد أراد أن يروي ظمأه من نداوة ورطوبة فم الطفل عبدالله الرضيع! لا أنّ الإمام عليه السلام كان قد أخذ الطفل الرضيع العطشان ليعرضه على القوم لعلهم يسقونه ماء كما هو المشهور!!

وجاء في تسمية من قتل مع الحسين عليه السلام: «وعبيدالله بن الحسين عليه السلام، وأمه الرباب بنت إمريء القيس..، قتله حرمله بن الكاهل الأسدي الوالبي، وكان ولد للحسين عليه السلام في الحرب فأتى به وهو قاعد، وأخذه في حجره ولباه بريقه وسماه عبدالله، فبينما هو كذلك إذ رماه حرمله بن الكاهل بسهم فنحره، فأخذ الحسين عليه السلام دمه فجمعه ورمى به نحو السماء فما وقعت منه قطرة الى الأرض!

قال فضيل: وحدثني أبو الورد: أنه سمع أبا جعفر يقول: لو وقعت منه الى الأرض قطرة لنزل العذاب. وهو الذي يقول الشاعر فيه:

وعند غنى قطرة من دمائنا وفي أسد أخرى تُعدّ وتذكر «٢»

أما الطائفة الثانية من النصوص فمنها ما رواه الدينوري قائلاً: فدعا بصبي له صغير فأجلسه في حجره، فرماه رجل من بني أسد، وهو في حجر الحسين عليه السلام بمشقص، فقتله. «٣»

ومنها ما رواه سبط ابن الجوزي عن هشام بن محمد، قال: «فالتفت الحسين

مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٤٠٩

فإذا بطفل له يبكي عطشاً، فأخذه على يده وقال: يا قوم إن لم ترحموني فأرحموا هذا الطفل. فرماه رجل منهم بسهم فذبحه. فجعل الحسين يبكي ويقول: اللهم احكم بيننا وبين قوم دعونا لينصرونا فقتلونا. فنودي من الهواء: دعه يا حسين فإن له مرضعاً في الجنة. «١» وأما النصوص المصرحة أن الطفل القليل إسمه علي الأصغر، فمنها ما رواه ابن أعثم الكوفي قائلاً: «وله ابن آخر يقال له علي في الرضاع، فتقدم الي باب الخيمة فقال:

ناولوني ذلك الطفل حتى أودعه، فناولوه الصبي فجعل يقبله وهو يقول: يا بني ويل لهؤلاء القوم إذا كان غداً خصمهم جدك محمداً! قال: وإذا بسهم قد أقبل حتى وقع في لثة الصبي فقتله.

فتزل الحسين عن فرسه وحفر له بطرف السيف ورملة «٢» بدمه وصلى عليه ودفنه. «٣»

وقال ابن الطقطقي: «وعلى الأصغر أصابه سهم بكر بلاء فمات». «٤»

وأما النصوص التي تصرح بمقدار عمره الشريف، فما ورد عن الذهبي قوله:

مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٤١٠

«فوقعت نبلة في ولد له ابن ثلاث سنين». «١»

أما اليعقوبي فقد قال: «ثم تقدّموا رجلاً رجلاً حتى بقي وحده ما معه أحد من أهله ولا ولده ولا أقاربه، فإنه لواقف على فرسه إذ أتى بمولود قد ولد في تلك الساعة فأذن في أذنه وجعل يحنّكه إذ أتاه سهم فوق في حلق الصبي فذبحه، فترع الحسين السهم من حلقه وجعل يلطّخه بدمه ويقول: «والله لأنت أكرم على الله من الناقة، ولمحمّد أكرم على الله من صالح. ثم أتى فوضعه مع ولده وبني أخيه». «٢»

مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٤١١

ومن الشعر الذي أنشده الإمام عليه السلام في مواجهته القوم وحيداً- بعد مقتل عبدالله الرضيع - على ما روى:

كفر القوم وقدماً رغبوا عن ثواب الله ربّ الثقلين

قتل القوم علياً وابنه حسن الخير كريم الأبوين

حنقاً منهم وقالوا أجمعوا واحشروا الناس إلى حرب الحسين

ثم ساروا وتواصوا كلهم باجتياحي لرضاء الملحدين

لم يخافوا الله في سفك دمي لعبيد الله نسل الكافرين

وابن سعد قد رمانى عنوةً بجنود كوكوف الهاطلين

لا لشيء كان مني قبل ذا غير فخري بضياء التيرين

بعلي الخير من بعد النبي والنبي القرشي الوالدين

خيرة الله من الخلق أبي ثم أمي فأنا ابن الخيرتين

فضة قد خلصت من ذهب فأنا الفضة وابن الذهبين

من له جد كجدي في الوري أو كشيخي فأنا ابن العلمين

فاطم الزهراء أمي وأبي قاصم الكفر ببدر وحنين

عبدالله غلاما يافعاً وقريش يعبدون الوثنيين
يعبدون اللات والعزى معاً وعلى كان صلى القبلتين
وأبى شمس وأمى قمر فأنا الكوكب وابن القمرين
وله فى يوم أحدٍ وقعهُ شفت الغلّ بفضّ العسكرين
ثم فى الأحزاب والفتح معاً كان فيها حتف أهل الفيلقين
فى سبيل الله، ماذا صنعت أمة السوء معاً بالعترتين
عترة البرّ النبىّ المصطفى وعلىّ القرم يوم الجحفلين
ثم وقف صلوات الله عليه قبالة القوم وسيفه مُصلت فى يده آيساً من الحياة
معالركب الحسينى (ج ٤)، ص: ٤١٢
عازماً على الموت، وهو يقول:

أنا ابن علىّ الطهر من آل هاشم كفانى بهذا مفخراً حين أفخر
وجدى رسول الله أكرم من مضى ونحن سراج الله فى الأرض نزهر
وفاطم أمى من سلالة أحمد وعمى يدعى ذو الجناحين جعفر
وفينا كتاب الله أنزل صادقاً وفينا الهدى والوحى بالخير يذكر
ونحن أمان الله للناس كلهم نسرّ بهذا فى الأنام ونجهر
ونحن ولاة الحوض نسقى ولاتنا بكأس رسول الله ماليس ينكر
وشيعتنا فى الناس أكرم شيعه ومبغضنا يوم القيامة يخسر

وذكر أبو على السلامى فى تاريخه أنّ هذه الأبيات للحسين عليه السلام من إنشائه وقال: وليس لأحد مثلها:
وإن تكن الدنيا تعدّ نفيسه فإنّ ثواب الله أعلى وأنبل

وان تكن الأبدان للموت أنشئت فقتل امرىء بالسيف فى الله أفضل
وان تكن الأرزاق قسماً مقدراً فقله سعى المرء فى الكسب أجمل
وإن تكن الأموال للترك جمعها فما بال متروك به المرء يبخل
سأمضى وما بالقتل عار على الفتى إذا فى سبيل الله يمضى ويقتل
ثم إنه عليه السلام دعا الناس الى البراز، فلم يزل يقتل كل من دنا منه من عيون الرجال، حتى قتل منهم مقتله عظيمة. (١)

معالركب الحسينى (ج ٤)، ص: ٤١٣

ثم حمل على الميمنة وقال:

الموت خير من ركوب العار والعار أولى من دخول النار

ثم حمل على الميسرة وقال:

أنا الحسين بن علىّ أحمى عيالات أبى

آليت أن لا أنتهى أمضى على دين النبى

وجعل يقاتل حتى قتل ألفاً وتسعمائة وخمسين سوى المجروحين. (١)

روى الطبرى يقول: «ولمّا بقى الحسين فى ثلاثه رهط أو أربعه، دعا سراويل «٢» محققه يلمع «٣» فيها البصر، يمانى محقق، ففره «٤» ونكته لكيلا يسلبه، فقال له بعض أصحابه: لو لبست تحته ثياباً «٥» قال: ذلك ثوب مدلة، ولا ينبغي لى أن ألبسه». «٦»
مع الركب الحسينى (ج ٤)، ص: ٤١٤

وروى الطبرانى عن ابن أبى ليلى قال: «قال حسين بن على عليه السلام حين أحس بالقتل: إئتونى ثوباً لا يرغب فيه أحد أجعله تحت ثيابى...» (١)

وذكر ابن شهر آشوب أنه عليه السلام قال: «إئتونى بثوب لا يرغب فيه ألبسه غير ثيابى لا أجرد فإنى مقتول مسلوب، فأتوه بتيان فأبى أن يلبسه، وقال: هذا لباس أهل الذمه، ثم أتوه بشيء أوسع منه دون السراويل وفوق التبان فلبسه». «٢»

وقال الطريحي: «لمّا قُتل أصحاب الحسين كلهم وتفانوا وأبيدوا ولم يبق أحد، بقى عليه السلام يستغيث فلايغاث وأيقن بالموت أتى إلى نحو الخيمة وقال لأخته:

إئتينى بثوب عتيق لا يرغب فيه أحد من القوم، أجعله تحت ثيابى لئلا أجرد منه بعد قتلى. قال: فأرتفعت أصوات النساء بالبكاء والنحيب، ثم أوتى بثوب فخرقه ومزقه من أطرافه وجعله تحت ثيابه، وكانت له سراويل جديدة فخرقها أيضاً لئلا تسلب منه». «٣»

نبات الإمام الحسين عليه السلام ورباطة جأشه! ص : ٤١٤

يروى الطبرى عن عبدالله بن عمّار بن عبد يغوث البارقي قوله فى وصف شجاعه الإمام عليه السلام: «فوالله ما رأيت مكثوراً قطّ قد قُتل ولده وأهل بيته وأصحابه أربط جاشاً، ولا أمضى جناً منه، ولا أجراً مقدماً! والله ما رأيت قبله ولا بعده مثله! إن كانت الرجالة لتتكشف من عن يمينه وشماله إنكشاف المعزى إذا شدّ فيها

مع الركب الحسينى (ج ٤)، ص: ٤١٥

الذئب...» (١)

وفى عيون الأخبار عن هذا البارقي «٢» أيضاً: «مارأيت قطّ أربط جاشاً من الحسين! قُتل ولده وجميع أصحابه حوله، وأحاطت به الكتائب، فوالله لكان يشدّ عليهم فينكشفوا عنه إنكشاف المعزى شدّ عليهم الأسد! فمكث ملياً والناس يدافعونه ويكرهون الإقدام عليه». «٣»

ويقول السيد ابن طاووس (ره) فيما يرويه: «.. ولقد كان يحمل فيهم، ولقد تكملوا ثلاثين ألفاً فيهمون بين يديه كأنهم الجراد المنتشر!! ثم يرجع إلى مركزه وهو يقول: لا حول ولا قوة إلا بالله!». «٤»

ويقول ابن شهر آشوب: «وجعل يُقاتل حتى قتل ألفاً وتسعمائة وخمسين سوى المجروحين، فقال عمر بن سعد لقومه: ويلكم أتدرون من تبارزون؟! هذا ابن الأنزع البطين! هذا ابن قتال العرب! فاحملوا عليه من كلّ جانب! فحملوا بالطنن مائة وثمانين! وأربعة آلاف بالسهام!...» (٥)

الإمام عليه السلام يستولى على شريعة الفرات! ص : ٤١٥

قال ابن شهر آشوب: «وروى أبو مخنف عن الجلودى أن الحسين حمل على

مع الركب الحسينى (ج ٤)، ص: ٤١٦

الأعور السلمى وعمرو بن الحجاج الزبيدى، وكانا فى أربعة آلاف رجل على الشريعة، وأقحم الفرس على الفرات! فلما أولغ الفرس برأسه ليشرب قال عليه السلام:

أنت عطشان: وأنا عطشان، والله لا أذوق الماء حتى تشرب! فلما سمع الفرس كلام الحسين شال رأسه ولم يشرب كأنه فهم الكلام! فقال الحسين: إشرب فأنا أشرب. فمدَّ الحسين يده فغرف من الماء، فقال فارس: يا أبا عبد الله! تتلذذ بشرب الماء وقد هتكت حرمتك؟! فنفض الماء من يده، وحمل على القوم فكشفهم فإذا الخيمة سالمة!.. «١»

الوداع الأخير ص : ٤١٦

قال العلامة المجلسى (ره) فى كتابه (جلاء العيون): «ثم ودَّع ثانياً أهل بيته،

مع الركب الحسينى (ج ٤)، ص: ٤١٧

وأمرهم بالصبر، ووعدهم بالثواب والأجر، وأمرهم بلبس أزرقهم، وقال لهم:

استعدوا للبلاء، وأعلموا أن الله تعالى حافظكم وحاميكم، وسينجيكم من شر الأعداء، ويجعل عاقبة أمركم إلى خير، ويعذب أعاديكم بأنواع البلاء، ويعوّضكم الله عن هذه البلية بأنواع النعم والكرامة، فلا تشكوا، ولا تقولوا بألسنتكم ما ينقص من قدركم!.. «١»

وقال المحقق السيد المقدم (ره): «حقاً لو قيل بأن هذا الموقف من أعظم ما لاقاه سيد الشهداء عليه السلام فى هذا اليوم، فإن عقائل النبوة تشهد عماد أخبيتها، وسياج صونها، وحمى عزها، ومعقد شرفها مؤذناً بفراق لارجوع بعده فلا يدرين بمن يعتصم من عاديه الأعداء، وبمن العزاء بعد فقده، فلا غرو إذا اجتمعن عليه وأحطن به وتعلقن بأطرافه بين صبى يئن، ووالهه أذهلها المصاب، وطفلة تطلب الأمن، وأخرى تنشد الماء!

إذاً فما حال سيد الغيارى ومثال الحنان وهو ينظر بعلمه الواسع إلى ودائع الرسالة وحرائر بيت العصمة وهن لا يعرفن إلا سجع العز وحجب الجلال، كيف يتراكن فى هذه البيداء المقفرة بعولته مشجية، وهتاف يفطر الصخر الأصم، وزفرات متصاعدة من أفئدة حزى! فإن فررن فعن السلب، وإن تباعدن فمن الضرب، ولا محام لهن غير الإمام الذى أنهتكه العلة!.. «٢»

مع الركب الحسينى (ج ٤)، ص: ٤١٨

الإمام عليه السلام وابنته سكينه عليها السلام ص : ٤١٨

والتفت الحسين إلى ابنته سكينه التى يصفها للحسن المثنى بأن الإستغراق مع الله غالب عليها! فرأها منحازة عن النساء باكية نادبة فوقف عليها مصبراً، ومسلياً ولسان حاله يقول:

هذا الوداع عزيزتى والملتقى يوم القيامة عند حوض الكوثر

فدعى البكاء وللأسار تهبأى واستشعرى الصبر الجميل وبادرى

وإذا رأيتنى على وجه الثرى دامى الوريد مبضعا فتصبرى «١»

فقال عمر بن سعد: ويحكمه هجموا عليه مادام مشغولاً بنفسه وحرمه، والله إن فرغ لكم لاتمتاز ميمتكم عن ميسرتكم، فحملوا عليه يرمونه بالسهام حتى تخالفت السهام بين أطناب المخيم، وشك سهم بعض أزر النساء فدهشن وأرعبن وصحن ودخلن الخيمة ينظرن إلى الحسين كيف يصنع، فحمل عليهم كالليث الغضبان فلا يلحق أحداً إلا بعجه بسيفه فقتله، والسهام تأخذه من كل ناحية وهو يتقيها بصدرة ونحره.. «٢»

وقال ابن شهر آشوب: «ثم ودّع النساء وكانت سكينه تصيح فضمّها إلى صدره وقال:

سيطول بعدى يا سكينه فأعلمى منك البكاء إذا الحمام دهانى

لا تحرقى قلبى بدمعك حسره مادام منى الروح فى جثمانى

فإذا قتلتُ فأنتِ أولى بالذى تأتينه يا خيرة النسوان». «٣»

مع الركب الحسينى (ج ٤)، ص: ٤١٩

وصايا الإمام عليه السلام ص : ٤١٩

من جملة الأعمال المهمة التي قام بها الإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء قبل مقتله دفع الوصايا إلى ابنه الإمام على بن الحسين زين العابدين عليه السلام حيث كان مريضاً ولم يستطع الجهاد بين يدي أبيه الحسين عليه السلام.

قال المسعودى: «ثم أحضر على بن الحسين عليه السلام- وكان عليلاً- فأوصى إليه بالإسم الأعظم وموارث الأنبياء عليهم السلام، وعزّفه أن قد دفع العلوم والصحف والمصاحف والسلاح إلى أم سلمة رضى الله عنها وأمرها أن تدفع جميع ذلك إليه». «١»

وفى دعوات الراوندى الراوندى: عن الإمام زين العابدين عليه السلام قال:

ضمّنى والدى عليه السلام إلى صدره حين قتل والدماء تغلى، وهو يقول: يا بنى احفظ عنى دعاء علمتنيه فاطمه صلوات الله عليها، وعلمها رسول الله صلى الله عليه وآله، وعلمه جبرئيل فى الحاجة، والهّم والغمّ، والنازلة إذا نزلت، والأمر العظيم الفادح.

قال: أَدع: «بحق يس والقرآن الحكيم، وبحقّ طه والقرآن العظيم، يا من يقدر على حوائج السائلين، يا من يعلم ما فى الضمير، يا منفس عن المكروبين، يا مفرّج عن

مع الركب الحسينى (ج ٤)، ص: ٤٢٠

المغمومين، يا راحم الشيخ الكبير، يارازق الطفل الصغير، يا من لا يحتاج إلى التفسير، صلّ على محمد وآل محمد وافعل بى كذا وكذا». «١»

وروى عن أبى جعفر عليه السلام أنه قال: انّ الحسين عليه السلام لما حضره الذى حضره دعا ابنته الكبرى فاطمة بنت الحسين عليه السلام «٢» فدفع إليها كتاباً ملفوفاً ووصية ظاهرة، وكان على بن الحسين عليهما السلام مبطوناً معهم لا يرون إلا أنه لما به، فدفعت فاطمة الكتاب إلى على بن الحسين عليهما السلام ثم صار ذلك إلينا». «٣»

الهجوم على رحل الإمام عليه السلام وعياله ص : ٤٢٠

روى الطبرى عن أبى مخنف: «ثم إن شمر بن ذى الجوشن أقبل فى نفر من عشرة من رجاله أهل الكوفة قبل منزل الحسين الذى فيه ثقله وعياله، فمشى نحوه، فحاولوا بينه وبين رحله، فقال الحسين:

ويلكم إن لم يكن لكم دين، وكنتم لاتخافون يوم المعاد، فكونوا فى أمر دنياكم أحراراً ذوى أحساب، إمنعوا رحلى وأهلى من طغامكم «٤» وجهالكم.

فقال ابن ذى الجوشن: ذلك لك يا بن فاطمة. «٥»

مع الركب الحسينى (ج ٤)، ص: ٤٢١

وفى اللهوف أنه عليه السلام قال لهم:

«يا شيعه آل أبى سفيان إن لم يكن لكم دين وكنتم لا تخافون المعاد، فكونوا أحراراً فى دنياكم وارجعوا إلى أحسابكم إن كنتم عرباً كما تزعمون». (١)

وعن ابن صبأغ المالكى أنه: «حمل عليهم حملة منكرة قتل فيها كثيراً من الرجال والأبطال، ورجع سالماً إلى موقفه عند الحریم، ثم حمل حملة أخرى وأراد الكزّ راجعاً إلى موقفه، فحال الشمر بن ذى الجوشن لعنه الله بينه وبين الحریم والمرجع إليهم فى جماعة من أبطالهم وشجعانهم، وأحدقوا به، ثم إن جماعة منهم تبادروا إلى الحریم والأطفال يريدون سلبهم فصاح الحسين: ويحكم يا شيعه الشيطان كّفوا سفهاءكم عن التعرض للنساء والأطفال فإنهم لم يقاتلوا. فقال الشمر لعنه الله: كّفوا عنهم واقصدوا الرجل بنفسه». (٢)

وعن المدائنى: وحمل شمر - لعنه الله - على عسكر الحسين، فجاء إلى فسطاطه لينهبه، فقال له الحسين عليه السلام: ويلكم إن لم يكن لكم دين فكونوا أحراراً فى الدنيا، فرحلى لكم عن ساعة مباح، قال: فاستحيا ورجع». (٣)

العطش يشتد بالإمام عليه السلام فى حملته الأخيرة! ص : ٢٢١

قال الخوارزمى: «فقصدته القوم بالحرب من كل جانب، فجعل يحمل عليهم

معالركب الحسينى (ج ٤)، ص: ٢٢٢

ويحملون عليه، وهو فى ذلك يطلب الماء ليشرب منه شربة! (١) فكلما حمل بفرسه على الفرات حملوا عليه حتى أجلوه عنه، ثم رماه رجل يُقال له أبو الحتوف الجعفى بسهم فوق السهم فى جبهته، فزع الحسين السهم ورمى به، فسال الدم

معالركب الحسينى (ج ٤)، ص: ٢٢٣

على وجهه ولحيته، (١) فقال:

اللهم قد ترى ما أنا فيه من عبادك هؤلاء العصاة العتاة! اللهم فاحصهم عدداً، واقتلهم بدداً، ولا تذر على وجه الأرض منهم أحداً، ولا تغفر لهم أبداً!

ثم حمل عليهم كالليث المغضب، فجعل لا يلحق أحداً إلا بعجه بسيفه وألحقه بالحضيض، والسهم تأخذه من كل ناحية، وهو يتلقاها بنحره وصدرة، ويقول:

يا أمة السوء! بئسما خلفتم محمداً صلى الله عليه وآله فى عترته! أما إنكم لن تقتلوا بعدى عبداً من عباد الله الصالحين فتهابوا قتله، بل يهون عليكم عند قتلكم إياى، وأيم الله إنى لأرجو أن يُكرمنى ربى بهوانكم، ثم ينتقم منكم من حيث لا تشعرون!

فصاح به الحصين بن مالك السكونى: يا ابن فاطمة! بماذا ينتقم لك منّا؟

فقال:

يلقى بأسكم بينكم، ويسفك دماءكم، ثم يصب عليكم العذاب الأليم.

معالركب الحسينى (ج ٤)، ص: ٢٢٤

ثم جعل يُقاتل حتى أصابته إثنان وسبعون جراحة. (١). (٢)

أما الطبرى فيروى هذه اللحظات المأساوية عن لسان حميد بن مسلم قال:

«كانت عليه جبة من خز، وكان معتماً وكان مخضوباً بالوسمة، وسمعته يقول قبل أن يُقتل، وهو يقاتل على رجليه قتال الفارس الشجاع، يتقى الرمية، ويفترص العورة، ويشد على الخيل، وهو يقول:

أعلى قتلى تحاثون؟! أما والله لا تقتلون بعدى عبداً من عباد الله أسخط عليكم لقتله منى، وأيم الله إنى لأرجو أن يُكرمنى الله

بهوانكم، ثم ينتقم لي

مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٢٢٥

منكم من حيث لا تشعرون، أما والله أن لو قتلتموني لقد ألقى الله بأسكم بينكم، وسفك دماءكم، ثم لا يرضى لكم حتى يضاعف لكم العذاب الأليم.

قال: ولقد مكث طويلاً من النهار، ولو شاء الناس أن يقتلوه لفعلوا، ولكنهم كان يتقى بعضهم بعض، ويحب هؤلاء أن يكفيهم هؤلاء!

قال: فنادى شمر في الناس: ويحكم! ماذا تنتظرون بالرجل؟! اقتلوه ثكلتكم أمهاتكم!

قال: فحمل عليه من كل جانب فضربت كفه اليسرى ضربة، ضربها زرعة بن شريك التميمي، وضرب على عاتقه، ثم انصرفوا وهو ينوء ويكبو!.. «١»

مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٢٢٦

السهم المحدد المسموم القاتل! ص: ٢٢٦

أمياً الخوارزمي فيواصل تفاصيل المقتل - بعد أن ذكر كيف أن الإمام عليه السلام حمل على القوم حملة الليث المغضب، فجعل لا يلحق أحداً إلا بعجه بسيفه وألحقه بالحضيض، والسهم تأخذه من كل ناحية، وهو يتلقاها بنحره وصدرة، حتى أصابته إثنان وسبعون جراحة - فيقول: «فوقف يستريح وقد ضعف عن القتال، فبينما هو واقف إذ أتاه حجر فوقع على جبهته، فسالت الدماء من جبهته، فأخذ الثوب ليمسح عن جبهته فأتاه سهم محدد، مسموم، له ثلاث شعب، فوقع في قلبه، فقال الحسين عليه السلام: بسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله - ورفع رأسه إلى السماء - وقال: إلهي، إنك تعلم أنهم يقتلون رجلاً ليس عى وجه الأرض ابن نبي غيره!

ثم أخذ السهم وأخرجه من وراء ظهره فانبعث الدم كالميزاب! فوضع يده على الجرح، فلما امتلأت دماً رمى بها إلى السماء، فما رجع من ذلك قطرة! وما عرفت الحمره في السماء حتى رمى الحسين بدمه إلى السماء! ثم وضع يده على الجرح ثانياً، فلما امتلأت لطح بها رأسه ولحيته! وقال:

هكذا والله أكون حتى ألقى جدى محمداً صلى الله عليه وآله وأنا مخضوب بدمي، وأقول: يا رسول الله! قتلتني فلان وفلان!

ثم ضعف عن القتال، فوقف مكانه، فكلما أتاه رجل من الناس وانتهى إليه انصرف عنه، وكره أن يلقي الله بدمه! حتى جاءه رجل من كنده يقال له مالك بن نسر، فضربه بالسيف على رأسه، وكان عليه برنس، فقطع البرنس وامتلاً دماً، فقال له الحسين: لا أكلت بيمينك ولا شربت بها، وحشرك الله مع الظالمين. «١»

مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٢٢٧

ثم ألقى البرنس ولبس قلنسوة واعتصم عليها، وقد أعيب وتبلد، وجاء الكندي فأخذ البرنس «١» - وكان من خز - فلما قدم به بعد ذلك على امرأته أم عبد الله ليغسله من الدم، قالت له امرأته: أتسلب ابن بنت رسول الله برنسه وتدخل بيتي؟! أخرج عني حشا الله قبرك ناراً. وذكر أصحابه أنه يبست يده، ولم يزل فقيراً بأسوء حال إلى أن مات.

ثم نادى شمر: ما تنتظرون بالرجل؟ فقد أثنخته السهام، فأخذت به الرماح والسيوف، فضربه رجل يُقال له: زرعة بن شريك التميمي ضربة منكرة، ورماه سنان بن أنس بسهم في نحره، وطعنه صالح بن وهب المرّي على خاصرته طعنه منكرة، فسقط الحسين عن فرسه «٢» إلى الأرض على خده الأيمن، ثم استوى جالساً

مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٢٢٨

ونزع السهم من نحره، «١» ثم دنا عمر بن سعد من الحسين ليراه!

قال حميد بن مسلم: وخرجت زينب بنت عليّ وقرطهاها يجولان في أذنيها «٢»

مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٤٢٩

وهي تقول: ليت السماء أطبقت على الأرض! يا ابن سعد! أئقتل أبوعبدالله وأنت تنظر إليه؟! فجعلت دموعه تسيل على خديه ولحيته، فصرف وجهه عنها، والحسين جالسٌ وعليه جُتيّة خز، وقد تحاماه الناس، فصاح شمر: ويحكم ما تنتظرون؟! اقتلوه ثكلتكم أمهاتكم! فضربه زرعهُ بن شريك فأبان كفه اليسرى، ثم ضربه على عاتقه فجعل عليه السلام يكبو مرّة ويقوم أخرى، فحمل عليه سنان ابن أنس في تلك الحال فطعنه بالرمح فصرعه، «١» وقال لحولى بن يزيد: احتزّ رأسه. فضعف وارتعدت يدها، فقال له سنان: فتّ الله عضدك وأبان يدك. «٢» فنزل إليه نصر بن خرشهُ الضبابي، وقيل: بل شمر بن ذى الجوشن، «٣» وكان أبرص، فضربه برجله، وألقاه على قفاه، ثم أخذ بلحيته! فقال له الحسين عليه السلام: أنت الكلبُ الأبقع الذي رأيتَه في منامي!!

مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٤٣٠

فقال شمر: أتشبهني بالكلاب يا ابن فاطمة؟ ثم جعل يضرب بسيفه مذبح الحسين عليه السلام ويقول:

أقتلك اليوم ونفسي تعلمُ علماً يقيناً ليس فيه مزعم

ولا مجالاً لا ولا تكتّم أن أباك خير من يُكلم

وروى أنّه جاء إليه شمر بن ذى الجوشن، وسنان بن أنس، والحسين عليه السلام بأخر رمق يلوك لسانه من العطش! فرفسه شمر برجله وقال: يا ابن أبي تراب! ألسّت تزعم أن أباك على حوض النبيّ يسقى من أحبه؟! فاصبر حتّى تأخذ الماء من يده.

ثم قال لسنان بن أنس: احتزّ رأسه من قفاه! فقال: لا والله، لا أفعل ذلك فيكون جدّه محمّد خصمى!! فغضب شمر منه، وجلس على صدر الحسين عليه السلام، وقبض على لحيته وهمّ بقتله، فضحك الحسين وقال له: أتقتلني؟! أو لا تعلم من أنا!؟

قال: أعرفك حقّ المعرفة، أمك فاطمة الزهراء، وابوك عليّ المرتضى، وجدك محمّد المصطفى، وخصيمك الله العليّ الأعلى، وأقتلك ولا أبالي! وضربه بسيفه إثنتي عشرة ضربة، ثم حزّ رأسه. «١»

«وروى هلال بن نافع قال: إنني لواقفٌ مع أصحاب عمر بن سعد، إذ صرخ صارخ: أبشر أيها الأمير، فهذا شمر قتل الحسين! قال: فخرجت بين الصّفين،

مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٤٣١

فوقفت عليه، فإنّه ليجود بنفسه، فوالله ما رأيت قتيلاً مضمخاً بدمه أحسن منه ولا أنور وجهاً! ولقد شغلني نور وجهه وجمال هيئته عن الفكر في قتله! فاستسقى في تلك الحال ماءً، فسمعت رجلاً يقول له: والله لا تذوق الماء حتّى ترد الحامية فتشرب من حميمها! فقال له الحسين عليه السلام:

بل أرد عليّ جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله واسكن معه في داره في مقعد صدق عند مليك مقتدر، وأشرب من ماءٍ غير آسن، واشكو إليه ما ارتكبتم مني وفعلتم بي!

قال: فغضبوا بأجمعهم حتّى كأنّ الله لم يجعل في قلب أحدٍ منهم من الرحمة شيئاً! فاحتزّوا رأسه وإنّه ليكلّمهم! فعجبت من قلّة رحمتهم، وقلت والله لا أجامعكم على أمر أبداً. «١»

وروى الشيخ الصدوق (ره) والشيخ الكليني (ره) أيضاً، عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه: «لما ضرب الحسين بن عليّ عليهما السلام بالسيف، ثم ابتدر ليُقطع رأسه، نادى منادٍ من قبل ربّ العزّة تبارك وتعالى من بطنان العرش فقال: ألا أيتها الأُمّة المتخيّرة الظالمه بعد نبيها، لا وفقكم الله لأضحى ولا فطر.

قال: ثم قال أبوعبدالله عليه السلام: لا جرم والله، ما وقّوا ولا يوقّون أبداً حتّى يقوم نائر الحسين عليه السلام. «٢»

وقال الخوارزمي: «وارتفعت في السماء في ذلك الوقت غبرة شديدة مظلمة، فيها ريحٌ حمراء، لا يرى فيها عين ولا أثر، حتّى ظنّ القوم

أنّ العذاب قد جاءهم،

معالركب الحسينى (ج ۴)، ص: ۴۳۲

فلبثوا بذلك ساعة، ثمّ انجلت عنهم». (۱)

وروى ابن المغازلى بسندٍ عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال:

«إنّ قاتل الحسين عليه السلام فى تابوت من نارٍ، عليه نصف عذاب أهل النار، وقد شدّ يداه ورجلاه بسلاسل من نار، مُنكَّسٌ فى النار حتى يقع فى قعر جهنّم، وله ريح يتعوّذ أهل النار إلى ربّهم عزّ وجل من شدّة ريح ننته، وهو فيها خالدٌ ذائق العذاب العظيم، كلّما نضجت جلودهم بدّلناهم جلوداً غيرها، حتى يذوقوا العذاب الأليم، لا يفتّر عنهم ساعة، وسقوا من حميم جهنّم، الويل لهم من عذاب الله عزّ وجلّ». (۲)

سلب الإمام عليه السلام بعد قتله! ص: ۴۳۲

قال السيّد ابن طاووس (ره): «ثمّ أقبلوا على سلب الحسين، فأخذ قميصه إسحاق بن حويّة الحضرمى، فلبسه فصار أبرص وامتعط شعره! .. وأخذ سراويله بحر بن كعب التيمى لعنه الله تعالى، فروى أنّه صار زماماً مقعداً من رجله! وأخذ عمامته أخنس بن مرثد بن علقمة الحضرمى، وقيل: جابر بن يزيد الأودى لعنهما الله، فاعتّم بها فصار معتوهاً! وأخذ نعليه الأسود بن خالد لعنه الله، وأخذ خاتمه

معالركب الحسينى (ج ۴)، ص: ۴۳۳

بجدل بن سليم الكلبى وقطع إصبعه عليه السلام مع الخاتم، وهذا أخذه المختار فقطع يديه ورجليه وتركه يتشخّط فى دمه حتى هلك، وأخذ قطيفة له عليه السلام كانت من خزّ قيس بن الأشعث «۱»، وأخذ درعه البتراء عمر بن سعد. فلمّا قُتل عمر وهبها المختار لأبى عمرة قاتله، وأخذ سيفه جُميع بن الخلق الأودى، وقيل: رجل من بنى تميم يُقال له أسود بن حنظله، وفى روايه ابن أبى سعد أنه أخذ سيفه الفلافس النهشلى، وزاد محمد بن زكريا: أنه وقع بعد ذلك إلى بنت حبيب بن بُديل، وهذا السيف المنهوب المشهور ليس بذى الفقار، فإنّ ذلك كان مذخوراً ومصوناً مع أمثاله من ذخائر النبوّة والإمامة، وقد نقل الرواة تصديق ما قلناه وصورة ما حكينا». (۲)

معالركب الحسينى (ج ۴)، ص: ۴۳۴

رضّ جسد الإمام عليه السلام بحوافر الخيل ص: ۴۳۴

قال السيّد ابن طاووس (ره): «قال الراوى: ثمّ نادى عمر بن سعد فى أصحابه:

من ينتدب للحسين فيواطىء الخيل ظهره وصدّره! فانتدب منهم عشرة، وهم:

إسحاق بن حويّة الذى سلب الحسين عليه السلام قميصه، وأخنس بن مرثد، وحكيم بن طفيل السنبسى، وعمر بن صبيح الصيداوى، ورجاء بن منقذ العبدى، وسالم بن خثيمة الجعفى، وواظ بن ناعم، وصالح بن وهب الجعفى، وهانى بن ثبيت الحضرمى، واسيد بن مالك، لعنهم الله تعالى فداسوا الحسين عليه السلام بحوافر خيلهم حتى رضّوا صدره وظهره». (۱)

معالركب الحسينى (ج ۴)، ص: ۴۳۵

وكان ابن زياد قد أمر ابن سعد بذلك! ص: ۴۳۵

كان آخر ما كتبه عبيدالله بن زياد- وأرسله بيد شمر- إلى عمر بن سعد: «إني لم أبعثك إلى الحسين لتكف عنه، ولا لتطاوله، ولا لتمنيه السلامة والبقاء، ولا لتعذر له، ولا لتكون له عندي شافعاً، أنظر فإن نزل الحسين وأصحابه على حكمي واستسلموا فابعث بهم إليّ سَلماً، وإن أبوا فازحف إليهم حتى تقتلهم وتمثل بهم! فإنهم لذلك مستحقون! وإن قُتل الحسين فأوطيء الخيل صدره وظهره! فإنه عاتٍ ظلم!! وليس أرى أن هذا يضرُّ بعد الموت شيئاً، ولكن عليّ قولٌ قد قلت: لو قتلته لفعلت هذا به.

فإن أنت مضيّت لأمرنا فيه جزيناك جزاء السامع المطيع، وإن أبيت فاعتزل عملنا وجُندنا، وخلّ بين شمر بن ذى الجوشن وبين العسكر، فإننا قد أمرناه بأمرنا، والسلام.» (١)

وأكثر المصادر التاريخية تؤكّد على أن عمر بن سعد كان قد امتثل أمر ابن زياد في تنفيذ هذه الجريمة بعد قتل الإمام عليه السلام، (٢) لكنّ العلامة المجلسي (ره) بعدما

مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٤٣٦

ذكر في كتابه بحار الأنوار كلام السيّد ابن طاووس (ره) في هذه القضية، قال: المعتمد عندي ما سيأتي في رواية الكافي أنه لم يتيسر لهم ذلك! (١)

وأما رواية الكليني (ره) ص: ٤٣٦

التي اعتمد عليها العلامة المجلسي (ره) فهي:

«الحسين بن أحمد قال: حدثني أبو كريب، وأبوسعيد الأشجّ قال، حدّثنا عبدالله بن إدريس، عن أبيه إدريس بن عبدالله الأودي قال: لما قُتل الحسين عليه السلام أراد القوم أن يوطئوه الخيل فقالت فضة لزينب: يا سيدتي إن سفينة (٢) كُسر به في البحر، فخرج إلى جزيرة فإذا هو بأسد، فقال: يا أبا الحارث أنا مولى رسول الله صلى الله عليه وآله فهمهم بين يديه حتى وقفه على الطريق، والأسد رابض في ناحية فدعيني أمضى إليه فأعلمه ما هم صانعون غداً! فمضت إليه فقالت: يا أبا الحارث.

فرفع رأسه- ثم قالت: أتدرى ما يريدون أن يعملوا غداً بأبي عبدالله عليه السلام؟ يريدون أن يوطئوا الخيل ظهره! قال: فمشى حتى وضع يديه على جسد الحسين عليه السلام! فأقبلت الخيل فلما نظروا إليه قال لهم: عمر بن سعد- لعنه الله- فتنة لا تثيروها، فانصرفوا.» (٣)

ومن الغريب جداً اعتماد العلامة المجلسي (ره) في قوله (لم يتيسر لهم ذلك) على هذه الرواية فقط التي حكم هو بجهالتها في مرآة العقول، حيث قال: الحديث مجهول. (٤)

مع الركب الحسيني (ج ٤)، ص: ٤٣٧

التحقيق في رجال السند: ص: ٤٣٧

أما الحسين بن محمّد فغاياته ما قيل في حقه إن طريق الشيخ الطوسي في المشيخة صحيح إليه، (١) وأما أبو كريب وأبوسعيد الأشجّ فلم يرد في حقهما مدح ولا ذم، (٢) وأمّا إدريس بن عبدالله الأزدي أو الأودي فعده المرحوم المامقاني في عداد المجاهيل، (٣) وأمّا إدريس بن عبدالله فلم يرد أيضاً فيه مدح ولا ذم. (٤)

فتكون الرواية ضعيفة السند بلا إشكال. ومع غضّ النظر عن مسألة السند فإن هذه الرواية لا تنتهي إلى كلام المعصوم الذي يعدّ حجة لنا بل تنتهي إلى إدريس بن عبدالله الأودي وهو ضعيف.

كلام البرغاني: ص : ٤٣٧

قال الفاضل البرغاني: «وكانهم - لعنهم الله - أرادوا أن يوطئوا الخيل بحيث لا يبقى من جسده الشريف أثر. فمنعم الأسد من ذلك، وإلاً فالعشرة المتقدمة لعنهم الله قد رَضُوا صدره وظهره على حسب ما أمر عبيدالله بن زياد أولاً، وجاءهم أمرٌ آخر بأن لا يقوا من جسده الشريف أثراً! فحال بينهم وبينه الأسد. وحكى عن السيد المرتضى ذلك». «٥»

الجزء الخامس

إشارة

سرشناسه : طبسى، نجم الدين، - ١٣٣٤
عنوان و نام پديدآور : الامام الحسين عليه السلام فى مكة المكرمة / تاليف نجم الدين الطبسى
مشخصات نشر : قم : سپهر انديشه ، ١٤٢٧ق=١٣٨٥.
مشخصات ظاهرى : ص ٤٨٠
فروست : (معالركب الحسينى من المدينة الى المدينة؛ الجزء الثانى)
شابك : ٩٦٤-٧٩٣٥-٥١-X
وضعت فهرست نویسى : فهرست نویسى قبلى
يادداشت : عربى
يادداشت : فهرست نویسى براساس اطلاعات فپا
يادداشت : کتابنامه: ص. ٤٧٢ - ٤٥٥؛ همچنين به صورت زیر نویسى
موضوع : حسين بن على (ع)، امام سوم، ٦١ - ٤٠ق. — سرگذشتنامه
موضوع : واقعه كربلا، ق ٦١
موضوع : مكة -- تاريخ -- قرن ١
رده بندى كنگره : ٤١/٤BP/م ٦٣ ج. ٢، ١٣٨٥
رده بندى ديوبى : ٢٩٧/٩٥٣
شماره كتابشناسى ملی : ٨٥-١١١٠٥

معالركب الحسينى من المدينة الى المدينة (الجزء الخامس)

مقدمة مركز الدراسات الإسلامیة ص : ٥

التابع لممثليته الولي الفقيه فى حرس الثورة الإسلامیة
الحمد لله الذى جعل الحمد مفتاحاً لذكره ودليلاً على نعمه وآلائه. والصلاة والسلام على أشرف الخلائق محمداً وآله الطيبين الطاهرين.

وبعد:

فهذا الكتاب: (وقائع الطريق من كربلاء إلى الشام) هو الجزء الخامس من دارستنا التاريخية التفصيلية الموسعة، الموسومة ب (مع الركب الحسينى من المدينة إلى المدينة)، نقدّمه إلى القراء الكرام والمحققين الأفاضل لينضمّ إلى مجموعة الأجزاء الصادرة من هذه الموسوعة من قبله، وهى:

١- الإمام الحسين عليه السلام فى المدينة المنورة.

٢- الإمام الحسين عليه السلام فى مكة المكرمة.

٣- وقائع الطريق من مكة إلى كربلاء.

٤- الإمام الحسين عليه السلام فى كربلاء.

وكتابتنا هذا (الجزء الخامس) يواصل متابعه حركة أحداث النهضة الحسينية ما بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام، وقراءة ما جرى على بقية أهل البيت عليهم السلام- فى حركة الركب الحسينى من كربلاء إلى الكوفة، ثم منها إلى الشام- قراءة تحليلية نقدية تتلمس الاستفسار والإجابة الصحيحة عن كل مُشكل مهمّ فى مسار هذه المتابعة.

مع الركب الحسينى (ج ٥)، ص: ٦

ولاندعى شططاً إذا قلنا- كما قلنا بحقّ الأجزاء السابقة- إنّ هذا الكتاب قد حوى من التحقيقات والنظرات والإشارات الجديدة ما وفّق لسدّ جملة من ثغرات كثيرة فى تاريخ النهضة الحسينية المقدّسة كانت قبل ذلك مبهمّة غامضة، لم تنل قسطها اللازم من التحقيق، ولم تتوفر الإجابة الوافية بشأنها.

وهنا لابدّ من أن نتقدّم بالشكر الجزيل إلى مؤلّف هذا الجزء سماحه الشيخ المحقّق محمّد جعفر الطيسى لما بذله من جهد كبير فى إعداد مادّة هذا البحث القيم.

ويحسن هنا أيضاً أن ننوّه أن سماحه المؤلّف قد تكفّل من قبل ببحث حركة أحداث «المقتل» وإعداد مادّة بحثه ضمن الجزء الرابع، كما حقّق كتاب (إبصار العين فى أنصار الحسين عليه السلام) للمرحوم الشيخ المحقّق محمّد السماوى، والذي صدر- هو الآخر- عن مركزنا هذا، ولشيخنا المؤلّف مؤلّفات أخرى أيضاً. «١»

كما ينبغى هنا أن نتقدّم بالشكر الجزيل إلى فضيلة الأستاذ المحقّق على الشاوى الذى تولّى العناية بهذا البحث مراجعه ونقداً وتنظيماً وتكميلاً، كعنايته من قبل بالأجزاء الثانى، والثالث، والرابع- فضلاً عن تأليفه الجزء الأوّل من هذه الموسوعة- داعين له بمزيد من الموفقيّة فى ميدان التحقيق ومؤازرة المحققين.

مركز الدراسات الإسلامية

التابع لممثليّة الولي الفقيه فى حرس الثورة الإسلامية

مع الركب الحسينى (ج ٥)، ص: ٧

مقدّمة المؤلّف: «الدور التبليغى المتمم للنهضة المقدّسة» ص: ٧

إشارة

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على خير خلقه وأشرف بريته محمّد صلى الله عليه وآله، وعلى أهل بيته الطاهرين، سيّما سيّد شباب أهل الجنّة الإمام الحسين عليه السلام.

لاشك ولاريب فى أنّ الدور التبليغى الذى قمن به النساء عامّة قبل وحين وبعد واقعة الطف، وعقائل الوحي خاصة، كان له أكبر الأثر

والدور في توعية الناس وتعريفهم بحقيقته الأمور.

وبدأ هذا الدور من الكوفة عند ورود سفير الحسين عليه السلام وخذلان أهلها إياه، إلّا المرأة التي كانت تسمى (طوعة) رضى الله عنها، حيث سمحت لنفسها أن تدخل مسلماً دارها وتضيفه بأحسن وجه.

ثم تلك المرأة التي تأمر ولدها أن ينصر الإمام عليه السلام وتقول له:

أخرج فقاتل بين يدي ابن رسول الله صلى الله عليه وآله. حتى تقتل: فقال: أفعل. فخرج.

وقال له الحسين عليه السلام: هذا شاب قتل أبوه ولعل أمه تكره خروجه.

فقال الشاب: إن أمي أمرتني يا ابن رسول الله. «١»

مع الركب الحسيني (ج ٥)، ص: ٨

وفي هذا الإطار- إطار الفداء والتضحية- يذكر تاريخ كربلاء أن أم وهب بن عبد الله بن حباب الكلبي كانت في كربلاء، وكانت تخاطب ولدها: قم يا بني فانصر ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله. فلم يزل يقاتل ...، ثم قطعت يدها، وأخذت امرأته عموداً وأقبلت نحوه وهي تقول: فداك أبي وأمي! قاتل دون الطيبين حرم رسول الله صلى الله عليه وآله ... وبعد أن قتل ذهبت إليه تمسح الدم عن وجهه، فبصر بها شمر، فأمر غلاماً له فضربها بعمود كان معه فشدخها وقتلها .. وهي أول امرأة قُتلت في عسكر الحسين عليه السلام. «١»

ولم تزل المرأة الحسينية الغيرة تُبدي وفاءها لسيد شباب أهل الجنة عليه السلام، ففي يوم عاشوراء، وبعدما قُتل ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله، وأخذ العدو يهجم على بنات العترة ويسلب النساء، وقفت امرأة من بكر بن وائل وصرخت في وجوه آل بكر وهي تقول: أتسلب بنات رسول الله؟! لآحكم إلّا لله! يا لثارات المصطفى. «٢»

إنّ شعار (الثارات المصطفى) الذي رفعته هذه المرأة من قبيلة بكر بن وائل شعاراً مهم جداً تاريخياً وسياسياً، ذلك لأنّ هذه المرأة الغيرة أدركت أنّ حقيقة المواجهة هي بين الأموية المناقفة وبين الإسلام الذي جاء به المصطفى صلى الله عليه وآله. وهذا أول خيوط الفتح الحسيني: وهو فصل الأموية عن الإسلام.

وعندما سلب مالك بن نسر (بشير) الكندي برنس الإمام عليه السلام، وأتى به إلى أهله، لتغسله قالت له زوجته- أم عبد الله بنت الحارث:- أتسلب ابن بنت رسول

مع الركب الحسيني (ج ٥)، ص: ٩

الله برنسه و تدخل بيتي؟ أخرج عني حشا الله قبرك ناراً! «١»

هذا البحث له مصاديق مليئة في واقعة الطف، لسنا بصدد استيعابها.

دور نسوة بنى هاشم ص : ٩

وأما دور نساء بنى هاشم- أعم من العقيلة زينب وفاطمة بنت الحسين عليه السلام وأم كلثوم- فلهنّ كلّ الدور في تبليغ الرسالة الخالدة التي كنّ يستشعرن مسؤوليتهن في وجوب الدفاع عنها.

إنّ الشىء المهمّ الذي كان بنو أمية يهتمون به هو أن يعرّفوا للناس الإمام الحسين عليه السلام أنّه رجل خارجي، خرج على يزيد في العراق، وسعى ليشق عصا الطاعة، وليفرّق كلمه الأمية .. كان الأمويون يسعون لترسيخ هذه الفكرة في النفوس الضعيفة بعد واقعة كربلاء.

وكان يزيد و عبيد الله بن زياد يصرّان عامدين على وصف الإمام عليه السلام بأنّه كذاب .. فهذا عبيد الله بن زياد يخاطب الأسرى من بنى هاشم في قصره ويقول بأنّ الله نصر يزيد وقتل الكذاب. فتقوم زينب عليها السلام وتقول رداً على أراجيفه:

الحمد لله الذى أكرمنا بنبيه محمد صلى الله عليه و آله، وطهرنا من الرجس تطهيراً، وإنما يفتضح الفاسق ويكذب الفاجر، وهو غيرنا والحمد لله. «٢»

من ثم نتقل لهاتين الفكرتين: فكرة بنى أمية بأن الحسين عليه السلام كاذب فى دعواه! وفكرة العقيلة زينب عليهما السلام: بأن الإمام عليه السلام من شجرة أهل بيت طهرهم الله تطهيراً.

مع الركب الحسينى (ج ٥)، ص: ١٠

فترى أن زينب سلام الله عليها بعد واقعة الطف قامت بكل وجودها أمام الطغاة من بنى أمية لتكشف النقاب عن تلك الوجوه الممسوخة، ولتثبت للناس بأن الحسين ابن بنت رسول الإسلام عليهما السلام، وليس كما يزعم الناس بأنه خارجى خرج على يزيد. والجدير بالذكر أن عمال بنى أمية حينما حملوا رؤوس شهداء الطف مع السبايا الى الشام كانوا كثيراً ما يقولون للناس بأن الحسين عليه السلام خارجى خرج على يزيد «١». وبهذا أرادوا قلب الحقائق للناس، وقد حققوا بالفعل تلك النتيجة ولكن لفترة قصيرة جداً.

مواصلة الرسالة التبليغية فى دمشق ص : ١٠

كانت دمشق تعدّ مركزاً أساسياً لبنى أمية إذ كان يزيد قد اتخذها عاصمة له، وكان قد أمر بجمع الناس، وأدخلوا سبايا الحسين عليه السلام بوضع فجيع، وكان يزيد يريد أن يستثمر تلكم الحال ضدّ أهل البيت عليهم السلام، لكنّ زينب عليها السلام أدّت رسالتها الخالدة فقامت فى نفس المجلس، وهوت إلى جيبها فشقتة!! ثمّ نادى بصوت حزين يفرح القلوب: يا حسيناه! يا حبيب المصطفى! يا ابن فاطمة الزهراء!

يقول الراوى: فأبكت والله كلّ من كان حاضراً فى المجلس! ويزيد ساكت! «٢»

وفى الشام أيضاً .. يروى الشيخ الصدوق (ره) عن فاطمة بنت على عليها السلام «٣» أنها قالت: «لما أجلسنا بين يدي يزيد بن معاوية رقّ لنا أول شيء وألطفنا، ثم إن رجلاً

مع الركب الحسينى (ج ٥)، ص: ١١

من أهل الشام أحمر قام إليه فقال: يا أمير المؤمنين! هب لى هذه الجارية تعينى - وكنت جاريةً وضيئةً - فأرعبت وفرقت وظننت أنه يفعل ذلك!

فأخذت بشباب أختى وهى أكبر منى وأعقل، فقالت: كذبت والله ولعنت ما ذاك لك ولا له. فغضب يزيد فقال: بل كذبت! والله لو شئت لفعلته.

قالت: لا والله ما جعل الله ذلك لك إلا أن تخرج من ملتنا وتدين بغير ديننا.

فغضب يزيد، ثم قال: إياى تستقبلين بهذا؟! إنما خرج من الدين أبوك وأخوك.

فقالت: بدين الله ودين أبى وأخى وجدى اهتديت أنت وجدك وأبوك.

قال: كذبت يا عدوة الله.

قالت: أميرٍ يشتم ظالماً ويقهر بسلطانه.

قالت فكأنه لعنه الله استحيى فسكت ... «١»

فزينب حقاً من أبرز مصاديق «الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله»، «٢»

فهى لم تخف من أحدٍ فى مجالس الحكام الطغاة، وكان هدفها إيصال الرسالة المجيدة بأحسن وجه وصورة، ولقد استطاعت أن تبلغ رسالات الله إلى أعداء الله من بنى أمية، فهذا الصراخ والعيول استطاع أن يغيّر كلّ شيء! وما استطاع العدو أن يصل إلى أهدافه الشريرة!

إذن لنا أن نقول: لولا وجود زينب، وأم كلثوم، وفاطمة بنت الحسين، «٣» ولولا

مع الركب الحسيني (ج ٥)، ص: ١٢

خطبهن الساخنة في الكوفة والشام لأحمد بنو أمية صوت العدالة الإنسانية التي رفعها الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء يوم عاشوراء، بحيث لم يبق شيء اسمه كربلاء ولا حسين عليه السلام إلى يومنا هذا!

الامام السجاد ودوره في كربلاء ص : ١٢

لاشك في أن علي بن الحسين عليه السلام كان مريضاً في كربلاء، وذلك لمصالح أشرنا إلى بعضها في هذا الكتاب، ولكن ما تجدر الإشارة إليه هو الدور الإعلامي والتبليغي الذي قام به الإمام السجاد عليه السلام بعد قتل أبيه الإمام الحسين عليه السلام للتعريف بالنهضة الحسينية خلال خطاباته في الكوفة والشام.

فقد كان عليه السلام في الكوفة جنباً إلى جنب مع عمته العقيلة زينب عليه السلام في الدفاع عن كيان النهضة الحسينية ومواجهة الإعلام الأموي الكاذب الذي كان منتشراً في آفاق العالم ضد أهل البيت عليهم السلام.

فحينما دخل الكوفة مع الأسرى، ورأى أهلها يضحون ويبيكون، خاطبهم قائلاً: «أتوحدون وتبكون من أجلنا؟! فمن قتلنا؟!». «١»

ويقف عليه السلام أمام الحشود الكثيرة في الكوفة ليؤدى رسالته الخالدة، فيقول: «أيها الناس! من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا أعرفه بنفسى: أنا علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أنا ابن المذبوح بشط الفرات من غير ذحل ولا ترات! أنا ابن من انتهك حريمه، وسلب نعيمه، وانتهب ماله، وسب عياله! أنا ابن من قُتل صبراً وكفى بذلك فخراً ...

مع الركب الحسيني (ج ٥)، ص: ١٣

فتياً لما قدّمتم لأنفسكم وسوءاً لرأيكم! بأية عين تنظرون إلى رسول الله صلى الله عليه وآله إذ يقول لكم: قتلتم عترتي، وانتهكتم حرمتي، فلستم من أمتي!». «١»

كانت هذه الكلمات تصدر عنه عليه السلام والإمام الحسين عليه السلام كان ما يزال مطروحاً في أرض المعركة!.. لقد أراد الإمام السجاد عليه السلام أن يوجه أنظار الكوفيين إلى عظم الجرم الذي ارتكبه بنو أمية، وليقف بكل وجوده أمام دعوى أن الحسين عليه السلام خارجي خرج على يزيد، ويعرف أباه الإمام الحسين عليه السلام بأنه ليس كما يزعم بنو أمية، بل هو من أهل بيت التوبة ومعدن الرسالة.

الامام السجاد في مجلس الطاغية ابن زياد ص : ١٣

لما أدخل الإمام عليه السلام مع أسرى أهل بيت التوبة على عبيد الله بن زياد في الكوفة، وكان عليه السلام مغلولاً بالحبل، «٢» وأراد الملعون قتله، ودارت المشاجرة بين زينب وابن زياد، قال عليه السلام لعمته زينب عليها السلام:

«أسكتي يا عمّة حتى أكلمه. ثم أقبل إليه فقال: أباقتل تهّدني يا ابن زياد؟!

أما علمت أن القتل لنا عادة وكرامتنا من الله الشهادة؟». «٣»

بهذا المنطق وقف عليه السلام أمام تفرعن ابن زياد وتجرّبه وطغيانه ...

مع الركب الحسيني (ج ٥)، ص: ١٤

الامام السجاد في الشام ص : ١٤

دعا يزيد بن معاوية خاطبه وأمره أن يصعد المنبر، فصعد الخاطب، فذمَّ الإمام الحسين عليه السلام، وبالغ في ذمِّ أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، فقام إليه الإمام السَّجَّاد عليه السلام وقال له: «ويلك أيها الخاطب! اشتريت مرضاءَ المخلوق بسخط الخالق، فتبوءاً مقعدك من النار!». (١)

أما في مجلس يزيد فيقول الخوارزمي: «فتقدّم عليّ بن الحسين حتّى وقف بين يدي يزيد وقال:

لا تطمعوا أن تهينونا ونكرمكم وأن نكف الأذى عنكم وتؤذونا

فإن الله يعلم أنا لا نحبكم ولا نلومكم إن لم تحبونا

فقال يزيد: صدقت! ولكن أراد أبوك وجدك أن يكونا أميرين، فالحمد لله الذي قتلها وسفك دماءهما! ثم قال: يا عليّ! إن أباك قطع رحمي، وجهل حقّي، ونازعني في سلطاني، فصنع الله به ما قد رأيت! (٢)

وفي تفسير علي بن ابراهيم القمي: قال الصادق عليه السلام: لما أدخل رأس الحسين عليه السلام على يزيد لعنه الله، وأدخل عليه علي بن الحسين عليه السلام وبنات أمير المؤمنين عليه السلام وكان علي بن الحسين مقيداً مغلولاً، فقال يزيد: يا علي بن الحسين عليه السلام الحمد لله الذي قتل أباك.

فقال علي بن الحسين عليه السلام: لعن الله من قتل أبي. قال فغضب يزيد وأمر بضرب عنقه عليه السلام. فقال علي بن الحسين عليه السلام: فإذا قتلتني فبنات رسول الله صلى الله عليه وآله من يردنهم إلى منازلهم وليس لهم محرم غيري؟ فقال: أنت تردنهم إلى منازلهم. ثم دعا بمبرد، فأقبل يبرد الجامعة من عنقه ليد. ثم قال له: يا علي بن الحسين أتدرى ما الذي أريد

مع الركب الحسيني (ج ٥)، ص: ١٥

بذلك؟ قال: بلى تريد أن لا يكون لأحد عليّ منّي غيرك. فقال يزيد: هذا والله ما أردت فعله. ثم قال يزيد: يا علي بن الحسين عليه السلام «ما أصابكم من مصيبة فيما كسبت أيديكم». فقال علي بن الحسين عليه السلام: كلا، ما هذا فينا نزلت، إنما نزلت فينا: «ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلّا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير. لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم» فنحن الذين لا نأسى على ما فاتنا ولا نفرح بما آتانا. (١)

قال الخوارزمي: فقال علي بن الحسين عليه السلام:

يا ابن معاوية وهند وصخر! لم تزل التّبوءة والإمرة لأبائي وأجدادي من قبل أن تولد، ولقد كان جدّي عليّ بن أبي طالب في يوم بدر وأحد والأحزاب في يده راية رسول الله صلى الله عليه وآله، وأبوك وجدك في أيديهما رايات الكفّار. ثم جعل عليّ بن الحسين عليه السلام يقول:

ماذا تقولون إذ قال النبي لكم ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم

بعترتي وبأهلي بعد مفتقدى منهم أسارى ومنهم ضُرّجوا بدم

ثم قال عليّ بن الحسين عليه السلام:

«ويلك يا يزيد! إنك لو تدرى ماذا صنعت، وما الذي ارتكبت من أبي وأهل بيتي وأخي وعمومتي، إذن لهرت إلى الجبال، وافترشت الرمال، ودعوت بالويل والثبور، أيكون رأس أبي الحسين بن عليّ وفاطمة منصوباً على باب مدينتكم وهو وديعة رسول الله فيكم؟! فأبشر يا يزيد بالخزي والندامة إذا جُمع الناس غداً ليوم القيامة!». (٢)

مع الركب الحسيني (ج ٥)، ص: ١٦

تلك المواقف البطولية هي التي استطاعت أن تقف أمام التيارات الهدامة، فبنو أمة أرادوا مسخ الإسلام الأصيل، وتوهموا أنهم بلغوا ذلك الهدف بقتل سيّد شباب أهل الجنّة عليه السلام! ولكنّ مواقف السيّدة زينب، وأمّ كلثوم وفاطمة بنت الحسين سلام الله عليه وعليهنّ، وعلى رأسهم سيّد الساجدين عليه السلام منعت العدو من أن يصل إلى هدفه الشيطاني.

وهذا الكتاب ص : ١٦

يتناول الوقائع المؤلمة بعد مقتل سيد الشهداء عليه السلام حتى ورود الركب الحسيني أرض الشام. والبحث في مقصدين. المقصد الأول: ويشتمل على استدراك ما فات في المجلد الرابع غير ما ذكرناه هناك، وهو يكون على فصلين: الفصل الأول: ويشتمل على آيات و تجليات الغضب الإلهي في السماء والأرض لمقتل سيد الشهداء عليه السلام. الفصل الثاني: ويشتمل على الوقائع المتأخرة عن قتله عليه السلام. المقصد الثاني: ويشتمل على وقائع الطريق حتى ورود الركب الحسيني أرض الشام، وهو يكون على فصلين: الفصل الأول: ويشتمل على وقائع حركة الركب الحسيني من كربلاء إلى الكوفة والأحداث التي جرت على أهل البيت في الكوفة نفسها.

الفصل الثاني: ويشتمل على وقائع حركة الركب الحسيني من الكوفة إلى الشام. نسأل الله أن يوفق الجميع لخدمة الدين الحنيف، إنه سميع الدعاء.

محمد جعفر الطبسي

مع الركب الحسيني (ج ٥)، ص: ١٧

المقصد الأول ص : ١٧

إشارة

وهو يشتمل على استدراك ما فات في المجلد الرابع غير ما ذكرناه هناك. ويشتمل على فصلين:

الفصل الأول: تجليات الغضب الإلهي لمقتل سيد الشهداء عليه السلام ص : ١٧

إشارة

«السلام عليك يا حجة الله وابن حجة، السلام عليك يا قتيل الله وابن قتيله، السلام عليك يا ثار الله وابن ثاره، السلام عليك يا وتر الله الموتور في السموات والأرض، أشهد أن دمك سكن في الخلد، واقشعرت له أظلمة العرش، وبكى له جميع الخلائق، وبكت له السموات السبع والأرضون السبع، وما فيهنّ، وما بينهنّ، ومن يتقلب في الجنة والنار من خلق ربنا، وما يرى وما لا يرى...». «١» لقد انعكس الغضب الإلهي لمقتل سيد الشهداء أبي عبد الله عليه السلام في مرايا عوالم الكائنات في صور منوعة عديدة، ولقد رؤيت آيات هذا الغضب الإلهي في عالم الشهادة في السماء وفي الأرض، وفي النبات وفي الحيوان، وفي البحر وفي البرّ، وعرف بعض الناس علّة هذه الآيات في أقطار، وجهلها آخرون في أقطار أخرى.

ويمكننا أن نتابع - من خلال الآثار الروائية- آيات هذا الغضب الإلهي على

مع الركب الحسيني (ج ٥)، ص: ٢٠

النحو التالي:

الآيات السماوية ص : ٢٠

اشارة

ورد ذكر الآيات السماوية الكاشفة عن غضب الله تعالى لمقتل الإمام الحسين عليه السلام في المصادر السنية والشيعية الحديثة والتاريخية على حد سواء، ولم يتعرض لإنكارها إلا شذمة قليلون من عديمي الإيمان والمعرفة، «١» ومن الآثار الروائية والتاريخية في هذا الصدد:

معالركب الحسيني (ج ٥)، ص: ٢١

١- صرخة جبرئيل عليه السلام ص : ٢١

روى ابن قولويه بسنده، عن الحلبي، عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«إنّ الحسين لما قُتل أتاهاهم آت وهم في العسكر، فصرخ فزبر، فقال لهم: وكيف لا أصرخ ورسول الله صلى الله عليه وآله قائم ينظر إلى الأرض مرّة وإلى حزبكم مرّة، وأنا أخاف أن يدعو الله على أهل الأرض فأهلك فيهم، فقال بعض لبعض: هذا إنسان مجنون! فقال التّوابون: تا الله! ما صنعنا لأنفسنا؟! قتلنا لابن سميّة سيّد شباب أهل الجنّة!! فخرجوا على عبيد الله بن زياد، فكان من أمرهم ما كان.

قال: فقلت له: جعلت فداك! من هذا الصارخ؟

قال: ما نراه إلا جبرئيل عليه السلام، أما إنّه لو أذن له فيهم لصاح بهم صيحة يخطف به أرواحهم من أبدانهم إلى النار، ولكن أمهل لهم ليزدادوا إثمًا ولهم عذاب أليم...». «١»
معالركب الحسيني (ج ٥)، ص: ٢٢

٢- كسوف الشمس ص : ٢٢

روى الحافظ الطبراني في معجمه الكبير، قال: «حدّثنا قيس بن أبي قيس البخاري، ثنا قتيبة بن سعيد، ثنا ابن لهيعة، عن أبي قبيل «١» قال: لما قُتل الحسين بن عليّ رضي الله عنه انكسفت الشمس كسفة حتى بدت الكواكب نصف النهار حتى ظننا أنها هي!». «٢»
ورواه ابن عساكر في ترجمة الإمام الحسين عليه السلام بسنده عن أبي قبيل أيضاً. «٣»
معالركب الحسيني (ج ٥)، ص: ٢٣

٣- إسوداد السماء ص : ٢٣

روى ابن عساكر بسند عن خلف بن خليفة، «١» عن أبيه «٢» قال: «لما قُتل الحسين اسودّت السماء، وظهرت الكواكب نهاراً حتّى رأيت الجوزاء عند العصر، وسقط التراب الأحمر!». «٣»
وروى ابن أعثم الكوفي في وصف ساعة مقتل الإمام الحسين عليه السلام وسلبه يقول: «وارتفعت في ذلك الوقت غيرة شديدة سوداء مظلمة، فيها ريح أحمر، لا يرى فيها أثر عين ولا قدم، حتى ظنّ القوم أنه قد نزل بهم العذاب، فبقوا كذلك ساعة، ثمّ انجلت عنهم». «٤»

٤- إحمرار السماء ص : ٢٣

روى الشيخ المفيد (ره)، عن سعد الأسكاف «٥» قال: قال أبو جعفر عليه السلام: «كان

مع الרכب الحسينى (ج ۵)، ص: ۲۴

قاتل يحيى بن زكريا ولد زنا، وقاتل الحسين بن على عليه السلام ولد زنا، ولم تحمر السماء إلّا لهما!». (۱)

وروى ابن سعد فى طبقاته، عن على بن مدرک، عن جدّه الأسود بن قيس قال: «إحمرت آفاق السماء بعد قتل الحسين ستّة أشهر، يُرى ذلك فى آفاق السماء كأنها الدّم! قال: فحدّثت بذلك شريكاً، فقال لى: ما أنت من الأسود؟ قلت: هو جدّى أبو أمى. قال: أما واللّه إن كان لصدوق الحديث عظيم الأمانة مكرماً للضيف». (۲)

وروى ابن سعد أيضاً، عن محمّد بن سيرين قال: «لم تكن تُرى هذه الحمرة فى السماء عند طلوع الشمس وعند غروبها حتى قُتل الحسين رضى الله عنه!». (۳)

وروى أيضاً، عن عمرو بن عاصم الكلابى (۴) قال: «حدّثنا خلاد - صاحب السمس، وكان ينزل بنى جحدر - قال: حدّثنى أمى قالت: كنّا زماناً بعد قتل الحسين وإنّ الشمس تطلع محمّرة على الحيطان والجدران بالغداه والعشى. قالت:

مع الרכب الحسينى (ج ۵)، ص: ۲۵

وكانوا لا يرفعون حجراً إلّا وجدوا تحته دمًا!». (۱)

وروى ابن عساكر بأسناد عن على بن مسهر قال: «حدّثنى جدّتى قالت: كنت أيام الحسين جارية شابة، فكانت السماء أياماً علقه!». (۲) وروى الشيخ الصدوق (ره) بسنده عن جبلة المكيّة قالت: «سمعت ميثم التمار يقول: واللّه لتقتلن هذه الأُمّة ابن نبيها فى المحرم لعشر مضين منه .. يا جبلة! إذا نظرت إلى الشمس حمراء كأنها دم عبيط فاعلمى انّ سيدك الحسين قد قُتل! قالت جبلة: فخرجت ذات يوم فرأيت الشمس على الحيطان كأنها الملاحف المعصفرة! فصحت حينئذٍ وبكيت وقلت: قد واللّه قُتل سيدنا الحسين بن على عليه السلام!». (۲)

وروى ابن شهر آشوب، عن حمّاد بن زيد، عن هشام، عن محمّد بن خالد قال: «تعلّم هذه الحمرة فى الأفق ممّ هى؟ ثم قال: من يوم قُتل الحسين!». (۴)

وعن الأسود بن قيس: «لما قُتل الحسين ارتفعت حمرة من قبل المشرق، وحمرة من قبل المغرب، فكادتا تلتقيان فى كبد السماء ستّة أشهر!». (۳)

۵- بكاء السماء ص: ۲۵

إشارة

روى ابن قولويه (ره) بسنده عن كليب بن معاوية، عن الإمام أبى عبد الله

مع الרכب الحسينى (ج ۵)، ص: ۲۶

الصادق عليه السلام أنه قال: «كان قاتل يحيى بن زكريا ولد زنا، وكان قاتل الحسين عليه السلام ولد زنا، ولم تبك السماء إلّا عليهما!». (۱)

وروى أيضاً بسنده عن الحسين بن ثوير، ويونس بن ظبيان، وأبى سلمة السراج، والمفضل بن عمر، كلّهم قالوا: «سمعنا أبا عبد الله يقول:

إنّ أبا عبد الله الحسين بن على عليهما السلام لما مضى بكت عليه السماوات السبع والأرضون السبع، وما فيهنّ وما بينهنّ، ومن يتقلب عليهنّ، والجنّة والنار، وما خلق ربّنا، وما يرى وما لا يرى». (۲)

وروى أيضاً بسنده عن زرارة قال: «قال أبو عبد الله عليه السلام: يا زرارة، إنّ السماء بكت على الحسين أربعين صباحاً بالدم، وإنّ الأرض بكت أربعين صباحاً بالسواد، وإنّ الشمس بكت أربعين

صباحاً بالكسوف والحرمة، وإنَّ الجبال تقطعت وانتثرت، وإنَّ البحار تفجرت...».

معنى بكاء السماء ص : ٢٦

قال ابن حجر: «وأخرج الثعلبي أن السماء بكت وبكاؤها حمرتها!». «٤»
 وروى ابن قولويه (ره) بسنده عن عبدالله بن هلال قال: «سمعت - أبا عبدالله عليه السلام يقول: «إنَّ السماء بكت على الحسين بن عليّ، ويحيى بن زكريا، ولم تبك على معالركب الحسيني (ج ٥)، ص: ٢٧
 أحدٍ غيرهما». قلت: وما بكاؤها؟ قال: مكثت أربعين يوماً تطلع الشمس بحرمة وتغرب بحرمة! قلت: فذاك بكاؤها؟ قال: نعم...». «١»
 وينقل ابن البطريق عن صحيح مسلم في ذيل قوله تعالى: «فما بكت عليهم السماء والأرض»، «٢»
 عن السدي أنه قال: «لما قُتل الحسين بن عليّ عليهما السلام بكت السماء، وبكاؤها حمرتها». «٣»

إشارة ص : ٢٧

تحدثت روايات كثيرة عن بعض المشتركات بين شخصيته الإمام الحسين عليه السلام وما جرى عليه، وشخصية يحيى بن زكريا عليهما السلام وما جرى عليه، منها على سبيل المثال:
 - ما روى عن ابن عباس أنه قال: «أوحى الله إلى محمد صلى الله عليه وآله: إنني قتلْتُ يحيى بن زكريا سبعين ألفاً، وإنني قاتلُ بابن فاطمة سبعين ألفاً». «٤»
 - أن رأس يحيى بن زكريا عليهما السلام أُهدى إلى بغى من بغايا بني إسرائيل، كما أشار إلى ذلك مراراً الإمام الحسين عليه السلام نفسه حيث قال: «ومن هوان الدنيا على الله أن رأس يحيى بن زكريا عليه السلام أُهدى إلى بغى من بغايا بني إسرائيل!». «٥»
 معالركب الحسيني (ج ٥)، ص: ٢٨
 وكذلك فقد حُمل رأس الإمام الحسين عليه السلام إلى ابن مرجانة وإلى يزيد. «١»
 - روى ابن قولويه (ره) بسنده عن زرارة، عن عبدخالق بن عبدربه قال:
 «سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: «لم نجعل له من قبلُ سمياً» الحسين بن عليّ عليهما السلام لم يكن له من قبلُ سمياً، ويحيى بن زكريا عليهما السلام لم يكن له من قبلُ سمياً...». «٢»
 - وروى أن مده حمل زوج زكريا يحيى كانت ستاً أشهر، وكذلك كانت مده حمل مولاتنا فاطمة عليهما السلام بالإمام الحسين عليه السلام. «٣»
 - وأن قاتل يحيى عليه السلام كان ولد زنا، وكذلك كان قاتل الإمام الحسين عليه السلام. «٤»
 - وأن السماء لم تبك إلا عليهما. «٥»
 - وأن رأس يحيى عليه السلام صُلب على باب جيرون في الشام، وكذلك صُلب رأس الإمام الحسين عليه السلام في الشام في نفس المكان. «٦»
 معالركب الحسيني (ج ٥)، ص: ٢٩

٦- إمطار السماء دماً ص : ٢٩

كانت السماء بعد مقتل الإمام الحسين عليه السلام قد مطرت الناس دماً، وكانت هذه الآية السماوية الكاشفة عن غضب الله تعالى قد

شاهدها الناس، وكانت من البيئات الإلهية التي لا يمكن إنكارها، حتى احتجت بها مولانا زينب الكبرى عليها السلام على أهل الكوفة في خطبتها حين قالت: «أفعبجتم أن تمطر السماء دماً ولعذاب الآخرة أخزى وأنتم لاتنصرون.» (١)

والروايات التي تخبر عن هذه الآية السماوية مستفيضة، منها على سبيل المثال:

ما رواه الشيخ الطوسي بسنده عن عمّار بن أبي عمّار قال: «أمطرت السماء يوم قتل الحسين عليه السلام دماً عبيطاً.» (٢)

وروى ابن سعد في طبقاته، عن أمّ شوق العبدية قالت: حدثتني نضرة الأزديّة قالت: «لما قُتل الحسين بن عليّ مطرت السماء دماً، فأصبحت خيامنا وكلّ شيء منّا ملىء دماً!» (٣)

وروى البيهقي هذا أيضاً عن نضرة الأزديّة. (٤)

وروى ابن سعد، عن سليم القاص قال: «مُطرنا دماً يوم قتل الحسين.» (٥)

معالركب الحسيني (ج ٥)، ص: ٣٠

وروى ابن طلحة بسنده المتصل إلى هلال بن ذكوان قال: «لما قُتل الحسين مكثنا شهرين أو ثلاثة كأنما لطح الحيطان بالدم من صلاة الفجر الى غروب الشمس. قال: وخرجنا في سفر فمطرنا مطراً بقي أثره في ثيابنا مثل الدم!» (١)

وروى البلاذري بسنده عن أبي حصين قال: «لما قُتل الحسين مكثوا شهرين أو ثلاثة وكأنما تُلطح الحيطان بالدم من حين صلاة الغداة الى طلوع الشمس!» (٢) وروى أيضاً بسنده عن سالم القاص قال: «مُطرنا أيام قتل الحسين دماً!» (٣)

وروى القاضي نعمان المصري عن أمّ سالم قالت: «لما قُتل الحسين بن عليّ عليه السلام مطرت السماء مطراً كالدم، إحمّرت منه البيوت والحيطان، فبلغ ذلك البصرة والكوفة والشام وخراسان، حتى كُنّا لانشك أنه سينزل العذاب!» (٤)

٧- وأمطرت السماء رماداً أيضاً! ص: ٣٠

في رواية الشيخ الصدوق (ره) بسند عن المفضل بن عمر، عن الإمام الصادق، عن أبيه، عن جدّه عليهم السلام

«أنّ الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام دخل يوماً إلى الحسن عليه السلام، فلمّا نظر اليه بكى، فقال له: ما يبكيك يا أبا عبدالله؟

قال: أبكى لما يُصنع بك! فقال له الحسن عليه السلام: إنّ الذي يؤتى إلى سُمَّ يُدسُّ إلى فأقتل به، ولكن لا يوم كيومك يا ابا عبدالله! يزدلف إليك ثلاثون ألف رجل

معالركب الحسيني (ج ٥)، ص: ٣١

يدعون أنّهم من أميّة جدنا محمد صلى الله عليه وآله، وينتحلون دين الإسلام، فيجتمعون على قتلك وسفك دمك ... فعندها تحلّ ببنى أميّة اللعنة، وتمطر السماء رماداً ودماً، ويبكى عليك كلّ شيء حتى الوحوش في الفلوات والحيتان في البحار.» (١)

وروى عن علي بن عاصم، عن حصين قال: «جاءنا قتل الحسين بن عليّ فمكثنا ثلاثاً كأنّ وجوهنا طُليت رماداً! قلت: مثل من أنت يومئذ؟ قال: رجل متأهل.» (٢)

٨- بكاء الملائكة وصلاتهم على الإمام الحسين عليه السلام ص: ٣١

روى ابن قولويه (ره) بسنده الى أبان بن تغلب «قال: قال أبو عبدالله عليه السلام:

إنّ أربعة آلاف ملك هبطوا يريدون القتال مع الحسين بن عليّ عليهما السلام، لم يؤذن لهم في القتال فرجعوا في الإستيذان، فهبطوا وقد قُتل الحسين عليه السلام، فهم عند قبره شعثٌ غُبّرٌ يكونه الى يوم القيامة، رئيسهم ملك يُقال له: منصور.» (٣)

وروى أيضاً بسند الى أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام:

«قال: وكَلَّ اللهُ تعالى بالحسين عليه السلام سبعين ألف ملك، يصلون عليه كل يوم، شعناً غُبراً منذ يوم قُتل الى ما شاء الله - يعنى بذلك قيام القائم عليه السلام». (٤)
مع الركب الحسيني (ج ٥)، ص: ٣٢

٩- عجيح السموات والأرض والملائكة لمقتله عليه السلام ص: ٣٢

وروى الكليني (ره) بسنده عن كرام قال: «حلفت فيما بيني وبين نفسي أن لا آكل طعاماً بنهاراً أبداً حتى يقوم قائم آل محمد صلى الله عليه وآله، فدخلت على أبي عبد الله عليه السلام، قال: فقلت له: رجل من شيعتكم جعل لله عليه أن لا يأكل طعاماً بنهاراً أبداً حتى يقوم قائم آل محمد! قال:
فصم إذن يا كرام، ولا تصم العيدين، ولا ثلاثة أيام التشريق، ولا إذا كنت مسافراً، ولا مريضاً، فإنَّ الحسين عليه السلام لما قُتل عجت السموات والأرض ومن عليهما، والملائكة، فقالوا: يا ربنا إئذن لنا في هلاك الخلق حتى نجدهم عن جديد الأرض بما استحلوا حرمتك، وقتلوا صفوتك!
فأوحى الله إليهم: يا ملائكتي ويا سماواتي ويا أرضي، أسكنوا، ثم كشف حجاباً من الحجب، فإذا خلفه محمد صلى الله عليه وآله وإثنا عشر وصياً له عليهم السلام، وأخذ بيد فلان القائم من بينهم، فقال: يا ملائكتي، ويا سماواتي، ويا أرضي، بهذا انتصر لهذا. قالها ثلاث مرّات». (١)

الآيات الأرضية ص: ٣٢

إشارة

فضلاً عمياً تقدّم من بكاء الأرض مع السماء لمقتل سيد الشهداء عليه السلام، وأنهما لم تبكيا إلا له وليحيى بن زكريا عليه السلام، وكذلك عجيح الأرض مع السماء والملائكة لتلك الفاجعة، تحدّثنا مجموعة مستفيضة من الروايات أنه ما رفع حجر إلا ووجد تحته دم عبيط، وبعض هذه الروايات يذكر مطلق الأرض، وبعضها يذكر أرض مع الركب الحسيني (ج ٥)، ص: ٣٣
والشام، وبعض آخر يذكر أرض بيت المقدس.

روى ابن سعد عن محمد بن عمر قال: حدّثني عمر بن محمد بن محمد بن عمر بن عليّ، عن أبيه، قال: أرسل عبد الملك الى ابن رأس الجالوت، فقال: هل كان في قتل الحسين علامة؟ قال ابن رأس الجالوت: ما كُشف يومئذٍ حجر إلا وُجد تحته دم عبيط!». (١)
وروى أيضاً عن محمد بن عمر قال: حدّثني نجیح، عن رجل من آل سعيد يقول: سمعت الزهري يقول: سألتني عبد الملك بن مروان فقال: ما كان علامة مقتل الحسين؟

قال: لم تكشف يومئذٍ حجراً إلا وجدت تحته دم عبيطاً! فقال عبد الملك: أنا وأنت في هذا غريان». (٢)

أما الروايات التي اختصت بأرض بيت المقدس ...

فقد روى ابن عساكر بسنده عن أم حيان أنها قالت: «ولم يُقلب حجراً بيت المقدس إلا أصبح تحته دم عبيط!». (٣)

مع الركب الحسيني (ج ٥)، ص: ٣٤

وروى الخوارزمي عن حماد بن زيد (١) قال: «أول ما عُرف الزهري أن تكلم في مجلس الوليد بن عبد الملك، قال الوليد: أيكم يعلم ما فعلت أحجار بيت المقدس يوم قُتل الحسين؟ فقال الزهري: بلغني أنه لم يُقلب حجراً إلا وُجد تحته دم عبيط!». (٢)

وروى الشيخ الصدوق بسنده عن فاطمة بنت عليّ عليهما السلام أنها قالت: «ثم إن يزيد

مع الركب الحسيني (ج ٥)، ص: ٣٥

لعنه الله أمر بنساء الحسين عليه السلام فحبسن مع عليّ بن الحسين عليه السلام في محبس لا يكفهم من حرّ ولا قُرّ، حتّى تقشّرت وجوههم، ولم يُرفع بيت المقدس حجر عن وجه الأرض إلّا وجد تحته دم عبيط! وأبصر الناس الشمس على الحيطان حمراء كأنها الملاحف المعصفرة! إلى أن خرج عليّ بن الحسين عليه السلام بالنسوة وردّ رأس الحسين إلى كربلاء». (١)

أمّا الروايات التي تذكر أرض الشام، فقد روى الطبراني بسند عن ابن شهاب قال: «ما رُفِعَ بالشام حجر يوم قُتل الحسين بن عليّ إلّا عن دم!! رضى الله عنه». (٢)

إشارة ص : ٣٥

روى ابن قولويه في كامل الزيارات بسنده عن الحسين بن ثوير، ويونس بن ظبيان، وأبي سلمة السّراج، والمفضّل بن عمر، «قالوا: سمعنا أبا عبد الله عليه السلام يقول:

لَمَّا مضى الحسين بن عليّ عليهما السلام بكى عليه جميع ما خلق الله إلّا ثلاثة أشياء: البصرة، ودمشق، وآل عثمان!»، (٣) وفي بعض الروايات: «وبنو أمية!». (٤)

أمّا استثناء بنى أمية من البكاء على الإمام الحسين عليه السلام فلعلّه واضحه، وهى أنّهم أعداء الله ورسوله وأهل البيت عليهم السلام وأعداء الإسلام، وهم الذين سفكوا دم الإمام عليه السلام، ولقد اشتفوا بقتله، هذا ابن زياد يخاطب زينب عليهما السلام قائلاً: «لقد شفى الله نفسى من طاغيتك والعصاة من أهل بيتك!». (٥)

مع الركب الحسيني (ج ٥)، ص: ٣٦

وهذا يزيد يصرّح بكفره وتشفيه بمقتل الإمام الحسين عليه السلام حيث أنشد متمثلاً بأبيات ابن الزبيرى:

ليت أشياخى بيدرٍ شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل

لأهلوا واستهلوا فرحاً ثمّ قالوا يا يزيد لا تُشَلْ

قد قتلنا القرم من ساداتهم وعدلناه بيدرٍ فاعتدل

لعبت هاشم بالملك فلا خبرٌ جاء ولا وحيٌّ نزل

لست من خندف إن لم أنتقم من بنى أحمد ما كان فعل (١)

ويقول:

لَمَّا بدت تلك الحمول واشرقت تلك الرؤوس على شفا جيرون

نعب الغراب فقلت قلّ أولاً تقل فقد اقتضيت من الرسول ديونى (٢)

فهذا وذاك وغيرهما كثير ممّا يكشف عن مدى حقد هذه الشجرة الملعونة على أهل البيت عليهم السلام وفرحتهم بمقاتلتهم.

وأمّا دمشق فلولا أنها لبنى أمية، إذ كفى أهلها عاراً وشناراً أنّهم أوقفوا بقية الركب الحسيني عند باب الساعات، وقد خرجوا إليهم بالدفوف والمزامير والبوقات، فى حال من الفرح والسرور والإبتهاج بمقتل ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته وأصحابه. وأمّا البصرة آنذاك فإنّ أغلب أهلها عثمانيو الرأى والهوى، فلا عجب أن تستثنى البصرة آنذاك من بقية بقاع الأرض التى بكت على

الإمام الحسين عليه السلام. (٣)

مع الركب الحسيني (ج ٥)، ص: ٣٧

نوح الجن ص : ٣٧

هناك مجموعته من الروايات التي تحدّث عن نوح الجنّ لمقتل سيّد الشهداء عليه السلام نذكر منها على سبيل المثال: روى الشيخ ابن قولويه (ره) بسندٍ عن أمّ سلمة (رض) زوجة النبيّ صلى الله عليه وآله أنها قالت: «ما سمعت نوح الجنّ منذ قبض الله نبيّه إلّا الليلة، ولا ارانى إلّا وقد أصبت بابنى الحسين. قالت: وجاءت الجتيّة منهم وهي تقول:

أيا عيناى فانهملا بجهدٍ فمن يبكى على الشهداء بعدى

على رهطٍ تقودهم المنايا إلى متجبرٍ من نسلِ عبدٍ» (١)

وروى (ره) أيضاً بسندٍ عن عبدالله بن حسان الكنانى قال:

«بكت الجنّ على الحسين بن عليّ عليهما السلام فقالت:

ماذا تقولون إذ قال النبيّ لكم ماذا فعلتم وأنتم آخرُ الأمم

بأهل بيتى وإخوانى ومكرمتى من بين أسرى وقتلى ضُرّجوا بدم» (٢)

وروى (ره) أيضاً بسندٍ عن داود الرقى قال: «حدّثنى جدّتى أنّ الجنّ لما قُتل الحسين عليه السلام بكت عليه بهذه الأبيات:

يا عينُ جودى بالعبرِ وابكى فقد حقّ الخبرُ

إبكى ابن فاطمة الذى ورد الفرات فما صدرُ

الجنُّ تبكى شجوها لما أتى منه الخبرُ

قُتل الحسينُ ورهطه تعساً لذلك من خبر

فلأبكيّتك حرقة عند العشاء وبالسحرُ

ولأبكيّتك ما جرى عرقٌ وما حمل الشجرُ». (١)

الطيور: ص: ٣٧

روى الخوارزمى بسند متصل إلى المفضل بن عمر الجعفى قال: «سمعتُ جعفر بن محمّد عليهما السلام يقول:

حدّثنى أبى محمد بن عليّ عليهما السلام، حدّثنى أبى عليّ بن الحسين عليهما السلام قال: لما قُتل الحسين جاء غراب فوق فى دمه،

ثمّ تمرّغ، ثمّ طار فوق وقع بالمدينة على جدار فاطمة بنت الحسين وهي الصغرى، فرفعت رأسها إليه فنظرتة فبكت ...». (٢)

وينقل العلّامة المجلسى (ره) عن (بعض مؤلّفات أصحابنا) أنه روى من طريق أهل البيت عليهما السلام أنه:

«لما استشهد الحسين عليه السلام بقى فى كربلاء صريعاً، ودمه على الأرض مسفوحاً، وإذا بطائر أبيض قد أتى وتمسّح بدمه، وجاء

والدم يقطر منه، فرأى طيوراً تحت الظلال على الغصون والأشجار، وكلُّ منهم يذكر الحبّ والعلف والماء،

مع الركب الحسينى (ج ٥)، ص: ٣٩

فقال لهم ذلك الطير المتلطّخ بالدم: يا ويلكم أتشتغلون بالملاهى وذكر الدنيا والمناهى، والحسين فى أرض كربلاء فى هذا الحرّ

ملقى على الرضاء ظامىء مذبوح ودمه مسفوح، فعادت الطيور كلُّ منهم قاصداً كربلاء، فأوا سيّدنا الحسين ملقى فى الأرض جثّة بلا

رأس، ولا- غسل ولا- كفن، قد سفت عليه السوفى وبدنه مرضوض قد هشمته الخيل بحوافرها، زوّاره وحوش القفار، وندبته جنّ

السهول والأوعار، قد أضاء التراب من أنواره، وأزهر الجوّ من إزهاره.

فلما رأتها الطيور تصايحن وأعلن بالبكاء والثبور، وتواقعن على دمه يتمرّغن فيه، وطار كلُّ واحدٍ منهم إلى ناحية يُعلم أهلها عن قتل

أبى عبدالله الحسين عليه السلام ...». (١)

وروى الخوارزمى بسنده عن المشطاح الوراق قال: «سمعتُ الفتح بن سحرف (٢) العابد يقول: كنتُ أفْتُ الحبّ للعصافير كلّ يوم

فكانت تأكل، فلما كان يوم عاشوراء فتت لها فلم تأكل، فعلمت أنها امتنعت لقتل الحسين بن عليّ عليهما السلام!.. «٣»
مع الركب الحسيني (ج ٥)، ص: ٤٠

تحوّل الورس رماداً! وامتلاء اللحم ناراً ومرارة! ص : ٤٠

روى ابن شهر آشوب عن أحاديث ابن الحاشر قال: «كان عندنا رجل فخرج على الحسين، ثم جاء بجمل وزعفران، فكلّمنا دقوا الزعفران صار ناراً، فلطخت إمرأته على يديها فصارت برصاء. وقال: ونحر البعير فكلّمنا جزوا بالسكين صار مكانها ناراً! قال: فقطعوه فخرج منه النار! قال: فطبخوه ففارت القدر ناراً!.. «١»

وروى ابن عساكر بسنده عن أبي حميد الطحان قال: «كنت في خزاعة فجاؤا بشيء من تركة الحسين، فقليل لهم: نحر أو نبيع فنقسم؟ قالوا: انحروا. قال: فنحر، فجعل على جفنه، فلما وضعت فارت ناراً!.. «٢»
وعنه أيضاً، بإسناده عن حماد بن زيد: حدّثني جميل بن مزة قال: أصابوا إبلنا في عسكر الحسين يوم قتل، فطبخوا منها، فصارت كالعلقم!.. «٣»

ونقل الذهبي، عن يحيى بن معين: حدّثنا جرير، عن يزيد بن أبي زياد «٤» قال:
قتل الحسين ولي أربع عشرة سنة، وصار الورس الذي كان في عسكرهم رماداً! واحمّرت آفاق السماء! ونحروا ناقه في عسكرهم فكانوا يرون في لحمها
مع الركب الحسيني (ج ٥)، ص: ٤١
النيران!.. «١»

وروى سبط ابن الجوزي بسند إلى مروان بن الوصين قال: «نحرت الإبل التي حُمل عليها رأس الحسين وأصحابه، فلم يستطيعوا أكل لحومها، كانت أمرّ من الصبر!.. «٢»
وروى الطبراني بسنده عن ذويد الجعفي، عن أبيه قال: «لما قتل الحسين انتهب جزور من عسكره، فلما طبخت إذا هي دم! فأكفوها».
«٣»

وقال ابن حجر: «وأخرج أبو الشيخ أنّ الورس الذي كان في عسكرهم تحوّل رماداً، وكان في قافلة من اليمن تريد العراق فوافتهم حين قتله!.. «٤»

آثار الحزن في العوسجة المباركة! ص : ٤١

روى الزمخشري، عن هند بنت الجون أنه: نزل رسول الله صلى الله عليه وآله خيمة خالتي أمّ معبد، «٥» فقام من رقدته ودعا بماء فغسل يديه ثم تمضمض ومجّ في عوسجة إلى جانب الخيمة، فأصبحنا وهي كأعظم دوحه! وجاءت بثمر كأعظم ما يكون في لون الورس ورائحة العنبر وطعم الشهد! ما أكل منها جاع إلّا شبع، ولا ظمآن إلّا روى، ولا سقيم إلّا برىء! ولا أكل من ورقها بعير إلّا سمن، ولا شاة إلّا درّ لبنها،

مع الركب الحسيني (ج ٥)، ص: ٤٢

فكنا نسميها المباركة!

ويتنابنا من البوادي، من يستشفى بها ويتزوّد بها، حتّى أصبحنا ذات يوم وقد تساقط ثمرها واصفّر ورقها! ففزعنا فما راعنا إلّا نعي رسول الله، ثمّ إنها بعد ثلاثين سنة أصبحت ذات شوكة من أسفلها إلى أعلاها، وتساقط ثمرها وذابت نضرتها! فما شعرنا إلّا بمقتل أمير المؤمنين عليّ، فما أثمرت بعد ذلك، فكنا نتنفع بورقها، ثمّ أصبحنا وإذا بها قد نبع من ساقها دم عبيط! وقد ذبل ورقها! فبينما نحن

فزعين إذ أتانا خبر مقتل الحسين، ويست الشجرة على أثر ذلك وذهبت!». «١»

مع الركب الحسينى (ج ٥)، ص: ٤٣

المقصد الأول

الفصل الثانى: الوقائع المتأخرة عن قتل الامام الحسين عليه السلام ص : ٤٣

صُور من عواقب قتلته وأعدائه عليه السلام ص : ٤٣

إشارة

لاشكَّ في أن كلَّ من اشترك في قتل سيّد شباب أهل الجنّة وسلبه ونهبه ابتلى ببليّة في دار الدنيا قبل الآخرة. روى الخوارزمى في المقتل، عن مينا أنّه قال: «ما بقى من قتلّه الحسين أحدٌ لم يُقتل إلّا رُمى ببلاء في جسده قبل أن يموت». «١» ونقل سبط ابن الجوزى عن الزهرى أنه قال: «ما بقى منهم أحدٌ إلّا وعوقب في الدنيا، إمّا بالقتل، أو العمى، أو سواد الوجه، أو زوال الملك في مدّة يسيرة». «٢»

مسير عبيد الله بن زياد لعنه الله ص : ٤٣

قُتل عبيدالله بن زياد (ل) على يد إبراهيم بن مالك الأشتر (ره) في وقعة الخازر حيث التقاه في ميدان المعركة فضربه ضرباً بالسيف شرقت منها يده، وغرّبت رجلاه، وكان ذلك في الليل، فلما تأكّدوا منه وجدوا أنه عبيدالله بن زياد نفسه، مع الركب الحسينى (ج ٥)، ص: ٤٦

فاجتزّوا رأسه، وقال إبراهيم بن مالك: الحمد لله الذى أجرى قتله على يدي. «١»

وبعث إبراهيم بن مالك (ره) برأس عبيدالله بن زياد لعنه الله، ورؤوس الرؤساء من أهل الشام وفي آذانهم رقاع أسمائهم، فقدموا على المختار وهو يتغدى، فحمد الله تعالى على الظفر، فلما فرغ من الغداء قام فوطأ وجه ابن زياد بنعله، ثم رمى بها إلى غلامه وقال: أغسلها فإنّي وضعتها على وجه نجس كافر. «٢»

وروى الخوارزمى بسنده عن عمارة بن عمير قال: «لَمَّا جِئَءَ بِرَأْسِ عَبِيدِ اللَّهِ ابْنِ زِيَادٍ إِلَى الْمَخْتَارِ مَعَ رُؤُوسِ أَصْحَابِهِ، نَضَّدتْ فِي الْمَسْجِدِ فِي الرَّحْبَةِ، فَانْتَهَيْتْ إِلَى النَّاسِ وَهَمَّ يَقُولُونَ: قَدْ جَاءتْ! قَدْ جَاءتْ! قَدْ جَاءتْ! فَلَمْ أَدْرَ؟ فَإِذَا حَيَّةٌ قَدْ جَاءتْ فَتَخَلَّلَتِ الرَّؤُوسَ حَتَّى دَخَلتْ فِي مَنْخَرِ عَبِيدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ! فَمَكَّنَتْ هَيْئَتَهُ، ثُمَّ خَرَجَتْ فَذَهَبَتْ حَتَّى تَغَيَّبَتْ، ثُمَّ قَالُوا: قَدْ جَاءتْ! قَدْ جَاءتْ! فَفَعَلْتُ ذَلِكَ أَمَامِي مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا!

قال أبو عيسى الترمذى: هذا حديث صحيح. «٣»

«قال أبو عمر البرّاز: كنتُ مع إبراهيم بن مالك الأشتر لَمَّا لَقِيَ عَبِيدَ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ - لعنه الله - بالخازر، فعددنا القتلى بالقصب لكثرتهم، قيل: كانوا سبعين ألفاً، وصلب إبراهيم ابن زياد منكساً، فكأنتى أنظر إلى خصيه كأنهما جعلان!». «٤»

مع الركب الحسينى (ج ٥)، ص: ٤٧

مسير عمر بن سعد لعنه الله ص : ٤٧

كانت الندامة والحسرة قد أكلت قلب عمر بن سعد لعنه الله، لأنّه لم ينل من ابن زياد ما كان يؤمله من مناصب الدنيا وأطماعها،

وخرج من مجلس ابن زياد يريد منزله إلى أهله «وهو يقول في طريقه: ما رجعت أحداً مثل ما رجعت! أظعتُ الفاسق ابن زياد الظالم ابن الفاجر! وعصيتُ الحاكم العدل! وقطعتُ القرابة الشريفة! وهجره الناس، وكان كلُّ ما مرَّ على ملاء من الناس أعرضوا عنه، وكلُّ ما دخل المسجد خرج النَّاس منه، وكلُّ من رآه قد سبه! فلزم بيته إلى أن قُتل!». (١)

وكان المختار (ره) قد أعطى عمر بن سعد الأمان بشرط ألا يُحدث حدثاً، (٢) ولمَّا علم عمر بقول المختار فيه عزم على الخروج من الكوفة، فأحضر رجلاً اسمه مالك بن دومة وكان شجاعاً، وأعطاه أربعمئة دينار نفقةً لحوائجها، وخرجا من الكوفة، فلمَّا كانا عند حَمَام عمر أو نهر عبدالرحمن أطلع عمر صاحبه على نيته في الهرب خوفاً من المختار، لكنَّ صاحبه أفضحه بأنَّ المختار أعجز من أن ينال عمر بسوء، وأوحى إليه أنه أعزَّ العرب! فاغترَّ بكلامه فرجعا إلى الكوفة، ولمَّا علم المختار بخروجه من الكوفة قال: اللَّهُ أكبر! وفينا له وغدر! وفي عنقه سلسلة لو جهد أن ينطلق لما استطاع!

مع الركب الحسيني (ج ٥)، ص: ٤٨

وأرسل عمر ابنه إلى المختار فقال له: أين أبوك؟ قال: في المنزل- ولم يكونا يجتمعان عند المختار، وإذا حضر أحدهما غاب الآخر خوفاً أن يجتمعا فيقتلها- فقال حفص: أبي يقول: أتفى لنا بالأمان؟

قال: أجلس! وطلب المختار أبا عمر- وهو كيسان التمار- فأسرَّ إليه أن اقتل عمر بن سعد، وإذا دخلت عليه وسمعتة يقول: يا غلام! عليّ بطيلسانى، فاعلم أنه يريد السيف، فبادره واقتله!

فلم يلبث أن جاء ومعه رأسه!

فقال حفص: إنَّا لله وإنا إليه راجعون. فقال له: أتعرف هذا الرأس؟ قال: نعم، ولاخير في العيش بعده! فقال: إنك لاتعيش بعده! وأمر بقتله.

وقال المختار: عمر بالحسين عليه السلام، وحفص بعلي بن الحسين عليه السلام، ولاسواء، والله لاقتلن سبعين ألفاً كما قتل يحيى بن زكريا عليهم السلام.

وقيل: إنَّه قال: لو قتلت ثلاثة أرباع قريش لما وفوا بأنملة من أنامل الحسين عليه السلام. (١)

مصير شمر بن ذي الجوشن لعنه الله ص : ٤٨

قال مسلم بن عبدالله الضبائي: «كنتُ مع شمر حين هَزَمْنَا المختار، فدنا مِنَّا العبد، (٢) فقال شمر: أركضوا وتباعدوا لعلَّ العبد يطمئع في! فأمعنا في التباعد عنه،

مع الركب الحسيني (ج ٥)، ص: ٤٩

حتى لحقه العبد فحمل عليه شمر فقتله، ومشى فنزل في جانب قريةٍ إسمها الكلتائية (١) على شاطئ نهر إلى جانب تلٍّ، ثم أخذ من القرية عُلجاً فضربه، ودفع إليه كتاباً، وقال: عجل به إلى مصعب بن الزبير .. فمشى العُلج حتى دخل قريةٍ فيها أبو عمره بعثه المختار إليها في أمرٍ ومعه خمسمائة فارس، فأقرأ الكتاب رجلاً من أصحابه، وقرأ عنوانه، فسأل عن شمر وأين هو؟ فأخبره أن بينهم وبينه ثلاثة فراسخ .. قال مسلم بن عبدالله: قلت لشمر: لو ارتحلت من هذا المكان فإننا نتخوف عليك! قال: ويلكم أكلُّ هذا الجزع من الكذاب؟! -والله- لايرحت فيه ثلاثة أيام! فبينما نحن في أول النوم إذ أشرفت علينا الخيل من التلِّ وأحاطوا بنا، وهو عريان مُترَّر بمنديل، فانهزما وتركاناه!

فأخذ سيفه ودنا منهم .. فلم يك بأسرع أن سمعنا: قُتل الخيِّث! قتله أبو عمره، وقتل أصحابه.

ثم جيء بالرووس إلى المختار، فخزَّ ساجداً، ونُصبت الرووس في رحبة الحدائين، حذاء الجامع. (٢)

مصير سنان بن أنس لعنه الله ص : ٤٩

«وهرب سنان بن أنس لعنه الله إلى البصرة فهدم داره، ثم خرج من البصرة نحو القادسيه، وكان عليه عيون، فأخبروا المختار، فأخذه بين العذيب والقادسيه، فقطع أنامله ثم يديه ورجليه، وأغلى زيتاً في قدر وألقاه فيه». «٣»
معالركب الحسينى (ج ٥)، ص: ٥٠

مصير خولى بن يزيد الأصبحى لعنه الله ص : ٥٠

«ثم بعث أبا عمره، فأحاط بدار خولى بن يزيد الأصبحى، وهو حامل رأس الحسين عليه السلام إلى عبيدالله بن زياد، فخرجت امرأته إليهم وهى النوار ابنة مالك - كما ذكر الطبرى فى تاريخه - وقيل: إسمها العيوف، وكانت محبة لأهل البيت عليهم السلام، قالت: لا أدرى أين هو؟! وأشارت بيدها إلى بيت الخلاء! فوجدوه وعلى رأسه قوصرة، «١» فأخذوه وقتلوه، ثم أمر بحرقه». «٢»

مصير حكيم بن الطفيل السنبسى لعنه الله ص : ٥٠

«ثم بعث عبدالله بن كامل إلى حكيم بن الطفيل السنبسى، وكان قد أخذ سلب العباس ورماه بسهم، فأخذوه قبل وصوله إلى المختار، ونصبوه هدفاً، ورموه بالسهام». «٣»

مصير حرمله بن كاهل لعنه الله ص : ٥٠

«حدّث المنهال بن عمرو قال: دخلت على زين العابدين عليه السلام أودّعه وأنا أريد الإنصراف من مكّة، فقال: يا منهال! ما فعل حرمله بن كاهل؟! وكان معى بشر بن غالب، فقلت: هو حتّى بالكوفة! فرفع يديه وقال: أللهم أذقه حرّ الحديد، أللهم أذقه حرّ النار! قال المنهال: وقدمت إلى الكوفة والمختار بها فركبت إليه، فلقيته خارجاً من داره، فقال: يا منهال! ألم تشركننا فى ولايتنا هذه؟ فعرفته أتى كنت بمكّة، فمشى حتّى أتى الكناس، ووقف كأنه ينتظر شيئاً! فلم يلبث أن جاء قوم فقالوا: أبشر أيها معالركب الحسينى (ج ٥)، ص: ٥١
الأمير فقد أخذ حرمله! فجىء به فقال: لعنك الله، الحمد لله الذى أمكننى منك! الجزار، الجزار! فأتى بجزار فأمره بقطع يديه ورجليه، ثم قال: النار النار! فأتى بنار وقصب فأحرق ..». «١»

مصير بجدل بن سليم لعنه الله ص : ٥١

«وكان ممن سلبوا الإمام عليه السلام، وكانوا قد أتوا المختار به «وعرّفوه أنه أخذ خاتمه وقطع إصبغه! فأمر بقطع يديه ورجليه، فلم يزل ينزف حتّى مات». «٢»

مصير الذين وطأوا جسد الإمام عليه السلام بالخيال ص : ٥١

«قال موسى بن عامر: فأول من بدأه «٣» الذين وطأوا الحسين عليه السلام بخيالهم، وأنامهم على ظهورهم، وضرب سكك الحديد فى أيديهم وأرجلهم، وأجرى الخيل عليهم حتّى قطعتهم، وحرّقهم بالنار، ثم أخذ رجلين أشركا فى دم عبدالرحمن بن عقييل بن أبى طالب وفى سلبه، كانا فى الجبانه، فضرب أعناقهما، ثم أحرقهما بالنار، ثم أحضر مالك بن بشير «٤» فقتله فى السوق». «٥»

مصير عمرو بن صبيح الصيداوى لعنه الله ص : ٥١

«وطلب عمرو بن صبيح الصيداوى «٦» فأتوه وهو على سطحه بعدما هدأت

مع الركب الحسينى (ج ٥)، ص: ٥٢

العيون، وسيفه تحت رأسه، فأخذوه وسيفه، فقال: قبحك الله من سيف! ما أبعدك على قربك! فجيء به الى المختار، فلمّا كان من الغداة طعنوه بالرمح حتّى مات.. «١»

مصير زيد بن رقاد الجهنى لعنه الله ص : ٥٢

«وأحضر زيد بن رقاد فرماه بالنبل والحجارة وأحرقه.. «٢»

مصير أبجر بن كعب لعنه الله ص : ٥٢

قال الخوارزمى: «وقال عبيدالله بن عمّار: رأيت على الحسين سراويل تلمع ساعة قُتل، فجاء أبجر بن كعب فسلبه وتركه مجرداً! وذكر محمّد بن عبدالرحمن:

أنّ يدى أبجر بن كعب كانتا تنضحان الدم فى الشتاء وتيسان فى الصيف كأنهما عود!.. «٣»

ويروى الخوارزمى أيضاً عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «وجد فيه «٤» ثلاث وثلاثون طعنة، وأربع وثلاثون ضربة، وأخذ سراويله بحير بن عمرو الجرمى فصار

مع الركب الحسينى (ج ٥)، ص: ٥٣

زمناً مقعداً من رجله، وأخذ عمّامته جابر بن يزيد الأزدي فاعتمّ بها فصار مجذوماً، وأخذ مالك بن نسر الكندى درعه فصار معتوهاً .. «١»

مصير أحد سالى الإمام عليه السلام ص : ٥٣

«ورئى رجل بلا يدين ولا رجلين وهو أعمى، يقول: ربّ نجنى من النّار! فقيل له: لم تبق عليك عقوبة وأنت تسأل النجاء من النار؟ قال: إني كنت فى من قاتل الحسين بن علىّ فى كربلاء، فلمّا قُتل رأيتُ عليه سراويل وتكّة حسنة، وذلك بعدما سلبه الناس، فأردت أن أنتزع التّكّة، فرفع يده اليمنى ووضعها على التّكّة، فلم أقدر على دفعها فقطعت يمينه! ثم أردت انتزاع التّكّة، فرفع شماله ووضعها على التّكّة، فلم أقدر على دفعها فقطعت شماله، ثم هممتُ بنزع السراويل! فسمعت زلزلة فخفت وتركته، فألقى الله علىّ النوم، فنمت بين القتلى، فرأيتُ كأنّ النبىّ محمّداً صلى الله عليه و آله أقبل ومعه علىّ وفاطمة والحسن عليهم السلام، فأخذوا رأس الحسين، فقبلته فاطمة وقالت: يا بنىّ قتلوك! قتلهم الله. وكأنّه يقول: ذبحنى شمر، وقطع يدى هذا النائم! وأشار إلىّ.

فقال فاطمة: قطع الله يديك ورجليك وأعمى بصرك وأدخلك النار، فانتبهت وأنا لا أبصر شيئاً، ثم سقطت يداى ورجلاى منى! فلم يبق من دعائها إلّا النار!.. «٢»

مع الركب الحسينى (ج ٥)، ص: ٥٤

وروى الخوارزمى عن أبى عبدالله غلام الخليل قال: «حدّثنا يعقوب بن سليمان قال: كنتُ فى ضيعتى فصلينا العتمة، وجعلنا نتذاكر قتل الحسين عليه السلام، فقال رجل من القوم: ما أعان أحدٌ عليه إلّا أصابه بلاءٌ قبل أن يموت. فقال شيخ كبير من القوم: أنا ممّن شهدها، وما أصابنى أمرٌ كرهته إلى ساعتى هذه!

وخبا السراج، فقام ليصلحه فأخذته النار! وخرج مبادراً إلى الفرات وألقى نفسه فيه، واشتعل وصار فحمة!.. «١»

مع الركب الحسينى (ج ٥)، ص: ٥٥

نهب المخيم الحسينى ص : ٥٥

لم يكتف جلاوزة بنى أمية، أعداء الله ورسوله صلى الله عليه و آله، بعد قتل الإمام عليه السلام بسلبه ورضّ جسده الطاهر بحوافر الخيل، بل جاوزوا المدى فعدوا على المخيم لنهب ما فيه، ولهتك ستر حُرّم رسول الله صلى الله عليه و آله بسلب ما عليهن من حلّى و حجاب بصورة فجيعه يندى لها جبين كلّ أبى غيور! وما أحسن ما قال اليافعى: «لَمَّا قُتِلَ السَّادَةُ الْأَخْيَارُ مَالُ الْفَجْرَةِ الْأَشْرَارِ إِلَى خِيَامِ الْحَرِيمِ الْمَصُونَةِ وَهَتَكُوا الْأَسْتَارَ!». (١)

وقال الدينورى: «ثمّ مال الناس على ذلك الورس الذى كان أخذه من العير، وإلى ما فى المضارب فانتهبوه!». (٢)
وروى الطبرى عن أبى مخنف قائلاً «ومال الناس على نساء الحسين وثقله ومتاعه، فإنّ كانت المرأة لتنازع ثوبها عن ظهرها حتى تُغلب عليه فيذهب به منها!». (٣)

ويقول السيد ابن طاووس (ره): «وتسابق القوم على نهب بيوت آل الرسول وقرة عين الزهراء البتول، حتى جعلوا ينتزعون ملحفة المرأة عن ظهرها، وخرجن بنات رسول الله صلى الله عليه و آله و حريمه يتساعدن على البكاء ويندبن لفراق الحماء والأحباء». (٤)
وكان نهب المخيم بأمر مباشر من عمر بن سعد! قال الاسفرايينى: «قال (أى

معالركب الحسينى (ج ٥)، ص: ٥٦

عمر بن سعد): دونكم الخيام انهبوها! فدخلوا وجعلوا يسلبون ما على الحريم والأطفال من اللباس! ثمّ قطعوا الخيام بالسيف، فخرجت أمّ كلثوم وقالت:

يا ابن سعد! الله يحكم بيننا وبينك، ويحرمك شفاعه جدنا ولا يسقيك من حوضه كما فعلت بنا وأمرت بقتال سبط الرسول، ولم ترحم صبيانه، ولم تشفق على نسائه! فلم يلتفت إليها!». (١)

وكان المبادر لتنفيذ هذا العمل المخزى شمر بن ذى الجوشن! يقول حسام الدين فى الحدائق الوردية: «وأقبل شمر بن ذى الجوشن إلى الخيام وأمر بسلب كلّ ما مع النساء، فأخذوا كلّ ما فى الخيمة، حتى أخذوا قرطاً فى أذن أمّ كلثوم وخرموا أذنها، وفرغ القوم من القسمه، وضربوا فيها النار!». (٢)

وروى الشيخ الصدوق (ره) بسند عن عبدالله بن الحسن عليهما السلام، عن أمه فاطمة (٣)

معالركب الحسينى (ج ٥)، ص: ٥٧

بنت الحسين عليهما السلام قالت: «دخلت الغاغة علينا الفسطاط وأنا جارية صغيرة، وفى رجلى خلخالان من ذهب، فجعل رجل يفضّ الخلخالين من رجلى وهو يبكى! فقلت: ما يبكيك يا عدوّ الله؟! فقال: كيف لا أبكى وأنا أسلب ابنه رسول الله!
فقلت: لا تسلبنى. قال: أخاف أن يجيىء غيرى فيأخذه!

معالركب الحسينى (ج ٥)، ص: ٥٨

قالت: وانتهبوا ما فى الأبنية حتى كانوا ينتزعون الملاحف عن ظهورنا!». (١)

وقال ابن نما (ره): «ثمّ اشتغلوا بنهب عيال الحسين ونسائه، حتى تسلب المرأة مقنعتها من رأسها، أو خاتمها من أصبعها، أو قرطها من أذنها، وحجلها من رجلها، وجاء رجل من سنسب (٢) إلى ابنة الحسين عليه السلام وانتزع ملحفتها من رأسها، وبقين عرايا تراوحهنّ رياح النوائب وتعبث بهنّ أكف، قد غشيهنّ القدر النازل، وساورهنّ الخطب الهائل ...». (٣)

معالركب الحسينى (ج ٥)، ص: ٥٩

روى ابن شهر آشوب عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال:

«إنَّ المحرَّم شهر كان أهل الجاهلية يحرمون القتال فيه، فاستحلت فيه دماؤنا! وهتك في حُرمتنا! وسبى فيه ذرارينا ونساؤنا! وأضرمت النيران في مضاربنا! وانتهب ما فيها من ثقلنا!». (١)

مع الركب الحسيني (ج ٥)، ص: ٦٠

محاولة قتل الإمام زين العابدين عليه السلام! ص : ٦٠

لاشكَّ في أنَّ الإمام زين العابدين وسيّد الساجدين عليّ بن الحسين عليهما السلام كان حاضراً في كربلاء مع أبيه عليه السلام وكان مريضاً، وهذا ممّا تسالم عليه التاريخ، وكان شمر بن ذى الجوشن قد سعى بعد قتل الإمام الحسين عليه السلام الى قتل البقية الباقية من ذرية الحسين عليه السلام متمثلةً بابنه الإمام زين العابدين عليه السلام، وكان ذلك بأمر صادر عن ابن زياد لعنه الله كما صرح شمر نفسه بهذا. (١)

قال الشيخ المفيد (ره) في كتابه الإرشاد: «قال حميد بن مسلم: فوالله لقد كنتُ أرى المرأة من نساءه وبناته وأهله تنازع ثوبها عن ظهرها حتى تغلب عليه فيذهب به منها، ثم انتهينا إلى عليّ بن الحسين عليه السلام وهو منبسط على فراش وهو شديد المرض، ومع شمر جماعة من الرجال فقالوا له: ألا نقتل هذا العليل؟ فقلت: سبحان الله! أيقتل الصبيان؟ إنّما هو صبيّ وإنه لما به! فلم أزل حتى رددتهم عنه. وجاء عمر بن سعد فصاح النساء في وجهه وبكين، فقال لأصحابه: لا يدخل أحدٌ منكم بيوت هؤلاء النسوة، ولا تعرضوا لهذا الغلام المريض.

وسألته النسوة ليسترجع ما أخذ منهنّ ليتسرن به فقال: من أخذ من متاعهنّ شيئاً فليردّه عليهن! فوالله ما ردّ أحدٌ منهم شيئاً، فوكلّ بالفسطاط وبيوت النساء، وعليّ بن الحسين، جماعة ممّن كانوا معه وقال: إحفظوهم لئلا يخرج منهم أحد، ولا تُسيئن إليهم!». (٢)

مع الركب الحسيني (ج ٥)، ص: ٦١

وروى ابن سعد في طبقاته قائلاً: «وكان عليّ بن الحسين الأصغر مريضاً نائماً على فراش، فقال شمر بن ذى الجوشن الملعون: أقتلوا هذا! فقال له رجل من أصحابه: سبحان الله! أتقتل فتىً حدثاً مريضاً لم يقاتل؟! وجاء عمر بن سعد فقال: لا تعرضوا لهؤلاء النسوة ولا لهذا المريض!». (١)

وذكر القرمانى في كتابه أخبار الدول قائلاً: «وهم شمر الملعون - عليه ما يستحقّ من الله - بقتل عليّ الأصغر ابن الحسين وهو مريض، فخرجت إليه زينب بنت عليّ وقالت: والله لا يُقتل حتى أقتل!». (٢)

وفى روضة الصفا: «فلما وصل شمر - لعنه الله - إلى الخيمة التي كان عليّ بن الحسين عليهما السلام فيها مُتكنّاً سلّ سيفه ليقتله، قال حميد بن مسلم: سبحان الله! أيقتل هذا المريض؟! لا تقتله!

وقال بعضهم: إنّ عمر بن سعد أخذ بيديه وقال: أما تستحيى من الله تريد أن تقتل هذا الغلام المريض؟! قال شمر: قد صدر أمر الأمير عبيد الله أن أقتل جميع أولاد الحسين. فبالغ عمر في منعه حتى كفّ عنه، فأمر بإحراق خيام أهل بيت المصطفى!». (٣)

وفى تذكرة الخواص، عن الواقدي قال: «وإنما استبقوا عليّ بن الحسين لأنه لما قُتل أبوه كان مريضاً، فمرّ به شمر فقال: اقتلوه! ثم جاء عمر بن سعد فلما رآه قال: لا تعرضوا لهذا الغلام! ثم قال لشمر: ويحك من للحرم؟». (٤)

مع الركب الحسيني (ج ٥)، ص: ٦٢

إشارة..... ص : ٦٢

تؤكد جميع الروايات التي تتناول الحديث في حالة الإمام زين العابدين عليه السلام في كربلاء على أنه كان مريضاً، ولم يرد في المصادر التاريخية إلى أي فترة استمر به هذا المرض، لكنّ الاستفادة من بعض الإشارات التاريخية أنه عليه السلام كان لم يزل مريضاً ناحلاً ضعيفاً حتى في الشام.

وقد ذهب بعضهم إلى أنه قد أصيب بعين فمرض، كما ذهب إلى ذلك أحمد ابن حنبل حيث زعم - على ما ذكره ابن شهر آشوب - أنه عليه السلام كان ألبس درعاً ففضل عنه، فأخذ الفضلة بيده ومزقه فصار سبباً لمرضه! «١»

واستبعد ذلك آخرون، وقالوا إنّ الأمر أهم وأعظم ممّا ذهب إليه ابن حنبل، إذ إنّ إرادة الباري تعالى تعلقت بضرورة بقائه عليه السلام بعد أبيه عليه السلام لأنه من مصاديق «بقيّة الله»، وحلقه من حلقات سلسلة الإمامة المباركة، فشاء الله تعالى أن يكون مريضاً تلك الأيام حتى يسقط عنه الجهاد بين يدي أبيه، ليحفظ بذلك، ولتحفظ به سلسلة الإمامة الكبرى. «٢»

ولامنافاة بين أن يكون لمنشأ مرضه سبب في الخارج، وبين أن تكون الغاية من مرضه حفظ سلسلة الإمامة، فالأمور بأسبابها.

معالركب الحسيني (ج ٥)، ص: ٦٣

ونريد هنا أن ننبه إلى أن مرضه عليه السلام وإن كان سبباً مساعداً في انصراف الأعداء عن قتله لأنهم كانوا يرونه قاب قوسين من أجله لما به من شدة المرض! لكنّ مرضه عليه السلام لم يكن السبب الرئيس في انصرافهم عن قتله، بل كان السبب الرئيس في حفظه من القتل ذلك الموقف الفدائي العظيم الذي قامت به عمته زينب عليها السلام، حيث تعلقت به وقالت مخاطبة شمراً: «حسبك من دماننا! والله لا أفارقه، فإن قتلته فاقتلني معه!». «١»

وقد تكرّر منها عليها السلام هذا الموقف الفدائي العظيم في الكوفة في قصر عبيدالله ابن زياد لعنه الله، حيث طرحت نفسها على ابن أخيها عليهما السلام وقالت: «لا يقتل حتى تقتلوني!...». «٢»

وهنا ينبغي أيضاً أن ننبه إلى أننا نشك شكاً قوياً في الدور الإيجابي الذي صوّره حميد بن مسلم لنفسه في الذود عن حياة الإمام زين العابدين عليه السلام وفي صرف شمر بن ذي الجوشن عن قتله - بل يمتدّ شكنا إلى جميع الأدوار الإيجابية الأخرى التي رسمها حميد بن مسلم لنفسه - على ما ورد في روايات ابن جرير الطبري في تأريخه، وفي تواريخ الذين أخذوا عنه بلا تدبر!

ذلك لأنّ حميد بن مسلم الأزدي هذا كان منتماً انتمياً صريحاً إلى معسكر عمر بن سعد يوم عاشوراء! ويتضح من مجموع رواياته أنه كان وجيهاً من وجهاء هذا المعسكر معروفاً عند قادته وقريباً منهم! ويكفي في الدلالة على هذا أنه وخوّل بن يزيد الأصبحي حملاً رأس الإمام عليه السلام إلى ابن زياد «٣» بتكليف من عمر

معالركب الحسيني (ج ٥)، ص: ٦٤

بن سعد! ثمّ إنّ جميع الأدوار الإيجابية - إذا صحّ هذا الإطلاق - التي ظاهرها أنه تأثر لأهل البيت عليهم السلام أو دفع عنهم شرّاً، إنّما رويت من طريقه هو وهذا ما يدعو - على الأقلّ - إلى التحفظ عن تصديقها، وإلى التأمل فيها.

ثم أحرق الخيام!..... ص : ٦٤

قال السيد ابن طاووس (ره): «ثمّ أخرجوا النساء من الخيمة، وأشعلوا فيها النار، فخرجن حواسر مسلّبات حافيات باكيات يمشين سبايا في أسر الذلّة...». «١»

وقال ابن نما (ره): «وخرج بنات سيّد الأنبياء وقرّة عين الزهراء حاسرات مبيديات للنياحة والعيول، يندبن على الشباب والكهول،

وأضمرت النار في الفسطاق فخرجن هاربات، وهنّ كما قال الشاعر:

فترى اليتامى صارخين بعوله تحثوا التراب لفقد خير إمام
وبقين ربّات الخدور حواسراً يمسحن عرض ذوائب الأيتام
وترى النساء أراملاً وثواكلاً يبكين كلّ مهذب وهمام». (٢)

ولا يخفى أن جميع الخيام قد أضمرت فيها النار، بدليل قول الإمام الرضا عليه السلام «وأضمرت في مضاربنا النار»، (٣)
لكنّ الظاهر أنّ هذا الفسطاق الذي كنّ النسوة والأطفال فيه جميعاً مع الإمام زين العابدين عليه السلام هو آخر الخيام التي أحرقت بعد
إخراجهم منه.

مع الركب الحسيني (ج ٥)، ص: ٦٥

جائزة سنان بن أنس ص : ٦٥

ذكر الطبري أنّ الناس قالوا لسنان بن أنس: «١» قتلت حسين بن عليّ، وابن فاطمة ابنه رسول الله! قتلت أعظم العرب خطراً! جاء إلى
هؤلاء يريد أن يزيلهم عن ملكهم! فأت أمراءك فاطلب ثوابك منهم، لو أعطوك بيوت أموالهم في قتل الحسين كان قليلاً!
فأقبل على فرسه، وكان شجاعاً شاعراً، وكانت به لوثة، فأقبل حتّى وقف على باب فسطاق عمر بن سعد، ثمّ نادى بأعلى صوته:
أوقر ركابي فضّة أودها أنا قتلت الملك المحجّب
قتلت خير الناس أمّاً وأبا وخيرهم إذ يُنسبون نسباً
فقال عمر بن سعد: أشهد إنك لمجنون ما صححت قطّ! أدخلوه عليّ.

فلما أدخل حذفه بالقضيب، ثمّ قال: يا مجنون! أتكلّم بهذا الكلام؟! أما والله لو سمعك ابن زياد لضرب عنقك!. (٢)
مع الركب الحسيني (ج ٥)، ص: ٦٦

رؤوس الشهداء ص : ٦٦

إنّ واقعه حمل رأس سبط رسول الله صلى الله عليه وآله وسائر الرؤوس الطاهرة جريماً أخرى من الجرائم الفظيعة التي شهدتها
كربلاء، هذه الجريمة التي كشفت نقاباً آخر عن خبث سريرة النظام الأموي!
فقد ذكرت نصوص تاريخية معتمدة أنّ أعداء الله ورسوله صلى الله عليه وآله بعدما قتلوا الإمام الحسين عليه السلام في اليوم العاشر
من المحرم، بعثوا برأسه إلى عبيدالله بن زياد من ساعته، فقد ذكر الدينوري أنّ عمر بن سعد بعث برأس الحسين من ساعته إلى
عبيدالله بن زياد مع خوّل بن يزيد الأصبحي. (١)

قال الشيخ المفيد (ره): «وسرح عمر بن سعد من يومه ذلك- وهو يوم عاشوراء- برأس الحسين عليه السلام مع خوّل بن يزيد،
وحميد بن مسلم الأنزدي، إلى عبيدالله بن زياد، وأمر برؤوس الباقين من أصحابه وأهل بيته فنظفت، وكانت إثنين وسبعين رأساً،
وسرح بها مع شمر بن ذى الجوشن، وقيس بن الأشعث، وعمرو بن الحجاج، فأقبلوا حتّى قدموا بها على ابن زياد». (٢)

مع الركب الحسيني (ج ٥)، ص: ٦٧

وخبر المفيد والطبري مشعرٌ بأنّ رؤوس بقيّة الشهداء عليهم السلام- بعد رأس الإمام عليه السلام- كانت أيضاً قد سبقت الركب
الحسيني إلى الكوفة.

لكن بعض النصوص التاريخية الأخرى تفيد أن رؤوس بقيّة الشهداء عليهم السلام قد رافقت الركب الحسيني الى الكوفة، يقول الدينوري: «وأقام عمر بن سعد بكربلاء بعد مقتل الحسين عليه السلام يومين، ثم أذن في الناس بالرحيل، وحملت الرؤوس على اطراف الرماح!». «١»

الأجساد الطاهرة ص : ٦٧

بقى جسد الإمام الحسين عليه السلام مع أجساد الشهداء الآخرين من أهل بيته وأصحابه عليه السلام في العراء لا تُوارى، تصهرها حرارة الشمس، وتسفّ عليها الرياح السوافي، وكان اللعين عمر بن سعد قد دفن القتلى من جيشه وصلّى عليهم، وترك جسد الإمام عليه السلام وأجساد أنصاره صلوات الله عليهم أجمعين.

ويظهر من بعض المتون التاريخية أنّ النساء في الركب الحسيني قد مررن على الجثث الطواهر بعد إحراق المخيم، يقول: السيد ابن طاووس: «ثمّ أخرجوا النساء من الخيمة وأشعلوا فيها النار، فخرجن حواسر مسلّبات حافيات باكيات يمشين سبايا في أسر الذلّة، وقلن: بحقّ الله إلّا ما مررتم بنا على مصرع الحسين! فلما نظر النسوة إلى القتلى صحن وضربن وجوههن، قال: فوالله لا أنسى زينب إبنه عليّ وهي تندب الحسين عليه السلام وتنادى بصوت حزين وقلب كئيب:

معالركب الحسيني (ج ٥)، ص: ٦٨

وامحمّدها صلّى عليك مليك السماء، هذا حسينٌ بالعراء! مرّملٌ بالدماء! مقطّع الأعضاء! واثكلاه! وبناتك سبايا! إلى الله المشتكى وإلى محمّد المصطفى وإلى عليّ المرتضى وإلى فاطمة الزهراء وإلى حمزة سيد الشهداء! وامحمّدها! وهذا حسينٌ بالعراء! تسفى عليه ريح الصبا! قتيل أولاد البغايا! واحزنناه! واکرباه عليك يا أبا عبدالله! اليوم مات جدّي رسول الله! يا أصحاب محمّد! هؤلاء ذريّة المصطفى يساقون سوق السبايا!! وفي بعض الروايات:

وامحمّدها! بناتك سبايا! وذريّتك مقتلة تسفى عليهم ريح الصبا! وهذا حسينٌ محزوز الرأس من القفا! مسلوب العمامة والرداء! بأبي من أضحي عسكره في يوم الإثنين نهبا! بأبي من فسطاطه مقطّع العرى! بأبي من لاغائب فيرتجي، ولاجريح فيداوى! بأبي من نفسى له الفداء! بأبي المهموم حتّى قضى! بأبي العطشان حتّى مضى! بأبي من يقطر شبيه بالدماء! يابن علي المرتضى، يابن خديجة الكبرى، يابن فاطمة الزهراء سيده النساء، ...

بأبي من جدّه رسول إله السماء! بأبي من هو سبط نبيّ الهدى! بأبي محمّد المصطفى! بأبي من رُدّت عليه الشمس حتّى صلّى! قال الراوى: فأبكت والله كلّ عدوّ وصديق. «١»

معالركب الحسيني (ج ٥)، ص: ٦٩

ثمّ إنّ سكينه اعتنقت جسد الحسين! فاجتمع عدّة من الأعراب حتّى جرّوها عنه! «١» ويقول قُزّة بن قيس التميمي: «٢» «نظرتُ إلى النسوة لَمّا مررن بالحسين، صحن ولطنن خدودهنّ، فاعترضتهن على فرس! فما رأيت منظراً من نسوة أحسن منهنّ!!». «٣»

معالركب الحسيني (ج ٥)، ص: ٧٠

الساعات الأخيرة من يوم عاشوراء ص : ٧٠

قال السيد الأجلّ ابن طاووس (ره): «إعلم أنّ أواخر النهار يوم عاشوراء كان اجتماع حرم الحسين عليه السلام وبناته وأطفاله فى أسر الأعداء، مشغولين بالحزن والهموم والبكاء، وانقضى عليهم آخر ذلك النهار وهم فيما لا يحيط به قلبى من الذلّ والإنكسار، وباتوا تلك الليلة فاقدين لحمايتهم ورجالهم، وغرباء فى إقامتهم وترحالهم، والأعداء يبالغون فى البراءة منهم والإعراض عنهم وإذلالهم، ليتقرّبوا بذلك إلى المارق عمر بن سعد مؤتم أطفال محمّد صلى الله عليه وآله ومُقرح الأكباد، وإلى الزنديق عبيدالله بن زياد، وإلى الكافر يزيد بن معاوية رأس الإلحاد والعناد». «١»

الليلة الحادية عشرة ص : ٧٠

يقول الأديب المؤرّخ المحقّق المرحوم السيد عبدالرزاق المقرّم:

«يالها من ليلة مرّت على بنات رسول الله صلى الله عليه وآله بعد ذلك العزّ الشامخ الذى لم يفارقهن منذ أوجد الله كيانهن! فلقد كنّ بالأمس فى سرداق العظمة وأخبيّة الجلالة، يشع نهارها بشمس النبوة، ويضئ ليلها بكواكب الخلافة ومصايح أنوار القداسة! وبقين فى هذه الليلة فى حلك دامسٍ من فقد تلك الأنوار الساطعة بين رحل متتهب، وخباء محترق، وفرقٍ سائد، وحماءٍ صرعى، ولا محام لهنّ ولا كفيل!

مع الركب الحسينى (ج ٥)، ص : ٧١

لا يدرين من يدفع عنهنّ إذا دهمهنّ داهم؟! ومن الذى يردّ عادية المرجفين؟!

ومن يسكّن فورة الفاقدات ويخفّف من وجدهنّ؟!

نعم! كان بينهن صراخ الصبيّة، وأنين الفتيات، ونشيج الوالهاة، فأُمّ طفل فطمته السهام! وشقيق مستشهد! وفاقدة ولد! وباكية على حميم! وإلى جنبهنّ أشلاء مبصّعة! وأعضاء مقطّعة! ونحور دامية! وهنّ فى فلاة من الأرض جرداء ...

وعلى مطلع الأكمة جحفل الغدر تهزّهم نشوة الفتح وطيش الظفر ولؤم الغلبة!

وعلى هذا كلّ لا يدرين بماذا يندلع لسان الصباح؟ وبماذا ترتفع عقيرة المنادى؟ أبالقتل أم بالأسر؟! ولا من يدفع عنهنّ غير الإمام (العليل) الذى لا يملك لنفسه نفعا ولا يدفع ضرّاً، وهو على خطر من القتل!!

لقد عمّ الإستياء فى هذه الليلة عالم الملك والملكوت! وللحور فى غُرف الجنان صراخ وعويل! وللملائكة بين أطباق السماوات نشيج ونحيب! وندبته الجنّ فى مكانها». «١»

هاتف من الجنّ ينعى الإمام عليه السلام ليلة الحادى عشر ص : ٧١

روى الشيخ المفيد (ره) فى أماليه عن المحفوظ بن المنذر قال: حدّثنى شيخ من بنى تميم كان يسكن الرابية قال: سمعت أبى يقول: ما شعرنا بقتل الحسين عليه السلام حتّى كان مساء ليلة عاشوراء! «٢» فإنى لجالسٌ بالرابية ومعى رجل من الحى فسمعنا هاتفاً يقول:

والله ما جئتكم حتّى بصرتُ به بالطفّ منعفر الخديين منحورا

مع الركب الحسينى (ج ٥)، ص : ٧٢

وحوله فتيةٌ تدمى نحورهم مثل المصايح يعلون الدجى نورا

وقد حثت قلوبى كى أصادفهم من قبل أن يُلاقوا الخردّ الحورا

فعاقنى قدرٌ والله بالغةٌ وكان أمراً قضاه الله مقدورا

كان الحسين سراجاً يُستضاء به الله يعلمُ أنى لم أقل زورا
صلى إله على جسم تضمّنه قبر الحسين حليف الخير مقبورا
مجاوراً لرسول الله في عُرفٍ وللوصى وللطيار مسرورا
فقلنا له: من أنت يرحمك الله؟

قال: أنا وأبى من جنّ نصيين، «١» أردنا مؤازرة الحسين ومواساته بأنفسنا فانصرفنا من الحج فأصبناه قتيلاً! «٢»
مع الركب الحسينى (ج ٥)، ص: ٧٣

اليوم الحادى عشر من المحرم ص : ٧٣

اتفق المؤرخون على أنّ عمر بن سعد لم يخرج عن كربلاء فى اليوم العاشر من المحرم، بل بقى حتى اليوم الحادى عشر إلى الزوال، فجمع قتلاه وصلى عليهم، وترك قرّة عين الزهراء البتول عليها السلام مطروحاً على أرض كربلاء مع بقية الشهداء من أهل بيته وصحبه الكرام عليهم السلام بلاغسل ولاكفن!

كيف حمل ابن سعد بقية الركب الحسينى إلى الكوفة؟! ص : ٧٣

يقول السيد ابن طاووس (ره): «وأقام ابن سعد بقية يومه واليوم الثانى إلى زوال الشمس، ثم ارتحل بمن تخلف من عيال الحسين عليه السلام، وحمل نساءه على أحلاس أقتاب الجمال بغير وطاء ولا غطاء! مكشّفات الوجوه بين الأعداء وهنّ ودائع خير الأنبياء! وساقوهنّ كما يساق سبى الترك والروم فى أسر المصائب والهموم». «١»
وقال ابن أعثم الكوفى: «وساق القوم حرم رسول الله من كربلاء كما تساق مع الركب الحسينى (ج ٥)، ص: ٧٤
الأسارى!». «١»

أمّا الطبرى فقال: «وأقام عمر بن سعد يومه ذلك والغد، ثم أمر حميد بن بكير الأحمرى، فأذن فى الناس بالرحيل إلى الكوفة، وحمل معه بنات الحسين وأخواته ومن كان معه من الصبيان، وعلّى بن الحسين مريض». «٢»
لكنّ الدينورى فى هذا الصدد كان قد ذكر أمراً شاذاً غريباً خلافاً للمشهور حين ذكر أن ابن سعد كان قد حمل نساء الحسين عليه السلام وحشمه فى المحامل المستورة على الإبل!، يقول الدينورى: «وأقام عمر بن سعد بكربلاء بعد مقتل الحسين يومين، ثم أذن فى الناس بالرحيل، وحملت الرؤوس على أطراف الرماح! .. وأمر عمر بن سعد بحمل نساء الحسين وأخواته وبناته وجواريه وحشمه فى المحامل المستورة على الإبل! وكانت بين وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وبين قتل الحسين خمسون عاماً». «٣»

مرور الركب الحسينى على مصارع الشهداء عليه السلام ص : ٧٤

قال السيد محمّد بن أبى طالب (ره): «ثمّ أذن ابن سعد بالرحيل إلى الكوفة، وحمل بنات الحسين وأخواته وعلّى بن الحسين وذرائعهم، فأخرجوا حافيات حاسرات مسلّبات باكيات يمشين سبايا فى أسر الذلّة!
فقلن: بحقّ الله! ما نروح معكم ولو قتلتمونا إلّا ما مررتم بنا على مصرع الحسين!

معالركب الحسينى (ج ۵)، ص: ۷۵

فأمر ابن سعد لعنه الله ليمرّوا بهم من المقتل حتّى رأين إخوانهن وأبناءهنّ ووَدّعنهم.

فذهبوا بهنّ إلى المعركة، فلمّا نظر النسوة إلى القتلى صحن وضربن وجوههنّ ..». «۱»

وقال ابن الأثير: «... فاجتازوا بهنّ على الحسين وأصحابه صرعى، فصاح النساء ولطنن خدودهنّ وصاحت زينب أخته:

يا محمّده! صلّى عليك ملائكة السماء، هذا الحسين بالعراء! مزّمل بالدماء! مقطّع الأعضاء! وبناتك سبايا! وذريتك مقتلة تسفى عليها

الصبا! فأبكت كلّ عدوّ وصديق..». «۲»

وقال الإسفرائينى: «فأمر ابن سعد أن تؤخذ النساء عن جسد الحسين بالرغم عنهنّ! فحملوا على أقتاب الجمال بغير غطاء ولا وطاء!

مكشوفات الوجوه بين الأعداء! وساقوهم كما تُساق سبايا الروم فى شرّ المصائب والهموم ...». «۳»

لكنّ بعض المتون تصرّح بأنهم جاءوا بالنساء على مصارع الشهداء عليهم السلام ومزّوا بهنّ عليهم قسراً وعناداً لا يطلب وإصرار منهنّ!

فقد «روى عن عبد الله بن إدريس، عن أبيه: أنّهم قد جاءوا بالنساء عناداً وعبروهنّ على مصارع آل الرسول صلى الله عليه وآله، فلمّا

نظرت أم كلثوم أخاها الحسين تسفى عليه الرياح! وهو مكبوب! وقعت من أعلى البعير إلى الأرض وحضنت أخاها وهى تقول ببكاء

وعويل:

معالركب الحسينى (ج ۵)، ص: ۷۶

يا رسول الله! أنظر إلى جسد ولدك ملقى على الأرض بغير دفن! كفنه الرمل السافى عليه! وغسله الدّم الجارى من وريديه! وهؤلاء

أهل بيته يُساقون أسارى فى أسر الذلّ! ليس لهم من يمانع عنهم! ورؤوس أولاده مع رأسه الشريف «۱» على الرماح كالأقمار!

يا محمّد المصطفى هذه بناتك سبايا وذريتك مقتلة!

فما زالت تقول هذا القول ونحو هذا، فأبكت كلّ صديق وعدوّ! حتّى رأينا دموع الخيل تتقاطر على حوافرها! وساروا بها وهى باكية

حزينه لا ترقاً لها دمعاً ولا تبطل لها حسرة..». «۲»

القبائل تتنافس على حمل الرؤوس إلى ابن زياد ص: ۷۶

قال السيّد محمّد بن أبى طالب: «روى أنّ رؤوس أصحاب الحسين عليه السلام وأهل بيته كانت ثمانية وسبعين رأساً، واقتسمتها القبائل

ليتقربوا بذلك إلى عبيد الله بن زياد ويزيد..». «۳»

وروى البلاذرى عن أبى مخنف أنه: «لما قُتل الحسين جىء برؤوس من قُتل معه من أهل بيته وأصحابه إلى ابن زياد، فجاءت كنده

بثلاثة عشر رأساً، وصاحبهم قيس بن الأشعث، «۴» وجاءت هوازن بعشرين رأساً، وصاحبهم شمر بن ذى

معالركب الحسينى (ج ۵)، ص: ۷۷

الجوشن، وجاءت بنو تميم بسبعة عشر رأساً، وجاءت بنو أسد بستة عشر رأساً،

معالركب الحسينى (ج ۵)، ص: ۷۸

وجاءت مذحج بسبعة رؤوس، وجاء سائر قيس بتسعة رؤوس..». «۱»

وقال الدينورى: «وحملت الرؤوس على أطراف الرماح! وكانت إثنتين وسبعين رأساً، جاءت هوازن منها يائنين وعشرين رأساً، وجاءت

تميم بسبعة عشر رأساً مع الحصين بن نمير، «۲» وجاءت كنده بثلاثة عشر رأساً مع قيس بن

معالركب الحسينى (ج ۵)، ص: ۷۹

الأشعث، وجاءت بنو أسد بستة رؤوس مع هلال الأعور، وجاءت الأزدي بخمسة رؤوس مع عهيمه بن زهير، وجاءت ثقيف يائنين عشر

رأساً مع الوليد بن عمرو». (١)

لكن الطبري ذكر قصة الرؤوس المقدسة قائلاً: «وقطف رؤوس الباقيين فسرح يائنين وسبعين رأساً مع شمر بن ذي الجوشن، وقيس بن الأشعث، وعمرو بن الحجاج، وعزرة بن قيس، فأقبلوا حتى قدموا بها على عبيدالله بن زياد». (٢)

إشارة ص : ٧٩

من هنا يُلاحظ المتتبع أنّ هناك اختلافاً بين المصادر التاريخية في صدد متى أخذت بقيّة رؤوس الشهداء عليهم السلام إلى عبيدالله بن زياد في الكوفة، فمنها من يصرح أخذت إلى الكوفة بعد رأس الإمام عليه السلام وقبل بقيّة الركب الحسيني، برفقة شمر بن ذي الجوشن، وقيس بن الأشعث، وعمرو بن الحجاج، وعزرة بن قيس، وهؤلاء مع الركب الحسيني (ج ٥)، ص: ٨٠ أيضاً من قبائل مختلفة!

ومنها من يصرح بأنّ هذه الرؤوس المقدسة أخذت إلى الكوفة برفقة بقيّة الركب الحسيني، وكانت القبائل قد تنافست على السهم الأعظم منها!

كما أنّ المصادر التاريخية قد اختلفت أيضاً في مجموع عدد هذه الرؤوس الشريفة، فمنها من صرح بأنها ثمانية وسبعون رأساً كما مرّ، ومنها من صرح بأنها إثنان وتسعون رأساً، «١» أو سبعون رأساً، «٢» ولا يبعد هذا القول إذا علّم أنّ عشيرة الحرّ ابن يزيد الرياحي (رض) منعت من قطع رأسه، كذلك رأس الطفل الرضيع عبدالله عليه السلام لأنّ الإمام عليه السلام - على رواية - قد دفنه. لكن أشهر هذه الأقوال هو أنّ عدد هذه الرؤوس المقدسة إثنان وسبعون. «٣» مع الركب الحسيني (ج ٥)، ص: ٨١

المقصد الثاني ص : ٨١

إشارة

وهو يشتمل على وقائع الطريق حتى ورود الركب الحسيني أرض الشام. ويكون على فصلين:

الفصل الأول: الركب الحسيني في الكوفة ص : ٨١

الرأس المقدس يسبق الركب إلى الكوفة ص : ٨١

مرّ بنا أنّ الطبري من المؤرّخين الذين روى أنّ عمر بن سعد أرسل برأس الإمام عليه السلام - بعد قتله مباشرة - مع خوّل بن يزيد وحמיד بن مسلم الأزدي إلى عبيدالله بن زياد، لكنّه حينما يواصل روايته «١» يقول: «فأقبل به خوّل فأراد القصر فوجد باب القصر مغلقاً، فأتى منزله «٢» فوضعه تحت أجانة في منزله، وله امرأتان، امرأة من بني أسد، والأخرى من الحضرميين يُقال لها النّوّار ابنة مالك بن عقرب، وكانت تلك الليلة ليلة الحضرمية.

قال هشام: فحدّثني أبي، عن النّوّار بنت مالك قالت: أقبل خوّل برأس الحسين فوضعه تحت أجانة في الدار، ثم دخل البيت فأوى إلى فراشه، فقلت له:

ما الخبر عندك؟ قال: جئتك بغنى الدهر! هذا رأس الحسين معك فى الدار! قالت:

مع الركب الحسينى (ج ٥)، ص: ٨٤

فقلت: ويلك جاء الناس بالذهب والفضة وجئت برأس ابن رسول الله صلى الله عليه وآله لا والله لا يجمع رأسى ورأسك بيتاً أبداً!
قالت: فقم من فراشى فخرجت إلى الدار، فدعا الأسدية فأدخلها إليه، وجلست انظر، قالت: فوالله ما زلت أنظر إلى نور يسطع مثل العمود من السماء إلى الأجانه! ورأيت طيراً بيضاً ترفرف حولها!

قال: فلما أصبح غدا بالرأس إلى عبيدالله بن زياد.. «١»

أمياً السيد هاشم البحرانى فيقول: «إن عبيدالله بن زياد لعنه الله بعدما عرض عليه رأس الحسين عليه السلام، دعا بخولّى بن يزيد الأصبحى وقال له: خذ هذا الرأس حتى أسألك عنه. فقال: سمعاً وطاعة. فأخذ الرأس وانطلق به إلى منزله، وكان له امرأتان، إحداهما ثعلبية، والأخرى مضرية، فدخل على المضرية فقالت: ما هذا؟! فقال: هذا رأس الحسين بن على وفيه ملك الدنيا!
فقالت له: أبشر! فإن خصمك غداً جدّه محمّد المصطفى!

ثم قالت: والله لا كنت لى ببعل، ولا أنا لك بأهل! ثم أخذت عموداً من حديد وأوجعت به دماغه!

فانصرف من عندها وأتى به إلى الثعلبية فقالت: ما هذا الرأس الذى معك؟

قال: هذا رأس خارجى خرج على عبيدالله بن زياد. فقالت: وما اسمه؟ فأبى أن يخبرها ما اسمه، ثم تركه على التراب وجعل عليه أجانه.

قال فخرجت امرأته فى الليل فرأت نوراً ساطعاً من الرأس إلى عنان السماء! فجاءت إلى الأجانه فسمعت أنيناً وهو يقرأ! إلى طلوع الفجر! وكان آخر ما قرأ:

مع الركب الحسينى (ج ٥)، ص: ٨٥

«وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون» وسمعت حول الرأس دويّاً كدوى الرعد! فعلمت أنه تسييح الملائكة!

فجاءت إلى بعلمها وقالت: رأيت كذا وكذا، فأبى شىء تحت الأجانه؟

فقال: رأس خارجى، فقتله الأمير عبيدالله بن زياد، وأريد أن أذهب به إلى يزيد بن معاوية ليعطينى عليه مالاً كثيراً!
قالت: ومن هو؟!

قال: الحسين بن على!

فصاحت وخرت مغشية عليها! فلما أفاقت قالت: يا ويلك يا شرّ المجوس! لقد آذيت محمّداً فى عترته! أما خفت من إله الأرض والسماء حيث تطلب الجائزة على رأس ابن سيده نساء العالمين؟!

ثم خرجت من عنده باكية، فلما قامت رفعت الرأس وقبلته ووضعته فى حجرها وجعلت تقبله وتقول: لعن الله قاتلك، وخصمه جدك المصطفى! فلما جنّ الليل غلب عليها النوم، فرأت كأن البيت قد انشقّ بنصفين وغشيه نور! فجاءت سحابة بيضاء، فخرج منها امرأتان، فأخذتا الرأس من حجرها وبكتا!

قالت: فقلت لهما: بالله من أتما؟

قالت إحداهما: أنا خديجة بنت خويلد! وهذه ابنتى فاطمة الزهراء! ولقد شكرناك، وشكر الله لك عملك، وأنت رفيقتنا فى درجة القدس فى الجنة!

قال فانتبهت من النوم والرأس فى حجرها، فلما أصبح الصبح جاء بعلمها لأخذ الرأس، فلم تدفعه إليه وقالت: ويلك! طلقنى، فوالله لا جمعنى وإياك بيت!

فقال: ادفعى لى الرأس وافعلنى ماشئت!

فقال: لا والله لا أدفعه إليك!

مع الركب الحسيني (ج ٥)، ص: ٨٦

فقتلها وأخذ الرأس، فعجل الله بروحها إلى الجنة في جوار سيده النساء. «١»

منازل الطريق من كربلاء إلى الكوفة «٢» ص : ٨٦

لم نجد في المصادر التاريخية - في ضوء متابعتنا - ذكراً وتفصيلاً لما جرى على الركب الحسيني في الطريق بين كربلاء والكوفة، غير أن هناك خبراً كاشفاً عن أن (الحنانة) كانت أحد هذه المنازل، يقول الشهيد الأول (ره): «إذا نزلت الثوية، وهي الآن تل بقرب الحنانة عن يسار الطريق لمن يقصد من الكوفة إلى المشهد، فصل عندا ركعتين، كما روى أن جماعة من خواص أمير المؤمنين عليه السلام دُفنا هناك، وقل ما تقوله عند رؤية القبة الشريفة، فإذا بلغت العلم وهي الحنانة فصل ركعتين، فقد روى محمد بن أبي عمير، عن المفضل قال: جاز الصادق عليه السلام بالقائم المائل في طريق الغرى فصل ركعتين، فقل له: ما هذه الصلاة؟

مع الركب الحسيني (ج ٥)، ص: ٨٧

فقال: هذا موضع رأس جدي الحسين بن علي عليهما السلام، وضعوه هاهنا لما توجهوا من كربلاء، ثم حملوه إلى عبيد الله بن زياد لعنة الله عليه...» «١»

وقال الشيخ محمد مهدي الحائري: «وقال المرحوم وحيد عصره شيخنا النوري نور الله مضجعه: إنه كان قريباً من النجف الأشرف ميل من الجص والآجر، ويقال له القائم ويسمونه بالعلم، فلما قبض أمير المؤمنين عليه السلام وجاءوا إلى النجف الأشرف، فلما وصلوا إلى العلم والقائم انحنى تعظيماً لأمر المؤمنين كالراعي فسموه بالحنانة، وزيد في شرفه أنه لما جاء برأس الحسين عليه السلام إلى الكوفة ووصل هناك وقد مضى من الليل شطره، فوضع اللعين الحامل الرأس المبارك في ذلك المقام، وهذا أول منزل نزل به رأس الحسين عليه السلام في طريق الكوفة، بقى غريباً وحيداً في ذلك المقام، ثم بنوا مسجداً في ذلك المكان وسمى بمسجد الحنانة، ويستحب فيه الدعاء والزيارة... وقيل سمي بالحنانة لأنه لما وضع رأس الحسين عليه السلام في ذلك الموضع سُمع من الرأس الشريف حنين وأنين إلى الصباح، والله العالم...» «٢»

بقيّة الركب الحسيني ص : ٨٧

تفاوتت المصادر التاريخية في عدد الباقين من الركب الحسيني، وفي أسماء الأسرى منهم حينما أخذوا من كربلاء إلى الكوفة، فقد قال ابن سعد في طبقاته:

«ولم يفلت من أهل بيت الحسين بن علي الذين معه إلا خمسة نفر، علي بن

مع الركب الحسيني (ج ٥)، ص: ٨٨

الحسين الأصغر، وهو أبو بقيّة ولد الحسين بن علي اليوم، وكان مريضاً فكان مع النساء، وحسن بن حسن بن علي، «١» وله بقيّة، وعمرو بن حسن بن علي ولا بقيّة له، والقاسم بن عبد الله بن جعفر، ومحمد بن عقيل الأصغر، فإن هؤلاء استضعفوا فقدم بهم وبنساء الحسين بن علي وهنّ: زينب وفاطمة ابنتا علي بن أبي طالب، وفاطمة وسكينة ابنتا الحسين بن علي، والرباب بنت أنيف «٢» الكلبية امرأة الحسين بن علي، وهي أم سكينة وعبد الله المقتول إبن الحسين بن علي. وأم محمد بنت حسن بن علي امرأة علي بن حسين. وموالي لهم ومماليك عبيد وإماء قدم بهم على عبيد الله بن زياد مع رأس الحسين بن علي ورؤوس من قُتل معه رضي الله عنه وعنهم...» «٣»

وقال الطبرى: «وأقام عمر بن سعد يومه ذلك والغد، ثم أمر حميد بن بكير الأحمرى فأذن فى الناس بالرحيل إلى الكوفة، وحمل معه بنات الحسين وأخواته

مع الركب الحسينى (ج ٥)، ص: ٨٩

ومن كان معه من الصبيان وعلّى بن الحسين مريض..».

وفى مقاتل الطالبين: «وحمل أهله أسرى، وفيهم عمرو، وزيد، والحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب عليهم السلام، وكان الحسن بن الحسن بن على قد ارتث جريحاً، فحمل معهم، وعلّى بن الحسين الذى أمّه أمّ ولد، وزينب العقيله، وأمّ كلثوم بنت على بن أبى طالب، وسكينه بنت الحسين ..». (٢)

وقال الشيخ عماد الدين الطبرى فى كامل البهائى: «وكنّ جميعهن عشرين نساء، وكان لزين العابدين فى ذلك اليوم إثنان وعشرون سنه، ولمحمد الباقر أربع، وكانا كلاهما فى كربلاء وحفظهما الله تعالى». (٣)

ويستفاد من (الفائدة الثالثة) التى ذكرها المحقق السماوى فى كتابه إِبصار العين: أنّ زوجة الشهيد جنادة بن الحرث السلماني (رض) كانت فى الركب الحسينى أيضاً، وهى أمّ الشهيد عمرو بن جنادة (رض) الغلام ذى الإحدى عشرة سنه من العمر، وكذلك كانت عائلة الشهيد مسلم بن عوسجه (رض) (٤) فى هذا الركب، وأمّ الشهيد وهب الذى كان نصرانياً (رض)، (٥) وآخرون قد يكشف عنهم التحقيق الدقيق.

مع الركب الحسينى (ج ٥)، ص: ٩٠

متى دخل الركب الحسينى الكوفة؟ ص : ٩٠

أكثر المصادر التاريخية تذكر أنّ عمر بن سعد كان قد ارتحل من كربلاء إلى الكوفة فى اليوم الحادى عشر بعد الزوال، حاملاً معه بقايا الركب الحسينى، وفى ضوء حساب المسافة وسرعة الدوابّ فى ذلك العصر، فإنّ الأرجح أنّ عمر بن سعد ومن معه يمسون عند مشارف الكوفة أوّل الليل - أى ليلة الثانى عشر - هذا إذا كانوا قد جدّوا السير إلى الكوفة.

من هنا فإنّ الأرجح أنّ الركب الحسينى قد بات ليلة الثانى عشر فى صحبة عسكر ابن سعد فى منزل من منازل الطريق القريبه جداً من الكوفة أو على مشارفها، والظاهر أنّ عمر بن سعد كان قد دخل الكوفة نهار اليوم الثانى عشر مع عسكره وبقية الركب الحسينى أسرى وسبايا، ودخوله الكوفة نهاراً لا ليلاً أمرٌ يقتضيه العامل الإعلامى، وزهو الإنتصار، والمباهاة بالظفر، فى صدر كلّ من ابن زياد وابن سعد واعوانهما، وهناك أيضاً إشارات تاريخية تؤكّد أنّ دخول عمر بن سعد الكوفة كان فى النهار، منها:

ما رواه سهل بن حبيب الشهرزورى قال: ... فدخلت الكوفة فوجدت الأسواق معطّلة، والدكاكين مغلقه، والناس مجتمعون خلقاً كثيراً، حلّقاً حلّقاً، منهم من يبكى سرّاً، ومنهم من يضحك جهراً، فتقدّمتُ الى شيخ منهم وقلت له: يا شيخ! ما نزل بكم؟ أراكم مجتمعين كتائب! ألكم عيد لست أعرفه للمسلمين!؟

فأخذ بيدي وعدل بى ناحية عن الناس، وقال: يا سيّدى، مالنا عيد! ثمّ بكى بحرقه ونحيب! فقلت: أخبرنى يرحمك الله!

قال: بسبب عسكرين أحدهما منصور، والآخر مهزوم مقهور!

فقلت: لمن هذان العسكران!؟

مع الركب الحسينى (ج ٥)، ص: ٩١

فقال: عسكر ابن زياد وهو ظافر منصور! وعسكر الحسين بن على عليهما السلام وهو مهزوم مكسور!

ثمّ قال: واحرقته أن يدخل علينا رأس الحسين!

فما استتمّ كلامه إذ سمعتُ البوقات تضرب، والرايات تخفق قد أقبلت، فمددت طرفى وإذا بالعسكر قد أقبل ودخل الكوفة.». (۱)

إعلان حالة الطوارئ القصوى فى الكوفة! ص : ۹۱

لمّا وصل إلى ابن زياد خبر عوده جيشه بقيادة عمر بن سعد إلى الكوفة، أمر أن لا يحمل أحدٌ من الناس السلاح فى الكوفة، كما أمر عشرة آلاف فارس أن يأخذوا السكك والأسواق، والطرق والشوارع، خوفاً من الناس أن يتحرّكوا حميئةً وغيره على أهل البيت عليهم السلام إذا رأوا بقيتهم بتلك الحالة من الأسر والسبى، وأمر أن تُجعل الرؤوس فى أوساط المحامل أمام النساء، وأن يُطاف بهم فى الشوارع والأسواق حتّى يغلب على الناس الخوف والخشية. (۲)

كما أمر عبيدالله بن زياد أن يضعوا الرأس المقدّس على الرمح ويُطاف به فى سكك الكوفة وقبائلها، واجتمع مائة ألف إنسان للنظر إليه، منهم من كان يهنّئ ومنهم من كان يعزّي!. (۳)

معالركب الحسينى (ج ۵)، ص: ۹۲

كيف استقبلت الكوفة بقيّة الركب الحسينى؟! ص : ۹۲

كانت الكوفة قد خرجت عن بكرة أبيها لتشهد احتفال ابن زياد بمقدم جيشه الظافر فى الظاهر! ولتشهد بقايا العسكر الذى قاتله جيش عمر بن سعد، ولتصفّح وجوه السبايا!

ومن أهل الكوفة من كان يعلم بحقيقته مجرى الأحداث، ويُدرك عظم المصاب وفضاعة الجناية التى ارتكبتها الكوفة بالأساس، ويدرى أنّ السبايا المحمولين مع عمر بن سعد هم بقيّة آل النّبى صلى الله عليه وآله، وأنّ الرؤوس المشالات على أطراف الأستة هى رؤوس ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته وأصحابه، وهم خير أهل الأرض يومذاك، فكان يبكى لعظم الرزية! ومنهم من كان أمويّ الميل والهوى، أو جاهلاً لم يعلم بحقائق الأحداث، متوهماً أنّ والى الكوفة وأميرها قد فتح فتحاً جديداً على ثغر من ثغور المسلمين! وجرى إليه سبايا من غير المسلمين، فكان يضحك جهراً ويهنّئ من يلقاه بهذه المناسبة!!.

قال صاحب رياض الأحران: «وقد مُلئت شوارعها- أى الكوفة- وسككها وأزقتها من الرجال والنسوان والشيوخ والشبان والصبيا والصبيان، من الموالى

معالركب الحسينى (ج ۵)، ص: ۹۳

والمخالف، وحزب الرحمن، وأولياء الشيطان، منهم باك ومنتحب، ومنهم ضاحك وطرب، منهم عارف بالواقعة العظمى وأنها جرت على آل النّبى محمد صلى الله عليه وآله، ومنهم جاهل غافل عن البلوى. (۱)

وروى الشيخ الطوسى بسنده عن حذلم بن سدير (۲) قال: «قدمت الكوفة فى المحرم سنة إحدى وستين منصرف علىّ بن الحسين عليهما السلام بالنسوة من كربلاء، ومعهم الأجناد يحيطون بهم، وقد خرج الناس للنظر إليهم، فلما أقبل على الجمال بغير وطاء جعل نساء الكوفة يبكين ويلتدمن! (۳) فسمعت علىّ بن الحسين عليهما السلام وهو يقول بصوت ضئيل وقد نهكته العلة، وفى عنقه الجامعة! ويده مغلولة إلى عنقه! إن هؤلاء النسوة يبكين! فمن قتلنا؟! (۴)

ويقول اليعقوبى فى تاريخه: «وحملوهنّ إلى الكوفة، فلمّا دخلن إليها خرجت نساء الكوفة يصرخن ويبكين! فقال علىّ بن الحسين: هؤلاء يبكين! فمن

معالركب الحسينى (ج ۵)، ص: ۹۴

قتلنا؟!». (١)

ويقول ابن أعثم الكوفي: «ساق القوم حرم رسول الله من كربلاء كما تساق الأسارى! حتى إذا بلغوا بهم إلى الكوفة خرج الناس إليهم فجعلوا يبكون وينوحون ..». (٢)

وقال السيد ابن طاووس (ره): «قال الراوي: فأشرفت امرأة من الكوفيات فقالت: من أي الأسارى أنتن؟ فقلن: نحن أسارى آل محمد صلى الله عليه وآله!!»

فنزلت المرأة من سطحها فجمعت لهنّ ملاء وأزراراً ومقانع، وأعطتهنّ فتغطينّ..». (٣)

ويصف حاجب عبيد الله بن زياد حال الناس ذلك اليوم فيقول: «.. ثم أمر بعلّى بن الحسين عليه السلام ففعل، وحمل مع النسوة والسبايا إلى السجن، وكنت معهم، فما مررنا بزقاق إلّا وجدناه ملاء رجالاً ونساء يضربون وجوههم ويبكون ..!!». (٤)

مسلم الجصاص يصف حال الكوفة يومذاك! ص : ٩٤

قال العلامة المجلسي (ره): «رأيت في بعض الكتب المعتمدة (٥) روى مرسلًا عن مسلم الجصاص قال: دعاني ابن زياد لإصلاح دار الإمارة بالكوفة، فبينما أنا

مع الركب الحسيني (ج ٥)، ص: ٩٥

أجصص الأبواب وإذا أنا بالزعقات «١» قد ارتفعت من جنبات الكوفة!

فأقبلت على خادم كان معنا، فقلت: مالي أرى الكوفة تضجُّ؟! قال: الساعة أتوا برأس خارجي خرج على يزيد.

فقلت من هذا الخارجي؟! فقال: الحسين بن علي!

فقال: الحسين بن علي!

قال فتركت الخادم حتى خرج ولطمت وجهي حتى خشيت على عيني أن تذهب! (٢) وغسلت يدي من الجصّ، وخرجت من ظهر القصر وأتيت إلى الكناس، فبينما أنا واقف والناس يتوقعون وصول السبايا والرؤوس، إذ أقبلت نحو أربعين شقّة (٣) تحمل على أربعين جملاً، فيها الحرم والنساء وأولاد فاطمة عليها السلام، وإذا بعلّى ابن الحسين عليه السلام على بعير بغير وطاء! وأوداجه تشخب دمًا! وهو مع ذلك يبكي ويقول:

يا أمّة السوء لاسقياً لربكم يا أمّة لم تراع جدنا فينا

لو أننا ورسول الله يجمعنا يوم القيامة ما كنتم تقولونا

تسيرونا على الأقتاب عارية كأننا لم نشيد فيكم دينا

بنى أمية ما هذا الوقوف على تلك المصائب لا تلبون داعينا (٤)

تصفقون علينا كفكم فرحاً وأنتم في فجاج الأرض تسبوننا أليس جدى رسول الله ويلكم أهدى البرية من سبل المضلينا

مع الركب الحسيني (ج ٥)، ص: ٩٦

يا وقعة الطفّ قد أورثتني حزناً والله يهتك أستار المسيئينا

قال: وصار أهل الكوفة يناولون الأطفال الذين على المحامل بعض التمر والخبز والجوز، فصاحت بهم أمّ كلثوم وقالت: يا أهل الكوفة! إنّ الصدقة علينا حرام! وصارت تأخذ ذلك من أيدي الأطفال وأفواههم وترمي به إلى الأرض.

قال كلّ ذلك والناس يبكون على ما أصابهم!

ثم إن أم كلثوم أطلعت رأسها من المحمل، وقالت لهم:

صه يا أهل الكوفة! تقتلنا رجالكم وتبكيها نساؤكم؟! فالحاكم بيننا وبينكم الله يوم فصل القضاء!

فبينما هي تخاطبهن إذا بضجة قد ارتفعت، فإذا هم أتوا بالرؤوس يقدمهم رأس الحسين عليه السلام، «١» وهو رأس زهرى قمرى أشبه الخلق برسول الله صلى الله عليه وآله، ولحيته كسواد السَّبَج «٢» قد انتصل منها الخضاب، ووجهه دائرة قمر طالع! والرمح تلعب بها (كذا) يميناً وشمالاً، فالتفتت زينب فرأت رأس أخيها فنطحت جبينها بمقدم المحمل، حتى رأينا الدم يخرج من تحت قناعها، وأومات إليه بخرقه وجعلت تقول:

يا هلالاً لما استتمَّ كمالاً غاله خسفه فأبدي غروباً

ما توهمت يا شقيق فؤادى كان هذا مُقدراً مكتوباً

يا أخى فاطم الصغيرة كلمها فقد كاد قلبها أن يدوبا

مع الركب الحسينى (ج ٥)، ص: ٩٧

يا أخى قلبك الشفيق علينا ماله قد قسى وصار صليبا؟

يا أخى لو ترى علياً لدى الأسر مع اليتم لا يطيق وجوبا

كلما أوجعه بالضرب ناداك بذلّ يُغيض دمعاً سكوبا

يا أخى ضمّه إليك وقربه وسكن فواده المرعوبا

ما أذلّ اليتيم حين ينادى بأبيه ولا يراه مجيباً. «١»

إشارة ص: ٩٧

لاشكّ بأنّ الصدقة الواجبة حرام على أهل البيت عليهم السلام وعلى ذراريهم، وهى كما ورد فى الأثر «٢» أوساخ الناس وأنّها لا تحلّ على محمّد ولا آل محمّد صلى الله عليه وآله، ثمّ إنّّه لاخلاف فى عدم تحريم الصدقة المندوبة، فلماذا منعت السيدة أمّ كلثوم أو زينب عليها السلام الأطفال من أخذ ما كان يقدمه لهم أهل الكوفة من تمر وخبز وجوز؟ الآن ذلك كان صدقة واجبة وهى محرّمة عليهم، أم كان ذلك احتياطاً فلربّما كان بعض ذلك من الصدقة الواجبة؟ أم كان ذلك محموداً على الكراهة أو الحرمة بتعليل خاص؟

يقول الشيخ الأنصارى (ره) فى كتاب الزكاة «٣» مانصّه: «ثمّ إنّّه لاخلاف فى عدم تحريم الصدقة المندوبة، وبه وردت أخبار كثيرة، إلّا أنّ فى بعض الأخبار ما يدلّ

مع الركب الحسينى (ج ٥)، ص: ٩٨

على نهى الإمام عليه السلام عن ماء المسجد معللاً بأنّها صدقة، وقد اشتهر حكاية منع سيدتنا زينب أو أمّ كلثوم عليهما السلام للسبايا عن أخذ صدقات أهل الكوفة، معللتين بكونها صدقة، ويمكن حملها على الكراهة أو الحرمة إذا كان الدفع على وجه المهانة كما احتمله فى شرح المفاتيح.»

وفى طول ذلك يمكن أن نقول بأنّ من المحتمل أيضاً أنّ سيدتنا عليها السلام أرادت من وراء ردّ عطايا أهل الكوفة ومنع السبايا منها- مع فرض الكراهة- أن تعرّف الناس بأن سبايا هذا الركب ليسوا من أىّ الناس، بل هم آل رسول الله صلى الله عليه وآله الذين فرض الله مودّتهم واتباعهم، وأنّ يزيد بن معاوية وعامله ابن زياد قد عصيا الله ورسوله صلى الله عليه وآله بارتكاب ما ارتكبا من آل الرسول صلى الله عليه وآله، حتّى ينكشف للناس من أهل الكوفة عظم الجريمة والرزيّة، وفضاعة ما اجترحوه من ذنب الإنقياد ليزيد

واين زياد وأتباعهما.

خطبة بطلة كربلاء عليها السلام ص : ٩٨

ولما رأت العقيلة زينب عليها السلام الحشود الكثيرة من أهالي الكوفة قد ملأت الشوارع والطرق والسكك اندفعت إلى الخطابة وإلى التبليغ وإلى تبيان ما جرى على أهل بيت النبوة، وأخذت تحمّل أهل الكوفة مسؤولية نقض العهد والبيعة وقتل ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله، وتوخز ضمائرهم وتحرق قلوبهم بتعريفهم عظم ما اجترحوا من جرم، وقبح ما ألبسوا أنفسهم من عارٍ لا يغسل أبد الدهر! قال السيد ابن طاووس (ره): «قال بشير بن خزيم الأسدي: ونظرتُ إلى زينب بنت عليّ يومئذٍ، ولم أر خفرةً واللّه أنطق منها! كأنها تُفرغ من لسان أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام! وقد أومأت إلى الناس أن اسكتوا فارتدت الأنفاس مع الركب الحسيني (ج ٥)، ص: ٩٩ وسكنت الأجراس!! ثم قالت:

الحمد لله، والصلاة على أبي محمّد وآله الطيبين الأخيار! أمّا بعدُ يا أهل الكوفة! يا أهل الختل والغدر! أتبكون؟! فلا رقأت الدمعة، ولا هدأت الرنة! إنّما مثلكم كمثل التي نقضت غزلها من بعد قوّة أنكاثا، تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم! ألا وهل فيكم إلّا الصّلف النّطف، والصدر الشّيف، وملق الإماء، وغمز الأعداء، أو كمرعى على دمنه، أو كفضّة (كفضة خل) على ملحودة؟! ألا ساء ما قدّمت لكم أنفسكم أن سخط الله عليكم وفي العذاب أنتم خالدون!

أتبكون وتتحبون؟! إي والله فابكوا كثيراً واضحكوا قليلاً، فلقد ذهبتم بعارها وشنارها، ولن ترخصوها بغسل بعدها أبداً! وأنى ترخصون قتل سليل خاتم النبوة، ومعدن الرسالة، وسيد شباب أهل الجنّة، وملاذ خيرتكم، ومفرج نازلتكم، ومنار حجّتكم، ومدره ألسنتكم؟! ألا ساء ما تزرون، وبعداً لكم وسحقاً، فلقد خاب السعي، وتبّت الأيدي، وخسرت الصفقة، وبؤتم بغضب من الله، وضربت عليكم الذّلة والمسكنة!

ويلكم يا أهل الكوفة! أتدرون أيّ كبد لرسول الله فريتم؟! وأيّ كريمة له أبرزتم؟! وأيّ دم له سفكنتم؟! وأيّ حرمة له انتهكتكم؟! ولقد جتتم بها صلعاء عنقاء سوداء فقماء- وفي بعضها- خرقاء شوهاء، كطلاع الأرض أو ملاء السماء! أفعجتكم أن مطرت السماء دماً؟! ولعذاب الآخرة أجزى وأنتم لا تتصرون! فلا يستخفّنكم المهل، فإنّه لا يحفره البدار، ولا يخاف فوت الثار، وإنّ ربّكم لبالمرصاد!

مع الركب الحسيني (ج ٥)، ص: ١٠٠

قال الراوي: فوالله لقد رأيت الناس يومئذٍ حيارى يبكون، وقد وضعوا أيديهم في أفواههم! ورأيت شيخاً واقفاً إلى جنبى يبكي حتّى اخضلت لحيته! وهو يقول: بأبي أنتم وأمّي كهولكم خير الكهول! وشبابكم خير الشباب! ونساءؤكم خير النساء! ونسلكم خير نسل، لا يخزي ولا ييزي!». «١»

مع الركب الحسيني (ج ٥)، ص: ١٠١

خطبة فاطمة الصغرى بنت الحسين عليها السلام ص : ١٠١

وقال السيد ابن طاووس (ره): «وروى زيد بن موسى «١» قال: حدّثني أبي، عن جدّي عليهما السلام قال: خطبت فاطمة الصغرى بعد أن وردت من كربلاء، فقالت:

الحمد لله عدد الرمل والحصى، وزنة العرش إلى الثرى، أحمده وأؤمن به، وأتوكل عليه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده

مع الרכب الحسينى (ج ۵)، ص: ۱۰۲

ورسوله صلى الله عليه و آله، وأن أولاده ذبحوا بشط الفرات بغير ذحل ولا ترات!

اللهم إني أعوذ بك أن أفتري عليك الكذب، أو أن أقول عليك خلاف ما أنزلت عليه من أخذ العهود لوصيه علي بن أبي طالب عليه السلام، المسلوب حقه، المقتول من غير ذنب كما قتل ولده بالأمس، في بيت من بيوت الله في معشر مسلمة بألستهم! تعساً لرؤوسهم ما دفعت عنه ضيماً في حياته ولا عند مماته، حتى قبضته إليك محمود النقيبة، طيب العريكة، معروف المناقب مشهور المذاهب، لم تأخذه فيك اللهم لومة لائم ولا عدل عاذل، هديته اللهم للإسلام صغيراً، وحمدت مناقبه كبيراً، ولم يزل ناصحاً لك ولرسولك صلى الله عليه و آله حتى قبضته إليك زاهداً في الدنيا غير حريص عليها، راغباً في الآخرة، مجاهداً لك في سبيلك، رضيته فاخترته فهديته إلى صراط مستقيم.

أمياً بعد يا أهل الكوفة، يا أهل المكر والغدر والخيلاء! فإننا أهل بيت ابتلانا الله بكم، وابتلاككم بنا، فجعل بلاءنا حسناً، وجعل علمه عندنا وفهمه لدينا، فنحن عيبه علمه، ووعاء فهمه وحكمته، وحبته على الأرض في بلاده لعباده، أكرمنا الله بكرامته، وفضّلنا بنبيه محمداً صلى الله عليه و آله على كثير ممن خلق تفضيلاً بيناً، فكذبتمونا وكفرتموننا! ورأيتم قتالنا حلالاً! وأموالنا نهباً! كأننا أولاد ترك وكابل! كما قتلتم جدنا بالأمس، «۱» وسيوفكم تقطر من دمائنا أهل البيت لحقد متقدم! قرت لذلك

مع الרכب الحسينى (ج ۵)، ص: ۱۰۳

عيونكم وفرحت قلوبكم، افتراءً على الله ومكراً مكروم، والله خير الماكرين.

فلا تدعونكم أنفسكم إلى الجذل بما أصبتم من دمائنا ونالت أيديكم من أموالنا، فإن ما أصابنا من المصائب الجليئة والرزايا العظيمة «في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير، لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم، والله لا يحب كل مختال فخور»، تباً لكم! فانظروا اللعنة والعذاب، فكأن قد حلّ بكم وتواترت من السماء نقمات، فيسحتكم بعذاب وبذيق بعضكم بأس بعض، ثم تخلدون في العذاب الأليم يوم القيامة بما ظلمتمونا، ألا لعنة الله على الظالمين.

مع الרכب الحسينى (ج ۵)، ص: ۱۰۴

ويلكم! أتدرون أية يد طاعتنا منكم؟! وأية نفس نزعت إلى قتالنا؟! أم بأي رجل مشيتم إلينا تبغون محاربتنا!؟

قست والله قلوبكم، وغلظت أكبادكم، وطبع على أفئدتكم، وختم على أسماعكم وأبصاركم، وسوّل لكم الشيطان وأملى لكم، وجعل على بصركم غشاوة فأنتم لانهتدون!

فتباً لكم يا أهل الكوفة! أي ترات لرسول الله صلى الله عليه و آله قبلكم، وذحول له لديكم بما عندتم بأخيه علي بن أبي طالب عليه السلام جدى وبنيه وعترة النبي الأخيار صلوات الله وسلامه عليهم!؟ وافتخر بذلك مفتخركم فقال:

نحن قتلنا علياً وبنى علي بسيف هندية ورماح

وسبينا نساءهم سبى ترك ونطحناهم فأى نطاح

بفيك أيها القائل الكثكث والأثلب! افتخرت بقتل قوم زكاهم الله وأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً! فاكظّم وأقع كما أفعى أبوك فإنما لكل امرء ما اكتسب وما قدمت يداه، أحسدتمونا - ويلاً لكم - على ما فضّلنا الله!؟

فماذنبا إن جاش دهرًا بحورنا وبحرك ساج لا يوارى الدعامصا

ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور.

قال: وارتفعت الأصوات بالبكاء! وقالوا: حسبك يا ابنه الطيبين! فقد أحرقت قلوبنا، وانضجت نحورنا، وأضمرت أجوافنا. فسكتت. «۱»

معالركب الحسينى (ج ٥)، ص: ١٠٥

خطبة أم كلثوم بنت على عليها السلام ص : ١٠٥

«قال: وخطبت أم كلثوم بنت على عليه السلام فى ذلك اليوم من وراء كلتها، رافعة صوتها بالبكاء فقالت: يا أهل الكوفة! سواء لكم! خذلتهم حسينا وقتلتموه، وانتهبتم أمواله وورثتموه؟! وسيتم نساءه ونكبتموه؟! فتبا لكم وسحقا. ويلكم! أتدرون أى دواه دعتكم؟! وأى وزر على ظهوركم حملتم؟! وأى دماء سفكتم؟! وأى كريمة أصبتموها؟! وأى صبية سلبتموها؟! وأى أموال انتهبتموها؟! قتلتم خير رجالات بعد النبى صلى الله عليه وآله! ونزعت الرحمة من قلوبكم، ألا إن حزب الله هم الفائزون، وحزب الشيطان هم الخاسرون. ثم قالت:

قتلتم أخى صبورا، فويل لأممكم ستجزون نارا حرها يتوقد
سفكتم دماء حرم الله سفكها وحرمها القرآن ثم محمدا
ألا فابشروا بالنار إنكم غدا لفي سقر حقا يقينا تخذلوا
وإنى لأبكى فى حياتى على أخى على خير من بعد النبى سيولدا
بدمع غزير مستهل مكفكف على الخد منى دائما ليس يجمد
قال فضج الناس بالبكاء والحنين والنوح، ونشر النساء شعورهن، ووضعن التراب على رؤوسهن، وخمشن وجوههن وضربن خدودهن،
ودعون بالويل والثبور، وبكى الرجال واتفوا لحاهم! فلم ير باكية وباك أكثر من ذلك اليوم.» (١)
معالركب الحسينى (ج ٥)، ص: ١٠٦

خطبة الإمام السجاد عليه السلام ص : ١٠٦

«ثم إن زين العابدين عليه السلام أوما إلى الناس أن اسكتوا، فسكتوا، فقام قائما، فحمد الله وأثنى عليه، وذكر النبى صلى الله عليه وآله و آلهم ثم صلى عليه، ثم قال:
أيها الناس! من عرفنى فقد عرفنى، ومن لم يعرفنى فأنا على بن الحسين بن على بن أبى طالب عليه السلام، أنا ابن من انتهكت حرمة،
وسلبت نعمته، وانتهب ماله، وسبى عياله! أنا ابن المذبوح بشط الفرات من غير ذل ولا ترات! أنا ابن من قتل صبورا، فكفى بذلك
فخرا!
أيها الناس! فأشدكم الله، هل تعلمون أنكم كتبتم إلى أبى وخدعتموه؟!
وأعطيتموه من أنفسكم العهد والميثاق والبيعة وقتلتموه؟!
فتبا لما قدمتم لأنفسكم! وسواء لرأيكم! بأية عين تنظرون إلى رسول الله صلى الله عليه وآله إذ يقول لكم: قتلتم عترتى، وانتهدتم
حرمتى، فلستم من أمتى؟!
قال الراوى: فأرتفعت الأصوات من كل ناحية، ويقول بعضهم لبعض: هلكتم وما تعلمون!!
فقال عليه السلام: رحم الله امرأة قبل نصيحتى وحفظ وصييتى فى الله وفى رسوله وأهل بيته، فإن لنا فى رسول الله صلى الله عليه وآله

أسوء حسنة.

فقالوا بأجمعهم: نحن كلنا يا ابن رسول الله سامعون مطيعون، حافظون لذمامك، غير زاهدين فيك ولا راغبين عنك! فمرنا بأمرك يرحمك الله! فإننا حربٌ لحربك! وسلم لسلمك! لناخذنّ يزيد لعنه الله ونبرأ ممن ظلمك!
فقال عليه السلام: هيهات هيهات أيها الغدر المكرة! حيل بينكم وبين شهوات أنفسكم! أتريدون أن تأتوا إلّي كما أتيتم إلى آبائي من قبل؟!!

مع الركب الحسيني (ج ٥)، ص: ١٠٧
كلّا وربّ الراقصات! فإنّ الجرح لَمّا يندمل، قُتل أبي صلوات الله عليه بالأمسِ وأهل بيته معه، ولم ينسني ثكل رسول الله وثكل أبي وبني أبي، ووجده بين لهاتي، ومرارته بين حناجرى وحلقى، وغصصه يجرى في فراش صدرى، ومسألتي أن لا تكونوا لنا ولا علينا!
ثم قال:

لا غرو أن قتل الحسين فشيخه قد كان خيراً من حسين وأكرما
فلا تفرحوا يا أهل كوفان بالذى أصيب حسين كان ذلك أعظما
قتيل بشطّ النهر روحى فداؤه جزاء الذى أرداه نار جنهما
ثم قال: رضينا منكم رأساً برأس! فلا يوم لنا ولا يوم علينا!.. «١»

إشارة (١) ص: ١٠٧

يلاحظ المتأمل في حُطَب كلّ من الإمام السجّاد، والعقيلة زينب، وأمّ كلثوم، وفاطمة الصغرى عليهم السلام أن الخطّ المشترك الرئيس في كلّ هذه الخطب هو أنهم صلوات الله عليهم ألقوا باللائمة على أهل الكوفة، وخاطبواهم بصفتهم الجناة الذين ارتكبوا جريمة قتل سيد الشهداء عليه السلام وأنصاره رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، بما ظهر منهم من ختل وغدر ونقضٍ للبيعة، وبما كان منهم من انقياد تام لأوامر يزيد وعبيد الله بن زياد وعمر بن سعد وشمر وبقية طغاتهم!
فالأمة هنا هي وقود النار التي اقتدح شرارتها الجابرة الظالمون، وهي أداة القتل، بل هي التي باشرت ارتكاب الجريمة العظمى بيدها! فهي التي تستحقّ اللعن الدائم إلى قيام الساعة وفي هذا وردت نصوص كثيرة عن أهل بيت مع الركب الحسيني (ج ٥)، ص: ١٠٨

العصمة عليهم السلام منها هذه الفقرة من زيارة عاشوراء:
«.. فلعن الله أمةً أسست أساس الظلم والجور عليكم أهل البيت، ولعن الله أمةً دفعتمكم عن مقامكم وأزالتكم عن مراتبكم التي رتبكم الله فيها، ولعن الله أمةً قتلتمكم ..» «١»

إنّ دور الأمة - في مجموعة العلل والأسباب الإجتماعية - هو الدور الفاعل الرئيس، فبالأمة يستطيع قادة الخير أن يحققوا كلّ مشاريع الخير والصلاح، وبدونها يعجز هؤلاء القادة عن تحقيق أىّ هدف من أهداف الإصلاح والخير، وكذلك فإنّ أئمة الضلال إنّما يستطيعون بلوغ أهدافهم الشريرة المشؤومة ما أطاعتهم الأمة فيما يريدون، ويعجزون عن تحقيق أى مطمع من مطامعهم إذا خالفهم الأمة في الرأى والعمل.

نعم، في البدء يكون سامريّ وعجل! لكنهما لا أثر لهما مالم تطعهما الأمة وتقتف أثرهما!
فالأمة وإن كانت تابعة لكنها ذات الدور الفاعل الأساس!

من هنا صبّ خطباء بقية الركب الحسيني جام غضبهم على أهل الكوفة وحملوهم أوزار جريمة فاجعة عاشوراء .. إذ لولا أمة «أهل

الكوفة» لكان ابن زياد وجلالوته أعجز من أن يقوموا بما قاموا به!

الإشارة (٢): هل كانت لفاطمة عليها السلام بنت واحدة أم أكثر؟ ص : ١٠٨

يُستفاد من بعض النصوص أن مولاتنا فاطمة الزهراء عليها السلام كان لها من ذريتها

مع الركب الحسيني (ج ٥)، ص: ١٠٩

بنت واحدة هي زينب عليها السلام وكانت كنيها أم كلثوم، كما في هذا النص الذي ينقله الشيخ القمي في كتابه (بيت الأحران) عن كتاب مصباح الأنوار: «عن أبي عبد الله عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام، قال: إن فاطمة عليها السلام لما احتضرت أوصت علياً عليه السلام فقالت: إذا أنا مت فتول أنت غسلني، وجهزني، وصل عليّ، وأنزلني في قبري، وألحدني، وسوّ التراب عليّ، واجلس عند رأسي قبالة وجهي فأكثر من تلاوة القرآن والدعاء فإنها ساعة يحتاج الميت إلى أنس الأحياء، وأنا أستودعك الله تعالى وأوصيك في ولدي خيراً، ثم ضمت إليها أم كلثوم فقالت له: إذا بلغت فلها ما في المنزل ثم الله لها، فلما توفيت فعل ذلك أمير المؤمنين عليه السلام». «١» وكما في النص الذي يرويهِ الشيخ الصدوق (ره) بسنده عن حماد بن عثمان «قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك! ما معنى قول رسول الله: إن فاطمة أحصنت فرجها، فحرم الله ذريتها على النار. فقال: المعتقون من النار هم ولد بطنها الحسن والحسين وأم كلثوم». «٢»

وكما في الخبر الذي ينقله الشيخ المفيد (ره) من رواية عثمان بن المغيرة حيث يقول: «لما دخل شهر رمضان كان أمير المؤمنين عليه السلام يتعشى ليلة عند الحسن، وليلة عند الحسين، وليلة عند عبد الله بن جعفر، وكان لا يزيد على ثلاث لقم ...». «٣» فإن ليلة عبد الله بن جعفر (رض) تعنى ليلة زينب عليها السلام لأنها زوجته، وليس هنا ليلة أخرى يتعشى فيها عليّ عليه السلام عند ابنته له أخرى إسمها أم كلثوم!

لكن هناك روايات أخرى يستفاد منها أن علياً وفاطمة عليهما السلام كان لهما من

مع الركب الحسيني (ج ٥)، ص: ١١٠

ذريتهما إبتنان هما زينب وأم كلثوم عليهما السلام، بل إن هذه الروايات هي الأكثر، وفي ضوئها ذهب جمع من علمائنا إلى هذا، منهم الشيخ المفيد (ره) حيث يقول في الإرشاد: «أولاد أمير المؤمنين صلوات الله عليه سبعة وعشرون ولداً ذكراً وأنثى:

الحسن والحسين وزينب الكبرى وزينب الصغرى المكناة أم كلثوم، أمهم فاطمة البتول ...». «١»

ويقول المقدسي المتوفى سنة ٦٢٠ هـ في كتابه «التبيين في أنساب القرشيين»:

«وولدت - أي فاطمة عليها السلام - لعلّي رضى الله عنه: الحسن والحسين وأم كلثوم وزينب» «٢» وقال أيضاً: «ولم يتزوج عليّ امرأة

سوى فاطمة حتى ماتت، وولد له منها الحسن والحسين وأم كلثوم وزينب الكبرى رضى الله عنهم». «٣»

وقال المرحوم المامقاني: «أم كلثوم بنت أمير المؤمنين عليها السلام، هذه كنية زينب الصغرى، وقد كانت مع أخيها الحسين عليه

السلام بكر بلاء، وكانت مع السجاد إلى الشام ثم إلى المدينة، وهي جليلة القدر فهيمه بليغه ...». «٤»

وقال المرحوم النمازي: «كانت لمولانا أمير المؤمنين صلوات الله عليه بنات منهن ثلاث زينبات: زينب الكبرى، وزينب أخرى المكناة

بأم كلثوم، من ولد فاطمة الزهراء صلوات الله عليها، وزينب أخرى من أم ولد.

أما زينب الكبرى صلوات الله عليها: من رواة الحديث، أدركت النبي صلى الله عليه وآله وولدت في حياته، وهي عقيلة بني هاشم،

ذات الخصال الحميدة والصفات

مع الركب الحسيني (ج ٥)، ص: ١١١

المجيدة، وفي الصبر والثبات وقوة الإيمان والتقوى فريده وحيدة، وفي الفصاحة والبلاغة كأنها تنطق من لسان أمير المؤمنين عليه السلام ... وفي كتاب الزينبات روايات محصولها أن زينب الكبرى عليها السلام لما جاءت إلى المدينة كانت تحرض الناس على الأخذ بثار الحسين عليه السلام، فأبلغ خبرها والى المدينة إلى يزيد، فأمر يزيد بإخراجها من المدينة مع من تشاء من نساء بنى هاشم إلى مصر، فجهّزهن إلى مصر، فلما وردوا مصر أقامت فيها أحد عشر شهراً وخمسة عشر يوماً، وتوفيت بمصر في ١٥ رجب سنة ٦٢ هـ ...» (١)

ويُنسب إلى السيد محسن الأمين العاملى أنه قال: «وجد على قبر في الشام حجر مكتوب عليه: هذا قبر السيدة زينب المكناة بأم كلثوم بنت سيدنا علي رضي الله عنه.» (٢)

حكاية اختطاف الإمام السجّاد!! ص : ١١١

روى ابن سعد في طبقاته يقول: «قال علي بن الحسين: فغيبني رجل منهم،» (٣)
وأكرم نزلي واختصني، وجعل يبكي كلما خرج ودخل! حتى كنت أقول: إن يكن عند أحد من الناس خيرٌ ووفاء فعند هذا!
إلى أن نادى منادى ابن زياد: ألا من وجد علي بن حسين فيأت به فقد جعلنا فيه ثلاثمائة درهم!
مع الרכب الحسينى (ج ٥)، ص: ١١٢

قال: فدخل والله علي وهو يبكي، وجعل يربط يدي إلى عنقي وهو يقول: أخاف!!
فأخرجني والله إليهم مربوطاً حتى دفعني إليهم وأخذ ثلاثمائة درهم وأنا أنظر إليها!!
فأخذتُ وأدخلت علي ابن زياد فقال: ما اسمك؟
فقلت: علي بن حسين.

قال: أولم يقتل الله علياً؟
قال: قلت: كان لى أخ يُقال له علي، أكبر مني، قتله الناس!
قال: بل الله قتله.
قلت: «الله يتوفى الأنفس حين موتها».

فأمر بقتله، فصاحت زينب بنت علي: يا ابن زياد حسبك من دماننا! أسألك بالله إن قتلتني معاً فتركه ...» (١)

إشارة ص : ١١٢

إننا نتحفظ على هذه الرواية- في صدد اختطاف الإمام عليه السلام أو تغييبه- من الناحية التحقيقية للأسباب التالية:
١- أن هذه الرواية فضلاً عن إرسالها كان ابن سعد قد تفرّد بها على ما يبدو، إذ لم يذكرها مؤرخ آخر من مؤرخي أهل السنة، فضلاً عن مؤرخي الشيعة الأوائل.

وما في كتاب المنتظم أو في كتاب مرآة الزمان لابن الجوزي هو نقل عن كتاب الطبقات، وكذلك ما في كتاب تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي هو أيضاً نقل عن كتاب الطبقات.

مع الרכب الحسينى (ج ٥)، ص: ١١٣

٢- كان الإمام السجّاد عليه السلام زعيم قافلة السبي والراعى لها، ولاشك أنه كان موضع حراسة مشددة خاصة من قبل حرس ابن

زياد، فهو لا يخفى عن أعينهم طرفه عين لأهميته، فلا يُعقل أن يأتي رجل فيأخذه ويغيبه عن الركب وعن الحرس وعن الناس بهذه السهولة!!

٣- ثم إن الإمام السجّاد عليه السلام لم يكن ليخفى طرفه عين عن نظر الهاشميات في الركب الحسيني لأنه بقيه سيف وبقيه الإمامة، ولأنه حماهن الذي يلذن به، خصوصاً مولاتنا زينب عليها السلام التي كان أهم ما يهتمها هو المحافظة على الإمام عليه السلام، وقد عرّضت نفسها مراراً للقتل دونة محافظةً عليه، فلو صحّ ما في هذه الرواية لكانت زينب عليها السلام قد أقامت الدنيا وأقعدتها، ولبان ذلك في كتب التاريخ كحدث مهم جداً من أحداث وقائع الأسر والسبي.

٤- تُظهر هذه الرواية الإمام عليه السلام وكأنه لا يهتمه إلا أمر نفسه! ولا يهتمه ما تعانیه عمّاته وأخواته وبقيه سبايا الركب الحسيني، إذ قد أحسّ بالراحة والإطمئنان عند هذا الرجل!!- كما تصوّره الرواية!- وهذا مما لا يتلائم مع الغيرة الهاشمية الحسينية التي خير ما تتجسد إن تجسّدت ففي عليّ بن الحسين عليهما السلام نفسه.

٥- وتُظهر هذه الرواية الإمام عليه السلام أيضاً وكأنه ليس ليعلم ما يريد هذا الخاطف فقط- وهو الذي لا يخفى عليه علم ما يشاء علمه!- بل وكأنه من البساطة والسذاجة- حاشاه!- بحيث قد اطمأنّ بسرعة إلى هذا الرجل المجهول وهو من أهل الكوفة الذين يصفهم الإمام السجّاد عليه السلام نفسه بأنهم أهل غدر وختل وخيانة.

٦- ظاهر الرواية مُشعرٌ بأنّ الإمام عليه السلام بقي في منزل هذا الرجل نهاراً أو أكثر من نهار! وفي نقل ابن الجوزي: «فبينما أنا ذات يوم عنده» وهذا التعبير مُشعرٌ بأنّه عليه السلام بقي عند هذا الرجل أياماً!!

مع الركب الحسيني (ج ٥)، ص: ١١٤

مع أنّ تسلسل حركة أحداث ووقائع وجود الركب الحسيني في الكوفة ينافي هذا تماماً، لأن لقاءهم مع ابن زياد في قصره كان قد تمّ في نفس اليوم الذي دخلوا فيه الكوفة- وهو اليوم الثاني عشر من المحرم- ولأنّ إدخالهم السجن كان قد بدأ في أواخر نهار ذلك اليوم، فكيف يمكن لذلك الرجل - علي ما تدّعيه رواية ابن سعد- أن يُغيب الإمام عليه السلام عنده!؟

الطواف برأس الإمام عليه السلام في سكك الكوفة!! ص : ١١٤

قال السيد ابن طاووس (ره): «ثمّ أمر ابن زياد برأس الحسين عليه السلام فطيف به في سكك الكوفة، ويحقّ لي أن أتمثّل هاهنا بأبيات لبعض ذوى العقول يرثى بها قتيلاً من آل الرسول صلى الله عليه وآله فقال:

رأس ابن بنت محمّدٍ ووصيه للناظرين على قناةٍ يرفّع
والمسلمون بمنظرٍ وبمسمع لا منكرٌ منهم ولا متفجّع
كحلت بمنظر ك العيون عمّايةً وأصمّ رزوك كلّ أذن تسمع
أيقظت أجفاناً وكنت لها كرى وأنمت عيناً لم تكن بك تهجع
ما روضةٌ إلا تمّت أنّها لك حفرةٌ ولخطّ قبرك مضجع» (١)

وقال الشيخ المفيد (ره): «ولما أصبح عبيدالله بن زياد بعث برأس الحسين عليه السلام فدير به سكك الكوفة كلّها وقبائلها، فروى عن زيد بن أرقم أنّه قال:

مُرّ به عليّ وهو على رمح وأنا في غرفة، فلمّا حاذاني سمعته يقرأ «أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجباً». (١)
فقفّ (٢) والله شعري وناديت رأسك والله يا ابن رسول الله أعجب!!

ولمّا فرغ القوم من التطوّف به بالكوفة ردّه إلى باب القصر، فدفعه ابن زياد إلى زجر بن قيس، ودفع إليه رؤوس أصحابه وسرّحه إلى

يزيد بن معاوية..» (٣)

وقال ابن شهر آشوب: وروى أبو مخنف، عن الشعبي: أنه ضُلب رأس الحسين عليه السلام بالصيارف في الكوفة، فتنحج الرأس وقرأ سورة الكهف إلى قوله:

«إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى» فلم يزداهم ذلك إلَّا ضلالًا!». (٤)

معالركب الحسيني (ج ٥)، ص: ١١٦

كلام المرحوم السيد المقرّم حول تكلم الرأس ص : ١١٦

«لم يزل السبط الشهيد حليف القرآن مُنذ أنشئ كيانه لأنهما ثقلا رسول الله وخليفته على أمته، وقد نصّ الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله بأنهما لن يفترقا حتّى يردا عليه الحوض، فبذلك كان الحسين عليه السلام غير مبارح تلاوته طيلة حياته، في تهذيبه وإرشاده، وتبليغه في حلّه ومرتحله، حتّى في موقفه يوم الطف بين ظهرائي أولئك المتجمهرين عليه، ليتّم عليهم الحجّة ويوضح لهم المحجّة.

هكذا كان ابن رسول الله يسير إلى غايته المقدّسة سيراً حثيثاً حتّى طفق يتلو القرآن رأسه المطهّر فوق عامل السنان، عسى أن يحصل في القوم من يكهره نور الحقّ، غير أنّ داعية الهدى لم يصادف إلّا قصوراً في الإدراك وطبعاً في القلوب، وصمماً في الآذان «ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة».

ولا يستغرب هذا من يفقه الأسرار الإلهيّة، فإنّ المولى سبحانه بعد أن أوجب على سيد الشهداء النهضة لسدّ أبواب الضلال بذلك الشكل المحدّد الظرف والمكان والكيفيّة لمصالح أدركها الجليل جلّ شأنه، فأوصى إلى نبيه الأقدس أن يقرأ هذه الصفحة الخاصّة على ولده الحسين عليه السلام، فلا سبيل إلّا التسليم والخضوع للأصلح المرضي لربّ العالمين «لا يسأل عمّا يفعل وهم يسألون».

وحيث أراد المهيمن تعالى بهذه النهضة المقدّسة تعريف الأُمّة الحاضرة والأجيال المتعاقبة ضلال الملتوين عن الصراط السويّ، العابثين بقداسة الشريعة، أحبّ الإتيان بكلّ ما فيه توطيد أسس هذه الشهادة التي كتبت بدمها الطاهر صحائف نيرة من أعمال الثائرين في وجه المنكر، فكانت هذه محفوفة بغرائب لاتصل إليها الأفهام، ومنها استشهاد الرأس المعظّم بالآيات الكريمة، والكلام من رأس مقطوع أبلغ في إتمام الحجّة على من أعمته الشهوات عن إِبصار الحقائق،

معالركب الحسيني (ج ٥)، ص: ١١٧

وفيه تركيز العقائد على أحقيّة دعوته التي لم يقصد بها إلّا الطاعة لربّ العالمين، ووخامة عاقبة من مدّ عليه يد السوء والعدوان، كما نبّه الأُمّة على ضلال من جرّاهم على الطغيان.

ولابدع في القدرة الإلهيّة إذا مكّنت رأس الحسين عليه السلام من الكلام للمصالح التي نقصر عن الوصول الي كنهها بعد أن أودعت في الشجرة قوّة الكلام مع نبيّ الله موسى بن عمران عليه السلام عند المناجاة، وهل تُقاس الشجرة برأس المنحور في طاعة الرحمن سبحانه؟! «كلّا!». (١)

ما هو السرُّ في تلاوته هذه الآية من سورة الكهف؟ ص : ١١٧

إشارة

لعلّ السرّ في تلاوة الرأس المقدّس هذه الآية الشريفة من سورة الكهف: «أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجا»

(٢)

هو أنّ هناك مشتركات بين أصحاب الكهف عليهم السلام وبين الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه الذين استشهدوا بين يديه عليهم السلام، ومع وجود هذه المشتركات جعل الله تبارك وتعالى آية الحسين عليه السلام أعجب وأعجب؟! وهذا ما تؤكده نفس الآية الشريفة حيث تبدأ باستفهام استنكارى مفاده أنّ في آيات الله ما هو أعجب من آية أصحاب الكهف عليهم السلام، وهذا المعنى هو ما أراد أن يلفت الإنتباه إليه الرأس المقدس بتكراره تلاوة هذه الآية الشريفة في مواضع كثيرة. (٣)

مع الركب الحسيني (ج ٥)، ص: ١١٨

فإذا كان الناس قد أيقنوا بحقائبة دعوة واعتقاد أصحاب أهل الكهف بعد ثلاثمائة وتسع سنين، فإنّ نهضة الإمام الحسين عليه السلام قد حفّت بها آيات الله الكاشفة عن حقايقها منذ بدئها وحتى يومنا هذا، وما جرى من آيات إلهية على يد الإمام الحسين عليه السلام في أعدائه في أيام حياته وبعد استشهاده، وهي كثيرة جداً دليل على ذلك أيضاً، بل إنّ نفس نطق الرأس المقدس بعد قطعه وحتى دفنه هو آية من أكبر الآيات المفصّحة عن هذه الحقايق وعن كونه عليه السلام فيما جرى عليه أعجب وأعجب من آية أصحاب الكهف!

وقد يحسن هنا أيضاً الإشارة إلى أهمّ المشتركات بين الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه صلوات الله عليهم أجمعين وبين أصحاب الكهف عليهم السلام، وهي:

١- الفتوة: «إنهم فتية»: ص: ١١٨

والفتى لا ينحصر معناه بمعنى الشاب والحدث، بل معناه الجزل من الرجال، الناهض بأعباء المسؤولية، المتحمّل لأعباء المعتقد، كما قال الشاعر:

إنّ الفتى حمّالٌ كلّ ملّمة ليس الفتى بمنعم الشبان

٢- القيام لله: ص: ١١٨

إنّ قيام أهل الكهف قرره القرآن الكريم بقوله تعالى: «إذ قاموا فقالوا...»، وقيام شهداء الطف لا يحتاج إلى دليل.

٣- الرجعة: ص: ١١٨

ورد في الروايات (١) أنّ لأهل الكهف رجعة، وأنهم من أنصار الإمام المهديّ عليه السلام قائد الفصل الأخير من فصول نهضة الإمام الحسين عليه السلام، كما ورد في الروايات أنّ شهداء الطف يرجعون أيضاً.

مع الركب الحسيني (ج ٥)، ص: ١١٩

في مجلس الطاغية ابن زياد ص: ١١٩

الرأس المقدس يتلو القرآن عند باب دار الإمارة! ص: ١١٩

ينقل صاحب كتاب رياض الأحزان أنّه حكى عن شاهد عيان: أنّ الرؤوس لما كانت تؤخذ من الرماح وتُنزل على باب دار الإمارة كانت شفتا رأس الإمام الحسين عليه السلام تتحركان وهو يقرأ قوله تعالى: «ولاتحسبنّ الله غافلاً عمّا يعمل الظالمون». (١)

وسالت دماً حيطان دار الإمارة! ص : ١١٩

روى ابن عساكر بسنده عن أبي غالب قال: «حدّثني بواب عبيدالله بن زياد أنّه لما جىء برأس الحسين فوضع بين يديه رأيت حيطان دار الامارة تسایل دماً!». «٢»

ابن زياد يضرب ثانيا الرأس المقدس بالقضيب!! ص : ١١٩

قال الشيخ المفيد (ره): «جلس ابن زياد للناس في قصر الإمارة، وأذن للناس أذنًا عامًا، وأمر بإحضار الرأس فوضع بين يديه، «٣» فجعل ينظر إليه ويتبسّم! وفي معالركب الحسيني (ج ٥)، ص: ١٢٠

يده قضيب يضرب به ثنياه! وكان إلى جانبه زيد بن أرقم صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله - وهو شيخ كبير - فلما رآه يضرب بالقضيب ثنياه قال له: إرفع قضيبك عن هاتين الشفتين! فوالله الذي لا إله غيره لقد رأيت شفتي رسول الله صلى الله عليه وآله عليهما مالا أحصيه كثرة تقبلهما.

ثم انتحب باكياً، فقال له ابن زياد: أبكى الله عينيك! أتبكي لفتح الله؟! والله لولا أنك شيخ قد خرفت وذهب عقلك لضربت عنقك! فنهض زيد بن أرقم من بين يديه وصار إلى منزله». «١»

وفي نصّ ما ينقله سبط ابن الجوزي، عن ابن أبي الدنيا: «فنهض زيدٌ وهو يقول: أيها الناس أنتم العبيد بعد اليوم! قتلتم ابن فاطمة وأمّرتم ابن مرجانة؟! والله

معالركب الحسيني (ج ٥)، ص: ١٢١

ليقتلنّ أختياركم! وليستعبدن شراركم! فبعداً لمن رضى بالذلّ والعار!

ثم قال: يا ابن زياد لأحدّثتك حديثاً أغلظ من هذا! رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله أقعد حسناً على فخذه اليمنى، وحسيناً على فخذه اليسرى، ثم وضع يده على يافوخيهما، ثم قال: اللهم إني أستودعك إياهما وصالح المؤمنين. فكيف كانت وديعه رسول الله صلى الله عليه وآله عندك يا ابن زياد؟!». «١»

وأنس بن مالك أيضاً! ص : ١٢١

روى ابن عساكر بأسانيد إلى أنس بن مالك الصحابي أنه قال: «لما أتى برأس الحسين - يعنى إلى عبيدالله بن زياد - قال: فجعل ينكت بقضيب في يده ويقول:

إن كان لحسن الثغرا! فقلت والله لأسوءنك! لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقبل موضع قضيبك منه». «٢»

إشارة ص : ١٢١

روى الشيخ المفيد (ره) بسند عن أبي سلمان المؤذن، عن زيد بن أرقم قال:

«نشد عليّ النَّاس في المسجد فقال: أنشد الله رجلاً سمع النبي صلى الله عليه وآله يقول: من كنت

مع الركب الحسيني (ج ٥)، ص: ١٢٢

مولاه فعليّ مولاه، أَللّهم وال من والاه، وعادٍ من عاداه؟

فقام إثنا عشر بدرياً، ستّة من الجانب الأيمن، وستّة من الجانب الأيسر، فشهدوا بذلك.

قال زيد بن أرقم: وكنت فيمن سمع ذلك فكنته! فذهب الله ببصري.

وكان يتندّم على ما فاتته من الشهادة ويستغفر..» (١)

وأما أنس بن مالك فقد كان أمير المؤمنين عليّ عليه السلام بعثه إلى طلحة والزبير - لما جاء عليه السلام إلى البصرة - ليذكرهما شيئاً ممّا سمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله في أمرهما، فلوى أنس عن ذلك ورجع إليه فقال: «إنّي أنسيتُ ذلك الأمر! فقال عليه السلام: إن كنت كاذباً فضربك الله بها بيضاء لامعة لاتواريقها العمامة! فأصاب أنساً داء البرص فيما بعد في وجهه! فكان لا يرى إلّا مبرقعاً.» (٢)

فلا عجب أن يحضر مجلس ابن زياد، ويجلس إلى جانبه، أمثال هذين الصحابين الذين كانا قد كتما ما سمعاه من الحق من فم رسول الله صلى الله عليه وآله! ولا عجب أن يكون هناك آخرون من الصحابة ممن تعودوا حضور مجلس الطاغية ابن زياد، في الأيام التي كانت حركة أحداث النهضة الحسينية تمرّ بأخطر منعطفاتها!

ألم يكن من واجب أمثال هؤلاء الصحابة أن يكونوا إلى جنب الإمام عليه السلام في نهضته، حتّى وإن كانوا ممّن سقط عنه تكليف الجهاد والقتال، حتى تقوى بهم حجة الحق على الباطل؟! ثمّ أليسوا هم ممّن قتل ابن فاطمة عليها السلام وأمر ابن مرجانته؟!

مع الركب الحسيني (ج ٥)، ص: ١٢٣

كيف لا؟! وهم من المقرّبين الى ابن مرجانته الذين يجلسون الى جنبه، معرضين عن ركب الحسين عليه السلام في كربلاء وهي على قرب من الكوفة!

إننا لانملك أن نردّ أو أن ننكر ما أورده التاريخ من أنّ هذين الصحابين قد أنكرا على ابن زياد نكته ثنايا الرأس المقدّس بالقضيب، لكننا نملك أن نفترّ سبب هذا الاستنكار فنقول: إنّ أمثال هؤلاء لا يستنكرون على الطغاة مفتضح مُنكراتهم وقبائحهم انتصاراً للحقّ وللمعروف، بل يستنكرونها عليهم حرصاً على ما تبقى لهم أنفسهم عند الناس من سمعة حسنة!! - إن كان تمّ سمعة حسنة لهم؟! - ثمّ هم لا يصلون في استنكارهم الحدّ الذي يهدّد حياتهم ويعرّضهم الى القتل، بل لا يستنكرون إلّا مع اطمئنانهم من عدم وصول المكروه إليهم! ولو كان أمثال هؤلاء ممّن ينتصرون للحقّ في وجه الباطل في صدق من التّية والعزم لرأيانهم في صفحة التاريخ تحت راية الهدى وفي صفّ الحقّ لافى مجالس الطغاة وأنديتهم وملاهيهم.

وكان للكاهن دور المستشار هناك أيضاً! ص : ١٢٣

من الملفت للإنتباه أنّ من معالم الحكم الأموي - بل من معالم الفترة التي استولت فيها حركة النفاق على سدّة الحكم منذ السقيفة - هو أن أفراد فصيل منافقى أهل الكتاب من يهود ونصارى كانوا يقومون بدور (المستشار) لحكام حركة النفاق. (١)

وهذا الخبر الذي ينقله سبط ابن الجوزي في كتابه تذكره الخواص من مصاديق هذه الحقيقة: «وقال هشام بن محمّد: لما وضع الرأس بين يدي ابن زياد قال له كاهنه: قم فضع قدمك على فم عدوك! فقام فوضع قدمه على فيه! ثمّ قال

مع الركب الحسيني (ج ٥)، ص: ١٢٤

لزيد بن أرقم: كيف ترى؟

فقال: والله لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله واضعاً فاه حيث وضعت قدمك!». «١»

العقيلة زينب في مواجهة ابن زياد! ص : ١٢٤

«وسيقت العوائل الهاشميات إلى قصر الإمارة في موكب تعس لم تشهد الدنيا له مثيلاً من قبل ولا من بعد! بنات النبي سبايا قد حملن على أقتاب الجمال بغير وطء! ممزقات الجيوب حواسر الوجوه! حافيات الأقدام! يتقدمهن حملة الرؤوس على أسنة الرماح!». «٢»

ويقول الشيخ المفيد (ره): «وأدخل عيال الحسين عليه السلام على ابن زياد، فدخلت زينب أخت الحسين في جملتهم متكررة وعليها أرذل ثيابها، فمضت حتى جلست ناحية من القصر وحفت بها إماؤها، فقال ابن زياد: من هذه التي انحازت ناحية ومعها نساؤها؟ فلم تجبه زينب، فأعاد ثانية وثالثة يسأل عنها!

فقال له بعض إمائها: هذه زينب بنت فاطمة بنت رسول الله.

فأقبل عليها ابن زياد وقال لها: الحمد لله الذي فضحككم وقتلكم وأكذب أحدوئكم!

فقالت زينب: الحمد لله الذي أكرمنا بنبيه محمد صلى الله عليه وآله وطهرنا من الرجس تطهيراً،

مع الרכب الحسينى (ج ٥)، ص: ١٢٥

وإنما يفتضح الفاسق ويكذب الفاجر، وهو غيرنا والحمد لله.

فقال ابن زياد: كيف رأيت فعل الله بأهل بيتك؟

قالت: كتب الله عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم فتحاجون إليه وتختصمون عنده! فغضب ابن زياد واستشاط.

فقال عمرو بن حريث: «١» أيها الأمير! إنها امرأة، والمرأة لا تؤخذ بشيء من منطقتها، ولا تؤد على خطابها.

فقال لها ابن زياد: لقد شفى الله نفسى من طاغيتك والعصاة من أهل بيتك!». «٢»

وفى عبارة الطبرى: «فقال لها ابن زياد: قد أشفى الله نفسى من طاغيتك والعصاة المردة من أهل بيتك!

قال فبكت، ثم قالت: لعمري لقد قتلت كهلى، وأبرت أهلى، وقطعت فرعى، واجتثت أصلى، فإن يشفك هذا فقد اشتفيت!

فقال لها عبيدالله: هذه سجاعة! قد لعمري كان أبوك شاعراً سجاعاً!

قالت: ما للمرأة والسجاعة؟! إن لى عن السجاعة لشغلاً، ولكن نفثى ما أقول». «٣»

وفى رواية ابن أعمش الكوفى والسيد ابن طاووس أن ابن زياد لما سأل زينب عليها السلام قائلاً: كيف رأيت صنع الله بأخيك وأهل بيتك؟

مع الרכب الحسينى (ج ٥)، ص: ١٢٦

قالت: «مارأيتُ إلّا جميلاً! هؤلاء القوم كتب الله عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم يا ابن زياد، فتحاجون وتخاصمون، فانظر لمن الفلج يومئذٍ ثكلتك أمك يا ابن مرجانة!». «١»

الإمام السجاد عليه السلام في مواجهة ابن زياد! ص : ١٢٦

قال الشيخ المفيد (ره): «وعرض عليه على بن الحسين عليه السلام، فقال له: من أنت؟

فقال: أنا علي بن الحسين.

فقال: أليس قد قتل الله علي بن الحسين!؟

فقال له علي عليه السلام: قد كان لي أخ يُسمى علياً قتله الناس.

فقال له ابن زياد: بل الله قتله.

فقال علي بن الحسين عليه السلام: «الله يتوفى الأنفس حين موتها». (٢)

فغضب ابن زياد وقال: وبك جراً لجوابي!؟ وفيك بقيه للرد علي!؟ إذهبوا به فاضربوا عنقه!

فتعلقت به زينب عمته وقالت: يا ابن زياد حسبك من دماننا!

واعتقته وقالت: والله لا أفارقه، فإن قتلته فاقتلني معه!

فنظر ابن زياد إليها وإليه ساعه، ثم قال: عجباً للرحم! والله إنني لأظنها ودت أنني قتلتها معه! دعوه فإنني أراه لِمَا به!». (٣)

مع الרכب الحسينى (ج ٥)، ص: ١٢٧

وفى روايه ابن أعثم الكوفى: «فالتفت ابن زياد إلى علي بن الحسين رضى الله عنه وقال: أولم يقتل علي بن الحسين؟

قال: ذاك أخي، وكان أكبر مني، فقتلتموه، وإن له مطلقاً (١) منكم يوم القيامة!

فقال ابن زياد: ولكن الله قتله!

فقال علي بن الحسين رضى الله عنه: «الله يتوفى الأنفس حين موتها» (٢)

، وقال تعالى «وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله». (٣)

فقال ابن زياد لبعض جلسائه: ويحك! خذه إليك فأظنه قد أدرك اللحم؟ قال:

فأخذه مري بن معاذ الأحمرى، فنحاه ناحية ثم كشف عنه فإذا هو أنبت، فردّه إلى عبيدالله بن زياد وقال: نعم، أصلح الله الأمير، قد

أدرك. (٤)

فقال: خذه إليك الآن فاضرب عنقه!

قال فتعلقت به عمته زينب بنت علي وقالت له: يا ابن زياد! إنك لم تبق منّا أحداً، فإن كنت عزمتم علي قتله فاقتلني معه!

فقال علي بن الحسين لعمته: أسكتي حتى أكلمه.

مع الרכب الحسينى (ج ٥)، ص: ١٢٨

ثم أقبل علي رضى الله عنه على ابن زياد فقال: أباقتل تهددني!؟ أما علمت أن القتل لنا عادة، وكرامتنا الشهادة!

قال فسكت ابن زياد، ثم قال: أخرجوهم عنى!

وأنزلهم فى دار إلى جانب المسجد الأعظم ..». (١)

الرباب زوج الإمام عليه السلام مع رأسه المقدس ص : ١٢٨

قال السيد المقرّم: «ودعا بهم ابن زياد مرّة أخرى، فلما أدخلوا عليه رأين النسوة رأس الحسين بين يديه والأنوار الإلهية تتصاعد من

أساريره إلى عنان السماء، فلم تتمالك الرباب زوجة الحسين دون أن وقعت عليه تقبله، وقالت:

إنّ الذى كان نوراً يُستضاء به بكرىلاء قتيل غير مدفون

سبط النبى جزاك الله صالحه عنا وجنبت خسران الموازين

قد كنت لى جبلاً صعباً ألوذ به و كنت تصحبنا بالرحم والدين

من لليتامى ومن للسائلين ومن يُعنى ويأوى إليه كل مسكين
والله لا أبتغى صهراً بصهركم حتى أُغيب بين الماء والطين» (۲)
«وقيل إن الرباب بنت امرئ القيس زوجة الحسين أخذت الرأس ووضعتة في حجرها وقبلته وقالت:
واحسيناً فلا نسيتُ حسيناً أقصدته أسنَّ الأعداء
غادروه بكرباء صديعاً لاسقى الله جانبي كربلاء» (۱)

أم كلثوم عليها السلام في مواجهة ابن زياد! ص : ۱۲۸

وفيما رواه الشيخ الصدوق (ره) قوله: «.. وأرسل ابن زياد لعنه الله قاصداً إلى أم كلثوم (أخت. ظ) بنت الحسين عليه السلام، فقال:
الحمد لله الذى قتل رجالكم! فكيف ترون ما فعل بكم؟
فقلت: يا ابن زياد! لئن قرئت عينك بقتل الحسين عليه السلام فطالما قرئت عين جدّه به، وكان يقبله ويلثم شفثيه ويضعه على عاتقه! يا
ابن زياد أعدّ لجده جواباً فإنه خصمك غداً!». (۲)
معالركب الحسينى (ج ۵)، ص: ۱۳۰

إشارات ص : ۱۳۰

إشارة

هناك عدّة إشارات وملاحظات تلفت انتباه المتأمل في وقائع ماجرى في مجلس ابن زياد، وفي محاوراته مع رموز بقتية الركب الحسينى، منها:

۱- الشجاعة العليا التى يتمتع بها أهل البيت عليهم السلام ص : ۱۳۰

وقد تجسّدت هذه الحقيقة في مجموعة من الردود التى صدرت عنهم عليهم السلام في مواجهة ابن زياد، في مثل قول زينب عليها السلام: «الحمد لله الذى أكرمنا بنبيه محمّد صلى الله عليه وآله وطهرنا من الرجس تطهيراً، وإنما يُفتضح الفاسق ويكذب الفاجر وهو غيرنا والحمد لله ..»
وفي قولها:

ما رأيت إلماً جميلاً! هؤلاء قوم كتب الله عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم يا ابن زياد، فتحاجون وتخاصمون، فانظر لمن الفلج يومئذٍ ثكلتك أمك يا ابن مرجانة!».
وفي قول الإمام زين العابدين عليه السلام:
«أبالقتل تهددنى؟! أما علمت أن القتل لنا عادة، وكرامتنا الشهادة!».
وفي قول أم كلثوم عليها السلام: «يا ابن زياد أعدّ لجده جواباً فإنه خصمك غداً!».

۲- العرفان والقداء في ذروته عند مولانا زينب عليها السلام ص : ۱۳۰

وقد تجلى ذلك في ردّها على ابن زياد قائلة: «ما رأيت إلماً جميلاً!»، ولم

مع الركب الحسيني (ج ٥)، ص: ١٣١

تقل عليها السلام: «ما رأيت في كربلاء إلّا جميلاً! بل صرّحت بإطلاق رؤية الجميل! أي أنّها عليها السلام منذ أن رأيت لم تر من الله إلّا جميلاً! في كربلاء وقبلها وبعدها! وفي هذا غاية المعرفة والعرفان، وغاية الرضا بقضاء الله والإطمئنان بقدره، وغاية الرضا عن الله تبارك وتعالى، وغاية الشكر له، ولا يكون ذلك إلّا من الحبّ لله سبحانه في أعلى مراتبه.

وأما فداؤها وتضحيتها صلوات الله عليها فقد تجسّد في مواصلتها إلقاء نفسها في فم الموت والقتل مراراً دفاعاً عن حجّة الله على عباده وإمام زمانه مولانا زين العابدين عليه السلام، وإصرارها على أن تقتل قبله ومعه! ولقد تجسّد ذلك في مثل قولها عليها السلام: «والله لا افارقه، فإن قتلتها فاقتلني معه!» حتّى لقد تأثر اللعين ابن زياد من تضحيتها وفدائها ظناً منه أنّ ذلك من عاطفة الرحم فقط! حتّى قال: «عجباً للرحم! والله إنّي لأظنّها ودّت أنّي قتلتها معه!».

٣- قربان الله وقتيله في كربلاء هو ربحانة رسول الله صلى الله عليه وآله، فقاتله قاتل لرسول الله صلى الله عليه وآله، وهو خصمه يوم القيامة ص: ١٣١

وقد تجسّد هذا المعنى في قول أمّ كلثوم عليها السلام: «يا ابن زياد! لئن قرّرت عينك بقتل الحسين عليه السلام فطالما قرّرت عين جدّه به، وكان يقبله ويلثم شفّيه ويضعه على عاتقه! يا ابن زياد أعدّ لجدّه جواباً فإنّه خصمك غداً!»، كما ظهر هذا المعنى في اعتراض زيد بن أرقم وأنس بن مالك على ابن زياد أيضاً.

٤- تفنيد المنطق الجبري الذي أشاعه الأمويون ص: ١٣١

وكان قد أصرّ ابن زياد لعنه الله على ترسيخه في أذهان الناس في المجلس، في قوله لزئيب عليها السلام: «كيف رأيت فعل الله بأهل بيتك؟»، وفي قوله للإمام السجّاد عليه السلام: «أليس قد قتل الله عليّ بن الحسين؟»، وفي ردّه عليه مرّة أخرى حيث

مع الركب الحسيني (ج ٥)، ص: ١٣٢

قال: «بل الله قتله!».

كان الأمويون يريدون أن يوهموا الناس بشبهه أنّ كلّ ما يجري من وقائع وأحداث وظلم وجور وقتل هو تجسيد لإرادة الله وتحقيق لأمره، فلا يحقّ لأحد أن يعترض على إرادة الله، ففي ذلك الكفر والخروج عن ربة الإسلام!! وشقّ لعصا المسلمين!! وتفريق كلمتهم!! وبذلك يحجر الأمويون وكلّ الطغاة على الأئمة أن تعترض أو تنهض وتقوم لإزالة الظلم والجور والطغيان! ليتبادوا هم في ممارسة ما يحلو لهم من اجتراح المظالم والمجازر وإخماد كلّ صوت يدعو إلى الحقّ والعدل!

وفي مواجهة هذا المنطق الجبري حرص أهل البيت عليهم السلام على نشر هذه العقيدة الحقّة وهي: أنّ ما يجري على يد الطغاة الظالمين من قتل وظلم وجور وفساد لا يمثل إرادة الله، لأنّ الله تعالى - فيما صرّح به في كتابه الحكيم - لا يريد الظلم، ولا الفساد، ولا الجور، ولا قتل النفس التي حرّم قتلها إلّا بالحقّ، ولا يحبّ الظالمين ولا يهديهم، بل هو مع المتقين والمحسنين، ومع المصلحين الذين لا يريدون علوّاً في الأرض ولا فساداً.

والله تبارك وتعالى قد دعا عباده المؤمنين المتّقين المصلحين إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإلى القيام بوجه الظالمين الجائرين الطغاة، وإلى المتاجرة مع الله بأموالهم وأنفسهم في سبيله، فإذا قتلوا في سبيله فهم على الحقيقة أحياء عند ربّهم يرزقون، وهذا لا يعني أنّ الله سبحانه أراد قتلهم على نحو القهر والجبر، وأنّ الطغاة الذين قتلوهم إنّما نفّذوا وحقّقوا الإرادة الإلهية بقتلهم! بل هؤلاء الطغاة مسؤولون أمام الله عن قتل كلّ مظلوم.

وقد ردّت زينب عليها السلام على دعوى ابن زياد أنّ ما جرى على أهل بيتها هو من

معالركب الحسينى (ج ٥)، ص: ١٣٣
 فعل الله سبحانه فقالت: هؤلاء القوم كتب الله عليهم القتل - اى على نحو الامر الشرعى فى القيام ضد الحكم الاموى وان ادى هذا القيام الى استشهادهم، فبرزوا الى مضاجعهم امثالاً للامر الشرعى - وسيجمع الله بينك وبينهم يا ابن زياد - فانت يا ابن زياد مسؤول امام الله عن قتلهم - فتجاجون وتخاصمون! فانظر لمن الفلج يومئذ ثكلتك أمك يا ابن مرجانه.
 وقد رد الإمام السجّاد عليه السلام على هذه الدعوى الجبرية أيضاً فى قوله: «قد كان لى أخ يُسمى علياً قتله الناس» وحينما اصراً ابن زياد على دعواه بقوله: «بل الله قتله!» ردّ عليه الإمام عليه السلام بهذه الآية الشريفة: «الله يتوفى الأنفس حين موتها» أى أنه سبحانه يتوفى الأنفس حين موتها وحين النوم وحين القتل وهذا لايعنى أنّ الله حتم على النفس القتيلة أن تُقتل على نحو القهر والجبر، بل القاتل مسؤول عند الله، وقد تجسّد هذا فى ردّ الإمام عليه السلام على ابن زياد - فى روايه أخرى - حيث قال: ذاك أخى، وكان اكبر منى، فقتلتموه، وإنّ له مطلقاً منكم - اى حقاً ودينياً يطالبكم به - يوم القيامة!
 وبهذا يكون هذا المنطق الجبرى قد خاب وافتضح واتضح بطلانه أمام الناس فى مجلس ابن زياد ببركته وعى وشجاعه الإمام السجّاد والعقيلة زينب عليها السلام.

٥- الطغيان والتشقى من علائم الطواغيت دائماً ص : ١٣٣

وهذا ما يلحظه المتأمل فى سيره جميع طواغيت العصور، وقد تجلّى ذلك فى مجلس ابن زياد فى قوله مستنكراً على الإمام السجّاد عليه السلام جرأته وشجاعته فى الردّ عليه قائلاً:
 «وبك جرأة لجوابى؟! وفيك بقيّة للردّ على؟! اذهبوا به فاضربوا عنقه!»، وفى قوله لزينب عليها السلام: «لقد شفى الله نفسى من طاغيتك والعصاة من أهل بيتك!!».
 معالركب الحسينى (ج ٥)، ص: ١٣٤

وينتفض رجل من بكر بن وائل فى وجه ابن زياد! ص : ١٣٤

ينقل المحقق القرشى عن كتاب مرآة الزمان قائلاً: «وكان فى المجلس رجل من بكر بن وائل يُقال له جابر، فانتفض وهو يقول: لله على أن لا أصيب عشرة من المسلمين خرجوا عليك إلّا خرجت معهم!». «١»

ابن زياد يستفز الصحابى أبا برزة الأسلمى! ص : ١٣٤

روى الخوارزمى بسند إلى أبى العالیه البراء «٢» قال: «لمّا قُتل الحسين عليه السلام أتى عبيدالله بن زياد برأسه، فأرسل إلى أبى برزة «٣» فقال له عبيدالله: كيف شأنى وشأن حسين بن فاطمة؟
 قال: الله أعلم! فما علمى بذلك؟!
 قال: إنّما أسألك عن علمك!
 قال: أما إذا سألتنى عن رأى فإنّ علمى أنّ الحسين يشفع له جدّه محمّد صلى الله عليه وآله، ويشفع لك زياد!
 فقال له: أخرج! لولا ما جعلت لك لضربت والله عنقك! فلمّا بلغ باب الدار، قال: لئن لم تغد علىّ وتترج لأضربنّ عنقك!!». «٤»
 معالركب الحسينى (ج ٥)، ص: ١٣٥

وينقل سبط ابن الجوزي رواية عن الشعبي أنه: كان عند ابن زياد قيس بن عباد، «١» فقال له ابن زياد: ما تقول فيّ وفي حسين؟ فقال: يأتي يوم القيامة جدّه وأبوه وأمه فيشفعون فيه، ويأتي جدّك وأبوك وأمّيك فيشفعون فيك! فغضب ابن زياد وأقامه من المجلس. «٢»

الركب الحسيني في محبس ابن زياد ص : ١٣٥

روى الشيخ الصدوق (ره) بسند إلى حاجب عبيدالله بن زياد أن ابن زياد: «لما جيء برأس الحسين عليه السلام أمر فوضع بين يديه في طست من ذهب، وجعل يضرب بقضيب في يده على ثناياه ويقول: لقد أسرع الشيب إليك يا أبا عبدالله! فقال رجل من القوم: فإني رأيت رسول الله يلثم حيث تضع قضيبك! فقال: يوم بيوم بدر!!

ثم أمر بعلّي بن الحسين عليه السلام ففعل وحمل مع النسوة والسبايا إلى السجن، وكنت معهم، فما مررنا بزقاق إلّا وجدناه ملاء رجالاً ونساءً، يضربون وجوههم ويكبون، فحُبسوا في سجن وطُبق عليهم!

مع الركب الحسيني (ج ٥)، ص: ١٣٦

ثم إنّ ابن زياد لعنه الله دعا بعلّي بن الحسين والنسوة، وأحضر رأس الحسين عليه السلام، وكانت زينب ابنة عليّ عليها السلام فيهم، فقال ابن زياد: الحمد لله الذي فضحككم وقتلكم وأكذب أحاديثكم! فقالت زينب عليها السلام:

الحمد لله الذي أكرمنا بمحمّدٍ وطهرنا تطهيرا ... يا ابن زياد حسبك ما ارتكبت منّا فلقد قتلت رجالنا وقطعت أصلنا وأبحت حريمنا وسبيت نساءنا وذرارينا، فإن كان ذلك للاشتفاء فقد اشتفيت!

فأمر ابن زياد بردهم إلى السجن، وبعث البشائر إلى النواحي بقتل الحسين ... «١»

وذهب ابن سعد في طبقاته إلى أنّ عبيدالله بن زياد أمر بحبس من قدم به عليه من بقيّة أهل الحسين معه في القصر. «٢»

وقال السيد ابن طاووس (ره): «ثم أمر ابن زياد بعلّي بن الحسين عليه السلام وأهله فحُمّلوا إلى دار جنب المسجد الأعظم، فقالت زينب بنت عليّ عليه السلام: لا يدخلنّ علينا عريية إلّا أمّ ولد أو مملوكة، فإنهنّ سبين كما سبيننا ..» «٣»

وروى الطبري قائلاً: «فبينما القوم محتبسون إذ وقع حجر في السجن معه كتاب مربوط، وفي الكتاب: خرج البريد بأمركم في يوم كذا وكذا إلى يزيد بن

مع الركب الحسيني (ج ٥)، ص: ١٣٧

معاوية، وهو سائر كذا وكذا يوماً، وراجع في كذا وكذا، فإن سمعتم التكبير فأيقنوا بالقتل! وإن لم تسمعوا تكبيراً فهو الأمان إن شاء الله.

قال فلما كان قبل قدوم البريد بيومين أو ثلاثة إذا حجرٌ قد ألقى في السجن ومعه كتاب مربوط وموسى وفي الكتاب: أوصوا واعهدوا فإنما ينتظر البريد يوم كذا وكذا، فجاء البريد ولم يُسمع التكبير، وجاء كتابٌ بأن سرح الأسارى إلى... «١»

إشارة ص : ١٣٧

هناك عدّة ملاحظات مستفادة من مجموعة هذه النصوص:

١- يُستفاد من نصّ الشيخ الصدوق (ره) أنّ ابن زياد لم يجسّمهم معه في القصر كما ذهب إلى ذلك ابن سعد في طبقاته، ولا في دار

إلى جنب المسجد الأعظم كما روى السيد ابن طاووس في اللهوف، بل حبسهم في سجن على بُعد من القصر ومن المسجد، بدليل قول الحاجب: «فما مررنا بزقاق إلّا وجدناه ملاءً رجالاً ونساءً يضربون وجوههم ويبكون» وربّما كان ابن زياد قد أمر بحبسهم في السجن المطبق قبل أن تقع بينه وبينهم المحاورات الجريئة الساخنة، ثم بعد أن استدعاهم فحاورهم وحاوروه، وصار الناس يولولون ويلغظ أهل المجلس خاف ابن زياد فأمر بردهم إلى الحبس مرّة أخرى في دار إلى جنب المسجد كما ذهب إلى ذلك السيد المقرّم (٢)، أو في القصر.

٢- كما أنّ هذا السجن كان مُطبّقاً عليهم ومُضَيّقاً عليهم فيه لا يمكن أن يدخل عليهم فيه داخل باختياره، بدليل قول الحاجب كما في رواية الصدوق (ره):

«فحبسوا في سجن وطبق عليهم»، لا كما توحى رواية السيد ابن طاووس (ره) أنّ

مع الركب الحسيني (ج ٥)، ص: ١٣٨

بإمكان أية امرأة الدخول عليهم، حيث يقول: «فقال زينب بنت عليّ عليه السلام:

لا يدخلنّ علينا عريية إلّا أمّ ولد أو مملوكه فإنهنّ سبين كما سبيننا»، ولعلّ هذه العبارة كانت قد نطقت بها زينب عليها السلام في المدينة بعد العودة إليها كما هو المشهور، أو ربّما حصل إمكان دخول النساء عليهم في الحبس بعدما سجنوا في المرّة الثانية في دار إلى جنب المسجد إذا أخذنا برواية اللهوف وذهبنا إلى ما ذهبت إليه السيد المقرّم، لكنّ رواية الشيخ الصدوق ظاهرة في أنّهم أُعيدوا مرّة أخرى إلى نفس السجن المطبق الأول.

٣- الذي يبدو ويحتمل أنّ مراد حاجب ابن زياد من قوله: «.. وبعث البشائر إلى النواحي بقتل الحسين ..» هو أنّ ابن زياد بعث بخبر مقتل الحسين عليه السلام إلى بقيّة عمّال بنى أميّة وإلى أمرائهم لا إلى الأئمّة، لأنّ خبر مقتل ابن رسول الله صلى الله عليه وآله عند سواد الأميّة ليس من البشري في شيء، بل هو مصيبة عظيمة وفاجعة كبرى، لكنّ الطغاة من عاداتهم تحميل الأمم المقهورة تحت سلطانهم وظلمهم أفراحهم وأحزانهم، وإن كانت الأئمّة تعيش الحزن فيما يفرح به الطغاة، ويطفح قلبها بالفرح في مصائبهم!

٤- المثير للتساؤل في رواية الطبري وابن الأثير أنّه بينما هم في الحبس إذ سقط عليهم حجر فيه كتاب مربوط ..، تُرى من هذا الذي أرسل إليهم هذا الكتاب؟

هل السلطة الأموية هي التي أمرت بإرسال هذا الكتاب مع الحجر إليهم مواصلةً منها للإرهاب النفسي والتعذيب الروحي الذي كانت تمارسه ضدهم؟

وهذا النوع من أساليب التعذيب كانت الحكومات الطاغوتية ولم تزل إلى اليوم تستخدمه ضدّ سجناء المعارضة، حيث لا يعرف السجين هل المرسل عدوٌّ

مع الركب الحسيني (ج ٥)، ص: ١٣٩

أم صديق مشفق؟

أم أنّ أحداً - أو جماعة - من محبّي أهل البيت عليهم السلام كان على اطلاع بأخبار البريد ومدّة ذهابه وإيابه، وبعلامة الأمر بالقتل وعلامة الأمان، وأراد أن يخبر الإمام السجّاد عليه السلام بذلك، ليعهد بعهدته ويوصى بوصيته؟ ويؤيد هذا ما في عبارة رواية الطبري: «وإنّ لم تسمعوا تكبيراً فهو الأمان إنّ شاء الله» فقوله: فهو الأمان إنّ شاء الله مُشعّر بأنّ من ألقى الحجر والكتاب يتمنى لهم الأمان والنجاة.

ومما يؤيد أيضاً أنّ هذا المرسل من محبّي أهل البيت عليهم السلام، قد لجأ إلى هذا الأسلوب خوفاً من بطش السلطة الأموية، هو أنّ هذه السلطة لو شاءت أن تمارس هذا الأسلوب من أجل الإرهاب النفسي والتعذيب الروحي لمارسته مع بقايا آل الحسين عليه السلام علناً، إذ العلائق لا تنقص من أثره شيئاً، أو إلّا شيئاً يسيراً.

دفن الإمام وبقية الشهداء عليهم السلام ص : ١٣٩

يروى الطبرى أنّ الإمام الحسين عليه السلام وبقية الشهداء عليهم السلام دفنوا بعد مقتلهم بيوم، أى فى اليوم الحادى عشر، وأنّ أهل الغاضرية من بنى أسد قاموا بدفنهم، حيث يروى عن أبى مخنف قائلاً: «ودفن الحسين وأصحابه أهل الغاضرية من بنى أسد بعدما قتلوا بيوم ..» (١)

وذهب إلى ذلك البلاذرى أيضاً حيث يقول: «ودفن أهل الغاضرية من بنى أسد جثة الحسين، ودفنوا جثث أصحابه رحمهم الله بعدما قتلوا بيوم ..» (٢)

مع الركب الحسينى (ج ٥)، ص: ١٤٠

أمّا الخوارزمى فيقول: «وأقام عمر بن سعد يومه ذلك إلى الغد، فجمع قتلاه فصلّى عليهم ودفنهم، وترك الحسين وأهل بيته وأصحابه! فلما ارتحلوا إلى الكوفة وتركوهم على تلك الحالة عمد أهل الغاضرية من بنى أسد فكفّنوا أصحاب الحسين، وصلّوا عليهم، ودفنواهم ..» (١)

هذا قولٌ جَلٌّ مؤرّخى أهل السنة ... ولعلّ المنبع الأوّل الذى أخذوا عنه هذا القول، هو نفس المنبع الذى أخذ عنه الطبرى، وهو أبو مخنف.

ويوافقهم فى هذا الرأى أبرز مؤرّخى الشيعة! كالمسعودى أيضاً حيث يقول:

«ودفن أهل الغاضرية - وهم قوم من بنى غاضر من بنى أسد - الحسين وأصحابه بعد قتلهم بيوم ..» (٢) والشيخ المفيد (ره) حيث يقول: «ولمّا رحل ابن سعد خرج قوم من بنى أسد كانوا نزولاً بالغاضرية إلى الحسين وأصحابه رحمته الله عليهم، فصلّوا عليهم، ودفنوا الحسين عليه السلام حيث قبره الآن، ودفنوا ابنه على بن الحسين الأصغر (٣) عند رجليه، وحفروا للشهداء من أهل بيته وأصحابه الذين صرّعوا حوله ممّا يلى رجلى الحسين عليهم السلام، وجمعوهم فدفنواهم جميعاً معاً، ودفنوا العباس بن علىّ عليهما السلام فى موضعه الذى قُتل فيه على طريق الغاضرية حيث قبره الآن ..» (٤)

وذهب إلى ذلك السيد ابن طاووس (ره) أيضاً حيث يقول: «ولمّا انفصل عمر ابن سعد لعنه الله عن كربلاء، خرج قوم من بنى أسد فصلّوا على تلك الجثث

مع الركب الحسينى (ج ٥)، ص: ١٤١

الطواهر المرمّلة بالدماء، ودفنوها على ماهى الآن عليه ..» (١)

ومن هؤلاء أيضاً ابن شهر آشوب (ره) حيث قال: «ودفن جثثهم بالطف أهل الغاضرية من بنى أسد بعدما قتلوا بيوم، وكانوا يجدون لأكثرهم قبوراً! ويرون طيوراً بيضاً! ..» (٢)

إنّ الاستفادة من جميع هذه النصوص أنّ دفن الإمام الحسين عليه السلام والمستشهدين بين يديه عليهم السلام كان قد تمّ فى نفس اليوم الذى ارتحل فيه ابن سعد عن كربلاء، وهو اليوم الحادى عشر، وكان ذلك عصرًا لأنّ ابن سعد قد ارتحل عن كربلاء فيه بعد الزوال.

ولكن هل يمكن الأخذ بهذا الرأى؟! ص : ١٤١

خصوصاً فيما يتعلّق بأنّ بنى أسد من أهل الغاضرية هم الذين تولّوا تكفين الإمام عليه السلام وأصحابه، (٣) وصلّوا عليهم، ودفنواهم؟

مع الركب الحسيني (ج ٥)، ص: ١٤٢

إنَّ طريقه دفن الإمام عليه السلام وأهل بيته وأصحابه المستشهدين بين يديه صلوات الله عليهم أجمعين على النحو والتوزيع المعروف من خلال قبورهم - والمتسالم عليه بلا خلاف - لا يمكن لبني أسد من أهل الغاضرية وهم من أهل القرى الذين لم يشهدوا المعركة أن يحققوا ذلك بدون مرشد عارف تماماً بهؤلاء الشهداء وبأبدانهم ولباسهم - خصوصاً وأن الرؤوس الشريفة كانت قد قُطعت وبقيت الأجساد الشريفة بلا رؤوس - فلولا هذا المرشد المطّلع العالم لما أمكن لبني أسد من أهل الغاضرية التمييز بين شهيد وآخر، ولولاه لكان الدفن عشوائياً بلا معرفة، ولم يكن ليتحقّق هذا الفصل المقصود وهذا التوزيع المدروس بين هذه القبور على ما هي عليه الآن.

وفي ضوء الاعتقاد: بأنَّ الإمام لا يلي أمره إلّا إمام مثله، «١»

فإنَّ هذا المرشد الذي لا بدّ أن يكون قد حضر عملية الدفن مع بني أسد من أهل الغاضرية هو الإمام السجّاد عليه السلام، ولا بدّ أن يكون حضوره عليه السلام إلى ساحه كربلاء حضوراً إعجازياً خارقاً للعادة في الأسباب! لأنّه عليه السلام حينذاك كان لم يزل في قيد الأسر بيد الأعداء.

وهذا ما يؤكده المأثور عن أهل بيت العصمة عليهم السلام، كما في رواية اثبات الوصية عن سهل بن زياد عن منصور بن العباس عن اسماعيل بن سهل عن بعض أصحابه قال: «كنت عند الرضا عليه السلام، فدخل عليه عليّ بن أبي حمزة، وابن السراج، وابن المكارى، فقال عليّ بعد كلام جرى بينهم وبينه عليه السلام في إمامته: إنّنا روينا عن آبائك عليهم السلام أنّ الإمام لا يلي أمره إلّا الإمام مثله.

مع الركب الحسيني (ج ٥)، ص: ١٤٣

فقال له أبو الحسن عليه السلام: فأخبرني عن الحسين بن عليّ كان إماماً أو غير إمام؟

قال: كان إماماً.

قال: فمن ولي أمره؟

قال: علي بن الحسين!

قال: وأين كان عليّ بن الحسين؟

قال: كان محبوساً بالكوفة في يد عبيدالله بن زياد.

فقال: كيف ولي أمر أبيه وهو محبوس؟

قال: له روينا أنه خرج وهم لا يعلمون حتّى ولي أمر أبيه ثمّ انصرف الى موضعه.

فقال له أبو الحسن: إنّ هذا الذي أمكن عليّ بن الحسين وهو معتقل فهو يمكن صاحب هذا الأمر وهو غر معتقل أن يأتي بغداد ويلى

أمر أبيه ويتصرف وليس هو المحبوس ولا مأسوراً! «١»

ويستفاد من متن هذه الرواية في هذه الفقرة: «كان محبوساً بالكوفة في يد عبيدالله بن زياد، خرج وهم لا يعلمون حتّى ولي أمر أبيه ثمّ أنصرف» أنّ الإمام عليّ بن الحسين عليهما السلام خرج من محبسه بالكوفة - بالأمر المعجز - إلى كربلاء لدفن أبيه عليه السلام، وكان خروجه هذا «وهم لا يعلمون».

إذن فخروجه عليه السلام إلى كربلاء بالأمر المعجز لم يكن في اليوم الحادى عشر حتماً، ذلك لأنّه لم يدخل المحبس إلّا في اليوم الثانى عشر، إذ لم يكن عمر بن سعد قد دخل بعسكره وبالسبايا مدينة الكوفة إلّا في نهار اليوم الثانى عشر كما قدّمنا قبل ذلك في سياق الأحداث.

مع الركب الحسيني (ج ٥)، ص: ١٤٤

وإذا علمنا أنّ جُلّ نهار اليوم الثانى عشر كان انقضى على بقيه أهل البيت عليهم السلام في عرضهم على الناس، وفي عرضهم على ابن زياد - لعنه الله - في مجلسه في القصر، وفي محاوراتهم معه، فإنّه يتّضح لنا أنّ ابن زياد أمر بحبسهم عصر أو أواخر نهار اليوم الثانى

عشر، ثم استدعاهم، ثم أعادهم إلى الحبس مرة أخرى.

وبهذا تكون ليلة اليوم الثالث عشر هي أول ليلة لهم في السجن حيث بقوا فيه إلى اليوم الذي أرسلهم ابن زياد فيه إلى يزيد. ومن هنا- مع الإنتباه إلى ما تذكره الرواية من أنه عليه السلام خرج من محبسه إلى كربلاء لدفن أبيه عليه السلام وهم لا يعلمون- نستنتج أن خروجه كان من المحبس في وقت كان قد فرغ الطاغية من التحقيق معهم فلا يعود إلى استدعائهم، أي في وقت كان الإمام السجّاد عليه السلام قد اطمأن إلى أنه إذا غاب عن الأنظار فإنه لا يُفتقد في الفترة التي ينشغل فيها بدفن أبيه وأنصاره صلوات الله عليهم أجمعين ..

وعليه فالمرجح أنه عليه السلام- في ضوء هذا التحليل- كان قد خرج إلى كربلاء بالأمر المعجز إمّا ليلة الثالث عشر أو في نفس اليوم الثالث عشر، مبادراً إلى دفن الشهداء عليه السلام في أقرب وقت ممكن.

لكنّ ظاهر بعض الآثار يدلّ على أنّ عملية دفن الأجساد المقدّسة حصلت في اليوم الثالث عشر من المحرمّ لا في ليلته، كما في كتاب أسرار الشهادة حيث يقول: «وكان إلى جنب العلقمى حى من بنى أسد، فمشت نساء ذلك الحى إلى المعركة فرأين جثث أولاد الرسول، وأفلاذ حشاشه الزهراء البتول، وأولاد على أمير المؤمنين عليه السلام فحل الفحول، وجثث أولادهم في تلك الأصحار وهاتيكم القفار، تشخب الدماء من جراحاتهم كأنهم قتلوا في تلك الساعة! فتداخل النساء من ذلك المقام العجب! فابتدرن إلى حيهنّ، وقلن لأزواجهنّ ما شاهدنه، ثم قلن لهم: بماذا

مع الركب الحسيني (ج ٥)، ص: ١٤٥

تعتذرون من رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام وفاطمة الزهراء إذا أوردتم عليهم حيث إنكم لم تنصروا أولاده ولا دافعتم عنهم بضربة سيف ولا بطعنة رمح ولا بحذفة سهم؟! فقالوا لهنّ: إنّنا نخاف من بنى أمية!

وقد لحقتهم الذلّة وشملتهم الندامة من حيث لا تنفعهم، وبقيت النسوة يجلن حولهم ويقلن لهم: إن فاتتكم نصره تلك العصابة النبوية، والذبّ عن هاتيكم الشنشة العلية العلوية، فقوموا الآن إلى أجسادهم الزكية فواروها، فإنّ اللعين ابن سعد قد وارى أجساد من أراد مواراته من قومه، فبادروا إلى مواراة أجساد آل رسول الله، وارفعوا عنكم بذلك العار! فماذا تقولون إذ قالت العرب لكم، إنكم لم تنصروا ابن بنت نبيكم مع قربه وحلوله بناديكم؟! فقوموا واغسلوا بعض الدرن عنكم! قالوا: نفعل ذلك.

فأتوا إلى المعركة، وصارت همّتهم أولًا أن يواروا جثّة الحسين عليه السلام ثم الباقين، فجعلوا ينظرون الجثث في المعركة، فلم يعرفوا جثّة الحسين عليه السلام من بين تلك الجثث لأنها بلا رؤوس وقد غيرتها الشمس، فبيناهم كذلك وإذا بفارس أقبل إليهم حتى إذا قاربهم قال: أتى بكم؟

قالوا: إنّنا أتينا لنوارى جثّة الحسين عليه السلام وجثث ولده وأنصاره، ولم نعرف جثّة الحسين عليه السلام!

فلما سمع ذلك حنّ وأنّ وجعل ينادى: وا أبتاه! وا أبا عبد الله! ليتك حاضر وترانى أسيراً ذليلاً!

ثم قال لهم: أنا أرشدكم.

مع الركب الحسيني (ج ٥)، ص: ١٤٦

فنزّل عن جواده، وجعل يتخطى القتلى، فوقع نظره على جسد الحسين عليه السلام فاحتضنه وهو يبكي ويقول: يا أبتاه! بقتلك قرّرت عيون الشامتين! يا أبتاه! بقتلك فرحت بنو أمية! يا أبتاه! بعدك طال حزننا! يا أبتاه! بعدك طال كربنا!

قال ثم إنّه مشى قريباً من محلّ جثته فأهال يسيراً من التراب، فبان قبر محفور ولحد مشقوق! فأنزل الجثة الشريفة وواراها في ذلك المرقد الشريف كما هو الآن.

قال ثم إنه عليه السلام جعل يقول: هذا فلان، وهذا فلان.

هذا والأسديون يوارونهم، فلما فرغ مشى إلى جثة العباس بن أمير المؤمنين عليهما السلام فانحنى عليها وجعل ينتحب ويقول: يا عمّاه! ليتك تنظر حال الحرم والبنات وهن ينادين: واعطشاه! واغربناه!

ثم أمر بحفر لحدّه وواراه هنا، ثم عطف على جث الأنصار وحفر حفيرة واحدة وواراهم فيها، إلّا حبيب بن مظاهر حيث أبى بعض بنى عمّه ذلك، ودفنه ناحية عن الشهداء.

قال فلما فرغ الأسديون من مواراتهم قال لهم: هلموا لنوار جثة الحرّ الرياحي.

قال فتمشى وهم خلفه حتى وقف عليه فقال: أمّا أنت فقد قبل الله توبتك وزاد في سعادتك ببذلك نفسك أمام ابن رسول الله صلى الله عليه وآله.

قال وأراد الأسديون حمله إلى محلّ الشهداء فقال: لا، بل في مكانه واروه.

قال فلما فرغوا من مواراته ركب ذلك الفارس جواده، فتعلّق به الأسديون، فقالوا بحق من واريته بيدك! من أنت؟

فقال: أنا حجة الله عليكم، أنا عليّ بن الحسين عليه السلام، جئت لأواري جثة أبي ومن معه من إخواني وأعمامي وأولاد عمومتى وأنصارهم الذين بذلوا مهجهم دونه، وأنا الآن راجع إلى سجن ابن زياد لعنه الله، وأمّا أنتم فهنيئاً لكم، لاتجزعوا إذ تضاموا فينا!

مع الركب الحسيني (ج ٥)، ص: ١٤٧

فودّعهم وانصرف عنهم، وأمّا الأسديون فإنهم رجعوا مع نسائهم إلى حبيهم». (١)

وقال المرحوم السيد المقرّم: «وفي اليوم الثالث عشر من المحرمّ أقبل زين العابدين لدفن أبيه الشهيد عليه السلام لأنّ الإمام لا يلبى أمره إلّا إمام مثله» (٢) ... ولما أقبل السجّاد عليه السلام وجد بنى أسد مجتمعين عند القتلى متحيرين لا يدرون ما يصنعون، ولم يهتدوا إلى معرفتهم ... فأخبرهم عليه السلام عمّا جاء إليه من مواراة هذه الجسوم الطاهرة، وأوقفهم على أسمائهم، كما عزّفهم بالهاشميين من الأصحاب ... ثم مشى الإمام زين العابدين إلى جسد أبيه واعتنقه وبكى بكاءً عالياً، وأتى إلى موضع القبر، ورفع قليلاً من التراب فبان قبر محفور وضريح مشقوق! فبسط كفيه تحت ظهره

مع الركب الحسيني (ج ٥)، ص: ١٤٨

وقال: بسم الله، وفي سبيل الله، وعلى ملّة رسول الله، صدق الله ورسوله، ما شاء الله، لاحول ولاقوة إلّا بالله العظيم.

وأنزله وحده، لم يشاركه بنو أسد فيه، وقال لهم: إنّ معي من يعينني،. ولما أقرّه في لحدّه وضع خده على منحره الشريف قائلاً: طوبى لأرض تضمّنت جسدك الطاهر، فإنّ الدنيا بعدك مظلمة، والآخرة بنورك مشرقة، أمّا الليل فمُسَهّد! والحزن سرمد! أو يختار الله لأهل بيتك دارك التي أنت بها مقيم! وعليك مني السلام يا ابن رسول الله ورحمة الله وبركاته.

وكتب على القبر: هذا قبر الحسين بن عليّ بن أبي طالب الذي قتلوه عطشاناً غريباً.

ثم مشى إلى عمّه العباس عليه السلام، فرآه بتلك الحالة التي أدهشت الملائكة بين أطباق السماء! وأبكت الحور في غرف الجنان! ووقع عليه يلثم نحره المقدّس قائلاً: على الدنيا بعدك العفا يا قمر بنى هاشم، وعليك مني السلام من شهيد محتسب ورحمة الله وبركاته.

وشقّ له ضريحاً، وأنزله وحده كما فعل بأبيه الشهيد، وقال لبنى أسد: إنّ معي من يعينني!

نعم، ترك مساعداً لبنى أسد بمشاركته في مواراة الشهداء، وعيّن لهم موضعين، وأمرهم أن يحفروا حفرتين، ووضع في الأولى بنى هاشم، وفي الثانية الأصحاب.

وأمّا الحرّ الرياحي فأبعده عشرته إلى حيث مرّقه الآن، وقيل: إنّ أمه كانت حاضرة، فلما رأت ما يُصنع بالأجساد حملت الحرّ إلى هذه المكان.

وكان أقرب الشهداء إلى الحسين ولده «الأكبر» عليه السلام، وفي ذلك يقول الإمام

مع الركب الحسينى (ج ۵)، ص: ۱۴۹

الصادق لحمّاد البصرى: «(۱) قُتل أبو عبد الله غريباً بأرض غربه، يبكيه من زاره، ويحزن له من لم يزره، ويحترق له من لم يشهده، ويرحمه من نظر إلى قبره إبنه عند رجله ..». (۲)

خبر سليمان بن قتة: ص: ۱۴۹

روى ابن نما (ره) يقول: «ورويت إلى ابن عائشة قال: مرَّ سليمان بن قتية العدو (۳) مولى بنى تميم بكر بلاء بعد قتل الحسين عليه السلام بثلاث، فنظر إلى مصارعهم، فاتكأ على فرس له عربية وأنشأ:

مررتُ على أبيات آل محمّد فلم أرها أمثالها يوم حُلّتِ
 ألم تر أنّ الشمس أضحت مريضه لفقد حسين والبلاد اقشعرتِ
 وكانوا رجاءً ثم أضحوا رزية لقد عظمت تلك الرزايا وجلّتِ
 وتسالنا قيس فنعطى فقيرها وتقتلنا قيس إذا النعل زلّتِ
 وعند غنى قطرة من دمائنا سنطلبهم يوماً بها حيث حلّتِ
 فلا يُبعد الله الديار وأهلها وإن أصبحت منهم برغم تخلّتِ
 فإنّ قتيل الطفّ من آل هاشم أذلّ رقاب المسلمين فذلّتِ
 وقد أعولت تبكى النساء لفقده وأنجمنا ناحت عليه وصلّتِ
 وقيل: الأبيات لأبى رمح الخزاعى.». (۴)

مع الركب الحسينى (ج ۵)، ص: ۱۵۰

وقد يُستفاد ممّا ورد فى متن الخبر: «مرَّ سليمان بن قتية .. بعد قتل الحسين عليه السلام بثلاث فنظر إلى مصارعهم ..» أنّ الأجساد الطاهرة قد مرّت عليها ثلاث ليالٍ وهى بعد لم تدفن حين مرّ عليها سليمان بن قتة، فيكون هذا الخبر دليلاً على أنّ الدفن لم يحصل فى اليوم الحادى عشر ولا فى اليوم الثانى عشر، ولا فى ليلة الثالث عشر.

لكننا إذا علمنا أنّ المراد بمصارعهم هو الأمكنة التى صيرّعوا فيها، «(۱) أى ساحة ميدان المعركة فى كربلاء، فإنّ الإستفاده المشار إليها من هذا الخبر تنتفى، إذ يمكن أن يُقال: إنّ سليمان بن قتة مرّ بساحة المعركة فى كربلاء فى اليوم الثالث عشر بعد دفن الشهداء عليهم السلام فرأى قبورهم وآثار الحرب فى ساحة الميدان فرثاهم بهذه الأبيات، وممّا يؤيد ذلك أنّه ذكر «أبيات آل محمّد» ولم يصف الأجساد حيث صيرّعت، وربّما كان ذكر الأبيات كناية عن القبور، كما يؤيد ذلك أنّ سليمان لو كان مرّ بالأجساد الطاهرة قبل دفنها فكيف يصحّ منه عدم السعى إلى دفنها، وهو من محبّى أهل البيت عليهم السلام!؟

ولو كان - أيضاً حاضراً ساعة دفنهم مع جملة من حضر من بنى أسد من أهل الغاصرية بحضور الإمام السجّاد عليه السلام، لكان له خبرٌ يُذكر مع الإمام عليه السلام ومع بنى أسد ذلك اليوم فى التأريخ، بل لكان هو المبادر إلى تسجيل تلك اللحظات الخالدة من ساعة الدفن على صفحة التأريخ فى قصيدة من شعره رائعه تبقى القلوب والألسن تتناقلها إلى قيام الساعة!

ولنعد الآن إلى تتمّة مجرى أحداث الكوفة ...

مع الركب الحسينى (ج ۵)، ص: ۱۵۱

ابن زياد يطلب من يقوّر الرأس المقدس! ص : ۱۵۱

روى الخوارزمى أنه: «ولمّا جيىء برأس الحسين إلى عبيدالله، طلب من يقوّره ويصلحه، فلم يجسر أحدٌ على ذلك، ولم يجر أحدٌ جواباً، فقام طارق بن المبارك (۱) فأجابه إلى ذلك، وقام به فأصلحه وقوّره، فنصبه بباب داره!». (۲)

وقال سبط ابن الجوزى: «وذكر عبدالله بن عمر الوراق في كتاب (المقتل) أنه لما حضر الرأس بين يدي ابن زياد أمر حجّاماً فقال: قوّره.

فقوّره وأخرج لغايدته ونخاعه وما حوله من اللحم - واللغاييد ما بين الحنك وصفحّة العنق من اللحم - فقام عمرو بن حريث المخزومى فقال: يا ابن زياد! قد بلغت حاجتك من هذا الرأس، فهب لى ما القيت منه.

فقال: ما تصنع به؟! فقال: أواريه. فقال: خذه.

فجمعه في مطرف خزّ كان عليه، وحمله إلى داره، فغسله وطيبه وكفّنه ودفنه عنده في داره وهى بالكوفة تُعرف بدار الخزّ دار عمرو بن حريث المخزومى». (۳)

مع الרכب الحسينى (ج ۵)، ص: ۱۵۲

أول رأس حُمّل فى الإسلام! ص : ۱۵۲

اختلفت الروايات فى من هو أول رأس حُمّل فى الإسلام؟ فقد صرّحت بعضها بأنّ أول رأس حُمّل (أى رُفِع على رمح) هو رأس الإمام الحسين عليه السلام، وصرّح البعض الآخر أنّ أول رأس حُمّل (نُقل من بلدٍ إلى آخر) هو رأس عمرو بن الحمق (رض).

ومع اختلاف معنى الحمل فإنّ هذه الروايات لاتعارض بعضها بعضاً، أمّا إذا كان المراد بالحمل هو نقل الرأس من بلدٍ إلى آخر، فإنّ الجمع بين هذه الروايات ممكن أيضاً إذا قلنا: إنّ أول رأس من بنى هاشم حُمّل فى الإسلام هو رأس الحسين عليه السلام، وأول رأس حُمّل فى الإسلام من غيرهم هو رأس عمرو بن الحمق (رض).

ومن أمثلة هذه الروايات:

۱- روى عن عاصم، عن زرّ (۱) قال: «أول رأس حمل على رمح فى الإسلام رأس الحسين بن علىّ، فلم أر باكبياً ولا باكبیه أكثر من ذلك اليوم». (۲)

۲- وروى ابن سعد فى طبقاته بسنده عن عاصم، عن زرّ أنّه قال: «أول رأس رُفِع

مع الרכب الحسينى (ج ۵)، ص: ۱۵۳

على خشبة رأس الحسين». (۱)

۳- وروى أيضاً بسنده عن الشعبى قال: «رأس الحسين أول رأس حُمّل فى الإسلام». (۲)

۴- وعن ابن مسعود، عن النبىّ صلى الله عليه و آله أنه قال: «إنّ أول رأس يحمل على رمح فى الإسلام رأس ولدى الحسين عليه السلام. وقال: أخبرنى بذلك أخى جبرئيل عن الربّ العظيم». (۳)

۵- وقال ابن الأثير الجزرى: «وكان رأسه أول رأس حُمّل فى الإسلام على خشبة فى قول، والصحيح أنّ أول رأس حُمّل فى الإسلام رأس عمرو بن الحمق». (۴)

انتفاضة عبدالله بن عفيف الأزدي (رض)! ص : ۱۵۳

ولمّا قام طارق بن المبارك لعنه الله بتقوير الرأس المقدّس امتثالاً لأمر ابن زياد، أمر هذا الطاغية بالرأس الشريف فنُصب على باب داره، ثم إنَّ ابن زياد نادى في الناس فجمعهم في المسجد الأعظم، ثم خرج ودخل المسجد، وصعد المنبر، «فحمد الله وأثنى عليه، فكان من بعض كلامه أن قال: الحمد لله الذي أظهر الحقّ وأهله! ونصر أمير المؤمنين وأشياعه! وقتل الكذّاب بن الكذّاب!!

قال فما زاد على هذا شيئاً حتّى وثب إليه عبدالله بن عفيف الأزدي ثم

مع الركب الحسيني (ج ٥)، ص: ١٥٤

العامري «١»- أحد بنى والبه- وكان من رؤساء الشيعة وخيارهم، وكان قد ذهبت عينه اليسرى يوم الجمل، والأخرى يوم صفين، وكان لا يكاد يفارق المسجد الأعظم، يصلّي فيه إلى الليل ثم ينصرف إلى منزله ..

فلما سمع مقالة ابن زياد وثب إليه وقال: يا ابن مرجانة! إنَّ الكذّاب وابن الكذّاب أنت وأبوك! ومن استعملك وأبوه! يا عدوّ الله ورسوله! أتقتلون أبناء النبيين وتكلمون بهذا الكلام على منابر المسلمين!؟

فغضب عبيدالله بن زياد وقال: من المتكلم!؟

فقال: أنا المتكلم يا عدوّ الله! أتقتل الذرية الطاهرة الذين أذهب الله عنهم الرجس في كتابه وتزعم أنك على دين الإسلام!؟ وا غوثاه!

أين أولاد المهاجرين والأنصار لينتقموا من هذا الطاغية اللعين بن اللعين على لسان رسول الله رب العالمين!؟

فازداد غضب ابن زياد حتّى انتفخت أوداجه، فقال: عليّ به!

فوثب إليه الجلاوزة فأخذه، فنادى بشعار الأزد: يا مبرور.

وكان عبدالرحمن بن مخنف الأزدي «٢» في المسجد، فقال: ويح نفسك!

مع الركب الحسيني (ج ٥)، ص: ١٥٥

أهلكتها وأهلكت قومك.

وحاضر الكوفة يومئذ سبعمائة مقاتل من الأزد، فوثب إليه فتية من الأزد فانزعوه منهم وانطلقوا به إلى منزله!

ونزل ابن زياد عن المنبر ودخل القصر، ودخلت عليه أشراف الناس!

فقال: أرايتم ما صنع هؤلاء القوم!؟

قالوا: رأينا أصلح الله الأمير، إنّما فعل ذلك الأزد، فشُدَّ يدك بساداتهم فهم الذين استنقذوه من يدك!

فأرسل عبيدالله إلى عبدالرحمن بن مخنف الأزدي فأخذه، وأخذ جماعة من أشراف الأزد فحبسهم، وقال: لاخرجتم من يدي أو

تأتوني بعبدالله بن عفيف!

ثم دعا بع مرو بن الحجاج الزبيدي، ومحمّد بن الأشعث، وشبث بن ربعي، وجماعة من أصحابه، فقال لهم: إذهبوا إلى هذا الأعمى

الذي أعمى الله قلبه كما أعمى عينيه، فأتوني به!

فانطلقوا يريدون عبدالله بن عفيف، وبلغ الأزد ذلك، فاجتمعوا وانصمت إليهم قبائل من اليمن ليمنعوا صاحبهم.

فبلغ ذلك ابن زياد، فجمع قبائل مضر وضمّمهم إلى محمّد بن الأشعث، وأمره أن يُقاتل القوم!

فأقبلت قبائل مضر، ودنت منهم اليمن فاقتتلوا قتالاً شديداً، وبلغ ذلك ابن

مع الركب الحسيني (ج ٥)، ص: ١٥٦

زيد فأرسل إلى أصحابه يؤنّبهم ويضعفهم!

فأرسل إليه عمرو بن الحجاج يخبره باجتماع اليمن معهم، وبعث إليه شبث بن ربعي: أيها الأمير! إنك بعثنا إلى أسود الآجام فلا

تعجل!

قال: واشتدّ اقتتال القوم حتّى قُتلت جماعة من العرب، ووصل القوم إلى دار عبدالله بن عفيف، فكسروا الباب واقتحموا عليه!

فصاحت ابنته: يا أبتي أتاك القوم من حيث تحذرا!
 فقال: لا عليك يا بنية! ناوليني سيفي.
 فناولته السيف، فجعل يذب عن نفسه وهو يقول:
 أنا ابن ذى الفضل عفيف الطاهر عفيف شيخى وأنا ابن عامر
 كم دارع من جمعكم وحاسر وبطل جدلته مغاور
 وجعلت ابنته تقول: ليتنى كنت رجلاً فأقاتل بين يديك هؤلاء الفجرة، قاتلى العتره البررة!
 وجعل القوم يدورون عليه من يمينه وشماله وورائه، وهو يذب عن نفسه بسيفه فليس أحد يقدم عليه، كلما جاءوه من جهه قالت ابنته:
 جاءوك يا أبتي من جهه كذا! حتى تكاثروا عليه من كل ناحيه، وأحاطوا به، فقالت ابنته: واذلأه! يحاط بأبى وليس له ناصر يستعين به!
 وجعل عبدالله يدافع ويقول:
 والله لو يكشف لى عن بصرى ضاق عليكم موردي ومصدرى
 ومازالوا به حتى أخذوه.

معالركب الحسينى (ج ۵)، ص: ۱۵۷
 فقال جندب بن عبدالله الأزدي «۱» صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله: إنا لله وإنا إليه
 معالركب الحسينى (ج ۵)، ص: ۱۵۸
 راجعون! أخذوا والله عبدالله بن عفيف، فقبح الله العيش بعده! فقام وجعل يُقاتل من دونه، فأخذ أيضاً وانطلق بهما، وابن عفيف يردد:
 والله لو يكشف لى عن بصرى ...
 فلما أدخل على عبيدالله، قال له: الحمد لله الذى أخزأك!
 فقال ابن عفيف: يا عدو الله! بماذا أخزاني؟! والله لو يكشف عن بصرى ...
 فقال له: ما تقول فى عثمان؟

فقال: يا ابن مرجانه! يا ابن سميئه! يا عبد بنى علاج! ما أنت وعثمان؟! أحسن أم أساء، وأصلح أم أفسد؟! الله ولى خلقه يقضى بينهم
 بالعدل والحق، ولكن سلنى عنك وعن أبيك! وعن يزيد وأبيه!
 فقال ابن زياد: لا سألتك عن شيء أو تذوق الموت!
 فقال ابن عفيف: الحمد لله رب العالمين، كنت أسأل الله ان يرزقنى الشهاده قبل أن تلدك أمك مرجانه، وسألته أن يجعل الشهاده
 على يدي ألعن خلقه وأشهرهم وأبغضهم إليه، ولما ذهب بصرى آيست من الشهاده، أما الآن فالحمد لله
 معالركب الحسينى (ج ۵)، ص: ۱۵۹

الذى رزقنيها بعد اليأس منها، وعزفنى الإستجابه منه لى فى قديم دعائى!
 فقال عبيدالله: إضربوا عنقه! فضربت، وصلب!
 ثم دعا ابن زياد بجندب بن عبدالله، فقال له: يا عدو الله! ألسنت صاحب على ابن أبى طالب يوم صفين؟
 قال: نعم: ولازلت له ولياً ولكم عدواً! لا أبرأ من ذلك إليك ولا أعتذر فى ذلك وأتنصل منه بين يديك!
 فقال ابن زياد له: أما إننى سأتقرب إلى الله بدمك!
 فقال جندب: والله ما يقربك دمي إلى الله، ولكنه يباعدك منه، وبعد: فإننى لم يبق من عمري إلما أقله، وما أكره أن يكرمنى الله
 بهوانك!

فقال: أخرجوه عنى، فإنه شيخ قد خرف وذهب عقله!

فأخرج وُحْلَى سبيله.. «۱»

ابن زياد يحاول استعادة المودعة مع الأزدي ص : ۱۵۹

لاشك في أن ابن زياد لم يقدم على قتل جندب بن عبدالله الأزدي (جندب الخير) مع ما في قلبه من غلٍ وحقْد متأجج عليه، لا لأنه رجل قد تقادم به العمر فخرّف وذهب عقله! بل لأنّ قتله بعد قتل عبدالله بن عفيف (رض) قد يؤجج الأزدي ويحرّضهم عليه، وهم من القبائل التي لها حساب مهم في كلّ أمرٍ مُلّم.

مع الרכب الحسينى (ج ۵)، ص: ۱۶۰

إذن فالسبب هو حسابات الموازنات في تهدئة العشائر الكبيرة وكسب مودّتها وعدم إثارتها، فغفوه عن جندب بن عبدالله (رض) محاولة لتهدئة ثائرة الأزدي بعد تفاقم الوضع وتأزّم العلاقة معهم نتيجة وقائع انتفاضة عبدالله بن عفيف (رض).

وفي هذا الإتجاه يروى لنا ابن أعثم الكوفى قائلاً:

«ثُمَّ قَدِمَ إِلَيْهِ سَفِيَانُ بْنُ يَزِيدَ، «۱» فَقَالَ لَهُ ابْنُ زِيَادٍ: مَا الَّذِي أَخْرَجَكَ عَلَيَّ يَا ابْنَ الْمَعْقَلِ؟! فَقَالَ لَهُ: بَلَّغْنِي أَنْ أَصْحَابَكَ أُسْرُوا عَمِّي فَخَرَجْتُ أَدْفَعُ عَنْهُ.

قال فُحْلَى سبيله، وراقب فيه عشيرته. ثم دعا بـعبدالرحمن بن مخنف الأزدي فقال له: ما هذه الجماعة على بابك؟! فقال: أصلح الله الأمير! ليس على بابي جماعة، وقد قتلت صاحبك الذي أردت، وأنا لك سامع مطيع! وإخوتى لك جميعاً كذلك! قال فسكت عنه ابن زياد، ثم خلّاه وُحْلَى سبيل إخوته وبنى عمّه.. «۲»

وهكذا قبلت رؤوس الأزدي (وهم أسود الآجام!) أن توادع ابن زياد مودعةً ذليلةً، وهذا شأن من يهاب المواجهة مع الطغاة! فلم يؤثر عن أحدٍ من أشراف

مع الרכب الحسينى (ج ۵)، ص: ۱۶۱

الأزدي أنه آثر التأسى بعبدالله بن عفيف (رض)، الأزدي ذى القلب البصير والنفس العزيزة الأبيّة، الذى انتفض بوجه الطاغية ابن زياد صارخاً بكلمة الحقّ التي صيغق ابن زياد لها ولجراًة صاحبها، فنزل عن المنبر مخذولاً مدحوراً ودخل قصره حائراً فيما يمكن أن يواجه به هذا الثائر الفرد الذى كان أمّة في انتفاضته!

ابن زياد يطالب ابن سعد بكتاب الأمر بقتل الإمام عليه السلام! ص : ۱۶۱

قال ابن الأثير الجزرى: «ثُمَّ إِنَّ ابْنَ زِيَادٍ قَالَ لِعَمْرِ بْنِ سَعْدٍ بَعْدَ عَوْدِهِ مِنْ قِتْلِ الْحُسَيْنِ: يَا عَمْرُ إِنِّي بِالْكِتَابِ الَّذِي كَتَبْتَهُ إِلَيْكَ فِي قِتْلِ الْحُسَيْنِ!

قال: مَضِيْتُ لِأَمْرِكَ وَضَاعَ الْكِتَابُ!

قال: لَتَجْتَنِي بِهِ.

قال: ضَاعَ!

قال: لَتَجْتَنِي بِهِ!

قال: تُرِكَ وَاللَّهِ يُقْرَأُ عَلَى عَجَائِزِ قَرِيْشٍ بِالْمَدِيْنَةِ إِعْتِدَاراً إِلَيْهِنَّ! أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ نَصَحْتُكَ فِي الْحُسَيْنِ نَصِيْحَةً لَوْ نَصَحْتُهَا أَبِي سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ لَكُنْتُ قَدْ أَدَيْتُ حَقَّهُ!

فقال عثمان بن زياد أخو عبيدالله: صدق! والله لوددت أنه ليس من بني زياد رجل إلّا وفي أنفه خزامه إلى يوم القيامة وأنّ الحسين لم يُقتل!

فما أنكر ذلك عبيدالله بن زياد!.. (١)

مع الركب الحسيني (ج ٥)، ص: ١٦٢

وخرج عمر بن سعد من مجلس ابن زياد وهو يتجرّع كأس الندامة ولايكاد يسيغه وهو يقول: «ما رجح أحدٌ إلى أهله بشرٌّ ممّا رجعتُ به! أظعت الفاجر الظالم ابن زياد، وعصيت الحكم العدل، وقطعت القرابة الشريفة!». (١)

المختار يتصدّى لابن زياد في المسجد الأعظم! ص: ١٦٢

ينقل الخوارزمي عن محمّد بن إسحاق (٢) صاحب السيرة: «أنّ عبيدالله لمّا قتل ابن عفيف الأنصاري، (٣) وجاءت الجمعة الثانية، صعد المنبر وبيده عمود من حديد، فخطب الناس وقال في آخر خطبته: الحمد لله الذي أعزّ يزيد وجيشه بالعزّ والنصر! وأذلّ الحسين وجيشه بالقتل!

فقام إليه سيّد من سادات الكوفة وهو المختار بن أبي عبيد، فقال له: كذبت يا عدوّ الله وعدوّ رسوله! بل الحمد لله الذي أعزّ الحسين وجيشه بالجنّة والمغفرة، وأذلّك وأذلّ يزيد وجيشه بالنار والخزى!

فحذفه ابن زياد بعموده الحديد الذي كان في يده فكسر جبينه، وقال للجلاوزة: خذوه! فأخذوه.

مع الركب الحسيني (ج ٥)، ص: ١٦٣

فقال أهل الكوفة: أيّها الأمير، هذا هو المختار! وقد عرفت حسبه ونسبه، وختنه عمر بن سعد، وختنه الآخر عبدالله بن عمر! فأوجس في نفسه خيفة، فحبس المختار ولم يتجرّأ على قتله، فكتب المختار إلى عبدالله كتاباً شرح فيه القصّة، فكتب ابن عمر إلى يزيد: أما بعد: أفما رضيت بأن قتلت أهل نبيك حتّى وليت على المسلمين من يسبّ أهل بيت نبيّنا ويقع فيهم على المنبر؟!، عبر عليه ابن عفيف فقتله! ثمّ عبر عليه المختار فشجّه وقتلّه وحسبه!

فإذا أنت قرأت كتابي هذا فاكتب إلى ابن زياد بإطلاق المختار، وإلّا فوالله لأرmin عبيدالله بجيش لاطاقه له به والسلام. فلمّا قرأ يزيد الكتاب غضب من ذلك، وكتب إلى ابن زياد: أمّا بعد: فقد وليتك العراق ولم أولئك على أن تسبّ آل النبيّ على المنابر وتقع فيهم، فإذا قرأت كتابي هذا فأطلق المختار من حبسك مكرماً، وإياك أن تعود إلى ما فعلت، وإلّا فوالذي نفسي بيده، بعثت إليك من يأخذ منك الذي فيه عيناك!

فلما ورد الكتاب على ابن زياد أخرج المختار من حبسه، ودعا بمشايع الكوفة وسلّمه إليهم سالماً، فخرج المختار من الكوفة هارباً نحو الحجاز...». (١)

لكنّ المرحوم السيّد المقرّم ينقل عن كتاب «الأعلاق النفيسة» لابن رسته أنّه «لمّا أحضر ابن زياد السبايا في مجلسه أمر بإحضار المختار وكان محبوساً عنده من يوم قتل مسلم بن عقيل، فلما رأى المختار هيئته منكراً زفر زفرة شديدة، وجرى بينه وبين ابن زياد كلام أغلظ فيه المختار، فغضب ابن زياد وأرجعه إلى

مع الركب الحسيني (ج ٥)، ص: ١٦٤

الحبس، ويقال ضربه بالسوط على عينه فذهبت!». (١)

وينقل صاحب كتاب «معالي السبطين» هذه الصورة:

«وفي بعض الكتب: ثمّ إنّ ابن زياد استخرج المختار من الحبس، وكان محبوساً، لأنّه لمّا قتل مسلماً وهانئاً وبعث برأسيهما إلى يزيد،

كتب يزيد كتاباً إلى ابن زياد يشكره في ذلك، وكتب أنه بلغني أنّ حسيناً توجه إلى العراق، فصّح المناظر والمسالح، وأقتل واحبس على الظنّة والتهمة، فلما وصل الكتاب إلى ابن زياد قتل من قتل، وحبس جماعة من الشيعة منهم المختار، فبقى في السجن حتى جرى برأس الحسين عليه السلام، ووضع بين يديه فغطاه بمنديل، واستخرج المختار من الحبس، وجعل يستهزئ عليه (كذا)! فقال المختار، ويلك أتستهزئ عليّ وقد قرّب الله فرجي؟!

فقال ابن زياد: من أين يأتيك الفرج يا مختار؟!

قال: بلغني أنّ سيدي ومولاي الحسين قد توجه نحو العراق، فلا بدّ أن يكون خلاصي على يده!

قال اللعين: خاب ظنك ورجاؤك يا مختار! إنّنا قتلنا الحسين!

قال: صه! فضّ الله فاك! ومن يقدر على قتل سيدي ومولاي الحسين؟!

قال له: يا مختار انظر! هذا رأس الحسين!

فرفع المنديل وإذا بالرأس بين يديه في طشت من المذهب، فلما نظر المختار إلى الرأس الشريف جعل يلطم على رأسه وينادي: وا سيّده! وا مظلوماه!.. «٢»

معالركب الحسيني (ج ٥)، ص: ١٦٥

إشارة..... ص: ١٦٥

يبدو من مجموع روايات حبس المختار (ره) أنه كان قد حبس مرتين، الأولى: حين حبس مع ميثم التمار (رض) في أوائل أيام ولاية ابن زياد على الكوفة، ثم أُخرج بشفاعته عبدالله بن عمر له عند يزيد، والثانية: حين حبس مع عبدالله بن الحارث بن نوفل في ختام حركة مسلم بن عقيل عليهما السلام في الكوفة «وكان المختار عند خروج مسلم في قريه له تدعى (خطواتية) فجاء بمواليه يحمل رايه خضراء، ويحمل عبدالله بن الحارث رايه حمراء، وركز المختار رايته على باب عمرو بن حريث وقال: أردت أن أمنع عمراً! ووضح لهما قتل مسلم عليه السلام وهانى (رض)، وأشير عليهما بالدخول تحت رايه الأمان عند عمرو بن حريث ففعلا، وشهد لهما ابن حريث باجتناهما ابن عقيل، فأمر ابن زياد بحبسهما بعد أن شتم المختار واستعرض وجهه بالقضيب فشر عينه، وبقي في السجن إلى أن قُتل الحسين عليه السلام». «١»

لكنّ السيّد المقرّم (ره) يستفيد من روايه الخوارزمي الماضيه أنّ عبدالله بن عمر كان قد تشفّع في المختار مرتين وأطلقه من الحبس في كلّ منهما، حيث يقول: «وبعد قتل ابن عفيف كان المختار بن أبي عبيدالثقفي مُطلق السراح بشفاعته عبدالله بن عمر بن الخطاب عند يزيد، فإنّه زوج أخته صفيّة بنت أبي عبيدالثقفي، ولكنّ ابن زياد أجله في الكوفة ثلاثاً، ولما خطب ابن زياد بعد قتل ابن عفيف، ونال من أميرالمؤمنين عليه السلام ثار المختار في وجهه وشمته وقال: كذبت يا عدوّ الله وعدوّ رسوله! بل الحمد لله الذي أعزّ الحسين وجيشه بالجنّة والمغفرة، وأذلّ يزيد وجيشه بالنار والخزي.

معالركب الحسيني (ج ٥)، ص: ١٦٦

فخذه ابن زياد بعمود حديد فكسر جبهته وأمر به إلى السجن، ولكنّ الناس عزّفوه بأنّ عمر بن سعد صهره على أخته، وصهره الآخر عبد الله بن عمر، وذكروا ارتفاع نسبه فعدل عن قتله، وأبقاه في السجن، ثم تشفّع فيه ثانياً عبدالله بن عمر عند يزيد، فكتب إلى عبيدالله بن زياد بإطلاقه... «١»

مقتل وكدّي مسلم بن عقيل عليهما السلام ص: ١٦٦

روى الشيخ الصدوق (ره) بسندٍ إلى حمران بن أعين (ره)، عن أبي محمّد شيخ لأهل الكوفة قال: «لَمَّا قُتِلَ الحسين بن عليّ عليه السلام أُسِرَ من عسكره غُلامان صغيران، فَأُتِيَ بهما عبيدالله ابن زياد، فدعا سَجَانًا له فقال: خُذ هذين الغلامين إليك، فَمِنْ طَيِّبِ الطعام فلا تطعهما، ومن البارد فلا تسقهما، وضَيِّق عليهما سجنهما!

وكان الغلامان يصومان النهار، فإذا جَنَّهُما الليل أُتيا بقرصين من شعير، وكوز من ماء القراح! فلَمَّا طال بالغلامين المكث حتّى صارا في السنّة! قال أحدهما لصاحبه: يا أخي، قد طال بنا مكثنا، ويوشك أن تفنى أعمارنا وتبلى أبداننا! فإذا جاء الشيخ فأعلمه مكاننا وتقرب إليه بمحمّد صلى الله عليه وآله لعلّه يوسّع علينا في طعامنا ويزيدنا في شرابنا!

فلَمَّا جَنَّهُما الليل أقبل الشيخ إليهما بقرصين من شعير وكوز من ماء القراح.

فقال له الغلام الصغير: يا شيخ، أتعرف محمّدًا؟

قال: فكيف لا أعرف محمّدًا، وهو نبيّ!؟

مع الركب الحسيني (ج ٥)، ص: ١٦٧

قال: أفتعرف جعفر بن أبي طالب؟

قال: وكيف لا أعرف جعفرًا، وقد أنبت الله له جناحين يطير بهما مع الملائكة كيف يشاء!؟

قال: أفتعرف عليّ بن أبي طالب عليه السلام؟

قال: وكيف لا أعرف عليًّا، وهو ابن عمّ نبيّ وأخو نبيّ!؟

قال له: يا شيخ، فنحن من عتره نبيّك محمّد صلى الله عليه وآله، ونحن من وُلدِ مسلم بن عقيل بن أبي طالب، بيدك أسارى، نسألك من طيب الطعام فلا تطعمنا، ومن بارد الشراب فلا تسقينا، وقد ضيقت علينا سجننا!!

فانكبّ الشيخ على أقدامهما يقبلهما ويقول: نفسى لنفسكما الفداء! ووجهى لوجهكما الوقاء يا عتره نبيّ الله المصطفى! هذا باب السجن بين يديكما مفتوح! فخذوا في أيّ طريق شتتما!

فلَمَّا جَنَّهُما الليل أتاهما بقرصين من شعير وكوز من ماء القراح! ووقفهما على الطريق، وقال لهما: سيرا يا حبيبيّ الليل، واكثنا النهار، حتّى يجعل الله عزّ وجلّ لكما من أمركما فرجًا ومخرجًا!

ففعل الغلامان ذلك، فلَمَّا جَنَّهُما الليل انتهيا إلى عجوز على باب فقلا لها: يا عجوز، إنّنا غلامان صغيران غريبان، حدثان غير خبيرين بالطريق، وهذا الليل قد جَنَّا، أضيفنا سواد ليلتنا هذه، فإذا أصبحنا لزمنا الطريق!

فقلت لهما: فمن أتما يا حبيبيّ؟ فقد شممت الروائح كلّها فما شممت رائحة أطيب من رائحتكما!

فقلا لها: يا عجوز، نحن من عتره نبيّك محمّد صلى الله عليه وآله، هربنا من سجن عبيدالله ابن زياد من القتل!

مع الركب الحسيني (ج ٥)، ص: ١٦٨

قالت: يا حبيبيّ إنّ لى ختنًا قد شهد الواقعة مع عبيدالله بن زياد، أتخوّف أن يصيبكما هاهنا فيقتلكما!

قالا: سواد ليلتنا هذه فإذا أصبحنا لزمنا الطريق.

فقلت: سأتيكما بطعام.

ثمّ أتتهما بطعام فأكلا وشربا، ولَمَّا ولجا الفراش قال الصغير للكبير: يا أخي، إنّنا نرجوا أن نكون قد أمنا ليلتنا هذه، فتعال حتّى أعانقك وتعانقني، وأشمّ رائحتك وتشمّ رائحتي، قبل أن يفترق الموت بيننا!

ففعل الغلامان ذلك واعتنقا وناما، فلَمَّا كان في بعض الليل أقبل ختن العجوز الفاسق حتّى قرع الباب خفيًّا، فقالت العجوز: من هذا؟

قال: أنا فلان!

قالت: ما الذي أطرقك هذه الساعة، وليس هذا لك بوقت!؟

قال: ويحك! إفتحي الباب قبل أن يطير عقلي وتنشق مرارتى في جوفى جهد البلاء الذي قد نزل بي!

قالت: ويحك! ما الذي نزل بك!؟

قال: هرب غلامان صغيران من عسكر عبيدالله بن زياد، فنادى الأمير في معسكره: من جاء برأس واحدٍ منهما فله ألف درهم! ومن جاء

برأسيهما فله ألفا درهم! فقد أتعبت وتعبت ولم يصل في يدي شيء!

فقالت العجوز: يا خنتي! إحذر أن يكون محمد خصمك في القيامة!

قال: ويحك! إن الدنيا مُحَرَص عليها!

فقالت: وما تصنع بالدنيا وليست معها آخره!؟

قال: إنى لأراكَ تحامين عنهما، كأنَّ عندك من طلب الأمير شيء!؟ قومي فإنَّ

مع الركب الحسيني (ج ٥)، ص: ١٦٩

الأمير يدعوكَ!

قالت: ما يصنع الأمير بي، وإنما أنا عجوز في هذه البرية!؟

قال: إنما لى الطلب! إفتحي لى الباب حتى أريح واستريح، فإذا أصبحتُ فكَّرت في أى الطريق آخذُ في طلبهما.

ففتحت له الباب، وأتته بطعام وشراب، فأكل وشرب، فلمَّا كان في بعض الليل سمع غطيظ الغلامين في جوف الليل، فأقبل يهيج كما

يهيج البعير الهائج، ويخور كما يخور الثور، ويلمس بكفه جدار البيت حتى وقعت يده على جنب الغلام الصغير!

فقال له: من هذا؟

قال: أمَّا أنا فصاحب المنزل، فمن أنتما!؟

فأقبل الصغير يحرك الكبير ويقول: قم يا حبيبي، فقد والله وقعنا فيما كُنَّا نحاذره!

قال لهما: من أنتما!؟

قالا له: يا شيخ، إن نحن صدقناك فلنا الأمان!؟

قال: نعم!

قالا: أمان الله وأمان رسوله، وذمة الله وذمة رسول الله؟

قال: نعم!

قالا: ومحمد بن عبدالله على ذلك من الشاهدين؟

قال: نعم!

قالا: والله على ما نقول وكيل وشهيد؟

قال: نعم!

مع الركب الحسيني (ج ٥)، ص: ١٧٠

قالا له: يا شيخ، فنحن من عتره نبيك محمد صلى الله عليه وآله، هربنا من سجن عبيدالله بن زياد من القتل!

فقال لهما: من الموت هربتما، وإلى الموت وقعتما! الحمد لله الذي أظفرني بكما!

فقام إلى الغلامين فشدَّ أكتافهما، فبات الغلامان ليلتهما مكتفين، فلمَّا انفجر عمود الصبح دعا غلاماً له أسود يُقال له فليح، فقال: خذ

هذين الغلامين فانطلق بهما إلى شاطيء الفرات وأضرب أعناقهما، وأتتني برؤسهما لأنطلق بهما إلى عبيدالله بن زياد وأخذ جائزة

ألفى درهم.

فحمل الغلام السيف، فمضى بهما ومشى أمام الغلامين، فما مضى إلّا غير بعيد حتّى قال أحد الغلامين: يا أسود، ما أشبه سوادك بسواد بلال مؤذن رسول الله!!

قال: إن مولاي قد أمرني بقتلكما، فمن أنتما؟

قالا له: يا أسود، نحن من عترة نبيك محمد صلى الله عليه وآله، هربنا من سجن عبيد الله بن زياد من القتل، أضافتنا عجوزكم هذه، ويريد مولاك قتلنا!

فانكبّ الأسود على أقدامهما يقبلهما ويقول: نفسى لنفسكما الفداء، ووجهى لوجهكما الوقاء يا عترة نبي الله المصطفى! والله لا يكون محمد صلى الله عليه وآله خصمى فى القيامة.

ثمّ عدا فرمى السيف من يده ناحية، وطرح نفسه فى الفرات وعبر إلى الجانب الآخر، فصاح به مولاة: يا غلام عصيتى!؟

فقال: يا مولاي! إنّما أطعتك ما دمت لاتعصى الله، فإذا عصيت الله فأنا منك برىء فى الدنيا والآخرة!

مع الريب الحسينى (ج ۵)، ص: ۱۷۱

فدعا ابنه فقال: يا بنى! إنّما أجمع الدنيا حلالها وحرامها لك! والدنيا مُحَرَّصٌ عليها، فخذ هذين الغلامين إليك فانطلق بهما إلى شاطيء الفرات فاضرب أعناقهما، وائتنى برؤسهما لأنطلق بهما إلى عبيد الله بن زياد وأخذ جائزة ألفى درهم.

فأخذ الغلام السيف، ومشى أمام الغلامين، فما مضى (فما مضيا) إلّا غير بعيد حتّى قال أحد الغلامين: يا شاب! ما أخوفنى على شبابك هذا من نار جهنّم!

فقال: يا حبيبيّ فمن أنتما؟

قالا: من عترة نبيك محمد صلى الله عليه وآله يريد والدك قتلنا!

فانكبّ الغلام على أقدامهما يقبلهما ويقول لهما مقالة الأسود، ورمى بالسيف ناحية، وطرح نفسه فى الفرات وعبر! فصاح به أبوه: يا بنى! عصيتى!؟

قال: لأن أطيع الله وأعصيك أحبّ إليّ من أن أعصى الله وأطيعك.

قال الشيخ: لا يلى قتلكما أحدٌ غيرى! وأخذ السيف ومشى أمامهما، فلمّا صار إلى شاطيء الفرات سلّ السيف من جفنه، فلمّا نظر الغلامان إلى السيف مسلولا اغرورقت أعينهما وقالا له: يا شيخ! انطلق بنا إلى السوق واستمتع بأثماننا، ولا ترد أن يكون محمد خصمك فى القيامة غدا!

فقال: لا! ولكن أقتلكما وأذهب برأسيكما الى عبيد الله بن زياد، وأخذ جائزة ألفين!

فقالا له: يا شيخ! أما تحفظ قرابتنا من رسول الله صلى الله عليه وآله؟

فقال: ما لكما من رسول الله قرابة!!

قالا: يا شيخ! فائت بنا إلى عبيد الله بن زياد حتى يحكم فينا بأمره!

قال: ما بى إلى ذلك سبيل إلّا التقرب إليه بدمكما!

مع الريب الحسينى (ج ۵)، ص: ۱۷۲

قالا له: يا شيخ! أما ترحم صغر سننا!؟

قال: ما جعل الله لكما فى قلبى من الرحمة شيئا!

قالا: يا شيخ! إن كان ولا بدّ فدعنا نصلى ركعات!

قال: فصليا ما شئتما إن نفعكما الصلاة!

فصلّى الغلامان أربع ركعات، ثمّ رفعوا طرفيهما إلى السماء فناديا: يا حيّ يا حكيم يا أحكم الحاكمين! أحكم بيننا وبينه بالحق!

فقام إلى الأكبر فضرب عنقه وأخذ برأسه ووضع في المخلاة! وأقبل الغلام الصغير يتمرغ في دم أخيه وهو يقول: حتى ألقى رسول الله صلى الله عليه وآله وأنا مختضب بدم أخي!

فقال: لا عليك، سوف أتحقق بأخيك! ثم قام إلى الغلام الصغير فضرب عنقه وأخذ رأسه ووضع في المخلاة! ورمى بذيئهما في الماء وهما يقطران دمًا!

ومرَّ حتى أتى بهما عبيدالله بن زياد وهو قاعد على كرسي له، ويده قضيب خيزران، فوضع الرأسين بين يديه، فلما نظر إليهما قام ثم قعد ثلاثاً، ثم قال: الويل لك! أين ظفرت بهما!

قال: أضافتهما عجوز لنا!

قال: فما عرفت حق الضيافة؟!

قال: لا!

قال: فأى شيء قال لك؟

قال: قال: يا شيخ! إذهب بنا إلى السوق فبعنا فانتفع بأثماننا، فلا نرد أن يكون محمد صلى الله عليه وآله خصمك في القيامة!

قال: فأى شيء قلت لهما؟!

معالركب الحسينى (ج ٥)، ص: ١٧٣

قال: قلت: لا! ولكن أقتلكما وانطلق برأسيكما إلى عبيدالله بن زياد، وأخذ ألفى درهم.

قال: فأى شيء قال لك؟

قال: قال: إئت بنا إلى عبيدالله بن زياد حتى يحكم فينا بأمره!

قال: فأى شيء قلت؟!

قال: قلت: ليس لى إلى ذلك سبيل إلا التقرب إليك بدمهما!

قال: أفلا جئتنى بهما حينئذ فكنت أضعف لك الجائزة وأجعلها أربعة آلاف درهم؟!

قال: ما رأيت إلى ذلك سبيلاً إلا التقرب إليك بدمهما!

قال: فأى شيء قال لك أيضاً؟

قال: قال: يا شيخ! إحفظ قرابتنا من رسول الله!

قال: فأى شيء قلت لهما؟!

قال: قلت: مالكما من رسول الله قرابة!

قال: ويلك! فأى شيء قال لك أيضاً؟

قال: قال: يا شيخ! إرحم صغر سننا!

قال: فما رحمتكما؟!

قال: قلت: ما جعل الله لكما من الرحمة فى قلبى شيئاً!

قال: ويلك؟ فأى شيء قال لك أيضاً؟

قال: قال: دعنا نصلّى ركعات. فقلت: فصلّى ما شئتما إن نفعتكما الصلاة! فصلّى الغلامان أربع ركعات.

قال: فأى شيء قال فى آخر صلاتهما؟

معالركب الحسينى (ج ٥)، ص: ١٧٤

قال: رفعاً طرفيهما إلى السماء وقال: يا حى يا حكيم يا أحكم الحاكمين! أحكم بيننا وبينه بالحق!

قال عبيدالله بن زياد: فإنَّ أحكم الحاكمين قد حكم بينكم وبين الفاسق!

قال فانتدب له رجل من أهل الشام فقال: أنا له!

قال: فانطلق به إلى الموضع الذي قتل فيه الغلامين فاضرب عنقه، ولا تترك أن يختلط دمه بدمهما، وعجل برأسه! ففعل الرجل ذلك، وجاء برأسه فنصبه على قنأه، فجعل الصبيان يرمونه بالنبل والحجارة وهم يقولون: هذا قاتل ذريته رسول الله صلى الله عليه وآله!.. «١»

مع الركب الحسيني (ج ٥)، ص: ١٧٥

المقصد الثاني

الفصل الثاني: مع الركب الحسيني من الكوفة إلى الشام ص : ١٧٥

مدّة بقاء الركب الحسيني في الكوفة ص : ١٧٥

يُستفاد من بعض النصوص أن بقيّة الركب الحسيني لم يطل بقاؤهم في الكوفة إلّا يومين أو يوماً وبعض يوم!، كما في، نصّ سبط ابن الجوزي حيث يقول: «ثم إنَّ ابن زياد حطَّ الرؤوس في اليوم الثاني وجّهها والسبايا إلى الشام إلى يزيد بن معاوية»، «١» وهذه المدّة هي أقلّ مدّة ممكنة.

لكنّ نصوصاً أخرى تفيد أنهم بقوا في الكوفة المدّة التي يستغرقها ذهاب وإياب البريد بين الكوفة ودمشق، كما في نصّ ابن الأثير الجزري حيث يقول: «إنَّ آل الحسين لما وصلوا إلى الكوفة حبسهم ابن زياد، وأرسل إلى يزيد بالخبر، فبينما هم في الحبس إذ سقط عليهم حجر فيه كتاب مربوط، وفيه: إنَّ البريد سار بأمركم إلى يزيد، فيصل يوم كذا ويعود يوم كذا، فإن سمعتم التكبير فأيقنوا بالقتل! وإن لم تسمعوا تكبيراً فهو الأمان.

فلما كان قبل قدوم البريد بيومين أو ثلاثة إذا حجرّ قد ألقى، وفيه كتاب يقول:

أوصوا وأعهدوا فقد قارب وصول البريد..» «٢»

مع الركب الحسيني (ج ٥)، ص: ١٧٨

والظاهر أنّ البريد آنذاك كان على نوعين: «بريد الطير»، و «بريد الخيل»، و «بريد الخيل أسرع من بريد الخيل، و «بريد الخيل أسرع كثيراً من رحلة مسافر أو أكثر يجدون السير على نفس مسافة البريد، ذلك لأن الخيل في البريد وهي من أجود الخيل وأسرعها تقطع مسافة جزيئة من مسافة البريد، ثمّ تسلّم البريد إلى غيرها لتقطع مسافة جزيئة أخرى بعدها، وهكذا حتّى تتمّ مسافة البريد كلّها، فلا تعاني أفراس البريد ولا فرسانها من تعب ولا نصب، ويتمّ إيصال البريد بأسرع وقت ممكن!

فإذا علمنا- في ضوء بعض النصوص «١»- أنّ عميرة الذي أرسله عبدالله بن عمر إلى يزيد ومعه كتاب يشفع فيه لإطلاق سراح المختار من سجن ابن زياد، توجّه إلى الكوفة من الشام حاملاً كتاب يزيد إلى ابن زياد بإطلاق سراح المختار، وقد قطع المسافة بين الشام والكوفة بأحد عشر يوماً! أمكننا القول بأنّ «بريد الخيل» يقطع هذه المسافة- بين دمشق والكوفة- في ستّة أيام مثلاً.

وإذا علمنا- في ضوء نصوص أخرى «٢»- أنّ هناك طريقاً مستقيماً بين الشام والعراق يمكن أن يقطعه المسافر في العادة خلال مدّة أسبوع، وكان عرب عقيل يسلكون هذا الطريق، كما كان عرب صليب يذهبون من حوران للنجف في نحو ثمانية أيام، أمكننا أن نقبل بأنّ البريد آنذاك يمكن أن يقطع المسافة بين الكوفة ودمشق في سبعة أيام أو أقلّ.

وإذا افترضنا أنّ ابن زياد كتب إلى يزيد بخبر انتهاء وقعة الطف مباشرة بعد

مع الركب الحسيني (ج ٥)، ص: ١٧٩

انتهائها، وأن البريد تحرّك برسالته إلى يزيد في ليلة الحادى عشر أو في اليوم الحادى عشر، فإنه يمكننا أن نحتمل - على فرض أن مدّة البريد أسبوع - أن البريد وصل إلى دمشق حوالى اليوم السابع عشر من المحرّم.

وإذا افترضنا أيضاً أنه تحرّك من دمشق إلى الكوفة بجواب يزيد في نفس اليوم، فإنّ من المحتمل أيضاً أنه يصلها حوالى اليوم الرابع والعشرين من المحرّم.

وإذا قلنا أن الركب الحسيني تحرّك من الكوفة إلى الشام في نفس اليوم الرابع والعشرين من المحرّم، فإنّ مدّة بقائهم في الكوفة - وهى تبدأ من اليوم الثانى عشر - تكون حوالى إثنى عشر يوماً على احتمال قوى، والله العالم.

كيف حمل بقيّة أهل البيت عليهم السلام إلى يزيد؟! ص : ١٧٩

فيما رواه الطبرى قوله: «ثم إنّ عبيدالله أمر بنساء الحسين وصبياناه فجهّزن، وأمر بعليّ بن الحسين فغُلَّ بعُلِّ إلى عنقه! ثمّ سرح بهم مع مُحفّز بن ثعلبة العائذى - عائذة قريش - ومع شمر بن ذى الجوشن، فانطلقا بهم حتّى قدموا على يزيد، فلم يكن عليّ بن الحسين يُكلّم أحداً منهما في الطريق كلمه حتّى بلغوا...» (١)

وقال السيد ابن طاووس (ره): «وأما يزيد بن معاوية فإنه لما وصل كتاب ابن زياد ووقف عليه أعاد الجواب إليه يأمره فيه بحمل رأس الحسين عليه السلام إليه ورؤوس من قُتل معه، وبحمل أثقاله ونسائه وعياله، فاستدعى ابن زياد بمخفر بن ثعلبة العائذى فسلم إليه الرؤوس والأسارى والنساء، فسار بهم مخفر إلى الشام كما يُسار بسبايا الكفّار، يتصفّح وجوههنّ أهل الأقطار!». (٢)

مع الركب الحسينى (ج ٥)، ص: ١٨٠

ويقول السيّد ابن طاووس (ره) فى كتابه (إقبال الأعمال): «رأيت فى كتاب المصاييح بإسناده إلى جعفر بن محمّد عليهما السلام قال: قال لى أبى محمّد بن عليّ: سألت أبى عليّ بن الحسين عن حمل يزيد له، فقال:

حملنى على بعير يطلع بغير وطاء! ورأس الحسين عليه السلام على علم! ونسوتنا خلفى على بغال، فأكفّ، والفارطة خلفنا وحوّلنا بالرماح، إن دمعت من أحدنا عين قرع رأسه بالرمح! حتّى إذا دخلنا دمشق صاح صائح: يا أهل الشام هؤلاء سبايا أهل البيت الملعون!». (١)

ويقول ابن الصبّاغ المالكي فى كتابه الفصول المهمّة: «وقد جعل ابن زياد الغلّ فى يديه - أى الإمام السجّاد عليه السلام - وفى عنقه، ولم يزالوا سايرين بهم على تلك الحالة إلى أن وصلوا الشام...» (٢)

وفيما يرويه لنا الصحابيّ سهل بن سعد (٣) عن لقائه بالركب الحسيني فى

مع الركب الحسينى (ج ٥)، ص: ١٨١

دمشق قوله: «... فيينا أنا كذلك، حتّى رأيت الرايات يتلو بعضها بعضاً، فإذا نحن بفارس بيده لواء منزوع السنان، عليه رأس أشبه الناس وجهاً برسول الله صلى الله عليه وآله! فإذا أنا من ورائه رأيت نسوة على جمال بغير وطاء...» (١)

وإنّ صفة دخول بقيّة أهل البيت عليهم السلام على يزيد كاشفة عن حالهم الأصعب أثناء الطريق، يقول السيّد ابن طاووس (ره): «ثمّ أدخل ثقل الحسين عليه السلام ونسائه ومن تخلف من أهله على يزيد، وهم مقرّنون فى الجبال! فلمّا وقفوا بين يديه وهم على تلك الحال قال له عليّ بن الحسين:

أُنشدك الله يا يزيد! ما ظنّك برسول الله لو رآنا على هذه الحال؟!...» (٢)

مع الركب الحسينى (ج ٥)، ص: ١٨٢

وفى خطبة مولانا زينب العقيلة عليها السلام فى مجلس يزيد صورة وافية لطريقة حمل بقيّة أهل البيت عليهم السلام من الكوفة إلى

الشام، حيث قالت عليها السلام وهي تقرع الطاغية:

«أمن العدل يا ابن الطلقاء تخديرك حرائرك وإماءك، وسوقك بنات رسول الله سبايا قد هتكت ستورهن؟! وأبديت وجوههن؟! تحدو بهن الأعداء من بلد إلى بلد؟! ويستشرفهن أهل المناهل والمناقل؟! ويتصفحن وجوههن القريب والبعيد، والدني والشريف؟! ليس معهن من رجالهن ولي، ولا من حماتهن حمى؟!...» (١)

هل كانت الرؤوس المقدسة مع الركب الحسيني؟ ص : ١٨٢

يُستفاد من النصوص التي مضت عن السيد ابن طاووس (ره) أن الرؤوس المقدسة كانت مع الركب الحسيني في حركته من الكوفة إلى الشام.

مع الركب الحسيني (ج ٥)، ص: ١٨٣

لكن نصوصاً أخرى تُشعر أن الرؤوس المقدسة سبقت الركب الحسيني إلى الشام، كما في نص الشيخ المفيد (ره) حيث يقول: «ولما فرغ القوم من التطوف به - أي الرأس المقدس - بالكوفة، رده إلى باب القصر، فدفعه ابن زياد إلى زحر بن قيس، (١) ودفع إليه رؤوس أصحابه، وسرحه إلى يزيد بن معاوية عليهم لعائن الله ولعنة اللاعنين في السموات والأرضين، وأنفذ معه أبا بردة بن عوف الأزدي، (٢)

مع الركب الحسيني (ج ٥)، ص: ١٨٤

وطارق بن أبي ظبيان، (١) في جماعة من أهل الكوفة حتى وردوا بها على يزيد بدمشق...» (٢)

وأوضح من ذلك في هذا الصدد ما قاله الشيخ المفيد (ره) أيضاً: «ثم إن عبيد الله بن زياد بعد إنفاذه برأس الحسين عليه السلام أمر بنسائه وصبياناه فجّهزوا، وأمر بعلتي بن الحسين فغلّ بغلّ إلى عنقه، ثم سرح بهم في أثر الرأس مع مجفر بن ثعلبة العائذي، وشمر بن ذي الجوشن، فانطلقوا بهم حتى لحقوا بالقوم الذين معهم الرأس، ولم يكن علي بن الحسين عليه السلام يكلم أحداً من القوم في الطريق كلمة حتى بلغوا...» (٣)

مع الركب الحسيني (ج ٥)، ص: ١٨٥

منازل الطريق من الكوفة إلى دمشق ص : ١٨٥

إشارة

هناك طريقتان يصلان بين الكوفة ودمشق، عرضت لذكرهما بعض الكتب التي تناولت الحديث في قصة سفر الركب الحسيني من الكوفة إلى الشام، وهذان الطريقتان هما:

١- الطريق السلطاني: ص : ١٨٥

وهو الطريق الذي ذكره الميرزا النوري، (١) وذهب إلى أن بقية الركب الحسيني كانوا قد سلكوا هذا الطريق من الكوفة إلى الشام، وعلى هذا كان الميرزا النوري قد استبعد أن تكون زيارة الأربعين التي زار بها بقية أهل البيت عليهم السلام قبر الحسين عليه السلام في الأربعين يوماً الأولى بعد مقتله في سنة ٦١ للهجرة.

وهذا الطريق مع طوله وكثرة منازل لا يمكن لسالك يجد السير فيه ولا يلوى على أحد ولا يتوقف في منزل أن يسلكه في أقل من عشرة أيام، ولو أردنا أن نقبل بأن مسير الركب الحسيني كان على هذا الطريق، ونقبل جميع ما حدث لهم في منزله لاستغرق ذلك سنة من

الزمان على قول بعض المحققين!.. «٢»

ومنازل هذا الطريق على ما ذهب إليه فرهاد ميرزا صاحب كتاب «مقام زحار» هي: حرّان، حصاصة، تكريت، وادي النخلة، برصabad، الموصل، عين الورد، قنسرين، معزة النعمان، كفرطاب، الشيرز، الحمى (حماء)، حمص، بعلبك. «٣»
مع الركب الحسيني (ج ٥)، ص: ١٨٦

وقد وردت أسماء منازل هذا الطريق في المقتل المنسوب لأبي مخنف متفاوتة في الترتيب، مع إضافة ونقص. «١»
والمتميّز في الخرائط الجغرافية يجدها لا تقبل بترتيب بعض تلك المنازل!! ويقول المرحوم المحدث الشيخ عباس القمي: «إعلم أنّ ترتيب المنازل التي نزلوها في كلّ مرحلة باتوا بها أم عبروها منها غير معلوم ولا مذكور في شيء من الكتب المعتمدة، بل ليس في أكثرها كيفية مسافرة أهل البيت إلى الشام...». «٢»

٢- الطريق المستقيم (طريق عرب عقيل): ص : ١٨٦

وهو طريق يمكن قطعه في مدّة أسبوع لكونه مستقيماً وممنّ ذهب إلى أنّ أهل البيت عليهم السلام سلكوا هذا الطريق هو المرحوم السيد محسن الأمين في موسوعته الكبيرة (أعيان الشيعة) حيث يقول: «.. والمشهور أنّهم وصلوا إلى كربلاء في العشرين من صفر، ومنه زيارة الأربعين الواردة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام للحسين عليه السلام.
وقد يستبعد ذلك بأنّ المسافة بين العراق والشام تقطع في نحو من شهر، ولا بدّ يكونوا بقوا في الشام مدّة، فكيف يمكن استيعاب الذهاب والإياب والبقاء في الشام، والذهاب للكوفة والبقاء فيها، أربعين يوماً؟!
ويمكن دفع الإستبعاد بأنّه يوجد طريق بين الشام والعراق يمكن قطعه في أسبوع لكونه مستقيماً، وكان عرب عقيل يسلكونه في زماننا. وتدلّ بعض الأخبار على أنّ البريد كان يذهب من الشام للعراق في أسبوع،
مع الركب الحسيني (ج ٥)، ص: ١٨٧

وعرب صليب يذهبون من حوران للنجف في نحو ثمانية أيام.
فلعلّهم سلكوا هذا الطريق وتزوّدوا ما يكفيهم من الماء، وأقلّوا المقام في الكوفة والشام، والله أعلم..». «١»
ونحن أيضاً نرجّح أنّ أعداء الله ورسوله صلى الله عليه وآله كانوا قد سلكوا ببقية الركب الحسيني في سفرهم من الكوفة إلى الشام أقصر الطرق مسافة، سواء أكان طريق عرب عقيل أو غيره، ونستبعد أنّهم سلكوا ما يُسمّى بالطريق السلطاني الطويل.
ذلك لأنّ من الطبيعي يومذاك أن يحرص كلّ من يزيد وابن زياد وجلاوزتهم الموكّلين ببقية الركب الحسيني على وصول هذا الركب إلى دمشق في أسرع وقت ممكن! ويتوسّلوا بكلّ الوسائل المساعدة لتحقيق هذه الرغبة!
أمّا يزيد لعنه الله، فلكى يروى ظمأه إلى التشفّي بمشهد انكسار أهل البيت عليهم السلام من رسول الله صلى الله عليه وآله عليه وآله وأمير المؤمنين متوهماً أن بنى أميّة عدلوا يوم عاشوراء ببدن فاعتدل! حتّى استشهد بشعر ابن الزبير في هذا المعنى! جذلان بمظاهر الظفر المكذوب!

وأمّا ابن زياد لعنه الله، فلكى يرى أميره يزيد كيف نفض أوامره كما يحبّ ويرضى! حتّى يحظى عنده بمزيد من الوجاهة والامتزّة والإعتماد، فهو على عجلة من أمر وصول ببقية الركب الحسيني إلى الشام بأسرع وقت، من أجل دفقة سرور موهومة تدخل على قلب يزيد تنعكس آثارها الإيجابية على حياة ابن زياد ومصيره!

وأما الجلاوزة لعنهم الله الذين رافقوا الركب الحسيني فهم أشدّ لهفة إلى

مع الركب الحسيني (ج ٥)، ص: ١٨٨

الوصول بالركب إلى الشام بأسرع ما يمكن من الوقت، طمعاً في نوال جوائز يزيد، والحصول على مزيد من الحظوة عنده!

فكانت جميع مصالحي الطغاة وجلالوتهم تدعو الى اعتساف أقصر الطرق من الكوفة إلى الشام!! ويُذكر أيضاً أن جلاوزة ابن زياد حينما خرجوا برأس الحسين عليه السلام من الكوفة كانوا يخافون من قبائل العرب أن تثور فيهم الغيرة والحمية، فكانوا يخشون أن يأخذوا منهم الرأس المقدس ولذا كانوا يتجنبون السير على الجادة المعروفة، وكلما وصلوا إلى قبيلة طلبوا العلوقة وقالوا معنا رأس خارجي!! «١»

جملة من وقائع الطريق إلى الشام ص : ١٨٨

إشارة

أشارت مصادر تاريخية إلى جملة من وقائع حدثت على طريق الركب الحسيني من الكوفة إلى الشام، نورد هنا ذكر هذه الوقائع - مما اشتهر منها، ومما لم يتفرد به المقتل المنسوب إلى أبي مخنف - في ضوء متابعتها حسب منازل الطريق ما أمكننا ذلك، وهي:

١- خروج يد من الحائط تكتب بمداد من الدم! ص : ١٨٨

روى الخوارزمي بسند عن ابن لهيعة، «٢» عن أبي قبيل، «٣» قال: «لما قُتل

مع الركب الحسيني (ج ٥)، ص: ١٨٩

الحسين عليه السلام بُعث برأسه إلى يزيد، فنزلوا أول مرحلة، فجعلوا يشربون ويبتهجون بالرأس! فخرجت عليهم كَفٌّ من الحائط، معها قلم من حديد، فكتبت سطرًا بدم:

أترجو أمة قتلت حسيناً شفاعته جده يوم الحساب!؟» «١»

وفي المقتل المنسوب إلى أبي مخنف: أن ابن زياد دعا الشمر اللعين،

مع الركب الحسيني (ج ٥)، ص: ١٩٠

وخولي، وشبث بن ربعي، وعمر بن سعد، «١» وضَمَّ إليهم ألف فارس! وأمرهم بأخذ السبايا والرؤوس إلى يزيد، وأمرهم أن يشهروهم في كل بلدة يدخلونها! فساروا على ساحل الفرات، فنزلوا على أول منزل كان خراباً، فوضعوا الرأس الشريف المبارك المكرّم، والسبايا مع الرأس الشريف، وإذا رأوا يداً خرج من الحائط معه (كذا) قلم يكتب بدم عبيط شعراً:

أترجو أمة قتلت حسيناً شفاعته جده يوم الحساب

فلا والله ليس لهم شفيع وهم يوم القيامة في العذاب

لقد قتلوا الحسين بحكم جور وخالف أمرهم حكم الكتاب

فهربوا، ثم رجعوا، ثم رحلوا من ذلك المنزل، وإذا هاتف يقول:

ماذا تقولون إذ قال النبي لكم ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم

بعترتي وبأهلي بعد مفتقدى منهم أسارى ومنهم ضرجوا بدم

ما كان هذا جزائي إذ نصحت لكم أن تخلفوني بسوء في ذوى رحمى.. «٢»

وروى الخوارزمي عن إمام بنى سليم قال: حدّثنا أشياخنا، قالوا: دخلنا في الروم كنيسة لهم، فوجدنا في الحائط صخرة، فيها مكتوب:

أترجو أمة قتلت حسيناً شفاعته جده يوم الحساب

فلا والله ليس لهم شفيع وهم يوم القيامة في العذاب

فقلنا لشيخ في الكنيسة: منذ كم هذا الكتاب؟

فقال: من قبل أن يُبعث صاحبكم بثلاثمائة عام!!.. «٣»

معالركب الحسيني (ج ٥)، ص: ١٩١

وفى «تاريخ الخميس» يقول الديار بكرى: «فساروا إلى أن وصلوا إلى دير في الطريق، فنزلوا ليقبلوا به فوجدوا مكتوباً على بعض جدرانها:

أترجوا أمّة قتلت حسيناً شفاعته جدّه يوم الحساب

فسألوا الراهب عن السطر، ومن كتبه؟

فقال: إنّه مكتوب هاهنا من قبل أن يُبعث نبيكم بخمسمائة عام!.. «١»

٢- قصّة الراهب مع الرأس المقدّس! ص : ١٩١

قال سبط بن الجوزي في (تذكرة الخواص): «وذكر عبدالملك بن هاشم في كتاب (السيره) الذي أخبرنا القاضي الأسعد أبو البركات عبدالقوي بن أبي المعالي ابن الحبار السعدي في جمادى الأولى سنة تسع وستّمائة بالديار المصريه قراءة عليه ونحن نسمع قال: أنبأنا أبو محمد عبد الله بن رفاعه بن غدير السعدي في جمادى الأولى سنة خمس وخمسين وخمسمائة قال: أنبأنا أبو الحسين علي بن الحسين الخلعي أنبأنا أبو محمد عبدالرحمن بن عمر بن سعيد النحاس النحبي:

أنبأنا أبو محمد عبد الله بن جعفر بن محمد بن رنجويه البغدادي: أنبأنا أبو سعيد عبدالرحيم بن عبد الله البرقي: أنبأنا أبو محمد عبدالملك بن هشام النحوي البصري «٢» قال:

معالركب الحسيني (ج ٥)، ص: ١٩٢

لما أنفذ ابن زياد رأس الحسين عليه السلام إلى يزيد بن معاوية مع الأسارى، موثقين في الجبال، منهم نساء وصبيان وصبيّات من بنات رسول الله صلى الله عليه وآله، على أقتاب الجمال، موثقين مكشّفات الوجوه والرؤوس! وكلّما نزلوا منزلاً أخرجوا الرأس من صندوق أعدوه له، فوضعوه على رمح وحرسوه طول الليل إلى وقت الرحيل، ثمّ يعيدوه الى الصندوق ويرحلوا، فنزلوا بعض المنازل، وفي ذلك المنزل ديّر فيه راهب، فأخرجوا الرأس على عادتهم، ووضعوه على الرمح وحرسه الحرس على عادته، وأسندوا الرمح إلى الدير.

فلما كان في نصف الليل رأى الراهب نوراً من مكان الرأس الى عنان السماء! فأشرف على القوم وقال: من أنتم؟ قالوا: نحن أصحاب ابن زياد.

قال: وهذا رأس من؟!

قالوا: رأس الحسين بن علي بن أبي طالب، ابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله!

قال: نبيكم؟!

قالوا: نعم!

قال: بئس القوم أنتم! لو كان للمسيح ولد لأسكناه أحداقنا!

ثم قال: هل لكم في شيء؟

قالوا: وما هو؟

قال: عندي عشرة آلاف دينار، تأخذونها وتعطوني الرأس يكون عندي تمام الليلة، وإذا رحلتم تأخذونه!

قالوا: وما يضرنا؟!

فناولوه الرأس، وناولهم الدنانير، فأخذ الراهب فغسله وطيبه، وتركه على فخذه، وقعد يبكي الليل كلّه! فلما أسفر الصبح قال: يا رأس! لا أملك إلّا نفسي،

معالركب الحسيني (ج ٥)، ص: ١٩٣

وأنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأن جدك محمداً رسول الله، وأشهد الله أنني مولاك وعبدك!

ثم خرج عن الدير وما فيه، وصار يخدم أهل البيت!

قال ابن هشام في السيرة: ثم إنهم أخذوا الرأس وساروا، فلما قربوا من دمشق قال بعضهم لبعض: تعالوا حتى نقسم الدنانير لا يراها يزيد فيأخذها منا!

فأخذوا الأكياس وفتحوها، وإذا الدنانير قد تحولت خزفاً! وعلى أحد جانبي الدينار مكتوب: «ولاتحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون» الآية، وعلى الجانب الآخر: «وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون» فرموا في بردى «١». «٢»

أما الخوارزمي فقد روى نظير هذه القصة، حيث قال: «وروى: أن رأس الحسين عليه السلام لما حمل إلى الشام، جن عليهم الليل فنزلوا عند رجل من اليهود، فلما شربوا وسكروا قالوا له: عندنا رأس الحسين!

فقال لهم: أروني إياه!

فأروه إياه بصندوق، يسطع منه النور إلى السماء! فعجب اليهودي، واستودعه منهم فأودعوه عنده، فقال اليهودي للرأس - وقد رآه بذلك الحال -: إشفع لي عند جدك! فأنطق الله الرأس وقال: إنما شفاعتي للمحمدين، ولست بمحمدي!

معالركب الحسيني (ج ٥)، ص: ١٩٤

فجمع اليهودي أقباءه، ثم أخذ الرأس ووضعها في طست، وصب عليه ماء الورد، وطرح فيه الكافور والمسك والعنبر، ثم قال لأولاده وأقربائه: هذا رأس ابن بنت محمد!

ثم قال: وا لهفاه! لم أجد جدك محمداً فأسلم على يديه! ثم وا لهفاه! لم أجدك حياً فأسلم على يديك وأقاتل دونك! فلو أسلمت الآن أتشفع لي يوم القيامة؟

فأنطق الله الرأس، فقال بلسان فصيح: إن أسلمت فأنا لك شفيع!

قالها ثلاث مرّات، وسكت، فأسلم الرجل وأقرباؤه!

وقال الخوارزمي: لعل هذا الرجل اليهودي كان راهب «قنسرين» لأنه أسلم بسبب رأس الحسين عليه السلام، وجاء ذكره في الأشعار، وأورده الجوهرى والجرجاني في مراثي الحسين كما سيرد عليك في موضعه إن شاء الله. «١»

ونقول: لا مانع من أن تتكرر قصة اهتداء راهب يهودي أو نصراني، وتشابه الواقعة في أكثر من منزل، كما أنه لا دليل على انحصارها في منزل واحد ومع راهب واحد! مع العلم أن الطرق الخارجية التي تمتد بين المدن الرئيسة يومذاك كانت تكثر فيها الصوامع والأديرة!

وينقل السيد هاشم البحراني (ره) عن الطريحي (ره) فيقول: «روى الثقة عن أبي سعيد الشامي قال: كنت ذات يوم مع القوم اللثام الذين حملوا الرؤوس والسبي إلى دمشق، لما وصلوا إلى دير النصارى فوقع بينهم أن نصر الخزاعي قد جمع عسكرياً ويريد أن يهجم عليهم نصف الليل، ويقتل الأبطال، ويجدل الشجعان، ويأخذ الرؤوس والسبي، فقال رؤساء العسكر من عظم اضطرابهم:

نلجأ الليلة إلى الدير ونجعله كهفاً لنا. لأن الدير كان لا يقدر أن يتسلط عليه العدو.

معالركب الحسيني (ج ٥)، ص: ١٩٥

فوقف الشمرو وأصحابه على باب الدير، وصاح بأعلى صوته: يا أهل الدير!

فجاءهم القسيس الكبير، فلما رأى العسكر قال لهم: من أنتم؟! وما تريدون؟!

فقال الشمرو: نحن من عسكر عبيد الله بن زياد، ونحن سائرون من العراق إلى الشام.

فقال القسيس: لأى غرض؟

قال: كان شخص بالعراق قد تباعى، وخرج على يزيد، وجمع العساكر! فعقد يزيد عسكرياً عظيماً فقتلوه، وهذه رؤوسهم، وهؤلاء النساء سباياهم!

قال الراوى: قال: فنظر القسيس إلى رأس الحسين عليه السلام وإذا بالنور ساطع منه! والضياء لامع قد لحق بالسماء! فوقع في قلبه هيبه منه.

فقال القسيس: دينا ما يسعكم، بل أدخلوا الرؤوس والسبي إلى الدير، وحيطوا أنتم من خارج، إن دهمكم عدو فقاتلوه، ولا تكونوا مضطربين على السبي والرؤوس. قال: فاستحسنوا كلام القسيس صاحب الدير، وقالوا: هذا هو الرأى! فحطوا رأس الحسين في صندوق، وقفل عليه، وأدخلوه إلى داخل الدير والنساء وزين العابدين عليه السلام، وصاحب الدير حطهم في مكان يليق بهم.

قال الراوى: ثم إن صاحب الدير أراد أن يرى الرأس الشريف، فجعل ينظر حول البيت الذى فيه الصندوق، وكان له رازونه، فحط رأسه في تلك الرازونه فرأى البيت يُشرق نوراً ورأى أن سقف البيت قد انشق! ونزل من السماء تخت عظيم والنور يسطع من جوانبه، وإذا بامرأة أحسن من الحور جالسة على التخت، وإذا بشخص يصيح: أطرقوا ولا تنظروا، وإذا قد خرج من ذلك البيت نساء، فإذا حواء، وصفيه، وزوجه إبراهيم أم اسماعيل، وراحيل أم يوسف، وأم موسى، وآسيه، ومريم، ونساء النبى.

مع الרכب الحسينى (ج ۵)، ص: ۱۹۶

قال الراوى: فأخرجوا الرأس من الصندوق، وكل من تلك النساء واحدة بعد واحدة يقبلن الرأس الشريف، فلما وقعت النوبة لمولاتى فاطمة الزهراء عليها السلام غشى على بصر صاحب الدير، وعاد لا ينظر بالعين، بل يسمع الكلام، وإذا قائلة تقول: السلام عليك يا قتيل الأم، السلام عليك يا مظلوم الأم، السلام عليك يا شهيد الأم، السلام عليك يا روح الأم، لا يداخلك هم وغم، فإن الله سيفرّج عني وعنك ويأخذ لى بئارك.

قال: فلما سمع الديرانى البكاء من النساء اللاتى نزلن من السماء اندهش ووقع مغشياً عليه، فلما أفاق من ذلك البكاء وإذا بالشخص نزل إلى البيت وكسر القفل والصندوق واستخرج الرأس وغسله بالكافور والمسك والزعفران، ووضع في قلبه، وجعل ينظر إليه ويبكى ويقول: يا رأس رؤوس بنى آدم، ويا عظيم، ويا كريم جميع العوالم! أظنك أنت من الذين مدحهم الله في التوراة والإنجيل، وأنت الذى أعطاك فضل التأويل، لأنّ خواتين سادات الدنيا والآخرة يبكين عليك ويندبنك! أما أنا أريد أن أعرفك باسمك ونعتك!

فنطق الرأس بإذن الله وقال: أنا المظلوم! أنا المقتول! أنا المهموم! وأنا المغوم! وأنا الذى بسيف العدوان والظلم قتلت! أنا الذى بحرب أهل الغنى ظلمت!

فقال صاحب الدير: بالله أيها الرأس زدنى!

فقال الرأس: إن كنت تسأل عن حالتي ونسبي؟ أنا ابن محمّد المصطفى! أنا ابن علي المرتضى! أنا ابن فاطمة الزهراء! أنا ابن خديجة الكبرى! وأنا ابن العروة الوثقى!

أنا شهيد كربلاء! أنا مظلوم كربلاء! أنا قتيل كربلاء! أنا عطشان كربلاء! أنا ظمآن كربلاء! أنا مهتوك كربلاء!

مع الרכب الحسينى (ج ۵)، ص: ۱۹۷

قال الراوى: فلما سمع صاحب الدير من رأس الحسين عليه السلام هذا الكلام جمع تلامذته ومريديه، وحكى لهم هذه الحكاياه، وكانوا سبعين رجلاً، فضجوا بالبكاء والنحيب، ونادوا بالويل والثبور، ورموا العمائم من رؤوسهم، وشقوا أزيابهم، وجاءوا إلى سيدنا ومولانا على بن الحسين، زين العابدين عليه السلام، ثم قطعوا الزنار وكسروا الناقوس! واجتنبوا أفعال اليهود والنصارى، وأسلموا على يديه، وقالوا: يا ابن رسول الله! مرنا أن نخرج إلى هؤلاء القوم الكفرة ونقاتلهم ونجلى صداً قلوبنا ونأخذ بئار سيدنا! فقال لهم الإمام:

لا تفعلوا ذلك، فإنهم عن قريب ينتقم الله منهم ويأخذهم أخذ عزيز مقتدر.

فردوا أصحاب الدير عن القتال». «١»

٣- الانبياء والملائكة يزورون الرأس المقدس ص: ١٩٧

قال السيد ابن طاووس (ره): «روى ابن لهيعة وغيره حديثاً أخذنا منه موضع الحاجة، قال: كنت أطوف بالبيت فإذا أنا برجل يقول:

اللهم اغفر لي وما أراك فاعلاً!

فقلت له: يا عبدالله، إن الله لا يتق الله ولا يتقل مثل هذا! فإن ذنوبك لو كانت مثل قطر الأمطار وورق الأشجار فاستغفرت الله غفرها لك فإنه

غفور رحيم!

قال: فقال لي: تعال حتى أخبرك بقصتي!

فأتيته، فقال: أعلم أنا كنا خمسين نفرًا ممن سار مع رأس الحسين عليه السلام إلى الشام، فكنا إذا أمسينا وضعنا الرأس في تابوت،

وشربنا الخمر حول التابوت! فشرب أصحابي ليلة حتى سكروا ولم أشرب معهم، فلما جن الليل سمعت رعداً

مع الركب الحسيني (ج ٥)، ص: ١٩٨

ورأيت برقاً، فإذا أبواب السماء قد فتحت! ونزل آدم عليه السلام، ونوح، وإبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، ونبينا محمد صلى الله عليه

وآله وعليهم أجمعين، ومعهم جبرئيل وخلق من الملائكة، فدنا جبرئيل من التابوت وأخرج الرأس وضمه إلى نفسه وقبله، ثم كذلك

فعل الأنبياء كلهم، وبكى النبي صلى الله عليه وآله على رأس الحسين عليه السلام وعزاه الأنبياء، وقال له جبرئيل عليه السلام: يا

محمد! إن الله تبارك وتعالى أمرني أن أطيعك في أمتك، فإن أمرتني زلزلت بهم الأرض، وجعلت عاليها سافلها كما فعلت بقوم

لوط!

فقال النبي صلى الله عليه وآله: لا- يا جبرئيل! فإن لهم معي موقفاً بين يدي الله يوم القيامة! ثم جاء الملائكة نحونا ليقتلونا، فقلت:

الأمان الأمان يا رسول الله!

فقال: إذهب فلا غفر الله لك!». «١»

٤- تكريت «٢» ص: ١٩٨

ينقل الطريحي عن مسلم الجصاص قوله: «فلما وصلوا إلى تكريت أنفذوا إلى صاحب البلد أن تلقانا (كذا) فإن معنا رأس الحسين

وسباياه! فلما أخبرهم الرسول بذلك نشرت الأعلام وخرجت العلمة يتلقونهم!

فقال النصراني: ما هذا؟

فقالوا: رأس الحسين!

فقالوا: هذا رأس ابن بنت نبيكم؟!

قالوا: نعم.

قال فعظم ذلك عليهم، وصعدوا إلى بيعهم وضربوا النواقيس تعظيماً لله رب

مع الركب الحسيني (ج ٥)، ص: ١٩٩

العالمين! وقالوا: اللهم إنا إليك براء مما صنع هؤلاء الظالمون!». «١»

وقال القندوزي: «فلما وصلوا إلى بلد تكريت نشرت الأعلام وخرج الناس بالفرح والسرور! فقلت النصراني للجيش: إنا براء مما

تصنعون أيها الظالمون! فإنكم قتلتم ابن بنت نبيكم وجعلتم أهل بيته أسارى!». «٢»

المشاهد المقدسة في منازل الطريق ص : ١٩٩

١- مشهد النقطة في الموصل! ص : ١٩٩

لم يُذكر في واحد من الكتب التاريخية المعتبرة على مستوى التحقيق أنّ أهل البيت عليهم السلام في الطريق من الكوفة إلى الشام قد مرّوا بمدينة الموصل، وقد تجنّب بعض المحقّقين والمؤرّخين الخوض في صدد صحة أو عدم صحة هذا المدّعى، ومن ذكرها منهم ذكرها على نحو النقل عمّن ذكرها، فالمرحوم الشيخ عباس القمّي مثلاً يقول ما هذا نصّه: «وأما مشهده بالموصل، فهو كما في روضة الشهداء (٣) ما ملّخصه: أنّ القوم لمّا أرادوا أن يدخلوا الموصل أرسلوا إلى عامله أن يهيىء لهم الزاد والعلوفة، وأن يزّين لهم البلدة، فاتفق أهل الموصل أن يهيئوا لهم ما أرادوا، وأن يستدعوا منهم أن لا يدخلوا البلدة، بل ينزلون خارجها، ويسرون من غير أن معالركب الحسينى (ج ٥)، ص: ٢٠٠

يدخلوا فيها، (١) فنزلوا ظاهر البلد على فرسخ منها، ووضعوا الرأس الشريف على صخرة، فقطرت عليها قطرة دم من الراس المكرّم، فصارت تشع (٢) ويغلى منها الدم كلّ سنة في يوم عاشوراء! وكان الناس يجتمعون عندها من الأطراف ويقيمون مراسم العزاء والمآتم في كلّ عاشوراء، وبقي هذا إلى أيام عبدالملك بن مروان فأمر بنقل الحجر، فلم ير بعد ذلك منه أثر، ولكن بنوا على ذلك المقام قبّة سمّوها مشهد النقطة». (٣)

٢- مشهد النقطة في نصيبين (٤) ص : ٢٠٠

ويقول الشيخ عباس القمّي: «وأما السانحة التي وقعت بنصيبين: ففي الكامل للبهائي ما حاصله: أنّهم لمّا وصلوا إلى نصيبين أمر منصور بن الياس بتزيين البلدة، فزيّنها بأكثر من ألف مرآة، فأراد الملعون الذي كان معه رأس الحسين عليه السلام أن يدخل البلد فلم يطعه فرسه! فبدّله بفرس آخر فلم يطعه! وهكذا فإذا بالرأس الشريف قد سقط إلى الأرض، فأخذه إبراهيم الموصلى، (٥) فتأمّل فيه فوجده رأس الحسين عليه السلام، فلامهم ووبّخهم فقتله أهل الشام، ثم جعلوا الرأس في خارج البلد ولم يدخلوه به. معالركب الحسينى (ج ٥)، ص: ٢٠١

قلت: ولعلّ مسقط الرأس الشريف صار مشهداً». (١)

وفي كتاب الإشارات إلى معرفة الزيارات: «في مدينة نصيبين مشهد النقطة، يُقال إنّه من دم رأس الحسين عليه السلام، وفي سوق النشابيين مشهد الرأس فإنّه علّق هناك لمّا عبروا بالسبي إلى الشام!». (٢)

٣- مشهد النقطة في حماة! ص : ٢٠١

ويقول الشيخ عباس القمّي (ره): «وأما المشهد الذي كان بحماة: (٣) ففي بعض الكتب (٤) نقلًا عن بعض أرباب المقاتل أنه قال: لمّا سافرت إلى الحجّ فوصلت إلى حماة رأيت بين بساطينها مسجدًا يسمّى مسجد الحسين عليه السلام! قال: فدخلت المسجد فرأيت في بعض عماراته سترًا مسبلًا من جدار، فرفعته ورأيت حجرًا منصوبًا في جدار، وكان الحجر مؤرّبًا فيه موضع عنق رأسه أثر فيه، وكان عليه دم منجمد! فسألته من بعض خدام المسجد: ما هذا الحجر والأثر والدم؟

فقال لي: هذا الحجر موضع رأس الحسين عليه السلام، فوضعه القوم الذين يسرون به إلى دمشق ...». (٥)

معالركب الحسينى (ج ٥)، ص: ٢٠٢

٤- هل هناك مشهد للرأس المقدس بحمص؟ ص : ٢٠٢

يقول المرحوم الشيخ عباس القمى: «وأما مشهد الرأس بحمص فما ظفرتُ به! كما أتى لم أظفر بمشهد الرأس من كربلاء إلى عسقلان!

نعم، فى جنب الباب الشمالى من صحن مولانا أبى عبدالله الحسين عليه السلام مسجد يُسمى مسجد رأس الحسين عليه السلام وفى ظهر الكوفة عند قائم الغرى مسجد يسمّى بمسجد الحنّانة فيه يستحب زيارة الحسين عليه السلام لأن رأسه عليه السلام وضع هناك». (١)

٥- مشهد النقطة فى حلب! «٢» ص : ٢٠٢

يقول صاحب كتاب نهر الذهب فى تاريخ حلب: «وفى سنة إحدى وستين قُتل الحسين عليه السلام بكربلاء، واحتزّ رأسه الشريف شمر بن ذى الجوشن، وسار به وبمن معه من آل الحسين إلى يزيد فى دمشق، فمرّ بطريقه على حلب، ونزل به عند الجبل ووضع على صخرة من صخراته، فقطرت منه قطرة دم بُنى على أثرها مشهد عُرف بمشهد النقطة». (٣)

وقال أيضاً: «قلت: ذُكر أنّ سبب بناء مشهد النقطة هو أنّ رأس الحسين لَمّا وصلوا به إلى هذا الجبل وضعوه على الأرض فقطرت منه قطرة دم فوق صخرة، بنى الحلبيون عليها هذا المشهد، وسمّى مشهد النقطة، ولعلّ هذه الصخرة نُقلت مع الركب الحسينى (ج ٥)، ص: ٢٠٣

من هذا المشهد بعد خرابه إلى محراب مشهد الحسين قُبئى عليها...». (١)

٦- مشهد السقط فى حلب! ص : ٢٠٣

قال الحموى: «وفى غربى البلد فى سفح جبل جوشن «٢» قبر المحسن بن الحسين، يزعمون أنه سقط لَمّا جيء بالسبى من العراق ليحمل إلى دمشق، أو طفل كان معهم بحلب دفن هنالك». (٣)

وقال أيضاً: «جوشن جبل فى غربى حلب، ومنه كان يُحمل النحاس الأحمر وهو معدنه، ويقال إنه بَطَل منذ عبر عليه سبى الحسين بن على ونساؤه، وكانت زوجة الحسين حاملاً فأسقطت هناك، فطلبت من الصنّاع فى ذلك الجبل خبزاً وماء، فشتموها ومنعوها! فدعت عليهم، فمن الآن من عمل فيه لا يربح». (٤)

وقال الغزى: «ومما يلحق بهذه المحلّة (أى محلّة الكلامته) مشهد محسن، ومشهد الحسين. فأما مشهد محسن فيعرف بمشهد الدكّة ومشهد الطرح، وهو غربى حلب، سُمى بهذا المكان لأنّ سيف الدولة بن حمدان كان له دكّة على الجبل المُطلّ على موضع المشهد، يجلس عليها لينظر إلى حلبة السباق فإنّها كانت تُقام بين يديه هناك.

وعن تاريخ ابن أبى طى: أنّ مشهد الدكّة ظهر فى سنة ٣٥١هـ، وأنّ سبب ظهوره هو أنّ سيف الدولة كان فى إحدى مناظره التى بداره خارج المدينة فرأى

مع الركب الحسينى (ج ٥)، ص: ٢٠٤

نوراً ينزل على مكان المشهد وتكرر ذلك، فركب بنفسه إلى ذلك المكان، وحفره فوجد حجراً عليه كتابة: هذا قبر المحسن بن الحسين بن على بن أبى طالب، فجمع سيف الدولة العلويين وسألهم هل كان للحسين ولد اسمه المحسن؟ فقال بعضهم: ما بلغنا ذلك، وإنّما بلغنا أنّ فاطمة كانت حاملاً فقال لها النبى صلى الله عليه وآله: فى بطنك محسن! فلَمّا كان يوم البيعة هجموا على بيتها لإخراج علىّ إلى البيعة فأُحدجت!...». (١)

«وقال بعضهم: إنّ سبى نساء الحسين لَمّا مروا بهنّ على هذا المكان طرحت بعض نساءه هذا الولد. فإنّما نروى عن آبائنا أنّ هذا المكان

سُمي بجوشن لأن شمر ابن ذى الجوشن نزل عليه السبي والرؤوس، وكان معدناً يُستخرج منه الصفر، وإنَّ أهل المعدن فرحوا بالسبي فدعت عليهم زينب بنت الحسين (هكذا)، ففسد ذلك المعدن.

فقال سيف الدولة: هذا الموضوع قد أذن الله بإعمارهِ، فأنا أُعمره على اسم أهل البيت ..». «٢»

وقال السيّد المقرّم (ره): «وبالقرب من حلب مشهد يُعرف ب «مسقط السقط»، وذلك أنّ حرم الرسول صلى الله عليه وآله لَمَّا وصلوا إلى هذا المكان أسقطت زوجة الحسين سقطاً كان يُسمّى محسناً!». «٣»

وقال الشيخ عباس القمّي (ره): «وإني قد تشرّفت بزيارة هذا المشهد الشريف في مرجعي من زيارة بيت الله الحرام في سنة ١٣٤٢ هـ، وقد شاهدت عمارة المشهد الشريف، وكانت مبيّنة من صخور عظيمة في نهاية الإتقان والإستحكام،

مع الركب الحسيني (ج ٥)، ص: ٢٠٥

ولكنّ الأسف أنّها لإجل المحاربة الواقعة بحلب تهدمت بنيناها، فهي الآن مخروبة منهدمة ساقطة حيطانها على سقوفها، خاوية على عروشها ..». «١»

٧- مشهد الرأس المقدّس في عسقلان!! ص : ٢٠٥

قال الشيخ عباس القمّي (ره): «وأما مشهد الرأس الشريف بعسقلان ففي بعض الكتب «٢» أنه مشهور!». «٣»

ولنُعَدِ الآن إلى قنسرين وقصة راهبها! ص : ٢٠٥

قال النطنزي في الخصائص: «لَمَّا جاءوا برأس الحسين ونزلوا منزلاً يُقال له قنسرين، إطلع راهب من صومعته إلى الرأس فرأى نوراً ساطعاً يخرج من فيه ويصعد إلى السماء! فأتاهم بعشرة آلاف درهم، وأخذ الرأس وأدخله صومعته، فسمع صوتاً ولم ير شخصاً قال: طوبى لك! وطوبى لمن عرف حرمة!

فرفع الراهب رأسه وقال: يا ربّ بحقّ عيسى! تأمر هذا الرأس بالتكلم معي! فتكلم الرأس وقال: يا راهب! أيّ شيء تريد؟ قال: من أنت؟

قال: أنا ابن محمّد المصطفى! وأنا ابن عليّ المرتضى! وأنا ابن فاطمة الزهراء! وأنا المقتول بكر بلاء! أنا المظلوم! أنا العطشان! فسكت.

فوضع الراهب وجهه على وجهه، فقال: لا أرفع وجهي عن وجهك حتى

مع الركب الحسيني (ج ٥)، ص: ٢٠٦

تقول: أنا شفيحك يوم القيامة!

فتكلم الرأس وقال: إرجع إلى دين جدّي محمّد صلى الله عليه وآله.

فقال الراهب: أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأشهد أنّ محمّداً رسول الله.

فقبل له الشفاعة، فلَمَّا أصبحوا أخذوا منه الرأس والدرهم، فلَمَّا بلغوا الوادي نظروا الدراهم قد صارت حجارة!». «١»

وقد ذكر الطريحي قصة راهب مع الرأس المقدّس أيضاً تشبه قصة راهب قنسرين، لكنّه ذكر أنّ مكان هذه القصة كان قريباً (نحو ستة أميال) من بعلبك! «٢»

تكلم الرأس المقدّس مع الحارث بن وكيدة «٣» ص : ٢٠٦

روى ابن رستم الطبرى بسنده عن سعد بن أبى خيران (طيران)، عن الحارث بن وكيدة قال: «كنت فيمن حمل رأس الحسين فسمعتة يقرأ سورة الكهف! فجعلت أشك في نفسي وأنا أسمع نعمة أبى عبدالله! فقال لى: يا ابن وكيدة! أما علمت أنا معشر الأئمة أحياء عند ربنا نرزق! فقلت في نفسي: أسرق رأسه!

معالركب الحسينى (ج ٥)، ص: ٢٠٧
فنادى: يا ابن وكيدة! ليس لك إلى ذاك سبيل، سفكهم دمي أعظم عند الله من تسييرهم رأسى، فذرهم فسوف يعلمون إذ الأغلال فى أعناقهم والسلاسل يُسحبون!». «١»

وعلى مقربة من دمشق! ص : ٢٠٧

قال السيد ابن طاووس (ره): «وسار القوم برأس الحسين عليه السلام والأسراء من رجاله، فلما قربوا من دمشق دنت أم كلثوم من شمر وكان من جملتهم. فقالت له: لى إليك حاجة! فقال: ما حاجتك؟! قالت:

إذا دخلت بنا البلد فاحملنا فى درب قليل النظارة، وتقدم إليهم أن يخرجوا هذه الرؤوس من بين المحامل، ويُخوننا عنها فقد خُزينا من كثرة النظر إلينا ونحن فى هذه الحال! فأمر فى جواب سؤالها أن يجعل الرؤوس على الرماح فى أوساط المحامل بغياً منه وكفراً!! وسلكت بهم بين النظارة على تلك الصفة حتى أتى بهم باب دمشق!». «٢»
معالركب الحسينى (ج ٥)، ص: ٢٠٨

اليوم الذى ورد فيه الركب الحسينى دمشق ص : ٢٠٨

قال المرحوم الشيخ عباس القمى: «قال الشيخ الكفعمى، «١» و«٢» وشيخنا البهائى، «٢» والمحدث الكاشانى: «٣» فى أول صفر أدخل رأس الحسين عليه السلام إلى دمشق، وهو عيد عند بنى أمية، وهو يوم تتجدد فيه الأوزان: كانت ماتم بالعراق تعدها أموية بالشام من أعيادها وحكى أيضاً عن أبى ریحان فى الآثار الباقية «٤» أنه قال: فى اليوم الأول من صفر أدخل رأس الحسين عليه السلام مدينة دمشق...». «٥»

الجزء السادس

إشارة

عنوان و نام پدیدآور: الامام الحسين عليه السلام في مكة المكرمة / تاليف نجم الدين الطبسي

مشخصات نشر: قم: سپهر انديشه ، ١٤٢٧ق=١٣٨٥.

مشخصات ظاهري: ص ٤٨٠

فروست: (مع الركب الحسيني من المدينة الى المدينة؛ الجزء الثاني)

شابك: ٩٦٤-٧٩٣٥-٥١-X

وضعت فهرست نويسي: فهرست نويسي قبلي

يادداشت: عربي

يادداشت: فهرست نويسي براساس اطلاعات فيبا

يادداشت: كتابنامه: ص. ٤٧٢ - ٤٥٥؛ همچنين به صورت زير نويس

موضوع: حسين بن علي (ع)، امام سوم، ٦١ - ٤٠ق. — سرگذشتنامه

موضوع: واقعه كربلا، ق ٦١

موضوع: مكة -- تاريخ -- قرن ١

رده بندي كنگره: ٤١/٤/٤١٤١/٤١٤١ م/٤٣ ج. ٢، ١٣٨٥

رده بندي ديويي: ٢٩٧/٩٥٣

شماره كتابشناسي ملي: م ٨٥-١١١٠٥

مع الركب الحسيني من المدينة الى المدينة (الجزء السادس)

مقدمه مركز الدراسات الإسلامية ص: ٣

التابع لممثلية الولي الفقيه في حرس الثورة الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل الحمد مفتاحاً لذكره ودليلاً على نعمه وآلائه، والصلاة والسلام على أشرف الخلائق محمد وآله الطيبين الطاهرين.

وبعد: فهذا هو الجزء السادس والأخير من موسوعتنا التاريخية (مع الركب الحسيني من المدينة إلى المدينة). ويدور هذا الجزء حول المقاطع الأخيرة من هذه الدراسة وهي:

١- الركب الحسيني في الشام.

٢- عودة الركب الطاهر إلى كربلاء.

٣- رجوع أهل البيت إلى المدينة. إذن هذا الجزء يتناول مرحلة ما بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه؛ ومن ثم فهو يعني أيضاً بمعرفة نتيجة هذه المسيرة التي سارها هذا الركب الطاهر، ومن هو المنتصر حقاً؛ لذلك أفرد المؤلف الفاضل فصلاً مستقلاً تحت عنوان «المظلوم ينتصر» بين فيه كيف أن نتيجة هذا الصراع الدامي كانت لصالح الحسين المظلوم عليه السلام، وأن نقطة انقلاب المعادلة بدأت بمجرد وصول الأسارى من آل بيت الرسول صلى الله عليه وآله إلى الشام وقصر يزيد. ومن هنا استحققت أن يطلق عليها اسم «المسيرة المظفرة».

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٤

ولما كانت الشام مركز الحكم الذى أمر بارتكاب هذه الجريمة النكراء، وبقي آل الرسول فيها مدّة شهدوا خلالها حوادث ووقائع، وألقوا هم فيها بدورهم خطباً بقيت تدوى فى آذان الدهر، وأدوا أدواراً ...

رأى المؤلف الفاضل إعطاء صورة عن الشام ووضعها قبل ورود أهل البيت، وكذلك عن حكّامها- ويزيد بالخصوص ومسؤوليته فى الموضوع- ليكون الباحث على معرفة بخلفية القضايا التى يتناولها الكتاب.

وهكذا تمّ فى هذا الجزء ربط الختام بالمطلع، كما يقال.

ونحمد الله تعالى على أن وقفنا فى المبدأ والمآل.

بيد أن النقطة التى نرى من واجبنا الإشارة إليها هى أن المؤلف الفاضل سعى لأن يكون كتابه جامعاً فى تناوله لمواضيعه فالتقط كلّ ما له علاقة بأبحاث الكتاب، ونحن لا يسعنا فى هذا المقام إلّا أن نتقدّم بالشكر الجزيل إلى سماحة المؤلف المحترم الشيخ الأمينى- حفظه الله- وكلّ الإخوة الذين آزرنا فى مراجعته وتنظيم هذا البحث القيم والأجزاء الأخرى من هذا الكتاب، ونسأل الله أن يتقبل منا جميعاً وأن يوفّقنا لما فيه رضاه، إنّه خير ناصر ومعين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

مركز الدراسات الإسلامية

التابع لممثلية الولي الفقيه فى حرس الثورة الإسلامية

مع الركب الحسينى (ج ٦)، ص: ٥

مقدمه المؤلف: المسيرة المظفّرة فى فصلها الأخير ص : ٥

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمّد وآله الطيبين الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين. إنّها مسيرة مظفّرة، تحمل رسالة خالدة، إلى أناس تعرّفوا على الدّين من طريق حكّامهم الطواغيت، آخذين بأقوالهم، ممتثلين أوامرهم، تاركين نواهيهم، معتقدين أنّهم خلفاء رسول الله صلى الله عليه وآله، زاعمين أنّ كلّ صوت يُرفع بوجههم لابدّ أن يُخمد، وكلّ من يقف أمامهم لابدّ أن يُقتل، يحسبون أنّ كلّ حركة تتحرّك نحو إيقاظ شعور الأمة فتنة، وقادتها أرباب الفتنة! والفتنة لابدّ أن تُخمد! وكلّ من يعارض السلطة الحاكمة خارجيّ، لابدّ أن يُقطع رأسه ويُدار به بالبلدان! ويُصلب فى قلب العاصمة، ويُسى أهله ويُطاف بهم البلاد، لكى يتعلّم الجميع أنّه ليس لديهم إلّا الصمت والالتزام بما يراه الخليفة المتعلّب على الحكم مهما كان، وبلغ ما بلغ! وإلى أناس تعرّفوا على إسلام أموى فى ظلّ حكم دموى! ولم يعرفوا أىّ حقّ لآل بيت نبيهم صلى الله عليه وآله، بل لم يعرفوا من هو المقتول؟ ومن أبوه وجدّه؟ فكيف يدرون لماذا قُتل؟ وما الذى دعاه لهذه النهضة الدامية؟

مع الركب الحسينى (ج ٦)، ص: ٨

أجل، إنّهم لم يكونوا يعلمون إلّا كلمة واحدة تعلّموها من وعّاظ سلاطينهم- أصحاب الزمرة المتسلّطة الجائرة الفاسدة- وهى أنّ هؤلاء القتل خرجوا على أمير المؤمنين يزيد!

لهذه المسيرة رسالتان؛ الأولى إلى شعب ضائع جاهل بالواقع، قد تربّى على نهج بنى أمية، وأخرى إلى عامّة الأمة الإسلامية الكبرى، الزاعمة أنّ الحكم لمن غلب!.

وتهدف الرسالتان لبثّ الروح فى ضمير هؤلاء الناس، وإحيائهم بعد أن ماتوا معنوياً، وإيقاظهم من رقدتهم، واستنهاضهم للوقوف بوجه كلّ حاكم جابر وصل بالغلبة إلى السلطة، فاقد لشرائط الحكم والإمامة، وذاك لعمرى هو الإصلاح فى أمة رسول الله صلى الله عليه وآله، كما صرّح به سيّد الشهداء وقائد الأحرار الإمام الحسين بن علىّ عليهما السلام فى مقولته الشهيرة: «وإنّما طلبت الإصلاح فى أمة جدّى صلى الله عليه وآله» (١)

وهذا المهّم تبنته هذه المسيرة، وعلى رأسها ابن قائد النهضة: الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام وأخته العقيلة زينب الكبرى بنت الإمام أمير المؤمنين عليهما السلام، وقد نهضا بها على أحسن وجه وفوق ما يتصور، حتى انقلبت المعادلة والركب ما زال في قلب العاصمة، ولم يكن ليزيد اللعين بدّ إلا البكاء تصنعاً، والتظاهر بلعن ابن مرجانة والبراءة منه، وإبراز تأسفه على ما جرى! وإعادة بقيته عتره الرسول صلى الله عليه وآله إلى المدينة المنورة، إبقاءً على حكمه وخوفاً على زوال سلطته، وهذا ما سنتوفّر عليه خلال قراءتنا لهذه القطعة من تاريخ النهضة الحسينية المباركة، إن شاء الله. والسلام

محمد أمين الأميني (بور آميني)

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٩

المدخل: الشام وحكامها الأمويون ص : ٩

إشارة

التعرّف على الشام من الجهات الجغرافية والطبيعية والاجتماعية والتاريخية، ومعرفة حكامها في تلك الفترة- أي بني أمية- وطبيعتها حكمهم وجذور علاقتهم بالشام ولاسيما حكامها آنذاك يزيد بن معاوية ... يعطينا آفاقاً جديدة ورؤى واضحة لمعرفة جذور ما يواجهنا حينما نقرأ هذا المقطع من التاريخ، إذأ من الأجدر أن نتوقف عند هذه المحطة قبل متابعة مسيرة الركب الطاهر.

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ١١

المدخل

الشام وحكامها الأمويون

التعريف بالشام ص : ١١

إشارة

الشام اسم يتناول عامّة الأقاليم الداخلة اليوم في سورية ولبنان وفلسطين. وللغويين والجغرافيين في سبب تسميته شاماً آراء مختلفة، فقليل: سمى بسام بن نوح لأنه نزل به واسمه بالسريانية شام بشين معجمة. وقيل: لأن أرضه مختلفة الألوان بالحمرة والسواد والبياض فسّمى شاماً لذلك كما يسمّى الخال في بدن الإنسان شامة، وقيل: سمى شاماً لأنه عن شمال الكعبة، والشام لغة في الشمال «١».

وهو قطرٌ تأخذ فيه الفصول الأربعة حكمها وتتم في قيعانه وجباله أسباب النعيم. معتدل الأهوية، متهاطل الأمطار والثلوج، ممرع التربة، فيه الغابات والمعادن والحمامات المعدنية والأنهار الجارية والبحيرات النافعة والأجواء البهيجة والرباع المنبسطة والمناظر المدهشة. فيه تنبت الحبوب والبقول والأشجار على اختلاف أنواعها. «٢»

من خواص الشام ص : ١١

قيل: إن من خواصها الطاءات الثلاث: الطعن والطاعة والطاعون، أمّا الطعن فمشهور أنّ أجنادها شجعان، وأمّا الطاعة فما يضرب به المثل حتى قيل إنّما تمشى الأمر لمعاوية لأنه كان في أطوع جند، وكان عليّ عليه السلام في أعصى جند وهم أهل العراق، وأمّا

الطاعون فكثير الحدوث فيها.. (٣).

معالركب الحسيني (ج ٦)، ص: ١٢

ومن الخصائص التي امتازت بها الشام- وما تزال- تعايش أصحاب الديانات والقوميات المختلفة- كالروم والرومان، والفرس والعرب..- فيه. (١)

الشام مدخل الفاتحين ص : ١٢

جاء الفاتحون الشام بحراً وبرزاً، ... بل من جهاتها الأربع، فجاءها الفراعنة من البحر والبر، والبابليون والفرس من الشرق والشمال، والإسكندر والصلبيون والعثمانيون من الشمال، وغازان وهولاكو وتيمورلنك من الشرق، والعرب الفاتحون من الشرق والجنوب، ونبليون من الجنوب ومن الغرب بحراً و... (٢).

وخضعت دمشق للأشوريين إلى سنة ٧٢١ حين استولى البابليون والفرس عليها، ثم جاهر أهلها مع سائر السورين بالعصيان على بختنصر.. وفي سنة ٣٣١ ق. م استولى إسكندر ذو القرنين عليها، ثم صارت من مملكة السلوقيين اليونانية إلى زمن استيلاء الرومان عليها سنة ٦٤ ق. م. وفي سنة ٥٩ ق. م قتل فيها كثير من الإسرائيليين، وفي سنة ٢٠ ق. م عاد الإسرائيليون إليها، وفي سنة ٣٧ للميلاد أتاها بولس وكان مستولياً عليها وقتئذٍ موقتاً الحارث الغساني العربي حمو هيرودرس الكبير.. ولما تنصرت الدولة الرومانية ذاعت النصرانية في دمشق وأمر يثودوسيوس بإبطال عبادة الأصنام.. وفي برهة وجيزة تنصرت أهلها جميعاً خلا الإسرائيليين منهم، وسنة ٥٤٠ للميلاد فتحها الفرس.. وعادت بعد برهة قصيرة إلى المملكة الرومانية وكان عمالهم فيها بنو غسان، وسنة ٦٣٣ ميلادية فتحها المسلمون.. واستعمل عليها عمر معاوية بن أبي سفيان، وكانت مدة إمارته عليها

معالركب الحسيني (ج ٦)، ص: ١٣

عشرين سنة، وسنة (٤١) بايعه الناس! بالخلافة، فهو مؤسس الدولة الأموية التي جعلت دمشق قاعدة الممالك الإسلامية، وظلت كذلك إلى سنة ١٣٢ هجرية.. (١).

فتح الشام ص : ١٣

كانت الشام من أول الأقطار التي فكر الرسول صلى الله عليه وآله في أمرها لنشر كلمة التوحيد وبث الدعوة إلى الإسلام، وكانت تحت حكم الرومان منذ سبعة قرون، وملكها صاحب مملكة بيزنطية أو مملكة الروم الشرقية ويُعرف باسم هرقل، وكانت علائق عرب الحجاز في الجاهلية كثيرة جداً مع أهل هذا القطر.

بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله أن بدومة الجندل جمعاً كثيراً يريدون أن يدنوا من المدينة وهي طرف من أفواه الشام، بينها وبين دمشق خمس ليالٍ، وبينها وبين المدينة خمس عشرة أو ست عشرة ليلة، فندب رسول الله صلى الله عليه وآله الناس واستخلف على المدينة وخرج في ألف من المسلمين فكان يسير الليل ويكمن النهار.. إلى أن صالحهم النبي صلى الله عليه وآله على الجزية وذلك في السنة السادسة من الهجرة، ثم أرسل صلى الله عليه وآله إلى هرقل - وهو بالشام - والحارث بن أبي شمر - أمير دمشق - يدعوهما إلى الإسلام، وفي السنة الثامنة للهجرة بعث رسول الله صلى الله عليه وآله سريته كعب بن عمير الغفاري إلى ذات أطلاق من ناحية الشام وهي وراء وادي القرى بين تبوك وأذرعاء.. وفي هذه السنة استنفر الرسول الناس إلى الشام فكانت غزوة ذات السلاسل.. ومن سرايا التي أرسلت إلى الشام سريته زيد بن حارثة إلى جذام بحسمى وراء وادي القرى مما يلي فلسطين من أرض الشام.. وفيه

غزوة مؤتة التي بعث النبي صلى الله عليه وآله جيشاً مؤلفاً من ثلاثة آلاف مقاتل بلغوا تخوم البلقاء فلقيتهم جموع هرقل ومعهم العرب المنتصرة بقرية من قرى البلقاء يقال لها مشارف، فانحاز المسلمون إلى قرية يقال لها مؤتة، فلقيتهم الروم في جمع عظيم، فاستشهد من الأمراء زيد بن حارثة ثم جعفر بن أبي طالب، ثم عبدالله بن رواحة..

معالركب الحسيني (ج ٦)، ص: ١٤

وفي السنة التاسعة من الهجرة حصلت غزوة تبوك، وكان مع الرسول صلى الله عليه وآله ثلاثون ألفاً والخييل عشرة آلاف والجمال اثنا عشر ألفاً.. إلى أن صالح الرسول صلى الله عليه وآله نجيبة بن ربيعة أسقف أيلة على البحر الأحمر، صالحه على الجزية، وصالح الرسول أهل جربا، وأذرح من أرض الشراة، صالح أهل أذرح على مائة دينار، وأهل مقنا- على مقربة من أيلة- على ثلاثمائة دينار وعلى ربع عروكهم وغزولهم وربيع كراعهم.

وفي أواخر أيام حياة رسول الله صلى الله عليه وآله جهز جيشاً إلى الشام وأمر عليه أسامة بن زيد، وقال: لعن الله من تخلف عن جيش أسامة.. (١).

هذا خلاصة ما جرى في عهد الرسول صلى الله عليه وآله بالنسبة إلى اهتمامه الوافر بهذا القطر، ولا يخفى أن داعي المسألة لم يكن إلا إنقاذ البشرية ووضعهم على جادة الحقيقة، وإيصالهم إلى رحمة الحق، وما كان هدف الرسول صلى الله عليه وآله توسيع رقعة حكمه جغرافياً، بل كان ذلك أمراً عرضياً تابعا لبط كلفة التوحيد والتفاف الناس حول راية الإسلام، وإنما هدفه هو هداية الناس إلى الله تبارك وتعالى.

بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله تغيرت الموازين تدريجياً وانقلبت الدواعي والحوافز شيئاً فشيئاً، وغرت الدنيا كثيراً من الناس، وأصبحت الغنيمه والحصول على المناصب الدنيوية وبسط السلطة والنفوذ من أهم الدواعي لفتوح البلدان، وهذه نقطة مهمه لا بد أن نلتفت إليها ونميز بها غزوات الرسول صلى الله عليه وآله عما جرى بعده، خاصة في ظل حكم بني أمية وبني العباس.

يقول صاحب خطط الشام: وبعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله- بعد قتال أبي بكر أهل الردة- كتب أبو بكر إلى أهل مكة والطائف واليمن وجميع العرب بنجد والحجاز يستنفرهم للجهاد في الشام، ويرغبهم فيه وفي غنائم الروم، فسارع الناس إليه بين

معالركب الحسيني (ج ٦)، ص: ١٥

محتسب وطامع، فعقد ثلاثة ألوية لثلاثة رجال وهم يزيد بن أبي سفيان وشرجيل بن حسنة وعمرو بن العاص.. وقد شيع أبو بكر يزيد بن أبي سفيان راجلاً إلى ما بعد ربحض المدينة وأوصاه بوصايا.. إلى أن وصل الجيش إلى مشارف الشام فنزل في أبل وزيزاء والقسطل، وكان جيش الروم من دون زيزاء بثلاث، وطلع ماهان قائد الروم وقدم قدامه الشماسه والرهبان والقسيسين يحضون جيش الروم على القتال، وكان هرقل وهو من عظام القواد أدرك الخطر ورأى لئما أتاه الخبر بقرب جيش المسلمين أن لا يقاتلهم ويصالحهم، وقال لقومه: فولله لأن تعطوهم نصف ما أخرجت الشام وتأخذوا نصفاً وتقر بكم جبال الروم خير لكم من أن يغلبوكم على الشام ويشاركوكم في جبال الروم، فلتما رأهم يعصونه ويردون عليه بعث أخاه تيودورا وأمر الأمراء، وأول وقعة كانت بين المسلمين والروم بقرية من قرى غزة يقال لها دائن في ١٢ هـ، كانت بينهم وبين بطريق غزة، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فهزم الروم، وتوجه يزيد بن أبي سفيان في طلب ذلك البطريق.. وانتهى إليه سته من قواد الروم.. وهزم الروم هزمهم المسلمون.. أما أبو عبيدة فصالحهم، وخالد بن الوليد حاربهم.. حتى أن فتح المسلمون جميع أرض حوران وغلبوا عليها سنة ١٣ هـ، وأهم الوقائع التي انهزم فيها الروم شر هزيمة ولحق فلهم بالشمال وقعة يرموك- واليرموك نهر- فهي الوقعة الفاصلة التي هان (للمسلمين) بها الاستيلاء على القدس ودمشق وما إليها، ثم على حمص وحماة وحلب وما إليها من البلدان.. في حين ما كان خالد يريد الفتح والغلبة جاءه البريد يعرّفه بموت أبي بكر وخلافه عمر وتأمير أبي عبيدة على الشام كله وعزل خالد، فأخذ الكتاب منه وتركه في كنانته ووكل به من يمنعه أن يخبر الناس من الأمر لئلا يضعفوا! وتوفى أبو بكر قبل فتح اليرموك بعشر ليالٍ، وبعد أن أصيب الروم بالهزيمة القاطعة على اليرموك، كانت وقعة فحل

من الأردن بعد خلافة عمر بن

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ١٦

الخطاب بخمسة عشر شهراً، ولما انتصر المسلمون على اليرموك كان هرقل في البيت المقدس جاءها للاحتفال بتخليص الصليب الذي استرده قبل ذلك فصار إلى أنطاكية، واستنفر الروم وأهل الجزيرة وبعث عليهم رجالاً من خاصيته وثقاته، فلقوا المسلمين بفحل، فقاتلوهم أشد قتال حتى ظهروا (أى ظهر المسلمون) عليهم، وقتل بطريقهم وزهاء عشرة آلاف معه، وتفزق الباقون من مدن الشام، ولحق بعضهم بهرقل.. ثم نهض المسلمون إلى الروم وهم بفحل فاقتتلوا فهزمت الروم ودخل المسلمون فحل في ذى القعدة سنة ١٣ هـ.. وافتتح شرحبيل بن حسنة الأردن عنوة ما خلا- طبرية فإن أهلها صالحوه.. وفتح عمرو بن العاص غزة ثم سبسطية ونابلس وبينى وعمودس و...، وظلت القدس وقيسارية محاصرتين ولم تفتح القدس إلا سنة خمس عشرة أى بعد فتح دمشق بسنة.. «١».

فتح دمشق ص : ١٦

فتحتها المسلمون في رجب سنة ١٤ للهجرة بعد حصار ومنازلة، وكان قد نزل على كل باب من أبوابها أمير من المسلمين، فصدّهم خالد بن الوليد من الباب الشرقي حتى افتتحها عنوة، فأسرع أهل البلد إلى أبي عبيدة بن الجراح ويزيد بن أبي سفيان وشرحبيل بن حسنة، وكان كل منهم على ريع الجيش فسألوهم الأمان فأمنوهم، وفتحوا لهم الباب، فدخل هؤلاء من ثلاثة أبواب بالأمان، ودخل خالد من الباب الشرقي بالقهر وملكوهم.. «٢».

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ١٧

بنو أمية والشام ص : ١٧

جدور العلاقة ص : ١٧

أمية هو عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب..، وعبد شمس والد أمية هو أخو هاشم الجد الثاني للنبي صلى الله عليه وآله، قيل: وُلد هاشم وعبد شمس توأمين وإن أحدهما قبل الآخر وله إصبع ملتصقة بجبهته صاحبه، فتنجبت فسال الدم، فليل يكون بينهما دم.. وأول منافرة كانت بين أمية وعمه هاشم أن هاشماً لما ولي بعد أبيه عبد مناف ما كان له من السقاية والرفادة حسده أمية على رئاسته وإطعامه، فتكلف أن يصنع صنيع هاشم، فعجز فشتمت به ناس من قريش، فغضب ونال من هاشم، ودعاه إلى المنافرة، فكره هاشم ذلك لسنة وقدره، فلم تدعه قريش حتى نافرته على خمسمائة ناقه والجلاء عن مكة عشر سنين، فرضى أمية، وجعل بينهما الكاهن الخزاعي ومنزله بعسفان، ففضى لهاشم بالغلبة. وأخذ هاشم الإبل فحرها وأطعمها الناس، وغاب أمية عن مكة بالشام عشر سنين، فكانت هذه أول عداوة بينهما «١».

لو صح هذا النقل فهذا يعنى أن هذه المسألة كانت انطلاقةً لأمرين:

الأمر الأول: كانت بداية العداوة بين بنى أمية وبنى هاشم، بداعى الحسد، وبعد ظهور الإسلام تغيرت الدواعى وكثرت، وحصلت آفاق جديدة في البين، وهذا ما سنبيته في الأبحاث الآتية.

الأمر الثاني: بداية علاقة بنى أمية بالشام، فإن الشام بموقعه الخاص وطبيعته الجميلة وأنهاره الكثيرة وتنوع سكانه أصبح موقعاً مهماً للتجارة، ولذلك نرى قريشاً- ومنهم أبو سفيان الأموي- أنشأوا الروابط الاقتصادية والتجارية مع الشام.

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ١٨

ومن الغريب جداً أن نرى بنى أمية- الطلقاء- يقومون بدور مهم في فتح الشام يأخذون بزمام أمرها قبل الفتح ولم يتركوه حتى غلبوا على أمرهم.

فأبو سفيان بنفسه يحضر المعركة «في مشيخه من قريش يحارب تحت رايه ابنه يزيد، وكان له ولابنيه يزيد ومعاوية، بل ولجماعه من أسرته بل للنساء منهن اليد الطولى والكعب المعلى في فتح الشام!.. ولقد قاتل بعض النساء بالفعل يوم اليرموك، مثل جويرية ابنة أبي سفيان وكانت مع زوجها. وكذلك هند بنت عتبة أم معاوية بن أبي سفيان» (١).

هذا الكلام وإن لم يخل من المبالغة؛ بسبب حب المؤلف لمعاوية وانحرافه عن الحق - كما نلمسه في مطاوى كتابه - بيد أن دوافع المسألة معلومة إجمالاً، وتتمثل في حب بنى أمية لهذه المنطقة وتعلقهم بها، ولا يبعد أن تكون ثمة خطة مدروسة بدأوا بتنفيذها شيئاً فشيئاً.

إذن حضر المعركة أبو سفيان وابناه وزوجته وبعض بناته واسرته، وأصبح يزيد بن أبي سفيان حاكماً على دمشق بوعد من الخليفة الذي شيّعه راجلاً إلى خارج المدينة، كما مرّ ذكره عن «الخطط»، وبقي الشام ليزيد بن أبي سفيان، لكنه لم يطل أمد ولايته، لأنه هلك في طاعون عمواس (٢)، وبعده يأتي دور أخيه معاوية بن أبي سفيان.

معاوية مؤسس الحكومة الأموية السوداء ص : ١٨

لما هلك يزيد بن أبي سفيان والى دمشق سنة ١٨ من الهجرة، ولّى عمر بن الخطّاب أخاه معاوية بن أبي سفيان، فلم يزل والياً لعمر حتى قُتل عمر، ثم ولّاه

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ١٩

عثمان وأقرّ عمال عمر على الشام، فلما مات عبد الرحمن بن علقمة الكنانى - وكان على فلسطين - ضمّ عمله إلى معاوية، وكان عمير بن سعيد الأنصارى فى سنة ٢١ على دمشق والثنية وحوران وحمص وقنسرين والجزيرة، ومعاوية على الأردن وفلسطين والسواحل وأنطاكية ومعزة ومصرين وقليقية، ثم جعل عمير فى سنة ٢٣ على حمص ومعاوية على دمشق.

اجتمع الشام على معاوية لسنتين من إمارة عثمان، أضاف عثمان إليه حمص وحماء وقنسرين والعواصم وفلسطين مع دمشق، ورزقه ألف دينار كل شهر (١).

وهكذا ترسّخ الحكم الأموى فى الشام فى ظلّ قيادة وتوجّهات جاءت خطواتها تنفيذاً لما قاله أبو سفيان بعد استقرار خلافة عثمان: «يا بنى أمية، تلقّفوها تلقّف الكرة، فولذى يحلف به أبو سفيان ما زلت أرجوها لكم، ولتصيرنّ إلى صبيانكم وراثه» (٢).

يقول صاحب الخطط: «وما زال عثمان على شيخوخته مغلوباً لمروان وبنى أمية، أخذ الناس ينقمون فى الحجاز وغيره على عثمان لست سنين من خلافته، فاجتمع ناس من أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله وكتبوا كتاباً ذكروا فيه عدّة أمور منها ما كان من هبته خمس أفريقية لمروان، وما كان من تطاوله فى البنيان حتى عدّوا سبع دور بناها بالمدينة داراً لثالثة وداراً لعائشة وغيرهما من أهله وبناته، وبنيان مروان القصور بذى خشب وعمارة الأموال بها من الخمس الواجب لله ولرسوله، وما كان من إفشائه العمل والولايات فى أهله وبنى عمه من بنى أمية أحداث وغلّمة لا صحبة لهم من الرسول ولا تجرّبه لهم بالأمر» (٣)، إلى أن حصلت فتنة قتل عثمان.

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٢٠

يقول محمّد فريد وحدى: «لما قُتل الخليفة الثالث عثمان بن عفّان وتولّى الخلافة عليّ بن أبي طالب وهو من قريش، حدث شقاق بين الأُسرتين الأموية والقريشية، وتداعى الناس إلى العصبية الجاهلية، وكان فى مقدّمة النافخين فى نار هذه الفتنة معاوية بن أبي سفيان

الأموي والى الشام، فقام يطالب بدم عثمان متّهماً عليّ بن أبي طالب بالإغراء على قتله، ولما كانت ولايته للشام منذ عشرين سنة وأهل الشام لا يدرون من أمر الخلافة إلّما كان يريد لهم، التفت حوله جموع منهم أكثرهم من شدّاذ القبائل العربية وأصحاب المطامع الذاتية، فشق عصا الطاعة لعليّ وادّعى لنفسه الخلافة..» (١).

لقد استفاد معاوية من جهل الناس أقصى ما يمكن مستنداً إلى مكره وشيطنته، ولقد كان أهل الشام قريبي العهد بالإسلام، ما عرفوه إلّامن خلال حكم الخلفاء وإمارة أمرائهم، وما وجدوه إلّامجسداً في شخص معاوية المتستّر بالدين، فهو يؤمّمهم بالصلاة وهم يقتدون به، يخطبهم في الجمع، ويتأسهم باسم الخلافة الإسلامية، ويدير شؤونهم في الحرب والسلام.

وانتهز معاوية الفرصة في فتنه قتل عثمان. ومع أنّه كان منصوباً من قبله على الشام وأميراً من أمرائه لم يلبّ دعوته لنصرته حين كتب عثمان إليه: إنّ أهل المدينة قد كفروا! وخلعوا الطاعة ونكثوا البيعة، فابعث إليّ من قبلك من مقاتله أهل الشام على كلّ صعب وذلول. ولقد أخطأ صاحب الخطط إذ زعم أنّ معاوية تربّص به وكره إظهار مخالفة أصحاب رسول الله وقد علم اجتماعهم، فأبطأ أمره على عثمان حتّى قُتل (٢).

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٢١

وإنّما أراد معاوية أن يبدّل الإمارة بالخلافة.

وبعد قتل عثمان تسترّ بقميصه وبه رسخ أركان حكمه وحكومة أسرته، وبثّ الفتنة في أوساط المجتمع الإسلامي، وحمل راية الشقاق والخلاف ضدّ خليفة المسلمين الشرعي أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

قال في الخطط: «اغتنم معاوية هذه الفرصة السانحة في مقتل عثمان ليعيد الأمر إلى بني أمية ويصبحوا أمراء في الإسلام!.. وكان النعمان بن بشير أتاه إلى دمشق بقميص عثمان الذي قُتل فيه مخضّباً بدمه، وبأصابع نائلة زوجته، فوضع القميص على منبر دمشق، وكتب بالخبر إلى الأجداد، وثاب إليه الناس، وبكوا سنة وهو على المنبر والأصابع معلقة في أردانه، وتعاهد الرجال من أهل الشام على قتل قتله عثمان ومن عرض دونهم بشيء أو تفنى أرواحهم، وكان ستون ألف شيخ يكون تحت قميص عثمان.. وكان عمرو بن العاص لما نشب الناس في أمر عثمان في ضيعة له بالسبع من حيز فلسطين قد اعتزل الفتنة! فاستدعاه معاوية يسترشد برأيه ووعدته بملك مصر إن هو ظفر بعليّ، فارتأى عمرو أن يجلب معاوية شرحبيل بن السمط الكنديّ رأس أهل الشام، فسار هذا يستقرى مدنها مدينةً مدينةً يحرض الناس على الأخذ بدم عثمان، فأجابه الناس كلّهم إلّانفراً من أهل حمص نساكاً، فإنّهم قالوا نلزم بيوتنا ومساجدنا وأنتم أعلم منا..» (١).

ومن هنا انطلقت شرارة حرب صفين، ولا مجال لذكر تفاصيلها الآن.

إسلام أمويّ وحكم دمويّ ص: ٢١

هنا إسلام أمويّ ينطق بمنطق القهر والقوّة، برهانه السلاح، ودليله قمع كلّ من يقوم بالكفاح، ينفذه أرباب السلطنة والسيف، ويزينه البائعون دينهم بديناهم، المشترون سخط الخالق برضى المخلوق.

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٢٢

تري مظاهر الإسلام من الصلاة والصوم والحجّ و..، لكنّها قشر بلا لبّ، وجسد بلا روح؛ فالطليق ابن الطليق يدعى الخلافة الإسلامية ولا يعرف الناس حقّ عليّ عليه السلام حتى تشبه المسألة على العائمة ويتأوّه أمير المؤمنين عليه السلام بهذه الكلمات:

«فيا عجباً للدهر! إذ صرّت يُقرن بي من لم يسعّ بقدمي، ولم تكن له كسابقتي التي لا يدلى أحدٌ بمثلها..» (١).

وللمال دوره الهامّ في تثبيت ما يريده الحكّام، فلقد بثّوه ووزّعوه على أوساط الضعفاء والمحيين لحلاوة الدُّنيا الناسين مرارة حساب

العقبى، فأصبحوا ساكتين صامتين كأن لم يحصل شيء ولم يحدث أي أمر!

«خطب معاوية يوماً بمسجد دمشق، وفي الجامع يومئذ من الوفود علماء قریش وخطباء ربيعة ومدارهاها، وصناديد اليمن وملوكها، فقال معاوية: إن الله تعالى أكرم خلفاءه فأوجب لهم الجنة، فأنتداهم من النار، ثم جعلني منهم! وجعل أنصاري أهل الشام الذائنين عن حرم الله! المؤيدين بظفر الله! المنصورين على أعداء الله!! ... وفي الجامع من أهل العراق الأحنف بن قيس وصعصعة بن صوحان، فقال الأحنف لصعصعة: "أتكفيني أم أقوم أنا إليه؟" فقال صعصعة: "بل أكفيك أنا،" ثم قام صعصعة فقال: يا بن أبي سفيان، تكلمت فأبلغت ولم تقصر دون ما أردت، وكيف يكون ما تقول وقد غلبتنا قسراً وملكتنا تجبراً وديننا بغير الحق، واستوليت بأسباب الفضل علينا؟!»

فأما إطرأوك أهل الشام فما رأيت أطوع لمخلوق وأعصى لخالق منهم، قوم ابتعت منهم دينهم وأبدانهم بالمال، فإن أعطيتهم حاموا عنك ونصروك، وإن

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٢٣

منعتهم قعدوا عنك ورفضوك..» (١).

وأكثرنا وضع الأحاديث في فضل الشام حتى كأن ليس لله تعالى بشيء من الأرض حاجة إلّا بها- كما قال محمد الصغاني (٢)- ونشروا لزوم أتباع كل أمير وحرمة الخروج عليه ودعوا إلى الصلاة خلف كل إمام، بئراً كان أو فاجراً، وبثوا فضل الغزو في البحر، وتركوا الواقع الثابت، وصار حبّ عليّ وآله أكبر جرم لا يُغتفر، وسبّه على المنابر يجهر. (٣)

نعم إن معاوية تمكّن من بسط حكمه الجائر، بفضل المال الوافر وحده سيفه الشاهر وقتله الأفاضل من الصحابة والتابعين الأكابر، مثل عمرو بن الحمق وحجر بن عدى وأصحابه، كما احتجّ به الإمام الحسين عليه السلام في ضمن رسالته التي أرسلها إلى معاوية:

«ألست قاتل حجر بن عدى أخي كنده وأصحابه الصالحين العابدين، كانوا ينكرون الظلم ويستعظمون المنكر والبدع، ويؤثرون حكم الكتاب، ولا يخافون في الله لومة لائم، فقتلتهم ظلماً وعدواناً من بعدما كنت أعطيتهم الأيمان المغلظة والمواثيق المؤكدة، لا تأخذهم بحدّث كان بينك وبينهم، ولا يا حنة تجدها في صدرك عليهم؟ أولست قاتل عمرو بن الحمق صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله، العبد الصالح الذي أبلته العبادة فصقرت لونه ونحلت جسمه بعد أن أمنت وأعطيته من عهود الله عزّ وجلّ

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٢٤

وميثاقه ما لو أعطيته العصم ففهمته لنزلت إليك من شغف الجبال، ثم قتلته جرأة على الله عزّ وجلّ، واستخفافاً بذلك العهد؟.. أولست صاحب الحضرميين الذين كتب إليك فيهم ابن سمية أنهم على دين عليّ ورأيه، فكتبت إليه: اقتل كل من كان على دين عليّ ورأيه، فقتلهم ومثّل بهم بأمرك، ودين عليّ والله وابن عليّ الذي كان يضرب عليه أباك..» (١).

فبمنطق القوة أخذ معاوية البيعة لولده يزيد، كما اعترف بذلك الجميع ومنهم صاحب خطط الشام بقوله: «أوعز معاوية سراً إلى ولاة الأمصار أن يوفدوا الوفود إليه يزيّنون له إعطاء العهد لابنه يزيد، حتى استوثق له أكثر الناس وبايعوه والسيوف مسلولة فيما قيل على رقاب الصحابة في مسجد الرسول، وبذلك أخرج معاوية الخلافة عن أصولها، وجعلها كالملك يورثها الأب ابنه أو من يراه أهلاً لها من خاصته، أو كسروية أو قيصريّة على سنّة كسرى وقيصر كما قالوا» (٢).

ذكر علماء السير عن الحسن البصريّ أنّه قال: «قد كانت في معاوية هنات لو لقي أهل الأرض ببعضها لكفاهم: وثوبه على هذا الأمر واقتطاعه من غير مشورة من المسلمين، وأدعاؤه زياداً، وقتله حجر بن عدى وأصحابه، وبتوليته مثل يزيد على الناس» (٣).

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٢٥

إشارة

هو يزيد بن معاوية بن أبى سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، وأمّه ميسون بنت بجدل بن دلجة بن قنافة أحد بنى حارثة بن جناب.

ولد سنة ٢٥ هـ وكان آدم جعداً مهضوماً أحور العين، بوجهه آثار جدرى، حسن اللحية خفيفها «١».

لهوه ص : ٢٥

قال البلاذرى: «المدائنى والهيثم وغيرهما قالوا: كان ليزيد بن معاوية قرد يجعله بين يديه ويكفيه أبا قيس، ويقول: هذا شيخ من بنى إسرائيل أصاب خطيئة فمسخ، وكان يسقيه النبيذ ويضحك ممّا يصنع! وكان يحمله على أتان وحشيّة ويرسلها مع الخيل فيسبقها، فحمله عليها يوماً وجعل يقول:

تمسك أبا قيس بفضل عنانها فليس عليها إن هلكت ضمان

فقد سبقت خيل الجماعة كلّها وخيل أمير المؤمنين أتان

قال المسعودى: وكان على أبى قيس قباء من الحرير الأحمر والأصفر مشمر، وعلى رأسه قلنسوة من الحرير ذات ألوان بشقائق، وعلى الأتان سرج من الحرير الأحمر منقوش ملمع بأنواع الألوان.

قالوا: وكان يزيد همّ بالحجّ ثمّ إتيان اليمن، فقال رجل من تنوخ:

يزيد صديق القرد ملّ جوارنا فحنّ إلى أرض القروود يزيد

فتبّأ لمن أمسى علينا خليفه صحابته الأدنون منه قروود» «٢»

وروى الباعونى نحوه عن الفوطى فى تاريخه، وفيه: أن يزيد كان يسقى قرده

مع الركب الحسينى (ج ٦)، ص: ٢٦

فضل كأسه، وفيه أيضاً: وجاء يوماً سابقاً فطرحت الریح فمات، فحزن عليه حزناً شديداً، وأمر بتكفينه ودفنه وأمر أهل الشام أن يعزّوه فيه! وأنشأ يقول:

كم قوم كرام ذو محافظة إلّا أتاناً يعزّى فى أبى قيس

شيخ العشيّة أمضاها وأجملها إلى المساعى على الترقوس والريس

لا يبعد الله قبراً أنت ساكنه فيه جمال وفيه لحيه التيس «١»

فسقه ص : ٢٦

قال ابن الصبان: «وأما فسقه فقد أجمعوا عليه» «٢».

روى السيد ابن طاوس عن الإمام زين العابدين عليه السلام أنه قال: «لما أتوا برأس الحسين عليه السلام إلى يزيد لعنه الله كان يتخذ

مجالس الشرب ويأتى برأس الحسين عليه السلام ويضعه بين يديه ويشرب عليه» «٣»

وفى التنبية والإشراف: «كان (يزيد) يبادر بلدته ويجاهر بمعصيته ويستحسن خطاه ويهون الأمور على نفسه فى دينه إذا صحّت له

دنياه» «٤».

وعن المدائنى: كان يزيد ينادم على الشراب سرجون مولى معاوية، وليزيد شعر منه قوله:

ولها بالماطرون إذا أكل النمل الذى جمعا

منزل حتى إذا ارتبعت سكنت من جلق بيعا

فى جنان ثم مؤنقه حولها الزيتون قد ينعا «٥»

مع الركب الحسينى (ج ٦)، ص: ٢٧

وقال المسعودى: «وليزيد وغيره أخبار عجيبة ومثالب كثيرة من شرب الخمر وقتل ابن بنت الرسول، ولعن الوصى، وهدم البيت وإحراقه، وسفك الدماء والفسق والفجور...» «١».

وقال الكيا الهراسى فى شأنه: «لو مددت بياض لمددت العنان فى مخازى هذا الرجل... كيف لا وهو اللأعب بالنرد والمتصيد بالفهود ومدمن الخمر..» «٢». وقال الذهبى: «كان ناصبياً فظاً، يتناول المسكر ويفعل المنكر..» «٣».

وقال أبو على مسكويه الرازى: «وظهر فى المدينة أن يزيد بن معاوية يشرب الخمر حتى يترك الصلاة، وصح عندهم ذلك، وصح غيره مما يشبهه، فجعلوا يجتمعون لذلك حتى خلعوه وبايعوا عبدالله بن حنظلة الغسيل» «٤».

وعن ابن حجر: «أن يزيد قد بلغ من قبائح الفسق والانحلال عن التقوى مبلغاً لا يستكثر عليه صدور تلك القبائح منه» «٥».

قال المسعودى: «ولما شمل الناس جور يزيد وعماله وعمهم ظلمه وما ظهر من فسقه من قتله ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنصاره وما أظهر من شرب الخمر وسيره سيرة فرعون بل كان فرعون أعدل منه فى رعيته وأنصف منه لخاصته وعامته، أخرج أهل المدينة عامله عليهم وهو عثمان بن محمد بن أبى سفيان ومروان بن الحكم وسائر بنى أمية» «٦».

مع الركب الحسينى (ج ٦)، ص: ٢٨

وقال المنذر بن الزبير لما قدم المدينة: «إن يزيد قد أجازنى بمائة ألف، ولا ينعنى ما صنع بى أن أخبركم خبره، والله إنه ليشرب الخمر، والله إنه ليسكر حتى يدع الصلاة» «١».

قال ابن حجر: «وعلى القول بأنه مسلم فهو فاسق شرير سكير جائر، كما أخبر به النبى صلى الله عليه وآله وسلم» «٢».

وذكر البلاذرى فى أنساب الأشراف: «وذكر لى شيخ من أهل الشام أن سبب وفاة يزيد أنه حمل قرده على الأتان وهو سكران، ثم ركض خلفها فاندقت عنقه أو انقطع فى جوفه شىء» «٣».

كتب الأستاذ عباس محمود العقاد: «الروايات لم تجمع على شىء كإجماعها على إدمانه الخمر، وشغفه باللذات، وتوانيه عن العظام.. وقد مات بذات الجنب وهو لما يتجاوز السابعة والثلاثين، ولعلها إصا به الكبد من إدمان الشراب والإفراط فى اللذات، ولا يعقل أن يكون هذا كله اختلافاً واختراعاً من الأعداء، لأن الناس لم يختلفوا مثل ذلك على أبه أو على عمرو بن العاص، وهما بغيضان أشدّ البغض إلى أعداء الأمويين.. ولأن الذين حاولوا ستره من خدام دولته لم يحاولوا الثناء على مناقب فيه تحلّ عندهم محلّ مساوئه وغيوبه، كأنّ الاجترار على مثل هذا الثناء من وراء الحسبان، ولم يكن هذا التخلف فى يزيد من هزال فى البنية أو سقم اعتراه كذلك السقم الذى يعترى أحياناً بقايا السلالات التى تهتم بالانقراض

مع الركب الحسينى (ج ٦)، ص: ٢٩

والدثور، ولكنه كان هزلاً فى الأخلاق وسقماً فى الطوية.. فقد به عن العظام مع وثوق بنيانه وضخامة جثمانه واتصافه ببعض الصفات الجسدية التى تزيد فى وجهه الأمراء كالوسامة وارتفاع القامة، وقد أصيب فى صباه بمرض خطير- وهو الجدرى- بقيت آثاره فى وجهه إلى آخر عمره، ولكنه مرض كان يشيع فى البادية، ولم يكن من دأبه أن يقعد بكل من أصيب به عن الطموح والكفاح» «١».

«الارتداد هو الكفر بعد الإسلام، ويتحقق بالبينه، وبالإقرار على النفس بالخروج من الإسلام، أو ببعض أنواع الكفر- وبكل فعل دالّ صريحاً على الاستهزاء بالدين والاستهانة به ورفع اليد عنه- وبالقول الدالّ صريحاً على جحد ما علم ثبوته من الدين ضرورة أو على اعتقاده ما يحرم اعتقاده بالضرورة من الدين..» (٢).

إذا حكمنا بظاهر الإسلام في حقّ أبي سفيان ومعاوية بعد فتح مكّة- وإن كان للتوقّف في ذلك مجال واسع، تؤيده الشواهد التاريخية في حياتهما السوداء- فإننا نحكم بارتداد يزيد عنه؛ وذلك استناداً إلى أشعاره التي أفصح بها عن الإلحاد وأبان عن خبث ضميره وعدم الاعتقاد، وفيها:

لعبت هاشم بالملك فلا خبرٌ جاء ولا وحى نزل
ليت أشياخي بديرٍ شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل
لأهلوا واستهلوا فرحاً ولقالوا يا يزيد لا تشل
فجزيناهم بديرٍ مثلها وأقمنا مثل بديرٍ فاعتدل
مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٣٠

لست من خندف إن لم أنتقم من بنى أحمد ما كان فعل «١»
وفيها:

لما بدت تلك الحمول وأشرفت تلك الرؤوس على ربي جيرون
نعب الغراب فقلت قل أو لا تقل فقد اقتضيت من الرسول ديوني «٢»

ما قالته زينب الكبرى ص : ٣٠

وأول من استند إلى أشعاره وأثبت كفره- في مجلسه وأمامه- هي العقيلة زينب الكبرى بنت الإمام أمير المؤمنين عليهما السلام التي وصفها الإمام زين العابدين عليه السلام بأنّها عالمه غير معلّمه «٣»
. فإنّها قالت ليزيد: «أنسيت قول الله عزّ وجلّ: (وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ) «٤»

.. ولا غرو منك ولا عجب من فعلك، وأنّى يُرتجى الخير ممّن لفظ فوه أكباد الشهداء ونبت لحمه بدماء الشهداء، ونبت لحمه بدماء السعداء ونصب الحرب لسيد الأنبياء وجمع الأحزاب وشهر الحراب وهز السيوف في وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. أشدّ العرب لله جحوداً، وأنكرهم لرسوله، وأظهرهم له عدواناً وأعتاهم على الربّ كفرةً وطغياناً، ألا إنّها نتيجة خلال الكفر، وضبّ يجرجر في الصدر لقتلى يوم بدر، فلا يستبطى في بغضنا أهل البيت من كان نظره إلينا شنفاً وشناناً وإحناً وأضغاناً، يُظهر كفره برسول الله صلى الله عليه وآله، ويُفصح ذلك بلسانه وهو يقول- فرحاً بقتل ولده وسبي ذريته- غير متحوّب ولا مستعظم يهتف بأشياخه:

لأهلوا واستهلوا فرحاً ولقالوا يا يزيد لا تشل

منتحياً على ثنانيا أبي عبدالله- وكان مقبل رسول الله صلى الله عليه وآله- ينكتها بمخصرته وقد التمع السرور بوجهه، لعمرى لقد نكأت القرحة واستأصلت الشأفة، يارقتك دم سيد شباب أهل الجنّة، وابن يعسوب العرب وشمس آل عبد المطلب، وهتفت بأشياخك، وتقربت بدمه إلى الكفرة من أسلافك.. «١».

ما قاله بعض الصحابة ص : ٣٠

واستند إلى تلك الآيات بعض الصحابة، وأثبت ارتداد يزيد بتمثله لها.

ذكر ابن عبد ربه: «بعث مسلم بن عقبة برؤوس أهل المدينة إلى يزيد، فلما ألقيت بين يديه جعل يتمثل بقول ابن الزبيري يوم أُخذ: ليت أشياخي ... الآيات.

فقال له رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ارتددت عن الإسلام يا أمير المؤمنين؟ قال: «بلى نستغفر الله»، قال: «والله لا ساكنتك أرضاً أبداً»، «وخرج عنه» (۲).

أقوال العلماء في كفره ص : ۳۰

إشارة

صرح كثير من العلماء والمؤرخين وأرباب الفكر بكفر يزيد بن معاوية، نكتفي بذكر بعضهم:

رأى الإمام أحمد بن حنبل: ص : ۳۰

قال الشيراوى: «قال العلامة ابن حجر في شرح الهمزية: إن يزيد قد بلغ من قبائح الفسق والانحلال عن التقوى مبلغاً لا يستكثر عليه صدور تلك القبائح منه، بل قال الإمام أحمد بن حنبل بكفره، وناهيك به علماً وورعاً يقضيان بأنه لم يقل ذلك إلّا لقضايا وقعت منه صريحة في ذلك ثبتت مع الركب الحسيني (ج ۶)، ص: ۳۲ عنده» (۱).

رأى ابن القفطى: ص : ۳۲

قال الباعوني: «وذكر ابن القفطى في تأريخه قال: إن السبي لما ورد على يزيد بن معاوية خرج لتلقيه، فلقى الأطفال والنساء من ذرية علي والحسن والحسين والرؤوس على أسنة الرماح، وقد أشرفوا على ثنية العقاب، فلما رأهم أنشد: لما بدت تلك الحمول وأشرفت تلك الرؤوس على ربي جيرون نعب الغراب فقلت قل أو لا تقل فقد اقتضيت من الرسول ديوني يعني بذلك أنه قتل الحسين بمن قتل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم بدر، مثل عتبه جدّه ومن مضى من أسلافه، وقائل مثل هذا بريء من الإسلام ولا يُشكك في كفره» (۲).

رأى الباعوني: ص : ۳۲

قال: وما أظن أن من استحل ذلك (قتل الحسين عليه السلام) وسلك مع أهل النبي هذه المسالك شمّ ريحة الإسلام ولا آمن بمحمّد عليه الصلاة والسلام، ولا خالط الإيمان بشاشة قلبه ولا آمن طرفه [عين] بربه والقيامة تجمعهم وإلى ربهم مرجعهم. ستعلم ليلي أي دين تداينت وأي غريم في التقاضى غريمتها (۳)

رأى ابن عقيل: ص : ۳۲

ذكر سبط ابن الجوزى عن ابن عقيل أنه قال: ومما يدل على كفره (يزيد) وزندقته فضلاً عن سبه ولعنه أشعاره التي أفصح بها بالإلحاد وأبان عن خبث الضمائر وسوء الاعتقاد، فمنها قوله في قصيدته التي أولها:

عليه هاتى واعلنى وترئى بدلك إنى لا أحب التناجيا
حديث أبى سفيان قدماً سمي بها إلى أحد حتى أقام البواكيا
الاهات فاسقيني على ذاك قهوة تخيرها العنسى كراماً شاميا
إذا ما نظرنا فى أمور قديمة وجدنا حلالاً شربها متواليا
وإن مت يا أم الأحيمر فانكحى ولا تأملى بعد الفراق تلاقيا
فإن الذى حدثت عن يوم بعثنا أحاديث طسم تجعل القلب ساهيا
ولا بد لى من أن أزور محمداً بمشمولة صفراء تروى عظاميا «١»

رأى اليافعى: ص : ٣٢

وعن اليافعى: وأما حكم من قتل الحسين أو أمر بقتله ممن استحل ذلك فهو كافر، وإن لم يستحل ففاسق فاجر والله أعلم «٢».

رأى القاضى أبى يعلى وابن الجوزى: ص : ٣٢

قال الآلوسى: وقد جزم بكفره- أى يزيد بن معاوية- وصرح بلعنه جماعة من العلماء منهم الحافظ ناصر السنه ابن الجوزى وسبقه القاضى أبو يعلى «٣».

رأى الكيا الهراسى: ص : ٣٢

قال: هو (يزيد) اللّاعب بالنرد، المتصيّد بالفهد، والتارك للصلوات، والمدمن للخمر، والقاتل لأهل بيت النبى صلى الله عليه وآله وسلم، والمصرّح فى شعره بالكفر الصريح «٤».

رأى سبط ابن الجوزى: ص : ٣٢

قال سبط ابن الجوزى- بعد ذكره استناد ابن عقيل مع الركب الحسينى (ج ٦)، ص: ٣٤ بأشعار يزيد على كفره وزندقته «١»- قلت: ومنها قوله:
ولو لم يمسّ الأرض فاضل بردها لما كان عندى مسحة فى التيمّم
ومنها: لئما بدت تلك الحمول وأشرق- وقد ذكرناها-
ومنها قوله:

معشر الندمان قوموا واسمعوا صوت الأغانى
واشربوا كأس مدام واتركوا ذكر المغانى
أشغلتنى نعمة العيدان عن صوت الأذان
وتعوضت عن الحور خموراً فى الدنان

إلى غير ذلك ممّا نقلته من ديوانه، ولهذا تطرّق إلى هذه الامة العار بولايته عليها، حتى قال أبو العلاء المعرى يشير بالشنار إليها:

أرى الأيام تفعل كل نكر فما أنا في العجائب مستزيد
أليس قريشكم قتلت حسيناً وكان على خلافتكم يزيد

رأى ابن عساكر: ص : ٣٤

حكى عن ابن عساكر أنه قال: نسب إلى يزيد قصيدة منها:
ليت أشياخى بيدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل
لعبت هاشم بالملك فلا ملك جاء ولا وحى نزل
فإن صحت عنه فهو كافر بلا ريب، انتهى معناه «٢».

رأى الأجهورى: ص : ٣٤

قال: وقد اختار الإمام محمد بن عرفه والمحققون من أتباعه
مع الركب الحسينى (ج ٦)، ص : ٣٥
كفر الحجاج، ولا شك أن جريمته كجريمة يزيد، بل دونها «١».

رأى السعد التفتازانى: ص : ٣٥

قال: والحق أن رضا يزيد بقتل الحسين وإهانتة أهل بيت رسول الله مما تواتر معناه، وإن كانت تفاصيله آحاداً، فنحن لا نتوقف في شأنه، بل في إيمانه، فلعن الله عليه وعلى أنصاره وعلى أعوانه.
قال الشبراوى: وقول السعد بل في إيمانه أى بل لا نتوقف في عدم إيمانه، بقريته ما بعده وما قبله «٢».

رأى الحافظ البدخشانى: ص : ٣٥

قال: وجعل (يزيد) ينكت رأسه (الحسين عليه السلام) بالخيزران، وأنشد أبيات ابن الزبيرى: ليت أشياخى بيدر شهدوا إلى آخره، والأبيات مشهورة، وزاد فيها بيتين مشتملين على صريح الكفر «٣».

رأى الشبراوى: ص : ٣٥

قال بعد ذكر تمثّل يزيد بأشعار ابن الزبيرى: خزاه الله في هذه الأبيات، إن كانت صحيحة فقد كفر فيها بإنكار الرسالة «٤».

رأى الألوسى: ص : ٣٥

قال في تفسيره: وفي تاريخ ابن الوردي وكتاب الوافى بالوفيات: أن السبى لما ورد من العراق على يزيد خرج فلقى الأطفال والنساء من ذرية على والحسين رضى الله تعالى عنهما والرؤوس على أطراف الرماح، وقد أشرفوا على ثنية جيرون فلما رأهم نعب غراب، فأنشأ يقول:

لما بدت تلك الحمول وأشرفت تلك الرؤوس على شفا جيرون
نعب الغراب فقلت قل أو لا تقل فقد اقتضيت من الرسول ديونى

مع الركب الحسينى (ج ٦)، ص : ٣٦

يعنى أنه قتل بمن قتله رسول الله صلى الله عليه وآله يوم بدر كجده عتبة وخالد ولد عتبة وغيرهما، وهكذا كفر صريح، فإذا صح عنه فقد كفر به، ومثله تمثله بقول عبدالله بن الزبيرى قبل إسلامه: ليت أشياخى، الأبيات..

رأى عبد الباقي أفندى العمرى: ص : ٣٦

أشار إلى أبيات يزيد، شاعرُ العراق عبد الباقي أفندى العمرى فيما حُكى عن الباقيات الصالحات بقوله:
نقطع فى تكفيره إن صح ما قد قال للغراب لما نعا «١»

تأمل ابن حجر ص : ٣٦

تأمل ابن حجر فى صواعقه واتخذ طريقاً آخر حول هذه المسألة، قال: «اعلم أن أهل السنّة اختلفوا فى تكفير يزيد بن معاوية وولّى عهده من بعده، فقالت طائفة إنّه كافر لقول سبط ابن الجوزى وغيره المشهور أنّه لما جاءه رأس الحسين رضى الله عنه جمع أهل الشام وجعل ينكت رأسه بالخيزران وينشد أبيات ابن الزبيرى: ليت أشياخى بيدرٍ شهدوا الأبيات المعروفة، وزاد فيهما بيتين مشتملين على صريح الكفر.. وقالت طائفة ليس بكافر لأنّ الأسباب الموجبة للكفر لم يثبت عندنا منها شىء، والأصل بقاؤه على إسلامه حتّى يُعلم ما يُخرجه عنه، وما سبق أنّه المشهور يعارضه ما حكى أن يزيد لما وصل إليه رأس الحسين قال:

رحمك الله يا حسين لقد قتلك رجل لم يعرف حقّ الأرحام، وتنكر لابن زياد وقال: قد زرع لى العداوة فى قلب البرّ والفاجر. وردّ نساء الحسين ومن بقى من بنيه مع رأسه إلى المدينة ليُدفن الرأس بها.
وأنت خير بأته لم يثبت موجب واحدة من المقاتلين، والأصل أنّه مسلم،

مع الركب الحسينى (ج ٦)، ص: ٣٧

فأخذ بذلك الأصل حتّى يثبت عندنا ما يوجب الإخراج عنه، ومن ثمّ قال جماعة من المحققين إنّ الطريقة الثابتة القويمة فى شأنه التوقّف فيه وتفويض أمره إلى الله سبحانه، لأنّه العالم بالخفيات والمطلع على مكنونات السرائر وهو اجس الضمائر، فلا نتعرض لتكفيره أصلاً، لأنّ هذا هو الأحرى والأسلم، وعلى القول بأنّه مسلم فهو فاسق شرير سكير جائر كما أخبر به النبى صلى الله عليه وآله وسلم»
«١».

نقول: إنّ هذه الطريقة غير قويمة؛ وذلك لعدّة أمور:

أولاً: أنّه بعدما نقل المؤلف الشهرة فى المقام عن سبط ابن الجوزى وغيره بزيادة يزيد بيتين مشتملين على صريح الكفر فلا مجال له أن يقول: والأصل أنّه مسلم، فأخذ بذلك حتى يثبت عندنا ما يوجب الإخراج، فأى موجب أدلّ من كلامه الصريح، ولولا التواتر فى النقل فالشهرة القائمة كافية لإثبات ذلك، كما نقلها.

أضف إلى ذلك ما قاله الآلوسى: «وما صدر منه من المخازى ليس بأضعف دلالة على عدم تصديقه من إلقاء ورقة من المصحف الشريف فى قدر» «٢».

ثانياً: وأمّا ما ادّعه من تعارض الشهرة بالمحكى - مع فرض صحّة المحكى - فلا تعارض فى البين، لأننا نقول إنّ تمثّل بالأبيات وزاد فيها البيتين المشتملين على صريح الكفر، ومع ذلك لمّا رأى انقلاب الأمر وتغيّر الأوضاع وخاف الفتنة ورأى الزلزال فى ملكه تفوّه بهذه الكلمات، والدليل على ذلك ما نقله المؤلف فى هذه المقالة أنّ يزيد تنكر لابن زياد وقال: "قد زرع لى العداوة فى قلب البرّ والفاجر،" هذا يؤيد أنّه اتّخذ هذا الموقف بعدما ثبت لديه استنكار الرأى العام.

مع الركب الحسينى (ج ٦)، ص: ٣٨

ثالثاً: إنّ الاحتياط فى المسألة أن يتخذ الإنسان موقفاً مناسباً فى هذه المأساة الكبرى، إنّها فاجعة قتل الحسين عليه السلام الذى بكى

الرسول على قتله قبل مقتله كراراً، ولعن قاتله مراراً، فما فعله ابن الحجر من الاحتياط هو خلاف الاحتياط.

توقف البيهقى: ص : ٣٨

ذكر الخوارزمي: «قال شيخ السنه أحمد بن الحسين حول تمثّل يزيد بأبيات ابن الزبيرى: وآخر كلام يزيد لا يشبه أوله، ولم أكتبه من وجه يثبت مثله، فإن كان قاله فقد ضَمَّ إلى فعل الفجار- فى قتل الحسين وأهل بيته- أقوال الكفار» (١).
علق العلامة المحمودى عليه بهذا الكلام:

«أقول: إن البيهقى لم يعجبه أن يفتش عن كفر إمامه كى يثبت له كفره ويفتضح عند العقلاء، ولو كان بذل جهده حول أقوال يزيد لكان يثبت له أنه قال بالكفر مراراً كما عمل بأعمال الكفار مراراً» (٢).

مع مجاهد: ص : ٣٨

ذكر سبط ابن الجوزى أن مجاهد قال حول أبيات (لعبت هاشم بالملك فلا ...): نافق (٣).

وفى مقتل الخوارزمى أنه قال: فلا نعلم الرجل إلأقد نافق فى قوله هذا (٤).

وللعلماء المحمودى تعليق فى المقام أعجبنى ذكره، قال:

«النفاق هو إظهار الإيمان وإبطان الكفر وإسراره، فإن كان قول يزيد:

لعبت هاشم بالملك فلا خبرٌ جاء ولا وحى نزل

مع الركب الحسينى (ج ٦)، ص: ٣٩

هو إظهار الإيمان فما هو إظهار الكفر والإعلان به؟ وهل فرق بين قول يزيد هذا فى كونه صريحاً بالكفر ببعث الرسول وبين قول

الدهريين الذى حكى الله تعالى عنهم بقوله: (مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ) (١)

، فكما أن هذا القول من الدهريين صريح فى إنكار المبدأ كذلك قول يزيد صريح فى إنكار الرسالة التى هى الركن الثانى من

الدّين، وكذلك ما حكاه الله عزوجل عن فرعون فى قوله: (أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى) (٢)

، وهل يمكن لمن يعرف العربية ومعنى الكفر والنفاق أن يقول إن هذا القول من فرعون ليس صريحاً فى الكفر وإنما هو نفاق أى

إبطان الكفر؟ وما أظن الفرق بين الأمرين غمض على مجاهد، أو لم يعرف الفرق بينهما؟ الظاهر أنه حينما تكلم بهذا الكلام وفسّر

الكفر الصريح بالنفاق كان فى جو من المعاندين التابعين للزعات الأموية، ففسّر الكفر الصريح بالكفر غير الصريح المسمّى بالنفاق

كى يستريح من مشاغبتهم ومجادلتهم الجاهلية. والأمر واضح غير محتاج إلى التطويل (٣).

جوره ص : ٣٩

إن حكومة آل أبى سفيان قامت على أساس الجور والعدوان، ونجد ذروة ذلك فى زمن ملك يزيد بن معاوية، لأن اللعين لم تدم

سلطته إلأثلاث سنين قتل فى السنه الأولى منها الإمام الحسين وأصحابه عليهم السلام، وفى السنه الثانىة غزا المدينة المنورة وأباحها

على جنده ثلاثاً وهم بجوار قبر رسول الله صلى الله عليه وآله- وسميت بوقعة الحرّة- وفى الثالثه منها هدم الكعبة، أمّا مأساة كربلاء

فقد قرأت تفاصيلها، وأمّا

مع الركب الحسينى (ج ٦)، ص: ٤٠

وقعة الحرّة وقضايا ابن الزبير فتفاصيلها خارجة عن عهدة هذا الكتاب، إلأننا نذكر نبذة عن صفحة تاريخه السوداء فى وقعة الحرّة.

قال سبط ابن الجوزي: «وذكر المدائني في كتاب الحرّة عن الزهري قال: كان القتلى يوم الحرّة سبعمئة من وجوه الناس من قريش والأنصار والمهاجرين ووجوه الموالى، وأما من لم يُعرف من عبدٍ أو حرٍّ أو امرأةٍ فعشرة آلاف، وخاض الناس في الدماء حتى وصلت الدماء إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وآله، وامتأنت الروضة والمسجد. قال مجاهد: التجأ الناس إلى حجرة رسول الله ومنبره والسيف يعمل فيهم.. وذكر أيضاً المدائني عن أبي قرّة قال: قال هشام بن حسان: ولدت ألف امرأة بعد الحرّة من غير زوج، وغير المدائني يقول: عشرة آلاف امرأة.

قال الشعبي: أليس قد رضى يزيد بذلك وأمر به وشكر مروان بن الحكم على فعله؟! «(١)».

يقول ابن قتيبة: «فوجه يزيد مسلم بن عقبة المرّي في جيش عظيم لقتال ابن الزبير فسار بهم حتى نزل المدينة فقاتل أهلها وهزمهم وأباحها ثلاثة أيام فهي وقعة حرّة» «(٢)».

وقال اليعقوبي: «فوجه في خمسة آلاف إلى المدينة فأوقع بأهلها وقعة الحرّة فقاتله أهل المدينة قتالاً شديداً.. حتى دخلت المدينة فلم يبق بها كثير أحد إلا قتل وأباح حرم رسول الله حتى ولدت الأبقار لا يعرف من أولدهن» «(٣)».

وقال ابن حجر: «فأرسل إليهم مسلم بن عقبة المرّي وأمره أن يستبيح

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٤١

المدينة ثلاثة أيام، وأن يباحهم على أنهم حول وعبيد ليزيد، فإذا فرغ منها نهض إلى مكة لحرب ابن الزبير، ففعل بها مسلم الأفاعيل القبيحة وقتل بها خلقاً من الصحابة وأبنائهم وخيار التابعين وأفحش القضية إلى الغاية..» «(١)».

وقال ابن الجوزي: «فأباحها مسلم بن عقبة ثلاثاً يقتلون الرجال ويقعون على النساء! وحكمت امرأة مسلم بن عقبة في ولدها وكان قد أسر فقال: عجلوه لها، فضربت عنقه، ثم دعا مسلم الناس إلى البيعة ليزيد وقال: بايعوا على أنكم حوّل له وأموالكم له! فقال يزيد بن عبد الله بن زمة: نبايع على كتاب الله، فأمر به فضرب عنقه، وحيء بسعيد بن المسيّب إلى مسلم فقالوا: بايع، فقال: أبايع على سيرة أبي بكر وعمر! فأمر بضرب عنقه فشهد رجل أنه مجنون فخلّى عنه، وذكر محمّد بن سعد في الطبقات أن مروان بن الحكم يحرض مسلم بن عقبة على أهل المدينة ونهبها ثلاثاً، فلما قدم مروان على يزيد شكر له وأدناه..».

ثم قال ابن الجوزي: «من أراد أن ينظر إلى العجائب فلينظر إلى ما جرى يوم الحرّة على أهل المدينة بإطلاق يزيد أصحابه في النهب» «(٢)».

وقال الشبراوي: «إن يزيد بن معاوية قال لمسلم بن عقبة: إذا ظفرت بالمدينة فخلّها للجيش ثلاثة أيام يسفكون الدماء ويأخذون الأموال ويفسقون بالنساء» «(٣)».

وقال ابن قتيبة: «فبلغ عدّة قتلى الحرّة يومئذٍ من قريش والأنصار والمهاجرين ووجوه الناس ألفاً وسبع مئة، وسائرهم من الناس عشرة آلاف، سوى النساء والصبيان، ذكروا أنه قُتل يوم الحرّة من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله و سلم ثمانون

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٤٢

رجلاً ولم يبق بدرى بعد ذلك، ومن قريش والأنصار سبعمئة، ومن سائر الناس من الموالى والعرب والتابعين عشرة آلاف، وكانت الوقعة في ذى الحجة لثلاث بقين منها سنة ثلاث وستين» «(١)».

وفي البدء والتاريخ: «فجاء مسلم بن عقبة فأوقع بالمدينة وقتل أربعة آلاف رجل من أفناء الناس وسبعين رجلاً من الأنصار وبقر عن بطون النساء وأباح الحرم وأنهب المدينة ثلاثة أيام» «(٢)».

هذا بالنسبة إلى المدينة، وأما مكة فقد قال المسعودي: «ولما نزل بأهل المدينة ما وصفنا من القتل والنهب والرق والسبي وغير ذلك ممّا عنه أعرضنا من مسرف خرج عنها يريد مكة في جيوشه من أهل الشام ليوقع بابن الزبير وأهل مكة بأمر يزيد، وذلك في سنة أربع وستين، فلما انتهى إلى الموضع المعروف بقديد مات مسرف لعنه الله، واستخلف على الجيش الحصين بن نمير فسار الحصين حتى

مكة وأحاط بها، وعاذ ابن الزبير بالبيت الحرام.. ونصب الحصين فيمن معه من أهل الشام المجانيق والعرادات على مكة والمسجد من الجبال والفجاج وابن الزبير في المسجد. فتواردت أحجار المجانيق والعرادات على البيت ورمى مع الأحجار بالنار والنفط ومشاقات الكتان وغير ذلك من المحروقات، وانهدمت الكعبة واحترقت البنية..» (٣).

وقال ابن قتيبة الدينوري: «وحاصروا عبدالله بن الزبير وأحرق الكعبة حتى انهدم جدارها وسقط سقفها..» (٤).
مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٤٣

لعنه ص : ٤٣

إشارة

اللعن: الطرد من الرحمة، قال تعالى: (لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ) (١)
أى أبعدهم وطردهم من الرحمة (٢)، وأصل اللعن الطرد والإبعاد من الله، ومن الخلق السب والدعاء (٣).
يمكن الاستدلال على جواز لعن يزيد بعدة أمور:

١. التمسك بعموم وإطلاق بعض الآيات القرآنية ص : ٤٣

منها: قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا) (٤)
. ولاشك أن إيذاء الحسين إيذاء للنبي صلى الله عليه وآله فكيف بقتله؟ (٥)
ومنها: قوله تعالى: (وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَعَصِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا) (٦)
إذا كانت لعنة الله وعذابه العظيم تشمل من يقتل مؤمنًا متعمدًا، فكيف بمن
مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٤٤

يقوم بقتل الحسين عليه السلام وهو سبط الرسول صلى الله عليه وآله وثمره البتول عليها السلام الذي قال جدّه في حقّه: «حسين منّي وأنا من حسين، أحبّ الله من أحبّ حسيناً؟» (١).

وقوله تعالى: (وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُحُوفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا) (٢).

ويزيد هو من الشجرة الملعونة في القرآن؛ قال السيوطي في الدر المنثور:

«أخرج ابن أبي حاتم عن يعلى بن مرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أريت بنى أمية على منابر الأرض وسيتملكونكم فتجدونهم أرباب سوء. واهتم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لذلك فأنزل الله: (وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ)» (٣)

وعن كتاب المعتضد: لا خلاف بين أحد أنه تبارك وتعالى أراد بها بنى أمية (٤).

ومنها: قوله تعالى: (فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ. أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ) (٥)

ولا ريب أن يزيد هو من أكابر المفسدين في الأرض بعد قتل الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه بكر بلاء، وأمره ورضاه بذلك ووقعة الحرّة وهدم الكعبة- فإذا لم يكن هذا إفساداً في الأرض فلا يبقى للفساد أى معنى!- فيشمله لعن الله طبقاً لهذه الآية الشريفة.
وعده أحمد بن حنبل من مصاديق المفسدين في الأرض بتسكّه بهذه الآية المباركة (٦).

معالركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٤٥

٢. التمسك بعموم بعض الأحاديث ص: ٤٥

منها: ما روى عن علي عليه السلام قال: قال النبي صلى الله عليه وآله: سبعة لعنهم الله وكل نبي مجاب: المغير لكتاب الله، والمكذب بقدر الله، والمبدل سنة رسول الله صلى الله عليه وآله، والمستحل من عترتي ما حرم الله عزوجل، والمتسلط في سلطنته ليعز من أذل الله ويذل من أعز الله، والمستحل لحرم الله، والمتكبر على عبادة الله عزوجل «١».

ولا ريب أن موارد مما ذكر آنفاً مطبقة على يزيد، مثل ما روى ابن حجر عن النبي صلى الله عليه وآله قال: أول من يبدل سنتي رجل من بني أمية يقال له يزيد «٢»

ومنها: ما روى البخاري بإسناده عن أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: المدينة حرم من كذا إلى كذا، لا يقطع شجرها ولا يحدث فيها حدث، من أحدث حدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين «٣»

ومنها: ما رواه أحمد بإسناده عن إبراهيم التيمي عن أبيه قال: خطبنا علي فقال: ... قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: المدينة حرم ما بين عير إلى ثور، فمن أحدث فيها حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه يوم القيامة عدلاً ولا صرفاً.. «٤».

ومنها: ما روى مسنداً عن السائب بن خلاد أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال:

من أخاف أهل المدينة أخافه الله عزوجل وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً «٥»

معالركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٤٦

ومنها: ما رواه في كفاية الطالب بإسناده عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لما عرج بي إلى السماء، رأيت على باب الجنة مكتوباً «لا إله إلا الله، محمد رسول الله، علي حب الله، الحسن والحسين صفوة الله، فاطمة أمه الله، علي باغضهم لعنة الله، مهما ذكر الله». ثم قال: «تفرّد به علي بن حماد وهو ثقة، وأخرجه محدث الشام عن محدث العراق وإمام أهل الحديث» «١».

قال ابن الجوزي: جاء في الحديث لعن من فعل ما لا يقارب معشار عشر فعل يزيد «٢».

٣. أقوال العلماء في لعن يزيد ص: ٤٦

أحمد بن حنبل: ص: ٤٦

قال الآلوسي: «نقل البرزنجي في الإشاعة والهيتمى في الصواعق المحرقة أن الإمام أحمد لما سأله ولده عبد الله عن لعن يزيد قال: كيف لا يلعن من لعنه الله في كتابه، فقال عبد الله: قد قرأت كتاب الله عزوجل فلم أجد فيه لعن يزيد! فقال الإمام: إن الله تعالى يقول: (فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ. أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ) الآية «٣»، وأي فساد وقطيعه أشد لما فعله يزيد؟! «٤».

ابن الفراء «٥» ص: ٤٦

قال ابن الجوزي: «وصنف القاضي أبو الحسين محمد بن القاضي أبي يعلى ابن الفراء كتاباً فيه بيان من يستحق اللعن وذكر فيهم يزيد وقال:

معالركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٤٧

الممتنع من ذلك إما أن يكون غير عالم بجواز ذلك أو منافقاً يريد أن يوهم بذلك وربما استفز الجهال بقوله: المؤمن لا يكون لعاناً،

قال (القاضي): وهذا محمول على من لا يستحق اللعن، نقلت هذا من خط أبي الحسين وتصنيفه»

ابن الجوزي: ص : ٤٧

قال ابن الجوزي: «سألني سائل في بعض مجالس الوعظ عن يزيد بن معاوية وما فعل في حق الحسين صلوات الله عليه وما أمر به من نهب المدينة، فقال لي: أيجوز أن يلعن؟ فقلت: يكفيه ما فيه، والسكوت أصلح! فقال: قد علمت أن السكوت أصلح، ولكن هل تجوز لعنه؟ فقلت: قد أجازها العلماء الورعون منهم الإمام أحمد بن حنبل (٢) فإنه ذكر في حق يزيد ما يزيد على اللعنة» (٣).

ورغم عبارة «السكوت أصلح»، لكننا نرى أن ابن الجوزي لم يلتزم بذلك فعلاً ولا قولاً، ولعله قاله خوفاً على نفسه في تلك الجلسة، والدليل عليه ما قاله سبطه في التذكرة: «قلت: ولما لعنه جدّي أبو الفرج على المنبر ببغداد بحضرة الإمام الناصر وأكابر العلماء قام جماعة من الجفأة من مجلسه فذهبوا، فقال جدّي:

(أَلَا بُعْدًا لِمَدِينٍ كَمَا بَعَدَتْ ثَمُودُ)» (٤)

وقال: «وحكى لي بعض أشياخنا عن ذلك اليوم أن جماعة سألوا جدّي عن يزيد، فقال: ما تقولون في رجل ولي ثلاث سنين، في السنة الأولى قتل الحسين، وفي الثانية أخاف المدينة وأباحها، وفي الثالثة رمى الكعبة بالمجانيق وهدمها، فقالوا: لنعن، فقال: فالعنوه» (٥).

الأسفرايني: ص : ٤٧

قال: المختار ما ذهب إليه ابن الجوزي وأبو الحسين القاضي

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٤٨

ومن وافقهما (١).

المقدسي: ص : ٤٨

ومن الذين لعنوا يزيد هو مطهر بن طاهر المقدسي المتوفى سنة ٥٠٧ ببغداد، فقد صرح بلعنه في كتابه البدء والتاريخ (٢).

السيوطي: ص : ٤٨

قال جلال الدين السيوطي: لعن الله قاتله (أي قاتل الحسين) وابن زياد معه، ويزيد أيضاً، وكان قتله بكرى، وفي قتله قصة فيها طول لا يحتمل القلب ذكرها، فإننا لله وإننا إليه راجعون (٣).

عبد الكريم ابن الشيخ ولي الدين: ص : ٤٨

قال العلامة المحمودي: ومنهم (العلماء المجوزين للعن يزيد) الشيخ عبد الكريم ابن الشيخ ولي الدين مؤلف كتاب «مجمع الفوائد ومعدن الفرائد» في ذكر الأحاديث الواردة في الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله، قال: «فمعلوم أن يزيد اللعين وأتباعه كانوا من الذين أهانوا أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فكانوا مستحقين للغضب والخذلان واللعنة من الملك الجبار المنتقم يوم القيامة، فعليه وعلى من أتبعه وأحبه وأعانه ورضاه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، ثم قال: ومن أراد التفصيل في اللعنة على يزيد فليطالع إلى تبين الكلام، وأما منع بعضهم فليس من عدم جوازه لأنه جاز بالاتفاق بل من خوف السراية إلى أبيه معاوية، كما في

شرح المقاصد! «٤».

العلامة الأجهوري ص : ٤٨

عن شيخ مشايخه: قال الشبراوي: «وقال شيخ مشايخنا في حاشية الجامع الصغير عند قوله صلى الله عليه وآله وسلم: أول جيش من أمتي يركبون البحر

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٤٩

قد أوجبوا، وأول جيش من أمتي يغزون مدينه قيصر مغفور لهم: هذا يقتضى أن يزيد بن معاوية من جملة المغفور لهم! وأجيب: بأن دخوله فيهم لا يمنع خروجه منهم بدليل خاص أو أن قوله مغفور لهم مشروط بكونه من أهل المغفرة ويزيد ليس كذلك، حتى أطلق بعضهم جواز لعنه بعينه، لأنه أمر بقتل الحسين ..» «١».

وفي الحديث المذكور وجوه للنظر من حيث الصغرى والكبرى وغيرها، لا مجال لذكرها.

الكيا الهراسي: ص : ٤٩

قال الباعوني: «وسئل الكيا الهراسي وهو من كبار الأئمة عن لعنه (يزيد بن معاوية)، فقال: لم يكن [يزيد من] الصحابة، ولد في زمان عمر بن الخطاب، وركب العظام المشهورة. قال: وأما قول السلف فيه لأحمد قولان تلويح وتصريح، ولمالك أيضاً قولان تصريح وتلويح، ولنا قول واحد وهو التصريح دون التلويح. قال: وكيف لا وهو اللاعب بالنرد، المتصيد بالفهد، والتارك للصلوات، والمدمن للخمر والقاتل لأهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم، والمصرح في شعره بالكفر الصريح» «٢».

التفتازاني ص : ٤٩

في شرح العقائد النسفية: «اتفقوا على جواز اللعن على من قتل الحسين أو أمر به أو أجازه أو رضى به، قال: والحق أن رضا يزيد بقتل الحسين واستبشاره بذلك وإهاتته أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مما تواتر معناه وإن كان تفصيله آحاداً، قال: فنحن لا نتوقف في شأنه بل في كفره وإيمانه، لعنه الله عليه وعلى أنصاره وأعوانه» «٣».

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٥٠

السمهودي: ص : ٥٠

قال الشبراوي: «وقال السيد السمهودي في جواهر العقدين:

اتفق العلماء على جواز لعن من قتل الحسين رضى الله عنه أو أمر بقتله أو أجازه أو رضى به من غير تعيين..» «١».

البدخشاني: ص : ٥٠

قال في نزل الأبرار: «.. ويتحقق أنه- يزيد- لم يندم على ما صدر منه، بل كان مصراً على ذنبه مستمراً في طغيانه إلى أن أقاد منه المنتقم الجبار، وأوصله إلى دركات النار، والعجب من جماعة يتوقفون في أمره ويتنزهون عن لعنه وقد أجازه كثير من الأئمة منهم ابن الجوزي، وناهيك به علماً وجلالة..» «٢».

عبد الباقي أفندي: ص : ٥٠

قال الآلوسى: ويعجبني قول شاعر العصر ذو الفضل الجليّ عبد الباقي أفندي العمرى الموصليّ، وقد سُئل عن لعن يزيد اللعين: يزيد على لعني عريضٌ جنباه فأغدو به طول المدى ألعن اللعنا (٣)

الآلوسى: ص : ٥٠

«الذى يغلب على ظنّي أنّ الخبيث لم يكن مصدّقاً برسالة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وأنّ مجموع ما فعل مع أهل حرم الله تعالى وأهل حرم نبيه عليه الصلاة والسلام وعترته الطيبين الطاهرين في الحياة وبعد الممات، وما صدر منه من المخازي ليس بأضعف دلالة على عدم تصديقه من إلقاء ورقه من المصحف الشريف في قدر، ولا أظنّ أنّ أمره كان خافياً على أجلة المسلمين إذ ذاك ولكن كانوا مغلوبين مقهورين لم يسعهم إلّا الصبر ليقضى الله أمراً كان مفعولاً، ولو سلم مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٥١

أنّ الخبيث كان مسلماً فهو مسلم جمع من الكبائر ما لا يحيط به نطاق البيان، وأنا أذهب إلى جواز لعن مثله على التعيين، ولو لم يتصوّر أن يكون له مثل من الفاسقين، والظاهر أنّه لم يتب، واحتمال توبته أضعف من إيمانه، ويلحق به ابن زياد وابن سعد وجماعة، فلعنه الله عزّ وجلّ عليهم أجمعين، وعلى أنصارهم وأعوانهم وشيعتهم ومن مال إليهم إلى يوم الدّين ما دمعت عين على أبي عبد الله.. ومن كان يخشى القال والقيل من التصريح بلعن ذلك الضّليل فليقل لعن الله عزّ وجلّ من رضى بقتل الحسين ومن آذى عتره النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بغير حقّ ومن غصبهم حقّهم، فإنّه يكون لاعناً له لدخوله تحت العموم دخولاً أوّلياً في نفس الأمر، ولا يخالف أحد في جواز اللعن بهذه الألفاظ ونحوها سوى ابن العربي المارّ ذكره وموافقيه، فإنّهم على ظاهر ما نقل عنهم لا يجوزون لعن من رضى بقتل الحسين رضى الله تعالى عنه، وذلك لعمرى هو الضلال البعيد الذي يكاد يزيد على ضلال يزيد» (١).

قتله الإمام الحسين عليه السلام ص : ٥١

إشارة

إنّ قتل الحسين عليه السلام مصيبة لا مصيبة أعظم منها، كيف لا وهو من الخمسة الذين قال لهم الرسول صلى الله عليه وآله: «أنا سلّم لمن سالمتم وحرّب لمن حاربتهم» (٢).

جزاء قاتل الحسين عليه السلام وأوصافه في الروايات ص : ٥١

لقد جاءت في شأن قاتل الحسين عليه السلام وأوصافه وعذابه روايات دالّة على عمق المأساة، نذكر بعضها:

روى ابن المغازلي بإسناده عن أبي أحمد بن عامر بن عليّ بن موسى الرضا

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٥٢

عن آبائه عن عليّ عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ قاتل الحسين في تابوتٍ من نار منكس في النار، حتّى يقع في قعر جهنّم وله ريح يتعوّذ أهل النار إلى ربّهم عزّ وجلّ من شدّة ريح ننته، وفيها خالد ذائق العذاب الأليم، لا يفتّر عنه ساعة ويُسقى من حميم، الويل له من عذاب الله عزّ وجلّ (١)

.وروى عن رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ موسى بن عمران سأل ربّه فقال:

ياربّ إنّ أخي هارون مات فاغفر له، فأوحى الله إليه: يا موسى، لو سألتني في الأوّلين والآخرين لأجبتك ما خلا قاتل الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، فإنّي أنتقم له من قاتله (٢)

روى الخوارزمي اعتراض حبر من الأخبار في مجلس يزيد، اعترض على يزيد في قتله الحسين عليه السلام، فأمر يزيد به بحلقه ثلاثاً، فقام الحبر وهو يقول: «إن شئتم فاقتلوني وإن شئتم فذروني، إني أجد في التوراة: من قتل ذرية نبي فلا يزال ملعوناً أبداً ما بقي، فإذا مات أصلاه الله نار جهنم» (٣).

روى عن القندوزي قال: على عليه السلام رفعه: يقتل الحسين شر هذه الأمة (٤)

وعن مودة القريبي عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يقتل الحسين شر هذه الأمة، ويتبرأ الله منهم ومن والاهم وممن يكفر بي (٥)

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٥٣

وعن المتقي الهندي روى ابن عساكر عن أم سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال:

إن جبرئيل أخبرني أن ابني هذا يُقتل، وأنه اشتد غضب الله على من يقتله (١)

وعن ابن سعد عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: إن جبرئيل أرانى التربة التي يُقتل عليها الحسين، فاشتد غضب الله على من يسفك دمه. فيا عائشة والذي نفسى بيده إنه ليحزننى. فمن هذا من أمتى يقتل حسيناً بعدى؟! (٢)

روى الخطيب في تاريخه بإسناده عن جابر بن عبد الله عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال للحسين عليه السلام: لعن الله قاتلك، قال جابر: فقلت يارسول الله ومن قاتله؟ قال:

رجل من أمتى يبغض عترتى لا يناله شفاعتى، كأنى بنفسه بين أطباق النيران يرسب تارةً ويطفو أخرى، وأن جوفه ليقول: عِقْ عِقْ (٣)

وروى الخوارزمي عن أبي برزة الأسلمي أو غيره من الصحابة أنه قال ليزيد:

أشهد لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يرشف ثناياه وثنايا أخيه الحسن ويقول: إنهما سيديا شباب أهل الجنة قتل الله قاتلهما ولعنه وأعد له جهنم وساءت مصيراً (٤)

وقال: قال ابن عباس: خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم قبل موته بأيام إلى سفر له ثم رجع وهو متغير اللون محمر الوجه، فخطب خطبةً بليغةً موجزةً وعيناه تهملان دموعاً، قال فيهما: أيها الناس إني خلّفت فيكم الثقلين كتاب الله وعترتى، فساق الخطبة إلى أن قال: ألا وإن جبرئيل قد أخبرني بأن أمتى تقتل ولدى الحسين

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٥٤

بأرض كرب وبلاء، ألا فلعن الله على قاتله وخاذله آخر الدهر (١)

ومنها: ما ذكر من حديث أم الفضل بنت الحارث حين أدخلت حسيناً على رسول الله فأخذه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبكى وأخبرها بقتله، إلى أن قال: ثم هبط جبرئيل معه قبضة من تربة الحسين تفوح مسكاً أذفر. فدفعها إلى النبي وقال: يا حبيب الله هذه تربة ولدك الحسين ابن فاطمة وسيقتله اللعناء بأرض كربلاء، فقال النبي: حبيبي جبرئيل، وهل تفلح أمة تقتل فرخى وفرخ ابنتى؟ فقال جبرئيل: لا، بل يضربهم الله بالاختلاف فتختلف قلوبهم وألسنتهم آخر الدهر... إلى أن قال: ثم أخذ النبي تلك القبضة التي أتاه بها الملك فجعل يشمها ويبكى ويقول في بكائه: اللهم لا تبارك في قاتل ولدى وأصله نار جهنم (٢)

يزيد هو القاتل ص: ٥٤

لاشك أن الفعل كما ينسب إلى المباشر، ينسب إلى المسبب، يقال: فتح الأمير البلد وإن لم يحضر المعركة، بل حصل الفتح على يد جنده، ولكن ينسب إلى أميرهم لكونه الأمر، وفي مأساة كربلاء نجد أدلة قوية على أن يزيد هو القاتل باعتبار أنه هو الذى أمر بقتل الحسين عليه السلام والقتال معه.

فتحصّل أن جميع ما روى حول قاتل الحسين وخذلانه في الدنيا وعقابه في العقبى يشمل يزيد، لكونه الأمر الأعلى، وبصفته أمير قتل

الحسين عليه السلام، فما شأن عبيدالله بن زياد إلى يزيد إلكسبة شمر وعمر بن سعد إلى عبيدالله بن زياد، فيشملة العنوان، هذا وثم شواهد تاريخية مهمة تثبت الموضوع.

الشواهد التاريخية ص : ٥٤

إشارة

مع الרכب الحسيني (ج ٦)، ص : ٥٥

عندما يتفحص المتتبع صفحات التاريخ، يجد هناك أدلة كافية لإثبات الموضوع نشير إلى بعضها:

أمره الوليد بن عتبة بقتل الحسين عليه السلام ص : ٥٥

: إن يزيد أمر الوليد بن عتبة بن أبي سفيان عامله على المدينة بقتل الحسين عليه السلام وإرسال رأسه الشريف إليه إن لم يبايع، ولعل هذا أول مبادرة لقتل الإمام عليه السلام.

قال اليعقوبي: «كتب (يزيد) إلى الوليد بن عتبة بن أبي سفيان وهو عامله على المدينة: إذا أتاك كتابي هذا فأحضر الحسين بن علي وعبدالله بن الزبير فخذهما بالبيعة لي، فإن امتنعا فاضرب أعناقهما وابعث لي برؤوسهما، وخذ الناس بالبيعة، فمن امتنع فأنفذ فيه الحكم وفي الحسين بن علي وعبدالله بن الزبير، والسلام» (١).

مسألة اغتيال الإمام الحسين عليه السلام في موسم الحج ص : ٥٥

: إن يزيد أمر باغتيال الإمام عليه السلام في موسم حج عام ٦٠ من الهجرة، قال العلامة المجلسي: «ولقد رأيت في بعض الكتب المعتمدة أن يزيد أنفذ عمرو بن سعيد بن العاص في عسكر عظيم وولاه أمر الموسم وأمره على الحاج كلهم، وكان قد أوصاه بقبض الحسين عليه السلام سرًا، وإن لم يتمكن منه يقتله غيلة، ثم إنه دس مع الحاج في تلك السنة ثلاثين رجلًا من شياطين بنى امية وأمرهم بقتل الحسين عليه السلام على أي حال اتفق» (٢).

وكتب الدكتور حسن إبراهيم حسن: «وقد قيل: إن الحسين كان يعرف ما يحدث به من خطر إذا بقي في مكة، لأن بنى امية سوف يتعقبونه حتى يقتلوه في الحجاز، لذلك آثر أن يكون قتله بعيداً عن البيت الحرام» (٣).

* رسائل يزيد حول قتل الحسين عليه السلام ص : ٥٥

: إنه كتب إلى عبيدالله بن زياد بقتال الحسين عليه السلام، وهناك عدة شواهد:

مع الרכب الحسيني (ج ٦)، ص : ٥٦

منها: ما روى ابن عبد ربه عن علي بن عبد العزيز عن محمد بن الضحّاك بن عثمان الخزاعي عن أبيه قال: «كتب يزيد إلى عبيدالله بن زياد وهو واليه بالعراق أنه بلغني أن حسيناً سار إلى الكوفة وقد ابتلى به زمانك بين الأزمان وبلدك بين البلدان، وابتليت به من بين العمّال، وعنده تعتق أو تعود عبداً...» (١).

وقال السيوطي: «وبعث أهل العراق إلى الحسين الرّسل والكتب يدعونه إليهم، فخرج من مكة إلى العراق في عشر ذي الحجة ومعه طائفة من آل بيته رجالاً ونساءً وصبياناً، فكتب يزيد إلى واليه بالعراق عبيدالله بن زياد بقتاله، فوجه إليه جيشاً أربعة آلاف عليهم عمر بن سعد بن أبي وقاص...»

.وفي نور الأبصار: «كتب عبيدالله بن زياد إلى الحسين كتاباً يقول فيه: أما بعد، فإن يزيد بن معاوية كتب إلي أن لا تفحص [تغمض]

جفئك من المنام ولا تشبع بطنك من الطعام إِمَّا أن يرجع الحسين إلى حكى أو تقتله والسلام» (٣).

اعتراف ابن زياد بذلك ص : ٥٦

: قال مسكويه الرازي «أته كتب يزيد إلى عبيدالله بن زياد أن أغز ابن الزبير، فقال: والله لا أجمعهما للفاسق أبداً، أقتل ابن رسول الله وأغزو البيت؟!» (٤).

زينب الكبرى تجعل مسؤلية قتل الحسين على عاتق يزيد ص : ٥٦

: قالت عليها السلام في مجلس يزيد: «أتقول ليت أشياخي يبدر شهدوا غير متأثم ولا مستعظم وأنت

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص : ٥٧

تنكت ثانياً أبي عبدالله بمخصرتك؟! ولم لا تكون كذلك وقد نكأت القرحة واستأصلت الشأفة يهراقك دماء ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله ونجوم الأرض من آل عبد المطلب، ولتردن على الله وشيكاً موردهم ولتودن أنك عميت وبكمت وأنك لم تقل فاستهلوا وأهلوا فرحاً.. فلئن اتخذتنا مغنماً لتتخذن مغرماً حين لا تجد إلماً قدمت يداك، تستصرخ بآبن مرجانه ويستصرخ بك وتتعاوى وأتباعك عند الميزان وقد وجدت أفضل زاد زودك معاوية قتلك ذرية محمد صلى الله عليه» (١).

وقالت في ضمن خطبتها مخاطبة له: «وفعلت فعلتك التي فعلت وما فريت إلماً جلدك وما جززت إللحمك وستردي على رسول الله بما تحملت من ذريته وانتهدت من حرمة وسفكت من دماء عترته ولحمته حيث يجمع به شملهم ويلم به شعثهم وينتقم من ظالمهم ويأخذ لهم بحقهم من أعدائهم ولا يستفزك الفرح بقتلهم.. فالعجب كل العجب لقتل الأتقياء وأسباط الأنبياء وسليل الأوصياء بأيدي الطلقاء الخبيثة، ونسل العهرة الفجرة تنطف أكفهم من دماننا..» (٢).

ابن عباس يحتمل يزيد مسؤلية قتل الإمام الحسين عليه السلام ص : ٥٧

: قال اليعقوبي: «إنه كتب في ضمن كتابه إلى يزيد... وأنت قتلت الحسين بن علي بفيك الكنكث، ولك الأثلب، إنك إن تمك نفسك ذلك لعازب الرأي وإنك لأنت المفئد المهور، لا تحسبني لا أباً لك نسيت قتلك حسيناً وفتيان بني عبد المطلب مصايح الدجى ونجوم الأعلام غادرهم جنودك مصرعين في صعيد مرملين بالتراب مسلوبين بالعراء لا مكفنين تسفى عليهم الرياح وتعاورهم الذئاب وتنشى بهم عرج الضباع، حتى أتاح الله لهم أقواماً لم يشركوا في دمائهم فأجنوهم في أكفانهم وبى

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص : ٥٨

والله وبهم عززت وجلست مجلسك الذي جلست يا يزيد.. فلا- شىء عندي أعجب من طلبك ودى ونصرى وقد قتلت بنى أبى وسيفك يقطر من دمي.. إني لأرجو أن يعظم جراحك بلسانى ونقضى وإبرامى فلا يستقر بك الجدل ولا يهملك الله بعد قتلك ثمرة رسول الله إلأقليلاً حتى يأخذك أخذاً أليماً، فيخرجك الله من الدنيا ذميماً أليماً» (١).

وقالوا إنه كتب إليه: «ما أنس طردك حسيناً من حرم الله وحرم رسوله وكتابك إلى ابن مرجانه تأمره بقتله، وإني لأرجو من الله أن يأخذك عاجلاً حيث قتلت عتره نبيه صلى الله عليه وآله ورضيت بذلك. أنسيت إنفاذ أعوانك إلى حرم الله لتقتل الحسين» (٢).

معاوية ابنه يحمله المسؤلية ص : ٥٨

: قال ضمن خطبته التي ألقاها بعد موت أبيه يزيد: «.. ثم قلد أبى وكان غير خليق للخير فركب هواه واستحسن خطاه وعظم رجاؤه فأخلفه الأمل وقصر عنه الأجل فقلت منعه وانقطعت مدته وصار في حضرته رهناً بذنبه وأسيراً بجرمه، وقال: إن أعظم الامور علينا

علمنا بسوء مصرعه وقبح منقلبه وقد قتل عتره الرسول وأباح الحرمه وحرّق الكعبه» (٣).

بعض بنى العباس يحمله المسؤولية ص : ٥٨

قيل: «إنه لما أحضرت حرم مروان إلى صالح بن علي بن عبدالله ليقتلن فقالت ابنة مروان الكبرى: يا عم أمير المؤمنين حفظ الله لك من أمرك ما تحب حفظه، نحن بناتك وبنات أخيك وابن عمك فليسعنا من عفوك ما أوسعكم من جورنا. قال: والله لا أستبقى منكم أحداً، ألم يقتل أبوك ابن أخى إبراهيم الإمام؟ ألم يقتل هشام بن عبد الملك زيد بن علي بن

معالركب الحسيني (ج ٦)، ص : ٥٩

الحسين وصلبه بالكوفة؟ ألم يقتل الوليد بن يزيد يحيى بن زيد وصلبه بخراسان؟ ألم يقتل ابن زياد الدعوى مسلم بن عقيل؟ ألم يقتل يزيد بن معاوية الحسين بن علي وأهل بيته؟ ألم يخرج إليه بحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم سبايا فوقفهنّ موقف السبي؟» (١).

رضاه بقتل الحسين عليه السلام بعد مقتله ص : ٥٩

قال السعد التفتازاني: «والحق أن رضا يزيد بقتل الحسين وإهاتته أهل بيت رسول الله مما تواتر معناه» (٢). قال الشبراوى: «قال أبو الفضل: وبعد أن وصل الرأس الشريف إلى دمشق وضع في طست بين يدي يزيد وصار يضرب ثناياه الشريفه بقضيب، ثم أمر بصلبه فصلب ثلاثة أيام بدمشق، وشكر لابن زياد صنيعه، وبالغ في إكرامه ورفعته حتى صار يدخل على نسائه» (٣). وقال سبط ابن الجوزي: والذي يدل على هذا أنه استدعى ابن زياد إليه وأعطاه أموالاً كثيرة وتحفاً عظيمة وقرب مجلسه ورفع منزلته وأدخله على نسائه وجعله نديمه، وسكر ليلة وقال للمغنى غنّ، ثم قال يزيد بديهياً:

اسقنى شربة تروى فؤادى ثم مل فاسق مثلها ابن زياد

صاحب السرّ والأمانة عندي ولتسدّد مغنمى وجهادى

قاتل الخارجى أعنى حسيناً ومبيد الأعداء والحساد (٤)

ونحسب من علائم رضا يزيد أمره بنصب الرأس الشريف على باب داره (٥).

معالركب الحسيني (ج ٦)، ص : ٦٠

أقوال العلماء فى المسأله ص : ٦٠

البلاذرى: ص : ٦٠

روى بأسانيد متعدده أشياء حول فسق وهو يزيد ثم قال: «ثم جرى على يده قتل الحسين وقتل أهل الحره ورمى البيت وإحراقه» (١).

القاضى ابن نعمان: ص : ٦٠

علّق على كلام يزيد لأسارى أهل البيت: (صيرتم أنفسكم عبيداً لأهل العراق ما علمت بمخرج أبى عبدالله حتى بلغنى قتله)، بقوله (القاضى ابن نعمان): «كذب عدوّ الله بل هو الذى جهّز إليه الجيوش» (٢).

المسعودى: ص : ٦٠

قال: «وليزيد وغيره أخبار عجيبة ومثالب كثيرة من شرب الخمر وقتل ابن بنت رسول الله و..» (٣).

ابن عقيل (٤٣١-٥١٣): ص : ٦٠

قال الباعوني: «ولقد قرأ قارئ بين يدي الشيخ العالم أبي الوفاء ابن عقيل رحمه الله «وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ» (٤)

، فبكى وقال: سبحان الله كان طمعه فيما قال: «فَلْيَبْتَكَرَنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ» (٥)

جاوزوا والله الحد الذي طمع فيه!

ضحوا بأشمط عنوان السجود به يقطع الليل تسيحاً وقرآنا

إى والله عمدوا إلى على بن أبى طالب بين صفيه فقتلوه، ثم قتلوا ابنه الحسين ابن فاطمة الزهراء وأهل بيته الطيبين الطاهرين بعد أن منعوهم الماء، هذا والعهد

مع الركب الحسينى (ج ٦)، ص : ٦١

بنيهم قريب، وهم القرن الذى رأوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ورأوه يقبل فمه وترشفه [يرشف ثناياه] فنكتوا على فمه وثناياه بالقضيب! تذكروا والله أحقاد يوم بدر وما كان فيه. وأين هذا من مطعم الشيطان وغاية أمله بتبكي آذان الأنعام؟ هذا مع قرب

العهد وسماع كلام رب الأرباب «قُلْ لَأَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى» (١)

، ستروا عقائدهم فى عصره مخافة السيف، فلما صار الأمر إليهم كشفوا قناع البغى والحيف «سَيَجْزِيهِمْ وَصَفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ» (٢)

الكلها الهراسى (٤٥٠-٥٠٤): ص : ٦١

وصفه بقوله: «هو اللأعب بالنرد والمتصيد بالفهد والتارك للصلوات والمدمن للخمر والقاتل لأهل بيت النبى» صلى الله عليه وآله وسلم (٣).

التفتازانى: ص : ٦١

فى شرح العقائد النسفية: «والحق أن رضا يزيد بقتل الحسين واستبشاره بذلك وإهانتة أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مما تواتر معناه وإن كان تفصيله آحاداً..» (٤).

الذهبي: ص : ٦١

قال الذهبي فى شأنه: «كان ناصبياً فظاً يتناول المسكر ويفعل المنكر افتتح دولته بقتل الحسين وختمها بوقعة الحرّة..» (٥).

الأجهورى: ص : ٦١

قال فى ضمن كلماته: «أطلق بعض العلماء جواز لعن يزيد بعينه لأنه أمر بقتل الحسين» (٦).

الشبراوى: ص : ٦١

قال: «وقد ذكر بعض الثقات: ولا يشك عاقل أن يزيد بن معاوية هو القاتل للحسين رضى الله عنه، لأنه الذى ندب عبيدالله بن زياد لقتل الحسين» (٧).

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٦٢

لماذا تنصّل من مسؤولية قتل الإمام عليه السلام ص : ٦٢

عندما نتصفّح تاريخ مأساه كربلاء نجد هناك كلمات صدرت من يزيد تشير الغرابة، وهي جديرة بالتأمل، من ذلك: «ويلي على ابن مرجانه، فعل الله به كذا، أما والله لو كانت بينه وبينه رحم ما فعل هذا» «١»، و «لعن الله ابن مرجانه، لقد وجدته بعيد الرحم منه» «٢»، «وما علمت بخروج أبي عبدالله حين خرج ولا- بقتله حين قتله» «٣»، «أحرزت أنفسكم عبيد أهل العراق وما علمت بخروج أبي عبدالله ولا بقتله» «٤»، «لعن الله ابن مرجانه أما والله لو أتى صاحبه ما سألتني خصله أبداً إلا أعطيتها إياه، ولدفعت الحتف عنه بكل ما استطعت ولو بهلاك بعض ولدي، ولكن الله قضى ما رأيت!» «٥»، «كنت أرضى من طاعتهم بدون قتل الحسين، لعن الله ابن سميئه، أما إنّي لو كنت صاحبه لعفوت عنه» «٦»، «.. لكن عبيدالله بن زياد لم يعلم رأيي في ذلك فعجل عليه بالقتل فقتله» «٧»، «أما والله يا حسين لو أنا صاحبك ما قتلتك»

«لو كان بينك وبين ابن مرجانه قرابه

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٦٣

لأعطاك ما سألت» «١»، «لعن الله ابن مرجانه، فوالله ما أمرته بقتل أبيك ولو كنت متولياً لقتاله ما قتلته» «٢»...

إنّ ما نجده من قبيل ذلك يرجع إلى ثلاثة أمور:

الأول: كذبه، فإنّ الرجل الذي يلهو ويفسق جهراً ويكفر بالربّ عياناً ليس بغريب عنه أن يكذب، كيف يدعى الجهل ويجعل المسؤولية على عاتق واليه عبيدالله بن زياد وهو المسبّب الأعلى لتلك الفاجعة العظمى!؟

أليس هو الذي كتب إلى واليه وليد يأمره بقتل الحسين إذا لم يبايع؟

أليس هو الذي أمر باغتيال الإمام في موسم الحجّ؟

أليس هو الذي أرسل الكتب إلى عبيدالله وأمره بقتال الحسين عليه السلام وقتله؟

إنّ كلّ هذه الأدلّة القويّة والشواهد القويمة تدلّ على مدى كذب الرجل.

الثاني: انقلاب الأوضاع وخوفه على زوال ملكه، والدليل على ذلك أنّه فرح بقتل الحسين في بادئ الأمر، لكنّه بعد ذلك وحينما رأى بوادر الفتنة والمشاكل العديدة في ملكه وفي قلب عاصمته وحتّى في بيته التجأ إلى إبراز الندم، وقد صرّح بذلك المؤرّخون؛ قال ابن الأثير: «قيل ولما وصل رأس الحسين إلى يزيد حسنت حال ابن زياد عنده وزاده ووصله وسرّه ما فعل، ثمّ لم يلبث إلّا يسيراً حتّى بلغه بغض الناس له ولعنهم وسبّهم، فندم على قتل الحسين» «٣».

ونقل نحوه الذهبي عن محمّد بن جرير بإسناده عن يونس بن حبيب قال:

«لما قتل عبيدالله الحسين وأهله بعث برؤوسهم إلى يزيد فسرّ بقتلهم أوّلًا ثمّ لم يلبث حتّى ندم على قتلهم» «٤».

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٦٤

وقال الشيخ محمّد الصبان: «ثمّ ندم لما مقته المسلمون على ذلك وأبغضه العالم وفي هذه القصّة تصديق لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: إنّ أهل بيتي سيلقون بعدى في امتي قتلاً وتشريداً، وإنّ أشرّ قومنا لنا بغضاً بنو أميّه وبنو مخزوم، رواه الحاكم» «١».

وتم شواهد متقنه سنوافيك بها في مبحث «انقلاب المعادله وخوف الفتنة».

الثالث: لا نستبعد أنّ هناك أيادي مرتزقة دسّوا بعض ذلك في كتب التاريخ والسير، لأجل أن يطهروا يزيد ويبرئوه عن بعض ما فعل - مع أنّه لا- يطهر ولو بإلقائه في ماء البحر- ويشوّهوا الأمر بعد ذلك! ويفتحوا المجال لمثل ابن تيمية وأذنايه، ولكن دون ذلك خرط القتاد.

يزيد في مرآة الحديث ص : ٦٤

روى ابن حجر عن أبي يعلى بسنده عن أبي عبيدة قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا يزال أمر امتي قائماً بالقسط حتى يكون أول من يثلمه رجل من بني امية يقال له يزيد». وقال: وأخرج الروياني في مسنده عن أبي الدرداء قال: سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: «أول من يبدل سنتي رجل من بني امية يُقال له يزيد» (٢). وروى عن الإمام الحسين عليه السلام أنه قال لأخيه محمد بن الحنفية: «يا أخي والله لو لم يكن في الدنيا ملجأ ولا مأوى لما بايعت مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٦٥ يزيد بن معاوية، فقد قال جدى صلى الله عليه وآله: اللهم لا تبارك في يزيد» (١).

يزيد في كلمات الإمام الحسين عليه السلام ص : ٦٥

كتب عليه السلام إلى معاوية: «.. اتق الله يا معاوية، واعلم أن لله كتاباً لا يغادر صغيره ولا كبيره إلا أحصاه، واعلم أن الله ليس بناس لك قتلك بالظنّة وأخذك بالتهمة وإمارتك صبيّاً يشرب الشراب ويلعب بالكلاب..» (٢). وفي كتابه إلى معاوية أيضاً: «ثم وليت ابنك وهو غلام يشرب الشراب ويلهو بالكلاب، فحُنت أمانتك وأخرت رعيتك، ولم تؤدّ نصيحة ربك، فكيف تولّى على أمّة محمد من يشرب المسكر؟ وشارب المسكر من الفاسقين، وشارب المسكر من الأشرار، وليس شارب المسكر بأمين على درهم فكيف على الأمّة؟!» (٣). وقال عليه السلام لمعاوية: «وفهمت ما ذكرته عن يزيد من اكتماله وسياسته لأمية محمد تريد أن توهم الناس في يزيد، كأنك تصف محجوباً، أو تنعت غائباً، أو تخبر عمّا كان ممّا احتويته مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٦٦ بعلم خاص، وقد دلّ يزيد من نفسه على موقع رأيه، فخذ ليزيد فيما أخذ به من استقرائه الكلاب المهارشّة عند التحارش والحمام السبق لأتراهين والقينات ذوات المعازف وضروب الملاهي تجده ناصراً ودع عنك ما تحاول..» (١). وقال عليه السلام له أيضاً: «من خير لامة محمد! يزيد الخمر الفجور؟!» (٢). وقال عليه السلام لعبدالله بن الزبير: «.. انظر أبا بكر (أتظنّ (٣) أنى أبايع ليزيد، ويزيد رجل فاسق معلى الفسق يشرب الخمر ويلعب بالكلاب والفهود، ويغض بقية آل الرسول؟! لا والله لا يكون ذلك أبداً» (٤). وقال لوليد بن عتبة:

«.. ويزيد رجل فاسق شارب الخمر قاتل النفس المحرمة معن بالفسق ومثلى لا يبيع لمثله..» «٥».

معالركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٦٧

وقال لمروان بن الحكم:

«.. إنا لله وإنا إليه راجعون وعلى الإسلام السلام إذ قد بُليت الأمة براع مثل يزيد.. ويحك أتا أمرني ببيعته يزيد وهو رجل فاسق لقد قلت شططا.. لا ألومك على قولك لأنك اللعين الذي لعنك رسول الله صلى الله عليه وآله وأنت في صلب أبيك الحكم بن أبي العاص، فإن من لعنه رسول الله صلى الله عليه وآله لا يمكن له ولا منه إلا أن يدعو إلى بيعته يزيد!» «١»

وقال عليه السلام:

«سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: (الخلافة محرمة على آل أبي سفيان وعلى الطلقاء أبناء الطلقاء، فإذا رأيتهم معاوية على منبري فأبقروا بطنه). فوالله لقد رآه أهل المدينة على منبر جدى فلم يفعلوا ما أمروا به فابتلاههم الله بابنه يزيد، زاده الله في النار عذاباً» «٢»

وقال عليه السلام لعبدالله بن عمر:

«أبا عبد الرحمن! أنا ابايع يزيد وأدخل في صلحه وقد قال النبي صلى الله عليه وآله فيه وفي أبيه ما قال؟» «٣»

معالركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٦٨

يزيد في نظر الصحابة والتابعين وبعض كبار القوم ص : ٦٨

إشارة

لقد جرت على لسان بعض الصحابة والتابعين والكبار من الناس كلمات حول يزيد بن معاوية عليه اللعنة- الذي وصفته زينب الكبرى سلام الله عليها بكونه عدو الله وابن عدو الله «١»- نذكر بعضها:

أبو هريرة: ص : ٦٨

قال الشراوى: «وروى ابن أبي شيبه وغيره عن أبي هريرة أنه قال: (اللهم لا تدركني سنة سئین ولا إمرة الصبيان)، وكانت ولاية يزيد فيها، انتهى» «٢».

ابن عباس: ص : ٦٨

قال الخوارزمي: «وذكر أبو الحسن السلامي البيهقي في تاريخه عن ابن عباس أنه قال: سبب زوال الدولة عن يزيد بن معاوية والله قتله الحسين عليه السلام» «٣».

عتبة بن مسعود: ص : ٦٨

حينما علم عتبة بن مسعود بإرادة ابن عباس لبيعته يزيد خوفاً، اعترضه بهذا الكلام- كما نقله ابن قتيبة- وقال: «أتبايع ليزيد وهو يشرب الخمر ويلهو بالقيان ويستهر بالفواحش» «٤».

ابن الزبير: ص : ٦٨

وفى تاريخ خليفه بإسناده عن بقیة بن عبد الرحمن عن أبيه قال:

«لما بلغ يزيد بن معاوية أن أهل مكة أرادوا ابن الزبير على البيعة فأبى، أرسل النعمان بن بشير الأنصارى وهمام بن قبيصة النميرى إلى ابن الزبير يدعونه إلى البيعة ليزيد على أن يجعل له ولاية الحجاز وما شاء وما أحب لأهل بيته من

مع الרכب الحسينى (ج ۶)، ص: ۶۹

الولاية، فقدم على ابن الزبير، فعرض عليه ما أمرهما به يزيد، فقال ابن الزبير:

«أأمرانى ببيعة رجل يشرب الخمر ويدع الصلاة ويتبع الصيد..!» (۱).

وجاء فى تذكرة الخواص: «ذكر الواقدى وهشام وابن إسحاق وغيرهم قالوا:

لما قُتل الحسين عليه السلام بعث عبدالله بن الزبير إلى عبدالله بن العباس ليبيعه وقال: أنا أولى من يزيد الفاسق الفاجر..» (۲).

وفى البدء والتاريخ: «وأما عبدالله بن الزبير فامتنع بمكة ولاذ بالكعبة ودعا الناس إلى الشورى وجعل يلعن يزيد وسماه الفاسق المتكبر..» (۳).

وفى البداية والنهاية: «أن ابن الزبير لما بلغه مقتل الحسين شرع يخطب الناس ويعظم قتل الحسين وأصحابه جداً ويعيب على أهل

الكوفة وأهل العراق ما صنعوه من خذلانهم الحسين، ويترحم على الحسين ويلعن من قتله ويقول:

(أما والله لقد قتلوه، طويلاً بالليل قيامه، كثيراً فى النهار صيامه، أما والله ما كان يستبدل بالقرآن الغناء والملاهى ولا بالبكاء من خشية

الله اللغو والحذاء ولا- بالصيام شرب المدام وأكل الحرام، ولا- بالجلوس فى حلق الذكر طلب الصيد- يعرض فى ذلك بيزيد بن

معاوية- فسوف يلقون غياً)، ويؤلب الناس على بنى أمية، ويحثهم على مخالفته وخلع يزيد» (۴).

سعيد بن المسيب: ص : ۶۹

قال اليعقوبى: «وكان سعيد بن المسيب يسمى سنى يزيد بن معاوية بالشؤم، فى السنة الاولى قتل الحسين بن على وأهل بيت رسول

مع الרכب الحسينى (ج ۶)، ص: ۷۰

الله، والثانية استبيح حرم رسول الله وانتهكت حرمة المدينة، والثالثة سفكت الدماء فى حرم الله وحرقت الكعبة» (۱).

عبدالله بن عفيف: ص : ۷۰

حينما قال عبيدالله بن زياد فى خطبته: (الحمد لله الذى أظهر الحق وأهله ونصر أمير المؤمنين يزيد وحزبه وقتل الكذاب بن الكذاب

حسين بن على وشيعته) وثب إليه عبدالله بن عفيف الأردى- وكان شيخاً كبيراً ضريراً قد ذهب بصره قد ذهب إحدى عينيه بصفتين

والاخرى يوم الجمل- قام فقال: «يا بن مرجانة! إن الكذاب ابن الكذاب لأنت وأبوك والذى ولأك وأبوه..» (۲).

وقال السيد محمد بن أبى طالب «أنه قال له ابن زياد: يا عدو نفسه، ما تقول فى عثمان؟ فقال: يا بن مرجانة ويا بن سمية الزانية، ما أنت

وعثمان أساء أم أحسن، أصلح أم أفسد؟ والله تعالى ولئى خلقه يقضى بينهم وبين عثمان بالعدل، ولكن سلى عنك وعن أبيك وعن

يزيد وأبيه» (۳).

عبدالله بن حنظلة: ص : ۷۰

قال ابن الجوزى: وكان ابن حنظلة يقول: «يا قوم، والله ما خرجنا على يزيد حتى خفنا أن نرمى بالحجارة من السماء، إن الرجل ينكح

الأمهات والبنات والأخوات ويشرب الخمر ويدع الصلاة، والله لو لم يكن معى أحد من الناس لأبليت لله فيه بلائاً حسناً» (۴).

عبدالله بن مطيع: ص : ٧٠

روى الذهبى عنه أنه قال فى شأن يزيد: «إنه يشرب الخمر ويترك الصلاة ويتعدى حكم الله» (٥).
معالركب الحسينى (ج ٦)، ص : ٧١

عبدالله بن عمرو بن حفص المخزومى: ص : ٧١

قال ابن الجوزى: «قال أبو الحسن المدائنى - وكان من الثقات -: أتى أهل المدينة المنبر فخلعوا يزيد، فقال عبدالله ابن عمرو بن حفص المخزومى: قد خلعت يزيد كما خلعت عمامتى - ونزعها من رأسه - وإنى لأقول هذا وقد وصلنى وأحسن جائزتى ولكن عدو الله سكير» (١).

عمرو بن حفص بن المغيرة - أبو زوجة يزيد: ص : ٧١

قال البيهقى: «ولما كان من أمر الحسين عليه السلام ما كان قدم عمرو بن حفص بن المغيرة وكان تزوج يزيد بن معاوية ابنته وأعطاه مالاً كثيراً، فلما قدم المدينة جاءه محمّد بن عمرو بن حزم وعبيدالله بن حنظلة وعبدالله بن مطيع بن الأسود وناس من وجوه أهل المدينة قالوا: ننشدك الله رب هذا البيت ورب صاحب هذا القبر إلا أخبرتنا عن يزيد، فقال: إنه يشرب الخمر وينادم القردة ويفعل كذا ويصنع كذا.
فقالوا: والله ما لنا بأهل الشام من طاقه، ولكن ما يحل لنا أن نبايع رجلاً على هذه الحال...»

وفد المدينة: ص : ٧١

قال ابن الجوزى: «لما دخلت سنة اثنتين وستين ولى يزيد عثمان بن محمّد ابن أبى سفيان المدينة، فبعث إلى يزيد وفداً من المدينة، فلما رجع الوفد أظهروا شتم يزيد وقالوا: قدمنا من عند رجل ليس له دين يشرب الخمر ويعزف بالطناير ويلعب بالكلاب، وإنا نشهدكم إننا قد خلعناه» (٣).

معاوية بن يزيد بن معاوية: ص : ٧١

قال فى دائرة المعارف: «قام بالأمر بعده ابنه معالركب الحسينى (ج ٦)، ص : ٧٢
معاوية بن يزيد بن معاوية لكنّه خلع نفسه بعد أربعين يوماً حباً بعلى وكرهاً لقتل الحسن والحسين ولأخذ جدّه الخلافة من بنى هاشم» (١).

وقال ابن حجر: «إنه لما ولى سعد المنبر فقال: إن هذه الخلافة جبل الله، وإن جدى معاوية نازع الأمر أهله ومن هو أحقّ به منه على بن أبى طالب وركب بكم ما تعلمون حتى أتته ميتته فصار فى قبره رهيناً بذنوبه، ثم قلبد أبى الأمر وكان غير أهل له ونازع ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقصف عمره وانبتت عقبه وصار فى قبره رهيناً بذنوبه» (٢).

عمر بن عبد العزيز: ص : ٧٢

روى ابن حجر أنه قال نوفل بن أبى عقرب: «كنت عند عمر بن عبد العزيز فذكر رجلاً يزيد بن معاوية فقال: (قال أمير المؤمنين

يزيد)، فقال عمر: (تقول أمير المؤمنين يزيد؟! وأمر به فضرب عشرين سوطاً) «٣».

يزيد في أقوال العلماء ص : ٧٢

إشارة

ذكرنا في مطاوى المباحث السابقة أقوالاً لكبار العلماء والمؤرخين والمفسرين - حول هذه الجرثومة الفاسدة الطاغية - ما يناسب بعض زوايا حياته السوداء، ونذكر هنا بعض ما يكون أعم وأشمل منها:

١- الإمام ابن حنبل: ص : ٧٢

روى ابن الجوزى بإسناده عن مهنا بن يحيى قال:

«سألت أحمد عن يزيد بن معاوية، فقال: هو الذى فعل بالمدينة ما فعل. قلت:

وما فعل بها؟ قال: نهبا. قلت: فنذكر عنه الحديث؟ قال: لا يُذكر عنه الحديث ولا [كرامة]، لا ينبغي لأحد أن يكتب عنه حديثاً. قال:

ومن كان معه حين فعل ما

مع الركب الحسينى (ج ٦)، ص: ٧٣

فعل؟ قال: أهل الشام» «١».

وقال ابن الجوزى فى المنتظم: «وقد أسند يزيد بن معاوية الحديث، فروى عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وإسنادنا إليه متصل! غير أن الإمام أحمد سئل أيروى عن يزيد الحديث؟ فقال: "لا ولا كرامة، فلذلك امتنعنا أن نسند عنه" «٢».

٢- مجاهد: ص : ٧٣

ذكر سبط ابن الجوزى عن ابن أبى الدنيا قال: «قال مجاهد: فوالله لم يبق فى الناس أحد إلا من سبه وعابه وتركه (أى يزيد بن معاوية)» «٣».

٣- الكيا الهراسى: ص : ٧٣

وحكى عن ذيل تاريخ نيسابور أنه كان قد سئل عن يزيد بن معاوية، فقدح فيه وشطح وقال: «لو مدت بياض لمددت العنان فى

مخازى هذا الرجل، فأما قول السلف فلأحمد ومالك وأبى حنيفة قولان تلويح وتصريح، ولنا قول واحد التصريح، وكيف لا وهو

اللاعب بالنرد والمتصيد بالفهود ومدمن الخمر، وهو القائل:

أقول لصحب ضمت الكأس شملهم وداعى صبابات الهوى يترنم

خذوا بنصيب من نعيم ولذة فكل وإن طال المدى يتصرم

ولا تتركوا يوم السرور إلى غد فرب غد يأتى بما ليس يعلم» «٤»

٤- ابن الجوزى: ص : ٧٣

قال: «ليس العجب من فعل عمر بن سعد وعبيدالله بن زياد، وإنما العجب من خذلان يزيد وضربه بالقضيب على ثنية الحسين وإعادته

إلى المدينة.. لبلوغ الغرض الفاسد، أفيجوز أن يفعل هذا بالخوارج؟! أوليس فى

معالركب الحسينى (ج ۶)، ص: ۷۴

الشرع أنهم يُصلّى عليهم ويدفنون، وأما قوله: (لى أن أسبيهم) فأمر لا يقع لفاعله ومعتقده إلاً اللعنة، ولو أنه احترم الرأس حين وصوله وصلّى عليه ولم يتركه فى طست ولم يضربه بقضيب ما الذى كان يضربه وقد حصل مقصوده من القتل؟ ولكن أحقاد جاهلية ودليلها ما تقدّم من إنشاده: لىت أشياخى بيدرٍ شهدوا» (۱).

وقال: «واعلم أنه ما رضى ببيعه يزيد أحد ممّن يعول عليه حتى العوام أنكروا ذلك، غير أنهم سكتوا خوفاً على أنفسهم.. وأجمع العلماء على أنه لا يجوز التنصيص على إمام بالتشهى وأنه لا بدّ من صفات وصفات الإمام وشروط الإمامة جمعها الحسين عليه السلام لا يقاربه فيها أحد من أهل زمانه.. وإذا ثبت أن الصحابة كانوا يطلبون الأفضل ويرونه الأحقّ أفيشكّ أحد أن الحسين أحقّ بالخلافة من يزيد؟ لا بل من هو دون الحسين فى المنزلة كعبد الرحمن بن أبى بكر وعبدالله بن عمر وعبدالله بن الزبير وعبدالله بن عباس، وما فى هؤلاء إلامن له صحبة ونسب ونجدة وكفاية وورع وعلم وافر لا يقاربهم يزيد، فبأى وجه يستحقّ التقديم؟ وما رضى ببيعه يزيد عالم ولا جاهل، ولو قيل لأجهل الناس أيهما أصلح الحسين أو يزيد؟ لقال الحسين، فبان بما ذكرنا أن ولاية يزيد كانت قهراً وإنما سكت الناس خوفاً، ومن جملة من خرج ولم يبايع ابن عمر! فلما خاف على نفسه بايع..» (۲).

۵- ابن أبى الحديد ص : ۷۴

رداً على بعض: «وكذا القول فى الحديث الآخر وهو قوله (القرن الذى أنا فيه خير .. ثم الذى يليه) ومما يدلّ على بطلانه أن القرن الذى جاء بعده بخمسين سنة شرّ قرون الدنيا وهو أحد القرون التى ذكرها فى

معالركب الحسينى (ج ۶)، ص: ۷۵

النصّ وكان ذلك القرن هو القرن الذى قتل فيه الحسين، وأوقع بالمدينة وحوصرت مكّة ونقضت الكعبة وشربت خلفاؤه القائمون مقامه والمنتصبون أنفسهم فى منصب النبوة الخمرور وارتكبوا الفجور كما جرى ليزيد بن معاوية وليزيد بن عاتكة وللولىد بن يزيد.. وإذا تأملت كتب التواريخ وجدت الخمسين الثانية شرّاً كلّها لا خير فيها، فكيف يصحّ هذا الخبر؟» (۱)

۶- سيّد الحفظاء شهر دار بن شيرويه الديلمى: ص : ۷۵

قال الخوارزمى:

«وأخبرنى سيّد الحفظاء- ثمّ ذكر إسناد الخبر إلى عبدالله بن بدر الخطمى- عن النبىّ صلى الله عليه وسلم يقول: (من أحبّ أن يبارك فى أجله وأن يمتّع بما خوّله الله تعالى فليخلفنى فى أهلى خلافة حسنة، ومن لم يخلفنى فيهم بتك عمره وورد على يوم القيامة مسوداً وجهه) قال: فكان كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فإنّ يزيد بن معاوية لم يخلفه فى أهله خلافة حسنة فبتك عمره، وما بقى بعد الحسين عليه السلام إلاً قليلاً، وكذلك عبيدالله بن زياد لعنهما الله» (۲).

۷- مجد الأئمة: ص : ۷۵

روى الخوارزمى بإسناده: «عن عبدالله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (من ذبح عصفوراً بغير حقّه سأله الله عنه يوم القيامة)، وفى رواية أخرى: (من ذبح عصفوراً بغير حقّ ضجّ إلى الله تعالى يوم القيامة منه، فقال: ياربّ إن هذا ذبحنى عبثاً ولم يذبحنى منفعة) ثمّ قال: قال مجد الأئمة:

هذا لمن ذبح عصفوراً بغير حقّ، فكيف لمن قتل مؤمناً؟! فكيف لمن قتل ریحانه رسول الله صلى الله عليه وآله وهو الحسين عليه

السلام؟» (٣)

معالركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٧٦

٨- ابن تيمية: ص: ٧٦

حكى عن ابن تيمية أنه حكم بضالته، حيث قال ما معناه:
«ومن الناس من يرى يزيد رجلاً صالحاً وإمام عدل، وهذا قول بعض الضلال ..» (١).

٩- صاحب الميزان: ص: ٧٦

قال صاحب شذرات الذهب: «وقال فيه (يزيد) في الميزان: إنه مقدوخ في عدالته ليس بأهل أن يروى عنه» (٢).

١١- ابن حجر: ص: ٧٦

قال الشبراوي: «قال العلامة ابن حجر في شرح الهمزية: إن يزيد قد بلغ من قبائح الفسق والانحلال عن التقوى مبلغاً لا يستكثر عليه صدور تلك القبائح منه» (٣).

١٢- الجوهرى: ص: ٧٦

ذكر العلامة المحمودى أنه أنشد في ناصبى أحق:
رأيت فتى أشقراً أزرقاً قليل الدماغ كثير الفضول
يفضل من حمقه دائماً يزيد ابن هند على ابن البتول (٤)

١٣- ابن حزم: ص: ٧٦

قال في شذرات الذهب: «وعدّ ابن حزم خروم الإسلام أربعة: قتل عثمان وقتل الحسين ويوم الحرة وقتل ابن الزبير» (٥).

١٤- العلامة الحجة الأمينى: ص: ٧٦

ولنختم المقال بما ذكره العلامة الحجة البحائى الشيخ الأمينى:
«... نعم تمت تلك البيعة المشومة مع فقدان أى جدارة وحنكة فى يزيد،

معالركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٧٧

تؤهله لتسّم عرش الخلافة على ما تردى به من ملابس الخزي وشيئ العار من معاقرة الخمر، ومباشرة الفجور، ومنادمة القيان ذوات المعازف، ومحارشة الكلاب، إلى ما لا يتناهى من مظاهر الخزية، وقد عرفته الناس بذلك كله منذ أولياته وعزفه به اناس آخرون..» (١).

موته ص: ٧٧

قال ابن قتيبة الدينورى: «كانت ولاية يزيد ثلاث سنين وشهوراً وهلك بحوارين من عمل دمشق سنة أربع وستين وهو ابن ثمان

وثلاثين سنة» (٢).

وروى الذهبي عن محمد بن أحمد بن مسمع قال: «سكر يزيد، فقام يرقص فسقط على رأسه فانشقّ وبدا دماغه» (٣). وفيه يقول الشاعر:

يا أيها القبر بحوارينا ضمنت شرّ الناس أجمعينا (٤)

روى عن عمر بن عبد العزيز أنه قال: «رأيت فيما يرى النائم أن القيامة قد قامت- إلى أن قال:- ثم مررت على واد من نار فإذا رجل فيه، كلما أراد أن يخرج قمع بمقامع من حديد فهوى، فقلت: مَنْ هذا؟ قيل: يزيد بن معاوية» (٥). مع الركب الحسينى (ج ٦)، ص: ٨١

الفصل الأول: دور أهل البيت في الشام ص : ٨١

الشام قبل ورود أهل البيت عليهم السلام ص : ٨١

ظهور الآيات في الشام بعد مقتل الحسين عليه السلام ص : ٨١

رُويت عدّة روايات حول ظهور آيات كونيّة في الشام بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام (١)، نذكر بعضها: روى الطبراني بإسناده عن ابن شهاب قال: «ما رُفِعَ بالشام حجر يوم قتل الحسين بن علي إلا عن دم، رضى الله عنه» (٢). وقال الزرندي: «روى أبو الشيخ في كتاب السنّة.. بسنده إلى يزيد بن أبي زياد قال: شهدت مقتل الحسين وأنا ابن خمس عشرة سنة فصار الفرس (٣) في

مع الركب الحسينى (ج ٦)، ص: ٨٢

عسكرهم رماداً واحمّرت السماء لقتله، وانكسفت الشمس لقتله حتّى بدت الكواكب نصف النهار، وظنّ الناس أن القيامة قد قامت ولم يُرفِع حجر في الشام إلا رُوى تحته دم عبيط» (١).

وقال محبّ الدّين الطبري: «روى عن جعفر بن سليمان قال: حدّثتني خالتي أمّ سالم قالت: لمّا قُتل الحسين مُطرنا مطراً كالدم على البيوت والحدرد، قالت:

وبلغنى أنّه كان بخراسان والشام والكوفة» (٢).

حالة الناس ص : ٨٢

إنّ قتل الحسين عليه السلام أفجع كلّ الناس ما خلا السلطنة الحاكمة وبنو أمية وأهالي دمشق والبصرة- على ما في بعض الروايات:- روى الشيخ الجليل جعفر بن محمد بن قولويه بإسناده عن يونس بن ظبيان وأبي سلمة السّراج والمفضّل بن عمر قالوا: سمعنا أبا عبد الله عليه السلام يقول:

«لمّا مضى الحسين بن عليّ عليهما السلام بكى عليه جميع ما خلق الله إلّا ثلاثة أشياء: البصرة ودمشق وآل عثمان» (٣)

.وروى الشيخ الطوسي بإسناده عن الحسين بن فاختة عن أبي عبد الله جعفر بن محمد عليهما السلام، قال: «إنّ أبا عبد الله الحسين عليه السلام لمّا قُتل بكّت عليه السماوات السبع والأرضون السبع وما فيهنّ وما بينهنّ ومن يتقلّب في الجنّة والنار وما يُرى وما لا يُرى

إِلَّا ثَلَاثَةً أَشْيَاءَ فَإِنَّهَا لَمْ تَبْكِكْ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ: جُعِلَتْ فِدَاكَ وَمَا هَذِهِ الثَّلَاثَةُ

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٨٣

أشياء التي لم تبكك عليه؟ فقال: البصرة ودمشق وآل الحكم بن أبي العاص» (١).

ولاشك أن المقصود من البصرة ودمشق أهلها، كما في قوله تعالى: (وَأَسْأَلُ الْقَوِيَّةَ) (٢) أي أهلها.

أما أهل دمشق فلطول زمان تسلط بنى أمية عليهم وبث الفتنة والدعايات الكاذبة ضد آل بيت النبي صلى الله عليه وآله في هذا المصر. وأما البصرة فحسبها أنها البلدة التي اتخذها الناكثون موضعاً للوقوف في وجه الإمام المفترض الطاعة علي بن أبي طالب عليه السلام، ولبقاء آثار حرب الجمل دور لا يمكن التغافل عنه.

وأما آل عثمان وآل الحكم بن أبي العاص فإنهم من بنى أمية الشجرة الملعونة في القرآن، كما تقدم. المهم أن أهل الشام لم يتأثروا في بادئ الأمر بقتل الحسين عليه السلام، بل راحوا يهنتون يزيد بالفتح!!

أمر يزيد بإرسال رأس الإمام عليه السلام وأسرته إلى الشام ص : ٨٣

إشارة

أمر يزيد عبيد الله بن زياد بإرسال الرأس الشريف وبقية عتره الرسول صلى الله عليه وآله «٤»؛ ممن صرح بهذا الأمر ابن سعد، فإنه نقل بإسناده عن عامر، قال: «وقدم رسول من قبل يزيد بن معاوية يأمر عبيد الله أن يرسل إليه بثقل الحسين ومن بقي من ولده وأهل بيته ونسائه، فأسلفهم أبو خالد ذكوان عشرة آلاف درهم، فتجهزوا بها» (٥).

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٨٤

وقال السيد ابن طاووس: «وأما يزيد بن معاوية فإنه لما وصل إليه كتاب ابن زياد ووقف عليه، أعاد الجواب إليه يأمره فيه بحمل رأس الحسين عليه السلام ورؤوس من قتل معه وبحمل أثقاله ونسائه وعياله» (١).

وقال ابن الجوزي: «ثم دعا ابن زياد زحر بن قيس فبعث معه برأس الحسين ورؤوس أصحابه إلى يزيد، وجاء رسول من قبل يزيد فأمر عبيد الله أن يرسل إليه بثقل الحسين ومن بقي من أهله» (٢).

ومما يؤيد ذلك ما نقله الطبري وابن الأثير عن هشام الكلبي عن مجيء بريد من يزيد بن معاوية إلى عبيد الله حاملاً كتابه إليه بأن سرح الأسارى إلى (٣).

من حمل الرأس الشريف؟ ص : ٨٤

إشارة

وقع خلاف بين أهل السير في من دُفع إليه رأس الحسين عليه السلام ورؤوس أصحابه الأوفياء حتى يحملها إلى يزيد، والأقوال ثلاثة:

أ) زحر بن قيس الجعفي ص : ٨٤

هذا هو رأي الأغلب (٤)، يؤيده ما رواه الطبري الإمامي بإسناده عن إبراهيم بن سعد أنه كان مع زهير بن القين حين صحب الحسين

عليه السلام، فقال له: «يازهير، اعلم أن هاهنا مشهدي، ويحمل هذا من جسدي - يعني رأسه - زحر بن قيس، مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٨٥

فيدخل به علي يزيد يرجو نواله، فلا يعطيه شيئاً». «١»

وكان معه أبو بردة بن عوف الأزدي، وطارق بن أبي ظبيان في جماعة من أهل الكوفة.

قال الشيخ المفيد: «ولما فرغ القوم من التطواف به - أي بالرأس الشريف - بالكوفة ردّوه إلى باب القصر فدفعه ابن زياد إلى زحر بن قيس ودفع إليه رؤوس أصحابه وسرّحه إلى يزيد بن معاوية عليهم لعائن الله ولعنة اللاعنين في السماوات والأرضين، وأنفذ معه أبا بردة بن عوف الأزدي وطارق بن أبي ظبيان في جماعة من أهل الكوفة، حتى وردوا بها على يزيد بدمشق» «٢».

ب) محفّز بن ثعلبة العائذي ص : ٨٥

صرّح بذلك البلاذري، قال: «وأمر عبيد الله بن زياد بعلي بن الحسين فُغّل بغلّ إلى عنقه وجَهّز نساءه وصبياناه ثم سرح بهم مع محفّز بن ثعلبة من عائدة قريش وشمر بن ذي الجوشن» «٣».

ونقل عن عوانة بن الحكم أنه قال: «قتل الحسين بكر بلاء، قتله سنان بن أنس واحتزّ رأسه خولى بن يزيد وجاء به إلى ابن زياد فبعث به إلى يزيد مع محفّز بن ثعلبة» «٤».

ج) عمر بن سعد ص : ٨٥

تفرّد بذكره الشبراوي، قال: «ويقال: إن الذي حضر بالرأس إلى الشام عمر

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٨٦

بن سعد بن أبي وقاص، وفي عتق علي بن الحسين ويديه الغلّ» «١».

أهل البيت عليهم السلام في الشام ص : ٨٦

أصبح أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله أسارى! ص : ٨٦

هذه هي الفاجعة الكبرى، والمأساة العظمى، جاءوا إلى الشام وعلى رأسهم سيّد العابدين وزين المتهجّدين علي بن الحسين عليه السلام، وقد جعل الغلّ في عنقه ويده «٢»، يحمله بغير يطلع بغير وطاء، والأسارى من أهل بيت الرسول من النساء والصبيان راكبين أقتاباً يابسه، ورأس الحسين عليه السلام على علم، وحولهم الجنود بالرماح إن دمعت عين أحدهم قُرع رأسه بالرمح، ساقوا بهم من منزل إلى منزل كما تساق أسارى الترك والديلم..

نعم إنهم جاءوا إلى الشام مشدودين على أقتاب الجمال موثوقين بالحبال، والنساء مكشفات الوجوه و... إنّا لله وإنّا إليه راجعون.

روى عن زينب الكبرى سلام الله عليها أنها قالت: «قد علم الله ما صار إلينا.

قُتل خيرنا، وانسقنا كما تُساق الأنعام، وحملنا على الأقتاب» «٣»!

وجاء في رسالة ابن عباس ليزيد: «ألا - ومن أعجب الأعاجيب - وما عشت أراك الدهر العجيب - حملك بنات عبد المطلب وغلّمه صغاراً من ولده إليك بالشام كالسبي المجلوب ترى الناس أنك قهرتنا وأنك تأمر علينا، ولعمري لئن كنت تصبح وتمسى آمناً لجرح يدي ...» «٤».

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٨٧
 وقال ابن حبان: «ثم أنفذ عبيدالله بن زياد رأس الحسين بن علي إلى الشام مع أسارى النساء والصبيان من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله على أقتاب مكشّفات الوجوه والشعور» (١).
 وقال: «ثم أركب الأسارى من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من النساء والصبيان أقتاباً يابسه مكشّفات الشعور، وادخلوا دمشق كذلك» (٢).
 وقال ابن عبد ربه: «وحمل أهل الشام بنات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سبايا على أحقاب الإبل» (٣).
 واليعقوبي: «وأخرج عيال الحسين وولده إلى الشام ونُصب رأسه على رمح» (٤).
 وقال ابن أعمش والخوارزمي: «فسار القوم بحرم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الكوفة إلى بلاد الشام على محامل بغير وطاء من بلد إلى بلد ومن منزل إلى منزل كما تُساق أسارى الترك والديلم» (٥).
 وقال سبط ابن الجوزي: «ولما أسلم وحشى قاتل حمزة قال له رسول الله: غيب وجهك عني، فإني لا أحبّ من قتل الأخبه، قال هذا والإسلام يجب ما قبله، فكيف يقدر الرسول أن يرى من ذبح الحسين وأمر بقتله وحمل أهله على أقتاب الجمال؟!» (٦).
 وقال الباعوني: «وحمل أهل الشام بنات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سبايا على مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٨٨
 الأقتاب» (١).

وفى شذرات الذهب: «ولما تمّ قتله حمل رأسه وحرم بيته وزين العابدين معهم إلى دمشق كالسبايا، قاتل الله فاعل ذلك وأخزاه ومن أمر به أو رضيه» (٢).
 وقال الشبراوي: «ثم أرسل بها إلى يزيد بن معاوية وأرسل معه الصبيان والنساء مشدودين على أقتاب الجمال موثوقين بالحبال والنساء مكشّفات الوجوه والرؤوس» (٣).
 وقال: «ومن عجائب الدهر الشنيعة وحوادثه الفظيعة أن يحمل آل النبي صلى الله عليه وآله وسلم على أقتاب الجمال موثقين بالحبال والنساء مكشّفات الوجوه والرؤوس، من العراق إلى أن دخلوا دمشق، فأقيموا على درج الجامع حيث يقام الأسارى والسبي، والأمر كلّ لله، لا حول ولا قوة إلاّ به» (٤).
 وقال السيد محمد بن أبي طالب: «فسار بهم محفّز حتى دخل الشام كما يُسار بسبايا الكفار، ويتصفّح وجوههم أهل الأقطار» (٥).

كيف ورد أهل بيت الحسين عليه السلام دمشق؟! ص : ٨٨

لقد دخل أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دمشق نهراً وأهلها قد علّقوا الستور والحجب والديباج، فرحين مستبشرين، ونساءهم يلعبن بالدفوف، ويضربن على الطبول، كأنه العيد الأكبر عندهم.

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٨٩

روى الخوارزمي بإسناده عن زيد عن أبيه عليه السلام قال: «إن سهل بن سعد قال: خرجت إلى بيت المقدس حتى توسّطت الشام فإذا أنا بمدينة مطّردة الأنهار كثيرة الأشجار قد علّقوا الستور والحجب والديباج وهم فرحون مستبشرون وعندهم نساء يلعبن بالدفوف والطبول، فقلت في نفسي: لعلّ لأهل الشام عيداً لا نعرفه نحن. فرأيت قوماً يتحدّثون، فقلت: يا هؤلاء ألكم بالشام عيد لا نعرفه نحن؟

قالوا: يا شيخ نراك غريباً! فقلت: أنا سهل بن سعد قد رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحملت حديثه، فقالوا: يا سهل ما أعجبك السماء لا تمطر دماً والأرض لا تخسف بأهلها. قلت: ولم ذاك؟ فقالوا: هذا رأس الحسين عتره رسول الله صلى الله عليه وآله يهدى من أرض العراق إلى الشام وسيأتي الآن. قلت: واعجبا! يهدى رأس الحسين والناس يفرحون؟! فمن أي باب يدخل؟ فأشاروا إلى باب يقال له باب الساعات، فسرت نحو الباب، فبينما أنا هنالك إذ جاءت الرايات يتلو بعضها بعضاً وإذا أنا بفارس بيده رمح منزوع السنان وعليه رأس من أشبه الناس وجهاً برسول الله، وإذا النسوة من ورائه على جمال بغير وطاء، فدنوت من إحداهن فقلت لها: يا جارية، من أنت؟ فقالت: أنا سكينه بنت الحسين. فقلت لها: ألك حاجة إليّ - فأنا سهل بن سعد، ممن رأى جدك وسمعت حديثه؟ قالت: يا سهل، قل لصاحب الرأس أن يتقدم بالرأس أمامنا حتى يشتغل الناس بالنظر إليه فلا ينظرون إلينا، فنحن حرم رسول الله. قال: فدنوت من صاحب الرأس وقلت له: هل لك أن تقضى حاجتي وتأخذ مني أربعمائه دينار؟ قال: وما هي؟ قلت: تقدم الرأس أمام الحرم، ففعل ذلك، ودفعت له ما وعدته..» (١).

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٩٠

إن هذه الرواية تكشف عن عدة نقاط:

١- الوضع العام، المتمثل بحالة الفرح والانبساط والاشتغال باللهو، وهي ناشئة عن الجهل السائد، وقد بينا جذوره في مدخل هذا الكتاب.

٢- الوضع الخاص، وهو وجود ضمائر حيية تعرف الأمور، وتميز الحق من الباطل، ممن رأى سهل بن سعد بعضهم مصادفة، وسمع منهم هذا الكلام:

(يا سهل ما أعجبك السماء لا تمطر دماً والأرض لا تخسف بأهلها، هذا رأس الحسين عتره رسول الله صلى الله عليه وآله يهدى من أرض العراق إلى الشام)، وأغلب الظن أنهم قاموا بدور مهم في إيقاظ الناس، بعدما فسح لهم المجال، إلى جانب الدور المهم الذي أداه أهل بيت الحسين عليه السلام في الشام، وإن لم نعلم تفاصيل ذلك.

٣- اهتمام حرم الحسين عليه السلام بمسألة الحجاب وحفظ مكانة المرأة في الإسلام، مع كونهم في مأساة كبيرة لا تتصورها العقول، فلقد قدموا من سفر بعيد، ونالت منهم جراحات اللسان والسنان ما نالت، ومع ذلك تقول سكينه: «قل لصاحب الرأس أن يتقدم بالرأس أمامنا حتى يشتغل الناس بالنظر إليه فلا ينظرون إلينا، فنحن حرم رسول الله».

ونحو ذلك ما رواه السيد ابن طاووس وابن نما، قال- واللفظ للأول-: «قال الراوى: وسار القوم برأس الحسين عليه السلام ونسائه والأسرى من رجاله فلما قربوا من دمشق دنت أم كلثوم من الشمر- وكانت من جملتهم- فقالت: لى إليك حاجة، فقال: وما حاجتك؟ قالت: إذا دخلت بنا البلد فاحملنا فى درب قليل النظارة، وتقدم إليهم أن يخرجوا هذه الرؤوس من بين المحامل وينحونا عنها، فقد خزينا من كثرة النظر إلينا ونحن فى هذه الحال، فأمر فى جواب سؤالها أن تجعل

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٩١

الرؤوس على الرماح فى أوساط المحامل - بغيًا منه وكفرًا- وسلك بهم بين النظارة على تلك الصفة، حتى أتى بهم إلى باب دمشق، فوقفوا على درج باب المسجد الجامع حيث يقام السبي» (١).

وروى أن السبايا لما وردوا مدينة دمشق أدخلوا من باب يقال له باب «توما» (٢).

وروى محمد بن أبى طالب قال: «إن رؤوس أصحاب الحسين وأهل بيته كانت ثمانية وسبعين رأساً واقتسمتها القبائل ليتقربوا بذلك إلى عبيد الله وإلى يزيد» (٣).

كيف ينطق الرأس الشريف؟ وما الذى نطق به؟ لقد نطق بالقرآن لكى يثبت للجمع أنه شهيد القرآن، وإذا كان هو القرآن الناطق فى حياته، فكيف لا ينطق به بعد استشهاده؟!

المروى فى التاريخ أن الرأس الشريف تلا هذه الآية الشريفة (فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) «٤»
 روى ابن عساكر عن الأعمش عن سلمة بن كهيل قال: «رأيت رأس الحسين بن على رضى الله عنه على القنا وهو يقول: (فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)»

معالركب الحسينى (ج ٦)، ص: ٩٢

وجاء فى مختصر تاريخ دمشق لابن منظور:

«وقال: إن كل راو لهذا الحديث قال لمن رواه له: الله إنك سمعته من فلان؟

قال: الله إنى سمعته منه، إلى الأعمش، قال الأعمش: فقلت لسلمة بن كهيل: الله إنك سمعته منه؟ قال: الله إنى سمعته منه بباب الفرديس بدمشق لا مثل لى ولا شبه لى وهو يقول: (فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)» «١»

تكم رأس الحسين عليه السلام بدمشق ص : ٩٢

أخرج ابن عساكر بإسناده عن المنهال بن عمرو قال: أنا والله رأيت رأس الحسين بن على حين حُمل وأنا بدمشق وبين يدي الرأس رجل يقرأ سورة الكهف حتى بلغ قوله: (أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا) «٢»
 ، قال:

فأنطق الرأس بلسان ذرب فقال: «أعجب من أصحاب الكهف قتلى وحملى» «٣».

وروى ابن شهر آشوب عن الحافظ السروى أنه قال: «وسمع أيضاً صوته عليه السلام بدمشق: لا قوة إلا بالله» «٤»

معالركب الحسينى (ج ٦)، ص: ٩٣

على درج المسجد ص : ٩٣

أمر يزيد عليه اللعنة بإيقاف الأسارى من اسره الرسول صلى الله عليه وآله بدرج المسجد حيث توقف الأسارى لينظر الناس إليهم، صرح بذلك المؤرخون ومنهم مطهر بن طاهر المقدسى «١»، وابن العبرى «٢»، قال- واللفظ للأخير:- «ثم بعث (أى ابن زياد) به (أى رأس الحسين عليه السلام) وبأولاده إلى يزيد بن معاوية فأمر نساءه وبناته فأقمن بدرج المسجد حيث توقف الأسارى لينظر الناس إليهم».

مع الشيخ الشامى ص : ٩٣

قال ابن أعمش: «وأتى بحرم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى أدخلوا من مدينة دمشق من باب يقال له "باب توما"، ثم أتى بهم حتى وقفوا على درج باب المسجد حيث يقام السبى، وإذا بشيخ قد أقبل حتى دنا منهم وقال: الحمد لله الذى قتلكم وأهلككم، وأراح الرجال من سطوتكم، وأمكن أمير المؤمنين! منكم».

فقال له على بن الحسين: يا شيخ هل قرأت القرآن؟

فقال: نعم قرأته.

قال: فعرفت هذه الآية: (قُلْ لَأَسْأَلَنَّكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) «٣»؟

فقال الشيخ: قد قرأت ذلك.

مع الركب الحسينى (ج ٦)، ص: ٩٤

فقال على بن الحسين رضى الله عنه: فنحن القربى يا شيخ!

قال: فهل قرأت فى «بنى إسرائيل»: (وَأْتِ ذَا الْقُرْبَى حَقًّا) «١»؟

فقال الشيخ: قد قرأت ذلك.

فقال على رضى الله عنه: نحن القربى يا شيخ! ولكن هل قرأت هذه الآية: (وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى) «٢»

فنحن ذو القربى يا شيخ، ولكن هل قرأت هذه الآية: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) «٣»؟
فقال الشيخ: قد قرأت ذلك.

فقال: فنحن أهل البيت الذين خصصنا بآية الطهارة.

قال: فبقى الشيخ ساعه ساكتاً نادماً على ما تكلمه، ثم رفع رأسه إلى السماء وقال: اللَّهُمَّ إِنِّي تَائِبٌ إِلَيْكَ مِمَّا تَكَلَّمْتَهُ وَمِنْ بَغْضِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أBRأ إِلَيْكَ مِنْ عَدُوِّ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ مِنَ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ «٤».

وفى اللهوف قال: قال الراوى: «بقى الشيخ ساكتاً نادماً على ما تكلم به، وقال: "تالله إنكم هم"؟! فقال على بن الحسين عليهما السلام: تالله لنحن هم من غير شك، وحق جدنا رسول الله صلى الله عليه وآله إننا لنحن هم. قال: فبكى الشيخ ورمى عمامته، ثم رفع رأسه إلى السماء، وقال: اللَّهُمَّ إِنِّي أBRأ إِلَيْكَ مِنْ عَدُوِّ آلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنَ الْجَنِّ

مع الركب الحسينى (ج ٦)، ص: ٩٥

والإنس، ثم قال: هل لى من توبه؟ فقال له: نعم، إن تبت تاب الله عليك وأنت معنا، فقال: "أنا تائب". فبلغ يزيد بن معاوية حديث الشيخ، فأمر به فقتل «١».

تأمل وملاحظات ص : ٩٥

نستنتج من هذا الخبر عدة أمور:

١- إن هذا أول موقف تكلم به الإمام زين العابدين بعد تحمله شدة السفر وشقته، وبعدهما رأى من المعاناة، لأنه روى أن الإمام عليه السلام لم يتكلم فى الطريق - من الكوفة إلى الشام - حتى وصل الشام «٢».

٢- الإمام عليه السلام يقوم بأداء الرسالة فى أول فرصة وأول نقطة يجد بها الطينة الطيبة. فمع أن ذاك الشيخ الشامى لم يكن إلأرجلاً عاش فى كنف حكم الأمويين مدة طويلة، ولم ير علياً ولا أحداً من أبنائه ولكنه كان على فطرة سليمة، بينما الذين قاموا بقتل الإمام الحسين وسبى أهل بيته فقد كان كثير منهم ممن رأى علياً والحسن والحسين عليهم السلام وصلى خلفهم! وسلم عليهم ولكنهم كانوا خبيثاء!

٣- هذا الخبر يدل على سيطرة الجوّ الإعلامى المسموم على مجتمع وبيئة تربت فى أحضان بنى أمية، لقد أذاعوا بأن المقتول هو رجل خارجى خرج على أمير المؤمنين! وخليفة المسلمين! كان يريد بث الفتنة والفرقة فى المجتمع «٣»، ولذلك نرى أن الشيخ الشامى

حينما يواجه الإمام عليه السلام أول مرة يحمد الله على قتل

مع الركب الحسيني (ج ۶)، ص: ۹۶

الحسين عليه السلام ويقول: «الحمد لله الذي قتلكم وأهلككم وأراح الرجال من سطوتكم وأمكن أمير المؤمنين منكم». ولكن حينما ينكشف له الواقع يتوب إلى الله من قوله ويتبرأ من قتل أهل بيت رسول الله عليهم السلام وأعدائهم، وكانت أكثرية المجتمع الشامي، على غرار هذا الشيخ، قد ضللتهم الدعاية الأموية وحجبتهم عن معرفة أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله؛ ومن ثم لم يتحمل يزيد ذلك وأمر بقتل ذلك الشيخ، كي يظل مسيطراً على الأوضاع في زعمه.

متى وصل الرأس الشريف؟ ص: ۹۶

بالنسبة إلى زمان وصول الرأس الشريف هناك عدّة احتمالات:

الأول: أن الرأس الشريف حمل مع تسييرهم أهل البيت إلى الشام، وهناك بعض الشواهد التاريخية تؤيد ذلك.

* منها: ما رواه ابن حبان بقوله: «ثم أنفذ عبيد الله بن زياد رأس الحسين بن علي إلى الشام مع أسارى النساء والصبيان من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم» (۱).

* ومنها: ما رواه السيد ابن طاووس عن الإمام زين العابدين أنه قال:

«حملني على بعير يطلع بغير وطاء ورأس الحسين عليه السلام على علم ونسوتنا خلفي على بغال ... والفارطة خلفنا وحوّلنا بالرماح» (۲).

* ومنها: ما رواه ابن الأثير: «ثم أرسل ابن زياد رأس الحسين ورؤوس أصحابه مع زحر بن قيس إلى الشام إلى يزيد ومعه جماعة وقيل مع شمر وجماعة»

مع الركب الحسيني (ج ۶)، ص: ۹۷

معه وأرسل معه النساء والصبيان وفيهم علي بن الحسين» (۱).

* ومنها: ما نقله السيد ابن طاووس أيضاً: «وأما يزيد بن معاوية فإنه لما وصل إليه كتاب ابن زياد ووقف عليه أعاد الجواب إليه يأمره فيه بحمل رأس الحسين عليه السلام ورؤوس من قُتل معه وبحمل أئقاله ونسائه وعياله» (۲).

الثاني: أن الرأس الشريف أوصل إلى دمشق قبل وصول أهل البيت عليهم السلام، وهناك بعض الشواهد تؤيد هذا الاحتمال:

منها: ما صرح به ابن أعثم والخوارزمي بقولهما- واللفظ للأول-: «ثم دعا ابن زياد بزحر بن قيس الجعفي فسلم إليه رأس الحسين بن علي رضي الله عنهما ورؤوس إخوته ... ورؤوس أهل بيته وشيعته (رضى الله عنهم أجمعين) ودعا علي بن الحسين فحمله وحمل أخواته وعمّاته ونساءهم إلى يزيد بن معاوية..»

وسبق زحر بن قيس برأس الحسين عليه السلام إلى دمشق حتى دخل على يزيد فسلم عليه ودفع إليه كتاب عبيد الله بن زياد، قال: فأخذ يزيد كتاب عبيد الله بن زياد فوضعه بين يديه، ثم قال: هات ما عندك يا زحر، فقال: ابشر يا أمير المؤمنين ..» (۳).

ومقتضى هذا الاحتمال أن الرأس الشريف ارجع بعد ذلك إلى خارج دمشق لكي يدخل مع الأسارى الشام.

الثالث: أن أهل بيت الحسين عليه السلام سُرحوا إلى دمشق بعدما أنفذ برأس الحسين عليه السلام، ولكنهم لحقوا بالذين معهم الرأس الشريف، فأدخلوا مع الرأس الشريف الشام.

مع الركب الحسيني (ج ۶)، ص: ۹۸

روى الشيخ المفيد والطبرسي ما يؤيد ذلك، قالوا: «ثم إن عبيد الله بن زياد بعد إنفاذه برأس الحسين أمر بنسائه وصبياناه فجهّزوا وأمر بعلي بن الحسين فغلّ بغلّ إلى عنقه ثم سرح بهم في أثر الرأس مع محفز بن ثعلبة العائدي وشمر بن ذى الجوشن فانطلقا بهم حتى

لحقوا بالقوم الذين معهم الرأس..» (١).
ويمكن أن يقال: إن الرأس الشريف أنفذ مع إنفاذ أهل البيت إلى الشام وأدخل معهم دمشق، ولكنه أدخل بالرأس الشريف مجلس يزيد قبل إدخالهم مجلسه، وهذا يتحد مع الاحتمال الأول الذى ربما ذكره الأكثر، ويحمل عليه الاحتمال الثانى أيضاً.
أما زمن دخول الرأس الشريف فى الشام تحديداً فقد صرح بعض العلماء كونه فى أول يوم من شهر صفر.
قال أبو ريحان البيرونى: «فى اليوم الأول من صفر أدخل رأس الحسين عليه السلام مدينة دمشق، فوضعه بين يديه ونقر ثناياه بقضيب كان فى يده، وهو يقول: لست من خندف إن لم أنتقم... الأبيات» (٢).
وقال الكفعمى: «وفى أوله (صفر) ادخل رأس الحسين عليه السلام إلى دمشق، وهو عيد عند بنى أمية» (٣).
وعليه يُحمل ما ذكره الشيخ البهائى بقوله: «الأول من صفر فيه حُمل رأس أبى عبد الله الحسين عليه السلام إلى دمشق، وجعلوه بنو أمية عيداً» (٤).

معالركب الحسينى (ج ٦)، ص: ٩٩

رأس الإمام عليه السلام بين يدي يزيد ص: ٩٩

قال الحافظ البدخشانى: «ولما قدموا دمشق ودخلوا على يزيد رموا برأس الحسين رضى الله عنه بين يديه، فاستبشر الشقى بقتله، وجعل ينكت رأسه بالخيزران..» (١).

وقال الدينورى: «قالوا إن ابن زياد جهز على بن الحسين ومن كان معه من الحرم ووجه بهم إلى يزيد بن معاوية مع زحر بن قيس ومحقق بن تغلبه» (٢) وشمر بن ذى الجوشن، فساروا حتى قدموا الشام ودخلوا على يزيد بن معاوية بمدينة دمشق، وأدخل معهم رأس الحسين، فرمى بين يديه، ثم تكلم شمر بن ذى الجوشن فقال: يا أمير المؤمنين ورد علينا هذا فى ثمانية عشر رجلاً من أهل بيته وستين رجلاً من شيعة...» (٣).

ثم ذكر الدينورى كلاماً تفرد هو بنسبته إلى شمر، خلافاً لغيره من المؤرخين الذين يرون أن المتكلم كان زحر بن قيس.

قال الشيخ المفيد- وغيره «٤»: «روى عبد الله بن ربيعة الحميرى فقال: إننى لعند يزيد بن معاوية بدمشق إذ أقبل زحر بن قيس حتى دخل عليه، فقال له يزيد:

ويلك ما وراءك وما عندك؟

قال: أبشر يا أمير المؤمنين بفتح الله ونصره، ورد علينا الحسين بن على فى ثمانية عشر من أهل بيته وستين من شيعة، فسرنا إليهم فسألناهم أن يستسلموا أو

معالركب الحسينى (ج ٦)، ص: ١٠٠

ينزلوا على حكم الأمير عبيد الله بن زياد أو القتال، فأحطنا بهم من كل ناحية، حتى إذا أخذت السيوف مأخذها من هام القوم، جعلوا يهربون إلى غير وزر، ويلوذون منا بالآكام والحفر لواداً كما لاذ الحمائم من صقر، فوالله يا أمير المؤمنين! ما كانوا إلّا جزر جزور أو نومة قائل حتى أتينا على آخرهم، فهاتيك أجسادهم مجرّدة، وثيابهم مرّلة، وخدودهم معفّرة، تصهرهم الشمس، وتسفى عليهم الرياح، زوارهم العقبان والرخم.

فأطرق يزيد هنيهة، ثم رفع رأسه فقال: قد كنت أرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين، أما لو أتى صاحبه لعفوت عنه» (١).

معالركب الحسينى (ج ٦)، ص: ١٠١

وروى سبط ابن الجوزى عن الواقدى عن ربيعة بن عمر قال: «كنت جالساً عند يزيد بن معاوية فى بهو له إذ قيل " هذا زحر بن قيس

بالباب "فاستوى جالساً مذعوراً وأذن له فى الحال فدخل فقال: ما وراءك؟ ...".

إلى أن يقول: «... فى سبعين ركباً من أهل بيته وشيعته.. فأبوا واختاروا القتال... وهم صرعى فى الفلاة..». (١)

تأمل وملاحظات ص : ١٠١

مع ملاحظة تلك النصوص نصل إلى الحقائق التالية:

الأول: خوف يزيد، كما روى سبط ابن الجوزى فى الفقرة أعلاه.

الثانى: صلابه الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه الأوفياء، وعظمتهم وعزة أنفسهم وقدرتهم الفائقة، حيث إن الجميع - بما فىهم ابن سعد وابن عبد ربّه وابن أعثم والطبرى وابن الجوزى وسبطه وابن الأثير وابن نما وابن كثير والباعونى وغيرهم اعترفوا بأن الإمام وصحبه رفضوا الاستسلام وأبوا إلّا القتال (٢).

الثالث: اعتراف العدو بقساوة أفعاله وفضاعه جريمته.

الرابع: عجز العدو عن مقابلة الواقع والتجاؤه إلى الكذب، حيث يقول:

«وجعلوا يهربون إلى غير وزر ويلوذون منّا بالآكام والحفر..».

بينما الواقع الثابت على عكس ذلك، والدليل عليه «تصديق أميرهم عمر بن سعد لكلام عمرو بن الحجاج حينما رأى عدم قدرتهم لمبارزتهم فصاح بالناس:

(يا حمقى، أتدرون من تقاتلون؟ تقاتلون فرسان أهل المصر، وتقاتلون قوماً

مع الركب الحسينى (ج ٦)، ص: ١٠٢

مستمتين، لا- يبرز إليهم منكم أحد، فإنهم قليل وقلما يبقون، والله لو لم ترموهم إلّا بالحجارة لقتلتموهم)، فقال عمر بن سعد: (صدقت، الرأى ما رأيت)، فأرسل فى الناس من يعزم عليهم ألّا يبارز رجل منكم رجلاً منهم» (١).

ويكفى لقطع نباح هذا الشقى وأمثاله المراجعة إلى ما تجلّى فى يوم عاشوراء من تسابق الحسين وأصحابه عليهم السلام فى الرواح إلى الله تعالى برواية الموثوقين من المؤرخين وكذا يكفى ما أبداه بعض الحاضرين فى كربلاء من أشقاء هذا الرجس (زحر بن قيس) حيث اعتذر عن قتاله وقتله لآل رسول الله صلى الله عليه وآله بما رواه عنه ابن أبى الحديد قال: «ثارت علينا عصابة أيديها فى مقابض سيوفها كالأسود الضارية... تلقى أنفسها على الموت لا- تقبل الأمان ولا- ترغب فى المال ولا- يحول حائل بينها وبين الورود على حياض المتيّة أو الاستيلاء على الملك، فلو كففنا عنها رويداً لأتت على نفوس العسكر بحذافيرها!» (٢).

ردّ فعل يزيد ص : ١٠٢

ذكر المؤرخون أنّ يزيد بعدما سمع كلام زحر بن قيس تكلم بكلمات تدلّ- بنظرنا- على كذبه ونفاقه. (٣)

فمن ذلك ما ذكره ابن سعد أنّه دمعت عيناً يزيد! وقال: «كنت أرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين!» ثم تمثّل:

من يذق الحرب يجد طعمها مرّاً وتتركه بجعجاء (٤)

ومنه: ما رواه ابن أعثم أنّه «أطرق يزيد ساعة ثم رفع رأسه فقال: يا هذا لقد كنت أرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين بن على، أما والله لو صار إلى لعفوت عنه، ولكن قبّح الله ابن مرجانة.

قال: وكان عبد الله بن الحكم - أخو مروان بن الحكم - قاعداً عند يزيد بن معاوية، فجعل يقول شعراً، فقال يزيد: نعم لعن الله ابن

مرجائه، إذ أقدم على قتل الحسين ابن فاطمة، أما والله لو كنت صاحبه لما سألتني خصلة إلا أعطيتها إيها ولدفعت عنه الحتف بكل ما استطعت، ولو كان بهلاك بعض ولدي، ولكن ليقضى الله أمراً كان مفعولاً، فلم يكن له منه مرد» (١).

وأظن «٢» أن وضع المجلس أدى بيزيد لاتخاذ هذا الموقف - كذباً ونفاقاً - ولعل هذا أول موقف أبرز فيه تراجع وأظهر ندامته.

وروى نحوه ابن عبد ربّه من أن يزيد قال: «لعن الله ابن سميء، أما والله لو كنت صاحبه لتركته، رحم الله أبا عبد الله وغفر له!» (٣). وقريب منه ما في الأخبار الطوال، وفيه أنه تمثّل بعد ذلك:

نفلّق هاماً من رجال أعزّة علينا وهم كانوا أعقّ وأظلما «٤»

وقد ذكرنا الشواهد المتقنة والكافية لإثبات أن يزيد هو الأمر بقتل الحسين عليه السلام والراضى بقتله وأنه هو الأصل في ذلك، وأن ما أظهره من الندامة

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ١٠٤

يرجع إلى كذبه وخوفه على زوال ملكه وتمشياً مع الوضع العام واستنكار الناس لذلك - بعدما كشف عن القضية شيئاً فشيئاً - والدليل على ذلك أنه لم يعاقب ابن زياد على ما فعله ولم يعزله عن الإمارة، بل شكر له واستدعاه وشرب معه الخمر كما مرّ ذكره «١».

ومما يدلّ على ذلك ما رواه الحافظ البغدادي، قال: «ولما قدموا دمشق ودخلوا على يزيد رموا برأس الحسين رضى الله عنه بين يديه، فاستبشر الشقيّ بقتله، وجعل ينكت رأسه بالخيزران..» (٢).

إزاحة وهم ص: ١٠٤

قيل: «إن زحر بن قيس الجعفي شهد صفين مع عليّ عليه السلام وقدمه على أربعمائهُ من أهل العراق، وبقي بعده مؤمراً وأمره الحسن عليه السلام بأخذ البيعة له، وهو مع ذلك وثقه الإمام أحمد بن حنبل وأحمد بن عبد الله العجلي، ومعه لا بد أن يكون غيره - وليس هو - الذي أتى برأس الحسين عليه السلام» (٣).

الجواب: إن الرأي الغالب بين أصحاب السير والتراجم أن الذي أتى بالرأس الشريف هو زحر بن قيس الجعفي «٤»، وإن قيل غيره مثل ما نقله ابن نما بكونه زحر بن قيس المدحجي «٥»، وما قيل بأنه كان شمر بن ذي الجوشن «٦». والظاهر أن ما

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ١٠٥

قيل بأنه زفر بن قيس «١»، أو زجر بن قيس «٢» فإنه تصحيف، ومردّ الجميع إلى شخص واحد، نعم هناك احتمال وجود فرد آخر وهو محفز بن ثعلبة العائذي «٣»، والظاهر أنه كان مع أسارى أهل البيت حينما دخل على يزيد، وهناك خلط في النقل، فبعضهم يذكرون أنه أتى بالرأس الشريف «٤»، وبعضهم يقول إنه أتى بالرأس الشريف وأهل بيته «٥»، وبعضهم يذكر أنه أتى مع أهل بيت الحسين «٦»، وهو المختار. وكيفما كان فالمشهور أن الذي أتى بالرأس الشريف إلى يزيد هو زحر بن قيس لعنه الله.

وأما ما قيل بأنه كان من أصحاب عليّ و... فإنه ليس أول قارورة كسرت، فغير واحد من أصحاب عليّ عليه السلام انقلبوا إلى الجاهلية السوداء، ألم يكن شمر من أصحاب عليّ عليه السلام في صفين؟ ألم يُجرح في تلك الحرب؟ «٧» ألم يكن شيبث بن ربعي من أصحاب عليّ والحسين عليهما السلام حتى أنه قال: «قاتلنا مع عليّ بن أبي طالب ومع ابنه من بعده آل أبي سفيان خمس سنين، ثم عدونا على ولده وهو خير أهل

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ١٠٦

الأرض نقاتله مع آل معاوية وابن سميّة الزانية» «١»، ولكن المهمّ حسن العاقبة.

وأما توثيق الإمام حنبل والعجلي فلا ترتّب عليه أثراً.

القاتل يطلب الجائزة ص : ١٠٦

قال أبو الفرج الإصفهاني: «وحمل (ابن زياد) أهله (الحسين عليه السلام) أسرى وفيهم عمر وزيد والحسن بنوالحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام، وكان الحسن بن الحسن بن علي قد ارتث جريحاً فحمل معهم، وعلي بن الحسين الذي أمه أم ولد، وزينب العقيلة، وأم كلثوم بنت علي بن أبي طالب، وسكينه بنت الحسين لما أدخلوا علي يزيد- لعنه الله- أقبل قاتل الحسين بن علي يقول:

أوقر ركابي فضةً أو ذهباً فقد قتلت الملك المحجبا

قتلت خير الناس أمماً وأبا وخيرهم إذ يُنسبون نسباً» (٢)

وفي مقتل الخوارزمي بإسناده عن زيد بن علي بن الحسين عن أبيه عليهم السلام:

«ثم وضع الرأس في حقه وأدخل علي يزيد، فدخلت معهم، وكان يزيد جالساً على السرير وعلي رأسه تاج مكلل بالدر والياقوت، وحوله كثير من مشايخ قريش، فدخل صاحب الرأس ودنا منه، وقال:

أوقر ركابي فضةً أو ذهباً فقد قتلت السيد المحجبا

قتلت أزكى الناس أمماً وأبا وخيرهم إذ يدكرون النسبا

فقال له يزيد: إذا علمت أنه خير الناس لم تقتله؟

قال: رجوت الجائزة!

فأمر بضرب عنقه، فحز رأسه...» (٣).

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ١٠٧

مجلس يزيد ص : ١٠٧

إشارة

لقد غمرت الأفراح والمسرات يزيد، وسرّ سروراً بالغاً، وأمر بترتيب مجلس فخم حاشد من الأشراف والأعيان والشخصيات. قال ابن الجوزي: «ثم جلس يزيد ودعا أشراف أهل الشام، وأجلسهم حوله، ثم أدخلهم- أي الأسرى من آل البيت عليهم السلام- عليه» (١).

إنّ التاريخ لم يزودنا بأسماء كل من حضر ذلك المجلس المشؤوم، لكننا نعلم أنه كان حاشداً بالأشراف والأعيان والشخصيات، مثل بعض الصحابة والتابعين! كأبي برزة الأسلمي (٢)، وزيد بن الأرقم (٣)، وقيل سمرة بن جندب (٤)، وبعض الأنصار (٥)، وبعض ناصري بني أمية منهم النعمان بن بشير (٦)، والكبار من الشجرة الملعونة في القرآن، مثل يحيى بن الحكم (٧)، وعبدالله بن الحكم (٨)، وعبد الرحمن بن الحكم (٩)،

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ١٠٨

وكذا رجال السلطة الحاكمة، وبعض نساء بني أمية مثل «ريّا» حاضنة يزيد (١)، والتحقّت بها زوجة يزيد هند بنت عبدالله بن عامر بن كرز (٢).

ومن أهل الكوفة الذين أتوا مع أسارى آل البيت عليهم السلام إلى الشام: زحر بن قيس (٣) وشمر بن ذى الجوشن (٤)، ومخفر بن ثعلبة (٥)، وعمر بن سعد (٦)، ومحقق بن ثعلبة (٧)، وأبو بردة بن عوف الأزدي، و (طارق بن أبي ظبيان الأزدي، وجماعة من أهل

الكوفة)، «٨» وغيرهم مثل ربيعة بن عمر «٩»، والعدري بن ربيعة بن عمرو الجرشى «١٠»، وعبدالله بن ربيعة الحميرى «١١»، والغار بن ربيعة الجرشى «١٢»، وروح بن زنباع «١٣».

مع الركب الحسينى (ج ٦)، ص: ١٠٩

ومن جانب آخر نرى بعض ممثلى كبار الدولة آنذاك وكبار أهل الكتاب مثل سفير الروم «١» ورأس الجالوت «٢». فتحصّل أنّه كان مجلساً فى غاية الأهميّة سياسياً واجتماعياً، داخلياً وخارجياً، ومن هنا أراد يزيد أن يظهر نفسه بأنّه هو الغالب على عدوّه! وقد انتهى كلّ شىء. «٣»
قال المزى: «فلما قدموا (الأسارى من آل البيت) عليه (يزيد) جمع من كان بحضرته من أهل الشام، ثمّ أدخلوا عليه، فهنّأوه بالفتح!» «٤».

مجلس أم مجالس؟ ص: ١٠٩

هل كان مجلس يزيد- الذى أحضر فيه الرأس الشريف وأسارى آل محمّد صلى الله عليه وآله- مجلساً واحداً أم مجالس متعدّدة؟ يظهر من بعض السير الثانى.

روى الخوارزمى بإسناده عن الإمام زين العابدين على بن الحسين عليه السلام أنّه قال: «لما أتى برأس الحسين عليه السلام إلى يزيد كان يتخذ مجالس الشرب ويأتى برأس الحسين فيضعه بين يديه ويشرب عليه» «٥».

وقال ابن نما: «وكان يزيد يتخذ مجالس الشرب واللّهو والقيان والطرب، ويحضر رأس الحسين بين يديه» «٦».

مع الركب الحسينى (ج ٦)، ص: ١١٠

قالوا: «وحضر ذات يوم فى مجلسه رسول ملك الروم» «١»، وظاهر هذا النقل حصول التكرّر، وهو ليس ببعيد، لأنّ اللعين كان يحضر الرأس الشريف ويشرب الشراب كما روى. فتحصّل أنّ المجالس تكثر، سواء قبل ورود أهل البيت أم بعده، ولكن كان ذلك ضمن مجالس خاصيّة، والظاهر أنّ المجلس الذى جرت فيه الأمور الآتى ذكرها، الحاشد بالأعيان والأشراف (بل الأرجاس) من الناس لم يكن إلّا مجلساً واحداً، وهو المجلس العام الذى سوف نذكر تفاصيل ما جرى فيه.

كيفية دخول أسارى آل البيت عليهم السلام ص: ١١٠

قال الشيخ المفيد والطبرسى: «ولم يكن على بن الحسين عليه السلام يُكلّم أحداً من القوم فى الطريق كلمة حتى بلغوا- أى الشام- فلما انتهوا إلى باب يزيد رفع مجفر بن ثعلبة صوته فقال: هذا مجفر بن ثعلبة أتى أمير المؤمنين باللثام الفجرة، فأجابه على بن الحسين

عليهما السلام: ما ولدت أمّ مجفر أشراً وأماً» «٢»

وُنسبت هذه الإجابة إلى يزيد- وهو الأنسب- «٣».

فمن الذين نسبوا هذه الإجابة إلى يزيد: البلاذرى «٤» وابن سعد «٥» والطبرى «٦»

مع الركب الحسينى (ج ٦)، ص: ١١١

وابن نما «١» وابن الأثير «٢» وابن كثير «٣» والذهبي «٤» والخوارزمى «٥». بتفاوت يسير بينهم.

قال البلاذرى: «ثمّ سرّح (عبيدالله) بهم (الأسارى) مع محفز بن ثعلبة من عائذة قريش وشمر بن ذى الجوشن وقوم يقولون بعث مع محفز برأس الحسين أيضاً، فلما وقفوا بباب يزيد رفع محفز صوته فقال: يا أمير المؤمنين هذا محفز بن ثعلبة أتاك باللثام الفجرة، فقال

يزيد: ما تحفرت عنه أم محفز الأم وأفجر» (٦).

أقول: ويل لمن كفره نمرود!

وقال الطبري وابن الأثير: «فدعا عبيد الله بن زياد محفز بن ثعلبة وشمر بن ذى الجوشن فقال: انطلقوا بالثقل والرأس إلى أمير المؤمنين يزيد بن معاوية، فخرجوا حتى قدموا على يزيد، فقام محفز بن ثعلبة فنادى بأعلى صوته: جننا برأس أحق الناس والأمهم. فقال يزيد: ما ولدت أم محفز الأم وأحمق، ولكنه قاطع ظالم» (٧).

وقال ابن سعد: «وقدم برأس الحسين مخفر بن ثعلبة العائدي - عائذة قريش - على يزيد، فقال: أتيتك يا أمير المؤمنين برأس أحق الناس والأمهم. فقال يزيد: ما ولدت أم مخفر أحق والأم، لكن الرجل لم يقرأ كتاب الله (توتى الملك من تشاء وتزع المملك ممن تشاء وتزع من تشاء وتذل من تشاء) (آل عمران: ٢٦)» (٨).

معالركب الحسيني (ج ٦)، ص: ١١٢

وروى الخوارزمي بإسناده عن مجاهد «أن يزيد حين أتى برأس الحسين بن علي ورؤوس أهل بيته قال ابن محفز: يا أمير المؤمنين جنناك برؤوس هؤلاء الكفرة اللئام! فقال يزيد: ما ولدت أم محفز أكفر والأم وأذم» (١).

وأظن أن الرأس أدخل ثانياً مع محفز في مجلس يزيد، لأنه أدخل مع زحر بن قيس في المرة الأولى كما ذكرناه - وكان ذاك مجلسه الخاص - وفي المرة الثانية أدخل في مجلسه العام مع هذا الرجس الخبيث.

وأما كيفية الورد فلقد روى عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «لما أدخل رأس الحسين بن علي عليهما السلام على يزيد لعنه الله وأدخل عليه علي بن الحسين وبنات أمير المؤمنين عليه السلام كان علي بن الحسين مقيداً مغلولاً» (٢).

وعن الإمام الباقر عليه السلام: «قدم بنا على يزيد بن معاوية لعنه الله بعدما قتل الحسين ونحن اثنا عشر غلاماً ليس منا أحد إلا مجموعاً يده إلى عنقه وفينا علي بن الحسين..» (٣).

وفي مقتل الخوارزمي: «ثم أتى بهم حتى أدخلوا على يزيد، قيل إن أول من دخل شمر بن ذى الجوشن بعلي بن الحسين مغلولاً يده إلى عنقه، فقال له يزيد:

من أنت يا غلام؟ قال: أنا علي بن الحسين، فأمر برفع الغل عنه» (٤).

معالركب الحسيني (ج ٦)، ص: ١١٣

قال السيد ابن طاووس: «قال الراوي: ثم أدخل ثقل الحسين عليه السلام ونسائه ومن تخلف من أهله على يزيد وهم مقرنون في الحبال» (١).

وقال سبط ابن الجوزي: «وكان علي بن الحسين والنساء موثقين في الحبال» (٢).

وعنه: «ولما أتى يزيد بثقل الحسين رضى الله عنه ومن بقى من أهله فأدخلوا عليه وقد قرنوا بالحبال فوقفوا بين يديه» (٣).

وقال الشبلنجي: «ثم أمر بعلي زين العابدين فدخل عليه مغلولاً» (٤).

رأس الحسين عليه السلام في مجلس يزيد ص: ١١٣

روى ابن شهر آشوب عن أبي مخنف قال: «لما دخل بالرأس على يزيد كان للرأس طيب قد فاح على كل طيب» (٥).

وعن مرآة الزمان: «لما وضع الرأس بين يدي يزيد كان بالخضراء (٦)»، فتهته (فقهه خ ل) حتى سمعه من كان بالمسجد، ولما سمع صوت النوائح عليه أنشد:

يا صبيحة تُحمد من صوائح ما أهون الموت على النوائح

ويقال إنه كبر تكبيره عظيمه! «٧».

معالركب الحسيني (ج ٦)، ص: ١١٤

قال ابن الأثير: «ثم أدخل نساء الحسين عليه (يزيد) فجعلت فاطمه وسكينه ابنتا الحسين تتناولان لتنظرا إلى الرأس وجعل يزيد يتناول ليستر عنهما الرأس! فلما رأين الرأس صحن، فصاح نساء يزيد وولول بنات معاوية» «١».

وقال السيد ابن طاووس: «ثم وضع رأس الحسين عليه السلام بين يديه وأجلس النساء خلفه لثلا ينظرن إليه» «٢».

يزيد ينكت ثانيا الحسين عليه السلام ص : ١١٤

إشارة

إن هذا الفعل الفضيع مما تواتر نقله حتى عد من مسلمات التاريخ، وافتضح به فاعله يزيد.

قال أحمد بن أبي طاهر (م ٢٨٠): «لما كان من أمر أبي عبدالله الحسين بن علي عليهما السلام الذي كان وانصرف عمر بن سعد - لعنه الله - بالنسوة والبقية من آل محمد صلى الله عليه وآله ووجهه إلى ابن زياد لعنه الله، فوجهه هذا إلى يزيد - لعنه الله وغضب عليه - فلما مثلوا بين يديه أمر برأس الحسين عليه السلام فأبرز في طست فجعل ينكت ثانياه بقضيب في يده..» «٣».

وقال يعقوبى: «ووضع الرأس بين يدي يزيد، فجعل يقرع ثانياه بالقصب» «٤».

روى ابن الجوزى عن سالم بن أبي حفصة قال: «قال الحسن البصرى:

«جعل يزيد بن معاوية يطعن بالقضيب موضع في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وا ذلأه!» «٥»

معالركب الحسيني (ج ٦)، ص: ١١٥

وقال السيد ابن طاووس وابن نما: «ثم دعا يزيد بقضيب خيزران، فجعل ينكت به ثانيا الحسين عليه السلام» «١».

وعن مرآة الزمان: «قال العامرى بن ربيعة: جمع يزيد أهل الشام ووضع الرأس في طشت وجعل ينكت عليه بالخيزرانة» «٢».

روى ابن كثير عن ابن أبي الدنيا بإسناده عن الحسن قال: «لما جرى برأس الحسين جعل يزيد يطعنه بالقضيب» «٣».

وقال مطهر بن طاهر المقدسى: «ووضع رأسه بين يديه وجعل ينكت بالقضيب في وجهه» «٤».

ونقل ذلك كثير من المؤرخين مثل الباعونى «٥»، والشراوى «٦» وغيرهما، نكتفى بما أوردناه. كما وثقه الشعراء بقصائدهم؛ أنشد
الصاحب بن عباد:

يقرع بالعود ثانيا لها كان النبى المصطفى لاثما «٧»

وقال الجوالقى:

أختال بالكبر على ربّه يقرع بالعود ثانياه

بحيث قد كان نبى الهدى يلثم فى قبلته فاه «٨»

معالركب الحسيني (ج ٦)، ص: ١١٦

ولقد أظهر يزيد بفعله الفضيع ما فى قلبه من الكفر والحقد، يفعل ذلك فى حق من قال الرسول صلى الله عليه وآله فى شأنه: «حسين

منى وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسينا، حسين سبط من الأسباط» «١»

، وقال صلى الله عليه وآله: «إن الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة» «٢»

.ولنعم ما قال ابن الجوزى على ما ذكره سبطه فى التذكرة، قال: «قال جدى:

ولو لم يكن فى قلبه أحقاد جاهلية وأضغان بدرية لا يحترم الرأس لما وصل إليه ولم يضربه بالقضيب وكفنه ودفنه وأحسن إلى آل

رسول الله» (٣).

وبذلك يظهر ضلاله من يدعى أن يزيد ما كان راضياً بقتل الحسين عليه السلام وأنه اغتم لذلك! إذ لو صح ذلك فلماذا ارتكب هذا الفعل الفضيع؟

نقل الباعوني عن الشيخ العالم أبي الوفاء ابن عقيل أنه قال: «ثم قتلوا ابنه (أى ابن الإمام علي) الحسين بن فاطمة الزهراء وأهل بيته الطيبين الطاهرين بعد أن منعوهم الماء، وهذا والعهد بنبيهم قريب وهم القرن الذى رأوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ورأوه صلى الله عليه وآله وسلم يقبل فمه وترشفه (يرشف ثناياه)، فنكتوا على فمه وثناياه بالقضيب! تذكروا والله أحقاد يوم بدر وما كان فيه. وأين هذا من مطمع الشيطان وغاية أمله بتبتيك آذان الأنعام؟ هذا مع قرب العهد وسماع كلام رب الأرباب «قُلْ لَأَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى» ستروا والله عقائدهم فى عصره مخافة السيف، فلما صار الأمر إليهم كشفوا قناع البغى والحيث» (٤). مع الركب الحسينى (ج ٦)، ص: ١١٧

(أ) ما قاله يزيد عند نكته ثنايا الحسين عليه السلام ص : ١١٧

قال البلاذرى: «وحدثني ابن برد الأنطاكى الفقيه عن أبيه قال:.. وقال يزيد حين رأى وجه الحسين: ما رأيت وجهاً قط أحسن منه! فقيل له: إنه كان يشبه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسكت» (١).

وروى ابن سعد بإسناده عن يزيد بن أبى زياد قال: «لما أتى يزيد بن معاوية برأس الحسين بن على جعل ينكت بمخضرة معه سنه، ويقول: ما كنت أظن أبا عبدالله يبلغ هذا السن! قال: وإذا لحيته ورأسه قد نصل من الخضاب الأسود» (٢). وقال محمد بن حبان: «فلما وضع الرأس بين يدي يزيد بن معاوية جعل ينقر تثيته بقضيب كان فى يده ويقول: ما أحسن ثناياه» (٣). وعن التلمسانى أنه قال: «وأتى يزيد برأس الحسين عليه السلام فلما وضع بين يديه جعل ينكت أسنانه بقضيب كان فى يده ويقول: كان أبو عبدالله صيحاً» (٤).

(ب) ما أنشده يزيد ص : ١١٧

لقد تمثّل يزيد بيت شعر للحصين بن الحمام المرى (٥) وهو: نفلق هاماً من رجال أعزّة علينا وهم كانوا أعقّ وأظلما (١) وفى بعض الكتب أنه قال: يفلقن هاماً من رجال أعزّة علينا وهم كانوا أعقّ وأظلما (٢) وأما زمان إنشاده فقد ذكروا أنه كان حينما كشف عن ثنايا سيد الشهداء وتناوله بقضيب. (٣) وذكر بعضهم أنه قالها حينما وضع الرأس الشريف بين يديه. (٤) مع الركب الحسينى (ج ٦)، ص: ١١٩

نكتفى بذكر ما أورده الطبرى، قال: ثم أذن (يزيد) للناس، فدخلوا والرأس بين يديه، ومع يزيد قضيب، فهو ينكت به فى ثغره، ثم قال: إن هذا وإيانا كما قال الحصين بن الحمام المرى: يفلقن هاماً من رجال أجبّة إلينا وهم كانوا أعقّ وأظلما (١)

وقفه مع بعض الكتب ص : ١١٩

١- ذكر ابن شهر آشوب عن الطبري والبلاذري والكوفي أنه لما وضعت الرؤوس بين يدي يزيد جعل يضرب بقضيبه على ثيابه، ثم قال: يومٌ بيوم بدر، وجعل يقول: نفلق هاماً إلى آخره «٢».

هذا أيضاً مما يدل على كفره وزندقته، وتصريح على أن ما ارتكبه يزيد كان انتقاماً من الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، وإليه يشير ابن عباس ضمن رسالته إلى يزيد.

قال سبط ابن الجوزي: ذكر الواقدي وهشام وابن إسحاق وغيرهم أنه كتب ابن عباس إلى يزيد كتاباً جاء فيه: «يا يزيد، وإن من أعظم الشماتة حملك بنات رسول الله وأطفاله وحرمه من العراق إلى الشام أسارى مجلوبين مسلوبين، ترى الناس قدرتك علينا وأنتك قد قهرتنا واستوليت على آل رسول الله، وفي ظنك أنك أخذت بثأر أهل الكفرة الفجرة يوم بدر، وأظهرت الانتقام الذي كنت تخفيه والأضغان الذي تكمن في قلبك كمون النار في الزناد، وجعلت أنت وأبوك دم عثمان وسيلةً إلى إظهارها. فالويل لك من ديان يوم الدين، ووالله لئن أصبحت آمناً من جراحة يدي فما أنت بآمن من جراحة لساني» «٣».

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ١٢٠

٢- ذكر الطبري بإسناده عن القاسم بن عبد الرحمن مولى يزيد بن معاوية أن يزيد قال بعد تمثله بأبيات الحصين: «أما والله يا حسين لو أنا صاحبك ما قتلتك» «١».

فيه أولاً: أنه منقول عن مولى يزيد فهو متهم في حد نفسه.

ثانياً: لو لم يكن راضياً بقتله فلماذا أساء إلى الرأس الشريف وأمر بسبي أهله إلى الشام.

ثالثاً: قد ذكرنا الأدلة الوافية بأنه هو الذي أمر بقتل الحسين عليه السلام والراضى بقتله، وإليه يُنسب الفعل بالسب.

رابعاً: لو صحَّ النقل نقول: لم يقل هذا إلا مراعاةً لوضعه وإبقاءً لحكمه.

والدليل عليه ما رواه سبط ابن الجوزي «أنه ضرب يزيد ثنيا الحسين بالقضيب وأنشد للحصين بن الحمام المزي: ... (الأبيات) فلم يبق أحد إلا عابه وتركه» «٢».

وبذلك يظهر وهن ما نقله الطبراني عن محمد بن الحسن المخزومي أنه «لما أدخل ثقل الحسين بن علي على يزيد بن معاوية ووضع رأسه بين يديه بكى يزيد وقال: نفلق ... (الأبيات)، أما والله لو كنت صاحبك ما قتلتك أبداً» «٣».

وزبير بن بكار روى الخبر عن محمد بن الحسن وهو ضعيف ومعاند لأهل البيت؛ قال الشيخ المفيد في شأنه: «لم يكن موثقاً به في النقل، وكان متهماً فيما يذكره من بغضه لأمير المؤمنين عليه السلام وغير مأمون فيما يدعيه على بني هاشم» «٤».

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ١٢١

إنها محاولة شردمة من الناس لإنقاذ يزيد، وما هي إلا اكتشاف الغريق بالتوافه.

فعل يزيد واستنكار بعض الحاضرين ص : ١٢١

إشارة

لقد سخطت كل الضمائر الحرّة أشد السخط على يزيد وأفعاله، وأنكرت عليه ما ارتكبه في حق رأس سيد الشهداء عليه السلام، وفيما يلي نذكر بعضهم:

١- أبو برزة الأسلمي ص : ١٢١

إشارة

قال سبط ابن الجوزي: «وأما المشهور عن يزيد في جميع الروايات أنه لما حضر الرأس بين يديه جمع أهل الشام وجعل ينكت عليه بالخيزران.. قال ابن أبي الدنيا: وكان عنده أبو برزة الأسلمي، فقال له: يا يزيد ارفع قضيبك، فوالله لظالما رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله يقبل ثناياه» (١).

وروى عنه أيضاً أنه «لما ضرب يزيد ثنايا الحسين بالقضيب وأنشد للحصين بن الحمام المرّي، فلم يبق أحد إلّاعابه وتركه، وكان عنده أبو برزة الأسلمي، فقال له: ارفع قضيبك، فظالما رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقبل ثناياه، أما أنك ستجىء يوم القيامة وشفيحك ابن زياد ويجىء الحسين وشفيعه محمّد صلى الله عليه وآله وسلم» (٢).

وروى المزي (٣) والطبري (٤)، وابن الجوزي (٥)، والذهبي (٦)، وابن كثير (٧)، أنه بعدما وضع الرأس الشريف بين يدي يزيد جعل ينكت بالقضيب على فيه عليه السلام وتمثل بالأبيات، فقال له أبو برزة: ارفع قضيبك، فوالله لربّما رأيت فاه رسول الله صلى الله عليه وآله

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ١٢٢

على فيه يلثمه.

وقال البلاذري: «قالوا: وجعل يزيد ينكت بالقضيب ثغر الحسين حين وضع رأسه بين يديه، فقال أبو برزة الأسلمي: أتنتك بالقضيب ثغر الحسين؟ لقد أخذ قضيبك من ثغره مأخذاً ربما رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يرشفه، أما إنك يا يزيد تجىء يوم القيامة وشفيحك ابن زياد ويجىء الحسين وشفيعه محمّد، ثم قام.

ويقال: إن هذا القائل رجلٌ من الأنصار» (١).

وقد بسط السيد ابن طاووس وابن نما أنه أقبل عليه أبو برزة الأسلمي وقال:

«ويحك يا يزيد، أتنتك بقضيبك ثغر الحسين عليه السلام ابن فاطمة؟! أشهد لقد رأيت النبي صلى الله عليه وآله يرشف ثناياه وثنايا أخيه الحسن ويقول: أنتما سيّدا شباب أهل الجنّة، قتل الله قاتلكما ولعنه، وأعدّ له جهنّم وساءت مصيراً، قال الراوي: فغضب يزيد وأمر بإخراجه فأخرج سحبا» (٢).

وفى هذا الموقف يستند أبو برزة - بصفته أحد الصحابة (٣) - إلى فعل

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ١٢٣

الرسول صلى الله عليه وآله بالنسبة إلى لزوم حبّ الحسين عليه السلام، وقوله بالنسبة إلى حبه والبراءة من أعدائه وقتله، وهو موقف جليل في أهمّ زمان وأخطر مكان، ولأجل ذلك لم يتحمّل الطاغية هذا الموقف فغضب عليه وأمر بإخراجه، فأخرج سحبا.

ملاحظتان الملاحظة الأولى: ص: ١٢٣

قيل إن ابن تيميّة - الضالّ المضلّ - نفى حضور أبي برزة الأسلمي مجلس يزيد، بدليل وجوده بالكوفة حينما أحضر الأسارى من آل البيت (١).

فنقول: الدليل عليل من وجوه:

الأول: المشهور حضور أبي برزة في الشام وفي مجلس يزيد، وقد ذكر ذلك الجمّ الغفير من المؤرّخين مثل البلاذري والطبري، وابن أعثم، وابن الأثير، والذهبي، وابن كثير، وابن الجوزي، وسبطه، والباعوني، والمزّي والخوارزمي وغيرهم، كما أسلفناه. وهذا أمر لا يمكن لأحد أن يتغافل عنه إلّا إذا كان أعورا!

الثاني: على فرض وجوده بالكوفة زمن وجود الأسرى فيها، فوجوده بالشام زمن وجودهم فيها ليس بأمر مستبعد، لأنّه قد ذكرنا أن ابن

زيد جهّزهم وأرسلهم إلى الشام ومعهم جماعة، فمن الممكن أن يكون منهم، أو أنه ذهب بنفسه إلى الشام. الثالث: أن ابن تيمية لم ينف هذا فحسب، بل ينفى أموراً بديهية ضروريةً ومسلمةً تاريخياً مما يدعو إلى السخرية والاستهزاء به، فإنه قال: «يزيد لم يأمر بقتل الحسين! ولا حمل رأسه بين يديه، ولا نكت بالقضيب على ثناياه، بل الذى مع الركب الحسينى (ج ۶)، ص: ۱۲۴»

جرى هذا منه هو عبيدالله بن زياد، كما ثبت ذلك فى صحيح البخارى، ولا طيف برأسه فى الدنيا ولا سبى أحد من أهل الحسين!! «۱».

إن الناظر فيما أوردناه والمنتبع فى السير يعلم بأن ابن تيمية - لكونه من أصلب المدافعين عن يزيد - كيف يبالح بحرارة فى الدفاع عن هذه الجرثومة الفاسدة، وكيف يعرض عن جميع ما ذكره أرباب السير والتاريخ من اقرار يزيد لهذه الجريمة النكراء، فهذا هو ابن كثير الدمشقى - الذى تلوح شقاوته فى تاريخه - من جملة من اعترف بذلك وقال: «وقد ورد فى ذلك آثار كثيرة» «۲»، فلأجل ذلك لا يعنى بكلامه فى المقام.

الرابع: أن المهم هو اتخاذ هذا الموقف من أحد الصحابة فى المجلس - أياً كان ذلك الصحابي - وهو ثابت.

الملاحظة الثانية ص : ۱۲۴

قال الخوارزمي: «وقيل: إن الذى ردّ على يزيد ليس أبا برزة، بل هو سمرة بن جندب صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقال ليزيد: قطع الله يدك يا يزيد، أتضرب ثنايا طالما رأيت رسول الله يقبلهما ويلثم هاتين الشفتين؟ فقال له يزيد: لولا صحبتك لرسول الله لضربت والله عنقك! فقال سمرة: ويلك تحفظ لى صحبتى من رسول الله ولا تحفظ لابن رسول الله بنوته؟ فضج الناس بالبكاء وكادت أن تكون فتنة» «۳».

ففيه:

مع الركب الحسينى (ج ۶)، ص: ۱۲۵

أولاً: أنه خبر مرسل لا يذكره غيره، ولا يثبت عند الخوارزمي أيضاً، ولذلك يذكره بقوله (قيل).

وثانياً: إن المشهور أن سمرة بن جندب قد مات قبل وقعة الطف «۱»، فالمسألة منتفية بانتفاء موضوعها رأساً.

وثالثاً: قيل إن سمرة كان عاملاً معاويةً وشريكاً فى جرمه، وهو من شرطه ابن زياد الذين حرّضوا الناس على قتال أبى عبد الله الحسين عليه السلام، فمن كان هذا حاله يُستبعد منه اتخاذ مثل هذا الموقف - على فرض حياته وحضوره بالشام آنذاك - وإن لم نستبعد بالمرّة أن يتخذ إنسان فاسد موقفاً جليلاً فى زمنٍ ما.

ونرجع إلى المقصود ونقول: بأن المهم هو محض اتخاذ هذا الموقف من أحد الصحابة وإن لم نعرفه على وجه التحديد.

۲- زيد بن أرقم ص : ۱۲۵

قال القطب الراوندى: «فدخل عليه (أى على يزيد) زيد بن أرقم، ورأى الرأس فى الطشت وهو يضرب بالقضيب على أسنانه، فقال: "كفّ عن ثناياه، فطالما رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله يقبلها،" فقال يزيد: لولا أنك شيخ خرفت لقتلتك» «۲».

وإلى ذلك أشار الحميرى بقوله:

لم يزل بالقضيب يعلو ثنايا فى جناها الشفاء من كل داء

قال زيد ارفعن قضيبك ارفع عن ثنايا غرّ غدى باتقاء

طالما قد رأيت أحمد يلثمها وكم لى بذاك من شهداء «۳»

إن زيد هو الذى روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله فى شأن سبطه سيد الشهداء عليه السلام أنه قال: «اللهم إني أحبه فأحبه» (١) ، فلذلك إذا صدر منه هذا الموقف فليس بغريب.

روى ابن الجوزى عن زيد بن أرقم أنه قال: «كنت عند يزيد بن معاوية، فأتى برأس الحسين بن على، فجعل ينكت بالخيزران على شفتيه وهو يقول:

يفلّغن هاماً من رجال أعزّة علينا وهم كانوا أعقّ وأظلماً

فقلت له: ارفع عصاك! فقال: ترابي!

فقلت: أشهد لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واضعاً حسناً على فخذه اليمنى، واضعاً حسيناً على فخذه اليسرى، واضعاً يده اليمنى على رأس الحسن، واضعاً يده اليسرى على رأس الحسين وهو يقول: اللهم إني أستودعكما وصالح المؤمنين، فكيف كان حفظك يا يزيد وديعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟! (٢)

٣- نعمان بن بشير ص : ١٢٥

روى عن محمد بن أبى بكر التلمسانى المشهور بالبرى أنه قال: «وأتى يزيد برأس الحسين عليه السلام فلما وضع بين يديه جعل ينكت أسنانه بقضيب كان فى يده ويقول "كان أبو عبد الله صبيحاً،" فقال نعمان بن بشير "ارفع يدك يا يزيد عن فم طالما رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقبله،" فاستحى يزيد وأمر برفع الرأس» (٣).

٤- صحابى لم يُسم ص : ١٢٥

مع الركب الحسينى (ج ٦)، ص: ١٢٧
روى ابن الأثير عن عبد الواحد القرشى قال: «لما أتى يزيد برأس الحسين بن على رضى الله عنهما تناوله بقضيب، فكشف عن ثناياه، فوالله ما أبرد بأبيض منها، وأنشد:

يفلّغن هاماً من رجال أعزّة علينا وهم كانوا أعقّ وأظلماً

فقال له رجل عنده: يا هذا ارفع قضيبك، فوالله ربما رأيت شفتي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فكأنه يقبله. فرفع متدمراً عليه مغضباً» (١).

قال ابن سعد: «ثم مال بالخيزرانة بين شفتي الحسين فقال له رجل من الأنصار حضره: ارفع قضيبك هذا فأنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقبل الموضع الذى وضعت عليه» (٢).

٥- يحيى بن الحكم أو عبد الرحمن بن الحكم ص : ١٢٧

وممن اعترض على فعل يزيد يحيى بن الحكم أخو مروان بن الحكم، فإنه لما رأى ما فعل يزيد برأس الحسين وتمثله بالأبيات قال:

لهاّم بأدنى الطف أدنى قرابه من ابن زياد العبد ذى الحسب الرذل

أمية أمسى نسلها عدد الحصى و بنت رسول الله ليس لها نسل

فضرب يزيد فى صدر يحيى بن الحكم وقال: اسكت!

رواه كثير من أرباب السير منهم الشيخ المفيد والطبرسى (٣)

مع الركب الحسينى (ج ٦)، ص: ١٢٨

وجاء فى بعض الكتب أنه قال:

لهام بجنب الطفّ أدنى قرابة من ابن زياد العبدذى الحسب الوغل

سميّه أمسى نسلها عدد الحصى وليس لآل المصطفى اليوم من نسل «١»

ونسب هذا الموقف وهذه الأبيات وموقف يزيد منها إلى أخيه عبد الرحمن بن الحكم أيضاً «٢»، ووصفه سبط ابن الجوزي أنّه كان شاعراً فصيحاً، فلعلّ الراجح نسبتها إليه لا إلى أخيه يحيى.

وعن سبط ابن الجوزي أنّه بعدما أنشد الأبيات صاح وبكى، فضرب يزيد صدره، وقال له: يابن الحمقاء، مالك ولهذا؟ «٣»

وفى البحار عن المناقب بعد ذكر ما أنشده عبد الرحمن بن الحكم قال يزيد:

نعم، فلعن الله ابن مرجانة إذ أقدم على مثل الحسين بن فاطمة، لو كنت صاحبه لما سألتى خصلة إلا أعطيتها إياها! ولدفت عنه الحنف بكل ما استطعت ولو بهلاكك بعض ولدى، لكن قضى الله أمراً فلم يكن له مردّ. وفى رواية أنّ يزيد أسرّ إلى عبد الرحمن وقال:

سبحان الله، أنّى هذا الموضع؟ أما يسعك السكوت؟! «٤»

٦- الحسن المثنى ص : ١٢٨

روى ابن نما أنّ الحسن بن الحسن لما رآه يضرب بالقضيب موضع فم

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ١٢٩

رسول الله قال: وا ذلّه:

سميّه أمسى نسلها عدد الحصى و بنت رسول الله ليس لها نسل «١»

ولقد ذكرنا أنّ الحسن البصرى أيضاً قال ذلك حينما سمع بالخبر «٢». ولعلّه حصل خبط فى النقل.

يزيد فى موضع الانفعال ص : ١٢٩

قال سبط ابن الجوزي: «ولما فعل يزيد برأس الحسين ما فعل تغيّرت وجوه أهل الشام وأنكروا عليه ما فعل، فقال: أتدرون من أين دهى أبو عبد الله؟ قالوا: لا، قال: من الفقه والتأويل، كأتى به قد قال: أبى خير من أبيه، وأمى خير من أمه وجدى خير من جدّه، فأنا أحقّ بهذا الأمر منه، ولم يلحظ قوله تعالى: (قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ) الآية «٣». فسرى عن وجوه أهل الشام» «٤».

قال ابن أعثم والخوارزمي: «ثمّ أقبل (يزيد) على أهل مجلسه وقال: هذا يفخر علىّ ويقول: "أبى خير من أبى يزيد، وأمى خير من أمه، وجدى خير من جدّ يزيد، وأنا خير من يزيد، فهذا الذى قتله! فأما قوله (إنّ أبى خير من أبى يزيد) فقد حاجّ أبى أباه فقضى الله لأبى على أبيه! وأما قوله (إنّ أمى خير من أمّ يزيد) فلعمري إنّه صادق، إنّ فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله خير من أمى، وأما قوله (إنّ جدّى خير من جدّ يزيد) فليس أحد يؤمن بالله واليوم الآخر يقول إنّه خير من محمّد صلى الله عليه وآله، وأما قوله (أنا) خير منى فلعلّه لم يقرأ هذه الآية (قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ ... قَدِيرٌ) «٥»

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ١٣٠

ومن المعلوم أنّ يزيد التجأ إلى هذا القول بعد اعتراض كثير من الحاضرين وفيهم بعض الصحابة وأقاربه أيضاً، فصار محرّجاً فسعى لتشويه أهداف نهضة الحسين بهذا القياس السخيف، وإلّا فأين الثرى من الثرى، أين معاوية الطليق ابن الطليق من علىّ أمير المؤمنين وسيد الوصيين وقائد الغرّ المحجلين؟! وأين هند آكلة الأكباد من فاطمة الزهراء سيّدة نساء العالمين؟! وأين أبو سفيان الطليق من النبى الأكرم صلى الله عليه وآله سيد الأولين والآخرين؟! وأين يزيد اللعين من الحسين عليه السلام وهو سيّد شباب أهل الجنّة أجمعين؟! وبعبارة أخصر: أين الشجرة الملعونة فى القرآن من الشجرة المباركة التى أصلها ثابت وفرعها فى السماء؟

ويختم يزيد كلامه بذكر مشيئة الله وقضائه وقدره، وهو لا يعلم منها شيئاً، وهذا هو سلاح المتجبرين أن ينهوا كل شيء إلى هذه النقطة ويروجوا لمسلك الجبر في المقام ويُسكتوا أصوات مخالفيهم والسادجين من الناس.

نعم التجأ يزيد إلى هذا الموقف المنفعل بعدما رأى فضاغة إساءته إلى رأس سبط الرسول وثمره البتول، ولذلك ذكروا أنه قال بهذا المقال بعدما اعترضه أبو برزة الأسلمي «١» أو ابن الحكم «٢» وبعد ذلك تمثّل بأبيات ابن الزبيرى.

ويزيد نفسه يعلم من هو الحسين عليه السلام ومكانته في قلوب الناس العارفين.

إن ابن كثير - مع ما فيه - يعترف بعلو مكانة أبي عبدالله الحسين عليه السلام في عيون الناس، ويقول: «بل الناس إنما ميلهم إلى الحسين لأنه السيد الكبير وابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فليس على وجه الأرض يومئذٍ أحدٌ يسايره ولا يساويه» «٣».

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ١٣١

تمثّل يزيد بأبيات ابن الزبيرى ص : ١٣١

قال الخوارزمي: «ثم كشف (يزيد) عن ثنايا رأس الحسين بقضيبه ينكته به وأنشد.. فقال بعض جلسائه: ارفع قضيبك فوالله ما أحصى ما رأيت شفتي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في مكان قضيبك يقبله! فأنشد يزيد:

يا غراب البين ما شئت فقل إنما تندب أمراً قد فعل

كلّ ملك ونعيم زائل وبنات الدهر يلعبن بكلّ

ليت أشياخي بيدٍ شهدوا جزع الخزر ج من وقع الأسل

لأهلوا واستهلوا فرحاً ثم قالوا يا يزيد لا تشلّ

لست من خندف إن لم أتقم من بنى أحمد ما كان فعل

لعبت هاشم بالملك فلا خبرٌ جاء ولا وحيّ نزل

قد أخذنا من علىّ ثارنا وقتلنا الفارس الليث البطل

وقتلنا القرم من ساداتهم وعدلناه بيدٍ فاعتدل «١»

عدّة ملاحظات ص : ١٣١

١- إن يزيد تمثّل بأبيات ابن الزبيرى في المقام. صرح بذلك الكثير.

منهم: أبو الفرج الاصفهاني «٢» وابن أعثم الكوفي «٣» وسبط ابن الجوزي «٤» وابن

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ١٣٢

شهر آشوب «١» والخوارزمي «٢» ..

وابن نما «٣» وابن عساكر «٤» والباعوني «٥» والسيد ابن طاووس «٦» وابن أبي الحديد المعتزلي «٧» وابن عبد ربه «٨» والبدخشاني «٩»

وغيرهم. وادّعى سبط ابن الجوزي الشهرة في ذلك «١٠».

أمّا أصل الأشعار فقد ذكرها ابن هشام (المتوفى سنة ٢١٣ أو ٢١٨) «١١» ومحمد بن سلام الجمهوى (المتوفى سنة ٢٣١) «١٢»، والجاحظ

(المتوفى سنة ٢٥٥) «١٣»، وأقدمها وأكملها في سيرة ابن هشام.

وأمّا ابن الزبيرى فهو عبدالله بن الزبيرى بن قيس بن عدى بن سعيد بن سهم، أبو سعد، شاعر قریش من الجاهلية، كان شديداً على

المسلمين، قيل إنه أسلم في الفتح سنة ثمان، ومات سنة ١٥ من الهجرة «١٤».

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ١٣٣

قال الخوارزمي: «قال الحاكم: الأبيات التي أنشدها يزيد بن معاوية هي لعبدالله بن الزبيرى أنشدها يوم أحد لما استشهد حمزة عم

النبي صلى الله عليه وآله وجماعته من المسلمين، وهي قصيدة طويلة» «١».

قال ابن هشام: «قال ابن إسحاق: وقال عبدالله بن الزبيرى فى يوم أحد:

يا غراب البين أسمعت فقل إنما تنطق شيئاً قد فعل

إن للخير وللشر مدى وكلا ذلك وجد وقيل

والعطيات حساس بينهم وسواء قبر مثر ومقل

كل عيش ونعيم زائل وبنات الدهر يلعبن بكل

أبلغا حسان عني آية فقريض الشعر يشفى ذا الغلل

كم ترى بالجزر من جمجمه وأكف قد أمرت ورجل

وسرايل حسان سریت عن كماء أهلکوا فى المنتزل

كم قتلنا من كريم سيد ماجد الجدین مقدم بطل

صادق النجدة قرم بارع غير ملثا لى وقع الأسل

فسل المهراس من ساكنه بين أقحاف وهام كالجحل

ليت أشياخى بدير شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل

حين حكّت بقاء برکها واستحرّ القتل فى عبد الأشل

ثم خفوا عند ذاكم رقصا رقص الحفان يعلو فى الجبل

فقتلنا الضعف من أشرافهم وعدلنا ميل بدر فاعتدل

لا ألوم النفس إلا أننا لو كررنا لفعلنا المفتعل

بسيوف الهند تعلو هامهم عللا تعلوهم بعد نهل

فأجابه حسان بن ثابت الأنصارى رضى الله عنه بقصيدة مطلعها:

ذهبت يابن الزبيرى وقعة كان منا الفضل فيها لو عدل «١»

ورواه الخوارزمي بهذا التفصيل مع تفاوت يسير «٢».

٢- إن يزيد قد زاد على أبيات ابن الزبيرى ما يدل على كفره وخبث باطنه وسريرته، ويكشف عما فى قلبه من الإلحاد والحقد لرسول

الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته الطيبين الطاهرين.

قال ابن أعثم: ثم زاد فيها هذا البيت من نفسه:

لست من عتبه إن لم أنتقم من بنى أحمد ما كان فعل «٣»

وقال سبط ابن الجوزى: قال الشعبى: وزاد فيها يزيد فقال:

لعبت هاشم بالملك... الأبيات «٤».

وعنه أنه قال: وقيل: إن يزيد زاد فيها هذه الأبيات:

لاستهلوا ثم طاروا فرحاً ثم قالوا يا يزيد لا تشل

لعبت هاشم بالملك فلا خبرٌ جاء ولا وحى نزل

لست من خندق إن لم أنتقم من بنى هاشم ما كان فعل «٥»

ولذلك اتخذ كثير من علماء المسلمين موقفاً جلياً وصلباً أمام هذا الطاغى الملحد استناداً إلى هذه الأبيات - وإلى غيرها من أعماله السيئة - كما ذكرنا ذلك بالتفصيل في المباحث السابقة، ومنه على سبيل المثال:

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ١٣٥

قال مجاهد: «نافق فيها، ثم والله ما بقي من عسكره أحد إلّا تركه» «١».

٣- لقد أوضحنا أن أرباب كتب السير والتاريخ قد ذكروا تمثل يزيد بهذه الأبيات، وإن كان هناك اختلاف يسير في كيفية النقل وعدد الأبيات، فبعضهم لم يذكر إلا بيتاً واحداً «٢» وبعضهم اثنين «٣» وبعضهم ثلاثة «٤»، وبعضهم أربعة «٥»، وبعضهم خمسة «٦»، وبعضهم ستة «٧»، وبعضهم سبعة «٨»، وبعضهم ثمانية أبيات منها «٩».

٤- لقد استندت العقيلة السيدة زينب الكبرى بنت الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إلى إنشاد يزيد لهذه الأبيات في المجلس بقولها: «ألا إنها نتيجة خلال الكفر وضب يجر جر في الصدر لقتلى يوم بدر، فلا يستبطن في بغضنا أهل البيت من كان نظره إلينا شنفاً وشنافاً وأحناً وأضغاناً يظهر كفره برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويفصح ذلك بلسانه، وهو يقول فرحاً بقتل ولده وسبى ذريته غير متحوب ولا مستعظم يهتف بأشياخه:

لأهلوا واستهلوا فرحاً ولقالوا يا يزيد لا تشل

منتحياً على ثنيايا أبي عبدالله - وكان مقتبل رسول الله صلى الله عليه وآله - ينكتها بمخصرته قد التمع السرور بوجهه «١».. فلتردن وشيكاً موردهم و لتودن أنك شللت وبكمت ولم تكن قلت ما قلت وفعلت ما فعلت» «٢».

٥- قال ابن أبي الحديد المعتزلي في جملة أبيات ذكرها عن ابن الزبيرى أنه قالها لوصف يوم أحد:

ليت أشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل

حين حطت بقباء بركها واستحز القتل في عبد الأسل

ثم قال: «كثير من الناس يعتقدون أن هذا البيت ليزيد بن معاوية، وقال من أكره التصريح باسمه: هذا البيت ليزيد؟ فقلت له: إنما قاله يزيد متمثلاً لما حمل إليه رأس الحسين عليه السلام وهو لابن الزبيرى، فلم تسكن نفسه إلى ذلك، حتى أوضحت له فقلت: ألا تراه قال: «جزع الخزرج من وقع الأسل» والحسين عليه السلام لم تحارب عنه الخزرج، وكان يليق أن يقول جزع بنى هاشم من وقع الأسل، فقال بعض من كان حاضراً: لعله قاله يوم الحرّة، فقلت: المنقول أنه أنشده لما حمل إليه رأس الحسين عليه السلام والمنقول أنه شعر ابن الزبيرى، ولا يجوز أن يترك المنقول إلى ما ليس بمنقول» «٣».

أقول: لا ريب في صحته ما قاله المعتزلي من أن أصل الأبيات لابن الزبيرى

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ١٣٧

وإن زاد عليها يزيد أبياتاً - كما مر - وكذلك لا خلاف في أنه أنشده لما حمل إليه رأس الحسين عليه السلام بالشام، ولكن ما ادّعه من عدم نقل إنشاده في وقعة الحرّة فإنه غير صحيح، فلقد روى ابن عبد ربه ذلك بقوله: «وبعث مسلم بن عقبة برؤوس أهل المدينة إلى يزيد، فلما القيت بين يديه جعل يتمثل بقول ابن الزبيرى يوم أحد:

ليت أشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل

لأهلوا واستهلوا فرحاً ولقالوا ليزيد لا فشل

فقال له رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ارتددت عن الإسلام يا أمير المؤمنين! قال: بلى نستغفر الله.

قال: والله لا ساكتك أرضاً أبداً، وخرج عنه» «١».

وهذا اعتراف من يزيد على نفسه بأن قوله يوجب الكفر والارتداد عن الدين! وإن أمكن أن يقال بأنها سالبه بانتفاع الموضوع!!
٦- جاء في تفسير القمى في ذيل الآية الشريفة: (ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ) «٢»
:«وَأَمَّا قَوْلُهُ: (وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ) فَهُوَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَمَّا أُخْرِجَتْهُ قَرِيشٌ مِنْ مَكَّةَ وَهَرَبَ مِنْهُمْ إِلَى الْغَارِ وَطَلَبُوهُ لِيَقْتُلُوهُ، فَعَاقَبَهُمُ اللَّهُ يَوْمَ بَدْرٍ فَقُتِلَ عَتَبَةُ وَشَيْبَةُ وَالْوَالِدُ وَأَبُو جَهْلٍ وَحَنْظَلَةُ بْنُ أَبِي سَفْيَانَ
مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ١٣٨

وغيرهم، فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله طلب بدمائهم فقتل الحسين وآل محمد بغياً وعدواناً، وهو قول يزيد حين تمثّل بهذا
الشعر: (وذكر الأبيات ثم قال):
وقال الشاعر في مثل ذلك:

وكذاك الشيخ أوصاني به فاتبعت الشيخ فيما قد سئل
وقال يزيد أيضاً، والرأس مطروح يقلبه:

يألت أشيأنا الماضين بالحضر حتى يقيسوا قياساً لا يقاس به
أيام بدر لكان الوزن بالقدر

فقال الله تبارك وتعالى: (وَمَنْ عَاقَبَ) يعنى رسول الله صلى الله عليه وآله (بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ) يعنى حين أرادوا أن يقتلوه (ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ) يعنى بالقائم عليه السلام من ولده «١».

٧- روى ابن عساكر بإسناده عن حمزة بن زيد الحضرمي قال: «رأيت امرأة من أجمل النساء وأعقلهنّ يقال لها (ريا) كان بنو أمية يكرمونها، وكان هشام (أى هشام بن عبد الملك) يكرمها، وكانت إذا جاءت إلى هشام تجيء راكبة فكلّ من رآها من بنى أمية أكرمها، ويقولون ريا حاضنة يزيد بن معاوية، فكانوا يقولون قد بلغت من السنّ مائة سنة، وحسن وجهها وجمالها باق بنضارته! فلما كان من الأمر الذى كان «٢» استترت فى بعض منازل أهلنا، فسمعتها- وهى تقول وتعيب بنى أمية مداراة لنا- قالت: دخل بعض بنى أمية على يزيد، فقال: "أبشر يا أمير المؤمنين، فقد أمكنك الله من عدوّ الله! وعدوّك- يعنى الحسين بن على- قد قُتل ووُجّه برأسه إليك،" فلم يلبث إلّا أياماً حتى جىء برأس الحسين، فوضع بين يدي يزيد فى طشت، فأمر الغلام، فرفع الثوب الذى كان عليه، فحين رآه خمر وجهه بكمه-

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ١٣٩

كأنه يشمّ منه رائحة «١»- وقال: الحمد لله الذى كفانا المؤونة بغير مؤونة! كلّمنا أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله.

قالت ريا: فدنوت منه فنظرت إليه وبه ردع من حنا.

قال حمزة: فقلت لها: أفرع ثناياه بالقضيب كما يقولون؟

قالت: إى والذى ذهب بنفسه وهو قادر على أن يغفر له، لقد رأيتته يفرع ثناياه بالقضيب فى يده ويقول أبياتاً من شعر ابن الزبيرى «٢».
أقول: ليس بغريب أن يتمثّل يزيد بتلك الأبيات فى مواطن عديدة ومواقف مختلفة ومتعدّدة، ومن المحتمل أن ما روته ريا حصل فى مجلسه الخاص كما جرى ذلك فى مجلسه العام، كذلك استند إليها فى وقعة الحرّة كما مرّ ذكره.

٨- أنكر ابن تيمية- فى رسالته «سؤال فى يزيد بن معاوية» التى كتبها بعد قرون من وقعة الطف منتصراً ليزيد- كونه المرّدّد لشعر ابن الزبيرى (ليت أشيأخي بيدر شهدوا) «٣».

وإنكار ابن تيمية لمثل هذه المسألة الواضحة المسلمة تاريخياً، التى ادّعى سبط ابن الجوزى حصول الشهرة عليها «٤» ليس إلّا إنكار أمر بديهي، وليس الداعى لذلك إلّا نصرة يزيد، حشره الله معه، ولقد ذكرنا مصادر البحث شافياً فلا نعيد.

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ١٤٠

محوارات الإمام السجّاد عليه السلام مع يزيد ص : ۱۴۰

اشاره

لقد بلغت الحرب النفسية الذروة بعد وقعة الطف الأليمه، ولم تكن بأقل من الحرب فى ظلّ السيف، فيزيد يريد أن يظهر بمظهر الغالب الظاهر فى جميع المجالات، وأن يرى انتهاء الأمر بتمامه، لكى يتمّ بذلك كلّ شىء له! وهو يعلم أنه لا يصل إليه إلاّ بظفره فى هذه الحرب النفسية، فتمّ يتمّ ترجيح إحدى كفتى المعادله. وفى جبهه الحق نرى أنها تسير على مسير قائدها، وتتحرك نحو تحقق أهدافها. وللإمام زين العابدين على بن الحسين عليه السلام القدح المعلى فى ذلك، لأنه هو الحجة على الأرض بعد أبيه، ولذلك نرى أن زين الكبرى تقف خلفه فى جميع المواقف، ومنها ما روى أنه قال يزيد لزينب: تكلمينى؟! فقالت: هو- أى الإمام زين العابدين عليه السلام- المتكلم «۱»، نعم ولعمته زينب الكبرى سلام الله عليها الدور الأوفى بعده كما نذكره إن شاء الله.

كان الإمام عليه السلام يواجه مشاكل عديدة ينبغى له أن يتغلب عليها:

۱- طاغوتاً يسمّى يزيد مستتر بستار الخلافة الإسلامية، لا بدّ أن يفتضح على رؤوس الأشهاد، ويكشف الغطاء عن واقعه الرذل، ليكسر أمام محبيه ومواليه.

۲- حكماً دموياً تحت غطاء دينى، فيزيد يستند إلى بعض الآيات القرآنية! ولا بدّ للإمام أن يواجه ذلك، ويتمسك بالقرآن فى الإجابة، أو يفسره بواقعه.

۳- إعلاماً مضللاً وبيئه مسمومه، فلقد عزّفوا الحسين عليه السلام بأنّه رجل خارجى! فعلى الإمام أن يواجه ذلك بكلّ صلابه ويعرّف أباه ونفسه وأهل بيته بأنهم أولاد رسول الله صلى الله عليه وآله، حيث يتكرّر ذلك فى مواطن عديدة.

معالركب الحسينى (ج ۶)، ص: ۱۴۱

إنّ كلّ ذلك يحتاج إلى اتّخاذ مواقف بطولية وشجاعه علوية وصمود فاطمى وقد تمثّلت فى زين العابدين وزينب الكبرى سلام الله عليهما.

وحينها سوف ترى من هو الغالب!؟

قال ابن سعد: «ثمّ أتى يزيد بن معاوية بثقل الحسين ومن بقى من أهله، فأدخلوا عليه قد قرنوا فى الجبال، فوقفوا بين يديه، فقال له على بن الحسين:

أنشدك بالله يا يزيد، ما ظنّك برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لو رأنا مقرّنين فى الجبال، أما كان يرقّ لنا؟! فأمر يزيد بالجبال، فقطّعت، وعُرف الانكسار فيه!» (۱).

وهكذا تمكّن الإمام عليه السلام فى أوّل موقف وقفه أمام هذا الطاغى أن يجردّه من السلاح، فهو عليه السلام لم يكسره نفسياً فحسب، بل جعل الانكسار بينه ويعرف فيه، كما صرّح بذلك ابن سعد، وسبط ابن الجوزى- فى المرأة-.

قال سبط ابن الجوزى: «وكان على بن الحسين والنساء موثّقين فى الجبال، فناداه على: يا يزيد، ما ظنّك برسول الله لو رأنا موثّقين فى الجبال عرايا على أقتاب الجمال، فلم يبق فى القوم إلاّ من بكى» (۲).

وهذه الرواية تصرّح بتغيير وضع المجلس بهذه الكلمة.

قال ابن نما: «فقال على بن الحسين عليهما السلام: وأنا مغلول فقلت: أتأذن لى فى الكلام؟»

معالركب الحسينى (ج ۶)، ص: ۱۴۲

فقال: قل ولا تقل هجراً!

قلت: لقد وقفت موقفاً لا ينبغي لمثلي أن يقول الهجر، ما ظنك برسول الله لو رآني في الغل؟

فقال لمن حوله: حلوه: «١»

قال ابن أعثم: «ثم أتى بهم - الأسرى من آل البيت - حتى أدخلوا على يزيد، وعنده يومئذ وجوه أهل الشام، فلما نظر إلى علي بن الحسين رضي الله عنه قال: من أنت يا غلام؟! فقال: أنا علي بن الحسين.

فقال: يا علي، إن أباك الحسين قطع رحمي وجهل حقي ونازعي سلطاني، فصنع الله به ما قد رأيت.

فقال علي بن الحسين: (مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ) «٢»
فقال يزيد لابنه خالد "اردد عليه يا بني، فلم يدر خالد ماذا يقول، فقال يزيد قل له: (وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ) «٣»

«٤»

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ١٤٣

يستفاد من هذه الرواية استشهاد يزيد بالآية الشريفة، دون أن يرده الإمام، وفيه تأمل واضح، فكيف يستند الطاغى إلى آية شريفة في المقام - وهو يريد المغالطة في البين - والإمام قادر على الجواب ولا يفعل!

فلذلك نرى حصول خلل في النقل.

فبعضهم لم يذكر شيئاً عن إجابة يزيد لكلام الإمام، مثل ما أورده ابن الجوزي في المنتظم «١»، ولا بأس به.

ولنعم ما ذكره أبو الفرج الإصفهاني في المقام، قال: «ثم دعا يزيد - لعنه الله - بعلي بن الحسين، فقال: ما اسمك؟ فقال: علي بن الحسين، قال: أولم يقتل الله علي بن الحسين؟! قال: قد كان لي أخ أكبر مني يسمى علياً فقتلتموه! قال: بل الله قتله، قال علي: (اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا) «٢»

، قال له يزيد: (مَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ) «٣»

، فقال علي: (مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ * لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَائِحِبُ كُلِّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ) «٤»

فوثب رجل من أهل الشام فقال: دعني أقتله، فألقت زينب نفسها عليه «٥».

فتحصّل أنه بناءً على ما ذكره أبو الفرج ينتهي الكلام بما استند به الإمام عليه السلام، وهو المطلوب المختار.

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ١٤٤

والدليل عليه ما رواه علي بن إبراهيم القمي عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام، قال: قال الصادق عليه السلام:

«لَمَّا أُدْخِلَ رَأْسَ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ عَلَى يَزِيدَ لَعْنَهُ اللَّهُ وَأُدْخِلَ عَلَيْهِ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ وَبَنَاتُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَكَانَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَقِيداً مَغْلُوقاً، فَقَالَ يَزِيدُ: يَا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي قَتَلَ أَبَاكَ.

فقال علي بن الحسين: لعن الله من قتل أبي.

فغضب يزيد وأمر بضرب عنقه.

فقال علي بن الحسين: فإذا قتلتنى فبنات رسول الله صلى الله عليه وآله من يردّهم إلى منازلهم وليس لهم محرم غيري؟

فقال: أنت تردّهم إلى منازلهم!

ثم دعا بمبرد فأقبل يبرد الجامعة من عنقه بيده.

ثم قال له: يا علي بن الحسين، أتدرى ما الذي أريد بذلك؟

قال: بلى تريد أن لا يكون لأحد عليّ منه غيرك.

فقال يزيد: هذا والله ما أردت أفعله.

ثم قال يزيد: يا عليّ بن الحسين (مَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ) «١»

فقال عليّ بن الحسين: كلاً، ما هذه فينا نزلت، إنّما نزلت فينا:

(مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ ... وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ...) «٢»،

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ١٤٥

فنحن الذين لا نأسى على ما فاتنا، ولا نفرح بما آتانا منها» «١»

نعم، ذكر ابن الصبّاح المالكي بعد ذكر استشهاد يزيد بآية: (مَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ) كلاماً للإمام عليّ بن الحسين

عليه السلام يكون بمنزلة تفسير هذه الآية قال: فقال عليّ عليه السلام: هذا في حقّ من ظلم، لا في من ظلم «٢»

، فالإمام يهدم أصل استناد يزيد من الأساس، ويبين عدم فقهه بمعنى الآية الشريفة.

قالوا: «ثم دعا بالنساء والصبيان، فأجلسوا بين يديه، فرأى هيئة قبيحة فقال:

قبح الله ابن مرجانة، لو كانت بينكم وبينه قرابة ورحم ما فعل هذا بكم ولا بعث بكم هكذا» «٣».

وهذا أيضاً موضع آخر لتبيين الانكسار في وجه يزيد، والتجائه للتفوه بهذه الكلمات الواهية، وهو يريد أن يتخلى عن المسؤولية ويرميها

على عاتق فاسق مثله هو ابن زياد.

ملاحظات ص: ١٤٥

ذكر بعض وقوع المكالمة بين يزيد والإمام زين العابدين عليه السلام والاستناد بتلك الآيات الشريفة في هذه المواقف:

١- قال ابن قتيبة: «وذكروا أن أبا معشر قال: حدّثني محمّد بن الحسين بن علي «٤» قال:

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ١٤٦

دخلنا على يزيد ونحن اثنا عشر غلاماً مغلّلين في الحديد، وعلينا قمص، فقال يزيد: أخلصتم أنفسكم بعييد أهل العراق؟

وما علمت بخروج أبي عبد الله حين خرج ولا بقتله حين قُتل، فقال عليّ بن الحسين: (مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ

إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ * لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ

فَخُورٍ) «١»

فغضب يزيد وجعل يعبث بلحيته وقال: (وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ) «٢»

، يا أهل الشام ما ترون في هؤلاء؟

فقال رجل من أهل الشام: لا تتخذنّ من كلب سوء جرواً ..» «٣».

فبناءً على ما ذكره ابن قتيبة لم يفسح المجال للإمام حتّى يقوم بالجواب.

٢- ذكر ابن عبد ربّه عن عليّ بن عبد العزيز عن محمّد بن الضحّاك بن عثمان الخرامى عن أبيه قال: «فقتله (أى الإمام الحسين عليه

السلام) عبيد الله وبعث برأسه وثقله إلى يزيد، فلما وُضع الرأس بين يديه تمثّل بقول حصين بن الحمام المرّى:

يفلّغن هاماً من رجال أعزّة علينا وهم كانوا أعقّ وأظلما

فقال له عليّ بن الحسين - وكان في السبي - كتاب الله أولى بك من الشّعري،

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ١٤٧

يقول الله: (مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ * لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى

مَا فَاتَكُم وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١﴾

فغضب يزيد وجعل يعث بلحيته، ثم قال: غير هذا من كتاب الله أولى بك وبأييك، قال الله: (وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ) ﴿٢﴾
، ما ترون يا أهل الشام في هؤلاء؟... ﴿٣﴾.

فبناءً على هذا الخبر - أيضاً - لم يفسح يزيد المجال لإجابة الإمام عليه السلام.

أورد الحافظ الطبراني بإسناده عن الليث قال: «أبي الحسين بن علي رضي الله عنهما أن يُستأسر» ﴿٤﴾، فقاتلوه وقتلوه وقتلوا بنيه وأصحابه الذين قاتلوا معه بمكان يقال له الطف، وانطلق بعلي بن حسين وفاطمة بنت حسين وسكينة بنت حسين إلى عبيدالله بن زياد وعلي يومئذ غلام قد بلغ، فبعث بهم إلى يزيد بن معاوية، فأمر بسكينة فجعلها خلف سريره لئلا ترى رأس أبيها وذو قرابتها وعلي بن الحسين رضي الله عنهما في غل فوضع رأسه فضرب علي ثنتي الحسين رضي الله عنه فقال:
نفلق هاماً من رجال أحبه إلينا وهم كانوا أعق وأظلماً
فقال علي بن الحسين رضي الله عنه:

(مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ١٤٨

قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ) ﴿١﴾

فنقل علي يزيد أن يتمثل بيت شعر وتلا علي آية من كتاب الله عز وجل، فقال يزيد: بل (بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ) ﴿٢﴾
فقال علي عليه السلام: أما والله لو رأنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مغلولين لأحب أن يخلينا من الغل.
قال: صدقت، فخلوهم من الغل.

قال: ولو وقفنا بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأحب أن يقربنا.

قال: صدقت، فقرّبوهم.

فجعلت فاطمة وسكينة يتطاولان لثريان رأس أبيهما، وجعل يزيد يتطاول في مجلسه ليستر عنهما رأس أبيهما.. ﴿٣﴾.

التأمل الذي ذكرناه يجري في هذا النقل، وعلى فرض صحته فالكلام الواقع بين الإمام ويزيد محمول على إرادة الإمام تجريد يزيد من سلاحه وذلك بتعريف نفسه وأهل بيته بأنهم أولاد رسول الله صلى الله عليه وآله، وأن ما يجري باسم الخلافة الإسلامية هو على خلاف سنة رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد نجح الإمام عليه السلام في ذلك.

قال ابن أعثم والخوارزمي - واللفظ للأول -:

«فتقدّم علي بن الحسين حتى وقف بين يدي يزيد بن معاوية، وجعل يقول:

لا تطمعوا أن تهينونا ونكرمكم وأن نكف الأذى عنكم وتؤذونا

فإن الله يعلم أننا لا نحبكم ولا نلومكم إن لم تحبونا

فقال يزيد: صدقت يا غلام، ولكن أراد أبوك وجدك أن يكونا أميرين، فالحمد لله الذي أذلّهما وسفك دماءهما!

فقال له علي بن الحسين:

يا بن معاوية وهند وصخر، لم يزل آبائي وأجدادي فيهم الإمرة من قبل أن تلد [تولد]، ولقد كان جدّي علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - يوم بدر وأحد والأحزاب في يده راية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأبوك وجدك في أيديهما رايات الكفر.

ثم جعل علي بن الحسين يقول:

ماذا تقولون إن قال النبي لكم ماذا فعلتم وأنتم آخر الامم

بعترتى وبأهلى بعد منقلبى منهم أسارى ومنهم صُرَّجوا بدم
أكان هذا جزائى أن نصحتكم أن تخلفونى بسوء فى ذوى رحمى
ثم قال على بن الحسين:

ويلك يا يزيد، إنك لو تدرى ما صنعت وما الذى ارتكبت من أبى وأهل بيتى وأخى وعمومتى إذاً لهربت فى الجبال وفرشت الرمال
ودعوت بالويل والثبور، أن يكون رأس الحسين بن فاطمة وعلى منصوباً على باب المدينة وهو وديعة رسول الله فىكم صلى الله عليه و
آله و سلم، فأبشر بالخزى والندامة غداً، إذا جمع الناس ليوم لا ريب فيه» (١)
مع الركب الحسينى (ج ٦)، ص: ١٥٠

وفيه نقاط للبحث والتأمل: ص : ١٥٠

- ١- صلابه موقف الإمام وصموده فى المقام.
- ٢- جعل الإمام مسؤوليه قتل الإمام الحسين عليه السلام- وما جرى فى وقعه الطف وبعده- على عاتق يزيد وتنبهه لعمق الفاجعه الكبرى، ووعيده بنار جهنم.
- ٣- تبين موضع جبهه يزيد بأنه وأباه وجدّه كانوا على خط الباطل، وفى قبالة هو وأبوه وجدّه على نهج الحق، وأن النهضه الحسينيه هى استمرار لتلك المواجهه والمقابله.
- ٤- وفى هذا الخبر أيضاً ما يفصح يزيد نفسه، فقد رأينا أنه يحاول أحياناً أن يتخلى عن مسؤوليه قتل الإمام الحسين ويدعى كذباً وزوراً بعدم علمه بقتل الحسين عليه السلام وعدم رضاه بذلك، بينما نراه- فى هذا الخبر- يفصح عما فى ضميره ويصرح بفرحه وسروره بقتل سيد الشهداء ويحمد الله على ذلك!

يزيد بهم بقتل الإمام عليه السلام ص : ١٥٠

قال الفقيه المحدث قطب الدين الراوندى: «وروى أنه لما حمل على بن الحسين عليهما السلام إلى يزيد عليه اللعنه هم بضرب عنقه، فوقفه بين يديه وهو يكلمه ليستنطقه بكلمه يوجب بها قتله، وعلى عليه السلام يجيبه حسب ما يكلمه وفى يده سبحة صغيرة يديرها بأصابعه، وهو يتكلم، فقال له يزيد عليه ما يستحقه: أنا أكلمك وأنت تجيبنى وتدير أصابعك بسبحة فى يدك، فكيف يجوز ذلك؟ فقال عليه السلام: حدثنى أبى عن جدى صلى الله عليه وآله:

أنه كان إذا صلى الغداة وانفتل لا يتكلم حتى يأخذ سبحة بين

مع الركب الحسينى (ج ٦)، ص: ١٥١

يديه، فيقول: اللهم إنى أصبحت أسبحك وأحمدك وأهللك وأكبرك وأمجّدك بعدد ما أدير به سبحتى، وأخذ السبحة فى يده ويديرها وهو يتكلم بما يريد من غير أن يتكلم بالتسبيح، وذكر أن ذلك محتسب له وهو حرز إلى أن يأوى إلى فراشه، فإذا آوى إلى فراشه قال مثل ذلك القول ووضع سبحته تحت رأسه فهى محسوبه له من الوقت إلى الوقت، ففعلت هذا اقتداءً بجدى صلى الله عليه وآله.

فقال له يزيد عليه اللعنه مره أخرى: لست أكلم أحداً منكم إلّا ويجيبنى بما يفوز به.

وعفا عنه ووصله وأمر بإطلاقه» (١).

إشارة بعض الحاضرين بقتل الإمام ص : ١٥١

قال المسعودي: «فلما استشهد (أى الإمام الحسين عليه السلام) حمل علي بن الحسين مع الحرم، وأدخل على اللعين يزيد، وكان لابنه أبى جعفر عليه السلام سنتان وشهور، فأدخل معه، فلما رآه قال له: كيف رأيت يا علي بن الحسين؟! قال: رأيت ما قضاه الله عزوجل قبل أن يخلق السماوات والأرض. فشاور يزيد جلساءه فى أمره، فأشاروا بقتله وقالوا له: لا تتخذ من كلب سوء جرواً. فابتدر أبو محمد الكلام، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال ليزيد لعنه الله: لقد أشار عليك هؤلاء بخلاف ما أشار جلساء فرعون عليه، حيث شاورهم فى موسى وهارون، فإنهم قالوا له: ارجه وأخاه، وقد أشار هؤلاء عليك لقتلنا، ولهذا سبب.

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ١٥٢

فقال يزيد: وما السبب؟ فقال عليه السلام:

إن أولئك كانوا الرشدة، وهؤلاء لغير رشدك، ولا يقتل الأنبياء وأولادهم إلا لأولاد الأدياء.

فأمسك يزيد مطرقاً، ثم أمر بإخراجهم على ما قصّ وروى «١».

وحيث كان هذا الكلام يحتوى على أحسن برهان وأتقن دليل، لم يجد يزيد أى ملجأ يهرب إليه.

مجابة الإمام زين العابدين مع الرجل الشامى ص : ١٥٢

قال ابن سعد: «فقام رجل من أهل الشام فقال: "إن سبأهم لنا حلال!" فقال علي بن حسين: كذبت ولؤمت، ماذا لك إلا أن تخرج من ملتنا وتأتى بغير ديننا. فأطرق يزيد ملياً، ثم قال للشامى: اجلس» «٢».

وروى القاضى نعمان عن علي بن الحسين عليهما السلام قال: «ووجهه بى إلى يزيد لعنه الله مع سائر حرم الحسين عليه السلام وحرم من اصيب معه، فلما صرنا بين يدي يزيد اللعين قام رجل من أهل الشام فقال: يا أمير المؤمنين، نساؤهم لنا حلال، فقال علي بن الحسين عليه السلام:

كذبت إلا أن تخرج من ملة الإسلام، فتستحل ذلك بغير دين.

فأطرق يزيد ملياً، وأمر بالنسوة، فأدخلن إلى نسائه...» «٣».

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ١٥٣

زينب الكبرى فى مجلس يزيد ص : ١٥٣

إنها بنت علي وفاطمة، واخت الحسن والحسين، قد تربت فى أحضان النبوة والولاية، وهى اليوم بطلة المعركة تقف أمام الطاغى بكل صلابه، وتكلمه بتمام الشجاعة، لأنها ترى الواقع الثابت عند الله، وتعلم بأن أخاها ومسيره الغالبان، والطاغى هو المخذول المغلوب على أمره، ولأجل ذلك نرى أنه لم يدر كها الهول والفرع، وتقوم برسالتها وبواجبها امتداداً لثورة كربلاء وتجسيدا راعياً لقيمها الكريمة وأهدافها السامية.

فهى تتكلم فى وقت الكلام وتسكت فى وقت السكوت. حينما يسألها يزيد بكلامه (تكلمينى!؟) تجعل المسئولية على عاتق علي بن

الحسين عليه السلام بقولها: هو المتكلم «١»، حتى تعرف الإمام والحجة وقائد المسيرة، وحينما يكون الوقت مقتضياً نرى أنها تأخذ بزمام الكلام وتنطق بكلمات عالية تكشف عن كونها تربت في مدرسة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

قال القندوزي: «ثم أمر يزيد الملعون أن يحضروا عنده حرم الحسين وأهل بيته، قالت زينب:

يا يزيد أما تخاف الله ورسوله من قتل الحسين؟ وما كفاك ذلك حتى تستجلب بنات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من العراق إلى الشام! وما كفاك حتى تسوقنا إليك كما تُساق الإماء على المطايا بغير وطاء! وما قتل أخى الحسين سلام الله عليه أحد غيرك يا يزيد، ولولا أمرك ما يقدر ابن

مع الרכب الحسيني (ج ٦)، ص: ١٥٤

مرجائه أن يقتله، لأنه كان أقل عدداً وأذل نفساً، أما خشيت من الله بقتله وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيه وفي أخيه: «الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة من الخلق أجمعين»، فإن قلت لا فقد كذبت، وإن قلت نعم فقد خصمت نفسك واعترفت بسوء فعلك.

فقال: "ذرية يتبع بعضها بعضاً." وبقى يزيد خجلاً ساكناً «١».

وفي هذا الخطاب نقاط لا بد من الالتفات إليها:

(١) التركيز على الانتساب لرسول الله صلى الله عليه وآله وذلك لأجل كسر حاجز الخوف الإعلامي المشوّه والمسموم.
(٢) التركيز على جعل مسؤولية قتل الإمام الحسين عليه السلام على عاتق يزيد، وعدم إمكانه من التخلّي عنه، وأنه لولاه لما تمكّن ابن مرجائه أن يرتكبه.

(٣) تأثير كلام زينب الكبرى، بحيث أن يزيد لم يحر جواباً.

بين يدي رأس الإمام ص: ١٥٤

نرى أن زينب الكبرى سلام الله عليها تتخذ موقفاً عاطفياً حينما تواجه رأس أخيها سيّد الشهداء سلام الله عليه، ومع ذلك تؤثر على المجلس تأثيراً تاماً بحيث ينقلب المجلس، حتى يبكي كل من كان حاضراً في المجلس ويزيد ساكت.
قال السيّد ابن طاووس:

«وأما زينب فإنها لما رأتها (رأس الحسين عليه السلام) أهوت إلى جيبها فشقتّه، ثم نادت بصوت حزين يقرح القلوب: يا حسيناه، يا حبيب رسول الله، يا بن مكرّم ومنى، يا بن فاطمة الزهراء سيّدة النساء، يا بن بنت المصطفى».

قال الراوي: «فأبكت والله كل من كان حاضراً في المجلس، ويزيد ساكت»

مع الרכب الحسيني (ج ٦)، ص: ١٥٥

خطبة زينب الكبرى ص: ١٥٥

إشارة

إنّ من أروع الخطب التي سجّلها التاريخ فصارت من متمّمات النهضة الحسينية المباركة هي الخطبة التي ألقتها زينب الكبرى في مجلس يزيد.

يقول الأستاذ باقر شريف القرشي: «فقد دمّرت فيه حفيده الرسول صلى الله عليه وآله جبروت الطاغية، وألحقت به الهزيمة والعار،

وعرفته أن دعاء الحق لا تنحني جباههم أمام الطغاة والظالمين» (١).

ولقد ذكر كثيرٌ تلك الخطبة الغزاة أقدمهم ابن طيفور (ت: ٢٨٠) نذكرها حسب نقله لقدمته وعلو مضامينه، ثم نردف ما نقله بالصيغة التي رواها الخوارزمي، وذلك لأجل وجود فروق كثيرة في نقل الأخير ولاشتماله على مطالب راقية ومضامين عالية.

قال ابن طيفور - بعد ذكر تمثّل يزيد بأبيات ابن الزبيري -:

فقال زينب بنت عليّ عليهما السلام:

صدق الله ورسوله يا يزيد (ثمّ كان عاقبة الذين أساءوا السوءى أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون) (٢)

أظننت يا يزيد - حين أخذ علينا بأطراف الأرض وأكناف السماء فأصيحنا نساق كما تساق الأسارى أن بنا هواناً على الله، وبك عليه كرامة!! وأن هذا

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ١٥٦

لعظيم خطرِك فشمخت بأنفِك ونظرت في عطفِك، جدلان فرحاً حين رأيت الدنيا مستوسقة لك، والأمر مَسَقَةً عليك، وقد أهملت ونفست وهو قول الله تبارك وتعالى: (ولأ يحسبن الذين كفروا أنما نملى لهم خيراً لأنفسهم إنما نملى لهم ليزدادوا إثماً ولهم عذاب مهين) (١)

، أمن العدل يابن الطلقاء تخديرك نساءك وإماءك وسوقك بنات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد هتكت ستورهن وأصحلت صوتهن مكثبات تحذى بهن الأباغر ويحدو بهن الأعادي من بلد إلى بلد، لا يراقبن ولا يؤوين، يتشوفهن القريب والبعيد، ليس معهن ولي من رجالهن، وكيف يستبطأ في بغضنا من نظر إلينا بالشنف والشتان والإحن والأصغان، أتقول: «ليت أشياخي بيدر شهدوا» غير متأثم ولا مستعظم وأنت تنكت ثنايا أبي عبدالله بمخضرتك؟! ولم لا تكون كذلك وقد نكأت القرحة واستأصلت الشافة بإهراقك دماء ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونجوم الأرض من آل عبد المطلب، ولتردن على الله وشيكاً موردهم ولتودن أنك عميت وبكمت، وأنتك لم تقل «فاستهلوا وأهلوا فرحاً» اللهم خذ بحقنا وانتقم لنا ممن ظلمنا، والله ما فريت إلأفى جلدك ولا - حزرت إلأفى لحمك، وسترده على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم برغمك وعترته ولحمته في حظيرة القدس، يوم يجمع الله شملهم مالمومين من الشعث، وهو قول الله تبارك وتعالى: (ولأ تحسبن الذين قتلوا في سبيل

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ١٥٧

الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يُرزقون) (١)

، وسيعلم من بؤأك ومكنك من رقاب المؤمنين إذا كان الحكم الله والخصم محمد صلى الله عليه وآله وسلم وجوارحك شاهدة عليك، فبئس للظالمين بدلاً، أيكم شرّ مكاناً وأضعف جنداً. مع أنى والله يا عدو الله وابن عدوّه أستصغر قدرك وأستعظم تفرعك، غير أن العيون عبرى والصدور حزى وما يجزى ذلك أو يغنى عنا، وقد قتل الحسين عليه السلام، وحزب الشيطان يقربنا إلى حزب السفهاء ليعطوهم أموال الله على انتهاك محارم الله، فهذه الأيدي تنطف من دمائنا، وهذه الأفواه تتحلب من لحومنا، وتلك الجثث الزواكى يعتامها عسلان الفلوات، فلئن اتخذتنا مغنماً لتتخذن مغرماً حين لا تجد إلأما قدمت يداك، تستصرخ ابن مرجانه ويستصرخ بك وتتعاوى وأتباعك عند الميزان، وقد وجدت أفضل زاد زودك معاوية قتلك ذرية محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فوالله ما اتقيت غير الله ولا شكواى إلألى الله، فكد كيدك واسع سعيك وناصب جهدك، فوالله لا يدحض عنك عار ما أتيت إلينا أبداً، والحمد لله الذى ختم بالسعادة والمغفرة لسادات شبان الجنان، فأوجب لهم الجنة، أسأل الله أن يرفع لهم الدرجات وأن يوجب لهم المزيد من فضله، فإنه وليّ قدير (٢).

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ١٥٨

وأما ما ذكره الخوارزمي فهو:

فقامت زينب بنت علي وأمها فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالت:

«الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى «١» سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ، صَدَقَ اللَّهُ تَعَالَى إِذْ يَقُولُ: «ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ أَصَاؤُا السُّؤَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ» «٢»

. أَظَنَنْتِ يَا يَزِيدُ حَيْثُ أَخَذْتَ عَلَيْنَا أَقْطَارَ الْأَرْضِ «٣» وَأَفَاقَ السَّمَاءِ وَأَصْبَحْنَا «٤» تُسَاقُ كَمَا تُسَاقُ الْأَسَارَى «٥» أَنْ بِنَا عَلَى اللَّهِ «٦» هَوَانًا «٧»، وَبِكَ عَلَيْهِ كَرَامَةٌ «٨»؟ وَأَنَّ ذَلِكَ لِعَظَمِ خَطَرِكَ عِنْدَهُ «٩»! فَشَمَخْتَ بِأَنْفِكَ وَنَظَرْتَ فِي عِطْفِكَ «١٠»، جَدْلَانِ مَسْرُورًا، حِينَ رَأَيْتِ الدُّنْيَا لَكَ مُسْتَوْسِقَةً،

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ١٥٩

وَالْأُمُورَ «١» مُتَّسِقَةً، وَحِينَ صَفَا لَكَ مُلْكُنَا «٢» وَسُلْطَانُنَا، فَمَهْلًا مَهْلًا «٣»! أَنْسَيْتَ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: «وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْمَّا نُمَلِي لَهُمْ خَيْرٌ لَأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِي لَهُمْ لِيُزِدُوا إِيمَانًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ» «٤»

. أَمِنْ الْعَدْلِ يَا بِنْتَ الطَّلَقَاءِ تَحْدِيرُكَ إِمَاءَكَ وَسَوْقَكَ بِنَاتِ رَسُولِ اللَّهِ سَبَابًا؟! قَدْ هَتَكَتِ سُتُورَهُنَّ، وَأَبْدَيْتِ وُجُوهَهُنَّ، يَحْدَى «٥» بِهِنَّ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ، وَيَسْتَشْرِفُهُنَّ أَهْلُ الْمَنَاهِلِ «٦» وَالْمَنَاقِلِ، وَيَتَصَفَّحُ وُجُوهَهُنَّ الْقَرِيبُ وَالْبَعِيدُ «٧»، وَالِدُنْيَى وَالشَّرِيفُ «٨»، لَيْسَ مَعَهُنَّ مِنْ رِجَالِهِنَّ وَلَيْتِي، وَلَا مِنْ حُمَاتِهِنَّ حَمِيَّتِي «٩». وَكَيْفَ تُرْجَى الْمُرَاقِبَةُ مَنْ لِفِظِ فَوْهِ أَكْبَادُ السَّعْدَاءِ «١٠»، وَتَبَّتْ لِحْمُهُ بِدِمَاءِ الشُّهَدَاءِ «١١»!؟

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ١٦٠

وَكَيْفَ «١» لَا يَسْتَبْطِئُ فِي بَغْضِنَا أَهْلَ الْبَيْتِ «٢» مَنْ نَظَرَ إِلَيْنَا بِالشَّفَفِ وَالشَّنَانِ وَالِإِخْنِ وَالْأَضْغَانِ؟! ثُمَّ تَقُولُ «٣» غَيْرَ مُتَأَمِّنٍ وَلَا مُسْتَعْظِمٍ «٤»:

لَأَهْلُوا وَاسْتَهَلُّوا فَرَحًا ثُمَّ قَالُوا: يَا يَزِيدُ لَأَتَشَلَّ مُنْتَحِيًا «٥» عَلَى ثَنَائِي أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ تَنَكُّتُهَا بِمُخَصَّرَتِكَ «٧»؟.

وَكَيْفَ لَأَتَقُولُ ذَلِكَ، وَقَدْ نَكَاتِ الْقُرْحَةُ، وَاسْتَأْصَلَتِ الشَّافَةُ، يَا رَاقِبَتِكَ «٨» دِمَاءَ ذُرِّيَّةِ آلِ «٩» مُحَمَّدٍ «١٠» وَنُجُومِ الْأَرْضِ مِنْ آلِ

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ١٦١

عَبْدِ الْمُطَلِّبِ؟! أَتَهْتِفُ «١» بِأَشْيَاخِكَ؟ زَعَمْتَ تُنَادِيهِمْ «٢»، فَلَتَرِدَنَّ وَشِيكًا مِرُورِدِهِمْ، وَلَتَوَدَّ أَنَّكَ سَلَلْتَ وَبَكَمْتَ وَلَمْ تَكُنْ قُلْتَ مَا قُلْتَ. اللَّهُمَّ خُذْ بِحَقِّنَا، وَانْتِقِمْ «٣» مِمَّنْ ظَلَمَنَا «٤»، وَاحْلُلْ غَضَبَكَ «٥» بِمَنْ سَفَكَ دِمَاءَنَا «٦» وَقَتْلَ حُمَاتِنَا. فَوَاللَّهِ مَا فَرَيْتِ إِلَّا جِلْدَكَ، وَلَا «٧» جَزْرَتِ «٨» إِلَّا لِحَمِيَّكَ، وَلَتَرِدَنَّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِمَا تَحَمَّلْتَ «٩» مِنْ سَفَكَ دِمَاءِ ذُرِّيَّتِهِ وَانْتِهَاكَ حَرَمَتِهِ «١٠» فِي لِحْمَتِهِ وَعَتْرَتِهِ، وَلِيخَاصِمَنَّكَ حَيْثُ يَجْمَعُ اللَّهُ تَعَالَى شَمْلَهُمْ، وَيَلْمَ شَعَثَهُمْ، وَيَأْخُذُ لَهُمْ بِحَقِّهِمْ «وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ١٦٢

أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزُقُونَ» «١». «٢»

فَحَسْبُكَ بِاللَّهِ «٣» حَاكِمًا، وَبِمُحَمَّدٍ خَصِمًا «٤» وَبِجَبْرِئِيلَ ظَهِيرًا، وَسَيَعْلَمُ مَنْ سَوَّلَ «٥» لَكَ وَمَكَّنَكَ مِنْ رِقَابِ الْمُسْلِمِينَ، أَنْ يَنْسَ «٦» لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا، وَأَيُّكُمْ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ «٧» جُنْدًا.

وَلَيْتَنِي جَزَّتْ عَلَيَّ الدَّوَاهِي مُخَاطَبَتِيكَ، فَإِنِّي «٨» لَأَسْتَصِيغُ غُرَّ قَدْرِكَ، وَأَسْتَعْظِمُ تَقْرِيعَكَ، وَأَسِي تَكْبِيرُ «٩» تَوْبِيخَكَ، لَكِنَّ الْعَيْونَ عَجَبِي، وَالصُّدُورَ حَزِي.

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ١٦٣

أَلَا «١» فَالْعَجَبُ كُلُّ الْعَجَبِ بِقَتْلِ «٢» حِزْبِ «٣» اللَّهِ النُّجَبَاءِ بِحِزْبِ الشَّيْطَانِ الطَّلَقَاءِ، فَتِلْكَ الْأَيْدِي تَنْطِفُ «٤» مِنْ دِمَائِنَا، وَتِلْكَ «٥»

الْأَفْوَاهُ تَتَحَلَّبُ مِنْ لُحُومِنَا، وَتِلْكَ الْجُثْثُ الطَّوَاهِرُ الزَّوَاكِي تَتَنَابَهَا «٦» الْعَوَاسِلُ وَتَعْفُوهَا «٧» الذَّنَابُ «٨»، وَتَوَمَّهَا الْفَرَاعِلُ، وَكَيْنَ اتَّخَذْتَنَا مَعْنَمَا لَتَجِدُنَا»

وَشَيْكًا مَعْرَمًا، حِينَ لَا تَجِدُ إِلَّا مَا قَدَمْتَ يَدَاكَ «١٠»، وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ، فَإِلَى اللَّهِ الْمُشْتَكَى «١١»، وَعَلَيْهِ الْمُعْوَلُ. فَكَيْدَ كَيْدِكَ «١٢»، وَاشْعَ سَيْعِيكَ، وَنَاصِبَ جُهْدِكَ، فَوَاللَّهِ لَا تَمُحُو «١٣» ذِكْرَنَا، وَلَا تُمِيتْ وَحِينًا، وَلَا تُدْرِكْ أَمِيدَنَا، وَلَا تَرَحُّصُ عَنكَ عَارَهَا «١٤»، وَلَا تَغِيبْ سَنَارَهَا، فَهَلْ رَأَيْكَ إِلَّا فَنَدَ وَأَيَّامَكَ إِلَّا

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ١٦٤

عدد، وشملك «١» إلبدد، يوم ينادى المنادى ألا لعنة «٢» الله على الظالمين. فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَتَمَ «٣» لِأَوْلِنَا بِالسَّعَادَةِ وَالرَّحْمَةِ، وَلَاخِرْنَا بِالشَّهَادَةِ وَالْمَغْفِرَةِ «٤».

وَأَسْأَلُ «٥» اللَّهَ أَنْ يُكَمِّلَ لَهُمُ التَّوَابَ، وَيُوجِبَ لَهُمُ الْمَزِيدَ «٦»، وَحَسَنَ الْمَآبِ، وَيَخْتَمَ بِنَا الشَّرَافَةَ، إِنَّهُ رَحِيمٌ وَدُودٌ، وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ «٧». «٨»

إنه خطاب عظيم تمكن من كسر غرور يزيد وتحطيم كبريائه.

يقول الإمام كاشف الغطاء رحمه الله: «أستطيع ريشة أعظم مصور وأبداع ممثل أن يمثل لك حال يزيد وشموخه بأفنه وزهوه بعطفه وسروره وجدله باتساق الأمور وانتظام الملك ولذة الفتح والظفر والتشفي والانتقام- بأحسن من ذلك التصوير

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ١٦٥

والتمثيل- وهل في القدرة والإمكان لأحد أن يدفع خصمه بالحجة والبيان والتفريع والتأنيب، ويبلغ ما بلغته سلام الله عليها بتلك الكلمات، وهي على الحال الذي عرفت، ثم لم تقتنع منه بذلك حتى أرادت أن تمثل له وللحاضرين عنده ذل الباطل وعزة الحق وعدم الاكتراث والمبالاة بالقوة والسلطة والهيبة والرهبه، أرادت أن تعرفه حسه قدره وضعه مقداره وشناعه فعله ولؤم فرعه وأصله «١». ويقول المرحوم الفكيكي:

«تأمل معي في هذه الخطبة النارية كيف جمعت بين فنون البلاغة وأساليب الفصاحة، وبراعة البيان، وبين معاني الحماسة وقوة الاحتجاج وحجة المعارضة والدفاع في سبيل الحرية والحق والعقيدة بصراحة هي أنفذ من السيوف إلى أعماق القلوب، وأحد من وقع الأسته في الحشا والمهيج في مواطن القتال ومجالات النزال، وكان الوثوب على أنياب الأفاعي وركوب أطراف الرماح أهون على يزيد من سماع هذا الاحتجاج الصارخ الذي صرخت به ربيبه المجد والشرف في وجوه طواغيت بني أمية وفراعنتهم في منازل عزهم ومجالس دولتهم الهرقلية الارستقراطية الكريهه، ثم إن هذه الخطبة التاريخية الفاصعة لا تزال تنطق ببطولات الحوراء الخالدة وجرأتها النادرة، وقد احتوت النفس القوييه الحساسه الشاعره بالمثاليه الأخلاقيه الرفيعه الساميه، وسيبقى هذا الأدب الحي صارخاً في وجوه الطغاة الظالمين على مدى الدهر وتعاقب الأجيال وفي كل ذكرى لواقعة الطف الدامية المفجعه» «٢».

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ١٦٦

نظرة سريعة في مضامين الخطبة ص: ١٦٦

إن هذه الخطبة الغراء تحتوي على مضامين عالية ومواقف صلبة نشير إلى بعضها:

١- بيان نقطة مهمية في المعارف الإسلامية حول إمهال الله تعالى الطغاة الظلمة والكفرة الفجرة، وأنه ليس ذلك إلا لإتمام الحجة عليهم وليزدادوا إثماً، وفي المقام أن ما وصل إليه يزيد ليس لعظم خطره عند الله! فليعلم أنه له عذاب عظيم.

٢- بيان جور يزيد في الحكم، مع أنه يدعى تمثيله الخلافة الإسلامية.

٣- التركيز على مسألة حفظ مكانة المرأة ولزوم الغيرة.

- ٤- التركيز على أن ما فعله يزيد هو نتيجة الكفر وأن ما ارتكبه هو انتقام لما فعله الرسول من قتل أقرباء يزيد الكفرة في يوم بدر، وهو هز السيوف في وجه رسول الله بعد مضي خمسين سنة من وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام.
- ٥- التأكيد أن الحكم والولاية لآل محمد لا لغيرهم، وذلك في قولها: «و حين صفا لك ملكنا وسلطاننا».
- ٦- الإشارة إلى مسؤوليته من مكن الطاغية من رقاب المسلمين، وبذلك تجيب عما يريد أن يحيل ذلك إلى قضاء الله وقدره!
- ٧- التصريح بعدم تمكن يزيد ولا أذناؤه من محو ذكر أهل البيت، فذلك أمر لا يتمكّنه أحد.
- ٨- بيان عظمه مقام الشهيد وعلو الشهادة في الفكر الإسلامي.
- ٩- جعل المسؤولية الكبرى في قتل الإمام الحسين عليه السلام على عاتق يزيد مباشرة.
- مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ١٦٧

موقف يزيد من الخطبة ص : ١٦٧

قال الخوارزمي - بعد ذكره الخطبة - فقال يزيد:

يا صيحه تحمد من صوائح ما أهون النوح على النوائح «١»

وقال الأستاذ باقر شريف القرشي: «وكان خطاب العقيلة كالصاعقه على رأس يزيد، فقد انهار غروره وتحطم كبرياؤه، وحرار في الجواب فلم يستطع أن يقول شيئاً، إلا أنه تمثّل بقول الشاعر (وذكر البيت) ولم تكن أية مناسبة بين ذلك الخطاب العظيم الذي أبرزت فيه عقيلة الوحي واقع يزيد، وجردته من جميع القيم الإنسانية، وبين ما تمثّل به من الشعر الذي أعلن فيه أن الصيحه تحمد من الصوائح، وأن النوح يهون على النائحات، فأى ربط موضوعي بين الأمرين؟!» «٢»

موقف زينب الكبرى من طلب الرجل الشامي ص : ١٦٧

إشارة

قال الشيخ المفيد:

«قالت فاطمة بنت الحسين عليها السلام: فلما جلسنا بين يدي يزيد ورق لنا، فقام إليه رجل من أهل الشام أحمر، فقال: يا أمير المؤمنين، هب لي هذه الجارية - يعني - وكنت جارية وضيئه، فأرعدت وظننت أن ذلك جائر لهم، فأخذت بثياب عمّتي زينب، وكانت تعلم أن ذلك لا يكون.

فقلت عمّتي للشامي: كذبت والله ولؤمت، والله ما ذلك لك ولا له!

فغضب يزيد وقال: كذبت! إن ذلك لي ولو شئت أن أفعل لفعلت!

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ١٦٨

قالت: والله ما جعل الله لك ذلك إلا أن تخرج من ملتنا وتدين بغيرها.

فاستطار يزيد غضباً وقال: إياي تستقبلين بهذا؟! إنما خرج من الدين أبوك وأخوك!

قالت زينب: بدين الله ودين أبي ودين أخي اهتديت أنت وجدك وأبوك إن كنت مسلماً.

قال: كذبت يا عدوة الله!

قالت له: أنت أمير، تشتم ظالماً وتقهّر بسطانك.

فكأنه استحيا وسكت.

فعاد الشامى فقال: هب لى هذه الجارية.

فقال له يزيد: اعزب، وهب الله لك حتفاً قاضياً» (١).

ملاحظات: ص : ١٦٨

١- قال ابن الجوزى وأما قوله: «لى أن أسبيهم» فأمر لا يقع لفاعله ومعتقده إلّا اللعنة (٢).

وقال سبطه: «ليس العجب من قتال ابن زياد الحسين وتسليطه عمر بن سعد على قتله وحمل الرؤوس إليه، وإنما العجب من خذلان يزيد وضربه بالقضيب ثنياه وحمل آل رسول الله سبايا على أقتاب الجمال وعزمه على أن يدفع فاطمة مع الركب الحسينى (ج ٦)، ص: ١٦٩

بنت الحسين إلى الرجل الذى طلبها... وكذا قول يزيد "لى أن أسبيكم" لما طلب الرجل فاطمة بنت الحسين» (١).

٢- ذكر الخوارزمى - حينما ذكر ما وقع من الكلام بين يزيد وزينب الكبرى عليها السلام فى المقام:-

«قالت زينب: أمير مسلط يشتم ظالماً، ويقهر بسطانه، اللهم إليك أشكو دون غيرك.

فاستحى يزيد، وندم وسكت مطرقاً، وعاد الشامى إلى مثل كلامه، فقال: يا أمير المؤمنين، هب لى هذه الجارية.

فقال له يزيد: اعزب عنى لعنك الله، وهب لك حتفاً قاضياً، ويلك لا تقل ذلك! فهذه بنت على وفاطمة، وهم أهل بيت لم يزالوا مبغضين لنا منذ كانوا» (٢).

وروى سبط ابن الجوزى عن هشام بن محمد قال:

«إنه لما دخل النساء على يزيد نظر رجل من أهل الشام إلى فاطمة بنت الحسين عليه السلام وكانت وضيئته، فقال ليزيد: هب لى هذه فإنهن لنا حلال، فصاحت الصبية وارتعدت وأخذت بثوب عمّتها زينب، فصاحت زينب ليس ذلك إلى يزيد ولا كرامته، فغضب يزيد وقال: لو شئت لفعت، فقالت زينب: صلّ إلى غير قبلتنا ودن بغير ملّتنا وافعل ما شئت، فسكن غضبه» (٣).

والمهم ما ذكره السيّد ابن طاووس:

«ونظر رجل من أهل الشام إلى فاطمة بنت الحسين عليه السلام فقال: يا أمير

مع الركب الحسينى (ج ٦)، ص: ١٧٠

المؤمنين! هب لى هذه الجارية، فقالت فاطمة لعمتها: يا عمّتها، أيتمت وأستخدم؟ فقالت زينب: لا، ولا كرامته لهذا الفاسق، فقال الشامى: من هذه الجارية؟ فقال له يزيد لعنه الله: هذه فاطمة ابنة الحسين، وتلك عمّتها زينب ابنة على، فقال الشامى: الحسين بن فاطمة وعلى بن أبى طالب؟! قال: نعم، فقال الشامى: لعنك الله يا يزيد، تقتل عتره نبيك وتسبى ذريته، والله ما توهمت إلّا أنهم سبى روم! فقال يزيد: والله لألحقنك بهم، ثم أمر به، فضربت عنقه» (١).

وهذا الخبر أيضاً يدلّ بوضوح على سيطرة الإعلام المضللّ وبثّ الدعايات الكاذبة فى الشام، ولذلك نرى تركيز أهل البيت وعلى رأسهم الإمام زين العابدين عليه السلام وزينب الكبرى عليها السلام وتكرارهم بأنهم من أولاد رسول الله صلى الله عليه وآله وثمره على وفاطمة.

٣- ذكر بعض أن القصيدة جرت فى شأن فاطمة بنت على، ثم ذكروا الموقف الزينى نفسه، ذكر ذلك البلاذرى (٢)، والشيخ الصدوق

(٣)، والطبرى (٤)، وابن الأثير (٥)، وابن الجوزى (٦)، وابن كثير (٧) بتفاوت بالنقل.

أقول: وأما فاطمة بنت على - عليه السلام - فقد ذكرها الشيخ المفيد (٨) وابن

مع الركب الحسينى (ج ٦)، ص: ١٧١

شهر آشوب (١) والطبرسى (٢)، وابن أبى الحديد (٣) وغيرهم فى عداد أولاد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وأمه أم ولد، روى عن

عنبسة العابد أنه قال: إن فاطمة بنت علي مد لها في العمر حتى رآها أبو عبد الله عليه السلام «٤».

ولكن المهم في المقام أمران:

الأول: لا نعلم بحضورها في وقعة الطف وبعدها.

الثاني: على فرض حضورها فالقرائن الحالية والمقالية في الخبر تدل على أنها كانت في شأن فاطمة بنت الحسين عليهما السلام لا فاطمة بنت علي عليهما السلام، التي روى أنها كانت متزوجة من محمد بن عقيل «٥».

وأما ما جاء في بعض هذه الأخبار بأنها قالت: فأخذت أختي وهي أكبر مني وأعقل «٦»، أو: وأخذت بثياب أختي زينب «٧»، فهناك رواية يمكن الركون والاعتماد عليها وهي ما رواها الخوارزمي أنها قالت فاطمة بنت الحسين: فأخذت بثياب أختي وعمتي زينب «٨»، والاخت هي سكينه بنت الحسين عليهما السلام.

٤- أهمل بعض التصريح بالاسم، واكتفى بذكر عنوان «وصيفة من بناتهم» «٩»

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ١٧٢

أو «وصيفة من بناته» «١»، أو «صبيته منهم» «٢»، ثم ذكر الموقف نفسه لزينب عليها السلام.

٥- لقد تفرد أبو الفرج الإصبهاني بذكره الخبر في شأن زينب سلام الله عليها، فإنه بعدما ذكر من الكلام الذي جرى بين الإمام زين العابدين عليه السلام ويزيد، قال: «فوثب رجل من أهل الشام فقال: "دعني أقتله"، فألقت زينب نفسها عليه، فقام رجل آخر فقال: "يا أمير المؤمنين هب لي هذه أتخذها أمية"، قال: فقالت له زينب: "لا- ولا كرامه ليس لك ذلك، ولا له، إلا أن يخرج من دين الله"، فصاح به يزيد: "اجلس" فجلس، وأقبلت زينب عليه وقالت: "يا يزيد، حسبك من دماننا"، وقال علي بن الحسين: إن كان لك بهؤلاء النسوة رحم وأردت قتلى فابعث معهن أحداً يؤدیهن، فرق له وقال: لا يؤدیهن غيرك» «٣».

٦- لقد حققت زينب الكبرى نصراً حاسماً على الطاغى وهو في ذروة السلطة والقدرة الظاهرية فقد أفحمت المرّة بعد المرّة، وقد تمكنت أن تظهر جهل مدعى الخلافة للناس، كما كشفت عن عدم فقهه في شؤون الدين، فإن نساء المسلمين لا يصح اعتبارهن سبايا في الحروب، ولا يعاملن معاملة السبي، فكيف إن كنّ بنات رسول الله صلى الله عليه وآله؟!.

دور أم كلثوم في مجلس يزيد ص: ١٧٢

قال العلامة المجلسي رحمه الله - حول طلب الرجل الشامي من يزيد:-

«وفي بعض الكتب: قالت أم كلثوم للشامي: اسكت يالكع الرجال، قطع الله

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ١٧٣

لسانك، وأعمى عينيك، وأيبس يديك، وجعل النار مثواك، إن أولاد الأنبياء لا يكونون خدمة لأولاد الأعداء.

قال: فوالله ما استتم كلامها حتى أجاب الله دعاءها في ذلك الرجل.

فقالت: الحمد لله الذي عجل لك العقوبة في الدنيا قبل الآخرة، فهذا جزاء من يتعرض لحرم رسول الله صلى الله عليه وآله «١».

دور سكينه بنت الحسين عليهما السلام ص: ١٧٣

قال الشيخ المفيد: «سكينه بنت الحسين.. أمها الرباب بنت امرئ القيس بن عدى، كليله، وهي أم عبد الله بن الحسين..» «٢».

ولها دور مهم في جميع مراحل النهضة الحسينية، ومنها في مجلس يزيد، فهي تسير على نهج أخيها الإمام السجاد عليهما السلام

وعمتها زينب الكبرى عليها السلام. وتقصد تحقيق نفس الأهداف، وتتوسّل بذات الأساليب، فلذلك نرى أنّها تقوم بتعريف الأسارى بأنهم من آل محمّد، لكي تسيطر على الجوّ المسموم إعلامياً.

روى الحميرى بإسناده عن عبدالله بن ميمون عن جعفر بن محمّد عن أبيه عليهما السلام قال: لما قدم على يزيد بذرارى الحسين أدخل بهنّ نهاراً مكشوفات وجوههنّ، فقال أهل الشام الجفّاء: ما رأينا سبيّاً أحسن من هؤلاء، فمنّ أنتم؟ فقالت سكينه بنت الحسين: نحن سبايا آل محمّد» (۳)

ونرى أنّها تواجه يزيد بكلّ صلابه، وتجبره على التراجع فى الموقف، بحيث يُظهر الندامة ويجعل المسؤوليه على عاتق ابن مرجانه كذباً وزوراً.

مع الركب الحسينى (ج ۶)، ص: ۱۷۴

قال ابن سعد: «وقالت له سكينه بنت حسين: يا يزيد، بنات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [سبايا؟]» (۱).

فقال: يا بنت أخى! هو والله علىّ أشدّ منه عليك!

وقال: أقسمت بالله لو أنّ بين ابن زياد وبين حسين قرابه ما أقدم عليه، ولكن فرقت بينه وبينه سميه!

وقال: قد كنت أرضى من طاعه أهل العراق بدون قتل الحسين، فرحم الله أبا عبدالله، عجل عليه ابن زياد، أما والله لو كنت صاحبه ثم لم أقدر على دفع القتل عنه إلّا بنقص بعض عمرى لأحببت أن أدفعه عنه! ولوددت أنّى أتيت به سلماً» (۲).

قال الشيخ الصدوق رحمه الله: ثم أدخل نساء الحسين عليه السلام على يزيد بن معاويه، فضمن نساء آل يزيد وبنات معاويه وأهله، وولولن وأقمن المأتم، ووضع رأس الحسين بين يديه، فقالت (سكينه بنت الحسين): والله ما رأيت أفسى قلباً من يزيد، ولا رأيت كافراً ولا مشركاً شراً منه ولا أجفى منه، (۳) وأقبل يقول وينظر إلى الرأس:

ليت أشياخى بيدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل (۴)

دور فاطمة بنت الحسين عليهما السلام ص : ۱۷۴

قال الشيخ المفيد: «فاطمة بنت الحسين.. أمّها أمّ إسحاق بنت طلحة بن عبيدالله، تيمية» (۱).

قال ابن عبد ربه: «وحمل أهل الشام بنات رسول الله سبايا على أحقاب الإبل، فلما أدخلن على يزيد قالت فاطمة ابنة الحسين: يا يزيد، بنات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سبايا؟ قال: بل حرائر كرام، ادخلى على بنات عمك تجديهن قد فعلن ما فعلت، قالت فاطمة: فدخلت إليهنّ، فما وجدت فيهنّ سفياًتيه إلّا متلذمةً تبكى» (۲).

وقال ابن نما: «وقالت فاطمة بنت الحسين: يا يزيد، بنات رسول الله سبايا! فبكى الناس وبكى أهل داره حتّى علت الأصوات» (۳).

وقال القاضى نعمان: «فقال فاطمة بنت الحسين عليه السلام: يا يزيد، ما تقول فى بنات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سبايا عندك؟ فاشتدّ بكأوه حتّى سمع ذلك نساؤه، فبكين حتّى سمع بكاءهن من كان فى مجلسه» (۴).

وروى الطبرى عن أبى عوانة بن الحكم الكلبي: «ثم أدخل نساء الحسين على يزيد، فصاح نساء آل يزيد وبنات معاويه وأهله وولولن، ثمّ أنّهنّ أدخلن

مع الركب الحسينى (ج ۶)، ص: ۱۷۶

على يزيد، فقالت فاطمة بنت الحسين - وكانت أكبر من سكينه -: بنات رسول الله سبايا يا يزيد؟

فقال يزيد: ابنة أخى أنا لهذا كنت أكره.

قالت: والله ما ترك لنا خرص.

قال: يا ابنه أخي، ما أتى إليك أعظم مما أخذ منك.

ثم أخرجنا فدخلنا دار يزيد بن معاوية» (١).

والشيء الذي يلفت النظر في هذا الموقف هو وضوح التراجع والتنازل من قبل الطاغى يزيد بن معاوية، وهو يرجع إلى ما حصل في المجلس، ومن تأثير كلام أهل بيت العترة، بحيث انقلب المجلس، لأن المجلس الذي أُسس على أساس أن يكون مجلس فرح يزيد أصبح مجلس ماتم الحسين عليه السلام ومنطلق الانقلاب ضد يزيد، وعليه يحمل ما ورد في هذه الأخبار من أنه رقب عليهم! ولعن ابن مرجانة، أو أنه بكى!! فإن ذلك كان لأجل بكاء الناس وخوفه من إثارة الفتنة وزوال ملكه.

وأما ما حكى عن فاطمة قولها: «والله ما ترك لنا خرص»، ففيه:

١- لم يثبت صدور هذا الكلام منها، وفي صحته ما حكى عنها تأمل.

٢- بناءً على فرض صحته الصدور، فإنها قالته لأجل بيان شدة ما ارتكبه جلاوزة يزيد في معركة الطف، لا أنها تطالب بذلك، إلا أن في ضمن ما سلب عن أهل البيت بعض موارث فاطمة الزهراء، فإنه لا تقابلها أي شيء، فمطالبته ذلك ليس بمعنى الحصول على أمر مادي فحسب.

معالركب الحسيني (ج ٦)، ص: ١٧٧

استنكار بعض أهل الكتاب ص: ١٧٧

إشارة

إن رسالة الثورة الحسينية لم تنحصر بطائفة دون أخرى، ولا يقوم دون آخرين، ولا بزمان دون غيره، لذلك نرى أن الاستنكار والتنديد بمرتكبي الفاجعة العظمى ومسيبها لم يخص المسلمين وحدهم، بل شمل كل أحرار العالم على مدى الزمان، ومنه استنكار بعض حاضري مجلس يزيد من أهل الكتاب.

جذور المسألة ص: ١٧٧

صحيح أن عمق الفاجعة والمأساة يستدعي أن يتخذ كل إنسان حراً موقفاً جليلاً وجليلاً وصلباً تجاهها، ولكن جذور المسألة - هنا - قد تعود إلى ما روى في كتبهم وآثارهم (أعني أهل الكتاب) حول ما يجري في كربلاء.

فقد روى سالم بن أبي جعدة عن كعب الأخبار أنه قال: «إن في كتابنا (أن رجلاً من ولد محمد رسول الله صلى الله عليه وآله يقتل ولا يجف عرق دواب أصحابه حتى يدخلوا الجنة، فيعانقوا الحور العين)، فمر بنا الحسن عليه السلام فقلنا: هو هذا؟ قال: لا، فمر بنا الحسين عليه السلام فقلنا: هو هذا؟ قال: نعم» (١).

وفي كامل الزيارة بإسناده عن خالد الربيعي قال: حدثني من سمع كعباً يقول:

«أول من لعن قاتل الحسين عليه السلام إبراهيم خليل الرحمن، لعنه وأمر ولده بذلك، وأخذ عليهم العهد والميثاق، ثم لعنه موسى بن عمران وأمر أمته بذلك، ثم لعنه داود وأمر بني إسرائيل بذلك، ثم لعنه عيسى وأكثر أن قال: يا بني إسرائيل العنوا قاتله، وإن أدركتم أيامه فلا تجلسوا عنه، فإن الشهيد معه كالشهيد مع الأنبياء...، وكأني أنظر إلى بقعته، وما من نبي إلا وقد زار كربلاء ووقف عليها وقال: إنك

معالركب الحسيني (ج ٦)، ص: ١٧٨

لبقعة كثيرة الخير فيك يدفن القمر الأزهر» (١).

وروى الخوارزمي عن الفتوح بإسناده عن كعب الأحبار أنه لما أسلم زمن عمر بن الخطاب وقدم المدينة وجعل أهل المدينة يسألونه عن الملاحم التي تكون في آخر الزمان فكان يخبرهم بأنواع الملاحم والفتن ويقول: «وأعظمها ملحمة هي الملحمة التي لا تنسى أبداً وهي الفساد الذي ذكره الله تعالى في كتابكم فقال: «ظهر الفساد في البر والبحر»، وإنما فتح بقتل قابيل هايل ويختم بقتل الحسين بن علي عليه السلام، ثم قال كعب: لعلكم تهونون قتل الحسين، أولاً- تعلمون أنه تفتح يوم قتله أبواب السماوات كلها ويؤذن للسماء بالبكاء فتبكي دماً عيطاً؟ فإذا رأيتم الحمره قد ارتفعت من جناتها شرقياً وغربياً فاعلموا أنها تبكي حسيناً، فقيل له: يا أبا إسحاق، كيف لم تفعل ذلك بالأنبياء وأولاد الأنبياء من قبل وبمن كان خيراً من الحسين؟ فقال كعب، ويحكم إن قتل الحسين لأمر عظيم، لأنه ابن بنت خير الأنبياء، وأنه يُقتل علانية مبارزة ظلماً وعدواناً، ولا تحفظ فيه وصية رسول الله صلى الله عليه وآله وهو مزاج مائه، وبضعة من لحمه، فيذبح بعرضه كربلاء في كرب وبلاء» (٢).

وقال ابن كثير: «وقد روى عن كعب الأحبار آثار في كربلاء» (٣).

وعن رأس الجالوت أنه قال: «كنت أسمع أنه يُقتل بكربلاء ابن نبى، فكنت إذا دخلتها ركضت دابتي حتى أخلفها! فلما قُتل الحسين جعلت أسير على هنيئتي» (٤).

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ١٧٩

وقال سبط ابن الجوزي: قال ابن سيرين: وجد حجر قبل مبعث النبي صلى الله عليه وآله بخمسائة سنة مكتوب بالسريانية، فنقلوه إلى العربية فإذا هو:

أترجو أمة قتلت حسيناً شفاعته جده يوم الحساب (١)

وروى الخوارزمي عن إمام لبني سليم قال: «حدّثنا أشياخنا قالوا: دخلنا في الروم كنيسة لهم، فوجدنا في الحائط صخرة فيها مكتوب:

أترجو أمة قتلت حسيناً شفاعته جده يوم الحساب

فلا والله ليس لهم شفيع وهم يوم القيامة في العذاب

فقلنا لشيخ من الكنيصة: منذ كم هذا الكتاب؟ فقال: من قبل أن يبعث صاحبكم بثلاثمائة عام» (٢).

وفي بعض الكتب أنه وجد ذلك البيت بستمائة عام قبل مبعث الرسول (٣).

وروى الزرندي عن سليمان بن يسار: وجد حجر مكتوب عليه:

لا بد أن ترد القيامة فاطم وقميصها بدم الحسين ملطخ

ويل لمن شفاعته خصماؤه والصور في يوم القيامة يُنفخ (٤)

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ١٨٠

هذا، وأهم من جميع ذلك أنه جاء في العهد القديم والجديد ذكر ما ينطبق على الإمام الحسين عليه السلام، كما أورده الاستاذ الشيخ أحمد الواسطي في كتابه القيم «أهل البيت في الكتاب المقدس»، قال:

«يوحنا» يخبر عن المذبوح بكربلاء ص : ١٨٠

فقد جاء في سفر يوحنا

كي أتأ نشحطنا

في بدمخا قانيتا لإيلوهيم

من كل مشبحا في لا شون في كل عم في گوى

في إيريه فا اشمع

قول ملاخيم ربيم
قورثيم عوشير في حاخما
في گبورها في هدار كافود في براخا «١».

ويعنى هذا النص:

إِنَّكَ الَّذِي ذُبِحْتَ

وقدّمت دمك الطاهر قرباناً للرب

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ١٨١

ومن أجل إنقاذ الشعوب والامم

وسينال هذا الذبيح المجد

والعزة والكرامة وإلى الأبد لأنه

جسد البطولة والتضحية بأعلى مراتبها.

يشير النص العبري إلى الإمام الحسين عليه السلام من خلال ما جاء على لسان «يوحنا» بأنه المذبوح الذي ضحى بنفسه وأهل بيته من أجل الله وأنه سينال المجد والعزة على مرّ العصور والأجيال وهذا ما يتضح من خلال التحليل اللغوي للنص العبري حيث نجد الإشارة إلى أنه (ذُبِحَ، قُتِلَ) من خلال صيغة اسم الفاعل (نشحطتا) وهي مشتقة من الفعل (شاحط): (ذُبِحَ، قُتِلَ) «١».

ثم نجد في النص العبري تأكيداً آخر على أن المذبوح يشري دمه الطاهر قرباناً إلى الله وابتغاء مرضاته من خلال عبارة: (بِدْمِخَا قَانِيَتَا) فالفعل (قانيتا) هو بالأصل:

(قانا): (اشترى، باع) و (التاء) في (قانيتا) هي (تاء المخاطب) «٢».

ثم الإشارة إلى نكتة مهمّة وهي أن هذه التضحية وهذا قربان الذي قدّمه الحسين عليه السلام لكل الشعوب والامم على اختلاف لغاتهم وقومياتهم بقوله: (من كل مشبحا ولاشون وعم وگوى) «٣».

ثم يؤكد النص على أن الله سيجعل - لسيد الشهداء - المجد والكرامة والعزة بقوله: (في اشمع قول ملاخيم ربيم قورثيم عوشير في حاخما في گبورا في هدار كافود) «٤». وهذا ما ينطبق على سيد الشهداء المذبوح بكر بلاء، الذي انفرد بهذه الخصوصية التي ميزته عن بقيّة الشهداء على مرّ التاريخ.

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ١٨٢

«أرميا» يخبر عن مذبحه كربلاء ص: ١٨٢

فقد جاء في صحيفة «أرميا»

في هيوم ههوكاشلوا

في نافلوا تسافونا عل يد نهر فرات

في آكلا حيرب

في سابعا

في راوتا من دمام

كى زيبح لأدوناي يهفا

تسفاؤوت با إيرتس

تسافون إل نهر فرات «١».

ويعنى هذا النص:

في ذلك اليوم يسقط القتلى في المعركة

قرب نهر الفرات

وتشبع الحرب والسيوف وترتوى

من الدماء التي تسيل في ساحة المعركة

بسبب مذبحة رب الجنود في أرض

تقع شمال نهر الفرات

فالنص الذي أخبر عنه «أرميا» يكشف بكل وضوح عن ملحمة الطف في كربلاء الحسين، ومن خلال التحليل اللغوي للنص العبري نجد تعظيماً لفداحة ما

معالركب الحسيني (ج ٦)، ص: ١٨٣

يحدث في ذلك اليوم حيث يسقط القتلى في المعركة: (كاشلوا في نافلوا) في شمال نهر الفرات: (تسافونا عل يد نهر فرات) «١»

ثم التأكيد على أن: الحراب والسيوف ستشبع وترتوى من الدماء التي ستسيل في ساحة المعركة: (في آكلا حيرب في سابعا في راوتا من دمام)، والإشارة ثانية إلى أن هذه المذبحة ستقع شمال نهر الفرات:

(تسافون إل نهر فرات). فإخبار «أرميا» بسقوط الشهداء وارتواء السيوف من دمائهم على أرض تقع على (نهر الفرات) يدل دلالة واضحة على أن هذه الأرض هي (كربلاء)، لأن (عبيدالله بن زياد) عندما بعث (بعمر بن سعد) على رأس جيش فلقى الحسين عليه السلام بموضع على الفرات يقال له (كربلاء) «٢»، فمنعوه الماء وحالوا بينه وبين ماء الفرات. ويتضح من خلال هذين النصين، وما تضمناه من تنبؤات بما سيحدث على أرض (كربلاء) وما سيلاقيه «سيد الشهداء» يتطابق مع ما ورد عن الرسول صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام، بشأن مظلومية الحسين، وأشارت إلى مكان استشهاده والحسين كان طفلاً صغيراً «٣».

رأس اليهود في مجلس يزيد ص: ١٨٣

قال الفقيه المحدث قطب الدين الراوندي: «ودخل عليه (يزيد) رأس اليهود. فقال: ما هذا الرأس؟

فقال: رأس خارجي!

قال: ومن هو؟

معالركب الحسيني (ج ٦)، ص: ١٨٤

قال: الحسين؟

قال: ابن من؟

قال: ابن علي.

قال: ومن أمه؟

قال: فاطمة.

قال: ومن فاطمة؟

قال: بنت محمد.

قال: نبيكم؟! قال: نعم.

قال: لا جزاكم الله خيراً، بالأمس كان نبيكم واليوم قتلتم ابن بنته؟! ويحك إن بني داود النبي نيفاً وسبعين أباً، فإذا رأتنى اليهود كفرت لى «١»، ثم مال إلى الطشت وقبّل الرأس، وقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنّ جدك محمداً رسول الله، وخرج، فأمر يزيد بقتله «٢».

وذكر ابن أعثم - بعد ذكره ما جرى بين الإمام زين العابدين عليه السلام ويزيد من الكلام - قال: «فالتفت حبر من أحبار اليهود وكان حاضراً، فقال: من هذا الغلام يا أمير المؤمنين؟! فقال: صاحب الرأس هو أبوه.

قال: ومن هو صاحب الرأس يا أمير المؤمنين؟

قال: الحسين بن علي بن أبي طالب.

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ١٨٥

قال: فمن أمه؟

قال: فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

فقال الحبر: يا سبحان الله، هذا ابن نبيكم قتلتموه في هذه السرعة، بش ما خلفتموه في ذريته، والله لو خلف فينا موسى بن عمران سبطاً من صلبه لكنّا نعبده من دون الله «١»، وأنتم إنّما فارقكم نبيكم بالأمس، فوثبتم على ابن نبيكم فقتلتموه، سواء لكم من أمه.

قال: فأمر يزيد بكرة في حلقه «٢»، فقام الحبر وهو يقول: إن شئتم فاضربوني أو فاقتلوني أو فذروني، فإنّي أجد في التوراة أنّه من قتل ذرية نبي لا يزال مغلوباً «٣» أبداً ما بقي، فإذا مات يصلية الله نار جهنم «٤».

وروى ابن عبد ربه عن أبي الأسود محمد بن عبد الرحمن أنّه قال: «لقيت رأس الجالوت «٥»، فقال:

إنّ بيني وبين داود سبعين أباً، وإنّ اليهود إذا رأوني عظّموني وعرفوا حقّي وأوجبوا حفظي، وأنّه ليس بينكم وبين نبيكم إلاّ أب واحد، وقتلتم ابنه «٦».

قال الخوارزمي: «قال بعض العلماء: إنّ اليهود حرموا الشجرة التي كان منها

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ١٨٦

عصا موسى أن يخبطوا بها وأن يوقدوا منها النار تعظيماً لعصا موسى، وأنّ النصارى يسجدون للصليب لاعتقادهم فيه أنّه من جنس العود الذي صلب عليه عيسى، وأنّ المجوس يعظّمون النار لاعتقادهم فيها أنّها صارت برداً وسلاماً على إبراهيم نفسها، وهذه الامّة قد قتلت أبناء نبيها وقد أوصى الله تعالى بمودّتهم وموالاتهم، فقال عزّ من قائل: «قُلْ لَأَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى» «١»

«٢».

رسول ملك الروم في مجلس يزيد ص: ١٨٦

روى سبط ابن الجوزي عن عبيد بن عمير، قال: «كان رسول قيصر حاضراً عند يزيد، فقال ليزيد: هذا رأس من؟ فقال: رأس الحسين، قال: ومن الحسين؟

قال: ابن فاطمة، قال: ومن فاطمة؟ قال: بنت محمد، قال: نبيكم؟ قال: نعم، قال:

ومن أبوه؟ قال: عليّ بن أبي طالب، قال: ومن عليّ بن أبي طالب؟ قال: ابن عمّ نبينا، فقال: تبا لكم ولدينكم ما أنتم وحقّ المسيح على شيء، إنّ عندنا في بعض الجزائر دير فيه حافر حمار ركبه عيسى السيّد المسيح، ونحن نحجّ إليه في كلّ عام من الأقطار وننذر له النذور ونعظّمه كما تعظّمون كعبتكم، فأشهد أنّكم على باطل، ثمّ قام ولم يعد إليه «٣».

وروى ذلك الخوارزمي بتفصيل أكثر وهو ما أورده بإسناده عن زيد بن علي ومحمّد بن الحنفية عن عليّ بن الحسين زين العابدين

عليه السلام أنه قال:

«لما أتى برأس الحسين عليه السلام إلى يزيد كان يتخذ مجالس الشرب، ويأتي برأس الحسين، فيضعه بين يديه ويشرب عليه، فحضر ذات يوم أحد مجالسه

مع الركب الحسينى (ج ٦)، ص: ١٨٧

رسول ملك الروم- وكان من أشرف الروم وعظماؤها- فقال: يا ملك العرب رأس من هذا؟

فقال له يزيد: مالك ولهذا الرأس؟

قال: إنى إذا رجعت إلى ملكنا يسألنى عن كل شىء رأيت، فأحببت أن أخبره بقصة هذا الرأس وصاحبه ليشاركك فى الفرح والسرور. فقال يزيد: هذا رأس الحسين بن على بن أبى طالب.

فاقل: ومن أمه؟

قال: فاطمة الزهراء.

قال: بنت من؟ قال: بنت رسول الله.

فقال الرسول: أف لك ولدنيك، وما دين (إلما) أحسن من دينك! اعلم أنى من أحفاد داود، وبينى وبينه آباء كثيرة، والنصارى يعظمونى ويأخذون التراب من تحت قدمى تبركاً، لأنى من أحفاد داود، وأنتم تقتلون ابن بنت رسول الله وما بينه وبين رسول الله إلآم واحدة، فأى دين هذا؟!

ثم قال له الرسول: يا يزيد، هل سمعت بحديث كنيسة الحافر؟

فقال يزيد: قل حتى أسمع.

فقال: إن بين عمان والصين بحراً مسيرته سنه، ليس فيه عمران إلآبلدة واحدة فى وسط الماء، طولها ثمانون فرسخاً وعرضها كذلك، وما على وجه الأرض بلدة أكبر منها، ومنها يحمل الكافور والياقوت والعنبر، وأشجارهم العود، وهى فى أيدى النصارى، لا ملك لأحد فيها من الملوك، وفى تلك البلدة كنائس كثيرة أعظمها كنيسة الحافر، فى محرابها حقه من ذهب معلقة فيها حافر يقولون إنه حافر حمار كان يركبه عيسى، وقد زينت حوالى الحقه بالذهب والجواهر والديباج والابريسم، وفى كل عام يقصدها عالم من النصارى، فيطوفون حول

مع الركب الحسينى (ج ٦)، ص: ١٨٨

الحقه ويزورونها ويقبلونها ويرفعون حوائجهم إلى الله ببركتها، هذا شأنهم ودأبهم بحافر حمار يزعمون أنه حافر حمار كان يركبه عيسى نبيهم، وأنتم تقتلون ابن بنت نبيكم! لا بارك الله فيكم ولا فى دينكم.

فقال يزيد لأصحابه: اقتلوا هذا النصرانى، فإنه يفضحنا إن رجع إلى بلده ويشنع علينا.

فلما أحس النصرانى بالقتل قال: يا يزيد، أتريد قتلى؟

قال: نعم.

قال: فاعلم إنى رأيت البارحة نبيكم فى منامى وهو يقول لى: يا نصرانى، أنت من أهل الجنة! فعجبت من كلامه حتى نالنى هذا، فأنا أشهد أن لا إله إلآالله، وأن محمداً عبده ورسوله، ثم أخذ الرأس وضمه إليه، وجعل يبكى حتى قتل «١».

ثم قال الخوارزمى: «وروى مجد الأئمة السرخسكى عن أبى عبدالله الحداد أن النصرانى اخترط سيفاً وحمل على يزيد ليضربه، فحال الخدم بينهما وقتلوه وهو يقول الشهادة الشهادة» «٢».

ولنعم ما أورده ابن شهر آشوب عن بعض شعراء أهل البيت عليهم السلام:

واخجلة الإسلام من أضداده ظفروا له بمعائب ومعاثر

آل العزيز يعظّمون حماره ويرون فوزاً لثمهم بالحافر
وسيوفكم بدم ابن بنت نبيكم مخضوبه لرضى يزيد الفاجر (٣)
مع الركب الحسينى (ج ٦)، ص: ١٨٩

دور الإمام زين العابدين عليه السلام فى الشام ص : ١٨٩

اشارة

هناك مسؤولية كبيرة يتحمل أثقالتها ويحمل أعباءها حجّة الله على أرضه الإمام زين العابدين على بن الحسين عليهما السلام، إذ يرى نفسه أمام حكّام فجرة وأناسٍ جهلة، وعليه أن يؤدّى رسالته دم شهداء كربلاء وعلى رأسهم أبيه سيّد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام.

زينب الكبرى تُعرّف قائد المسيرة ص : ١٨٩

ذكرنا أنّ زينب الكبرى سلام الله عليها حينما واجهها يزيد وسألها بقوله «تكلّمينى؟» أشارت إلى ابن أخيها الإمام السّجاد عليه السلام وقالت: «هو المُتكلّم (١)»، أرادت بذلك أن تعرّف قائد المسيرة المظفّرة.

السّجاد عليه السلام يعرّف أهل البيت من خلال القرآن ص : ١٨٩

لقد مضت فترة طويلة من الزمان وكتابة أحاديث فضل أهل البيت ونشرها ممنوعة- فكيف بفهمها واستيعابها؟!- فقد مُنع من تدوين الأحاديث بعد رحيل الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، بذريعة عدم التهاء الناس به عن القرآن!. وأعجب من ذلك أنّه منعت الحكومات عن فهم القرآن! وأصرت على قراءة ظاهر آياته دون السؤال عن تأويلها! كما منع معاوية ابن عبّاس عن ذلك (٢).

وهكذا كان على الإمام عليه السلام أن ينتهز كلّ فرصة لبث الروح فى أجساد هذه الامة الميّتة ويرشدهم إلى حقائق القرآن الكريم، ويهديهم إلى معرفة المقصود منه.

مع الركب الحسينى (ج ٦)، ص: ١٩٠

ومن هذا المنطلق نرى الإمام عليه السلام يستدلّ بآيات شريفة نزلت فى شأن أهل البيت عليهم السلام حتّى يعرّف الناس واقع الأمر، مثل ما ذكرناه حول محادثته الإمام عليه السلام مع الرجل الشامى، واستدلّاه عليه السلام بهذه الآيات الشريفة:

«قُلْ لَأَسْأَلَنَّكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى».

«وَأَتِذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ».

«وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى».

«إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا» (١)

خطبة الإمام زين العابدين عليه السلام ص : ١٩٠

إشارة

لم يكتفِ الإمام عليه السلام بذكر آيات شريفه منطبقه على أهل البيت عليهم السلام، بل وقف موقفاً حازماً أمام الطاغية، وواجهه بكل صلابه، وكلمه بكل شجاعه، ولم يكتفِ بذلك أيضاً، بل أخذ بزمام الكلام، وخاطب الجمهور، وكشف القناع عما ستر فترة طويلة، وذلك بعدما قام الخطيب الشامي وتكلم بما اشترى به رضا المخلوق بسخط الخالق.
قال الخوارزمي:

«وروى أن يزيد أمر بمنبر وخطيب ليذكر للناس مساوي للحسين وأبيه عليّ عليهما السلام «٢»، فصعد الخطيب المنبر فحمد الله وأثنى عليه وأكثر الوقيعه في عليّ

معالركب الحسيني (ج ٦)، ص: ١٩١

والحسين، وأطنب في تعريض معاوية ويزيد، فصاح به عليّ بن الحسين:

ويلك أيها الخطيب! اشتريت رضا «١» المخلوق بسخط الخالق، فتبوا «٢» مقعدك من النار.

ثم قال: يا يزيد! ائذن لي حتى أصعد هذه الأعواد، فأتكلم بكلمات «٣» فيهنّ لله رضا ولهؤلاء الجالسين أجر وثواب.

فأبى يزيد، فقال الناس: يا أمير المؤمنين، ائذن له ليصعد، فلعلنا نسمع منه شيئاً. فقال لهم: إن صعد «٤» المنبر هذا لم ينزل إلّا بفضيحتي وفضيحة آل أبي سفيان «٥».

معالركب الحسيني (ج ٦)، ص: ١٩٢

فقالوا: وما قدر ما يُحسن هذا؟

فقال: إنّه من أهل بيت قد زفوا العلم زقاً «١».

ولم يزلوا به حتى أذن له بالصعود، فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه «٢»، ثم خطب خطبة أبكى منها العيون، وأوجل منها القلوب، فقال فيها:

«أيها الناس، أعطينا ستاً وفُضّلنا بسبع، أعطينا العلم والحلم والسماحة والفصاحة والشجاعة والمحبة في قلوب المؤمنين، وفُضّلنا بأنّ منّا النبيّ المختار محمداً صلّى الله عليه وآله وسلّم، ومنّا الصديق، ومنّا الطيّار، ومنّا أسد الله وأسد الرسول، ومنّا سيّدة نساء العالمين

معالركب الحسيني (ج ٦)، ص: ١٩٣

فاطمه البتول، ومنّا سبطا هذه الامّة وسيّدا شباب أهل الجنّة «١».

فمن عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني «٢» أنبأته بحسبي ونسبي «٣».

أنا ابن مَكّة ومنى، أنا ابن زمزم «٤» والصفاء «٥»، أنا ابن من حمل الزكاة «٦» بأطراف الرداء، أنا ابن خير من ائترت وارتدى، أنا ابن خير من انتعل واحتفى، أنا ابن خير من طاف وسعى «٧»، (أنا) ابن خير من حجّ ولبى، أنا ابن من حُمل على البراق «٨» في الهواء، أنا ابن من أسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، فسبحان من أسرى، أنا ابن من بلغ به جبرائيل إلى سدره المنتهى، أنا

معالركب الحسيني (ج ٦)، ص: ١٩٤

ابن من دنا فتدلّى فكان من ربّه قاب قوسين أو أدنى، أنا ابن من صلّى بملائكة السماء، أنا ابن من أوحى إليه الجليل ما أوحى، أنا ابن محمّد المصطفى.

أنا ابن على المرتضى، أنا ابن من ضرب خراطيم الخلق حتى قالوا لا إله إلّا الله، أنا ابن من ضرب بين يدي رسول الله بسيفين، وطعن برمحين، وهاجر الهجرتين، وباع البيعتين، وصلّى القبليتين، وقاتل بيدرٍ وحنين، ولم يكفر بالله طرفه عين. أنا ابن صالح المؤمنين،

ووارث النبيين، وقامع الملحدين، ويعسوب المسلمين، ونور المجاهدين، وزين العابدين، وتاج البكائين، وأصبر الصابرين، وأفضل القائمين من آل ياسين [و] «١» رسول رب العالمين، أنا ابن المؤيد بجبرائيل، والمنصور بميكائيل، أنا ابن المحامى عن حرم المسلمين، وقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين، والمجاهد أعداءه الناصيين، وأفخر من مشى من قريش أجمعين، وأول من أجاب واستجاب لله «٢» من المؤمنين، وأقدم السابقين «٣»، وقاصم المعتدين، ومبير «٤» المشركين، وسهم من مرامى

مع الركب الحسينى (ج ٦)، ص: ١٩٥

الله على المنافقين، ولسان حكمه العابدين، ناصر «١» دين الله، وولي أمر الله، وبستان حكمه الله، وعبيه علم الله «٢»، سمح سخى، «٣» بهلول زكى أبطحى، رضى مرضى، مقدم همام، صابر صوام، مهذب قوام، شجاع قمقام، قاطع الأصلاب، ومفرق الأحزاب، أربطهم جناناً، وأطبقهم عناناً، وأجرأهم لساناً، وأمضاهم عزيمة، وأشدهم شكيمه، أسد باسل، وغيث هائل، يطحنهم فى الحروب إذا ازدلفت الأستة وقربت الأعنة، طحن الرحي «٤»، ويذروهم ذرو الريح الهشيم، ليث الحجاز، وصاحب الإعجاز، وكبش العراق، الإمام بالنص والاستحقاق، مكى مدنى، أبطحى تهامى، خيفى عقبى، بدرى أحدى، شجرى مهاجرى، من العرب سيدها، ومن الوغى ليثها، وارث المشعرين، وأبو السبطين الحسن والحسين، مظهر العجائب، ومفرق الكتائب، والشهاب الثاقب، والنور العاقب، أسد الله الغالب، مطلوب كل طالب، غالب كل

مع الركب الحسينى (ج ٦)، ص: ١٩٦

غالب، ذاك جدى على بن أبى طالب «١».

أنا ابن فاطمة الزهراء، أنا ابن سيده النساء، أنا ابن الطهر البتول، أنا ابن بضعة الرسول.. «٢»

قال: ولم يزل يقول «أنا أنا» حتى ضج الناس بالبكاء والنحيب، وخشى يزيد أن تكون فتنة «٣»، فأمر المؤذن أن يؤذن فقطع عليه الكلام وسكت «٤».

فلما قال المؤذن «٥»: «الله أكبر» «٦» قال على بن الحسين:

كبرت كبيراً لا يقاس ولا يدرك بالحواس، لا شيء أكبر من الله.

فلما قال: «أشهد أن لا إله إلا الله» قال على:

مع الركب الحسينى (ج ٦)، ص: ١٩٧

شهد بها «١» شعرى وبشرى ولحمى ودمى ومخى وعظمى.

فلما قال: «أشهد أن محمداً رسول الله» التفت على «٢» من أعلى المنبر إلى يزيد وقال: يا يزيد، محمد هذا جدى أم جدك؟ فإن

زعمت أنه جدك فقد كذبت «٣»، وإن قلت «٤» إنه جدى فلم قلت عترته؟

قال: وفرغ المؤذن من الأذان والإقامة، فتقدم يزيد «٥» وصلى صلاة الظهر «٦».

روى الخطبة أرباب السير والتاريخ، فمنهم من ذكرها تفصيلاً كابن أعثم «٧» والخوارزمي «٨» ومحمد بن أبى طالب «٩» ومنهم من ذكر

معظمها كابن شهر آشوب «١٠» والمجلسي «١»

ومنهم من ذكر بعضها مثل أبى الفرج الإصفهاني «١٢» ومنهم من أشار إليها واكتفى بذكر مقدماتها مثل ابن نما والسيد ابن طاووس

«١٣».

مع الركب الحسينى (ج ٦)، ص: ١٩٨

نظرة خاطفة في الخطبة وصدائها ص : ١٩٨

لقد اقتصر الإمام السجّاد عليه السلام فى هذه الخطبة على التعريف بأسرته ونفسه، ولم يتعرض لشيء آخر - فيما وصل إلينا من خطبته

الشريفة- ولعلَّ السرَّ في ذلك أنه لما كان يعلم أن المجتمع الشامي لا يعرف عن أهل البيت ومنزلتهم الرفيعة شيئاً، لكونه تربى في أحضان سلطة الطغاة من بنى أمية التي أخفت عنهم الحقائق وغدّتهم بالولاء لأبناء الشجرة الملعونة- بنى أمية- والحدق على آل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله، اكتفى عليه السلام بذلك.

ومن هذا المنطلق نرى أن الإمام عليه السلام يعالج المسألة عاطفياً، لأن تأثيره- في هذه المرحلة- أكثر من أى أداة، ومضمون الخطبة يرشدنا إلى أن المخاطبين كانوا من جمهور الناس، لا- الأشراف والأعيان منهم فحسب، فجوّ المجلس يختلف عن جوّ مجلس يزيد العام الذي كان محشواً بالأعيان والأشراف وكبار رجال أهل الكتاب وبعض ممثلى الدول الكبار آنذاك «١».

فلذلك نرى أن الإمام يعدد مزايا آل البيت عليهم السلام، ويخصّ بالذكر رجالاً منهم ليس لهم بديل ولا نظير، فيقول بأنّ منّا النبى المختار، ومنّا الصديق- يعنى على بن أبى طالب عليه السلام- ومنّا الطيار- يقصد جعفر بن أبى طالب عليه السلام- ومنّا أسد الله وأسد الرسول- يريد حمزة سيد الشهداء عليه السلام- ومنّا سيده نساء العالمين- أى فاطمة البتول عليها السلام- ومنّا سبطا هذه الأمة وسيدا شباب أهل الجنة- الحسين عليهما السلام- دون أن يصرح في البداية بالمقصود ممّن يذكرهم بهذه الأوصاف مثل الصديق،

مع الركب الحسينى (ج ٦)، ص: ١٩٩

وسيدى شباب أهل الجنة...، حتى يذكر أوصافاً متعدّدة لهم تكشف عن بعض زوايا حياتهم وفضائلهم، ليكون أوقع بالنفوس، كما كان ذلك بالفعل.

وبعد ذلك يذكر الإمام أصله وجذره نسباً وموطناً، حتى يعلم الجميع أنه فرع الشجرة النبوية والثمرة العلوية والجوهرة الفاطمية واللؤلؤة الحسينية، ومن قلب مكة والمدينة، فكيف شوّهت السلطة الباغية والحكومة الطاغية الواقع على الناس وأذاعت الكذب وعزّفتهم للأمة بأنهم الخوارج على أمير المؤمنين يزيد!

إن الإمام عليه السلام بعد تبينه مختصّيات جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله من الوحي والمعراج... يقوم ببيان خصائص جدّه المظلوم أسد الله الغالب الإمام على بن أبى طالب عليه السلام، والمجتمع الشامي يسمع أوصافاً له يسمعها أول مرّة؛ فهو الذى ضرب بين يدي رسول الله بسيفين وطعن برمحين وهاجر الهجرتين وباع البيعتين وصلّى القبلتين وقتل بيدر وحنين ولم يكفر بالله طرفة عين.. وارث النبيين وقامع الملحدين ويعسوب المسلمين.. وتاج البكّائين وأصبر الصابرين..

المؤيد بجبرائيل والمنصور بميكائيل.. قاتل الناكثين والقاسطين والمارقين..

ثم يذكر بعض خصائص جدّته الصديقة الكبرى الإنسية الحوراء فاطمة الزهراء عليها السلام حتى يصل إلى قمّة كلامه بقوله «أنا ابن المقتول ظلماً..» يقول ذلك والظالم- يزيد- جالس بين يديه فى المجلس. ويشير إلى بعض مأساة كربلاء فيقول: «أنا ابن المحزوز الرأس من القفا، أنا ابن العطشان حتى قضى، أنا ابن طريح كربلاء، أنا ابن مسلوب العمامة والرداء».

وبذلك عزّف الناس أن والده الحسين قد قُتل مظلوماً، عطشاناً، واحترّ رأسه الشريف من القفا، وطُرح جسمه الطاهر بكربلاء وشلب عمامته ورداؤه.

فانقلب المجلس- وذلك تبعاً لانقلاب العالم- لقتل الحسين عليه السلام! كيف لا وقد قال الإمام عليه السلام: «أنا ابن من بكت عليه ملائكة السماء، أنا ابن من ناحت عليه الجنّ فى الأرض والطيور فى الهواء...».

مع الركب الحسينى (ج ٦)، ص: ٢٠٠

هذا ما جرى فى كربلاء، وهذا ما وقع فى الكون بقتل الحسين عليه السلام، وأما الشىء الموجود حالياً بالشام الذى لا بدّ أن يلتفت إليه هذا الجمهور الغافل الضائع فهو أنّ جسم الحسين عليه السلام الطاهر وإن كان فى كربلاء ولكن رأسه الشريف وحرمة موجودان بالشام وبين أيديهم، وتبهم الإمام على ذلك بقوله: «أنا ابن من رأسه على السنان يُهدى، أنا ابن من حرمة من العراق إلى الشام تُسبى...».

ولم يجد الطاعى ابن الباغى يزيد بن معاوية مفزراً إلا أن يلتجئ إلى المؤذن بذريعة الأذان، وقد كان يعلم فى البداية أن الإمام عليه السلام لو صعد المنبر يقلب الوضع عليه، وقد صرح بأنه لو صعد المنبر لم ينزل إلا بفضيحتة وفضيحة آل أبى سفيان، وأنه من أهل بيت قد زقوا العلم زقاً، ولكن إصرار الناس غلبه على أمره، وأظن أنه ما كان يعلم أنه ينقلب الأمر عليه إلى هذه الدرجة، وإلا لما كان يرضى بذلك، وإن بلغ ما بلغ، وإنما رضى بذلك خوفاً من الناس وفراراً من حفيرة، ولكنه وقع فى بئر حفره سوء عمله وخبث ضميره، وأوجه كلام حق صدر من قلب طاهر على لسان صادق.

نعم، إن يزيد لم يتمكن أن يقطع كلام الإمام إلا بالأذان، كما أن أباه - معاوية - لم يتمكن أن يهرب من سيف جدّه - على بن أبى طالب عليه السلام - إلا برفعه المصاحف! ولكن الإمام واجه هذه الخدعة ببيان حقيقة الربويّة وواقع التوحيد ولبّ الرسالة، وواجه الطاغية يزيد بكلامه: يا يزيد، محمّد هذا جدّى أم جدّك، فإن زعمت أنه جدّك فقد كذبت، وإن قلت إنه جدّى فلم قتلت عترته؟ فطرح أمامه سؤالاً لم يحر يزيد جواباً له، وهو أن هذا محمّداً رسول الله الذى تشهد برسالته فيما تزعم، وتترأس رئاسة أمته، وتدعى خلافته - ظلماً وزوراً - فهل هو جدّك أم جدّى؟ إذا كنت تدعى أنه جدّك فهذا كذب واضح، فالجميع

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٢٠١

يعلم أنك فرع الشجرة الملعونة، وإذا قلت إنه جدّى فلماذا قتلت عترته وسبطه، وسيت أهله.

قال بعض المؤرّخين: لقد أثر خطاب الإمام تأثيراً بالغاً فى أوساط المجتمع الشامى، فقد جعل بعضهم ينظر إلى بعض ويُسّر بعضهم إلى بعض بما آلوا إليه من الخيبة والخسران، حتّى تغيّرت أحوالهم مع يزيد «١»، وأخذوا ينظرون إليه نظرة احتقار وازدراء.

الإمام عليه السلام مع مكحول صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ص: ٢٠١

ذكر الطبرسى - بعد نقله خطبة الإمام زين العابدين عليه السلام - قال: «فتزل - أى نزل على بن الحسين عليه السلام عن المنبر - فأخذ ناحية باب المسجد، فلقبه مكحول «٢» صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال له: كيف أمسيت يا بن رسول الله؟ قال:

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٢٠٢

أمسينا بينكم مثل بنى إسرائيل فى آل فرعون، يذبّحون أبناءهم، ويستحيون نساءهم، وفى ذلكم بلاء من ربّكم عظيم» «١»

زين العابدين عليه السلام مع منهال «٢» ص: ٢٠٢

إشارة

روى المحدث الجليل على بن إبراهيم القمى بإسناده عن عاصم بن حميد عن أبى عبد الله عليه السلام قال: «لقى المنهال بن عمر [على «٣»] بن الحسين بن على عليهم السلام، فقال له: كيف أصبحت يا بن رسول الله؟ قال:

ويحك أما آن لك أن تعلم كيف أصبحت؟! أصبحنا فى قومنا مثل بنى إسرائيل فى آل فرعون، يذبّحون أبناءنا، ويستحيون نساءنا «٤»، وأصبح خير البرية بعد محمّد يُلعن على المنابر، وأصبح عدوّنا يُعطى المال والشرف، وأصبح من يحبنا محقوراً منقوصاً حقّه، وكذلك لم يزل المؤمنون، وأصبحت العجم تعرف للعرب حقّها بأن محمّداً كان منها، وأصبحت

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٢٠٣

قريش تفتخر على العرب بأن محمّداً كان منها، وأصبحت العرب تعرف لقريش حقّها بأن محمّداً كان منها، وأصبحت العرب تفتخر على العجم بأن محمّداً كان منها، وأصبحنا أهل البيت لا يُعرف لنا حقّ، فكهذا أصبحنا يا منهال «١».

وقال ابن أعثم الكوفى: وخرج علي بن الحسين ذات يوم، فجعل يمشى فى أسواق دمشق، فاستقبله المنهال بن عمرو الطائى، فقال له: كيف أمسيت يا بن رسول الله؟ قال: أمسينا كبنى إسرائيل فى آل فرعون، يذبّحون أبناءهم، ويستحيون نساءهم، يا منهال، أمسيت العرب تفتخر على العجم بأنّ محمّداً عربى، وأمست قريش تفتخر على سائر العرب بأنّ محمّداً منهم، وأمسينا أهل بيت محمّد ونحن مغضوبون مظلومون مقهورون منقولون مشهورون مطرودون، فإنّا لله وإنا إليه راجعون على ما أمسينا فيه يا منهال» (٢)

ذكر هذه المحادثة عدّة من أرباب الأخبار والسير بتفاوت يسير، منهم المحدث الجليل فرات الكوفى (٣) وأبو جعفر الكوفى (٤) والخوارزمى (٥) وابن نما (٦) وابن شهر آشوب (٧) وابن طاووس (٨) وابن عساكر (٩)

مع الركب الحسينى (ج ٦)، ص: ٢٠٤

ملاحظة ص : ٢٠٤

ذكر ابن شهر آشوب ما جرى بين الإمام السجّاد عليه السلام وكلام السائل على نحو ما أورده فرات الكوفى فى تفسيره، إلّا أنّه قال فى بدايته: «فقام إليه رجل من شيعة يُقال له المنهال بن عمرو الطائى، وفى روايته: مكحول صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله» (١).

ولكنّ الظاهر تکرر الواقعة والمحادثة لا وحدتها، خاصّة وأنّ المروى كون محادثة مكحول عند ناحية المسجد، ومكالمه منهال فى سوق دمشق، وليس بغريب أن يتكرّر ويتقارب جواب فى سؤال واحد.

وكيف كان فالإمام يتأوّه ويسترجع على ما رأى بأنّ عينيه من المصائب والمآسى التى لم يتحمّلها أحدٌ من الناس.

قال ابن نما: ولله درّ مهيّار (٢) بقوله فى العترة الطاهرة:

يعظّمون له أعواد منبره وتحت أرجلهم أولاده وضعا
بأى حكم بثوه يتبعونكم وفخركم أنّكم صحبّ له تبع (٣)

مع الرأى العام المضلل.. مرّة أخرى ص : ٢٠٤

لقد اهتمّ الإمام عليه السلام بمسألة تنوير الأفكار وكشف الحقائق أكثر من أىّ شيء،

مع الركب الحسينى (ج ٦)، ص: ٢٠٥

ولقد ذكرنا شيئاً من كلامه ومحادثاته وخطبه التى تعالج هذا الجانب. وفيما يلى نذكر بعض الأسئلة التى طرحت على الإمام، ونرى كيف اهتمّ الإمام بالمسألة وذلك فى ضمن أجوبته.

روى فرات بن إبراهيم الكوفى بإسناده عن يحيى بن مساور، قال: «أتى رجل من أهل الشام إلى علي بن الحسين عليهما السلام، فقال له: أنت علي بن الحسين؟

قال: نعم.

قال: أبوك قتل المؤمنين!

فبكى علي بن الحسين ثم مسح وجهه وقال: ويلك! وبما قطعت على أبى أنّه قتل المؤمنين؟

قال: بقوله إخواننا بغوا علينا فقاتلناهم على بغيهم.

قال: أما تقرأ القرآن؟

قال: إنى أقرأ.

قال: أما سمعت قوله: «وإلى عادٍ أخاهم هوداً.. وإلى مدّينٍ أخاهم شعيباً..»

وَإِلَىٰ تَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا» (۱)

؟

قال: بلى.

قال: كان أخاهم في عشيرتهم أو في دينهم؟

قال: في عشيرتهم.

قال: فَرَجَت عَنِّي فَرَجَ اللَّهِ عَنكَ» (۲).

وروى نحوه العياشي (۳)

مع الركب الحسيني (ج ۶)، ص: ۲۰۶

حبس الإمام زين العابدين عليه السلام ص : ۲۰۶

قال المدائني: «وموضع حبس زين العابدين هو اليوم مسجد» (۱).

أقول: لعله هو المسجد الواقع في جنب مقام رأس الحسين عليه السلام في جوار المسجد الأموي حالياً.

قال ابن الحوراني: «قال الكمال الدميري في "حياة الحيوان الكبرى": "قال ابن عساكر: ومسجد علي بن الحسين هو زين العابدين في جامع دمشق معروف.

قلت: هو في المسجد الشرقي الشمالي، كان رضى الله عنه يصلّى في كلّ يوم وليلة ألف ركعة، وهو مسجد لطيف عليه جلاله وهيبه، يُزار ويتبرّك به» (۲).

وروى الشيخ الصدوق عن فاطمة بنت علي (صلوات الله عليهما) قالت: «ثم إن يزيد (لعنه الله) أمر بنساء الحسين عليه السلام، فحبس مع علي بن الحسين عليهما السلام في محبس لا يكتنهم من حرّ ولا قرّ، حتّى تقشّرت وجوههم» (۳).

محاولات اغتيال الإمام زين العابدين عليه السلام ص : ۲۰۶

إشارة

وزين العابدين بقيد ذلّ وراموا قتله أهل الخوونا (۴)

لقد تعرّض الإمام السّجّاد عليه السلام للقتل والاعتقال في عدّة مواطن، ولكن أبى الله ذلك؛ حفظاً لبقاء حججه على أرضه.

مع الركب الحسيني (ج ۶)، ص: ۲۰۷

فمن تلك المواطن كربلاء: قال سبط ابن الجوزي: «وإنما استبقوا علي بن الحسين لأنّه لما قُتل أبوه كان مريضاً، فمرّ به شمر فقال: اقتلوه، ثم جاء عمر بن سعد، فلما رآه قال: لا تتعرّضوا لهذا الغلام، ثم قال لشمر: ويحك! منّ للحرم؟!» (۱).

ومنها في الكوفة: قال الطبرسي بعد ذكر ما جرى بين الإمام عليه السلام وابن زياد من الكلام: فغضب ابن زياد وقال: «لك جرأة على جوابي! وفيك بقية للردّ علي؟! اذهبوا واضربوا عنقه»، فتعلّقت به زينب.. (۲).

ومنها في الشام، وذلك في عدّة مواقف.

منها: ما ذكره الفقيه القطب الراوندي: «وروى أنّه لما حُمِل علي بن الحسين عليه السلام إلى يزيد لعنه الله همّ بضرب عنقه» (۳).

ومنها: ما روى عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «كان علي بن الحسين مقيداً مغلولاً، فقال يزيد لعنه الله: يا علي بن الحسين،

الحمد لله الذي قتل أباك، فقال علي بن الحسين: لعنة الله على من قتل أبي، قال: «فغضب يزيد وأمر ضرب عنقه، فقال علي بن الحسين: فإذا قتلتني فبنات رسول الله من يردهم إلى منازلهم وليس لهم محرم غيري؟...» (٤).

ومنها: ما رواه صاحب الاحتجاج بعد ذكره الخطبة السجادية ورجوع الإمام السجادة عليه السلام إلى المنزل، فبعده قال ليزيد: «يا يزيد، بلغني أنك تريد قتلي، فإن كنت لا بد قاتلي فوجه مع هؤلاء النسوة من يردهن» (٥).

ومنها: ما رواه ابن شهر آشوب عن المدائني: «لما انتسب السجادة إلى النبي

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٢٠٨

قال يزيد لجلوازه: ادخله في هذا البستان واقتله وادفنه فيه، فدخل به إلى البستان، وجعل يحفر والسجادة يصلّي، فلما هم بقتله ضربته يد من الهواء، فخرّ لوجهه وشهق ودهش، فرآه خالد بن يزيد وليس لوجهه بقيّة، فانقلب إلى أبيه وقصّ عليه، فأمر بدفن الجلوازي في الحفرة وإطلاقه، وموضع حبس زين العابدين هو اليوم مسجد (١)».

ومنها: ما رواه المسعودي بعد ذكر المحادثة بين الإمام عليه السلام ويزيد؛ قال:

«فشاور يزيد جلساءه في أمره، فأشاروا بقتله» (٢).

ومنها: ما رواه ابن كثير بقوله: وروى أن يزيد استشار الناس في أمرهم، فقال رجل ممّن قبحهم الله: «يا أمير المؤمنين، لا يتخذن من كلب سوء جرواً، اقتل علي بن الحسين حتى لا يبقى من ذرية الحسين أحد»، فسكت يزيد ... (٣).

ومنها: ما رواه ابن عساكر بإسناده عن حمزة بن زيد الحضرمي عن ربيّا حاضنة يزيد أنها قالت: «ولقد جاءه (أي يزيد) رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له: قد أمكنك الله من عدوّ الله وابن عدوّ أبيك! فاقتل هذا الغلام ينقطع هذا النسل، فإنك لا ترى ما تحبّ وهم أحياء، آخر من ينازع فيه - يعني علي بن حسين بن علي - لقد رأيت ما لقي أبوك من أبيه، وما لقيت أنت منه، وقد رأيت ما صنع مسلم بن عقيل، فاقطع أصل هذا البيت، فإنك إن قتلت هذا الغلام انقطع نسل الحسين خاصّة، وإلّا فالقوم ما بقي منهم أحد طالبك بهم، وهم قوم ذو مكر، والناس إليهم مائلون، وخاصّة غوغاء أهل العراق يقولون ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ابن علي وفاطمة، اقتله فليس هو بأكرم من صاحب هذا الرأس.

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٢٠٩

فقال: لا قمت ولا قعدت، فإنك ضعيف مهين، بل أدعهم، كلّمنا طلع منهم طالع أخذته سيوف آل أبي سفيان!

قال: إني قد سميت الرجل الذي من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن لا أسميه ولا أذكره» (١).

تأمل وملاحظات ص : ٢٠٩

نجد في هذه الرواية موارد للتأمل والتوقّف عليها:

١- إصرار بالغ من رجل قيل إنّه صاحب رسول الله! على قتل سبطه الوحيد المتبقّي من ذريته، ولم يكتف بذلك اقتراحه مرّة واحدة، بل كرّره مرّة بعد أخرى.

٢- بطلان نظرية عدالة جميع الصحابة! فهل من العدالة أن يصرّ رجل على قتل سبط الرسول صلى الله عليه وآله، إلّا أن يُقال إنّه ما أكثر هذا السنخ من الصحابة العدول في شيعة آل أبي سفيان!

٣- اعتراف هذا الرجل العدو بميل الناس إلى آل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله، حيث يقول: والناس إليهم مائلون، يريد بذلك أن يحزّك يزيد على قتل الإمام.

٤- والعجب من راوي الخبر أنّه يكتف اسم هذا الصحابي العادل! أيرى أنّ ذلك يوجب حفظ مكانته!

تجلى مكارم الأخلاق ص : ٢٠٩

روى أن يزيد أمر برد ما أخذ من أهل البيت عليهم السلام، وزاد عليه مائتي دينار، فأخذها زين العابدين عليه السلام، وفرقها على الفقراء والمساكين «٢».

معالركب الحسينى (ج ٦)، ص: ٢١٠

مأساة الشام ص : ٢١٠

رأس الحسين عليه السلام في دمشق ص : ٢١٠

إشارة

الجسم منه بكرىلاء مضرج والرأس منه على القنأة يُدار

إنّ للرأس الشريف دوراً هاماً في استمرار رسالة النهضة الحسينية، فقد ذكرنا أنّ الرأس الشريف تلا القرآن وتكلم في دمشق. وهذه هي من أكبر الحجج وأحسن الأدلة على منزلته الرفيعة وعلو مقامه عند الله تبارك وتعالى.

ولم تنحصر معجزة الرأس الشريف بما ذكر، بل هناك أمور وشواهد أخرى:

روى البيهقي بإسناده عن أبي معشر قال: «وقتل الحسين رضى الله عنه وجميع من معه رحمهم الله، وحمل رأسه إلى عبيدالله بن زياد، فوضع بين يديه على ترس، فبعث به إلى يزيد، فأمر بغسله وجعله في حريرة وضرب عليه خيمة ووكل به خمسين رجلاً.

فقال واحد منهم: نمت وأنا مفكر في يزيد وقتله الحسين عليه السلام، فبينما أنا كذلك إذ رأيت سحابة خضراء فيها نور قد أضاءت ما بين الخافقين، وسمعت صهيل الخيل ومنادياً ينادى: يا أحمد اهبط، فهبط رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه جماعة من الأنبياء والملائكة، فدخل الخيمة، وأخذ الرأس، فجعل يقبله ويبكى ويضمه إلى صدره، ثم التفت إلى من معه، فقال: انظروا إلى ما كان من امتى في ولدى، ما بالهم لم يحفظوا فيه وصيتى، ولم يعرفوا حقى؟! لا أنالهم الله شفاعتى.

قال: وإذا بعدة من الملائكة يقولون: يا محمد، الله تبارك وتعالى يقرئك

معالركب الحسينى (ج ٦)، ص: ٢١١

السلام، وقد أمرنا بأن نسمع لك ونطيع، فمرنا أن نقلب البلاد عليهم.

فقال صلى الله عليه وسلم: خلّوا عن امتى، فإنّ لهم بلغة وأمداً.

قالوا: يا محمد، إنّ الله جلّ ذكره أمرنا أن نقتل هؤلاء النفر.

فقال: دونكم وما أمرتم به.

قال: فرأيت كلّ واحد منهم قد رمى كلّ واحد منا بحربة، فقتل القوم في مضاجعهم غيرى، فإنى صحت يا محمد.

فقال: وأنت مستيقظ؟

قلت: نعم.

قال: خلّوا عنه يعيش فقيراً ويموت مذموماً.

فلما أصبحت دخلت على يزيد وهو منكسر مهموم، فحدّثته بما رأيت، فقال: امض على وجهك، وتب إلى ربك!! «١».

وعن الشبلنجى أنّه قال: «روى سليمان الأعمش رضى الله عنه قال: خرجنا ذات سنة حجّاجاً لبيت الله الحرام وزيارة قبر النبى عليه السلام، فبينما أنا أطوف بالبيت إذا رجل متعلّق بأستار الكعبة وهو يقول: "اللهم اغفر لى وما أظنك تفعل،" فلما فرغت من طوافى قلت:

سبحان اللّٰه العظیم، ما كان ذنب هذا الرجل؟! ففتحیت عنه.

ثمّ مررت به مرّة ثانية وهو يقول: "اللّٰهم اغفر لی، وما أظنّک تفعل،" فلتمّ فرغت من طوافی قصدت نحوه فقلت: يا هذا، إنک فی موقف عظیم، یغفر اللّٰه فیہ الذنوب العظام، فلو سألت منه عزّوجلّ المغفرة والرحمة لرجوت أن یفعل، فإنّه منعم کریم. فقال: يا عبد اللّٰه، من أنت؟ فقلت: أنا سلیمان الأعمش.

مع الركب الحسینی (ج ۶)، ص: ۲۱۲

فقال: يا سلیمان، إناک طلبت، وقد كنت أتمنی مثلك.

فأخذ بیدي، وأخرجنی من داخل الكعبة إلى خارجها، فقال لی: يا سلیمان، ذنبي عظیم.

فقلت: يا هذا، أذنبك أعظم أم السماوات؟ أم الأرضون؟ أم العرش؟

فقال لی: يا سلیمان، ذنبي أعظم! مهلاً حتّى أخبرک بعجب رأیته.

فقلت له: تكلم رحمتك اللّٰه.

فقال لی: يا سلیمان، أنا من السبعین الذین أتوا برأس الحسین بن علی رضی اللّٰه عنهما إلى یزید بن معاویة، فأمر بالرأس، فنصب خارج المدينة، وأمر بإنزاله ووضع فی طست من ذهب، ووضع بیته منامه، فلما كان فی جوف اللیل انتبهت امرأة یزید بن معاویة، فإذا شعاع ساطع إلى السماء، ففرعت فرعاً شديداً، وانتبه یزید من منامه، فقالت له: يا هذا قم، فإنّی أرى عجباً، قال: فنظر یزید إلى ذلك الضیاء فقال لها: اسکتی، فإنّی أرى كما ترين.

قال: فلما أصبح من الغد أمر بالرأس، فأخرج إلى فسطاط وهو من الדיباج الأخضر، وأمر بالسبعین رجلاً فخرجنا إليه نحرسه، وأمر لنا بالطعام والشراب حتّى غربت الشمس، ومضى من اللیل ما شاء اللّٰه ورقدنا، فاستيقظت ونظرت نحو السماء، وإذا بسحابة عظيمة ولها دویّ كدویّ الجبال وخفقان أجنحة، فأقبلت حتّى لصقت بالأرض، ونزل منها رجل وعليه حلّتان من حلل الجنّة وبيده درانك وكراسی، فبسط الدرانك، وألقى علیها الكراسی، وقام علی قدمیه ونادى:

انزل يا أبا البشر، انزل يا آدم صلی اللّٰه علیہ وسلم، فنزل رجل أجمل ما يكون من الشيوخ شيباً، فأقبل حتّى وقف علی الرأس فقال: السلام علیك يا ولی اللّٰه، السلام علیك يا بقیة الصالحین، عشت سعيداً، وقُلت طريداً، ولم تزل عطشاناً حتّى ألحقك اللّٰه بنا،

مع الركب الحسینی (ج ۶)، ص: ۲۱۳

رحمتك اللّٰه ولا غفر لقاتلك، الویل لقاتلك غداً من النار، ثمّ نزل وقعد علی كرسی من تلك الكراسی.

قال: يا سلیمان ثمّ لم ألبث إلاّ سیراً وإذا بسحابة أخرى أقبلت حتّى لصقت بالأرض، فسمعت منادياً یقول: انزل يا نبی اللّٰه، انزل يا نوح، وإذا برجل أتمّ الرجال خلقاً، وإذا بوجهه صفرة، وعليه حلّتان من حلل الجنّة، فأقبل حتّى وقف علی الرأس، فقال: السلام علیك يا أبا عبد اللّٰه، السلام علیك يا بقیة الصالحین، قتلت طريداً، وعشت سعيداً، ولم تزل عطشاناً حتّى ألحقك اللّٰه بنا، غفر اللّٰه لك، ولا غفر لقاتلك، الویل لقاتلك غداً من النار، ثمّ زال فقعد علی كرسی من تلك الكراسی.

قال: يا سلیمان، ثمّ لم ألبث إلاّ سیراً وإذا بسحابة أعظم منها، فأقبلت حتّى لصقت بالأرض، فقام الأذان، وسمعت منادياً ینادی: انزل يا خليل اللّٰه، انزل يا إبراهیم، وإذا برجل لیس بالطویل العالی ولا بالقصیر المتدانی، أبيض الوجه، أملح الرجال شيباً، فأقبل حتّى وقف علی الرأس، فقال: السلام علیك يا أبا عبد اللّٰه، السلام علیك يا بقیة الصالحین، قتلت طريداً وعشت سعيداً، ولم تزل عطشاناً حتّى ألحقك اللّٰه بنا، غفر اللّٰه لك، ولا غفر لقاتلك، الویل لقاتلك غداً من النار، ثمّ تنحى فقعد علی كرسی من تلك الكراسی.

ثمّ لم ألبث إلاّ سیراً فإذا بسحابة عظيمة فیها دویّ كدویّ الرعد وخفقان أجنحة، فنزلت حتّى لصقت بالأرض، وقام الأذان فسمعت قائلاً یقول: انزل يا نبی اللّٰه، انزل يا موسى بن عمران، قال: فإذا برجل أشدّ الناس فی خلقه وأتمهم فی هیبته، وعليه حلّتان من حلل الجنّة،

فأقبل حتى وقف على الرأس فقال مثل ما تقدم، ثم تنحى فجلس على كرسى من تلك الكراسى.

مع الركب الحسيني (ج ۶)، ص: ۲۱۴

ثم لم ألث إلايسيراً وإذا بسحابة أخرى وإذا فيها دوى عظيم وخفقان أجنحة، فنزلت حتى لصقت بالأرض، وقام الأذان، فسمعت قائلاً يقول: انزل يا عيسى، انزل يا روح الله، فإذا أنا برجل محمّر الوجه، وفيه صفرة، وعليه حلّتان من حلل الجنّة، فأقبل حتى وقف على الرأس، فقال مثل مقاله آدم ومن بعده، ثم تنحى فجلس على كرسى من تلك الكراسى.

ثم لم ألث إلايسيراً وإذا بسحابة عظيمة فيها دوى كدوى الرعد والرياح وخفقان أجنحة، فنزلت حتى لصقت بالأرض، فقام الأذان، وسمعت منادياً ينادى: انزل يا محمد، انزل يا أحمد، وإذا بالنبى صلى الله عليه وسلم وعليه حلّتان من حلل الجنّة، وعن يمينه صف من الملائكة والحسن وفاطمة رضى الله عنهما، فأقبل حتى دنا من الرأس، فضمّه إلى صدره، وبكى بكاءً شديداً، ثم دفعه إلى امه فاطمة، فضمته إلى صدرها، وبكت بكاءً شديداً، حتى علا بكاءها وبكى لها من سمعها في ذلك المكان.

فأقبل آدم عليه السلام حتى دنا من النبى صلى الله عليه وسلم، فقال: السلام على الولد الطيب، السلام على الخلق الطيب، أعظم الله أجرك، وأحسن عزاءك في ابنك الحسين، ثم قام نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام، فقالوا كقولهم كلهم يعزونه صلى الله عليه وسلم في ابنه الحسين.

ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم: يا أبى آدم، ويا أبى نوح، ويا أبى إبراهيم، ويا أخى موسى، ويا أخى عيسى، اشهدوا وكفى بالله شهيداً على امتى بما كافأونى في ابنى وولدى من بعدى.

فدنا منه ملك من الملائكة فقال: قطعت قلوبنا يا أبا القاسم، أنا الملك الموكل بسماء الدنيا، أمرنى الله تعالى بالطاعة لك، فلو أذنت لى أنزلتها على

مع الركب الحسيني (ج ۶)، ص: ۲۱۵

امتك، فلا يبقى منهم أحد.

ثم قام ملك آخر فقال: قطعت قلوبنا يا أبا القاسم، أنا الموكل بالبحار، أمرنى الله بالطاعة لك، فإن أذنت لى أرسلتها عليهم، فلا يبقى منهم أحد.

فقال النبى صلى الله عليه وسلم: يا ملائكة ربى، كفوا عن امتى، فإن لى ولهم موعداً لن أخلفه.

فقام إليه آدم عليه السلام فقال: جزاك الله خيراً من نبى أحسن ما جوزى به نبى عن امته.

فقال له الحسن: يا جداه، هؤلاء الرقود هم الذين يحرسون أخى، وهم الذين أتوا برأسه.

فقال النبى صلى الله عليه وسلم: يا ملائكة ربى، اقتلوهم بقتلهم ابنى.

فوالله ما لبثت إلايسيراً حتى رأيت أصحابى قد ذبحوا أجمعين.

قال: فلصق بى ملك ليذبحنى، فناديته: يا أبا القاسم أجرنى، وارحمنى يرحمك الله.

فقال: كفوا عنه.

ودنا منى وقال: أنت من السبعين رجلاً؟

قلت: نعم.

فألقي يده فى منكبى، وسحبني على وجهى، وقال: لا رحمك الله، ولا غفر لك، أحرق الله عظامك بالنار، فلذلك أيست من رحمة الله.

فقال الأعمش: إليك عنى، فإننى أخاف أن أعاقب من أجلك» (۱).

مع الركب الحسيني (ج ۶)، ص: ۲۱۶

صلب الرأس الشريف في دمشق ص : ٢١٦

روى الذهبي عن حمزة بن يزيد الحضرمي أنه قال: «وقد حدثني بعض أهلنا أنه رأى رأس الحسين مصلوباً بدمشق ثلاثة أيام» (١). وقال الشبراوي: قال أبو الفضل: «وبعد أن وصل الرأس الشريف إلى دمشق وُضع في طست بين يدي يزيد، وصار يضرب ثناياه الشريفة بقضيب، ثم أمر بصلبه، فصلب ثلاثة أيام بدمشق» (٢).

وذكر الباعوني أن الرأس نُصب بدمشق ثلاثة أيام ثم وضع بخزانة السلاح (٣). ونقل العلامة المجلسي أن رأس الحسين عليه السلام صُلب بدمشق ثلاثة أيام، ومكث في خزائن بني أمية (٤). هذا بالنسبة إلى أصل صلب الرأس الشريف في دمشق، وأما بالنسبة إلى مكان صلبه ففيه روايتان:

١- على باب مسجد دمشق

روى الشيخ الصدوق وابن الفثال قالا: «ثم أمر (يزيد) برأس الحسين عليه السلام، فنصب على باب مسجد دمشق» (٥).

٢- على باب دار يزيد

قال العلامة المجلسي: وقال صاحب المناقب: «وذكر أبو مخنف وغيره: أن

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٢١٧

يزيد لعنه الله أمر بأن يصلب الرأس على باب داره» (١).

الرأس الشريف في بيت يزيد ص : ٢١٧

قال البلاذري: «وبعث يزيد برأس الحسين إلى نسائه، فأخذته عاتكة ابنته، وهي أم يزيد بن عبد الملك، فغسلته ودهنته وطيبته، فقال لها يزيد: ما هذا؟

قالت: بعثت إليّ برأس ابن عمي شعثاً، فلممته وطيبته» (٢).

إطافة الرأس الشريف في مدائن الشام ص : ٢١٧

قال القاضي نعمان: «ثم أمر يزيد اللعين برأس الحسين عليه السلام فطيف به في مدائن الشام وغيرها» (٣).

أول رأس حُمل في الإسلام ص : ٢١٧

لقد حملوا رأس الحسين عليه السلام، وقد صرح المؤرخون بأنه هو أول رأس حُمل على رمح في الإسلام (٤).

إسلام يهودي ببركة الرأس الشريف ص : ٢١٧

قال الخوارزمي: «وروى أن رأس الحسين عليه السلام لَمّا حمل إلى الشام، جنّ عليهم الليل، فنزلوا عند رجل من اليهود، فلَمّا شربوا وسكروا قالوا له: عندنا رأس الحسين، فقال لهم: أروني إياه، فأروه إياه بصندوق يسطع منه النور إلى السماء،

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٢١٨

فعجب اليهودي واستودعه منهم، فأودعوه عنده، فقال اليهودي للرأس - وقد رآه بذلك الحال -: اشفع لي عند جدك، فأنطق الله الرأس وقال: إنّما شفاعتي للمحمّدين، ولست بمحمّدي.

فجمع اليهودي أقرباءه، ثم أخذ الرأس ووضع في طست، وصبّ عليه ماء الورد، وطرح فيه الكافور والمسك والعنبر، ثم قال لأولاده

وأقربائه: هذا رأس ابن بنت محمّد، ثم قال: والهفاه! لم أجد جدك محمّداً فأسلم على يديه، ثم والهفاه! لم أجدك حيّاً فأسلم على يدك، واقتل دونك، فلو أسلمت الآن أتشفع لى يوم القيامة؟ فأنطق الله الرأس، فقال بلسانٍ فصيح: إن أسلمت فأنا لك شفيع. قالها ثلاث مرّات، وسكت، فأسلم الرجل وأقرباؤه.
قال: أقول: لعلّ هذا الرجل اليهودى كان راهب "قسرين" لأنه أسلم بسبب رأس الحسين عليه السلام، وجاء ذكره فى الأشعار، وأورده الجوهري والجرجاني فى مرثى الحسين «١».

رباب ترثى الحسين ص : ٢١٨

وعن تاريخ الفرمانى أنّ رباب بنت امرئ القيس رثت الحسين عليه السلام فى الشام بعد أن أخذت رأسه وقبلته ووضعتة فى حجرها وهى تقول:
واحسناً فلا نسيت حسيناً أقصدته أسنّه الأعداء
غادروه بكربلاء صريعاً لا سقى الله جانبى كربلاء «٢»

رأس الحسين عليه السلام عند يتيّمته ص : ٢١٨

إشارة

روى عماد الدّين الطبرى عن كتاب الحاوية لقاسم بن محمّد بن أحمد المأمونى «أن نساء أهل بيت النبوة أخفين على الأطفال شهادة آبائهم وقلن لهم إنّ آباءكم قد سافروا إلى كذا وكذا، وكان الحال على ذلك المنوال حتّى أمر يزيد بأن يدخلن داره، وكان للحسين عليه السلام بنت صغيرة لها أربع سنين، قامت ليلة من منامها وقالت: أين أبى الحسين؟ فأنى رأيتة فى المنام مضطرباً شديداً، فلمّا سمع النسوة ذلك بكين وبكى معهنّ سائر الأطفال، وارتفع العويل، فانتبه يزيد من نومه، وقال: ما الخبر؟ ففحصوا عن الواقعة وقصّوها عليه، فأمر لعنه الله بأن يذهبوا برأس أبيها إليها، فأتوا بالرأس الشريف وجعلوه فى حجرها، فقالت: ما هذا؟! قالوا: رأس أبيك! ففزعت الصبيّة وصاحت، فمرضت وتوفيت فى أيامها بالشام» «١».

وفى "الإيقاد" للسيد الجليل السيد محمّد على الشاه عبد العظيمى رحمه الله عن العوالم وغيره ما ملخصه:

«إنّه كان للحسين عليه السلام بنت صغيرة يحبّها وتحبّه، وقيل كانت تسمّى رقيه، وكان لها ثلاث سنين، وكانت مع الأسراء فى الشام، وكانت تبكى لفراق أبيها ليلاً ونهاراً، وكانوا يقولون لها: هو فى السفر «٢»، فرأته ليلة فى النوم، فلمّا انتبهت جزعت جزعاً شديداً وقالت: ايتونى بوالدى وقرة عيني، وكلّمنا أراد أهل البيت إسكاتها ازدادت حزناً وبكاءً، ولبكائها هاج حزن أهل البيت، فأخذوا فى البكاء، ولطموا الخدود، وحثّوا على رؤوسهم التراب، ونشروا الشعور، وقام الصياح، فسمع يزيد [صيحهم وبكاءهم فقال: ما الخبر؟ قيل له: إنّ بنت الحسين الصغيرة

مع الרכب الحسينى (ج ٦)، ص: ٢٢٠

رأت أباه بنومها، فانتبهت وهى تطلبه وتبكي وتصيح، فلمّا سمع يزيد ذلك [١] فقال: ارفعوا إليها رأس أبيها، وحطّوه بين يديها تتسلّى. فأتوا بالرأس فى طبق مغطّى بمنديل، ووضعوه بين يديها، فقالت: يا هذا «٢» إننى طلبت أبى ولم أطلب الطعام، فقالوا: إنّ هنا أباك، فرفعت المنديل ورأت رأساً فقالت: ما هذا الرأس؟! قالوا: رأس أبيك، فرفعت الرأس ووضعته «٣» إلى صدرها وهى تقول: يا أبتاه من ذا الذى خضّ بك بدمائك؟ يا أبتاه من ذا الذى قطع ويريدك «٤»؟ يا أبتاه، من ذا الذى أيتمنى على صغر سنّى؟ يا أبتاه من

للتيمة حتى تكبر؟ يا أبتاه من للنساء الحاسرات؟ يا أبتاه من للأرامل المسيئات؟ يا أبتاه من للعيون الباقيات؟ يا أبتاه من للضائعات الغريبات؟ يا أبتاه من للشعور المنشورات؟ يا أبتاه من بعدك واخيبتاه، يا أبتاه من بعدك واغربتاه، يا أبتاه ليتنى لك الفداء، يا أبتاه ليتنى قبل هذا اليوم عمياء، يا أبتاه ليتنى وسدت «٥» التراب ولا أرى شيبك مخضباً بالدماء.

ثم وضعت فمها على فم الشهيد المظلوم، وبكت حتى غشى عليها، فلما حرّكوها فإذا هي قد فارقت روحها الدنيا، فارتفعت أصوات أهل البيت بالبكاء، وتجدد الحزن والعزاء، ومن سمع من أهل الشام بكاءهم بكى، فلم ير في ذلك اليوم إلاباك أو باكية، فأمر يزيد بغسلها وكفنها ودفنها «٦».

مع الركب الحسينى (ج ٦)، ص: ٢٢١

كلام حول السيده رقيه ص : ٢٢١

إن قيل: إنه ما كان للإمام الحسين عليه السلام إلابتان، وهما سكينه وفاطمه.

نقول: المروى وإن كان ذلك، ولكنه ليس بمتفق عليه، فهناك بعض الروايات تدل على أن الإمام عليه السلام كان له بنات ثلاث بل- على قول- أربع.

قال الطبرى الإمامي: «وله- أى للإمام الحسين عليه السلام- من البنات زينب، وسكينه، وفاطمه» (١).

وممن ذكر القول الآخر العلّامة الأربلى وابن الصبّاغ المالكي، فإنهما قالا- واللفظ للأخير-: «قال الشيخ كمال الدين بن طلحة: كان للحسين عليه السلام من الأولاد ذكوراً وإناثاً عشرة، ستة ذكور وأربع إناث، فالذكور على الأكبر، وعلى الأوسط وهو زين العابدين، وعلى الأصغر، ومحمد، وعبدالله، وجعفر.. وأما البنات فزينب وسكينه وفاطمه، هذا قول المشهور» (٢).

ولم يصرّح الأربلى وابن الصبّاغ باسم البنت الرابعة، فلعلها هي التي عرفت باسم رقيه في أوساط الناس.

إن قيل: لعلها هي رقيه بنت الإمام على بن أبى طالب عليه السلام.

قلنا: لكن لا يمكن الاعتماد عليه، لأن الروايات في شأنها على قسمين:

القسم الأول: ما تصرّح بأنها ماتت صغيرة، مثل ما ذكره سبط ابن الجوزى في قوله: «وقد زاد ابن إسحاق في أولاد فاطمه من على عليه السلام: محسنًا، مات صغيراً،

مع الركب الحسينى (ج ٦)، ص: ٢٢٢

وزاد الليث: رقيه، ماتت صغيرة أيضاً» (١).

فبناءً على هذا لا يمكن القول بأنها المقصودة بالمقام، لأن الفاصل الزمانى بين وفاة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وما بعد وقعة الطف يخرجها عن كونها صغيرة! هذا إذا فرضنا أنها ولدت في آخر أيام حياة الإمام على عليه السلام، وإلا فإن المسألة أصعب.

القسم الثانى: ما تصرّح بأنها كبرت وتزوجت من مسلم بن عقيل (٢). فإن المؤرخين ذكروا في عداد أنصار الإمام الحسين عليه السلام الذين استشهدوا معه في كربلاء عبدالله بن مسلم بن عقيل، وقد صرحوا بأن أمه كانت رقيه بنت على بن أبى طالب.

صرّح بذلك ابن حبان (٣)، والقاضى نعمان (٤)، والطبرى (٥) عن أبى مخنف، وخليفه بن خياط (٦)، وابن الأثير (٧) وغيرهم.

ولكن مع هذا لا يمكن القول بأنها المقصودة، وذلك لعدة أمور:

أولاً: لا نعلم بحضورها في وقعة الطف، ولكن القرائن تؤيد حضورها، وذلك لأسباب متعدده مثل إرسال زوجها مسلم بن عقيل إلى

الكوفة، وحضور أبنائها مع الحسين عليه السلام من البنات والذكور، فبطبيعة الحال هي تلازم أخاها في

مع الركب الحسينى (ج ٦)، ص: ٢٢٣

هذه المرحلة الحساسة والهامة جداً.

ثانياً: ليس لنا دليل على وفاتها في الشام، بل هناك بعض الأخبار بوجود قبرها بمصر «١»، - صرح بذلك ياقوت الحموي وغيره «٢»، وإلاً فبطبيعة الحال تكون قد توفيت بالمدينة.

ثالثاً: القرائن التي نُقلت في شأن وفاة هذه السيدة تختلف تماماً عما إذا كانت امرأة كبيرة، كما هو واضح.

أضف إلى ذلك ما نقل في شأن إصلاح قبر هذه السيدة وكونها بنتاً صغيرة، روى الشيخ الحائري المازندراني قال: «وقد أخبرني بعض الصلحاء أن للسيدة رقية بنت الحسين عليهما السلام ضريحاً بدمشق الشام، وأن جدران قبرها قد تعيّبت، فأرادوا إخراجها منه لتجديده فلم يتجاسر أحد أن ينزله من الهيبة، فحضر شخص من أهل البيت يدعى السيد ابن مرتضى، فنزل في قبرها ووضع عليها ثوباً لُقها فيه وأخرجها فإذا هي بنت صغيرة دون البلوغ، وكان متنها مجروحاً من كثرة الضرب، وقد ذكرت ذلك لبعض الأفاضل فحدثني به ناقلًا له عن بعض أشياخه» «٣».

رابعاً: تصريح بعض أرباب الكتب مثل ما نقل عن كتاب منتخبات التواريخ لمحمد أديب آل تقي الدين الحصني بقوله: «ونقل أيضاً أن السيدة رقية بنت

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٢٢٤

الإمام الحسين الصغيرة دفنت عند باب الفراديس» «١».

وروى عن الشعراني في الباب العاشر من كتاب المنن: «وأخبرني بعض الخواص أن رقية بنت الحسين عليه السلام في المشهد القريب من جامع دار الخليفة أمير المؤمنين يزيد، ومعها جماعة من أهل البيت، وهو معروف الآن بجامع شجرة الدر، وهذا الجامع على يسار الطالب للسيدة نفيسة، والمكان الذي فيه السيدة رقية عن يمينه ومكتوب على الحجر الذي ببابه هذا البيت: بقعة شرفت بآل النبي وبنت الحسين الشهيد رقية» «٢»

وقد جُدد بناء قبر هذه السيدة بعد انتصار الثورة الإسلامية وإقامة الجمهورية الإسلامية في إيران بقيادة الإمام الخميني أعلى الله مقامه الشريف، وقد أصبح بناءً ضخماً ورمزاً للتضحية والجهاد في سبيل الله وإعلاء كلمته.

إن قيل: هل هناك تصريح باسمها في ضمن كلمات الإمام الحسين عليه السلام؟

يقال: نعم، مثل ما ذكره السيد ابن طاووس أنه حينما أراد عليه السلام أن يودع أهله قال: يا اختاه يا أم كلثوم، وأنت يا زينب، وأنت يا رقية، وأنت يا فاطمة، وأنت يا رباب، انظرن إذا أنا قتلت فلا تشقن عليّ جيئاً، ولا تخمشن عليّ وجهاً، ولا تقلن عليّ هجراً «٣».

وما ذكره القندوزي أنه نادى: يا أم كلثوم، يا سكينه، يا رقية، يا عاتكة، يا زينب، يا أهل بيتي عليكن مني السلام «٤».

وكلا الاحتمالين في شأنها ممكن، وإن كان ظاهر لحن خطاب ما ذكره السيد

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٢٢٥

ابن طاووس أنه متوجه إلى اخته رقية بنت علي عليه السلام، ويمكن اعتبار هذا دليلاً آخر على حضورها في معركة الطف.

وصف مسكن أهل البيت في الشام ص : ٢٢٥

روى الشيخ الصدوق رحمه الله بإسناده عن فاطمة بنت علي (صلوات الله عليهما) أنها قالت: «ثم إن يزيد (لعنه الله) أمر بنساء الحسين عليه السلام فحُبس مع علي بن الحسين عليهما السلام في محبس لا يكتنهم من حرٍّ ولا قرٍ حتى تقشّرت وجوههم» «١».

وقال القاضي نعمان بعد ذكره بكاء يزيد! «وقيل إن ذلك بعد أن أجلسهن في منزل لا يكتنهن من برد ولا حرٍّ، فأقاموا شهراً ونصف، حتى أقشّرت وجوههن من حرّ الشمس، ثم أطلقهن» «٢».

وقال ابن نما: «وأُسكن في مساكن لا تقيهن من حرٍّ ولا برد، حتى تقشّرت الجلود وسال الصديد، بعد كنّ الخدود وظل الستور، والصبر

ظاعن والجزع مقيم، والحزن لهنّ نديم» (۳) .

وقال السيد ابن طاووس: «ثم أمر (يزيد) بهم إلى منزل لا يکنهم من حرّ ولا برد، فأقاموا فيه حتّى تقشّرت وجوههم» (۴) .

وقال الشيخ المفيد: «ثم أمر (يزيد) بالنسوة أن ينزلن في دار على حدة، معهنّ أخوهنّ عليّ بن الحسين عليهم السلام، فأفرد لهم دار تتصل بدار يزيد، فأقاموا أياماً» (۵) .

مع الרכب الحسينى (ج ۶)، ص: ۲۲۶

والمستفاد من بعض الأخبار- مضافاً إلى ما ذكر- أنّ البيت كان خراباً بحيث كان يُخشى وقوعه عليهم.

روى صاحب «بصائر الدرجات» بإسناده عن محمد بن على الحلبي قال:

«سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: لما أتى بعليّ بن الحسين عليه السلام يزيد بن معاوية- عليه لعائن الله- ومن معه، جعلوه (۱) في بيت، فقال بعضهم: إنّنا جعلنا في هذا البيت ليقع علينا فيقتلنا فراطن الحرس، فقالوا: انظروا إلى هؤلاء يخافون أن تقع عليهم البيت، وإنّما يخرجون غداً فيقتلون، قال عليّ بن الحسين عليهما السلام: لم يكن فينا أحد يُحسن الرطانة غيري، والرطانة عند أهل المدينة الروميّة» (۲)

وروى الطبراني الإمامي بإسناده عن يحيى بن عمران الحلبي قال: «سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: أتى بعليّ بن الحسين عليهما السلام إلى يزيد بن معاوية ومن معه من النساء أسرى فجعلوهم في بيت، ووكّلوا بهم قوماً من العجم لا يفهمون العربيّة، فقال بعض لبعض: إنّنا جعلنا في هذا البيت ليهدم علينا فيقتلنا فيه، فقال عليّ بن الحسين عليه السلام للحرس بالرطانة: تدرّون ما يقول هؤلاء النساء؟

يقلن كيت وكيت، فقال الحرس: قد قالوا إنّكم تخرجون غداً وتُقتلون، فقال عليّ بن الحسين عليه السلام: كلاً، يأبى الله ذلك، ثمّ أقبل عليهم يعلمهم بلسانهم» (۳)

رؤيا سكينه بنت الحسين عليه السلام بالشام ص : ۲۲۶

مع الרכب الحسينى (ج ۶)، ص: ۲۲۷

قال ابن نما: «ورأت سكينه في منامها وهي بدمشق: كأنّ خمسهُ نجب من نور قد أقبلت، وعلى كلّ نجيب شيخ والملائكة محدقة بهم، ومعهم وصيف يمشى، فمضى النجب وأقبل الوصيف إلىّ وقرب منّي وقال: يا سكينه، إنّ جدّك يسلم عليك. فقلت: وعلى رسول الله السلام، يارسول رسول الله، من أنت؟ قال: وصيف من وصائف الجنّة.

فقلت: من هؤلاء المشيخة الذين جاءوا على النجب؟

قال: الأول آدم صفوة الله، والثاني إبراهيم خليل الله، والثالث موسى كليم الله، والرابع عيسى روح الله.

فقلت: من هذا القابض على لحيته يسقط مرّة ويقوم اخرى؟

فقال: جدّك رسول الله صلى الله عليه وآله.

فقلت: وأين هم قاصدون؟

قال: إلى أبيك الحسين.

فأقبلت أسعى في طلبه لأعرّفه ما صنع بنا الظالمون بعده، فبينما أنا كذلك إذ أقبلت خمسهُ هودج من نور، في كلّ هودج امرأة.

فقلت: من هذه النسوة المقبلات؟

قال: الأولى حواء أم البشر، والثانية آسية بنت مزاحم، والثالثة مريم بنت عمران، والرابعة خديجة بنت خويلد، والخامسة الواضعة يدها على رأسها تسقط مرّة وتقوم مرّة وتقوم أخرى.

فقلت: من؟

فقال: جدتك فاطمة بنت محمد، أم أبيك.

فقلت: والله لأخبرنّها ما صُيغ بنا.

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٢٢٨

فلحقتها ووقفت بين يديها أبكى وأقول: يا أمّاتاه، جحدوا والله حقنا، يا أمّاتاه بدّوا والله شملنا، يا أمّاتاه استباحوا والله حريمنا، يا أمّاتاه قتلوا والله الحسين أبانا.

فقلت: كفى صوتك يا سكينه، فقد أفرحت كبدي، وقطعت نياط قلبي، هذا قميص أبيك الحسين معي لا يفارقتي حتّى ألقى الله به. ثمّ انتبهت وأردت كتمان ذلك المنام، وحدثت به أهلي، فشاع بين الناس «١».

وذكر بعضه السيّد ابن طاووس وروى عنها أنّها رأت ذلك في اليوم الرابع من مقامهم في الشام «٢» وذكره العلّامة المجلسي بتفصيل أكثر عن بعض مؤلّفات أصحابنا مرسلًا «٣».

مدّة إقامة أهل البيت في الشام ص : ٢٢٨

إشارة

لم نعثر على من صرّح بمدّة إقامتهم بالشام تحديداً من القدماء إلّا القاضي أبو حنيفة النعمان بن محمد التميمي المغربي المتوفى سنة ٣٦٣ من الهجرة، فإنّه قال:

«فأقاموا فيه شهراً ونصف» «٤»، ويقرب منه قول ابن طاووس حيث قال: «أقاموا فيه شهراً» «٥»، وما عداه اكتفوا بذكر عنوان عام، مثل ما ذكره الشيخ المفيد بقوله:

«فأقاموا أياماً» «٦»، واعتمد عليه الطبرسي «٧».

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٢٢٩

نعم ذكر العلّامة المجلسي عن بعض كتب أصحابنا مرسلًا ما يستفاد منه أنّ مدّة البقاء كانت زهاء عشرة أيام، حيث قال: «وندبوه على ما نقل سبعة أيام فلمّا كان اليوم الثامن دعاهنّ يزيد وعرض عليهنّ المقام فأبين وأرادوا الرجوع إلى المدينة فأحضر لهم المحامل» «١»، ولكن المأخذ غير معلوم فلا يمكن الاستناد إليه.

وإذا اعتمدنا على ما رواه ابن سعد من بعث يزيد إلى المدينة وقدم عدّه من ذوى السنّ من موالى بنى هاشم عليه، وضّمه إليهم عدّه من موالى أبي سفيان، وبعث الأسارى من آل البيت عليهم السلام معهم إلى المدينة «٢» فيكون البقاء - مع ملاحظة مدّة إرسال البريد إلى المدينة وإتيانهم منها إلى الشام - أكثر من ذلك حتماً.

حقائق أم أوهاهم؟ ص : ٢٢٩

١- قيل: إنّ يزيد أمر بالنسوة - من آل البيت عليهم السلام - أن ينزلن في دار على حدة معهنّ ما يصلحهنّ وأخوهنّ عليّ بن الحسين في الدار التي هنّ فيها «٣».

وفيه: أنّ هذه الدار تختلف عن الدار الخربة التي وصفت بكونها لا تكّتهم من حرّ ولا برد حتّى تقشّرت وجوههم «٤»، بل هي دار نقلوا

إليها بعد أحداث مجلس يزيد، ويدل عليه ما أوردته الطبري بعد ذلك بقوله: فخرجن حتى دخلن دار يزيد فلم تبق من آل معاوية امرأة إلا استقبلتهن تبكى «٥»، فهي إما دار يزيد كما هو ظاهر

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٢٣٠

نقل الطبري، وتصريح آخرين بقولهم: إن يزيد أنزلهم في داره الخاصة «١»، أو دار تتصل بدار يزيد كما مر ذلك عن المفيد «٢» والطبرسي «٣»، فما عن بعض من توصيف منزلهم بالحسن والصلاح! فغير صحيح، والمنقول من ذلك محمول على ما ذكر، ويؤيده ما قاله السيد محمد بن أبي طالب بقوله: «روى أن اللعين لما خشى شق العصا وحصول الفتنة أخذ في الاعتذار والإنكار لفعل ابن زياد وإبداء التعظيم والتكريم لعل بن الحسين عليهما السلام ونقل نساء رسول الله صلى الله عليه وآله إلى داره الخاصة وكان لا يتغدى ولا يتعشى إلا مع سيدنا سيد العابدين» «٤».

٢- قيل: إن يزيد ما كان يتغدى ويتعشى حتى يحضر معه علي بن الحسين عليهما السلام «٥».

وفيه - إن صح ذلك - أنه لم يكن إلا بعد تغير المعادلة وانقلاب الأمر عليه، قام به حفظاً للظاهر سياسياً منه وخوفاً من الفتنة، وأما في الخفاء والواقع فقد عرفت غير مرة أنه هو الذي همم بقتل الإمام زين العابدين عليه السلام وأراد اغتياله، وهو الذي كشف عن خبث باطنه وسوء سريرته عند محادثته مع الإمام عليه السلام.

٣- قيل: إن يزيد طلب من علي بن الحسين عليه السلام أن يصرع ولده خالداً «٦».

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٢٣١

وهذا أيضاً خطأ وغير صحيح قطعاً، وإن صح مضمون الخبر فهو في شأن عمرو بن الحسن، الذي ذكره أصحاب السير والتواريخ منهم ابن سعد في طبقاته، قال: ثم دعا بعلي بن حسين وحسن بن حسن وعمرو بن حسن، فقال لعمرو بن حسن وهو يومئذ ابن إحدى عشرة سنة: أتصرع هذا؟ يعني خالد بن يزيد، قال:

لا، ولكن أعطني سكيناً وأعطه سكيناً حتى أقاتله، فضمه إليه يزيد وقال:

ششنة أعرفها من أحزم هل تلد الحية إلا حية «١»

ومنه يظهر أن ما في بعض الكتب «٢» من كونه عمرو بن الحسين، بدل عمرو بن الحسن تصحيف، إذ لا نعلم بولد له عليه السلام بهذا الاسم، مضافاً إلى أنه لم يبق من ذريته الطاهرة إلا الإمام علي بن الحسين عليه السلام.

والذي يغلب على الظن - أن عمال بني أمية دسوا هذه الأمور ونشروها بين أوساط الناس بعدما رأوا تأثير كلام الإمام عليه السلام في قلب عاصمه حكومة بني أمية السوداء، أو أنه حصل من سهو الكتاب.

وأما البيت الذي تمثل به يزيد فهناك بعض الخلاف في كلفيته، روى الخوارزمي أنه قال:

ششنة أعرفها من أحزم هل يلد الأرقم غير الأرقم «٣»

وروى ابن الجوزي: «سنة أعرفها من أحرم» «٤»، وجاء في نسخة من كتابه كما

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٢٣٢

في الطبقات وفي نور الأبصار: «وهل تلد الحية إلا الأحوية» «١».

وفي المناقب:

هذا من العصا عصية هل تلد الحية إلا الحية

ثم قال: وفي كتاب الأحمر قال: أشهد أنك ابن علي بن أبي طالب «٢».

وفي الاحتجاج أنه قال: لا تلد الحية إلا الحية

أشهد أنك ابن علي بن أبي طالب «٣»

وأصل البيت هو- كما عن ابن الكلبي- لأبي أخزم الطائي وهو جدّ أبي حاتم أو جدّ جدّه، وكان له ابن يقال له أخزم، وقيل كان عاقاً فمات وترك بنين، فوثبوا يوماً على جدّهم أبي أخزم فأدموه، فقال:

إنّ بنّي ضربوني بالدم شنشنة أعرّفها من أخزم

يعنى هؤلاء أشبهوا أباهم في العقوق، والشنشنة: الطبيعة والعادة.. يضرب في قرب الشبه «٤».

٤- قيل: (إنّ فاطمة بنت علي قالت لامرأة يزيد: «ما ترك لنا شيء»). فالتفت يزيد فقال: «ما أتى إليهم عظيم»، ثم ما ادّعوا شيئاً ذهب لهم إلّا أضعفه لهم «٥».

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٢٣٣

ومن هذا القليل ما رواه ابن الأثير بقوله: «وسألهم- أي يزيد- عمّا أخذ منهم فأضعفه لهم «١»، وما رواه الطبري وابن كثير: وأرسل يزيد إلى كلّ امرأة ماذا أخذ لك؟ وليس منهم امرأة تدعى شيئاً بالغاً ما بلغ إلّا قد أضعفه لها «٢».

ففي جميع ذلك أنه: أولاً: لا نسلم بصحة الخبر، فشأن أهل البيت- الذين هم أهل بيت الحميّة والغيرة وأرباب العزة والمنعة- أعلى وأرفع من أن يطلبوا من رجل خبيث سيئ السيرة والسريرة شيئاً، فما هي إلّا مفتعلات وموضوعات وضعها أنصار بني أمية حقداً على أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وبغضاً لهم.

وثانياً: على فرض التسليم بها، فإنّ مطالبه أهل البيت ما كانت لأجل الحصول على أمور ماديّة، بل هناك في ضمن ما سلب منهم بعض موارث آل البيت الخاصّة، وخاصّة ما يتعلّق بفاطمة الزهراء سلام الله عليها «٣»، وهذا أمر لا يعوّض بأيّ شيء.

وثالثاً: من الممكن أن بعض نساء آل البيت نقلن تلك الامور، لأجل تبين عمق الفاجعة والمأساة التي جرت في كربلاء، حتّى يبقى في التاريخ ويذكر على الألسن، لا أن يكون المقصود مطالبه شيء منها.

ورابعاً: يحقّ لكلّ أحد غضب ماله أن يطالب به، وليس في ذلك أيّ نقيصة، ولكن المسائل التي ضمتها هذه الروايات أوجبت أن نتأمّل في قبولها، فإنّ هناك أغراضاً سياسيّة فاسدة لا يمكن التغاضي عنها.

٥- إنّ المتتبع في أحداث كربلاء يجد روايات تريد أن تمرّ على القضايا

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٢٣٤

مروراً سريعاً، غامضة العين، كأنه لم يحدث شيء! أو أنّه انتهى بالخير والسلامة! نذكر بعضها:

روى الذهبي بإسناده عن عمرو بن دينار قال: «حدّثنا محمّد بن علي عن أبيه قال: قُتل الحسين وأدخلنا الكوفة فلقينا رجلاً، فأدخلنا منزله، فألحفنا! فمتمّ فلم أستيظز إلّا بحسّ الخيل في الأزقة، فحملنا إلى يزيد، فدمعت عينه حين رآنا، وأعطانا ما شئنا! وقال: إنّه سيكون في قومك أمور، فلا تدخل معهم...» «١».

إنّ الناظر الجاهل بالحقائق حينما يقرأ الخبر، يتصوّر أنّ راويه يقصّ عن سفر فحسب! ولم يحدث أيّ خبر في الكوفة، لا من السجن ولا- أحداث مجلس عبيدالله بن زياد، ولم يحدث في الطريق إلى الشام أيّ أمر، ووصلوا بالخير والسلامة الشام، وتأثر يزيد، بحيث دمعت عينه!

ولا نعلم كيف يتصوّر إمكان أن يأخذ رجل بقيه الركب إلى منزله والحراسه مشدّده عليهم من قبل ابن زياد!؟

وروى الطبراني- بعد ذكر بعض أحداث مجلس يزيد ومحادثة الإمام عليه السلام معه- قال: «فجعلت فاطمة وسكينه يتناولان لتريا رأس أبيهما، وجعل يزيد يتناول في مجلسه ليستر عنهما رأس أبيهما، ثم أمر بهم فجهّزوا وأصلح إليهم وأخرجوا إلى المدينة!» «٢».

وهناك بعض الأخبار التي هي على هذا المنوال، فكلّ هذه الروايات إمّا أن تكون بيان قطعة ناقصة من الحادثة، وإمّا أن تكون لأجل تحريف التاريخ عن حقائقه.

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٢٣٥

المظلوم ينتصر ص : ٢٣٥

غلبة الدم على السيف ص : ٢٣٥

حصلت المعركة، ووقعت الملحمة في أرض الطف، ولكنها لم تنته فصولها. أجل، سقط قائد النهضة صريعاً على الثرى، وذبح عطشاناً من القفا، ورفع رأسه الشريف على السنا، ولكن المعركة لم ولن تنتهي.

أرادوا أن يحكموا بالظاهر، بأن الخليفة! هو الظافر، كيف لا وقد قتل قائد المسيرة، وسبى أهله الذين حملوا مع رؤوس الشهداء أسارى من بلد إلى بلد، حتى وصلوا بهم إلى عاصمة المملكة، وأهلها فرحون مستبشرون، زاعمون أن ذلك أماره الغلبة والظفر؟! نعم، إنهم ارتكبوا المجازر التي تشمئز منها القلوب، وفعلوا ما يقرح الأكباد، ولكنهم نسوا شيئاً واحداً، وهو أنه هناك سنه الله وإرادته التي تغلب كل شيء!

أرادوا أن يطفئوا نور الله بأفواههم، وأبى الله ذلك: «يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُنِيمَ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ» (١)

، وقال سبحانه وتعالى:

«يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ» (٢)

أرادوا أن يغلبوا حجة الله وقد قال سبحانه وتعالى: «كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ» (٣)

تخيلوا أن الغلبة بالعدد والعدة فقط وقد نسوا قوله تعالى: «كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ» (٤)

مع الרכب الحسيني (ج ٦)، ص: ٢٣٦

ومن هذا المنطق، نطلق إلى سنه إلهية ثابتة في ساحه صراع الحق مع الباطل، وهي انتصار الحق على الباطل. لقد غلب الدم السيف، لأن الله يقول: «وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ * وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ» (١)

، وقال تعالى: «فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ» (٢)

كيف انقلبت المعادلة؟ ص : ٢٣٦

إن مسألة انقلاب المعادلة وتغير الأوضاع وتبدل كفتي الموازنة لم تحصل دفعة ودونما مقدمات، بل هي حصيلة جهود كثيرة، ونتيجة مقاساة شدائد صعبة تحملها أهل بيت الحسين عليه السلام وعلى رأسهم سيد المتهجدين وزين العابدين على بن الحسين عليه السلام، والسيدة العقيلة زينب الكبرى سلام الله عليها. وابتدأت تلك الجهود بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام مباشرة، واستمرت في الكوفة وفي الطريق إلى الشام، وأثمرت في دمشق، وامتدت حتى وصلت إلى بيت الطاغى ابن الباغي يزيد بن معاوية بحيث زعزعت أركان حكومته من الداخل والخارج. هذا ما سنتناوله في هذه المرحلة ونركز على بعض جوانبه وننظر إلى بعض زواياه.

نظرة إلى دور الإمام زين العابدين عليه السلام ص : ٢٣٦

لقد رأينا موقف الإمام عليه السلام تجاه المسائل العديدة التي حصلت بعد عاشوراء إلى زمان دخوله الشام - لاسيما ما جرى في الشام - ولقد ذكرنا شواهد متعددة على

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٢٣٧

دور الإمام البارز على صعيد الشعب والحكومة والشخصيات.

فقد تمكن الإمام عليه السلام أن يكسر الحواجز ويهدم الموانع التي فرضتها السلطة الطاغية ويعبر جميع ذلك ويقوم بكسر الحواجز الإعلامية المفروضة على الناس ويبين الحقائق التي اخفيت عليهم.

فتارة يرى الإمام عليه السلام اناساً ساذجين قلبوا الأمر عليهم، فيواجههم برحابة صدره الشريف، كما حصل ذلك مع الشيخ الشامي الذي حمد الله على قتل الحسين عليه السلام وأهله!- في البديء- ولكنه حينما يسمع آيات قرآنية نازلة في شأن آل بيت رسول الله- كآية التطهير، والمودة في القربى وغيرها- يرجع إلى فطرته السليمة ويقول: اللهم إني تائب إليك مما تكلمته ومن بغض هؤلاء القوم، اللهم إني أبرأ إليك من عدو محمد وآل محمد من الجن والإنس «١».

ولم يتحمل يزيد ذلك فأمر بقتل ذلك الشيخ الشامي «٢».

إن التمسك بالقرآن والاستدلال به هو أحسن طريق اتخذه الإمام عليه السلام للاحتجاج به في هذا المقطع، لأنهم- كما ذكرنا- منعوا نشر أحاديث فضل أهل البيت عليهم السلام منعاً كاملاً، كما وضعوا في قبالها أحاديث في شأن مبغضهم!

فتارة نرى الإمام إذا واجه الطاغية قابله وهاجمه بقوة الإيمان وصلابة البيان وإقامة البرهان بحيث لم يبق له إلا الخزي والخسران، ثم أوعده بالنيران لأنه تابع إمامه الذي ليس هو إلا الشيطان، ولكونه ثمرة عبدة الأوثان. فلذلك واجهه بهذا الكلام: أنشدك بالله يا يزيد ما ظنك برسول الله صلى الله عليه وآله لو رأنا مقرنين في الجبال؟ أما كان يرق لنا؟ فأمر يزيد بالجبال فقطعت وعرف الانكسار فيه «٣». فلم

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٢٣٨

يبقى في القوم إيمان بكى «١»، وحينما استشهد يزيد- المدعى خلافة رسول الله- بيت لشاعر جاهلي يجيبه الإمام عليه السلام بآية قرآنية، فيثقل ذلك على يزيد «٢»، ولم يجد إلا أن يلتجئ لآية شريفة في غير موقعها، فيثبت الإمام عليه السلام له وللجميع عدم فقعه بالقرآن وعدم دركه معناه «٣»، هذا وهو مدعى الخلافة الإسلامية؟ ومع الأسف الشديد فإن كثيراً من المؤرخين لم يذكروا هذه القطعة الأخيرة.

هذا جانب مما نقل عن نشاط الإمام عليه السلام على صعيد مواجهة الطاغوت ومجاهته، وكسر كبريائه وسطوته، وكذا الأمر بالنسبة إلى مقابلة الإمام عليه السلام مع بعض الأشخاص، سواء كانوا من الساذجين المنخدعين منهم- كما مر في قصيدة الشيخ الشامي- أو غيرهم مثل ما ذكر حول تكلم الإمام عليه السلام مع مكحول صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله «٤» أو منهال «٥».

وأما على الصعيد الشعبي العام فنجد ذروة ذلك في خطبته الغراء التي القيت أمام حشد الجماهير مع حضور يزيد الملعون، ولقد بسطنا القول في تأثير الخطبة وصددها فراجع «٦»، ونكتفي بذكر ما أورده السيد محمد بن أبي طالب عند ذكره الخطبة، قال: «فلم يزل يقول أنا أنا حتى ضج الناس بالبكاء والنحيب والأنين وخشى يزيد اللعين أن تكون فتنه، فأمر المؤذن فقال: اقطع عليه الكلام» «٧».

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٢٣٩

ومن هنا نعلم ما هو السر وراء قيام يزيد بحبس الإمام عليه السلام «١»، أو أمره باغتياله «٢»، واقتراح بعض الصحابة! «٣» ومشاوريه «٤» ذلك. وهذه الشواهد المتقنة تؤيد مدى نجاح نشاط الإمام عليه السلام وعمله في جوانب متعددة.

نظرة إلى دور زينب الكبرى عليها السلام ص: ٢٣٩

لقد قامت السيدة العقيلة زينب الكبرى- سلام الله عليها- بواجبها الرسالي امتداداً للنهضة الحسينية وتجسيداً رائعاً لقيمها الراقية

وأهدافها السامية.

إنها بنت على وفاطمة.

إنها أخت الحسين.

إنها التي تغذت في حضان النبوة وتربت في كنف الولاية.

وهي التي رأت مصائب لم ولن يرى مثلها أحد!

لقد رأت بالأمس مظلومية جدّها رسول الله صلى الله عليه و آله في آخر أيام حياته.

ثم رأت مظلوميّة أمّها الصديقه الشهيدة فاطمة الزهراء سلام الله عليها وكيف كُسر ضلعها «٥» وأُحرق باب دارها «٦» وهي التي

حضرت المسجد مع أمّها ونقلت تلك الخطبة الغراء التي ألقته أمّها عليها السلام «٧».

مع الركب الحسينى (ج ٦)، ص: ٢٤٠

وبذلك تعلمت كيف تواجه الحكام الظلمة بقوة البيان وصلابة الإيمان، وإذا أردت أن تعلم جذور خطب زينب فارجع البصر إلى ما

بعد وفاة الرسول تجدها ترجع إلى خطبة أمّها الزهراء البتول سلام الله عليها.

ثم رأت غربّة أبيها المظلوم على بن أبى طالب واستشهاده، ثم الحسن عليهم سلام الله جميعاً.

أمّا اليوم! فقد أصبحت بطلة المعركة الكبرى، ولقد أدت واجبها بأحسن وجه، وعبر مواقف؛ منها:

١- متابعتها لإمام زمانها وابن أخيها على بن الحسين عليه السلام، الذى عرفته أمام يزيد بقولها هو المتكلم «٢».

٢- وقوفها الصلب أمام الطاغية يزيد.

٣- تأثير كلامها فى أوساط المجتمع الشامى، وخاصّة فى مجلس يزيد.

٤- تأثيرها البالغ فى قلب العاصمة وفى بيت يزيد- كما يأتى تفصيل ذلك-.

٥- موقفها العاطفى أمام رأس أخيها الحسين بحيث قلبت المجلس، إلى حدّ قالوا: فأبكت والله كل من كان «٣».

٦- إلقاء خطبتها الغراء فى مجلس يزيد، التى تضمّنت معانى عالية ومضامين راقية وبراهين متقنة- ولقد بسطنا القول فى شأنها.

مع الركب الحسينى (ج ٦)، ص: ٢٤١

نظرة إلى دور سائر أهل البيت عليهم السلام وأثره ص : ٢٤١

لقد ذكرنا مواقف صلبه من أهل البيت عليهم السلام فى مواضع مختلفة ومواطن متعدّدة.

منها: الموقف الذى اتّخذته أمّ كلثوم أمام طلب الرجل الشامى من يزيد «١».

ومنها: ما قامت به سكينه فى تعريف هذه الاسرة الطاهرة بقولها: «نحن سبايا آل محمّد» «٢»، فهذا الكلام يثير سؤالاً فى أذهان الناس

فحواه أنّه لو كانوا هم من آل محمّد فلماذا السبى؟! وهل هذه هى المودّة فى القربى التى جعلها الله أجراً لجدّهم رسول الله صلى الله

عليه و آله؟

وهي التى كشفت القناع عن باطن يزيد بقولها: «والله ما رأيت أقسى قلباً من يزيد ولا رأيت كافراً ولا مشركاً شراً منه ولا أجفى منه»

«٣».

وهي التى أدلت يزيد بقولها: يا يزيد، بنات رسول الله سبايا؟ «٤»

ومنها: الموقف الذى اتّخذته فاطمة بنت الحسين عليه السلام بحيث دخلوا بيت يزيد ما وجدوا فيه سفينة إلهى تبكى «٥».

قال ابن نما: «وقالت فاطمة بنت الحسين: يا يزيد، بنات رسول الله سبايا؟! فبكى الناس وبكى أهل داره حتّى علت الأصوات» «٦».

معالركب الحسينى (ج ۶)، ص: ۲۴۲

وكذا ما روى فى شأن عمرو بن الحسن حينما طالبه يزيد المصارعة مع ولده خالد «۱».

فإن المتأمل فى جميع ذلك- وهو شىء قليل ممّا وصل بأيدينا، وما أخفته الأعداء حقدًا وبغضًا وحسدًا أكثر، واللّه العالم- يجد أنّ هذه المسيرة حققت أهدافها، ووصلت إلى بلغتها ونالت منها من استيقاظ الناس وكشف النقاب عن سريرة أصحاب الزمرة الطاغية، وإصلاح أمر الأمة، لكى تكون معركة كربلاء أعظم وأشرف معارك الحقّ ضدّ الباطل على مدى الدهور والأعصار.

نظرة إلى مواقف بعض الصحابة ص: ۲۴۲

لقد ذكرنا فى مطاوى الأبحاث السابقة أنّ بعض الصحابة كان لهم الدور الإيجابى تجاه الفاجعة العظمى التى حصلت فى أرض كربلاء، وجرى الحق على ألسنتهم، وتكلّموا بالواقع واتّخذوا مواقف جليّة، ولا نعى بذلك تبرّثهم عن عدم نصرتهم الحسين عليه السلام، بل المقصود أنّ اتّخاذ هذا الموقف نفسه قد أثر فى أوساط الناس وانقلاب المعادله، ومن هؤلاء:

۱- سهل بن سعد، فهو الذى قال هذه الكلمة- حينما علم بورود سبايا أهل البيت الشام ومعهم رأس الحسين عليه السلام:- واعجبا! يُهدى رأس الحسين والناس يفرحون؟! «۲».

۲- وائل بن الأسقع، فإنّه لما سمع أنّ رجلاً من أهل الشام قام بلعن الحسين

معالركب الحسينى (ج ۶)، ص: ۲۴۳

وأبيه عليهما السلام- وقد جرى برأسه الشريف- قال: واللّه لا أزال أحبّ عليّاً والحسن والحسين وفاطمة بعد أن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيهم ما قال... «۱».

۳- أبو برزة الأسلمى، هو الذى اعترض على يزيد حينما رآه ينكت رأس الحسين عليه السلام بالخيزران بقوله: يا يزيد ارفع قضيبك، فوالله لطلما رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله يقبل ثناياه «۲».

ولقد بسطنا القول فى تفصيل ذلك عند ذكر مجلس يزيد، فراجع.

۴- زيد بن أرقم، فإنّه اتّخذ موقفاً مشابهاً لموقف أبى برزة الأسلمى بقوله:

كفّ عن ثناياه، فطلما رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله يقبلها.

فقال يزيد: لولا أنّك شيخ خرفت لقتلتك «۳».

وإليه أشار السيّد الحميرى فى أشعاره «۴».

۵- النعمان بن بشير، قيل: إنّهُ ممّن استنكر فعل يزيد فى مجلسه «۵».

وروى الخوارزمى بإسناده عن عكرمة بن خالد قال: «أتى برأس الحسين إلى يزيد بن معاوية بدمشق فنصب، فقال يزيد: علىّ بالنعمان بن بشير، فلما جاء قال: كيف رأيت ما فعل عبيدالله بن زياد؟ قال: الحرب دُول. فقال: الحمد لله الذى قتله! قال النعمان: قد كان أمير المؤمنين- يعنى به معاوية- يكره قتله، فقال:

معالركب الحسينى (ج ۶)، ص: ۲۴۴

ذلك قبل أن يخرج، ولو خرج على أمير المؤمنين والله قتله إن قدر، قال النعمان:

ما كنت أدرى ما كان يصنع! ثمّ خرج النعمان، فقال (يزيد): هو كما ترون إلينا منقطع، وقد ولّاه أمير المؤمنين ورفعته، ولكن أبى كان يقول: لم أعرف أنصارياً قطّ إلاّ يحبّ عليّاً وأهله ويبغض قريشاً بأسرها «۱».

هذا مع أنّ ابن أبى الحديد قد صرّح بانحرافه عن علىّ عليه السلام بقوله: وكان النعمان بن بشير منحرفاً عنه، وعدوّاً له، وخاض الدماء

مع معاوية خوضاً، وكان من امراء يزيد ابنه حتى قُتل وهو على حاله «٢».

ولقد أثر اتّخاذ هذا الموقف من بعض الصحابة، بحيث لم يتحمّله يزيد وقال: لولا صحبتك رسول الله صلى الله عليه وآله لضربت والله عنقك، فقال: ويلك تحفظ لى صحبتى من رسول الله صلى الله عليه وآله ولا تحفظ لابن رسول الله بنوّته؟ فضجّ الناس بالبكاء وكادت أن تكون فتنة «٣».

بعض الموالين لأهل البيت فى الشام ص : ٢٤٤

حينما نريد أن نحلّل الواقع الاجتماعى لابدّ أن نلتفت إلى هذه النقطة وهى أن المستفاد من بعض النصوص وجود بعض الموالين لأهل البيت عليهم السلام فى الشام وفى قلب عاصمة الدولة الأمويّة، وهذا أمر لا يمكن أن نتغافل عنه فى هذا المقطع. ممّا يؤيّد هذا المطلب هو ما رواه سهل بن سعد، قال: «خرجت إلى بيت المقدس حتى توسّطت الشام فإذا أنا بمدينة مطردة الأنهار كثيرة الأشجار قد علّقوا

مع الركب الحسينى (ج ٦)، ص : ٢٤٥

الستور والحجب والديباج وهم فرحون مستبشرون وعندهم نساء يلعبن بالدفوف والطبول، فقلت فى نفسى: لعل لأهل الشام عيداً لا نعرفه نحن، فرأيت قوماً يتحدثون، فقلت: يا هؤلاء ألكم بالشام عيد لا نعرفه نحن؟ قالوا: يا شيخ نراك غريباً! فقلت: أنا سهل بن سعد: قد رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحملت حديثه، فقالوا: يا سهل ما أعجبك السماء لا تمطر دماً والأرض لا تخسف بأهلها؟ قلت:

ولمّ ذاك؟ فقالوا: هذا رأس الحسين عتره رسول الله صلى الله عليه وآله يهدى من أرض العراق إلى الشام وسيأتى الآن.. «١».

وهذا الخبر يدلّ على وجود ضمائر حيّة عارفة بالامور وتميّز الحقّ عن الباطل، فلا بدّ أن نجعل لهم سهماً فى دعم النهضة الحسينيّة وإيقاظ الناس، وإن لم نعلم تفاصيله.

وممّا يؤيّد ذلك ما روى أنّ بعض الفضلاء التابعين لمّا شاهد رأس الإمام الحسين عليه السلام أخفى نفسه شهراً من جميع أصحابه، فلما وجدوه بعد أن فقدوه سألوه عن سبب ذلك، فقال: أما ترون ما نزل بنا؟ ثمّ أنشأ يقول:

جاءوا برأسك يابن بنت محمّد مترمّلاً بدمائه ترميلاً

فكأتما بك يابن بنت محمّد قتلوا جهاراً عامدين رسولا

قتلوك عطشاناً ولما يرقبوا فى قتلك التأويل والتنزيلا

ويكبرون بأن قُتلت وإنّما قتلوا بك التكبير والتهليلا

يا من إذا حسن العزاء عن امرئ كان البكا حسناً عليه جميلاً

فبكثك أرواح السحاب غدوة وبكثك أرواح الرياح أصيلاً «٢»

نفوذ بعض الموالين فى جهاز الحكم الأموى ص : ٢٤٥

إنّ الناظر فى الأحداث التاريخيّة يجد شواهد قد يستشّم منها نفوذ بعض محبّى أهل البيت فى جهاز السلطنة، منها ما رواه الطبرى عن حبس الأسارى من آل بيت الرسول صلى الله عليه وآله فى السجن بالكوفة، ووقوع حجر فيه ومعه كتاب مربوط وفيه خبر خروج البريد بأمرهم فى يوم كذا وكذا إلى يزيد بن معاوية، وهو سائر كذا وكذا يوماً، وراجع فى كذا وكذا، فإن سمعتم التكبير فأيقنوا

بالقتل وإن لم تسمعوا تكبيراً فهو الأمان إن شاء الله «۱».

فهذا ممّا يؤيد نفوذ موالى أهل البيت فى جهاز السلطة ولو بتعدد الوسائط.

وممّا يؤيد ذلك ما روى عن الإمام الصادق عليه السلام حول موضع دفن رأس الحسين عليه السلام بقوله: «ولكن لما حمل رأسه إلى الشام سرقه مولى لنا فدفنه بجنب أمير المؤمنين عليه السلام» «۲». وسيأتى الكلام حول موضع دفن الرأس الشريف.

يزيد يواجه المشاكل فى بيته ص : ۲۴۵

إشارة

إن عمق المأساء أثر فى نفوس الكل، حتى دخل بيت يزيد، الذى لم يتمكن من السيطرة على الوضع. وبين يديك الشواهد التاريخية التى تثبت ذلك:

۱- بكاء نساء الاسرة الأموية ص : ۲۴۵

قال البلاذرى: وصيح نساء من نساء يزيد بن معاوية وولولن حين أدخل

مع الרכب الحسينى (ج ۶)، ص: ۲۴۷

نساء الحسين عليهن «۱».

قال ابن قتال: ثم أدخل نساء الحسين على يزيد بن معاوية- لعنهما الله وأخزاهما- فصحن نساء أهل يزيد وبنات معاوية وأهله وولولن وأقمن المأتم «۲».

وروى عن فاطمة بنت الحسين عليه السلام أنها قالت: «فدخلت إليهن فما وجدت سفياتية إلا ملتدمة «۳» تبكى «۴».

قال ابن الصبأغ: قال (يزيد): «ادخلوهم إلى الحريم»، فلما دخلن على حرمه لم تبق امرأة من آل يزيد إلا أتتهن وأظهرن التوجع والحزن على ما أصابهن وعلى ما نزل بهن «۵».

قال الطبرى بإسناده عن الحارث بن كعب عن فاطمة بنت على عليهما السلام:

«فخرجن حتى دخلن دار يزيد فلم تبق من آل معاوية امرأة إلا استقبلتهن تبكى تنوح على الحسين «۶».

روى البلاذرى: «لما قدم برأس الحسين على يزيد بن معاوية فأدخل أهله الخضراء بدمشق، تصايحت بنات معاوية ونساؤه فجعل يزيد يقول:

يا صبيحة تُحمد من صوائح ما أهون الموت على النوائح

إذا قضى الله أمراً كان مفعولاً، قد كنا نرضى من طاعة هؤلاء بدون هذا! «۷».

نعم، روى القاضى نعمان ما يغير ما ذكرناه مبدئياً، فإنه روى عن على بن الحسين عليه السلام أنه قال: «وأمر بالنسوة فأدخلن إلى نسائه، ثم أمر برأس الحسين عليه السلام، فرفع على سنّ القنأه، فلما رأين ذلك نسائه أعولن، فدخل- اللعين- يزيد على

مع الרכب الحسينى (ج ۶)، ص: ۲۴۹

نسائه فقال: ما لكن لا تبكين مع بنات عمك، وأمرهن أن يعولن معهن تمرّداً على الله عزّوجلّ واستهزاءً بأولياء الله عليهم السلام.

ثم قال:

نفلق هاماً من رجال أعزة علينا وهم كانوا أعق وأظلماً

صبرنا وكان الصبر ممّا سجيّه بأسيافنا يفرين هاماً ومعصماً

وجعل يستفره الطرب والسرور، والنسوة يبكين ويندبن، ونساؤه يعولن معهن وهو يقول:

شجيتي بكى شجوة فاجعاً قتيلاً وباكٍ على من قُتل

فلم أرَ كالיום في ماتم كان الطبا به والنفل «١»

٢- موقف زوجة يزيد ص : ٢٤٩

روى الطبرى بإسناده عن القاسم بن بخيت قال: «ودخلوا على يزيد، فوضعوا الرأس بين يديه، وحدّثوه الحديث، قال: فسمعت دور الحديث هند بنت عبد الله بن عامر بن كُريز- وكانت تحت يزيد بن معاوية- فتقنعت بثوبها وخرجت، فقالت: يا أمير المؤمنين رأس الحسين ابن فاطمة بنت رسول الله؟

قال: نعم فاعولى عليه، وحُدّي على ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وصرِيخه قريش، عَجَل عليه ابن زياد، فقتله قتله الله «٢».

ولكن الخوارزمي نقله بعد أحداث ورود أهل بيت الحسين بيت يزيد، قال:

معالركب الحسيني (ج ٦)، ص : ٢٥٠

«وخرجت هند بنت عبد الله بن عامر بن كُريز امرأة يزيد- وكانت قبل ذلك تحت الحسين بن عليّ عليهما السلام- فشقت الستر وهي حاسرة، فوثبت على يزيد وقالت:

أرأس ابن فاطمة مصلوب على باب دارى؟ فغطّاه يزيد وقال: نعم! فاعولى عليه يا هند، وابكى على ابن بنت رسول الله وصرِيخه قريش، عَجَل عليه ابن زياد فقتله، قتله الله! «١».

وصيّرَح في رواية السيد محمّد بن أبي طالب «٢» والعلامة المجلسي «٣» أنّها شقت الستر وهي حاسرة فوثبت إلى يزيد وهو في مجلس عام فغطّاه، فبناء عليه فهي خرجت إلى مجلس يزيد بعد ورود أهل بيت الحسين إلى بيتها.

قال ابن سعد: «وبكت أمّ كلثوم بنت عبد الله بن عامر بن كُريز على الحسين، وهي يومئذٍ عند يزيد بن معاوية، فقال يزيد: حقّ لها أن تعول على كبير قريش وسيدها» «٤».

رؤيا زوجة يزيد ص : ٢٥٠

قال العلامة المجلسي: روى في بعض مؤلفات أصحابنا.. قال:

«ونقل عن هند زوجة يزيد قالت: كنت أخذت مضجعي فرأيت باباً من السماء وقد فُتحت، والملائكة ينزلون كتائب كتائب إلى رأس الحسين وهم يقولون: السلام عليك يا أبا عبد الله، السلام عليك يا ابن رسول الله، فبينما أنا

معالركب الحسيني (ج ٦)، ص : ٢٥١

كذلك إذ نظرت إلى سحابة قد نزلت من السماء وفيها رجال كثيرون، وفيهم رجل درّي اللون قمرى الوجه، فأقبل يسعى حتّى انكبّ على ثنايا الحسين يقبلهما وهو يقول: يا ولدى قتلوك، أتراهم ما عرفوك، ومن شرب الماء منعوك، يا ولدى أنا جدّك رسول الله، وهذا أبوك على المرتضى، وهذا أخوك الحسن، وهذا عمّك جعفر، وهذا عقيل، وهذا حمزة والعباس، ثمّ جعل يعدد أهل بيته واحداً بعد واحد.

قالت هند: فانتبهت من نومى فزعه مرعوبه، وإذا بنور قد انتشر على رأس الحسين، فجعلت أطلب يزيد وهو قد دخل إلى بيت مظلم، وقد دار وجهه إلى الحائط وهو يقول: ما لى وللحسين؟! وقد وقعت عليه الهمومات، فقصصت عليه المنام وهو منكس الرأس «١».

إقامة عزاء الحسين عليه السلام في بيت الطاغية ص : ٢٥١

إنَّ أهل بيت الحسين عليه السلام بدّلوا بيت يزيد إلى موضع إقامة العزاء والمآتم على الحسين عليه السلام، حيث صرّح بعض المؤرّخين بقوله: «وأقمن المآتم» (٢)، وذلك بعد ورودهنّ بيت يزيد.

وصرّح بعض آخر بأنّهنّ أقمن المآتم على الحسين ثلاثة أيّام (٣).

وانقلب الأمر على اللعين يزيد بن معاوية حتّى التجأ هو لإقامة المآتم على

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٢٥٢

الحسين عليه السلام ثلاثاً!!

قال ابن سعد: «وأمر- يزيد- نساء آل أبي سفيان، فأقمن المآتم على الحسين ثلاثة أيّام، فما بقيت منهنّ امرأة إلّا تلقتنا تبكي وتنتحب، ونُحنَ على حسين ثلاثة» (١).

وقال البلاذري: «وصيحت نساء من نساء يزيد بن معاوية وولولن حين أدخل نساء الحسين عليهنّ وأقمن على الحسين مآتماً، ويقال إنّ يزيد أذن لهنّ في ذلك» (٢).

وقال السيّد ابن طاووس: «ثمّ جعلت امرأة من بنى هاشم كانت في دار يزيد تندب الحسين عليه السلام وتنادي يا حبيباه، يا سيّدها، يا سيّد أهل بيتاه، يا ابن محمّدها، يا ربيع الأرامل واليتامى، يا قاتل أولاد الأدياء.

قال الراوي: فأبكت كلّ من سمعها» (٣).

والمستفاد من بعض النصوص أنّ مآتم الحسين استمرّ أكثر من ذلك- ولعلّ التحديد بثلاثة أيّام راجع إلى ما أمره يزيد بإقامة المآتم-، مثل ما رواه العلّامة المجلسي رحمه الله عن بعض مؤلّفات أصحابنا، فإنّه بعدما نقل رؤيا زوجة يزيد قال:

«فلما أصبح [يزيد] استدعى حرم رسول الله صلى الله عليه وآله فقال لهنّ: أيما أحبّ إليكنّ، المقام عندي أو الرجوع إلى المدينة؟ ولكم الجائزة السنية!

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٢٥٣

قالوا: نحبّ أوّلًا أن ننوح على الحسين.

قال: افعلوا ما بدا لكم.

ثمّ اخلت لهنّ الحجر والبيوت في دمشق، ولم تبق هاشميّة ولا قرشيّة إلّا ولبست السواد على الحسين، وندبوه على ما نقل سبعة أيّام..» (١).

بل لا بدّ أن يُقال: إنّ العزاء والنوح على الحسين عليه السلام استمرّ طيلة مقامهم في دمشق، لأنّه لم تكن مجرد سكب الدموع وجريانها، بل هي رسالة دم الحسين الذي هزّ أركان سلطه يزيد، بل طريق زوال كلّ ظالم مشى على نهج يزيد.

قال ابن أعثم: «وأقاموا أيّاماً يكون وينوحون على الحسين رضى الله عنه» (٢).

وقال ابن نما: «وكانت النساء مدّة مقامهنّ بدمشق ينحنّ عليه بشجو وأنّه، ويندبن بعويل ورثه، ومصاب الأسرى عظم خطبه، والأسى لكلم الثكلي عال طبه» (٣).

وقال السيّد ابن طاووس: «وكانوا مدّة مقامهم في البلد المشار إليه ينوحون على الحسين عليه السلام» (٤).

يزيد يبكي تصنعاً ص: ٢٥٣

وآل الأمر إلى أن يُظهر يزيد البكاء أمام الناس تصنعاً ورياءً، حتّى أنّ ابن قتيبة قال: «فبكى يزيد حتّى كادت نفسه تفيض! وبكى أهل الشام حتّى علت أصواتهم» (٥).

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٢٥٤

ولقد بالغ ابن قتيبة فيما رواه، فما ذكره فهو راجع إما إلى حسن تصنعه! أو ناش عن مدى نصرته ناصرته في الرواية، حشرهم الله معه.

يزيد يأمر بتقديم بعض الخدمات! ص : ٢٥٤

إنَّ خوف زوال الملك وحصول الفتن أوجب على يزيد أن يغيّر معاملته مع أهل البيت عليهم السلام، فلقد ذكرنا في توصيف سكنى أهل البيت عليهم السلام أنهم أسكنوا داراً لا يكتهم من حرٍّ ولا برد حتى أقشرت وجوههم «١»، ولكن انظروا إلى ما فعله بعد ذلك. قال ابن قتيبة: ثم قال- يزيد بعد بكائه التصنعي:- «خلّوا عنهم، واذهبوا بهم إلى الحمام، واغسلوهم، واضربوا عليهم القباب»، ففعلوا، وأمال عليهم المطبخ وكساهم، وأخرج لهم الجوائز الكثيرة من الأموال والكسوة «٢». ولكن مع ذلك لم نستبعد وقوع شيء من الكذب في تقديم هذه الخدمات الواهية، فالظنّ الغالب أنّها من أكاذيب أنصار بني أمية خذلهم الله.

يزيد يُظهر الندامة ويلعن ابن مرجانة! ص : ٢٥٤

إشارة

واضطّرّ يزيد إلى أن يُظهر الندامة على ما ارتكبه في شأن قتل سيد الشهداء الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام وأصحابه الكرام الأوفياء، وبادر بلعن عامله على الكوفة عبيدالله بن زياد؛ وذلك نتيجة لعدّة أمور:

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٢٥٥

١- الاستنكار الشعبي العام، بحيث بلغه بغض الناس له ولعنه وسبهم إياه، وهذا الاستنكار شمل المسلمين كافة، حيث صرّح يزيد هو بنفسه قائلاً:

«لعن الله ابن مرجانة! لقد بغضني إلى المسلمين وزرع لي في قلوبهم البغضاء» «١»، «لعن الله ابن مرجانة.. لقد زرع لي ابن زياد في قلب البرّ والفاجر والصالح والطالح العداوة» «٢».

وقال جلال الدين السيوطي: «ولمّا قُتل الحسين وبنو أبيه، بعث ابن زياد برؤوسهم إلى يزيد، فسرّ بقتلهم أولًا، ثم ندم لمّا مقته المسلمون على ذلك، وأبغضه الناس، وحقّ لهم أن يبغضوه» «٣».

وقال الشيخ الصبان: «ثمّ ندم لمّا مقته المسلمون على ذلك وأبغضه العالم» «٤».

٢- الاستنكار الخاصّ وذلك في:

أ) وجوه أهل الشام: قال سبط ابن الجوزي: «ولمّا فعل يزيد برأس الحسين ما فعلت وجوه أهل الشام، وأنكروا عليه ما فعل» «٥».

ب) عسكر يزيد: روى ابن الجوزي عن مجاهد- بعد ذكر تمثّل يزيد بأشعار ابن الزبيري:- «نافق فيها، ثمّ والله ما بقى في عسكره أحد إلّا تركه، أي عابه وذمّه» «٦».

ج) استنكار بيت يزيد: وقد ذكرناه تفصيلاً آنفاً.

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٢٥٦

فظهر أنّ تظاهر يزيد بالندامة ولعنه ابن مرجانة ما كان إلّا خوفًا على زوال ملكه وفناء نفسه الخبيثة، ولم يكن إلّا عن مكر وخدعة وكذب وزور.

هذا هو لبّ الواقع، وأمّا الظاهر فهناك بعض الروايات تعالج جانباً من هذا الموضوع، ومع ذلك فيها أمور منكّرة مدسوسة من قبل محبّي بنى أميّة، ولا بدّ من الانتباه لها.

قال ابن الأثير: «وقيل: ولما وصل رأس الحسين إلى يزيد حسنت حال ابن زياد عنده، وزاده ووصله وسرّه ما فعل، ثم لم يلبث إلا يسيراً حتى بلغه بغض الناس له ولعنهم وسبّهم، فندم على قتل الحسين، فكان يقول: وما عليّ لو احتملت الأذى، وأنزلت الحسين معي في داري، وحكّمته فيما يريد وإن كان عليّ في ذلك وهن في سلطاني، حفظاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ورعايةً لحقه وقرابته، لعن الله ابن مرجان، فإنه اضطّره، وقد سأله أن يضع يده في يدي، أو يلحق بثغري حتى يتوفاه الله، فلم يجبه إلى ذلك فقتله، فبغضني بقتله إلى المسلمين، وزرع في قلوبهم العداوة، فأبغضني البرّ والفاجر بما استعظموه من قتلي الحسين، ما لى ولا بن مرجان، لعنه الله وغضب عليه» (١).

تأمل وملاحظات: ص: ٢٥٦

١- اعتراف يزيد بأنّ ندامته ناشئة عن بغض المسلمين وعداوتهم له، بعد قتله الإمام الحسين عليه السلام، وإلّا فلم الفرح والسرور أولاً ثم حصول الندامة بعده.

٢- وأمّا قوله: «وحكّمته فيما يريد وإن كان عليّ في ذلك وهن في سلطاني» ففي الحقيقة كان الإمام يرى عدم شرعيّة سلطته، وقد صرّح بقوله عليه السلام: «الخلافة مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٢٥٧ محرّمه على آل أبي سفيان» (١).

فالمطلوب عند الإمام قلع أساس حكمه وسلطته، فحينئذ لا يبقى من ملكه شيء وإن كان موهنًا.

٣- وأمّا قوله: «وقد سأله أن يضع يده في يدي» فهو أيضاً إمّا من أكاذيب يزيد نفسه التي ليست بقليلة، أو من مفتعلات أعوانه، لأنّ الإمام الشهيد عليه السلام هو الذي أدلى بموقفه الصامد بقوله: «لا والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل، ولا أقرّ لكم إقرار العبيد» (٢)، وهو القائل: «ألا وإنّ الدعوى ابن الدعوى قد تركنى بين السلة والذلة، وهيئات له ذلك منى، هيئات منّا الذلّة...» (٣).

٤- وأمّا لعنه ابن مرجان فعلى فرض صحّته لا يكون إلّا صورياً، لما قد ذكرنا أنّه هو الذي استدعاه وشكر له وشرب معه الخمر بعد مقتل الحسين عليه السلام، «٤» وكذا الجواب فيما قيل بأنّه غضب على ابن زياد ونوى قتله! «٥». والدليل على ذلك بأنّه لم يفعل أيّ شيء بعد ذلك إلّا الشكر له!

ومن هذا القبيل ما رواه سبط ابن الجوزي عن الواقدي أنّه قال: «فلما حضرت الرؤوس عنده قال: فرقت سميّة بيني وبين أبي عبد الله وانقطع الرحم! لو كنت صاحبه لعفوت عنه! ولكن ليقضى الله أمراً كان مفعولاً، رحمك الله يا حسين، لقد قتلك رجل لم يعرف حقّ الأرحام!» «٦».

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٢٥٨

ولقد أثبتنا لك بالشواهد المتقنة وذكر الاعترافات المتعدّدة أنّه هو الذي أمر بقتل الحسين عليه السلام «١»، ولكن الخبيث يريد أن يتخلّى عن المسؤولية ويجعلها على عاتق فاسقٍ مثله، خوفاً من إثارة الناس عليه.

ومن الغريب جدّاً أنّنا نجد أناساً يريدون أن يبرّثوا ساحه يزيد من هذه الجريمة النكراء، وقد لوّثوا بذلك أنفسهم، ومن هؤلاء صاحب خطط الشام حينما يقول: «وكانت غلطة زياد في قتل الحسين وسبى آله الطاهرين ذريعه أكبر للنيل من يزيد وآل يزيد، فتقولوا عليه وخطوا من كرامته! مع أنّه سار بسيرة أبيه في الملك من التوسّع في الفتوح وقتال أعداء المملكة من الروم» «٢».

نعم إنّ سار بسيرة أبيه، بل أسرع في السير في بغيه وظلمه وجوره وطغيانه ووقوفه أمام الحقّ، وقتله الطاهرين من ذريّة خاتم المرسلين

صلى الله عليه وآله، وذهب بنفسه إلى عذاب رب العالمين.

فحينئذ لا يمكن لأحد أن يخفى ما في ضميره باستعمال كلمة غلظة ابن زياد وما شابهها، فإنه إن صحَّ التعبير بذلك - وليس بصحيح - فليست هي إلا امثال لما أمره يزيد، والتستر خلف مسألة الفتوح لا يغنى عن الحق شيئاً. ولعل المؤلف جعل وقعة الحرّة ومجزرة المدينة المنورة، وخراب الكعبة من جملة فتوحات يزيد! ولنختم الكلام بما ذكره السيد محمد بن أبي طالب، فإنه أجاد بقوله:

مع الרכب الحسيني (ج ۶)، ص: ۲۵۹

«وأقول: لعن الله يزيد وأباه، وجدّيه وأخاه، ومن تابعه وولّاه، بينا هو ينكت ثنابا الحسين بالقضيب ويتمثل بشعر ابن الزبيرى.. وإغلاظه لزینب بنت علیّ بالكلام السيئ لما سأله الشامي.. وقوله لعلی بن الحسين عليه السلام: أراد أبوك وجدك أن يكونا أميرين، فالحمد لله الذي قتلها وسفك دماءهما.. ونصب رأس الحسين عليه السلام على باب القرية الظالم أهلها - أعنى بلدة دمشق - وإيقافه ذرية الرسول على درج المسجد كسبايا الترك والخزر، ثم إنزاله إيراها في دار لا - يكتهم من حرّ ولا - قرّ حتى تقشّرت وجوههم وتغيّرت ألوانهم، وأمر خطيبه أن يرقى المنبر ويخبر الناس بمساوي أمير المؤمنين ومساوي الحسين عليهما السلام وأمثال ذلك، ثم هو يلعن ابن زياد ويتبرأ من فعله ويتنصّل من صنعه، وهل فعل اللعين ما فعل الأبأمره وتحذيره من مخالفته؟ وهل سفك اللعين دماء أهل البيت إلا بإرغابه وإرهابه له بقوله، ومراسلته بالكتاب الذي ولّاه فيه الكوفة، وحثّه فيه على قتله، وأمره له بإقامة الأرصاد وحفظ المسالك على الحسين، وقوله لابن زياد في كتابه: إنه قد ابتلى زمانك بالحسين من بين الأزمان، وفي هذه الكزة تعتق أو تكون رقاً عبداً كما تعبد العبيد، فاحبس على التهمة واقتل على الظنة..

وإنما أظهر اللعين التبري من فعل ابن زياد لعنه الله خوفاً من الفتنة وتمويهاً على العامة، لأن أكثر الناس في جميع الآفاق والأصقاع أنكروا فعله الشنيع وصنعه الفضيع، ولم يكونوا راضين بفعله وما صدر عنه، خصوصاً من كان حياً من الصحابة والتابعين في زمنه كسهل بن سعد الساعدي والمنهال بن عمرو والنعمان بن بشير وأبي برزة الأسلمي ممن سمع ورأى إكرام الرسول صلى الله عليه وآله له ولأخيه، وكذلك جميع أرباب الملل المختلفة من اليهود والنصارى.. ولم يكن أحد من المسلمين في جميع البلاد راضياً بفعله إلا من استحکم النفاق في قلبه من شيعة آل أبي سفيان، بل كان أكثر أهل بيته ونسائه وبنى عمه غير راضين بذلك» (۱).

مع الרכب الحسيني (ج ۶)، ص: ۲۶۰

وعد يزيد لزين العابدين عليه السلام ص : ۲۶۰

قال ابن نما: «وعد يزيد لزين العابدين عليه السلام بقضاء ثلاث حاجات» (۱)، والمستفاد من نقل السيد ابن طاووس أنه كان بعد اعتراض الإمام عليه السلام لما تفوه به الخطيب الشامي، ووعد يزيد للإمام في ذلك اليوم (۲)، فحينئذ هي من إحدى نتائج الموقف الصلب الذي اتّخذة الإمام عليه السلام، فقام يزيد بتقديم التنازلات، حتى آل الأمر إلى أن يفى بوعده. قال السيد رحمه الله: «وقال لعلی بن الحسين عليه السلام: اذكر حاجاتك الثلاث التي وعدتك بقضاءهنّ. فقال له: الاولى: أن تريني وجه سيدي ومولاي الحسين، فأترود منه، وأنظر إليه واودعه. والثانية: أن ترد علينا ما اخذ منا.

والثالثة: إن كنت عزمت على قتلى أن توجه مع هؤلاء النسوة من يردهن إلى حرم جدّه صلى الله عليه وآله» (۳). فقال: أما وجه أبيك فلن تراه أبداً، وأما قتلك فقد عفوت عنك، وأما النساء فلا يردهن إلى المدينة غيرك، وأما ما أخذ منكم فإنّي أعودكم عنه أضعاف قيمته.

مع الركب الحسيني (ج ۶)، ص: ۲۶۱

فقال عليه السلام: أما مالك فلا نريده، وهو موقر عليك، وإنما طلبت ما أخذ منا لأن فيه مغزل فاطمة بنت محمّد ومقنعتها وقلادتها وقيمصها.

فأمر برد ذلك، وزاد عليه مائتي دينار، فأخذها زين العابدين عليه السلام وفرّقها على الفقراء والمساكين» (۱).

قال السيد محمّد بن أبي طالب: «روى أن اللعين لما خشى شقّ العصا وحصول الفتنة أخذ في الاعتذار، والإنكار لفعل ابن زياد، وإبداء التعظيم والتكريم لعليّ بن الحسين عليهما السلام، ونقل نساء رسول الله صلى الله عليه وآله إلى داره الخاصّة، وكان لا يتعدّى ولا يتعشى إلّا مع سيّدنا سيّد العابدين عليه السلام، وكلّ من كان حاضراً من الصحابة والتابعين والأجلاء وبنى أميّة أشاروا عليه لعنه الله بردّ حرم رسول الله والإحسان إليهم والقيام بما يصلحهم، فأحضر سيّدنا عليّ بن الحسين وقال: إنّي كنت قد وعدتك بقضاء ثلاث حاجات فاذكريها لي لأفصيها» (۲).. ثم ذكر نحو ما مرّ.

ففي الخبر الذي رواه السيد ابن طاووس وابن نما وجوه للتأمل:

۱- تعليل الإمام عليه السلام بوجود آثار من فاطمة الزهراء سلام الله عليها في ضمن ما سئلب من أهل البيت يرشدنا إلى علّة كلّ ما روى حول طلب أهل البيت بردّ ما أخذ منهم، فتكون هذه الرواية حاكمه وناظرة ومفسّرة لما روى في هذا الشأن.

۲- إنّ تصريح الإمام بأنّ فيه آثار فاطمة ومغزلها وقيمصها وقلادتها ومقنعتها يرشدنا إلى لزوم الاهتمام بحفظ آثار النبي صلى الله عليه وآله وعترته الطاهرين عليهم السلام والتبرّك بها.

۳- مسألة عفو يزيد عن قتل الإمام زين العابدين تدلّ على نيّته الخبيثة حول قتل واغتيال الإمام عليه السلام بالمطابقة، وكذلك تدلّ على كذب إدّعائه بأنّه ما كان يحبّ قتل الحسين عليه السلام بالملازمة، فإنّه إن لم يكن أمراً بقتل الحسين عليه السلام وراضياً به - مع أنّه خرج عليه بزعمه - فكيف أراد قتل ابنه عليه السلام - مع أنّه في حالة الأسر - ثمّ يعفو

مع الركب الحسيني (ج ۶)، ص: ۲۶۲

عنه بعد ذلك.

۴- قوله «لن تراه أبداً» لعلّه ناظر إلى إرسال الرأس الشريف إلى المدينة حينذاك، كما سيأتي الكلام حوله.

۵- أمر يزيد بردّ المأخوذ يدلّ على أنّ المسلوب من أهل البيت عليهم السلام أرسل إلى يزيد، وهذا يؤيد ما احتملناه سابقاً.

۶- فعل الإمام عليه السلام بتفريق الزائد على ما أخذ منهم - وهو مائتي دينار - كشف عن زاوية من زوايا الأخلاق العالية المتجلّية في أهل بيت النبوة.

استشارة يزيد وجوه أهل الشام ص: ۲۶۲

روى ابن عبد ربّه عن عليّ بن عبد العزيز عن محمّد بن الضحّاك بن عثمان الخزامي عن أبيه قال: «.. [قال يزيد]: ما ترون يا أهل الشام في هؤلاء؟

فقال له رجل: لا تتخذ من كلب سوء جرواً.

قال النعمان بن بشير الأنصاري: انظر ما كان يصنعه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لو رآهم في هذه الحالة، فاصنعه بهم.

قال: صدقت، خلّوا عنهم، واضربوا عليهم القباب.

وأمال عليهم المطبخ وكساهم وأخرج إليهم جوائز كثيرة، وقال: لو كان بين ابن مرجانة وبينهم نسب ما قتلهم! ثمّ ردّهم إلى المدينة»

«(۱)»

إنّ الاستفادة من النصوص أنّ هذه المحادثة والاستشارة حصلت في آخر أيام مقام أهل البيت عليهم السلام في الشام، لا- ما هو المترائي من بعض الكتب من أنّه جرت مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٢٦٣ في مجلس يزيد العام، لأننا قد ذكرنا شواهد عديدة بأنّ المجالس قد تركزت، وإن لم تكن على حدّ سواء من حيث الأهمية، فحينئذ يريد يزيد أن يجد مفرّاً لكي يخلّص نفسه من هذه الواقعة التي هزّت أركان حكومته، ومما يؤيد ذلك هو ما أورده القاضي نعمان بقوله:

ثمّ قال: يا أهل الشام ما ترون في هؤلاء؟

فقال قائلهم: قد قتل (كذا) ولا تتخذ جروء من كلب سوء.

فقال نعمان بن بشير: انظر ما كنت ترى أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله يفعل فيهم لو كان حيّاً، فافعله.

فبكى يزيد، فقالت فاطمة بنت الحسين عليه السلام: «يا يزيد ما تقول في بنات رسول الله صلى الله عليه وآله سبايا عندك». فاشتدّ بكاءه! حتّى سمع ذلك نساؤه! فبكين حتّى سمع بكاءهنّ من كان في مجلسه.

وقيل: إنّ ذلك بعد أن أجلسهنّ في منزل لا يكنهنّ من بردٍ ولا حرّ، فأقاموا فيه شهراً ونصف، حتّى اقشرت وجوههنّ من حرّ الشمس، ثمّ أطلقهم «١».

تجهيز الأسرى من آل البيت إلى المدينة ص : ٢٦٣

قال السيّد ابن طاووس: «ثمّ أمر- يزيد- بردّ الأسارى وسبايا البتول إلى أوطانهم بمدينة الرسول» «٢».

قال الشيخ المفيد: «ثمّ ندب يزيد نعمان بن بشير وقال له: تجهّز لتخرج بهؤلاء النسوان إلى المدينة» «٣».

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٢٦٤

قال الباعوني: «فقال يزيد: جهّزهم، وأمر نعمان بن بشير أن يجهّزهم بما يصلحهم ويسير معهم» «١».

قال الطبري: «ثمّ قال يزيد بن معاوية: يا نعمان بن بشير، جهّزهم بما يصلحهم، وابعث معهم رجلاً من أهل الشام أميناً صالحاً، وابعث معه خيلاً وأعواناً، فيسير بهم إلى المدينة» «٢».

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٢٦٧

الفصل الثاني: حركة المسيرة المظفرة ص : ٢٦٧

الخروج من الشام ص : ٢٦٧

إشارة

لقد نجح أعلام الركب الحسيني في أداء واجبه الراسالي في هذا المقطع الزمني والمكاني المهمّ على أحسن وجه، حتّى خشى يزيد وقوع الفتن والأحداث واضطراب الرأي العام وخروج الأمر من يده؛ الأمر الذي دعاه للتفكير بجديّة في طريق للخلاص من هذه المشكلة العويصة، فأمر نعمان بن بشير بتجهيز الركب الطاهر لإرجاعهم إلى المدينة. وقد رأينا كيف اختلفت المعاملة مع أهل بيت الرسول منذ ذلك الحين.

يقول الأستاذ باقر شريف القرشي: «وأصبحت -الخطب- حديث الأندية والمجالس، فكانت تغلى كالحمم على تلك الدولة الغاشمة، وهى تنذر بانفجار شعبي يكتسح دولة يزيد، فقد عزفت أهل الشام لؤم يزيد وخبث عنصره وقلبت الرأى العام عليه فجوبه بالنقد حتى فى مجلسه وسقط اجتماعياً، وذهبت مكانته من النفوس» (١).

يزيد يعتذر من الإمام على بن الحسين عليه السلام ص : ٢٦٧

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٢٦٨
قال السيد محمد بن أبي طالب: «ولم يكن أحد من أكثر الناس فى جميع الآفاق راضياً بفعله، فلذلك أبدى الاعتذار وركن إلى الإنكار، خوفاً أن يفتق عليه فتق لا يترق، وأن يفتح عليه باب من الشر لا يغلق، فاعتذر وأتى له الاعتذار» (١).
قال الشيخ المفيد رحمه الله: «ولما أراد أن يجهزهم دعا على بن الحسين عليهما السلام، فاستخلاه، ثم قال له: لعن الله ابن مرجان، أم والله لو أتى صاحب أبيك ما سألتني خصلة أبداً إلا أعطيتها إيها! ولدفعت الحتف عنه بكل ما استطعت، ولكن الله قضى ما رأيت، كاتبني من المدينة وأنه كل حاجة تكون لك. وتقدم بكسوته وكسوة أهله» (٢).

وأعرض عنه الإمام لأن كلامه لم يكن إلتهازاً مما لحقه من الخزي والعار.
قال ابن سعد: «وقال -يزيد- لعلى بن حسين: إن أحببت أن تقيم عندنا فنصل رحمك ونعرف لك حقك فعلت، وإن أحببت أن أردك إلى بلادك وأصلك.
قال: بل تردني إلى بلادى.
فردّه إلى المدينة ووصله» (٣).

وقال الخوارزمي: وروى أن يزيد عرض عليهم المقام بدمشق، فأبوا ذلك
مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٢٦٩

وقالوا: «ردنا إلى المدينة، لأنها مهاجرة جدنا»، فقال للنعمان بن بشير: «جهّز هؤلاء بما يصلحهم وابعث معهم رجلاً من أهل الشام أميناً صالحاً، وابعث معهم خيلاً وأعواناً»، ثم كساهم وحباهم وفرض لهم الأرزاق والأنزال» (١).
وقال القاضي نعمان: وأمر -يزيد- بإطلاق على بن الحسين عليه السلام، وخيره بين المقام عنده أو الانصراف، فاختار الانصراف إلى المدينة فسرحه (٢).

وقال: ولما بلغ من النداء على رأس الحسين عليه السلام والاستهانة [بحرمه] ونساء من قُتل معه من أهل بيته ما أراد، وعلى عليه السلام على حاله من العلة، وما أراد الله تعالى من سلامته، وأن لا تنقطع الإمامة بانقطاعه، فسرحهم يزيد اللعين، وانصرف إلى المدينة (٣).

عرض الأموال على آل البيت عليهم السلام ورفض السيدة أم كلثوم ص : ٢٦٩

روى العلامة المجلسي عن بعض أصحابنا قال: «فلما كان اليوم الثامن دعاهن يزيد، وأعرض عليهن المقام، فأبين وأرادوا الرجوع إلى المدينة، فأحضر لهم المحامل وزينها، وأمر بالأنطاع الإبريسم، وصب عليها الأموال، وقال: يا أم كلثوم، خذوا هذا المال عوض ما أصابكم!

فقال أم كلثوم: يا يزيد، ما أقل حياءك وأصلب وجهك؟! تقتل أخى وأهل بيتى وتعطينى عوضهم! «٤».

متى كان الخروج من الشام؟ ص : ٢٦٩

مع الרכب الحسينى (ج ٦)، ص : ٢٧٠
المستفاد من بعض النصوص أن الخروج من الشام كان فى العشرين من صفر. قال الشيخ المفيد رحمه الله: «وفى العشرين منه (شهر صفر)، كان رجوع حرم سيدنا ومولانا أبى عبدالله عليه السلام من الشام إلى مدينة الرسول صلى الله عليه وآله «١».
وقال الشيخ الطوسى رحمه الله: «وفى اليوم العشرين منه (صفر) كان رجوع حرم سيدنا أبى عبدالله الحسين بن على بن أبى طالب عليه السلام من الشام إلى مدينة الرسول صلى الله عليه وآله «٢».
وقال الشيخ رضى الدين على بن يوسف بن المطهر الحلى: «وفى اليوم العشرين من صفر سنة إحدى وستين أو اثنين وستين - على اختلاف الرواية به فى قتل مولانا الحسين عليه السلام - «٣» كان رجوع حرم مولانا أبى عبدالله الحسين عليه السلام من الشام إلى مدينة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم «٤».

وقال الكفعمى: «وفى العشرين منه (صفر) كان رجوع حرم الحسين بن على عليه السلام إلى المدينة» «٥».
وقال فى موضع آخر: «وفى هذا اليوم (العشرين من صفر) كان رجوع حرم الحسين عليه السلام من الشام إلى المدينة» «٦».
فإذا فرضنا أن المقصود من عبارة يوم خروجهم من الشام إلى المدينة هو

مع الרכب الحسينى (ج ٦)، ص : ٢٧١
يوم خروجهم من الشام لا يوم دخولهم المدينة، وقلنا إن الرأس الشريف أدخل الشام فى الأول من صفر، وأن أهل بيت الحسين عليه السلام دخلوها فى ذلك اليوم - مع احتمال تقدّم ورود الرأس عليهم - فىكون مده بقائهم فى الشام عشرين يوماً.
وقد ذكرنا عن القاضى نعمان القول ببقائهم فيها شهراً ونصف، وهناك رأى وسط يقول بمكوثهم فيها شهراً، ذكره السيد ابن طاووس «١».

المسايرون للركب ص : ٢٧١

إشارة

لقد سائرت الרכب الطاهر عدّة بأمر يزيد، وقد ورد ذكرهم فى التاريخ إما بالعنوان الكلى أو بالخصوص، وللتوقف فى ذلك مجال، وذلك بطرح سؤالين:

السؤال الأول: من هم المسايرون؟ ص : ٢٧١

(١) جيش: قال مسكويه الرازى: «ثم جهّز - يزيد - النساء وعلى بن الحسين، وضّم إليهم جيشاً، حتى ردهم إلى المدينة» «٢».
(٢) جماعة: قال ابن نما: «ثم أمر يزيد بمضى الأسارى إلى أوطانهم مع نعمان بن بشير وجماعة معه إلى المدينة» «٣».
(٣) ثلاثون فارساً: قال أحمد بن داود الدينورى: «ثم أمر - يزيد - بتجهيزهم بأحسن جهاز، وقال لعلّى بن الحسين: «انطلق مع نسائك حتى تبلغهنّ وطنهنّ»، ووجه معه رجلاً فى ثلاثين فارساً، يسير أمامهم، وينزل حجرة عنهم، حتى انتهى مع الרכب الحسينى (ج ٦)، ص : ٢٧٢

بهم إلى المدينة» (١).

٤) عدّه من موالى أبى سفيان: روى الخوارزمى عن أبى العلاء الحافظ بإسناده عن مشايخه «أنّ يزيد بن معاوية حين قدم عليه برأس الحسين وغياله بعث إلى المدينة فأقدم عليه عدّه من موالى بنى هاشم، وضمّ إليهم عدّه من موالى آل أبى سفيان، ثم بعث بثقل الحسين ومن بقى من أهله معهم، وجّههم بكلّ شيء ولم يدع لهم حاجة بالمدينة إلّا أمر لهم بها» (٢).

٥) نعمان بن بشير: كما ذكرنا ذلك عن ابن نما (٣) والباعونى (٤).

وهو المستفاد ممّا ذكره الشيخ المفيد (٥) والطبرسى (٦).

٦) محرز بن حريث الكلبي: روى عن سبط ابن الجوزى أنّه قال: «وبعث- يزيد- معهم محرز بن حريث الكلبي» (٧).

٧) رجل من بهرا: قال ابن سعد: «وبعث- يزيد- بهم مع محرز بن حريث الكلبي ورجل من بهرا، وكانا من أفضل أهل الشام» (٨).

معالركب الحسينى (ج ٦)، ص: ٢٧٣

٨) عدّه من ذوى السنّ من موالى بنى هاشم: قال ابن سعد: «ثمّ بعث يزيد إلى المدينة، فقدم عليه بعدّه من ذوى السنّ من موالى بنى هاشم، ثم من موالى بنى على، وضمّ إليهم أيضاً عدّه من موالى أبى سفيان، ثم بعث بثقل الحسين ومن بقى من نسائه وأهله وولده معهم، وجّههم بكلّ شيء، ولم يدع لهم حاجة بالمدينة إلّا أمر لهم بها» (١).

٩) عدّه من موالى بنى على: كما ذكرنا ذلك عن الطبقات آنفاً، وهو عطف الخاص على العام، كما أنّه يمكن دمج بعض ما ذكرنا فى بعض.

السؤال الثانى: لماذا هذه المسايرة؟ ص: ٢٧٣

من الغريب جداً أن يقول أحد أن يزيد يقوم بإرسال هؤلاء لأجل المحافظة عليهم فحسب، وإن كان هذا هو الظاهر المترائى من القضية، ولكن الواقع هو المحافظة عليهم أولاً، والسيطرة على الأوضاع ثانياً، والثانى أولى بالمقصود عنده؛ إذ بعدما علمنا بمدى تأثير أهل البيت فى العاصمة ونشر الحقائق إلى سائر البلدان، فمن الطبيعى أن يخاف يزيد حصول التمرد والعصيان عليه فى بعض البلدان الواقعة فى المسير، وقد راعت السلطة ذلك بالبعث إلى المدينة واستقدام عدّه من ذوى السنّ من موالى بنى هاشم وموالى بنى على من أجل مساييرتهم للركب.

ما سُمع عند ترك دمشق ص: ٢٧٣

قال ابن أعثم: ثمّ أمر بهم يزيد بزاد كثير ونفقته، وأمر بحملانهم إلى المدينة، فلما فصلوا من دمشق سمعوا منادياً ينادى فى الهواء وهو يقول:

أيها القاتلون ظلماً حسينا أبشروا بالعذاب والتنكيل

معالركب الحسينى (ج ٦)، ص: ٢٧٤

كلّ من فى السماء يدعو عليكم من نبىٍّ ومرسلٍ وقتيل

قد لعنتم على لسان موسى وداود وحامل الإنجيل (١)

حسن المعاملة فى الطريق ص: ٢٧٤

قال ابن سعد: «وأمر- يزيد- الرُّسل الذين وجَّههم معهم أن ينزلوا بهم حيث شاءوا ومتى شاءوا» (٢).

وذكرنا عن الدينورى أن يزيد وجه معهم رجلاً فى ثلاثين فارساً يسير أمامهم وينزل حجرة عنهم حتى انتهى بهم إلى المدينة (٣).

قال الشيخ المفيد رحمه الله: «وأنفذ معهم فى جملة النعمان بن بشير رسولاً تقدّم إليه أن يسير بهم فى الليل، ويكونوا أمامه، حيث لا يفوتون طرفه، فإذا نزلوا تنحى عنهم، وتفترق هو وأصحابه حولهم كهيئة الحرس لهم، وينزل منهم حيث إذا أراد إنسان من جماعتهم وضوءاً أو قضاء حاجة لم يحتشم، فسار معهم فى جملة النعمان، ولم يزل ينازلهم فى الطريق، ويرفق بهم- كما وصاه يزيد- ويرعونهم حتى دخلوا المدينة» (٤).

وقال الشبلنجى: «ثم إن يزيد بعد ذلك أمر النعمان بن بشير أن يجهّزهم بما يصلحهم إلى المدينة الشريفة، وسير معهم رجلاً أميناً من أهل الشام فى خيل

مع الركب الحسينى (ج ٦)، ص: ٢٧٥

سيرها صحبتهم.. وأوصى بهم الرسول الذى سيره صحبتهم، وكان يسايرهم وهو وخيله التى معهم، فيكون الحريم قدّام بحيث أنهم لا يفوتون، فإذا نزلوا تنحى عنهم ناحية هو وأصحابه، وكانوا حولهم كهيئة الحرس، وكان يسألهم عن حالهم، ويتلطف بهم فى جميع أمورهم، ولا يشقّ عليهم فى مسيرهم، إلى أن دخلوا المدينة» (١).

وممّا يدلّ على ذلك ما رواه الطبرى عن أبى مخنف قال: «قال الحارث بن كعب: قالت لى فاطمة بنت على: قلت لأختى زينب: يا أختي، لقد أحسن هذا الرجل الشامى إلينا فى صحبتنا، فهل لك أن نصله؟ فقالت: والله ما معنا شيء نصله به إلّا حلينا!

قلت لها: فنعطيه حلينا؟

قالت: فأخذت سوارى ودملجى، وأخذت أختى سوارها ودملجها، فبعثنا بذلك إليه، واعتذرنا إليه، وقلنا له: هذا جزاؤك بصحبتك إيّانا بالحسن من الفعل.

قالت: فقال: لو كان الذى صنعت إنّما هو للدنيا كان فى حليكنّ ما يرضينى، ولكن والله ما فعلته إلّا لله، ولقرابتكم من رسول الله صلى الله عليه و سلم» (٢).

لعلّ المقصود من هذا الرجل الشامى هو محرز بن حريث الكلبى أو رجل من بهرا الذى عبّر عنهما ابن سعد بقوله: وكانا من أفاضل أهل الشام (٣)، وإن كان

مع الركب الحسينى (ج ٦)، ص: ٢٧٦

المستفاد ممّا نقله ابن نما والباعونى أنّ المتولّى لذلك هو نعمان بن بشير (١)، ولكنّه أنصارى مدنى، فلا يشمله إطلاق كونه الرجل الشامى، إلّا إذا قيل إنّ صار شامياً بعدما استوطنه!- أى هو شامى الهوى مدنى الأصل!-

مع الركب الحسينى (ج ٦)، ص: ٢٧٧

إلى كربلاء ص: ٢٧٧

زيارة قبر الإمام الحسين عليه السلام ص: ٢٧٧

إشارة

قال السيد ابن طاووس: «قال الراوى: ولما رجع نساء الحسين عليه السلام وعياله من الشام وبلغوا إلى العراق قالوا للدليل: «مرّ بنا على

طريق كربلاء» فوصلوا إلى موضع المصرع» (١).

وقال السيد محمد بن أبي طالب: «فسألوا أن يُسار بهم على العراق ليجددوا عهداً بزيارة أبي عبد الله عليه السلام» (٢).

وقال القندوزي: «ثم أمرهم (يزيد) بالرجوع إلى المدينة المنورة، فسار القائد بهم، وقال الإمام والنساء للقائد: بحق معبودك أن تدلنا على طريق كربلاء، ففعل ذلك حتى وصلوا كربلاء» (٣).

ولا- غرابه في الأمر فإن يزيد- كما روى ابن سعد في طبقاته- أمر الرسل الذين وجههم معهم أن ينزلوا بهم حيث شاءوا ومتى شاءوا (٤).

مَنْ هُوَ أَوَّلُ زَائِرِ قَبْرِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ص : ٢٧٧

روى ابن نما عن ابن عائشة قال: مرّ سليمان بن قتة العدوي مولى بنى تميم بكربلاء بعد قتل الحسين عليه السلام بثلاث، فنظر إلى مصارعهم، فاتكأ على فرس له عربيته، وأنشأ:

مررت على أبيات آل محمد فلم أرها أمثالها يوم حلت
ألم تر أن الشمس أضحت مريضة لفقد حسين والبلاد اقشعرت
وكانوا رجاءً ثم أضحوا رزية لقد عظمت تلك الرزايا وجلت
وتسألنا قيس فنعطى فقيرها وتقتلنا قيس إذا النعل زلت
وعند غنى قطرة من دماننا سنطلبهم يوماً بها حيث حلت
فلا يبعد الله الديار وأهلها وإن أصبحت منهم برغم تحلت
فإن قتل الطف من آل هاشم أذلّ رقاب المسلمين فذلت
وقد اعولت تبكى السماء لفقده وأنجمنا ناحت عليه وصلت (١)

قد يستدل القائل بهذه الرواية أنّ سليمان بن قتة العدوي هو أول من زار قبر الحسين عليه السلام، حيث صرح ابن نما أنه زاره بعد قتل الحسين عليه السلام بثلاث.

وفيه: أولًا: هذا مما لم يقله أحد فيما نعرفه.

ثانيًا: إنّ هذا القيد مما تفرد به ابن نما، وأما بقيّة أرباب السير والتواريخ فقد اكتفوا بذكر رثاء سليمان، من دون أن يقيّدوا ذلك بيوم (٢)، ولا مكان (٣).

مع الרכب الحسيني (ج ٦)، ص: ٢٧٩

ثالثًا: الرواية تدل على مروره بكربلاء ونظره إلى مصارعهم. والمرور بها والنظر إلى المصرع أعم من أن يكون ذلك بقصد الزيارة أم لا، فهذا يختلف عما إذا نوى شخص زيارة قبر أبي عبد الله عليه السلام، ف «إنما الأعمال بالنيات» (١)، وإِنما «لكل مريء ما نوى» (٢).

رابعًا: إنّ لفظ المصرع أعم من أن يكون ناظرًا إلى مكان استشهادهم أو إلى أجسادهم المطهّرة التي كانت ملقاة على الأرض، فهناك إجمال في هذه الناحية، إذ لو كان ذلك قبل دفن الأجساد المطهّرة فلا ينطبق عليه عنوان زيارة القبور، فشأنه شأن بنى أسد الذين شاركوا في تدفين الشهداء، كما روى ذلك.

خامسًا: إنّ في بعض الروايات أنّه قال ضمن تلك الأبيات:

وأنّ قتل الطف من آل هاشم أذلّ رقاباً من قريش فذلت

فقال له عبد الله بن حسن بن حسن: ويحك ألا قلت: أذلّ رقاب المسلمين فذلت (٣).

فلو علمنا أن عبد الله بن الحسن لم يكن حاضراً في كربلاء في اليوم الثالث، فهذا يعني أنه أنشدها متأخراً، إلا أن يقال: إنه كثر ما أنشده سابقاً بعد ذلك، واعترض عليه عبدالله بن الحسن المثني!

فالمحصّل من جميع ذلك أنه لا تتمكّن أن نعرّف سليمان بكونه أوّل من زار قبر الحسين عليه السلام. نعم، ربّما تتمكّن من أن نقول: هو أوّل من رثاه - من الشعراء - بعد مقتله عليه السلام، وقد كسب بذلك لنفسه شرفاً لا ينكر، خاصّة مع لحاظ ذلك الزمن المخوف، وغلبة الجور والظلم على الناس، ولأجله نرى أهميّة ما نقله أبو الفرج

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٢٨٠

الإصبهاني - بعد ذكره الأبيات - بقوله: وقد رثى الحسين بن عليّ - صلوات الله عليه - جماعة من متأخري الشعراء. وأمّا من تقدّم فما وقع إلينا شيء رثى به، وكانت الشعراء لا تقدم على ذلك مخافة بني أمية وخشيّة منهم» (١).

فحيثيذ لا ينطبق هذا العنوان إلّا في رجل شريف ذي معرفة كاملة، وهو ذلك الصحابي الجليل والعارف النبيل جابر بن عبدالله الأنصاري - رضوان الله عليه - الذي رحل من المدينة المنورة إلى كربلاء لأجل زيارة سيّد الشهداء عليه السلام، فقد صرّح كثير من العلماء في كونه هو أوّل من اكتسب شرف عنوان زائر قبر الحسين عليه السلام، وكفاه شرفاً وكرامه وذخراً.

قال الشيخ المفيد: «وفي اليوم العشرين منه (صفر).. هو اليوم الذي ورد فيه جابر بن عبدالله بن حزام الأنصاري صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله، ورضى الله تعالى عنه من المدينة إلى كربلاء لزيارة قبر سيّدنا أبي عبدالله عليه السلام، فكان أوّل من زاره من الناس» (٢).

وبه قال الشيخ الطوسي (٣) والعلامة الحلّي (٤) والشيخ رضيّ الدّين علي بن يوسف بن المطهر الحلّي (٥) والكفعمي (٦) والمجلسي (٧) والمحدّث النوري (٨) وغيرهم.

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٢٨١

جابر بن عبدالله الأنصاري وعطيّة العوفي في كربلاء ص : ٢٨١

جابر بن عبدالله هو ذلك الصحابي الجليل الذي روى عنه عبد الرحمن بن سابط قال: «كنت مع جابر فدخل الحسين بن علي، فقال جابر: من سرّه أن ينظر إلى رجل من أهل الجنّة فلينظر إلى هذا، فأشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول» (١). فهو من أهل المعرفة، فإن فاتته السعادة بفوز الشهادة في ركاب سبط خاتم الرسالة، فليس بغريب عنه أن يشدّ الرحال لزيارة قبره الشريف إبرازاً لمحبتته إياه ومخالفته للسلطة وتجديداً للعهد والوفاء.

روى الشيخ أبو جعفر محمّد بن أبي القاسم محمّد بن علي الطبري بإسناده عن الأعمش عن عطية العوفي قال:

«خرجت مع جابر بن عبدالله الأنصاري زائر قبر الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فلما وردنا كربلاء دنا جابر من شاطئ الفرات، فاغتسل، ثم ائترز بأزار، وارتدى بآخر، ثم فتح صرّة فيها سعد، فنثرها على بدنه، ثم لم يخطّ خطوة إلّا ذكر الله تعالى، حتّى إذا دنا من القبر قال: ألمسني (٢) فألمسته، فخرّ على القبر مغشياً عليه، فرششت عليه شيئاً من الماء، فلما أفاق قال: "يا حسين ثلاثاً، ثم

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٢٨٢

قال: حبيب لا - يجب حبيبه. ثم قال: وأتى لك بالجواب، وقد شحطت أوداجك على أثابجك، وفرّق بين بدنك ورأسك، فأشهد أنّك ابن خاتم النبيين، وابن سيّد المؤمنين، وابن حليف التقوى، وسليل الهدى، وخامس أصحاب الكساء، وابن سيّد النقباء، وابن فاطمة سيّدة النساء، ومالك لا تكون هكذا وقد غدّتك كفّ سيّد المرسلين، وريبت في حجر المتّقين، ورضعت من ثدى الإيمان، وفطمت بالإسلام، فطبت حياً، وطبت ميتاً، غير أن قلوب المؤمنين غير طيبة لفراقك، ولا - شاكّة في الخيرة لك، فعليك سلام الله ورضوانه، وأشهد أنّك مضيت على ما مضى عليه أخوك يحيى بن زكريا.

ثم جال بصره حول القبر وقال: السلام عليكم أيّتها الأرواح التي حلّت بفناء الحسين، وأناخت برحله، وأشهد أنكم أقمتم الصلاة، وآتيتم الزكاة، وأمرتم بالمعروف، ونهيتم عن المنكر، وجاهدتم الملحدين، وعبدتم الله حتى أتاكم اليقين، والذي بعث محمّداً بالحقّ نبياً لقد شاركناكم فيما دخلتم فيه.

قال عطية: فقلت له: يا جابر، كيف؟ ولم نهبط وادياً، ولم نعلّ جبلاً، ولم نضرب بسيف، والقوم قد فرّق بين رؤوسهم وأبدانهم، واوتمت أولادهم، وأرملت أزواجهم!

فقال: يا عطية، سمعت حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: من أحبّ قوماً حُشر معهم، ومن أحبّ عمل قوم أشرك في عملهم، والذي بعث محمّداً بالحقّ نبياً، إنّ بيتي ونيّة أصحابي على ما مضى عليه الحسين عليه السلام وأصحابه، خذني نحو آيات كوفان.

فلما صرنا في بعض الطريق قال: يا عطية، هل أوصيك وما أظنّ أنّي بعد هذه السفرة ملائيك، أحبّ محبّ آل محمّد صلى الله عليه وآله ما أحبّهم، وابعض مبغض آل

مع الراكب الحسيني (ج ٦)، ص: ٢٨٣

محمّد ما أبغضهم وإنّ كان صوّاماً قوّاماً، وأرفق بمحبّ محمّد وآل محمّد، فإنّه إنّ تزلّ له قدم بكثرة ذنوبه ثبتت له اخرى بمحبّتهم، فإنّ محبّهم يعود إلى الجنّة، ومبغضهم يعود إلى النار» (١).

وفيه نقاط للتأمل، منها:

١- معرفة عظمه جابر، وذلك عبر علوّ معرفته بمنزلة آل بيت محمّد صلى الله عليه وآله.

٢- اتّخاذ موقف مهمّ لجابر، حيث إنّ عدّ أعداء الحسين عليه السلام من الملحدين.

٣- أدب جابر تجاه أبي عبد الله عليه السلام، وذلك نتيجةً لكمال معرفته، فلذلك نراه يغتسل، ثمّ ينثر السعد على بدنه، ثمّ يذكر الله في كلّ خطوة، ثمّ لمس القبر فوقه مغشياً عليه، وصياحه يا حسين ثلاثاً، ثمّ فقرات زيارته الدالّة على مدى معرفته تجاه الرسول ووصيته وسبطه عليهم السلام.

٤- الاستفادة من هذا النقل أنّ جابراً يتّجه بعد زيارته نحو آيات كوفان، ولم يذكر فيه شيئاً من ملاقاته للإمام زين العابدين عليه السلام وسائر أسرة الحسين عليه السلام.

ويأتى تحقيق المقام.

ثمّ إنّ السيّد ابن طاووس أورد كيفيّة زيارة جابر قبر أبي عبد الله الحسين عليه السلام وأصحابه الأوفياء مع تفاصيل أخرى يستدعى ذكرها تماماً.

قال: «وقال عطا (٢): كنت مع جابر بن عبد الله يوم العشرين من صفر، فلما وصلنا الغاضرة اغتسل في شريعتها، ولبس قميصاً كان معه طاهراً، ثمّ قال لي:

أمعك شيء من الطيب يا عطا؟ قلت: معي سعد، فجعل منه على رأسه وسائر

مع الراكب الحسيني (ج ٦)، ص: ٢٨٤

جسده، ثمّ مشى حافياً حتّى وقف عند رأس الحسين عليه السلام، وكبر ثلاثاً، ثمّ خرّ مغشياً عليه، فلما أفاق سمعته يقول:

السلام عليكم يا آل الله، السلام عليكم يا صفوة الله، السلام عليكم يا خيرة الله من خلقه، السلام عليكم يا سادة السادات، السلام عليكم يا ليوث الغابات، السلام عليكم يا سفن النجاة، السلام عليكم يا أبا عبد الله ورحمة الله وبركاته.

السلام عليكم يا وارث علم الأنبياء، السلام عليكم يا وارث آدم صفوة الله، السلام عليكم يا وارث نوح نبيّ الله، السلام عليكم يا وارث إبراهيم خليل الله، السلام عليكم يا وارث إسماعيل ذبيح الله، السلام عليكم يا وارث موسى كليم الله، السلام عليكم يا وارث عيسى روح الله، السلام عليكم يا ابن محمّد المصطفى، السلام عليكم يا ابن عليّ المرتضى، السلام عليكم يا ابن فاطمة الزهراء،

السلام عليك يا شهيد ابن الشهيد، السلام عليك يا قتيل ابن القتيل، السلام عليك يا ولي الله وابن وليه، السلام عليك يا حجة الله وابن حجته على خلقه.

أشهد أنك قد أقيمت الصلاة، وآتيت الزكاة، وأمرت بالمعروف، ونهيت عن المنكر، وبررت والديك، وجاهدت عدوك، أشهد أنك تسمع الكلام، وتردّ الجواب، وأنتك حبيب الله وخليله ونجيبه وصفته وابن صفته.

زرتك مشتاقاً، فكن لي شفيعاً إلى الله، يا سيدي، أستشفع إلى الله بجدك سيد النبيين، وبأبيك سيد الوصيين، وبأمك سيده نساء العالمين، لعن الله قاتليك وظالميك وشائيك ومبغضيك من الأولين والآخرين.

ثم انحنى على القبر، ومرغ خديه عليه وصلى أربع ركعات، ثم جاء إلى قبر علي بن الحسين عليهما السلام فقال: السلام عليك يا مولاي وابن مولاي، لعن الله قاتلك، لعن الله ظالمك، أتقرب إلى الله بمحبتكم، وأبرأ إلى الله من عدوكم.

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٢٨٥

ثم قبله وصلى ركعتين، والتفت إلى قبور الشهداء، فقال:

السلام على الأرواح المنيخة بقبر أبي عبدالله، السلام عليكم يا شيعه الله وشيعه رسوله وشيعه أمير المؤمنين والحسن والحسين، السلام عليكم يا طاهرون، السلام عليكم يا مهديون، السلام عليكم يا أبرار، السلام عليكم وعلى ملائكة الله الحافين بقبوركم، جمعني الله وإياكم في مستقر رحمته تحت عرشه.

ثم جاء إلى قبر العباس ابن أمير المؤمنين عليهما السلام، فوقف عليه وقال:

السلام عليك يا أبا القاسم، السلام عليك يا عباس بن علي، السلام عليك يا ابن أمير المؤمنين، أشهد لقد بالغت في النصيحة، وأديت الأمانة، وجاهدت عدوك وعدو أخيك، فصلوات الله على روحك الطيبة، وجزاك الله من أخ خيراً.

ثم صلى ركعتين ودعا الله ومضى «١».

إن هذه الزيارة تدل على مدى عظمه ومعرفة وجلاله هذا الصحابي الجليل.

ثم إنه متى التحق عطية بجابر؟ هل كان عطية في الحج - تلك السنة - ثم اصطحبه جابر؟ أو أن جابراً جاء إلى الكوفة وأتيا معاً لزيارة قبر الحسين عليه السلام؟ هذا مما لم يتيسر لنا تحققه.

بيان شخصيتيهما ص: ٢٨٥

١- جابر بن عبدالله بن عمرو بن حزام الأنصاري: روى الكشي أنه من السابقين الذين رجعوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام «٢»، ... وهو آخر من بقي من أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله وكان منقطعاً إلى آل البيت عليهم السلام، وكان يقعد في المسجد وهو معتم

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٢٨٦

بعمامه سوداء وينادي: "يا باقر العلم" «١»، وكان يتوكل على عصاه ويدور في سلك المدينة ويقول: "علي خير البشر" «٢». وكان شيخاً قد أسن فلم يتعرض للحجاج له «٣».

وقال المحدث النوري: «هو من السابقين الأولين الذين رجعوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام وحامل سلام رسول الله صلى الله عليه وآله إلى باقر علوم الأولين والآخرين، وأول من زار أبا عبدالله الحسين عليه السلام في يوم الأربعاء، المنتهي إليه سند أخبار اللوح السمائي الذي فيه نصوص من الله رب العالمين، على خلافة الأئمة الراشدين، الفائز بزيارته من بين جميع الصحابة عند سيده نساء العالمين، وله بعد ذلك مناقب أخرى وفضائل لا تحصى» «٤».

وذكره المحدث القمي قال: «صحابي جليل القدر، وانقطاعه إلى أهل البيت عليهم السلام، وجلالته أشهر من أن تذكر، مات سنة ٧٨

ه، والروايات التي يظهر منها فضله كثيرة جداً». ثم ذكر بعضها، فقال بعد ذلك: «أقول: حكى عن "أسد الغابة" أنه قال في جابر رضى الله عنه: إنه شهد مع النبي ثمان عشرة غزوة وشهد صفين مع علي بن أبي طالب، وعمى في آخر عمره.. وهو آخر من مات بالمدينة ممن شهد العقبة. إلى أن قال: وكان من المكثرين للحديث، الحافظين للسنن، وقال الشيخ رحمه الله: إنه شهد بدرًا وثمانى عشرة غزوة مع النبي، قلت: وهذا يطابق قول جابر: شاهدت منها تسعة عشر، والله العالم» (٥).

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٢٨٧

وذكر السيد الخوئي أنه شهد بدرًا وثمانى عشرة غزوة مع النبي صلى الله عليه وآله، من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ومن أصفياء أصحاب علي عليه السلام، ومن شرطة خميسه، ومن أصحاب الحسن والحسين والسجاد والباقر عليهم السلام، جليل القدر.. روى الكليني بسند صحيح عن أبي جعفر عليه السلام قوله: «ولم يكذب جابر» (١).

. (٢)

٢- عطية بن سعد بن جنادة العوفى من جديلة قيس

ويكنى أبا الحسن قاله المحدث القمى، وقال:

«عطية العوفى أحد رجال العلم والحديث يروى عنه الأعمش وغيره، وروى عنه أخبار كثيرة في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام.. وهو الذى تشرف بزيارة الحسين عليه السلام مع جابر الأنصارى الذى يعد من فضائله أنه كان أول من زاره... روى أنه جاء سعد بن جنادة إلى علي بن أبي طالب عليه السلام وهو بالكوفة، فقال: يا أمير المؤمنين إنه قد ولد لى غلام فسّمه، فقال: هذا عطية الله، فسّمى عطية، وكانت أمه رومية، وخرج عطية مع ابن الأشعث (٣)، هرب عطية إلى فارس، وكتب الحجاج إلى محمّد بن القاسم الثقفى أن ادع عطية، فإن لعن علي بن أبي طالب وإلّا فاضربه أربعمائة سوط واحلق رأسه ولحيته، فدعاه وأقرأه كتاب الحجاج، وأبى عطية أن يفعل، فضربه أربعمائة سوط، وحلق رأسه ولحيته، فلما ولّى قتيبة بن مسلم خراسان خرج إليه عطية، فلم يزل بخراسان حتى ولّى عمر بن هبيرة العراق،

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٢٨٨

فكتب إليه عطية يسأله الإذن له فى القدوم، فأذن له، فقدم الكوفة فلم يزل بها إلى أن توفى سنة ١١١ وكان كثير الحديث ثقة إن شاء الله، انتهى.

عن "ملحقات الصراح" قال: عطية العوفى بن سعيد (سعد ظ) له تفسير فى خمسة أجزاء. قال عطية: عرضت القرآن على ابن عباس ثلاث عرضات على وجه التفسير، وأما على وجه القراءة فقرأت عليه سبعين مرّة، انتهى.

ويظهر من كتاب بلاغات النساء أنه سمع عبد الله بن الحسن يذكر خطبة فاطمة الزهراء عليها السلام فى أمر فدك فراجع (١).

قال ابن نما: «ولما مرّ عيال الحسين عليه السلام بكرىلاء وجدوا جابر بن عبد الله الأنصارى رحمه الله وجماعة من بنى هاشم قدموا لزيارته فى وقت واحد، فتلاقوا بالحزن والاكتئاب والنوح على هذا المصائب المقترح لأكباده الأجاب» (٢).

قال السيد ابن طاووس: «فوصلوا إلى موضع المصرع، فوجدوا جابر بن عبد الله الأنصارى رحمه الله وجماعة من بنى هاشم ورجالاً من آل الرسول صلى الله عليه وآله قد وردوا لزيارة قبر الحسين عليه السلام، فوافوا فى وقت واحد وتلاقوا بالبكاء والحزن واللطم» (٣).

إقامة العزاء على أرض الطف ص : ٢٨٨

أقام الركب الحسينى مجلس العزاء فى أرض المعركة وهى الطفّ، وذلك بعد إقامته فى الشام، وبذلك صارت سنّة حسنة استمرت من ذلك الحين إلى الآن، وأما المجلس الذى أقيم بكرىلاء فقد تبناه أهل بيت الحسين عليهم السلام الذين شهدوا بأعينهم عمق

المأساة والفاجعة بأعينهم، وقد حضرها جابر بن عبد الله الأنصاري «٤» وجماعة من بنى هاشم ورجال من آل الرسول صلى الله عليه و آله أتوا لزيارة قبر الحسين عليه السلام،

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٢٨٩

واجتمعت إليهم نساء ذلك السواد، وأقاموا أياماً، وفي بعض التواريخ استمرت ثلاثة أيام.

قال السيد: «وأقاموا المآتم المقرحة للأكباد، واجتمعت إليهم نساء ذلك السواد، وأقاموا على ذلك أياماً» «١».

وروى القندوزي عن أبي مخنف: «فأخذوا بإقامة المآتم إلى ثلاثة أيام» «٢».

التحقيق حول الأربعين ص : ٢٨٩

إشارة

لقد وقع الخلاف في زمن مجيء أهل البيت عليهم السلام إلى كربلاء؛ هل كان ذلك في الأربعين الأولى؟ أم الثانية؟ أم غيرهما. أمّا أصل مجيئهم إلى كربلاء فلا ينبغي الريب فيه، إذ إنه - مضافاً إلى إمكانه - مذكور في كثير من الكتب المعتبرة، وعدم تصريح بعض الكبار من العلماء لا يكون تصريحاً بالعدم، إذ أنه أعم.

وأمّا زمن المجيء فقد وقع الخلاف فيه، فذهب فريق إلى كونه في الأربعين الأول، ونفى فريق إمكان وقوعه فيه وقالوا إن المدّة لا تكفي فلا بد أن يكون بعد ذلك ولكن ليس في الأربعين الثاني، بل فيما بينهما.

أمّا كونه في الأربعين الثاني (أى في سنة ٦٢ هـ) فبعيد جداً، وإن ذكره بعض «٣» ولكن لا يمكن الالتفات إليه.

أمّا الفريق الأول (أعنى القائلين بأن الرجوع كان في الأربعين الأول) فمنهم:

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٢٩٠

١- أبو ريحان البيروني، قال: «العشرون (من صفر) ردّ رأس الحسين إلى جثته حتى دُفن مع جثته، وفيه زيارة الأربعين، وهم حرمه بعد انصرافهم من الشام» «١».

٢- الشيخ البهائي، قال: «التاسع عشر (من صفر) فيه زيارة الأربعين لأبي عبد الله عليه السلام، وهي مروية عن الصادق عليه السلام، وقتها عند ارتفاع النهار، وفي هذا - وهو يوم الأربعين من شهادته عليه السلام - كان قدوم جابر بن عبد الله الأنصاري رضى الله عنه لزيارته عليه السلام، واتفق في ذلك اليوم ورود حرمه عليه السلام من الشام إلى كربلاء، قاصدين المدينة، على ساكنها السلام والتحية» «٢».

٣- العلّامة المجلسي رحمه الله، فقد نقل الشهرة بين الأصحاب، وقال حول علّة استحباب زيارة الحسين صلوات الله عليه في يوم الأربعين: «والمشهور بين الأصحاب أن العلّامة في ذلك رجوع حرم الحسين - صلوات الله عليه - في مثل ذلك اليوم إلى كربلاء عند رجوعهم من الشام، وإلحاق عليّ بن الحسين - صلوات الله عليه - الرؤوس بالأجساد» «٣».

٤- الشهيد القاضى الطباطبائي، فإنه أعب نفسه الزكّية لإثبات هذه المسألة، وقد أتى بكتاب ضخّم حول هذا الموضوع، وستعرض إلى ملخّص ما استدللّ به حينما نذكر أدلّة المحدث النورى.

وهناك من العلماء - رحمهم الله - من لم يتعرّض لذلك مطلقاً كالشيخ المفيد «٤»

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٢٩١

والحلّي «١» والكفعمي «٢»، فإنهم اكتفوا بذكر رجوع أهل البيت من الشام إلى المدينة، ولم يذكروا شيئاً من وصولهم إلى كربلاء. وبعضهم قد توقّف في المسألة، ولم يختر أىّ الجانبين، مثل جدنا آية الله الفقيه الشيخ الطبسى النجفى، حينما قال: «إنما البحث في أنّهم أتوا إلى كربلاء في الأربعين الأولى أو في السنة المقبلة، مقتضى ظاهر بعض أنّه كان في السنة الأولى، وظاهر عبارة ابن طاووس

في اللهوف كذلك.. وفي الناسخ أنه ليس لنا خير صريح في ذلك، بل قال: مجيء آل الله سنة الشهادة محال، ولكن مجيء جابر وجماعته من بنى هاشم في الأربعين الأول بلا إشكال، وأما الشيخ عماد الدين حسن بن علي الطبري الذي كان معاصراً للخواجه نصير الدين الطوسي في كامل البهائي: أن آل الرسول دخلوا دمشق في السادس عشر من ربيع الأول، وإلحاق الرأس الشريف به كما في الناسخ كان في العشرين من شهر صفر في الأربعين الثاني، والذي يقول بالتالي إن مكنتهم في الكوفة ما كان بنحو الاختصار، ثم بعد ذلك مرورهم في الأمصار والبلدان والقرى وتوقفهم في قرب «ميفارقين» عشرة أيام، وثلاثة أيام في النصيبين، وثلاثة أيام في خارج الشام، مع وقوفهم في الكوفة في الحبس وغيره ما يقرب من عشرين يوم، فكيف وصلوا في عشرين صفر من السنة الأولى التي وقعت فيها الشهادة، والعلم عند الله، وما كان البناء في رواحهم ومجيئهم من الشام إلى كربلاء بطريق الإعجاز، فعليه أنا من المتوقفين في ذلك، ولكن المشهور عند عوام الناس في السنة الأولى، مع أن ظاهر عدّة التواريخ أن

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٢٩٢

توقفهم في الشام لا يقل من شهر» (١).

وقد نفى ذلك بعض العلماء واستبعده جداً، ومنهم:

١- السيد ابن طاووس: قال في «إقبال الأعمال»: «وجدت في "المصباح":

أن حرم الحسين عليه السلام وصلوا المدينة مع مولانا علي بن الحسين عليه السلام يوم العشرين من صفر، وفي غير "المصباح": أنهم وصلوا كربلاء أيضاً في عودهم من الشام يوم العشرين من صفر، وكلاهما مستبعد، لأن عبيد الله بن زياد - لعنه الله - كتب إلى يزيد يعرفه ما جرى ويستأذنه في حملهم، ولم يحملهم حتى عاد الجواب إليه، وهذا يحتاج إلى نحو عشرين يوماً أو أكثر منها، لأنه لما حملهم إلى الشام روى أنهم أقاموا فيها شهراً في موضع لا يكتفهم من حر ولا برد، وصورة الحال يقتضي أنهم تأخروا أكثر من أربعين يوماً من يوم قتل عليه السلام إلى أن وصلوا العراق أو المدينة، وأما جوازهم في عودهم على كربلاء فيمكن ذلك، ولكنه ما يكون وصولهم إليها يوم العشرين من صفر، لأنهم اجتمعوا على ما روى جابر بن عبد الله الأنصاري، فإن كان جابر وصل زائراً من الحجاز، فيحتاج وصول الخبر إليه ومجيئه أكثر من أربعين يوماً، وعلى أن يكون جابر وصل من الحجاز من الكوفة أو غيرها [كذا] انتهى» (٢).

وفيه: أنه لم نعر في «المصباح»: (أن حرم الحسين عليه السلام وصلوا المدينة يوم العشرين من صفر)، وإنما فيه: «أنه كان رجوع حرم سيدنا أبي عبد الله الحسين عليه السلام من الشام إلى مدينة الرسول في اليوم العشرين من صفر» (٣).

وقلنا آنفاً أنه لو كان المقصود هو مبدأ الرجوع - لا الوصول والدخول فيها -

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٢٩٣

فحينئذ يكون المراد أنه كان يوم الانطلاق من الشام، فلا مجال لأحد الاستبعادين.

٢- العلامة المجلسي، فإنه قال: «فائدة: اعلم أنه ليس في الأخبار ما العلة في استحباب زيارته - صلوات الله عليه - في هذا اليوم - الأربعين -؟، والمشهور بين الأصحاب أن العلة في ذلك رجوع حرم الحسين - صلوات الله عليه - في مثل ذلك اليوم إلى كربلاء عند رجوعهم من الشام، وإلحاق علي بن الحسين - صلوات الله عليه - الرؤوس بالأجساد، وقيل: في مثل ذلك اليوم رجوعوا إلى المدينة، وكلاهما مستبعدان جداً، لأن الزمان لا يسع ذلك، كما يظهر من الأخبار والآثار، وكون ذلك في السنة الأخرى أيضاً مستبعد» (١).

واستبعدهما في زاد المعاد (٢)، وما علّقناه حول كلام السيد جار هنا أيضاً.

٣- المحدث النوري فإنه استبعده بالمرّة، وذكر أدلة لا بأس بها في الجملة، سنذكرها في المبحث الآتي «القضاء بين المحدث النوري والقاضي الطباطبائي».

٤- المحدث القمي، فإنه قدس سره من المستبعدين والمنكرين لذلك أيضاً (٣).

٥- الشيخ محمد إبراهيم الآتي، فإنه نفاه وعدّه من الأساطير التاريخية! (٤).

٦- الشهيد المطهري فيآنه رضى الله عنه، نفى خبر لقاء أهل البيت مع جابر بجدّ، وقال: المتفرد بذلك هو السيّد ابن طاووس في اللهوف، ولم يذكره أحد غيره، حتّى أنّ السيّد لم يذكره في سائر كتبه أيضاً، والدليل العقلي يرفضه أيضاً «٥». وفيه: إن كان مقصوده- رضوان الله عليه- من إنكار اللقاء، عدم حصوله في معالركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٢٩٤

خصوص يوم الأربعاء- كما هو المترائي من ظاهر عبارته، خاصّة مع ضمّه الدليل العقلي لذلك- فإنّ السيّد ابن طاووس لم يقله حتّى في اللهوف، وإن كان المقصود إنكار أصل اللقاء فإنّ السيّد ليس المتفرد في هذه القضية، فإنّ هناك كباراً من العلماء نجدهم قد صرّحوا بذلك؛ منهم: الشيخ ابن نما الذي كان معاصراً للسيّد «١» والشيخ البهائي «٢» والسيّد ابن أبي طالب «٣» والعلامة المجلسي «٤» والقندوزي «٥» وغيرهم. ويأتي القول المختار في الموضوع.

القضاء بين المحدث النوري والقاضي الطباطبائي ص : ٢٩٤

إشارة

ذكرنا الأقوال في المسألة، وأشرنا إلى أنّ المحدث النوري كان من المنكرين للرجوع في الأربعاء الأوّل، بينما كان الشهيد القاضي من الذاهبين لإثباته، لكنّ لما كان هذين العلمين الحجّتين متحمّسين في رأيهما ويقدمان الأدلّة على ما يذهبان إليه، فإليك مجمل ما أفاده، والنظر المختار فيه:

١- مع المحدث النوري ص : ٢٩٤

إشارة

قال المحدث النوري:

«إنّ السيّد ابن طاووس والذي روى خبر لقاء أهل البيت مع جابر بن عبد الله الأنصاري، ألّف كتاب اللهوف في أوان تكليفه وبداية شبابه، ويدلّ عليه اثنان:

معالركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٢٩٥

١) إنّ أسقط ذكر المأخذ والإسناد فيه وفي مصباح الزائر، وهو خلاف سيرته وطريقته في سائر كتبه الموجودة، وليس هناك وجه إلّعدم إتقانه التام وقلة اطلاعه في حين تأليف هذين الكتابين، وكذلك في كتابه الآخر المسمّى بالمجتنى فحينئذ لو ورد إشكال على كتابه فلا ينافي شخصيته وعظمته وعلو مقامه وطول باعه وكثرة اطلاعه في الأحاديث والآثار، لأنّها حصلت تدريجياً وعلى مرّ الزمان.

٢) إنّ السيّد قد صرّح في إجازاته أنّه كتب مصباح الزائر في بداية التكليف «١»، وقال في أول اللهوف: إنّ من أجلّ البواعث لنا على سلوك هذا الكتاب «٢» أنّي لمّا جمعت كتاب (مصباح الزائر وجناح المسافر) ورأيت قد احتوى على أقطار الزيارات ومختار أعمال تلك الأوقات؛ فحامله مستغن عن نقل مصباح لذلك الوقت الشريف أو حمل مزار كبير أو لطيف، أحببت أيضاً أن يكون حامله مستغنياً عن نقل مقتل في زيارة عاشوراء إلى مشهد الحسين صلوات الله عليه، فوضعت هذا الكتاب ليضمّ إليه «٣».

مناقشة مقدّمتي النوري ص : ٢٩٥

فمقصود المحدث النوري من هاتين المقدّمتين أنّ السيّد ابن طاووس كتب اللهوف- وهو المصدر الأقدم في المسألة- في سنّ مبكرة

وفي وقت عدم تزلعه

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٢٩٦

التأم، فلا يركن إليه في هذه المسألة.

وفي كليهما وجوه للنظر:

١- إن إسقاطه المأخذ والإسناد ليس ناشئاً عن عدم إتقانه التأم وقلة اطلاعه- كما قال- بل لما كان قصد المؤلف تأليف كتاب صغير الحجم كثير الموضوع قابل للحمل في مشهد الحسين عليه السلام وغيره فلا بد له أن يفعل ذلك، وإلا يكون ذلك نقضاً للغرض، ولكان الأجدر الاكتفاء بالمطولات كمصباح الشيخ.

٢- قال السيد (ابن طاووس) في إجازاته: «مما ألفت في بداية التكليف من غير ذكر الأسرار والتكشيف كتاب مصباح الزائر وجناح المسافر ثلاث مجلدات» (١)، ثم ذكر سائر كتبه، وقال في آخر ما ذكره من تصانيفه: «وصنفت كتاب الملهوف على قتلى الطفوف ما عرفت أن أحداً سبقني إلى مثله، ومن وقف عليه عرف ما ذكرته من فضله» (٢)، فربما الناظر إلى هذه العبارة يستشف منها أن الملهوف هو آخر ما صنّفه، لما في جعله آخر تصانيفه، ومع عدم قبول ذلك فالمتيقن أن هذه الشهادة منه على مضمون الكتاب حصلت في مرحلة كمال عمره الشريف، وبعد فراغه من كثير من تصانيفه، فإذن لا يناسب ذلك الكلام في حق هذا الكتاب.

٣- إن المحدث النوري قد صرح في كتابه هذا بأن "مصباح الزائر" من الكتب المعتمدة (٣)! وهذان لا يجتمعان.

٤- ثم إن ضمّه إلى "مصباح الزائر" ليس دليلاً على كتابته في أوان التكليف،

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٢٩٧

بل المؤلف رأى حسن ذلك فيما بعد، كما صرح بذلك نفسه.

٥- أضف إلى ذلك أن تأليف الكتب من مثل هؤلاء في هذا السن المبكر هو عناية إلهية خاصة لمن يشاء من خيار عباده، ولذلك نجد كباراً من العلماء القدماء مجتهدين في أوان التكليف أو قبله.

٦- إن السيد ليس المتفرد بذلك، بل هذا العلامة الجليل الفقيه ابن نما الحلّي (٥٦٧-٦٤٥ هـ)- الذي قال المحقق الكركي عنه: وأعلم العلماء بفقّه أهل البيت (١)- ذكر خبر اللقاء أيضاً، ولا يقول أحد إنّه كتبه في أوان تكليفه! وإنّه ناش عن كذا وكذا. وهو متقدم زمناً على السيد ابن طاووس، إذ كانت ولادة السيد رحمه الله سنة ٥٨٩ هـ ووفاته سنة ٦٦٤، بينما ولد ابن نما في سنة ٥٦٧ وتوفّي سنة ٦٤٥، فولادته كانت قبل السيد ب ٢٢ سنة، واتفق وفاته قبل وفاة السيد ب ٢١ سنة.

فتحصّل أن صدور هذا اللحن من الخطاب من مثل هذا المحدث في شأن ذلك العالم الكبير غير مناسب.

٧- لقد أجابه الشهيد القاضى الطباطبائى بقوله ما ملخصه:

(إنّ هذه المسألة ليس قائلها السيد ابن طاووس في الملهوف فحسب، بل هناك أبو ريحان البيروني المتوفى عام ٤٤٠ قد صرح بذلك، وعليه شهرة الأصحاب من الإمامية- التي ادّعاها العلامة المجلسي- ومورد وفاق العلماء من القرن الأوّل إلى القرن السابع، وأوّل من استشكل فيها السيد ابن طاووس في الإقبال، ومن المتأخّرين المحدث النوري) (٢).

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٢٩٨

إذن تخرج المسألة عن كونها في إطار نقل راو مجهول نقل في سن مبكر من العمر، بل هناك جذور للمسألة. نعم، سوف نذكر بعض الملاحظات على كلام الشهيد القاضى الطباطبائى.

المحدث النورى يستدلّ بسبع نقاط ص : ٢٩٨

ثمّ إنّ المحدث النورى قال:

«وصول أهل البيت في الأربعين (الاولى) إلى كربلاء- بناءً على ما ذكره السيد في اللهوف- منافٍ لأمور كثيرة وأخبار عديدة وتصريح عدّة من العلماء، منها:

١- إنَّ السيد في الإقبال- بعد إشارته إلى ما ذكره في اللهوف سابقاً- قد استبعد ذلك.

ثمّ نقل المحدث النورى ما ذكرناه عن الإقبال فيما مضى، وقال بعده:

هذا ملخص ما أفاده في الإقبال، والعجب منه أنّه يذكر في اللهوف قضيتي استئذان ابن مرجان من يزيد حول مسألة الأسارى، وحملهم إلى الشام بعد ذلك، ومع ذلك نقل تلك القصة (أى اجتماعهم مع جابر في يوم الأربعين) وهما لا يجتمعان.

٢- إنَّ أحداً من أجلاء فنّ الحديث والمعتمدين من أهل السير والتاريخ لم يذكروا ذلك في كتبهم، مع أنّه في غاية الأهمية وجدير بالذكر، بل المستفاد من سياق كلامهم إنكارهم له.

ثمّ ذكر خبر المفيد في الإرشاد حول أمر يزيد بتجهيز أهل بيت الحسين إلى المدينة، إلى أن قال:

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٢٩٩

فسار معهم في جملة النعمان ولم يزل ينازلهم في الطريق ويرفق بهم كما وصاه يزيد ويرعاهم حتّى دخلوا المدينة، ومن البعيد أن يرى المفيد خبراً يعتمد عليه حول ذهابهم إلى كربلاء ولقائهم جابراً وإقامتهم العزاء على الحسين عليه السلام ولم يشر إليه، وكذا الطبرى في تاريخه الذى يعدّ من التواريخ المعتمدة، وابن الأثير فى الكامل لم يذكرا شيئاً من الرجوع إلى كربلاء (١).

٣- قال الشيخ المفيد فى (مسار الشيعة) فى ضمن وقائع شهر صفر: وفى اليوم العشرين منه كان رجوع حرم سيدنا ومولانا أبى عبد الله عليه السلام من الشام إلى مدينة الرسول صلى الله عليه وآله، وهو اليوم الذى ورد فيه جابر بن عبد الله الأنصارى صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله من المدينة إلى كربلاء لزيارة قبر سيدنا أبى عبد الله عليه السلام فكان أوّل من زاره [من المسلمين] ويستحبّ زيارته (٢) وذكر نحوه الشيخ الطوسى فى مصباح المتهجد (٧٣٠)، والعلامة الحلى فى منهاج الصالح، والكفعمى فى موضعين من مصباحه (٤٨٩ و ٥١٠). وظاهر العبارة أنّه يوم خروجهم من الشام لا- ورودهم المدينة كما توهمه بعض، لأنّ السير من الشام إلى المدينة الذى يزيد على مائتى فرسخ، لا يتعارف أن يكون أقلّ من شهر، خاصّة مع

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٣٠٠

ملاحظة أمر يزيد لنعمان (برعاية حالهم فى الطريق) واختلاف العبارة يدلّ على المراد، إذ لو كان المقصود واحداً لما غير التعبير ولاكتفى بكلمة الرجوع، بينما نجد استعمال كلمتين فى المقام وهما الرجوع والورود، وعلى أىّ حال فهذه الكلمات صريحة فى عدم مجيئهم إلى كربلاء! وإلّا لكان ذكره فى أحداث شهر صفر أجدر، وذلك لجهات متعدّدة.

٤- إنّ تفصيل ورود جابر إلى كربلاء مذكور فى كتابين معتبرين وهما «بشارة المصطفى» للشيخ عماد الدّين أبى القاسم الطبرى- الذى هو من نفايس الكتب الموجودة- و «مصباح الزائر» للسيد ابن طاووس، وليس فيهما ذكر عن ورود أهل البيت إلى كربلاء وحصول اللقاء مع جابر، بل المستفاد أنّ الزيارة لم تكن إلّا ساعات عديدة، فمن المستبعد عادةً أن يحصل اللقاء ولم يذكره عطية، هذا مضافاً إلى أنّه لا- أظنّ أن يقبل ذو العقل السليم بأن يأتى الإمام السجّاد عليه السلام- ويكون ذلك أوّل زيارته لقبر أبيه فى الظاهر- ولم يُنقل عنه كلام ولا زيارة، وتُنقل الزيارة التى تعمل بها الشيعة عن جابر.

٥- «إنّ أباً مخنف لوط بن يحيى من كبار المحدثين والمعتمدين عند أرباب السير والتواريخ، ومقتله فى غاية الاعتبار، إلّا أنّه لم يوصل أصل مقتله بأيدينا، والموجود حالياً المنسوب إليه مشتمل على بعض المطالب المنكرة المخالفة لأصول

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٣٠١

المذهب التى أدخلها الأعداء والجهّال لأغراض فاسدة، فهو ساقط عن الاعتماد والاعتبار ولا يمكن الوثوق على منفرداته، ولذلك لم ينسب خبر ورود أهل البيت إلى كربلاء فى الأربعين إليه، مع أنّ الموجود فيه هو نحو ما مرّ عن اللهوف.. هذا، ولكن مع ذلك نجد

أنّ الموجود في هذا المقتل - مع كثرة النسخ المختلفة - اتّفاق (في جميع نسخه) على أنّه كان سير أهل البيت من الكوفة نحو الشام من طريق تكريت والموصل ونصيبين وحلب المعتبر عنه بالطريق السلطاني الذي كان معموراً وماراً بكثير من القرى والمدن المعمورة، وهناك ما يقرب بأربعين منزلاً من الكوفة إلى الشام، وحصلت قضايا عديدة وبعض الكرامات في الطريق بحيث لا يمكن ادّعاء دسّ جميعها وجعلها بواسطة الوضّاعين، خصوصاً مع عدم وجود الداعي على وضع بعضها.

أضف إلى ذلك أنّ هناك شواهد كثيرة على كون تسييرهم من الطريق السلطاني، منها ما ذكر في سائر الكتب المعتبرة مثل مناقب ابن شهر آشوب حول قصّة دير راهب قنسرين، وبرز الكرامات الباهرة من الرأس الشريف، وقنسرين يقع بمنزل من حلب، وخرب سنة ٣٥١ حين إغارة الروم.

ومنها: قصّة يحيى اليهودي الحراني وسماعه تلاوة الرأس آيات من القرآن، ثمّ إسلامه وشهادته كما نقله الفاضل

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٣٠٢

المتبحّر الجليل السيّد جلال الدّين في روضة الأحباب، وقال إنّ هناك قبر يحيى المعروف بيحيى الشهيد، والدّعاء عند رأسه مستجاب، والحران يطلق على موضعين الأوّل:

بلد في شرقي الفرات من بلاد الجزيرة (وهي ما بين الفرات ودجلة)، الثاني: قريه من توابع حلب، وكلاهما محتمل.

وكذا تصريح العالم الجليل البصير عماد الدّين الطبرسي (الطبري) في كتابه كامل السقيفة المعروف ب (كامل بهائي) في أنّ مرور الأسرى من آل البيت عليهم السلام من آمد وموصل ونصيبين وبعبك وميافارقين وشيرز، و "آمد" على ساحل دجلة مثل موصل، و "بعبك" على ثلاث منازل من الشام، و "ميافارقين" في قرب ديار بكر من بلاد الجزيرة، و "شيرز" بقرب حماة بين حلب والشام، و ذكر بعض القصص والحكايات في هذه المنازل، وموضع الرأس الشريف في «معزة» من قرى "حلب" كما ذكره بعض العلماء الأعلام وذكروا ما حصل فيها ومعامله أهلها مع جيش ابن زياد.

كما أنّ الفاضل الألعى ملّا حسين الكاشفي في «روضة الشهداء» ذكر قضايا عديدة حين عبورهم من تلك المنازل وغيرها.

وليس الغرض من ذكر هذه الشواهد التمسّك والاستشهاد بكلّ واحد منها، وإن كان بعضها في غاية الاعتبار، ولكن الغرض أنّ المنصف يحصل على اطمئنان تامّ بأنّ المسير

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٣٠٣

كان في هذا السير - أي السلطاني - مضافاً على أنّه لم نجد معارضاً ومخالفاً له من الأخبار وكلمات الأصحاب إلى زماننا هذا.

وحيثما يتأمّل العاقل ويلاحظ السير من كربلاء إلى الكوفة ومنها إلى الشام ثمّ إلى كربلاء، مع ملاحظة لبثهم أقلّ الأيام في كلا البلدين (الكوفة والشام) يعدّ رجوعهم في الأربعين من الممتنعات.

ومع الإغماض عمّا ذكر، لو فرض أنّ السير كان من البرية وفي غربي الفرات، فمع التأمّل يصدق الامتناع والاستبعاد أيضاً، لأنّ الفاصلة بين الكوفة إلى الشام - بخط مستقيم - يكون ١٧٥ فرسخاً، ونعلم أنّهم وصلوا الكوفة في ١٢ من المحرم، وكان المجلس المشؤوم في ١٣ منه، وذهاب القاصد منها إلى الشام ورجوعه منها إليها - في مسألة استئذان ابن مرجانته من يزيد وحمله الأسرى إليه من بعد وصول جوابه كما ذكره السيّد في اللهوف وابن الأثير في الكامل - لا يقلّ من عشرين يوماً، كما في الإقبال.

وأما ما احتمله بعض الأفاضل في حواشيه على مزار البحار من وقوع الاستئذان وجواب يزيد بواسطة الحمام فاسد، لعدم تداوله في عصر بني أمية وبداية حكم بني العباس، بل على ما صرح به شهاب الدّين أحمد بن يحيى بن فضل الله العمري في كتاب التعريف أنّ أصل تلك النوع من الحمام -

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٣٠٤

الذي يعبر عنه بحمام الهدى وحمام الرسائل من الموصل، وكان موضع اعتناء هامّ عند ملوك الفاطميين، وأوّل من نقله من الموصل

هو نور الدين محمود بن زنگي في سنة ٥٦٥.

وبالجملة مع ملاحظة ما ذكر عن الإقبال حول حبسهم في الشام شهراً، وإقامتهم العزاء سبعة أيام بعد خروجهم عن الحبس - كما في كامل البهائي -، ولبثهم عشرة أيام في منزل يزيد على ما ذكره محمد بن جرير الطبري في تاريخه، وسيرهم مع نهاية الإجلال والإكرام والتأني والوقار ليلاً من الشام - كما ذكره الشيخ المفيد وغيره - (فوصولهم في الأربعين غير ممكن)، فلو فرض أن يسيروا كل ليلة ثمانية فراسخ على ذلك الخط المستقيم، لاستمر السير نحو ٢٢ يوماً، مع أن السير فيه غير ميسر، لقلّة المياه فيه، خاصّة لتلك المسيرة الحافّة بالنساء والأطفال.

٦- لو كان وصول الإمام السجّاد عليه السلام وجماعته من بني هاشم وتشرفهم لزيارة قبر أبي عبدالله الحسين عليه السلام في يوم واحد، بل في وقت واحد، لما كان مناسباً أن يعدّ جابر أول زائر قبره، ويجعل ذلك من مناقبه، كما قاله الشيخ المفيد في مسار الشيعة والكفعمي في مصباحه «١».

٧- لا يخفى على الناظر في كتب المقاتل أنه بعدما أبرز يزيد الندامة الظاهرية وعرض على آل البيت الخيار في البقاء أو مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٣٠٥

الرجوع وطلبهم الرجوع، تركوا الشام قاصدين المدينة، ولم يكن هناك ذكر عن العراق وكربلاء، ولم يكن البناء على الذهاب لذلك الصوب، والمسموع من المترددين أن طريق الشام إلى العراق يختلف من طريق الشام نحو المدينة ويتميز في الشام نفسه، فلم يكن هناك قدر مشترك في السير، وهو معلوم لمن يلاحظ اختلاف طول هذه البلاد، فبناءً عليه من يرد العراق فلا بد أن يسير على خط العراق من الشام نفسه، ولو كان تركهم الشام قاصدين العراق - كما هو ظاهر اللهوف - من دون اطلاع وإذن يزيد فهذا غير ميسر، ولا بد أن يعرضوا ذلك عليه في المجلس، ولا يظنّ أنه لو عرضوا طلبهم الذهاب إلى العراق - الذي لم يكن القصد إلّا زيارة التربة المقدّسة - لرضى بذلك وأذن، وذلك لخبت سريره، ودناءة طبعه، وهو الذي أعطى مائتي دينار وقال: هذا عوض ما أصابكم، فكيف يرضى بأن يزداد في مصارف السفر؟!

فكيف كان، إن هذا الاستبعاد يسقط الوثوق بالمرّة عن ذلك الراوي المجهول الذي روى عنه في اللهوف، ومع ضمّه لتلك الشواهد المتقدّمة يخرب أساس احتمال ورودهم بكربلاء في الأربعين، من أساسه «١».

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٣٠٦

مناقشتنا للمحدّث النوري ص: ٣٠٦

مناقشة النقطة الأولى:

إنّ السيّد في اللهوف لم يصرّح بحصول اللقاء في خصوص يوم الأربعين، بل ذكر خبر اللقاء فقط، كما ذكره ابن نما أيضاً، ويأتي وجه عدم منع اجتماعهما.

مناقشة النقطة الثانية:

أولاً: لقد أجاب الشهيد القاضى حول عدم ذكر الشيخ المفيد لذلك: أن بناءه كان هو نقل ما وصل إليه مسنداً ولو كان خلافاً للمشهور «١» - والعهد على مدّعيها.

ثانياً: أن عدم الذكر أعتم من عدم الوقوع، وهؤلاء لم ينفوا ذلك.

ثالثاً: وقد ذكرنا تصريح بعضهم حول حصول اللقاء، مثل البيروني والشيخ البهائي وغيرهما.

مناقشة النقطة الثالثة:

إننا نوافق في استنباطه من كلمة الرجوع الخروج من الشام لا الوصول إلى المدينة، كما ذكرناه سابقاً، والظاهر أن قوله (وإن توهمه

بعض) ناظر إلى ما ذكره السيد ابن طاووس في الإقبال، ولكن لا نوافق في كون هذه الكلمات صريحة في عدم إتيانهم إلى كربلاء، وقد قلنا إن عدم الذكر يكون أعم، خاصة مع ملاحظة ما قيل حول دأب الشيخ المفيد في كتابة التاريخ. وأما ما ذكره من عدم إمكان الرجوع إلى المدينة في أقل من شهر فقد ذكر الشهيد القاضى الطباطبائى شواهد عديدة على إمكان ذلك، ويأتى كلامه.

مع الركب الحسينى (ج ٦)، ص: ٣٠٧

مناقشة النقطة الرابعة:

أولاً: إن تعبير هذا المحدث العظيم عن مصباح الزائر بكونه من الكتب المعتبرة مع تصريحه أنه ألف في أوان تكليفه وهو في ذلك الوقت كذا وكذا عدول عما ذكره سابقاً، فإنه رفض خبر اللقاء استناداً لضمه للهوف إلى مصباح الزائر الذى ألف في سن مبكر، تسرياً للضعف منه إليه!

ثانياً: استبعاد المحدث في مكانه، إلا أنه عدم ذكر عطية ذلك في محله، ويأتى وجهه!

مناقشة النقطة الخامسة:

هذا هو أهم دليل ذكره المحدث النورى، حيث المقصود منه وصوله إلى نتيجة الامتناع في فرض المسألة.

ولقد اهتمّ الشهيد القاضى لإجابته وإثبات الإمكان، وسنذكر أدلته بعد إتمام أقوال المحدث النورى.

مناقشة النقطة السادسة:

على فرض ذلك ليس هناك مانع أن يكون جابر سبق القوم في الزيارة، فينبط عنوان أول زائر عليه، بل المستفاد من النصوص سبق جابر عليهم، حينما قالوا: فوصلوا إلى موضع المصرع فوجدوا جابر بن عبدالله «١»، فتحصّل أن اللقاء وإن كان في يوم واحد، ولكن التشرّف بزيارة القبر لم يكن في وقت واحد، ويأتى المختار في المسألة.

مع الركب الحسينى (ج ٦)، ص: ٣٠٨

مناقشة النقطة السابعة:

أولاً: إن وجود القدر المشترك من الطريق «١» هو ممّا يستفاد من نقل للهوف، وأما ما نقله ابن نما- الذى هو مقدّم على للهوف- فليس فيه أثر عن ذلك.

وثانياً: إن المستشكل نفى وجود قدر مشترك في الطريق لأجل شيئين:

أ) اتكاله على نقل قول المترددين في عصره.

وفيه: أن هذا لا يكفى، إذ إن التغيير والتبديل في الطرق ممّا يحصل في كل زمان، فكيف ذلك بالنسبة إلى مسألة راجعة إلى أكثر من ألف سنة، ثم نظنّ كونه على تلك الحالة السابقة، فالمسألة تحتاج إلى تتبع وتحقيق أكثر.

ب) اعتماده على ملاحظة طول البلدان الثلاثة.

وهذا ممّا لا يغنى في المقام، فالطريق قضية ترجع إلى مصالح عامية لأناس يقطعونه- من أهالى تلك المناطق- ولأجله نرى أنه ربّما يكثر في طول السير لأجل عبوره في تلكم البلاد والقرى، إذ ليس المقصود هو المبدأ الأعلى والمقصد المنتهى فحسب، فلحاظ طول البلاد يفيد إذا كان السير في الهواء، لا الأرض!

وثالثاً: إن ما استبعده في المقام غير وارد، إذ مع تصريحه باختلاف حالة يزيد يوم خروج الأسرى من الشام، وإبراز ندامته ظاهراً، ومع ملاحظة أوامر يزيد بلزوم حسن المعاملة معهم، وخاصة مع الالتفات إلى ما ذكرناه عن ابن سعد بأنّ

مع الركب الحسينى (ج ٦)، ص: ٣٠٩

يزيد أمر الرّسل الذين وجّههم أن ينزلوا بهم حيث شاءوا ومتى شاءوا «١»، فلو طلبوا الذهاب إلى كربلاء إمّا ابتداءً من نفس الشام، أو

بعد الخروج منه، فليس بمستبعد.

وأما عدم ذكرهم كربلاء والاكتفاء بذكر المدينة لا ضير فيه، بعد أن كانت هي الغاية القصوى بالنسبة إليهم، لكونها موطنهم ومسقط رأسهم، فما شأن كربلاء في ذلك الزمان إلا شأن إحدى المنازل في الطريق، فسؤال يزيد كان ناظراً إلى اختيار محل الإقامة الدائمة، لا المؤقتة، ومن الطبيعي أن يكون الجواب مطابقاً للجواب، ولذلك اكتفوا بذكر المدينة، ولا ينافي لقاصد المدينة أن يكون مازاً بكربلاء.

٢- مع القاضي الطباطبائي ص : ٣٠٩

إشارة

هذا، ولكن الشهيد السعيد القاضي الطباطبائي قد وقف بجهدٍ وعزمٍ على إثبات كون الرجوع في الأربعين الأولى، وبما أن أهم أدلة المحدث النوري كان الوجه الخامس منها فنذكر ملخص ما أفاده الشهيد، ثم نذكر ملاحظاته على ذلك الوجه. قال:

إن رجوع أهل البيت في الأربعين الأول وإلحاق رؤوس الشهداء إلى أجسادهم هو المشهور بين العلماء وكان موضع فاقهم إلى القرن السابع، وأول من أشكل في ذلك السيد ابن طاووس في الإقبال، وأما مسألة لقائهم مع جابر فقد ذكره ابن طاووس وابن نما، وإنهما وإن لم يصرحا بتحديد يوم الورد، ولكنه كان ذلك في الأربعين حتماً، لأن أحداً لم يذكره في غير الأربعين، وهو ما فهمه العلماء، وقد اتفق العلماء وأرباب المقاتل على تشرف جابر في يوم الأربعين.

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص : ٣١٠

ثم قال - في توجيه إمكان السير -:

إن البعير الذلول والخيال العربية التي كانت تستعمل في ذلك الزمان، كانت تسير المسافة الكثيرة في مدة قليلة، ولعله لن يوجد نظيرها في عصرنا!

القاضي يستدل بعشر نقاط ص : ٣١٠

ثم ذكر شواهد عديدة على تحقق السير من العراق إلى الشام - وبالعكس - في مدة عشرة أو ثمانية بل وحتى سبعة أيام، منها:

١- ذكر السيد محسن الأمين رحمه الله في أعيان الشيعة: أن هناك طريقاً مستقيماً بين العراق والشام، يسلكه أعراب العقيل في زماننا هذا خلال أسبوع فقط.

٢- وذكر السيد الأمين رحمه الله أيضاً: أن أعراب صليب - وهم من حوران الواقع في قبلة دمشق - كانوا يسيرون السير إلى العراق في مدة ثمانية أيام.

٣- لقد أتى خبر موت معاوية إلى الكوفة بعد مضي أسبوع من موته، ذكر المامقاني في تنقيح المقال عن الكشي بإسناده عن أبي خالد التمار قال: كنت مع ميثم التمار بالفرات يوم الجمعة، فهبت ريح وهو في سفينة من سفن الرومان، قال:

فخرج فنظر إلى الريح، فقال: شدوا برأس سفينتكم إن هذه ريح عاصف مات معاوية الساعة، قال: فلما كانت الجمعة المقبلة قدم بريد من الشام فلقيته فاستخبرته، قلت: يا عبد الله

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص : ٣١١

ما الخبر؟ قال: الناس على أحسن حال، توفي أمير المؤمنين وباع الناس يزيد، قال: قلت: أي يوم توفي؟ قال: يوم الجمعة «١».

٤- لقد كان موت معاوية في ١٥ من رجب سنة ٦٠، وخروج الإمام الحسين عليه السلام من المدينة في ٢٨ من شهر رجب، وتحقق في هذا الفاصل الزمني - الذي هو عبارة عن ١٣ يوماً - وصول القاصد، وعدم بيعته عليه السلام، مع أن الفاصلة بين الشام والحجاز أكثر

منه إلى العراق.

۵- ذكر الطبرى أن بسر بن أرطاة أمهل أبا بكر أن يذهب من الكوفة نحو الشام ويرجع خلال اسبوع، فصار ذهابه إلى معاوية وإيابه إلى بسر في سبعة أيام، فيعلم من ذلك أنه ذهب من الكوفة إلى الشام في ثلاثة أيام ونصف، وكذا حال الرجوع.

۶- في مسألة نجاه المختار من الحبس، ذهب عميرة حاملاً رسالة عبد الله بن عمر - زوج اخت المختار - إلى يزيد، وأخذ بكتاب استخلافه منه، وتوجه نحو الكوفة وسار الطريق في أحد عشر يوماً إلى أن وصل الكوفة.

۷- خرج الإمام الحسين عليه السلام من مكة في الثامن من ذى الحجة، والفاصل بينها وبين الكوفة ما يقارب ب ۳۸۰ فرسخاً، والإمام ما كان يسرع في السير، ووصل إلى كربلاء في الثاني من

مع الרכب الحسينى (ج ۶)، ص: ۳۱۲

المحرّم، فتحصل أن مسيرته تمكنت أن تقطع هذه المسافة الطويلة خلال ۲۴ يوماً، فعلم من ذلك أنهم ساروا كل يوم ما يقرب من ۱۵ فرسخاً (مع أنه كان يقف في بعض المنازل).

۸- لقد صرحت كثير من الكتب المعتبرة أن ورود أهل البيت في الشام كان في الأول من صفر، منها ما ذكره أبو ریحان البيرونى في الآثار الباقية وأنهم توجهوا من الكوفة نحو الشام في حوالى العشرين أو الخامس عشر من المحرم، ثم إنهم ساروا هذه المسافة في حدود عشرة أيام أو خمسة عشر يوماً إلى أن وصلوا الشام، ورجوعهم في هذه المدة نحو العراق غير بعيد، مع أن أبا ریحان البيرونى الذى كان عالماً بالأوضاع ومطلعاً على كيفية السير في ذلك الزمان ذكره ولم يستبعده ولم يرفضه.

۹- روى أن هارون الرشيد وأبا حنيفة كانا يستهلان هلال ذى الحجة في الكوفة أو بغداد، وبعد رؤيتهما الهلال كانا يخرجان للحج.

۱۰- روى الشيخ المفيد بإسناده عن خيزران الأسباطى، قال:

قدمت على أبى الحسن على بن محمّد عليهما السلام المدينة، فقال لى: ما خبر الواثق عندك؟ قلت: جعلت فداك، خلفته في عافية، أنا من أقرب الناس عهداً به، عهدى به منذ عشرة أيام، قال: فقال لى: إن أهل المدينة يقولون إنه مات، فقلت: أنا أقرب الناس به عهداً، قال: فقال لى: إن الناس يقولون إنه

مع الרכب الحسينى (ج ۶)، ص: ۳۱۳

مات، فلما قال لى: إن الناس يقولون علمت أنه يعنى نفسه.. «۱».

تلخيص استنتاج القاضى ص: ۳۱۳

يمكننا أن نلخص ما أراد القاضى استنتاجه هكذا:

يعلم من قوله: (عهدى به منذ عشرة أيام) أنه تمكن أن يسير هذه المسافة التى نحو ۳۸۰ فرسخاً فى عشرة أيام.

فتحصّل من جميع ذلك إمكان السير فى زهاء عشرة أيام، وما ذكره المحدّث النورى ليس إلّاهو صرف استبعاد، وهذه الشواهد التاريخية تثبت الإمكان.

فملخص القول: أنه يصحّ ما ذكره سبط ابن الجوزى أنهم تركوا الكوفة فى (۱۵) من المحرم نحو الشام، ثم إنهم وصلوا الشام فى الأول من صفر، ولبثوا فيه ما يقرب ثمانية أيام، ثم توجهوا إلى كربلاء خلال ثمانية أو عشرة أيام فتمكّنوا من الرجوع إلى كربلاء والدخول فيها فى العشرين من صفر - الأربعين -، وهو المطلوب.

ثم قال رداً على حجج المقابيل:

أمّا مسألة استئذان ابن مرجانة من يزيد ورجوع القاصد إليه الذى يحتاج إلى عشرين يوماً، ولبثهم فى الشام شهراً - الذى ذكره المحدّث النورى، وبذلك نفى الرجوع فى الأربعين - ففيه:

معالركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٣١٤

أولاً: إن البريد يتمكّن أن يوصل في خلال ثلاثة أيام تقريباً، كما مرّ ذكره في خبر بسر بن أرطأة. وثانياً: من الممكن أن الاستئذان يكون قد حصل بواسطة حمام الهدى، وكان ذلك ممكناً، إذ إن أول من استعمل الحمام لهذا القصد هو نوح النبي، ثم سليمان، وكذلك الإيرانيون، فحينئذ كان استعماله لذلك القصد متداولاً في ذلك العصر. وثالثاً: لم يكن هناك دليل معتبر على لبثهم في الشام شهراً. بل التواريخ المعتمدة تصرّح بكونه أياماً، من ثمانية إلى عشرة. وقال أيضاً:

ثم إن المشهور بين علماء الإمامية أن الرأس المطهّر الحق بالجسد الطاهر في الأربعين الأول، أحقه الإمام زين العابدين عليه السلام، وروى المجلسي شهرة الأصحاب حول رجوع أهل البيت في العشرين من صفر.

ملخص أدلة القاضي الطباطبائي ومناقشتها ص : ٣١٤

إشارة

فملخص أدلة القاضي الطباطبائي:

- ١- أن الشهرة قائمة على رجوع آل البيت في الأربعين الأول.
- ٢- أن الرجوع في هذا الوقت ممكن، وذلك بذكر الشواهد التاريخية المتعددة.
- ٣- وبما أن جابراً قد زار قبر الإمام الحسين عليه السلام في الأربعين، فحصول اللقاء أيضاً كان في الأربعين الأول، إذ لم يقل أحد بغيره، وهو ما فهمه العلماء.

معالركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٣١٥

وفيه: ص : ٣١٥

أما الأول: إن هذه الشهرة لا تغني من الحق شيئاً، خاصة وقد ذكرنا أن مدعيها- وهو العلامة المجلسي «١» أعرض عنها واستبعدا بالمرّة.

وأما الثاني: الحق أن ما ذكره الشهيد القاضي الطباطبائي من الشواهد التاريخية المتعددة- التي تدل على مدى تتبعه وكثرة تبعه لأجله- يُخرج المسألة عن صورة الامتناع، ويدخلها في فرض الإمكان، وبذلك يهدم أساس قول المحدث النوري، إلّا أنه لا يكفي هذا الحد في إثبات المراد، إذ المطلوب هو ثبوت الوقوع لا الإمكان، وإمكان الشيء أعم من وقوعه.

وأما الثالث فإن الصحيح أن زيارة جابر لقبر الإمام عليه السلام كانت في الأربعين، ولكننا نفى حصول اللقاء فيه أيضاً، خاصة وأن ابن نما والسيد ابن طاووس- وهما المصدران الأساسيان في خبر اللقاء- لم يحددا زمن اللقاء، فنفي الملازمة بينهما.

القول المختار في المسألة ص : ٣١٥

ويتضح بذلك- والله العالم بحقائق الامور- ما يلي:

إن جابر بن عبد الله الأنصاري ذلك الصحابي الجليل العالم العارف البصير، الذي تحمّل مشقّة السفر- وهو كبير العمر مكفوف البصر- وشدّ رحله من المدينة نحو كربلاء، لم يكتف بزيارة واحدة لقبر سيّد الشهداء عليه السلام، وأنّه زار قبر الإمام عليه السلام مرّتين على الأقل، أما زيارته الاولى فهي التي رويناها عن الطبري «٢»

معالركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٣١٦

والسيد ابن طاووس «١»، والخوارزمي «٢»، تلك الزيارة التي رواها عطية، فإن هذه الزيارة تختلف عن زيارته المقرونة باللقاء، وذلك لأمر:

١- في هذه الزيارة لم نجد ذكراً عن خبر اللقاء، بل لعل هناك تصريحاً بعدم اللقاء، إذ جاء في رواية الطبري والخوارزمي أن جابراً طلب من عطية أن يتوجه نحو أبيات كوفان بقوله: (خذني نحو أبيات كوفان)، ثم صاراً في الطريق، فمن المستبعد جداً أن يحصل اللقاء ولم يذكره عطية، مع أنه في غاية الأهمية.

٢- إن الاستفادة من خبر الطبري والسيد ابن طاووس والخوارزمي أنه لم يكن هناك في حين زيارتهما أحد غيرهما، ولكن جاء في ضمن الخبر المقرون باللقاء أن هناك جماعة من بني هاشم، حينما قال ابن نما: «ولما مرّ عيال الحسين عليه السلام بكربلاء وجدوا جابر بن عبد الله الأنصاري -رحمة الله عليه- وجماعة من بني هاشم قدموا لزيارته» «٣». وقال السيد: «فوصلوا إلى موضع المصرع، فوجدوا جابر بن عبد الله الأنصاري رحمه الله وجماعة من بني هاشم ورجالاً من آل الرسول صلى الله عليه وآله وقد وردوا لزيارة قبر الحسين عليه السلام، فوافوا في وقت واحد».

فالمستفاد منهما ورود عدّة من بني هاشم ورجال من آل الرسول إلى كربلاء - وإن لم نعرفهم تفصيلاً - ولم نجد هناك اسم عطية، ولو كان حاضراً لروى اللقاء مع هؤلاء الجماعة، فتحصل أنهما زيارتان.

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٣١٧

٣- إن تصريح كثير من العلماء بكون جابر أول زائر للحسين عليه السلام، يثبت تقدّم زيارته على زيارة جماعة من بني هاشم، وإلا فما كان هناك وجه في تلبسه بهذا العنوان دون غيره، فتحصل أن الزيارة التي رواها الطبري والسيد والخوارزمي - التي فيها ذكر عطية، وليس فيها ذكر ورود جماعة من بني هاشم وخبر اللقاء - تختلف عما ذكره ابن نما، والسيد (في اللهوف) - والذي ليس فيه ذكر عطية، وهي زيارة أخرى توفّق جابر لها بعد زيارته الأولى، وليس ببعيد على إنسان ذي معرفة وبصيرة مثل جابر أن يكرّر الزيارة ولا يكتفي بزيارة واحدة.

فبناءً عليه يكون يوم الأربعاء يوم زيارة جابر لقبر الحسين عليه السلام، كما ذكرناه عن المصادر المتعدّدة. وأمّا مجيء أهل البيت وحصول لقائهم معه ومع جماعة من بني هاشم فقد حصل في زيارة أخرى بعد ذلك، وإن لم نعلم تحديدها بالضبط. كما أن ابن نما والسيد في اللهوف لم يحدّدها. وبذلك تنحلّ العقدة وترفع العويصة في مسألة رجوع أهل البيت إلى كربلاء؛ كيف جاءوا؟ وهل جاءوا؟ وهل يمكن الوصول أم لا؟ ويزول تشّت الأقوال الموجودة المرّدة بين القبول والرّد والتوقّف في ذلك.

وأمّا ما ذكره الشهيد القاضى بفهم العلماء كذلك فإنه غير محقّق، وهو ناش عن ثبوت ملازمة زيارة جابر في الأربعاء وحصول اللقاء مع أهل البيت في كربلاء وهو مبنى على وصولهم في الأربعاء، هذه الملازمة غير ثابتة.

وأمّا ما ذكره السيد الشهيد فإنه لم يكن إلّا لأجل إثبات إمكان رجوعهم ورفع الامتناع والاستبعاد، وهذا غاية ما يمكن أن يستفاد منه - والحق أنه وفق لذلك - إلّا أنه لا يمكن الاستناد إليه في المقام، إذ مع فرض التسليم بذلك، فإنّ هذا يتحقّق في فرض إرسال البريد - وما شابهه - الذي من شأنه السرعة في السير، أو تكون هناك ظروف خاصّة (كمسألة الوصول لأداء مناسك الحجّ أو تنفيذ الأوامر ... الخ)، لا في مثل هذه المسيرة التي كان شأنها خلاف ذلك، إذ إنّها بطبيعتها حالها حالها للأطفال والنساء، وقد مرّت بالمنازل المتعدّدة قبل وصولها الشام، وبعد الخروج منها تغيّرت المعاملة، وذلك بصدور أوامر بلزوم المحافظة عليهم ورعايتهم أمرهم

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٣١٨

في السير واللبث، ولم يكن هناك نذر للوصول في الأربعاء إلى كربلاء!!، فإذاً لا يكون هناك أيّ داع لإيصالهم - أو وصولهم - في الأربعاء إلى كربلاء.

نعم، لو كانت لدينا نصوص معتبرة حول رجوعهم في الأربعاء لالتزمنا بها، ولكنّ أنّى لنا ذلك، وأمّا ما ذكره البيروني «١» والبهائي

«٢» من التصريح بذلك فلا يمكن الالتزام به، لعدم تمحضهما في روايات التاريخ، ولكونهما ذوى فنون، ففعل حصل ذلك من خطوط الملازمة المنتفية، أضف إلى ذلك ما يعارضه ممّا ذكره القاضى نعمان (ت: ٣٦٣ هـ) -المقدم عليهما زمنًا وخبرة (في الرواية)- وقد صرح في كتابه «شرح الأخبار» بلبث أهل بيت رسول الله شهرًا ونصفًا في الشام «٣»، وبذلك يظهر الجواب عمّا ذكره السيد الشهيد من عدم وجود دليل معتبر حول بقاء أهل البيت شهرًا في الشام - كما رواه في الإقبال -.

فظهر من ذلك أنه مع ملاحظة بقائهم في الشام، مع ضمّ مسألة استئذان ابن مرجان من يزيد، ولحاظ حالة المسيرة في الذهاب والإياب، يكون رجوع هذه المسيرة في الأربعين إلى كربلاء أمرًا مستبعدًا جدًّا، وإن كان هو ممكنًا في حدّ نفسه فيما عداها. فيستنتج بذلك عدم الالتزام بإلحاق الرأس الشريف بالجسد الطاهر في خصوص يوم الأربعين. نعم، ألحق الرأس في وقت مجيء أهل البيت، اللهم إلا أن نلتزم بما ذكره السيد ابن طاووس من الوجه.

فالمختار في المسألة أن رجوع آل بيت الرسول صلى الله عليه وآله إلى كربلاء ما كان في الأربعين الأولى ولا الثانية، بل في الفترة الواقعة بينهما.

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٣١٩

تحديد يوم الأربعاء ص: ٣١٩

إنّ العشرين من صفر هو يوم الأربعاء وهو موضع وفاق الجميع، إلّا ما ذكرنا عن الشيخ البهائي، فإنّه جعل يوم التاسع عشر من صفر يوم الأربعاء «١»، وهو المتفرد في قوله، وذلك الاختلاف ناش عن احتساب يوم عاشوراء أو عدمه، والظاهر عدم احتسابه، لأنّ المقصود مضى ذلك المقدار من بعد الشهادة فيكون يوم الحادى عشر من محرّم مضى يوم عنها وهكذا، فيكون يوم العشرين من صفر مضى أربعين يومًا من شهادته عليه السلام.

وقال السيد ابن طاووس:

«فإن قيل: كيف يكون يوم العشرين من صفر يوم الأربعاء، إذا كان قتل الحسين صلوات الله عليه يوم عاشر من محرّم، فيكون يوم العاشر من جملة الأربعاء، فيصير واحدًا وأربعين.

فيقال: لعلّه قد كان شهر محرّم الذى قتل فيه صلوات الله عليه ناقصًا، وكان يوم عشرين من صفر تمام الأربعاء يومًا، فإنّه حيث ضبط يوم الأربعاء بالعشرين من صفر فإنّما أن يكون الشهر كما قلنا ناقصًا، أو يكون تامًا ويكون يوم قتله صلوات الله عليه غير محسوب من عدد الأربعاء، لأنّ قتله كان في أواخر نهاره، فلم يحصل ذلك اليوم كلّ في العدد، وهذا تأويل كاف للعارفين، وهم أعرف بأسرار ربّ العالمين في تعيين أوقات الزيارة للطاهرين» «٢».

فضل زيارة الإمام الحسين عليه السلام في يوم الأربعاء ص: ٣١٩

سمّى الشيخ الحرّ العاملى باباً باسم «باب تأكّد استحباب زيارة الحسين عليه السلام

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٣٢٠

يوم الأربعاء من مقتله، وهو يوم العشرين من صفر» «١».

روى الشيخ المفيد والشيخ الطوسى قالان: «روى عن أبى محمّد الحسن بن على العسكري عليهما السلام أنّه قال: علامات المؤمن

خمس: صلاة الإحدى والخمسين، وزيارة الأربعاء، والتختم باليمين، وتعفير الجبين، والجهر بيسم الله الرحمن الرحيم» «٢»

.وروى الشيخ الطوسى بإسناده عن صفوان الجمال قال: «قال لى مولاى الصادق عليه السلام فى زيارة الأربعاء: تزور عند ارتفاع النهار

وتقول: السلام على ولّى الله وحبّيه.. وذكر الزيارة - إلى أن قال: - وتصلّى ركعتين وتدعو بما أحببت وتنصرف» «٣».

إلحاق الرأس الشريف بالجسد الطاهر ص : ٣٢٠

لقد أحسن دعبيل الخزاعي في رثائه، إذ قال:
 رأس ابن بنت محمّد ووصيه للناظرين على قناة يرفع
 والمسلمون بمنظر وبمسمع لا منكر منهم ولا متفجع
 كحلت بمنظر ك العيون عمايه وأصمّ رزوك كلّ إذن تسمع
 أيقظت أجفاناً و كنت لها كرى وأنمت عيناً لم تكن بك تهجع
 مع الركب الحسينى (ج ٦)، ص: ٣٢١
 ما روضة إلآتمنت أنّها لك منزلٌ ولخطّ قبرك مضجع «١»

قال فخر الشيعة وسند الشريعة العلّامة المجلسى رحمه الله: «والمشهور بين علمائنا الإمامية أنّه دفن رأسه مع جسده، ردّه عليّ بن الحسين عليهما السلام» «٢».
 وقال السيّد محمّد بن أبى طالب: «وأما رأس الحسين عليه السلام فروى أنّه أُعيد إلى كربلاء ودفن مع جسده الشريف، وكان العمل من الطائفة على هذا» «٣».
 وأما كيفيته فقد قال البدخشاني: «ثمّ وجّه (يزيد) ذريّة الحسين رضى الله عنه ورأسه مع عليّ بن الحسين إلى المدينة» «٤».
 فبناءً على مرورهم بكربلاء فقد ألحق الرأس الشريف بالجسد الطاهر، وهو المروى كما يأتى.

الأقوال فى موضع دفن رأس الحسين عليه السلام ص : ٣٢١

إشارة

لقد ذكرنا قول المشهور بين علمائنا على أنّه دفن الرأس الشريف بكربلاء، وإليك تفصيل الكلام.
 لقد ذكرت مواضع متعدّدة حول مكان دفن الرأس الشريف، وهى:
 (١) كربلاء المقدّسة: صرّح بذلك الكثير من علمائنا- حتّى أصبح هو المشهور بينهم بل ادّعى البعض الإجماع على ذلك- بل ذكره بعض علماء العامّة أيضاً، وتدلّ عليه بعض الروايات.
 روى الشيخ الصدوق بإسناده عن فاطمة بنت على (صلوات الله عليهما) أنّها مع الركب الحسينى (ج ٦)، ص: ٣٢٢
 قالت: «ولم يرفع بيت المقدس حجر عن وجه الأرض إلأوجد تحته دم عبيط، وأبصر الناس الشمس على الحيطان حمراء كأنها الملاحف المعصفرة، إلى أن خرج عليّ بن الحسين عليهما السلام بالنسوة، وردّ رأس الحسين إلى كربلاء» «١».
 ووجه سؤال إلى السيّد المرتضى- أعلى الله مقامه- وهو: «هل ما روى من حمل رأس مولانا الشهيد أبى عبد الله عليه السلام إلى الشام صحيح؟ وما الوجه فيه؟
 فقال: الجواب: هذا أمر قد رواه جميع الرواة والمصنّفين فى يوم الطف، وأطبقوا عليه، وقد رووا أيضاً أنّ الرأس أُعيد بعد حمله إلى هناك، ودفن مع الجسد بالطف» «٢».
 وقال الطبرسى: «وذكر الأجلّ المرتضى رضى الله عنه فى بعض مسائله أنّ رأس الحسين بن عليّ ردّ إلى بدنه بكربلاء من الشام وضّم

إليه، والله أعلم» (٣).

وذكر ابن قتال النيسابورى مضمون ما رواه الشيخ الصدوق، الذى يدل على أنه ارتضاه (٤).

قال ابن نما الحلّى بعد ذكره الأقوال فى موضع الدفن من المدينة ودمشق - عند باب الفراديس عند البرج الثالث ممّا يلى المشرق - ومصر، قال: «والذى عليه المعول من الأقوال أنه أُعيد إلى الجسد بعد أن طيف به فى البلاد ودفن معه» (٥).

وقال السيد ابن طاووس فى الملهوف: «وأما رأس الحسين عليه السلام فروى أنه

مع الركب الحسينى (ج ٦)، ص: ٣٢٣

أُعيد فدفن بكرىلاء مع جسده الشريف صلوات الله عليه، وكان عمل الطائفة على هذا المعنى المشار إليه» (١).

ولقد ذكرنا عن البيرونى (٢) والشيخ البهائى (٣) تصريحهم بإلحاق الرأس الشريف بالجسد بكرىلاء.

وقد ذكر السيد فى الإقبال وجهاً لكيفيته الإلحاق (٤).

مع الركب الحسينى (ج ٦)، ص: ٣٢٤

وقال السيد محمّد بن أبى طالب: «وأما رأس الحسين عليه السلام فروى أنه أُعيد إلى كرىلاء ودفن مع جسده الشريف، وكان العمل من الطائفة على هذا» (١).

وذكر الخوارزمى ما فعل سليمان بن عبد الملك بالرأس الشريف، وهو «أنّ الرأس الشريف صلب بدمشق ثلاثة أيام، ومكث فى خزائن بنى أمية حتى ولّى سليمان بن عبد الملك، فطلبه، فجىء به وهو عظم أبيض قد قحل، فجعله فى سفظ وطئيه وجعل عليه ثوباً ودفنه فى مقابر المسلمين بعدما صلّى عليه، فلما ولّى عمر بن عبد العزيز بعث إلى المكان يطلبه منه فأخبره بخبره، فسأل عن الموضع الذى دفن فيه، فنبشه وأخذه والله أعلم بما صنع، والظاهر من دينه أنه بعثه إلى كرىلاء، فدفن مع جسده» (٢).

وفيه: إن صحّ الخبر فهو فى حقّ أحد شهداء وقعة الطفّ لا سيّد الشهداء، إذ المشهور عندنا إلحاقه بالجسد بواسطة الإمام زين العابدين عليه السلام ولذلك أجابه العلّامة المجلسى رحمه الله بقوله: «أقول: هذه أقوال المخالفين فى ذلك، والمشهور بين علمائنا الإمامية أنه دُفن رأسه مع جسده، رده على بن الحسين عليهما السلام» (٣).

وقال الشبراوى: «وقيل أُعيد إلى الجثة بكرىلاء بعد أربعين يوماً من مقتله» (٤).

وقال الشبلنجى: «وذهبت الإمامية أنه أُعيد إلى الجثة، ودفن بكرىلاء بعد أربعين يوماً من المقتل» (٥).

مع الركب الحسينى (ج ٦)، ص: ٣٢٥

بل قد يقال: إن حصول الشهرة على الدفن بكرىلاء ليس هو عند الإمامية فقط، بل هو عند المسلمين، كما قال سبط ابن الجوزى: واختلفوا فى الرأس على أقوال أشهرها أنه رده إلى المدينة مع السبايا، ثم ردّ إلى الجسد بكرىلاء، فدفن معه، قاله هشام وغيره (١). ولا يخفى أنه وإن كانت روايات الشيعة تختلف عن غيرها فى كيفية الإلحاق، إذ الشهرة على إلحاق الإمام على بن الحسين عليهما السلام رأس أبيه إلى جسده الطاهر، بينما غيرهم يذكرونه إما من بعد رجوع السبايا إلى المدينة، أو غيره، ولكن المهم هو أصل الإلحاق بالجسد والدفن فى أرض كرىلاء.

(٢) النجف الأشرف: قال العلّامة المجلسى رحمه الله: وقد وردت أخبار كثيرة فى أنه مدفون عند قبر أمير المؤمنين عليه السلام (٢).

أقول: الظاهر أنّ كلامه رحمه الله ناظر إلى روايات فى باب زيارة أمير المؤمنين عليه السلام:

منها: ما رواه الشيخ الكلينى بإسناده عن يزيد بن عمر بن طلحة، قال: قال لى أبو عبد الله عليه السلام وهو بالحيرة: أما تريد ما وعدتك؟ قلت: بلى - يعنى الذهاب إلى قبر أمير المؤمنين صلوات الله عليه - قال: فركب وركب إسماعيل (ابنه معه) (٣)، وركبت معهما حتى إذا جاز الثوية (٤) وكان بين الحيرة والنجف عند ذكوات بيض، نزل ونزل إسماعيل ونزلت معهما، فصلّى وصلّى إسماعيل وصلّيت، فقال لإسماعيل: قم فسلم على جدك الحسين عليه السلام، فقلت: جعلت فداك، أليس

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٣٢٦

الحسين عليه السلام بكر بلاء؟ فقال: نعم، ولكن لما حمل رأسه إلى الشام سرقه مولى لنا فدفنه بجنب أمير المؤمنين عليه السلام «١»
وروى بإسناده عن أبان بن تغلب، قال: كنت مع أبي عبد الله عليه السلام، فمرّ بظهر الكوفة، فنزل فصلّي ركعتين، ثم تقدّم قليلاً فصلّي ركعتين، ثم سار قليلاً فنزل فصلّي ركعتين، ثم قال: هذا موضع قبر أمير المؤمنين عليه السلام، قلت: جعلت فداك والموضعين اللذين صلّيت فيهما؟ قال: موضع رأس الحسين عليه السلام وموضع منزل القائم «٢»

وروى الشيخ ابن قولويه عن عليّ بن أسباط رفعه قال: قال أبو عبد الله عليه السلام:
إنّك إذا أتيت الغرى رأيت قبرين كبيراً صغيراً وقبراً صغيراً، فأمرّيا الكبير فقبر أمير المؤمنين، وأمرّيا الصغير فرأس الحسين بن عليّ عليه السلام «٣»

وروى عن يونس بن ظبيان قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام بالحيرة أيام مقدمه على أبي جعفر في ليلة صحيانة مقمرة، قال: فنظر إلى السماء فقال: يا يونس، أما ترى هذه الكواكب ما أحسنها، أما أنّها أمانٌ لأهل السماء ونحن أمانٌ لأهل الأرض، ثم قال: يا يونس أيهما أحبّ إليك البغل أو الحمار؟ قال:

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٣٢٧

فظننت أنّ البغل أحبّ إليه لقوّته، فقلت الحمار، فقال: أحبّ أن تؤثرتني به، قلت: قد فعلت، فركب وركبت، ولمّا خرجنا من الحيرة قال: تقدّم يا يونس، قال: فأقبل يقول: تيامن تياسر، فلما انتهينا إلى الذكوات الحمر قال: هو المكان؟ قلت: نعم، فتيامن ثم قصد إلى موضع فيه ماء وعين، فتوضّأ، ثم دنا من أكمة فصلّي عندها، ثم مال عليها وبكى، ثم مال إلى أكمة دونها، ففعل مثل ذلك، ثم قال: يا يونس افعل مثل ما فعلت، ففعلت ذلك، فلما تفرّغت قال لي: يا يونس، تعرف هذا المكان؟ فقلت: لا، فقال: الموضع الذي صلّيت عنده أوّلما هو قبر أمير المؤمنين عليه السلام، والأكمة الأخرى رأس الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهما السلام إنّ الملعون عبيد الله بن زياد لعنه الله لما بعث رأس الحسين عليه السلام إلى الشام ردّ إلى الكوفة، فقال: اخرجوه عنها لا يفتن به أهلها، فصيرّه الله عند أمير المؤمنين عليه السلام، فالرأس مع الجسد والجسد مع الرأس «١».

قال العلامة المجلسي رحمه الله في بيان الخبر: «قوله (فالرأس مع الجسد) أي بعدما دفن هناك ظاهراً الحق بالجسد بكر بلاء، أو سعد به مع الجسد إلى السماء، كما في بعض الأخبار، أو أنّ بدن أمير المؤمنين - صلوات الله عليه - كالجسد لذلك الرأس، هما من نور واحد» «٢».

وروى عن الشيخ الطوسي بإسناده عن مفضل بن عمر قال: جاز الصادق عليه السلام بالقائم المائل في طريق الغرى، فصلّي عنده ركعتين، فقيل له: ما هذه الصلاة؟

فقال: هذا موضع رأس جدّي الحسين بن عليّ عليه السلام وضعوه هاهنا «٣»

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٣٢٨

ولكن يمكن أن يقال: إنّ مكان وضع الرأس لا دفنه، إلّا أن يرفع هذا الاحتمال بفعل الإمام وهو الصلاة، فتأمل إذ هو أعمّ.

وروى الشيخ عبد الكريم بن طاووس قال: وذكر محمّد بن المشهدى في مزاره ما صورته:

«روى محمّد بن خالد الطيالسي عن سيف بن عميرة قال: خرجت مع صفوان بن مهران الجمال وجماعه من أصحابنا إلى الغرى بعدما ورد أبو عبد الله عليه السلام فرزنا أمير المؤمنين عليه السلام، فلما فرغنا من الزيارة صرف صفوان وجهه إلى ناحية أبي عبد الله عليه السلام وقال: نزور الحسين بن عليّ عليهما السلام من المكان هذا من عند رأس أمير المؤمنين عليه السلام، قال صفوان: وزرت مع سيدي أبي عبد الله الصادق عليه السلام وفعل مثل هذا» «١».

ثم قال المحدّث الحرّ العاملي: هذا يحتمل قصد الزيارة من بُعد، ويحتمل إرادة زيارة رأس الحسين عليه السلام «٢».

كيفما كان فهذا المكان من الأمكنة المقدسة التي ينبغي للمؤمن العارف أن يظهر أدبه ويزور سيده، ولأجله نرى أن المحدث الحز العاملي يعقد باباً في كتابه، باسم «باب استحباب زيارة رأس الحسين عليه السلام عند قبر أمير المؤمنين عليه السلام، واستحباب صلاة ركعتين لزيارة كل منهما» (٣).

وعلى ذلك نحمل عمل العارف الكامل المجاهد الفقيه المجدد مؤسس

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٣٢٩

الجمهورية الإسلامية في إيران، آية الله العظمى الإمام الخميني أعلى الله مقامه الشريف، فإنه - على ما قيل - لم يكن يمر من أمام رأس الإمام أمير المؤمنين أبداً خلال حضوره في النجف الأشرف طيلة ١٤ سنة؛ احتمالاً لوجود الرأس الشريف فيه واحتراماً له. وأمياً ما أورده سبط ابن الجوزي بقوله: «وذكر عبدالله بن عمرو الوراق في كتاب المقتل أنه لما حضر الرأس بين يدي ابن زياد أمر حجاباً فقال: قوره فقوره، وأخرج لغايدته ونخاعه وما حوله من اللحم، واللغاييد ما بين الحنك وصفحة العنق من اللحم، فقام عمرو بن الحريث المخزومي فقال لابن زياد: قد بلغت حاجتك من هذا الرأس، فهب لي ما ألقيت منه، فقال: ما تصنع به؟ فقال: أواريه، فقال: خذه، فجمعه في مطرف خز كان عليه وحمله إلى داره، فغسله وطيبه وكفنه ودفنه عنده في داره، وهي بالكوفة تعرف بدار الخز دار عمرو بن حريث المخزومي» (١).

ففيه: أنه على فرض صحته فإنه دفن بعض ما كان متصلاً بالرأس الشريف في الكوفة لا الرأس، كما هو صريح الخبر، لأنه قبل إرسال الرأس الشريف إلى الشام.

اللعة الأبدية على كل من ارتكب وأمر ورضى بتلك المأساة الكبرى والفاجرة العظمى.

٣- المدينة (البقيع): يأتي في المبحث الآتي حول أوضاع المدينة بعد قتل الحسين عليه السلام ما ورد حول إرسال يزيد الرأس الشريف إلى عامله فيها وهو عمرو بن سعيد، ولأجل ذلك صارت جنة البقيع - المدينة - إحدى الأمكنة التي قيل بكونها تشرفت بضم الرأس الشريف فيها.

قال ابن سعد: ثم أمر عمرو بن سعيد برأس الحسين فكفن ودفن بالبقيع عند

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٣٣٠

قبر امه (١).

وقال ابن نما: «وأمياً الرأس الشريف اختلف الناس فيه، قال قوم: إن عمرو بن سعيد دفنه بالمدينة، ثم ذكر سائر الأقوال» واختار قول الدفن بكر بلاء وقال: «هو المعول عليه» (٢).

وروى الخوارزمي عن أبي العلاء الحافظ بإسناده عن مشايخه «أن يزيد بعث رأس الحسين إلى عمرو بن سعيد بن العاص وهو إذ ذاك عامله على المدينة، فقال عمرو: وددت أنه لم يبعث به إلي، ثم أمر عمرو برأس الحسين عليه السلام، فكفن ودفن بالبقيع عند قبر امه فاطمة عليها السلام» (٣).

وقال الباعوني: «وأما رأسه فالمشهور بين أهل التاريخ والسير أنه بعثه ابن زياد بن أبيه الفاسق إلى يزيد بن معاوية، وبعث به يزيد إلى عمرو بن سعيد الأشدق - لطيم الشيطان - وهو إذ ذاك بالمدينة، فنصبه ودفن عند امه بالبقيع» (٤).

وفي شذرات الذهب: «والصحيح أن الرأس المكرم دفن بالبقيع إلى جنب امه فاطمة، وذلك أن يزيد بعث به إلى عامله بالمدينة عمرو بن سعيد الأشدق، فكفنه ودفنه» (٥).

وقال الشبلنجي: «وقيل دفن بالبقيع عند قبر امه وأخيه الحسن، وهو قول ابن

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٣٣١

بكار والعلامة الهمداني وغيرهما» (١).

وكيفما كان فهذا الاحتمال ناش عن إرسال الرأس الشريف إلى المدينة، كما ذكره ابن حجر في قوله: «وأرسل - يزيد - برأسه وبقية بنيه إلى المدينة» (٢).

والجواب هو ما ذكره العلامة المجلسي، أمّا إرسال الرأس إلى المدينة فلا ضير بالمقام، لاحتمال كون الإرسال في مدّة وجود أهل البيت بالشام، وعليه يحمل قول يزيد للإمام السّجاد عليه السلام، فأما وجه أبيك فلن تراه أبداً (٣)، فلا يمنع تبدّل رأيه بعد وصول الرأس من المدينة إلى الشام وتسليمه إلى الإمام السّجاد عليه السلام.

وأما قول ابن حجر بإرسال يزيد الرأس والاسرة إلى المدينة فلا ينافي مرورهم بكربلاء ودفنهم الرأس فيها ثم قصدهم المدينة، وسيأتي خبر البلاذري حول إرجاع الرأس الشريف من المدينة إلى الشام (٤).

٤- الشام: قال البلاذري: قال الكلبي: وبعث يزيد برأسه إلى المدينة، فنصب على خشبة، ثم ردّ إلى دمشق، فدفن في حائط بها، ويقال في دار الإمارة، ويقال في المقبرة (٥).

قيل: الحائط: الحديقة أو البستان، ودار الإمارة هي قصر الخضراء وكان بجوار الجامع الأموي إلى الجنوب منه (٦).

وقال: «ودفن رأس الحسين في حائط بدمشق، إمّا حائط القصر وإمّا غيره،

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٣٣٢

وقال قوم: دفن في القصر حفر له وأعمق (١).

وروى ابن عساكر بإسناده عن ريا حدّثته «أنّ الرأس مكث في خزائن السلاح حتّى ولي سليمان بن عبد الملك، فبعث إليه فجاء به وقد قحل وبقى عظم أبيض، فجعله في سفظ وطيبه، وجعل عليه ثوباً، ودفن في مقابر المسلمين، فلمّا ولي عمر بن عبد العزيز بعث إلى الخازن - خازن بيت السلاح - وجّه إلى رأس الحسين بن علي، فكتب إليه أنّ سليمان أخذه وجعله في سفظ وصلّى عليه ودفنه، فصحّ ذلك عنده، فلمّا دخلت المسوودة سألوها عن موضع الرأس، فنبشوه وأخذوه، والله أعلم ما صنع» (٢).

قال ابن كثير: المسوودة يعني بنى العباس

.وحكى الخوارزمي: «أنّ سليمان بن عبد الملك بن مروان رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم في المنام كأنه يبّره ويلطفه، فدعا الحسن البصري وقصّ عليه وسأله عن تأويله، فقال الحسن: لعلك اصطنعت إلى أهله معروفاً، فقال سليمان: إنّي وجدت رأس الحسين في خزانه يزيد بن معاوية، فكسوته خمسة من الديباج وصلّيت عليه في جماعة من أصحابي وقبرته، فقال الحسن: إنّ النبي رضي عنك بسبب ذلك، فأحسن إلى الحسن البصري وأمر له بجوائز» (٤).

وقال ابن الجوزي: «وذكر ابن أبي الدنيا أنّهم وجدوا في خزانه يزيد رأس

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٣٣٣

الحسين فكفّفنوه ودفنوه بدمشق عند باب الفراديس» (١).

وذكره أيضاً في «الردّ على المتعصّب العنيد» عن ابن أبي الدنيا من حديث عثمان بن عبد الرحمان عن محمّد بن عمر بن صالح - ثم نقل الخبر كما في المنتظم - ثم قال: «وعثمان ومحمّد ليسا بشيء عند أهل الحديث، والأوّل - أي الدفن بالبقيع - الصحيح» (٢).

وروى ابن نما عن منصور بن جمهور «أنّه دخل خزانه يزيد بن معاوية، لمّا فتحت وجد بها جونه حمراء، فقال لغلامه سليم: احتفظ بهذه الجونه، فإنّها كنز من كنوز بني أمية، فلمّا فتحها إذا فيها رأس الحسين عليه السلام وهو مخضوب بالسواد، فقال لغلامه: آتني بثوب، فأتاه به، فلغّه، ثم دفنه بدمشق عند باب الفراديس عند البرج الثالث ممّا يلي المشرق» (٣).

ثم ذكر سائر الأقوال، واعتمد على كون الدفن بكربلاء (٤).

وذكر سبط ابن الجوزي ما رواه جدّه عن ابن أبي الدنيا بعنوان القول الثالث في المسألة، وفيه: «فكفّفنوه ودفنوه بباب الفراديس في دار الإمارة، وكذا ذكر الواقدي أيضاً» (٥).

ثم قال: «والرابع أنه بمسجد الرقة على الفرات بالمدينة المشهورة، ذكره عبدالله بن عمر الوراق في كتاب المقتل، وقال: لما حضر الرأس بين يدي يزيد بن

معالركب الحسينى (ج ٦)، ص: ٣٣٤

معاوية قال: لأبعثه إلى آل أبي معيط عن رأس عثمان وكانوا بالرقة، فبعثه إليهم، فدفنوه في بعض دورهم، ثم أدخلت تلك الدار في المسجد الجامع قال: وهو إلى جانب سدره هناك، وعليه شبيه النيل لا يذهب شتاء ولا صيفاً» (١).

وروى الذهبي عن أبي أمية الكلاعى قال: «سمعت أبا كرب قال: كنت فيمن توثب على الوليد بن يزيد بدمشق، فأخذت سفظاً وقلت فيه غنائى، فركبت فرسى وخرجت به من باب توما، قال: ففتحتة فإذا فيه رأس مكتوب عليه هذا رأس الحسين بن على، فحفرت له بسيفى فدفنته» (٢).

وروى ابن كثير ما رواه ابن أبي الدنيا من طريق عثمان بن عبد الرحمن عن محميد بن عمر بن صالح، وقال وهما ضعيفان، ثم قال: «قلت: ويعرف مكانه بمسجد الرأس اليوم داخل باب الفراديس الثانى، ثم ذكر ما رواه ابن عساكر عن ريثا» (٣).

وقال ابن الحورانى: «وداخل باب الفراديس مشهد الحسين ويسمى مسجد الرأس وهو معروف الآن، وهو مشهد حافل عليه جلاله وهيبه وله وقف على مصالحه، وهذا المشهد يقصده الناس للزيارة والدعاء والتبرك والتماس الحوائج، وهو فى غاية القبول» (٤). وجاء فى دائرة المعارف: «وفى باب الفراديس مشهد الحسين بن على» (٥).

معالركب الحسينى (ج ٦)، ص: ٣٣٥

فتحصّل من جميع ذلك: ص: ٣٣٥

أن الروايات حول دفن الرأس الشريف فى الشام على أقسام، منها ما روى بطريق ضعيف كما اعترفوا بذلك، ومنها ما أعرض عنها ناقلوها.

وأن الأقوال فى تحديد مكانه مختلفه وهى:

(أ) دمشق - فى حائط بها-

(ب) فى دار الإمارة بدمشق.

(ج) فى المقبرة بدمشق.

(د) فى القصر الخضراء بدمشق.

(ه) عند باب الفراديس بدمشق.

(و) بمسجد الرقة.

(ز) قرب باب توما.

(٥) مصر: قال ابن نما: وحدثنى جماعة من أهل مصر أن مشهد الرأس عندهم يسمونه مشهد كريم، عليه من الذهب شىء كثير يقصدونه فى المراسم، ويزورونه، ويزعمون أنه مدفون هناك» (١).

وقال سبط ابن الجوزى: «واختلفوا فى الرأس على أقوال .. الخامس: أن الخلفاء الفاطميين نقلوه من باب الفراديس إلى عسقلان، ثم نقلوه إلى القاهرة، وهو فيها، وله مشهد عظيم يزار فى الجملة» (٢).

معالركب الحسينى (ج ٦)، ص: ٣٣٦

ولقد ذكرنا اختيار ابن نما وسبط ابن الجوزى القول بدفن الرأس الشريف بكربلاء.

قال ابن كثير: «وآدعت الطائفة المسمون بالفاطميين الذين ملكوا الديار المصرية قبل سنة أربعمائه إلى ما بعد سنة ستين وستمائه أن

رأس الحسين وصل إلى الديار المصرية ودفنوه بها، وبنوا عليه المشهد المشهور به بمصر الذي يقال له تاج الحسين بعد سنة خمسمائة، وقد نصّ غير واحد من أئمة أهل العلم على أنه لا أصل لذلك» (١). ثم ذكر علّة ذلك على ما زعمه، والذي يظهر حقه من خلاله. وقال الشبلنجي: «اختلفوا في رأس الحسين رضى الله عنه بعد مسيره إلى الشام إلى أين سار وفي أيّ موضع استقرّ، فذهب طائفة إلى أن يزيد أمر أن يطاف به في البلاد، فطيف به حتّى انتهى به إلى عسقلان، فدفنه أميرها بها، فلما غلب الأفرنج على عسقلان افتداه منهم الصالح طلائع وزير الفاطميين بمال جزيل، ومشى إلى لقائه من عدّة مراحل، ووضع في كيس حرير أخضر على كرسى من الآبنوس، وفرش تحته المسك والطيب، وبنى عليه المشهد الحسيني المعروف بالقاهرة قريباً من خان الخليلي .. والذي عليه طائفة من الصوفية أنّه بالمشهد القاهري.

قال المناوي في طبقاته: «ذكر لي بعض أهل الكشف والشهود أنّه حصل له اطلاع على أنّه دفن مع الجثة بكربلاء، ثم ظهر الرأس بعد ذلك بالمشهد القاهري! لأنّ حكم الحال بالبرزخ حكم الإنسان الذي تدلّى في تيار جارٍ فيطفو بعد ذلك في مكان آخر، فلما كان الرأس منفصلاً طاف في هذا المحل (المسمّى) بالمشهد الحسيني المصري! وذكر أنّه خاطبه» (٢).

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٣٣٧

وقال: وفي كتاب الخطط للمقريزي بعد كلام على مشهد الحسين رضى الله عنه ما نصّه: «وكان حمل الرأس الشريف إلى القاهرة من عسقلان، ووصله إليها في يوم الأحد ثامن من جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وخمسمائة .. ويذكر أنّ هذا الرأس الشريف لما اخرج من المشهد بعسقلان وجد دمه لم يجفّ، وله ريح كريح المسك» (١).

وقال الشبراوي: «قال العلّامة الشعراني: لما دفن الرأس الشريف ببلاد المشرق ومضى عليه مدّة أرشى عليه الوزير طلائع بن رزيك، وأنفق ثلاثين ألف دينار، ونقله إلى مصر، وبنى عليه المشهد الشريف، وخرج هو وعسكره حفاة إلى نحو الصالحية من طريق الشام يتلقون الرأس الشريف، ثمّ وضعه طلائع في برنس من حرير أخضر على كرسى من ابنوس، وفرش تحته المسك والطيب، وقد زرتّه مراراً، .. ثمّ ذكر رؤيا الشيخ شهاب الدين أحمد بن الشبلي الحنفي» (٢).

إنّ طلائع بن رزيك كان نائب مصر، كما صرّح بذلك الشبراوي (٣)، وذكر تفصيل ما حصل من نقل الرأس من عسقلان إلى القاهرة سنة ٥٤٨ هـ» (٤).

وفي جميع ذلك أنّه على فرض صحّته فلعلّه راجع إلى أحد أصحاب الحسين عليه السلام الذين استشهدوا معه صلوات الله عليه، وأهل البيت أدرى بما في البيت، ولم يذكر أحد منهم حول دفن الرأس الشريف بمصر.

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٣٣٨

فالمختار هو قول المشهور من إلحاق الرأس الشريف بالجسد الطاهر بكربلاء.

ولنختم الكلام بما ذكره سبط ابن الجوزي: ففي أيّ مكان رأسه أو جسده فهو ساكن في القلوب والضمائر، قاطن في الأسرار والخواطر، أنشدنا بعض أشياخنا في هذا المعنى:

لا تطلبوا المولى (١)

حسين بأرض شرق أو بغرب

ودعوا الجميع وعزّجوا نحوى فمشهده بقلبي (٢)

ترك كربلاء نحو المدينة ص: ٣٣٨

ثمّ إنّ أهل بيت الرسول صلى الله عليه وآله تركوا كربلاء قاصدين المدينة، بعدما أقاموا العزاء على سيّد الشهداء بكربلاء.

قال السيد ابن طاووس: قال الراوى: ثم انفصلوا من كربلاء طالين المدينة «٣».

ولقد نلتهم ولننا منكم وكذاك الحرب أحياناً دول
نضع الأسياف فى أكتافكم حيث نهوى علماً بعد نهل
نخرج الأضياح من أستاذكم كسلاح التيب يأكلن العصل
إذ تولون على أعقابكم هرباً فى الشعب أشباه الرسل
إذ شدنا شدة صادقة فأجاناكم إلى سفح الجبل
بخناطيل كأشداق الملا من يلاقوه من الناس يهل
مع الركب الحسينى (ج ٦)، ص: ٣٣٩
ضاق عنا الشعب إذ نجزعه وملانا الفرط منه والرّجل
برجالٍ لسئم أمثالهم أيدوا جبريل نصراً فنزل
وعلونا يوم بدرٍ بالتقى طاعة الله وتصديق الرّسل
وقتلنا كل رأسٍ منهم وقتلنا كل ججاج رفل
وتركنا فى قريش عورة يوم بدرٍ وأحاديث المثل
ورسول الله حقاً شاهد يوم بدرٍ والتنايل الهبل
فى قريش من جموع جمّعا مثل ما يجمع فى الخصب الهمل
نحن لا أمثالكم، ولد استها نحضر الناس إذا البأس نزل «١»
مع الركب الحسينى (ج ٦)، ص: ٣٤٣

الفصل الثالث إلى مدينة الرسول ص : ٣٤٣

المدينة قبل وصول خبر مقتل الإمام الحسين عليه السلام ص : ٣٤٣

إشارة

كانت المدينة المنورة تترقب سماع خبر أعظم حادثه وأكبر كارثه وأفضع فاجعه فى العالم.. كيف لا وهو خبر قتل من قال جدّه سيد الكائنات فى حقّه:

«حسين منى وأنا من حسين» «١»

إنّ بعض أقرباء النّبى صلى الله عليه وآله وأصحابه كانوا يعلمون بمصير الحسين عليه السلام إجمالاً، وذلك عبر ما سمعوه عن صاحب الرسالة صلى الله عليه وآله مباشرة أو بالواسطة، فإنهم - وإن فاتهم الفوز العظيم، أو قصّروا فى سبيل نصره ابن بنت نبيهم عليه السلام- ولكن ذلك لم يمنعهم أن يعيشوا فى حالة من الخوف والقلق، وترقب الأحداث!

لقد قامت زوجة الرسول الكريم صلى الله عليه وآله أم سلمة- التى حصلت على شرف العلم والمعرفة وأصبحت موضع سرّ الرسول صلى الله عليه وآله- بدورها العظيم تجاه هذه المأساة، إذ استودعها النّبى صلى الله عليه وآله تربة من تراب كربلاء قبل مقتل الحسين عليه السلام بسنوات عديدة، ولقد احتفظت بها، وصار احمرارها علامة تحقّق المأساة. وهى التى روت أحاديث كثيرة فى هذا الشأن، كما سترى..

معالركب الحسينى (ج ۶)، ص: ۳۴۴

وروى ابن عباس بدوره عدّة روايات حول هذا الموضوع، واتخذ مواقف جيدة- ولا نريد بذلك توجيه عدم حضوره في كربلاء. وثمة بعض القصائد والأشعار التي ربما نسبت إلى الجنّ، وإنّها وإن كانت بموضع من الإمكان بل الوقوع، فإنّ مصيبة قتل الحسين عليه السلام شملت الكون بكامله والخلائق بأجمعها، والموجودات كلّها، إلّا أنّ هناك احتمالاً آخر وهو صدورها من بعض الناس المواليين لأبي عبد الله الحسين عليه السلام ومحبّي أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله، أو أنّ بعضها كذلك، ولا ضير بأن نجتمع حصول كلا الأمرين وتحققهما- أى صدور بعضها من الجنّ وبعضها من شيعة الإمام من الإنس.

كما رويت بعض المنامات والرؤى الصادقة من أمثال أم سلمة وابن عباس وغيرهما تناقلها الناس وأثرت في أوساط المجتمع الذي تهياً لسماع خبر الفاجعة.

ولا ننسى أنّ الآيات السماوية والأرضية الكثيرة التي حصلت في مناطق عديدة بعد مقتل الإمام الحسين عليه السلام خلقت الجوّ المناسب لذلك.

وإليك- أيّها القارئ الكريم- بعض النصوص التي تعالج هذا الموضوع وتبيّن ما جرى في هذه الفترة من الزمان.

دور أم سلمة ص : ۳۴۴

* أم سلمة تعلم بمصير الإمام عليه السلام ص : ۳۴۴

فقد روى الطبراني بإسناده عن سعد بن طريف، عن أبي جعفر محمد بن عليّ، عن أم سلمة قالت:

«قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يُقتل حسين بن علي رضي الله عنه على رأس ستين من معالركب الحسينى (ج ۶)، ص: ۳۴۵

مهاجرتي» (۱)

* أم سلمة ترى تربة الحسين عليه السلام ص : ۳۴۵

إشارة

روى الطبراني بإسناده عن عتبة بن عبد الله بن زمعة، عن أم سلمة:

«أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله اضطجع ذات يوم، فاستيقظ وهو خائر النفس وفي يده تربة حمراء يقبلها، فقلت: ما هذه التربة يارسول الله؟ فقال: أخبرني جبريل عليه السلام أنّ هذا- الحسين عليه السلام- يُقتل بأرض العراق، فقلت لجبريل عليه السلام: أرني تربة الأرض التي يُقتل بها. فهذه تربتها» (۲)

وروى الحاكم بإسناده عن عبد الله بن وهب بن زمعة قال:

أخبرتني أم سلمة رضي الله عنها أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اضطجع ذات ليلة للنوم، فاستيقظ وهو حائر، ثم اضطجع فرقد، ثم استيقظ وهو حائر دون ما رأيت به المرّة الأولى، ثم اضطجع فاستيقظ وفي يده تربة حمراء يقبلها، فقلت: ما هذه التربة يارسول الله؟ قال: أخبرني جبريل عليه الصلاة والسلام أنّ هذا- الحسين- يُقتل بأرض العراق فقلت لجبريل: «أرني تربة الأرض التي يُقتل بها»، فهذه تربتها.

ثم قال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه (۳).

معالركب الحسينى (ج ٦)، ص: ٣٤٦

وروى الطبرانى باسناده عن المطلب بن عبدالله بن حنطب، عن أم سلمة قالت:

«كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالساً ذات يوم فى بيتى فقال: لا يدخل على أحد، فانتظرت فدخل الحسين رضى الله عنه، فسمعت نسيح رسول الله صلى الله عليه وسلم يبكى، فاطلعت فإذا حسين فى حجره والنبي صلى الله عليه وسلم يمسح جبينه وهو يبكى، فقلت: والله ما علمت حين دخل، فقال: إن جبرئيل عليه السلام كان معنا فى البيت، فقال: تحبه؟ قلت: أمّا من الدنيا فنعم، قال: إن أمتك ستقتل هذا بأرض يُقال لها كربلاء، فتناول جبريل عليه السلام من تربتها فأراها النبي صلى الله عليه وسلم، فلما أحيط بحسين حين قُتل قال: ما اسم هذه الأرض؟ قالوا: كربلاء، قال: صدق الله ورسوله أرض كرب وبلاء» (١).

وروى باسناده عن صالح بن أريد عن أم سلمة رضى الله عنها قالت:

«قال لى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: اجلسى بالباب ولا يلجن على أحد، فقامت بالباب إذ جاء الحسين رضى الله عنه، فذهبت أتناوله، فسبقنى الغلام، فدخل على جدّه، فقلت: يا نبي الله، جعلنى الله فداك، أمرتنى أن لا يلج عليك أحد، وإن ابنك جاء، فذهبت أتناوله فسبقنى، فلما طال ذلك تطلعت من الباب، فوجدتك تقلب بكفيك شيئاً ودموعك تسيل، والصبي على بطنك، قال: نعم.

أتانى جبريل، فأخبرنى أن أمتى يقتلونه، وأتانى بالتربة التى يقتل عليها، فهى التى أقلب بكفى» (٢).

معالركب الحسينى (ج ٦)، ص: ٣٤٧

ملاحظات ص: ٣٤٧

إشارة

- ١- إن أم سلمة ليست الوحيدة فى نقل أخبار إتيان جبرئيل بتربة الحسين عليه السلام إلى جدّه الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، بل هناك روايات عديدة عن غيرها مثل عائشة وزينب بنت جحش حول هذا الموضوع الهام (١) التى لا مجال لذكرها الآن.
- ٢- إنها لم تكن الوحيدة التى رأت تربة الحسين عليه السلام قبل مقتله، بل هناك أشخاص رأوها وعلى رأسهم أبوه الإمام على بن أبى طالب عليه السلام، نذكر بعضهم:

(أ) الإمام أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام: ص: ٣٤٧

روى الطبرانى باسناده عن عبدالله بن نجى عن أبيه أنه سافر مع على رضى الله عنه، فلما حاذى نينوى قال: صبراً أبا عبدالله صبراً بشط الفرات، قلت:

وما ذاك؟ قال: دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وعيناه تفيضان، فقلت: هل أغضبك أحد يارسول الله؟ ما لى أرى عينيك مفيضتين؟ قال: قام من عندى جبريل عليه السلام، فأخبرنى أن أمتى تقتل الحسين ابنى، ثم قال: هل لك أن أريك من تربته؟ قلت: نعم، فمدّ يده فقبض قبضة، فلما رأيتها لم أملك عينى أن فاضتا (٢).

(ب) أبو بكر وعمر وحذيفة وعمار وأبو ذر: ص: ٣٤٧

معالركب الحسينى (ج ٦)، ص: ٣٤٨

روى الطبرانى باسناده عن عائشة قالت:

«دخل الحسين بن على رضى الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يوحى إليه، فترا على رسول الله صلى الله عليه وسلم

وهو منكب، ولعب على ظهره، فقال جبريل لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أتحنه يا محمّد؟ قال: يا جبريل، وما لي لا أحبّ ابني؟ قال: فإنّ أمتك ستقتله من بعدك. فمدّ جبريل عليه السلام يده، فأناه بترية بيضاء، فقال: في هذه الأرض يقتل ابنك هذا يا محمّد واسمها الطفّ. فلما ذهب جبريل عليه السلام من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والترية في يده يبكي، فقال: يا عائشة إنّ جبريل عليه السلام أخبرني أنّ الحسين ابنى مقتول في أرض الطفّ، وأنّ أمتى ستفتن بعدى. ثمّ خرج إلى أصحابه فيهم علىّ وأبو بكر وعمر وحذيفة وعمّار وأبو ذرّ- رضى الله عنهم- وهو يبكي، فقالوا: ما يبكيك يا رسول الله؟ فقال: أخبرني جبريل أنّ ابني الحسين يقتل بعدى بأرض الطفّ، وجاءنى بهذه الترية، وأخبرنى أنّ فيها مضجعه» (١).

* تربة الحسين عليه السلام عند أم سلمة ص : ٣٤٨

روى الطبرانى بإسناده عن ثابت البنانى، عن أنس بن مالك قال:

«استأذن ملك القطر ربّه عزّوجلّ أن يزور النبيّ صلى الله عليه وسلم، فأذن له، فجاءه وهو في بيت أم سلمة، فقال: يا أمّ سلمة، احفظى علينا الباب لا يدخل علينا أحد، فبينما هم على الباب إذ جاء الحسين، ففتح الباب، فجعل يتقفز على ظهر النبيّ صلى الله عليه وسلم، والنبيّ صلى الله عليه وسلم

مع الركب الحسينى (ج ٦)، ص: ٣٤٩

يلثمه ويقبله، فقال له الملك: تحنه يا محمّد؟ قال: نعم [قال:]: أما أنّ أمتك ستقتله، وإن شئت أن أريك من تربة المكان الذى يقتل فيها، قال: فقبض من المكان الذى يقتل فيه، فأناه بسهولة حمراء، فأخذته أم سلمة، فجعلته في ثوبها، قال ثابت: كنّا نقول: إنّها كربلاء» (١).

وروى الطبرانى بإسناده عن شقيق بن سلمة عن أم سلمة قالت:

«كان الحسن والحسين رضى الله عنهما يلعبان بين يدي النبيّ صلى الله عليه وسلم في بيتى فنزل جبريل عليه السلام فقال: يا محمّد، إنّ أمتك تقتل ابنك هذا من بعدك- فأوما بيده إلى الحسين- فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وضمه إلى صدره، ثمّ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: وديعة عندك هذه التربة، فشمّها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: ويح كرب وبلاء.

قالت: وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا أمّ سلمة، إذا تحوّلت هذه التربة دماً فاعلمى أنّ ابني قد قتل.

قال: فجعلتها أم سلمة فى قارورة، ثمّ جعلت تنظر إليها كلّ يوم وتقول: إنّ يوماً تحولين دماً ليوم عظيم» (٢).

مع الركب الحسينى (ج ٦)، ص: ٣٥٠

وقال الشيخ المفيد: وروى بإسناد آخر عن أم سلمة- رضى الله عنها- أنّها قالت:

«خرج رسول الله صلى الله عليه وآله من عندنا ذات ليلة، فغاب عنّا طويلاً، ثمّ جاءنا وهو أشعث أغبر ويده مضمومة، فقلت: يا رسول

الله، ما لي أراك شعثاً مغبراً؟! فقال: أسرى بى فى هذا الوقت إلى موضع من العراق يُقال له كربلاء، فأريت فيه مصرع الحسين ابنى

وجماعة من ولدى وأهل بيتى، فلم أزل ألقط دماءهم، فها هى فى يدي، وبسطها إلىّ فقال: خذها واحتفظى بها، فأخذتها فإذا هى شبه

تراب أحمر، فوضعت فى قارورة، وسددت رأسها واحتفظت به، فلما خرج الحسين عليه السلام من مكّة متوجّهاً نحو العراق كنت

أخرج تلك القارورة فى كلّ يوم وليلة فأشمّها وأنظر إليها، ثمّ أبكى لمصابه، فلما كان فى اليوم العاشر من المحرم- وهو اليوم الذى

قُتل فيه عليه السلام- أخرجتها فى أوّل النهار وهى بحالها، ثمّ عدت إليها آخر النهار فإذا هى دم عبيط، فصمت فى بيتى وبكيت

وكظمت غيظى مخافة أن يسمع أعداؤهم بالمدينة، فيسرعوا بالشماتة، فلم أزل حافظةً للوقت حتّى جاء الناعى ينعاها، فحقّق ما رأيت»

(١).

مع الركب الحسينى (ج ٦)، ص: ٣٥١

وقال ابن الأثير:

«وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم أعطى أم سلمة تراباً من تربة الحسين حملة إليه جبرائيل، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأُم سلمة: إذا صار هذا التراب دماً فقد قُتل الحسين، فحفظت أم سلمة ذلك التراب في قارورة عندها، فلما قُتل الحسين صار التراب دماً، فأعلمت الناس بقتله أيضاً» (١).

وقال الطبري:

«إن أم سلمة أخرجت يوم قتل الحسين بكرلاء وهي بالمدينة قارورة فيها دم، فقالت: قُتل -والله- الحسين، فقيل: من أين علمت؟ قالت: دفع إلي رسول الله من تربته وقال لي: إذا صار هذا دماً فاعلمي أن ابني قد قتل، فكان كما قالت» (٢).

وذكر الخوارزمي «أن النبي صلى الله عليه وآله أخذ تلك القبضة - من تربة الحسين عليه السلام - التي أتاه بها المَلَك فجعل يشمها ويبكى ويقول في بكائه:

اللهم لا تبارك في قاتل ولدي، واصله نار جهنم.

ثم دفع تلك القبضة إلى أم سلمة وأخبرها بقتل الحسين بشاطئ الفرات، وقال: يا أم سلمة، خذي هذه التربة إليك، فإنها إذا تغيرت وتحولت دماً عبيطاً فعند ذلك يُقتل ولدي الحسين» (٣).

بل الاستفادة من بعض النصوص أن أم سلمة كانت تحمل قارورتين من تراب الحسين عليه السلام، إحداهما سلمها إليها رسول الله صلى الله عليه وآله، والآخرى تسلمتها من

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٣٥٢

يدي الحسين عليه السلام.

لقد روى الفقيه المحدث القطب الراوندي أن الإمام الحسين عليه السلام لما أراد العراق

«قالت له أم سلمة: لا - تخرج إلى العراق، فقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: يقتل ابني الحسين ب [أرض] العراق، وعندى تربة دفعها إلي في قارورة.

فقال: والله إنني مقتول كذلك، وإن لم أخرج إلى العراق يقتلونني أيضاً، وإن أحببت أن أريك مضجعي ومصرع أصحابي، ثم مسح بيده على وجهها، ففسح الله في بصرها حتى أراها ذلك كله، وأخذ تربة فأعطها من تلك التربة أيضاً في قارورة أخرى، وقال عليه السلام: فإذا فاضتا دماً فاعلمي أنني قد قتلت.

فقالت أم سلمة: فلما كان يوم عاشوراء نظرت إلى القارورتين بعد الظهر، فإذا هما قد فاضتا دماً.

فصاحت، ولم يقلب في ذلك اليوم حجر ولا مدر إلا وجد تحته دم عبيط» (١).

ويظهر من رواية الفقيه ابن حمزة عن الباقر عليه السلام مرسلًا - بعد ذكر ما يقرب من نقل الخرائج في المضمون - أنها خلطت التربة التي أعطها الإمام الحسين عليه السلام مع التربة التي كانت عندها (٢).

* ما سمعته أم سلمة ليلة قتل الحسين عليه السلام ص: ٣٥٢

روى الخوارزمي بإسناده عن عبد الرحمن بن محمد بن أبي سلمة يذكر عن

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٣٥٣

أبيه عن جدّه عن أم سلمة قالت:

«جاء جبرئيل عليه السلام إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال: إن أمتك تقتله - يعني الحسين - بعدك، ثم قال له: ألا أريك من تربة مقتله؟ قال: نعم، فجاء بحصيات، فجعلهن رسول الله صلى الله عليه وآله في قارورة، فلما كانت ليلة قتل الحسين - قالت أم سلمة -

سمعت قائلاً يقول:

أيها القاتلون جهلاً حسيناً أبشروا بالعذاب والتنكيل
قد لُعنتم على لسان ابن داود وموسى وصاحب الإنجيل
قال: فبكيت وفتحت القارورة، فإذا قد حدث فيها دم» (١).

* ما رآته أم سلمة في منامها ص : ٣٥٣

روى الترمذى بإسناده عن سلمى قالت: «دخلت على أم سلمة وهى تبكى، فقلت: ما يبكيك؟ قالت: رأيت رسول الله صلى الله عليه و سلم - تعنى فى المنام - وعلى رأسه ولحيته التراب، فقلت: ما لك يا رسول الله؟ قال: شهدت قتل الحسين آنفاً» (٢).

مع الרכب الحسينى (ج ٦)، ص: ٣٥٤

وزاد الباعونى - بعد ذكره خبر سلمى - ثم قالت: «فعلوها؟ ملأ الله قبورهم وبيوتهم ناراً». ثم استيقظت مغشياً عليها (١).

وقال الخوارزمى بعد ذكره الخبر: «وجاء فى المراسيل أن سلمى المدنية قالت: رفع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى أم سلمة قارورة فيها رمل من الطف، وقال لها: إذا تحوّل هذا دماً عبيطاً فعند ذلك يقتل الحسين، قالت سلمى: فارتفعت واعية من حجرة أم سلمة فكنت أول من أتاها، فقلت لها: ما دهاك يا أم المؤمنين؟ قالت:

رأيت رسول الله فى المنام والتراب على رأسه، فقلت: ما لك؟ قال: وثب الناس على ابنى فقتلوه، وقد شهدته فتيلاً الساعة، فاقشعر جلدى وانتهت وقلت إلى القارورة، فوجدتها تفور دماً، قالت سلمى: ورأيتها موضوعة بين يديها» (٢).

روى الشيخ الصدوق رحمه الله بإسناده عن أبى البخترى وهب بن وهب عن الصادق جعفر بن محمد، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام عن أم سلمة رضى الله عنها «أنها أصبحت يوماً تبكى، فقيل لها: ما لك؟ قالت: لقد قُتل ابنى الحسين عليه السلام، وما رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله منذ مات إلا الليلة، فقلت: بأبى أنت وأمى، مالى أراك شاحباً؟ فقال: لم أزل منذ الليلة أحفر قبر الحسين وقبور أصحابه» (٣).

وذكر الشيخ الطوسى بإسناده عن عبد الله بن عباس قال: «بينما أنا راقد فى منزلى إذ سمعت صراخاً عظيماً عالياً من بيت أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وآله فخرجت يتوجه بى قائدى إلى منزلها، وأقبل أهل المدينة إليها الرجال والنساء، فلما انتهيت إليها قلت: يا أم المؤمنين، ما بالك تصرخين وتغوئين؟ فلم تجبنى، وأقبلت على

مع الרכب الحسينى (ج ٦)، ص: ٣٥٥

النسوة الهاشميات وقالت: يا بنات عبد المطلب، اسعدننى وابكين معى، فقد والله قُتل سيدك وسيد شباب أهل الجنة، قد والله قُتل سبط رسول الله وريحانته الحسين، فقيل: يا أم المؤمنين، ومن أين علمت ذلك؟ قالت: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله فى المنام الساعة شعناً مذعوراً، فسألته عن شأنه ذلك، فقال: قتل ابنى الحسين وأهل بيته اليوم، فدفنتهم، والساعة فرغت من دفنهم، قالت: فقلت حتى دخلت البيت، وأنا لا أكاد أن أعقل، فنظرت فإذا بتربة الحسين التى أتى بها جبرئيل من كربلاء، فقال: إذا صارت هذه التربة دماً فقد قُتل ابنك، وأعطانيها النبى صلى الله عليه وآله، فقال: اجعلى هذه التربة فى زجاجة - أو قال: فى قارورة - ولتكن عندك، فإذا صارت دماً عبيطاً فقد قُتل الحسين، فرأيت القارورة الآن، وقد صارت دماً عبيطاً تفور، قال: وأخذت أم سلمة من ذلك الدم، فلطخت به وجهها، وجعلت ذلك اليوم مأتماً ومناحة على الحسين عليه السلام، فجاءت الركبان بخبره وأنه قد قُتل فى ذلك اليوم.

قال عمرو بن ثابت: قال أبى: فدخلت على أبى جعفر محمد بن على عليهما السلام منزله، فسألته عن هذا الحديث، وذكرت له رواية سعيد بن جبير هذا الحديث عن عبد الله بن عباس، فقال أبو جعفر عليه السلام: حدّثني عمر بن أبى سلمة عن أمه أم سلمة.

قال ابن عباس - فى رواية سعيد بن جبير عنه قال - : فلما كانت الليلة رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله فى منامى أغبر أشعث،

فذكرت له ذلك وسألته عن شأنه، فقال لي:

ألم تعلمي أنني فرغت من دفن الحسين وأصحابه.

قال عمرو بن أبي المقدم: فحدّثني سدير عن أبي جعفر عليه السلام أن جبرئيل جاء إلى النبي صلى الله عليه وآله بالتربة التي يُقتل عليها الحسين عليه السلام، قال أبو جعفر: فهي عندنا» (١)

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٣٥٦

وروى الفقيه ابن حمزة عن الإمام الباقر عليه السلام:

«فلما كانت تلك الليلة التي صبيحتها قُتل الحسين بن علي صلوات الله عليهما فيها، أتاه (أم سلمة) رسول الله صلى الله عليه وآله في المنام أشعث باكياً مغبراً، فقالت: يا رسول الله، مالي أراك باكياً مغبراً أشعث؟ فقال: دفنت ابني الحسين عليه السلام وأصحابه الساعة.

فانتبهت أم سلمة رضى الله عنها، فصرخت بأعلى صوتها، فقالت: وا ابنا، فاجتمع أهل المدينة، وقالوا لها: ما الذي دهاك؟

فقالت: قُتل ابني الحسين بن علي صلوات الله عليهما، فقالوا لها:

وما علمك [بذلك]؟ قالت: أتاني في المنام رسول الله صلوات الله عليه باكياً أشعث أغبر، فأخبرني أنه دفن الحسين وأصحابه الساعة،

فقالوا: أضغاث أحلام، فقالت: مكانكم، فإنّ عندي تربة الحسين عليه السلام، فأخرجت لهم القارورة فإذا هي دم عيط» (١).

* أم سلمة تسمع نوح الجن ص : ٣٥٦

روى الشيخ الصدوق بإسناده عن أم سلمة - زوجة النبي صلى الله عليه وآله - قالت:

ما سمعت نوح الجن منذ قبض النبي صلى الله عليه وآله إلّا الليلة، ولا أراني إلّا وقد أصبت بابني.

قالت: وجاءت الجنية منهم:

ألا يا عين فانهملي بجهد فمن يبكي على الشهداء بعدى

على رهط تقودهم المنايا إلى متجبر في ملك عبد» (١)

* صراخ أم سلمة وضجة المدينة ص : ٣٥٦

لقد ذكرنا عن ابن عباس أن أهل المدينة - رجالاً ونساءً - توجّهوا نحو بيت أم سلمة، بعدما سمعوا صراخها وبكاءها.

ومما يؤيد ذلك ما أورده اليعقوبي في تاريخه، قال: «وكان أول صارخة صرخت في المدينة أم سلمة زوج النبي، كان دفع إليها

قارورة فيها تربة، وقال لها:

إن جبريل أعلمني أن أمتي تقتل الحسين، وأعطاني هذه التربة، وقال لي: إذا صارت دماً عيطاً فاعلمي أن الحسين قد قُتل، وكانت

عندها، فلما حضر ذلك الوقت جعلت تنظر إلى القارورة في كل ساعة، فلما رأتها قد صارت دماً صاحت واحسيناه! وا ابن رسول الله!

وتصارخت النساء من كل ناحية، حتى ارتفعت المدينة بالرجة التي ما سُمع بمثله قط» (٢).

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٣٥٨

* خلاصة الكلام ص : ٣٥٨

إن أم سلمة - بما حازت من موقع انتمائها لرسول الله صلى الله عليه وآله، وبما نالت من موضع ائتمانها من قبل رسول الله صلى الله

عليه وآله، وبما فازت من معرفتها بآل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله، وبما قامت برسالتها تجاه آل الله ... - أخذت دورها

المحورى في فترة عدم حضور آل بيت المصطفى صلى الله عليه وآله بالمدينة، وأثرت تأثيراً بالغاً، بحيث ضجّت المدينة بصراخها

ورجفت بأنيها، سلام الله ورضوانه عليها، ولعلّ عدم إجابتها لسؤال ابن عباس - في ما رواه الشيخ الطوسى - عتاب منها عليه في عدم نصرته سبط الرسول عليه السلام، والله العالم.

دور ابن عباس ص : ٣٥٨

* علمه بمصير سيد الشهداء عليه السلام ص : ٣٥٨

كان ابن عباس من الذين يعلمون بمصير الإمام عليه السلام، فمن الطبيعي أن يكون ممن يترقب خبر استشهاده عليه السلام. أخرج الحاكم عن ابن عباس قال: «ما كنا نشك وأهل البيت متوافرون أنّ الحسين يُقتل بالطف» (١).

* رؤيا ابن عباس وإخباره بعض الناس ص : ٣٥٨

روى أحمد بإسناده عن ابن عباس قال: «رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فيما يرى النائم بنصف النهار، وهو قائم أشعث أغبر، بيده قارورة فيها دم، فقلت: بأبى أنت وأمى يارسول الله، ما هذا؟ قال: هذا دم الحسين وأصحابه لم أزل ألتقطه منذ اليوم، فأحصينا ذلك اليوم، فوجدوه قُتل في ذلك اليوم» (٢).

مع الركب الحسينى (ج ٦)، ص : ٣٥٩

وروى ابن عساکر بإسناده عن على بن زيد بن جدعان قال: «استيقظ ابن عباس من نومه، فاسترجع وقال: قُتل حسين والله، فقال له أصحابه: كلاً، قال:

رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه زجاجة من دم، فقال: ألا تعلم ما صنعت أمتى من بعدى؟ قتلوا ابني الحسين وهذا دمه ودم أصحابه أرفعها إلى الله عزوجل، قال: فكتب ذلك اليوم الذى قال فيه، وتلك الساعة، فما لبثوا إلّا أربعة وعشرين يوماً حتى جاءهم الخبر بالمدينة أنه قُتل ذلك اليوم، وتلك الساعة» (١).

وقال الزرندي: وفي رواية أنّ ابن عباس كان فى قايله له، فانتبه من قايسته وهو يسترجع، ففزع أهله فقالوا: ما شأنك؟ ما لك؟ قال: رأيت النبى صلى الله عليه وآله وهو يتناول من الأرض شيئاً، فقلت: بأبى وأمى يارسول الله صلى الله عليه وآله ما هذا الذى تصنع؟

مع الركب الحسينى (ج ٦)، ص : ٣٦٠

قال: دم الحسين أرفعه إلى السماء» (١).

وكيفما كان فقد أيقن ابن عباس بالمأساة، وأخبر الناس بقتل الحسين عليه السلام، وهذا ما صرح به ابن الأثير فى قوله: قال ابن عباس: «رأيت النبى صلى الله عليه وسلم الليلة التى قُتل فيها الحسين وبيده قارورة، وهو يجمع فيها دمًا، فقلت: يارسول الله ما هذا؟ قال:

هذه دماء الحسين وأصحابه أرفعها إلى الله تعالى، فأصبح ابن عباس فأعلم الناس بقتل الحسين، وقصّ رؤياه، فوجد قد قُتل فى ذلك اليوم» (٢).

ولقد ذكر ابن شهر آشوب فيما رواه خصوصيات لابن من ذكرها، قال: «إنّ ابن عباس: رأى النبى صلى الله عليه وسلم فى منامه بعد [ما] قتل الحسين عليه السلام وهو مغبرّ الوجه حافى القدمين باكى العينين، وقد ضمّ حجز قميصه إلى نفسه، وهو يقرأ هذه الآية: «تَخ لَّا

مَخْشَمِيهَنْحَنْجَ ثَمَّا لِلَّه تَزْتَمَائِرُ لَّا ثَن لَّجَ ثَمَّا يَثَن لَّجَ لَثَمَ ثَمَّا لَنَمْنَى ثَمَّا لِنَمْلُ جَ يَخ لَحَ» (٣)

وقال: «إنى مضيت إلى كربلاء والتقطت دم الحسين من الأرض، هو ذا فى حجرى، وأنا ماضٍ أخاصمهم بين يدي ربى» (٤).

ما سمعه أهل المدينة ص : ٣٦٠

إشارة

روى الشيخ الجليل ابن قولويه بإسناده عن عمرو بن عكرمة قال: أصبحنا ليلة قتل الحسين عليه السلام بالمدينة، فإذا مولى لنا يقول: سمعنا البارحة منادياً ينادى ويقول:

أيها القاتلون جهلاً حسينا أبشروا بالعذاب والتنكيل

مع الركب الحسينى (ج ٦)، ص: ٣٦١

كل أهل السماء يدعو عليكم من نبى ومرسل وقبيل

قد لعنتم على لسان ابن داود وذى الروح حامل الإنجيل (١)

وقال الشيخ مطهر بن طاهر المقدسى: وسمع أهل المدينة ليلة قتل الحسين فى نهارها هاتفاً يهتف:

مسح الرسول جبينه فله بريق فى الخدود

أبواه من عليا قريش وجدّه خير الجدود (٢)

وقال الشيخ الثقة ابن نما الحلّى: ومما انفرد به النطنزى فى كتاب الخصائص عن أبى ربيعة عن أبى قبيل: قيل: سُمع فى الهواء بالمدينة قائل يقول:

يا من يقول بفضل آل محمّد بلغ رسالتنا بغير توانى

قتلت شرار بنى أمية سيّداً خير البرية ماجداً ذا شان

ابن المفضل فى السماء وأرضها سبط النبى وهادم الأوثان

بكت المشارق والمغرب بعدما بكت الأنام له بكل لسان (١)

وقال ابن نما:

«وناحت عليه - أى على الحسين عليه السلام - الجنّ، وكان نفر من أصحاب النبى صلى الله عليه وآله منهم المسور بن مخزّم ورجال يستمعون النوح ويبيكون» (٢).

وروى الشيخ ابن قولويه بإسناده عن الحلبي قال: قال لى أبو عبد الله عليه السلام:

«لما قُتل الحسين عليه السلام سمع أهلنا قائلاً يقول بالمدينة: اليوم نزل البلاء على هذه الأمة، فلا يرون فرحاً حتى يقوم قائمكم فيشفى

صدوركم ويقتل عدوكم، وينال بالوتر أوتاراً، ففرعوا منه وقالوا: إن لهذا القول لحادثاً، قد حدث ما لا نعرفه. فأتاهم خبر الحسين عليه

السلام بعد ذلك، فحسبوا ذلك فإذا هى تلك الليلة التى تكلم فيها المتكلم» (٣).

وروى الشيخ المفيد بإسناده عن محفوظ بن المنذر قال: «حدّثنى شيخ من بنى تميم كان يسكن الراية قال: سمعت أبى يقول: ماشعنا

بقتل الحسين عليه السلام حتى كان مساء ليلة عاشوراء فأتى لجالس بالراية ومعى رجل من الحى فسمعنا هاتفاً يقول:

والله ما جئتكم حتى بصرت به بالطفّ منعفر الخدين منحورا

وحوله فتية تدمى نهورهم مثل المصايح يعلون الدجى نورا

وقد حثت قلوبى كى أصادفهم من قبل أن يلاقوا الخرد الحورا

فعاقنى قدرٌ والله بالغه وكان أمراً قضاه الله مقدورا

كان الحسين سراجاً يستضاء به الله يعلم أنّى لم أقل زورا

صلى الإله على جسم تضمّنه قبر الحسين حليف الخير مقبورا

مجاوراً لرسول الله فى غُرف وللوصى وللطيار مسرورا

فقلنا له: من أنت يرحمك الله؟ قال: أنا وأبي من جن نصيين، أردنا مؤازرة الحسين عليه السلام ومواساته بأنفسنا، فانصرفنا من الحج، فأصنناه قتيلاً» (١).

إلما أن سبط ابن الجوزي ذكره بنحو آخر قال: «وذكر المدائني عن رجل من أهل المدينة قال: خرجت أريد اللحاق بالحسين عليه السلام- لما توجه إلى العراق- فلما وصلت الربدة إذا برجل جالس، فقال لي: يا عبد الله، لعلك تريد أن تمدد الحسين؟ قلت: نعم، قال: وأنا كذلك، ولكن اقعد فقد بعثت صاحباً لي والساعة يقدم بالخبر، قال: فما مضت إلا ساعة وصاحبه قد أقبل وهو يبكي، فقال له الرجل: ما الخبر؟ فقال:

والله ما جئتكم حتى بصرتُ به في الأرض منعفر الخدين منحورا

وحوله فتية تدمي نهورهم مثل المصاييح يعشون الدجي نورا

وقد حثت قلوصي كي أصادفهم من قبل ما ينكحون الخرد الحورا

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٣٦٤

يا لهف نفسي لو أتى لحقتهم إذا لقرت إذا حلوا أساويرا

فقال له الرجل الجالس:

اذهب فلا زال قبراً أنت ساكنه حتى القيامة يُسقى الغيث ممطورا

في فتية بذلوا لله أنفسهم قد فارقوا المال والأهلين والدورا» (١)

والمستفاد منه ومن بعض النصوص أنه سيطرت حالة من الندامة على بعض أوساط المجتمع من بعد خروج أبي عبد الله الحسين عليه السلام إلى العراق، ولعله أصابهم الخجل في عدم نصرتهم ابن بنت نبيهم، وأحسوا لذلك في أنفسهم الذل.

ولقد روى الزرندي الخبر بتفصيل أكثر، قال: «ونقل أبو الشيخ في كتابه بسنده إلى محمد بن عباد بن صهيب عن أبيه، قال: قدم رجل المدينة يطلب الحديث والعلم بها، فجلس في حلقة، فمرّ بهم رجل، فسلم عليهم، فقال له ذلك الرجل:

نحب أن نخبرنا بما جئت له، تريد نصره الحسين بن علي؟ قال: نعم، خرجت أريد نصره الحسين، فلما صرت بالربدة إذا برجل جالس، فقال لي: يا أبا عبد الله، أين تريد؟ قلت: أريد نصره الحسين، قال: وأنا أريد ذلك أيضاً، ولنا رسول هناك يأتينا بالخبر الساعة، قال:

فتعجبت من قوله: يأتينا بالخبر الساعة، فلم يلبث وهو يُحدثني إذ أقبل رجل وقال له الذي كان معي: ما وراءك؟ فأنشأ يقول:

والله ما جئتكم حتى بصرت به لحب العجاجة لحب السيف منحورا

وحوله فتية تدمي نهورهم مثل المصاييح يعشون الدجي نورا

وقد حثت قلوصي كي أصادفهم من قبل ما أن يلاقوا الخرد الحورا

يا لهف نفسي لو أتى قد لحقت بهم إنني تحليت إذ حلت أساويرا

فأجابه الذي كنت معه واستعبر وقال:

في فتية وهبوا لله أنفسهم قد فارقوا المال والأهلين والدورا

فلا زال قبراً أنت تسكنه حتى القيامة يُسقى الغيث ممطورا

ثم التفت فلم أرهما، فعلمت أنّهما من الجن، فرجعت إلى المدينة وإذا الخبر قد لحقنا أن الحسين قد قُتل، وأن رأسه حمله سنان بن أنس النخعي إلى يزيد» (١).

ولا يخفى أن سماع الهاتف لم ينحصر بالمدينة وضواحيها، بل حصل في أمكنة شتى وبقاع عديدة منها:

مكة وضواحيها: روى القاضي نعمان عن عبد الله بن زواق، قال: «سمعت رجلاً من الأنصار يحدث معمرًا، قال: لما كان اليوم الذي قُتل فيه الحسين بن علي عليه السلام مرّ رجل في بعض الليل في منى، فسمع صوتاً على ككبب (٢) كأنه صوت امرأة تنوح: «ابك ابكي

حسينا أيما»، فأجابتها أخرى من ثبير «٣» تقول: «إبك ابكى ابن الرسول ايما». قال الرجل: فكتبت تلك الليلة، فإذا هي الليلة التي تتلو اليوم الذي قُتل الحسين عليه السلام» «٤»

ومنها: البصرة. قال ابن نماء: وروى أن هاتفاً سُمع بالبصرة ينشد ليلاً:

إنّ الرماح الواردات صدورها نحو الحسين تقاتل التنزيلا

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٣٦٦

ويهللون بأن قُتلت وإنما قتلوا بك التكبير والتهليلة

فكأنما قتلوا أباك محمداً صلى عليه الله أو جبريلاً «١»

رؤيا عامر بن سعد البجلي ص : ٣٦٦

أورد ابن عساكر بإسناده عن عامر بن سعد البجلي، قال: «لما قُتل الحسين بن علي رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام، فقال: إن رأيت البراء بن عازب فاقراه مني السلام وأخبره أن قتله الحسين بن علي في النار، وإن كاد الله أن يسحت أهل الأرض منه بعذاب أليم.

قال: فأتيت البراء، فأخبرته، فقال: صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

من رآني في المنام فقد رآني، فإنّ الشيطان لا يتصوّر بي» «٢».

تقاطر الدم من شجرة ص : ٣٦٦

إنّ مصيبة قتل الحسين عليه السلام شملت الكون كله، ولذلك نرى حدوث الآيات الكونية في الأرض والسماء بعد مقتله - صلوات الله عليه - وبكاء العالم عليه «٣»،

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٣٦٧

وتفصيلها خارج عن المقام، إلّا إننا نكتفي بذكر هذا الخبر:

روى العلامة المجلسي عن بعض كتب المناقب المعتبرة عن سيّد الحفّاظ أبي منصور الديلمي بإسناده عن هند بنت الجون قالت: نزل رسول الله صلى الله عليه وآله بخيمة خالتها أمّ معبد ومعه أصحاب له، فكان من أمره في الشاء ما قد عرفه الناس، فقال «١» في الخيمة هو وأصحابه حتّى أبرد، وكان يوم قائظ شديد حرّه، فلما قام من رقدته دعا بماء، فغسل يديه فأنقاهما، ثمّ مضمض فاه ومجّه على عوسجة كانت إلى جنب خيمته خالتها ثلاث مرّات، واستنشق ثلاثاً، وغسل وجهه وذراعيه، ثمّ مسح برأسه ورجليه وقال: «لهذه العوسجة» «٢» شأن» ثمّ فعل من كان معه من أصحابه مثل ذلك، ثمّ قام فصلى ركعتين، فعجبت أنا وفتيات الحيّ من ذلك وما كان عهدنا ولا رأينا مصلياً قبله، فلما كان من الغد أصبحنا وقد علت العوسجة حتّى صارت كأعظم دوحه عادية وأبهى، وخضد الله شوكةا، وساخت عروقها، وكثرت أفنانها، واخضرت ساقها وورقها، ثمّ أثمرت بعد ذلك وأينعت بثمر كأعظم ما يكون من الكماء في لون الورس المسحوق، ورائحة العنبر، وطعم الشهيد، والله

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٣٦٨

ما أكل منها جائع إلّا شبع، ولا ظمآن إلّا روى، ولا سقيم إلّا برأ، ولا ذو حاجة وفاقة إلّا استغنى، ولا أكل من ورقها بعير ولا ناقة ولا شاة إلّا سمت ودرّ لبنها، ورأينا النماء والبركة في أموالنا منذ يوم نزل، وأخصبت بلادنا، وأمرعت، فكنا نسمي تلك الشجرة: «المباركة»، وكان يتنابنا من حولنا من أهل البوادي يستظلون بها، ويتزوّدون من ورقها في الأسفار، ويحملون معهم في الأرض القفار، فيقوم لهم مقام الطعام والشراب، فلم تزل كذلك وعلى ذلك أصبحنا ذات يوم وقد تساقط ثمارها، واصفرّ ورقها، فأحزننا ذلك وفرقنا له، فما

كان إلقليل حتى جاء نعى رسول الله، فإذا هو قد قبض ذلك اليوم، فكانت بعد ذلك تثمر ثمراً دون ذلك فى العظم والطعم والرائحة، فأقامت على ذلك ثلاثين سنة، فلمّا كانت ذات يوم أصبحنا وإذا بها قد تشوّكت من أولها إلى آخرها، فذهبت نضارة عيدانها وتساقط جميع ثمرها، فما كان إلا سيراً حتى وافى مقتل أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام، فما أثمرت بعد ذلك لا قليلاً ولا كثيراً، وانقطع ثمرها، ولم نزل ومن حولنا نأخذ من ورقها ونداوى مرضانا بها، ونستشفى به من أسقامنا.

فأقامت على ذلك برهة طويلاً، ثم أصبحنا ذات يوم فإذا بها قد انبعثت من ساقها دمّاً عبيطاً جارياً وورقها ذابله تقطر دمّاً كماء اللحم، فقلنا إن قد حدث عظيمه، فبتنا ليلتنا فزعين مهمومين نتوقّع الداهية، فلمّا أظلم الليل علينا سمعنا بكاءً وعويلاً من تحتها وجلبه شديدة ورجة، وسمعنا صوت باكية تقول:

أيابن النبى ويابن الوصى ويا من بقتية ساداتنا الأكرمين

ثم كثرت الرنات والأصوات، فلم نفهم كثيراً ممّا كانوا يقولون، فأتانا بعد ذلك قتل الحسين عليه السلام، ويبست الشجرة، وجفت، فكسرتها الرياح والأمطار بعد ذلك، فذهبت واندرس أثرها.

معالركب الحسينى (ج ٦)، ص: ٣٦٩

قال عبد الله بن محمّد الأنصارى: فلقيت دعبل بن على الخزاعى بمدينه الرسول، فحدّثته بهذا الحديث فلم ينكره وقال: حدّثنى أبى عن جدّى عن أمه سعيدة بنت مالك الخزاعية أنّها أدركت تلك الشجرة فأكلت من ثمرها على عهد على بن أبى طالب عليهما السلام، وأنّها سمعت تلك الليلة نوح الجنّ فحفظت من جتية منهن:

يابن الشهيد ويا شهيداً عمه خير العمومه جعفر الطيار

عجباً لمصقول أصابك حدّه فى الوجه منك وقد علاه غبار «١»

ولقد روى ذلك أيضاً الخوارزمى «٢» والسيد محمّد بن أبى طالب «٣» بتفاوت سير.

قصه الغراب وفاطمة بنت الحسين - الصغرى ص : ٣٦٩

روى الخوارزمى بإسناده عن المفصّل بن عمر الجعفى، سمعت جعفر بن محمّد عليهما السلام يقول: حدّثنى أبى محمّد بن على، حدّثنى أبى على بن الحسين عليهما السلام قال: لمّا قتل الحسين جاء غراب فوق فى دمه، ثمّ تمزّع، ثمّ طار، فوقع بالمدينه على جدار دار فاطمة بنت الحسين وهى الصغرى، فرفعت رأسها إليه، فنظرته فبكت وقالت:

نعب الغراب. فقلت: من تنعاه ويلك من غراب!؟

قال: الإمام. فقلت: من؟ قال: الموقّق للصواب

معالركب الحسينى (ج ٦)، ص: ٣٧٠

إنّ الحسين بكرىلا بين المواضى والحراب

قلت: الحسين؟ فقال لى: ملقى على وجه التراب

ثمّ استقلّ به الجناح ولم يطق ردّ الجواب

فبكيته منه بعبرة ترضى الإله مع الثواب

قال محمّد بن على عليهما السلام: فنعته لأهل المدينه، فقالوا: جاءت بسحر عبد المطلب، فما كان بأسرع من أن جاءهم الخبر بقتل الحسين عليه السلام «١»

الطير المتلّخ بالدم فى المدينه ص : ٣٧٠

قال العلامة المجلسي رحمه الله: (روى بعض أصحابنا قال: وروى من طريق أهل البيت عليهم السلام أنه لما استشهد الحسين عليه السلام بقي في كربلاء صريعاً ودمه على الأرض مسفوحاً، وإذا بطائر أبيض قد أتى وتمسح بدمه، وجاء والدم يقطر منه، فرأى طيوراً تحت الظلال على الغصون والأشجار، وكلّ منهم يذكر الحبّ والعلف والماء، فقال لهم ذلك الطير المتلخّخ بالدم: يا ويلكم! أتشتغلون بالماهي، وذكر الدنيا والمناهي، والحسين في أرض كربلاء في هذا الحرّ ملقى على الرمضاء، ظامئ مذبوح، ودمه مسفوح، فعادت الطيور كلّ منهم قاصداً كربلاء، فرأوا سيّدنا الحسين عليه السلام ملقى في الأرض، جثّة بلا رأس ولا غسل ولا كفن، قد سفت عليه مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٣٧١

السوافي، وبدنه مرضوض قد هشمته الخيل بحوافرها، زوّاره وحوش القفار، وندبته جنّ السهول والأوعار، قد أضاء التراب من أنواره، وأزهر الجوّ من إزهاره، فلمّا رآته الطيور تصايحن وأعلنن بالبكاء والثبور، وتواقعن على دمه يتمرغن فيه، وطار كلّ واحد منهم إلى ناحية يُعلم أهلها عن قتل أبي عبدالله الحسين عليه السلام، فمن القضاء والقدر أنّ طيراً من هذه الطيور قصد مدينة الرسول، وجاء يرفرف والدم يتقاطر من أجنحته، ودار حول قبر سيّدنا رسول الله يعلن بالنداء: «ألا- قُتل الحسين بكربلاء، ألا ذبح الحسين بكربلاء»، فاجتمعت الطيور عليه وهم يبكون عليه وينوحون.

فلمّا نظر أهل المدينة من الطيور ذلك النوح، وشاهدوا الدّم يتقاطر من الطير، لم يعلموا ما الخبر حتّى انقضت مدّة من الزمان وجاء خير مقتل الحسين، علموا أنّ ذلك الطير كان يخبر رسول الله بقتل ابن فاطمة البتول، وقرّة عين الرسول. وقد نُقل أنّه في ذلك اليوم الذي جاء فيه الطير إلى المدينة، كان في المدينة رجل يهودي، وله بنت عمياء زمناء طرشاء مشلولة، والجذام قد أحاط ببدنها، فجاء ذلك الطائر والدم يتقاطر منه، ووقع على شجرة يبكي طول ليلته، وكان اليهودي قد أخرج ابنته تلك المريضة إلى خارج المدينة إلى بستان، وتركها في البستان الذي جاء الطير ووقع فيه، فمن القضاء والقدر أنّ تلك الليلة عرض لليهودي عارض، فدخل المدينة لفضاء حاجته، فلم يقدر أن يخرج تلك الليلة إلى البستان التي فيها ابنته المعلولة، والبنت لما نظرت أباه لم يأتها تلك الليلة لم يأتها نوم لوحدها، لأنّ أباه كان يحدّثها ويسلّيها حتّى تنام، فسمعت عند السحر بكاء الطير وحنينه، فبقيت تتقلّب على وجه الأرض، إلى أن صارت تحت

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٣٧٢

الشجرة التي عليها الطير، فصارت كلّما حنّ ذلك الطير تجاوبه من قلب محزون، فبينما هي كذلك إذ وقع قطرة من الدّم، فوقعت على عينها ففتحت، ثمّ قطرة أخرى على عينها الأخرى فبرئت، ثمّ قطرة على يديها فعوفيت، ثمّ على رجليها فبرئت، وعادت كلّما قطرت قطرة من الدّم تلخّخ به جسدها، فعوفيت من جميع مرضها من بركات دم الحسين عليه السلام. فلمّا أصبحت أقبل أبوها إلى البستان، فرأى بنتاً تدور ولم يعلم أنّها ابنته، فسألها أنّه كان لي في البستان ابنه عليه لم تقدر أن تتحرّك، فقالت ابنته: والله أنا ابنتك، فلمّا سمع كلامها وقع مغشياً عليه، فلمّا أفاق قام على قدميه، فأنت به إلى ذلك الطير، فرآه واكراً على الشجرة يئنّ من قلب حزين محترق ممّياً رأى ممّياً فُعل بالحسين عليه السلام، فقال له اليهودي: أقسمت عليك- بالذي خلقتك أيها الطير- أن تكلمني بقدره الله تعالى، فنطق الطير مستعبراً، ثمّ قال: إنّني كنت واكراً على بعض الأشجار مع جملة الطيور عند الظهيرة وإذا بطير ساقط علينا، وهو يقول: أيها الطيور، تأكلون وتتعمّون، والحسين في أرض كربلاء في هذا الحرّ على الرمضاء طريحاً ظامئاً والنحر دام، ورأسه مقطوع، على الرمح مرفوع، ونساؤه سبايا، حفاة عرايا، فلمّا سمعنا بذلك تطايرنا إلى كربلاء، فرأينا في ذلك الوادي طريحاً، الغسل من دمه، والكفن الرّمّل السافى عليه، فوقنا كلّنا عليه نوح وتتمرغ بدمه الشريف، وكان كلّ منّا طار إلى ناحية، فوقعت أنا في هذا المكان.

فلمّا سمع اليهودي ذلك تعجّب وقال: لو لم يكن الحسين ذا قدر رفيع عند الله ما كان دمه شفاء من كلّ داء، ثمّ أسلم اليهودي وأسلمت البنت وأسلم خمسمائة من قومه) «١».

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٣٧٣

المدينة بعد تلقيها خبر مقتل الإمام الحسين عليه السلام ص : ٣٧٣

إشارة

ضجّت المدينة المنورة أربع مرّات لخبر مقتل الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام منذ استشهاده عليه السلام حتّى وصول أهل بيته إليها، كما يلي:

١- بعد فزع أم سلمة حين ملاحظتها انقلاب ما في القارورة دماً، وبعد أن رأت النبي صلى الله عليه وآله في منامها.

٢- بعد وصول مبعوث ابن زياد، وإذاعته السلطة الفاجرة - رسمياً - خبر تحقّق الفاجعة والمأساة.

٣- بعد مجيء مبعوثي يزيد بالخبر - أو برأس الحسين عليه السلام كما في بعض الروايات -.

٤- بعد وصول آل بيت الحسين إلى المدينة، واستقبال الناس لهم بالعويل والبكاء.

وإليك التفاصيل:

أمّا الموقف الأول (انقلاب ما في القارورة دماً ورؤية أم سلمة رسول الله صلى الله عليه وآله في المنام وتأثرها) فقد مرّت تفاصيله آنفاً، فلا نعيد.

وأما الموقف الرابع (أعنى: ضجّة المدينة بعد وصول آل بيت الحسين عليه السلام إليها) فهذا ما سنتناوله تفصيلاً في المبحث الآتي

(عودة بقيّة الركب الحسيني إلى المدينة المنورة) تحت عنوان «حال المدينة بعد علم أهلها بمصرع الإمام عليه السلام».

أمّا ما سنتعرّض له فهما الموقفان الباقيان، أي الموقف الثاني (بعد وصول مبعوث ابن زياد) والثالث (بعد دخول الرأس الشريف حسب بعض الروايات):

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٣٧٤

وصول مبعوث ابن زياد المدينة المنورة ص : ٣٧٤

إشارة

لقد أنفذ اللعين ابن زياد رسولاً إلى عمرو بن سعيد بن العاص والى المدينة يحمل خبر قتل الحسين عليه السلام، وهو عبد الملك بن أبي الحديث السلمي «١»، أو عبد الملك بن أبي الحارث السلمي «٢»، أو عبيد الله بن الحرث السلمي «٣».

* ولقد اكتفى بعضٌ بذكر العنوان العام، ولم يصرّح باسمه:

قال السيّد ابن طاووس: «وكتب عبيد الله بن زياد إلى يزيد بن معاوية يخبره بقتل الحسين وخبر أهل بيته، وكتب أيضاً إلى عمرو بن سعيد بن العاص أمير المدينة بمثل ذلك» «٤».

وقال ابن الأثير: «فأرسل عبيد الله بن زياد مبشراً!! إلى المدينة بقتل الحسين إلى عمرو بن سعيد» «٥».

وقال ابن كثير: «ثم كتب ابن زياد إلى عمرو بن سعيد أمير الحرمين يبشّره بمقتل الحسين!» «٦»

* فيما رواه آخرون بتفاصيل أكثر كالطبري، فإنّه قال: «قال هشام: حدّثني عوانة بن الحكم قال: لما قتل عبيد الله بن زياد الحسين بن عليّ وجرى برأسه إليه

معالركب الحسينى (ج ۶)، ص: ۳۷۵

دعا عبد الملك بن أبى الحارث السلمى فقال: انطلق حتى تقدم المدينة على عمرو بن سعيد بن العاص، فبشره بقتل الحسين، وكان عمرو بن سعيد بن العاص أمير المدينة يومئذ، قال: فذهب ليعتل له، فزجره، وكان عبيدالله لا يصطلى بناره، فقال: انطلق حتى تأتى المدينة ولا يسبقك الخبر، وأعطاه دنانير، وقال: لا تعتل، وإن قامت بك رحلتك فاشتر راحلة» (۱). ولقد ذكرنا مراراً أن أهل المدينة كانوا يترقبون سماع خبر المأساء، ومن الشواهد على ذلك ما رواه الطبرى فى الخبر نفسه: قال: «قال عبد الملك: فقدمت المدينة، فلقينى رجل من قريش، فقال: ما الخبر؟ فقلت: الخبر عند الأمير، فقال: إننا لله وإننا إليه راجعون، قتل الحسين بن على» (۲).

مبعوث ابن زياد عند والى المدينة ص : ۳۷۵

قال الطبرى: «قال عبد الملك: فدخلت على عمرو بن سعيد، فقال: ما وراءك؟ فقلت: ما سرّ الأمير. قتل الحسين بن على. فقال: ناد بقتله.

فناديت بقتله، فلم أسمع والله واعية قطّ مثل واعية نساء بنى هاشم فى دورهنّ على الحسين، فقال عمرو بن سعيد- وضحك:-

عجّت نساء بنى زياد عجة كعجيج نسوتنا غداة الأرنب

- والأرنب وقعة كانت لبنى زياد من بنى الحارث بن كعب من

معالركب الحسينى (ج ۶)، ص: ۳۷۶

رهط عبد المدان، وهذا البيت لعمرو بن معديكرب-

ثمّ قال عمرو: هذه واعية بواعية عثمان بن عفان!

ثمّ صعد المنبر، فأعلم الناس بقتله «(۱)»، ودعا ليزيد بن معاوية ونزل» (۲).

ضجة الناس عند سماع الخبر ص : ۳۷۶

«ولما بلغ أهل المدينة مقتل الحسين كثر النوائح والصوايح عليه» (۳).

وروى الشيخ المفيد والشيخ الطوسى وابن شهر آشوب عن أبى هياج عبد الله بن عامر أنه قال: «فما رأينا باكيةً ولا باكيةً أكثر ممّا رأينا ذلك اليوم» (۴).

اشتداد الواعية فى دور بنى هاشم ص : ۳۷۶

روى الشيخ المفيد رحمه الله عن مبعوث ابن زياد إلى المدينة: «فلم أسمع والله واعية قطّ مثل واعية بنى هاشم فى دورهم على الحسين بن على عليهما السلام حين سمعوا النداء بقتله» (۵).

وقال البلاذرى: واشتدّت الواعية فى دور بنى هاشم، فقال عمرو بن سعيد الأشدق: واعية بواعية عثمان.

وقال مروان حين سمع ذلك:

عجّت نساء بنى زياد عجة كعجيج نسوتنا غداة الأزيب (۱)

وقال ابن كثير: ثمّ كتب ابن زياد إلى عمرو بن سعيد أمير الحرمين يبشره بقتل الحسين، فأمر منادياً فنادى بذلك، فلما سمع نساء بنى

هاشم ارتفعت أصواتهنّ بالبكاء والنوح، فجعل عمرو بن سعيد يقول: هكذا يبكاء نساء عثمان بن عفان (۲).

وروى عن القاسم بن نجيب أنه قال: ولما بلغ أهل المدينة مقتل الحسين بكى عليه نساء بنى هاشم ونحن عليه (٣).
وقال السيد محمّد بن أبى طالب: وكان ابن زياد حين قُتل الحسين عليه السلام أرسل يخبر يزيد بذلك، وكتب أيضاً إلى عمرو بن سعيد بن العاص ... أمير المدينة بمثل ذلك، فأمرًا عمرو بن سعيد فحيث وصله الخبر صعد المنبر وخطب الناس وأعلمهم ذلك، فعظمت واعية بنى هاشم، وأقاموا سنن المصائب والمآتم (٤).

جلاوزة السلطة تظهر كفرها وحقدها ص : ٣٧٦

يستبشرون بقتله وبسبّه وهم على دين النبى محمّد!
والله ما هم مسلمون وإنما قالوا بأقوال الكفور الملحد
قد أسلموا خوف الردى وقلوبهم طويت على غلّ وحقده مكمد (٥)
من جلاوزة السلطة الحاكمة ممن أظهر كفره بالله وبغضه وحقده لآل بيت رسوله: عمرو بن سعيد أحد أفراد هذه الشجرة الملعونة.
مع الركب الحسينى (ج ٦)، ص: ٣٧٨
قال العلامة الحجّة الشيخ الأمينى رحمه الله:

«عمرو بن سعيد بن العاص بن أمية الأموى المعروف بالأشدرق الذى جاء فيه فى «مسند أحمد» من طريق أبى هريرة مرفوعاً: ليرعفن على منبرى جبار من جبابرة بنى أمية يسيل رعاfe (١)»
قال: فحدّثنى من رأى عمرو بن سعيد رعف على منبر رسول الله حتّى سال رعاfe، كان هذا الجبار ممن يسبّ علياً عليه السلام على صهوة المنابر، قال القسطلانى فى «إرشاد السارى فى شرح صحيح البخارى»، والأنصارى فى «تحفة البارى شرح البخارى المطبوع فى ذيل إرشاد السارى»، فى الصفحة المذكورة: سمى عمرو بالأشدرق، لأنّه صعد المنبر فبالغ فى شتم علىّ رضى الله عنه، فأصابته لقوة- أى داء فى وجهه..» (٢)

وقال- بعد ذكر وصول مبعوث ابن زياد إليه، وعلمه بخبر قتل الحسين عليه السلام:-
ثمّ صعد المنبر، فأعلم الناس قتله، وفى «مثالب أبى عبيدة»: ثمّ أوماً إلى القبر الشريف وقال: «يا محمّد يوم بيوم بدر»، فأنكر عليه قوم من الأنصار (٣).

ومما يدلّ على خبثه ما أردفه العلامة الأمينى رحمه الله قال: «كان أبو رافع عبداً لأبى أحيحة سعيد بن العاص بن أمية، فأعتق كلّ من بنى نسيبه منه إلّا خالد بن سعيد، فإنّه وهب نسيبه للنبيّ صلى الله عليه وآله فأعتقه، فكان يقول: أنا مولى رسول الله صلى الله عليه وآله، فلما ولّى عمرو بن سعيد بن العاص المدينة أيام معاوية أرسل إلى البهيّ بن أبى رافع، فقال له: مولى من أنت؟ فقال: مولى رسول الله صلى الله عليه وآله، فضربه مائة سوط، ثمّ تركه ثمّ دعا، فقال: مولى من أنت؟ فقال: مولى رسول الله صلى الله عليه وآله، فضربه مائة سوط،

مع الركب الحسينى (ج ٦)، ص: ٣٧٩
حتّى ضربه خمسمائة سوط، فلما خاف أن يموت قال له: أنا مولاكم» (١).
وممن أبرز خبثه وحقده على آل الرسول صلى الله عليه وآله مروان بن الحكم كما روى عن التنبية على أبى القالى فى أماليه أنه قال:
«وقد رأيت أبا محمّد ابن حبيب البصرى:

أدرج هذا البيت (عجّت نساء) فى خبر ذكره، فقال: لمّا جاء نعى الحسين رضى الله عنه ومن كان معه قال مروان: يوم بيوم الخفض المجور؟! أى يوم بيوم عثمان، ثمّ تمثّل بقول الأسدى: عجّت نساء ...» (٢).

إِنَّ لَأَمَّ الْمُؤْمِنِينَ أُمَّ سَلْمَةَ - سَلَامَ اللَّهِ عَلَيْهَا - مَوَاقِفَ صَرِيحَةً وَجَرِيئَةً تَجَاهَ هَذِهِ الْجَرِيمَةَ الْبُكَرَاءَ الَّتِي جَرَتْ فِي حَقِّ ثَمَرَةِ فُؤَادِ الرَّسُولِ وَمَهْجَةِ قَلْبِ بِنْتِهِ الْبَتُولِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ، وَلَقَدْ ذَكَرْنَا شَيْئاً مِنْهَا فِي أَوَّلِ هَذَا الْفَصْلِ.

وَأَمَّا بِالنَّسْبَةِ إِلَى بَعْدِ وَصُولِ خَبَرِ نَعِيِّ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنِ سَلَامَ اللَّهِ عَلَيْهِ فَتَجَدُّ مِنْهَا مَوَاقِفَ بَطُولِيَّةٍ وَكَلِمَاتَ صَرِيحَةً وَوَاضِحَةً تَجَاهَ الْمَأْسَاءَ، نَذَكَرُ بَعْضَ مَا ظَفَرْنَا بِهِ:

قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ: «وَذَكَرَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا أَنَّهُ لَمَّا بَلَغَ أُمَّ سَلْمَةَ قَتْلَ الْحُسَيْنِ قَالَتْ: فَعَلُوا؟! مَلَأَ اللَّهُ قُبُورَهُمْ وَبَيوتَهُمْ نَاراً، ثُمَّ وَقَعَتْ مَغْشِيّاً عَلَيْهَا» (٣).

رَوَى ابْنُ سَعْدٍ بِإِسْنَادِهِ عَنْ عَامِرِ بْنِ عَبْدِ الْوَاحِدِ، عَنْ شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ قَالَ:

«أَنَا لَعِنْدَ أُمَّ سَلْمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: فَسَمِعْنَا صَارِخَةً، فَأَقْبَلْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى أُمَّ

مَعَ الرِّكْبِ الْحُسَيْنِيِّ (ج ٦)، ص: ٣٨٠

سَلْمَةَ، فَقَالَتْ: قَتَلَ الْحُسَيْنِ، قَالَتْ: قَدْ فَعَلُوهُمَا، مَلَأَ اللَّهُ بَيوتَهُمْ - أَوْ قُبُورَهُمْ - عَلَيْهِمْ نَاراً، وَوَقَعَتْ مَغْشِيّاً عَلَيْهَا. قَالَ: وَقَمْنَا» (١).

وَرَوَى أَيْضاً بِإِسْنَادِهِ عَنْ عَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ بَهْرَامٍ عَنْ شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ قَالَ:

«سَمِعْتُ أُمَّ سَلْمَةَ حِينَ أَتَاهَا قَتْلَ الْحُسَيْنِ لَعْنَتَ أَهْلِ الْعِرَاقِ وَقَالَتْ: قَتَلُوهُ، قَتَلْتُمُ اللَّهَ، غَرَّوهُ وَذَلُّوهُ، لَعْنَتُ اللَّهِ» (٢).

وَرَوَى الْحَاكِمُ الْحُسَكَانِيُّ بِإِسْنَادِهِ عَنْ عَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ بَهْرَامٍ قَالَ: «حَدَّثَنَا شَهْرُ بْنُ حَوْشَبٍ قَالَ: سَمِعْتُ أُمَّ سَلْمَةَ حِينَ جَاءَ نَعِيُّ الْحُسَيْنِ

بَنَ عَلِيٍّ لَعْنَتَ أَهْلِ الْعِرَاقِ، فَقَالَتْ: قَتَلُوهُ قَتَلْتُمُ اللَّهَ، غَرَّوهُ وَذَلُّوهُ لَعْنَتُ اللَّهِ، وَإِنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَاءَهُ فَاطِمَةُ

غَدِيَّةَ بَيْرَمَةَ لَهَا قَدْ صَنَعَتْ لَهَا فِيهَا عَصِيدَةً تَحْمِلُهَا فِي طَبَقٍ لَهَا حَتَّى وَضَعْتَهَا بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ لَهَا: أَيْنَ ابْنُ عَمِّكَ؟ قَالَتْ: هُوَ فِي الْبَيْتِ،

قَالَ: إِذْهَبِي فَادْعِي بِهِ وَاتَّبِينِي بِابْنِهِ، فَجَاءَتْ تَقُودُ ابْنَيْهَا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِيَدٍ، وَعَلَى يَمِينِي فِي أَثَرِهِمْ [فِي أَثَرِهَا «خ»]، حَتَّى دَخَلُوا عَلَيَّ

رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَأَجْلَسَهُمَا فِي حَجْرِهِ، وَجَلَسَ عَلَيَّ عَلَى يَمِينِهِ وَفَاطِمَةُ عَلَى يَسَارِهِ، فَاجْتَذَبَ مِنْ تَحْتِي كِسَاءً

خَيْرِيّاً كَانَ بَسَاطَةً لَنَا عَلَى الْمَنَامَةِ بِالْمَدِينَةِ، فَلَفَّهُ رَسُولَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ جَمِيعاً، فَأَخَذَ بِشِمَالِهِ بِطَرَفِي الْكِسَاءِ وَأَلْوَى بِيَدِهِ الْيَمْنَى إِلَى رَبِّهِ وَقَالَ:

اللَّهُمَّ إِنَّ هَؤُلَاءِ أَهْلِي

مَعَ الرِّكْبِ الْحُسَيْنِيِّ (ج ٦)، ص: ٣٨١

أَذْهَبَ عَنْهُمْ الرِّجْسَ وَطَهَّرَهُمْ تَطْهِيراً - ثَلَاثَ مَرَّاتٍ - قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَسْتَ مِنْ أَهْلِكَ؟ قَالَ: بَلَى، فَأَدْخَلَنِي فِي الْكِسَاءِ. فَدَخَلْتُ فِي

الْكِسَاءِ بَعْدَمَا قَضَى دَعَاؤَهُ لِابْنِ عَمِّهِ وَابْنِهِ وَابْنَتِهِ فَاطِمَةَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ» (١).

إِنَّ أُمَّ سَلْمَةَ - مَعَ أَنَّهَا كَانَتْ تَعِيشُ فِي ظُرُوفٍ صَعْبَةٍ جَدِّدًا - وَضَّحَتْ أَنَّ الْقَوْمَ أُجْرَمُوا بِحَقِّ آخِرٍ مِنْ بَقِيٍّ مِنْ أَصْحَابِ الْكِسَاءِ وَهُوَ

الطَّاهِرُ ابْنُ الطَّاهِرِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.

وَلَمْ تَكْتَفِ هَذِهِ الْمَرْأَةُ الْجَلِيلَةُ بِهَذَا الْحَدِّ مِنْ إِبْرَازِ الْمَوْقِفِ، بَلْ أَعْلَنْتَ الْحَدَادَ وَلَبَسَتْ السَّوَادَ عَلْنَاً وَفِي الْمَلَأِ - الْعَامِ مِنَ النَّاسِ، وَفِي

مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

رَوَى الْقَاضِي نَعْمَانُ عَنْ أَبِي نَعِيمٍ بِإِسْنَادِهِ عَنْ أُمَّ سَلْمَةَ:

«أَنَّهَا لَمَّا بَلَغَهَا مَقْتَلُ الْحُسَيْنِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ضَرَبَتْ قَبْهَ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، جَلَسَتْ فِيهَا وَلَبَسَتْ سَوَادًا» (٢).

نعى أسماء بنت عقيل ص: ٣٨١

رَوَى الشَّيْخُ الْمَفِيدُ بِإِسْنَادِهِ عَنْ أَبِي الْهَيَّاجِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: «لَمَّا أَتَى نَعِيُّ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى الْمَدِينَةِ خَرَجَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ

عَقِيلِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - فِي جَمَاعَةٍ مِنْ نَسَائِهَا، حَتَّى انْتَهَتْ إِلَى قَبْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَلَاذَتْ بِهِ، وَشَهَقَتْ

عنده، ثم التفتت إلى المهاجرين والأنصار وهي تقول:
 ماذا تقولون إن قال النبي لكم يوم الحساب وصدق القول مسموع
 خذتم عترتي أو كنتم غيباً والحق عند ولي الأمر مجموع
 أسلمتموهم بأيدي الظالمين فما منكم له اليوم عند الله مشفوع
 ما كان عند غداة الطف إذ حضروا تلك المنايا ولا عنهن مدفوع
 قال: فما رأينا باكيًا ولا باكيه أكثر مما رأينا ذلك اليوم» (١).

وصول مبعوثي يزيد إلى المدينة ص : ٣٨١

إشارة

لقد أرسل يزيد رسولين إلى المدينة، وهما محرز بن حريث بن مسعود الكلبي ورجل من بهرا، كما صرح بذلك ابن نما في قوله:
 «وروى أن يزيد بن معاوية بعث بمقتل الحسين إلى المدينة محرز بن حريث بن مسعود الكلبي من بني عدى بن حباب ورجلاً من بهرا
 (٢)، وكانا من أفاضل أهل الشام، فلما قدما خرجت امرأة من بنات عبد المطلب قيل هي زينب بنت عقيل ناشرة شعرها، واضعة كمها
 على رأسها، تلتفاهم وهي تبكي وتقول: ماذا تقولون .. (الآيات)» (٣).

رأس الحسين عليه السلام بالمدينة ص : ٣٨١

ثم روايات تدل على إرسال الرأس الشريف إلى المدينة، بغية إشاعة الرعب والخوف والقضاء على كل حركة مضادة، وذكرنا بعض
 الأخبار في بحث «الأقوال في موضع دفن رأس الحسين عليه السلام»، فلا نعيدها، والظاهر أنه كان في فترة وجود أهل البيت عليهم
 السلام في الشام، ثم إنه أرجع الرأس الشريف إلى الشام، كما صرح
 مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٣٨٣

بذلك البلاذري عن الكلبي بقوله: وبعث يزيد برأسه إلى المدينة فنصب على خشبة ثم رد إلى دمشق (١)، ثم دفع إلى الإمام زين
 العابدين عليه السلام، حتى أحقه عليه السلام بالجسد الشريف، وهذا ينسجم مع رواية القاضي نعمان بوجود أهل البيت عليهم السلام
 في الشام مدة شهر ونصف (٢)، أو مع نقل السيد ابن طاووس بوجودهم فيه ما يقارب شهراً (٣).
 قال ابن سعد: وبعث يزيد برأس الحسين إلى عمرو بن سعيد بن العاص وهو عامل له يومئذ على المدينة، فقال عمرو: وددت أنه لم
 يبعث به إلي، فقال مروان: اسكت، ثم تناول الرأس، فوضعه بين يديه، وأخذ بأرنبته فقال:

يا حَبْذا بردك في اليدين ولونك الأحمر في الخدين

كأتما بات بمجسدين

والله لكأني أنظر إلى أيام عثمان، وسمع عمرو بن سعيد الصيحة من بني هاشم فقال:

عجبت نساء بني زياد عجة كعجيج نسوتنا غداة الأرنب (٤)

وجاء في نقل البلاذري:

قال عمرو بن سعيد: وددت أن أمير المؤمنين لم يبعث إلينا برأسه، فقال مروان: بئس ما قلت، هاته:

يا حَبْذا بَرْدُك في اليدين ولونك الأحمر في الخدين (١)

وقال: حدَّثنا عمر بن شبة، حدَّثني أبو بكر عيسى بن عبدالله بن محمّد بن عمر بن علي بن أبي طالب عن أبيه قال: رجع عمرو بن

سعيد على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال ييار الأسلمي - وكان زاجراً -: إنه ليوم دم.

قال: فجىء برأس الحسين، فنصب، فصرخت نساء أبى طالب، فقال مروان:

عجّت نساء بنى زبيد عجة كعجيج نسوتنا غداة الأريب

ثم صحن أيضاً، فقال مروان:

ضربت ذو شرّ فيهم ضربه أثبتت إن كان ملك فاستقرّ «٢»

وقال ابن نما:

«ونقلت عن تاريخ البلاذري أنه لما وافى رأس الحسين عليه السلام المدينة سمعت الواعية من كل جانب، فقال مروان بن الحكم:

ضربت دوسر فيهم ضربه أثبتت أوتاد حكم فاستقرّ

ثم أخذ ينكت وجهه بقضيب ويقول:

يا حَبْذا بردك في اليدين ولونك الأحمر في الخدين

كأنه بات بمجسدين شفيت منك النفس يا حسين» «٣»

لقد كشف القاضي نعمان عن بعض زوايا القضية بقوله: «ثم أتى برأس الحسين إلى عمرو بن سعيد، فأعرض بوجهه عنه واستعظم

أمره، فقال مروان

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٣٨٥

اللعين لحامل الرأس: هاته. فدفعه إليه، فأخذه بيده وقال:

يا حَبْذا بردك في اليدين ولونك الأحمر في الخدين» «١»

وفى شرح الأخبار أيضاً: «ولما أمر اللعين (يزيد) بأن يُطاف برأس الحسين عليه السلام في البلدان أتى به إلى المدينة، وعامله عليها

عمرو بن سعيد [الأشدق]، فسمع صياح النساء، فقال: ما هذا؟ قيل: نساء بنى هاشم يبكين لما رأين رأس الحسين، وكان عنده مروان بن

الحكم، فقال مروان اللعين متمثلاً:

عجّت نساء بنى زياد عجة كعجيج نسوتنا غداة الأذيب

عنى اللعين عجيج نساء بنى عبد شمس ممن قتل منهم يوم بدر، فأما ما أقاموه ظاهراً من أمر عثمان فمروان اللعين فيمن ألّب عليه

وشمت بمصابه وهو القائل:

لما أتاه نعيه ذينه من كسر ضلعاً كسر جنبه

ولكن ذحول بنى أمية بدماء الجاهلية التي طلبوا بها رسول الله في عترته وأهل بيته، ولما قال ذلك مروان اللعين قال عمرو بن سعيد-

عامل المدينة يومئذ:

لوددت والله أن أمير المؤمنين لم يكن يبعث إلينا برأس الحسين فقال له مروان:

اسكت لا أم لك، وقل كما قال الأول:

ضربوا رأس شريز ضربه اشتت أوتاد ملك فاستتر» «٢»

وروى ابن أبى الحديد المعتزلى عن الإسكافي قوله: «أما مروان.. فأخبث عقيدة وأعظم إلهاداً وكفراً، وهو الذى خطب يوم وصل إليه

رأس الحسين عليه السلام إلى المدينة وهو يومئذ أميرها «٣» وقد حمل الرأس على يديه فقال:

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٣٨٦

يا حَبْذا بردك في اليدين وحمرة تجرى على الخدين

كأنما بتّ بمحشدين

ثم رمى بالرأس نحو قبر النبي، وقال: يا محمد، يومٌ بيوم بدر!

وهذا القول مشتق من الشعر الذي تمثل به يزيد بن معاوية، وهو شعر ابن الزبير يوم وصل الرأس إليه، والخبر مشهور «١». نعم، إن بنى أمية وأذنبهم أثبتوا بفعلتهم النكراء استمرار جاهليتهم السوداء، ولقد أظهروا أحقادهم المكنونة، وأرادوا استيفاء تأرهم من صاحب الرسالة بإبادتهم لعترته، وإنهم ما آمنوا بالله ورسوله طرفه عين أبداً.

رثاء ابنه عقيل ص : ٣٨٦

كان لبنات عقيل دور مهم في إثارة مشاعر الناس وانقلابهم نفسياً بعد مقتل أبي عبد الله الحسين عليه السلام وأصحابه، وقد ذكرنا سابقاً ما يتعلق بإحداهن وهي أسماء بنت عقيل، وذلك بعد وصول خبر استشهاد أبي عبد الله الحسين عليه السلام. ثم هانج هنا دوراً بارزاً لأختها وهي - علي ما صرح به أكثر المؤرخين - زينب بنت عقيل، وإن اكتفى بعضهم بذكر عنوان «امرأة من بنات عبد المطلب» «٢»، أو «ابنة عقيل» «٣» أو «أم لقمان بنت عقيل» «٤» لكن الأكثر ذكر أنها «زينب بنت عقيل» «٥».

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص : ٣٨٧

وأما كيفية خروجها فقد ذكر المسعودي أنها خرجت في نساء من قومها حواسر حائرات لما قد ورد عليهن من قتل السادات «١».

وقال الطبري: إنها خرجت ومعها نساؤها وهي حاسرة تلوي بثوبها «٢».

وقال الشيخ المفيد: «وخرجت أم لقمان بنت عقيل بن أبي طالب حين سمعت نعي الحسين حاسرة ومعها أخواتها أم هاني وأسماء ورملة وزينب بنات عقيل بن أبي طالب - رحمته الله عليهن - تبكي قتلاها بالطف وهي تقول ..» «٣».

وذكره ابن الفثال «٤» والأربلي «٥» كذلك.

وقال ابن الجوزي: «ولما أتى المدينة مقتل الحسين عليه السلام خرجت ابنة عقيل ومعها نساؤها حاسرة وهي تبكي وتقول ..» «٦».

وقال سبط ابن الجوزي: قال الواقدي: «لما وصل الرأس إلى المدينة والسبايا لم يبق بالمدينة أحد «٧»، وخرجوا يضجون بالبكاء وخرجت زينب بنت عقيل بن أبي طالب كاشفة وجهها ناشرة شعرها تصيح: واحسيناه وإخوتاه وأهلها وأهلها، ثم قالت ..» «٨».

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص : ٣٨٨

وقال ابن نما: «فلما قدما (مبعوثا يزيد إلى المدينة) خرجت امرأة من بنات عبد المطلب قيل هي زينب بنت عقيل ناشرة شعرها، واضعة كتمها على رأسها، تتلقاهم وهي تبكي وتقول ..» «١».

وأما مكان ذلك فقد صرح البلاذري والطبراني والقاضي نعمان بكونه في البقيع «٢»، وأما الآخرون فلم يحدّدوا الموضع من المدينة.

وأما ما قالته فقد ذكر البلاذري أنه: وقالت زينب بنت عقيل ترثي قتلى أهل الطف، وخرجت تنوح بالبقيع:

ماذا تقولون إن قال النبي لكم ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم

بأهل بيتي وأنصاري أما لكم عهد كريم أما توفون بالذمم

ذريتي وبنو عمي بمضيعة منهم أسارى وقتلى ضربوا بدم

ما كان ذا جزائي إذ نصحتكم أن تخلفوني بسوء في ذوى رحمي «٣»

وأما غيره - ما عدا سبط ابن الجوزي والخوارزمي - فقد ذكر من الأبيات ثلاثاً مع تفاوت. وجاء في ضمن نقل المسعودي:

بعترتي وبأهلي بعد مفتقدى نصف أسارى ونصف ضربوا بدم

ما كان هذا جزائي إذ نصحت لكم أن تخلفوني بشر في ذوى رحمي «٤»

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص : ٣٨٩

ثم إن الطبراني قال بعد ذلك: فقال أبو الأسود الدؤلي: نقول: «ربنا ظلمنا أنفسنا» الآية «١»، ثم قال أبو الأسود:

أقول وزادني جزعاً وغيظاً أزال الله ملك بني زياد
وأبعدهم كما غدروا وخانوا كما بعدت ثمود وقوم عاد
ولا رجعت ركابهم إليهم إذا وقفت إلى يوم التناد «٢»

وقال القاضي نعمان: «فقال أبو الأسود الدؤلي: وقد سمعتها تقول: (ربنا ظلمنا أنفسنا و ان لم تغفر لنا و ترحمنا لنكونن من الخاسرين»
«٣»

، وهذا قول من لم يعتقد عداوة أهل بيت محمّد، فأما الذين اعتقدوا عداوتهم وقصدوا لما قصدوا إليه منهم مصرّون على كفرهم
وعلى ما ارتكبوه منهم، وقد قتلوا من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه و آله بعد هذا خلقاً كثيراً قلّ من يحصر عددهم ظلماً لهم،
واستخفافاً

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٣٩٠
لحقهم غير من تعاطى ما ليس له منهم، فصرعه تعاطيه ما ليس له، وتعديبه إلى غير حظه وتسميته اسمه «١».

خطبة عمرو بن سعيد ص : ٣٩٠

أورد ابن سعد- بعدما ذكر وصول الرأس الشريف إلى المدينة:-

«ثم خرج عمرو بن سعيد إلى المنبر، فخطب الناس، ثم ذكر حسيناً وما كان من أمره، وقال: واللّه لو ددت أن رأسه في جسده، وروحه
في بدنه، يسبنا ونمدحه، ويقطعنا ونصله، كعادتنا وعادته.

فقام ابن أبي حبيش أحد بني أسد بن عبد العزى بن قصي، فقال: أما لو كانت فاطمة حيّة لأحزنها ما ترى.

فقال عمرو: اسكت لا سكّت، أتنازعتني فاطمة وأنا من عفر ظبايها، واللّه إنّه لابننا، وأنّ أمّه لابنتنا، أجل واللّه لو كانت حيّة لأحزنها قتله
ثم لم تلم من قتله! يدفع عن نفسه!

فقال ابن أبي حبيش: إنّه ابن فاطمة، وفاطمة بنت خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى «٢».

لقد ذكرنا فيما سبق حقد ابن سعيد وبغضه لآل بيت رسول الله، بل ما يثبت بذلك كفره، وإنّ المتأمل في هذه الخطبة والعارف
بأجوائها لا يستغرب منها، إذ يعلم أنّها ألقيت في ظلّ أجواء مضطربة بعد وصول الخبر المدينة، ووصول الرأس الشريف إليها، ولذلك
ترى هذا الحاقد يظهر التراجع في كلامه ويظهر

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٣٩١

نفسه في موقف المدافع والمتأثر، ولكنّه مع ذلك تراه لا يستطيع التستر على خبث سريره حتى في هذه الكلمات التي يتفوّه بها في
هذه الظروف الخاصّة.

قال البلاذري: «وقام ابن أبي حبيش وعمرو يخطب فقال: رحم الله فاطمة، فمضى في خطبته شيئاً، ثم قال: واعجباً لهذا الألتغ، وما أنت
 وفاطمة؟ قال: أمها خديجة- يريد أنّها من بني أسد بن عبد العزى- قال: نعم واللّه، وابنة محمّد أخذتها يميناً وأخذتها شمالاً، وددت أن
أمير المؤمنين كان نحاه عين (عتى ظ) ولم يرسل به إليّ، وددت واللّه أن رأس الحسين كان على عنقه وروحه كانت في جسده» «١».

وقال الخوارزمي: «قالوا: ثمّ صعد عمرو بن سعيد- أمير المدينة- المنبر، وخطب وقال في خطبته:

إنّها لدمه بدمه، وصدمة بصدمة، وموعظة بعد موعظة «قَمِيْزَ لِحْ لَأَ بَحْتَمَالِنِمْمَ لَأَ تَرَلِحَ تَمَا مُخْتَمُ تَجِي ثَمَالِنِمْتُحُ ثَم لَم» «٢»

، واللّه لو ددت أن رأسه في بدنه وروحه في جسده أحيان كان يسبنا ونمدحه ويقطعنا ونصله كعادتنا وعادته، ولم يكن من أمره ما
كان، ولكن كيف نضع بمن سلّ سيفه يريد قتلنا؟! إلّا أن ندفع عن أنفسنا.

فقام إليه عبد الله بن السائب فقال: أما لو كانت فاطمة حيّة فرأت رأس الحسين لبكت عليه، فجبّه عمرو بن سعيد وقال: نحن أحقّ

بفاطمه منك! أبوها عمنا! وزوجها أخونا! وابنها ابننا! أما لو كانت فاطمة حية لبكت عينها، وحزن كبدها، ولكن ما لامت من قتله، ودفع عن نفسه» (٣).

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٣٩٢

إن سخافة ما استدلل به هذا اللعين هو مما يضحك الثكلي، أمن الدفاع أن يحاصر آلاف الفسقة الفجرة عدّة قليلة وفيهم آخر سبط بقي من آخر رسول لرب العالمين، وعترته وذريته والنساء والأطفال، وعدّة من خيار الأصحاب الذين كانوا رهبان الليل وأسد النهار، ثم يُقتلون عطاشى وتحترق رؤوسهم الطاهرة وتسبى نساؤهم وتُحمل من مدينة إلى مدينة ونقطة إلى نقطة.. وهل هذا إلا الانتقام من رسول الله صلى الله عليه وآله كما اعترف بذلك الطاغى ابن الباغى يزيد بن معاوية وسائر أذنا به بما فيهم عمرو بن سعيد مروان بن الحكم وغيرهم.

وأما فاطمة وأبوها وزوجها، وسائر الأنبياء من قبل الرسول صلى الله عليه وآله فلقد بكوا على مصاب الحسين عليه السلام، ولعنوا من أمر وارتكب ورضى بقتل الحسين عليه السلام.

موقف عبدالله بن جعفر ص : ٣٩٢

إن لعبد الله بن جعفر مواقف مشرفة بعد وقوع مأساة كربلاء واستشهاد ولديه- وهما عون وعبدالله- فى ركاب خالهما أبى عبدالله الحسين عليه السلام.

ومما يمكن أن يستند إليه فى توجيه عدم حضوره فى كربلاء ما جاء فى زيارة الناحية المقدسة المنسوبة للإمام الحجة عليه السلام، حيث قال فى حقّ ولده:

«السلام على محمد بن عبدالله بن جعفر الشاهد مكان أبيه» (١)

فلعلّ عذراً لم نعلمه منعه من الحضور.

ومما يربنا إلى موقفه الإيجابى ما ذكره الطبرى بإسناده عن عبد الرحمن

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٣٩٣

ابن عبيد أبى الكنود قال: «لما بلغ عبدالله بن جعفر بن أبى طالب مقتل ابنه مع الحسين دخل عليه بعض مواليه والناس يعزونه، قال- ولا- أظنّ مولاه ذلك إلا أبا اللسلاس- فقال: هذا ما لقينا ودخل علينا من الحسين، قال: فحذفه عبدالله بن جعفر بنعنه، ثم قال: يا بن اللخناء، أللحسين تقول هذا؟ والله لو شهدته لأحببت أن لا- أفارقه حتى أقتل معه، والله إنّه لمّا يسخى بنفسى عنهما ويهون علىّ المصاب بهما أنّهما أصيبا مع أخى وابن عمى مواسين له صابرين معه.

ثم أقبل على جلسائه فقال: الحمد لله عزّ وجلّ علىّ بمصرع الحسين إن لا يكن آست حسينا يدي فقد آساه ولدى» (١).

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٣٩٤

عودة بقيّة الركب الحسينى إلى المدينة المنورة ص : ٣٩٤

إشارة

إنّهم على مقربة من المدينة، مدينة جدّهم، ومهاجر أبيهم، ومأوى أمهم، مسقط رأسهم، وموطن أحبّتهم، ما أصعب الدخول إليها وهم على هذه الحالة..

لقد خرجوا مع الحسين عليه السلام واليوم رجعوا بلا حسين إلامن رايته الحمراء.

ومن الطبيعي أن تأخذ المسيرة منحى عاطفياً أكثر من أى شىء، فلقد عاش أهل المدينة مع الحسين وتعودوا عليه، ورأوا في وجوده وجود جدّه بعلمه وهيئته وخلقه وشجاعته وغيرته وبكل مكارم الأخلاق، واليوم يسمعون بوصول أهل بيته قرب موطنه، أهل بيت خرجوا معه ورجعوا وحدهم، ولكنهم يحملون رسالته.

ومن هذا المنطلق نرى أن المسيرة لم تكتف بالتزام الظاهر العاطفي فحسب، بل أنّها عنيت بالجانب المبدئي والمنهجي أكثر، واستمرت على ذلك في أشكال مختلفة، سواء كان ذلك على شكل إقامة العزاء والمآتم، أو استمرار البكاء، أو إلقاء الخطب أو بث الأدعية العالية المضامين أو غير ذلك. والغاية من كل ذلك هو تنوير الأفكار وإيقاظ المجتمع من السبات العميق الذي استولى على جميع أفرادها، ما خلا من تمسك بالقرآن والعترة.

نعم، إنّها لحظات صعبة..

يقول الشيخ ابن نما الحلّي - واصفاً تلك الحال -: ولما رجع صحب آل الرسول من السفر بعد طول الغيبة.. وقد خلفوا السبط مفترشاً للتراب بعيداً من الأحباب، بقره بهماء، وتنوفة شوهاء، لا سميّر لمناجيتها، ولا سفير لمفاجيتها، وأعينهم باكية ليتم البقية الزاكية، فأسفت ألا أكون رائد أقدامهم ورافد حذى

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٣٩٥

لموطى أقدامهم، وقلت هذه الأبيات بلسان قالى ولسان حالهم:

ولما وردنا ماء يثرب بعدما أسلنا على السبط الشهيد المدامعا
ومدت لما نلقاه من ألم الجوى رقاب المطايا واستكانت خواصعا
وجرع كأس الموت بالطف أنفساً كراماً وكانت للرسول ودايعا
وبدل سعد الشم من آل هاشم بنحس فكانوا كالبدور طوالعا
وقفنا على الأطلال نندب أهلها أسي وتبكي الخاليات البلاقعا «١»

ما قالته أم كلثوم ص : ٣٩٥

روى العلامة المجلسي عن بعض مؤلفات أصحابنا قال: وأمّا أمّ كلثوم فحين توجهت إلى المدينة جعلت تبكى وتقول:

مدينة جدنا لا تقبلينا فبالحسرات والأحزان جينا
ألا فإخبر رسول الله عنا بأننا قد فجعنا في أينا
وأنّ رجالنا بالطف صرعى بلا رؤوس وقد ذبحوا البينا
وأخبر جدنا أنا اسرنا وبعد الأسر يا جدّا سينا
ورهطك يار رسول الله أضحوا عرايا بالطفوف مسليينا
وقد ذبحوا الحسين ولم يراعوا جنابك يار رسول الله فينا
فلو نظرت عيونك للأسارى على أقتاب الجمال محمليينا
رسول الله بعد الصون صارت عيون الناس ناظرة إلينا
وكنّت تحوطنا حتى تولت عيونك ثارت الأعدا علينا

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٣٩٦

أفاطم لو نظرتِ إلى السبايا بناتك في البلاد مشتتينا
أفاطم لو نظرتِ إلى الحيارى ولو أبصرتِ زين العابدينا
أفاطم لو رأيتنا سهارى ومن سهر الليالى قد عمينا
أفاطم ما لقيتى من عداكى ولا قيراط ممّا قد لقينا
فلو دامت حياتك لم تزالى إلى يوم القيامة تندينا
وعزّج بالبقيع وقف وناذ أيا بن حبيب ربّ العالمينا
وقل يا عمّ يا حسن المزكى عيال أخيك أضحوا ضائعنا
أيا عمّاه إنّ أخاك أضحى بعيداً عنك بالزّمضا رهينا
بلا رأس تنوح عليه جهراً طيور والوحوش الموحشينا
ولو عاينت يا مولاي ساقوا حريماً لا يجدن لهم معينا
على متن النياق بلا وطاء وشاهدت العيال مكشّفينا
مدينة جدّنا لا تقبلينا فبالحسرات والأحزان جينا
خرجنا منك بالأهلين جمعاً رجعنا لا رجال ولا بنينا
وكنا في الخروج بجمع شمل رجعنا حاسرين مسلّينا
وكنا في أمان الله جهراً رجعنا بالقطيعة خائفينا
ومولانا الحسين لنا أنيس رجعنا والحسين به رهينا
فنحن الضائعات بلا كفيل ونحن النائحات على أخينا
ونحن السائرات على المطايا نشال على جمال المبغضينا
ونحن بنات يس وطه ونحن الباقيات على أيينا
ونحن الطاهرات بلا خفاء ونحن المخلصون المصطفونا
مع الركب الحسينى (ج ٦)، ص: ٣٩٧

ونحن الصابرات على البلايا ونحن الصادقون الناصحونا
ألا يا جدّنا قتلوا حسينا ولم يرعوا جناب الله فينا
ألا يا جدّنا بلغت عدانا منهاها واشتفى الأعداء فينا
لقد هتكوا النساء وحملوها على الأقتاب قهراً أجمعينا
وزينب أخرجوها من خباها وفاطم واله تبدى الأنينا
سكينه تشتكى من حرّ وجدّ تنادى الغوث ربّ العالمينا
وزين العابدين بقيد ذيل وراموا قتله أهل الخؤونا
فبعدهم على الدنيا تراب فكأس الموت فيها قد سقينا
وهذى قصّتى مع شرحى ألى يا سامعون ابكوا علينا «١»

المتتبع لمسيرة الركب الطاهر من كربلاء إلى الكوفة ومنها إلى الشام، يدرك أن الإمام عليه السلام كان هو المسيطر على الأوضاع وكان يخرق الاعلام المشوه ويقلب الأمر على الحكام ويبين الحقائق المستورة، فكان نهجه وسلوكه نهج الفعل والتأثير، لا الانفعال والتأثر.

ومن هذا المنطلق نفهم سرّ إيفاد الإمام عليه السلام بشير بن حذلم الشاعر إلى المدينة، فلقد تمكن - بصفته رسول الإمام عليه السلام، وبكونه شاعراً قوياً ومؤثراً عاطفياً، - من التأثير في المجتمع حتى كاد أن يقلب الوضع في المدينة، بحيث تحرّك أهل المدينة - بما فيها من الرجال والنساء والكبار والصغار - إلى خارجها لاستقبال آل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله، واستثمر الإمام عليه السلام هذه الفرصة وألقى عليهم

معالركب الحسينى (ج ٦)، ص: ٣٩٨

كلمته التي سوف ترى مدى تأثيرها بعد ذلك.

قال السيد ابن طاووس: «قال بشير بن حذلم: فلما قربنا منها - أي المدينة - نزل على بن الحسين عليهما السلام، فحط رحله، وضرب فسطاطه، وأنزل نساءه، وقال:

يا بشير، رحم الله أبائك، لقد كان شاعراً، فهل تقدر على شيء منه؟ قلت: بلى يا بن رسول الله، إننى لشاعر، قال: فادخل المدينة وأنع أبا عبد الله عليه السلام.

قال بشير: فركبتُ فرسى وركضت حتى دخلت المدينة «١».

وقال: فلما بلغت مسجد النبي صلى الله عليه وآله رفعت صوتي بالبكاء، وأنشأت أقول:

يا أهل يثرب لا مقام لكم بها قتل الحسين فأدمع مدراؤ

الجسم منه بكربلاء مضرّج والرأس منه على القنأه يُدار

قال: ثم قلت: هذا على بن الحسين مع عمّاته وأخواته قد حلّوا بساحتكم ونزلوا بفنائكم، وأنا رسوله إليكم أعرفكم مكانه «٢».

الفصل الثالث ص : ٣٩٨

حال المدينة بعد علم أهلها بمصرع الإمام عليه السلام ص : ٣٩٨

وروى السيد ابن طاووس عن بشير بن حذلم أنه قال: «وسمعت جارية تنوح على الحسين عليه السلام وتقول:

نعى سيدى ناع نعا فأوجعا فأمرضنى ناع نعا فأفجعا

أعينى جودا بالمدماع واسكبا وجودا بدمع بعد دمعكما معا

على من دهى عرش الجليل فزعزعا وأصبح أنف الدين والمجد أجدعا

على ابن نبي الله وابن وصيه وإن كان عنا شاحط الدار أشسعا

ثم قالت: أيها الناعى جدّدت حزننا بأبى عبد الله عليه السلام، وخذشت منّا قروحاً لما تندمل، فمن أنت يرحمك الله؟

قلت: أنا بشير بن حذلم، وجهنى مولاى على بن الحسين، وهو نازل موضع كذا وكذا مع عيال أبى عبد الله الحسين عليه السلام ونسائه «١».

وروى السيد ابن طاووس عن بشير بن حذلم أيضاً أنه قال: «فما بقيت في المدينة مخدرة ولا محجبة إلّا برزن من خدورهن، مكشوفة شعورهن، مخمشة وجوههن، ضاربات خدودهن، يدعون بالويل والثبور، فلم أرَ باكياً أكثر من ذلك اليوم، ولا يوماً أمر على المسلمين

منه بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله «٢».

وقال ابن نما: «فلم يبق في المدينة مخدرة ولا محجبة إلا برزت وهن بين باكية ونائحة ولاطمه، فلم ير يوم أمر على أهل المدينة منه» (٣).

وقال في أخبار الزينات: «حدثني إبراهيم بن محمد الحريري، قال: حدثني عبد الصمد بن حسان السعدي، عن سفيان الثوري، عن جعفر بن محمد الصادق، عن أبيه، عن الحسن بن الحسن قال: لما حملنا إلى يزيد وكنا بضعة عشر نفساً أمر أن نسير إلى المدينة، فوصلناها في مستهل.. «٤» وعلى المدينة عمرو بن سعيد الأشدق... «٥»، فجاء عبد الملك بن الحارث السهمي فأخبره بقدمنا، فأمر أن ينادى في أسواق المدينة ألا- إن زين العابدين وبنى عمومته وعمّاته قد قدموا إليكم، فبرزت الرجال والنساء والصبيان صارخات باقيات، وخرجت نساء

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٤٠٠

بنى هاشم حاسرات تنادى واحسيناه واحسيناه، فأقمنا ثلاثة أيام بلياليها ونساء بنى هاشم وأهل المدينة مجتمعون حولنا» (١).

استقبال الناس بقبّة العترة الطاهرة ص : ٤٠٠

قال ابن نما: «وخرج الناس إلى لقاءه (علي بن الحسين عليه السلام)، وأخذوا المواضع والطرق» (٢). قال السيد ابن طاووس: «قال بشير بن حذلم: فتركوني مكاني وبادروا، فضربت فرسي حتى رجعت إليهم، فوجدت الناس قد أخذوا الطرق والمواضع، فنزلت عن فرسي، وتخطيت رقاب الناس، حتى قربت من باب الفسطاط» (٣). وهذا التوصيف يكشف عن مدى زحام الناس حول الإمام عليه السلام، بحيث لم يجد بشير بُدّاً إلا أن يتخطى رقاب الناس، ويوصل نفسه قرب باب الفسطاط.

خطبة الإمام زين العابدين عليه السلام ص : ٤٠٠

روى السيد ابن طاووس عن بشير: «وكان علي بن الحسين عليهما السلام داخلًا، فخرج ومعه خرقة يمسح بها دموعه، وخلفه خادم معه كرسي، فوضعه له، وجلس عليه، وهو لا يتمالك من العبرة، فارتفعت أصوات الناس بالبكاء وحنين الجوارى والنساء، والناس من كل ناحية يعزّونه، فضجت تلك البقعة ضجة شديدة، فأوماً بيده أن اسكتوا، فسكنت فورتهم، فقال عليه السلام: «٤»

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٤٠١

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، باري الخلائق أجمعين، الذي بُعد فارتفع في السماوات العلى، وقرب فشهد النجوى، نحمده على عظام الامور، وفجائع الدهور، وألم الفواجع، ومضاضة اللوازع، وجيل الرزء، وعظيم المصائب الفاضحة الكاظة الفادحة الجائحة.

أيها القوم، إن الله تعالى وله الحمد ابتلانا بمصائب جليّة، وثلمة في الإسلام عظيمة، قُتل أبو عبد الله عليه السلام وعترته، وسبى نسائه وصبيته، وداروا برأسه في البلدان من فوق عامل السنان، وهذه الرزية التي لا مثلها رزية.

أيها الناس، فأى رجالات منكم يسرون بعد قتله؟! أم أيّة عين منكم تحبس دموعها وتضنّ عن انهما لها؟!!

فلقد بكت السبع الشداد لقتله، وبكت البحار بأمواجها، والسماوات بأركانها، والأرض بأرجائها، والأشجار بأغصانها، والحيتان في لجج البحار، والملائكة المقرّبون، وأهل السماوات أجمعون.

أيها الناس، أي قلب لا ينصدع لقتله؟! أم أي فؤاد لا يحن إليه؟! أم أي سمع يسمع هذه التلمة التي ثلمت في الإسلام ولا يصم؟! أيها الناس، أصبحنا مطرودين مشردين مذمومين شاسعين عن الأمصار، كأننا أولاد ترك أو كابل، من غير جرم اجترمانه، ولا مكروه ارتكبه، ولا تلمة في الإسلام تلمناها، ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين، إن هذا إلاً اختلاق. والله، لو أن النبي صلى الله عليه وآله تقدم إليهم في قتالنا كما تقدم إليهم في الوصاية مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٤٠٢

بنا لما زادوا على ما فعلوا بنا، فإننا لله وإننا إليه راجعون، من مصيبه ما أعظمها وأوجعها وأفجعها وأكظها وأفزعها وأمرها وأفدحها، فعند الله نحتسب فيما أصابنا وأبلغ بنا، إنه عزيز ذو انتقام» (١).
ثم قام - عليه السلام - ومشى إلى المدينة ليدخلها.. (٢).

تأمل وملاحظات ص : ٤٠٢

إن هذا الخطاب مع قصره يحتوي على أمور مهمّة، نذكر بعضها:

- ١- التركيز على حمد الله وثنائه المستمر وعلى كل حال وفي كل الظروف.
- ٢- بيان ما وقع في عالم الكون، وأنّ العوالم بما فيها من البحار والسموات والأرض والأشجار والحيتان والملائكة وأهل السماوات... بكت على الحسين وأنّ ما حدث مصيبه ما أعظمها وأوجعها وأفجعها وأفزعها وأمرها وأفدحها ..
- ٣- بيان عمق ما ارتكبه من الفاجعة، بحيث لم يمكن أن يقع أبشع منها، وأنه لم يعهد في التاريخ، حتى لو أن النبي صلى الله عليه وآله كان أوصاهم بذلك - فرضاً - لما زادوا على ما فعلوا بهم، وإليه يشير العلامة الآية السيّد مهدي بحر العلوم في قوله: لو أنّهم أمروا بالبغض ما صنعوا فوق الذي صنعوا لو جدّ جدّهم (٣)
- ٤- إيقاظ الناس وتوجيههم على ذلك بلزوم اتّخاذ الموقف، في قوله عليه السلام: أي قلب لا ينصدع لقتله؟! أم أي فؤاد لا يحن إليه؟! أم أي سمع يسمع هذه التلمة التي ثلمت في الإسلام ولا يصم؟! مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٤٠٣

في المدينة المنورة ص : ٤٠٣

حالة أهل البيت عليهم السلام حين دخولهم المدينة ص : ٤٠٣

قال الشيخ ابن نما الحلّي يصف الحالة: ثم دخل زين العابدين عليه السلام وجماعته دار الرسول صلى الله عليه وآله فرآها مقفرة الطلول، خالية من سكّانها، خالية بأحزانها، قد غشيها القدر النازل، وساورها الخطب الهائل، وأطلت عليها عذابات المنايا، وأظلتها جحافل الرزايا، وهي موحشة العرصات، لفقد السادات ...
وقفت على دار النبي محمّد فألفيتها قد أقفرت عرصاتها وأمسّت خلاء من تلاوة قارئٍ وعطل منها صومها وصلاتها وكانت ملاذاً للعلوم وجنّة من الخطب يغشى المعتمقين صلاتها فأقوت من السادات من آل هاشم ولم يجتمع بعد الحسين شتاتها

فيعنى لقتل السبط عبرى ولوعتى على فقده ما تنقضى زفرتها

فيا كبدي كم تصبرين على الأذى أما آن أن يغنى إذن حسراتها «١»

وقال السيد محمد بن أبى طالب الكركى: «ولما شاهد عليه السلام منازل أحبائه التى كانت مشارق أنوار الإيمان ومظاهر أسرار القرآن ومواطن مصايح العرفان ومعادن مجاويح الإحسان تندب بلسان حالها وتنحب لفقد رجالها وتذرف عبراتها من مآقيها وتصاعد زفرتها من تراقبها، وتنادى بصوت يبنى عن شدة لوعتها، ويخبر بحدّة كربتها، ويستخبر كل ركب وراجل، وينشد كل ظاعن ونازل:

أين من كانوا شمسى وبدورى أين من كانوا جمالى وسورى

أين من كانوا حماى ورعاتى وهداتى حين تعينى أمورى ... «١»

مذناوا بالبعد عن إنسان عيني كثر الشامت إذ قل نصيرى يا عيونى إن تكن عزّت دموعى فاذرفى بالدم من قلب كسير

نادى مجالس كراماتهم ومدارس تلاواتهم ومقامات عباداتهم ومحارب صلواتهم، أين من كتب رياض الكرم بجودهم وحماة الامم بوجودهم؟ أين عمّارك بركوعهم وسجودهم وقوامك فى طاعة معبودهم؟ أين من كانت حدائق أنعمهم فى فنائك مغدقة، وجداول كرمهم فى خلالك متدققة، وأعلام علومهم منصوبة، وأروقة شرفهم مضروبة؟ كم أضاءوا بمصايح نفقاتهم ظلمتك؟ وكم آنسوا بنغمات تلاوتهم وحشتك؟ وكم أحيوا بصلاتهم ليلك ونهارك؟ وكم أناروا بنور تهجدهم حنادس أسحارك؟

فأجابته صداها بلسان حالها وأخبره فناؤها بتنكر أحوالها: رحلوا عن تقنعي فسكنوا فى بيت الأحزان قلبى، ونأوا عن ربوعى، فأطالوا لطول نواهم كرى، فأه فياشوقاه لمواطى أقدامهم على صعيدى، آه وا أسفاه لانتقال أقمار وجوههم عن منازل سعودى، خابنى زمانى بإبعادهم عنى، فأصبح باب سرورى مرتجى، وعاندنى دهرى إذ أسلبهم منى، فليس لى بعدهم فى الخلق مرتجى، فيا كلم قلبى ذب أسفاً فما لك ماوى فى رميم عظامى، ويا سقيم جسمى مت كمداً قبل تقضى مدتى وأيامى...

وشاهد صلوات الله عليه منازل أحبائه مظلمة لوحشتها، مقفرة لخلوتها،

معالركب الحسينى (ج ٦)، ص: ٤٠٥

فكأنى بلسان حاله قد ناجها، وبيان مقاله نادها: يا أيتها المنازل التى غابت عنها حماتها، وغيّرت صفاتها، وحلت مرابعها، وأقوت مجامعها، حزنى لفقد عمّارك سرمد، ووجدى لبعده سمائك لا ينفد، وأنباء مصيبتهم ترسل عبراتى، وأحاديث محتتهم تهيج حسراتى، وديارهم الخالية تحرق قلبى، وربوعهم الخاوية تذهل لى، وكيف لا يقدح زند الفراق نار الاشتياق فى جوانحى وأحشائى، ويفرغ فرط الغرام ثوب السقام على جوارحى وأعضائى... «١».

حالة المدينة بعد دخول حرم الحسين عليه السلام ص : ٤٠٥

إشارة

قال الخوارزمى: «قالوا: ولما دخل حرم الحسين عليه السلام المدينة عجت نساء بنى هاشم، وصارت المدينة صيحة واحدة..» «٢».

وقال ابن قتيل النيسابورى: «.. حتى دخلوا المدينة، فلم يسمع واعية مثل واعية بنى هاشم فى دورهم على الحسين بن على عليهما السلام» «٣».

رثاء امرأة من بنات عبد المطلب ص : ٤٠٥

روى ابن الجوزى بإسناده عن عمّار الدهنى، عن أبى جعفر قال: [لما] قدموا المدينة خرجت امرأة من بنات عبد المطلب ناشرة شعرها واضعة كعها على رأسها تلقاهم وتقول:

ماذا تقولون إن قال النبي لكم ماذا فعلتم وأنتم آخر الامم

معالركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٤٠٦

بعترتي وبأهلي بعد مفتقدى منهم أسارى وقتلى ضرّجوا بدم

ما كان هذا جزائي إذ نصحت لكم أن تخلفوني بسوءٍ في ذوى رحمي «١»

عند مسجد الرسول صلى الله عليه وآله ص : ٤٠٦

قال العلامة المجلسي رحمه الله: «روى في بعض مؤلفات أصحابنا: قال الراوى:

«وأما زينب فأخذت بعضادتي باب المسجد، ونادت "يا جدّاه، إنّي ناعية إليك أخى الحسين،" وهى مع ذلك لا تجفّ لها عبرة، ولا

تفتقر من البكاء والنحيب، وكلّما نظرت إلى على بن الحسين تجدد حزنها، وزاد وجدها» «٢».

لبس السواد وإقامة المأتم ص : ٤٠٦

روى البرقى بإسناده عن عمر بن على بن الحسين، قال: «لمّا قتل الحسين بن على عليه السلام لبس نساء بنى هاشم السواد والمسوح،

وكنّ لا يشتكين من حرّ ولا برد، وكان على بن الحسين يعمل لهنّ الطعام للمأتم» «٣».

مكافأة الحرس ص : ٤٠٦

لقد شكرت العلويات كلّ الذين قاموا برعايتهنّ من الشام حتّى المدينة، قال الشبلنجي: «وكان [الرجل الحارس] يسألهم عن حالهم

ويتلطف بهم فى جميع

معالركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٤٠٧

أمورهم، ولا يشقّ عليهم فى مسيرهم إلى أن دخلوا المدينة، فقالت فاطمة بنت الحسين لأختها سكينه: قد أحسن هذا الرجل إلينا، فهل

لك أن تصليه بشيء؟

فقلت: والله ما معنا ما نصله به إلّما كان من هذا الحلّى، قالت: فافعلّى، فأخرجنا له سوارين ودملجين وبعثا بهما إليه فردّهما، وقال: لو

كان الذى صنّعه رغبةً فى الدّنيا لكان فى هذا مقنع بزيادة كثيرة، ولكنّى والله ما فعلته إلّالله، ولقرابتكم من رسول الله صلى الله عليه و

سلم» «١».

ولقد ذكرنا فيما سبق فى مبحث «حسن المعاملة فى الطريق» ما يدلّ على ذلك، إلّا أنّ الكلام جرى بين فاطمة بنت على واختها زينب

سلام الله عليهما، وأنّ التى أرسلت السوار والدملج إلى ذلك الرجل هى زينب عليها السلام، وهو الأنسب «٢».

ولكن الإمام زين العابدين عليه السلام كافأ بعضهم بأحسن ما يمكن وفوق ما يتصوّر.

روى الطبرى الإمامي بإسناده عن أبى نمير على بن يزيد، قال: «كنت مع على بن الحسين عليه السلام عندما انصرف من الشام إلى

المدينة، فكنت أحسن إلى نسائه وأتوارى عنهم عند قضاء حوائجهم، فلمّا نزلوا المدينة بعثوا إلىّ بشيء من حلّيتهن فلم آخذه، وقلت:

فعلت هذا لله عزّ وجلّ (ولرسوله خ) فأخذ على بن الحسين عليه السلام حجراً أسود أصمّاً، فطبعه بخاتمه، ثمّ قال: خذه وسلّ كلّ حاجه

لك منه، فوالله الذى بعث محمّداً بالحقّ لقد كنت أسأله الضوء فى البيت فينسرج فى الظلماء، وأضعه على الأقفال فتفتح لى، وآخذه

بين يدي السلاطين فلا أرى إلّما أحبّ» «٣».

معالركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٤٠٨

هدم بيوت تتعلّق بأسرة الحسين عليه السلام ص : ٤٠٨

ومما يكشف القناع عن سياسة القمع الأموي ما ارتكبه من هدم لبعض البيوت التي تتعلق بأسرة أبي عبد الله عليه السلام، وهذا هو تأييد آخر لما ذكرناه مراراً.

قال القاضي نعمان: «وروى عن جعفر بن محمد عليه السلام أنه قال:

أُصيب الحسين عليه السلام وعليه دين بضع وسبعون ألف دينار.

قال: وكفَّ يزيد عن أموال الحسين عليه السلام، غير أن سعيد بن العاص هدم دار علي بن أبي طالب، ودار عقيل ودار الرباب بنت امرئ القيس وكانت تحت الحسين، وهي أمّ سكينه» (١).

وهذا هو تأييد آخر لما هو مسلم في التاريخ، ورّكنا عليه وأكّده مراراً وقلنا إن ما هو يظهر من بعض الكتب من إظهار يزيد الحزن على ما وقع لم يكن إلا كذباً ونفاقاً وزوراً، وإلا فلماذا هذا الفعل الشنيع؟

لاحظوا ما قيل من طلب يزيد من الإمام عليه السلام أن يكتب إليه كتاباً إذا اضطرّ إلى أمر! ثم يفعل بهم هذا!

إقامة العزاء على الحسين عليه السلام ص : ٤٠٨

روى القاضي نعمان عن الإمام جعفر بن محمد عليه السلام أنه قال:

«نيح على الحسين بن علي سنة كاملة كل يوم وليله، وثلاث سنين من اليوم الذي أُصيب فيه، وكان المشور بن مخرمه وأبو هريرة وتلك المشيخة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله يأتون مستترين ومقتنعين، فيسمعون ويبكون» (٢).

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٤٠٩

وهذا الخبر يدل على مدى حزن الهاشميين واهتمامهم بعزاء سيد الشهداء عليه السلام، بحيث حزنوا كأشد ما يكون الحزن واللوعة، واستمروا على ذلك، إبقاءً لذكر أبي عبد الله عليه السلام واستمراراً لنهجه.

نوح الجن ص : ٤٠٩

قال الزرندی: روى جعفر بن محمد عن أبيه عليهما السلام قال: نيح (على) الحسين بن علي ثلاث سنين، وفي اليوم الذي قتل فيه، فكان وائله بن الأصقع ومروان بن الحكم ومسور بن مخرمه وتلك المشيخة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله يجيئون متقتنعين فيسمعون نوح الجن ويبكون» (١).

رثاء أم البنين ص : ٤٠٩

روى عن صاحب رياض الأحران أنه قال: «وأقامت أم البنين زوجه أمير المؤمنين العزاء على الحسين عليه السلام، واجتمع عندها نساء بنى هاشم يندبن الحسين وأهل بيته» (٢).

وقال المامقاني: «ويستفاد قوة إيمانها.. أن بشرأ كلمأ نعي إليها بعد وروده المدينة أحداً من أولادها الأربعة قالت ما معناه أخبرني عن الحسين عليه السلام، فلما نعي إليها الأربعة قالت: قد قطعت أنياط قلبي، أولادى ومن تحت الخضراء كلهم فداءً لأبي عبد الله الحسين عليه السلام» (٣).

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٤١٠

قال أبو الفرج الإصفهاني: «وكانت أم البنين.. تخرج إلى البقيع فتندب بنيتها أشجى ندبة وأحرقها، فيجتمع الناس إليها يسمعون منها، فكان مروان يجيء فيمن يجيء لذلك، فلا يزال يسمع ندبتها ويبكى!

ذكر ذلك علي بن محمد بن حمزة، عن النوفلي، عن حماد بن عيسى الجهني، عن معاوية بن عمارة، عن جعفر بن محمد «١». وقال أبو الحسن الأخفش في شرح الكامل: «وقد كانت تخرج إلى البقيع كل يوم ترثيه، تحمل ولده (أى ولد العباس عليه السلام) عبيدالله، فيجتمع لسماع رثائها أهل المدينة وفيهم مروان بن الحكم، فيكون لشجي الندبة. ومن قولها رضى الله عنها:

يا من رأى العباس كز على جماهير النقد ووراه من أبناء حيدر كل ليث ذى لبد
أنبت أن ابني أصيب برأسه مقطوع يد ويلي على شبلى أمال برأسه ضرب العمد
لو كان سيفك فى يديك لما دنا منك أحد
وقولها أيضاً:

لا تدعوتى ويك أم البنين تذكرينى بليوث العرين
كانت بنون لى ادعى بهم قد وصلوا الموت بقطع الوتين
تنازع الخرصان أشلاءهم فكلهم أمسى صريعاً طعين
باليث شعري أكما أخبروا بأن عباساً قطع اليمين» «٢»

حزن وبكاء الرباب بنت امرئ القيس ورثاؤها ص : ٤١٠

لقد حزنت الرباب زوجة الإمام الحسين عليه السلام حزناً بالغاً، ووجدت عليه وجداً شديداً، وقد أبدت من الوفاء شيئاً غريباً. قال ابن الأثير: «وكان مع الحسين امرأته الرباب بنت امرئ القيس، وهى أم ابنته سكينه، وحملت إلى الشام فيمن حمل من أهله، ثم عادت إلى المدينة، فخطبها الأشراف من قريش، فقالت: ما كنت لأتخذ حمواً بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبقيت بعده سنة لم يظللها سقف بيت حتى بليت وماتت كمداً» «١».

وقال ابن كثير: «ولما قتل (الحسين عليه السلام) بكرباء كانت (رباب) معه، فوجدت عليه وجداً شديداً.. وقد خطبها بعده خلق كثير من أشراف قريش، فقالت: ما كنت لأتخذ حمواً بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ووالله لا يؤوينى ورجلاً بعد الحسين سقف أبداً، ولم تزل عليه كمدة حتى ماتت. ويقال إنها عاشت بعده أياماً يسيرة، فالله أعلم» «٢».

وما ذكر من إقامتها على قبر أبى عبد الله الحسين عليه السلام سنة، ثم رجوعها إلى المدينة قائلة:

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولاً كاملاً فقد اعتذر «٣»

مما لا يمكننا المساعدة عليه، وهو بعيد جداً، والمستفاد من البيت البكاء

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٤١٢

على الحسين عليه السلام سنة لا البقاء على قبره الشريف، ولذلك ذكر بعض المؤرخين ذلك بقوله «قيل» الدال على ضعفه «١».

نعم، قال سبط ابن الجوزي: «وعاشت بعد الحسين سنة، ثم ماتت كمداً، ولم تستظل بعد الحسين بسقف» «٢».

وبذلك يستظهر أنها قالت ذلك البيت فى آخر أيام حياتها، ولعلها أنشدته حينما رأت بوادى الموت وعلمت بفراق الروح من الجسم، وإلا فمن شأنها أن تكون على هذه الحالة إلى آخر أيام حياتها ولو طالت.

وذكر بعض المؤرخين أنها رثته رثاءً حزيناً فقالت فيه:

إن الذى كان نوراً يستضاء به بكرباء قتيل غير مدفون

سبط النبى جزاك الله صالحه عنا وحييت خير الموازين

قد كنت جبلاً صعباً ألوذ به وكنت تصحبنا بالرحم والدين

من لليتامي ومن للسائلين ومن يغني ويأوى إليه كل مسكين
والله لا أبتغي صهراً بصهركم حتى أعقب بين الرمل والطين» (٣)

رثاء عاتكة بنت زيد ص : ٤١٢

قيل: إنه بلغ من وفاء أزواج الإمام الحسين عليه السلام أن زوجته السيدة عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل كانت تنوح عليه، وقد رثته بدوب روحها قائلة:

واحسيناً فلا نسيتُ حسينا أقصدته أسنة الأعداء

غادروه بكربلاء صريعاً لا سقى الغيث بعده كربلاء (٤)

هذا، ولكن نسبت هذه الأبيات - مع تفاوتٍ يسير - إلى رباب زوجة الإمام الحسين، وأنها رثت بها الحسين عليه السلام في الشام بعدما أخذت رأسه وقبلته ووضعت في حجرها وقالتها (١).

أم سلمة ترد الأمانات إلى أهلها ص : ٤١٢

روى الشيخ الكليني أيضاً بإسناده عن أبي بكر الحضرمي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن الحسين صلوات الله عليه لما صار إلى العراق استودع أم سلمة رضي الله عنها الكتب والوصية، فلما رجع علي بن الحسين عليه السلام دفعها إليه» (٢).

ونحوه ما ذكره المسعودي بقوله: «ثم أحضر (أي الإمام الحسين عليه السلام) علي بن الحسين عليه السلام وكان علياً، فأوصى إليه بالاسم الأعظم وموارث الأنبياء عليهم السلام وعرفه أن قد دفع العلوم والصحف والسلاح إلى أم سلمة رضي الله عنها، وأمرها أن تدفع جميع ذلك إليه» (٣).

وقال أيضاً: «فلما قرب استشهاد أبي عبد الله عليه السلام دعاه (أي علي بن الحسين عليه السلام)، وأوصى إليه، وأمره أن يتسلم ما خلفه عند أم سلمة - رحمها الله - مع موارث الأنبياء والسلاح والكتاب» (٤).

وهذا أيضاً مما يدل على مدى جلاله وعظمته أم سلمة رضوان الله عليها، بحيث إنها كانت مؤتمنة عند الرسول وآله إلى آخر أيام حياتها، والأشياء التي حفظتها هي الأشياء التي لا بد أن تكون عند حجة الله في الأرض في كل زمان.

ومما يظهر أهميته ذلك ما رواه الفقيه ابن حمزة الطوسي عن أبي خالد الكابلي أنه

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٤١٤

قال: «لما قُتل أبو عبد الله الحسين صلوات الله عليه، وبقيت الشيعة متحيرة، ولزم علي بن الحسين صلوات الله عليهما منزله، اختلفت الشيعة إلى الحسن بن الحسن، وكنت فيمن يختلف إليه، وجعلت الشيعة تسأله عن مسأله ولا- يجب فيها، وبقيت لا أدري من الإمام متحيراً، وإنني سألته ذات يوم فقلت له: جعلت فداك، عندك سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله؟

فغضب، ثم قال: يا معشر الشيعة، تعنوننا (تعيوننا خ)؟!

فخرجت من عنده حزينا كثيراً لا أدري أين أتوجه، فمررت بباب علي بن الحسين زين العابدين عليه الصلاة والسلام قائم الظهر، فإذا أنا به في دهليزه قد فتح بابه، فنظر إلي فقال: «يا كنكر»، فقلت: جعلت فداك، والله إن هذا الاسم ما عرفه أحد إلا الله عز وجل وأنا، وأمّي كانت تلقيني به وتناديني وأنا صغير.

قال: فقال لي: كنت عند الحسن بن الحسن؟ قلت: نعم.

قال: إن شئت حدثتك، وإن شئت تحدثني؟

فقلت: بأبي أنت وأمّي فحدثني، قال: سألته عن سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: يا معشر الشيعة، تعنوننا؟ فقلت: جعلت

فداك، كذا والله كانت القضية، فقال للجارية: ابعتي إلي بالسفت، فأخرجت إلي سفتاً مختوماً، ففصّ خاتمه وفتحته، ثم قال: هذه درع رسول الله صلى الله عليه وآله، ثم أخذها ولبسها، فإذا هي إلى نصف ساقه، قال: فقال لها: اسبغي، فإذا هي تنجرّ في الأرض، ثم قال: تقلّصي، فرجعت إلى حالها، ثم قال صلوات الله عليه: إن رسول الله صلى الله عليه وآله إذا لبسها قال لها هكذا، وفعلت هكذا مثله» (١)

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٤١٥

فاطمة بنت الحسين عليه السلام تردّ الأمانات إلى أهلها ص : ٤١٥

روى الشيخ الكليني رحمه الله بإسناده عن أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إنّ الحسين بن عليّ عليهما السلام لما حضره الذي حضره دعا ابنته الكبرى فاطمة بنت الحسين عليه السلام، فدفعت إليها كتاباً ملفوفاً ووصيته ظاهرة، وكان عليّ بن الحسين عليهما السلام مبطوناً معهم لا يرون إلّا أنّه لما به، فدفعت فاطمة الكتاب إلى عليّ بن الحسين عليه السلام، ثم صار والله ذلك الكتاب إلينا يا زياد. قال: قلت: ما في ذلك الكتاب جعلني الله فداك؟ قال:

فيه والله ما يحتاج إليه ولد آدم منذ خلق الله آدم إلى أن تفتي الدنيا، والله إنّ فيه الحدود، حتّى أن فيه أورش الخدش» (١).
ويبدو أنّ هذه غير الأمانات التي قامت بردّها أم سلمة، فيظهر أنّ الإمام عليه السلام قسّم الأمانات والوصية وبعض الموارث إلى قسمين، فجعل بعضها بيد ابنته فاطمة، والآخر بيد أم سلمة، لكي يسلمهما من بعده إلى حجة الله في أرضه. هذا وعقولنا قاصرة عن إدراك ذلك تفصيلاً.

استمرار بكاء وحزن الإمام زين العابدين عليه السلام ص : ٤١٥

روى الشيخ الصدوق عن أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام أنّه قال: «البكاءون خمسة: آدم، ويعقوب، ويوسف، وفاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله، وعليّ بن الحسين عليهما السلام، فأما آدم فبكي على الجنة حتّى صار في خديه أمثال الأودية، وأما يعقوب فبكي على يوسف حتّى ذهب بصره، وحتّى قيل له: «عز وجل الحمد لله عز وجل ف الله أكبر الحمد لله عز وجل مقدمه كر يو صدق الله العظيم ف صلى الله عليه وآله وسلم الله أكبر عز وجل كون صلى الله عليه وآله وسلم رض الحمد لله

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٤١٦

او عز وجل كون من اله الحمد لله لكين» (١)

، وأما يوسف فبكي على يعقوب حتّى تأذى به أهل السجن، فقالوا: إمّا أن تبكي بالنهار وتسكت بالليل، وإمّا أن تبكي بالليل وتسكت بالنهار، فصالحهم على واحد منهما، وأما فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله فبكت على رسول الله صلى الله عليه وآله حتّى تأذى بها أهل المدينة، وقالوا لها: قد آذيتنا بكثرة بكائك، فكانت تخرج إلى مقابر الشهداء، فبكي حتّى تفضى حاجتها ثم تنصرف، وأما عليّ بن الحسين فبكي على الحسين عليهما السلام عشرين سنة أو أربعين سنة، وما وضع بين يديه طعام إلّا بكى، حتّى قال له مولى له: جعلت فداك يابن رسول الله، إنّي أخاف عليك أن تكون من الهالكين، قال: إنّما أشكو بثّي وحزني إلى الله، وأعلم من الله ما لا تعلمون، إنّي لم أذكر مصرع بنى فاطمة إلّا خنقتني لذلك عبّرة» (٢)

وقال ابن نما: «فقد رويت عن والدي رحمه الله عليه أنّ زين العابدين عليه السلام كان - مع حلمه الذي لا توصف به الرواسي وصبره الذي لا يبلغه الخلل المواسي - شديد الجزع والشكوى لهذه المصيبة والبلوى، بكى أربعين سنة بدمع مسفوح وقلب مقروح، يقطع نهاره

بصيامه وليله بقيامه، فإذا أحضر الطعام لإفطاره ذكر قتلاه وقال: واكرباه، ويكرّر ذلك ويقول: قتل ابن رسول الله جائعاً، قتل ابن رسول الله عطشاً حتى يبيل [بالدمع] ثيابه» (٣).

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٤١٧

وقال: «قال أبو حمزة الثمالي: سُئل عليه السلام عن كثرة بكائه، فقال:

إن يعقوب فقد سبطاً من أولاده فبكي عليه حتى ابيضت عيناه وابنه حتى في الدنيا ولم يعلم أنه مات، وقد نظرت إلى أبي وسبعة عشر من أهل بيتي قُتلوا في ساعة واحدة، فترون حزنهم يذهب من قلبي؟!» (١)

وقال السيد ابن طاووس: «فاسلك أيها السامع بهذا المصاب مسلك القدوة من حملة الكتاب، فقد روى عن مولانا زين العابدين عليه السلام - وهو ذو الحلم الذي لا يبلغ الوصف إليه - أنه كان كثير البكاء لتلك البلوى، عظيم البث والشكوى، فروى عن الصادق عليه السلام أنه قال: إن زين العابدين عليه السلام بكى على أبيه أربعين سنة، صائماً نهاره، قائماً ليله، فإذا حضره الإفطار جاء غلامه بطعامه وشرابه فيضعه بين يديه، فيقول: كُلْ يا مولاى، فيقول: قُتل ابن رسول الله جائعاً، قُتل ابن رسول الله عطشاً، فلا يزال يكرّر ذلك ويبكى حتى يبيل طعامه من دموعه، ويمتزج شرابه منها، فلم يزل كذلك حتى لحق بالله عز وجل» (٢).

وروى الخوارزمي بإسناده عن حنان بن سدير عن أبيه عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام قال:

«كان أبي علي بن الحسين عليه السلام إذا حضرت الصلاة يقشعر جلده ويصفر لونه وترتعد فرائصه، ويقف شعره ويقول ودموعه تجرى على خدي: لو علم العبد من يناجى ما انفتل.

وبرز يوماً إلى الصحراء، فتبعه مولى له، فوجده قد سجد

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٤١٨

على حجارة خشنة، قال مولاة: فوقفت حيث أسمع شهيقه وبكائه، فوالله لقد أحصيت عليه ألف مرّة وهو يقول: لا إله إلا الله حقاً حقاً، لا إله إلا الله تعبداً ورقاً، لا إله إلا الله إيماناً وصدقاً، ثم رفع رأسه من سجوده وإنّ لحيته ووجهه قد غمرا بالماء من دموع عينيه، فقال له مولاة: يا سيدي، أما آن لحزنك أن ينقضى، ولبكائك أن يقل؟ فقال له: ويحك، إن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم كان نبياً ابن نبي وله اثنا عشر ابناً، فغيّب الله تعالى واحداً منهم، فشاب رأسه من الحزن، واحدودب ظهره من الغم، وذهب بصره من البكاء وابنه حتى في دار الدنيا، وأنا رأيت أبي وأخي وسبعة وعشرين «١» من أهل بيتي صرعى مقتولين، فكيف ينقضى حزني ويقل بكائي» (٢).

وقال الأربلي: وعن جعفر بن محمد عليهما السلام قال:

«سئل علي بن الحسين عن كثرة بكائه، قال: لا تلو مني، فإن يعقوب قد سبطاً من ولده فبكي حتى ابيضت عيناه ولم يعلم أنه مات، وقد نظرت إلى أربعة عشر رجلاً من أهل بيتي في غداة واحدة قتلى، فترون حزنهم يذهب من قلبي؟» (٣).

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٤١٩

دور الإمام زين العابدين عليه السلام في استمرار الرسالة ص: ٤١٩

إن الإمام عليه السلام قد أدى في دوره بأحسن ما يمكن بالنسبة إلى استمرار الرسالة الحسينية وتثبيت دعائمها وثمرتها وتربية النفوس عليها، وذلك بعدة أمور:

١- تثبيت أمر الإمامة: إن السلطة الغاشمة والزمرة الحاكمة أرادت وأحبت أن ترى انخامد كل شيء بعد مقتل أبي عبد الله الحسين عليه السلام، ولكن الإمام عليه السلام بدوره أثبت أن الإمامة أمرٌ خارج عن نطاق إرادة البشر، وأنها أمر إلهي يلازمها لطف رباني وعناية ربانية مخصوصة، وبذلك يحمل ما جرى بينه عليه السلام وبين عمه محمد ابن الحنفية «١»، ومما يؤيد ذلك ما ذكرناه في رواية أبي خالد الكابلي آنفاً.

٢- تربية الناس: إن الإمام عليه السلام بما أنه يمتلك قوة وموهبة إلهية، فقد قام بتربية الناس، وذلك عبر كلماته ومواعظه التي ربما كانت تلقى في يوم الجمعة وفي مسجد رسول الله عليه السلام، ومعلوم أن حضور الناس في يوم الجمعة يختلف عما سواه. روى ورام بن أبي فراس عن سعيد بن المسيب أنه قال: «كان علي بن الحسين يعظ الناس ويهديهم في الدنيا ويرغبهم في الآخرة بهذا الكلام في كل جمعة في مسجد الرسول» (٢).

٣- بث المعارف الإلهية: لما كان الإمام عليه السلام يعيش في ظروف سياسية شاقّة جداً، فمن الطبيعي أنه ما كان يسعه أن يحضر الساحة بالنحو المطلوب، ولذلك نرى أنه عليه السلام قدّم ثروة علمية عظيمة في قالب الدعاء، وهو يعالج أموراً مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٤٢٠

عديدة في جوانب مختلفة كالمجال التربوي والعرفاني والاجتماعي والسياسي..

٤- الإمام ومسألة أخذ الثأر من قتله الإمام عليه السلام: إن المتتبع في التاريخ ربما يحصل على قرائن وشواهد عديدة على قيادة الإمام عليه السلام مسألة أخذ ثأر قتله الإمام الحسين عليه السلام، وتفصيل ذلك خارج عن عهد هذا المقال (١)، بل إننا نجد أنه كان يهتم في هذه المسألة في دعائه المستمر ليلاً ونهاراً.

قال القاضي نعمان: «وكان علي بن الحسين عليه السلام يدعو في كل يوم وليله أن يريه الله قاتل أبيه مقتولاً، فلما قتل المختار قتله الحسين عليه السلام بعث برأس عبيدالله بن زياد ورأس عمر بن سعد مع رسول من قبله إلى علي بن الحسين عليهما السلام، وقال لرسوله أنه يصلّي من الليل، فإذا أصبح وصلّى الغداة هجع ثم يقوم [فيستاك] فيؤتى بغذائه، فإذا أتيت بابه فاسأل عنه، فإذا قيل لك: إن المائدة وضعت بين يديه فاستأذن عليه وضع الرأسين على [مائدته] وقل له: «المختار يقرأ عليك السلام، ويقول لك: يا بن رسول الله، قد بلغك الله ثارك»، ففعل الرسول ذلك.

فلما رأى علي بن الحسين رأسين على [مائدته] خرّ لله ساجداً، وقال: الحمد لله الذي أجاب دعائي وبلغني ثأري من قتله أبي، ودعا للمختار وجزاه خيراً» (٢).

ومما يدل على مدى تأثير الإمام عليه السلام هو ملاحظة ردود فعل السلطة، نذكر بعضها:

١- إيذاؤهم له وشتمه على المنبر: ذكر سبط ابن الجوزي عن ابن سعد أن والي المدينة هشام بن إسماعيل المخزومي كان يؤذى على بن الحسين ويشتم علياً على المنبر وينال منه (٣).

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٤٢١

وقال القاضي نعمان: «وولّى هشام بن إسماعيل المخزومي المدينة، فقال علي بن الحسين عليه السلام من الأذى والمكروه عظيماً» (١). وهكذا كان دأب سائر الولاة، وإن كانت تختلف أحياناً شدة وضعفاً.

٢- قصد قتل الإمام أو ستمه: روى الطبري -الإمامي- بإسناده عن إبراهيم بن سعد قال: «لما كانت واقعة الحرة وأغار الجيش على المدينة وأباحها ثلاثة وجه بردعة الحمار صاحب يزيد بن معاوية (لعنه الله) في طلب علي بن الحسين عليهما السلام ليقته أو يسّمه..» (٢).

دور زينب الكبرى سلام الله عليها في استمرار الرسالة ص : ٤٢١

لقد أطلع القارئ الكريم على مواقف بطولية لزينب الكبرى في مواطن عديدة، ولم تترك زينب الكبرى هذه الرسالة إلى آخر حياتها، ومن تلك المواطن هي المدينة المنورة، فقد أخذت بدورها العظيم تجاه هذه المأساة بحيث إنها كانت تحرض الناس على أخذ ثأر الحسين عليه السلام، وخطبت بالناس في ذلك، وأثرت، بحيث لم تتمكن السلطة أن تتحمل وجودها بالمدينة، وقامت بنفيها عنها. روى صاحب «أخبار الزينات» بإسناده عن مصعب بن عبدالله، قال: «كانت زينب بنت علي وهي بالمدينة تؤلب الناس على القيام بأخذ

ثار الحسين، فلما قام عبدالله بن الزبير بمكة وحمل الناس على الأخذ بثار الحسين وخلع يزيد، بلغ

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٤٢٢

ذلك أهل المدينة، فخطبت فيهم زينب، وصارت تؤلبهم على القيام للأخذ بالثار، فبلغ ذلك عمرو بن سعيد، فكتب إلى يزيد يعلمه بالخبر، فكتب إليه أن فزق بينها وبينهم، فأمر أن ينادى عليها بالخروج من المدينة والإقامة حيث تشاء، فقالت:

قد علم الله ما صار إلينا، قُتل خيرنا، وانسقتنا كما تساق الأنعام، وحملنا على الأقتاب، فوالله لا خرجنا وإن اهريقنا دماؤنا.

فقالت لها زينب بنت عقيل: يابنه عمّاه، قد صدقنا الله وعده، وأورثنا الأرض نتبوا منها حيث نشاء، فطيبى نفساً، وقزى عيناً، وسيجزي الله الظالمين، أتريدين بعد هذا هواناً، ارحلى إلى بلد آمن.

ثم اجتمع عليها نساء بنى هاشم، وتلظفن معها فى الكلام، وواسينها «١».

بل المستفاد من بعض النصوص أن يزيد لعنه الله هو الذى أشار بنقلها عن المدينة، فقد روى عن عبيدالله بن أبى رافع أنه قال:

«سمعت محمداً أبا القاسم بن على يقول: لما قدمت زينب بنت على من الشام إلى المدينة مع النساء والصبيان ثارت فتنة بينها وبين عمرو بن سعيد الأشدق والى المدينة من قبل يزيد، فكتب إلى يزيد يشير عليه بنقلها من المدينة، فكتب له بذلك، فجهّزها هى ومن أراد السفر معها من نساء بنى هاشم إلى مصر، فقدمتها لأيام بقيت من رجب» «٢».

وهذا يدل على مدى تأثير زينب الكبرى سلام الله عليها فى المجتمع، بحيث أحست الزمرة الفاسدة الحاكمة بالخطر، وقامت بنفيها عن المدينة.

وأما ذهابها إلى مصر أو الشام والتحقيق فى موضع دفنها فخارج عن عهدة هذا الكتاب، ولكن المهم التركيز على أنها أدت واجبها بنجاح بإبلاغ الرسالة الحسينية، وتحملت أنواع المشاق والآلام فى هذا السبيل.

مع الركب الحسيني (ج ٦)، ص: ٤٢٣

روى بإسناد عن محمد بن عبدالله بن جعفر بن محمد الصادق عن أبيه عن الحسن بن الحسن أنه قال: «لما خرجت عمى زينب من المدينة خرج معها من نساء بنى هاشم فاطمة ابنة عم الحسين واختها سكينه» «١».

وقال: وبالسنند المرفوع إلى رقية بنت عقبه بن نافع الفهرى قالت: كنت فىمن استقبال زينب بنت على لما قدمت مصر بعد المصيبة، فتقدم إليها مسلمة بن مخلد، وعبدالله بن الحارث وأبو عميرة المزنى، فعزّاهما مسلمة وبكى وبكت وبكى الحاضرون، وقالت: هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون..

*** وهكذا كانت حركة المسيرة المظفرة، وهذا هو تاريخ الركب الحسينى الطاهر. ولنختم الكتاب بما أورده الباعونى بقوله:

«ولم تقم لبنى حرب بعدهم قائمه حتى سلبهم الله ملكهم وقطع دابرهم وأورثهم اللعنة والخزى والعار إلى آخر الأبد، وكتب عبد الملك بن مروان إلى الحجاج بن يوسف: جنبى دماء أهل البيت، فأنتى رأيت بنى حرب سلبوا ملكهم لما قتلوا الحسين» «٢».

١/ ذو القعدة/ ١٤١٩ هـ

محمد أمين الأمينى

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهدوا بأمور الكُفْمِ وَأَنْفُسِكُمْ فى سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/٤١).

قال الإمام على بن موسى الرضا - عليه السلام: رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا أَحْيَا أُمَّرْنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَيُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بِنَادِرُ الْبَحَارِ - فى تلخيص بحار الأنوار، للعلامة فيض الاسلام، ص ١٥٩؛ عيون أخبار الرضا(ع)، الشيخ

الصدوق، الباب ٢٨، ج ١/ ص ٣٠٧).

مؤسس مجتمع "القائمية" الثقافي بأصفهان - إيران: الشهيد آية الله "الشمس آبادي" - رَحِمَهُ اللهُ - كان أحدًا من جهابذة هذه المدينة، الذي قد اشتهر بشعفه بأهل بيت النبي (صلواتُ الله عليهم) ولاسيما بحضرة الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) و بساحة صاحب الزمان (عجلَ اللهُ تعالى فرجه الشريف)؛ ولهذا أسس مع نظره و درايته، في سنة ١٣٤٠ الهجرية الشمسية (= ١٣٨٠ الهجرية القمرية)، مؤسسه و طريقه لم ينطفي مصباحها، بل تتبّع بأقوى و أحسن موقف كل يوم.

مركز "القائمية" للتحري الحاسوبى - بأصفهان، إيران - قد ابتدأ أنشطته من سنة ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية) تحت عناية سماحة آية الله الحاج السيد حسن الإمامي - دام عزه - و مع مساعده جمع من خريجي الحوزات العلميه و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، في مجالات شتى: ديتيه، ثقافيه و علميه...

الأهداف: الدفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثقافه الثقلين (كتاب الله و اهل البيت عليهم السلام) و معارفهما، تعزيز دوافع الشباب و عموم الناس إلى التحري الأذق للمسائل الدينيه، تخليف المطالب النافعة - مكان البلايتي المتبدله أو الرديئه - في المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوترية)، تمهيد أرضيه واسعة جامع ثقافيه على أساس معارف القرآن و أهل البيت عليهم السلام - بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطلاب، توسعه ثقافه القراءه و إغناء أوقات فراغه هواه برامج العلوم الإسلاميه، إناله المنابع اللازمه لتسهيل رفع الإبهام و الشبهات المنتشرة في جامعه، و...

- منها العدالة الاجتماعيه: التي يمكن نشرها و بثها بالأجهزة الحديثه متصاعده، على أنه يمكن تسريع إبراز المرافق و التسهيلات - في آكناف البلد - و نشر الثقافه الاسلاميه و الإيرانيه - في أنحاء العالم - من جهه أخرى.

- من الأنشطة الواسعه للمركز:

(الف) طبع و نشر عشرات عنوان كتب، كتيبه، نشره شهريه، مع إقامة مسابقات القراءه

(ب) إنتاج مئات أجهزة تحقيقيه و مكتبيه، قابله للتشغيل في الحاسوب و المحمول

(ج) إنتاج المعارض ثلاثيه الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرسوم المتحركه و... الأماكن الدينيه، السياحيه و...

(د) إبداع الموقع الانترنتي "القائمية" www.Ghaemiyeh.com و عدّه مواقع أخر

(ه) إنتاج المنتجات العرضيه، الخطابات و... للعرض في القنوات القمرية

(و) الإطلاع و الدعم العلمى لنظام إجابة الأسئلة الشرعيه، الاخلاقيه و الاعتقاديّه (الهاتف: ٠٠٩٨٣١١٢٣٥٠٥٢٤)

(ز) ترسيم النظام التلقائى و اليدوى للبلوتوث، ويب كاشك، و الرسائل القصيره SMS

(ح) التعاون الفخرى مع عشرات مراكز طبيعيه و اعتباريه، منها بيوت الآيات العظام، الحوزات العلميه، الجوامع، الأماكن الدينيه كمسجد جمكران و...

(ط) إقامة المؤتمرات، و تنفيذ مشروع "ما قبل المدرسه" الخاص بالأطفال و الأحداث المشاركين في الجلسه

(ي) إقامة دورات تعليميه عموميه و دورات تربية المربى (حضوراً و افتراضاً) طيله السنه

المكتب الرئيسى: إيران/أصفهان/ شارع "مسجد سيد" / ما بين شارع "بنج رمضان" و "مفترق" و فاني / بنايه "القائمية"

تاريخ التأسيس: ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية)

رقم التسجيل: ٢٣٧٣

الهويه الوطنيه: ١٠٨٦٠١٥٢٠٢٦

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكتروني: Info@ghaemiyeh.com

المتجر الانترنتي: www.eslamshop.com

الهاتف: ٢٥-٢٣-٢٣٥٧٠ (٠٠٩٨٣١١)

الفاكس: ٢٢-٢٣٥٧٠ (٠٣١١)

مكتب طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ (٠٢١)

التجارية و المبيعات ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩

امور المستخدمين ٢٣٣٣٠٤٥ (٠٣١١)

ملاحظة هامة:

الميزانية الحالية لهذا المركز، شعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنيت باهتمام جمع من الخيرين؛ لكنّها لا تُوفّي الحجم المتزايد و المتسعّ للامور الدينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثقافيّة؛ لهذا فقد ترجّى هذا المركز صاحب هذا البيت (المُسمّى بالقائمة) و مع ذلك، يرجو من جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَل اللهُ تعالى فرجه الشريف) أن يُوفّق الكلّ توفيقاً مترائداً لإعانتهم - في حدّ التمكن لكلّ احدٍ منهم - إيانا في هذا الأمر العظيم؛ إن شاء اللهُ تعالى؛ و اللهُ وليّ التوفيق.

مركز
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية
الغمامة اصحمان

WWW



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

